كيبيكاغد فهرست ابتجه قونلمشدر ١

من كتب الفقير عبد العزيز الشهير بمؤمن زاده
المدرس بمدرسة كوبرلجي باشي
غفر له

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير اغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وخمسين
ومائة والف

هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغاء دار السعادة الحاج بشير
وفقه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير
حرره الفقير اليه سبحانه وتعالى محمد امين المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

١٤١

باب الحب في الله ومن الله

الحب في الله اي في ذات الله وجهته لا يشوبه الرياء والهوى ومن الله اي من جهة الله اي اذا احب عبدا احبه لاجل الله وبسببه ومن هنا كما في قوله تعالى تفيض من الدمع وكما في قوله والذين جاهدوا فينا وهو ابلغ حيث جعل المحبة مظروفا كذا حققه الطيبي وفيه ان مالهما الى معنى واحد والظاهر ان مراده من عنوان الباب فضيلة الحب لله وما يترتب عليه الحب من جانب الله كما سيصرح الاحاديث الآتية بهذا المعنى فالصواب ان يقال ان في تعليلية ومن ابتدائية والمعنى حب العبد لاجل رضى الله والحب الكائن من الله للعبد فالثاني نتيجة الاول كما في الشريعة او مقدمة له كما في الطريقة او هو محفوف بهما كما في الحقيقة على ما حقق في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والله اعلم

الفصل الاول

عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح اي ارواح الانسان جنود جمع جند مجندة بفتح النون المشددة اي مجموعة مجتمعة متقابلة او مختلطة منها حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ومنها حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وفي قوله تعالى ولله جنود السموات والارض اشارة الى الجندين حيث احدهما علوي الهمة والاخرى سفلي الفهمة فما تعارف منها التعارف جريان المعرفة بين اثنين والتناكر ضده اي فما تعرف بعضها من بعض قبل حلولها في الابدان ائتلف بهمزة وصل ثم همزة ساكنة تبدل لغا في الوصل جوازا وتبدل ياء حال الابتداء وجوبا اي حصل بينهما الالفة والرأفة حال اجتماعهما بالاجساد في الدنيا وما تناكر منها اي في عالم الارواح اختلف اي في عالم الاشباح والافراد والتذكير في الفعلين باعتبار لفظ ما والمراد منه بطريق الاجمال والله اعلم بحقيقة الحال ان الارواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على ضرائب مختلفة وشواكل متباينة وكل ما شاكل منها في عالم الامر في شاكلته تعارفت في عالم الخلق وائتلفت واجتمعت وكل ما كان على غير ذلك في عالم الامر تناكرت في عالم الخلق فاختلفت وافترقت فالمراد بالتعارف ما بينهما من التناسب والتشابه وبالتناكر ما بينهما من التنافي والتباين فتارة على وجه الكمال وتارة على وجه النقصان اذ قد يوجد كل من التعارف والتناكر باعتبار مشاكلة بينهما اما ظاهرا او اما باطنا وتحقيقه يطول ويختار من اعراض الملول واعتراض الفضول هذا وقيل هذا الاجتماع كان يوم الميثاق فمن تقابل منهم اثنان يومئذ يأتلفان في الدنيا غاية المؤالفة ومن تدابر منهم شخصان يختلفان في نهاية المخالفة ومن وقع في الاجانب له مشاركة من مشاكلة كل باب كالمنافقين واشباههم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ثم لا يمنع من هذا التعارف والتناكر وصلة الاجانب وسجية الاقارب

شعر

ان مودة سلمان له نسبا ، ولم يكن بين نوح وابنه رحم ، ولا يدفعه بعد الدار ولا يجمعه قرب المزار

شعر

مناسبة الارواح بيني وبينهم ، والاقاين الترك من ساكني نجد

فاد

قال الحكيم اقرب القرب مودة القلب وان تباعد جسم احدهما من الثاني وابعد البعد تنافر الندائي وفي النهاية قوله جنود مجندة اي مجموعة كما يقال الوف مؤلفة وقناطير مقنطرة ومعناه الاخبار عن مبدأ كون الارواح وتقدمها الاجساد اي انها خلقت اول خلقتها على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجندة اذا تقابلت وتواجهت ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله عليها من السعادة والشقاوة والاخلاق في مبدأ الخلق يقول ان الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخير يحب الخير ويحب الاخيار ويميل اليهم والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم انتهى وفيه اشارة الى المناسبة بين الحديث وعنوان الباب لا سيما وهو صدر الخطاب وفي شرح السنة فيه دليل على ان الارواح ليست باعراض وعلى انها كانت موجودة قبل الاجساد في الخلقة رواه البخاري اي عن عائشة ورواه مسلم عن ابي هريرة وفي الجامع الصغير رواه البخاري عن عائشة ورواه احمد ومسلم وابو داود عن ابي هريرة والطبراني عن ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح وزاد فيه تلتقي فتشام كما تشام الخيل قال البيهقي في سالته الحاكم عن معناه فقال المؤمن والكافر لا يسكن قلبه الا الى شكله ورواه مسلم عن ابي هريرة ايضا بلفظ الارواح جنود مجندة فما تعارف منها في الله ائتلف وما تناكر منها في الله اختلف

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا اي اذا اراد ان يظهر محبته لعبد من عباده وهي اما من صفات الذات فمعناها ارادة الخير او من صفات الافعال فهي بمعنى اكرامه له واحسانه به وانعامه عليه دعا جبريل يدل على جلالته حيث خصه من بين افراد الملائكة فيكون افضل من اسرافيل وميكائيل وسائر حملة العرش والملائكة المقربين ويحتمل ان يكون وجه تخصيصه لكونه سفيرا بين الله ورسله المبعوثين الى المخلوقين فقال اي الله اني احب فلانا وفي عدم ذكر سببه لمحبته من اوصاف عبده اشارة الى ان افعاله تعالى مبرأة عن الاغراض والعلل بل يترتب على محبته تعالى محبته العبد اياه بسلوك سبيله واتباع رسله ودوام اشتغاله بذكره ودعائه وثنائه والشوق الى رضائه ولقائه فاحبه اي انت ايضا زيادة لاكرام العبد والا فكفى بالله محبا ومحبوبا وطالبا ومطلوبا وحامدا ومحمودا قال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحبه جبريل اي يحبه لوقوع عدم عصيانه لامر ربه فيحبه لحبه وهذا من المحبة في الله انه لا يحبه لغرض سوى مرضاة مولاه ومحبة جبريل دعاؤه واستغفاره له والميل الى الاجتماع به ونحو ذلك ثم ينادي اي جبريل بامر الملك الجليل في السماء اي في اهل السماء كما في قرينته الآتية والمعنى بحيث يصل سماع كلامه الى اهلها كلهم ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء اي جميعهم ثم يوضع القبول وهو من آثار المحبة ثم هذا الوضع بنداء جبريل او غيره في الارض اي في قلوب اهلها من اهل المحبة فلا يرد ان كثيرا من الاولياء ليس لهم قبول عند اهل الدنيا لان العبرة بخواص الانام لا بالعوام كالانعام واذا ابغض عبدا دعا جبريل فيقول اني ابغض فلانا فابغضه

قال فيبغضه جبريل قال النووي محبة الله العبد هي إرادة الخير له وهدايته وإنعامه عليه
ورحمته وبغضه إرادة عقوبته وشقاوته ونحو ذلك وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين
أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم له وثانيهما أن محبتهم على ظاهرها المعروفة
من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه **قلت** هذا هو الأظهر لأنه متى
صح حمل اللفظ على معناه الحقيقي فلا وجه للعدول عنه إلى المجاز مع أن المعنى الأول
متفرع على الثاني فاد وسبب حبهم إياه كونه مطيعا لله محبوبا له قلت كونه مطيعا إما سابقا
أو لاحقا كما حقق في مرتبتي السالك والمجذوب والمريد والمراد ومعنى يوضع له القبول
في الأرض الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه وقد جاء
في رواية فتوضع له المحبة قال الطيبي والكلام في المحبة وبيانه استقصاء فيما مضى يعني
في أسماء الله الحسنى قلت وفي كثير محله كتاب الإحياء ثم ينادي أي جبريل في أهل السماء إن الله
بالكسر على إضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين على أن في النداء معنى القول ذكره
ابن الملك ويحتمل أن يكون بالفتح كما في بعض النسخ على إضمار الباء كما ذكره المفسرون في قوله تعالى
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله فإن جمهور القراء فيه على الفتح وقد
يفرق بينهما بأن إن إذا كانت مكسورة تكون من جملة المنادى بخلاف ما إذا كانت مفتوحة
وحاصله أنه سبحانه يبغض فلانا فأبغضوه وفيه إشعار بأن الملأ الأعلى ليس لهم شعور بمحبوبه
تعالى ومبغوضه إلا بإعلامه إياهم ثم مثل هذا المحبوب والمبغوض لا ينقلب حكمه لئلا يلزم
خلف في إخباره تعالى قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الأرض رواه مسلم
وفي الدر المنثور عند قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أخرج
الحكيم الترمذي وابن مردويه عن علي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
سيجعل لهم الرحمن ودا ما هو قال المحبة في صدور المؤمنين والملائكة المقربين يا علي إن الله أعطى
المؤمن الألفة والمحبة والحلاوة والمهابة في صدور الصالحين وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد
وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببونه
وأخرج عبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه
والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب
الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل
الأرض فذلك قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وإذا
أبغض الله عبدا نادى جبريل إني قد أبغضت فلانا فينادي في أهل السماء ثم تنزل له البغضاء
في الأرض انتهى فحديث المشكاة متفق عليه في المعنى **وعنه** أي عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول يوم القيامة أي على رؤوس الأشهاد تعظيما للبعض
من العباد أين المتحابون بجلالي أي بسبب عظمتي ولأجل تعظيمي أو الذين يكون التحابب
منهم لأجل رضاي لا لجزاء نوالي قال الطيبي الباء فيه بمعنى في وفيه ما فيه قال حفص

الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة أي المتنزهون عن شائبة الهوى والنفس
والشيطان في المحبة فلا يتحابون إلا لأجلي ولوجهي قلت ويمكن أن يكون من باب الاكتفاء
والتقدير بجلالي وجمالي أي المتحابون لي في حالتي القبض والبسط والخوف والرجاء والمحبة
والمحنة فبقية دوام تحابهم اليوم فالظرف متعلق بالمتحابون **قلت** الأظهر أنه ظرف لقوله
أظلهم في ظلي أي أدخلهم في ظل حمايتي أو أريحهم من حرارة الموقف راحة من استظل أو أظلهم
في ظل عرشي وهو الأظهر ويؤيده ما رواه الطبراني في الكبير عن ثوبان المتحابون في الله
على كراسي من ياقوت تحت العرش وقوله يوم لا ظل إلا ظلي بدل من اليوم المتقدم كما قاله الطيبي
أو منصوب بتقدير أعني وهو الأظهر وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي الظاهر أنه في ظل الله من
الحر ووهج الموقف وقال عيسى بن دينار كناية عن كونه في كنفه وستره ومنه قولهم السلطان
ظل الله في الأرض ويحتمل أن يكون عبارة عن الراحة والتنعم يقال هو في عيش ظليل أي طيب
ذكره الطيبي وأوسط الأقوال هو الأوسط إذ لا يصح إسناد الظل حقيقة إلى الله تعالى فينبغي
تأويله بارتكاب المجاز أو بحذف المضاف وما أبعد الاحتمال الأخير إذ يصير التقدير أنعمهم
في تنعمي ولكن التقليد متغلب على الأمي وحب الشيء يعمي ويصم رواه مسلم وكذا أحمد
وعنه أي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا زار أخا له أي أراد زيارة أخيه
المسلم أو منوا حبيبه في الله وهو أعم من أن يكون حقيقة أو مجازا في قرية أخرى أي غير
مكان الزائر فأرصد الله له على مدرجته أي أعد وهيأ أو أقعد في طريقه ملكا وفي النهاية
أي وكله بحفظ مدرجته يقال رصدته إذا قعدت له على طريقه تترقبه انتهى فقوله تعالى
إن ربك لبالمرصاد فيه تجريد المعنى أنه مراقب للعباد قال والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق
سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون انتهى والأظهر أن المدرجة
من الطريق مكان مرتفع يمشون فيه درجة درجة في الطلوع والنزول ومنه مدرجة منى
التي هي وصلة إلى المعنى يعرفها من ذهب في طريق المعرفة أي عرفات أنها من هنا قال استئناف
جواب لمن قال وما بعد ذلك أي الملك للزائر أين تريد الظاهر أن هذا من باب تجاهل العارف مع
ما فيه من التورية حيث إن المقصود الأصلي من تريد ولما كان من القواعد المقررة أن
من أحب شيئا أكثر ذكره والإناء يترشح بما فيه قال أي الزائر أريد أخا لي أي مختصا
بي في هذه القرية ولعل تعيينها علم بالإشارة وأطنب في الكلام لتضمين المرام على نوع
من الأسلوب الحكيم فكأنه قال له لا تسأل عن المحل والتفت بالسؤال عن الحال فإن هذا طريق أرباب
الحال بلا محال قال الطيبي **فإن قلت** كيف طابق هذا السؤال بقوله أين تريد قلت من
حيث إن السؤال متضمن لقوله أين تتوجه ومن تقصد ولما كان قصده الأولي الزيارة
ذكره وترك ما لا يهمه قلت هذا إنما يتم لو لم يقل في هذه القرية ونظيره قوله تعالى وما
أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى لما كان الغرض من
السؤال في استعجاله إنكار تركه القوم وراءه وتقدمه عليهم قدمه في الجواب وأخر ما وقع

السوال غير ثابت في كونه نظيرا له نظر بل مثال له بحسب المعنى وتوضيحه ما ذكره البيضاوي
من ان قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى سوال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث
انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظيم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين
وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري اي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة
وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك
رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفا بوعدك يوجب مرضاتك انتهى قال اي الملك للزائر
هل لك عليه اي على المزور من نعمة تربها بضم الراء وتشديد الموحدة والمثناة اي تقوم باصلاحها واتمامها
اي هل سوى محبتك او دولتك او غيرهما ممن هو في نفقتك وشفقتك تحسن اليه من اجل فلان الضيعة
اي اصلحها واتمها وفي بعض النسخ هل له عليك من نعمة تربها اي تقوم بشكرها ثم قيل نعمة
مبتدا ومن زائدة ولك خبره وعليه متعلق بحال تحذوف اي هل لك نعمة داعية على زيارته
تربها اي تحفظها وتستزيدها بالقيام على شكرها وقال الطيبي اي هل وجبت عليه النعم الدنيوية
تذهب اليها فتربها اي تملكها منه وتستوفيها قال لا غير اني احببته في الله اي ليس لي داعية
الى زيارته الا محبتي في طلب مرضاة الله قال اي الملك فاني رسول الله اليك بان الله قد
احبك كما احببته فيه ولعل وجه التشبيه انه كما احب من غير سبب دنيوي كذلك الحق احبه من
غير باعث اخر من عمل اخروي ويمكن ان يكون الكاف للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم قال النووي
فيه فضل المحبة في الله وانها سبب لحب الله وفضيلة زيارة الصالحين وان الانسان قد يرى
الملائكة تلك رؤية غير الانبياء والرسل من المومنين لمملائكة على صورة البشر امر واضح يثبت
في صدر الكتاب في حديث جبريل وغيره وانما يقال هنا فيه دليل على ارسال الله الملك الى الاولياء
ومخاطبته اياهم بتبليغ المرام زيادة على مرتبة الالهام والظاهر ان هذا من خصائص الامم
السابقة تحقيقا لختم النبوة والله سبحانه اعلم رواه مسلم **وعن ابن مسعود** قال جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل احب قوما اي من العلما
او الصلحا ولم يلحق بهم اي بالصحبة او العلم او العمل او بمجموعها اي لم يصاحبهم ولم يعامل معاملتهم
وقيل اي لم يرهم فقال المرء مع من احب اي يحشر مع محبوبه ويكون رفيقا لمطلوبه قال تعالى ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية وظاهر الحديث العموم الشامل للصالح ويويده
حديث المرء على دين خليله كما سياتي ففيه ترغيب وترهيب ووعد ووعيد متفق عليه وفي
الجامع الصغير المرء مع من احب رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذي والنسائي عن انس
والشيخان ايضا عن ابن مسعود وفي رواية للترمذي عن انس المرء مع من احب وله ما اكتسب **وعن**
انس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة اي وقت قيام القيمة ولما كان السوال محتملا لان
يكون تعنتا وانكارا وان يكون تصديقا بها واشفاقا منها واشتياقا لاقترابها قال امتحانا له
ويلك ما اعددت لها والا لو تحقق عنده صلى الله عليه وسلم ايمانه لها وايقانه بها لقال او يحك
بدل ويلك قال ما اعددت لها الا اني احب الله ورسوله ولم يذكر غيره من العبادات القلبية

والبدنية والمالية لانها كلها فروع للمحبة مترتبة عليها ولان المحبة هي اعلى منازل السايرين
واعلى مقامات الطايرين فانها باعثة لمحبة الله ونتيجة لها قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فكان من المعلوم الواضح عندهم ان
المحبة المجردة من غير المتابعة لها كثير فايدة ولا كثير عايدة قال انت مع من احببت اي ملحق
بمن غلب محبته على محبة غيره من النفس والاهل والمال ويدخل في زمرته ومن علامة
المحبة الصادقة ان يختار امر المحبوب ونهيه على مراد غيره ولذا قال رابعة

تعصي الاله وانت تظهر حبه ۞ هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ۞ ان المحب لمن يحب مطيع

وقال الطيبي سلك مع السايل طريق الاسلوب الحكيم لانه سال عن وقت الساعة فقيل له فيم
انت من ذكراها وانما يهمك ان تهتم باهبته او تعتني بما ينفعك عند ارسايها من العقايد الحقة
والاعمال الصالحة فاجاب بقوله ما اعددت لها الا اني احب الله ورسوله انتهى وبعده من
المبنى والمعنى لا يخفى قال انس فما رايت المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام اي بعد فرحهم به
او دخولهم فيه فرحهم بها اي كفرحهم بها اي بتلك الكلمة وهي انت مع من احببت قال الخطابي
الحقه صلى الله عليه وسلم بحسن النية من غير زيادة عمل باصحاب الاعمال الصالحة انتهى ولا
يخلوا عن ايهام وابهام والتحقيق انهم حسبوا ان لا تحصل المعية لمجرد المحبة مع وجود المتابعة
بل تتوقف على كثرة العبادات وزيادة الرياضات والمجاهدات ويدل عليه ما رواه
عماد الدين بن كثير في تفسيره باسناده الى عايشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي واحب الي من اهلي واحب الي من ولدي واني
لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتى اتيك فانظر اليك واذا ذكرت موتي وموتك عرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلت الجنة خشيت ان لا اراك
فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فتبين بهذا ان
المراد بالمعية هنا معية خاصة وهي ان تحصل فيها الملاقاة بين المحب والمحبوب لانهما
يكونان في درجة واحدة لانه بديهي البطلان وقد روى مالك عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراؤن في الجنة كما تراؤن او ترون الكوكب
الدري الغابر في الافق الطالع في تفاضل الدرجات قالوا يا رسول الله اولئك النبيون
قال بلى والذي نفسي بيده واقوام امنوا بالله وصدقوا المرسلين يعني وانهم عملوا
بمقتضى ايمانهم وتصديقهم ما يدل على ايقانهم وتحقيقهم ثم جاء في حديث بيان
كيفية الملاقاة المذكورة وهو ما ذكره ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير حدثنا المثنى
حدثنا ابن ابي جعفر عن ابيه عن الربيع في قوله تعالى ومن يطع الله والرسول الاية
قال ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم

له فضل على من امن به في درجات الجنات على من اتبعه وصدقه وكيف لهما اذا اجتمعوا
في الجنة ان يرى بعضهم بعضا فانزل الله في ذلك يعني هذه الاية فقال يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الاعلين ينحدرون الى من هو اسفل منهم فيجتمعون في رياضها فيذكرون
ما انعم الله عليهم ويثنون عليه وينزل لهم اهل الدرجات فيسعون عليهم بما يشتهون
وما يدعون به فهم في روضة يحبرون ويتنعمون فيه ثم الظاهر ان هذه المعية والمواجهة
الجاملة تختلف باختلاف حسن المعاملة والله اعلم متفق عليه وعن ابي موسى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس اي المجالس الصالح والسوء بفتح السين
وبضم اي والجليس الطالح كحامل المسك ناظر الى الاول ونافخ الكير بكسر الكاف زق ينفخ
فيه الحداد واما المبني من الطين فكور كذا في القاموس فحامل المسك اما ان يحذيك
من الاحذاء اي يعطيك مجانا واما ان تبتاع منه اي تشتري واما ان تجد منه رايحة طيبة
وهذا بيان اقل المنفعة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك من الاحراق اي يكون سببا
للاحراق او نفذ بوه يحرق بناره ثيابك ولعله وقع اختصارا حيث لم يقل اما ان يحرق
اعضائك او ثيابك واما ان تجد منه رايحة خبيثة اي دخانه وهذا اقل المضرة والمعنى
فعليك بمحبة الاول ومصاحبته واياك مودة الثاني ومرافقته قيل فيه ارشاد
الى الرغبة في صحبة الصلحا والعلما ومجالستهم فانها تنفع في الدنيا والاخرة والى الاجتناب
عن صحبة الاشرار والفساق فانها تضر دينا ودنيا قيل مصاحبة الاخيار تورث الخير
ومصاحبة الاشرار تورث الشر كالريح ان هبت على الطيب عبقت طيبا وان مرت
على النتن حملت نتنا وقيل اذا جالست الحمقا علق بك من حمقهم ما لا يعلق بك من
العقل اذا جالست مع العقلا لان الفساد اسرع الى الناس واشد اقتحاما في الطبايع
والحاصل ان الصحبة تؤثر ولهذا قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين وقال بعض العارفين كونوا مع الله فان لم تقدروا ان تكونوا مع الله فكونوا
مع من يكون مع الله وتفصيل هذه المسئلة وتفضيل المخالطة والعزلة في الاحيا بطريق
الاستقصاء متفق عليه في الجامع الصغير مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل
صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد
يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة رواه البخاري عن ابي موسى مثل الجليس
الصالح مثل العطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه رواه ابو داود
والحاكم عن انس مثل المومن كمثل العطار ان جالسته نفعك وان ماشيته نفعك وان
شاركته نفعك رواه الطبراني عن ابن عمر والله اعلم الفصل الثاني عن معاذ بن جبل
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت اي ثبتت او تحققت
محبتي للمتحابين في بتشديد التحتية اي لاجلي والمتجالسين في اي في حبي او سبيلي
والمتزاورين في بان يزور بعضهم بعضا لعيادة ونحوها والمتباذلين اي بان يبذل

بعضهم

بعضهم لبعض المال في اي في رضاي رواه مالك وفي الجامع الصغير رواه احمد والطبراني
والحاكم والبيهقي عن معاذ وفي رواية الترمذي بالاضافة قال يقول الله تعالى المتحابون
في جلالي اي لاجل اجلالي وتعظيمي او هو من باب الاكتفا كما سبق لهم منابر من نور يغبطهم
النبيون والشهدا بكسر الموحدة من الغبطة بالكسر وهي تمني نعمة على ان لا تتحول عن صاحبها
بخلاف الحسد فانها تمني زوالها عن صاحبها فالغبطة في الحقيقة عبارة عن حسن الحال كذا
قيل وفي القاموس الغبط حسن الحال والمسرة فمعناها الحقيقي مطابق للمعنى اللغوي
فمعنى الحديث يستحسن احوالهم الانبيا والشهدا وبهذا يزول الاشكال الذي تحير فيه العلما
وفي الجامع الصغير المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش رواه الطبراني عن ابي
ايوب قال القاضي كل ما يتحلى به الانسان ويتعاطاه من علم وعمل فان له عند الله تعالى
منزلة لا يشارك فيه صاحبه من لم يتصف بذلك وان كان له من نوع اخر ما هو ارفع قدرا
واعز ذخرا فيغبطه بان يتمنى ويحب ان يكون له مثل ذلك مضموما الى ما له من المراتب الرفيعة
والمنازل الشريفة وذلك معنى قوله يغبطهم النبيون والشهدا فان النبيين قد
استغرقوا فيما هو اعلى من ذلك من دعوة الخلق واظهار الحق واعلا الدين وارشاد العامة
والخاصة الى غير ذلك من كليات اشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها
والشهدا وان نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الاكبر فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء
فاذا راوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله ودوا لو كانوا ضامين
خصالهم فيكونون جامعين بين الحسنتين فايزين بالمرتبتين هذا والظاهر انه لم يقصد
في ذلك اثبات الغبطة لهم على حال هؤلاء بل بيان فضلهم وعلو شانهم وارتفاع مكانهم وتقريرها على اكد
وجه وابلغه والمعنى ان حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهدا يومئذ
مع جلالة قدرهم ونباهة امرهم حال غيرهم لغبطوهم وقال الطيبي يمكن ان يحمل الغبطة هنا على الاستحسام
المرضي المحمود فعله لانه لا يغبط الا في الامر المحمود المرضي كان الانبيا والشهدا يحمدون اليهم فعلهم
ويرضون عنهم فيما تحروا من المحبة في الله ونظيره ما رويناه في صحيح مسلم عن المغيرة بن
شعبة انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك قال فتبرز رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل صلاة الفجر وحملت للوضوء معه اداوة ثم اقبلنا حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن
ابن عوف فصلى بهم فادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين فصلى مع الناس الركعة
الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلوته فافزع ذلك
المسلمين فاكثروا التسبيح فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل عليهم ثم قال احسنتم
او قال اصبتم يغبطهم ان صلوا الصلاة لوقتها فقوله يغبطهم الى اخره كلام الراوي تفسيرا
وبيانا لقوله صلى الله عليه وسلم احسنتم او اصبتم قال وايضا لا يبعد ان هذه الحالة في المحشر
قبل دخول الناس في الجنة او النار لقوله يعني في الحديث الاتي لا يخافون اذا خاف الناس
والتعريف للاستغراق فيحصل لهؤلاء الامن والفراغ في بعض الاوقات ما لا يحصل لغيرهم لاشتغالهم

استحسام

بحال انفسهم او حال امتهم فيغبطونهم لذلك انتهى وقوله فيحصل لهؤلاء الامن لا يحصل لغيرهم غير صحيح لقوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وايضا تصور امن المتحابين وخوف الانبياء على انفسهم خطأ فاحش لانه يلزم منه تفضيل الاولياء على الانبياء ايضا مع ظاهر الحديث والعلماء مائلون في تاويله بوجه يزيل الاشكال والله اعلم بالحال وكذا قول بعض الشراح يغبطهم وقت الحساب قبل دخولهم الجنة بعيشهم على المنابر والخلق في الحساب انتهى وهو بظاهره عدول عن صواب الصواب وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله اي الكاملين في الايمان العاملين بالاحسان لاناسا اي جماعة عظيمة من الاولياء ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء اي ممن فاتهم التزاور والا فالتحابب والتجالس لله بين كل نبي وامته حاصل بلا شبهة. اللهم الا ان يراد بالتحابب وكونه وجود الفعل بين المتماثلين والشهداء اي ممن فاتهم المجالسة ونحوها يوم القيامة بمكانتهم اي بمنزلة الاولياء المتحابين ومكانتهم ومرتبتهم الزائدة على غيرهم من الله اي من قربه سبحانه قالوا يا رسول الله تخبرنا بهمزة مقدرة او خبر معناه الامر بمعنى الالتماس اي اخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا اقتصر عليه لان ما سبق من التجالس والتزاور والتباذل فرع التحابب والمعنى تحابب بعضهم بعضا بروح الله بضم الراء وهو ما يحيي به الخلق ويكون حياة لهم وفي بعض النسخ بفتحها ففي النهاية الروح بفتح الراء نسيم الريح فالمعنى انه باذن الله او بنفحة من نفحاته ومنه ما روي اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ففيه ايماء الى ان هذه النعمة لم تحصل لكل احد ولا توجد في كل وقت لانها تتوقف على جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين فالتحابب بسبب التجاذب واما رواية الضم فقال القاضي الروح بضم الراء قيل اراد به هنا القران لقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سمي بذلك لانه يحيي به القلب كما يحيي بالروح البدن والمعنى انهم تحابوا بداعية الاسلام ومتابعة القران فحثهم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم انتهى وخلاصته ان السبب الداعي الى تحابهم هو الوحي المنزل الهادي الى سواء السبيل لا شيء اخر من الاعراض وقيل المراد بالروح المحبة فانه يقال انت روحي اي محبوبي كالروح اي تحابوا بما القى الله في قلوبهم من المحبة الخالصة لله عز وجل واما قول الطيبي ومنه قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا فبعيد جدا اذ المراد به جبريل باتفاق المفسرين وسمي روحا لان الدين يحيي به ووجه على غير ارحام اي حال كونه تحابهم على غير ارحام بينهم اي لغير سبب نسب صوري بل لاجل قرب معنوي ولا اموال اي ولا لاشتراك اموال يتعاطونها اي بالمعاملة او المجاملة ولما كان الاغراض الفاسدة في المحبة منحصرة فيهما اما ان تكون للقرابة على ما هو مركوز في الطبايع او للمال من حيث انه مطمح الاطماع اقتصر عليهما والمقصود تحسين النية وتزيين الطوية فوالله ان وجوههم لنور اي منورة او ذوات نور او هي نفس النور مبالغة كرجل عدل وانهم لعلى نور اي على منابر من نور كما جاء في حديث اخر قال القاضي وهو تمثيل

لمنزلتهم ومحلهم مثلها بما هو اعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل على اعز الاوضاع واتمها من جنس ما هو ابهى واحسن ما يشاهد ليدل على رتبتهم في الغاية القصوى من العلا والشرف والبهاء انتهى وعبر عنها بالنور مبالغة فهو نور على نور في غاية من الظهور ولهم سرور على سرور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس بكسر الزاء وقرأ اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا للفقرة الاخيرة من الحديث او قرأ الصحابي اعتضادا هذه الاية الا للتنبيه ان اولياء الله اي المتقون اعم من المتحابين لا خوف عليهم اي يوم القيامة من لحوق عقاب ولا هم يحزنون من فوت ثواب رواه ابو داود اي عن عمر بلفظ المشكوة ورواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده عن ابي مالك قال المؤلف في فصل الصحابة هو كعب بن عاصم الاشعري كذا قاله البخاري في التاريخ وغيره روى عنه جماعة مات في خلافة عمر بلفظ المصابيح مع زوائد اي مع كلمات زائدة او مع زوائد فوائد على حديث ابي داود وكذا اي مثل حديث المصابيح في شعب الايمان اي للبيهقي ولفظ المصابيح هكذا عن ابي مالك الاشعري انه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ان لله عز وجل عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة فقال اعرابي حدثنا من هم فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن قال ابن الملك من شراحه هذا عبارة عن قرب المنزلة من الله عز وجل وقال شارح اخر قوله قدام الرحمن اي قدام عرش الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون قال ابن الملك الفرق بين الفزع والخوف ان الفزع اشد انواع الخوف وقيل الفزع خوف مع جبن والخوف غم يلحق الانسان بسبب امر مكروه سيقع انتهى والاظهر في الفرق ان المراد بالفزع هنا الاستغاثة على ما في القاموس ومنه تنشأ من خوف العقوبة وقد تكون من طمع تعالية للرحمة والله اعلم هذا وكان حق المؤلف ان يصدر الحديث بقوله عن ابي مالك ويأتي بالحديث على ما في المصابيح بمقتضى اصله فيقول رواه البيهقي في الشعب وكذا رواه في شرح السنة ثم يقول ورواه ابو داود نحوه مع تغيير يسير لكن من رواية عمر لان التصنيف مهما امكن حقه ان لا يغير وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر اي عرى الايمان بضم عين وفتح راء جمع عروة وهي في الاصل ما يتعلق به من طرف الدلو والكوز ونحوهما فاستعير لما يتمسك به في امر الدين ويتعلق به من شعب الايمان وقوله اوثق اي احكم قال الله ورسوله اعلم ولعل الحكمة في السؤال انه يقع الجواب في حال التوجه اليه واقبال الفكر عليه فهو بمنزلة التاكيد له قال الموالاة اي المعاونة والمحابة من الطرفين والحب في الله اي لاجله ولو من طرف واحد كحبنا البعض من اولياء الله ممن لم يرنا ولا نراه والبغض في الله اي في سبيله قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم

أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان الآية رواه البيهقي في شعب الإيمان
ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا بلفظ أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة
في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل وروى أبو داود والضياء عن أبي أمامة مرفوعًا
من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان وفي رواية استكمل إيمانه
وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عاد المسلم أخاه أي مريضًا
أو زاره أي مصاحبًا فأو للتنويع ويحتمل أن يكون للشك بناء على تغليب أحدهما أو نظرًا إلى الأصل المعنى
اللغوي لأن العيادة والزيارة (منهما) متقاربان في المعنى إلا أن العيادة تستعمل غالبًا في
المرض والزيارة في الصحة والأظهر أن الزيارة أعم من العيادة كما أن كلا منهما أخص من العيادة
قال الله تعالى أي بلا واسطة أو على ألسنة بعض الملائكة طبت بكسر الطاء أي صرت طيب العيش
في الآخرة وحصل لك طيب عيش فيها وهو إخبار ويحتمل الدعاء وطاب ممشاك أي صار مشيك
سبب طيب عيشك فيهما كذا ذكره بعض الشراح ولا يبعد في تعميم طيب العيش ليشمل طيب
الحياة في الدنيا بالقناعة والرضا وبركة الرزق وسعة القلب وحسن الخلق وتوفيق
العلم والعمل ويمكن أن يكون الطيب كناية عن قبول نيته وشكر سعيه وتبوأت من الجنة
منزلا أي هيأت منها بهذه العيادة منزلة عظيمة ومرتبة جسيمة فإن إدخال السرور
في قلب المؤمن أفضل من عبادة الثقلين لا سيما والعيادة فرض كفاية وفيها موعظة وتذكرة
وتنبيه على استغنائه بالصحة والحياة ودفع الهموم الزيادة نسأل الله العفو والعافية
وحسن الخاتمة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن المقدام بن معديكرب عن
ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه أي ليحبه أيضًا
أو ليدعو بمحبة الله له كما سيأتي فيكونا من المتحابين قال الخطابي معناه الحث على التودد والتآلف
وذلك أنه إذا أخبره أنه يحبه استمال قلبه واجتلب به وده وفيه إذا علم أنه محب له (وادّ)
قبل نصحه ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به لنفسه رواه أبو داود والترمذي أي قال
حسن صحيح قال ميرك ورواه النسائي في اليوم والليلة انتهى وفي الجامع الصغير إذا أحب
أحدكم أخاه فليعلمه أنه يحبه رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي والحاكم
وابن حبان عن المقدام وابن حبان أيضًا عن أنس وفي رواية لأحمد والضياء عن أبي ذر بلفظ
إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله رواه البيهقي عن ابن عمر
ولفظه إذا أحب أحدكم فعسى أن توافي له عدوًا فيخبرك بما ليس فيه عبدًا فليخبره
فإنه يجد مثل الذي يجد له وفي حديث معاذ رواه أبو نعيم في الحلية إذا أحببت رجلا فلا
تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحدًا فعسى أن توافي له عدوًا فيخبرك بما ليس فيه فيفرق
ما بينك وبينه وعن أنس أن رجلا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده الناس جملة حالية
فقال رجل ممن عنده إني لأحب هذا لله فقال النبي صلى الله عليه وسلم أعلمته بهمزة مفتوحة
مخففة أو مسهلة ويجوز أن يقرأ بهمزة ممدودة على أن الثانية منقلبة قال لا قال أعلمه

أي

أي مبادرة فأعلمه فقام إليه فأعلمه فقال أي الرجل الأول أحبك الله كما في نسخة الذي
أحببتني له قال أي الراوي ثم رجع أي الرجل الثاني فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أي عما جرى
بينهما أو عما أجاب له فأخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت أي دنيا
وأخرى ولك ما احتسبت أي أجر ما احتسبت والاحتساب طلب الثواب وأصل الاحتساب
بالشيء الاعتداد به ولعله مأخوذ من الحساب أو الحسب واحتسب بالعمل إذا قصد به
مرضاة ربه رواه البيهقي في شعب الإيمان وفي رواية للترمذي المرء مع من أحب وله ما اكتسب
قال التوربشتي وكلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه قال الطيبي وذلك
لأن معنى ما اكتسب كسب كسبًا يعتد به ولا يرد عليه بسبب الرياء والسمعة وهذا هو
معنى الاحتساب لأن الافتعال للاعتمال في النهاية الاحتساب من الحسب كالاعتداد
من العد وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله احتسبه لأن له حينئذ أن يعتد عمله فجعل
في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به والحسبة اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد
وهنا في حصن الجزري وإذا قال له إني أحبك وفي رواية في الله قال أحبك الذي أحببتني له
رواه النسائي وأبو داود وابن حبان وابن السني في عمل اليوم والليلة وعن أبي سعيد
الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب أي لا تقصد في المصاحبة
إلا مؤمنًا أي كاملا أو مكملا والمراد به النهي عن مصاحبة الكفار والمنافقين لأن مصاحبتهم
مضرة في الدين فالمراد بالمؤمن جنس المؤمنين ولا يأكل طعامك إلا تقي أي مؤمن أو متورع يصرف
قوة الطعام إلى عبادة الملك العلام والنهي وإن نسب إلى التقي ففي الحقيقة مسند
إلى صاحب الطعام فهو من قبيل لا أرينك ههنا فالمعنى لا تطعم طعامك إلا تقيًا وفي رواية
بزيادة ولأنا كل الإطعام تقي فإن طعامه غالبًا يكون من حلال مؤثر في تحصيل العبادة وقال
الخطابي هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة وذلك أن الله تعالى قال ويطعمون
الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفارًا غير مؤمنين وإنما
حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته لأن المطاعمة توقع الألفة
والمودة في القلوب قال الطيبي فإن قلت المؤمن يجوز أن يراد به العام وأن يراد به الخاص الذي
يقابله الفاسق كقوله تعالى أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا فيكون المعنى لا تصاحب إلا صالحًا
قلت المراد بالفاسق هنا الكافر باتفاق المفسرين ويدل عليه من قوله تعالى لا يستوون
فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا
فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها قال البيضاوي هذا عبارة عن
خلودهم وفي تفسير السيد معين الدين الصفوي نزلت في علي رضي الله عنه والوليد بن عقبة
ابن أبي معيط وكان بينهما تنازع فقال الوليد لعلي إنك صبي وأنا والله أبسط لسانًا وأشجع
منك جنانًا فقال له علي اسكت فإنك فاسق هكذا قاله عطاء بن يسار والسدي وغيرهما
فالفاسق هنا معناه الخارج عن الإيمان الثابت على الكفر فلا يشكل بأن الوليد أسلم آخر عمره

ما بعده صح

وقال الطيبي ولا يأكل نهي لغير التقي أن يأكل طعامه والمراد نهيه عن أن يتعرض لما لا يأكل
التقي طعامه من الحرام وتعاطي ما ينفر عنه التقي فالمعنى لا تصاحب إلا مطيعا ولا تخالل
إلا تقيا انتهى وهو في غاية من الحسن غير أنه لا يستقيم به وجه الحصر فالصواب ما قدمناه
والله أعلم رواه الترمذي وأبو داود والدارمي وكذا أحمد وابن حبان والحاكم عنه وعن
أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله أي غالبا والخلة
الحقيقية لا تتصور إلا في الموافقة الدينية أو الخلة الظاهرة قد تفضي إلى حصول
ما غلبت عليه خليله من الخصلة الدينية ويؤيده قوله فلينظر أحدكم من يخالل قال
تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الغزالي مجالسة الحريص ومخالطته
تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخالطته يزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه
والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري من حيث لا يدري هذا وفي النهاية
الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول والخلة بالضم الصداقة
والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله أي في باطنه انتهى واختلف في أن المحبة
أولى أو الخلة أعلى والظاهر الأولى وبسطه يطول فينبغي العدول رواه أحمد والترمذي
وأبو داود والبيهقي في شعب الإيمان وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال النووي
وفي نسخة بزيادة الف إسناده صحيح قال الطيبي ذكره في رياض الصالحين وغرض المؤلف
من إيراده والإطناب فيه دفع الطعن في هذا الحديث ودفع توهم من توهم أنه موضوع قال
السيوطي هذا الحديث أحد الأحاديث التي انتقدها الحافظ سراج الدين القزويني على
المصابيح وقال إنه موضوع وقال الحافظ ابن حجر يعني العسقلاني في رده عليه قد حسنه
الترمذي وصححه الحاكم وعن يزيد بن نعامة بفتح النون والعين المهملة ضبي روى عنه
سعيد بن سليمان وكان قد شهد حنينا مشركا ثم أسلم بعد ذلك قال الترمذي لا يعرف له
سماع من النبي صلى الله عليه وسلم ذكره المؤلف في فضل الصحابة وسيأتي في آخر الحديث أن
صحبته مختلف فيها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آخى الرجل الرجل بمد الهمزة
من المؤاخاة أي اتخذه أخا في الله فليسأله من باب المفاعلة وفي نسخة صحيحة فليسأل
عن اسمه واسم أبيه وممن هو أي ومن أي قبيلة هو ومن أي قوم هو فإنه أي السؤال عما ذكر أوصل
أي أكثر وصلة للمودة أي للمحبة في الأخوة وفي شرح المصابيح أوصل أي للمودة رواه الترمذي
وكذا ابن سعد والبخاري في تاريخه عنه وقال الترمذي غريب لا نعرف ليزيد سماعا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انتهى ورجال إسناده موثوقون ويزيد بن نعامة بفتح النون أبو مودود الضبي
ذكره ابن عبد البر في الصحابة وحكى عن البخاري أنه قال إن له صحبة وقال ابن عبد البر
شهد حنينا مشركا ثم أسلم بعد انتهى والجمهور على أنه تابعي ثقة قال ابن أبي حاتم لا صحبة له
وسئل أبي عنه فقال صالح الحديث وقال في تهذيب الكمال الصواب أنه يرسل وهو صدوق
روى عن أنس وروى عنه أبو خلدة وسلام بن مسكين نقله ميرك عن التصحيح وخلاصة

الخلاف أن الصحبة السابقة على الإسلام هل هي معتبرة أم لا والصحيح الثاني مع
اتفاقهم على جواز تحمل الحديث في حال الكفر وتأديته حال الإسلام فإن صحت له الصحبة
والسماع فيها ونعمت وإن ثبتت الصحبة ولم يصح سماعه فالحديث من مراسيل الصحابة وهو
حجة عند الكل وإلا فالحديث من مراسيل التابعي وهو غير مضر لأنه حجة عند الجمهور
وعليه مذهبنا المنصور هذا وقد اعتضد الحديث برواية ابن عمر على ما أخرجه البيهقي في
شعب الإيمان ولفظه إذا أحببت رجلا فسله عن اسمه واسم أبيه فإن كان غائبا حفظته
وإن كان مريضا عدته وإن مات شهدته وهذا الحديث كالتفسير للسابق والله أعلم بالحقائق

الفصل الثالث عن أبي ذر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي من الحجرة الشريفة فقال استيناف بيان جوابا لسؤال مقدر أتدرون أي الأعمال أي نوع
من أنواعها أحب إلى الله تعالى أي أفضل وأما ما قيل من أن الأحبية لا تستلزم الأفضلية
ففي هذا المقام غير مستقيمة نعم يتصور بالنسبة إلى المخلوق لأن ولده أحب إليه وليس
يلزم منه أنه أفضل وكذلك علي رضي الله عنه أحب إلى السيد الساقي مع أنه ليس أفضل
من الشيخين وهذا قد يكون مباشر علم أو مباشر عمل أحب عند أحد مع أنه ليس بأفضل عنده
أيضا فقال قائل الصلوة والزكوة الظاهر أنه لو ومعه أو التقدير وقال قائل الزكاة قال
وفي نسخة وقال قائل الجهاد قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أحب الأعمال إلى الله تعالى الحب
في الله والبغض في الله ويؤيده غبطة الأنبياء والشهداء ولعل وجه كونه أفضل من أركان الإسلام
وعموده أن هذا أمر إنما بعد حصول الفرائض نعم يلزم منه أن يكون أفضل من نوافل العبادات
وهو كذلك ولا محذور فيه وحاصله أن بعد ارتكاب المأمورات الشرعية واجتناب المحظورات
المنهية الحب لله والبغض لله أفضل العبادة أن في كل الطاعات تعاليكم بها ومن لوازمه المعلوم
أنه ليس المراد أنهما أفضل من نحو الصلاة والزكاة بمعنى أنهما يجبران عليهما وثوابهما أكثر من
ثوابهما مطلقا ويؤيده ما رواه الطبراني عن ابن عباس أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال
السرور في قلب المؤمن ورواه أيضا عن الحكم بن عمير بلفظ أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينا
من جوع أو دفع عنه مغرما أو كشف عنه كربا انتهى والكل من باب الحب في الله ولا شك أن العبادة المتعدية
أفضل من النوافل القاصرة وقال الطيبي فإن قلت كيف يكون الحب في الله أحب
إلى الله من الصلاة والزكاة والجهاد قلت من أحب في الله يحب أنبياءه وأولياءه ومن شرط
محبتهم أن يقتفوا آثارهم وكذلك من أبغض في الله أبغض أعداءه وبذل جهده في المجاهدة معهم
بالسنان واللسان انتهى وهو جواب غير شاف كما لا يخفى بل ولا مناسبة بينهما في المبنى والمعنى
رواه أي مجموع الحديث أحمد وروى أبو داود الفصل الأخير أي قوله إن أحب الأعمال إلى آخره وفي
الجامع الصغير رواه أحمد عن أبي ذر بلفظ أحب الأعمال الحب في الله والبغض في الله وعن أبي
أمامة أي الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب عبد عبدا لله أي لابتغاء مرضاته
إلا أكرم ربه أي عظمه عز أي بهاؤه وجل أي ثناؤه أو ذاته أو صفاته أو عز نزوحه وجل بغيرا عز ن

واجلال واكرام من مخلوق لما قال في اية العز وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه احمد وعن اسماء بنت يزيد انها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الا انبئكم بخياركم جمع خير بمعنى اخيار اي افاضلكم قالوا بلى يا رسول الله
قال خياركم الذين اذا رأوا بصيغة المفعول وكذا قوله ذكر الله رواه احمد وسبق الحديث مستوفى
بطرقه ومبانيه وبيان معانيه في اواخر الفصل الثالث من باب حفظ اللسان في الجامع الصغير
بلفظ الا انبئكم بخياركم خياركم الذين اذا رأوا ذكر الله رواه احمد وابن ماجة عنها وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدين تحابا في الله اي لاجله عز وجل
اي قصده واحد بكسر الحاء ويجوز فتحها وفي نسخة واحدهما في المشرق وآخر في المغرب اي
مثلا لجمع الله بينهما يوم القيامة اي للشفاعة احدهما الاخر او في الجنة على سبيل المصاحبة والمزاورة
والمجاورة يقول اي سيقول اذ يقال ليس عند الله صباح ولا مساء والاظهر انه حال من الفاعل
وهو محتمل ان يقول على لسان ملك او بغير واسطة لكل واحد منهما هذا الذي كنت تحبه في
اي لاجلي وعن ابي رزين بفتح راء وكسر زاي قال المؤلف هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي
صحابي مشهور روى عنه عاصم وابن عمر وغيرهما انه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
للتنبيه والهمزة للاستفهام الانكاري ولا للنفي ونفي النفي اثبات الا انه ما اتى ببلى
في جوابه وهو غير لازم فالمعنى تنبه لقولي الا ادلك على ملاك هذا الامر الملاك بكسر الميم
ما يقوم به الشيء والمشار اليه ما في الذهن وهو مبهم وصفه بقوله الذي تصيب به
خير الدنيا والاخرة عليك بمجالس اهل الذكر اي الزمها اجمعها لانها رياض الجنة على ما رواه
الترمذي من حديث انس مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما
رياض الجنة قال حلق الذكر والمعنى اذا مررتم بجماعة يذكرون الله تعالى فاذكروا الله انتم ايضا
موافقة لهم فانهم في رياض الجنة وفي رواية له من حديث ابي هريرة مرفوعا بلفظ اذا مررتم
برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يا رسول الله
قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال بعض شراح الحديث مطلقا في المكان
والذكر فيحمل المطلق على المقيد ذكره ميرك والصحيح ان المساجد والاذكار المذكورة ذكرها
على سبيل المثال نعم المساجد خير المجالس فيحمل على انه خصها لكونها افضل والاذكار من الباقيات
الصالحات وهن من القرآن ولذا نص عليهما او لانها اصل الذكر فيشمل مجالس العلماء ومحافل الوعاظ
والاولى من يكون مجالسهم مشحونة بذكر الله وما يتعلق به من معرفة العقائد الحقة
والشرائع الدينية من العبادات البدنية وما يتعلق بالحلال والحرام والترغيب والترهيب
وامثال ذلك والله اعلم واذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله ومحصله انه لا يغفل
عن ذكر الله لا في الملا ولا في الخلاء فقد روى البزار باسناد صحيح من حديث ابن عباس مرفوعا
قال قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم اذا ذكرتني خاليا ذكرتك خاليا واذا ذكرتني في ملا ذكرتك
في ملا خير من الذين تذكرني فيهم وفي حديث رواه الجماعة الا ابا داود يقول الله انا عند

ظن عبدي بي انا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير منهم وقوله في نفسه ظاهر ان المراد به الذكر القلبي لمقابلته بالذكر النفسي الذي
هو من جملة الكلام النفسي ففيه اشارة الى بيان الافضل من نوعي الذكر الخفي وقوله تحرك
لسانك محمول على المبتدئ حيث احتاج الى انه يذكر الله بجنانه باستعانة لسانه كما حقق في بحث
النية او اشارة الى ان الجمع بينهما افضل وان كان احدهما افضل لما روى ابو يعلى عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفا
اذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق لحسابهم وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال
لهم انظروا هل بقي له من شيء فيقولون ما تركنا من شيء شيئا مما علمناه وحفظناه الا وقد
احصيناه وكتبناه فيقول الله ان لك عندي حسنا لا تعلمه وانا اجزيك به وهو الذكر الخفي
انتهى وفي قوله لا تعلمه اشارة خفية الى ما قاله الصوفية من فناء الذاكر في الذكر وفنائه
بالمذكور كما في قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اي نسيت نفسك او ذكرها ايضا بل الشعور
عنها والشعور عن عدم الشعور وهو المقام المعبر عنه بفناء الفناء رزقنا الله البقاء
واللقاء واحب في الله اي من يعينك على ذكر الله وابغض في الله اي من يشغلك عن ... الله
يا ابا رزين تكرار النداء المستطاب لزيادة الاقتراب ورفع الحجاب هل شعرت بفتح العين
ويجوز ضمه ففي القاموس شعر به كنصر وكرم علم به وفطن والمعنى هل علمت ان الرجل
اذا خرج من بيته زائرا اخاه اي حال كونه مريدا زيارة اخيه في الله شيعه سبعون الف ملك
كلهم يصلون عليه اي يدعون له ويستغفرون له او يثنون عليه ويقولون ربنا انه وصل
اي اخاه فيك اي لاجلك فصله اي بوصلك المعبر عن قربك جزاء وفاقا وصلة بصلة من عندك
فان استطعت اي دائما ان تعمل جسدك من الاعمال اي تقدر ان تبذل جهدك لذلك
وتستفرغ طاقتك في ذلك اي في مجموع ما ذكر او في الحب في الله والبغض فيه او في زيارة
الاخ لله فافعل اي ولا تمل في حصول العمل رجاء لوصول الامل وعن ابي هريرة قال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وحدي ليترتب فائدة على ذلك الجملة الكونية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لعمدا بضمتين جمع عمود بمعنى الاسطوانة وفي
نسخة لعمدا وقرئ بالوجهين في عمد ممددة وفي القاموس العمود معروف والجمع اعمدة وعمد
وعمد من ياقوت عليها اي على العمد غرف بضم ففتح جمع غرفة من زبرجد بفتحتين فسكون
ففتح لها اي للغرف ابواب مفتحة اشارة الى كمال الامن او ايماء الى انتظار مقدم صاحبها
تضيء اي الابواب او الغرف بما فيها واضاء لازم ومتعد كما يضيء الكوكب الدري بضم الدال
ويكسر وتشديد الراء والتحتية وفي القاموس ويثلث قال البيضاوي في قوله تعالى كانها
كوكب دري اي مضيء متلألئ كالزهرة في صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق اي العصفر
من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلب همزته ياء
ويدل عليه قراءة حمزة وابي بكر على الاصل وقراءة ابي عمرو والكسائي دريء كشريب اي كثير الرب

وقد قرئ به مقلوبا اي بكسر الدال وقلب همزته باء لكنه شاذ اقرا به الزهري فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يسكنها اي هذه الغرف فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون اي المتزاورون او المتصافحون في الله روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وروى الحديث الاخير ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان

باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الهجر ضد الوصل والتهاجر اخص من التقاطع والاتباع بمعنى التتبع والتجسس والعورة ما في المرء من عيب وخلل

الفصل الاول

عن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل ان يهجر بضم الجيم اخاه اي المسلم قال الطيبي وتخصيصه بالذكر اشعار بالعلية والمراد به اخوة الاسلام ويفهم منه انه ان خالف هذه وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة انتهى وفيه انه يجب هجرانه وقوله فوق ثلاث ليال اي بايامها وانما جاز الهجر في ثلاث وما دونها لما جبل عليه الادمي من الغضب فسومح بذلك القدر ليرجع فيها ويزول ذلك العرض ذكره السيوطي وقال الاكمل الذي من ائمتنا في الحديث دلالة على حرمة هجران الاخ المسلم فوق ثلاثة ايام واما جواز هجرانه في ثلاثة ايام فمفهوم منه لا منطوق فمن قال بحجة المفهوم يعني كالشافعية جاز له ان يقول باباحته ومن لا فلا انتهى وفيه ان الاصل في الاشياء الاباحة والشارع انما حرم المهاجرة المقيدة لا المطلقة مع ان في اطلاقها حرجا عظيما حيث يلزم منه ان مطلق الغضب المؤدي الى مطلق الهجران يكون حراما قال الخطابي رخص للمسلم ان يغضب على اخيه ثلاث ليال لقلته ولا يجوز فوقها الا اذا كان الهجران في حق من حقوق الله تعالى فيجوز فوق ذلك وفي حاشية السيوطي على الموطا قال ابن عبد البر هذا مخصوص بحديث كعب بن مالك ورفيقيه حيث امر صلى الله عليه وسلم اصحابه بهجرهم يعني زيادة على ثلاث الى ان بلغ خمسين يوما قال واجمع العلماء على ان من خاف من مكالمة احد وصلته ما يفسد عليه دينه او يدخل مضرة في دنياه يجوز له مجانبته وبعده ورب هجر جميل خير من مخالطة تؤذيه وفي النهاية يريد به الهجر ضد الوصل يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة او تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ما كان من ذلك في جانب الدين فان هجرة اهل الاهواء والبدع واجبة على مر الاوقات ما لم يظهر منه التوبة والرجوع الى الحق فانه صلى الله عليه وسلم لما خاف على كعب بن مالك واصحابه النفاق حين تخلفوا عن غزوة تبوك امر بهجرانهم خمسين يوما وقد هجر نساءه شهرا وهجرت عائشة ابن الزبير مدة وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم وماتوا متهاجرين ولعل احد الامرين منسوخ بالاخر **قلت** الاظهر ان يحمل نحو هذا الحديث على المتواخيين او المتساويين بخلاف الوالد مع الولد والاستاذ مع تلميذه وعليه يحمل ما وقع من السلف والخلف لبعض الخلف ويمكن ان يقال الهجرة المحرمة انما تكون مع العداوة والشحناء كما يدل عليه الحديث الذي يليه فغيرها اما مباح او خلاف الاولى يلتقيان اي يتلاقيان وهو مع ما عطف عليه

من قوله فيعرض هذا اي وجهه عنه ويعرض هذا استئناف لبيان كيفية الهجران او حال من فاعل يهجر ومفعوله فيفيد انه اذا لم يحصل التلاقي والاعراض فلا باس بالهجران المطلق وهل يعتبر التثليث ام لا محل بحث او توقف وخيرهما عطف على لا يحل وقال الطيبي عطف على يلتقيان من حيث المعنى لما يفهم منها ان ذلك الفعل ليس بخير انتهى وتكلفه بل تعسفه لا يخفى والمعنى افضلهما في طريق الاخلاق وحسن المعاشرة الذي يبدا بالسلام اي ثم الذي يرده وفيه ايماء الى ان من لم يرده ليس فيه خير اصلا فيجوز هجرانه بل يجب لانه بترك رد السلام صار فاسقا وانما يكون البادي خيرهما لدلالة فعله على انه اقرب الى التواضع وانسب الى الصفا وحسن الخلق وللاشعار بانه معترف بالتقصير وللايماء الى حسن العهد وحفظ المودة القديمة او كانه بادئ في المحبة والتحية والله اعلم قال الاكمل وفيه حث على ازالة الهجران وانه يزول بمجرد السلام انتهى وفيه ايماء بانه لا ينبغي للمسلم ان يبتدئ بالكلام قبل السلام كما ورد فيما سبق متفق عليه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن اي احذروا اتباع الظن في امر الدين الذي مبناه على اليقين قال تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا قال القاضي التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع او التحدث به عند الاستغناء عنه او عما يظن كذبه انتهى او اجتنبوا الظن في التحديث والاخبار ويؤيده قوله فان الظن في موضع الظاهر زيادة تمكين في ذهن السامع حثا على الاجتناب اكذب الحديث ويقويه حديث كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع وقيل اي اكذب حديث النفس لانه يكون بالقاء الشيطان او اتقوا سوء الظن بالمسلمين قال تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وهو ما يستقر عليه صاحبه دون ما يخطر بقلبه ان بعض الظن وهو ان يظن ويتكلم اثم فلا تجسسوا وهو الملائم لقوله ولا تحسسوا ولا تجسسوا كلاهما بالمهملة في الاول وبالجيم في الثاني فقال ابن الملك اي لا تطلبوا التطلع على خير احد ولا على شره وكلاهما منهي عنه لانه لو اطلعت على خير احد ربما يحصل لك حسد بان لا يكون ذلك الخير فيك ولو اطلعت على شره تعيبه وتفضحه وقد ورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وفي شرح مسلم للنووي قال بعض العلماء التحسس بالحاء الاستماع لحديث القوم وبالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الامور وقيل هما بمعنى وهو طلب معرفة الاخبار الغائبة والاحوال قلت وهذا اقرب الاقوال لكن الانسب ان يقيد بالاخبار التي تفضي الى سوء الظن كما تفيده الاية الشريفة وقد قرئ فيها بالحرفين لكن الحاء شاذ فقال البيضاوي اي لا تجسسوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس انتهى وقيل بالجيم التفتيش عن بواطن الامور واكثر ما يطلق ومنه الجاسوس وبالحاء تطلب الشيء بالحاسة كاستراق السمع وابصار الشيء خفية وقيل الاول التفحص عن عورات الناس وبواطن امورهم بنفسه او بغيره والثاني بنفسه وقيل الاول مخصوص بالشر والثاني بالخير ولا تناجشوا من النجش بالجيم والمعجمة قيل المراد به طلب الترفع والعلو على الناس

وهو المناسب لسابقه ولاحقه وقيل ان تغري بعض بعضا على الشر والخصومة وهو من نتايج
التجسس وقيل هو الزيادة في الثمن بغير رغبة في السلعة بل ليخدع المشتري بالترغيب من التجش
دفع الثمن وهذا المعنى هو المشهور عند الفقهاء وقيل من التجش بمعنى التنفير اي لا ينفر بعضكم بعضا
بان يسمعه كلاما او يعمل شيا يكون سبب نفرته ولا تحاسدوا اي لا يتمنى بعضكم زوال نعمة بعض
سواء اراد لنفسه او لا قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الى ان قال واسئلوا
الله من فضله اي مثل تلك النعمة او امثل منها وهذا الحسد المحمود المسمى بالغبطة كما تقدم
في حديث لا حسد الا في اثنتين الحديث ولا تباغضوا اي لا تختلفوا في الاهوا والمذاهب لان البدعة
في الدين الضلال عن الطريق المستقيم يوجب البغض كذا قيل والاظهر ان النهي عن التباغض
تاكيد للامر بالتحابب مطلقا الا ما يخل به الدين فانه لا يكون حينئذ التحابب ويجب التباغض
لان غرض الشارع اجتماع كلمة الامة لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ولا شك
ان التحابب سبب الاجتماع والتباغض يوجب الافتراق فالمعنى لا يبغض بعضهم بعضا وقال
بعض المحققين اي لا تشتغلوا باسباب العداوة والمحبة مما لا اختيار فيه فان البغض من نفار
النفس عما يرغب عنه واوله الكراهة واوسطه النفرة واخره العداوة كما ان الحب من انجذاب
النفس الى ما يرغب فيه ومبداه الميل ثم الارادة وهما من غرايز الطبع والله اعلم وقيل
لا توقعوا العداوة بين المسلمين فيكون نهيا عن النميمة لما فيه من تاسيس الفساد وهذا
اذا لم يكن لمصلحة فاذا دعت كما اخبر ان انسانا يريد القتل به او باهله او بماله فلا منع بان قد
يكون واجبا ولا تدابروا بحذف احدى التائين فيه وفيما قبله من الافعال الخمسة ويجوز
تشديد التاء وصلا كما قرا به البزي روى ابن كثير في نحو لا تيمموا اي لا تقاطعوا ولا تولوا ظهوركم
على اخوانكم ولا تعرضوا عنهم ماخوذ من ان الدبر كان كل من المتقاطعين يولي دبره صاحبه وقيل
معناه لا تغتابوا وكونوا عباد الله اخوانا خبر اخر او بدل او هو الخبر وعباد الله منصوب على الاختصاص
بالندا قال الطيبي وهذا الوجه اوقع قلت بل وقوعه خبرا واقعا تحت الامر اوجه لكون هذا
الوصف مشعرا بالعلية من حيث العبودية ويريده ان في رواية ضبط عباد ابالنصب وانه بالالام
للاجلية والمعنى انتم مستوون في كونكم عبيد الله وملتكم واحدة والتحاسد والتباغض والتقاطع
منافية لحالكم فالواجب ان تتعاملوا معاملة الاخوة والمعاشرة في المودة والمعاونة على البر
والنصيحة بكل حسنة قيل الاخ النسبي يجمع على الاخوة قال تعالى فان كان له اخوة والمجاز على
الاخوان قال تعالى اخوانا على سرر متقابلين ويقوله تعالى انما المومنون اخوة للمبالغة ○
والمفهوم من القاموس عدم الفرق بينهما والله اعلم وفي رواية ولا تنافسوا ظاهره انه تكله
بعد الكل ويحتمل ان يكون بدلا عن احدى صيغ النهي ويمكن ان يكون بعد لا تحاسدوا وهو الاظهر
ولذا قال الشراح التنافس والتحاسد في المعنى وان اختلفا في الاصل قلت لكن التنافس
يقيد المبالغة التي قد يفضي الى المنازعة فالمعنى لا تحاسدوا ولا تنازعوا في الامور
الخسيسة الدنية الدنيوية بل ينبغي ان يكون تنافسكم في الاشياء النفيسة المرضية الاخروية

كما قال تعالى

كما قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وما انفس قول الشاطبي حيث ذكر مضمون هذا الكلام
النفيس بقوله ○ شعر عليك بها ما عشت فيها منافسا ○ وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى ○
متفق عليه وزاد في الجامع الصغير قوله ولا يخطب الرجل على خطبة اخيه حتى ينكح او يترك
وقال رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفتح بالتذكير ويونث مخففا مجهولا ابواب الجنة اي ابواب طبقاتها او
غرفها ودرجاتها يوم الاثنين ويوم الخميس اي لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على المغفرة
وفي شرح مسلم قال القاضي عياض معنى يفتح ابواب الجنة كثرة الصفح والغفران ورفع
المنازل واعطاء الثواب الجزيل ويحتمل ان يكون على ظاهره وان فتح ابوابها علامة لذلك فيغفر
اي فيهما كما في رواية الجامع لكل عبد لا يشرك بالله صفة عبد شيا اي من الاشراك او من الاشيا
او شيا من شرك جلي او خفي وفي رواية لكل عبد مومن ولعل المراد به مومن كامل الا رجل بالرفع
في جميع نسخ المشكوة اي الا ذنب رجل فالمضاف مقدر والا فالظاهر النصب كذا قاله السيد
جمال الدين وفيه ان تقدير المضاف لا يجوز كونه رفعا نعم لو روي بالجر لكان له وجه بان حذف
المضاف المنصوب وابقي المضاف اليه مجرورا على حاله قال الطيبي والظاهر فيه النصب
لانه استثناء من كلام موجب ويمكن ان يقال ان الكلام محمول على المعنى اي لا يبقى ذنب احد
الا ذنب رجل ونحوه قوله تعالى فشربوا منه الا قليل اي فلم يطيعوه الا قليل منهم انتهى وقراة
الرفع شاذة والمتواترة بالنصب وقيل وجه رفعه انه صفة لكل عبد فان محله الرفع والا
بمعنى غير اي غير رجل كانت وفي نسخة كان بينه اي بين الرجل وبين اخيه المسلم شحنا
فعلا من الشحن اي عداوة تملا القلب فيقال انظروا بقطع الهمزة وكسر الظاء اي امهلوا هذين
اي الرجلين واخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقا زجرا لهما او من ذنب المهاجرة فقط وهو الاظهر حتى
يصطلحا اي يتصالحا ويزول عنهما الشحناء ولا يفيد التصالح للسمعة والريا والظاهر ان مغفرة
كل واحد متوقفة على صفائه وزوال عداوته سوا صفا صاحبه ام لا والله اعلم قال الطيبي والى
باسم الاشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين رواه مسلم وكذا البخاري في الادب المفرد وابو
داود والترمذي عنه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض
بالتذكير ويونث اعمال الناس يحتمل اختصاصه بالمومنين فاعمال الناس في كل جمعة بضمتين
ويسكن الثاني اي اسبوع مرتين اي عرضتين يوم الاثنين ويوم الخميس نصبا على الظرفية والاظهر
انهما بدل من مرتين لبيان يوميهم ان العرض مرتين في كل من اليومين قال القاضي اراد بالجمعة
الاسبوع وعبر عن الشي باخره وما يتم به ويوجد عنده والمعروض عليه هو الله تعالى او ملك
وكله الله على جميع صحف الاعمال وضبطها والاول هو الصحيح لما سياتي به التصريح الا عبد
قال التوربشتي وجدناه في كتاب المصابيح الا عبد على الرفع وهو في كتاب مسلم بالنصب وهو
الاوجه فانه استثناء من كلام موجب وبه وردت الرواية الصحيحة بينه وبين اخيه شحنا فقال
اتركوا هذين اي اوقفوا امر مغفرتهما حتى يفيئا مضارع مثنى من فاء اذا رجع اي حتى يرجعا من

العداوة الى المحبة رواه مسلم ورواه الطبراني عن اسامة بن زيد بلفظ تعرض الاعمال على الله
يوم الاثنين والخميس فيغفر الله الا ما كان من متشاحنين او قاطع رحم وفي رواية الحكيم عن والد
عبد العزيز ولفظه تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس على الله تعالى وتعرض على الانبياء وعلى
الاباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا واشراقا فاتقوا الله
ولا تؤذوا موتاكم وبمجموع الاحاديث يظهر وجه حكمة النهي عن المهاجرة فوق ثلاث ليلا يقع
محروما عن المغفرة في يومي عرض الاعمال والله اعلم بالاحوال وعن ام كلثوم بضم الكاف
وتفتح ففي المغني بضم كاف وسكون لام وضم مثلثة وفي القاموس الكلثوم كزنبور
الكثير لحم الخدين واطلق الزنبور في بابه فمقتضاه الفتح قال وام كلثوم بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولذا ميزها المؤلف بقوله بنت عقبة بن ابي معيط بالتصغير
اسلمت بمكة وهاجرت ماشية وما بعث وسبق بقية ترجمتها قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب اي ذو الكذب الذي وفي رواية الجامع بالذي يصلح بين
الناس اي بكذبه ويقول خيرا اي لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المفضية الى الخير والقدر
كلاما خيرا او قولا خيرا اي حسنا او يقول كلاما خيرا الذي ربما سمعه منه ويدع شره عنه وينمي خيرا
بفتح الياء وكسر الميم اي ويبلغهما لهما ما لم يسمعه منهما من الخير بان يقول فلان يسلم عليك ويحبك
وما يقول فيك الا خيرا ونحو ذلك وهذا ظاهر الحديث وقال القاضي اي يبلغ خير ما سمعه
ويدع شره قلت فلا يظهر وجه نفي الكذب عنه مع ان الكلام في معنى استثناء الكذب وبيان
صريح الاستثناء قال فيقال نميت الحديث مخففا في الاصلاح ونميته مثقلا في الافساد وكان الاول
من النما لانه رفع لما يبلغه والثاني من النميمة قلت مراده ان اصل الثاني نممه بالميمين وابدل
الثانية كما في تقضي البازي ولكنه خلاف الظاهر ففي القاموس ذكرهما في مادة واحدة فقال
نما ينمو زاد كنمى ينمي وانمى ونمى والحديث رفعه وانماه اذاعه على وجه النميمة انتهى
ومفهومه ان المخفف والمثقل منهما لا فرق بينهما وانما الانماء يستعمل في الافساد وعبر
عنه بالنميمة لانه مشتق منها وعلى كل تقدير فينمي المخفف في الحديث متعين لمعنى
الاصلاح فقوله خيرا لافادة التاكيد على قاعدة التجريد وعلى انه بالمعنى الاعم فيحتاج
الى التقييد وهو الاظهر فتدبر ثم قال وانما نفي عن المصلح كونه كذابا باعتبار قصده دون
قوله قلت القصد صحيح واما قوله دون قوله فمناقض لقوله الاول فتامل وسيأتي
تحقيق المرام نقلا عن العلماء الكرام متفق عليه وفي الجامع بلفظ لم يكذب من نمى بين اثنين
ليصلح وزاد مسلم اي على البخاري في الرخص حيث قالت اي الراوية ولم اسمعه لعل الواو
عاطفة على كلام سبق لها غير حديث البخاري والا فيلزم التكرار كما لا يخفى وضمير المفعول راجع
اليه صلى الله عليه وسلم ولذا قال الراوي عنها تعني اي تريد بضمير اسمعه النبي صلى الله عليه وسلم
يرخص في شيء قال ميرك هذه الزيادة في البخاري ايضا لكن قال ابن شهاب ولم يرخص في شيء مما يقول
الناس كذب بالرفع وفي نسخة بالنصب وفي اخرى بالجر وهو بفتح الكاف وكسر الذال ويجوز الكسر

والسكون

والسكون قال الطيبي كذب مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف مقول للقول ومما يقول بيان لقوله
في شيء اي في شيء من اقوال الناس هو كذب اقول الاظهر انه مبتدأ خبره محذوف ومن تبعيضية
والمعنى لم اسمعه يرخص في شيء من جملة ما يقول الناس فيه اي في حقه كذب الا في ثلاث كذبات
استثناء من شيء باعادة العامل قال وان روي منصوبا كان مفعولا مطلقا اي قولا كذبا اقول ويمكن
ان يكون حالا من مفعول يقول المقدر العائد الى الموصول قال وان روي مجرورا كان صفة
اخرى لشيء اقول الاظهر انه بدل من شيء او من الموصول الحرب بالجر بدل من ثلاث وسبق تحقيقه
وفي نسخة بالرفع على تقدير احدها او اولها او منها ويجوز نصبه باعني والرواية في جامع الاصول
وفي اكثر نسخ المصابيح هي الاولى فهي الاولى مثل الكذب في الحرب كان يقول في جيش المسلمين كثرة
وجاءهم مدد كثير او يقول انظر الى خلفك فان فلانا قد اتاك من ورائك ليضربك ذكره ابن الملك
والاصلاح بين الناس اي بينهما فالثالثة مجموع قوله وحديث الرجل امراته وحديث المراة
زوجها اي فيما يتعلق بامر المعاشرة وحصول الالفة بينهما فالواو الاخيرة عاطفة على ما قبلها
وما قبلها مع ما عطف عليه عطف على السابق قال ابن الملك كان يقول لاحد احب الي منك ومثله
حديث المراة زوجها وهما في قوة حديث الزوجين ليكون الثالث قال الخطابي هذه امور قد يضطر
الانسان فيها الى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلبا للسلامة ودفعا للضرر وقد رخص
في بعض الاحوال في اليسير من الافساد لما يؤمل فيه الكثير من الاصلاح فالكذب فيها
بين اثنين هو ان ينمي من احدهما الى صاحبه خيرا ويبلغه جميلا وان لم يكن سمعه منه يريد
بذلك الاصلاح والكذب في الحرب ان يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يقوي به اصحابه ويكيد
به عدوه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحرب خدعة واما كذب الرجل زوجته
هو ان يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة اكثر مما في نفسه يستديم بذلك صحبتها ويستصلح
به خلقها قال سفيان بن عيينة لو ان رجلا اعتذر الى رجل يحرف الكلام ليرضيه
بذلك لم يكن كاذبا وقوله وحديث الرجل امراته وحديث المراة زوجها في معنى حديث
احد الزوجين الاخر ليستقيم مع الا في ثلاث وذكر حديث جابر ان الشيطان قد ايس
اي من ان يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم في باب الوسوسة
اي لكونه انسب به في حاصل المعنى لا سيما صدر الحديث وان كان التحريش ثم فسر
بالمعاصي التي من جملتها ما عنون بها هذا الباب والله اعلم بالصواب الفصل الثاني
عن اسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب الا في ثلاث
اي ثلاث كذبات كذب الرجل بالجر على البدلية ويجوز وجهان اخران باعتبار القطع عند
العربية امراته اي لها ليرضيها اي في المباشرة او المعاشرة وحذف قرينته للاكتفاء
او للمقابلة او وقع اختصارا من الراوي والكذب في الحرب اي مع الكفرة والكذب
ليصلح بين الناس اي فيما بينهم من المخاصمة المالية وغيرها رواه احمد والترمذي وعن
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يكون اي لا ينبغي ولا يصلح او لا يوجد

مبالغة في النفي لتاكيد النهي او لا يكون حلالا لمسلم ان يهجر مسلما فوق ثلاثة اي ثلاثة
ايام فاذا لقيه اي المسلم المسلم بعد ثلاثة سلم عليه حال من فاعل لقيه او بدل من لقيه
ويؤيد الاول قوله في حديث ابي خراش فليلقه فليسلم عليه ثلاث مرات اي ان لم يرد
عليه في الاولى والثانية او ثلاث دفعات من الملاقاة وهو الاظهر كل ذلك بالرفع مبتدا
خبره لا يرد عليه والجملة صفة ثلاث مرات والعائد محذوف اي لا يرد فيها اي في المراد
وفي نسخة بالنصب على انه ظرف لا يرد فقد باء باثمه قال الطيبي هو جواب اذا اي سلم
عليه ثلاث مرات غير مردود فيها جوابه فقد رجع باثمه والضمير فيه يحتمل ان
يكون للثاني اي لمن لم يرد فالمعنى ان المسلم خرج من اثم الهجران وبقي من الوزر والبغي
الاثم على الذي لم يرد السلام اي فهو قد باء باثم هجرانه ويحتمل ان يكون للمسلم والمعنى
انه ضم اثم هجران المسلم الى اثم هجرانه وبانها لان المهاجر يعد منه وبسببه رواه ابو داود
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر
اخاه فوق ثلاث اي ثلاث ليال ففيه تغليب ويتحصل من مجموعهما ان المراد ثلاثة ايام ولياليها
كما في قضية زكريا عليه السلام فمن هجر فوق ثلاث ظاهره ولو ساعة ويحتمل ان يكون
المراد فما فوق الثلاث الاربع لانه به يتم زيادة عدد المعدود فتامل فمات اي على تلك
الحالة من غير توبة دخل النار قال التوربشتي اي استوجب دخول النار فالواقع
في الاثم في العقوبة ان شاء عذبه وان شاء غفر له رواه احمد وابو داود وكذا النسائي
باسناد على شرط البخاري ذكره ميرك وعن ابي خراش بكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء
وبالشين المعجمة واسمه حدرد بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وفتح الراء صحابي
اسلمي ذكره المؤلف فقوله السلمي بضم ففتح من خطاء الكاتب وقد قال ميرك صوابه
الاسلمي قال المنذري خراش حدرد بن ابي حدرد الاسلمي وقال العسقلاني في الكنى
ابو خراش الاسلمي اسمه حدرد بن ابي حدرد وقد تقدم وقال في الاسماء حدرد بن ابي
حدرد الاسلمي صحابي له حديث واحد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من هجر
اخاه سنة فهو اي هجر سنة كسفك دمه السفك الاراقة والصب يعني مهاجرة
الاخ المسلم سنة توجب العقوبة كما ان سفك دمه يوجبها ففي تشبيهه بالسفك من
حيث حصول العقوبة بسببها لا انها مماثلة في العقوبة لان القتل كبيرة عظيمة لا تكون
بعد الشرك اعظم منه فتشبيه الهجران به تاكيد في المنع عنه وفي المشابهة يكفي المساواة
في بعض الصفات كذا ذكره بعض شراح الحديث وقال الطيبي التشبيه انما يصار
اليه للمبالغة كما يقال زيد كالاسد الحق فالمبالغة بالاسد في الجراة وانه نظيره فيها
ولم يقصد به انه دونه كذلك ههنا لان قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يهجر مؤمنا
فوق ثلاث دل على ان المهاجر فوق الثلاث حرام ومرتكبه مرتكب الاثم فاذا امتد الى مدة يهجر
فيها الغائب والمسافر عن اهله يتابع المهاجر والمتقاطع الى الغاية فبلغ اثمه ايضا

الي

الى الغاية وهذا معنى تخصيص ذكر السنة والله اعلم انتهى ويمكن ان يكون تخصيص السنة
بالذكر لاشتمالها على الفصول الاربعة فاذا لم يعتدل مزاجه بمرور السنة عليه فلا
يرجى رجوعه ونظيره مسالة العنين المتفق عليه في الفروع المعلولة بما قلنا في الاصول
رواه ابو داود قال ميرك وسكت عليه ورواه الحاكم وقال صحيح واقره الذهبي ورواه
البيهقي ايضا وفي الجامع الصغير رواه احمد والبخاري في تاريخه وابو داود والحاكم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمؤمن ان يهجر
مؤمنا فوق ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد
اشتركا في الاجر اي في اجر السلام او في اجر ترك الهجر او فيهما وان لم يرد عليه اي السلام فقد
باء بالاثم اي رجع باثم الهجران كذا قاله شارح والاظهر انه باثم الهجر وباثم ترك رد السلام
فاللام في الاثم للجنس او عوض عن المضاف اليه اي باثم الامرين ولا يبعد ان يتقالى باء باثم
ترك رد السلام زيادة على اثم الهجران او باء باثم الهجران الذي يقارب سفك الدم وخرج المسلم
بتشديد اللام المكسورة من الهجرة اي من اثم الهجران رواه ابو داود من طريق هلال بن ابي
هلال مولى بني كعب عن ابي هريرة قال احمد في هلال لا اعرفه وقال ابو حاتم ليس بالمشهور
ووثقه بعضهم ذكره ميرك وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل اي بعمل افضل درجة واكثر مثوبة من درجة الصيام اي نفلا بقرينة
قوله والصدقة فانها المندوبة غالبا والصلاة لعل تاخيرها للترقي وظاهر الواو
انه للجمع فالمعنى انما فضل من فعل مجموعها ويحتمل ان يكون بمعنى او فالمعنى انما فضل
من كل منها او الاول ابلغ في مقام الترغيب كما لا يخفى قال الاشرف المراد بهذه المذكورات
النوافل دون الفرائض قلت والله اعلم بالمراد اذ قد يتصور ان يكون الاصلاح
في فساد يتفرع عليه سفك الدما ونهب الاموال وهتك الحرم افضل من فرائض
هذه العبادات القاصرة مع امكان قضائها على فرض تركها فهي من حقوق الله التي هي اهون
عنده سبحانه من حقوق العباد فاذا كان كذلك فيصح ان يقال هذا الجنس من العمل
افضل من هذا الجنس لكون بعض افراده افضل كالبشر خير من الملك والرجل خير من المراة
قال اي ابو الدرداء فقلنا بلى اي اخبرنا وفي نسخة زيادة يا رسول الله قال اصلاح ذات البين
اي هو هذا قيل يريد بذات البين الخصلة التي تكون وصلة بين القوم من قرابة
ومودة ونحوهما وقيل المراد بذات البين المخاصمة والمهاجرة بين اثنين بحيث يحصل
بينهما بين اي فرقة والبين من الاضداد الوصل والفرق وقال الطيبي اصلاح ذات البين
اي احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق
كقوله تعالى والله عليم بذات الصدور وهي مضمراتها ولما كانت الاحوال ملابسة للبين
قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب كذا في الكشاف
في قوله تعالى واصلحوا ذات بينكم انتهى ولما كان الكلام السابق في قوة صلاح ذات البين

هي الخصلة الصادقة قال وفساد ذات البين هي الحالقة اي الماحية والمزيلة للمثوبات
والخيرات والمعنى يمنعه شوم هذا الفعل عن تحصيل الطاعات والعبادات وقيل
المهلكة من حلق بعضهم بعضا اي قتل ماخوذ من حلق الشعر وفي النهاية هي الخصلة التي
من شانها ان تحلق اي تهلك وتستاصل الدين كما يستاصل الموسى الشعر وقيل هي قطيعة
الرحم والتظالم وقال الطيبي فيه حث وترغيب في اصلاح ذات البين واجتناب
عن الافساد فيها لان الاصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم التفرق بين المسلمين
وفساد ذات البين ثلمة في الدين فمن تعاطى اصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق
ما يناله القائم المشتغل بخويصة نفسه فعلى هذا ينبغي ان يحمل الصلاة والصيام على
الاطلاق والحالقة على ما يحتاج اليه امر الدين رواه ابو داود والترمذي وكذا الامام
احمد وقال اي الترمذي هذا حديث صحيح قال ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هي
الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين انتهى وفي الباب احاديث كثيرة منها ما نقله
ميرك عن المنذري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل شيء افضل
من الصلاة واصلاح ذات البين رواه الاصبهاني وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة اصلاح ذات البين رواه الطبراني والبزار وفي سنده
عبد الرحمن بن زياد بن انعم وحديثه احسن لحديث ابي داود والترمذي عن ابي الدرداء
وعن ابي ايوب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ايوب الا ادلك على صدقة يحب
الله موضعها قلت بلى يا رسول الله بابي انت وامي قال تصلح بين الناس فانها صدقة
يحب الله موضعها رواه الاصبهاني وفي رواية له والطبراني ايضا الا ادلك على صدقة يحبها
الله ورسوله تصلح بين الناس اذا تغاضبوا وتفاسدوا وفي رواية للطبراني والبزار الا ادلكم
على عمل يرضاه الله ورسوله قال من اصلح بين الناس اصلح الله امره واعطاه بكل كلمة تكلم
بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه رواه الاصبهاني وهو حديث غريب جدا
وعن الزبير اي ابن العوام احد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دب بفتح الدال المهملة وتشديد الموحدة اي نقل وسرى ومشى بخفية اليكم داء
الامم قبلكم الحسد اي في الباطن والبغضاء اي العداوة في الظاهر ورفعهما على انهما بيان
للداء او بدل وسميا داء لانهما داء القلب هي اي البغضاء وهو اقرب مبنى ومعنى او كل واحدة
منهما الحالقة اي القاطعة للمحبة والالفة والصلة والجمعية والخصلة الاولى
هي المودية الى الثانية ولذا افرد من لا اقول تحلق الشعر اي تقطع ظاهر البدن فانه
امر سهل ولكن تحلق الدين وضرره عظيم في الدنيا والاخرة قال الطيبي اي البغضاء
تذهب بالدين كالموسى يذهب بالشعر وضمير المونث [illegible] الى البغضاء كما في قوله تعالى والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
وانها لكبيرة اي في بعض اقوال المفسرين في كل منهما قال ولان البغضاء اكثر تاثيرا في ثلمة

الدين

الدين وان كانت نتيجة الحسد اي في بعض افرادها رواه احمد والترمذي وقال المنذري
رواه احمد والبزار باسناد صحيح جيد والبيهقي وغيرهما نقله ميرك وفي الجامع الصغير
رواه احمد والترمذي والضياء عن الزبير بن العوام ولفظه دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد
والبغضاء هي الحالقة الحالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا
ولا تؤمنوا حتى تحابوا افلا انبئكم بشيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد اي في مال او جاه دنيوي فانه مذموم
بخلاف الغبطة في الامر الاخروي فان الحسد اي باعتبار ما ينتج في حق المحسود من ارتكاب السيئات
ياكل الحسنات اي يفني ويذهب طاعات الحاسد كما تاكل النار الحطب لان الحسد يفضي بصاحبه
الى اغتياب المحسود ونحوه فيذهب حسناته في عرض ذلك المحسود فيزيد المحسود نعمة على
نعمة والحاسد حسرة على حسرة فهو كما قال تعالى خسر الدنيا والاخرة قال القاضي تمسك به من يرى
احباط الطاعات بالمعاصي كالمعتزلة واجيب عنه بان المعنى ان الحسد يذهب حسنات الحاسد
ويتلفه عليه بان يحمله على ان يفعل بالمحسود من اتلاف مال وهتك عرض وقصد نفس ما
يقتضي صرف تلك الحسنات باسرها في عوضه كما روي في صحاح باب الظلم عن ابي هريرة انه صلى
الله عليه وسلم قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام
وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا
من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من
خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ولا احباط فان الطاعات بالمعاصي والا لم يكن ينبغي لهذا
الا التعاطي لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حق خصمه انتهى كلامه وهذا احد الوجهين
ما ذكره الشيخ التوربشتي والوجه الاخر له ان نقول ان التضعيف في الحسنات بوجه على
حسب استعداد العبد وصلاحه في دينه فمهما كان مرتكبا للخطايا نقص من ثواب عمله
فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي انحطاطه في المرتبة بما اجترحه من الخطايا مثل ان يقدر ان
ذا الحق عمل حسنة فاثيب عليها عشرا ولو لم يكن رهقه لاثيب اضعاف ذلك فهذا الذي نقص
من التضعيف بسبب ما ارتكبه من الذنب هو المراد من الاحباط وقال الطيبي ما خلاصته
ان الحسنات لا تقبل بواسطة الحسد لانها تحبطه قلت المعنيان متغايران
مع ان الاحاديث الواردة في نفي القبول محمولة على نفي الكمال وكذا قوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين عند اهل السنة فقوله ان تلك الحسنات الصادرة عنه مردودة عليه
وليست ثابتة في ديوان اعماله الصالحة حتى يحبط كمن صلى في دار مغصوبة انت تعلم
ان العبادة الصحيحة في الشريعة لا يصح ان يقال فيها انها ليست بثابتة في ديوان الاعمال
بل اظن انه خلاف الاجماع هذا ظاهر التشبيه انه يذهب بالشيء الموجود لا المعدوم المفقود
وقد ورد عن معاوية بن حيدة مرفوعا على ما رواه الديلمي في الفردوس الحسد يفسد الايمان
كما يفسد الصبر العسل فهذا الحديث صريح في المعنى الذي قلنا من انه يفسد ويبطل كمال الايمان

وسائر الحسنات لانه يذهبها بالمرة ويحفيها فتاويل الحديث يتم بتقدير المضاف وكذا يوافقه التشبيه من حيث ان النار تاخذ نور الحطب وتخلي اصله الذي هو الرماد فلا يبقى تعارض الحديث حينئذ بقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقد سنح بالبال والله اعلم بالحال انه يحتمل ان يكون معنى الحديث ان الحسد ياكل حسنات المحسود الى صاحب الحسد بمعنى انها لا تؤثر فيه ولا تغيره ولا يوجد لها قدر عنده كما تاكل النار الحطب ففيه تنبيه نبيه على ان الاحسان الى الحاسد غير نافع وان التقرب بالتودد اليه ضايع وان الحسد اقوى من كل عداوة لقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وانشد ه

شعر كل العداوة قد يرجى زوالها ه الا عداوة من عاداك من حسد ه رواه ابو داود اي من طريق ابراهيم بن اسيد عن جده عن ابي هريرة وجد ابراهيم لم يسم وذكر البخاري ابراهيم هذا في التاريخ الكبير وذكر له هذا الحديث وقال لا يصح كذا ذكره الشيخ الجزري وقال ميرك لكن له شاهد من حديث انس مرفوعا الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب رواه ابن ماجة والبيهقي وعن ابي صرمة بكسر الصاد وسكون الراء المهملتين قال المؤلف هو مالك بن قيس المازني شهد بدرا وما بعده من المشاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ضار اي مومنا كما في رواية الاتية باد ادغام وفك الضرر ليتم ابتداء ضار الله اي جازاه بجملة وعاملة معاملته ففيه نوع من المشاكلة والمقابلة ومن شاق اي خالفه وعاداه شاق الله عليه اي عاقبه قال تعالى ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب وفي وضع المومن موضع ذاته ه اعتنا بعلو درجاته كما قال عز وجل في اية اخرى ومن يشاقق الله ورسوله وفي اخرى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم والمشاقة بين المتنازعين ان احدهما ياخذ شقا دون شق الاخر ويبعد منه في شق اويريد كل منهما مشقة الاخر فهو اما ماخوذ من الشق بالكسر وهو المشقة ومنه قوله تعالى الا بشق الانفس ومن الشق بمعنى نصف الشيء ومنه ما ورد اتقوا النار ولو بشق تمرة فكان المتنازعين بعد ان كان مجتمعين صارا نصفين ومن الشق بالفتح الفصل في الشيء وهو الفرق قيل ان الضرر والمشقة متقاربان لكن الضرر يستعمل في تلاف المال والمشقة في ايصال الاذية الى البدن كتكليف عمل شاق انتهى والاظهر ان الضرر يشمل البدني والمالي والدنيوي والاخروي واما المشاقة فهي المخالفة التي تودي الى المنازعة والمحاربة وامثال ذلك هذا وفي الجامع الاصول المضارة المضرة والمشاقة النزاع فمن اضر غيره تعديا او شاقه ظلما بغير حق فان الله يجازيه على فعله بمثله انتهى وحاصله ان معناهما واحد والثاني تاكيد وما قدمناه اولى لانه يفيد التاسيس والتفنن واما قول الطيبي يجوز ان يحمل على المشقة ايضا بان يكلف صاحبه فوق طاقته فيقع في التعب والمشقة فداخل ايضا في المضرة رواه ابن ماجة والترمذي وقال هذا حديث غريب وفي التصحيح رواه ابن ماجة والترمذي وابو داود والنسائي ايضا وقال الترمذي حسن غريب

ذكره

ذكره ميرك وفي الجامع الصغير بلفظ من ضار اضر الله به ومن شاق شق الله عليه رواه احمد والاربعة عن ابي صرمة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون اي مبعود عن الخير من ضار مومنا اي ضررا ظاهرا او مكر به اي بايصال الضرر اليه خفية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال صاحب التصحيح وفي سنده ابو سلمة الكندي لا يعرف عن فرقد السبخي وثقه ابن معين وضعفه غيره ذكره ميرك وعن ابن عمر قال صعد بكسر العين اي طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع اي عالي فقال بيان لقوله نادى يا معشر من اسلم بلسانه ليشترك فيه المومن والمنافق ولم يفض من الافضا اي لم يصل الايمان اي اصله او كماله الى قلبه فيشمل الفاسق وهو الاظهر لما سياتي من قوله من يتتبع عورة اخيه المسلم لا اخوة بين المنافق والمسلم فما اختاره الطيبي من حصر حكم الحديث على المنافق خلاف الظاهر الموافق والحكم بالاعم هو الوجه الا نرى والله اعلم لا تؤذوا المسلمين اي الكاملين في الاسلام وهم الذين اسلموا بلسانهم وامنوا بقلوبهم ولا تعيروهم من التعيير وهو التوبيخ والتعييب على ذنب سبق لهم من قديم العهد سواء علم توبتهم ام لا واما التعيير في حال المباشرة او بعيده قبل ظهور التوبة فواجب لمن قدر عليه وربما يجب الحد او التعزير فهو من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تتبعوا من باب الافتعال اي لا تجسسوا عوراتهم فيما تجهلونها ولا تكشفوها فيما تعرفونها فانه اي الشان من يتبع بتشديد التاء مجزوما وقيل مرفوعا وفي بعض النسخ المقروءة على المشايخ ضبط بصيغة الماضي المعلوم من باب التفعل يتبع الله عورته ذكره على سبيل المشاكلة اي هنا وفيما بعده من الموضعين اي من يطلب عورة اخيه اي ظهور عيب اخيه المسلم الكامل بخلاف الفاسق فانه يجب الحذر والتحذير عنه تتبع الله عورته ذكره على سبيل المشاكلة اي يكشف عيوبه ومن اقبح تتبع عورة الاخ المسلم وهذا في الاخرة ومن تتبع الله عورته يفضحه من فضح كمنع اي يكشف مساويه ولو في جوف رحله اي ولو كان في وسط منزله مخفيا من الناس قال تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة والله يعلم وانتم لا تعلمون قال الغزالي التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم والقلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيودي الى هتك الستر وحد الاستتار ان يغلق باب داره ويستتر بحيطانه فلا يجوز استراق السمع على داره ليسمع صوت الاوتار ولا الدخول لروية المعصية الا ان تظهر بحيث يعرفه من هو خارج الدار كاصوات المزامير والسكارى بالكلمات المالوفة بينهم وكذلك اذا ستروا اواني الخمر وظروفها والات الملاهي في الكم وتحت الذيل فاذا راى لم يجز ان يكشف عنه وكذلك لا يجوز ان يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا ان يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره وانشد في معناه شعر

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا ه فيهتك الله سترا عن مساويكا ه

واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ه ولا تعب احدا منهم بما فيكا ه

كمل م

وفي قوله لم يفض الإيمان إلى قلبه إشارة إلى أنه ما لم يصل الإيمان إلى القلب لم يحصل له المعرفة
بالله ولم يؤد حقوقه فإن علاج جميع أمراض القلب المعرفة بالله تعالى لتؤدي إلى أداء حقوق
الله وحقوق المسلمين فلا يؤذي ولا يضر ولا يعير ولا يتجسس أحوالهم انتهى كلام الإمام وحصل
تمام المرام رواه الترمذي وقال حسن غريب وعن سعيد بن زيد قال المؤلف عدوي أحد
العشرة المبشرة بالجنة أسلم قديما وكانت فاطمة أخت عمر تحته وبسببها كان إسلام
عمر مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع روى عنه جماعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إن من أربى الربا أي من أكثر أنواعها وبالأولى زيادة إثما وأفرادها إلا الاستطالة أي إطالة
اللسان في عرض المسلم وأصل الاستطالة استحقار الناس والترفع عليهم وأصل الربا
الزيادة والكثرة لغة وأما شرعا فهو معروف بأنواعه المحرمة في كتب الفقه وإنما يكون هذا
أشدها تحريما لأن العرض عند أرباب الكمال أعز على النفس من المال وأنشد شعر
أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض بالمال ... وإنما عبر عنه بلفظ الربا
لأن المتعدي يضع عرضه ثم يتعدى فكأنه قال أزيد الزيادة التي يتجاوز الحد عن الاستطالة
في عرض المسلم الذي هو أقوى من ماله وقال الطيبي أدخل العرض في جنس المال على سبيل
المبالغة وجعل الربا نوعين متعارف وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون وغير
متعارف وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ثم فضل أحد النوعين على الآخر
وقال القاضي الاستطالة في عرض المسلم أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له
أو أكثر مما رخص له فيه ولذلك مثله بالربا وعده من عداده ثم فضله على سائر أفراده
لأنه أكثر مضرة وأشد فسادا فإن العرض شرعا وعقلا أعز على النفس من المال وأعظم منه
خطرا ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال انتهى ويعني
به أن هتك بعض الأعراض يوجب الحد ونهب المال قط لم يوجب القتل قال التوربشتي وقوله
بغير حق فيه تنبيه على أن العرض ربما يجوز استباحته في بعض الأحوال وذلك مثل قوله
صلى الله عليه وسلم لي الواجد يحل عرضه فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه إنه ظالم وإنه
متعد ونحو ذلك ومثله الكلام في جرح الشاهد ونحو ذلك أي من ذكر مساوي الخاطب والمبتدعة
والفسقة على قصد التحذير رواه أبو داود والبيهقي في شعب الإيمان وكذا الإمام أحمد في
مسنده وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي ليلة أي أسري بي مررت بقوم
لهم أظفار من نحاس يخمشون بكسر الميم أي يخدشون وجوههم وصدورهم ففي المصباح خمشت
المرأة وجهها بظفرها جرحت ظاهر البشرة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون
لحوم الناس أي يغتابون المسلمين ويقعون في أعراضهم قال الطيبي لما كان خمش الوجه والصدر
من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين إشعارا بأنهما ليسا
من صفات الرجال بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة رواه أبو داود وهذا حديث
حسن سكت عليه هو والمنذري وقد روي عن سعيد بن جبير مرسلا ذكره ميرك وفي الجامع

الصغير

الصغير رواه أحمد وأبو داود والضياء عن أنس وعن المستورد أي ابن شداد يقال إنه كان
غلاما يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من أكل برجل مسلم أي بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرضه أو بتعرضه
له بالأذية عند من يعاديه أكلة بالضم أي لقمة وفي نسخة بالفتح أي مرة من الأكل فإن الله
تعالى يطعمه مثلها أي قليلا أو كثيرا من جهنم أي من نارها أو من عذابها ومن كسي بصيغة
الفاعل ألبس شخصا ثوبا برجل مسلم أي بسبب إهانته وفي نسخة بصيغة المفعول وهو
المناسب للقرينة السابقة وقيل معنى الأول كسى نفسه ثوبا ومعنى الثاني اكتسى
ثوبا فصار لابسا له واحدا وفي النهاية معناه الرجل يكون صديقا ثم يذهب إلى عدوه فيتكلم
فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة فلا يبارك الله له فيها قال الطيبي وعلى هذا فالباء
في برجل للسببية والجائزة عامة في المطعوم والملبوس وعليه كلام الشارحين
ومن قام برجل الباء للتعدية والمراد بالرجل نفسه أو غيره مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم أي
منتصرا أو منتقما له أي لأجل افتضاح القائم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة وهو كناية
عن افتضاحه إياه الناشي عن مقت الله وقد جاء في رواية الطبراني عن عبد الله الخزاعي
مرفوعا من قام مقام رياء وسمعة فإنه في مقت الله حتى يجلس قال التوربشتي أي من قام بنسبته
إلى ذلك وشهره به فيما بين الناس فضحه الله وشهره بذلك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة
وعذبه عذاب المرائين وقال المظهر الباء في برجل يحتمل أن يكون للتعدية وللسببية فإن كان
للتعدية يكون معناه من أقام رجلا مقام سمعة ورياء يعني من أظهر رجلا بالصلاح والتقوى
ليعتقد الناس فيه اعتقادا حسنا ويعزونه ويخدمونه ويجعله حبالا ومصيدة كما نرى
في زماننا لينال بسببه المال والجاه فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعة ورياء بأن يأمر ملائكته
بأن يفعلوا معه مثل فعله ويظهروا أنه كذاب وإن كان للسببية فمعناه أن من قام وأظهر
من نفسه الصلاح والتقوى لأجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر كثير المال ليحصل
له مال وجاه كما يفعل الناس في العرف فهذا إذا اهد للأمير قال الطيبي ومعنى الكناية عن التهديد
في قوله فإن الله يقوم له كما في قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان الكشاف مستعار
من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك أي سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون
لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقال الأشرف معنى
السببية لا يستقيم في قوله ومن كسي ثوبا برجل مسلم فالباء فيه صلة قلت وهذا لا يستقيم
أيضا إذ يصير التقدير ومن كسي ثوبا رجلا مسلما وهو فاسد المعنى فالوجه ما قدمناه كما لا يخفى
ثم رأيت الطيبي قال ولعله أراد أن كسا متعد إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد فيجب
أن يكون برجل ثاني مفعوليه وفيه نظر لما يؤدي إلى فساد المعنى كما لا يخفى فالواجب أن يقدر
من كسي نفسه ثوبا برجل رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسن الظن أي بالله من أحسن العبادة أي لله والمعنى أن حسن الظن به تعالى من جملة العبادة

الحسنة فلا ينبغي ان يفكك خلاف ما يظنه العامة من ان حسن الظن هو ان يترك العمل ويعتمد على الله ويقول انه كريم غفور رحيم ويمكن ان يكون المعنى بعض حسن العبادة حسن الظن وقد مر الخبر اهنا فان السالك اذا احسن الظن بالله تعالى سبيل الرجا حسن عبادة الله في الخلاء والملاء ويستحق ما مؤمله ويرجيه فيقبله قال الله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله واما من يترك العبادة ويدعي حسن الظن بالمعبود فهو مغرور ومخدوع ومردود ومثلهما الغزالي بمن زرع ولم يزرع راجيين الحصاد ولا شك ان الثاني ظاهر الفساد والله رؤف بالعباد وقال المظهر يعني اعتقاد الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة قال الطيبي وعلى هذا من للتبعيض اي من جملة عبادة الله والاحسان فيها حسن المعاشرة مع عباده ويجوز ان يكون للابتدا اي حسن الظن بعباد الله ناشئ من حسن عبادة الله وينصره قوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده انتهى فان قلت قد ورد احترسوا من الناس بسوء الظن على ما رواه ابن عدي والطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا قلت التقدير من بعضهم ولذا قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم او يحترس منهم بسوء الظن في الباطن على ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله اخبر تقله على ما رواه جماعة عن ابي الدرداء وكذا يشير اليه ما ورد في حديث تجدون الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة او يعاملهم في الظاهر بحسن الظن بناء على الامر المبهم والله اعلم رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه وعن عايشة قالت اعتل بعير لصفية اي مرض بعير صفية المراد بها صفية بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل سبط هارون عليه السلام كانت تحت كنانة بن ابي الحقيق فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت فاعتقها وتزوجها وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع روى عنها انس وابن عمر وغيرهما وعند زينب فضل ظهر اي مركب فاضل عن حاجتها وهي ام المؤمنين ايضا بنت جحش وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلقها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس مناقبها جمة روى عنها عايشة وام حبيبة وغيرهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب اعطيها اي صفية بعيرا فقالت انا اعطي تلك اليهودية استفهام للانكار ولعل حذف المفعول لافادة العموم مبالغة في النفي اي انا ما اعطي شيئا تلك اليهودية اي باعتبار ما كانت وانما حملها على هذا القول الغيرة المفضية الى كونها مثل كابر قريش لكنها اخطأت من حيث المخالفة وسوء المخالفة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم بالنصب وبعض صفر قال ابن الملك فيه جواز الهجران فوق ثلاث لفعل قبيح يعني على قصد الزجر والتاديب لا على ارادة العداوة والبغضاء والشحناء وبه يحصل الجمع بين الاحاديث كما سبق رواه ابو داود وقال صاحب التصحيح رجاله رجال مسلم الا سمية البصرية الراوية عن عايشة فلم يخرج لها مسلم انتهى وقال المنذري سمية لم تثبت وقال العسقلاني

مقبولة

مقبولة من الثالثة نقله ميرك وذكر حديث معاذ بن انس من حمى مؤمنا اي من منافق الحديث بطوله في باب الشفقة والرحمة

الفصل الثالث

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له عيسى سرقت اي اسرقت والظاهر انه سرق ولعل العدول عنه ايماء الى تخفيفه قال كلا اي حاشا والذي لا اله الا هو ويمكن ان يكون في الكلام تورية اي ارتدع عن هذا الظن او عن هذا السؤال والذي لا اله الا هو فقال عيسى امنت بالله اي بوحدانيته المفهومة من الجملة القسمية او التقدير صدقت قسمك بالله وكذبت نفسي اي فيما قلت بناء على الظاهر لاحتمال ان ذلك الاخذ بخفية لا يكون لفقدان احد الشروط المعتبرة في حدها الشرعية وقال الطيبي اي صدقتك في حلفك بقولك والذي لا اله الا هو وبرأتك ورجعت عما ظننت بك وكذبت نفسي قال تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم انتهى وفيه ما لا يخفى وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا اي قارب ان يكون الفقر القلبي سببا للكفر اما بالاعتراض على الله واما بعدم الرضا بقضاء الله تعالى او بالشكوى الى ما سواه او بالميل الى الكفر لما راى ان غالب الكفار اغنياء متنعمون واكثر المسلمين فقراء ممتحنون بمقتضى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد قال تعالى تسلية للعباد لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار قال البيضاوي وسبب نزول هذه الاية ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد وفي معالم التنزيل باسناده المتصل الى البخاري المنتهي الى ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة ابي غرفة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف وان عند رجليه قرظا مصبوبا وهو ما يدبغ به وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهما الدنيا ولنا الاخرة قال الطيبي الفقر يحمل الانسان على ركوب كل صعب وذلول فيما لا ينبغي طالبا ازالته عنه بالقتل والنهب والسرقة وغير ذلك وربما يؤديه الى الاعتراض على الله والتصرف في ملكه كما فعل ابن الراوندي في قوله شعر

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ❁ وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ❁
هذا الذي ترك الاوهام حايرة ❁ وصير العالم النحرير زنديقا ❁

وكاد الحسد ان يغلب القدر سبق معناه انتهى ومجمل المعنى انه لو فرض ان شيئا يسبق القدر ويغلبه لكان الحسد وقيل كاد الحسد في زعم الحاسد ان يغلب القدر وفي الجامع الصغير بلفظ وكاد الحسد ان يكون سبق القدر على ما رواه ابو نعيم في الحلية والمناسبة بين القرينتين ان الحسد

رواه مسلم

غالبا نشأ من الفقر وقد يكون من أنواع الكفر فإنه يريد زوال نعمة الله عن عبده فهو عدم رضى
بالقضاء ومنازعة بالقدر في حق نفسه وفي حق غيره فالحسد أقرب إلى الكفر من الفقر
المجرد فالترتيب الذكري للترقي أو لكون الأول سببا لحصول الثاني مع أن الحسد مرض مزمن
لا يرجى برؤه والفقر قد يبدل بالغنى أو بالصبر والرضا وهو الذي عليه أكثر
الأنبياء وغالب الأولياء حتى أجمعت الصوفية على أن الفقير الصابر أفضل من الغني
الشاكر وعليه أيضا أكثر العلماء والله أعلم وأما حديث الفقر فخري وبه أفتخر فباطل
موضوع كما قاله الحافظ العسقلاني وغيره وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره بفتح الياء وكسر الذال أو لم يقبل عذره
شك من الراوي وهو تفسير لما قبله كان عليه مثل خطيئة صاحب مكس بفتح الميم أي عشار
عشر لما كان الغالب عليهم الظلم وعدم العمل بالعلم أطلق ذمه والمراد بالمكس أخذ مال الناس
بالظلم ثم رأيت القاموس وقال المكس النقص والظلم رواه البيهقي في شعب الإيمان
وفي الجامع رواه ابن ماجه والضياء عن جودان ولفظه من اعتذر إلى أخيه بمعذرة
فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس وقال البيهقي في تفسير حديثه المكاس العشار
وفي بعض الأصول الماكس [illegible] ولعل المناسبة التشبيه أنه صاحب المكس الظالم يقبل
اعتذار الناصر في قوله إن ما له مال أمانة أو أخذه منه في بيته أخروا به مديون ونحو ذلك
فيكون المشبه به أقوى وهو أنه مع هذا الظلم عليه يأخذ المال للتعدي إلى الزائد
ونقل ميرك عن المنذري أن حديث جابر رواه الطبراني أيضا في الأوسط وروي عن عائشة
مرفوعا من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد على الحوض رواه الطبراني في الأوسط
وروي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى إن
شئت يا رسول الله قال إن شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده ألا أنبئكم
بشر من ذلك قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفلا
أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى إن شئت يا رسول الله قال الذين لا يقيلون عثرة [illegible] ولا
يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا قال أفلا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال
من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره رواه الطبراني وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم يبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل
ذلك محقا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد علي الحوض رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد والتنصل
الاعتذار

باب الحذر والتأني في الأمور

الحذر الاحتراز من الضرر والتأني ضد العجلة من تأنى في الأمر إذا [illegible] توقف الفصل
الأول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن برفع الغين على النفي
ويروى بكسر الغين على النهي والمراد بالمؤمن الكامل في عقله من جحر بضم جيم وسكون حاء أي ثقب
وخرق واحد مرتين أي كرتين ومرة بعد أخرى قال الخطابي هذا يروى على وجهين أحدهما على

الخبر

بعدم

الخبر وهو أن المؤمن الممدوح وهو المتيقظ الحازم لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة أخرى
ولا يفطن هو به وقد قيل إنه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا وثانيهما على النهي أي لا يخدعن
المؤمن ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه وهذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا
والآخرة قال التوربشتي وأرى أن الحديث لم يبلغ الخطابي على ما كان عليه وهو مشهور عند
أهل السير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم من على بعض أهل مكة وهو أبو عزة الشاعر الجمحي وشرط
عليه أن لا يجلب عليه فلما بلغ مأمنه عاد إلى ما كان عليه فأسر تارة أخرى فأمر بضرب عنقه
فكلمه بعض الناس في المن عليه فقال لا يلدغ المؤمن الحديث وروى النووي عن القاضي
عياض هذه القصة وسبب هذا الحديث معروف وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر
أبا عزة الشاعر يوم بدر فمن عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه فأطلقه فلحق بقومه
ثم رجع إلى التحريض والهجاء ثم أسر يوم أحد فسأله المن فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يلدغ المؤمن الحديث وهذا السبب يضعف الوجه الثاني الذي ذكره الطيبي ولم يظهر لي وجه
ضعفه على أنه قد تقرر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وإلا لكان المؤمن مختصا
به صلى الله عليه وسلم لكونه أخبر عن نفسه وقد أطنب الطيبي في نصرة الخطابي إلى أن قال
فظهر أن القول بالنهي أولى والمقام له أدعى انتهى وبعده لا يخفى متفق عليه ورواه
أحمد وأبو داود والترمذي عنه وأحمد أيضا وابن ماجه عن ابن عمر وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشج عبد القيس
بالإضافة وهو كان رئيس عبد القيس وهي قبيلة وفي نسخة بالفتح على أنه غير منصرف وأن
عبد القيس بدل منه أو عطف بيان له على حذف مضاف أي رئيس عبد القيس واسمه المنذر بن
عائذ ولم يذكره المؤلف إن فيك لخصلتين يحبهما الله فيك وفي غيرك الحلم وهو بكسر الحاء تأخير
مكافاة الظالم في الأصل ثم يستعمل في العفو عن الذنب قيل والمراد به هنا عدم استعجاله
وتأخيره حتى ينظر في مصالحه قلت فيبقى تكرار مع قوله والأناة بفتح الهمزة على وزن نواة
وهي أتم من التأني فقيل معناه الوقار والتثبت وقيل التأني في الطاعات وقيل المراد
جودة نظره في العواقب وضبطا في أصل السيد بالرفع فيهما وجوز نصبهما لكن الأظهر هو النصب
على البدلية من الخصلتين كما حقق في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين وفي حديث بني الإسلام
على خمس هذا وفي شرح السنة روي عن المنذر الأشج أنه قال يا رسول الله أنا أتخلق بهما
أم الله جبلني عليهما قال بل الله جبلك عليهما قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله
ورسوله انتهى وإنما عطف رسوله عليه لأن محبته صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبته تعالى
لا ينفك عنها رواه مسلم وكذا الترمذي

الفصل الثاني

عن سهل بن سعد الساعدي
صحابيان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الأناة من الله أي من إلهامه والعجلة أي في أمور الدنيا
من الشيطان أي وسوسته قيل ويستثنى من ذلك ما لا شبهة في خيريته قال تعالى إنهم كانوا
يسارعون في الخيرات قلت يوقف بين هذا المسارعة والمبادرة إلى الطاعات وبين العجلة في نفس

العبادات فالاول محمود والثاني مذموم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك
وفي بعض النسخ حسن غريب وقد تكلم بعض اهل الحديث اي من العارفين باحوال رجال
الاسناد في عبد المهيمن ابن عباس الراوي بسكون الياء اي احد رواة هذا الحديث من قبل
حفظه اي وقع طعن البعض فيه من جهة حفظه فانه عدل ثقة فامره سهل وقد
رواه البيهقي في شعب الايمان عن انس ولفظه التأني من الله والعجلة من الشيطان
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حليم الا ذو عثرة بفتح العين
وسكون المثلثة اي صاحب زلة قدم ولغزة قلم في تقريره اوجه قال الشارح اي لا حليم
كاملا الا من وقع في زلة وحصل منه خطا والتخجل فعفا عنه فعرف به رتبة العفو فيحلم عند
عثرة غيره لانه عند ذلك يصير ثابت القدم ولا حكيم الا ذو تجربة اي صاحب امتحان في نفسه
وفي غيره قال الشارح اي لا حكيم كاملا الا من جرب الامور وعلم المصالح والمفاسد فانه لا يفعل
فعلا الا عن حكمة منه اذ الحكمة احكام الشيء واصلاحه عن الخلل انتهى وهو موافق لما في
النهاية وشرح المظهر لكن ينبغي ان يقال لا حليم ولا حكيم من المخلوقين الا كذا ليصلح
الحصر وقد عرفت وصفه تعالى بهما في الاسماء الحسنى ويمكن ان يقال المعنى لا حليم الا وقد
يعثر كما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم ولا حكيم من الحكماء الطبيعية الا صاحب التجربة
في الامور الدنيوية والدنيوية والله اعلم رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن
غريب وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وعن انس ان رجلا قال للنبي صلى
الله عليه وسلم اوصني اي بشيء يزيل تحيري في امري فقال خذ الامر اي تريد ان تفعله
بالتدبير من باب التفعيل اي بالتفكر في دبره والتامل في مصالحه ومفاسده والنظر في
عاقبة امره فان رايت في عاقبته خيرا اي نفعا دينيا او اخرويا فامضه بقطع الهمزة
اي فافعله وان خفت اي رايت بقرينة وفيه تفنن وما احسن موقعه في الشر المعبر
عنه بقوله غيا اي ضلالة وانما ترك مراعاة المقابلة ليفيد زيادة المبالغة فكانه قال في
الاول خيرا وهو هداية وفي الثاني شرا وضلالة وهذا نوع لطيف من صنايع البديع ثم قوله
رايت بمعنى علمت او ظننت والثاني اظهر لان مبني الامور الشرعية غالبها والمطالب العرفية
كلها انما هو على الظن لا سيما بالنسبة الى المخاطب فان ارباب اليقين في كل قضية لا يوجد الا في الانبياء
وكمل العارفين مع ان الحكيم العليم يعلم بالاولى كما لا يخفى وقال الطيبي الخوف هنا بمعنى
الظن كما في قوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ويجوز ان يكون بمعنى العلم واليقين
لان من خاف بشيء احترز عنه وتحرى حقيقته انتهى وفيه بحث يتحقق حقيقته فان
وهذا انسب بالمقام لانه وقع في مقابلة رايت وهو بمعنى العلم وهما نتيجة التفكر والتدبر
قلت بل هما المتفرعان عليهما المنتجان للفعل المعبر عنه بالامضاء والترك المعبر عنه
بقوله فامسك اي كف عنه واترك رواه في شرح السنة وذكر السيوطي المرفوع في الجامع الصغير
وقال رواه عبد الرزاق في الجامع وابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان وعن

مصعب

مصعب بصيغة المفعول ابو زرارة ابن سعد اي ابن ابي وقاص عن ابيه اي سعد وهو احد
العشرة المبشرة واما مصعب فسمع اباه وعليا وابن عمر وروى عنه سماك بن حرب وغيره
قال الاعمش اي احد الرواة وهو تابعي جليل قال المؤلف اسمه سليمان بن مهران الكاهلي الاسدي
مولى بني كاهل بطن من بني اسد بن خزيمة ولد سنة ستين بارض الري فجيء به حميلا الى الكوفة
فاشتراه رجل من بني كاهل فاعتقه وهو احد اعلام المشهورين بعلم الحديث
والقراءة وعليه مدار اكثر الكوفيين روى عنه خلق كثير مات سنة ثمان واربعين ومائة
لا اعلمه اي قول سعد هذا الا عن النبي صلى الله عليه وسلم اي نقلا ورواية عنه ولا اعلم
الحديث الا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال التؤدة بضم التاء وفتح الهمزة اي التأني في كل
شيء اي من الاعمال خير اي مستحسن الا في عمل الاخرة لان في تاخير الخير افات وروي اذا كثر
صياح اهل النار من تسويف العمل قال الطيبي وذلك لان الامور الدنيوية لا يعلم عواقبها
في ابتدائها انها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها او مذمومة فيتأخر عنها بخلاف الامور الاخروية
لقوله تعالى فاستبقوا الخيرات وسارعوا الى مغفرة من ربكم قال الغزالي في قوله تعالى
الشيطان يعدكم الفقر ينبغي للمؤمن اذا تحركت له داعية الى بذل ان لا يتوقف لان الشيطان
يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن البوشنجي في الخلاء فدعا تلميذا له فقال
انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال هلا صبرت حتى تخرج قال خطر ببالي بذله ولا امن
على نفسي ان تتغير رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في شعب الايمان
عن سعد مرفوعا وعن عبد الله بن سرجس كنرجس بكسر الجيم وفتح السين وفي نسخة بفتح الجيم
وكسر السين وسبق تحقيقه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السمت الحسن اي السيرة المرضية
والطريقة المستحسنة قال شارح السمت الطريق ويستعار لهيئة اهل الخير وفي الفائق السمت
اخذ المنهج ولزوم المحجة والتؤدة اي التأني في جميع الامور والاقتصاد اي التوسط في الاحوال
والتحرز عن طرفي الافراط والتفريط قال التوربشتي الاقتصاد على ضربين احدهما ما كان
متوسطا بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود وهذا الضرب اريد
بقوله تعالى ومنهم مقتصد والثاني محمود على الاطلاق وذلك فيما له طرفان افراط وتفريط
كالجود فانه بين الاسراف والبخل والشجاعة فانها بين التهور والجبن وهذا الذي في الحديث
هو الاقتصاد المحمود على الاطلاق قلت ومن هذا القبيل الاقتصاد في الاعتقاد فانه
بين التعطيل والتشبيه وبين الجبر والقدر والاقتصاد في المعيشة ومنه قوله تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ومنه حديث الاقتصاد في
النفقة نصف المعيشة وحديث ما عال من اقتصد وكذا حكم الاقتصاد في ساير الافعال
ومنه قوله تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقوله عز وجل كلوا واشربوا ولا
تسرفوا وقال بعض العارفين اطلب العلم بحيث لم يمنعك عن العمل واعمل بحيث لم يشغلك عن العلم
جزء اي كلها او كل منها من اربع وعشرين جزءا ويؤيد الاخير ما رواه الضياء عن انس مرفوعا السمت

الحسن جزء من خمسة وسبعين جزء من النبوة مع زيادة افادة ان المراد بالعدد المذكور التكثير لا التحديد ويبصره الحديث لا يتحيث فان جزء من خمس وعشرين على انه يحكى الاختلاف بحسب اختلاف الكمية والكيفية الحاصلة في المتصف به واما ما قال شارح من ان التفاوت بين العددين من خمس واربع يحتمل ان يكون من غلط الرواة فهو احتمال غلط منه وسبب الغفلة عما ذكرناه نقلا وعقلا والله اعلم قال القاضي كان الصواب ان يقول اربعة على التذكير فلعله انث على تاويل الخصلة او القطعة او لاجراء الجزء مجرى الكل في التذكير والتانيث قلنا التاويلات كلها مستحسنة واما قوله وكان الصواب فخطا ظاهر لا يخفى من النبوة اي من اجزائها قال الخطابي الهدي والسمت حالة الرجل ومذهبه والاقتصاد سلوك القصد في الامور والدخول فيها برفق على سبيل تمكن الدوام عليها يريد ان هذه الخصال من شمائل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانها جزء من اجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها وليس معناه ان النبوة تتجزى ولا ان من جمع هذه الخلال كان نبيا فان النبوة غير مكتسبة وانما هي كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالته. ويحتمل ان يكون معناه ان هذه الخلال مما جاءت به النبوة قال التوربشتي والطريق الى معرفة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الراي والاستنباط مسدود وذلك من علوم النبوة وقد سبق القول في هذا المعنى في كتاب الرويا رواه الترمذي وعن ابن عباس ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الهدي بفتح فسكون الصالح اي السيرة الحسنة والسمت الصالح اي الطريقة المستحسنة من زي الصالحين وحاصل الفرق بينهما ان الهدي متعلق بالاحوال الباطنة والسمت بالاخلاق الظاهرة فهما في الطريقة بمنزلة الايمان والاسلام في الشريعة والجمع بينهما نور على نور به يتم الحقيقة والاقتصاد اي التوسط في امر المعيشة والمعاد جزء من خمس وفي رواية الجامع خمسة بالتاء وهو الظاهر وعشرين جزء من النبوة رواه ابو داود وكذا الحاكم وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدث الرجل اي عندك او عند احد وهو الاظهر الحديث اي الذي يريد اخفاءه ثم التفت اي غاب عنك او عنه بمفارقة المجلس فهي اي ذلك الحديث والتانيث باعتبار خبره وهو قوله امانة وقيل لان الحديث بمعنى الحكاية والمعنى ان حكمه حكم الامانة فلا يجوز اضاعتها باشاعتها وقال شارح المظهر قوله التفت يغاب وحينئذ ثم على بابه من التراخي المستفاد منه حكم التعقيب بالاولى وقال الطيبي الظاهر ان التفت هنا عبارة عن التفاته ظاهره الى ما تكلم فالتفت يمينا وشمالا احتياطا فثم للتراخي في الرتبة ويدل على هذا ترتب الفا وان الثاني مسبب عن الاول قلت هذا تكلف ظاهر مستغنى عنه فان الحكم عام غير مخصوص بما يفهم منه والفا لازمة الجزاء فليس فيها دلالة على ما ادعاه اصلا وحاصله اجمالا معنى الحديث الاتي المجالس بالامانة ويستثنى منها ما سياتي والله اعلم رواه الترمذي وابو داود وكذا احمد والضياء عن جابر وابو يعلى في مسنده عن انس وعن ابي هريرة قال ان النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم قال لابي الهيثم بن التيهان بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر المثناة التحتية المشددة وبالنون ذكره في جامع الاصول وقد تقدم ترجمته في باب الضيافة وهذا الحديث ذيل لذلك الحديث وقد بيناه هناك هل لك خادم اي عبد قال لا قال فاذا اتانا سبي اي اسارى فاتنا فاتى اي جيء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم براسين من العبيد فاتاه ابو الهيثم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اختر منهما اي واحدا منهما او بعضهما فقال يا نبي الله اختر لي اي انت اولى بالاختيار فانك المصطفى المختار وعلى اختيارك المدار فقال النبي صلى الله عليه وسلم توطئة وتمهيدا ان المستشار من استشار يطلب رايه فيما فيه المصلحة مؤتمن اسم مفعول من الامن او الامانة ومعناه ان المستشار امين فيما يسال من الامور فلا ينبغي ان يخون المستشير بكتمان مصلحته خذ هذا اي مشارا الى احدهما فاني رايته يصلي فيه انه يستدل على خيرية الرجل بما يظهر عليه من اثار الصلاح لا سيما الصلوة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر واستوص به معروفا اي استوص معروفا قيل معناه لا تامره الا بالمعروف والنصح له وقيل وص في حقه بمعروف كذا ذكره زين العرب وقال الطيبي اي اقبل وصيتي في حقه واحسن ملكته بالمعروف رواه الترمذي اي في جامعه وكذا في الشمائل مطولا كما اوردناه في باب الضيافة وفيه انه اعتق العبد لاجل وصيته عليه السلام واما حديث المستشار مؤتمن فقد رواه الاربعة عن ابي هريرة والترمذي عن ام سلمة وابن ماجة عن ابي مسعود وفي رواية الطبراني في الكبير عن سمرة بلفظ المستشار مؤتمن ان شاء اشار وان شاء لم يشر وفي رواية له في الاوسط عن علي بلفظ المستشار مؤتمن فاذا استشير فليشر بما هو صانع لنفسه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس اي احدى الثلاثة من المجالس والمعنى ينبغي للمؤمن اذا راى اهل مجلس على منكر ان لا يشيع ما راى منهم الا ثلاثة مجالس سفك دم بالرفع بتقدير هي مجلس اراقة دم حرام بالجر صفة دم اي دم حرام سفكه او دم محترم في الشرع او فرج حرام او اقتطاع مال بغير حق فيه للاخير فقط ولعل العدول عن حرام هنا لاجل مفهومه من الحلال فان اقتطاع مال الناس ظلما حرام سواء يكون المال حلالا او حراما فالحكم متعلق بالاقتطاع كما لا يخفى قال المظهر اذا سمع من في المجلس اريد قتل فلان او الزنا بفلانة او اخذ مال فلان فانه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه رواه ابو داود واما صدر الحديث وهو قوله المجالس بالامانة فقد رواه الخطيب عن علي ايضا وذكر حديث ابي سعيد ان اعظم الامانة اي عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امراته وتفضي اليه ثم ينشر سرها رواه مسلم في باب المباشرة في الفصل الاول قال الطيبي تنبيه على هذا الحديث جاء مكررا في المصابيح وعلى ان ايراده في الصحاح اولى منه في الحسان اقول الظاهر ان المؤلف حول الحديث من هنا الى ذلك الباب لانه انسب به فهو اعتراض واعتذار لئلا يتوهم اسقاطه والله اعلم

الفصل الثالث

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله العقل قال له قم فقام ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ثم قال له اقعد فقعد ظاهر الحديث انه خلق مجسدا

محسنا كما يجعل الموت على صورة كبش يذبح بين الجنة والنار والمراد بالقيام والقعود والاقبال
والادبار امور معنوية حاصلة منه وناشئة عنه باختلاف ارباب العقول ولعل القيام
كناية عن الظهور والقعود عن خفائه والاقبال عن توجهه الى شيء والادبار عن اعراضه
بحسب ما تعلق به المشيئة والارادة الازلية قال الطيبي المجموع كناية عن ان العقل
هو محل التكليف واليه ينتهي الامر والنواهي وبه يتم غرض خالق المكلفين من العبادة
التي ما خلقت السموات والارض الا لاجلها ويدل عليه ما بعده قلت الصواب وضع
الحكمة موضع الغرض لان افعاله لا تعلل بالاغراض ثم قال له ما خلقت خلقا هو خير منك
اي في حد ذاته فانه جوهر شريف يحتاج اليه الوضيع والشريف ومن جملة الدلالة على كماله
ان كل احد يغضب من نسبته نقصانه اليه ولا افضل منك لحصول الفضائل
والفواضل وزيادة العبادات والدرجات به ولا احسن منك اي في حسن المعاشرة وتحسين
المعاملة بك اي بسببك او لقدرك آخذ اي العبادات من عبادي وبك اعطي اي الثواب والدرجات
وبك اعرف بصيغة المجهول اي ذاتا وصفة وحكما وبك اعاتب اي على من اعاتب فان المجانين
ونحوه لا عتب عليه وبك الثواب اي وصوله حال الاقبال وعليك العقاب اي حصوله
وقت الادبار واعلم ان اشرف العقل انما هو لكونه سبب العلم المنتج للعمل المؤدي الى السعادة
الابدية وسمي عقلا لانه يعقل صاحبه عما لا ينبغي كما سمي نهية لانه ينهى عن الفحشاء والمنكر
وقال الراغب العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان
بتلك القوة عقل ولهذا قيل **شعر** العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع
مسموع اذا لم يك مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول اشار بقوله صلى
الله عليه وسلم ما خلق الله خلقا عليه اكرم من العقل والى الثاني اشار بقوله ما كسب احد شيئا
افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وهذا العقل المعني بقوله تعالى وما يعقلها
الا العالمون قلت الظاهر انه كما لا ينفع مسموع بلا مطبوع كذلك لا ينفع مطبوع بلا
مسموع الا ترى ان الحكماء مع زعمهم انهم اكبر العقلاء ما نفعهم مجرد عقولهم المطبوعة من غير
متابعتهم للانبياء واقوالهم المسموعة وقال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله
على علم ونظيره المشاهد لكل احد الاصم الخلقي فانه ينتفع بعقله المطبوع وليس له حظ
من العقل المسموع ثم هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان كما اجمله المؤلف في الفصل
وقال هنا وقد تكلم فيه اي في ضعف هذا الحديث او قطع في ثبوته بعض العلماء فيه
تنبيه على اختلاف العلماء في حقه لكن قال السخاوي في المقاصد انه كذب موضوع
اتفاقا ثم رايت في مختصر الشيخ محمد بن يعقوب الفيروزابادي انه قال اول ما خلق الله
العقل ضعيف وما خلق الله خلقا اكرم من العقل الحكيم ضعيف وفي شرح الطيبي قال الشيخ
تقي الدين ابن تيمية الحديث الذي ذكره كذب موضوع عند اهل المعرفة بالحديث كما ذكر ذلك
ابو جعفر العقيلي وابو حاتم البستي وابو الحسن الدارقطني وابن الجوزي وغيرهم انتهى ووجه

ذكر

ذكر هذا الحديث في باب الحذر والتاني مما لا امور ظاهر لانهما من نتايج العقل والله اعلم وعن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليكون من اهل الصلاة والصوم
والزكاة والحج والعمرة حتى ذكر سهام الخير اي ابوابه وانواعه كلها اي جميعها وما يجزى بصيغة
المجهول اي ما يثاب يوم القيامة بقدر عقله اي بمقدار استعماله في هذه العبادات ويحتمل
ان يكون المراد بالعقل هنا العلم المستفاد بالعقل فيفيد ان زيادة المثوبات والدرجات
في العبادات باختلاف مراتب علوم اصحابها وعقول اربابها قال الطيبي اشارة الى ان العقل
المسموع لا ينفع كل النفع الا بالعقل المطبوع لانه هو المميز الذي يضع كل شيء في موضعه
وبه يتفاوت صلاة وصدقة وصوم عن صوم لانه ربما يركع ركعة في مقام يفضل الف
ركعة في غيره العقليين وكذلك الصدقة وغير ذلك من اعمال البر وربما يعمل ويظن
به خيرا فيرجع عليه وبالا قلت لا خفاء ان العقل المطبوع ليس له التمييز في الامر
المشروع ولهذا لا يعتبر التحسين والتقبيح فالمدار هنا على العقل المسموع لكن بمساعدة
العقل المطبوع بان يصلي على ما ينبغي من المعلوم في الشريعة وفي مقام يليق به من المسموع
في الطريقة وكذا ساير العبادات والله اعلم بالنيات فمدار كمال الصلاة مثلا بعد
مراعاة الشروط والاركان وواجباتها وسننها وادابها المسموعة المعروفة على حضور
القلب مع الله وقطع النظر عما سواه وقد روى احمد وابو داود وابن حبان عن عمار
ابن ياسر مرفوعا ان الرجل لينصرف وما كتب له الا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها
خمسها ربعها ثلثها نصفها وعن ابي ذر قال قال لي اي مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا ذر لا عقل كالتدبير قال الطيبي اراد بالتدبير العقل المطبوع لما سبق من ان العقل
المسموع لا يعتد به ولا يحتسب لصاحبه الا بالعقل المطبوع قلت وقد تقدم ان
العقل المطبوع لا نفع له بدون العقل المسموع بل ربما ينفع المسموع بدون المطبوع كمن
امن بمجرد التقليد فالمعنى لا عقل كعقل التدبير اي كالعقل الذي يصاحبه التدبير
وهو الذي ينظر في دبر الامور وعاقبته ويميز ما يحمد ويذم في الاخرة ولا شك ان مداره على
العقل المسموع ولا ورع كالكف اي ولا تورع عن المحرمات والشبهات مثل الكف عن المعاملات
وترك المباحات الا الضروريات ولا حسب اي لا مكرمة ولا شرف كحسن الخلق اي كمداراة
الخلق مع مراعاة الحق هذا وفي النهاية الورع في الاصل الكف عن المحارم والتحرج منه
ثم استعير للكف عن المباح والحلال قلت فالمراد بالورع في الحديث معناه الاصلي
وبالكف معناه العرفي على ما قررناه ولما غفل الطيبي عما حررناه قال بعد كلام صاحب
النهاية فان قلت فعلى هذا الورع هو الكف فكيف قيل ولا ورع كالكف قلت الكف اذا
اطلق فهم منه كف الاذى او كف اللسان كما قال صلى الله عليه وسلم كف هذا واخذ بلسانه
كما قيل ولا ورع كالصمت او الكف عن اذى المسلمين ولا حسب كحسن الخلق اي لا مكارم مكتسبة
كحسن مع الخلق فالاول عام والثاني خاص قلت الصواب ان الاول خاص والثاني عام

لان حسن الخلق شامل لجميع انواع المستحسنات ولذا ورد الخلق الحسن احسن الحسن وقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فكل الصيد في جوف الفراء والله اعلم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد في النفقة اي في صرفها او في الانفاق نصف المعيشة وهو مقتبس من قوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والتودد الى الناس اي التحبب الى المومنين الصالحين نصف العقل اي استعمال نصفه او سبب تحصيل نصفه فانما الاستصحاب يحصل للعقل الاكتساب فكان عقل المنفرد نصف العقل ويكمل بعقل صاحبه ولذا قيل علمان خير من علم واحد وكان بعض العارفين يقول لبعض تلامذته انا وانت انسان كامل لانك حافظ القران وانا مفسره ولعل هذا معنى ما رواه ابن ابي الدنيا في الاخوان عن سهل بن سعد مرفوعا المرء كثير باخيه ولا شك ان مصاحبة ارباب الكمال تورث كمال العقل في جميع الاحوال وحسن السوال نصف العلم فان السائل عما يهمه وما هو بشانه اعني وهذا احتياج تمييز تبين مسئول فاذا ظفر بمبتغاه وقاربه كمل علمه وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله لا ادري نصف العلم انتهى والاظهر انه تعالى يفهم من حسن سوال الطالب ان له مشاركة في العلم وانه يريد ان يضيف اليه تقييد العلم وعلى هذا يمكن ان يحمل قوله لا ادري نصف العلم بخلاف من يسال من تامل وحسن مقال فانه يكون نصا على نقصان عقله وكمال جهله حكي ان تلميذا كان لابي يوسف رحمه الله ساكتا في المجلس فقال له اذا اشكل عليك شيء تسال ولا تستحي فان الحيا يمنع العلم وكان الامام يتكلم في تعريف الصوم انه من الصبح الى الغروب فقال فاذا لم تغرب فالى متى فقال له اسكت فان سكوتك خير من كلامك وما احسن ما قال بعض ارباب الحال ان الجاهل اذا تكلم فهو كالحمار واذا سكت فهو كالجدار هذا والصحيح في معنى قوله لا ادري نصف العلم بيان ان العالم ولو بلغ مبلغ الكمال في العلم فانه لابد له من الجهل ببعضه ففي ذلك جوابه لا ادري وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري اعزير نبي ام لا وفي القران لا ادري ما يفعل بي ولا بكم وقل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد حكي ان عليا كرم الله وجهه سئل عن شيء وهو على المنبر فقال لا ادري فقيل له فاذا كنت لا تدري فلم صعدت المنبر قال انما طلعت بقدر علمي ولو صعدت بقدر جهلي لوصلت السما وفي قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا تنبيه على ذلك والله اعلم روى البيهقي الاحاديث الاربعة في شعب الايمان قلت والحديث الاخير رواه الطبراني في مكارم الاخلاق عن ابن عمر ايضا وروى الخطيب عن انس مرفوعا الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين وروى احمد عن ابن مسعود مرفوعا ما عال من اقتصد

باب الرفق والحيا وحسن الخلق

الرفق بالكسر ضد العنف وهو المداراة مع الرفقا ولين الجانب واللطف في اخذ الامر باحسن الوجوه وايسرها واما الحيا فقال الحكما هو تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف

مايلام به

مايلام به وقال الجنيد حالة تتولد من روية الالاء والتقصير في شكر النعما وقال ذو النون الحيا وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك وقال الدقاق هو ترك الدعوى بين يدي المولى واما حسن الخلق فقالوا هو الانصاف في المعاملة وبذل الاحسان والعدل في الاحكام والاظهر انه هو الاتباع بما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم من احكام الشريعة واداب الطريقة واحوال الحقيقة ولذا لما سئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم لما ورد في حقه وانك لعلى خلق عظيم فقالت كان خلقه القران تعني ان كل ما فيه من خصلة محمودة كان يتصف بها وكل فعلة مذمومة فيه يجتنب عنها ثم الاتباع بقدر المحبة وتوفيق المتابعة باخذ كل سهمه ونصيبه وقد اشار الى ذلك الشاطبي رحمه الله في وصفه للقراء ۞ اولو البر والاحسان والصبر والتقى حلاهم بها جاء القران مفصلا ۞

الفصل الاول عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفيق اي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر فيسامحهم ولا يكلفهم فوق وسعهم او يحب ان يرفق العباد بعضهم بعضا كما بينه بقوله يحب الرفق اي يرضى به ويثني عليه ويعطي على الرفق اي من المثوبات والمآرب او من الاغراض والمطالب ما لا يعطي على العنف بالضم وفي القاموس هو مثلثة العين ضد الرفق وما لا يعطي على ما سواه اي سوى الرفق وهو العنف ففي الكلام زيادة مبالغة وتاكيد للحكم والظاهر ان التقدير ما سوى الرفق من الخصال الحسنة قال القاضي والظاهر انه لا يجوز اطلاق الرفيق على الله تعالى اسما لانه لم يتواتر ولم يستعمل ايضا على قصد الاسمية وانما اخبر به عنه تمهيدا للحكم الذي بعده فكانه قال هو الذي يرفق عباده في امورهم فيعطيهم بالرفق ما لا يعطيهم على ما سواه وانما ذكر قوله وما لا يعطي على ما سواه بعد قوله ما لا يعطي على العنف ليدل على ان الرفق انجح الاسباب كلها وانفعها باسرها قال الطيبي وفي معناه قول الشاعر ۞ يا طالب الحاجة بقوة ۞ هيهات انت بباطل مشغوف ۞ اكل العقاب بقوة جيفة الفلا ۞ ويرعى الذباب الشهد وهو ضعيف ۞ المعنى ينبغي للمرء ان لا يحرص في رزقه بل يكل امره الى الله تعالى الذي تولى القسمة في خلقه فالنسر ياكل الجيفة بعنفه والنحل يرعى العسل برفقه قال التوربشتي فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انت رفيق والله الطبيب قلنا الطبيب الحاذق بالشيء المعروف ولم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم عمن يتعاطى ذلك وانما حول المعنى من الطبيعة الى الشريعة وبين لهم ان الذي يرجون من الطبيب فالله فاعله والمنان به على عباده وهذا كقوله فان الله هو الدهر وليس الطبيب بموجود في اسماء الله سبحانه ولا الرفيق فلا يجوز ان يقال في الدعا يا طبيب ولا يا رفيق انتهى وفيه ايما الى انه يجوز ان يقال هو الطبيب وهو رفيق على منوال ما ورد واما قوله صلى الله عليه وسلم في اخر كلامه عند خروجه من الدنيا الرفيق الاعلى فيحتمل ان يراد به الله تعالى وان يراد به الملا الاعلى فمع الاحتمال لا يصح الاستدلال وفي شرح مسلم للنووي قال المازري لا يوصف الله سبحانه وتعالى الا بما سمى به نفسه او سماه

به رسول الله صلى الله عليه وسلم او اجتمعت الامة عليه واما ما لم يرد اذن في اطلاقه ولا
ورد منع فيه ففيه خلاف منهم من قال يبقى على ما كان قبل ورود الشرع فلا يوصف به ولا يمنع
منه ومنهم من منعه وبين الاصوليين خلاف في تسميته الله تعالى بما ثبت بخبر الاحاد فقال
بعضهم يجوز لان خبر الواحد عنده يقتضي العمل به وبعضهم لا يجوز ذلك لانه من باب
العمليات فلا يثبت بالاقيسة وان كانت يعمل بها في المسائل الفقهية العملية قال
النووي والصحيح جواز تسميته الله تعالى رفيقا وغيره مما يثبت بخبر الواحد رواه
مسلم وفي الجامع الصغير ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على
العنف رواه البخاري في الادب المفرد وابو داود في جامعه عن عبد الله بن مغفل وابن
ماجة وابن حبان عن ابي هريرة واحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان عن
علي والطبراني عن ابي امامة والبزار عن انس فكان الحديث ان يكون متواترا عند
بعضهم وفي رواية اي لمسلم قال لعائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش اي
المتولد منه ان الرفق استئناف بيان لا يكون اي لا يوجد في شيء اي من الذوات والاعراض
الا زانه اي زينه وجمله ولا ينزع بصيغة المجهول اي لا يفقد ولا يعدم من شيء الا شانه
اي عيبه ونقصه قال الطيبي قوله يكون في شيء يحتمل ان يكون تامة وفي شيء متعلق
بها وان يكون ناقصة وفي شيء خبر كان والاستثناء مفرغ من اعم عام وصف الشيء اي لا
يكون الرفق مستقرا في شيء ويتصف بوصف من الاوصاف الا بصفة الزينة وفي
الجامع الصغير عليك بالرفق واياك والعنف والفحش رواه البخاري في الادب المفرد
عن عائشة وروى مسلم عن عائشة عليك بالرفق ان الرفق لا يكون في شيء الحديث
والله اعلم وعن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم من يحرم بصيغة المجهول محروما
وقيل مرفوعا الرفق بالنصب على انه مفعول ثان اي من يصير محروما منه يحرم الخير كله
اي كما في الجامع ففيه فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف وان الرفق
سبب كل خير رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الانصار وهو يعظ اخاه اي ينصحه في الحيا
بان لا يكثر منه فان الحيا يمنع الرزق ويمنع العلم على ما روي قال الطيبي اي يحذره
قال الراغب الوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له
القلب انتهى كلامه والوعظ هنا بمعنى العتاب لما جاء في شرح السنة مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يعاتب اخاه في الحيا ويقول انه ليستحيي كانه يقول
قد اضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه اي اتركه على حاله من كثرة الحيا
فان الحيا من الايمان اي بعضه او من شعبه قال النووي يعظ في الحيا اي ينهاه عنه
ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك اي دعه على
فعل الحيا وكف عن نهيه ووقعت لفظة دعه في البخاري ولم يقع في مسلم متفق عليه

قلت اما قوله الحيا من الايمان فقد رواه الترمذي ايضا عن ابن عمر وكذا الترمذي
والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة والبخاري في الادب المفرد وابن ماجة والحاكم والبيهقي
عن ابي بكرة الثقفي والطبراني والبيهقي عن عمران بن حصين وابن عساكر عن ابي هريرة
وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير
اي لا يعتري الانسان الا بخير والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به
ويذم ذكره الطيبي وقال النووي قد اشكل على بعض الناس هذا الحديث من حيث ان
صاحب الحيا قد يستحيي ان يواجه بالحق من يجله ويعظمه فيترك امره بالمعروف ونهيه
عن المنكر وقد يحمله الحيا على الاخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة
والجواب ما اجاب عنه جماعة من العلما منهم الشيخ ابو عمرو بن الصلاح ان المانع الذي
ذكرناه ليس بحيا حقيقة بل هو عجز وخور تسميته حيا بحسب اللغة وانما حقيقة الحيا
في اصطلاح اهل الشرع خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي
الحق يدل عليه ما روي الامام ابو القاسم القشيري عن السيد الجليل ابي القاسم
الجنيد قال الحيا رؤية الالا ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى الحيا
قال القاضي عياض وغيره انما جعل الحيا من الايمان لانه قد يكون تخلقا واكتسابا
كسائر اعمال البر وقد يكون غريزة ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج الى اكتساب
ونية وعلم وهذا المعنى بقوله عليه السلام الحيا من الايمان قال الطيبي ويمكن
ان يحمل التعريف فيه على العهد ويكون اشارة الى ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم
الاستحيا من الله ان تحفظ الراس وما وعى والبطن وما حوى الحديث انتهى وهو معنى حسن
وقيد مستحسن يزول به الاشكال السابق وبيانه ان الحيا من الله هو الذي خير كله وهو
الذي لا ياتي الا بخير وهو الذي لا ينفك عن الايمان واما الحيا من الخلق فالغالب
فيه ان يكون محمودا فالحصر ادعائي او كله محمود الا اذا عارضه ترك الحيا من الله فيترك جانبه
من اداء الحقوق ويراعي جانب المخلوق بخشيته فيتحقق ذلك الحيا انه ليس حيا فالحيا خير
كله والله اعلم وفي رواية اي لهما على ما هو الظاهر لكن في الجامع اسندها الى
مسلم وابي داود الحيا خير كله قيل عام اريد به الخاص اي الحيا عن فعل ما لا يرضاه
الله سبحانه متفق عليه وفي رواية الطبراني عن قرة الحيا هو الدين كله وعن ابي
مسعود هو عقبة بن عمرو الانصاري شهد العقبة روى عنه ابنه بشير وخلق سواه
قال ميرك وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما
ادرك الناس بالرفع نص الكاذروني على انه الرواية وفي بعض النسخ بالنصب اي وصل
اليهم وظفروا به ولحقوه من كلام النبوة من تبعيضية والمعنى ان من جملة احيا كلام
النبوة الاولى اي السابقة من الانبيا والرسل اضافه اليهم اعلاما بانه من نتائج الوحي
اذا لم تستحي بسكون الحاء وكسر اليا وحذف الثانية للجزم فاصنع ما شئت اي الرادع عما لا ينبغي

هو الحيا فاذا لم يكن صدر كلما لا ينبغي فالامر بمعنى الخبر والامر للتهديد وانشد
اذا لم تخش عاقبة الليالي ● ولم تستحي فاصنع ما تشا ● فلا والله ما في العيش خير ● ولا
الدنيا اذا ذهب الحيا ● قال الطيبي من في مما ابتدائية وهو خبر ان واسمه قوله اذا لم
تستحي على تاويل هذا القول حاصل مما ادرك الناس والراجع الى ما محذوف والناس فاعل
ادرك وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال المعنى ان مما بقي بين الناس وادركوه من
كلام الانبيا ويجوز ان يكون فاعل ادرك الضمير الراجع الى ما والناس مفعول له وعليه كلام
القاضي اي مما بلغ الناس من كلام الانبيا المتقدمين ان الحيا هو المانع عن اقتران
القبايح والاشتغال بمنهيات الشرع ومستهجنات العقل وقوله اذا لم تستحي الجملة الشرطية
اسم ان على الحكاية قال الخطابي قوله من كلام النبوة الاولى معناه اتفاق كلام الانبيا
عليهم الصلاة والسلام على استحسان الحيا فما من نبي الا وقد ندب اليه وبعث ولم ينسخ
فيما نسخ من شرايعهم ولم يبدل فيما بدل منها وذلك انه امر قد علم صوابه وبان فضله
واتفقت العقول على حسنه وما كان هذا صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل وفيه
النبوة بالاولى للارشاد الى اتفاق كلمة الانبيا عليهم السلام من اولهم الى اخرهم وفي شرح
السنة قوله فاصنع ما شيت فيه اقاويل احدها ان معناه الخبر وان كان لفظه لفظ الامر
كانه يقول اذا لم يمنعك الحيا فعلت ما شيت مما تدعوك اليه نفسك من القبيح والى هذا
المعنى ذهب ابو عبيد وثانيها ان معناه الوعيد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم اي اصنع ما شيت
فان الله مجازيك واليه ذهب ابو العباس وثالثها معناه ينبغي ان تنظر الى ما تريد ان
تفعله فان كان ذلك مما لا تستحي منه فافعله وان كان مما تستحي منه فدعه واليه ذهب
ابو اسحاق المروزي وروى هذا الحديث جرير عن منصور باسناده ثم قال جرير
معناه ان يريد الرجل ان يعمل الخير فيدعه حيا من الناس كانه يخاف مذهب الريا
وتقول فلا يمنعك الحيا من مضي ما اردت قال ابو عبيد وهو شبيه بالحديث الاخر اذا
جاءك الشيطان وانت تصلي فقال انك ترايي فزدها طولا قلت ويؤيد كلام الفضيل
ابن عياض ترك العمل لاجل الناس ريا والعمل لاجلهم شرك والاخلاص ان يخلصك الله
منهما واختار النووي ان صيغة الامر للاباحة اي اذا اردت ان تفعل شيا فان كان بحيث
لا تستحي من الله ومن الناس في فعله فافعله والا فلا وزبدة كلامه انك اذا لم تستحي
من صنيع مر فذلك دليل على جواز ارتكابه ثم قال وعلى هذا مدار الاسلام وتوجيهه
ان افعال الانسان اما ان يستحي منها ام لا فالاول يشمل الحرام والمكروه وتركهما المشروع
والثاني يشمل الواجب والمندوب والمباح وفعلهما مشروع في الاولين جائز في الثالث
فعلى هذا يتضمن الحديث الاحكام الخمسة وقال بعض العارفين التحقيق ان الحيا ينشا
من علم القلب بان الله رقيب عليه فيحافظ ظاهره وباطنه من مخالفة احكامه ويستقبح
ما صدر من هفواته ويتحمل انواع البلا في نظره نشيطا ولا يشتكي الى غيره فاذا ترقى عن

ذلك وتحقق ان الله اقرب الاشيا اليه بلا ريب استحيا من قربه فوق ما يستحي من رؤيته فيدعوه
ذلك الى محبته والخلوة معه مستوحشا من الاغيار مستلذا بروح انس الملك الغفار حتى
تطلع عليه طوالع انوار التوحيد وتلمع في سره بوارق اسرار التفريد فيستحي من شهود
مشهوده فانيا عن الخلق باقيا مع الحق قال العارف السهروردي الحيا اطراق الروح اجلالا
لعظيم الجلال ومن هذا القبيل حيا اسرافيل كما ورد انه يتستر بجناحه حيا من الله عز
وجل وحيا عثمان رضي الله عنه كما قال اني لا غتسل في البيت المظلم فانطوي حيا من الله
عز وجل قلت روى ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا الحيا من الايمان واحيا امتي عثمان رواه
البخاري وكذا رواه احمد وابو داود وابن ماجة عن ابن مسعود واحمد ايضا عن حذيفة وعن
النواس بن سمعان الواو وابن سمعان بكسر السين ويفتح كان من اصحاب الصفة قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم اي الطاعة والاثم اي المعصية فقال البر اي اعظم خصاله
والبر كله مجملا حسن الخلق اي مع الخلق بامر الحق او مداراة الخلق ومراعاة الحق قيل فسر
البر في الحديث بمعاني شتى ففسره بما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب وفسره
في موضع بالايمان وفي موضع بما يقربك الى الله وهنا بحسن الخلق وفسر حسن الخلق باحتمال
الاذى وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام وكلها متقاربة في المعنى ذكره الطيبي
وقال الترمذي البر هنا الصلة والتصدق والطاعة ويجمعها حسن الخلق وقال بعض
المحققين تلخيص الكلام في هذا المقام ان يقال البر اسم جامع لانواع الطاعات والاعمال
المقربات ومنه بر الوالدين وهو استرضاؤهما بكل ما امكن وقد قيل ان البر من خواص الانبيا
عليهم الصلاة والسلام اي كمال البر لا يستبعد ان يوجد في الامة من يوصف به
وقد اشار اليهما من اوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بقوله حسن الخلق لانه عبارة
عن حسن العشرة والصحبة مع الخلق بان يعرف انهم اسراء الاقدار وان كل ما لهم من الخلق
والخلق والرزق والاجل بمقدار فيحسن اليهم حسب الاقتدار فيامنون منه ويحبونه
بالاختيار قلت وقد اشار الشاطبي الى هذا المعنى بقوله ● وعد جميع الناس مولى لانهم ●
على ما قضاه الله يجرون افعلا ● هذا مع الخلق واما مع الخالق فبان يشتغل بجميع الفرايض
والنوافل وياتي بانواع الفضايل عالما بان كل ما اتى منه ناقص يحتاج الى العذر وكل ما صدر
من الحق يوجب الشكر قلت واليه الايماء في قول الشاطبي ● يرى نفسه بالذم
اولى لانها ● على المجد لم تلعق من الصبر والالا ● ثم يتخلق باخلاق الله بدوام الاعراض
عما سواه والاقبال عليه ودوام ذكره حتى يتحلى القلب بنور ذكره الذات فصار بحرا
موّاجا من سمات القرب وجرى في جدوال اخلاق النفس صفاء النعوت والصفات
وحينئذ يحصل نهاية التحقيق بعناية التوفيق والاثم ما حاك اي تردد وتحرك
واثر في صدرك وفي رواية الاربعين في نفسك بان لم ينشرح له وحصل في القلب منه الشك
والخوف من كونه ذنبا واقلقه ولم يطمئن اليه قال التوربشتي يريد ان الاثم ما كان في القلب

منه شي فلا ينشرح له الصدر وا لاقرب ان ذلك امر مبهم لمن شرح الله صدره للاسلام
دون عموم المومنين وقال شارح يعني الاثم ما تر قبحه في قلبك وتردد في قلبك
ولم ترد ان تظهره لكونه قبيحا وهو المعني بقوله وكرهت ان تطلع عليه الناس اي
اعيانهم وامائلهم اذ الجنس ينصرف الي الكامل وذلك لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس
علي خيرها فاذا كرهت الاطلاع علي بعض افعالها فهي غير ما تقرب به الي الله تعالى
او غير ما اذن الشرع فيه فعلم انه لا خير فيه ولا بر فهو اذن اثم وشر رواه مسلم وفي الجامع
الصغير البر حسن الخلق والحديث رواه البخاري في الادب المفرد ومسلم والترمذي
عن نواس ورواه احمد عن ابي ثعلبة بلفظ البر ما سكنت اليه النفس واطمان اليه القلب
والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمئن له القلب وان افتاك المفتون هذا وفي الاربعين
للامام النووي عن وابصة بن معبد الاسدي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جئت تسال عن البر فقلت نعم استفت قلبك البر ما اطمانت اليه النفس واطمان
اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وان افتاك الناس وافتوك حديث
حسن رويناه في مسندي الامامين احمد بن حنبل والدارمي باسناد حسن قال الطيبي
في شرح حديث المشكوة مراعاة المطابقة تقتضي ان يفسر حسن الخلق بما يقابل ما حاك في
الصدر وهو اطمانت اليه النفس والقلب كما في حديث وابصة فوضع موضعه حسن الخلق
ليؤذن ان حسن الخلق هو ما اطمانت اليه النفوس الشريفة الطاهرة من اوضار الذنوب
الباطنة والظاهرة وتبديل مساوي الاخلاق بمكارم الاخلاق من الصدق في المقال
والتلطف في الاحوال والافعال احسن معاملته مع الرحمن ومعاشرته مع الاخوان وصلة
الرحم والشجاعة اقول الاحسن في تحسين المقابلة بين القرينتين الحسنيين ان يقال
المراد بحسن الخلق مستحسن الطبع الجبلي الفطري عن التعلقات التقليدية والتقييدات
العرفية فان الانسان اذا خلي وطبعه الاصلي اختار الوجه الاحسن من العقائد
والاخلاق والافعال وسائر الاحوال كما حقق في حديث كل مولود يولد على الفطرة
وحاصل الجواب علي طريق الاستيعاب ان الامر لا يخلو اما ان يجزم العقل باستحسانه
او باستقباحه او يتردد فيما بينهما فالاول هو البر وما عداه الاثم وهذا تمهيد قاعدة
كلية تحتها مسائل جزئية فيما لم يعرف من الشرع حسنه وقبحه علي طريق اليقين في
العمليات وعلي سبيل الظن ايضا في العمليات والله اعلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من احبكم الي اي اكثركم محبة لي او اعظمكم
محبوبية عندي احسنكم اخلاقا اي شمائل مرضية مراعاة فيها حقوق الربوبية
والعبودية وقد رواه الحاكم عن العلاء بن كثير مرسلا ان محاسن الاخلاق مخزونة عند
الله تعالى فاذا احب الله عبدا منحه خلقا حسنا وفي رواية الطبراني في الاوسط عن ابي
هريرة ان هذه الاخلاق من الله تعالى فمن اراد الله به خيرا منحه خلقا حسنا ومن اراد

به سوءا منحه سيئا والظاهر ان من زائدة علي من ذهب الى جواز زيادتها في الكلام المثبت او المراد
احسنكم اخلاقا مع الخلق ويؤيده ما رواه الترمذي والحاكم عن عائشة ان من اكمل المومنين
ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله ويؤيد الاول ما في الجامع الصغير علي ما رواه الشيخان
والترمذي عن ابن عمرو بلفظ اخياركم احاسنكم اخلاقا رواه البخاري وعنه اي عن ابن عمرو
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من خياركم احاسنكم وفي نسخة صحيحة احسنكم اخلاقا
متفق عليه

الفصل الثاني

عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اعطي بصيغة المفعول حظه اي نصيبه من الرفق اي اللطف اعطي حظه من
خير الدنيا والاخرة ومن حرم علي بناء المفعول حظه بالنصب اي نصيبه من الرفق حرم حظه
من خير الدنيا والاخرة وهذا تصريح بما علم ضمنا للمبالغة والتاكيد في الحكم رواه في شرح
السنة ورواه احمد والترمذي عن ابي الدرداء لكن لفظه من الخير بدل من خير الدنيا والاخرة
فالحديثان متفقان في المعني لان المراد بالخير جنسه الشامل لنوعيه وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا من الايمان والايمان اي اهله في الجنة قال الطيبي
جعل اهل الايمان عين الايمان دلالة علي انهم تمكنوا منه وتمكنوا من بعض شعبه الذي
هو اعلي فرع منه كما جعل الايمان مقرا ومبوا لاهله في قوله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان لتمكنهم من الايمان واستقامتهم عليه والبذا بفتح الباء خلاف الحيا الناشي
منه الفحش في القول والسوء في الخلق من الجفا وهو خلاف البر الصادر الوفا والجفا اي اهله
التاركون للوفا الثابتون علي غلاظة الطبع وقساوة القلب في النار اما مدة او ابدا لانه
في مقابل الايمان الكامل او مطلقه فصاحبه اما من اهل الكفران او الكفر رواه احمد
والترمذي وكذا الحاكم والبيهقي عنه والبخاري في الادب المفرد وابن ماجه والحاكم
والبيهقي عن ابي بكرة الثقفي والطبراني عن عمران بن حصين وفي رواية لاحمد والترمذي
والحاكم عن ابي امامة الحيا والعي شعبتان من الايمان والبذا والبيان شعبتان من النفاق
وعن رجل من مزينة بالتصغير قبيلة معروفة وجهالة الصحابي لا يضر لانهم كلهم عدول
ومراسيلهم عند الكل مقبول قال قالوا اي بعض الاصحاب يا رسول الله ما خير ما اعطي الانسان
بالرفع اي اعطيه الانسان فالمفعول الثاني محذوف من الصلة وفي نسخة بالنصب فنائب
الفاعل ضمير راجع الي ما قال الخلق الحسن اي هو هذا رواه البيهقي في شعب الايمان
وفي شرح السنة عن اسامة بن شريك قال ميرك ظاهره ان البيهقي لم يرو الحديث عن ابي
اسامة لكن قال الشيخ الجزري رواه البيهقي في الشعب من حديث اسامة قلت وفي
الجامع خير ما اعطي الناس خلق حسن رواه احمد والنسائي وابن ماجه والحاكم عن اسامة
بن شريك وروي ابن ابي شيبة عن رجل من جهينة ولفظه خير ما اعطي الرجل المومن خلق
حسن وشر ما اعطي الرجل قلب سوء في صورة حسنة وقد روي البيهقي عن الحسن
مرسلا ثلاث خصال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيرا منه ورع يحجزه عن محارم الله

بقدم

عز وجل او حلم يرد به جهل جاهل او حسن خلق يتعيش به في الناس وذكر السيوطي عن الحسن عن الحسن
عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن وعن حارثة بن وهب قال المؤلف في فضل
الصحابة هو خزاعي اخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لامه روى عنه ابو اسحاق السبيعي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ بفتح جيم وتشديد واو وظاء معجمة
ولا الجعظري بفتح جيم وسكون عين مهملة وفتح ظاء معجمة فتحتية مشددة قال اي الراوي
والجواظ الغليظ الفظ بتشديد الظاء اي سيء الخلق قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب
فالاتيان بفسر الجعظري بغليظ القلب وكان غلظ القلب ايما الى سوء باطنه من الاحوال
والفظ اشارة الى قبح ظاهره من الافعال وذم الجواظ لظهوره واما الان مدار الحكم عليه
وانما التي بلا المرتبة اشارة الى الموصوف بكل من الخصلتين لا يدخل الجنة مطلقا ان كان
من المنافقين او لا يدخلها مع الفائزين ان كان من المومنين رواه ابو داود والبيهقي
في شعب الايمان قال الطيبي قوله الجواظ الغليظ الفظ كذا في سنن ابي داود والبيهقي
وفي النهاية وشرح التوربشتي وكلام القاضي الجواظ المختال وقيل الجموع المنوع وقيل
هو السمين وقيل الصياح المهذار والجعظري الفظ الغليظ وقيل القصير المنتفخ بما ليس عنده
وقيل العظيم الجسيم الاكول والمانع لمن شانه هذا ان يدخل الجنة حيث ما يدخلها الاخرون
عجبهم وسوء خلقهم وشرههم على الطعام وافراطهم في الكلام انتهى ولا تظهر ما قدمناه
من ان المراد غليظ القلب سيء الخلق وسببه ما روى الخطيب عن عائشة مرفوعا ان لكل
شيء توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا وقع في شر منه وصاحب جامع
الاصول اي رواه ايضا فيه اي في الجامع عن حارثة وكذا في شرح السنة عنه اي مروي عن
حارثة ولفظه اي ولفظ ما في شرح السنة او لفظ صاحب شرح او لفظ حارثة في الشرح
قال لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري اي من غير عاطفة وزيادة لا ولعله عد الموصوفان
واحدا لكمال الاتحاد بين الوصفين والمراد الجامع بينهما فهو الفرد الكامل في القبح وفي
نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب اي في بعضها والا ففي اكثرها عن حارثة بن وهب ولفظه
اي لفظ المصابيح وفيه بحذف الجواظ الذي جمع اي مالا مما لا يجوز ومنع اي منعه من الصرف
فيما يجب عليه والجعظري الغليظ الفظ قال الطيبي اشار المؤلف بهذا ان راوي الحديث
في الاصول المذكورة هو حارثة بن وهب وهو صحابي وفي نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب
وقد قال الشيخ التوربشتي لم يذكره احد في الصحابة فالحديث مرسل حينئذ اي ان صح
كونه تابعيا وكذا قوله الذي جمع مالا ومنع ليس في الاصول وقد ابتنا في حواشي المصابيح
فالحق بالمتن وكذا قوله الغليظ في المصابيح تفسير للجعظري وفي الاصول تفسير للجواظ
ثم كلامه وفي الجامع برواية الطبراني عن ابي الدرداء الا اخبرك باهل النار كل جعظري
جواظ مستكبر جماع منوع الا اخبرك باهل الجنة كل مسكين لو اقسم على الله لابره وعن ابي
الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اثقل شيء يوضع اي ثوابه او صحيفته او عينه

المجسد في ميزان المومن يوم القيامة خلق حسن فانه تعالى يحبه ويرضى عن صاحبه وان
الله يبغض الفاحش اي لفحشه اي ... والفحش ايضا البذي فعيل من البذا وهو صفة
الحيي ذكره شارح وهو المناسب للمقام وفي الغريبين رجل بذي اي فاحش سيء الخلق انتهى
ومن المقرر ان كل ما يكون مبغوضا لله ليس له وزن وقدر كما ان كل ما يكون محبوبا له يكون عنده عظيما
... ومعتبرا قال تعالى في حق الكفار ولا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وفي الحديث
المشهور كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان
الله وبحمده سبحان الله العظيم وبهذا تمت المقابلة بين القرينتين هذا وقال الطيبي
اوقع قوله وان الله يبغض الفاحش البذي هنا بلا القوله ان اثقل شيء يوضع في الميزان
دلالة على ان اخف ما يوضع في الميزان هو سوء الخلق وان احسن الخلق احب الاشياء عند الله
والخلق السيء ابغضها واوانه الفحش والبذاءة اسوء شيء في مساوي الاخلاق رواه
اي الحديث بكماله الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروى ابو داود الفصل الاول
اي القرينة الاولى دون الثانية وقد روى احمد عن اسامة بن زيد ان الله يبغض
الفاحش المتفحش وروى الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه ان الله يبغض
المعبس في وجوه اخوانه وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان المومن اي الكامل والعالم العامل ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل اي في الطاعة
وصائم النهار قال الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي
هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى وقال ايضا هو ارضاء الخلق في السراء
والضراء وقال سهل ادنى حسن الخلق الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار
له والشفقة عليه رواه ابو داود وفي الجامع بلفظ درجة القائم الصائم رواه ابو داود وابن
ماجه وابن حبان في صحيحه وعن ابي ذر الغفاري رابع الاسلام او خامسه زاد النووي في اربعينه
ومعاذ بن جبل قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مخصصا لي بخطابه وهو لا ينافي
التعدد لاحتمال اختلاف المجلس مع انه غير مذكور في الاربعين اتق الله اي با لاتيان بجميع
الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات فان التقوى اساس الدين وبه يرتقى الى مراتب اليقين
ثم التحقيق ان التقوى ادناها التبري عن الشرك واعلاها الاعراض عما سواه وما
بينهما مراتب بعضها فوق بعض من ترك المحظور ثم المكروه ثم المباح مما لا يعني ولله در من قال
من اهل الحال

من عرف الله فلم تغنه ◌ معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغني ◌ فالعز كل العز للمتقي

حيث ما كنت اي في الخلاء والملاء وفي النعماء والبلاء فان الله عالم بسرك كما انه مطلع
على ظواهرك فعليك برعاية دقائق الادب في حفظ اوامره ومراضيه والاحتراز عن مساخطه
ومساويه وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر الم انك المراصل المراصم لم افعل كذا

فاجيب بلى يا عدو الله ولكن اذا اخلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه واتبع امر من باب الافعال
ومتعد الى مفعولين السيئة الحسنة اي التوبة والطاعة او بان تباشر حسنات تضاد
اثارها تلك السيئات قال الطيبي فسماع الملاهي يكفر بسماع القرآن وبمجالس الذكر والوعظ
عن المناهي وشرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال وعلى هذا فقس لان المرض يعالج
بضده والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي ان يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن
لكي يضادها فالبياض يزال بالسواد لا بغيره وحب الدنيا لان اثر السرور بها في القلب فلا جرم
كفارته كل اذى يصيب المسلم الهم والغم انتهى ولا خفاء انه لا يظهر حسن المقابلة
بين حب الدنيا وما ذكره من المثال لان الهم والغم ليسا من الامور الاختيارية
المراد بها في الحديث على ما هو ظاهر من قوله اتبع فالصواب ان مقابلة حب الدنيا بضدها
وهو بغضها بان يتصدق ولو ببعضها على ان هذه المناسبات غير لازمة في محو السيئات
لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات فقد وردت الاية فيمن قبل امراة ثم صلى معه
صلى الله عليه وسلم والله اعلم تمحها اي تدفع السيئة الحسنة والحسنة ترفعها والاسناد مجازي
والمعنى يمحو الله بها اثارها من القلب او من ديوان الحفظة هذا اذا كانت بينه وبين
الله تعالى فان تعلقت بالعبد فتدفع الحسنة الى خصمه عوضا عن المظلمة او يرضيه
الله من فضله حكي عن بعضهم انه رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي
واحسن الي الا انه حاسبني حتى طالبني بيوم كنت صائما فلما كان وقت الافطار اخذت
حنطة من حانوت صديق لي فكسرتها فذكرت انها ليست لي فالقيتها على حنطته والحديث
فاخذ من حسناتي مقدار ارش كسرها قال التوربشتي صغاير الذنوب تقع مكفرة بالحسنات
وكذا ما خفي من الكبائر لعموم قوله تعالى نكفر عنكم سيئاتكم والحديث واما ما ظهر منها
وتحقق عند الحاكم فلا يسقط حدها الا بالتوبة ولما وصالا كما يتعلق بحقوقه تعالى
واصلاح نفسه ذكر ما يتعلق بحقوق العباد فقال وخالق الناس امر من المخالقة ماخوذ
من الخلق مع الخلق اي خالطهم وعاملهم بخلق حسن وهو بسط المحيا وبذل الندى
وتحمل الاذى رواه احمد والترمذي والدارمي وفي الاربعين رواه الترمذي وقال حديث
حسن وفي بعض النسخ حسن صحيح انتهى كلامه وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم
والبيهقي عن ابي ذر واحمد والترمذي والبيهقي عن معاذ وابن عساكر عن انس وعن
عبد الله بن مسعود قال الا اخبركم بمن يحرم بضم الراء على النار اي يمنع منها وبمن تحرم
النار عليه زيادة توكيد والا فالمعنيان متلازمان ولما كان مالهما واحدا اكتفى بالجواب
عن الاول لانه المعول والثاني مؤكد مجمل فقال قيل فقالوا بلى على كل هين لين بتشديد
التحتية فيهما اي تحرم على كل سهل طلق حليم لين الجانب قيل هما يطلقان على الانسان
بالتشديد وعن ابن الاعرابي بالتخفيف للمدح وبالتشديد للذم ذكره ابن الملك ثم قوله
هين فيعل من الهون وهو السكون والوقار والسهولة فعينه واو فابدلت وادغمت واما

اللين

اللين فيائي قريب اي من الناس بمجالستهم في محافل الطاعة وملاطفتهم بقدر الطاقة
سهل اي في قضاء حوائجهم او معناه انه سمح القضاء سمح الاقتضاء سمح البيع سمح
الشراء على ما ورد في فضل المؤمن الكامل هذا وقال الطيبي قوله على كل هين لين هذا
جواب عن السؤالين والجواب الظاهر عنهما كل هين لين ثم في الدرجة الثانية ان يقال
عن الاول يحرم على النار كل هين لين وعلى الثاني يحرم النار على كل هين لين فاتى بجواب
موجز يدل عليهما بالتفصيل ولو اتى به كما يقتضيه الظاهر وهو قوله كل هين لين لم يدل
على التفصيل انتهى وهو غريب منه فان دلالة ما يقتضيه الظاهر على التفصيل
اظهر من دلالة الجواب الموجز عنده عليه كما يظهر بادنى تامل فان تقديره حينئذ هو كل
هين لين ويكون مرجع الضمير ما ذكر من الوصفين وهو من يحرم على النار ومن تحرم
النار عليه بل لو حققت النظر ودققت التامل لوجدت ان جوابه الموجز على زعمه لا دلالة
له على التفصيل اصلا بل دلالته اجمالية كما قدمنا هو فيقال انه من باب الاكتفا كقوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فكذلك ههنا يقدر وعلى كل هين لين مع ان القرينة
الثانية زائدة من بعض الرواة لاجل المبالغة ويؤيده ما في الجامع بلفظ الا اخبركم
بمن يحرم عليه النار غدا على كل هين لين قريب سهل والله اعلم رواه احمد والترمذي
وقال هذا حديث حسن غريب وفي الجامع رواه ابو يعلى في مسنده عن جابر والترمذي والطبراني
عن ابن مسعود وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن اي البار غر بكسر
الغين المعجمة وتشديد الراء كريم اي موصوف بالوصفين اي له الاغترار لكرمه وله المسامحة
في حظوظ الدنيا لا للجهالة والفاجر خب بفتح خاء معجمة وتشديد موحدة اي خداع لئيم
اي موصوف بخبل اللجوج سيء الخلق وفي كل منهما الوصف الثاني سبب للاول وهو نتيجة
الثاني فتامل فكلاهما من باب التذييل والتكميل وفي النهاية اي ليس بذي مكر فهو ينخدع
لانقياده ولينه وهو ضد الخب يريد ان المؤمن المحمود من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر
وترك البحث عنه وليس ذلك منه جهلا ولكنه كرم وحسن خلق والفاجر من عادته الخبث لا على
انه عقل منه بل خبث ولوم انتهى قال الفرزدق ۞ ان الكريم اذا خادعته انخدعا ۞
وقيل هم الذين لم يجربوا الامور فهم قليل الشر منقادون فان من اثر الخمول واصلاح
نفسه والتزود لمعاده ونبذ امور الدنيا فليس غرا فيما قصده ولا مذموما بنوع من
الذم قال الطيبي والاول هو الوجه لما سبق في قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين ولان المؤمن قد ينخدع في مقام اللين والتعطف مع الاغبياء وروي ان ابن
عمر رضي الله عنهما كلما صلى عبد له اعتقه فقيل له فقال من خادعنا بالله انخدعنا قلت
ومن ذلك انخداع ادم وحوا بكلام ابليس حيث قاسمهما اني لكما لمن الناصحين قال ولفظ
الحديث ايضا يساعده لانه صلى الله عليه وسلم لما وصفه بالغر غير كامل كمله بقوله
كريم لئلا يتوهم فيه ذلك نقصا والخب بالفتح الخداع وهو الجربز الذي يسعى بين الناس

بالفساد يقال رجل جب وقد يكسر خاوه واما المصدر فبالكسر لا غير انتهى فالكسر يحتمل وجهين
فتأمل رواه احمد والترمذي وابو داود والحاكم ورواه البيهقي عن ابي هريرة بلفظ المؤمن
هين لين حتى تخاله من اللين احمق وعن مكحول تابعي جليل قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون بالتشديد ويخففان ففي النهاية هما تخفيف
الهين واللين انتهى وكانه اعتمد على كلام ابن الاعرابي وقد سبق انه ضعيف خلاف الاصل
فلا يثبت الا بثبت فالجزم به غير تثبت وفي الفائق والمحذوفة من ياء هين ولين
الاولى وقيل الثانية قلت الثانية اولى من الاولى للاحتياج عندها للتخفيف
ولئلا يحتاج الى تخفيف آخر فتدبر كالجمل الانف بفتح الهمزة ويمد وكسر النون ففي
القاموس انف البعير كفرح اشتكى انفه من البرة فهو انف ككتف وصاحب والاول
اصح وافصح وقال شارح المصابيح فيه خطأ وهو يحتمل انه اراد رواية او دراية وفي
النهاية الانف بمعنى المأنوف وهو الذي عقر الخشاش انفه فهو لا يمتنع على قائده
للوجع الذي به وقيل الانف الذلول يقال انف البعير فهو انف اذا اشتكى انفه من
الخشاش وكان الاصل ان يقال مأنوف لانه مفعول به كما يقال مصدور ومبطون
للذي يشتكي صدره وبطنه وانما جاء هذا شاذا ويروى كالجمل الآنف بالمد وهو بمعناه
الجوهري الخشاش بالكسر خشب يدخل في انف البعير ثم الكاف مرفوعة المحل على انها
خبر ثالث والمعنى ان كل واحد منهم كالجمل الانف ويجوز ان ينصب محلها على انها صفة
لمصدر محذوف تقديره لينون لينا مثل لين الجمل الانف ذكره الطيبي والثاني اظهر
والاول ادق وبالاعتبار احق لا يحتاج الى تقدير كل واحد بل المعنى ان المؤمنين من كمال
انقيادهم واجتماعهم في سبيل رضا مولاهم مثل الجمل الواحد المأنوف فالحمل صحيح
مع افادة المبالغة كما ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى راسه اشتكى كله وان اشتكى
عينه اشتكى كله رواه احمد ومسلم عن النعمان بن بشير او المراد بالجمل الجنس فيستفاد منه
معنى الجمعية فلا اشكال ان قيد مجهول قاده جره وقوله انقاد مطاوع له اي طاوعه
واستصحب معه وان انيخ مجهول اناخ البعير اذا تركه ومنه حديث منى مناخ من سبق
على صخرة اي فرضا او مثلا استناخ في شرح السنة معنى الحديث ان المؤمن شديد الانقياد
للشارع في اوامره ونواهيه وفي قوله ان انيخ على صخرة استناخ ايذان بكثرة تحمل المشاق
لان الاناخة على الصخرة شاقة رواه الترمذي مرسلا وفي الجامع رواه ابن المبارك عن مكحول
والبيهقي عن ابن عمر اي متصلا مرفوعا وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم
الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم ففيه فضيلة
الخلطة على العزلة وذلك مما يختلف باختلاف الازمنة والامكنة واهلها مع الشروط
المعتبرة في آداب الصحبة ففي الاحياء اختلفوا في المخالطة والعزلة وتفضيل احدهما على
الاخرى فقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان للتالف والتحبب

الي

الى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاونا على البر والتقوى وروي عن علي رضي الله عنه
انه قال عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم وهذا الحديث ادل على المخالطة ومال اكثر العباد والزهاد
الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة ومال اكثر العباد والزهاد الى اختيار العزلة
وتفضيلها على المخالطة وعليه الفضيل واحمد بن حنبل وغيرهم قال عمر رضي الله عنه
خذوا بحظكم من العزلة وقال فضيل كفى بالله محبا وبالقران مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ
الله صاحبا ودع الناس جانبا واوصى داود الطائي ابا الربيع فقال صم من الدنيا واجعل
فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الاسد وقال وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء
تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة الناس ودخل على حاتم الاصم بعض الامراء
فقال الك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقال ابن عباس افضل المجالس مجلس في قعر
بيتك لا ترى ولا ترى وقيل آداب العزلة اربعة ان ينوي بها كف شره او لا ثم السلامة
من الشر ثانيا ثم الخلاص من الاخلال بالحقوق ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة للعبادة رابعا انتهى
والمختار هو التوسط بين العزلة عن اكثر الناس وعوامهم والخلطة بالصالحين منهم
وخواصهم والاجتماع مع عامتهم في نحو جمعتهم وجماعتهم بعد حصول العلم المحتاج الى العمل
ووصول الزهد الموجب لقطع الطمع عن الخلق ولذا قال بعض العارفين العزلة بغير عين
العلم زلة وبغير زاي الزهد علة وهذا طريق الكمل من الصوفية كالنقشبندية والشاذلية
والبكرية فهم كائنون بائنون قريبون غريبون فرشيون عرشيون كما قيل كن وسطا وامش جانبا رواه
الترمذي وابن ماجه وفي الجامع بلفظ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم
افضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم رواه احمد والبخاري في الادب
المفرد والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر وعن سهل بن معاذ اي ابن انس كما في المعالم عن ابيه
المتبادر ان معاذ هو ابن جبل لانه المشهور بين الصحابة الا انه في هذا المقام معاذ بن انس
بقرينة قوله سهل بن معاذ فانه ولد معاذ بن انس فقد قال المؤلف في اسماء رجاله
هو معاذ بن انس الجهني معدود في اهل مصر وحديثه عندهم روى عنه ابنه سهل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا اي اجترع غضبا كامنا فيه وهو يقدر على
ان ينفذه بتشديد الفاء اي يمضيه وفي رواية على انفاذه فيجوز تخفيف الفاء والجملة
حالية وجواب الشرط دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة اي شهره بين الناس واثنى
عليه ويباهي به ويقال في حقه هذا الذي صدرت منه هذه الخصلة العظيمة حتى يخيره
اي يجعله مخيرا في اي الحور شاء اي في اخذ ايهن شاء وهو كناية عن ادخاله الجنة المنيفة
وايصاله الى الدرجة الرفيعة وفي النهاية كظم الغيظ تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه
قال الطيبي وانما حمد الكظم لانه قهر النفس الامارة بالسوء ولذلك مدحهم تعالى بقوله
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ومن نهى النفس عن هواه فان الجنة ماواه والحور

العين جزاء قلت وهذا الثنا الجميل والجزاء الجزيل اذا ترتب على هجر كظم الغيظ
فكيف اذا ينضم العفو اليه او زاد بالاحسان عليه قال النووي الاحسان ان تحسن
الى المسيء فان الاحسان الى المحسن متاجرة وفي البيضاوي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت انتهى وقد
ذكره الثعلبي عن مقاتل بن حيان قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
هؤلاء اراه ولعله ماخوذ من قوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات
النعيم ثلة من الاولين وقليل من الاخرين رواه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
هذا حديث غريب وكذا رواه احمد في مسنده وفي رواية لابي داود عن سويد بن وهب
ذكره المؤلف في التابعين وقال هو شيخ لابن عجلان عن رجل من ابناء اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان يكون الابن ايضا صحابيا وان يكون تابعيا
قال ابن حجر الجزاء التابعي مع محافظة الابهام على شرطه عن ابيه اي الصحابي ويحتمل ان يكون
الابن صحابيا الا قوله ان ينفذه فان اصول هذا الحديث اتفقت على تبديله بقوله
على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وفي الجامع رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن ابي هريرة
وذكر حديث سويد اي ابن وهب باسناده المذكور من ترك لبس ثوب جمال اي وهو يقدر عليه
كساه الله حلة الكرامة في كتاب اللباس وهو يحتمل ان يكون عن تكبر او سقطه وان
يكون حوله من هنا الى ذلك الباب لمناسبته الى ذلك لكننا ما والله اعلم الفصل الثالث
عن زيد بن طلحة تابعي روى عنه سلمة بن صفوان الزرقي اخرج حديثه مالك في
الحياء ذكره المؤلف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل دين خلقا اي مختصا
به او غالبا فيه وخلق الاسلام الحياء اي فيما شرع فيه الحياء بخلاف ما لم يشرع فيه كتعليم العلم
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالحق والقيام به واداء الشهادة على وجهها
كذا ذكره السيوطي وفيه ان ارتكاب المذكورات لا تخلو عن الحياء عن الحق وعدم الالتفات الى
الخلق على ما سبق تحقيقه وحقق طريقه فالحكم على عمومه من استعمال الحياء عن الله في
جميع الاحكام بان يستحيي من فعل الاثام ومن ترك شعب الاسلام بل ولا عبرة بالحياء من الانام
لا فعلا ولا تركا عند علماء الاعلام وفي النهاية الخلق الدين والطبع والسجية قلت المراد
هنا السجية اي بمعنى الخصلة اي لكل دين سجية شرعت فيه وخص اهل ذلك الدين عليها
قال الطيبي والمعنى ان الغالب على اهل دين سجية سوى الحياء والغالب على اهل ديننا
الحياء لانه متمم لمكارم الاخلاق وانما بعث صلى الله عليه وسلم لاتمامها وقال يوما لاصحابه
استحيوا من الله حق الحياء الحديث قلت الظاهر ان المعنى ان الغالب على اهل كل دين سجية
سوى الحياء فانه مختصة بالغلبة لنا مع اشتراكنا لجميع الملل في سائر السجيات لقوله
عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق بل الاظهر ان الاخلاق كلها كانت ناقصة في
قبلنا وانما كملت في ديننا ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم ولذا قال تعالى كنتم خير

امة

امة اخرجت للناس الاية رواه مالك اي عن زيد بن طلحة مرسلا لانه تابعي ورواه
ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان عن انس وابن عباس اي مرفوعا لا موقوفا كما
يتوهم من الاطلاق ثم ظاهره ان كلا منهما يروي عن كليهما ويحتمل ان يكون على طريق
اللف والنشر والله اعلم ثم رايت في الجامع الصغير اسنده الى ابن ماجه بروايته عنهما فدل
على ان البيهقي كذلك وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحياء والايمان
قرنا جمع قرين قال الطيبي فيه دليل لمن يقول اقل الجمع اثنان انتهى وفي نسخة
قرنا بالماضي المثنى المجهول اي جعلا مقرونين جميعا اي مجتمعين وهو تاكيد في المعنى
فاذا رفع احدهما رفع الاخر وفي رواية ابن عباس فاذا سلب احدهما تبعه الاخر رواه
البيهقي في شعب الايمان ورواه الحاكم وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر ورواه الطبراني
في الاوسط عن ابن عباس لكن لفظه الحياء والايمان في قرن فاذا سلب احدهما تبعه
الاخر وفي رواية له ايضا عن ابي موسى بلفظ الحياء والايمان مقرونان لا يفترقان الا جميعا
وعن معاذ اي ابن جبل قال كان اخر ما وصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حالة
توجهي الى اليمن بامره حين وضعت رجلي في الغرز بغين معجمة مفتوحة فسكون زاي فزاي
اي في موضع الركاب من رحل البعير كالركاب للسرج قاله الباجي وفي النهاية الغرز
ركاب كور الجمل اذا كان من جلد او خشب وقيل هو الكور مطلقا كالركاب للسرج ان قال
يا معاذ احسن خلقك للناس قال الطيبي ان قال خبر كان وحين وضعت ظرف قال له
حين بعثه الى اليمن للقضاء وصاه ليعامل الناس بحسن الخلق قال السيوطي تحسين خلقه
ان يظهر لمن يجالسه او ورد عليه البشر والحلم والاشفاق والصبر على التعليم والتودد
الى الصغير والكبير والمراد بالناس من يستحق ذلك فاما اهل الكفر والاصرار على الكبائر
والتمادي على الظلم فلا يؤمر بتحسين الخلق لهم بل يؤمر بان يغلظ عليهم قلت قد
يقال ان الرفق من جملة حسن الخلق فيمكن ان يعم جميع الخلق قال تعالى ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة الاية رواه مالك وعن مالك بلغه بتخفيف اللام وضمير
المفعول اليه والفاعل قوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحتمل ان يكون متصلا
عند مالك لكنه لم يذكر التابعي ولا الصحابي وان يكون منقطعا بان فيه راويان وهذا
هو الظاهر والا لذكر الصحابي فكان مرفوعا او ذكر التابعي فكان مرسلا وقال الطيبي
هذا يحتمل ان يكون متصلا وراوي مالك لم يذكر الاتصال وان يكون مرسلا وان لم يذكر
مالك التابعي ولا الصحابي وقيل انه منقطع قلت هذا كله احتمال لا انه عقلية وكونه
منقطعا هو الموافق للقواعد الحديثية اذ لا يقال في غيره انه بلغه بل التحقيق انه
من قبيل المعلق وفيه بحث طويل بينته في شرح شرح النخبة في اصول الحديث قال
بعثت بصيغة المجهول اي ارسلت الى الخلق لاتمم حسن الاخلاق بضم حاء وسكون سين اي
الاخلاق الحسنة والافعال المستحسنة وفي نسخة بفتحتين اي لان اجعل حسنها احسنها

قال الباجي كانت العرب احسن اخلاقا بما بقي عندهم من شريعة ابراهيم عليه السلام وكانوا ضلوا بالكفر عن كثير منها فبعث صلى الله عليه وسلم ليتمم محاسن الاخلاق ذكره السيوطي والتحقيق ما قدمناه فيما سبق وقال الطيبي قوله لاتمم اه يحتمل ان يراد به انه كملها بعد النقصان وانه جمعها بعد التفرقة وعليه قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قال الامام فخر الدين الاية دالة على فضله صلوات وسلامه عليه وعلى سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه تعالى امره بالاقتدا بهديهم ولا بد له من امتثاله لذلك الامر فوجب ان يجتمع فيه جميع خصالهم واخلاقهم المتفرقة والى معنى الاول اشار صلى الله عليه وسلم بقوله مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر احسن بنيانه وترك موضع لبنة منه الى قوله فكنت انا سددت موضع تلك اللبنة حتى تم بي البنيان ولا منع من الجمع بين القولين لانه صلى الله عليه وسلم كان في مرتبة جمع الجمع الله يجمع بيننا في المسير واليه المصير رواه اي مالك في الموطا وتقدم ما فيه من المناقشة اذ يصير التقدير رواه مالك عن مالك فكان حق المؤلف ان يقول كذا في الموطا ورواه احمد عن ابي هريرة اي مرفوعا وفي الجامع انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق ورواه ابن سعد والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي في شعبه عن ابي هريرة وعن جعفر اي الصادق بن محمد اي الباقر عن ابيه تابعي ادرك جابرا وبلغه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اي الى وجهه الشريف في المراة بكسر الميم قال الحمد لله الذي حسن بتشديد السين اي احسن خلقي وخلقي بفتح الاول وضم الثاني وقدم الاول لظهوره اولا ونظرا الى الترقي وزان اي زين مني اي من خلقي وخلقي ما شان اي عابه وقبحه من غيري سواء في خلقه او خلقه وفيه دلالة صريحة على ان صورته وسيرته على اتم الحسن بالنسبة الى غيره قال الطيبي فيه معنى قوله بعثت لاتمم حسن الاخلاق فجعل النقصان شينا كما قال ابو الطيب

ولم ار في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

وعلى نحو هذا الحمد حمد داود وسليمان عليهما السلام في قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وفيه استحباب النظر في المراة والحمد على حسن الخلقة والخلق لانهما نعمتان موهوبتان من الله تعالى يجب الشكر عليهما انتهى بقي ان معرفة حسن الظاهر من المراة ظاهرة باعتبار المظاهر فما معنى ذكر الخلق والسيرة فانه امر باطن ويمكن ان يقال ان الظاهر عنوان الباطن او انه من باب النبي بالشي يذكر فان قلت فهل لغيره ان يقتدي به ويقول هذا الحمد او هذا مختص به صلى الله عليه ويكون لغيره ان يدعو بما سياتي في الحديث الذي يليه قلت يجوز للمؤمن ان يقول ذلك القول لان الانسان من حيث هو خلق على احسن تقويم وصاحب الايمان لا شك انه على خلق مستقيم ودين قويم وفوق كل ذي علم عليم رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلا وكذا رواه البزار عن انس مرفوعا ولفظه الحمد لله الذي

سوى خلقي واحسن صورتي وزان مني ما شان من غيري وفي رواية الطبراني وابن السني عن انس ايضا الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وصور صورة وجهي فاحسنها وجعلني من المسلمين وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي مطلقا او عند نظره الى المراة على ما صرح به الجزري في الحصن وهو اللائق للحديث السابق اللهم كما حسنت خلقي فاحسن خلقي يحتمل ان يريد به طلب الكمال واتمام النعمة عليه باكمال دينه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي وفيه اشارة الى قول عائشة رضي الله عنها كان خلقه القران وان يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان فطلب الثبات على ما كان بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كتحصيل الحاصل الذي لا يرضى به الكامل فالتحقيق انه لطلب المزيد كما يفيده قوله تعالى وقل رب زدني علما وقد صرح بعض العارفين بان الترقيات الباطنة لا تتناهى حتى في الجنة لانها حاصلة من التجليات الالهية وهي لا تحصى ولعل في قوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة ايماء الى هذه الفائدة رواه احمد وكذا رواه الدارمي عن عائشة وابن حبان عن ابن مسعود ولفظهما اللهم انت حسنت خلقي فحسن خلقي رواه البزار عن عائشة وابي هريرة ايضا بلفظ اللهم كما حسنت خلقي فاحسن خلقي وحرم وجهي على النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخياركم قالوا بلى قال خياركم اطولكم اعمارا اي في الكمية او الكيفية واحسنكم اخلاقا اي الهيئة والنسائية وعبر عن الاعمال بالاخلاق لانها منبعها ومعدنها ولان مدارها في الحسن والقبح عليها لقوله عليه السلام على ما رواه الطبراني وابو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بشر مرفوعا طوبى لمن طال عمره وحسن عمله قال الطيبي فيه اشارة الى ما قال صلى الله عليه وسلم في جواب من سال اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله فقوله واحسنكم اخلاقا كقوله وحسن عمله في ارادة الجمع بين طول العمر وحسن الخلق رواه احمد وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا رواه ابو داود والدارمي وكذا احمد وابن حبان والحاكم وزاد الترمذي وابن حبان في رواية وخياركم خياركم لنسائهم وعنه اي عن ابي هريرة ان رجلا شتم ابا بكر والنبي صلى الله عليه وسلم جالس جملة حالية يتعجب اي من شتم الرجل وقلة حيائه ومن صبر ابي بكر وكثرة وفائه ويتبسم لما يرى من الفرق بين الشخصين وما يترتب على فعلهما من العقوبة الكاملة والرحمة النازلة ولما يظهر له من مظاهر الجلال والجمال على ما هو مشهود اهل الكمال فلما اكثر اي الرجل في شتمه له رد اي اجاب ابو بكر عليه اي على الرجل بعض قوله عملا بالرخصة المجوزة للعوام وتركا للعزيمة المناسبة لمرتبة الخواص قال تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله وقال عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وهو رضي الله عنه وان كان جمع بين الانتقام عن بعض حقه وبين الصبر عن بعضه

لكن لما كان المطلوب منه الكمال المناسب لمرتبته من الصديقية ما استحسنه صلى الله عليه وسلم وهذا معنى قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم اي تغير منه تغيرا لغضبان وقام اي من ذلك المجلس وخلاهما عملا بقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه فلحقه ابو بكر اي معتذرا ومستفهما وقال يا رسول الله كان الرجل يشتمني يعني الناويكر وانت جالس فلما رددت عليه بعض قوله اي من الشتم بعينه او بما يناسبه غضبت وقمت يعني فما الحكمة في ذلك قال كان معك ملك يرد عليه اي بذلك ويدلك على الصبر فلما رددت عليه اي بذاتك ودخل فيه حظ النفس وقع الشيطان اي وطلع الملك والشيطان انما يامر بالفحشاء والمنكر فخفت عليك ان تتعدى على خصمك وترجع ظالما بعد ان كنت مظلوما وقد روي كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم وفي رواية كن خير ابني ادم قال تعالى حكاية عنها بين جوابا لقابيل لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك مع انه كان يجوز له قتله دفعا عن نفسه وكان اقوى منه لكن اختار الطريق الاكمل فريق الكمال ثم قال يا ابا بكر ثلاث اي خصال كلهن حق اي ثابت وصدق ما من عبد ظلم بصيغة المجهول بمظلمة بكسر اللام على المشهور وقيل بفتحها ايضا انكره بعض وحكي الفراء الضم ايضا وفي المغرب المظلمة الظلم واسم الماخوذ وفي القاموس الظلم وضع الشيء في غير موضعه والمظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل فيغضي من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين وهو ادناء الجفون بمعنى الاغماض والمراد منه هنا الاعراض وفي نسخة فيعفو بالعين المهملة والفاء من الاعفاء وهو لغة في العفو والمعنى فيسامح عنها اي عن تلك المظلمة ويترك جوابها والمطالبة بها في الدنيا ومطلقا لله عز وجل اي لا لعجز ولا لسمعة ورياء الا اعز الله بها اي بمقابلة تلك المظلمة والاهانة او بسبب تلك الخصلة المعافية نصره اي اعانه في الدنيا والاخرة وما فتح رجل باب عطية اي صدقة يريد بها صلة اي للرحم والقرابة او وصلة للقربة وفي رواية باب عطية بصدقة او صلة الا زاد الله بها كثرة اي بركة صورية او معنوية وما فتح رجل باب مسئلة اي سؤال عن مخلوق يريد بها كثرة اي لا دفع حاجة ضرورية ملجئة الا زاد الله بها قلة اي حسية او حقيقية وفي رواية الا زاد الله تعالى في الموضعين رواه احمد ورواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف ولفظه ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله تعالى بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر رواه احمد والترمذي عن ابي كبشة الانماري ولفظ ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عز وجل عزا ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر واحدثكم فاحفظوه انما الدنيا لاربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم

يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يريد الله باهل بيت رفقا الا نفعهم اي الله به ولا يحرمهم بفتح اوله وقيل بضمه ولا يمنع اهل بيت اياه اي الرفق الا ضرهم اي اضرهم الله به رواه البيهقي في شعب الايمان

باب الغضب والكبر

قال بعض المحققين الغضب فوران دم القلب او عرض يتبعه ذلك لدفع المؤذيات قبل وقوعها وللانتقام بعد وقوعها فاطلاقه على الله كما في حديث رواه الترمذي وغيره من لم يسأل الله يغضب عليه مجاز اي يفعل به ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده من الانتقام وانزال العقوبة واما الكبر فقال الراغب هو الحالة التي يتخصص بها الانسان من اعجاب لنفسه بان يرى نفسه اكبر من غيره واعظمه والامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى والاذعان للعبادة والاستكبار على وجهين احدهما ان يتحرى الانسان ان يصير كبيرا وذلك متى ما كان على ما يجب فهو المحمود والثاني ان يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم كقوله ابى واستكبر والمتكبر ايضا على وجهين اما محمود وهو ان يكون افعاله الحسنة كثيرة زائدة في الحقيقة على محاسن غيره وعلى هذا وصف الله بالمتكبر في قوله تعالى العزيز الجبار المتكبر او مذموم وذلك اذا كان متكلفا متشبعا لذلك وهذا وصف عامة الناس كقوله تعالى فبئس مثوى المتكبرين وقال الغزالي الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن فاذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر فالاصل هو الخلق في النفس وهو الاسترواح والركون الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ليرى تفوقه في صفات الكمال ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب فان العجب لا يستدعي غير المعجب به بل لو لم يخلق الا وحده يتصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا

الفصل الاول

عن ابي هريرة ان رجلا هو ابن عمر او جارية بن قدامة او سفيان بن عبد الله قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني اي ارشدني بخصوص الى عمل ما ينفعني دينا ودنيا ويقربني الى الله زلفى قال لا تغضب فردد اي الرجل السؤال وهو المشار اليه بذلك على ما في بعض النسخ مرارا اي ثلاثا او مرة بعد اخرى رجاء ان يضم معه ايضا اخر قال لا تغضب قال بعض المحققين الغضب من نزغات الشيطان يخرج به الانسان عن حد الاعتدال صورة وسيرة حتى يتكلم بالباطل ويفعل المذموم شرعا وعرفا ويخفي الحقد والبغض وغير ذلك من القبائح التي كلها من اثر سوء الخلق بل قد يكفر ولهذا قال لا تغضب وصبر عليه مع الحاح السائل مريد الزيادة او التبديل فكانه قال احسن خلقك وهو من جوامع الكلم فالحديث من بدايع

الكلم ثم علاجه معجون مركب من العلم والعمل بان يرى الكل من الله ويذكر نفسه ان غضب الله اعظم
وفضله اكثر وكم خالف امره ولم يغضب عليه ويتعوذ ويتوضأ ويشغل نفسه بشيء قال
التوربشتي قد كان صلى الله عليه وسلم مكاشفا باوضاع الخلق عارفا بادوائهم يضع الهناء موضع
النقب يامرهم بما هو اولى بهم فلما استوصاه الرجل وقد رآه مملوا بالقوة الغضبية لم ير له خيرا
من ان يتجنب عن دواعي الغضب ويزجر نفسه عنه وقال القاضي لعله صلى الله عليه وسلم
لما راى ان جميع المفاسد التي تعرض للانسان وتعتريه انما تعرض له من فرط شهوته
واستيلاء غضبه والشهوة مكسورة الى ما يقتضيه الغضب غير ملتفت اليها فلما سال
الرجل ان يشير اليه بما يتوسل به الى التجنب عن القبايح والتحرز عن مظانها عين الغضب
الداعي الى ما هو اعظم ضررا واكثر وزرا فان ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لا محالة
قلت هو كلام حسن وبيان مستحسن الا ان التحقيق ان مدار الغضب على شهوة النفس
فان الانسان لا يغضب غضبا مذموما الا بتوهم فوت شهوة له او بعد تحقق فوتها
ولذا ترى كل من كان شهوته اكثر كالملوك والامراء يكون غضبه اكثر فيجب عليه الحذر ويؤيده
الحديث الذي يليه رواه البخاري وكذا احمد والترمذي عن ابي هريرة واحمد والحاكم عن جارية
ابن قدامة ورواه ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن رجل ولفظه لا تغضب فان الغضب مفسدة
وفي رواية لابن ابي الدنيا والطبراني عن ابي الدرداء لا تغضب ولك الجنة وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد اي القوي الكامل القوة
بالصرعة بضم ففتح كهمزة من يكثر الصرع وهو اسقاط المصارع له لانه قوة بدنية صورية
نفسية فانية انما الشديد اي الكامل الذي يملك نفسه عند الغضب فانه قوة دينية
معنوية الهية باقية فحول النبي صلى الله عليه وسلم معنى هذا الاسم من القوة الظاهرة
الى الباطنة ومن امر الدنيا الى الدين وفي النهاية الصرعة بضم الصاد وفتح الراء المبالغ في
الصرع الذي لا يغلب فنقله الى الذي يملك نفسه عند الغضب فانه اذا ملكها كان قد قهر
اقوى اعدائه وشر خصومه ولذلك قال اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا
من الالفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي لضرب من التوسع والمجاز وهو من فصيح الكلام لانه
لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ وقد ثارت عليه شهوة [illegible] الغضب فقهرها
بحلمه وصرعها بثباته كان كالصرعة الذي يصرع الرجال ولا يصرعونه متفق عليه ورواه
الامام احمد في مسنده وعن حارثة بن وهب ذكره المؤلف في الصحابة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف بالرفع على تقدير هو وفي نسخة
بالجر على البدلية قال شارح معناه انه لا يستغلظ الناس والاظهر ان معناه انه ليس بمتكبر
جبار ويدل عليه قرينة الاتية فالحكم كلي لا غالبي على ما سيجيء وقوله متضعف بفتح
العين ويكسر من باب التاكيد كجنود مجندة والقناطير المقنطرة وظل ظليل فايدة التاء
الموضوع للطلب ان الضعف الحاصل فيه كانه مطلوب من التذلل والتواضع مع اخوانه

وان كان قويا متزجلا مع اعدائه قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم اذلة على المؤمنين
اعزة على الكافرين ففيه اشارة الى ان كل من كثر تواضعه مع المؤمنين يكون في اعلى مراتب المقربين
كما ان من يكون اكثر تجبرا وتكبرا يكون في اسفل السافلين وقال النووي ضبطوه بفتح العين وكسرها
والمشهور الفتح ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعف حاله في
الدنيا يقال تضعفه واستضعفه واما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه
والمراد ان غالب اهل الجنة هؤلاء كما ان معظم اهل النار القسم الاخير لو اقسم على الله اي في فعل
او ترك لابره اي لامضاه على الصدق وجعله بارا غير حانث في طلبه من الحق وقال الطيبي اي
لو حلف يمينا طمعا في كرم الله بابراره لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل بضمتين فتشديد اي جاف
شديد الخصومة بالباطل وقيل الجافي الفظ الغليظ جواظ بتشديد الواو جموع منوع او مختال الواو اي م
وقيل السمين من التنعم وقيل الفاجر بالجيم وقيل بالخاء مستكبر اي متكبر عن الحق او على اهله
متفق عليه ورواه ابن ماجة عن معاذ ولفظه الا اخبركم عن ملوك الجنة رجل ضعيف مستضعف
ذو طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره ورواه الطبراني عن ابي الدرداء بلفظ الا اخبركم
باهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع منوع الا اخبركم باهل الجنة كل مسكين لو اقسم
على الله لابره وفي رواية لمسلم كل جواظ زنيم متكبر والزنيم الدعي في النسب الملصق بالقوم وليس
منهم تشبيها له بالزنمة وهي شيء يقطع من اذن الشاة ويترك معلقا بها ذكره الطيبي وهو
المناسب للاية الواردة في حق الوليد بن المغيرة واضرابه واما الحديث فينبغي ان يفسر بالمعنى
الاعم وهو اللئيم المعروف بلؤمه او شره على ما في القاموس ويمكن ان يكون الزنيم كناية عن
هذا الوصف فانه لازمه غالبا وقد ورد في الحديث رواه احمد وغيره عن ابي هريرة ولد الزنى
شر الثلاثة وفي رواية اذا عمل بعمل ابويه واما حديث ولد الزنى لا يدخل الجنة فلا اصل
له اصلا والله اعلم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل
النار اي دخول خلود احد في قلبه مثقال حبة اي مقدار وزن حبة من خردل قيل انه
حبة السود او هو تمثيل للقلة كما مثقال ذرة من ايمان اي من ثمراته وهي اخلاقه
المتعلقة بالباطن او الظاهر الصادر من نور الايمان وظهور الايقان فان حقيقة الايمان
وهو التصديق ليس قابلا للزيادة والنقصان فقول الطيبي فيه اشعار بان الايمان
قابل للزيادة والنقصان صدر من غير شعوره بحقيقة الايمان والايقان فان
الايمان لا يتجزى الا باعتبار التعدد المؤمن به ولا شك ان الايمان ببعض ما يجب الايمان
به كلا ايمان له شعب كثيرة خارجة عن حقيقته وماهيته كالصلاة والزكاة وساير
احكام الاسلام الظاهرة وكالتواضع والترحم وساير الاخلاق الباطنة الباهرة ومنه
الحديث الايمان بضع وسبعون شعبة ويدل على ما ذكرناه قوله والحياء شعبة من الايمان
فان الاجماع على انه غيره داخل في مفهوم الايمان ويدل عليه ايضا مقابلته بقوله ولا يدخل الجنة
اي مع السابقين احد في قلبه مثقال حبة من كبر فانه لا نزاع ان الكبر المجرد ليس بكفر كما ان

الكبر عن قبول الحق كفر اجماعا نعم الكفر قابل للزيادة والنقصان على ما لا يخفى ولذا قال تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات اي من انواع ظلمات الكفر والكفران الى النور اي نور التوحيد والايمان فمعنى الحديث انه لا يدخل الجنة مع الكبر بل يصفي منه ومن كل خصلة مذمومة اما بالتعذيب او بعفو الله ثم يدخل الجنة قال الخطابي للحديث تاويلان احدهما ان يراد بالكبر الكفر والشرك الا ترى انه قد قابله في نقيضه بالايمان وثانيهما ان الله تعالى اذا اراد ان يدخله الجنة نزع من قلبه ما كان في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر وغل في قلبه وقوله لا يدخل النار يعني دخول تابيد وتخليد انتهى وارادني المعنى الثاني بالكبر التكبر على الناس قال الطيبي الوجه الاول من باب المقابلة المعنوية وهو من انفسها فانه اشار بالايمان الى ان الكبر من صفات الكافرين فيجب ان يتجنب عنه وبالكبر تلميح الى ان التواضع من سمات المومنين فينبغي ان يرغب فيه وهو الوجه لان القصد الاول في سياق الكلام وايراده الى معنى الوصفين للترغيب في احدهما والتنفير عن الاخر لا الى حكم الموصوفين وان لزمه تبعا انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق رواه **وعنه** اي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل هو معاذ بن جبل او عبد الله بن عمرو بن العاص او ربيعة بن عامر اقوال ان الرجل اي جنسه والمراد به الشخص يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا اي من غير ان يراعي نظر الخلق وما يترتب عليه من الكبر والخيلاء والسمعة والريا وعلامة صدقه ان يحب ذلك ايضا في الخلاء ثم النعل ما وقيت به القدم وهي مونثة سماعية ذكرها ابن الحاجب في رسالته فيما يجب تانيثه وفي المشارق ونعله حسنة فالتذكير ههنا باعتبار معناها وهو ما وقيت به القدم كذا ذكره بعضهم ويمكن ان يقال التقدير ونعله ذات حسن او عدل عن فعلاء الى فعل للمشاكلة مع قابلية اللفظ ان يقرا كذلك ولعل سبب السوال ما ذكره الطيبي انه لما راى الرجل العادة في المتكبرين لبس الثياب الفاخرة ونحو ذلك سال قال اي مجيبا له ان الله جميل اي في ذاته وصفاته وافعاله وكل جمال صوري او جميل معنوي فهو اثر جماله فلا جمال ولا جلال ولا كمال الا له سبحانه يحب الجمال اي ظهوره في مخلوقاته ولذلك اظهرهم وجعلهم مظاهره ويوئيده حديث ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده الكبر بطر الحق بفتح الموحدة والمهملة اي الكبر المذموم بطلان جمال الحق وغمط الناس اي استحقار الخلق واصل البطر شدة الفرح والنشاط والمراد هنا قيل سوء احتمال الغنى وقيل الطغيان عند النعمة والمعنيان متقاربان وفي النهاية بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله تعالى حقا من توحيده وعبادته باطلا وقيل ان يتجبر عند الحق فلا يراه حقا وقيل هو ان يتكبر عن الحق فلا يقبله قال التوربشتي وتفسيره على الباطل اشبه لما ورد في غير هذه الرواية انما ذلك من سفه الحق وغمط الناس اي راى الحق سفها رواه مسلم وكذا الترمذي عن ابن مسعود والطبراني عن ابي امامة والحاكم عن

عن ابن عمرو وابن عساكر عن جابر وابن عمرو رواه البيهقي عن ابي سعيد بزيادة وهو يحب ان يرى اثر نعمته على عبده ويبغض البوس والتباوس ورواه ابن عدي بزيادة سخي يحب السخاوة نظيف يحب النظافة **وعن ابي هريرة** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة اي من الاشخاص لا يكلمهم الله اي كلام رضا او مطلقا يوم القيامة اي ويظهر عدله وفضله وغضبه ورضا به ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم بخلاف سائر المومنين او لا يطهرهم من دنس الذنوب بالعفو عنهم وفي رواية اي بدلا عما قبله او زيادة عليه وهو الظاهر ولا ينظر اليهم اي نظر لطف وعناية ورحمة ورعاية ولهم عذاب اليم يحتمل ان يكون من تتمة الرواية وان يكون عودا الى اصل الحديث وهو المعتمد كقوله شيخ زان لان الزاني اذا كان قبيحا من الشاب مع كونه معذورا طبعا فمن الشيخ المنطفي شهوته المنتهي غفلته يكون اقبح وفي نظر العقل اسمج وملك كذاب اي كثير الكذب او ذو كذب بنا على ان الصيغة للمبالغة او للنسبة والثاني ابلغ وعائل متكبر اي فقير متكبر لان كبره مع انعدام سببه فيه من الجاه والمال يدل على كونه لئيما بالطبع ذميما في الشرع وقيل المراد بالعائل ذو العيال فتكبره عن اخذ صدقة قدر ما يسد خلته وخلة عياله لم يكن الا لاستيلاء هذه الرذيلة عليه بحيث يلحقه وعياله الضرر الشديد من تكبره قال الطيبي يعني الزنا قبيح ومن الشيخ اقبح والكذب سمج ومن الملك اسمج والتكبر مذموم ومن الفقير اذم انتهى ويمكن ان يقال المراد بالشيخ المحصن سواء يكون شابا او لا ولكون الزنى اقبح منه شرعا وعرفا وجب فيه الرجم كما في الاية المنسوخة الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم والمراد بالملك الغني فان الفقير قد يكذب لغرض فاسد من منفعة دنيوية ورئية والغني لا يحتاج اليه مطلقا فالكذب منه اقبح والمراد بالفقير الذي يتكبر على الفقراء لان التكبر على المتكبر من الاغنياء صدقة والاظهر ان المراد به الفقير المتكبر على الكسب والكاذب لنفسه وعياله مع القدرة عليه كما هو مشاهد في اهل زماننا ولا شك ان هذا التكبر المتضمن للرعونة والريا والسمعة مع ابرار الفقر وارتكاب السوال واخذ المال من غير وجه حلال اقبح من تكبر الاغنياء لا سيما اذا كان يتكلف ويتزيى بزي الاكابر كبعض الفقهاء القائلين بان الحلال ما حل بنا وان الحرام ما حرم منا فان العلل المركبة داء عضال يعجز عنه الحكماء وان بلغوا مبلغ الكمال رواه مسلم وفي الجامع بلفظ لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر **وعنه** اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء اي الذاتي ردائي اي بمنزلته عندكم والعظمة اي الصفاتي ازاري اي في مرتبة لديكم فان مرتبة الصفة دون رتبة الذات ولذا اختص التكبير بكونه تحريمة للصلوة في القيام لله تعالى والتعظيم بالركوع المندوب فيه سبحان ربي العظيم ومنه التعظيم لامر الله وحقيقته ترك

الاشتغال بما سواه فالتركيب نوع من التشبيه البليغ والمعنى انهما مختصتان بي اختصاص ظاهر التشبيه الثوبين اللابس حيث لا يمكن المنازعة في واحد منهما لاحد على التسليم فاذا عرفتم ذلك وعلمتم ما هنالك فمن نازعني واحدا منهما اي من الوصفين بان تكبر باعتبار ذاته او تعظم من حيثية صفاته ادوار نوعا من المشاركة معي في نعوت ذاتي وصفاتي ادخلته النار اي نار العذاب وعقاب الحجاب فانها جزاء الكافرين وبئس مثوى المتكبرين وفي رواية قذفته اي رميته من غير مبالاة به في النار هذا مجمل المرام في هذا المقام واما التفصيل ففي النهاية الكبرياء العظمة والملك وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها الا الله تعالى وهو من الكبر بالكسر وهو العظمة ويقال كبر بالضم يكبر اي عظم فهو كبير انتهى وقيل ان الكبرياء والكبر والعظمة الفاظ مترادفة متحدة المعنى ولم يتعرض معظمهم للفرق ولا بد من الفرق اذ الاصل عدم الترادف ولما اقتضيه المقام من الفرق في مرتبة الجمع قال الامام فخر الدين الرازي جعل الكبرياء قائما مقام الرداء والعظمة قائمة مقام الازار ومعلوم ان الرداء ارفع درجة من الازار فوجب ان يكون صفة الرداء الكبرياء ارفع حالا من صفة العظمة ثم قال يشبه ان يكون متكبرا في ذاته سواء استكبره غيره ام لا وسواء عرف هذه الصفة احدا ولا واما العظمة فهي عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره واذا كان كذلك كانت الصفة الاولى ذاتية والثانية اضافية والذاتي اعلى من الاضافي انتهى واطنب الطيبي في توجيه قول الفخر وتوضيحه ثم قال وقد عرفت ما قيل ان الكبر هو الاعراض عن الحق وتحقير الناس فالتواضع هو الاذعان للحق وتوقير الناس وهو المعنى بقوله التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فالمعنى من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى في الدنيا بالذل والهوان وفي الاخرة يقذفه في اقصى دركات النيران ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته في الدنيا والاخرة رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة عن ابي هريرة وابن ماجة ايضا عن ابن عباس ورواه الحاكم عن ابي هريرة مختصرا بلفظ الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته ورواه سمويه عن ابي سعيد وابي هريرة بلفظ الكبرياء ردائي والعز ازاري من نازعني في شيء منهما عذبته ه

الفصل الثاني

سلمة بن الاكوع صحابي مشهور قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه قال المظهر وغيره الباء للتعدية اي يعلي نفسه ويرفعها ويبعدها عن الناس في المرتبة ويعتقدها عظيمة القدر او للمصاحبة اي يرافق نفسه في ذهابها الى الكبر ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة وفي اساس البلاغة يقال ذهب به مر به مع نفسه قلت ومن تمثيل الاول قوله تعالى ذهب الله بنورهم اي اذهب نورهم وخلاصة المعنى انه لا يزال يذهبها عن درجتها ومرتبتها الى مرتبة اعلى وهكذا حتى يكتب اسمه

اوثبت

اوثبت رسمه في الجبارين اي في ديوان الظالمين والمتكبرين اوهمهم في اسفل السافلين فيصيبه بالنصب وقيل بالرفع اي فيناله الرجل من بليات الدنيا وعقوبات العقبى ما اصابهم اي الجبارين كفرعون وهامان وقارون رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون امثال الذر اي في الصغر والحقارة يوم القيامة في صور الرجال اي من جهة وجوههم او من حيثية هيئتهم من انتصاب القامة يغشاهم اي ياتيهم الذل من كل مكان اي من كل جانب والمعنى انهم يكونون في غاية من المذلة والمنقصة يطأهم اهل المحشر بارجلهم من هوانهم على الله كما سياتي في رواية الجامع هذا وفي النهاية الذر النمل الاحمر الصغير واحدها ذرة وقيل الذرة ما يرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة قلت نعم قد يراد بها بل الظاهر انه المراد في قوله فمن يعمل مثقال ذرة كما انه المراد جزما في قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة واما ارادة هذا المعنى في هذا المقام فغير صحيح لقوله في صورة الرجال وما فيه من المقال قال التوربشتي يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة اي اذلاء مهانين يطأهم الناس بارجلهم وانما منعنا عن القول بظاهره ما اخبرنا به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء حتى انهم يحشرون غرلا يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة والى هذا المعنى اشار بقوله يغشاهم الذل من كل مكان قال الاشرف انما قال في صور الرجال بعد قوله امثال الذر قطعا منه حمل قوله امثال الذر على الحقيقة ودفعا لوهم من يتوهم ان المتكبر لا يحشر في صورة الانسان وتحقيقا لاعادة الاجساد المعدومة على ما كانت عليه من الاجزاء وقال المظهر يعني صورهم صور الانسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر قال الطيبي لفظ الحديث يساعد هذا المعنى لان قوله امثال الذر تشبيه لهم بالذر ولا بد من بيان وجه الشبه لانه يحتمل ان يكون وجه الشبه الصغر في الجثة وان يكون الحقارة والصغار فقوله في صور الرجال بيان للوجه ودفع وهم من يتوهم خلافه واما قوله ان الاجساد تعاد على ما كانت عليه من الاجزاء فليس منه انه لا يعاد تلك الاجزاء الاصلية في مثل الذر لانه تعالى قادر عليه وفيه الخلاف المشهور بين الاصوليين وعلى هذا الحقارة يلزم من هذا التركيب ولا ينافي ارادة الجثة مع الحقارة انتهى وفيه انه لا كلام في قدرته تعالى على كل شيء وانما الكلام في انه هل تعلق القدرة به ام لا واذا صح في الخبر ان الخلق كلهم يحشرون غرلا فلا شك انه لا بد من تحقق اعادة جميع الاجزاء الاصلية من المتصلة والمنفصلة كالاظفار المقطوعة والاسنان المقلوعة والشعور المحلوقة وامثال ذلك تصديقا لكلام الشارع وتحقيقا لما اخبر به وحصول هذا كله في ذرة من المحال العقلية ونفيها معتبر في القواعد النقلية منها قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فان المراد به

ان دخول الكفار في الجنة من المحال الذي لا يقع ابدا كولوج الجمل في سم الخياط اذا عرفت هذا
علمت ان الشيخ التوربشتي عدل عن الحقيقة الى المجاز للضرورة الملجئة اليه لكن يأباه
سياق هذا الحديث على ما حققه بقية الشراح فالتحقيق ان الله يعيدهم عند اخراجهم
من قبورهم على اكمل صورهم وجميع اجزائهم المعدومة تحقيقا لوصف الاعادة على
وجه الكمال ثم يجعلهم في موقف الجزاء على الصورة المذكورة اهانة وتذليلا جزاء
وفاقا او يتصاغرون من الهيبة الالهية عند مجيئهم الى موضع الحساب وظهور اثر
العقوبة السلطانية التي لو وضعت على الجبال لصارت هباء منثورا او قد يتبدل
صور اهل جهنم على اشكال مختلفة وصور متباينة كصور الكلاب والخنازير
والحمير بحسب ما يليق بصفاتهم وحالاتهم وقد يكبر جثتهم حتى يكون ضرس الكافر
كجبل احد على ما ورد في الحديث وكذا تغيير صور اهل الجنة من السواد الى البياض
ومن القصر الى الطول المعتدل ومن الكبر الى السن المتوسط وجعلهم جردا مردا
مكحلين وامثال ذلك وبه يزول الاشكال والله اعلم بحقيقة الحال ويدل على ما قررنا
تبديلهم انما هو في اخراجهم قوله يطوفون الاستئناف البياني او على الحال التبايني يساقون
بضم القاف اي يسحبون ويجرون الى سجن اي مكان حبس مظلم مضيق منقطع فيه
عن غيره يسمى اي ذلك السجن بولس بفتح موحدة وسكون واو وفتح لام وسين
مهملة وفي بعض النسخ بضم اوله ففي القاموس بولس بضم الباء وفتح اللام سجن
جهنم وقال المنذري هو بضم الموحدة وسكون الواو وفتح اللام ذكره ميرك وقال
شارح بفتح الموحدة وفتح اللام وكسرها فوعل من الابلاس بمعنى الياس سمي به
لياس داخله من الخلاص وفي النهاية هكذا جاء في الحديث مسمى ذكره الطيبي من
غير تعرض لضبطه فالاعتماد على ما ذكره المنذري وصاحب القاموس اولى من كلام
غيرهما لجلالتهما في علم الحديث والله اعلم تعلوهم اي تحيط بهم وتغشاهم كالماء
يعلو الغريق نار الانيار اي نار النيران قال الشارح انيار جمع نار كانياب جمع ناب وفيه
ان الناب يائي والنار واوي ولذا لم يذكر انيار في القاموس لكونه شاذا والقياس
الانوار الا انه قيل الانيار لئلا يشتبه بجمع النور قال القاضي واضافة النار اليها
للمبالغة كان هذه النار لفرط احراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل
النار بغيرها اقول او لانها اصل نيران العالم لقوله تعالى الذي يصلى النار الكبرى
ولقوله عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم على ما ذكره البيضاوي
وفي النهاية قوله نار الانيار لم اجده مشروحا ولكن هكذا يروى فان صحت الرواية
فيحتمل ان يكون معناه نار النيران فجمع النار على انيار واصلها انوار لانها من الواو
كما جاء في ريح وعيد ارياح واعياد وهما من الواو ذكره الطيبي ولم يبين وجههما
وتوجيهه ما فات منا من مخافة الالتباس فان الاعواد بمعنى الاخشاب والارواح جمع الروح

يسقون بصيغة المجهول وفيه اشارة الى الاكراه واما الى زيادة الاحراق المؤثر الى
بطونهم ايضا من عصارة اهل النار اي صديدهم المحمي غاية الحرارة المعبر عنه بحميم
طينة الخبال تفسير لما قبله وهو بفتح الخاء بمعنى الفساد قال شارح هو اسم عصارة
اهل النار وهو ما يسيل منهم من الصديد والقيح والدم رواه الترمذي واخرج عبد الله بن
احمد في زوائد الزهد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين والمتكبرين رجالا في
صور الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله حتى يقضي بين الناس ثم يذهب بهم الى نار
الانيار قيل يا رسول الله وما نار الانيار قال عصارة اهل النار ذكره السيوطي في البدور
السافرة في احوال الاخرة وعن عطية ابن عروة السعدي منسوب الى سعد ولم يذكره
المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان
اي من اثر وسوسته وان الشيطان خلق من النار قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار
السموم وقال خلقتني من نار وهذا دليل على انه من الجن لان الملائكة خلقوا من النور
ومعنى خلق منها ان عنصره الناري غالب على سائر اجزائه بخلاف الانسان وانما يطفأ
بصيغة المجهول مهموزا اي يدفع النار اي الحسية بالماء اي الحقيقي فاذا غضب احدكم
اي واشتعلت نار غضبه من جوفه ويريد احراق المغضوب عليه بنوع من عذابه فليتوضأ
فان الوضوء مركب معجون من الماء الحسي والمطهر المعنوي المؤثر في الظاهر والباطن
وهذا من طب الانبياء الذي غفلوا عنه الحكماء واغرب الطيبي حيث اخرج الحديث عن حقيقته
الاصلية من غير باعث من الامور النقلية والعقلية فقال اراد انه يقول اذا غضب
احدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان الغضب من الشيطان فصورها انه الغضب
ومنشأه ثم الارشاد الى تسكينه فاخرج الكلام هذا المخرج ليكون اجمع وانفع وللمواعظ
ازجر واردع وهذا التصوير لا يمنع من اجرائه على الحقيقة لانه من باب الكناية انتهى
والصواب ان الاستعاذة علاج اخر مستقل كما ورد به الاثر على ما ذكره الجزري في الحصن
حيث قال ومن غضب فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجده ونسبه الى
البخاري ومسلم وابي داود والنسائي عن سليمان بن صرد وهو مقتبس من قوله تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ورواه ابن عدي في الكامل عن ابي هريرة
بلفظ اذا غضب الرجل فقال اعوذ بالله سكن غضبه وجملة الامر ان هذا علاج قولي سهل
التناول والحصول والوضوء معالجة فعلية صعب الوصول لا سيما والوضوء مقدمة
للصلاة فهو بمنزلة المعجون المسهل المخرج للمواد الفاسدة من اصلها وما بعد الاستعاذة
فهو بمنزلة الاستفراغ للتخلية المعدة من اثار التخمة وحاصله ان الحكيم الكامل يدرج
في المعالجة ويعلم مزاج كل صاحب علة بما يوافقه ويناسبه من خواص الاشياء المفردة
والمركبة وانواع الغضب كالامراض المختلفة فعلى العليل ان يسلم تسليما ويجعل نفسه
بين يدي الطبيب الحبيب الكامل كالميت بين يدي الغاسل وخلاصة الكلام انه اذا احس

بالغضب فليتعوذ بالله او لا تماد اراي انه يتوضأ به يقوم ويتوضأ ويصلي ركعتين لله تعالى فانه دواء اصبر مجرب على الطبع الشيطاني والمزاج النفساني بل هو كعرق السوس يخرج كل مرض مدسوس قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين رواه ابو داود وكذا احمد وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس لان المعالجة بالاضداد والقوة الغضبية الناشئة من الوسوسة الشيطانية تقتضي الحفة والتغلبة من حواص النار والقيام لاجل الانتقام فحاله فيه بالجلوس المشير الى القعود عن الفتنة نافعة جدا فان ذهب عنه الغضب اي اثر حرارته وقوة مرارته بالجلوس فيها ونعمت والا اي وان لم يذهب فليضطجع مبالغة في المعالجة المذكورة مع ما فيه من الاشارة الى رجوع الانسان الى ما خلق من التربة المناسبة للتواضع في مقابلة عمل الشيطان بمقتضى جبلته من الشعلة النارية المقتضية للتكبر وكل شيء يرجع الى اصله هذا وفي شرح السنة انما امره بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه في حال غضبه ما يندم عليه فان المضطجع ابعد من الحركة والبطش من القاعد من القائم وقال الطيبي لعله اراد به التواضع والخفض لان الغضب منشاه التكبر والترفع قلت لا منع من الجمع فان كلامه صلى الله عليه وسلم منبع الحكم والله اعلم ثم يحتمل ان يكون هذا الصنيع منه قبل الوضوء وهو الظاهر وان يكون بعده ان لم يذهب الغضب والله اعلم بالسرائر رواه احمد والترمذي وكذا ابو داود وابن حبان في صحيحه وعن اسماء بنت عميس بالسين المهملة مصغرا وقد تقدمت ترجمتها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد لم يقل بئس الرجل والمرأة تنبيها على ان الاوصاف الاتية ليست من مقتضيات العبدية ولا من نعوت العبودية عبد تخيل اي تكبر وتجبر واختال اي تمايل وتبختر من الخيلاء وهو الكبر والعجب بالجاه والمال والجمال والعلوم والاعمال والاحوال وتوهم الكمال بحيث تخيل له انه وصل الى الكمال قال التوربشتي اي تخيل له انه خير من غيره واختال اي تكبر ونسي الكبير المتعال بحذف الياء مراعاة للفاصلة وهو لغة في المنقوص المعرف وعليه قراءة الجمهور في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال واثبته ابن كثير في الحالين ومعنى الكبير على الشأن على البرهان والمتعالي اي عن الاشباه والاضداد والانداد اي نسي ان الكبرياء والتعالي ليس الا لله تعالى ونسي محاسبته ومعاتبته ومعاقبته في العقبى حيث لم يراع مراقبته في الدنيا بالتقوى بئس العبد عبد تجبر اي قهر على المظلومين واعتدى اي تجاوز على المساكين او تجاوز قدره وما راعى حكم ربه وامره ونسي الجبار الاعلى اي القهار الذي فوق عباده والغالب على امره بئس العبد عبد سها ولها حقهما ان يكتبا بالالف لانهما واويان ماخوذان من السهو واللهو وفي كثير من النسخ بالياء فلعله للمشاكلة اللفظية في الفواصل السجعية ومعنى سها اي صار غافلا عن الحق والطاعة

والا

والافشاء بالانبياء وعامة الصلحاء قد سهوا ومنه قوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال بعض العارفين الحمد لله لم يقل في صلاتهم والا لكان الويل على الكل في اليوم والليل ولها اي اشتغل باللهو واللعب ومنه قوله تعالى الهاكم التكاثر وخلاصتهما انه سها عن امر الدين الرضية ولها بامر الدنيا الدنية ونسي المقابر اي اهلها بالتذكر والعبرة بهم او بذكرهم على سبيل الرحمة عليهم وزيارتهم اذ ذكر المقابر كناية عن الموت اي نسي الموت بعدم الاستعداد له وكفى بالموت واعظا او نسي مرجع الاجسام اماكن الاموات وما يحصل لهم فيها من الوحشة والظلمة والغربة والضيق وغيرهما مما يعسر ضبطها وحصرها والبلى بكسر الموحدة وهو تفتت الاعضاء وتشتت الاجزاء الى ان يصير رميما ورفاتا بئس العبد عبد عتا من العتو اي افسد وطغى من الطغيان اي تجاوز عن الحد وقيل معناهما واحد والثاني تاكيدا والثاني تفسير او اتى به للفاصلة ونسي المبتدأ والمنتهى بصيغة المفعول قال الاشرف اي نسي ابتداء خلقه وهو كونه نطفة وانتهاء حاله الذي يؤول اليه وهو صيرورته ترابا اي من كان ذلك ابتداؤه ويكون انتهاؤه هذا اجدر بان يطيع الله تعالى فيما بينهما وقيل المراد بهما الله اي نسي الذي صدر ابتداء وجوده منه ولا بد من انتهاء رجوعه اليه فترك مراعاة امره اولا وملاحظة غضبه اخرا بئس العبد عبد يختل بكسر التاء اي يطلب الدنيا بالدين اي بعمل الاخرة من ختله اذا خدعه كذا في النهاية والمعنى يخدع اهل الدنيا بعمل الصلحاء ليعتقدوا فيه وينال منهم مالا وجاها من ختل الذئب الصيد خدعه وخفي له قال القاضي ختل الصائد اذا مشى للصيد قليلا قليلا لئلا يحس به شبه فعل من يرى ورعا ودينا ليتوسل به الى المطالب الدنيوية بختل الذئب الصائد بئس العبد عبد يختل الدين اي يفسده بالشبهات بضمتين ويفتح الثاني بئس العبد عبد طمع اي له طمع او ذو طمع او وصفه بالمصدر مبالغة ولو قرئ باضافة العبد لاستقام من غير تكلف وقوله يقوده اي يستتبعه الطمع عن وجهة المولى الى جهة السوي ومن الغرائب ما حكي عن السيد الشاذلي قدس سره انه سئل عن علم الكيميا فقال هو كلمتان اطرح الخلق عن نظرك واقطع طمعك عن الخالق ان يعطيك غير ما قسم لك ومن هذا القبيل حديث القناعة مال لا ينفد على ما رواه القضاعي عن انس بئس العبد عبد هوى يضله قال الاشرف لانه من كثرة الطمع والهوى اللازمين للعبد وشدة اتصالهما به اطلق نفس الطمع والهوى عليه وان كانا قائمين به وتقديره ذو طمع يقوده وذو هوى يضله ويمكن ان يجعل قوله طمع فاعل يقوده وهوى فاعل يضله مقدمين على فعلهما على مذهب الكوفيين قال الشاعر ٭ صددت فاطولت الصدود وقلما ٭ وصال على طول الصدود يدوم ٭ اي قلما يدوم وصال على الصد وقال الطيبي الوجه الثاني اقرب من الاول لما يلزم منه وصف الوصف لان قوله يقوده على هذا صفة طمع وهو صفة عبد والاشبه ان يكون طمع مبتدأ ويقوده خبره اي طمع عظيم يقوده

اي ظهر اثر غضبه على احدكم صح

عمل بيانه

نتل بيانه

نحو شراهيد ذئاب والجملة صفة عبد قلت هذا مراعاة للمباني وغفلة عن المعنى فان الذم مترتب على مطلق الطمع الذي يقوده الى الهوى وكذا حكم الهوى على ما لا يخفى بئس العبد عبد رغب بضم الراء وفتحها ويفتحان ففي القاموس رغب فيه كسمع رغبا ويضم رغبة ارادة واليه رغبة محركة وفي المشارق الرغب سكون الغين وفتحها وبضم الراء وفتحها وفي نسخة بالاضافة واقتصر عليها القاضي كما سياتي وهو يؤيد جواز كونها فيما قبلها من الوصفين ايضا وقال ابن الملك هو بضم الراء وسكون الغين المعجمة الشره والحرص على الدنيا وقيل الرغب سعة الامل وطلب الكثير ويروى بفتح الراء بمعنى الرغبة في الدنيا وقوله يذله اي يجعله ذليلا وقال الامام التوربشتي الرواية عندي بفتح الغين اي يذله الرغبة في الدنيا ومن الناس من يقوله الرغب بضم الراء وهو الشره يقال الرغب شوم ولعل الامل فيه السعة يقال جوف رغيب اي واسع فكني به عن الحرص والشره كذا ذكره شارح وفي القاموس الرغب بضم وبضمتين كثرة الاكل وشدة النهم وفعله ككرم فهو رغيب ككريم قال القاضي واضافة العبد للاهانة كقولهم عبد البطن لان مجامع همته واجتهاده مقصور على ما عائد اليه انتهى ولا يخفى ان تكرار جملة الذم في صدر الجمل المذكورة والنعوت المسطورة للاشعار بان كل واحدة من الصفات مستقلة في استحقاق ذم فاعلها وان مراعاة السجع من غير تكلف الطبع غير مكروهة في الشرع رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان وقالا اي كلاهما ليس اسناده بالقوي قال التوربشتي روى الترمذي باسناد له عن هاشم بن سعيد الكوفي وقد ذكره ابن عدي في كتابه وقال عامة ما يرويه لا يتابع عليه قلت قد وجد لهذا الحديث متابع فانه رواه الطبراني والبيهقي عن نعيم بن همار ورواه الحاكم ايضا في مستدركه عن اسماء بنت عميس ولا شك ان كثرة الطرق يقوي الضعيف ويجعله حسنا لغيره وبه يتم المقصود والله اعلم وقال الترمذي ايضا اي مع قوله انه ليس بالقوي هذا حديث غريب وانت تعرف ان الغرابة لا تنافي الصحة والحسن وغايته ان الحديث ضعيف وهو يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا ففي المواعظ ينبغي ان يكون بالاولى الفصل الثالث عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجرع عبد افضل اي جرعا افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها بكسر الظاء اي يبلعها ويمنعها من امضائها مع كثرتها وملا باطنه منها من كظم القربة ملأها وسد فمها على ما في اساس البلاغة وفي رواية الجامع كظمها بصيغة الماضي ابتغاء وجه الله تعالى اي طلبا لمرضاته لا لغرض اخر ولا لعجز عن امضائها رواه احمد وكذا الطبراني وعن ابن عباس في قوله تعالى ادفع اي السيئة لا لانه مما قبله عليه وهو قوله سبحانه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي اي بالخصلة التي هي احسن فيه مبالغة عظيمة حيث عدل عن الحسنة الى الاحسن

في نخ

مع الرخصة المفهومة من قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة او المراد بها احسن من مجازاة السيئة بالسيئة فانها حسن وانما سمي سيئة في الاية للمشاكلة او بالنسبة والا الى الاحسن والله اعلم وما بعدها فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ففي الاية اشارة الى ان العمل بها اكمل الاخلاق الانسانية التي يعجز عنها اكثر الافراد البشرية قال اي ابن عباس بيانا للخصلة الصبر عند الغضب قيل المراد به غضب الغير فانه سيئة منه فيقابل بالصبر الذي هو احسن من مجازاته بالغضب ويمكن ان يكون المعنى انه يصبر عند اثر الغضب فان كظم الغيظ احسن من امضائه والعفو اي عن المسيء عند الاساءة اي وقتها بحقيقتها والواو بمعنى او فان كلا منهما من افراد الخصلة التي هي احسن وكانه رضي الله عنه مثل باقل المطلوب من السالك والا فالسادة الصوفية على المجازاة باحسن ما يتصور له من انواع الاحسان اليه من التواضع وتقبيل اليد والرجل وامثال ذلك كما عطاء البر المالي من قليل او كثير واقل المراتب ان يحلله ويدعو له بالتوبة والهداية وزاد بعضهم الوعد له بالشفاعة يوم القيامة وهذه كلها خوارق عادات يطوى بساط كراماته ربما يكون تحتها غرور في بداياتها او نهاياتها ولذا قالوا الاستقامة خير من الكرامة وقد ورد شيبتني سورة هود فقيل لما فيها اية واستقم كما امرت وقيل لما فيها من وقائع الامم والله اعلم فاذا فعلوا اي ما ذكر من المثالين وامثالهما عصمهم الله اي حفظهم من الزيغ والتعدي على احبائهم وخضع لهم عدوهم اي حيا منهم ورجعوا عن اساءتهم اليهم والغضب عليهم كانه اي العدو يستوي فيه المفرد والجمع ولي اي ناصر لهم حميم اي صديق يهتم لامرهم وحاجتهم ويحتم بجراءتهم وحرقتهم قريب اي ذي قرابة منهم منك والحاصل ان هذه الخصلة التي هي احسن تقلب العداوة محبة وترفع الاخلاق الذميمة من الحقد والحسد والغيبة ونحوها قال الطيبي هذا التفسير على ان يكون لا في قوله تعالى ولا السيئة مزيدة والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة فعلى هذا يراد بالتي هي احسن التي هي حسنة فوضع الاحسن ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة واذا لم يجعل لا مزيدة يكون المعنى ان الحسنة والسيئة متفاوتان في نفسهما فخذ بالحسنة التي هي احسن من اختها فاذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض اعدائك ومثاله رجل اساء اليك اساءة فالحسنة ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك فتمدحه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك رواه البخاري تعليقا اي بلا اسناد وتقدم ان ما علقه بصيغة المجهول ضعيف وما رواه بصيغة المعلوم صحيح والله اعلم وعن بهز بفتح موحدة وسكون هاء فزاي تابعي ابن حكيم عن ابيه تابعي حسن الحديث عن جده

فه

ظهور رحه

اي معاوية بن حيدة القشيري ولم يذكره المؤلف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الغضب ليفسد الايمان اي كماله او نوره وبهاؤه وقد يجر الى بطلانه نعوذ بالله
من ذلك ولما كان بعض افراده كذلك صح التشبيه له كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح
الصاد وكسر الباء ويسكن على ما في نسخة لكن قال صاحب القاموس الصبر ككتف ولا
يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر انتهى واما كسر الصاد وسكون الباء على
ما اشتهر على الالسنة فلعله ماخوذ من قوله ككتف فان الكتف فيه لغتان ه
والله اعلم وعن عمر رضي الله عنه قال وهو اي عمر على المنبر وفيه اشارة الى حفظ
القضية والايماء الى انه كالمسئلة الاجماعية لكونه في محضر من الصحابة يا ايها الناس
ولعل العدول عن المومنين اليه لافادة العموم ونفي توهم الخصوص تواضعوا
اي ليتواضع بعضكم للبعض ويترك التكبر على اخوانه المومنين لقوله تعالى اذلة
على المؤمنين اعزة على الكافرين والتعبير بالاذلة للاشعار بكمال التواضع على
سبيل المبالغة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من تواضع لله رفعه
الله هذه الجملة فقط رواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة فهو الفاء تفريعية
اي فالمتواضع المرفوع نتيجة او علة انه في نفسه صغير او جزائية وتقدير واذا
رفعه الله فهو في نفسه صغير اي حقير خال عن العجب والكبر وفي اعين الناس
عظيم اي عظيم القدر جليل الشان لرفعه تعالى اياه بهذه الخصلة الحميدة وقد جاء
في بعض الدعوات المأثورة اللهم اجعلني في نفسي صغيرا وفي اعين الناس كبيرا ومن
تكبر وضعه الله فهو في اعين الناس صغير وفي نفسه كبير حتى متعلق بقوله صغير
او الحاصل المجموع ثم الظاهر ان حتى هذه ابتدائية ففي المغني ان حتى قد تكون حرف ابتداء
اي حرفا يبتدأ بعده الجمل اي تستأنف فيدخل على الجملة الاسمية كقول جرير فما زالت القتلى
تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل ويؤكد هذا المعنى دخول لام الابتداء
في قوله لهو اي المتكبر الموضوع اهون عليهم اي اذل واحقر على الناس من كلب او خنزير
والتنويع اما باختلاف حال المتكبر او باعتبار احوال الناس قال الطيبي الفاء في قوله فهو
جزاء شرط محذوف يعني من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته
وهو المراد بقوله في نفسه صغير ثم ان الله يرفعه من تلك المنزلة التي هي حقه الى ما هي
ارفع منها ويعظم عند الناس وبعكسه في المرتبة الاخرى وفي شرح السنة قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان الرجل اذا تواضع رفع الله حكمته وقال انتعش نفسك فهو في
نفسه صغير وفي اعين الناس كبير واذا بطر وعدا طوره وهصه الله الى الارض وقال اخسأ خسأك
الله فهو في نفسه كبير وفي اعين الناس صغير حتى يكون اهون على الله من الخنزير وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران عليه السلام يا رب
من اعز عبادك عندك قال من اذا قدر غفر والمعنى ان الاعز في المرتبة الجمعية الربوبية

العندية

العندية هو الذي اختار كونه اذل في طريق العبودية فان العبد والعبادة ماخوذان
من طريق معبد اي مذلل وقد قالوا العبادة هي اقصى غاية الخضوع والتذلل ولذلك
لا تستعمل الا لله تعالى مع ان الغفران مع القدرة انما هو من باب التخلق باخلاق الله
تعالى سبحانه واشار الى هذا المعنى في قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء
فان الله كان عفوا قديرا وفيه تنبيه له عليه السلام على العفو لما كان الغالب عليه
الحدة الجلالية ليحصل له الاعتدال كما يقتضيه الكمال ينبغي عليه نعت الجمال كما اشار
اليه الحديث القدسي غلبت رحمتي غضبي وكون الرحمة غالبة على نبينا عليه السلام
وصف بكونه رحمة للعالمين ولامته امة مرحومة فان الراحمين يرحمهم الرحمن على
ما سبق فيه البيان وفي الجامع الصغير من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم العسرة
رواه الطبراني عن ابي امامة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خزن
بفتح الزاي اي حفظ لسانه قال امرؤ القيس اذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء
سواه بخزان وقال الطيبي اي من ستر عيوب الناس وكتمها ستر الله عورته اي عيبه
عن الناس او عن الحفظة ولا مانع من الجمع ومن كف اي منع غضبه اي عن الناس كف الله
عنه عذابه اي الذي اثر غضبه يوم القيامة جزاء وفاقا وفي الجامع برواية ابن ابي
الدنيا عن ابن عمر من كف غضبه ستر الله عورته اي بان لم يعذبه فتوافق الحديثان
ومن اعتذر الى الله اي من التقصير الى الله اي بالرجوع اليه واظهار العجز لديه قبل
الله عذره نظيره ان يقال ومن قبل عذر اخيه قبل الله عذره ولعله من تصرفات
الرواة والحكمة اقتضت ذلك والله اعلم بما هنالك وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اي من الخصال منجيات اي اسباب نجاة وخلاص وثلاث
مهلكات فالمنجيات فتقوى الله اي خوفه في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا
والسخط اي لا يبدل القول الحق لاجل محبته ورضاه عن احد او سخطه وغضبه على احد
والقصد اي التوسط في النفقة في الغنى والفقر في الحالين بالاجتناب عن طرفي
الافراط والتفريط واما المهلكات فهوى للنفس متبع احترازا عن متروك فان مخالفة
النفس من اكبر المنجيات كما ان متابعتها من اكبر المهلكات وشح اي بخل مطاع اي مطاوع
له معمول بمقتضاه فقيل الشح منع الواجب وقيل اكل مال الغير وقيل العمل بمعاصي
الله وقيل الشح بما في يد غيرك والبخل بما في يدك والاظهر ان الشح هو البخل المقرون بالحرص
واعجاب المرء بنفسه اي باستحسان اعمالها واحوالها وما لها وجمالها وسائر ما يتوهم
انه من كمالها وهي اي الخصلة الاخيرة اشدهن اي اعظمهن وزرا واكثرهن ضررا لانه
يتصور ان يتوب من متابعة الهوى ومن رذيلة البخل والمعجب مغرور ومزين فهو محجوب
لا يرجى زواله كالمبتدع فانه قل ان يتوب من بدعته وقال الطيبي لان المعجب بنفسه
متبع هواه ومن هو بالنفوس الشح المطاع قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم

المفلحون حيث اضاف الشح الى النفس روى البيهقي الاحاديث الخمسة في شعب الايمان

باب الظلم

الظلم قال الراغب الظلم عند اهل اللغة وضع الشئ في غير موضعه المختص به اما بنقصان
او بزيادة واما بعدول عن وقته او مكانه وقال القطب الرباني الشيخ عبد الكبير اليماني
ان الله سبحانه خلق قلب عبده لذكره وفكره فمن وضع فيه غيره فهو ظالم لنفسه وقال
العارف ابن الفارض مومئا الى الاشتغال بالوحدة والنبوة او الذكر والصلاة والكتاب
والسنة • عليك بها صرفا وان شئت مزجها • فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم •

الفصل الاول عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الظلم اي جنسه
الشامل المتعدي والقاصر الصادر من الكافر والفاجر ظلمات اي اسباب ظلمة لمرتكبه او
موجبات شدة لصاحبه يوم القيامة ومفهومه ان العدل بالتواعد النور يوم القيامة
لان الدنيا مزرعة الاخرة وفي شرح المسلم للنووي قال القاضي هو على ظاهره فيكون
ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا كما ان المومن يسعى بنور
هو مسبب عن ايمانه في الدنيا قال تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ويحتمل ان
يراد بالظلمات هنا الشدائد وبه فسروا قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
اي شدائدهما ويحتمل انها عبارة عن الانكال والعقوبات قال الطيبي قوله على ظاهره
يوهم ان قوله ظلمات هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز لانه حمل المسبب على السبب
فالمراد ظلمات حقيقية مسببة عن الظلم قلت انما اراد القاضي بالحقيقة
المقابلة للمجاز المفسر بالشدة نظرا الى جوهر المعنى مع قطع النظر عن حمل اللفظ بالاعراب
والمبنى ثم قال والفرق بين الشدائد والانكال ان الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول
النار والانكال بعد الدخول قلت فالمراد بيوم القيامة الدار الاخرة متفق عليه
وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي الظالم من الاملاء اي
يمهله ويؤخره ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم حتى اذا اخذه لم يفلته من الافلات
وهو الخروج من ضيق مع فرار ذكره شارح والمعنى لم يتركه بل اخذه اخذا شديدا ذكره ابن
الملك قيل افلت الشي وتفلت وانفلت بمعنى وافلته غيره وفي النهاية اي لم ينفلت
منه ويجوز ان يكون المعنى لم يفلته منه احد اي لم يخلصه قلت هذا المعنى هو الظاهر
على ما يدل عليه الضمير والقول الاول اما حاصل المعنى او ينال بالحذف والايصال وفيه
تسلية للمظلوم في الحال ووعيد للظالم لئلا يغتر بالامهال كما قال تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ثم قرأ اي النبي صلى
الله عليه وسلم اعتضادا او ابو موسى استشهادا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي
اهلها وهي ظالمة الاية اي ان اخذه اليم شديد كما في نسخة بدل الاية متفق عليه
وفي الجامع الى قوله ثم قرأ رواه الشيخان والترمذي وابن ماجة وعن ابن عمر ان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم لما مر اي اراد المرور بالحجر بكسر الحاء اي ديار ثمود قوم صالح قال لا تدخلوا
مساكن الذين ظلموا انفسهم اي بالكفر الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم اي لئلا يصيبكم
او مخافة ان يصيبكم ما اصابهم اي نوع من العذاب مثل ما اصابهم من العقاب اذ لا يخلو احد
منكم من الذنوب اذا شدد عليه الحساب ويمكن ان يكون المراد ان يصيبكم مثل فعلكم
عين ما اصابهم فعمم الحكم بالتخويف تشنيعا عليهم ثم قنع راسه بتشديد النون مبالغة
من الاقناع اي اطرق راسه ولم يلتفت يمينا وشمالا كالخائف لئلا يقع نظره على مساكنهم
او جعل قناعه على راسه شبه الطيلسان واسرع السير حتى اجتاز الوادي اي تجاوز
وقيل اي قطع عرضه وخرج عن حده وانما فعل ذلك تعليما للامة ليقتدوا به وجمع
بين القول والفعل تاكيدا في القضية او لانه صلى الله عليه وسلم كان في غاية من
الخشية لانها انما تكون على قدر المعرفة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقد قال انا اعلمكم بالله واخشاكم له هذا مجمل معنى الحديث واما تفصيله فقال التوربشتي
الحجر منازل ثمود وذلك في مسيره الى تبوك خشي على اصحابه ان يجتازوا على تلك الديار
ساهين غير متعظين بما اصاب اهل تلك الديار وقد امرهم الله بالانتباه والاعتبار في مثل
تلك المواطن قال القاضي ولذلك استثنى عن النهي صلى الله عليه وسلم النهي وان يصيبكم
نصب على المفعول له اي مخافة ان يصيبكم قال الطيبي المعنى لا تدخلوا مساكنهم في حال
من الاحوال الا حال كونكم باكين قال الخطابي معناه ان الداخل في دار قوم اهلكوا بخسف او عذاب
اذا لم يكن باكيا اما شفقة عليهم واما خوفا من حلول مثلها به كان قاسي القلب قليل الخشوع
فلا يامن اذا كان هكذا ان يصيبه ما اصابهم انتهى وما اصابه في قوله اما شفقة عليهم لقوله
تعالى ولا تحزن عليهم وقوله عز وجل فلا تاس على القوم الفاسقين قال التوربشتي
وفي الحديث انه نهاهم ان يشربوا ماءها وكانوا قد خمروا به عجينهم فامرهم ان يعلفوها دوابهم
ولم يرخص لهم في الاكل منها وفي شرح السنة فيه دليل على ان منازل هؤلاء لا يتخذ
مسكنا ووطنا لانه صلى الله عليه وسلم قد نهى عن دخولها الا مع البكاء فالمتوطن يكون
دهره باكيا قلت ويلائمه ظاهر قوله تعالى تقريعا وتوبيخا وسكنتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وفيه تنبيه نبيه على ان الاماكن لها تاثير عند الله
بالنسبة الى سكانها محنة ومنحة كما في الازمنة من موسم الطاعات وساعات الاجابة
ومنه ما روي ان لله في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وقد تقدم ان احب البلاد الى
الله المساجد وابغضها اليه الاسواق ونظيره كذلك تاثير صحبة الاخيار والاشرار على ما ورد
به الاخبار والاثار الابرار متفق عليه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من كانت له مظلمة بكسر اللام ويفتح اسم ما اخذه الظالم او تعرض له لاخيه
اي في الدين من عرضه بيان للمظلمة وهو بكسر العين جانبه الذي يصونه من نفسه ونسبه
وحسبه ويتحامى ان ينتقص اوشئ اي امر اخر كاخذ ماله او المنع من الانتفاع به او هو تعميم

بعد تخصيص فليتحلله اي فليطلب الظالم حل ما ذكر منه اي من المظلوم وفي النهاية
يقال تحللته واستحللته اذا سالته ان يجعلك في حل اليوم اي في ايام الدنيا المقابلة
بقوله قبل ان لا يكون اي لا يوجد دينار ولا درهم وهو تعبير عن يوم القيامة وفي
التعبير به تنبيه على انه يجب عليه ان يتحلل منه ولو يبذل الدينار والدرهم
في بدل مظلمته لان اخذ الدينار والدرهم اليوم على التحلل اهون من اخذ الحسنات
او وضع السيئات على تقدير عدم التحلل كما اشار اليه بقوله ان كان له عمل صالح اي
بان يكون مومنا ظالما غير معفو من مظلومه اخذ بصيغة المجهول اي عمله الصالح منه
اي من صاحبه الظالم على غيره بقدر مظلمته ومعرفة مقدار الطاعة والمعصية
كمية وكيفية مفوض علمها الى الله سبحانه هذا وقال الطيبي قوله ان كان استينافا
كانه لما قيل فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم يوخذ منه
بدل مظلمته توجه لسائل ان يسال فما يوخذ منه بدل مظلمته بعد ان كان الى اخره
انتهى وان لم يكن اي لم تقع له حسنات اي باقية او مطلقا اخذ من سيئات صاحبه
اي المظلوم فحمل عليه بصيغة المجهول مخففا اي فوضع على الظالم قال ابن الملك
يحتمل ان يكون الماخوذ نفس الاعمال بان تجسم فتصير كالجواهر وان يكون ما اعد لهما
من النعم والنقم اطلاقا للسبب على المسبب وهذا لا ينافي قوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى لان الظالم في الحقيقة يجزي بوزر ظلمه وانما اخذ من سيئات
المظلوم تخفيفا له وتحقيقا للعدل رواه البخاري وعنه اي وعن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اي تعلمون ما المفلس كذا في صحيح مسلم
وجامع الترمذي وكتاب الحميدي وجامع الاصول وشرح السنة وعلى هذا السوال
عن وصف المفلس لا عن حقيقته ومن ثم اجاب صلى الله عليه وسلم بوصفه في قوله
شتم واكل وقذف في مشارق الانوار وبعض نسخ المصابيح من المفلس وهذا سوال
ارشاد لا استعلام ولذلك قال ان المفلس كذا وكذا قلت الظاهر ان المراد بقوله ما المفلس
من المفلس بدليل ما بعده في جواب الصحابة في كلامه صلى الله عليه وسلم ايضا من التعبير
بمن قالوا اي بعض الصحابة المفلس فينا اي فيما بيننا من لا درهم اي من لا نقد له
اي ملكا ولا متاع اي ما يحصل به النقد ويمتنع به من الاقمشة والعقار والجواهر والواشي
والعبيد وامثال ذلك والحاصل انهم اجابوا بما عندهم من العلم بحسب عرف اهل الدنيا
كما يدل عليه قولهم فينا وغفلوا عن امر الاخرة وكان حقهم ان يقولوا الله ورسوله
اعلم لان المعنى الذي ذكروه كان واضحا عنده صلى الله عليه وسلم فلما اجابوا
بما اجابوا قال ان المفلس اي الحقيقي او المفلس في الاخرة من امتي اي امة الاجابة
ولو كان غنيا في الدنيا بالدرهم والمتاع من ياتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة
اي مقبولات والباء للتعدية اي مصحوبا بها ويأتي اي يحضر ايضا حال كونه قد شتم هذا

اي وقع له لاحد وقذف هذا اي بالزنا ونحوه واكل مال هذا اي بالباطل وسفك اي
اراق دم هذا اي بغير حق وضرب هذا اي من غير استحقاق او زيادة على ما يستحقه
والمعنى من جمع بين تلك العبادات وهذه السيئات ولا يبعد ان يكون الواو بمعنى
او لكن لفظ المفلس يلايم كثرة المعاصي الموجبة لافلاسه والله اعلم فيعطى بصيغة
المفعول هذا اي المظلوم من حسناته اي بعض من حسنات الظالم وهذا اي ويعطى
المظلوم الاخر من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضي بصيغة المفعول اي قبل ان
يؤدي ما عليه اي من الحقوق اخذ من خطاياهم اي من سيئات اصحاب الحقوق فطرحت عليه
اي وضعت على الظالم ثم طرح اي القي ورمي في النار وفيه اشعار بانه لا عفو ولا
شفاعة في حقوق العباد الا ان يشاء الله يرضي خصمه بما اراد وقال النووي
يعني حقيقة المفلس هذا الذي ذكرت واما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه
مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لان هذا امر يزول وينقطع بموته وربما انقطع بيسار
يحصل له بعد ذلك في حياته بخلاف ذلك المفلس فانه يهلك الهلاك التام قال المازري
زعم بعض المبتدعة ان هذا الحديث معارض لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى وهو باطل وجهالة بينة لانه انما عوقب بفعله ووزره فتوجهت عليه حقوق
لغرمائه فدفعت اليهم من حسناته فلما فرغت حسناته اخذ من سيئات خصومه فوضعت
عليه فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه قلت
وهذا من ضرورة قضية العدل الثابت له تعالى بالنقل والعقل فان الظالم اذا
اكثر من الحسنات وثقلت موازينه منها وغلبت على سيئاته فان ادخل الجنة يبقى حق
المظلوم ضايعا وان ادخل النار ينافي قوله فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون
وسياتي ان حقوق العباد مما لا يتركه الله تعالى فتعين احد الامرين اما اخذ الحسنات
واما وضع السيئات حتى يتحقق خفة ميزان عمله فيدخل النار فيعذب بقدر
استحقاقه ثم يخرج ويدخل الجنة بسبب الحسنات الباقية ان كانت هناك والا
ببركة الايمان فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا وهذا من البراهين الواضحة المؤيدة
بالشواهد والادلة اللايحة رواه مسلم وعنه اي وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن بفتح الدال المشددة وفي بعض النسخ بضمها
فقوله الحقوق بالرفع على الاول وبالنصب على الثاني الى اهلها يوم القيامة وجزم
شارح وقال هو بفتح الدال على بناء المجهول والحقوق اقيم مقام فاعله وقال ابن الملك
اللام فيه جواب قسم مقدر والدال فيه مضمومة وهو الفعل مسند الى الجماعة الذين
خوطبوا به والحقوق مفعول له وقيل الدال فيه مفتوحة على بناء المجهول والحقوق
نايب الفاعل لكن هذا غير مستقيم لانه لو كان كذلك لظهر التاء وقال لتؤدين انتهى
وارادانه حينئذ صيغة الواحدة فيكون حكمه حكم اخشين واغزون وارمين برد اللام

وفتحها على طبق التثنية كما تقول اخشيا وارميا واغزوا على ما حقق في محله قال التوربشتي
هو بنا المجهول والمحفوف مرفوع هذه هي الرواية المعتد بها وبزعم بعضهم ان الدال وبنصب
المحفوف والفعل مسند الى الجماعة الذين خوطبوا به والصحيح ما قدمناه انتهى والظاهر
انه اراد صحة الرواية والا فقد تقدم صحة الدراية باعتبار الصناعة التصريفية
ويؤيده كلام الشيخ ضبط الكلمة بفتح الدال في اصل السيد وسائر الاصول المعتمدة
والنسخ المصححة ولعل وجهه انه عومل معاملة الفعل الصحيح حيث يقال في المفرد
المجهول ليضربن بفتح المؤخرة وقد غفل الطيبي عن هذا المبنى وذهب الى رعاية
المعنى حيث قال ان كان الرواية فلا مقال وان كان بحسب الدراية فان باب التغليب
واسع فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم وجعل قوله حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة
القرناء غاية بحسب التغليب انتهى والمعنى يكثركم كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم
ازواجا ومن الانعام ازواجا يذرؤكم فيه فالضمير في يذرؤكم راجع الى الاناس والانعام
على التغليب انتهى والمعنى يكثركم من الذر وهو البث وقوله فيه اي في هذا التدبير
وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ذكره
البيضاوي وجعل في للظرفية المعنوية وشبه التدبير بالمنبع وفي الاتقان ان في
بمعنى الباء اي بسببه وهو ظاهر جدا وهذا اريد بالجلحاء والقرناء الشاتان المعروفتان
واما اذا اريد بالجلحاء الفقير والمظلوم وبالقرناء الغني والظالم على ما قيل فلا يحتاج
الى ارتكاب التغليب والامر مرتب ثم الجلحاء بجيم فلام فحاء ممدودة قال النووي الجلحاء
بالمد هي الجماء التي لا قرن لها والقرناء ضدها وهذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة
واعادتها كما يعاد اهل التكليف من الادميين والاطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة
وعلى هذا تظاهرت دلائل القران والسنة قال تعالى واذا الوحوش حشرت واذا
ورد لفظ الشرع ولم يمنع من اجرائه على ظاهره شرع ولا عقل وجب حمله على ظاهره
قالوا وليس من شرط الحشر والاعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب
واما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف بل هو قصاص
مقابلة انتهى وفي كونه قصاص مقابلة نظر لا يخفى مع ان قصاص المقابلة
نحن مكلفون به ايضا وقال ابن الملك لو نطح شاة قرناء شاة جلحاء في الدنيا فاذا كان
يوم القيامة يوخذ القرن من القرناء ويعطي الجلحاء حتى تقتص لنفسها من الشاة
القرناء فان قيل الشاة غير مكلفة فكيف يقتص منها قلنا ان الله تعالى فعال لما يريد
ولا يسئل عما يفعل والغرض منه اعلام العباد بان الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم
من الظالم انتهى وهو وجه حسن وتوجيه مستحسن الا ان التعبير عن الحكمة بالغرض
وقع في غير موضعه وجملة الامر ان القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة
بين كافة المكلفين فانه اذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف فكيف

بذوي العقول من الوضيع والشريف والقوي والضعيف رواه مسلم وفي الجامع بزيادة
تنظلم رواه احمد ومسلم والبخاري في الادب والترمذي وذكر حديث جابر اتقوا الظلم تمامه
فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على
ان يسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم في باب الانفاق من كتاب الزكاة وهذا من المؤلف
ان كان عن تكرير اسقطه فهذا اعتذار حسن واما ان كان من باب تحويل الحديث الى باب
انسب منه فهذا اعتراض لكن في غير المحل فتامل

الفصل الثاني

عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا امعة بكسر الهمزة وتشديد
الميم والهاء للمبالغة وهمزة اصلية ولا يستعمل ذلك في النساء فلا يقال امراة امعة
كذا في النهاية وقال صاحب الفائق هو الذي يتابع كل ناعق ويقول لكل احد انا معك
لانه لا راي له يرجع اليه ووزنه فعلة كربعة ولا يجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة لانه
ليس في الصفات افعلة وهي في الاسماء ايضا قليلة ومعناه المقلد الذي يجعل دينه
تابعا لدين غيره بلا روية ولا تحصيل برهان انتهى كلامه وفيه اشعار بالنهي عن
التقليد المجرد حتى في الاخلاق فضلا عن الاعتقادات والعبادات ثم الاظهر ان
الكلمة غير موضوعة للصفة او رسم بل مصنوعة مركبة من الكلمتين المعبر عنهما
بانا معك ونظيرها البسملة والحيعلة ونحوهما وفي القاموس الامع كهلع وهلعة ويفتحان
الرجل يتابع كل احد على رايه لا يثبت على شيء ومتبع الناس الى الطعام من غير ان يدعى
والمحقب الناس دينه والمتردد في غير صنعه ومن يقول انا مع الناس ولا يقال للمراة
امعة وقد تامع واستامع صار امعة وقال شارح الامع والامعة عند
اهل اللغة الرجل الذي يكون لضعف رايه مع كل احد والمراد هنا من يكون مع ما يوافق هواه
ويلائم ارب نفسه وما يتمناه وقيل المراد هنا الذي يقول انا اكون مع الناس كما يكونون
معي ان خيرا فخير وان شرا فشر قلت هذا المعنى هو المتعين كما يدل عليه قوله
تقولون الظاهر ان الامعة يستوي فيه المفرد وغيره او المعنى الموصوفين بهذا
الوصف تقولون ان احسن الناس اي الينا او الى غيرنا احسنا اي جزاء او تبعا لهم
وان ظلموا اي ظلمونا او غيرنا فكذلك نحن ظلمنا على وفق اعمالهم قال الطيبي قوله تقولون
الى اخره بيان وتفسير للامعة لان معنى قوله ان احسن الناس وان ظلموا انا مقلد
الناس في احسانهم وظلمهم ونقتفي اثرهم ولكن وطنوا انفسكم امر من التوطين
وهو العزم والجزم على الفعل اي عزموا انفسكم على انه ان احسن الناس ان تحسنوا
اي فعليكم ان تحسنوا وان اساءوا فلا تظلموا قال في اساس البلاغة اوطن الارض ووطنها
واستوطنها ومن المجاز وطنت نفسي كذا فتوطنت قال ولا خير فيمن لا يوطن نفسه
على نائبات الدهر حين تنوب ومعنى الحديث اوجبوا على انفسكم الاحسان بان تجعلوها
وطنا للاحسان قال الطيبي فعلى هذا ان تحسنوا متعلق بقوله وطنوا وجواب الشرط

محذوف يدل عليه ان تحسنوا او التقدير وطنوا انفسكم على الاحسان ان احسن الناس
فاحسنوا وان اساؤا فلا تظلموا الا ان عدم الظلم احسان رواه الترمذي وعن
معاوية اي ابن ابي سفيان صحابيان مشهوران انه كتب الى عائشة اي ام المؤمنين
ان اكتبي ان مصدرية او مفسرة لما في الكتابة معنى القول الي اي مرسلا او موصلا
حالا او متعلق بقوله كتابا توصيني فيه ان في ذلك الكتاب من كل باب ولا تكثري
اي بالاطناب بل اوجزي بكلام جامع يكون فصل الخطاب لانها اهل بيت من اوتي جوامع
الحكم وبدايع الكلم فكتبت سلام عليك واقتصرت على غنيمة السلامة خوف السامة
اما بعد اي بعد السلام او بعد ما سبق منك الكلام فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس اي من طلب رضاه في شيء يسخط
الناس عليه بسببه كفاه الله مؤنة الناس اي مؤنة شرهم من الظلم عليه والاساءة
اليه ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله بتخفيف الكاف اي خلاه وتركه نفوض
ودفعه الى الناس وهذا وصية جامعة لجميع الناس قال المظهر يعني اذا عرض له
امر في فعله رضى الله وغضب الناس وعكسه فان فعل الاول رضي الله عنه ودفع
شر الناس وان فعل الثاني وكله الى الناس يعني سلط الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا
عليه ولم يدفع عنه شرهم وفي النهاية وكلت امري الى فلان اي الجأته اليه واعتمدت
فيه عليه والسلام عليك فالاول بمنزلة سلام الملاقاة والثاني في مرتبة
المودعة او كانها قالت السلام عليك اولا واخرا او في الدنيا والاخرة او في تكرار اللام
اشارة خفية الى ان كيفية طلب السلامة وتركه يؤدي الى الملامة رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن ابن مسعود قال لما نزلت بالتانيث لكون ما بعده
اية او التقدير لما نزلت اية الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم
بظلم ثم اولئك لهم الامن وهم مهتدون اي في الدنيا شق ذلك اي صعب ذلك
الكلام او الحكم على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ظنا منهم ان المراد بالظلم
مطلق المعاصي كما يتبادر الى الفهم لاسيما من التنكير الذي يفيد العموم وقالوا يا رسول
الله اينا لم يظلم نفسه اي ظلما قاصرا او متعديا مع ان الثاني ايضا يرجع الى ظلم النفس
لقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس ذلك اي ليس معناه كما توهمتم انما هو اي الظلم الشرك ففي التنكير اشارة الى ان
المراد اي نوع من الكفر او اريد به التعظيم اي بظلم عظيم كما يدل عليه قوله الم
تسمعوا قول لقمان لابنه اي وهو مؤمن يا بني بفتح الياء وكسرها لا تشرك بالله
اي لا تخلط الاشراك بالايمان بالله وما يجب الايمان به ان الشرك لظلم عظيم استيناف
تعليل فانه يبطل الايمان ثوابه وصلته ولا يجتمع معه اصلا فضلا عن غيره من الاعمال
قال تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله بخلاف ساير المعاصي فانه لا ينافي الايمان

على

على مذهب الحق الذي عليه اهل السنة والجماعة خلافا للخوارج والمعتزلة وساير المبتدعة
في الصحابة رضي الله عنهم اولا فهموا اخلاط المعصية بالايمان لان الشرك لا يتصور
خلطه به فاجاب بان خلطه به ممكن بان يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره فيكون
ايمانا لغويا لا شرعيا والا فالايمان بالله انما يكون معتبرا اذا اشتمل على اثبات صفات الكمال
له وتنزيهه عن نعوت النقص والا فيلزم ان يكون جميع الكفار مؤمنين بالله حقيقة
قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا
يقولون هؤلاء شفعاؤنا ولكن الله تعالى لم يرض بالاشراك الصوري ايضا كما ورد في الحديث
القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك واذا تاملت ظهر لك ان لا يتصور وجود الشرك الحقيقي
بالله سبحانه اذ الممكن بجنب واجب الوجود كالمعدوم وفي رواية ليس هو اي الامر او
الظلم او الحكم كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه اي الى اخره قال الطيبي فهموا من معنى
اللبس المراد من الظلم المعصية لان لفظ اللبس يابى ان يراد به الشرك فالمعنى
لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم كذا في الكشاف وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس ذلك معناه ليس كما تعتقدون ان اللبس يقتضي الخلط ولا يتصور خلط
الشرك بالايمان بل هو واقع لمن يؤمن بالله ويشرك في عبادته غيره واليه الاشارة
بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال الحسن هم اهل الكتاب معهم
شرك وايمان به وقيل النفاق لبس الايمان الظاهر بالكفر الباطن وفي الاية شاهدة
على ان المراد بالظلم فيها الشرك ومن اراد زيادة اطلاع عليه فلينظر في فتوح الغيب
متفق عليه وعن ابي امامة اي الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من شر الناس وفي الجامع بزيادة ان للناس كبد منزلة اي عند الله كما في نسخة يوم
القيامة قيد به لظهور الامر فيه عبد اذهب اخرته اي ضيعها بدنيا غيره رواه ابن ماجة
وكذا الطبراني وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين
اي صحايف الاعمال ثلاثة اي انواع من الدواوين وفي المغرب الديوان الجريدة من دون
الكتب اذا جمعها لانها قطع من القراطيس مجموعة ديوان لا يغفر الله اي لا يغفر له ولا يعفو
عنه البتة الاشراك بالله والمراد منه الكفر بانواعه لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
اي بلا توبة او لا يغفر الاشراك به يوم القيامة وديوان لا يتركه الله اي بلا محاسبة
ولا مطالبة لا محالة ظلم العباد فيما بينهم حتى يقتص منه على ما لا يتركه وفي نسخة
ما لا يتركه حتى يقتص لبعضهم من بعض او يتفضل الله على بعضهم بارضاء خصومهم
فانه بمنزلة الاقتصاص قايم مقامه لدية في الدنيا وديوان لا يعبا الله به بفتح الموحدة
وضم الهمزة اي لا يبالي به ولا يرى له وزنا من العبء وهو الثقل ظلم العباد فيما
بينهم وبين الله وهذا مما يتعلق به حق الله ايضا لانه لا يوجد حق عبد الا ويتعلق
به حق الله ايضا فحقوق العباد مركبة من الجهتين والجهة المتعلقة بالعبد مقدمة

على الاخرى لتفقر العبد واستغنائه سبحانه فذاك بالالف دون اللام في الاصول المعتمدة
والمراد به الاشارة الى التقريب من حق العبد الى الله اي مفوض الى مشيئته ان شاء عذبه
اي بقدر ذنبه او باقل منه وان شاء تجاوز عنه اي غفره مجانا وبتقريرنا هذا يندفع
ما يرد فيه من الاشكال حيث ظاهر الحديث من التقسيم قد ينافيه اية ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الطيبي وانما قال في القرينة الاولى لا يغفر
ليدل على ان الشرك لا يغفر اصلا وفي الثانية لا يترك ليؤذن بان حق العبد لا يهمل
قطعا اما بان يقتص عن خصمه او يرضيه الله تعالى وفي الثالثة لا يعبأ بان حق الله تعالى
على المساهلة فيترك حقه كرما ولطفا وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم اي ولو ذميا فانما يسال الله حقه اي سوال
تناسبة ومطالبة وان الله لا يمنع ذا حق حقه اي بل يعطي كل ذي حق حقه فان قوله
حق ووعده صدق وفعله عدل ثم تعبده فضل وعن اوس بن شرحبيل بضم معجمة
وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة وترك صرف كذا في المغني ولم يذكر المؤلف انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مشى مع ظالم ليقويه وفي الجامع ليعينه
وهو يعلم انه ظالم اي فيه فقد خرج من الاسلام اي من كمال الايمان او من حقيقة الاسلام
لقوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون المقتضي ان يسلم المسلمون من لسانه ويده
وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه وهذا الكلام حق لقوله
تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وكان ابا هريرة فهم انه اراد بهذا الحصر انه لا يسري اثر ظلمه الا الى نفسه كما يدل
عليه الحصر فقال بلى اي بلى قد يضر غيره ايضا وليس يختص ضرر اثره على م نفسه والله حتى
اي يتعدى الى غيره من الانسان والحيوان المستانس وغيره حتى الحبارى بضم الحاء طير
مشهور لتموت في وكرها اي بيتها وعشها هزلا بضم هاء وسكون زاي لنقيض السمن
لظلم الظالم اي لاجل ظلمه ولكن الله يعفو عن كثير ويمهل عن بعضهم ولا يهمل حق
المظلوم واليه الاشارة بقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من
دابة الاية وفي النهاية يعني ان الله تعالى يحبس القطر عن الحبارى بشوم ذنوب الظالم
وانما خصها بالذكر لانها ابعد الطير نجعة اي طلبا للكلأ الناشئ من الغيث فربما تذبح
بالبصرة و يوجد في حوصلتها الحبة الخضراء وبين البصرة ومنبتها مسيرة ايام قال
الطيبي قوله بلى يجاب بها النفي قبله وههنا وقعت جوابا للمثبت فالوجه ان يقال ان مفهوم
قوله لا يضر الا نفسه لا يضر غيره فقال بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى رواه البيهقي في الاحاديث
الاربعة في شعب الايمان اما الحديث الاخير فهو موقوف على ابي هريرة واما الاول فقد
رواه احمد والحاكم في مستدركه ايضا على ما في الجامع ولفظ الدواوين ثلاثة فديوان
لا يغفر الله منه شيئا وديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا فاما الديوان

الذي لا يغفر الله منه شيئا فالاشراك بالله واما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم
العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه او صلاة تركها فان الله يغفر
ذلك ان شاء ويتجاوز واما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فمظالم العباد بينهم
القصاص لا محالة واما الحديث الثاني فقد اخرجه سمويه عن انس ولفظه اياك ودعوة
المظلوم وان كانت من كافر فانه ليس لها حجاب دون الله عز وجل ورواه احمد وابو يعلى في
مسنديهما والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس لها دونه حجاب
دون الله ورواه الحاكم عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها
شرارة ورواه الطبراني والضياء عن خزيمة بن ثابت ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل
على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين واما الثالث فقد اخرجه
الطبراني والضياء عن اوس بن شرحبيل ايضا

باب الامر بالمعروف

في النهاية المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله
تعالى والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات
والمقبحات وهو من الصفات الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه
والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الاهل وغيرهم من الناس والمنكر ضد ذلك جميعه
انتهى وكان حق المؤلف ان يقول والنهي عن المنكر ولعله تركه لان الامر بالمعروف
يعم النهي عن المنكر او هو من باب الاكتفاء بذكر احد الضدين عن الاخر كقوله تعالى سرابيل
تقيكم الحر اي والبرد والله اعلم

الفصل الاول

عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من راى اي علم منكم منكرا اي في غيره من المؤمنين
والخطاب للصحابة اصالة ولغيرهم من الامة تبعا وفي الاتيان بمن التبعيضية اشعار
بانه من فروض الكفاية وايماء الى انه لا يباشره الا من يعرف مراتب الاحتساب وتفاوت
المنكرات ويميز بين المتفق عليه والمختلف فيه منها وهذا المعنى مقتبس من قوله
تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وخلاصة
الكلام من ابصر ما انكره الشرع فليغيره بيده اي بان يمنعه بالفعل بان يكسر الالات
ويريق المسكر ويرد المغصوب الى مالكه فان لم يستطع اي التغيير باليد وازالته بالفعل
لكون فاعله اقوى منه فبلسانه اي فليغيره بالقول وتلاوة ما انزل الله من الوعيد عليه
وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة فان لم يستطع اي التغيير باللسان ايضا فبقلبه
بان لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييرا معنويا اذ ليس في وسعه
الا هذا القدر من التغيير وقيل التقدير فلينكره بقلبه لان التغيير لا يتصور بالقلب
فيكون التركيب من باب علفتها تبنا وماء باردا ومنه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار
والايمان وذلك اي الانكار بالقلب وهو الكراهية اضعف الايمان اي شعبه او خصال
اهله والمعنى انه اقل اهله ثمرة فمن غير المراتب مع القدرة كان عاصيا ومن تركها بلا

قدرة او يرى المفسدة اكثر ويكون منكرا بقلبه فهو من المؤمنين وقيل معناه وذلك اضعف
زمن الايمان اذ لو كان ايمان اهل زمانه قويا لقدر على الانكار القولي او الفعلي ولما احتاج
الى الاقتصار على الانكار القلبي او وذلك الشخص المنكر بالقلب فقط اضعف اهل الايمان
فانه لو كان قويا صلبا في الدين لما اكتفى به ويؤيده الحديث المشهور افضل الجهاد كلمة
حق عند سلطان جائر وقد قال تعالى ولا يخافون لومة لائم هذا وقد قال بعض علمائنا
الامر الاول للامراء والثاني للعلماء والثالث لعامة المؤمنين وقيل المعنى ان انكار المعصية
بالقلب اضعف مراتب الايمان لانه اذا راى منكرا معلوما من الدين بالضرورة فلم ينكره
ولم يكرهه ورضي به واستحسنه كان كافرا ولعل الاطلاق الدال على العموم لافادة التهديد
والوعيد الشديد قال ابن الملك فان قلت هذا الحديث يدل على ان الايمان يزيد وينقص
كما ذهب اليه الشافعي فما وجهه عند الحنفية قلنا معناه اضعف ثمرات الايمان والانكار
بالقلب منها فان قلت لو كان كذلك لزم ان لا يخرج من الايمان بانتفائه وليس كذلك لما
جاء في بعض الروايات وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل **قلت** اراد بطلان الثمرات
القوية والضعيفة اذا انتفت كان الايمان كالمعدوم انتهى وفيه انه يرجع الحديث
دليلا للخصم فالصواب ان يقال التقدير وليس وراء ذلك من كمال الايمان او
من الايمان الكامل حبة خردل لا يقال هذا ايضا يدل على تحقق الكمال والنقصان
بالنسبة الى الايمان فانا نقول الخلاف انما هو في حقيقة الايمان وهو التصديق القلبي
اهل هو قابل للزيادة والنقصان ام لا بل المحققون من الشافعية ايضا على ان النزاع
لفظي فان نفس الايمان وجوهره لا يتجزى وانما كماله ان ينضم اليه وجود الاعمال الصالحة
لان الله تعالى حيث يمدح المؤمنين الكاملين عطف الاعمال على الايمان وقال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات ومن المعلوم ان الاصل في العطف التغاير واما كون الاعمال جزء الايمان
حقيقة فانما هو مذهب الخوارج والمعتزلة واما الايات والاحاديث الدالة على
الزيادة والنقصان فاما محمولة على ما ذكرنا واما بالنظر الى تعدد المؤمن به وهذا بحث
طويل الذيل محله كتب العقائد ومباحث الكلام والله اعلم بحقيقة المرام ثم اعلم
انه اذا كان المنكر حراما وجب الزجر عنه واذا كان مكروها يندب والامر بالمعروف
ايضا تبع لما يؤمر به فان وجب فواجب وان ندب فندب ولم يتعرض له في الحديث لان النهي
عن المنكر شامل له اذ النهي عن الشيء امر بضده وضد المنهي اما واجب او مندوب او
مباح والكل معروف وشرطهما ان لا يؤدي الى الفتنة كما علم من الحديث وان يظن قبوله
فان ظن انه لا يقبل فيستحب اظهارا لشعار الاسلام ولفظ من بعمومه يشمل كل احد
رجلا او امراة عبدا او فاسقا او صبيا مميزا اذا كان وان كان يستفيد ذلك من الفاسق
قال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقال عز وجل لم تقولون ما لا تفعلون
وانشد **شعر** وغير تقي يامر الناس بالتقى * طبيب يداوي الناس وهو مريض

قال النووي في شرح مسلم قوله فليغيره بيده هو امر ايجاب وقد تطابق على وجوبه
الكتاب والسنة واجماع الامة وهو ايضا من النصيحة التي هي الدين ولم يخالف في ذلك
الا بعض الروافض ولا يعتد بخلافهم قال امام الحرمين ابو المعالي لا يكترث بخلافهم
ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة ثم من وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب فلا
عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى ما عليه وما عليه الا ان يقبل منه وهو فرض كفاية ومن
تمكن منه وتركه بلا عذر اثم وقد يتعين كما اذا كان في موضع لا يعلم به الا هو ولا يتمكن
من ازالته الا هو وكمن يرى زوجته او ولده او غلامه على منكر قالوا ولا يسقط عن المكلف
لظنه انه لا يفيد بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين وما على الرسول الا
البلاغ المبين ولا يشترط في الآمر والناهي ان يكون كامل الحال ممتثلا ما يامر به مجتنبا
ما ينهى عنه بل يجب عليه مطلقا لان الواجب عليه شيئان ان يامر نفسه وينهاها
ويامر غيره وينهاه فاذا اخل باحدهما كيف يباح له الاخلال بالاخر قالوا ولا يختص
ذلك باصحاب الولايات بل هو ثابت على احاد المسلمين فان السلف الصالح كانوا يامرون
الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم وترك توبيخهم على
التشاغل به ثم انه انما يامر وينهى من كان عالما بما يامر به وينهى عنه وذلك يختلف
باختلاف الشيء فان كان من الواجبات الظاهرة او المحرمات المشهورة كالصلاة
والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها وان كان من دقائق الافعال
والاقوال ومما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام مدخل فيه لانه انكاره على ذلك للعلماء
ثم العلماء انما ينكرون ما اجمع عليه الائمة واما المختلف فيه فلا انكار فيه
لان على احد المذهبين كل مجتهد مصيب وينبغي للآمر والناهي ان يرفق ليكون
اقرب الى تحصيل المطلوب فقد قال الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد
نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه قال القاضي عياض
ان هذا الباب باب عظيم في الدين به قوام الامر وملاكه فاذا سد اعم العقاب
الصالح والطالح قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
رواه مسلم وكذا احمد والاربعة وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل المدهن اي المداهن المساهل في حدود الله اي ترك القيام لاقامتها او
بالنهي عن ارتكاب المعاصي التي توجب الحدود ولعل التخصيص للاعتناء بها او لان
ضررها قد يتعدى الى غير فاعلها ويمكن ان يراد بالحدود مطلق المعاصي وذكر الحدود
لتغليب الاقوى او لان الحد كل معصية معروفة مقررة والواقع فيها اي ومثل
الفاعل للمناهي وفي التعبير بالواقع فيها اشارة الى انه بسبب المعصية كانه طارح من علو
منزلته هوى في بئر عميق ومكان سحيق مثل قوم بالرفع اي كمثل جمع مجتمع من الصالحين
وغيرهم استهموا سفينة اي اقتسموا محالها ومنازلها بالقرعة وهذا قيد اتفاقي

وانما ينحصر في جمع خاص يملكونها بالشركة المساوية والا فقد يكون الاقتسام بحسب
امر صاحب السفينة على مقتضى الاجارة وغيرها وقال بعضهم فيه ندب القرعة
اذا تشاجروا على الجلوس في الاعلى والاسفل وذلك اذا نزلوا فيها جملة اما اذا نزلوا
متفرقين فمن سبق منهم الى مكان فهو احق به من غيره قلت وهذا لا يصح
الا اذا كانت السفينة موقوفة على الفقراء او على الحجاج والغزاة بخلاف ما اذا كانت
مملوكة لاحد او لجماعة على سبيل الاشتراك فصار بعضهم في اسفلها اي من المنازل
وصار بعضهم في اعلاها اي من المجالس فكان الذي اي لو كان واحدا في اسفلها
اي البعض الذي استقر في اسفلها فافرد الموصول نظرا الى لفظ بعض وايماء الى
انه ولو كان واحدا فالامر كذلك واشعارا بان الصلحاء في الامة كثيرون وان الطلحاء
قليلون مغلوبون مقهورون او ايماء الى ان الصالح وان كان واحدا فهو كثير كبير عال
بحال الدين والفسقة وان كانوا جماعة فهم في مرتبة القلة ومنزلة الذلة في مقام
اسفل السافلين يمرون بالماء اي بسببه على الذين في اعلاها فتاذوا به اي فتاذى
من بالاعلى بمروره عليهم وحاصله انه يجيء من اسفلها الى اعلاها لياخذ الماء
ويذهب الى موضعه ففي ذهابه وايابه وامراره بالماء عليهم تاذوا به بحيث ظهر له
واظهروا له بالقول الغليظ والفعل الشنيع لا سيما اذا كان الماء كناية عن البول
والغائط وامراره لطرحه في البحر فانه حينئذ يوجد التاذي اكثر ووجه المضايقة
والمخالفة اظهر خصوصا اذا كان اهل السفل فقراء على ما هو الغالب على مقتضى
طالعهم ونازلهم في انحطاط المنازل ثم لا يظهر انه صور محل الاولين اعلى لخلوهم
بانفسهم عن المعاصي وجعل مقابلهم اسفل لارتكابه المنهي فاخذ فأسا بسكون الهمزة
وتبدل الفا فجعل اي شرع ينقر بضم القاف اي يثقب ويخرق ويقطع اسفل السفينة اي من
الواحها فاتوه اي فجاءه اهل العوالي فقالوا ما لك اي شيء لك باعث على ذلك قال تاذيتم
بي ولا بد لي من الماء اي من استعماله او طرحه فان اخذوا على يديه اي منعوه يقال اخذت
على يد فلان اذا منعته عما يريد ان يفعله كانك امسكت يده كذا في النهاية انجوه
اي اخلصوه ونجوا بالتشديد اي وخلصوا انفسهم ايضا فتخلصوا من الهلاك جميعا
وفي الجمع بين اللغتين تفنن في العبارة وان تركوه اي على فعله اهلكوه واهلكوا
انفسهم والمعنى انه كذلك ان منع الناس الفاسق عن الفسق نجا ونجوا من عذاب
الله تعالى وان تركوه على فعل المعصية ولم يقيموا عليه الحد حل بهم العذاب وهلكوا
بشومه وهذا معنى قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اي بل تصيبكم عامة بسبب مداهنتكم والفرق بين المداهنة والمداراة المامورة
ان المداهنة في الشريعة ان يرى منكرا ويقدر على دفعه ولم يدفعه حفظا لجانب
مرتكبه او جانب غيره لخوف او طمع او لاستحياء منه او قلة مبالاة في الدين والمداراة

مدافعة بترك حظ نفسه وحق يتعلق بماله وعرضه فسكت عنه دفعا للشر
ووقوع الضرر ومنه قول الشاعر فدارهم ما دمت في دارهم * وحاصله تحمل الاذى
من الخلق رضا بما قضى له الحق ومجمله ان المداهنة انما تكون في الباطل مع الاعداء
والمداراة في امر حق مع الاحياء قال الاشرف شبه النبي صلى الله عليه وسلم المداهن في حدود الله
بالذي في اعلى السفينة وشبه الواقع في تلك الحدود بالذي في اسفلها وشبه انهماكهم
في تلك الحدود وعدم تركه اياها بنقره اسفل السفينة وعبر عن نهي الناهي الواقع
في تلك الحدود بالاخذ على يديه ومنعه اياه عن النقر وعبر عن فائدة ذلك المنع
بنجاة الناهي والمنهي وعبر عن عدم نهي النهاة بالترك وعبر عن الذنب الخاص به
للمداهنين الذين ما نهوا الواقع في حدود الله باهلاكهم اياه وانفسهم وكان السفينة
عبارة عن الاسلام المحيط بالفريقين وانما جمع فرقة النهاة ارشادا الى ان المسلمين لا بد
وان يتبعوا ويتواعلى امثال هذا النهي او الى من يصدر عنه هذا النهي فهو كالجمع قال تعالى
ان ابراهيم كان امة وافرد الواقع في حدود الله لادائه الى ضد الكمال رواه البخاري
وعن اسامة بن زيد صحابيان جليلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء اي يؤتى
بالرجل اي المقصر في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق
اي تخرج سريعا اقتابه اي امعاؤه فيطحن بصيغة الفاعل على الصحيح اي يدور فيها اي
في اقتابه واقتصابه كطحن الحمار برحاه اي كدورانه حول رحاه قال الطيبي قوله فيطحن
فيها هو على بناء الفاعل والضمير للرجل وفي فيها للامعاء وفي بعض نسخ المصابيح هو
على بناء المفعول وهو خطأ لما ورد في رواية اخرى فيدور كما يدور الحمار برحاه قال المظهر
اي يدور ويتردد في اقتابه يمشي يدور حول اقتابه ويطأها برجله ويمكن ان يكون المعنى
فيدور في النار دوما حولها كما يدور الحمار برحاه اي في رحاه فيجتمع اهل النار عليه اي من
الفسقة فيقولون اي فلان كناية عن اسمه ووصفه بالعلم او المشيخة ما شانك اي
حالك الغريب وحالك العجيب اليس كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت امركم
بصيغة المتكلم بالمعروف ولا اتيه اي لا افعله وانهاكم عن المنكر واتيه متفق عليه

الفصل الثاني عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي

نفسي بيده لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن اي ليسرعن الله ان يبعث
الله عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه اي لتسالنه ولا يستجاب لكم والمعنى والله لاحد
الامرين كائن اما الامر والنهي منكم واما انزال العذاب من ربكم ثم عدم استجابة
الدعاء له في دفعه عنكم رواه الترمذي ورواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابي هريرة
ولفظه لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم
فلا يستجاب لهم وعن العرس بضم العين المهملة وسكون الراء وسين مهملة ابن عميرة
مفتوحة وكسر ميم وبراء ولا يعرف في الرجال عميرة بالضم بل كله بالفتح كذا في المغني وقال

المؤلف في فضل الصحابة هو كذي روي عنه عدي بن عدي ابن احنبه وغيره عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة بصيغة المجهول اي اذا فعلت السيئة في الارض
اي على وجه الارض جميعا من شهدها جواب الشرط والفا محذوفة كما في قوله تعالى وان اطعتموهم
انكم لمشركون ذكره الطيبي وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي ذكره
القاضي والمغني من حضرها فكرهها اي فانكرها ولو بقلبه كان كمن غاب عنها اي وعلم بها
فرضيها اي فرضي بها او استحسنها كان كمن شهدها اي ولم ينكرها رواه ابو داود ولفظ
الجامع مسندا الى اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها الحديث
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الاية يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي الزموا حفظ انفسكم عن المعاصي
فاذا حفظتم انفسكم لم يضركم اذا عجزتم عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ضلال من ضل
بارتكاب المناهي اذا اهتديتم اي اجتنبتم عنها فاني قال الطيبي الفاء فصيحة تدل على محذوف
كانه قال انكم تقرؤون هذه الاية وتجرونها على عمومها وتمتنعون عن الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وليس كذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا راوا منكرا فلم يغيروه اي مع القدرة على انكاره يوشك ان يعمهم الله بعقابه
قال الطيبي وانما قلت ليس كذلك لان الاية نزلت في قوم امروا بالمعروف ونهوا
عن المنكر فابوا القبول كل الاباء فذهبت انفس المؤمنين حسرة عليهم فقيل لهم عليكم
انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم
اذا كنتم مهتدين ويشهد لذلك ما قبل هذه الاية واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول وهذا تخصيص بحسب الاشخاص واما بحسب الزمان فيدل عليه الحديث
الاتي لابي ثعلبة فان اللقاء قد يحقق مرة اخرى انتهى ولا يخفى انه غير صحيح المبنى
وصريح المعنى من وجهين اما اولا فقوله نزلت الاية في قوم امروا بالمعروف فابوا
كل الاباء فلا يعرف له اصل اصلا بل ولا يتصور له وجود ابدا لان من المعلوم انه لا يومر
بالمعروف الا المومنون ولا يمكن انهم يابون كل الاباء ولم يثبت ان قوما ارتدوا بسبب
هذا الامر حتى يصح قوله فذهبت انفس المومنين حسرة عليهم الى اخره واما ثانيا فقوله ويشهد
لذلك ما قبل هذه الاية لا تعلق له بباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مطلقا بل
المطلوب منهم ان يومنوا بما انزل الله والى الرسول ويتركوا تقليد ابائهم في ضلالتهم
وابائهم فاصروا على بطلانهم وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فقال تعالى اولو كان اباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون لكم ورد ما يناسب بين اقترانا لا ينبني على ما اخرجه ابن
ابي حاتم انه انما نزلت هذه الاية لان الرجل كان يسلم ويكفر ابوه ويسلم الرجل ويكفر
اخوه فلما دخل قلوبهم حلاوة الايمان دعوا اباءهم واخوانهم فقالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم الاية وهذا معنى قول

البيضاوي والاية نزلت لما كان المومنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم
وفي تفسير المعين الصفوي في هذه الاية رخصة في ترك الحسبة اذا علم عدم
قبولها او فيها مفسدة او اضرار له منها اتفقت كلمة السلف على ذلك والاحاديث تدل
عليه او معنى اذا اهتديتم اذا ائتمرتم بالمعروف وامرتم به وانتهيتم عن المنكر
ونهيتم عنه كذا رواه ابن جرير عن سعيد بن المسيب وروي عن غير واحد من السلف
فان الاهتداء لا يحصل الا باتيان ما يجب عليه ومنه الامر بالمعروف او المراد
المنع عن هلاك النفس اسفا على ما عليه الكفرة والفسقة كقوله تعالى فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وقال النووي واما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا الاية فليست
مخالفة لوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المذهب الصحيح عند المحققين
في معنى الاية انكم اذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم مثل قوله تعالى ولا
تزر وازرة وزر اخرى فاذا كان كذلك فما كلف به الامر بالمعروف اذا فعله ولم يمتثل
المخاطب فلا عتب بعد ذلك عليه لكونه ادى ما عليه رواه ابن ماجة والترمذي وصححه
وفي رواية ابي داود اذا راوا اي الناس الظالم اي الفاسق فلم ياخذوا على يديه اي لم يمنعوه
عن ظلمه اوشك الله ان يعمهم بعقاب اي بنوع من العذاب فانه اشد الحجاب وفي اخرى له
اي لابي داود ما من قوم يعمل فيهم بصيغة المجهول والجار هو النائب والتقدير يعمل احد
فيما بينهم بالمعاصي ثم يقدرون على ان يغيروه ثم لا يغيرونه الا يوشك ان يعمهم
الله بعقابه وفي اخرى له ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اكثر ممن يعمله هم صفة قوم
اي اذا كان الذين لا يعملون المعاصي اكثر من الذين يعملونها فلم يمنعوهم عنها عمهم العذاب
قال الطيبي يزاد بعده قوله ثم لا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب وهم صفة
قوم والا يوشك خبر ما قلت هذه التقادير مستفادة مما قبله وانما زاد المص
اختلاف الرواية في صدر الحديث وقال البغوي وفي رواية لتامرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فليسومنكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم
فلا يستجاب لهم قال ابو عبيد خاف الصديق ان يتناول الناس الاية غير متاولها فيدعوهم
الى ترك الامر بالمعروف فاعلمهم انها ليست كذلك وان الذي اذن في الامساك عن تغييره من
المنكر هو الشرك الذي ينطق به المعاهدون من اجل انهم يتدينون به وقد صولحوا
عليه فاما الفسوق والعصيان والريب من اهل الاسلام فلا يدخل فيه وقال مجاهد
وسعيد بن جبير الاية في اليهود والنصارى يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل
من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وعن ابن مسعود قال في هذه الاية مروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان
القران نزل حين نزل اي قد مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن في اخر الزمان ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيامة منه ما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم وهواكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا وانهوا فاذا اختلفت القلوب والاهواء والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جا تاويل هذه الاية انتهي وهو مطابق لما في حديث ابي ثعلبة الاتي وعن جرير بن عبد الله اي البجلي قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل بفتح الياء صفة ثانية لرجل وكان منه وسوء عمله اي يفعل فيهم بالمعاصي اي بهذا الجنس من العمل يقدرون اي القوم علي ان يغيروا اي علي الرجل باليد او اللسان فانه لا مانع من انكار الجنان ولا يغيرون الا اصابهم الله منه اي من عنده تعالي بعقاب قبل ان يموتوا قال الطيبي الضمير المجرور اما عائد الي الرجل او الي عدم التغيير ويكون من ابتدائية اي بسبب شومه وان يعود الي الله تعالي اي عذابا من عنده وهذا ابلغ كقوله تعالي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن رواه ابو داود وابن ماجة واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن جرير البجلي ولفظ سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول ما من قوم يكون بين اظهرهم رجل يعمل بالمعاصي هم امنع منه واعز ثم لا يغيرون عليه الا اوشك ان يعمهم الله منه بعقاب قال الطيبي وهذا الحديث مخالف للحديث الذي في المصابيح بحسب اللفظ وكان موضعه الفصل الثالث الا انه ذكره هنا تنبيها علي ان المولف ما وجد في الاصول كما في المصابيح قلت هذا التنبيه موجه بنيه متضمن للاعتراض الفعلي واما كون موضعه الفصل الثالث فليس في موضعه وعن ابي ثعلبة اي ابن جرهم بن ثابت الخشني بايع النبي صلي الله عليه وسلم بيعة الرضوان وارسله الي قومه فاسلموا ونزل بالشام ومات بها سنة خمس وسبعين في قوله تعالي عليكم انفسكم قال البيضاوي اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا وكذلك نصب انفسكم وقري بالرفع علي الابتدا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته علي ما سبق من الحديث ولا يضركم يحتمل الرفع علي انه مستانف ويؤيده ان قري لا يضركم والجزم علي الجواب اي للامر او علي النهي لكنه ضمت الراء اتباعا للضمة ايضا المنقولة اليها من الراء المدغمة ويؤيده قراءة من قرا لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها اي مع سكون الراء من ضاره يضيره ويضره قال الطيبي يقول الراوي سيل ابو ثعلبة في شان قوله تعالي عليكم انفسكم فقال اي ابو ثعلبة اما بتخفيف الميم للتنبيه والله لقد سالت عنها اي عن الاية رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال بل ايتمروا اي امتثلوا بالمعروف اي ومنه الامر به وتناهوا اي انتهوا واجتنبوا عن المنكر ومنه الامتناع عن نهيه والايتمار بمعني

التامر كالاختصام بمعني التخاصم ويؤيده التناهي والمعني ليامر بعضكم بعضا بالمعروف وينهي طائفة منكم طائفة عن المنكر وقال الطيبي قوله بل ايتمروا اضراب عن مقدر اي سالت عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وقلت اما نترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بناء علي ظاهر الاية فقال صلي الله عليه وسلم لا تتركوا بل ايتمروا بالمعروف انتهي والمعني كونوا قائمين بهما علي وجه الكمال حتي اذا رايت ايها المخاطب خطابا عاما ونكتته الافراد افراد المستقيم واجتماع العامة علي العدول عن طريق القويم والمعني اذا علمت الغالب علي الناس شحا مطاعا اي اذا عرفت شحا اي بخلا مطاعا بان اطاعته نفسك وطاوعه غيرك وهوي متبعا بصيغة المفعول اي وهوي النفس متبوعا وطريق الهدي مدفوعا وحاصله ان كلا يتبع هواه ومانا مرة نفسه الامارة وتمناه ودنيا بالقصر وفي نسخة بالتنوين وهو عبارة عن المال والجاه في الدار الدنية موثرة اي مختارة علي امور الدين ودرجات الاخرة واعجاب كل ذي راي برايه اي من غير (غيرهم) نظر الي الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس علي اقوي الادلة وترك الاقتداء باتباع الائمة الاربعة والاعجاب بكسر الهمزة وهو وجدان الشي حسنا ورؤيته مستحسنا بحيث يصير صاحبه به معجبا وعن قبول كلام الغير مجتنبا وان كان قبيحا في نفس الامر ورايت امرا لا بد لك منه بضم الموحدة وتشديد المهملة في جميع النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال الطيبي يحتمل ان يكون بالباء الموحدة بمعني لا فراق لك منه والمعني رايت امرا يميل اليه هواك ونفسك من الصفات الذميمة حتي انه افتتن بين الناس لا محالة ان تقع فيها فعليك نفسك واعتزل عن الناس حذرا من الوقوع وان يكون بالتاء المثناة كما في بعض نسخ المصابيح فان رايت امرا لا طاقة لك من دفعه فعليك نفسك انتهي ونفسك منصوب وقيل مرفوع اي فالواجب او فيجب عليك حفظها من المعاصي لكن يؤيد الاول وهو بمعني الزم خاصة نفسك قوله ودع امر العوام اي واترك امر عامة الناس الخارجين عن طريق الخواص وحاصله انه اذا رايت بعض الناس يعملون المعاصي ولا بد لك من السكوت لعجزك فاحفظ نفسك عن المعاصي واترك الامر والنهي واشتغل بنفسك ودع امر الناس الي الله فانه تعالي لا يكلف نفسا الا وسعها فان ورايكم اي قدامكم من الازمنة الاتية او خلفكم من الامور الهاوية اياما الصبر اي ايام لا طريق لكم فيها الا الصبر او ايام (اختيارهم) يحمد فيها الصبر وهو الحبس علي خلاف النفس من العزلة وترك الخلطة والجلوة فمن فيهن اي في تلك الايام قبض الجمر يعني يلحقه المشقة بالصبر كمشقة الصابر علي قبض الجمر بيده وقد اشار اليه الشاطبي بقوله وهذا زمان الصبر من لك بالتي كقبض علي جمر فتنجو من البلا للعامل فيهن اي الكامل ولو لم يكن مكملا لغيره اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله اي في غير زمانه قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم بتقدير الاستفهام منهم فيه تاويلان احدهما ان يكون اجر كل واحد منهم علي تقدير انه غير مبتلي ولم يضاعف اجره وثانيهما ان يراد

اجر خمسين منهم اجمعين ولم يتلو بلائه قال اجر خمسين منكم رواه الترمذي وابن ماجة وقد صححه الترمذي ورواه ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب عن ابي امية الشعباني قال اتيت ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الاية قال اية اية قلت قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث الى ان قال فان من ورائكم اياما الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وقد ذكر البغوي في تفسيره باسناده الى ابن المبارك عن عتبة بن ابي حكيم كما في اصل المشكوة الى قوله مثل عمله ثم قال وزاد في غيره قال يا رسول الله اجر خمسين منهم وعن ابي سعيد الخدري قال قام فينا اي فيما بيننا او في جمعنا او لاجلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا اي واعظا قوله بعد العصر فلم يدع اي لم يترك شيئا اي مما يتعلق بامر الدين مما لا بد منه يكون اي يقع ذلك الشيء الى قيام الساعة اي ساعة القيامة الا ذكره اي عينه وبينه حفظه من حفظه اي ممن وفقه الله وحفظه ونسيه من نسيه اي ممن انساه الله وترك نصرته وكان فيما قال اي من خطبته وموعظته ان الدنيا وفي الجامع اما بعد فان الدنيا حلوة بضم اوله اي لذيذة حسنة خضرة بفتح فكسر اي ناعمة طرية وفي الجامع تقديم خضرة وانما وصفها بالخضرة لان العرب تسمي الشيء الناعم خضرا او تشبيها بالخضراوات في ظهور كمالها وسرعة زوالها وفيه بيان انها غدارة مكارة سحارة تفتن الناس بلونها وطعمها وتوضيحه ان الدنيا طيبة مليحة في عيون اربابها وقلوب اصحابها لا يشبعون من جمع المال ولا من سعة الجاه وكثرة الاقبال وطول الامال وفيه ايذان بشدة انجذاب النفوس اليها لان كلا من هذين الوصفين تميل اليه النفوس الناقصة فاذا اجتمعتا كانت اليها اميل وعليها اقبل وان الله مستخلفكم فيها اي جاعلكم خلفاء في الدنيا ومعناه ان اموالكم ليست في الحقيقة لكم وانما هي لله جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء وجاعلكم خلفا فيمن كان قبلكم واعطيكم ما كان في ايديهم اي كرها فناظر كيف تعملون اي تعتبرون بحالهم وتتفكرون في مالهم وتتصرفون في دنياكم وتراعون في دينكم لعقباكم وحاصله انه يتعلق به العلم التنجيزي على طبق العلم الازلي التقديري الا للتنبيه فاتقوا الدنيا اي احذروا زيادتها على قدر الحاجة المعينة للدين النافعة في الاخرى واتقوا النساء اي مكرهن وغدرهن وحبهن البالغ الباعث على جمع المال المانع عن تحصيل العلم والعمل ومن اسباب الكمال وفي الجامع زيادة فان اول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء وذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم في جملة ما ذكر الغدرة بفتح الهمز وكسر الكاف ضد الغدر وهو ترك الوفا لواء بكسر اللام اي علما اعلاما لسوء حاله وفتح ما له يوم القيامة اي يوم الفضيحة بقدر غدرته مصدر بمعنى الغدر ولعل وجه الاتيان بصيغة المرة انه يجازى بقدره في العقبى ولو كان كره في الدنيا

ولاشك

ولاشك ان القدر فيها لها مراتب مختلفة فلهذا قال ولا غدر اكبر من غدر امير العامة قال التوربشتي اراد به المتغلب الذي يستولي على امور المسلمين وبلادهم بتامير العامة ومعاضدتهم اياه من غير مؤامرة من الخاصة واهل العقد من اولي العلم ومن ينضم اليهم من ذوي السابقة ووجوه الناس وقوله يغرز لواؤه عند استه من شان الامراء ان يكون لواؤهم خلفهم ليعرفوا به فيقوم اللقيامة يكون لكل من دعا الى حق او باطل لواء ليعرف به وذكر عند استه استهانة وتنبيها على انه يلصق به ويديه جنده ولو لا يكون معه انتهى فقوله يغرز بصيغة المجهول اي ينصب لواؤه عند استه تحقيرا له وهو بهمزة وصل مكسورة العجز او حلقة الدبر قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمنعن بالتذكير ويؤنث احدا منكم هيبة الناس اي عظمتهم وشوكتهم ومخافتهم ومهابتهم ان يقول بحق اي من ان يتكلم به او يامر به اذا علمه وفي النهاية يجعل العرب القول عبارة عن جميع الافعال ويطلقه على غير الكلام فيقول قال بيده اي اخذ وقال برجله اي مشى وفي رواية ابي بد لا من قوله ان يقول بحق ان راى منكرا بان الشرطية ان يغيره مفعول لا يمنعن اي من تغيير المنكر فبكى ابو سعيد وقال قد رايناه اي المنكر فمنعتنا هيبة الناس ان نتكلم فيه اي عملا بما في بعض الاحاديث من رخصة السكوت عند المخافة على نفسه او عرضه او ماله عند العجز وضعف زمن الايمان واما العزيمة فان لا يبالي بشيء مما ذكر ولذا ورد افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر على ما رواه ابن ماجة عن ابي سعيد وجماعة عن ابي امامة وغيره وقد قال تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله اي يبيعها يبذلها في الجهاد او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل طلبا لرضاه لا لغرض سواه فاذا كان اكابر الصحابة في الصدر الاول عجزوا مع كمال قوتهم في الدين واليقين والمعرفة ولم يقدروا على اظهار الحق لاهل البطلان كيزيد والحجاج وامثالهما من الظلمة والفسقة فكيف حالنا والحال انا بعد الالف ايام تقهقر الاسلام وتسلط السلاطين على جميع الانام من غير تحققهم بشروط الامامة والخلافة وقلة العلماء العاملين وكثرة الفضلاء الجاهلين والقضاة الظالمين والمشايخ المرائين فانا لله وانا اليه راجعون فهذا لا شك انه زمان الصبر المقرون بالشكر المنضم الى الرضا بالقضا المتعين فيه السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان نموت ثم قال اي النبي عليه السلام الا للتنبيه ان بني ادم خصوا بالذكر لان الملائكة خلقوا للخير فقط فالاولون مظاهر الجمال والاخرون مظاهر الجلال وبنو ادم خلقوا على وصف الكمال ولعل هذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته اي على صفة الكمال الجامعة لنعوت الجلال والجمال ولما خلق فيهم هذه القابلية الكاملة قدروا على حمل الامانة الشاملة التي عرضت على السموات والارض والجبال اي على اهلها من العلويات والسفليات فابين ان يحملنها اي امتنعن لعدم استعدادهن واشفقن منها لعدم استطاعتهن

وحاصله ان الانسان معجون مركب من النعوت الملكية الموجبة لغاية الجمال الرباني والصفات الشيطانية المقتضية لغضب الجلال الصمداني فان مال التالد الى الملكية صار خيرا منه وان مال الى الشيطانية صار شرا منه وبهم مع هذا الوصف الاجمالي والنعت الاكمالي كما قال صلي الله عليه وسلم خلقوا اي جبلوا علي ما خلق الله فيهم من اختيار الخير والشر علي طبقات شتي اي مراتب مختلفة باختلاف احوال الايمان والكفر وفاتهما فمنهم من يولد مومنا اي من ابويه المومنين او في بلاد المؤمنين فانه حين يولد قبل التمييز لا ينسب اليه الايمان الا تبعا بما علم الله فيه من الازل او باعتبار ما يؤول امره اليه في الاستقبال ويحيي اي يعيش في جميع عمره حين تمييزه الي انتهاء عمره مؤمنا اي كاملا او ناقصا ويموت مومنا اي كذلك جعلنا الله منهم ومنهم من يولد كافرا اي بخلاف ما سبق وهو لا ينافي قوله فابواه يهودانه الحديث ويحيي كافرا ويموت كافرا نعوذ بالله من ذلك ومنهم من يولد مومنا ويحيي مؤمنا ويموت كافرا نسأل الله العافية من خاتمة الهاوية ومنهم من يولد كافرا ويحيي كافرا ويموت مؤمنا فالعبرة بالخواتيم اللاحقة لطابقة للكتابة السابقة من السعادة الكاملة والشقاوة الشاملة وكان التقسيم غالبي والا فمنهم من يولد مومنا ويحيي كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيي مومنا ويموت كافرا ولعل عدم ذكرهما لان المقصود منه ان العبرة بالخاتمة وقد علمت مما ذكرناه لا قال اي ابو سعيد وذكر اي النبي صلي الله عليه وسلم الغضب وهو فرد من انواع الاخلاق اشارة الي انه ايضا كالايمان مجبولة مجعولة في افراد الانسان وان اصلها بمعني طبقات شتي ويقاس عليه ساير الشمايل الرضية والاخلاق الدنية فمنهم اي من بني ادم مع انهم كلهم من نسل نبي الله وصفيه ولكنه لما كان طينته معجونة بوصف خلقته بيدي اقتضت هذه القضية المختلفة التي وقعت له اولا من الصعود والهبوط والاجتباء اخرا كان يكون علي طبقها طبقات اولاده من الايمان والكفر علي ما سبق من الاخلاق الناشية عنهما بقوله فمنهم من يكون سريع الغضب اي بمقتضي الخلق النفساني سريع الفيء اي الرجوع من الغضب فاحديهما بالاخري اي احدي الخصلتين متقابلة بالاخري ولا يستحق المدح والذم فاعلمهما لاستواء الحالتين فيه فيقال في حقه انه خير الناس ولا شرهم ومنهم من يكون بطيء الغضب فيعيل من البطا ممزوج ويبدل بيدعم وهو ضد السريع بطيء الفيء فاحدهما بالاخري كما سبق بيانه في الاولي وخياركم من يكون بطيء الغضب سريع الفيء وشراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء والتقسيم بمقتضي العقل رباعي لا خامس له وفيه اشارة الي ان الانسان خلق فيه جميع الاخلاق الرضية والدنية وان كماله ان يغلب الصفات الحميدة علي الذميمة لا انها تكون معدومة فيه بالكلية واليه الاشارة بقوله تعالي والكاظمين الغيظ حيث لم يقل والعادمين اذ اصل الخلق لا يتغير ولا يتبدل ولذا ورد ولو سمعتم ان جبلا زال عن مكانه فصدقوه

وان

وان سمعتم ان رجلا تغير عن خلقه اي الاصلي فلا تصدقوه ومما يدل علي جواز تبديل الاخلاق في الجملة دعاؤه صلي الله عليه وسلم اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق لا يهدي لصالحها الا انت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا انت قال اي النبي صلي الله عليه وسلم وفي اعادة قال اشارة الي انه لم يحفظ الحديث بكماله لطوله فاتقوا الغضب اي ما يؤدي اليه من السبب او بالتعوذ منه الي الرب فانه جمرة اي حرارة غريزية وحدة جبلية مشتعلة كجمرة نار مكمونة في كانون النفس علي قلب ابن ادم اي متغالبة عليه عند غلبته بحيث تخلي القلب والعقل معها بحال تصرف وتعقل الا ترون اي الا تنظرون الي انتفاخ اوداجه اي عروق حلق الغضبان وحمرة عينيه كما يوجد مثل هذا عند حرارة الطبيعة في اثر الحمى فان الظاهر عنوان الباطن وكل اناء يترشح بما فيه فمن احس بشيء من ذلك اي من ادرك ظهور اثر منه او من علم في باطنه شيئا منه فليضطجع اي تواضعا لله واظهارا للعجز عنده وليتلبد بالارض اي ليلتصق ويلتزق بها حال اضطجاعه او يزيد عليه بالتمرغ في ترابها حتي يسكن غضبه وانما امر به لما فيه من الضعة عن الاستعلاء وتذكارا ان من كان اصله من التراب لا يستحق ان يتكبر ويتجبر علي الاصحاب وان الانانية الناشية عن غلبة العنصر النارية من صفة الشيطان وما يترتب عليها من الافساد وان الانسان خلق من تراب يقتضي التواضع والتحمل وساير ما يقتضي صلاح العباد والبلاد قال اي ابو سعيد وذكر اي النبي صلي الله عليه وسلم الدين اي انواع قضائه فقال منكم من يكون حسن القضاء اي مستحسن الاداء اذا كان عليه الدين واذا كان الدين له اي علي احد فحش في الطلب بان لم يراع الادب واذي في تقاضيه وعسر علي صاحبه في الطلب فاحديهما بالاخري اي فالخصلتان متقابلتان متساقطتان متساويتان ومنهم من يكون سيء القضاء وان كان له اي الدين اجمل اي سهل وتيسر في الطلب اي في طلب دينه فاحديهما بالاخري اذ لا خير في اجتماعهما وخياركم من اذا كان عليه الدين احسن القضاء وان كان له اي الدين اجمل في الطلب وشراركم من اذا كان عليه الدين اساء القضاء وان كان له اي الدين افحش في الطلب فالتقسيم عقلي رباعي حتي اذا كانت الشمس قال الطيبي غايته قوله قام فينا خطيبا اي قام فلم يدع شيئا الا ذكره حتي اذا كانت الشمس وقعت علي روس النخيل واطراف الحيطان جمع حائط بمعني الجدار ثم قوله اذا للمستقبل وكانت ماض وفائدتها استحضار الحال الماضية في مشاهدة السامع كقوله تعالي وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض الكشاف هو علي حكاية الحال الماضية كقوله حين يضربون في الارض فقال اما للتنبيه انه اي الشان لم يبق من الدنيا فيما مضي منها اي في جملة ما مضي منها وفي جنب ما سبق منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضي منه يعني نسبة ما بقي من ايام الدنيا الي جملة ما مضي كنسبة ما بقي من يومكم هذا الي ما مضي منه وقوله الا كما بقي مستثني من فاعل لم يبق اي لم يبق شيء من الدنيا الا مثل ما بقي من يومكم هذا منه

رواه الترمذي وفي الجامع رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي سعيد لكن مع
نوع تغيير وزيادة يسيرة وعن ابي البختري بموحدة وسكون معجمة ثم مثناة فوقية
مفتوحة فراء فتحتية مشددة اسمه سعيد بن فيروز ذكره المؤلف في التابعين
وقال حديثه في الكوفة يعني عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكلهم عدول
فلا يضرهما جهالته ولا توهم الارسال له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يهلك بفتح ثم
كسر اي لن يفسد ولن يتلف الناس اي دينهم وكذا لهم ومعناه لن يكثر بوائقهم في الدنيا حتى
يعذروا بضم الياء وكسر الذال ويفتح وفي نسخة بالفتح والكسر من انفسهم قال القاضي
قيل انه من اعذر فلان اذا كثر ذنبه وكانه سلب عذره بكثرة اقتراف الذنوب او من اعذر
غيره اذا جعله معذورا فكانهم اعذروا من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم او من اعذر اي صار
ذا عذر والمعنى حتى يذنبوا فيعذروا انفسهم بتاويلات زائغة واعذار فاسدة
من قبلها ويحسبون انهم يحسنون صنعا قال الطيبي الوجه الثالث انسب بباب الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر كان الناهي ينكر عليه ذنبه وهو يتبرأ من الذنب ويعذر
لنفسه ولاقدامه عليه وقال ابن الملك هو من اعذر الرجل اذا صار ذا ذنب كثير
اي حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم فيستوجبوا العقوبة ويقيموا لمن عاقبهم العذر في ذلك
ومن المتنبهين اي تكثر ذنوب انفسهم لا ذنوب غيرهم ويروى ببناء المجهول من اعذره
اذا سلب عذره اي حتى يجعلهم الله بحيث لا يقدرون على العذر بان يبعث اليهم
الرسل حتى يبينوا لهم الرشاد من الضلال والحلال من الحرام والحق من الباطل ويروى
بفتح الياء اي حتى يعذروا انفسهم بتاويلات زائغة واعذار باطلة رواه ابو داود
وكذا الامام احمد في مسنده باسناد حسن وعن عدي بن عدي الكندي بكسر الكاف تابعي
روى عن ابيه وعن رجاء بن حيوة وعنه عيسى بن عاصم وغيره ذكره المؤلف ولم يذكر اباه
قال حدثنا مولى لنا اي معتوق لنا انه سمع جدي وهو عميرة الكندي الحضرمي بفتح العين
وكسر الميم سكن الكوفة ثم انتقل الى الجزيرة وسكنها ومات بها روى عنه قيس بن ابي
حازم وغيره يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى لا يعذب
العامة اي الاكثر من الناس بعمل الخاصة اي بعصيان الاقل منهم حتى يروا اي الاكثرون
المنكر بين ظهرانيهم اي فيما بينهم ظاهرا فاشيا وهم قادرون على ان ينكروه جملة حالية
معترضة احترازا عن حال عجز الاكثر ايضا كما في زماننا فلا ينكروا عطف على قوله يروا المنكر
فاذا فعلوا ذلك اي ما ذكر من سكوتهم عن المنكر مع قدرة الاكثر عذب الله العامة والخاصة
كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة رواه في شرح السنة وعن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل
في المعاصي اي من الزنا وصيد يوم السبت وغيرهما نهتهم علماؤهم اولا فلم ينتهوا اي
فلم يقبلوا النهي ولم يتركوا المنهي فجالسوهم اي العلماء في مجالسهم اي مجالس بني اسرائيل العصاة

ومساكنهم

ومساكنهم وآكلوهم بمد الهمزة من المؤاكلة مفاعلة للمشاركة في الاكل وكذا قوله
وشاربوهم فضرب الله اي خلط قلوب بعضهم ببعض يقال ضرب اللبن بعضه ببعض اي خلطه
ذكره الراغب وقال ابن الملك الباء للسببية اي سود الله قلب من لم يعص بشؤم من عصى
فصارت قلوب جميعهم قاسية بعيدة عن قبول الحق والخير والرحمة بسبب المعاصي
ومخالطة بعضهم بعضا انتهى وقوله قلب من لم يعص ليس على اطلاقه لان مؤاكلتهم
ومشاربتهم من غير اكراه والجاء بعد عدم انتهائهم عن معاصيهم معصية ظاهرة لان
مقتضى البغض في الله ان يبعدوا عنهم ويهاجروهم ويقاطعوهم ولم يواصلوهم ولذا
قال فلعنهم اي العاصين والساكتين المصاحبين ففيه تغليب كما في قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك اي لعنهم بما عصوا اي بسبب
عصيانهم مباشرة ومعاشرة وكانوا يعتدون اي يتجاوزون عن الحد بان جر المعاصي
الى الكفر بالاستحلال ونحوه وبالرضى للمعاصي والاستحسان لها من اهلها قال اي ابن مسعود
فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من كمال اعراضه وقوة اعتراضه وكان متكئا
اي على احد شقيه او مستندا الى ظهره قبل ذلك فجلس مستويا للاهتمام بتمام الكلام
فقال لا والذي نفسي بيده لا تعذرون ولا تنجون من العذاب ثم ايها الامة خلف
اهل تلك الامة حتى تأطروهم بهمزة ساكنة وتبدل وبكسر الطاء اطرا بفتح الهمزة مفعول
مطلق للتاكيد اي حتى تمنعوا امثالهم من اهل المعصية وان لم ينتهوا عنه افعلوا الهجر
فتمنعوا انتم من مواصلتهم ومؤاكلتهم ومجالستهم وقال شارح الاطر الامالة والتحريف
من جانب الى جانب اي حتى تمنعوا الظلمة والفسقة عن الظلم والفسق وتميلوهم
عن الباطل الى الحق وفي الفائق حتى متعلقة بلا كأن قائلا قال له عند ذكر مظالم
بني اسرائيل هل نعذر في تخلية الظالمين وشانهم فقال لا حتى تأطروهم وتأخذوا على
ايديهم والمعنى لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الاذعان للحق واعطاء النصفة للمظلوم
واليمين معترضة بين لا وحتى وليست هذه تلك التي يجيء بها المقسم تاكيدا لقسمه
رواه الترمذي وابو داود وفي روايته اي الضمير لابي داود وفي نسخة وفي رواية اي لابي
داود على ما هو الظاهر ويحتمل للترمذي او لهما او لغيرهما قال اي النبي عليه السلام
كلا اي حقا او ارتدعوا عن حسبان ما لا ينبغي من جواز السكوت عن المنكر والله لتأمرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر اي بطريق فرض الكفاية ومراتب الاحتساب على الغاية والنهاية
ولتأخذن على يدي الظالم بالتثنية مبالغة وفي نسخة بالافراد اما على ارادة
الجنس او على قصد الاكتفاء بالواحد ولتأطرنه اي لتعطفن الظالم باللسان عند العجز
عن اخذ اليد باليد على الحق اي على اجباره على الحق وانكاره على الباطل اطرا اي منعا ظاهرا
ليس فيه لومة لائم ولتقصرنه بضم الصاد اي ولتحبسنه على الحق اي على قبوله قصرا
اي بالهجرة عنه اذا عجز عما سبق حتى يضيق عليه الارض بما رحبت فانه حبس معنوي

اعتراضه

اقوي من سيمي صوركم اوليفرين الله اي ليخلطن نبفلوب بعضكم ببعض الباء زائدة لتاكيد التعدية لما سبق انه متعد بنفسه ثم ليلعننكم اي الله كما لعنهم اي بني اسرائيل علي كفرهم او معاصيهم والمعني ان احد الامرين واقع قطعا وعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي بالاضافة الي الفعل المجهول وفي نسخة بالتنوين نصبا علي الظرفية اي انصرف ليلة اسري بي فيها رجالا تقرض بصيغة المفعول اي تقطع شفاههم بكسر الفاء جمع شفة بالفتح ويكسر ولامها هاء كما يدل عليه جمعها بمقاريض جمع مقراض بكسر الميم الة القطع المعروفة من نار اي مخلوقة منها قلت من هولاء اي هولاء الرجال بهذا الحال يا جبريل قال هولاء خطباء من امتك من بيانية وفي نسخة خطباء امتك اي علماؤهم ووعاظهم ومشايخهم يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم محط الانكار الجملة الثانية وانما ذكر الجملة الاولي تقبيحا للسوء احوالهم وتوبيخا علي علومهما المقرونة بترك اعمالهم كما قال تعالي اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون اي سوء صنيعكم وقال عز وجل كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكما قال صلي الله عليه وسلم ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وكما ورد في الحديث المشهور اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه اي البغوي في شرح السنة والبيهقي عطف علي الفاعل المقدر في شعب الايمان وفي رواية اي رواية البيهقي قال خطباء من امتك بيانية الذين يقولون ما لا يفعلون بدل من قوله خطباء ويجوز ان يكون صفة له لانه لا توقيت فيه علي عكس قوله ولقد امر علي اللئيم يسبني ويجوز ان يكون منصوبا علي الذم وهو الاوجه يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم والطبع المستقيم ذكره الطيبي وفيه ان اهل العربية اطبقوا في مثل هذا التركيب علي ان البدل اوجه الوجوه المحتملة كما حقق في الاستعاذة والبسملة وفي قوله تعالي الحمد لله رب العالمين وقوله سبحانه هدي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وقوله عز وجل وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون وفي قوله صلي الله عليه وسلم بني الاسلام علي خمس شهادة ان لا اله الا الله ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون وفيه اقتباس من الايتين الشريفتين اللتين ذكرناهما اولا وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انزلت المائدة من السماء قال الراغب المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال لكل منهما ما يدة اي علي الحقيقة المشتركة او علي احدهما مجازا باعتبار المجاورة او بذكر المحل وارادة الحال وقوله خبزا ولحما تمييز نحو راقود خلا وامروا ان لا يخونوا اي بقصد الاكل الاحسن او لاكثر من غيرهم ولا يدخروا بالتشديد لدال المهملة المبدلة من الذال المعجمة من باب الافتعال من الذخيرة هو التخبية لغد اي ليوم عقب يوم نزول المائدة او لوقت مستقبل بعده فخانوا وادخروا ورفعوا لغد تفسير لما قبله فمسخوا اي فغير الله صورهم الانسانية بعد تغيير سيرتهم الانسية قردة وخنازير منصوبان علي انهما مفعولا ثان علي ما يستفاد من القاموس حيث قال مسخه

كمنعه

كمنعه حول صورته الي اخري اقبح ومسخه الله قردا فهو امسخ ومسيخ وقال الطيبي حالان مقدرة كقوله تعالي وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين انتهي والظاهر ان شابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير رواه الترمذي

الفصل الثالث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انه اي الشان تصيب امتي في اخر الزمان من سلطانهم بحذف الجنس والشخص كثير بيد والجمع وامثالهما شدايد اي محن دنيوية او دينية او مركبة منهما لا ينجو علي الاول استيناف وعلي الثاني صفة لقوله شدايد انتهي والحاصل انه لا يتخلص في زمان ذلك السلطان المشابه بالشيطان الا من جمع بين العلم والعمل والكمال والتكميل فعرف دين الله اولا بتفصيله من الاصول والفروع وعمل لنفسه علي ما يقتضيه الامر المشروع فجاهد عليه اي علي تحصيل دين الله بلسانه اي بطريق النصيحة والبيان ويده اي ان كان له قدرة وقوة وقلبه اي بانكاره عند العجز عملا بقوله تعالي ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ووفاء بقوله عز وجل ولتكن منكم امة يدعون الي الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وهذا معني قوله فذلك الذي سبقت له السوابق اي السعادات السابقة حيث جمع بين الاحوال الثلاث اللاحقة وفيه اشارة الي قوله تعالي والسابقون السابقون اي الجامعون بين مراتب الكمال والتكميل ودرجات العلم والتعليم اولئك المقربون ففي كلام عيسي عليه السلام من عمل وعلم وعلم يدعي في الملكوت عظيما ورجل عرف دين الله فصدق به اي فتكلم بلسانه ما يجب تصديقه من الامر بالحق والنهي عن الباطل والتقي به عن الانكار باليد لعجزه او ضعف قالبه وقوة خصمه ورجل عرف دين الله فسكت عليه اي تارك للامر والنهي لغيره مكتفيا بانكار قلبه لضعف ايمانه او ضعف اهل زمانه ويدل علي تحقق انكار قلبه قوله فان راي من يعمل الخير اي يعمل حق احبه بقلبه عليه اي علي ذلك العمل او لاجله وان راي من يعمل بباطل اي من يعمل الشر ابغضه عليه اي وترك مصاحبته ومجالسته ولو كان من كان فذلك ينجو علي ابطانه اي ابطان ما ذكر في قلبه من محبة الخير وبغض الباطل كله فالتاكيد مفيد لان يكون جامعا للامرين لا مقتصرا علي احدهما فتامل هذا وقد قال الطيبي السوابق جمع سابقة وهي الخصلة المفضلة اما السعادة واما البشري بالثواب من الله واما التوفيق للطاعة كقوله تعالي ان الذين سبقت لهم منا الحسني وقوله عرف دين الله فجاهد عليه الي اخر الحديث هو من باب التقسيم الحاصر لان الناهي عن المنكر اما سابق او مقتصد او دونهما ظالم فالتي في قوله مجاهد تصدق فسكت مسببات عن العرفان فمعني الاول من عرف دين الله تعالي حق معرفته وتصلب في دينه فبذل جهده في المجاهدة بلسانه ويده وقلبه ومعني الثالث من عرف دين الله دني معرفته وسكت فلم يجهد فيه الاعلي قدر ايمانه وذلك بالكراهة بالقلب وهو المراد من قوله في الحديث الاخر وذلك اضعف الايمان فيبقي قوله

منه اي من السلطان وقوله ايده اي الخلاص من ظلمه فحاصل حكمهم واحد فيجوز ان يعود الضمير الي السلطان واليه يشير قوله منفرد الا رجل عرف دين الله قال الطيبي الضمير في منه يجوز ان يعود الي السلطان او الي الشدائد والثاني اوجه وقوله واقع موقع الاسم او المذكور وهو الشديد ايده باعتبار المذكور صح صح لا ينجو

فصدق به في درجة المقتصد وينبغي ان يفسر بما هو دون الاولى وفوق الثالثة وهو
ان يجاهد بلسانه وقلبه والتصديق يستعمل حقيقة في اللسان مجازا في العمل فالتصديق
هنا معبر عن دفع المنكر بلسانه وقلبه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام ان اقلب بهمز وصل ولام مكسورة مدينة
كذا وكذا باهلها اي معكوسة مع اهلها قال الطيبي اذا مفسرة لما في اوحى من معنى
القول انتهى ويجوز ان تكون مصدرية والبا مقدرة فقال يا رب ان فيهم عبدك
فلانا لم يعصك طرفة عين فيه دلالة على حفظ الاولياء قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
او قال جبريل عليه السلام فقال اي الله تعالى اقلبها عليه وعليهم في تقديمه عليهم
ايذان بو عيد شديد فان وجهه لم يتمعر اي لم يتغير في مكسر الفاء وتشديد اليا
اي في حقي ولاجلي والحاصل انه لم يظهر اثر غضب انكار القلب على مرتكب المنكر
ساعة اي واحدة قط اي ابدا وفيه توسعة بل اشعار بانه لو غضب عليه مرة لله
لسومح في بقيته اوقات عمره وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يسال العبد يوم القيامة فيقول مالك اذا رايت المنكر فلم تنكره
اي بلسانك او بيدك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلقى بالتشديد الفاء المفتوحة
حجته بالنصب اي بينته عليها ويلقن بها اذا كان الله يريد نجاه فيقول يا رب خفت الناس
ورجوتك فيه اعتراف منه بالذنب واظهار العجز واعتماد على كرم الرب قال البيهقي
يحتمل ان يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه ذكره الطيبي
وفيه ان مثل هذا معذور في الشرع فلا يعاتب عليه فيحتاج الى تلقي الحجة بل انما
هو فيمن قصر في الجملة فيلهمه الله المعذرة روى البيهقي الاحاديث الثلاثة
في شعب الايمان وعن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفس محمد بيده ان المعروف والمنكر خليقتان اي مخلوقتان ذكره الطيبي
والظاهر ان المعنى سيخلقان خلقا اخر فيتجسدان كسائر المعاني من الاعمال والموت
ونحو ذلك فيتجسدان او يجسمان لقوله تنصبان بصيغة التانيث على بنا المجهول
وفي نسخة بالتذكير وهو الظاهر لمبا لغة والمعنى انهما نوعان من المخلوقات للناس
يوم القيامة فاما المعروف فيبشر اصحابه اي اهل المعروف بالفعل او الامر ويوعدهم
الخير اي ويعدهم الثنا الجميل والجزاء الجزيل وبالمواصلة بينه وبينهم واما المنكر
فيقول اي لاصحاب المنكر بلسان القال او بلسان الحال اليكم اي ابعدوا عني وتنحوا من
قربي وما يستطيعون له الا لزوما اي لصوقا وقربا من نتيجة المنكر وما يترتب عليه
من عقابه والحاصل ان العمل الصالح يظهر في احسن صورة واطيب ريح في القبر
وكذا يوم القيامة والعمل الطالح بخلاف ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي
يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها عليكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد

غير ذلك

غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وتحقيق المرام في هذا المقام ان افعال العباد وان كانت
غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها الا انه تعالى اجرى عادته بربطها ربط المسببات بالاسباب
وانشد بعض ارباب الالباب شعر

اخاف وارجو عفوه وعقابه ۞ واعلم حقا انه حكم عادل
فان يك عفوا فهو منه تفضل ۞ وان يك تعذيبا فاني له اهل

والتوفيق والله ولي التوفيق ان السبب الفاعلي للخير والشر ليس الا الله وحده
بمقتضى فضله وعدله وبموجب جماله وجلاله واما السبب القابلي فهو وان كان الفيضاني
الحقيقة الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي هو من الفيض الاقدس الذي لا مدخل
للاكتساب فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال
الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا ونحوهما ولذا
قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وههنا يتموج امواج
بحر القضا والقدر لتقسيم العباد فيما يفعلون وسفينة النجاة قوله تعالى لا يسال عما
يفعل وهم يسالون رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان

كتاب الرقاق

الرقاق بكسر الرا جمع رقيق وهو الذي فيه رقة اي لطافة قاله شارح والظاهر ما قاله
السيوطي من ان المراد بها الكلمات التي يرق بها القلوب اذا سمعت وترغب عن الدنيا
بسببها وتزهد فيها سميت هذه الاحاديث بذلك لانها تحدث رقة ورحمة

الفصل الاول

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مبتدا مغبون
فيهما كثير من الناس صفة له وخبره الصحة والفراغ اي صحة البدن والقوة الكسبية
وفراغ الخاطر بحصول الامن ووصول كفاية الامنية والمعنى قدر هاتين النعمتين لا يعرفه
كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الاعمال ايام معاشهم ما يحتاجون اليه في معادهم
فيندمون على تضييع اعمارهم عند زوالها ولا ينفع الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن
وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها
وفي حاشية السيوطي قال العلما معناه ان الانسان لا يتفرغ للطاعة الا اذا كان مكفيا
صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا
فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الامران وكسل عن الطاعة
فهو المغبون اي الخاسر في التجارة ماخوذ من الغبن في البيع انتهى ويمكن ان يكون
الغبن كناية عن فسادهما لمن ضيع ماله كما قال بعضهم ۞ ان الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء اي مفسدة وقال العارف ابن الفارض ۞ على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له منها نصيب ولا سهم ۞ رواه البخاري وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه
والترمذي وابن ماجه عنه وعن المستورد بن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله والله قسم للمبالغة في تحقيق الحكم ما الدنيا أي ما مثل الدنيا من نعيمها وزمانها
في الآخرة أي في جنبها ومقابلة نعيمها وأيامها الا مثل بكسر الميم ورفع اللام وفي نسخة
بنصبها وما في قوله ما يجعل احدكم مصدرية أي مثل جعل احدكم بم يرجع أي بأي شيء يرجع
اصبع احدكم من ذلك الماء واعلم ان قوله يرجع بالتذكير في اكثر الاصول وفي بعض النسخ
بالتانيث وهو الاظهر لان ضميره يرجع الى الاصبع وهو مؤنث وقد يذكر على ما في القاموس
والمغني فلينظر أي فليتفكر أي مقدار من البلة من اليم يرجع اصبعه الى صاحبه اللهم الا ان يقال
المعنى بم يرجع الحال وينتقل المال وحاصله ان منح الدنيا ومحنها في كسب الجاه والمال
من الامور الفانية السريعة الزوال فلا ينبغي لاحد ان يفرح ويغتر بسعتها ولا ان
يجزع ويشكو عن ضيقها بل يقول في الحالتين اللهم لا عيش الا عيش الآخرة فانه قاله
صلى الله عليه وسلم مرة في يوم الاحزاب واخرى في حجة الوداع وجهته الى الاصحاب ثم
يعلم ان الدنيا مزرعة الآخرة وان الدنيا ساعة فيصرفها في الطاعة قال الطيبي
وضع يرجع موضع قوله فلا يرجع بشيء كأنه صلى الله عليه وسلم يستحضر تلك الحالة في
مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا وهذا تمثيل على سبيل
التقريب والا فاين المناسبة بين المتناهي رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجة وعن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أي ولد معز اسك بتشديد الكاف أي
صغير الاذن او عديمها او مقطوعهما ميت قال ايكم يحب ان هذا له بدرهم مثلا فقالوا
ما نحب انه لنا بشيء أي بشيء مما يطلق عليه اسم الشيء من تراب وغيره والمراد انا لا نحبه
بلا شيء ايضا قال فوالله للدنيا أي بجميع انواع لذاتها اهون أي اسهل واحقر واذل على الله
أي عنده تعالى من هذا أي من هوان هذا الجدي عليكم ويؤيده ما سياتي ان الدنيا
لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء والمقصود منه
التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى فان حب الدنيا راس كل خطيئة على ما رواه البيهقي
عن الحسن مرسلا كما ان الزهد راس كل عبادة والسبب في ذلك ان محب الدنيا ولو اشتغل بامور
الدين يكون اعماله مدخولة باغراض فاسدة وتارك الدنيا ولو اشتغل بامور دنيوي يكون
له مطمح اخروي ولذا قال بعض العارفين من ارباب اليقين من احب الدنيا لم يقدر
على هدايته جميع المرشدين ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين
رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن
المؤمن وجنة الكافر أي كالسجن للمؤمن في جنب ما اعد له في الآخرة من المثوبة
والنعيم المقيم وكالجنة للكافر في جنب ما اعد له في الآخرة من العقوبة والعذاب
الاليم وقيل ان المؤمن صرف نفسه عن الملاذ واخذها بالشدائد فكأنه في السجن
والكافر سرحها بالشهوات فهي له كالجنة كذا ذكره في الفائق ويؤيد القول
الاخير ما قاله فضيل بن عياض من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن فاما

الذي لا يترك لذاتها ويتمتع بها فاي سجن عليه واقول الظاهر ان مراتب السجن ومنازله
مختلفة باختلاف احوال اهله مع انه لا يخلو احد من ضيق التكاليف الشرعية من ترك
الواجبات الفعلية واجتناب الامور المنهية وكذا من مشقات الاحوال الكونية
من البرد والحر في الصيف والشتاء والبلاء والغلاء وموت الاحباب وغلبة الاعداء وامثال
ذلك من ابتداء خلق النطفة واطوارها في مشيمة البطن الى الظهور في المهد والبطون
في اللحد وما بينهما من انواع النكد والكد ولذا قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد
أي لا يزال في تعب عظيم مبداه ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده
الى ان يكون ما بعد هذا السجن اما الباس الخلع السلطانية والعز في المناصب
العلية واما تسليط الزبانية بموجب الغضب الالهي عليه ونقله من السجن السهل
الفاني الى الحبس الصعب الباقي نعوذ بالله من ذلك ولما مات داود الطائي سمع هاتف
يهتف اطلق داود من السجن قال ابو حفص السهروردي ان السجن والخروج منه
يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على الساعات ومرور الاوقات لان النفس كلما
ظهرت بصفاتها اظلم الوقت على القلب حتى ضاق واكمد وهل السجن الا تضيق
وحجر من الخروج والولوج فكلما هم القلب بالتبرز عن مشايم الاهوية الدنيوية والتخلص
عن قيود الشهوات العاجلة تشبثا الى الآجلة وتنزها في فضاء الملكوت ومشاهدة
الجمال الازلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فيدلي بحبس
النفس الامارة اليه فكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه وهذا
من اعظم السجون واضيقها فان من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الارض
بما رحبت وضاقت عليه نفسه ولهذا المعنى اخبر الله تعالى عن جماعة من الصحابة
حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فقال تعالى وعلى
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الاية رواه مسلم
وكذا احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني والحاكم عن سلمان والبزار
عن ابن عمر ورواه احمد والطبراني وابو نعيم في الحلية والحاكم عن ابن عمرو بن العاص
ولفظه الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة بفتح اوله
القحط والجدب واخرج ابن المبارك عن ابن عمرو قال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن
وانما مثل المؤمن حين يخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فاخرج منه فجعل يتقلب
في الارض ويتفسح فيها واخرجه ابن ابي شيبة عنه نحوه واخرج ابو نعيم عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر يا ابا ذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر امنه والجنة
مصيره يا ابا ذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره وروى ابن هلال
عن عائشة الدنيا لا تصفو لمؤمن كيف وهي سجنه وبلاؤه وعن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة قال شارح ان الله لا يضيع

اجر حسنة المؤمن ولا يخفى انه حاصل المعنى واما بحسب التركيب والمبنى فالظلم
يتعدى الى مفعولين قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا وفي القاموس ظلمه حقه
اي منعه اياه فالحديث تفسير لما في القران وتبيين لما فيه من نوعي جنس الانسان وبيان
ان الله يجازي عبده المؤمن والكافر على النقير والقطمير والقليل والكثير من الخير
والشر اما في الدنيا واما في العقبى كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة
يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ولذا قال عمر رضي الله عنه لو كانت لي حسنة
واحدة لكفتني بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة العظيمة المسطورة
يعطى استيناف بيان بصيغة المجهول اي يعطي المؤمن كل خير بها اي بسبب تلك الحسنة
في الدنيا من دفع البلا وتوسعة الرزق وغير ذلك من النعماء وفي نسخة بصيغة
المجهول لا غير اي فيعطي وفي العدول اشارة الى ان مطمح نظر الكافر في العطا انما هو
بطنه والمعنى انه يجزى بحسنات ما عمل بها لله اي من اطعام فقير واحسان يتيم واغاثة
ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الاسلام في الدنيا ظرف ليطعم حتى اذا
افضى اي وصل الى الاخرة لم تكن بالتاء بنت ويذكر اي لم تبق ولم توجد له حسنة يجزى بها
قال الله لا يضيع اجر من احسن عملا وفي شرح السنة قوله لا يظلم لا ينقص وهو
متعد الى مفعولين احدهما مؤمنا والاخر حسنة ومعناه ان المؤمن اذا اكتسب حسنة
يكافيه الله تعالى بان يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا وبان يجزي ويثاب
في الاخرة والكافر اذا اكتسب حسنة في الدنيا بان يفك اسيرا وينقذ غريقا يكافيه
الله تعالى في الدنيا ولا يجزيه في الاخرة انتهى وحاصله ان الله يعامل عبده المؤمن
بالفضل والكافر بالعدل ولا يسال عما يفعل والحديث مقتبس من قوله تعالى من
كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب رواه مسلم وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن انس بلفظ ان الله لا يظلم
المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة واما الكافر فيطعم بحسناته
في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا انتهى ومقتضى
المقابلة ما ورد في حديث ان المؤمن يجزى بسيئاته في الدنيا من انواع المحنة والمشقة
والبلايا والرزايا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له سيئة يعاقب عليها ويؤيده ما روى
احمد وابن حبان انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر رضي الله عنه
فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا بكر الست تحزن الست
تنصب الست تمرض الست تصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ما تجزون به وقد
صح على ما رواه الترمذي وابن جرير المصائب والامراض في الدنيا جزاء وروى الحاكم في
مستدركه عن ابي بكر رضي الله عنه مرفوعا من يعمل سوءا يجز به في الدنيا وعن ابن عمر قال

لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريما رواه ابن
ابي الدنيا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت النار اي احيطت
بالشهوات كالخمر والزنى وحجبت بالمكاره كالصلاة والزكاة متفق عليه الا عند مسلم حفت
بدل حجبت يعني حجبت للبخاري ولفظ حفت لمسلم فالحديث متفق عليه عن ابي هريرة معنى
وقد وافق مسلما احمد والترمذي عن انس لكن حديثهم فيه تقديم وتاخير مخالف للبخاري
في ترتيبه على ما ذكره في الجامع بلفظ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والله اعلم
باصح الروايات قال النووي معناه لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المكاره ولا يوصل الى النار
الا بارتكاب الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل الى المحجوب فهتك حجاب
الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات واما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد
في العبادات والمواظبة على الطاعات والصبر عن الشهوات ونحو ذلك واما الشهوات
التي النار محفوفة بها فالظاهر انها الشهوات المحرمة كالخمر والزنى والغيبة ونحو
ذلك واما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا انتهى ويناسب هذا الحديث ما ذكره
السيوطي في الجامع الكبير انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات
اي لا يحصل درجاتها الا بالتحمل على مكروهاتها والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس بكسر العين ويفتح اي خاب وخسر عبد الدينار اي الذي
اختار على مكروهة رضى معبوده الجبار بان ياخذه من غير حله وان لا يصرفه في محله
وكذا قوله وعبد الدرهم وهذان مثلان وخصا بالذكر لانهما النقدان الحاصل بهما جميع
مقاصد النفس والشيطان وعبد الخميصة وهي ثوب خز او صوف معلم وخصت بالذكر
لان الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والريا والسمعة ومن كمال ميل النفس اليها وعدم
الطاقة على مفارقتها فكانه عبد لها وقيل هي كساء اسود مربع له علمان اراد به محب كثرة
الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة وحاصله ذم التقيد بالزينة الظاهرة
مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما اذا كانت محرمة او مكروهة وعدم التعلق بتحلية
الباطن عن الاوصاف الدنية وتحليتها بالنعوت المرضية فان من لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه في الاخرة ومن رق ثوبه رق دينه ثم تطويل الاكمام وجر الاذيال حرام على وجه
التكبر والخيلاء ومكروه اذا كان بخلافه واما اذا كان اللبس على الوجه المباح في الشريعة
فيختلف باختلاف النية في اختيار التكلف او التقشف فقد قال تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية واختلف السادة الصوفية
في ايهما افضل وممن اختار الشاذلية والنقشبندية والبكرية التلبس بلباس الاغنياء
كما عليه بعض السلف من الاولياء كما روي ان فرقدا السبخي دخل على الحسن وعليه كساء
وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة وثيابك
ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد

في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلفهم لاحدهم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف
بمطرفه ثم الجملة اما خبر او دعاء على من استعبده حب الدنيا واسترقه الهوى واعرض عن
عبودية المولى ولذا قال بعض العارفين ٥ اتمنى على الزمان محالا ٥ ان ترى مقلتاي طلعة حر
ولم يقل صاحبها ايذانا بان المذموم من يكون اسيرا لجمع المال الخبيث لا يؤدي حق الملك المتعال
ان اعطي اي هذا العبد رضي وان لم يعط سخط بكسر الخاء اي غضب والجملة بيان لشدة
حرصه واتقلابه في حاله كما اخبر الله تعالى عن حال المنافقين بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون الاية وكما قال عز وجل ومن
الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على
وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين تعس كرر للتاكيد وليعطف عليه
للتشديد قوله وانتكس اي ذليلا واذا شيك بكسر اوله اي ادخل شوك في عضوه فلا انتقش
بصيغة المجهول وفي نسخة على بناء المعلوم اي فلا يقدر على اخراجه او لا يجد من يخرجه
والمعنى انه اذا وقع في البلاء لا يرحم عليه ولا يقدر على دفعه بنفسه ايضا هذا وفي
النهاية تعس اذا عثر وانكب لوجهه وقد يفتح العين وهو دعا عليه بالهلاك وانتكس اي
انقلب على راسه وهو دعا عليه بالخيبة لان من انتكس في امره فقد خاب وخسر واذا
شيك اي اذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو اخراجها بالمنقاش والخميصة
ثوب خز او صوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا ان تكون سوداء معلمة وكانت من
لباس الناس قديما قال الطيبي فقيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا
وشهواتها كالاسير الذي لا خلاص له عن اسره ولم يقل مالك الدنيا ولا جامع الدنيا لان
المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة وقوله ان اعطي رضي
وان لم يعط سخط يؤذن الى شدة حرصه في جمع الدنيا وطمعه فيما في ايدي الناس وفي قوله
تعس وانتكس صيغة الترديد مع الترقي ايعاد تعس الذي هو الانكباب على الوجه ليضم
معه الانتكاس الذي هو الانقلاب على الراس ليترقى في الدعا عليه من الاهون الى الاغلظ
ثم ترقى منه الى قوله واذا شيك فلا انتقش على معنى انه اذا وقع في البلا فلا يترحم
عليه فان من وقع في البلا اذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلي
وهؤلا بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الاعدا وشماتتهم وانما خص انتقاش الشوك
بالذكر لان الانتقاش اسهل ما يتصور من المعاونة لمن اصابه مكروه فاذا نفي ذلك الاهون
فيكون ما فوقه ذلك منفيا بالطريق الاولى طوبى اي حالة طيبة او شجرة في الجنة
لعبد اي خالص لله تعالى آخذ بصيغة الفاعل اي ماسك بعنان فرسه بكسر العين
اي بلجامه في سبيل الله اي طريق الجهاد اشعث بالنصب على انه صفة عبدا وحال منه
وقوله راسه مرفوع على الفاعلية لاشعث وهو مغبر وفي نسخة برفعه على انه
خبر مبتدا محذوف والجملة صفة عبد وقوله مغبرة بالنصب وفي نسخة بالرفع وفي اخرى

بالجر

بالجر على انها صفة عبد وقوله قدماه فاعلها وقال الطيبي اشعث ومغبرة حالان
من الضمير في آخذ لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكونا حالين من العبد لانه موصوف
ان كان اي ذلك العبد في الحراسة بكسر الحاء اي حماية الجيش ومحافظتهم ان يتهجم
عليهم عدوهم كان اي كاملا في الحراسة غير مقصر فيها بالنوم والغفلة ونحوهما والحراسة
وان كانت في اللغة اعم لكنها في العرف مختصة بمقدمة العسكر ولذا قال وان كان في
الساقة اي في مؤخرة الجيش ويلزم منها الحراسة ايضا كان اي كاملا في تلك الحالة ايضا
بان لا يخاف من الانقطاع ولا يهتم الى السبق بل يلازم ما هو لاجله وقد تقرر في علم
المعاني ان الشرط والجزا اذا اتحدا يراد بالجزا الكمال فالمعنى
ان كان في الحراسة او الساقة يبذل جهده فيها ولا يغفل عنها على وجه الكمال قال
التوربشتي اراد بالحراسة حراسته من العدو ان يهجم عليهم وذلك يكون في مقدمة
الجيش والساقة مؤخرة الجيش فالمعنى ائتماره لما امر واقامته حيث اقيم لا يفقد من
مكانه بحال وانما ذكر الحراسة والساقة لانهما اشد مشقة واكثر آفة الاول عند دخولهم
دار الحرب والاخر عند خروجهم وان استاذن اي طلب الاذن في دخول محفل وفي نسخة اذا
استاذن لم يؤذن اي لعدم ماله وجاهه وان شفع بتشديد الفاء المفتوحة اي لم يقبل
شفاعته وتوضيحه ما قيل ان فيه اشارة الى عدم التفاته الى الدنيا وارباب الدنيا بحيث
يفنى بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس بل يكون عند الله وجيها
ولم يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعا مشفعا رواه البخاري وروى الترمذي
صدر الحديث بلفظ لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم مختصرا وعن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما اخاف عليكم اي من جملة ما اخشى عليكم ايها
الصحابة او ايها الامة من بعدي اي بعد وفاتي ما يفتح عليكم من زهرة
الدنيا بفتح الزاي وسكون الهاء ويفتح ففي القاموس الزهرة ويحرك النبات ونوره
او الاصفر منه والمراد حسنها وبهجتها فقوله وزينتها عطف تفسيري وانما عبر بالزهرة
اشارة الى جدتها وحلاوتها خضرة وسرعة فنائها والمعنى اني اخاف عليكم الكثرة اموالكم
عند فتح بلادكم بمنعكم عن الاعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث
فيكم الاخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه وما يتعلق بهما
من لوازم الامور الدنيوية والاعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الاحوال
الاخروية فقال رجل يا رسول الله او ياتي الخير بالشر بفتح الواو والاستفهام للاسترشاد
والمعنى ايفتح علينا وياتي الخير من الغنايم والمال الحلال وتوسيع الرزق مصحوبا
بالشر المترتب عليه الخير من الطاعة والعبادة مما يخاف علينا وقيل الباء صلة باتي وهي
للتعدية اي هل يستجلب الخير وتوضيحه ان حصول الغنيمة لنا خير وهل يكون
ذلك الخير سببا للشر فسكت اي متاملا او مستغرقا او منتظرا للوحي سكوتا ممتدا

حتى ظننا انه ينزل بصيغة المجهول اي ينزل الوحي عليه اي بواسطة جبريل والاظهر
ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اما وحيا جليا او خفيا قال اي الراوي فسح عنه
اي عن وجهه الشريف الرحضاء بضم الراء وفتح الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبالمد
عرق الحمى على ما في المقدمة والمراد عنها عرق يظهر عليه عليه السلام عند نزول
الوحي عليه فالتركيب من باب التشبيه البليغ والمعنى انه مسح عنه عرقا كعرق اثر
الحمى ترحض الجسد اي تغسله من كثرته وقال ابن السائل وكانه اي النبي صلى الله
عليه وسلم حمده اي حمد السائل واستحسنه في سؤاله لكونه سؤال استرشاد ينفع العباد
والعباد فقال انه اي الشان لا ياتي الخير بالشر حقيقة لتنافيهما لكن قد يكون الخير
سببا للشر فضرب لذلك مثلا بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال وان
مما ينبت الربيع اي بقدرته تعالى وارادته وخلق اسبابه وآلته ما يقتل نباتا اي نباتا
او شيئا يهلك الدواب حبطا بفتحتين اي انتفاخ بطن من الامتلاء وهو تمييز والمراد
انه قد يقتل حقيقة او يلم بضم يا وتشديد ميم اي يكاد ان يقتل ويقرب ان يهلك
فاو للتنويع والمعنى ان الربيع ينبت خيار العشب فيستكثر منه الماشية
لاستطابتها اياه حتى ينتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها
من ذلك فتموت او تقرب الموت ومن المعلوم ان الربيع ينبت احرار العشب فهي
كلها خير في نفسها وانما ياتي الشر من قبل افراط الاكل فكذلك المفرط في جمع المال
من غير حله او من الحلال المشغل عن حاله يكثر في التنعم بماله من غير تامل في ماله
فيقسو قلبه من كثرة الاكل فيورث الاخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس
يمنع ذا الحق حقه منها بحيث ان مآل المال الهلاك في الدنيا ولعذابه يصير سبب الوبال
وشدة النكال وسوء الحال الا آكلة الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهو
الطري الغض من النبات وفي نسخة بضم ففتح على انه جمع خضرة وروي بزيادة
الهاء والمعنى يقتل او يلم كل آكلة الا آكلة الخضر على الوجه المذكور والبيان المسطور
بقوله اكلت اي الماشية الآكلة المفرط في اكلها حتى امتدت اي امتلأت وشبعت
خاصرتاها اي جنباها وعبر عن الشبع بامتدادهما لانهما يمتدان عند امتلاء البطن استقبلت
عين الشمس اي ذاتها وقرصها والمعنى انها بركت مستقبلة اليها تستمري بذلك ما اكلت
وقال شارح اي تركت الاكل ولم تأكل الا ما يوفي طاقة كرشها حتى يقتلها كثرة الاكل وتوجهت
الى مسقط ضوئها واستراحت فيه فثلطت اي القت روثها رقيقا سهلا وبالت اي
فزال عنها الحبط ثم عادت فاكلت اي ثم اذا حصل لها خفة واحتاجت الى الاكل
عادت فاكلت كذلك من اخرج ما في المال من الحقوق وعالج نفسه بالاحتماء عن مساوي
الاغنياء وعرف الداء والدواء بتتبع كلام الحكماء من الانبياء والاولياء فيكون المال حينئذ
خيرا له لانه مصروف له في تحصيل الخير ودفع الشر لكن لما كان الخطر فيه كثيرا بحيث

بضر السالكين بحسب الاغلب اختار الله لاكثر الانبياء والاولياء طريق الفقر والفاقة وذهب
الصوفية اجمعهم والعلماء اكثرهم الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر
والله سبحانه اعلم هذا مجمل الكلام في مرام المقام واما تفصيله لغة وحلا من جهة المبنى
والمعنى ففي النهاية الحبط بالتحريك الهلاك يقال حبطت الدابة تحبط حبطا بالتحريك
اذا اصابت مرعى طيبا فافرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت وذلك ان الربيع ينبت احرار
العشب فتستكثر منه الماشية وتلم اي تقرب وتدنو من الهلاك والخضر بكسر
الضاد نوع من البقول ليس من احرارها وجيدها وانما ترعاها المواشي اذا لم تجد غيرها
فلا تكثر من اكلها ولا تستمريها قال القاضي آكلة نصب على انه مفعول يقتل والاستثناء
مفرغ والاصل ان مما ينبت الربيع ما يقتل آكله الا آكل الخضر على هذا الوجه
وانما صح الاستثناء المفرغ من المثبت بقصد التعميم فيه ونظيره قرات الا يوم كذا
قال الطيبي وعليه ظاهر كلام المظهر والاظهر ان الاستثناء منقطع لوقوعه في
الكلام المثبت وهو غير جائز عند الكسائي الا بالتاول وفيه لان ما يقتل حبطا بعض
ما ينبت الربيع لدلالة من التبعيضية عليه والتقسيم في قوله الا آكلة
الخضر لان الخضر غير ما يقتل حبطا يشهد له ما في شرح السنة قال الازهري فيه مثلان
ضرب احدهما للمفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها وضرب الاخر للمقتصد في اخذها
والانتفاع بها واما قوله مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل المفرط الذي ياخذها
بغير حق وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فيستكثر منها الماشية حتى ينتفخ بطونها
لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنشق امعاؤها وتهلك كذلك الذي يجمع الدنيا من غير
حلها ويمنع ذا الحق حقه يهلك في الاخرة بدخول النار واما مثل المقتصد فقوله صلى
الله عليه وسلم الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من احرار البقول التي ينبتها
الربيع فيكثر منها الماشية ولكنها من كلاء الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول
شيئا فشيئا من غير استكثار فضرب مثلا لمن يقتصد في اخذ الدنيا ولا يحمله الحرص
على اخذها فهو من وبالها قال الاشرف في قوله حتى امتدت خاصرتاها استقبلت
عين الشمس ان المقتصد المحمود العاقبة وان جاوز حد الاقتصاد في بعض الاحيان
وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الانسان وهو المعنى بقوله اكلت
حتى امتدت خاصرتاها لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يلبث عليه
بل يلتجي الى الدلائل النيرة والبراهين الواضحة الدافعة للحرص المهلك القامعة له
وهو المدلول عليه بقوله استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت فحذف ما حذف في
المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه وفيه ارشاد الى المحمود العاقبة وان تكرر
منه الخروج عن حد الاقتصاد والقرب من حد الاسراف مرة بعد اولى وثانية
بعد اخرى لغلبة الشهوة عليه وقوتها فيه لكنه يمكن ان يبعد بمشيئة الله تعالى

عن الحد المذموم الذي هو الاسراف ويقرب من الاقتصاد الذي هو الحد المحمود قال
الطيبي وعلى هذا الاستثناء متصل لكن يجب التاويل في المستثنى والمعنى ان من جملة
ما ينبت الربيع شيئا ينفع آكله الا الخضر منه اذا اقتصد فيه آكله وتحرى دفع ما يؤديه
الى الهلاك وهذا المال اي المحسوس في البال خضرة بفتح فكسر حلوة بضم الحاء اي حسنة
المنظر لذيذة المذاق والتانيث باعتبار ان هذا المال عبارة عن الدنيا وزينتها او التقدير
ان زهرة هذا المال خضرة حلوة قال التوربشتي كذلك نرويه من كتاب البخاري
على التانيث وقد روي ايضا خضر حلو والوجه فيه ان يقال انما انث على معنى تانيث
المشبه به اي ان هذا المال شيء كالخضرة وقيل معناه كالبقلة الخضرة او يكون على
معنى فائدة المال اي ان الحيوة به او المعيشة خضرة قال الطيبي ويمكن ان يعبر
عن المال بالدنيا لانه اعظم زينتي الحياة الدنيا لقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة
الدنيا فيوافق حديث ابي سعيد الخدري الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
على ما مر في الباب السابق انتهى والمعنى ان هذا المال جنسه او نوع خاص منه من
مال بيت المال ونحوه ناعم مستحسن لونا وطعما مشتهى لا نفس اكثرا لانه مشبه بالمرعى
المشتهية للانعام فمن اخذه بحقه اي بقدر احتياجه من طريق ووضعه في حقه
اي في محله الواجب او المندوب فنعم المعونة اي ما يعان به على الطاعة ويدفع به ضرورات المؤنة
او المراد بالمعونة الوصف مبالغة اي فنعم المعين على الدين هو اي المال ونظيره
ما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ومن اخذه بغير حقه اي من غير احتياج اليه وجمعه
من حرام ولم يصرفه في مرضاة ربه كان كالذي ياكل ولا يشبع اي في الداء العضال
والورطة المهلكة بغلبة الحرص كالذي به جوع البقرة وكالمريض الذي به الاستسقاء
حيث ما يروى وكلما يشرب يزيد عطشا وانتفاخا ويكون اي المال شهيدا عليه يوم
القيامة اي حجة عليه يوم يشهد على حرصه واسرافه وانه انفقه فيما لا يرضاه الله
ولم يؤد حقه من مال الله لعباد الله قال الغزالي مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق
نافع وسم ناقع فان اصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن شرها وطريق استخراج
ترياقها كانت نعمة وان اصابها السوداء الغبي فهي عليه بلاء مهلك وتوضيحه ما قاله
الخواجه عبيد الله النقشبندي ان الدنيا كالحية فكل من يعرف رقيتها يجوز له اخذها
والا فلا وقيل وما رقيتها قال ان يعرف من اين ياخذها وفي اين يصرفها متفق عليه
وعن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لا الفقر بالنصب مفعول
مقدم للاهتمام على عامله وهو قوله اخشى عليكم والمعنى ما اخشى عليكم الفقر
لان الغالب عليه السلامة وانه انفع لكم ولذا قيل ان من العصمة ان لا تقدر وان كان كاد
الفقر ان يكون كفرا ولكن اخشى عليكم ان تبسط اي توسع عليكم الدنيا اي فتعملوا معاملة
الاغنياء الاغبياء فتهلكوا بانواع البلاء كما بسطت على من كان قبلكم اي فهلكوا بسبب عدم

ترحمهم على الفقراء لاجل كمال الميل الى المال فتنافسوها بحذف احدى التائين عطف
على تبسط من نافس في الشيء اي رغبت فيه وتحقيقه ان المنافسة والتنافس
ميل النفس الى الشيء النفيس ولذا قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمعنى
تتبادروها الثم وترغبوا فيها غاية الرغبة كما تنافسوها بصيغة الماضي اي كما
رغبت فيها من قبلكم وتهلككم اي الدنيا كما اهلكتهم قال الطيبي فان قلت الفائدة في تقديم
المفعول في القرينة الاولى دون الثانية قلت فائدته الاهتمام بشان الفقر
لان الاب المشفق اذا احتضر انما يكون اهتمامه بشان الولد وضياعه واعدامه
المال كانه صلى الله عليه وسلم يقول حالي معكم خلاف حال الوالد لكني لا اخشى الفقر كما
يخشاه الوالد لكن خوفي من الغنى الذي هو مطلوب الوالد للولد ثم التعريف في الفقر اما
ان يكون للعهد فهو الفقر الذي كانت الصحابة عليه من الاعدام والقلة والبسط هو ما بسط
الله عليهم من فتح البلاد واما للجنس وهو الفقر الذي يعرفه كل احد وهو البسط الذي
يعرفه كل احد ونظيره ما فسر به قوله تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا
انتهى والظاهر ان المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع ما يحتاج اليه من ضروريات الدين
والبدن وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان وشغل الانسان
عن عبادة الرحمن فالمعنى كما قال الطيبي ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها وتحرصون
على امساكها فتطغون بها فتهلكون لها قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى
ويحتمل ان يكون هلاكهم من اجل ان المال مرغوب فيه فيطمع الناس ويتوقعون منه
فمنعه منهم فيقع العداوة بينهم فيفضي ذلك الى الهلاك انتهى وهذا الاحتمال
بعيد عن ان يكون مراد الحديث بل محال متفق عليه وروى الطبراني في الصغير عن انس
مرفوعا قال من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه تعالى ومن اصبح يشكو مصيبة
نزلت به فانما يشكو الله تعالى ومن تضعضع لغني لينال مما في يديه اسخط الله تعالى ومن
اعطي القرآن فدخل النار فابعده الله تعالى ورواه ابو الشيخ في الثواب من حديث ابي
الدرداء الا انه قال في آخره ومن قعد او جلس الى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه
ذهب ثلثا دينه ودخل النار وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اجعل رزق آل محمد اي ذريته واهل بيته او اتباع محمد واحبابه على وجه الكمال
قوتا على الطاعة وبسد رمقا في المعيشة وفي رواية كفافا بفتح الكاف وهو من القوت
ما يكف الرجل عن الجوع او عن السؤال والظاهر ان هذه الرواية تفسير للاولى وبيان
ان الاكتفاء بادنى المعيشة هو الطريق الاولى وقد استجاب الله دعاءه في حق من شاء
ممن اراد اصطفاءه واختياره ويؤيده القول الثاني وهو ان يكون المراد بالآل خواص امته
مثلا بالكمال ما ورد في دعائه عليه السلام على ما رواه ابن ماجة عن عمرو بن غيلان
الثقفي والطبراني عن معاذ بن جبل اللهم من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو الحق

من عندك فاقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل اليه القضاء ومن لم يؤمن بي ولم
يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به الحق من عندك فاكثر ماله وولده واطل عمره ولعل
السبب في ذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وفي
رواية فقليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ونعم ما قال بعض ارباب الحال زيادة
المرء في دنياه نقصان ❁ وربحه غير محض الخير خسران ❁ هذا وفي النهاية الكفاف
هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة اليه قال الطيبي هذه الرواية مفسرة
للرواية الاولى لان القوت ما يسد به الرمق وقيل سمي قوتا لحصول القوة منه
سلك صلى الله عليه وسلم طريق الاقتصاد المحمود فان كثرة المال تلهي وقلته تنسي
فما قل منه وكفى خير مما كثر منه والهى وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ارشاد لامته كل
الارشاد لان الزيادة على الكفاف لا ينبغي ان يتعب الرجل في طلبه لانه لا خير فيه وحكم
الكفاف يختلف باختلاف الاشخاص والاحوال فمنهم من يعتاد قلة الاكل حتى انه
ياكل في كل اسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في اسبوع ومنهم من يعتاد الاكل في
كل يوم مرة او مرتين فكفافه ذلك ايضا لانه ان تركه اضره ذلك ولم يقو على الطاعة
ومنهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله ومنهم من يقل عياله فلا
يحتاج الى طلب الزيادة وكثرة الاشتغال فاذن قدر الكفاف غير مقدر ومقداره
غير معين الا ان المحمود ما به القوة على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة متفق
عليه وفي الجامع اللهم ارزق ال محمد في الدنيا قوتا رواه مسلم والترمذي وابن
ماجه عن ابي هريرة وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد افلح اي فاز وظفر بالمقصود من اسلم اي انقاد لربه المعبود ورزق
اي من الحلال كفافا اي ما كفاه في امر دنياه وكفه عما سواه وقنعه الله اي جعله
قانعا بما اتاه اي بما اعطاه اياه بل جعله شاكرا لما اعطاه راضيا بكل ما قدره وقضاه
رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وابن ماجه وفي رواية لاحمد عن ابي ذر مرفوعا
قد افلح من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا وجعل نفسه مطمئنة
وخليقته مستقيمة واذنه مستمعة وعينه ناظرة وجاء في رواية مختصرا
قد افلح من رزق لبا رواه البيهقي عن قرة بن هبيرة وقد قال تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات والله اعلم بحقيقة البيان وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد اي مع ان العبد وما في يده لمولاه
ولا ينبغي له ان ينسب الى نفسه شيئا كما قالت الصوفية الصفية مالي مالي اي مالي كذا
مالي كذا والمعنى يعده افتخارا او يذكره احتقارا ولم يعرف المقصود من المال ولا ما يترتب
عليه في المال من الوبال ان ما له ثلاثة الاولى موصولة وله صلة ومن ماله يتعلق
بالصلة وثلاث خبر وانما انثه على تاويل المنافع ذكره الطيبي والمعنى ان الذي يحصل

له من ماله ثلاث منافع في الجملة لكن منفعة واحدة منها حقيقية باقية والباقي
منها صورية فانية ما اكل اي ما استعمل من جنس الماكولات والمشروبات ففيه تغليب
او اكتفاء فافنى اي فاعدمها او لبس اي من الثياب فابلى اي فاخلقها او اعطى اي لله تعالى
فاقتنى اي جعله قنية وذخيرة للعقبى وما سوى ذلك اي وما عدا ما ذكر من سائر
انواع المال من المواشي والعقار والخدم والنقود والجواهر ونحو ذلك فهو اي العبد
ذاهب اي عنه وتاركه للناس اي من الورثة او غيرهم بلا فائدة راجعة اليه مع ان
مطالبته بالمحاسبة والمعاقبة عليه رواه مسلم وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبع الميت اي الى قبره ثلاثة اي من انواع الاشياء فيرجع اثنان اي
الى مكانهما ويتركانه وحده ويبقى معه واحد اي لا ينفك عنه يتبعه اهله اي اولاده
واقاربه واهل صحبته ومعرفته وماله كالعبيد والاماء والدابة والخيمة ونحوها قال
المظهر اراد بعض ماله وهو مماليكه وقال الطيبي اتباع الاهل على الحقيقة واتباع
المال على الاتساع فان المال له نوع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤنة الغسل
والحمل والدفن فاذا دفن انقطع تعلقه بالكلية وعمله اي من الصلاح وغيره فيرجع
اهله وماله اي لا تشاهد حاله وماله ويبقى اي معه عمله اي ما يترتب عليه من ثواب
وعقاب ولذا قيل القبر صندوق العمل وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة او
حفرة من حفر النيران متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله اي من مال نفسه قالوا يا رسول الله
ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال فان ماله اي حقيقة ما قدم اي ما قدمه
على موته بارسالة الى الدار الاخرة فانه النافع الباقي له فيها قال تعالى وما تقدموا لانفسكم
من خير تجدوه عند الله ومال وارثه ما اخر اي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره
الله عليهم من الخير والشر قال تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت رواه البخاري وعن
مطرف بضم الميم وكسر الراء المشددة عن ابيه اي عبد الله بن الشخير بكسر فتشديد
ومر ذكره قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر اي اشغلكم كثرة المال
قال يقول ابن ادم اي تكونه ظلوما جهولا لا في محل الامانة المانعة عن الحب تعالى
مالي اي يفتخر بنسبة المال تارة ويتحسر به اخرى قال الطيبي للتاكيد ودفعا لتوهم ان يكون
من قول الراوي وهل لك اي وهل يحصل لك من المال وينفعك في المال يا ابن ادم الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت اي فامضيته من الافناء والابلاء
وابقيته لنفسك يوم الجزاء قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال عز وجل
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم رواه مسلم وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى اي المعتبر عند ارباب الحقيقة
غنى صادرا عن كثرة العرض وهو غنى اليد من الامور العارضة والاموال الحادثة وهو

بفتح العين والراء اي متاع الدنيا وحطامها على ما في النهاية وقال شارح العرض بالتحريك يتناول النقود وغيرها من الاموال وبالسكون لا يتناول النقود قال الطيبي وعن هذه
مثلها في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها الكشاف اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها
وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنه ولكن يتشدد بدا التون ويجوز بحقيقة
الغنى اي الغنى الحقيقي غنى النفس اي عن المخلوق لاستغناء القلب باغنياء الرب
والمعنى ان الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما اعطاه المولى والتجنب عن الحرص
في طلب الدنيا فمن كان قلبه حريصا على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال ونتيجة
المال وان كان له كثير من الاموال لانه محتاج الى طلب الزيادة بموجب طول الامل
ومن كان له قلب قانع بالقوت وراض بعطية مالك الملك والملكوت فهو غني
بقلبه مستغن عن الغير برمته سوا يكون في يده مال او لا يطلب الزيادة على القوت
ولا يتعب نفسه في طلب الدنيا الى ان يموت بل يستغني بالقليل من الدنيا لتحصيل
الثواب الجميل في العقبى والثنا الجزيل من المولى رزقنا الله المقام الاعلى وفي الحديث
القناعة كنز لا يفنى وفي رواية لا ينفد وما احسن ما قال من ارباب الحال ۝ عز بعز
النفس من لزم القناعه ۝ ولم يكشف لمخلوق قناعه ۝ قال الاشرف المراد بغنى النفس
القناعة ويمكن ان يراد به ما يسد الحاجة قال الشاعر ۝ غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة ۝
فان زاد شيا عاد ذاك الغنى فقرا ۝ قال الطيبي ويمكن ان يراد بغنى النفس حصول
الكمالات العلمية والعملية وانشد ابو الطيب معناه ۝ ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقر ۝ يعني ينبغي ان ينفق ساعته واوقاته في الغنى
الحقيقي وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا في المال لانه فقر بعد فقر
انتهى وقد قال بعض ارباب الكمال ۝ رضينا قسمة الجبار فينا ۝ لنا علم وللاعداء
مال ۝ فان المال يفنى عن قريب ۝ وان العلم يبقى لا يزال ۝ ومن المعلوم ان المال
ارث فرعون وقارون وساير الكفار والفجار وان العلم ارث الانبياء والاولياء
وعلماء الابرار متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابن ماجة الفصل
الثاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياخذ عني هولاء
الكلمات اي الاحكام لا تنبه للسامع المصورة في ذهن المتكلم ومن للاستفهام
فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن او بمعنى الواو كما في قوله تعالى عذرا او نذرا ذكره الطيبي
ونتيجة غيره والظاهر ان او في الاية للتنويع كما اشار اليه البيضاوي بقوله
عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ويمكن ان يكون او في الحديث بمعنى بل اشارة الى الترقي
من مرتبة الكمال الى منصة التكميل على ان كونها للتنويع وجه وجيه وتنبيه
تنبيه على ان العاجز عن فعله قد يكون باعثا لغيره على مثاله كقوله رب حامل فقه
الى من هو افقه منه قلت انا اي اخذها عنك يا رسول الله وهذه مبالغة خاصة

ومعاهدة خالصة ونظيره ما عاهد بعض اصحابه بانه لا يسال مخلوقا وكان اذا
وقع سوطه من يده وهو راكبه نزل واخذه من غير ان يستعين باحد من اصحابه فاخذ بيدي
اي تحقيقا للقضية وتقريبا للخصوصية فعد خمسا اي من الخصايل او من الاصابع على ما
هو المتعارف واحدة بعد واحدة فقال اتق المحارم وهي شاملة لجميع المحرمات من
فعل المنهيات وترك المامورات تكن اعبد الناس اذ لا عبادة افضل من الخروج
عن عهدة الفرايض وعوام الناس يتركونها ويعتنون بكثرة النوافل فيضيعون
الاصول ويقومون بالفضايل فربما يكون على شخص قضا صلوات ويغفل عن ادائها
ويطلب علما او يجتهد عملا في طواف وعبادات نفل او يكون على احد من الزكاة او
حقوق الناس فيطعم الفقرا او يبني المساجد والمدارس ونحوها ولعل التعبير
بالاتقا اعتنا لجانب الاحتماء على قاعدة الحكما في معالجة الداء بالدواء وارض
بما قسم الله لك اي سوا يقع لك بواسطة مخلوق او بغيرها تكن اغنى الناس سال
شخص السيد ابا الحسن الشاذلي عن الكيميا فقال هي كلمتان اطرح الخلق عن نظرك
واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك وقال السيد عبد القادر الجيلي
اعلم ان القسم لا يفوتك بترك الطلب وما ليس بقسم لا تناله بحرصك في الطلب والجد
والاجتهاد فاصبروا لزم الحال وارض به ليرضى عنك ذو الجلال واحسن الى جارك
اي ولو اساء اليك تكن مومنا اي كاملا او معطيا له الامن لقوله صلى الله عليه وسلم لا يومن
احدكم حتى يامن جاره بوايقه اي شروره وغوايله واحب للناس اي عموما ما تحب لنفسك
اي مثل ما تحبه لك خاصة حتى تحب الايمان للكافر والتوبة للفاجر ونحو ذلك تكن
مسلما اي كاملا وهذا الحديث اعم من حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
وقد استشهد الطيبي به فالاظهر فيهما اعتضده لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه ولا تكثر الضحك اي تكن طيب القلب وحيا بذكر الرب فان كثرة الضحك اي
المورث للغفلة عن الاستعداد للموت وما بعده من الزاد للمعاد تميت القلب اي ان
كان حيا وتزيد اسودادا ان كان ميتا رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب
وفي التصحيح للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن ابي هريرة والحسن لم يسمع
من ابي هريرة قال وروي عن ابي عبيدة الناجي عن الحسن هذا الحديث قوله ولم يذكر
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي الحسن
لم يسمع من ابي هريرة رواه البزار والبيهقي بنحوه في كتاب الزهد عن مكحول عن
واثلة لكن بقية اسناده فيه ضعف ذكره ميرك وفيه ان حديث الحسن اعتضد
بحديث مكحول فترقى عن درجة الضعف مع انه معتبر في فضايل الاعمال اجماعا وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يا ابن ادم خص
بالنداء لانه عمدة العابدين وامتنفى الى ادم اشعارا بانه يتبعه في مرتبة التايبين تفرغ

اي بالغ في فراغ قلبك علوما ومعارف تورث الغنى عن غير المولى واسد فقرك اي واسد
باب حاجتك الى الناس وهو بفتح الدال المشددة في نسخ المصححة لعطفه على المجزوم
من جواب الامر وفي نسخة بضمها لغة عينها وقد جوز في لم يمد الحركات الثلاث مع
الادغام وان لا تفعل اي ما امرتك من الاعراض عن الدنيا والاقبال على عبادة
المولى النافعة في الدنيا والاخرى ملأت يدك اي جوارحك كما يدل عليه رواية يديك
وفي الجامع يديك بصيغة التثنية وانما خصت اليد لمزاولة اكثر الافعال بها شغلا
بضم فسكون ويجوز ضمهما وفتحهما وفتح فسكون على ما في القاموس اي اشتغالا
من غير منفعة ولم اسد فقرك اي لا يشغلك ولا من غيره وحاصله انك تتعب نفسك
بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال الا ما قدر لك من المال في الازل وتحرم عن غنى
القلب لترك عبادة الرب رواه احمد وابن ماجه وكذا الترمذي والحاكم على ما ذكر
في الجامع وفي التصحيح رواه الترمذي وابن ماجه من طريق ابي خالد الوالبي واسمه
هرمز ويقال هرم عن ابي هريرة قال ابن عدي في حديث ابي خالد لين وقال الحافظ المنذري
في الترغيب رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن وابن حبان
في صحيحه باختصار الا انه قال بيدك شغلا والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي
في كتاب الزهد قال ميرك ولها شاهد من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ربكم يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غنى واملأ يديك رزقا
يا ابن ادم لا تباعد عني املأ قلبك فقرا واملأ يديك شغلا رواه الحاكم وقال صحيح
الاسناد وروى ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا خير سليمان
بين المال والملك والعلم فاختار العلم فاعطي الملك والمال لاختياره العلم وروى البيهقي
عن عمران بن حصين مرفوعا من انقطع الى الله عز وجل كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث
لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها وروى الديلمي في مسند الفردوس
عن ابي هريرة والبيهقي عن علي مرفوعا ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب
وعن جابر قال ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة واجتهاد
اي طاعة مع قلة ورع عن معصيته والتنوين فيهما للتعظيم او للتنكير وذكر اي عنده
اخر برعة بكسر الراء على وزن عدة اي بورع من حرام مع قلة عبادة والمعنى انه طلب
منه صلى الله عليه وسلم بيان الافضل منهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدل بصيغة
الفاعل مجزوما وقيل بصيغة المفعول مرفوعا اي لا تزن ولا تقابل العبادة بالرعة
يعني بالورع تفسير من الراوي والمراد بالورع التقوى عن المحرمات فانه قد يفضي الى امتثال
الواجبات من العبادات قال المظهر لا تعدل يجوز ان يكون نهي المخاطب المذكر مجزوم اللام
يعني لا تقابل شيئا بالرعة وهو بكسر الراء وتخفيف العين الورع فان الورع افضل كل خصلة
ويجوز ان يكون خبرا منفيا بضم التاء وفتح الدال اي لا تقابل خصلة بالورع فانها افضل

الخصال

الخصال قال الراغب الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا
وذلك ثلاثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف
عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل
الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين رواه الترمذي قال
الطيبي وقد الحق في بعض نسخ المصابيح بعد قوله لا تعدل بالرعة قوله شيئا وليس في جامع
الترمذي واكثر نسخ المصابيح منه اثر قلت وفي الجامع لا يعدل بصيغة المذكر المجهول
على ان الجار والمجرور نائب الفاعل وهو ظاهر جدا حيث لا يحتاج الى تقدير شيء مطلقا
وعن عمرو بن ميمون الاودي بفتح فسكون فمهملة نسبة الى اود بن صعب ذكره السيوطي
وقال المؤلف ادرك الجاهلية واسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو
معدود في كبار التابعين من اهل الكوفة روى عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم من الاغتنام وهو
اخذ الغنيمة خمسا من الاموال الموجودة في الحال قبل خمس من العوارض المتوقعة في
الاستقبال شبابك اي زمان قوتك على العبادة قبل هرمك بفتحتين اي قبل كبرك
وضعفك عن الطاعة وصحتك اي ولو في هرمك قبل سقمك بفتحتين وبضم فسكون
اي مرضك وغناك اي قدرتك على العبادات المالية والخيرات والمبرات الاخروية
في مطلق الاحوال ومن اعتد الاموال قبل فقرك اي فقدك اياه بالحياة او الممات فان
المال في صدد الزوال وفراغك قبل شغلك سبق بيان مبناه ومعناه وحياتك ولو
في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيه الاتيان بذكر الله قبل موتك اي وقت
اتيان اجلك وانقطاع عملك رواه الترمذي مرسلا قال الجزري في التصحيح حديث عمرو
ابن ميمون رواه النسائي هكذا مرسلا وعمرو بن ميمون تابعي كبير من المخضرمين ادرك
الجاهلية واسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال ميرك وله شاهد
مرفوع من حديث ابن عباس بهذا اللفظ اخرجه الحاكم وقال صحيح على شرطهما قلت وفي الجامع
بلفظ اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك
وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ورواه
احمد في الزهد وابو نعيم في الحلية والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينتظر احدكم خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في
امر دينهم اي متى تعبدون ربكم فانكم ان لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف
تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى لعل احدكم ما ينتظر الا غنى مطغيا اي جاعلك
طاغيا اي عاصيا مجاوزا للحد او فقرا منسيا من باب الافعال ويجوز ان يكون من التفعيل
ولكن الاول اولى لمشاكلة الاولى اي جاعلا صاحبه مدهوشا فينسيه الطاعة من الجوع
والعري والتردد في طلب القوت او مرضا مفسدا اي للبدن لشدته او للدين لاجل الكسل

الحاصل به او هرماً مفنداً بالتخفيف اي منسوباً صاحبه الى الفند وهو ضعف الراي يقال افند اذا جعل رايه ضعيفاً وقال الشارح يقال فند الرجل اذا كثر كلامه من الخرف وافنده الكبر يعني الذي لا يدري بالقول من غاية كبره انتهى والاظهر ان التفنيد النسبة الى الخرف ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال البيضاوي ان تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم وفي القاموس الفند بالتحريك الخرف وانكار العقل لهرم او مرض والخطا في القول والراي والكذب كالافناد وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطا رايه كافنده ولا تقل عجوز مفندة لانها لم تكن ذات راي ابداً انتهى وكذا قال البيضاوي معللا لا يكون نقصان عقلها ذاتياً اقول ولا شك ان نقصان عقلها اضافي ومع هذا لا ينافي صحة اطلاقه عليها النقصان عرضي هذا وفي النهاية الفند في الاصل الكذب وافند تكلم بالفند وفي الفائق قالوا للشيخ اذا هرم قد افند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم المفند من اخوات قولهم نهاره صائم جعل الفند للهرم ويقال ايضا افنده الهرم وفي كتاب العين شيخ مفند يعني منسوب الى الفند ولا يقال امراة مفندة لانها لا تكون في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرتها قال التوربشتي قوله مفندا الرواية فيهما بالتخفيف ومن شدده فليس بمصيب او موتا مجهزا بالتخفيف اي قاتلا بغتة من غير ان يقدر على توبته ووصيته ففي النهاية المجهز هو السريع يقال اجهز على الجريح اذا اسرع قتله قال القاضي الموت المجهز المسرع يريد به الفجاة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض او كبر سن كقتل وغرق وهدم او الدجال فالدجال وفي نسخة والدجال شر غائب ينتظر اي اسوء او الساعة اي القيامة والساعة ادهى اي اشد الدواهي وافظعها وامر اي اكثر مرارة من جميع ما يكابده الانسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن امرها ولم يعد لها قبل حلولها قال الطيبي الفا في قوله فالدجال تفسيرية لانه فسر ما ابهم مما سبق والواو في والساعة نائبة مناب الفاء الملابسة للعطف قلت الظاهر ان الواو للحال والله اعلم وحاصل معنى الحديث انه استبطاء لمن تفرغ لامر وهو لا يغتنم الفرصة فيه فالمعنى ان الرجل في الدنيا ينتظر احدى الحالات المذكورة فالسعيد من اغتنم الفرصة واغتنم المكنة واشتغل باداء مفترضة ومسنونة قبل حلول رمسه وهذه موعظة بليغة وتذكرة بالغة رواه الترمذي والنسائي

وعنه اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا للتنبيه ان الدنيا ملعونة اي مبعودة من الله لكونها مبعدة عن الله ملعون ما فيها اي مما يشغل عن الله الا ذكر الله بالرفع وفي نسخة بالنصب وهو استثناء منقطع وما والاه اي احبه الله من اعمال البر وافعال القرب او معناه ما والى ذكر الله اي قاربه من ذكر خير او تابعه من اتباع امره ونهيه لان ذكره اوجب ذلك قال المظهر اي ما يحبه الله في الدنيا والموالاة المحبة

بين اثنين وقد يكون من واحد وهو المراد هاهنا يعني ملعون ما في الدنيا الا ذكر الله وما احبه الله مما يجري في الدنيا وما سواه ملعون وقال الاشرف هو من الموالاة وهي المتابعة ويجوز ان يراد بما يوالي ذكر الله تعالى طاعته واتباع امره واجتناب نهيه وعالما او متعلما او بمعنى الواو للتنويع فيكون الواو بمعنى او وقال الاشرف قوله وعالما ومتعالم في اكثر النسخ مرفوع والقوانين العربية تقتضي ان يكون عطفا على ذكر الله فانه منصوب مستثنى من الموجب قال الطيبي هو في جامع الترمذي هكذا وما والاه وعالم او متعلم بالرفع وكذا في جامع الاصول الا ان بدل او فيه الواو وفي سنن ابن ماجه او عالما او متعلما بالنصب مكررا والنصب في القرائن الثلاث هو الظاهر والرفع فيها على التاويل كانه قيل الدنيا مذمومة لا يحمد مما فيها الا ذكر الله وعالم ومتعلم قال في مختصر الاحياء الدنيا ادنى المنزلتين ولذلك سميت دنيا وهي معبر الى الاخرة والمهد هو المنزل الاول واللحد هو المنزل الثاني وبينهما مسافة هي القنطرة وهي عبارة عن اعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل ويعني بالاعيان الارض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن ويعني بالحظ حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء والحقد وغيرهما ونعني بقولنا له في اصلاحها شغل انه يصلحها لحظه او لغيره دنيوي او اخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات واذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه لذة في العاجل وهي مذمومة فليست وسائل العبادة اذ من الدنيا الخبز مثلا للتقوي عليها واليه الاشارة بكون الدنيا مزرعة الاخرة وبقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله وقال ابن عباس ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء للمومن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع قال الطيبي وكان من حق الظاهر ان يكتفي بقوله وما والاه لاحتوائه على جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع ثم بينه في المرتبة الثانية بقوله والعلم تخصيصا بعد التعميم دلالة على فضله فعدل الى قوله عالم ومتعلم تفخيما لشانهما صريحا بخلاف ذلك التركيب فان دلالته عليه بالالتزام وليوذن ان جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج وليبنه على ان المعني بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذي لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين وفي الحديث ان ذكر الله راس كل عبادة بل هو كالحياة للابدان والروح للانسان وهل للانسان عن الحياة غنى وهل له عن الروح معدل وان شئت قلت به بقاء الدنيا وقيام السموات والارض روينا عن مسلم قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة على احد يقول الله الله فالحديث اذا من بدائع الحكم وجوامع الكلم التي خص بها هذا النبي المكرم صلى الله عليه وسلم لانه دل بالمنطوق على جميع الخلال الحميدة وبالمفهوم على رذائلها رواه الترمذي اي وقال حسن وابن ماجه وكذا البيهقي وفي الجامع نسبه اليهما بدون لفظ الا وبالنصب ولفظه وفي قوله عالما ومتعلما وهذا في باب الهمزة واما

بالنصب صح

كالكل صح

منها صح

العلماء صح

في باب الدال فقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان منها لله عز وجل رواه ابو نعيم في الحلية والضياء عن جابر وايضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما رواه ابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد وايضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله رواه البزار عن ابن مسعود وايضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل رواه الطبراني عن ابي الدرداء وعن سهل بن سعد اي الساعدي الانصاري صحابيان جليلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل بفتح التاء وكسر الدال اي تزن وتساوي عند الله جناح بعوضة اي ريشة ناموسة وهو مثل للقلة والحقارة والمعنى انه لو كان لها ادنى قدر ما سقى كافرا منها اي من مياه الدنيا شربة ماء اي يمنع الكافر منها ادنى تمتع فان الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيئا مما له قدر عند المعطي فمن حقارتها عنده لا يعطيها لاوليائه كما اشار اليه حديث ان الله يحمي عبده المؤمن عن الدنيا ~~يحمي عبده المؤمن عن الدنيا~~ كما يحمي احدكم المريض عن الماء وحديث ما ذويت الدنيا عن احد الا كانت خيرة له ومن كلام الصوفية ان من العصمة ان لا تقدر ومن دعائه صلى الله عليه وسلم الجامع المانع التام في مقام الرضا القانع بما جرى عليه من القضاء اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما تحب ومن دناءتها الدنية يكثرها على الكفار والفجار قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية وقال صلى الله عليه وسلم لعمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال تعالى وما عند الله خير للابرار ورزق ربك خير وابقى رواه احمد والترمذي وابن ماجة وكذا الضيا وقال الترمذي حديث صحيح وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة وهي البستان والقرية والمزرعة وفي النهاية الضيعة في الاصل المرة من الضياع وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك فترغبوا في الدنيا اي فتميلوا اليها عن الاخرى والمراد النهي عن الاشتغال بها وبامثالها مما يكون مانعا عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي الى امور العقبى وقال الطيبي المعنى لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله تعالى قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان وكذا احمد والحاكم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اي حبا يغلب على حب مولاه اضر باخرته اي المتقدمة وكذا في القرينة الاتية اي نقص درجته في الاخرة لانه يشغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له فراغ للامر الاخروي ولطاعة المولى ومن احب اخرته اضر بدنياه اي لعدم توجه فكره وخاطره لامرها لاشتغاله بامر الاخرة ومهماتها فاثروا تفريع على ما قبله

او جواب شرط مقدر فكانه قال اذا عرفتم انهما ضدان لا يجتمعان ولذا قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في ~~الاخرة~~ العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الاخرى وقال تعالى في حق الساعة خافضة رافعة فاثروا بالمد اي فاختاروا ما يبقى على ما يفنى فان العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس ولذا قال الغزالي اقل العلم بل اقل الايمان بل اقل العقل ان يعرف صاحبه ان الدنيا فانية وان الاخرة باقية ونتيجة هذا العلم ان يعرض عن الفاني ويقبل على الباقي وعلامة الاقبال على العقبى والاعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد وظهور المعاد قال الطيبي ~~قال الطيبي~~ اي هما ككفتي ميزان فاذا رجحت احدى الكفتين خفت الاخرى وبالعكس وذلك ان محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك فيها وذلك للاشتغال عن الاخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب حفظ الاموال وكسبها في البلاد رواه احمد ورواته ثقات والبيهقي في شعب الايمان وكذا الحاكم في مستدركه وروى الخطيب في الجامع عن انس مرفوعا خيركم من لم يترك اخرته لدنياه ولا دنياه لاخرته ولم يكن كلا على الناس وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم كذا بالعطف في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله اعلم ونظيره من حديث تعس عبد الدينار قد تقدم رواه الترمذي وعن كعب بن مالك الانصاري خزرجي شهد العقبة الثانية عن ابيه هكذا في النسخ الحاضرة جميعها وهو سهو قلم وخطاء ولذا قال ميرك صوابه عن ابن كعب بن مالك عن ابيه او عن كعب بن مالك بدون عن ابيه وقال السيد جمال الدين هكذا وقع في اكثر نسخ المشكوة التي رايناها وكذلك وجدناه في غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو والظاهر انه كان واقعا من كتاب المصابيح ووقع من صاحب المشكوة تقليدا وصوابه عن ابن كعب بن مالك عن ابيه كما في اصل الترمذي والابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح في جامع الاصول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان اي ذئبان جائعان ارسلا في غنم الذي فيه ساكنة وبيدل جائعان اي نسبه للمبالغة ارسلا اي خليا وتركا في غنم اي في قطيعة غنم بافسد لها زائدة اي اكثر فسادا لها اي لتلك الغنم والتانيث باعتبار الجنس والقطيعة من حرص المرء المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيء ظاهرا وباطنا وهما وقوله على المال اي الكثير والشرف اي الجاه الوسيع وقوله لدينه متعلق بافسد والمعنى ان حرص المرء عليهما اكثر فسادا لدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم قال الطيبي ما بمعنى ليس وذئبان اسمها وجائعان صفة له وارسلا في غنم الجملة في محل الرفع على انها صفة وقوله بافسد خبرها والباء زائدة وهو افعل تفضيل اي باشد افسادا والضمير في لها للغنم واعتبر فيها الجنسية فلذا انث وقوله

ذئبان بهمزة ح

من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل وقوله على المال يتعلق بالحرص والشرف على المال
والمراد الجاه وقوله لدينه اللام فيه بيان كما في قوله تعالى لمن اراد ان يتم الرضاعة كانه
قيل بافسد باي شيء قيل لدينه ومعناه ليس ذيبان جائعان ارسلا في جماعة من جنس
الغنم باشد افسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه فان افساده لدين المرء
اشد من افساد الذيبين الجائعين لجماعة الغنم اذا ارسلا فيها اما المال فافساده انه
نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر الى التنعم في المباحات فيصير التنعم
بالوفا وربما يشتد انسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع انها ملهية
عن ذكر الله تعالى وهذه لا ينفك عنها احد واما الجاه فكفى به افسادا ان المال يبذل للجاه
ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي فيخوض في المراآت والمداهنة والنفاق وساير
الاخلاق الذميمة فهو افسد وافسد نعم وقد قال السادة الصوفية ان اخر
ما يخرج من راس الصديقين محبة الجاه فان الجاه ولو كان في الامور العلمية والعملية
والمشيخة والحالات الكشفية ممن حيث النظر الى المخلوق والغفلة عن الغيرة
الربوبية او الرؤية الاثنينية بعد ظهور انواع الاحدية يحجب السالك عن الخلوة
في الجلوة بوصف البقا بالله والفنا عما سواه هذا وقد روى صاحب الكشاف في ربيع الابرار
عن ابن مسعود رضي الله عنه يكون الرجل مرائيا في حياته وبعد موته قيل كيف
ذاك قال يحب ان يكثر الناس في جنازته رواه الترمذي والدارمي لعل لفظ الحديث
للترمذي ولا يخفى الترتيب ان يقدم الدارمي فانه روى عنه مسلم وابو داود
والترمذي وغيرهم هذا وفي الجامع رواه احمد والترمذي عن كعب بن مالك من غير ذكر لبيه
وعن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى وهو ابن الارت بفتحتين
وتشديد الفوقية يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سباء في الجاهلية فاشترته
امراة من خزاعة واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو
ممن عذب في الله على اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله
ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انفق
مؤمن من نفقة الا اجر بصيغة المجهول اي اثيب فيها اي في تلك النفقة او انفاقها
الا نفقته بالنصب على الاستثناء من الموجب لان النفي عاد الى الايجاب بالاستثناء الاول
فنامل في هذا التراب اي البناء فوق الحاجة وهذا للتحقير وقيل التراب كناية
عن البدن وما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية
قال الطيبي نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب اذ المستثنى منه مستثنى
من كلام منفي فيكون موجبا رواه الترمذي وابن ماجة وعن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم النفقة كلها في سبيل الله اي ثابت في طريق رضاه الا البناء
الزائد على مقدار الحاجة فلا خير فيه لوقوع الاسراف وان الله لا يحب المسرفين واما النفقة

فلا يتصور فيه السرف لانه من باب الاطعام والانعام وكل منها خير سواء وقع لمستحق او غيره
من الانام والفاء في قوله فلا خير فيه تفريعية وهي ثابتة في جميع الحاضرة وكانه وقع
في اصل الطيبي بالواو حيث قال في شرحه قوله ولا خير فيه حال موكدة من الجملة
رواه الترمذي وقال حديث غريب وعنه اي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج يوما اي وقتا ونحن معه جملة حالية فرأى قبة مشرفة اي بناء عاليا فقال
ما هذه استفهام انكار اي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها قال اصحابه هذه لفلان
رجل بالجر وفي نسخة بالرفع من الانصار فسكت وحملها اي اضمر تلك الفعلة في نفسه
غضبا على فاعلها في فعلها ففي اساس البلاغة حملت الحقد عليه اذا اضمرته قال الشاعر
ولا احمل الحقد القديم عليهم ٭ وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا حتى لما جاء صاحبها فسلم
اي صاحبها عليه اي على النبي عليه السلام في الناس اي في محضر منهم او فيما بينهم فاعرض
عنه فلم يرد عليه السلام وارد واعرض عن الالتفات اليه كما هو دأبه من الملاطفة
لديه صلى الله عليه وسلم تاديبا له وتنبيها لغيره صنع ذلك مرارا لا يبعد ان يكون جواب
لما ويحتمل ان يكون مدخول حتى ولما الحينية ظرف معترضة بين العامل والمعمول مسامحة
وكان الطيبي جعل قوله صنع استيناف بيان حيث قال قوله فاعرض عنه يكون ان يكون
جواب لما مع الفا وهو قليل ويجوز ان يقدر جواب لما اي كرهه فاعرض عنه وقوله حتى
عرف الرجل الغضب فيه اي عرف ان الغضب كان لاجله والاعراض عنه اي بسببه فشكا
ذلك اي ما رآه من اثر الغضب والاعراض الى اصحابه اي اصحابه الخلص او الى اصحاب نبيه
صلى الله عليه وسلم وقال لنفسير لما قبله والله لا نكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي ارى منه ما لم اعهده من الغضب والكراهة ولا اعرف له سببا وفي نسخة الى رسول
الله ولا يظهر لها وجه قالوا خرج فراى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها
بالارض اختيارا لرضى رسول الله وما تموله فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فلم يرها اي القبة قال استيناف بيان ما فعلت القبة بصيغة الفاعل وفي نسخة
على بناء المجهول قالوا شكى الينا صاحبها اعراضك اي سببه فاخبرناه اي بانه لاجل
بناء تلك القبة فهدمها فقال اما بتخفيف الميم للتنبيه ان كل بناء بكسر الموحدة وهو
اما مصدر او اريد به المبني وبال على صاحبه الا ما لا الا ما لا اكرره للتاكيد يعني الا ما لابد
منه اي فراق قيل معنى الحديث ان كل بناء بناه صاحبه فهو وبال اي عذاب في الاخرة
والوبال في الاصل الثقل والمكروه اراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة لا ابنية
الخير من المساجد والمدارس والرباطات فانها من الاخرة وكذا ما لابد منه للرجل من
القوت والملبس والمسكن رواه ابو داود وروى البيهقي عن انس مرفوعا كل بناء وبال على
صاحبه يوم القيامة الا مسجدا وروى الطبراني عن واثلة مرفوعا كل بنيان وبال
على صاحبه الا ما كان هكذا واشار بكفه وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما عمل به

وعن ابي هاشم بن عتبة بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها هاقال المؤلف هو
شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي وهو خال معاوية بن ابي سفيان اسلم يوم الفتح
وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلا صالحا روى عنه ابو هريرة وغيره
قال عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اوصاني قال بدل من عهد او تفسير وبيان
للعهد واختار الطيبي الاول حيث قال بدل منه بدل الفعل من الفعل كما في قوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ابدل تلمم بنا من قوله تاتنا
انما يكفيك من جمع المال اي للوسيلة لحسن المال خادم اي في السفر لضرورة الحاجة
اليه ومركب اي مركب تسار عليه في سبيل الله اي في الجهاد او الحج او طلب العلم والمقصود
منه القناعة والاكتفاء بقدر الكفاية مما يصلح ان يكون زادا للاخرة كما رواه الطبراني
والبيهقي عن خباب انما يكفي احدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب رواه احمد
والترمذي والنسائي وابن ماجة وفي الجامع من قوله انما يكفيك الى اخره ونسبه
الى الثلاثة الاخيرة عن ابي هاشم بن عتبة وللحديث تتمة قصة تاتي في الفصل
الثالث وفي بعض نسخ المصابيح عن ابي هاشم بن عتبة بضم فسكون فوقية ففتح
موحدة بالدال اي المهملة المنونة بدل التاء اي الفوقية الواقعة في اخر لفظ عتبة
وهو تصحيف اذ لم يوجد في الاسامي مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الاصول
وهنا تحريف في بعض النسخ وبعض الحواشي ايضا فخذ فان الصواب مما تحرر وعن
عثمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ادم حق اي حاجة في سوى
هذه الخصال قال الطيبي موصوف سوى محذوف اي شيء سوى هذه الاشياء وفي نسخة
موافقة لما في الجامع فيما سوى هذه الخصال والمراد بها ضروريات بدنه المعينة
على دينه بيت بالجر وروي بالرفع وكذا فيما بعده من الخصال المبنية يسكنه اي دفعا
للحر والبرد وثوب يواري اي يستر به عورته عن اعين الناس او حال الصلوات لكونه
شرطا فيها وجلف الخبز بكسر جيم وسكون لام وبفتح ففي القاموس الجلف بالكسر الغليظ
اليابس من الخبز غير المادوم او حرف الخبز او الظرف الوعاء وقال شارح الجلف ظرفهما من
جراب وركوة واراد المظروف والاظهر انه اراد الظرف والمظروف واكتفى بذكر احدهما عن
الاخر لتلازمهما في الحاجة والماء بالجر عطفا على الجلف او الخبز وهو الظاهر المفهوم
من كلام الشرح وفي بعض النسخ بالرفع بناء على انه احدى الخصال قال شارح اراد بالحق
ما وجب له من الله من غير تبعة في الاخرة وسؤال عنه واذا اكتفى بذلك من الحلال لم
يسال عنه لانه من الحقوق التي لا بد للنفس منها واما ما سواه من الحظوظ يسال عنه
ويطالب بشكره وقال القاضي اراد بالحق ما يستحقه الانسان لافتقاره اليه وتوقف
تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال وقيل اراد به ما لم يكن له تبعة حساب
اذا كان مكتسبا من وجه حلال وفي النهاية الجلف الخبز وحده لا ادم معه وقيل هو

الخبز الغليظ اليابس قال ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز وفي الغريبين
قال شمر عن ابن الاعرابي الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق فالاكتفاء بذكر الظرف
واراد به المظروف اي كسرة خبز وشربة ماء انتهى والمقصود غاية القناعة ونهاية
الكفاية كما نقل عن ابن ادهم ٭ وما هي الاجوعة قد سددتها ٭ وكل طعام بين جنبي واحد
وللشافعي رضي الله عنه ٭ ايا نفس يكفيك طول الحياة ٭ اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بقودنيج يابس ٭ وماء روي ولبس خلق ٭ وحفش تكفك جدرانه ٭ كما دام العنا
وما دام القلق رواه الترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وعن سهل بن سعد قال جاء
رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل اي جامع نافع بابه المحبة اذا انا اتيته عملته
احبني الله واحبني الناس بفتح يا المتكلم ويسكن فقال ازهد في الدنيا اي بترك حبها
والاعراض عن زوائدها والاقبال على الاخرة وعوائدها يحبك الله اي لعدم محبتك
عدوه الله تعالى وهو بفتح الموحدة المشددة للجزم على جواب الامر وقيل مرفوع على
الاستيناف وازهد فيما عند الناس اي من المال والجاه يحبك الناس لترك محبوبهم
وعدم المزاحمة على مطلوبهم وانشد بعضهم شعر
٭ وما الزهد الا في انقطاع الخلائق ٭ وما الحق الا في وجود الحقائق ٭
٭ وما الحب الا حب من كان قلبه ٭ عن الخلق مشغولا برب الخلائق ٭
قيل الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا
من النار او طمعا في الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك
الا بعد شرح الصدر بنور اليقين ولا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل
لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها
واما انا ففي ما زهدت قلت هذا بيان كمال الزهد والا فاصل الزهد هو عدم الميل
الى الشيء وهو في الحقيقة لا يحصل الا بجذبة الهية تصرف السالك عن الامور
الفانية وتشغله بالاحوال الباقية وغايته ان النفس مدعية للزهد ولا يظهر
صدقها من كذبها الا عند القدرة على الدنيا وجودها واما عند فقدها فالامر
داير بين احد الاحتمالين والله اعلم وثمرة القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد
الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد
واثاث يحتاج اليه كما سبق في الحديث المتقدم وفي المنازل ما حاصله ان الزهد
اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة
بالحذر من معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ
الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت
فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عن اكتساب
الاجر بتركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد تصرف الله في العطا

والمنع والاخذ والترك قال الطيبي وفيه دليل على ان الزهد اعلى المقامات وافضلها
لانه جعله سببا لمحبة الله تعالى وان محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه وتعالى
رواه الترمذي وابن ماجة قال ميرك اظن ان ذكر الترمذي وقع سهوا من نساخ الكتاب
او من صاحبه فان الحافظ المنذري والامام النووي والشيخ الجزري قالوا كلهم رواه
ابن ماجة فقط قلت ثم قال ذكر النووي في اربعينه انه حديث حسن رواه ابن ماجة
وغيره انتهى لكن الترمذي غير مذكور في الاصول ويؤيده انه ذكر في الجامع من قوله
ازهد في الدنيا الخ وقال رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن
سعد نعم في حديث رواه الترمذي وابن ماجة مرفوعا الزهادة في الدنيا
ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا يكون بما في يديك
اوثق منك بما في يد الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك
فيها لو انها ابقيت لك وفي حديث رواه احمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلا
الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن ورواه
القضاعي عن ابن عمر مرفوعا ولفظ تكثر بدل تطيل ورواه الطبراني في الاوسط وابن
عدي والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا والبيهقي عن عمر موقوفا بلفظ تشعب القلب
والبدن وروى البيهقي عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك
افضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه
في الموتى وعن ابن عمر مرفوعا صلاح اول هذه الامة بالزهادة واليقين وهلاك
آخرها بالبخل والامل رواه الطبراني وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نام على حصير فقام اي عن النوم وقد اثر الحصير في جسده اي غاية التأثير فقال ابن
مسعود لو امرتنا ان نبسط بضم السين يحتمل ان يكون لو للتمني وان يكون للشرطية
والتقدير لو اذنت لنا ان نبسط لك فراشا لينا ونعمل اي لك ثوبا حسنا لكان احسن من
اضطجاعك على هذا الحصير الخشن فقال ما لي وللدنيا وما انا والدنيا ما نافية
اي ليس لي الفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا الفة ومحبة معي حتى ارغب اليها
وانبسط عليها واجمع ما فيها ولذتها او استفهامية اي اي الفة ومحبة لي مع الدنيا
او اي شيء لي مع الميل الى الدنيا او ميلها الي فاني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة
لها هذا وقال الطيبي قوله ونعمل متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق
وهو وجود التنعم والتلذذ بالاعراض الدنيوية اعم من ان يكون بساطا ومن ثم
طابقه قوله ما لي وللدنيا وقوله وما انا والدنيا اي ليس حالي مع الدنيا الا كراكب اي كحال
راكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وهو من التشبيه التمثيلي وهو التشبيه المركب
وفيه المكث ومن ثم خصها الراكب واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد ان كان الواو بمعنى
مع وان كان للعطف فالتقدير ما لي مع الدنيا وما للدنيا معي رواه احمد والترمذي

وابن ماجة وكذا الحاكم والضياء وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اغبط اوليائي افعل تفضيل مبني للمفعول لان المغبوط به حاله اي احسنهم حالا
وافضلهم مآلا عندي اي في ديني ومذهبي لمؤمن اللام زائدة في خبر المبتدأ الذي كذا
او هي للابتداء والمبتدأ محذوف اي لهو مؤمن خفيف الحاذ بتخفيف الذال المعجمة اي خفيف
الحال الذي يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في طريق الخالق
بين الخلائق ولا يمنعه شيء من العلائق والعوائق ومجمل المعنى اخف احبائي والتصاري
بان يغبط ويتمنى حاله مؤمن بهذه الصفة ذو حظ من الصلاة اي ومع هذا هو
صاحب لذة وراحة من المناجاة مع الله والمراقبة والاستغراق في المشاهدة ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم قرة عيني في الصلاة وارحنا بها يا بلال اي بوجودها وحصولها
وما اقرب الراحة من قرة العين وما بعدها تما قيل معناه اذن بالصلاة نستريح بادائها
من شغل القلب بها وقوله احسن عبادة ربه تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي والاول
اشارة الى الكمية والثاني عبارة عن الكيفية واطاعه في السر اي كما اطاعه في العلانية
فهو من باب الاكتفاء والتخصيص لما فيه من الاعتناء وجعله الطيبي عطف تفسير على احسن
وتفسيرنا احسن ويمكن ان يكون المعنى واطاعه في عبادته بالاخفاء ولا يظهر طاعته في
الملأ الاعلى على عادة الملامتية من الصوفية ويناسبه قوله وكان غامضا اي خاملا
خافيا غير مشهور في الناس اي فيما بينهم وفيه اشارة الى انه لا يخرج عنهم وفيه ايماء
الى ان المراد بالناس عمومهم فلا يضره معرفة خصوصهم من الاولياء والصلحاء من يصاحبهم
كما يدل عليه قوله لا يشار اليه بالاصابع اي علما وعملا وهو بيان وتقرير لمعنى الغموض
وكان رزقه كفافا اي قدر كفايته بحيث يكفه ويمنعه من الاحتياج الى الكافة
فصبر على ذلك اي على الرزق الكفاف او على الخمول والغموض او على ما ذكر لانه على ان
ملاك الامر الصبر وبه يتقوى على الطاعة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقال
اولئك يجزون الغرفة بما صبروا وقال وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ثم نقد
بالنون والقاف والدال المهملة المفتوحات بيده اي نقد النبي صلى الله عليه وسلم بيده
بان ضرب احدى الانملة على الاخرى حتى سمع منه صوت وهو في النهاية من نقدت الشيء
باصبعي انقده واحدا بعد واحد نقد الدراهم ونقد الطائر الحب اذا لقطه واحدا
بعد واحد وهو مثل النقر ويروى بالراء انتهى وهو كذا في نسخة اي صوت باصبعه
وفي رواية ومنى الظاهر من جهة المعنى جدا ثم نفض بيده فقال عجلت بصيغة
المجهول من باب التفعيل منيته اي موته قلت بواكيه جمع باكية وهي المرأة التي تبكي على الميت
قل تراثه اي ميراثه وماله المؤخر عنه مما يورث عنه حمل على سبيل التعداد قال التوربشتي
اريد بالنقد ههنا ضرب الانملة على الانملة او ضربها على الارض كالمتقلل للشيء
اي لم يلبث قليلا حتى قبضه الله تعالى بتقلل مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه

او من رايهم

وقيل الضرب على هذه الهيئة يفعل المتعجب من الشيء ما يعجبه حسنه وربما يفعل ذلك
من يظهر قلة المبالاة بشيء او يفعل طربا وفرحا بالشيء انتهى والمعنى من كان هذه صفته
فهو يتعجب من حسن حاله وجمال ماله وقيل قوله عجلت منيته انه يسلم روحه سريعا لقلة
تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه الى المولى لحديث الموت تحفة المؤمن قال الاشرف ويمكن انه
اراد به انه قليل مؤن الممات كما كان قليل مؤن الحياة رواه احمد والترمذي وابن ماجه وفي الجامع
رواه احمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي امامة ولفظه اغبط الناس عندي مومن
خفيف الحاذ وحظ من صلاة وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله واحسن عبادة
ربه وكان غامضا في الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وروى ابو يعلى
في مسنده عن حذيفة خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد قال
شيخ مشايخنا السخاوي في المقاصد الحسنة في الاحاديث المشهورة على الالسنة
علته رواد ولذا قال الخليل ضعفه الحفاظ وخطاؤه انتهى فان صح فهو محمول
على جواز الترهب ايام الفتن وفي معناه احاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث
ابن ابي اسامة من حديث ابن مسعود مرفوعا سياتي على الناس زمان تحل فيه العزبة ولا
يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالطاير بفراخه
وكالثعلب باشباله واقام الصلاة واتى الزكاة واعتزل الناس الا من خير الحديث
ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن [illegible] حذيفة بن اليمان عن [illegible] ابيه
حذيفة مرفوعا خير نسائكم بعد ستين ومائة العواقر وخيرا ولادكم بعد الربع ومائتين
البنات وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة مرفوعا ان اغبط
اوليائي الى ان قال فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته الحديث وقال عقبه
على ضعيف وقد اخرجه احمد والبيهقي في الزهد والحاكم في الاطعمة من مستدركه
وقال هذا اسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه انتهى ولم ينفرد به علي بن يزيد فقد
اخرجه ابن ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن
ابراهيم بن قرة عن ايوب بن سليمان عن ابي امامة ولفظه اغبط الناس عندي مومن خفيف
الحاذ وذكر نحوه ومن شواهده ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه اذا
احب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد وللديلمي من حديث
عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي عن داود بن عفال عن انس رفعه ياتي على الناس زمان
لان يربي احدكم جروا كلب خير له من ان يربي ولدا من صلبه وعنه اي عن ابي امامة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي اي ربي عرضا حسيا او معنويا وهو
الاظهر والمعنى شاورني وخيرني بين التوسع في الدنيا واختيار البلغة لزاد العقبى
من غير حساب ولا عقاب ليجعل لي اي لكالي او مخصوصا لاجلي علي تقدير اقبالي عليها والتفاتي
اليها وتصبيري لاجلي بطحاء مكة اي ارضها ورمالها ذهبا اي بدل حجرها ومدرها واصل البطحاء

سبيل الما

مسيل الماء واراد هنا عرصة مكة وصحاريها فاضافتها بيانية قال الطيبي قوله بطحاء
مكة تنازع فيه عرض وليجعل اي عرض على بطحاء مكة ليجعلها لي ذهبا فقلت لا اي
لا اريدها ولا اختارها يا رب ولكن اشبع يوما اي اختار او اريد ان اشبع وقتا فاشكر واجوع
يوما اي فاصبر كما فصله وبينه بقوله فاذا جعت تضرعت اليك اي لعرضا لافتقار عليك
وذكرتك اي بسببه فان الفقر يورث الذكر كما ان الغنى يورث الكفر فصبرت على بلائك
لقوله واذا شبعت حمدتك اي بما الهمتني من ثنائك وشكرتك على اشباعك وسائر نعمائك
قال الطيبي جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المومن الكامل قال تعالى
ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الكشاف صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا
المومن المخلص فجعلها كناية اقول وتحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية
ان الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله المالك
بين صفتي الجلال والجمال اذ بهما يتم مرتبة الكمال وهو الرضى عن المولى بكل حال لا كحال
حال المنحرفين وافعال المتحيرين المذبذبين حيث قال تعالى فان اعطوا منها رضوا وان
لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه
خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو
الخسران المبين رواه احمد والترمذي وعن عبد الله بن محصن بكسر الميم وفتح
الصاد قال المولف في فصل الصحابة انصاري خطمي يعد في اهل المدينة وحديثه فيهم
روى عنه ابنه سلمة قال ابن عبد البر ومن الناس من يرسل حديثه انتهى وهو يحتمل
كونه صحابيا لكن ليس له سماع منه صلى الله عليه وسلم فحديثه من مراسيل الصحابة
وهو حجة اتفاقا ويحتمل كونه تابعيا فمرسله معتبر عند الجمهور خلافا للشافعية
والله اعلم والاول اظهر لاطلاقهم حديثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح
منكم اي ايها المومنون امنا اي غير خائف من عدو ومن اسباب عذاب الله تعالى بالتوبة
عن المعاصي والعصمة عن المناهي ولذا قيل ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد
لمن امن الوعيد في سربه المشهور كسر السين اي في نفسه وقيل السرب الجماعة
فالمعنى في اهله وعياله وقيل بفتح السين اي في مسلكه وطريقه وقيل بفتحتين اي
في بيته كذا ذكره شارح وقال التوربشتي ابى بعضهم ان السرب بفتح السين والراء اي في
بيته ولم يذكر فيه رواية ولو سلم له قوله ان يطلق السرب على كل بيت كان قوله هذا
جديرا بان يكون اقوى الاقاويل الا ان السرب يقال للبيت الذي هو في الارض وفي القاموس
السرب الطريق وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس وبالتحريك حجر الوحشي والحفير تحت الارض
انتهى فيمكن المراد من الحديث المبالغة في حصول الامن ولو في بيت تحت الارض ضيق كجحر
الوحشي او للتشبيه به في خفائه وعدم ضيائه معافى اسم مفعول من باب المفاعلة
اي صحيحا سالما من العيوب في جسده اي بدنه ظاهرا وباطنا عنده قوت يومه اي كفايته

وقته من وجه الحلال فكأنما حيزت بصيغة المجهول من الحيازة وهي الجمع والضم له الضمير
عائد لمن رابط للجملة اي جمعت له الدنيا اي بحذافيرها كما في نسخة مصححة اي بتمامها
والحذافير الجوانب وقيل الاعالي واحدها حذفار او حذفور والمعنى فكأنما اعطي الدنيا
باسرها رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الجامع رواه البخاري في الادب
المفرد والترمذي وابن ماجه من غير ذكر حذافيرها وعن المقدام بن معدي كرب
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء اي ظرفا شرا من بطن
صفة وعاء بحسب ابن آدم مبتدأ والباء زائدة وقوله اكلات بضمتين خبره نحو قوله
بحسبك درهم والاكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للاشارة الى
التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير يقمن صلبه اي ظهره للاقامة الطاعة
وقيام المعيشة واسناد الاقامة الى الاكلات مجازية سببية فان كان لا محالة بفتح
الميم وبضم اي لا بد من الزيادة فثلث بضمها وبسكون اللام طعام مبتدأ وخبر اي
ثلث منه للطعام وكذا قوله وثلث شراب واللام مقدرة فيهما بقرينة قوله وثلث
لنفسه بحركتين والمعنى فانه كان لا يكفي بادنى قوت البتة ولا بد ان يملأ بطنه فليجعل
ثلث بطنه للطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثه خاليا لخروج النفس ولا ينبغي
ان يكون كطائفة القلندرية حيث يقولون نملأ البطن من الطعام والماء يحصل مكانه
ولو في المسام وللنفس ان اشتهى مخرج والا فلا يعدم المرام فاولئك كالانعام
بل هم اضل قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وسبق
ان المؤمن يأكل في معى واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء وقال الطيبي اي الحق الواجب
ان لا يجاوز عما يقوم به صلبه ليتقوى به على طاعة الله تعالى فان اراد البتة التجاوز
فلا يتجاوز عن القسم المذكور جعل البطن اولا وعاء كالاوعية التي تتخذ ظروفا لحوائج
البيت توهينا لشأنه ثم جعله شر الاوعية لانها استعملت فيما هي له والبطن خلق لان
يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي الى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرا
منها قال الشيخ ابو حامد في الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب وانفاذ القريحة ونفاذ
البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه الشبكة
حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان وثانيتها رقة القلب
وصفاؤه الذي هيأه لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر وثالثها الانكسار والذل
وزوال البطر والاشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان ولا ينكسر النفس بشيء ولا
تذل كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتقف على عجزها ورابعها ان لا ينسى بلاء الله
وعذابه واهل البلاء فان الشبعان ينسى الجائعين والجوع وخامستها وهي من كبار الفوائد
كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء وتقليلها يضعف
كل شهوة وقوة والسعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة في ان تملكه نفسه

وسادسها

وسادستها دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وفي
كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر انفس
الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر وسابعتها
تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من العبادة لانه يحتاج الى زمان
يشتغل بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام وطبخه ثم يحتاج الى غسل اليد
والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء ولو صرف هذه الاوقات في الذكر والمناجاة وسائر
العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك
الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت
الخبز منذ اربعين سنة وثامنتها من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان
سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع عن العبادات
ويشوش القلب ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج
الى مؤن وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك وتاسعتها خفة المؤنة فان من تعود قلة
الاكل كفاه من المال قدر يسير وعاشرتها ان يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل
من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة في ظل صدقته فما يأكله فخزانته الكنيف
وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى رواه الترمذي وابن ماجه وفي الجامع رواه
احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم بلفظ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وعن
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ بتشديد الشين المعجمة بعدها
همزة اي يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع وقيل
عند امتلاء المعدة قيل الرجل وهب بن عبد الله وهو معدود في صغار الصحابة
وكان في زمانه عليه السلام لم يبلغ الحلم روي انه لم يملأ بطنه بعد ذلك قال
التوربشتي الرجل هو وهب ابو جحيفة السوائي روي عنه انه قال اكلت ثريدة بر بلحم
واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتجشأ فقال اقصر بفتح الهمزة وكسر الصاد
اي امتنع من جشائك بضم الجيم ممدودا وكان في اصل الطيبي اقصر عنا فقال معناه
الكف عنا والنهي عن الجشاء هو النهي عن الشبع لانه السبب الجالب له انتهى وقيل التجشي
التكلف فان اطول الناس اي اكثرهم في الزمان جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا [illegible]
في الدنيا رواه في شرح السنة قال ميرك هو وهب بن عبد الله ابو جحيفة روى
عنه انه قال اكلت ثريدة بلحم واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتجشأ فقال
يا هذا كف من جشائك فان اكثر الناس شبعا في الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيامة رواه
الحاكم وقال صحيح الاسناد وقال المنذري بل هو واه جدا فيه فهد بن عوف وعمرو بن موسى
لكن رواه البزار باسنادين رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد واحدهما ثقات ورواه ابن ابي
الدنيا والطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي وزاد قال الراوي فما اكل ابو جحيفة ملء بطنه

حتى فارق الدنيا كان اذا تغشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى وفي رواية لابن ابي
الدنيا قال ابو جحيفة فما ملأت بطني منذ ثلاثين سنة انتهى وروى الترمذي نحوه
قال ميرك ولفظه عن ابن عمر قال تجشا رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
كف عنا جشاءك فان اكثرهم شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ورواه ابن ماجه
والبيهقي كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وقال الترمذي حديث حسن كذا في
الترغيب للمنذري وقال الشيخ الجزري في سنده هذا الحديث عبد العزيز بن عبد الله
عن يحيى البكاء وهما ضعيفان لكن للحديث شاهد من حديث ابي جحيفة وهب بن عبد الله
السوائي وعن كعب بن عياض اي الاشعري معدود في الشاميين روى عنه جابر
ابن عبد الله وجبير بن نفير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان لكل امة فتنة وهي ما توقع احدا في الضلالة والمعصية وفتنة امتي بالرفع
وفي نسخة بالنصب المال لانه جامع لحصول المنال ومانع عن كمال المال رواه الترمذي
وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء اي يؤتى بابن ادم يوم القيامة كانه
اي من كمال ضعفه بذج بفتح موحدة وذال معجمة فجيم ولد الضان معرب والمراد بذلك
هوانه وعجزه وفي بعض الطرق كانه بذج من الذل وفي شرح السنة شبه ابن ادم بالبذج
لصغاره وصغره اي يكون حقيرا ذليلا فيوقف اي فيحبس قائما بين يدي الله تعالى
اي عند حكمه وامره سبحانه فيقول له اي بلسان ملك او بلا واسطة بلسان القال او
الحال اعطيتك اي الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها وخولتك اي جعلتك
ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وامثالها وقيل معناه جعلتك مالكا لبعض
وانعمت عليك اي بانزال الكتاب وبارسال الرسول وغير ذلك فما صنعت اي فيما ذكر
فيقول رب جمعته اي المال وثمرته بتشديد الميم اي نميته وكثرته وتركته اي
في الدنيا عند موتي اكثر ما كان اي في ايام حياتي فارجعني بهمزة وصل اي ردني
الى الدنيا اتك به كله اي بانفاقه في سبيلك كما اخبر عن الكفار انهم يقولون في
الاخرة رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فيقول له اي الرب اربني ما قدمت
اي لاجل الاخرة من الخير فيقول اي ثانيا كما قال اولا رب جمعته وثمرته وتركته اكثر
ما كان فارجعني اتك به كله فاذا عبد الفاء فصيحة تدل على مقدر واذا للمفاجاة
وعبد خبر مبتدا محذوف اي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عبد لم يقدم
خيرا اي فيما اعطي ولم يمتثل ما امر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى ولتنظر نفس
ما قدمت لغد وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله فيمضي بصيغة المجهول
اي فيذهب به الى النار قال الطيبي فظهر مما حكي عن هذا الرجل انه كان كعبد اعطاه
سيده راس مال ليتجر به ويربح فلم يمتثل امر سيده فاتلف راس ماله بان وضعه في غير موضعه
واتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه فاذا هو عبد خائب خاسر قال تعالى اولئك الذين اشتروا

الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فما احسن موقع العبد وذكره
في هذا المقام قال الشيخ ابو حامد اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر
يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها سعادة
غلط او مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين عليها الى الاخرة فان ذلك غلط
محض وكل سبب يوصل الى سعادة الاخروية ويعين عليها اما بواسطة واحدة
او بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية
رواه الترمذي وضعفه بتشديد العين اي نسب اسناده الى الضعف وان كان معناه
صحيحا وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال
العبد اي عنه يوم القيامة ما موصوف اي اول شيء يحاسب به في الاخرة من النعيم
بيان لما ان يقال له خبران وكان الطيبي جعل من النعيم متعلقا بيسال حيث
قال ما فيه مصدرية وان يقال خبران اي اول سوال العبد هو ان يقال له الم نصح اي
نعطيك جسمك من الاصحاح وهو اعطاء الصحة ونروك بتشديد الواو وفي نسخة
من الارواء من الماء البارد فالماء البارد نعمة عظيمة ومحنة جسيمة عند الذوق
السليم وعدمه لبدن السقيم ولذا بالغ صلى الله عليه وسلم في مدحه حيث قال
في دعائه اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد ومن غرائب حال
الماء انه لا قيمة له لا في الرخاء ولا في الغلاء اذا حال كثرة وجوده لا يشترى ووقت فقده
لا يباع ومن عجائب ما حكي فيه ان ملكا وقع في برية وعطش عطشا شديدا كاد ان
يهلك فظهر له عارف او ملك فقال ما تعطيني ان سقيتك فقال نصف ملكي فسقاه
فحبس له البول حتى اشتد عليه الامر فظهر له ثانيا فقال ما تنعم علي ان اعالجك
فيه فقال اعطيك النصف الاخير من الملك فعالجه خذ ملكك واعرف قيمته ولا يغرك
زهرته ففي الجمع بين نعمة الصحة وتروية الماء اشارة الى ذلك والله اعلم رواه الترمذي
وكذا ابن حبان والحاكم ولفظهما اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال له
الم اصح لك جسمك وارويك من الماء البارد وقال الحاكم صحيح الاسناد ذكره ميرك
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن ادم يوم
القيامة حتى يسال عن خمس اي خصال والحال يذكر ويؤنث وقال الطيبي انثه بتاويل الخصال
عن عمره بضمتين ويسكن الميم اي عن مدة اجله فيما افناه اي صرفه وعن شبابه
اي قوته في وسط عمره فيما ابلاه اي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم واشارة الى
المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره وقال الطيبي فان قلت هذا داخل في الخصلة
الاولى فما وجهه قلت المراد سواله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على اقوى
العبادة وعن ماله مما اكتسبه اي امن حرام او حلال وفيما انفقه اي في طاعة او
معصية وماذا عمل فيما علم ولعل العدول عن الاسلوب للتفنن في العبارة المؤدية

قريبا م

وقال م

في نسخة

للمطلوب واما ما ذكره الطيبي من انه انما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث
لم يقل وعن علمه ماذا عمل به لانها اهم شيء واولاه فغير ظاهر نعم يمكن ان يكون ثالثة
لختم الخصال بها ترقيا انتهى قال وفيه ايذان بان العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به
لولا العمل انتهى وهو غير صحيح باطلاقه وانما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية واما
العلم بذات الله وصفاته ومعرفة كتابه واياته ونحو ذلك من الاصول الدينية
فاشرف العلوم وافضلها والطفها واكملها ولذا قال الشيخ ابو سعيد ابن ابي الخير قدس
الله سره لابي علي بن سينا سامحه الله تعالى تعلم علما ينتقل معك بانتقالك وفيه
اشارة الى ما ورد من ان اهل الجنة فيها يحتاجون الى العلماء ايضا هذا وفي حديث رواه ابن
عساكر عن ابي الدرداء كيف انت يا عويمر اذا قيل لك يوم القيامة اعلمت ام جهلت فان قلت
علمت قيل لك فماذا عملت فيما علمت وان قلت جهلت قيل لك فما كان عذرك فيما جهلت
الا تعلمت ومع هذا روي ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وفي حديث صحيح اشد
الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب وتمامه لا نعرفه من حديث ابن مسعود الا من حديث حسين بن قيس
وهو ضعيف في الحديث ذكره ميرك الفصل الثالث عن ابي ذر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال له انك لست بخير اي بافضل من احمر اي جنسا ولا اسود اي لونا والمراد ان
الفضيلة ليست بلون دون لون وانما خصا بالذكر مثلا لكونهما اكثر وجودا او الاظهر ان
المراد بهما لون السيد والعبيد كما هو الغالب واغرب الطيبي حيث جزم وقال المراد بالاحمر
العجم وبالاسود العرب الا ان تفضله بضم الضاد اي تزيد انت احدهما بتقوى بالقصر
وفي نسخة بالتنوين وقد قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ففي قراءة
شاذة بالتنوين والمعنى ان الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسبة
الباهرة بل بالتقوى الطاهرة كما قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الى ان
قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم قال الطيبي والضمير في تفضله عائد الى كل واحد منهما
اولهما وبيان الانسان والاستثناء مفرغ والتقدير لست بافضل منهما بشيء من الاشياء الا
بالتقوى وقوله ان تفضله نكرة تاكيدا انتهى فتامل فيه فان جعل الضمير الى كل
واحد منهما مع دلالتها على العموم من الجنس الذي وقع المخاطب فردا منه غير صحيح
وكذا تاويلهما بالانسان المراد به الجنس فتدبر ثم الظاهر ان الاستثناء مفرغ من اعم
الاحوال اي لست بافضل منكما بسبب احد النوعين في حال من الاحوال الا حال زيادتك
عليه بتقوى معتبرة في الشرع وهي لها مراتب ادناها التقوى عن الشرك الجلي واوسطها
عن المعاصي والمناهي والملاهي وعن الشرك الخفي وهو الرياء والسمعة في الطاعة واعلاها
ان يكون دائم الحضور مع الله غائبا عن خطور ما سواه واليه الاشارة فيما روي عنه صلى
الله عليه وسلم ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه ذكره الغزالي

وقال

وقال العراقي لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله
المزني رواه احمد وفي الجامع بلفظ انظر فانك لست بخير الحديث وعنه اي عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زهد عبد في الدنيا اي زيادة على قدر
الحاجة من مال او جاه الا انبت الله الحكمة اي اثبت المعرفة المتقنة في قلبه وانطق
بها لسانه وبصره بتشديد الصاد من البصيرة اي جعله معاينا عيب الدنيا اي معايبها
من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها وغير ذلك من اتعاب
البدن واكثار الحزن واشغال القلب عن ذكر الرب قال الطيبي هو اشارة الى الدرجة
الثانية يعني لما زهد في الدنيا لما حصل له من علم اليقين بعيوب الدنيا اورثه الله تعالى
به بصيرة حتى حصل له به حق اليقين وداءها اي علة محبتها وسبب طلبها ودواءها
اي معالجتها بمعجون العلم والعمل والاحتماء عنها بالصبر والقناعة والرضى بما قسم
له منها واخرجه اي الله تعالى منها اي من الدنيا وافاتها وبلياتها سالما اي بالاعراض
عنها والاقبال على العقبى الى دار السلام وفيه اشارة الى ان من لم يزهد فيها
ولم يطلع على عيبها ودائها ودوائها لم يدخل الجنة اصلا او لم يدخل بسلام بل بعد سابقة
عذاب او لاحقة حجاب والله اعلم رواه البيهقي في شعب الايمان وروى ابو نعيم في الحلية
عن ابن عمر ما زين الله العباد بزينة افضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه
وعنه اي عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص الله
قلبه للايمان اي جعل قلبه خالصا للايمان بحيث لا يسعه غيره وما يتبعه وجعل قلبه
سليما اي عن الحسد والحقد والبغض وسائر الاخلاق الذميمة والاحوال الردية
من حب الدنيا والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى قال تعالى يوم لا ينفع مال
ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ولسانه صادقا اي في قوله ووعده وعهده ونفسه
مطمئنة اي بذكر ربه وحبه وخليقته اي جبلته التي خلق عليها من اصلها مع
قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة مستقيمة اي غير مائلة الى طرفي الافراط
والتفريط وجعل اذنه بضمتين ويسكن الثانية مستمعة اي للحق واعية للعلم وعينه
ناظرة اي الى دلائل الصنع من الافاق والانفس فاما بالفاء العاطفة ولعل المعطوف
عليه مقدر والمعنى اما ما سبق من القلب واللسان وغيرهما فامره ظاهر في كونه
شرط الافلاح واما الاذن فقمع بفتح فسكون وتكسر القاف مع سكون الميم وفتحها
ففي القاموس القمع بالفتح والكسر وكعنب ما يوضع في فم الاناء فيصب فيه الدهن
وغيره وفي النهاية القمع كضلع يترك في رؤس الظروف لتملأ بالمائعات من الاشربة والادهان
قال الطيبي شبه اسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه بقلوبهم بالاقماع واما العين
فمقرة بضم الميم وكسر القاف وتشديد الراء كذا في اصل الاصيل وفي اكثر النسخ بفتحات
وهو الاظهر اي محل قرار لما يوعى اي يحفظ القلب بالرفع وفي بعض النسخ بالنصب وهو

يؤيد ما في الأصل ويناسب الآية قال الطيبي قوله فتفرغه وارد على سبيل الاستعارة لأنها
تتثبت في القلب وتتقرر فيه ملاذ كلته بحاستها فكان القلب لها وعاء وهي تفرغ فيه ما رأته
قال في أساس البلاغة ومن المجاز فرغ الكلام في أذنه وضع فاه على أذنه فأسمعه وهو من
فرغ الماء في الإناء إذا صبه فيه والقلب مرفوع على أنه فاعل يوعى ويحتمل النصب أي
يفرغ في القلب أي يحفظ وإنما خص السمع والبصر لأن الآيات الدالة على وحدانية
الله إما سمعية فالأذن هي التي تجعل القلب وعاء لها أو نظرية فالعين هي التي تفرغها
في القلب وتجعله وعاء لها ومن ثم جعل قوله وقد أفلح من جعل قلبه واعيا أي حافظا
كالفذلكة للقرينتين قلت وبه يتم الإيمان لحلم وأسبابه ولذا قال تعالى إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وفي تقديم السمع إيماء إلى أن العمدة هي العلوم الشرعية
التي تعرف من الأدلة السمعية الموروثة لعلم اليقين ثم يرتقي إلى مرتبة النظر
ورؤية الفكر إلى أن يصير علمه عين اليقين وينتهي إلى القلب الذي هو عرش الرب
وبه يتصل إلى كمال حق اليقين رزقنا الله جميع مراتب اليقين في درجات الدين المعبر
عنها بقوله سبحانه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ووجه الغاية أنه لا يتصور
بعد تحقق اليقين ترك العبادة في الدين بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل
كما قيل موتوا قبل أن تموتوا ولذا أجمع المفسرون على أن المراد باليقين في الآية هو
الموت وما أحسن هذا الموت الذي هو عين الحياة إذا فنا الله منه بعض الذوق الممزوج
بحلاوة الشوق رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وعن عقبة بن عامر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه
أي مع وجود فعله إياها ما يحب أي من أسبابها فإنما هو أي ذلك الإعطاء استدراج
أي مكر منه سبحانه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الطيبي الاستدراج
هو الأخذ في الشيء والذهاب فيه درجة كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله
ومعنى استدرجه الله استدناه قليلا قليلا أي ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من
حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد
عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف
النعم ظانين أن تواتر النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد
ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي استشهادا واعتضادا فلما نسوا أي عصوا
سبحانه أو تركوا أمره ونهيه وهو المعني بقوله ما ذكروا به أي وعظوا فتحنا بالتخفيف
ويشدد عليهم أبواب كل شيء أي من أسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم
حتى إذا فرحوا بما أوتوا أي أعطوا من المال والجاه وصحة البدن وطول العمر أخذناهم بغتة
أي فجاءة بالموت أو العذاب فإنه أشد في تلك الحالة فإذا هم مبلسون أي واجمون ساكتون
متحسرون متحيرون رواه أحمد وفي الجامع عنه بلفظ إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا

ما يحب

ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج رواه الطبراني وأحمد والبيهقي
وعن أبي أمامة أن رجلا من أهل الصفة في النهاية هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن
لهم منزل يسكنه وكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد المدينة يسكنونه قال
الطيبي وفي وصف الرجل بهذا النعت إشعار بأن الحكم الذي يليه معلل به يعني
انتماءه إلى الفقراء الذين زهدوا في الدنيا مع وجود الدينارين أو دينار دعوى
كاذبة يستحق بها العقاب وإلا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم
أحد ممن أعرض عن الغنية لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل في الورع
والزهد في الدنيا والاقتناع فيها مباح مرخص لا يذم ولكل شيء حد والحاصل
أن رجلا منهم توفي بصيغة المجهول وجوز المعلوم أي قبض ومات وترك دينارا
أي وجد عنده أو عند غيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية أي هو كية للمبالغة
أو سبب كية أو آلة كية وهو الأظهر لقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم
الآية قال أي الراوي ثم توفي آخر أي من أهل الصفة فترك دينارين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيتان وتوضيح المرام في هذا المقام أنهما لما كانا مع الفقراء الذين
كان الناس يتصدقون عليهم بناء على نهاية حاجتهم وغاية فاقتهم فهم بمنزلة السائلين
إما قالا وإما حالا ولا يحل لأحد سؤال وعنده قوت يومه فوقع أكلهما مع وجود الدينار
لهما حراما وكذا أكل من أظهر نفسه بصورة الفقراء من لبس ثوب الخلق أو زي المشايخ
وعنده شيء من النقود وما يقوم مقامها وأخذ مما في أيدي الناس وأكل فهو حرام عليه
وكذا من أظهر نفسه عالما أو صالحا أو شريفا ولم يكن في نفس الأمر متلبسا وأعطي لعلمه
أو صلاحه أو شرفه فيكون حراما عليه وقد حكي أن الشيخ أبا إسحق الكازروني رأى
جمعا من الفقراء يأكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكية فقال يا أكلة الحرام
فامتنعوا من الأكل فقال كل من لم يكن معه شيء من الدنيا فليأكلوا وإلا فلا فأكل بعضهم فقال
سبحان الله طعام واحد حرام لقوم وحلال للآخرين فليحذر أهل الحرمين الشريفين
أعزهما الله في الدارين من أخذ ما يأكل أحدهم والحال أنه غني شرعي من الأوقاف
الموضوعة للفقراء وكذلك من سكنى الخلاوي الموقوفة للمساكين فقد صرح ابن الهمام
بأن الغني يحرم عليه أن يسكن في خلاوي الأربطة ولا يغتر أحد بما اشتهر من أن
أوقاف الحرمين عام للفقير والغني فإنه على تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا على
الأغنياء إذا كانوا غير محصورين وبهذا يظهر أن إمامنا الأعظم ومقتدانا الأقوم
لو كان في هذا الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال بحرمة المجاورة خلافا لما قال
في الصدر الأول من كراهتها لعدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها إلا نادرا والنادر
لا حكم له رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان وعن معاوية أي ابن أبي سفيان

وهو خال المؤمنين انه دخل على خاله اي ابن ابي هاشم بن عتبة ومر ترجمته يعوده حال او
استيناف بيان اي يزوره لمرضه فبكى ابو هاشم فقال ما يبكيك اي اي شي يجعلك باكيا ياخال
بكسر اللام وفي نسخة بضمها على حذف يا غلام او جمع يشئزك بضم اليا وكسر الهمزة اي
فيبكيك وفي القاموس شئز مكانا نشاز غلظ واشتد ويقال قلق واشازه اقلقه ام
حرص على الدنيا اي يقلقك فيبكيك وفيه تنبيه الى ان الامر لا يخلو اما من اشتداد مرض
صوري او مرض معنوي يكون كل منهما باعثا على نكد ظاهري وباطني قال كلا اي ارتدع عن
حسبانك كلا ومعناه ليس الباعث احدهما ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد
الينا عهدا لم آخذ به والمراد بالعهد اما وصية عامة او مبايعة خاصة قال وما ذلك
اي العهد وفي نسخة وما ذاك قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال اي الذي يحصل
منا في المال خادم ومركب في سبيل الله واني اراني بضم الهمزة اي اظن وفي نسخة بفتحها
اي ابصر او اعلم قد جمعت اي زيادة على ما عهدت واغرب الطيبي حيث قال حذف متعلقه
ليدل على الكثرة من انواع المال والله اعلم بالحال رواه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة
وعن ام الدرداء قالت قلت لابي الدرداء ما لك لا تطلب اي مالا او منصبا كما تطلب فلان
اي وهو من نظرائك فقال اني بكسر الهمزة ويجوز فتحها بتقدير لاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم بفتح الهمزة اي قدامكم وهو ظرف وقع خبرا مقدما
والاسم قوله عقبة بفتحتين اي مرقا صعبا من الجبال على ما في القاموس كؤودا بفتح
فضم همزة فواو اي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة قال الطيبي والمراد بها الموت
والقبر والحشر واهوالها وشدائدها شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق الرجل
من قطعها لا يجوزها اي لا يتجاوز تلك العقبة على طريق السهولة المثقلون من باب
الافعال اي الحاملون ثقل المال ومؤنة الجاه وسعة الحال ولذا قيل فاز المخفون وهلك
المثقلون فاحب ان اتخفف اي بترك الطلب والصبر على قلة المؤنة لتلك العقبة
لئلا يحصل التعب فيها وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من احد
يمشي على الماء الا ابتلت قدماه اي هل يمشي على الماء في حال من الاحوال الا في حال
الابتلال وحاصل معناه هل يتحقق المشي على الماء بلا ابتلال قالوا لا يا رسول الله
قال كذلك صاحب حب الدنيا لا يسلم من الذنوب اي من المعاصي اللازمة لصاحب حب
الدنيا قال الطيبي فيه تخويف شديد للمنفقين وحث اكيد على الزهد في الدنيا وايثار
الاخرة على الاولى وكفى بها نعمة ان يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام
عافانا الله منها بكرمه وفضله رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان وكذا
الحاكم روى الحديث الاول وقال ميرك نقلا عن المنذري حديث ام الدرداء رواه
الطبراني باسناد صحيح ورواه البزار عن ابي الدرداء رفعه ان بين ايديكم عقبة كؤودا لا
يجوزها الا كل مخف واسناده حسن وعن جبير بن نفير بالتصغير فيهما قال المؤلف

تابعي

تابعي حضرمي ادرك الجاهلية والاسلام وهو من ثقات الشاميين وحديثه فيهم روى عن ابي الدرداء
وابي ذر وعنه جماعة مرسلا اي بحذف الصحابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي
اي لم يوح الي ان اجمع المال ان مصدرية والباء مقدرة وقوله واكون عطف عليه من التاجرين
اي المتوغلين في التجارة ولكن اوحي الي اي قيل لي بالوحي ان سبح ان مفسرة لما في الوحي من
معنى القول اي بحمد ربك اي مقرونا به والمعنى نزه الله عما لا يليق بذاته وصفاته منتهيا
الى ثناء ربك باثبات صفات الجلال والجمال له وكن من الساجدين اي المصلين بذكر احد
الاركان وارادة تمام الصلاة فهو من قبيل اطلاق الجزء وارادة الكل ووجه تخصيص
السجدة ما ورد في حديث مسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد واعبد ربك
تعميم بعد تخصيص سواء كان المراد به الامر بالعبادة او العبودية حتى يأتيك اليقين
اي الموت باجماع المفسرين وفيه اقتباس من قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين رواه
اي البغوي في شرح السنة اي عن جبير بن نفير وابو نعيم بالتصغير في الحلية عن ابي مسلم
قال المؤلف هو ابو مسلم الخولاني الزاهد لقي ابا بكر وعمر ومعاذا روى عنه جبير بن نفير وعروة
وابو قلابة ومناقبه كثيرة مات سنة اثنتين وستين انتهى فيحتمل ان الحديث مروي
من طريق جبير عن ابي مسلم او من طريق غيره عنه والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا اي من طريق حلال استعفافا اي لاجل
طلب العفة عن المسألة ففي النهاية الاستعفاف طلب العفاف والتعفف وهو الكف
عن الحرام والسؤال من الناس وسعيا على اهله اي لاجل عياله ممن يجب عليه مؤنته
وتعطفا على جاره احسانا عليهما يكون زائدا لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه
اي والحال ان وجهه من جهة كمال النور وغاية السرور مثل القمر ليلة البدر قيده لانه
وقت كماله وفيه اشارة خفية الى ان هذا النور له ببركة المصطفى المنزل عليه طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فان طه اربعة عشر بحساب الجمل الذي يعرفه الاب والجد
وهذا يوم لا ينفع ذا الجد منه الجد ومن طلب الدنيا حلالا اي فضلا عن ان يطلب حراما
مكاثرا اي حال كونه طالبا كثرة المال لا حسن الحال ولا مرفهة في تحصيل المال مفاخرا اي على
الفقراء كما هو داب الاغنياء من الاغنياء مرائيا اي ان فرض عنه صدور خير او عطاء لقي الله
تعالى وهو عليه غضبان ولعله صلى الله عليه وسلم لم يذكر من طلب الحرام اما اكتفاء بما يفهم
من فحوى الكلام واما ايماء الى انه ليس من صنيع اهل الاسلام او اشعارا بان الحرام اكله وقربه
حرام ولو لم يكن هناك طلب ومرام قال الطيبي وفي الحديث معنى قوله تعالى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه وهما عبارتان عن رضي الله وسخطه فقوله ووجهه مثل القمر مبالغة
في حصول الرضا له لان قوله في مقابلته وهو عليه غضبان رواه البيهقي في شعب
الايمان وابو نعيم في الحلية وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان

هذا الخير اي هذا الجنس من الخير المحسوس المعلومة المحسوس خزاين اي انواع كثيرة
مخزونة مكنونة مركوزة موضوعة فيما بين عباده لتلك الخزاين خير مقدم على مبتدائه
وهو قوله مفاتيح اي على يدي عبيده الذين هم بمنزلة وكلائه ثم الظاهر ان ذكر الخير
بدون ذكر الشر من باب الاكتفا او اشارة الى ان الشر ما خلق لذاته ولذا ورد في قوله
تعالى بيده الخير مع ان الامر كله لله وفي الحديث الشريف الخير كله بيديك والشر ليس
اليك فقيل المعنى انه لا ينسب اليك ادبا والاظهر ان الشر انما يحصل بترك الخير فيكون
بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة والوجود والعدم ومما يدل على ان لله خزاين
الشر ايضا قوله فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير اي علما او عملا او مالا او حالا
مغلاقا للشر وويل لعبد جعله مفتاحا للشر اي للكفر والعصيان والبطر
والطغيان والبخل وسوء العشرة مع الاخوان مغلاقا للخير قال الراغب الخير ما يرغب
فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع والشر ضده والخير والشر
قد يتفيد ان هو ان يكون خير الواحد شرا لاخر كالمال الذي يكون ربما كان خيرا لزيد
وشرا لعمرو ولذلك وصفه تعالى بالامرين فقال في موضع ان ترك خيرا اي مالا او مالا
كثيرا وقال في موضع اخر ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
انتهى وكذا العلم بالنسبة الى بعضهم حجاب وسبب العذاب وبالنسبة الى بعض اخر
اقتراب الى رب الارباب وقس على هذا العبادة فان منها ما يورث العجب والغرور
ومنها ما يوجب النور والسرور والحبور وكالسيف والخيل قد يجعل آلة للجهاد مع
الكفار ويتوسل بها الى الغزا في دار الابرار وقد يتوصل بها الى قتل الانبيا والاولياء
وينتهي بها الى الدرك الاسفل من النار وهذا معنى ما سياتي من قوله صلى الله عليه
وسلم الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار يعني
بحسب ما قسم لاهلهما فقسمة ازلية مبنية على جعل بعضهم مراة الجمال وبعضهم
مظاهر الجلال كما قال فريق في الجنة وفريق في السعير وقد قال خلقت هولاء للجنة
ولا ابالي وخلقت هولاء للنار ولا ابالي مشيرا الى قوله سبحانه لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فبحر القضا والقدر عريض عميق لا يغوص فيه الا من له تحقيق بتوفيق
يتحير فيه ارباب السواحل ويمضي فيه اصحاب سفن الشرايع الكوامل رواه
ابن ماجة وروى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة مرفوعا ان هذه الاخلاق من
الله فمن اراد الله تعالى به خيرا منحه خلقا حسنا ومن اراد به سوءا منحه سيئا
وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يبارك للعبد
في ماله اي بان لا يصرفه في رضى مولاه وعمارة عقباه وحسن ماله جعله اي انفق
ماله وضيعه في الماء والطين اي المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب اعراضه عن
اعراض الدين وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الحرام اي احذروا

قال م

النفاقه

انفاقه وفي الجامع اتقوا الحجر الحرام في البنيان اي في صرف عمارة الدنيا الفانية فانه
اساس الخراب اي في الايام الاتية كما ورد لدوا للموت وابنوا للخراب والتقييد بالحرام
ليس له مفهوم معتبر بل فيه اشارة الى ان مال الحلال لم يتفق صرفه في غير حق لماله
وقد قال الامام الغزالي لو اكل الناس اربعين يوما من الحلال لخرب الدنيا ولم يبق لها
نظام في الحال ولذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال بعضهم الغفلة رحمة وقد
قال تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون قيل التقدير اسباب خراب
الدين او اساس خراب البنيان فعلى الاول يدل على جواز انفاق الحلال في البنيان وعلى
الثاني لا وهذا انسب بالباب والله اعلم بالصواب رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب
الايمان وروى الطبراني الحديث الاول عن ابي هريرة مرفوعا ولفظ للرجل بدل للعبد
وعن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا دار من لا دار له قال الطيبي
لما كان القصد الاولي من الدار الاقامة مع عيش هني ودار الدنيا خالية عنهما لا يستحق
لذلك الاسم دار الا من داره الدنيا فلا دار له قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان
لو كانوا يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الاخرة ومال من لا مال
له فان المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والصرف في وجوه الخيرات فمن اتلفه
في تحصيل الشهوات واستيفاء اللذات فحقيق بان يقال لا مال له قال تعالى وما الحياة
الدنيا الا متاع الغرور ولذا قدم الظرف على عامله في قوله ولها اي للدنيا يجمع اي المال
من لا عقل له اي عقلا كاملا او عقل الدين دلالة على ان الجمع للدار الاخرة للتزود وهو
المحمود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قلت ومحصل المعنى ان الدنيا لا تستحق
ان تعد دارا الا لمن لا دار له ولا مالا الا لمن لا مال له والمقصود استحقارها والحطاطها
عن ان تعد دارا او مالا لمن كانت الاخرة له قرارا ومآلا قال الراغب كل اسم نوع يستعمل على
وجهين احدهما دلالة على المسمى وفصلا بينه وبين غيره والثاني لوجود المعنى
المختص به وذلك هو الذي يمدح به فكل شيء لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه
مطلقا بل قد ينفى عنه كقولهم فلان ليس بانسان اي لا يوجد فيه المعنى الذي
خلق لاجله رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان ورواه البيهقي ايضا في الشعب عن
ابن مسعود موقوفا وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
في خطبته اي موعظته الخمر جماع الاثم بكسر الجيم اي مجمعه ومظنته قيل واصل الجماع ما يجمع
عددا او يوافقه حديث ابن عباس على ما رواه الطبراني مرفوعا الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر
من شربها وقع على امه وخالته وعمته وفي رواية البيهقي عن ابن عمرو بلفظ الخمر ام الفواحش
واكبر الكبائر ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على امه وعمته وخالته قيل دعي رجل
الى سجدة الصنم فابى ثم الى قتل النفس فابى ثم الى الزنى فابى ثم الى شرب الخمر فابى فلما شرب
فعل جميع ما طلب منه والنساء اي جنسهن حبائل الشيطان والمراد به الجنس او رئيسهم

تستحق صح

الفواحش صح

ويؤيد الاول ما في نسخة بلفظ الشياطين اي مصايدهم واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد
بها من اي شيء كان فيكل ما ايس الشيطان من بني ادم الا اتي من قبل النسا وحب الدنيا راس
كل خطيئة اي ملاكها ومفهومه ان ترك الدنيا راس كل عبادة وقد قيل من احب الدنيا
لا يهديه جميع المرشدين ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين قال الطيبي والكلمات
الثلاث كلها من الجوامع لان كل واحدة منها علي الانفراد اصل في المآثم والمغرم
قال اي حذيفة وسمعته اي النبي صلى الله عليه وسلم يقول اخروا النسا حيث اخرهن الله
قال الطيبي حيث للتعليل اي اخرهن الله تعالى في الذكر وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن
ذكرا وحكما ومرتبة قلت واصحابنا استدلوا به علي بطلان محاذاة المراة بشروطها المعتبرة
علي ما هو مقرر عندهم ومحقق عند المحقق ابن الهمام رواه اي الحديث بكماله رزين وفي
التمييز لابن الربيع حديث اخروهن الله يعني النسا قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق وذكر
احاديث بمعناه من طريق الطبراني ثم قال ولا نطيل بها واشار شيخنا لبعضها في مختصر
تخريج الهداية انتهى فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى
الاصطلاحي فانه يطلق علي القريب من المتواتر القطعي ولذا قال ابن الهمام عند قول
صاحب الهداية ولنا الحديث المشهور لا يثبت رفعه فضلا عن شهرته والصحيح انه
موقوف علي ابن مسعود ولكنه في حكم المرفوع وروي البيهقي منه اي من الحديث الطويل
المشتمل علي جمل من الكلام في شعب الايمان اي باسناد حسن عن الحسن مرسلا حب الدنيا
راس كل خطيئة قلت وهو عند ابي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى
ابن مريم عليهما الصلاة والسلام وعند ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول
مالك بن دينار وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه السلام قال السيوطي
وقد عد الحديث في الموضوعات وتعقبه شيخ الاسلام ابن حجر يعني العسقلاني بان
ابن المديني اثنى علي مراسيل الحسن والاسناد حسن اليه وقد رواه الديلمي من حديث
علي بن ابي طالب في مسنده ولم يذكر له اسنادا وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود
الصدفي الا انه بلفظ حب الدنيا راس الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اخوف ما اتخوف علي امتي الهوى اي هوى النفس ومشتهياتها وطول
الامل اي بتسويف العمل وتاخيره الي اخر حياتها فاما الهوى اي المخالف للهدى
الموافق للباطل فيصد اي يمنع صاحبه عن الحق اي عن قبوله والانقياد واما طول الامل
فينسي من الانساء ويجوز بالتشديد الاخرة لان ذكرها يقطع الامل ويوجب العمل وهذه
الدنيا اي المعلومة ذهنا والمفهومة حسا مرتحلة اي ساعة فساعة ذاهبة اي
رايحة من حيث لا يدري صاحبها كما لا يشعر بسير السفينة راكبها ولذا قيل نفس خطوة
الي اجل راعيها وهذه الاخرة مرتحلة قادمة اي اتية شبههما بالظعينين المختلفين في طريقهما
وفيه اشعار بان كل ما هو ات قريب وايماء الي ان كل ساعة يحتمل انها النفس الاخير المنقضي
المتيقن

بصرفها

بصرفها في طاعته ولكل واحدة منهما بنون اي ملازمون ومحبون وراكبون وراغبون
والجمع بينهما من الاضداد المعلومة بحقيقته العلما العاملون فان استطعتم ان لا تكونوا
من بني الدنيا فافعلوا وفيه اهتمام بترك الدنيا ومبالغة بالتبعية في ملازمة امر
الاخرى حيث لم يقل فان استطعتم ان تكونوا من ابناء الاخرة فافعلوا ولعل العدول لما يلزم
من ترك حب الدنيا حصول الاخرة ولا يلزم من وصول الاخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة
من نصيب ولقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له
جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها فاولئك كان سعيهم
مشكورا كلا نمد هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم
علي بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا فان اليوم في دار العمل اي في دار يطلب
منكم عمل الاخرة فان الدنيا دار تكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الاجل بترك الامل لان الدنيا
ساعة فينبغي ان تصرف في طاعة ولا حساب اي اليوم بحسب الظاهر الي الفاجر والا بالنسبة
فروي خطايا الابرار حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وانتم
غدا اي في دار الاخرة اي وفي الحساب المرتب عليه الثواب والعقاب ولا عمل اي يومئذ لانقطاع
الاجل قال السيوطي قوله ولا حساب بالفتح بغير التنوين ويجوز الرفع بالتنوين وكذا قوله
ولا عمل قال الطيبي اشار بهذه الدنيا الي تحقير شانها وشك زوالها وفي قوله وهذه
الاخرة اشار الي تعظيم امرها وقرب نزولها فان استطعتم يعني بينت لكم حال الدنيا من
غرورها وفنائها وحال الاخرة من نعيمها وبقائها وجعلت زمام الاختيار في ايديكم فاختاروا
ايا ما شئتم وكان من حق الظاهر ان يقال فانكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب فوضع دار العمل
موضعها ليؤذن بان الدنيا ما خلقت الا للعمل والتزود منها للدار الاخرة ولم يعكس ليشعر
بان الدار هي دار الاخرة رواه البيهقي في شعب الايمان قال الطيبي وهذا الحديث رواه
جابر مرفوعا وفي رواية البخاري عن علي رضي الله عنه كما سياتي موقوف وهذا الحديث
يدل علي ان حديث علي كرم الله وجهه ايضا مرفوع قلت وفيه بحث لانه انما يقال في الموقوف
الذي لا مجال للراي فيه انه في حكم المرفوع ولا شك ان هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل
المعروف فيحتمل ان يكون مرفوعا ومسموعا ويحتمل ان يكون وقع منه رضي الله عنه توارد
مطابقا مطبوعا وعن علي رضي الله عنه اي موقوفا قال ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت
الاخرة مقبلة اي ظهر ادبار الدنيا وفناؤها واقبال الاخرة وبقاؤها ولكل واحدة منهما
بنون اي بها متعلقون فكونوا من ابناء الاخرة اي بالتوجه اليها ولا تكونوا من ابناء الدنيا
اي بالاعراض عنها وعدم الاقبال عليها فان اليوم عمل اي وقت عمل ولا حساب اي ولا زمان
محاسبة علي الاكتساب وقد يقال جعل اليوم نفس العمل والمحاسبة مبالغة وكذا قوله

وغدا اي يوم القيمة حساب ولا عمل ولقدتم ما في العمل والحساب من اختلاف الاعراب رواه البخاري في ترجمة باب من غير ذكر اسناد في كتاب وعن عمرو بالواو ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال في خطبته الا للتنبيه ان الدنيا عرض بفتحتين اي مال حادث وحال عارض حاضر اي عاجل محسوس يا كل منه اي من العرض وفي نسخة منها اي من الدنيا البر والفاجر اي المومن والكافر فانه تعالى قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال كلا نمد هولا من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن هذا وقال الراغب العرض ما لا يكون له ثبات ومنه استعار المتكلمون قولهم العرض لما لا ثبات له الا بالجواهر كاللون والطعم وقيل للدنيا عرض حاضر تنبيها على ان لا ثبات لها الا وان الاخرة قال الطيبي حرف التنبيه هنا مقحمة وما بعده معطوف على قوله ان الدنيا وقوبلت الصفة بقوله الا وان الاخرة اجل اي موجل صادق اي وقوعها ويقضي اي يحكم فيها ملك قادر اي مميز بين البر والفاجر والمومن والكافر بالثواب والعقاب قال الطيبي الاجل الوقت المضروب الموعود ووصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته وبقائه وقال الراغب يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق يقال صدقني فعله وكتابه وفي المثل صدقني سن بكره وصدق في القتال اذا وفى حقه وفعل على ما يجب وكما يجب الا وان الخير اي اصنافه كله اي جميع اصنافه بحذافيره اي بجوانبه واطرافه في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار الظاهر ان كلا من المعطوف والمعطوف عليه الى بحرف التنبيه اشارة الى استقلال كل من الجملتين خلافا لما سبق من الطيبي فتدبر الا فاعملوا اي الخير وانتم من الله على حذر اي على خوف من وقوع شر واعلموا انكم معروضون على اعمالكم قال الطيبي اي الاعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم عرضت الناقة على الحوض انتهى والاظهر ان معناه متقابلون باعمالكم مجزيون على اعمالكم كعرض العسكر على الامير ومنه قوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية على انها تحتمل ان يكون على للعلية كما قال ولتكبروا الله على ما هداكم او التركيب من قبيل علفتها ماء وتبنا والتقدير معروضون على مجازون على اعمالكم ان كان خيرا فخير وان شرا فشر فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي جزاءه في احد الدارين ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال السيوطي الذرة النمل الاحمر الصغير وسئل تغلب عنها فقال ان مائة نملة وزن حبة وقيل الذرة ليس لها وزن ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة رواه الشافعي وعن شداد بن اوس الدال الاولى اي ابن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايها الناس ان الدنيا عرض حاضر يا كل منها اي من الدنيا ويتمتع بها البر والفاجر اي المومن والكافر وان الاخرة وعد اي موعود صادق اي واقع غير كاذب في مختصر الطيبي وصف الوعد بالصدق على الاسناد المجازي صادق واعده في وعده يحكم فيها اي يقضي في الاخرة ملك اي سلطان عادل اي غير ظالم قادر اي غير عاجز يحق اي يثبت ويبين الحق ويبطل اي يزهق الباطل

والمعنى

والمعنى يميز بين اهلهما ويفصل بينهما بالثواب والعقاب كونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان كل ام يتبعها ولدها فكان الدنيا الباطلة مقرها النار وبئس القرار والاخرة الحقة محلها الجنة فنعم الدار وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس الا وبجنبتيها بفتح الجيم والنون ويسكن وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي الناحية ففي المقدمة انها بالتحريك وفي القاموس الجنب والجانب والجنبة محركة شق الانسان وغيره وجنابا الانف وجنبتا او يحرك جنباه قال الطيبي الواو للحال والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال وقوله ملكان يجوز ان يكون فاعل الجار والمجرور على راي او هو مبتدأ والجار والمجرور خبره انتهى وقوله يناديان حال او استئناف او صفة لقوله ملكان وقوله يسمعان الخلائق غير الثقلين بدل مما قبله او حال من ضميره او بيان بعد بيان والظاهر حمل الاسماع للخلائق على الحقيقة ثم لعل السر لعدم اسماع الثقلين ان لا يرتفع التكليف بمعاينة الغيب كما حقق في قوله صلى الله عليه وسلم لولا ان تدافعوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر فان قلت فما فائدة النداء لغيرهما مع انهما المحتاجان للتنبيه عن غفلة الانسان قلت فائدته ان يخبر الصادق المصدق بقوله ناقلا عما سمع بنفسه او بما اخبره الحق المطلق يا ايها الناس هلموا اي تعالوا الى ربكم اي امره وحكمه او انقطعوا اليه من غيره كما قال تعالى ففروا الى الله وتبتل اليه تبتيلا ما قل اي من المال وما موصولة وكفى اي في امر الدنيا وزاد العقبى خير مما كثر اي من المال والهى اي شغل عن المولى وحسن الحال وتحسين المال وقال الطيبي يجوز ان يكون الاسماع على الحقيقة وان يكون على التنبيه عن الغفلة مجازا فمعنى يسمعان الخلائق غير الثقلين انما يقصدان بالاسماع الثقلين فيسمعان غيرهما ثم خص من الثقلين الانسان بقوله يا ايها الناس تنبيها على تماديهم في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا حتى الهاهم ذلك عن الافتقار الى ذكر الله تعالى وعبادته فقيل لهم الى كم هذه الغفلة والاعراض عن ذكر الله هلموا الى طاعة ربكم ما قل من المال ويكفيكم ولا يطغيكم خير مما كثر والهى يسمع هذا النداء من الهي السمع وهو شهيد واولئك الذين اشار الله بذكرهم ورفع من منزلتهم في قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية ومعنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها وان من شيء الا يسبح بحمده انتهى ولا يخفى ان صحة كلامه يحتاج الى ان يقال التقدير غير غافلة الثقلين والله اعلم رواهما اي الحديثين ابو نعيم في الحلية وقد روى ابن حبان في الاول في صحيحه وعن ابي هريرة يبلغ بفتح الياء به والباء للتعدية والمعنى يرفع مرويه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الميت قال الطيبي هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول فان الميت لا يموت بل الحي هو الذي يموت قلت الا الحي الذي لا يموت وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنهما اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض

اذا م

المريض ويضل الضالة فسمي المشارف للمرض وللضلال مريضا وضالا وعلى هذا يسمى المشارف
للموت ميتا قلت ومنه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومال القولين واحد وانما
الخلاف باعتبار النظر في اول امره واخر حاله كنظر الصوفية في امر السابقة واللاحقة
والاولى هي الاولى قالت وفي رواية الجامع تقول الملائكة ما قدم بتشديد الدال
اي من الاعمال وقال بنو ادم وفي رواية الجامع ويقول الناس ما خلف بتشديد اللام
اي اخر من الاموال قال الطيبي وفايدته اهتمام شان الملائكة بالاعمال اي ما قدم من عمل حتى
يثاب به او يعاقب عليه واهتمام الوارث بماله لم يرثوه رواه البيهقي في شعب الايمان
وعن مالك اي ابن انس ان لقمان قال لابنه يا بني بتشديد الياء المفتوحة ويكسر على صيغة
التصغير للشفقة ان الناس اي من عهد ادم الى يومنا هذا قد تطاول اي بعد عليهم
ما يوعدون اي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب والعقاب وقال الطيبي اي
طال عليهم مدة ما وعدوا به وهم الى الاخرة سراعا اي مسرعين حال من المبتدا او من
ضمير الخبر وهو قوله يذهبون قدم اهتماما والجملة حال من ضمير ما يوعدون والمعنى
تطاول على الناس بعد الموعد وقرب العهد والحال انهم كل ساعة بل كل نفس يذهبون الى
ما يوعدون كالقافلة السيارة لكنهم لا يحسبون كالسكان في الفلك المشحون ثم بين
هذا المعنى بقوله وانك اي ايها الولد واريد به خطاب العام الشامل لنفسه وغيره
قد استدبرت اي انت الدنيا ساعة فساعة منذ كنت اي وجدت وولدت واستقبلت
الاخرة اي نفسا فنفسا من غير اختيار لك في هذا المسير من المبدأ والمصير ثم
اوضح له القضية بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين المحسوستين
فقال وان دارا تسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها والمقصود من هذه الموعظة
دفع الغفلة عن امر الاخرة رواه رزين وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال كل مخموم القلب بالخاء المعجمة اي سليم القلب
لقوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم من خممت البيت اذا كنسته على ما في القاموس
وغيره والمعنى ان يكون قلبه مكنوسا من غبار الاغيار ومنظفا من اخلاق الاقذار
صدوق اللسان بالجر اي كل مبالغ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقة بين تحسين
اجنانه وبيانه فيخرج عن كونه منافقا او مرائيا مخالفا لفاقا لو اصدوق اللسان بالجر على
الحكاية ويجوز رفعه على اعراب الابتدائية والخبر قوله تعرفه فما مخموم القلب قال هو
التقي اي نقي القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى النقي اي المجتنب عن حظوظ
الهوى لا اثم عليه فانه محفوظ وبعين العناية ملحوظ او بالعفو والغفران محظوظ
ومن المعلوم ان لا لنفي الجنس فقوله ولا بغي اي لا ظلم له ولا غل اي لا حقد ولا حسد
اي لا تمني زوال النعمة الغير من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم لئلا
يتوهم اختصاصا من الاثم بحق الله فصرح بانه لا مطالبة عليه لا من الخالق ولا من جهة المخلوق

والله اعلم

والله اعلم بالحقائق قال الطيبي الجواد ينظر الى قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى اي اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب والفضة اذا اذابه فخلص ابريزه
من خبيثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه اذهب السموات عنها رواه ابن ماجة والبيهقي
في شعب الايمان وعنه اي عن ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اربع اي من
الخصال اذا كن فيك اي وجدت في وجودك ظاهرا وباطنا فلا عليك اي لا باس ما فاتك الدنيا
وفي الجامع ما فاتك من الدنيا قال الطيبي يحتمل ان تكون ما مصدرية والوقت مقدر
اي لا باس عليك وقت فوت الدنيا ان حصلت لك هذه الخلال وان تكون نافية اي
لا باس عليك لانه لم يفتك الدنيا ان حصلت لك هذه الخصال انتهى والاول اظهر
كما لا يخفى حفظ امانة يشمل امانة الاموال والاعمال وصدق حديث يعم الاقوال
وحسن خليقة اي خلق والتعبير بها اشارة الى الحسن الجبلي لا التكلفي والتصنعي في الاحوال
وعفة في طعمة بضم الطاء مع تنوين التاء اي احترازا من الحرام واحتياطا على الحلال رواه احمد
والبيهقي في شعب الايمان ولفظ الجامع صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق وعفة
مطعم رواه احمد والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عمر بلا واو والطبراني عن ابن عمرو بالواو
وابن عدي وابن عساكر عن ابن عباس وعن مالك اي الامام قال بلغني انه قيل للقمان
الحكيم ما بلغ بك ما نرى يعني الفضل يحتمل ان تكون مالك او غيره تفسيرا والمعنى
يريد لقمان بما الموصولة التي في قوله ما نرى الفضل واما ما الاولى فهي استفهامية
والمعنى اي شيء اوصلك هذه المرتبة التي نراها فيك من الفضيلة الزائدة على
غيرك قال صدق الحديث اي ملازمة صدق الحديث قولا ونقلا واداء الامانة اي
مالا وفعلا وترك ما لا يعنيني اي لا ينفعني حالا ومالا رواه اي مالك في الموطا اي عن مالك
وقد تقدم بحث ذلك وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجيء بالتانيث
ويجوز تذكيره اي تاتي الاعمال اي مجسمة لتحتج لصاحبها وتشفع لمراعيها وتخاصم
لمخالفيها وتاركيها فتقول الصلاة اي بلسان القال ويمكن ان يكون بيان الحال والمراد
بالمجيء ظهور اثر الاعمال ونتيجة الافعال في المال يا رب انا الصلاة اي المثبتة
في كتابك من جميع الاعمال حيث قلت الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والمختومة
منها بقولك والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون وقيل التقدير
انا المعروفة المشهورة بالفضل والمزية كما يقال انا العالم ومنه قول القائل انا
ابو النجم وشعري شعري وقال الطيبي اي ان لي مرتبة الشفاعة لاني عماد الدين
فيقول اي الرب انك على خير وهذا اردها الى الطف وجه اي انك ثابتة مستقرة على
خير كقوله تعالى اولئك على هدى ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية في الاحتجاج وعلى هذا
المنوال سائر الاعمال من الصدقة والصيام وبقية الافعال فتجيء الصدقة فتقول
يا رب انا الصدقة فيقول انك على خير ثم تجيء الصيام ولعل وجه تاخيره عن الصدقة

في العقبى تأخير وجوبه عنها في الدنيا فيقول يا رب أنا الصيام فيقول إنك على خير ثم
تجيء الأعمال أي سائرها من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها على ذلك أي على هذا المنوال
متفقة على هذا المقال يقول استينافا أو حالا وكان مقتضى الظاهر فيقول الله تعالى
وفي نسخة صحيحة عز وجل إنك أي أيها العمل على خير ثم يجيء الإسلام أي الانقياد الباطن
الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالإيمان وعلى ترادفهما أصحاب الإيقان وأرباب
الإتقان فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام أي وبيننا مناسبة الاشتقاق
الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوسمية كما حقق في حديث الرحم شجنة من
الرحمن فأنا المقتضي بذلك أن القائم بي يدخل دارك دار السلام فيقول الله تعالى إنك
على خير أي خير عظيم لاشتمالك على دين وسيم بك اليوم آخذ بصيغة أي أحد بك من وآخذ
بالعقوبة وبك أعطي أي من أسامحه بالمثوبة فإنك أنت الأصل المدار عليك أمر الطاعة والمعصية
وبك العقوبة قال الله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
الخاسرين وفيه إشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة ومجمله أنه من مات على الإسلام
ليس من الخاسرين بل من المفلحين الناجين مآلا وإن هنا لا وإنا أمر الطاعة والعبادة مع
فوت الإسلام يرجى فيهما المسامحة نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من درك
الهاوية وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان لنا ستر بكسر السين أي شيء يستر به الجدار
أو باب الدار فيه تمثال طير أي نقشا وبرطيورا وطير فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا عائشة حوليه أي غيريه بتبديله أو تنقليه فإني إذا رأيته ذكرت الدنيا
وفي هذا التعليل دليل على أن الصور كانت صغيرة جدا أو قبل العلم بتحريم التصوير
وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكان فيه الإيماء إلى أن رؤية الأسباب تنعمها
الأغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء وقد قال تعالى لا تمدن عينيك إلى ما متعنا
به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وعن
أبي أيوب الأنصاري قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عظني وأوجز أي اختصر
وعلى المهم اقتصر فقال إذا قمت أي شرعت في صلاتك فصل صلاة مودع بكسر الدال
المشددة أي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه أو المعنى صل صلاة
ومنه حجة الوداع أي اجعل صلاتك آخر الصلاة فرضا فحسن خاتمة عملك وأقصر
طول أملك لاحتمال قرب أجلك وقال الطيبي أي فأقبل على الله تعالى بشراشرك وودع غيرك
لمناجاة ربك ولا تكلم بحذف إحدى التائين وفي نسخة بإثباتهما أي لا تتحدث بكلام
تعتذر لنا وكسر الذال أي تحتاج إلى تعتذر منه أي من أجل ذلك الكلام غدا
أي يوم القيامة وهو المعني بقوله من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه وأجمع الإياس
بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز عكسه ومنه قوله تعالى فأجمعوا كيدكم فقد قرأ أبو عمرو
بوصل الهمزة وفتح الهمزة من جمع يجمع والباقون بقطعها والكسر من أجمع بمعنى عزم

على الامر

على الأمر أو هما لغتان بمعنى الجمع فالمعنى اعزم على قطع الإياس أو اجمع خاطرك على قصد الإياس
وترك الطمع مما في أيدي الناس أي قناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقررة
في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا إلى أن قال وإن كل ذلك لما
متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين وفي الحديث إشارة إلى أن الاستئناس
بالناس من علامة الإفلاس وأن الغنى القلبي هو الإياس مما في أيدي الناس وقال
الطيبي أي اجمع رأيك على الياس من الناس وصمم عليه وهو من قوله تعالى فأجمعوا
كيدكم قال والظاهر أن الإياس وقع موقع الياس سهوا من الكاتب لأن الإياس مصدر
آسه إذا أعطاه وليس مصدر أيس مقلوب يئس لأن مصدر المقلوب يوافق الفعل
الأصلي لا المقلوب ويمكن أن يقال إنه من أيس لغة مما في أيدي الناس إياسا مخفف الهمزة
أي بالنقل والحذف انتهى وفي القاموس أيس منه كسمع إياسا قنط فبطل تخطئة
الرواة الحفاظ المعتمدين على ذوات الصدور لا على ما في السطور خصوصا وقد
جاء هذا الحديث من طرق متعددة مصححة على ما ذكره ميرك نقلا عن المنذري بعد
قول المؤلف رواه أحمد أي عن أبي أيوب ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن أبي
وقاص قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أوصني قال
عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاتك
وأنت مودع وإياك وما تعتذر منه رواه الحاكم والبيهقي في الزهد وقال الحاكم
واللفظ له صحيح الإسناد ورواه الطبراني من حديث ابن عمر نحوه انتهى ومن المحال اتفاق
الحفاظ والأصحاب على سهو من أحد الكتاب والله أعلم بالصواب وعن معاذ بن جبل
قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أراد إرساله قاضيا أو عاملا إلى اليمن
خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه بالتخفيف وليشيعه ومعاذ راكب
أي بأمره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته أي تواضعا لله وتلطفا
للمؤمنين ومنه يؤخذ استحباب مشايعة الأصحاب فلما فرغ أي من الوصية قال يا معاذ
إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري أي مع قبري
على أن الواو بمعنى مع ذكره الطيبي والظاهر أنه عطف على مسجدي والتقدير أن تمر
بمسجدي هذا وبقبري أيضا وأبهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لا يخفى ثم اعلم أن
عسى معناه الترجي في المحبوب والإشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى عسى أن
تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وأما لعل فمعناه التوقع
وهو ترجي المحبوب والإشفاق من المكروه نحو لعل الحبيب واصل ولعل الرقيب حاصل
ويختص بالممكن بخلاف ليت فإنه يستعمل في المحال كليت الشباب يعود فاستعمل عسى
ولعل في الحديث بالمعنيين الأخيرين على ما هو الظاهر المتبادر ثم في المغني تقترن
خبر لعل بأن كثيرا حملا على عسى كقوله لعلك يوما أن تلم ملمة عليك من اللائي يدعنك أجدعا

وقال الطيبي استعمال لعل على الحقيقة لكونه صلى الله عليه وسلم راغبا للقاء الله تعالى
وادخل ان في الخبر تشبيها للعل بعسى تلويحا الى قوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا فبكى معاذ جشعا بفتح الجيم والشين المعجمة اي جزعا وفزعا ففي النهاية الجشع الجزع
لفراق الالف فقوله لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم للتاكيد او للتجريد ثم التفت
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ فاقبل بوجهه نحو المدينة تفسير للالتفات ولعل
وجه الالتفات بادارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاؤه ويصير سببا لبكائه عليه
السلام ويشتد الحزن في ذلك المقام مع الايماء بانه لا بد من المفارقة في الدنيا والمواجهة
في العقبى فسلاه فعلا ووصاه قولا حيث بين فيه انك تفارقني وتفارق المدينة
وترى المدينة ولا تراني واشار الى ان مجمع الانبياء والاتقياء في دار البقاء فقال اولى الناس
اي بشفاعتي او اقرب الناس الى منزلتي المتقون من كانوا جمع باعتبار معنى من والمعنى
كائنا من كان عربيا او ابيض او اسود شريفا او وضيعا وحيث كانوا اي سواء كانوا بمكة والمدينة
او باليمن والكوفة والبصرة فانظر الى رتبة اويس القرني باليمن على كمال التقوى وحالة
جماعة من اكابر الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى بل من ايصال ضررهم اليه
صلى الله عليه وسلم حتى من بعض ذوي القربى وحاصله انه لا يترك بعدك الصعود
على مع وجود قربك المعنوي فان العبرة بالتقوى كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم من غير اختصاص بمكان او زمان او نوع انسان ففيه
تحريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى وقد
قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله مع ما فيه
من التسلية لبقية الامة الذين لم يدركوا زمن الحضرة ومكان الخدمة هذا الذي سنح لي
في هذا المقام فرحل الكلام على فهم المرام وقال الطيبي لعل الالتفات كان تسليا لمعاذ
بعد ما نعى نفسه اليه يعني اذا رجعت الى المدينة بعدي فاقتد باولى الناس بي وهم
المتقون وكنى به عن ابي بكر الصديق ونحوه حديث جبير بن مطعم ان امرأة اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فكلمته في شيء فامرها ان ترجع اليه فقالت يا رسول الله ارايت ان جئت
ولم اجدك كانها تريد الموت قلت والذي يظهر انه المراد خلاف الادب على ما هو المتبادر
بل الظاهر انها تريد عدم وجوده في المدينة او البيت قال فان لم تجديني فاتي ابا بكر
قال وفيه دليل على انه رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده
وقائم مقامه قلت لما لم يكن صريحا في المدعى لاحتمال ان الفضيلة تتعلق بابي بكر رضي
الله عنه صرح العلماء بانه لا نص في امر الخلافة لا على الصديق ولا على المرتضى روى الاحاد
الاربعة احمد اي في مسنده واقل مراتب اسانيده انه حسن وعن ابن مسعود قال تلا اي
قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان يهديه اي هداية الخاص الموصل الى مقام
الاختصاص يشرح صدره اي يوسع قلبه للاسلام اي لشرائعه على سبيل الاخلاص قال

الطيبي

الطيبي اي نلطف به ويقذف النور فيه حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه
ويحب الدخول فيه قلت هذا معنى صحيح في نفس الامر لكنه غير ملايم لما سيجيء في تفسير
شرح الصدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اي نور الهداية اذا دخل
الصدر انفتح اي انشرح وتوسع بحيث يسعه شرايع الاسلام ويحلو في مذاقه مرارة
ما قدره وقضاه من الاحكام وهذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه
بالحديث القدسي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن لان السفليات
والعلويات ليس لهن قابلية ادراك الكليات والجزئيات المتعلقة بالذات والصفات
ولهذا قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الايات
وهذا فيمن شرح الله صدره واراد هدايته بخلاف غيره ممن يريد الله غوايته كما اخبر
عنه بقوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السما فقيل
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك اي الخصلة كذا قيل والصواب هل لتلك الحالة
المعبر عنها بالانفساح من علم اي علامة وامارة ومن زائدة للمبالغة تعرف اي تلك
الحالة وفي نسخة بالتذكير نظرا الى معناها وهو الانفساح به اي بذلك العلم حتى تقيس
حالنا عليه ونرجع عند اختلاف الاراء اليه قال نعم اي فيه علم بل علامات وهي
التجافي المبالغة والتكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل السعد من دار
الغرور اي الدنيا الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى ولا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور فانها دار العناء والشقاء وان كان صورتها انها للنعماء
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اتعبتهم فيها الملوك والامراء والاغنيا
والانابة اي الرجوع والميل التام الى دار الخلود اي دار البقاء واللقاء والاستعداد
للموت بالتوبة والمبادرة الى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة قبل نزوله اي قبل
حلول الموت او ظهور مقدماته من المرض والهرم حيث لم تقدر حينئذ تحصيل
علم او عمل ولا ينفعها الندم وكان هذا فذلكة لما قبله او هو العمدة لكونه علما له
وما قبله انما هو باعث بطرفيه هنالك على اقدام السالك على ذلك وعن ابي هريرة وابي
خلاد بتشديد اللام قال المؤلف ابو خلاد رجل من الصحابة وقال ابن عبد البر لا اقف له
على اسمه ولا نسبة حديثه عند يحيى بن سعيد عن ابي فروة عن ابي خلاد قال اذا رايتم
المؤمن قد اعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة وفي
رواية مثله ولكن بين ابي فروة وابي خلاد ابو مريم وهذا اصح انتهى ففيه اشارة
الى الخلاف في ان هذا الحديث منقطع او متصل وانه اراد رواية مثله ما ذكره المص
بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايتم العبد يعطى زهدا اي
قلة رغبة في الدنيا وقلة منطق اي في اللغو والهوى فاقتربوا منه اي اطلبوا القرب
منه والتمسوا في مجالسته القرب الى المولى فانه يلقي بتشديد القاف المفتوحة

وفي نسخة بتخفيفهما اي يلقى ويؤتى الحكمة اي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة لقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب والحكمة في الحقيقة اتقان العلم والعمل على سبيل الشريعة والطريقة وصاحبها بحكم حديث من اخلص لله اربعين صباحا اظهر الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه هو العالم العامل المخلص الكامل من يكون مرشدا مكملا فيجب على كل احد ان يطلب مثل هذا ويحصل مجالسته قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين اي قالا وحالا وقال بعض العارفين اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله وعلامة صحة احواله بعد تصحيح اقواله وافعاله ما تقدم في الحديث السابق من علامة انشراح الصدر ويؤثر صحبته في جميع الامر ويزهد اصحابه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على قدر الحاجة الموصلة الى زاد العقبى بل يجعلهم فارغين عن امور الكونين على ما اشار اليه خلع النعلين غائبين عن السوى حاضرين في حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفناء واصلين الى مشاهدة البقاء حاصلين في الجنة العاجلة على اللذة الالهية فهذا العارف حينئذ خليفة الانبياء وقائم مقام الاولياء الاصفياء رزقنا الله رؤيته وخدمته وصحبته رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان والحديث الاول منهما اخرجه ابن المبارك في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن ابي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن ابي جعفر المدائني رجل من بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي المؤمنين اكيس قال اكثرهم ذكرا للموت واحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وفي رواية قبل نزول الموت واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقول يوسع قلبه للتوحيد والايمان به ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول شاكا كانما يصعد في السماء يقول كما لا يستطيع ابن ادم ان يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على ان يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وللحديث في الدر المنثور طرق كثيرة

باب فضل الفقراء

وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم المراد بالفضل هنا زيادة الاجر والثواب لا فضيلة وفضل المال وزيادة تحسين الثياب وقوله وما كان من عيش النبي اي معيشته وفي نسخة من عيش رسول الله صلى الله عليه وسلم على فضل الفقراء على ما لا يخفى ونكتة

الجمع بينهما انه صلى الله عليه وسلم كان عيشه عيش الفقراء كاكثر الانبياء والاولياء وكفى به فضلا للفقراء على الاغنياء وان خفي هذا الامر على بعض الاغنياء من ادعى انه من العلماء

الفصل الاول

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اي رجل مستغرق الشعر راسه مدفوع بالابواب اي ممنوع منها باليد او اللسان والمعنى انه لا يدخله احد في بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية حقارته في نظر الناس وذلك لما اراد الله شرحا له عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شيء من الاستيناس فيحفظه عن الوقوف على ابواب الظلمة واكلة الحرام كما يحمي احدنا المريض عنها ستعمال فلا يحضر الا باب مولاه ولا يسال عما سواه من كمال غناه وليس المراد منه انه ياتي ارباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله منها فان الاولياء محفوظون عن هذه المذلة وان كان قد يقع لبعضهم من اختيار ارباب الملامة او ممن صدر عنه الزلة ولعل في بعض النسخ مرفوع بالراء قال الطيبي الاشعث هو المغبر الراس المتفرق الشعر واصل التركيب هو التفرق والانتشار والمدفوع بالدال اي يدفع عن الدخول على الاعيان والحضور في المحافل فلا يترك ان يلج الباب فضلا ان يكون معهم ويجلس فيما بينهم لو اقسم على الله اي على فضله سبحانه بان حلف ان الله يفعل كذا او لا يفعله لابره اي لصدقه وصدق يمينه وابره فيها بان ياتي بما يوافقه كما وقع لانس بن النضر في قوله والله لا تكسر ثنيتها بعد قوله صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص فرضي اهلها بالدية بعد ما ابوا عليها وقال القاضي اي لو سال الله شيئا واقسم عليه ان يفعله لم يخيب دعوته فشبه اجابة المنشد والمقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها وقال شارح قيل معناه لو اقسم على الله بان يقول اللهم اني اقسم عليك بجلالك ان تفعل كذا او لا يستقيم هذا المعنى في الموضع لانه قال لابره اي صدقه ولا مدخل للصدق والكذب في مثل هذه اليمين فيدخلها الابرار فلعل الله الا ان يقال المعنى صدق رجاءه ووافق دعاءه رواه مسلم وكذا احمد وفي رواية الحاكم وابو نعيم في الحلية عنه بلفظ رب اشعث اغبر ذي طمرين تنبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وعن مصعب ابن سعد اي ابن ابي وقاص القرشي سمع اباه وعلي بن ابي طالب وابن عمر روى عنه سماك بن حرب وغيره قال راى سعد اي ظن او توهم ان له فضلا اي زيادة فضيلة او مثوبة من جهة الشجاعة او السخاوة او نحوهما على من دونه اي من الفقراء والضعفاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جوابا له واسماعا لغيره هل تنصرون اي على اعدائكم وترزقون اي الاموال من الغنيمة وغيرها الا بضعفائكم اي الا ببركة وجود ضعفائكم ووجود فقرائكم فهم بمنزلة الاقطاب والاوتاد لثبات العباد والبلاد وحاصله انه انما حصل النصر على الاعداء وقدر توسيع الرزق على الاغنياء ببركة الفقراء فاكرموهم ولا تتكبروا عليهم فانهم اهل سلوك المحبة على اضيق المحجة وملوك الجنة في اعلى المراتب

المعرة وقال الطيبي قوله ان لله فضلا اي شجاعة وكرما وسخاوة فاجابه صلى الله عليه وسلم
بان تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين وتلك السخاوة ايضا ببركتهم وابرزه في صورة
الاستفهام ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ رواه البخاري ورواه ابو نعيم في الحلية
عنه بلفظ هل تنصرون الا بضعفائكم بدعوتهم واخلاصهم وعن اسامة بن زيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة اي ليلة المعراج او في المنام او حالة
كشف المنام او بطريق دلالة الهام فكان عامة من دخلها اي اكثرها وهي مرفوعة
وقيل منصوبة فيكون المساكين اي الفقراء والضعفاء واصحاب الجد وفي الجامع واذا
اصحاب الجد بفتح الجيم اي ارباب الغنى من المؤمنين الاغنياء والامراء محبوسون
اي موقوفون يوم القيامة في الصحراء وخلاصته ان اصحاب الحظ الفاني من ارباب
الاموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم في المتاعب بسبب كثرة اموالهم
وتوسيع جاههم وتلذذهم بما في الدنيا وتمتعهم على وفق شهوات النفس والهوى
فان حلال الدنيا له حساب وحرامها عقاب والفقراء من هذا بريئا سبقون بل قبل
الاغنياء باربعين خريفا في الجنة يدخلون مكافاة لهم في العقبى لما فاتهم من الدنيا
غير ان اصحاب النار اي الكفار قد امر بهم الى النار وفي الجامع الا اصحاب النار فقد امر
بهم الى النار اي من غير وقوف في العرصات قال الطيبي اي يساق الكفار الى النار ويوقف
المؤمنون في العرصات للحساب والفقراء هم السابقون الى الجنة لفقرهم وخلاصة التغيير
بمعنى لكن والمعنى ان اصحاب الجنة جعلوا قسمين محبوسين وغير محبوسين ولكن
اصحاب النار جعلوا قسما واحدا امر بادخالهم النار ووقفت على باب النار فاذا عامة من
دخلها اي اكثر من دخل النار مع الكفار النساء لكثرة ميلهن الى الدنيا ولمنعهن الرجال عن
طريق الرهبي متفق عليه ورواه احمد والنسائي عنه وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة اي اشرفت عليها لقوله تعالى لو اطلعت عليهم
ففي بمعنى على كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل وحاصله نظرت اليها او اوقعت
الاطلاع فيها فرايت اي علمت اكثر اهلها الفقراء وقال الطيبي ضمن اطلعت معنى
تاملت ورايت بمعنى علمت ولذا عداه الى مفعولين ولو كان الاطلاع بمعناه
الحقيقي لكفاه مفعول واحد انتهى وفيه انه لم يتعد هنا الى مفعولين كما لا يخفى
واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها النساء متفق عليه هذا الحديث رواه البخاري
من حديث عمران بن حصين ومن حديث ابي هريرة ايضا ورواه مسلم من حديث ابن عباس
ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس كذا قاله الشيخ الجزري وعلى هذا فقول
المؤلف في اخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو عن تامل ذكره ميرك وفيه ان
مبناه على المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث وان اختلفا في المروي
عنه من الصحابة نعم كان حقه ان يقول رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران

ابن حصين كما قال في الجامع بعد ايراد الحديث بعينه رواه احمد ومسلم والترمذي عن
ابن عباس والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين وعن عبد الله بن عمرو بالواو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء اي من المهاجرين
وغيرهم بالاولى ولذا اطلق الاغنياء وعلى هذا ففقراء كل طائفة من اهل زمان ومكان
على اغنيائهم يوم القيامة اي لمحاسبة الاغنياء وخلاص الفقراء عن العنا فان المفلس
في امان الله دنيا واخرى الى الجنة متعلق بيسبقون اي يسابقون ويبادرون
اليها باربعين خريفا قال الطيبي نقلا عن النهاية الخريف الزمان المعروف بين الصيف
والشتاء ويريد به اربعين سنة لان الخريف لا يكون في السنة الا مرة واحدة انتهى
فالمعنى بمقدار اربعين سنة من اعوام الدنيا او الاخرى مع احتمال ان يراد بها الكثرة
ويختلف باختلاف احوال الفقراء والاغنياء في الكمية والكيفية المعتبرة وخلاصته
ان الفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم
في الدنيا كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية اي الماضية
او الخالية عن الاكل صياما او وقت المجاعة وقد ورد على ما سبق ان اطول الناس
جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا في الدنيا ويؤيد ما ذكرناه من تفاوت المراتب
انه جاء في رواية ابن ماجه عن ابي سعيد بلفظ ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة
قبل اغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة رواه مسلم وعن سهل بن سعد قال مر رجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده الظاهر انه كان من الاغنياء فيكون
في سؤاله وجوابه له تنبيه نبيه على فضل الفقراء جالس الجر صفة رجل وفي نسخة
بالرفع على انه فاعل الظرف او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف هو هو ما رايك في هذا
اي ما ظنك في حق هذا الرجل المار تظنه خيرا ام شرا ذكره ابن الملك فقال اي الذي
عنده رجل اي هو او هذا يعني المار من اشراف الناس اي كبرائهم وعظمائهم هذا اي هذا
الرجل بعينه او هذا الشخص بجثته اي مثل هذا الرجل والله حري على وزن فعيل
وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما اي جدير وحقيق ان خطب اي طلب ان يتزوج
امراة ان ينكح بصيغة المجهول اي بان يزوجه اياها اهلها وان شفع اي لاحد عند
الحكام والرؤساء في جلب العطاء او رفع البلاء ان يشفع بصيغة المفعول مشددا
اي يقبل شفاعته قال اي الراوي فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن الجواب
ولم يذكر ما يقتضيه المجاوزة من الخطاب ثم مر رجل اي اخر فقال له اي للرجل الذي
عنده ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري نزل
القسم لاحتمال التخلف وانما تاكيد الحكم به سابقا فللمبالغة في تحقيق الظن فيه والمعنى
هذا لائق ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال اي بكلام ولو كان صدقا
او حقا ان لا يسمع بصيغة المجهول ونائب الفاعل قوله لقوله والمعنى ان احدا لا يسمع

لكلامه ولا يلتفت اليه من غاية فقره وقلت نظام امره ففي غرائب ما يحكى ان رجلا غنيا
فقيرا رافق شخصا ملك بعيرا وحمله ثقيلة فقال ما حملك هذا وما حملك على هذا فقال
عدل منه حب الطعام وعدل اخر ملئ من البطحا ليعتدل النظام فقال الفقير لو تركت
البطحاء وقسمت الحب في العدلين مقتنا صفين لخف حملك وركبت على جملك فقال
بارك الله فيك لما صدر من فيك فاطاعه فيما تبينه وركب على وجه عينه فسأله هل
انت بهذا العقل كنت في بلادك سلطانا فقال لا فقال فوزيرا فاميرا فتاجرا فرئيسا
فصاحب ابل وصاحب خيل او غنم او زراعة ونحو ذلك فيقول لا فقال اكنت في بلدك
فقيرا على هذا الحال وحقيرا على هذا المنوال فقال نعم فقال انت شوم ووجهك
شوم وكلامك شوم ومن يسمعه ايضا شوم ونزل عن بعيره واصر على تعبيره من سوء
تدبيره ومثل هذا مشاهد في العالم كثيرا مثلا اذا كان العالم فقيرا والشيخ اذا
كان حقيرا حيث لا يلتفت احد الى كلامه ولا يعظم على قدر مقامه بخلاف العالم
والشيخ اذا كان مشهورا وعلم جاهه بين العوام منشورا فانه يقبل قوله ويتبع
فعله ولو كان في نفس الامر ناقصا في علمه او عمله والله ولي دينه وناصر نبيه
ومن هذا القبيل قول اهل الجاهلية في حقه صلى الله عليه وسلم لما كان تاركا للمال
والجاه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من
القريتين عظيم وارادوا بالقريتين مكة والطائف كان كل اهل قرية قالوا هذه
المقالة فلف النشر اعتمادا على معرفة تلك الحالة فقال تعالى ردا عليهم اهم
يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الاية فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اي هذا الرجل وحده وكذا امثاله خير من ملء الارض
مثل هذا اي مثل الرجل الاول ووجهه والله اعلم ان الفقير لصفاء قلبه اقرب الى
قبول امر ربه والوصول الى مرتبة حبه بخلاف الاغنياء الاغبياء فان لهم الطغيان
والاستغناء والتكبر والخيلاء وقد قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في
الارض بغير الحق وهذا امر مشاهد يرى في تلامذة العلماء ومريدي الصلحاء والتابعين
او الانبياء السابقين الى العبادات من الصلاة وغيرها حتى الحج الذي لم يجب الا على
الاغنياء فالفائزون به لا سيما على وجه الاخلاص المبرأ من الاغراض الفاسدة والمكاسب
الكاسدة انما هم الفقراء هذا وقال شارح مثل منصوب على التمييز من ملء الارض
ويؤيده قول الطيبي وقع ملء الارض مفضلا عليه باعتبار مميزه وهو قوله مثل هذا
لان البيان والمبين شيء واحد انتهى ويمكن ان يكون نصبه بنزع الخافض ويؤيده
انه وقع في بعض النسخ بالجر اي من مثل هذا الرجل الاول لكن النسخ المصححة من نسخة
السيد وغيرها على الاول فهو المفعول ولا يعرف قول ابن حجر مثل هذا بكسر اللام ويكون
فتحها اثر المراد من الرجل الاول المعبر عنه بانه من اشراف الناس واحد من اغنياء المؤمنين

واما

واما عبر عن الخاص بلفظ العام للمبالغة في تحصيل المرام فان الغني بعبارة الخواص
والعوام ولا يتوهم ان المراد بالرجل الاول احد من الكفار لعدم انتظام الكلام ح
في قوله عليه الصلاة والسلام هذا خير بمعنى افضل منه اذ لا مفاضلة بين الكفار
واهل الاسلام لانه لا خير في كفار الانام حتى قال بعض العلماء الاعلام ان من قال
النصراني خير من اليهودي يخشى عليه اذ اثبت الخير فيمن لا خير فيهم وانما لم يجزم
بكفره لانه قد يقصد بالخير انه اقرب الى الحق ولذا قال تعالى لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى كما انه قد يقصد بالخير بمجرد زيادة الحسن ومنه قوله تعالى
اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا لكن ايراد الحديث في هذا الباب يدل
على ان ما ذكرناه هو الصواب وهو لا ينافي ما ذكره الغزالي ان عذاب الكافر الفقير
الذي اخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فما ظنك بنفعه
للابرار في دار القرار متفق عليه وعن عائشة قالت ما شبع ال محمد اي اهل بيته
من حرمه وخدمه من خبز الشعير يومين متتابعين اي بل ان حصل الشبع
يوما وقع الجوع يوما بناء على ما اختاره صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه خزائن الارض
وان يجعل جبال مكة ذهبا فاختار الفقر فقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر
لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر كما قال تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور اي لكل مؤمن كامل بالوصفين عالم عامل حتى اي استمر عدم الشبع على الوجه المذكور
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ودرعه مرهونة عند يهودي في جملة صاع
من الشعير وفيه رد على من قال صار صلى الله عليه وسلم في اخر عمره غنيا نعم وقع مال كثير في
يده لكنه ما امسكه بل صرفه في مرضاة ربه وكان دائما غني القلب بغنى الرب متفق عليه
ورواه الترمذي في شمائله عنها وروي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا اي جائعا هو واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر
خبزهم خبز الشعير وبهذا الحديث يتبين ان احدا في زماننا من الفقراء ما يعيش عيشه
صلى الله عليه وسلم وهو افضل الانبياء ففي فعله صلى الله عليه وسلم تسلية عظيمة للفقراء
كما ان في قوله حسبة للاغنياء فهو رحمة للعالمين وامام العالمين العاملين وعن
سعيد وفي نسخة ابي سعيد وهو خطأ مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة على
ما صرح به بعضهم وقال هو سعيد بن ابي سعيد المقبري واسم ابي سعيد كيسان وكان
يسكن عند مقبرة فنسب اليها انتهى ولم يذكرها المؤلف في اسمائه المقبري بفتح
الميم وسكون قاف وضم موحدة ويفتح ويكسر نسبة الى موضع القبور والمراد ابو سعيد
وابنه سعيد كذا في انساب المغني عن ابي هريرة انه مر بقوم بين ايديهم شاة مصلية
اسم مفعول من صلى على وزن مرمية اي مشوية فدعوه اي ابا هريرة الى اكلها

فأبي ان يأكل فامتنع من اكله اياها وقال اي معتذرا خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا
ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري وعن انس انه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم
بخبز شعير اي مصحوبا به واهالة بكسر الهمزة كل دهن يؤتدم به سنخة بفتح سين مهملة
وكسر نون وفتح خاء معجمة بعدها اي متغيرة الريح لطول المكث في النهاية قيل الاهالة
ما اذيب من الالية والشحم وقيل الدسم الجامد والسنخة المتغيرة الريح ولقد رهن
النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي واخذ منه شعيرا اي مقدارا
معينا من الشعير لاهل بيته ولعل وجه الاخذ منه ليكون الحجة بالغة عليه او تسترا
لحاله عن المسلمين او لئلا يثقل عليهم فيعطوه استحياء او لمرايا خذوا منه وقت العطا
ريا والاظهر انه مبالغة في تنزهه صلى الله عليه وسلم عن طلب الاجر من الامة ولو
صورة حيث قال تعالى قل لا اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على الله ونظيره ما وقع
لامامنا الاعظم حيث لم يقف في ظل جدار من كان يطالبه بدين معللا بحديث كل قرض
جر منفعة فهو ربي وقد روي ان الامام حمزة احد الائمة القراء السبعة الذي قال
الشاطبي في حقه من المنقبة * وحمزة ما ازكاه من متورع * اماما صبورا للقران مرتلا
كان لا يأخذ اجرا على الاقراء لانه تمذهب بحديث التغليظ في اخذ الاجرة عليه او من
كمال تورعه حتى عرض تلميذ له ما في يوم حر فابى وقيل انه وقع في بير فكل من جا ليستخرجه
منها سأله هل قرأت علي فيقول بلي فيمتنع ان يستعين به الى الخروج من الخلاء
الى الملاء واهل الكوفة كلهم كانوا من تلامذته فعجزوا حتى راوا اعرابيا فاتاه فاخرجه
منها بعد ان بين له انه قط ما قرأ عليه ولا سمع مما يقرأ لديه ولقد سمعته قال الطيبي
ضمير المفعول في سمعته عائد الى انس والفاعل هو راوي انس انتهى وتبعه ابن الملك
وغيره من الشراح اي قال راوي الحديث عن انس سمعت انسا يقول ما امسى اي للذخيرة عند
ال محمد صاع بر اي للقوت ولا صاع حب تعميم بعد تخصيص والمعنى انه لم يدخر في الليل
للغد والعشاء وانهم لتسع نسوة بكسر الهمزة والجملة حالية وفي بعض الروايات وان عنده
يومئذ لتسع نسوة وهذه الجملة من كلام الراوي قطعا لقوله عنده والتاويل
بالالتفات مما لا يلتفت اليه ولا يعول عليه وانما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم
الحق ان الضمير المفعول راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والفاعل هو انس كما صرح
به الشيخ ابن حجر العسقلاني ويدل عليه رواية احمد قال ولقد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخ ويؤيده قوله ما امسى عند ال محمد اذ لو كان من كلام الراوي
ناسب ان يقول عند النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم رواه البخاري وعن عمر
رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال
حصير بالاضافة اي على رمال من حصير قال شارح الرمال بكسر الراء وضمها جمع رميل
بمعنى مرمول اي منسوج ويستعمل في الواحد وهذا من اضافة الجنس الى النوع كخاتم فضة

والمراد

والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى وقيل الرمال ما رمل اي نسج قال الزمخشري
ونظيره الحطام والركام لما حطم وركم وقال غيره الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى
بمعنى مخلوقه والمراد انه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى
الحصير ذكره الطيبي لكن كون المراد بالحصير شريط السرير بعيد عند الفقير بل الظاهر
انه مضطجع على منسوج من حصير ليس بينه اي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينه اي
بين الحصير فراش اي لا من القطن ولا من الحرير قد اثر الرمال بجنبه من بدنه لا سيما عند كشفه
من ثوبه متكئا اي حال كونه معتمدا على وسادة اي مخدة من ادم بفتحتين اي جلد حشوها
اي حشو الوسادة ليف في القاموس ليف النخل بالكسر معلوم قلت يا رسول الله ادع الله
فليوسع على امتك بكسر السين المشددة وسكون العين على امتك اي فانهم لا يطيقون
متابعتك في تحمل محنتك فربما يتنفرون عن الميل الى ملتك فان فارس والروم قد
وسع عليهم وهم لا يعبدون الله وكان ابن الخطاب الناطق بالصواب الموافق رايه
للكتاب اخذ هذا المعنى من قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الاية ومفهومها انه ما وسع عليهم توسيعا
كليا ولا ضيق على المؤمنين تضييقا كليا وان كان ذلك مقتضى ظاهر القول من
تقسيم الدارين بين الفريقين كما اخبر به صلى الله عليه وسلم في حديث الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر للحكمة البالغة المانعة من ميل المؤمنين الى طريق الكافرين وهي
الحالة الوسطى بالنسبة الى عموم الخلق وان كانت المرتبة العليا بالاضافة الى الخواص
من الانبيا والاوليا كمال الزهد في الدنيا والقناعة باقل ما يتصور من متاعها ليكون
تمتعهم تاما في العقبى فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم او في هذا انت بفتح الواو وبعد
استفهام انكاري والمعطوف عليه مقدر اي اتقول هذا الكلام وانت الى الان في هذا
المقام ولم يحصل لك الترقي الى فهم المرام وقيل قدم الاستفهام لصدارته والواو لمجرد
الربط بين الكلام السابق واللاحق يا ابن الخطاب فقيل في خطابه بابن الخطاب دون
عمر ايذان بان الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل والعمى وكانه قال يا ابن ذلك
المقيد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم العقبى اولئك اي فارس والروم وساير
الكفار عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا اي كما اخبر الله في كتابه انه ينكر عليهم يوم القيامة
بخطابهم حيث قال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير
الحق وبما كنتم تفسقون هذا وقد قال الطيبي قوله فليوسع الظاهر نصبه ليكون
جوابا للامر اي ادع الله فيوسع واللام للتاكيد والرواية الجزم على انه امر للغائب
كانه التمس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء لامته بالتوسعة وطلب من الله الاجابة
وكان من حق الظاهر ان يقال ادع الله ليوسع عليك فعدل الى الدعاء للامة اجلالا له

لمحله صلي الله عليه وسلم واعلا منزلته من رسخ للنبوة ان يطلب من الله تعالى هذا الدني
الخسيس لنفسه النفيس ومع ذلك انكر عليه هذا الانكار البليغ وقوله او في هذا
مدخول الهمزة محذوف اي تطلب هذا او في هذا انت وكيف يليق بمثلك ان يطلب من الله
التوسعة في الدنيا وفي رواية اما ترضي ان تكون لهم الدنيا اي موسعة خاصة ولنا
الاخرة اي موسعة خالصة متفق عليه وروي ابن ماجة الرواية الاخيرة وعن
ابي هريرة قال لقد رايت سبعين من اصحاب الصفة وفي نسخة من اهل الصفة
وهم كانوا اربعمائة من المهاجرين تهيأوا لتعلم القران والخروج في السرايا لقتال
اهل الطغيان وكان ابو هريرة ناظرهم ونقيبهم ومتفقدا لهم ورقيبهم وكانوا
ياوون في صفة اخر مسجده صلى الله عليه وسلم وقد نزل في حقهم للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
تعرفهم بسيماهم لا يسالون الناس الحافا اي اصلا بل كانوا متوكلين ومتقنعين
بلقاط النواة ونحوها من جهة الزاد للمعاش والمعاد واما من جهة الكسوة فكما بينه
ابو هريرة بقوله ما منهم رجل عليه رداء ففي النهاية هو الثوب او البرد الذي يضعه
الانسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه قال السيد جمال الدين قوله فوق ثيابه
خلاف ما عليه ائمة اللغة وانما الرداء هو الذي يستر اعالي البدن فقط قلت
ويؤيده قوله اما ازار واما كساء اي ازار واحد يستر عورته واما كساء واحد يشتمل
به كما بينه بقوله قد ربطوا اي طرفه في اعناقهم وحاصل المعنى انه لم يكن له ثوب يتردى
به بل كان له اما ازار فحسب او كساء فحسب وفي العدول عن ضمير المفرد الى الجمع
في قوله قد ربطوا في اعناقهم حيث لم يقل قد ربطه في عنقه اشعار بان حال جميعهم
كان على هذا المنوال كما يفيده تنكير رجل واستغراق النفي زيادة المبالغة بزيادة
من في قوله منهم ثم تانيث الضمير في قوله فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها
ما يبلغ الكعبين مع انه راجع الى الكساء والازار باعتبار الجمعية في الاكسية
والازار او الاكسية وحدها لقربها ولمناسبة غيرها عليها ولها نظاير من قوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ومن قوله عز
وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فان المفرد
يدل على الجمع لا سيما اذا المراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتانيث لدلالته على
جمعية الجماعة كما قد يفرد باعتبار اللفظ وهو المعنى بقوله فيجمعه اي يجمع
الرجل ذلك الثوب من الكساء والازار بيده لئلا يفترق احد طرفيه من الاخر كراهة
ان ترى عورته اي في نظر غيره او حال صلاته هذا وقد قال الطيبي التانيث باعتبار
الجمعية في الاكسية والازار وتعدد المكتسيين والافراد في يده باعتبار الرجل المذكور
رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا نظر احدكم الى من فضل عليه بصيغة المجهول من التفضيل اي زيد عليه في المال والخلق
اي في الصورة او الخدم والحشم وحاصله انه اذا راى احدكم من هو اكثر منه
حشمة ومالا ولباسا وجمالا ولم يعرف ان له في الاخرة ثوابا فلينظر الى من هو اسفل
منه بفتح اللام وبضم اي من هو دونه في الدنيا واقل رتبة منه مالا ومنالا ولعله في الاخرة
الدرجة العليا مالا وفي الحديث دلالة على ان اكثر الخلق هو الاعتدال ولو بحسب
الاضافة والانتقال فالسالك بالنظر الى حال طرفيه يحصل له حسن الحال واما النبي لان
المفضل على الخلق كلهم من جميع الوجوه مثلا او فرضا لا ينظر الى من تحته لئلا يحصل له
العجب والغرور والافتخار والتكبر والخيلاء بل يجب عليه ان يقوم بحق شكره على النعماء
واما من لم يكن تحته احد في الفقر فينبغي ان يشكر ربه حيث لم يبتله بالدنيا وقلة غنائها
وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها ولذا كان الشبلي اذا راى احدا من ارباب
الدنيا قال اللهم اسالك العفو والعافية في الدنيا والعقبى وبينا سببه ما حكي
ان شخصا من الفقراء قام في مجلس واعظ من الاولياء وشكى انه لم ياكل كذا مدة
في الخلاء والملا فقال الشيخ كذبت يا عدو الله فانه لا يعطي الجوع الشديد الا الاصفياء
وخاصة انبيائه وخلاصة اوليائه ولو كنت منهم لما ظهرت هذه الشكاية
من الحلو هذه الغاية ومجمل الحال وخلاصة المقال ان المؤمن اذا سلم دينه من الخلل
والزوال فلا يبالي بنقصان الجاه والمال وساير المشقات الكائنة في الحال والاستقبال
كما روي ان صاحبا للغزالي ضرب وحبس فشكى اليه فقال اشكر فان البلاء قد يكون اعظم
من هذا ثم طرح في بير من السجن فشكى اليه وربما سبق عليه ثم اتي بيهودي يسهل
كل ساعة ووضع معه متسلسلا بسلسلة يحتاج كل نفس الى مرافقته ومصاحبته
مع ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة في كل آن فشكى الى الامام من ضيق الصدر
فامره بالشكر والصبر فاجاب جزعا اي بلاء اشد من هذا العذاب فقال الامام في الجواب
هو ان يوضع في رقبتك طوق الكفر والحجاب ويسلك بك عن صوب الصواب ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب متفق عليه
رواه احمد وفي رواية لمسلم وقد اخرجه احمد والترمذي وابن ماجة عنه ايضا مرفوعا
قال انظروا الى من هو اسفل منكم اي دونكم رتبة ولا تنظروا الى من هو فوقكم مرتبة فهو
اي النظر المذكور اثباتا ونفيا اجدر اي احق واولي ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
اي لعدم الازدراء والاحتقار لما قسم الله عليكم في هذه الدار فانه يظهر لكم بذلك
النظر ان لله تعالى عليكم نعما كثيرة بالنسبة الى من دونكم او نعما كثيرة حيث اختار لكم الفقر
والبلاء وجعلكم من اهل الولاء وشبهكم بالانبياء والاولياء وخلصكم عن ظلم الامراء وظلمة
الاغنياء

الفصل الثاني

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدخل الفقراء اي الصابرون وقيل لو كانوا شاكرين الجنة قبل الاغنياء اي الشاكرين

بخمسمائة عام اي سنة نصف يوم بالجر على انه صفة فارقة او بدل او عطف بيان عن خمسمائة عام فان اليوم الاخروي مقدار طوله الف سنة من سني الدنيا لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فنصفه خمسمائة واما قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمخصوص من عموم ما سبق او محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوي حتى يصير كساعة بالنسبة الى الابرار كما يدل عليه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال الاشرف فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله باربعين خريفا قلت يمكن ان يكون المراد من الاغنياء في الحديث الاول اغنياء المهاجرين اي يسبق فقراء المهاجرين الى الجنة باربعين خريفا ومن الاغنياء في الحديث الثاني الاغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فالاولى حمل الحديث على معنى يفهم الحكم عموما وهو ان يقال المراد بكل من العددين انما هو التكثير لا التحديد فتارة عبر به واخرى بغيره تفننا ومآلها واحد او اخبر اولا باربعين خريفا كما اوحي اليه ثم اخبر ثانيا بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته صلى الله عليه وسلم او التقدير باربعين خريفا اشارة الى اقل المراتب وبخمسمائة عام الى اكثرها ويدل عليه ما رواه الطبراني عن مسلمة ابن مخلد ولفظه سبق المهاجرون الناس باربعين خريفا الى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية مائة خريف الثاني فالمعنى ان يكون الزمرة الثالثة مائتين وهلم جرا وكانهم محصورون في خمس زمر والله اعلم او الاختلاف باختلاف مراتب اشخاص الفقراء في حال صبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الاظهر المطابق لما في جامع الاصول حيث قال وجه الجمع بينهما ان الاربعين اراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص واراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظن ان هذا التقدير وامثاله يجري على لسان النبي صلى الله عليه وسلم جزافا ولا بالاتفاق بل لسر ادركه ونسبة احاط بها علمه فانه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى رواه الترمذي اي وقال حسن صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه قال المنذري ورجاله محتج بهم في الصحيح ورواه ابن ماجه بزيادة من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمرو عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم احيني مسكينا ولم يقل فقيرا لئلا يتوهم كونه محتاجا فقيرا فيما فيه دعاؤه اللهم اجعلني في نفسي صغيرا وفي اعين الناس كبيرا واما المسكين فهو من مادة المسكنة وهو التواضع على وجه المبالغة ولو افضى الى المذلة او من السكون والسكينة وهو الوقار والاطمئنان والقرار تحت احكام الاقدار رضا بقضاء الجبار وقال بعضهم اي اجعلني متواضعا لا جبارا متكبرا وفيه تعليم للامة

ليعرفوا

ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم وفيه تسلية للمساكين وتنبيه على علو درجاتهم ويجوز ان يراد بهذا ان يجعل قوته كفافا ولا يشغله المال فان كثرة المال في حق المقربين مؤنة من الوبال في خشية المآل وخشونة الحال واحتفى وفي رواية للحاكم وتوفني مسكينا دل عليه انه صلى الله عليه وسلم كان على وصف المسكنة الى اخر العمر واحشرني في زمرة المساكين اي في فريقهم وجماعتهم وفيه مبالغة لا تخفى لانه لو قال واحشرهم في زمرتي لكان لهم فضل كثير وعلو كبير ونظيره ما قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم حيث لم يقل كفضلي على اعلاكم هذا وقد مر بعض سلاطين الاسلام على طائفة من الفقراء والصلحاء الكرام فلم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا عليه فقال من انتم فقالوا نحن قوم محبتنا ترك الدنيا وعداوتنا ترك العقبى فجاوزهم وتجاوز عنهم وقال نحن لم نقدر على محبتكم ولا طاقة لنا على عداوتكم فقالت عائشة لم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاي شيء دعوت هذا الدعاء واخترت الحياة والممات والبعث مع المساكين دون الفقراء دون الاغنياء قال انهم استئناف في معنى التعليل اي لانهم مع قطع النظر عن بقية فضائلهم وحسن اخلاقهم وشمائلهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم اي زمانا ومكانا ومكانة باربعين خريفا والاكتفاء به لانه اقل موعود في مدة المسابقة كمضاعفة الحسنة بالعشرة في الطاعة يا عائشة لا تردي المسكين اي لا ترديه خائبا بل سامحيه جائيا وثانيا واحسني اليه كثيرا او قليلا ولو بشق تمرة اي بنصفها او ببعضها او رديه ردا جميلا تستحقي به جزاء جميلا جزيلا ولذا لما وقف مسكين عندها واعطته حبة عنب بقيت في يدها وعاتبها المسكين عليها واستدرك ما لقي من الفهم اليها قالت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والحبة مشتملة على مقدار كذا من الذرة يا عائشة احبي المساكين اي بقلبك وقربيهم اي الى مجلسك حال تحديثك فان الله يقربك يوم القيامة اي بتقريبهم تقربا الى الله سبحانه رواه اي الحديث بكماله الترمذي والبيهقي في شعب الايمان اي عن انس وروي وفي نسخة ورواه ابن ماجه عن ابي سعيد الى قوله زمرة المساكين قال ميرك نقلا عن المنذري ورواه الحاكم اي عن ابي سعيد وزاد ان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة وقال صحيح الاسناد ورواه ابو الشيخ والبيهقي عن عطاء بن ابي رباح سمع ابا سعيد يقول ايها الناس لا يحملنكم العسرة على طلب الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين فان اشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الاخرة قال ابو الشيخ زاد فيه غير ابي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمن ولا تحشرني في زمرة الاغنياء قلت ان لم يكن دليلا اخر غير هذا الحديث الشريف لكفى حجة واضحة وبينة لائحة على ان الفقير الصابر خير من الغني الشاكر واما حديث الفقر فخري وبه افتخر فباطل لا اصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره واما حديث

له

كان الفقر ان يكون كفرا فهو ضعيف جدا او على تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي
المؤدي الى الجزع والفزع بحيث يفضي الى عدم الرضى بالقضا والاعتراض على تقسيم رب الارض
والسما ولذا قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
وقد روي الفقر زين على المومن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني عن شداد
ابن اوس وروي الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة رواه الديلمي في مسند
الفردوس عن انس وروي الفقر امانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد اخوانه
المسلمين رواه ابن عساكر عن عمر وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ابغوني
بهمزة قطع مفتوحة وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة اي اطلبوا رضاي في ضعفائكم
اي فقرائكم بالاحسان اليهم والتلطف بهم ولو من اغنيائكم بالمساعدة لديهم فانما ترزقون
اي رزقا حسيا ومعنويا او تنصرون اي على الاعداء الظاهرة والباطنة والواو
للتنويع ويؤيده رواية الواو ويحتمل ان يكون او للشك من الراوي بضعفائكم اي
ببركة وجودهم واحسانكم اليهم وجودهم اذ منهم الاقطاب والاوتاد وبهم نظام البلاد
والعباد قال ابن الملك يعني اطلبوا الي حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فاني معهم
بالصورة في بعض الاوقات وبالقلب في جميعها لاعلم من شرفهم وعظيم منزلتهم
عند الله تعالى فمن اكرمهم فقد اكرمني ومن اذاهم فقد اذاني انتهى ويؤيده
الحديث القدسي من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب قال الطيبي قوله ابغوني
بهمزة القطع والوصل يقال بغى يبغي بغاء اذا طلب وهذا نهي عن مخالطة الاغنياء
وتعليم منه انتهى ويؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء
وفي مختصر النهاية ابغ اي ابغني كذا بهمزة الوصل اي اطلبه لي وبهمزة القطع اعني على الطلب
وفي القاموس بغيته طلبته وابغاه الشيء طلبه له كبغاه اياه كرماه او اعانه على
طلبه رواه ابو داود وكذا الترمذي والنسائي وقال الترمذي حسن صحيح نقله
ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ ابغوني الضعفا فانما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم رواه احمد والثلاثة والحاكم وابن حبان عنه وعن امية بالتصغير
ابن خالد بن عبد الله بن اسيد بفتح فكسر لم يذكره المؤلف في اسمائه ونقل ميرك
عن التصحيح انه قال ابن عبد البر امية بن خالد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذكر هذا الحديث وقال لا يصح عندي صحبته والحديث مرسل قلت مرسل التابعي
حجة عند الجمهور فكيف مرسل من اختلف في صحة صحبته عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان يستفتح اي يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى بصعاليك
المهاجرين اي بفقرائهم وببركة دعائهم وفي النهاية اي يستنصر بهم ومنه قوله
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعداء
بحق عبادك الفقراء المهاجرين وفيه تعظيم الفقراء والرغبة الى دعائهم والتبرك

بوجوههم

بوجوههم اقول ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لانهم فقراء غرباء مظلومين مجتهدين
مجاهدين فيرجى تاثير دعائهم اكثر من عوام المؤمنين واغنيائهم والصعاليك
جمع الصعلوك كعصفور الفقير على ما في القاموس رواه اي البغوي في شرح السنة
باسناده وحيث اطلقه وما بين ارساله دل على انه قال بصحبة الراوي واتصال سنده
مع انه معتضد في المعنى بما سبق من حديث انما تنصرون بضعفائكم ثم رايت في
الجامع انه رواه ابن ابي شيبة والطبراني عن امية بن عبد الله ولفظه كان صلى
الله عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة
فاجرا اي كافرا او فاسقا بنعمة اي بنعمة هو فيها من طول عمر او كثرة اولاد او سعة
مال وجاه بان تطلب زوالها عنه او تريد مثلها لنفسك فانك لا تدري ما هو لاق
اي ملاق في مقابلة تلك النعمة من النقمة والمحنة بعد موته اي في القبر والحشر
ان له اي للفاجر عند الله اي قاتلا مهلكا له ومعذبا عذابا شديدا من شانه ان
يقتل لا يموت اي لا يفنى ولا ينعدم فذلك القاتل بل موجود دائما ولا ينقطع يعني
النار قال الطيبي هذا تفسير عبد الله بن مريم راوي ابي هريرة كذا في شرح السنة
انتهى وقال الجزري قيل قوله قاتلا بهمزة مكسورة من القيلولة اي مقيلا باقيا يعني
يحشر معه النار وتقيل حيث قال وتبيت حيث بات وقيل هو بالتاء المثناة من
فوق اي من تقتله اي النار رواه البغوي في شرح السنة اي باسناده وفي الجامع
رواه البيهقي في الشعب عنه ولفظه لا تغبطن فاجرا بنعمة ان له عند الله قاتلا
لا يموت وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا
سجن المومن اي حبسه وعذابه بالنسبة الى ما اعد الله له في دار الاخرة من نعيمه وثوابه
وسنته بفتحتين اي قحط وشدة معيشته ولذا روي المؤمن لا يخلو من قلة او علة او ذلة
وقد يجتمع للمؤمن الكامل جميع ذلك قال الطيبي السنة من الاسماء الغالبة للقحط وقال
ابن عطاء ما دمت في سنة الدنيا لا تستغرب وقوع الاكدار بل استغرب خلاف ذلك ان وقع
شيء هنالك واذا فارقت الدنيا اي المؤمن فارق السجن والسنة ولعل الجمع بينهما لدفع
ما يتوهم ان السجن قد يكون فيه السعة كما قد يقع نادرا فدفع هذا الوهم بقوله والسنة
فيكون زيادة من باب التذييل والتكميل والطول فيما سبق من الحديث الصحيح اعتمادا
على غالب الاحوال مع انه لا يخلو من نوع ضيق مكان وبطء رزق وتشتت البال
ولو قام يجد منه الحال رواه في شرح السنة وقد اخرجه ابن المبارك والطبراني
عنه قال ميرك ورواه الحاكم في صحيحه لكن في سنده عبد الله
ابن ايوب المعافري انتهى وقد سبق طرف هذا الحديث وبعض معانيه في اول الباب
والله اعلم بالصواب قال الامام الحافظ ابو القاسم الوراق ان قيل كيف يكون معنى

الحديث وقد نرى مؤمنا في عيش رغد وكافرا في ضنك وتقرير قلنا الجواب من وجهين
احدهما ان الدنيا كالجنة للكافر في جنب ما اعد الله له من العقوبة في الاخرة وانها
كالسجن للمؤمن بالاضافة الى ما وعده الله له من الثواب في الاخرة ونعيمها فالكافر
يحب المقام فيها ويكره مفارقتها والمؤمن يتشوق الخروج منها ويطلب الخلاص من
آفاتها كالمسجون الذي يريد ان يخلي سبيله الثاني ان يكون هذا صفة المؤمن المتكمل
الايمان الذي قد عزف نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها فصارت عليه بمنزلة السجن
في الضيق والشدة واما الكافر فقد اهمل نفسه وامرها في طلب اللذات وتناول
الشهوات فصارت الدنيا كالجنة له في السعة والنعمة وعن قتادة بن النعمان بضم
اوله قال المؤلف انصاري عقبي بدري شهد المشاهد كلها وروى عنه اخوه لامه ابو سعيد
الخدري وعمر ابنه وغيرهما مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة وصلى عليه
عمر وكان من فضلاء الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا حماه الدنيا
اي حفظه من مال الدنيا ومنصبه وما يضر بدينه وتقصد في العقبى قال الاشرف اي منعه
عنها ووقاه من ان يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بداء محبتها كما يظل بفتح الظاء من ظل
زيد صائما اي صار والمعنى كما يكون احدكم يحمي سقيمه اي مريضه لاسيما اذا كان معه
مرض الاستسقاء او ضعف المعدة ونحوه مما يضره الماء فيمنعه الماء اي لئلا يزيد مرضه
ليشربه ولا ينظر الى راي العليل من طلب الماء وحبه مع ان الماء ارخص شيء غالبا فلا يتصور
فيه البخل خصوصا بالنسبة الى المريض الذي يحن عليه كل احد والحاصل ان الحكمة
تقتضي ان المحبوب عند اهله وآله يكون ممنوعا من كل شيء يضره في حاله رواه احمد والترمذي
ولفظ الجامع اذا احب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمي احدكم سقيمه الماء رواه الترمذي
والحاكم والبيهقي في الشعب وفي رواية للبيهقي عن حذيفة ان الله يحمي عبده المؤمن
كما يحمي الراعي الشفيق غنمه عن مرتع الهلكة وهذا المعنى مقتبس من [illegible] التنزيل
وهو قوله انت ارحم الراحمين وعن محمود بن لبيد بفتح فكسر قال المؤلف انصاري
اشهلي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عنه احاديث قال البخاري له
صحبة وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين في الطبقة الثانية
منهم قال ابن عبد البر والصواب قول البخاري فاثبت له صحبة وكان محمود احد
العلماء روى عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اثنتان اي خصلتان يكرههما اي بالطبع ابن آدم وانهما خير له
بالشرع كما يبينه بقوله يكره الموت [illegible] والموت خير للمؤمن من الفتنة قال ابن الملك
الفتنة التي الموت خير منها هي الوقوع في الشرك او فتنة ينشأ الانسان ويجري
على لسانه ما لا يليق وفي اعتقاده ما لا يجوز وقال الراغب الفتنة من الافعال
التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير

ذلك

ذلك من الافعال الكريهة قال الطيبي وقد يكون الفتنة مثل الارتداد واكراه الغير
على المعاصي واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اردت فتنة في قوم فتوفني
غير مفتون قلت وقد اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابي عبد الله الصنابحي قال الدنيا
تدعو الى الفتنة والشيطان يدعو الى الخطيئة ولقاء الله خير من الاقامة معهما ويكره قلة
المال وقلة المال اقل للحساب اي والعذاب من العذاب رواه احمد وكذا سعيد بن منصور
في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد واخرج البيهقي في شعب الايمان عن زرعة
ابن عبد الله مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحب الانسان الحياة والموت خير
لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال اقل لحسابه هذا واخرجه الحاكم في
المستدرك والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد والبيهقي في شعب الايمان
عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت واخرج
المروزي في الجنائز وابن ابي شيبة في المصنف والطبراني عن ابن مسعود قال ذهب
صفو الدنيا فلم يبق منها الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم واخرج المروزي وابن ابي
الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر والموت واخرج
احمد في الزهد وابن ابي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء ربه واخرج
ابن ابي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة قلت
وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات واخرج ابن ابي شيبة في المصنف
وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن
مسعود قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة فان كان برا فقد
قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال عز وجل ولا تحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وعن عبد الله بن مغفل
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني احبك اي حبا بليغا او الا فكل مؤمن
يحبه قال انظر ما تقول اي تفكر فيما تقول فانك تدعي امرا عظيما وتقصد خطبا جسيما
فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات ظرف لقال قال ان كنت صادقا اي في دعوى محبتي وعلى
تحمل محنتي ولفظ الجامع ان كنت تحبني فاعد اي فهيئ للفقر اي بالصبر عليه بل الشكر
والميل اليه تجفافا بكسر الفوقية وسكون الجيم اي درعا وجنة ففي المغرب هو شيء
يلبس على الخيل عند الحرب كانه درع تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة
انتهى فتاؤه زائدة على ما صرح به في النهاية وفي القاموس التجفاف بالكسر آلة
للحرب يلبس الفرس والانسان ليقيه في الحرب فمعنى الحديث ان كنت صادقا في الدعوى
ومحقا في المعنى فهيئ آلة تنفعك حال البلوى فان البلاء والولاء متلازمان في
الخلاء والملاء ومجمله انه تهيأ للصبر خصوصا على الفقر لتدفع به عن دينك بقوة
يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة وكني

بالتجافي عن الضر لانه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر للفقر بلام
مفتوحة وفي لام الابتدا اسرع الي من يحبني من السيل اي الماء الكثير الي منتهاه
والمعني انه لا بد من وصول الفقر بسرعة اليه ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه
فان اشد الناس بلاء الانبيا ثم الامثل فالامثل تشبيها بالانبيا فيكون بلاؤه اشد من
بلائهم ويكون لاتباعه نصيب علي قدر ولائهم والمرء مع من احب ومشاركة فيما كره
واجب وفيه ان الفقر اشد البلايا لاشتماله علي جميع المحن والرزايا لكنه مع
مرارته في الدنيا فورث حلاوة في العقبي بمزيد العطايا رواه الترمذي وكذا احمد
وقال اي الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن انس قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم لقد اخفت مجهول ماض من الاخافة اي خوفت في الله اي في اظهار
دينه وما يخاف بصيغة المجهول اي مثل ما اخفت اي غيري ولقد اوذيت اي بالفعل بعد
التخويف بالقول في الله اي في سبيله وطريق رضاه وما يوذي احد اي خوفت وحدي
واذيت بانفرادي وفائدة التقييد بالجملة الحالية في الجملتين ان امرهما صعب في
تلك الحالتين فان البلية اذا عمت طابت وخلاصة المعني انه حكاية حال لا شكاية
بال للتحدث بالنعمة والتوفيق بالصبر علي المحنة الي ان تنتهي الي المنحة علي ما تقتضيه
المحنة وتسلية للامة لا زالة ما قد يصيبهم من النقمة اي كنت وحيدا في ابتداء
اظهاري للدين فخوفني في ذلك واذاني الكفار الملاعين ولم يكن معي احد حينئذ يوافقني
في تحمل الاذي الا مساعدة المولي ومعاونة الرفيق الاعلي ثم بين انه كان مع ذلك كله
قلة الزاد وعدم الاستعداد بقوله ولقد اتت اي مضت علي ثلثون من بين ليلة
ويوم اي من بين اوقات وهي الليلة واليوم وقال الطيبي تاكيد للشمول اي ثلثون
يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شيء من الزمان وما لي اي والحال انه ليس لي ولبلال
طعام ياكله ذو كبد بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف محله اي حيوان
قال الطيبي اي معنا طعام سواء كان مما ياكل الدواب او الانسان الا شيء اي قليل يواريه
اي يستره ويغطيه ابط بلال بكسر الهمزة وسكون الموحدة ويكسر ففي الصحاح الابط بسكون الباء
ما تحت الجناح وفي القاموس الابط ما تحت المنكب وبكسر الباء وقد يونث والمعني
ان بلالا كان رفيقي في ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام الا شيء قليل بقدر ما ياخذه
بلال تحت ابطه ولم يكن لنا ظرف الطعام فيه رواه الترمذي وفي الجامع بتقديم لقد اوذيت
رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عنه قال اي الترمذي وفي نسخة وقال ومعني
هذا الحديث حين خرج النبي صلي الله عليه وسلم هاربا من مكة اي فارا من الخلق الي الله كما قال
تعالي ففروا الي الله روي انه صلي الله عليه وسلم خرج من مكة هاربا الي عبد ياليل بالطائف ليحميه
من كفار مكة حتي يودي رسالة ربه فسلط عليه صبيانه فرموه بالاحجار حتي ادموا
كعبه صلي الله عليه وسلم كذا ذكره بعضهم وفي المواهب اللدنية ان خروجه عليه السلام الي

الطائف كان بعد موت خديجة بثلاثة اشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة
لما ناله من قريش بعد موت ابي طالب وكان معه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف
الي الله تعالي فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسي بن عقبة ورجموا
عراقيبه بالحجارة حتي اختضبت نعلاه بالدماء وغيره وكان اذا اذلقته الحجارة قعد
الي الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشي رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتي لقد شج في راسه شجاجا وفي الصحيحين عن عائشة انها قالت للنبي
صلي الله عليه وسلم هل اتي عليك يوم اشد من يوم احد قال لقيت من قومك وكان اشد
ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي علي عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الي ما اردت
فانطلقت وانا مهموم علي وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا
بسحابة قد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك
وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي
ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتامرني
بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين وفي القاموس هما جبلا مكة ابو قبيس والاحمر
او جبلا مني فقال النبي صلي الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده
لا يشرك به شيئا وعبد ياليل بتحتانية بعدها الف فلام مكسورة فتحتانية ساكنة فلام
ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام وكان ابن عبد ياليل من اكابر الطائف من ثقيف وقرن
الثعالب هو ميقات اهل نجد ويقال له قرن المنازل وروي الطبراني في كتاب الدعاء عن
عبد الله بن جعفر قال لما توفي ابو طالب خرج النبي صلي الله عليه وسلم ماشيا الي الطائف فدعاهم
الي الاسلام فلم يجيبوه فاتي تحت ظل شجرة فصلي ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
الي من تكلني الي عدو بعيد يتجهمني اي يلقاني بالغلظة ووجه كريه علي ما في النهاية ام الي
صديق قريب كلفته امري ان لم تكن غضبان علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ
بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان تنزل علي غضبك
او تحل بي سخطك لك العتبي حتي ترضي ولا حول ولا قوة الا بك ثم قوله معه بلال لا ينافي
كون زيد بن حارثة معه ايضا مع احتمال تعدد خروجه عليه السلام لكن افاد بقوله معه
بلال انه ان لم يكن هذا الخروج من مكة الي المدينة لانه لم يكن معه بلال حينئذ انما كان
مع بلال من الطعام ما يحمل تحت ابطه وهو كناية عن كمال قلته وخفة مؤنته وعن ابي
طلحة قال شكونا الي رسول الله وفي نسخة الي النبي صلي الله عليه وسلم الجوع فرفعنا عن
بطوننا اي فكشفنا ثيابنا عنها كشفا صادرا عن حجر حجر اي لكل منا حجر فرفع رسول الله صلي
الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين قال الطيبي عن الاولي متعلقة برفعنا علي تضمين
الكشف والثانية صفة مصدر محذوف اي كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر ويجوز ان يكون

في الهجرة صح

التنكير في حجر على النوع اي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلا وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه ان يشد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه انتهى وتوضيحه ان تعلق حرفي جر بمعنى لعامل في مرتبة واحدة غير جائز واما تعلق الثاني بعد تقييده الاول فجائز كما تقرر في محله فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لاعتماده عليه واما تجويز البدل على انه بدل اشتمال باعادة الجار مع ان بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبني على ان يراد بالحجر النوع والتقدير عن حجر مشدود عليها وكلام الطيبي يوهم ان القول بالبدل كلامه وقد نقل ميرك عن زين العرب انه قال بدل اشتمال كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق ثم قيل فائدة شد الحجر على البطن ان لا يدخل النفخ في الامعاء الخالية وان تقرر شد الامعاء اعانة على شد الصلب وقيل انما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن وينزل المعي فيشق التحرك فاذا ربط حجرا على بطنه ليشد بطنه وظهره نسهل عليه الحركة واذا اشتد الجوع يربط حجرين فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثرهم جوعا واكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين قال صاحب المظهر وهذا عادة اصحاب الرياضة وقال ابن حجر هذا عادة العرب او اهل المدينة وقال صاحب الازهار في ربط الحجر على البطن اقوال احدها ان ذلك احجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا اذا جاع احدهم يربط على بطنه حجرا من ذلك وكان الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع والحرارة وقال بعضهم يقال لمن يؤمر بالصبر اربط على قلبك حجرا فكانه صلى الله عليه وسلم امر بالصبر وامر امته هو بالصبر قالا وحالا والله اعلم رواه الترمذي اي في جامعه وقال هذا حديث غريب وهو ما ينفرد بروايته عدل ضابط من رجال النقل فان كان المنفرد بروايته متنه فهو غريب متنا او بروايته عن غير المعروف عنه من كان يعرف الحديث عن صحابي فيرويه عدل وحده عن صحابي اخر فهو غريب اسنادا وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الوجه وقد صرح في التسهيل بقوله هذا حديث غريب من حديث ابي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه انتهى فتحرر انه ناشئة عن طريق ابي طلحة لا من سائر الطرق مع انه قال ميرك رواته ثقات **وعن** ابي هريرة انه اصابهم اي الصحابة والظاهر انهم اصحاب الصفة جوع اي شديد والظاهر انه في سفر لعبيه فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة تمرة اي مقدارا قليلا من التمر عند توزيعه عليهم وتقسيمه اليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة اذ كانوا اربعة او اكثر وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت تمرتها رفع المحنة وحبتها تجب المحبة التي فوق كل منحة رواه الترمذي **وعن** عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اي ابن عمرو على ما صرح به في الجامع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابرا شاكرا اي مومنا كاملا لقوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور وفي الحديث الايمان نصفان

نصفه

نصفه صبر ونصفه شكر فالصبر عن السيئات والشكر على الطاعات وزاد في الجامع ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا من نظر في دينه اي خصلة من نظر في امر دينه من الاعمال الصالحة الى من هو فوقه اي الى من هو اكثر منه علما وعبادة وقناعة ورياضة احياء وامواتا فاقتدى به اي في الصبر على مشاق الطاعات وعن ارتكاب السيئات او تاسف على ما فاته من الكمالات ويمكن ان يكون قوله من نظر استئنافا مبينا للصابر والشاكر المتضمن للخصلتين المبهمتين احدهما هذه والثانية مبينة بقوله ونظر في دنياه الى من هو دونه اي الى اقل منه واقل منه مالا وجاها فحمد الله على ما فضله الله عليه اي فشكره على ما زاده عليه من فضله وفي رواية الجامع فحمد الله على ما فضله به كتبه الله شاكرا اي للخصلة الثانية صابرا اي للخصلة السابقة ففيه لف ونشر مشوش اعتمادا على فهم ذوي العقول بالنسبة الى الفذلكة وان كان مرتبا باعتبار المقدمة ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتبار المنطوق اقوى انعما صرح بما علم ضمنا حيث قال ومن نظر في دينه الى من هو دونه اي في الاعمال الصالحة والنتيجة الغرور والعجب والخيلاء ونظر في دنياه الى من هو فوقه اي من اصحاب المال والجاه والنتيجة الحرص والامل والريا فاسف بكسر السين اي حزن على ما فاته منه اي من المال او غيره بعدم وجوده او بحصول فقده وقد قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وروي عنه صلى الله عليه وسلم من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا لعدم صدور واحد منه بل قام بضدهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان رواه الترمذي وذكر حديث ابي سعيد اي في ضمن حديث طويل صدره يناسب باب القراءة ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين اي بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة رواه ابو داود اي بغير عنوان بعد فضائل القران اي بعد كتاب فضائل القران

الفصل الثالث

عن ابي عبد الرحمن الحبلي بحاء مهملة وموحدة وضمهما قال المؤلف اسمه عبد الله بن يزيد المصري تابعي قال سمعت عبد الله بن عمرو بالواو وقال الطيبي لا بد من محذوف اي سمعته يقول فهو لا يفسره ما بعده اقوله ويمكن ان يقدر مضاف ويقال سمعت قول ابن عمرو وساله اي وقد ساله رجل قال اي الرجل السائل مبين الستا اي نحن واياك لنا من فقراء المهاجرين اي من خواصهم الذين يسبقون اغنياءهم فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها اي تنضم وتسكن اليها وتقبل عليها قال نعم قال الك مسكن بفتح الكاف وكسرها اي مكان تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء اي اغنياء المهاجرين فان فقراءهم ما كان لهم امراة ولا مسكن وان كان لاحدهم احدهما ما كان له الاخر منهما قال فان لي خادما اي عبدا او جارية

في باب م

اواجيرا زيادة على ما سبق قال فانت من الملوك اي ولا يصح ان يقال لك الصعلوك فلست من صعاليك المهاجرين ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى وجعلكم ملوكا على ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله وجعلكم ملوكا قال الزوجة والخادم والدار يسمي ملكا قال عبد الرحمن هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة وصوابه ابو عبد الرحمن لما سبق قال السيد جمال الدين المحدث هكذا في اكثر نسخ المشكوة التي رايناها وهو غلط ظاهر والصواب ابو عبد الرحمن وهو راوي الحديث كما في مسلم وجاء ثلاثة نفر بالاضافة كقوله تعالى تسعة رهط والجملة عطف على قوله وسأله رجل اي والحال انه اتى ثلاثة نفر الى عبد الله بن عمرو وانا عنده فقالوا يا ابا محمد والله لا نقدر على شيء لا نفقة نفقتهم مبين ولا دابة اي نجاهد عليها او نحج بها ولا متاع اي زائد يباع ويصرف ثمنه في النفقة والدابة فقال لهم ما شئتم ما استفهامية مبتدأ اي اي شيء شئتم ويمكن ان تكون موصولة مبتدأ والخبر محذوف اي ما اردتم من الامور المعروضة عليكم فعلناه ان شئتم اي ان نعطيكم شيئا من عندنا رجعتم الينا فانه لا يحضرنا الان شيء فاعطيناكم اي بعد هذا ما يسر الله لكم اي ما سهله علي ايدينا وان شئتم اي ان نرفع امركم الى الخليفة ومن يقوم مقامه ذكرنا امركم للسلطان اي للمتسلط على خزائن بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال وان شئتم صبرتم اي على هذا الحال فانه مقام ارباب الكمال واصحاب حسن المآل وطيب المنال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء اي اغنياءهم فضلا عن غيرهم يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا اي سنة قالوا فانا نصبر لا نسأل شيئا اي حال كوننا لا نطلب شيئا من احد بعد ذلك رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال بينا وفي نسخة بينما انا قاعد في المسجد اي مسجد المدينة وحلقة بفتح فسكون وبفتح اي وجماعة متحلقة وقلوبهم بهم متعلقة من فقراء المهاجرين قعود اي قاعدون اذ ورد قعود ففي القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها ويكسر او ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او لغة ضعيفة والجمع حلق محركة او كبدر اذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم فقعد اليهم اي فجلس متوجها الى الفقراء لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الاية فقمت اليهم اي مائلا اليهم ميلا للمتابعة ونيلا للمقربة لديهم وللاطلاع على كلام من طلع عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليبشر امر مجهول من التبشير ويجوز من البشارة اديد به الخبر او الدعاء فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم بالنصب اي بشيء يفرح قلوبهم ويظهر اثر السرور على ظاهر اسرة بشرتهم والطف جلدتهم وفي نسخة برفع وجوههم فتكون اللام للتعدية بما يسر به وجوههم فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء باربعين عاما قال اي ابن عمرو فلقد اللام جواب القسم اي فوالله لقد رأيتها لوانهم اسفرت اي اضاءت من الاسفار وهو اشراق اللون

قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة والصبح اذا اسفر وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر قال عبد الله بن عمرو حتى تمنيت متعلقة باسفرت اي اشرقت اشراقا كاملا تاما حتى وددت ان اكون معهم اي في الدنيا دائما موصوفا بحالهم او منهم اي في العقبى محشورا في زمرتهم وحسن ما الطرف او للتنويع او للشك والمعنى احببت ان اكون من جملة فقراء المهاجرين رواه الدارمي ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد ولفظه ليبشر فقراء المؤمنين بالفوز يوم القيامة قبل الاغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة يتنعمون وهؤلاء يحاسبون وعن ابي ذر قال امرني خليلي ورسولي بسبع اي بسبع خلال امرني بحب المساكين والدنو منهم اي والقرب من حالهم او التقرب من مالهم وامرني ان انظر الى من هو دوني اي في الامور الدنيوية ولا انظر الى من هو فوقي اي في المال والجاه والمناصب الدينية وامرني ان اصل الرحم وان ادبرت اي ولو ولت بان غابت او بعدت والمراد اهلها وبويد حديث صلوا ارحامكم ولو بالسلام وقال الطيبي وان قطعت علي ما ورد صل من قطعك واسند الادبار الى الرحم مجازا لانه لصاحبها وامرني ان لا اسأل اي لا اطلب احدا شيئا ومن دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك ويمكن ان يكون احدا على عمومه بناء على ما قاله بعض ارباب الكمال

الهي كفى علمك بالحال عن المقال وكرمك عن السؤال وهو المقام الجليل الماخوذ من حال الخليل حيث قال له جبرئيل الك حاجة فقال اما اليك فلا قال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وهو معنى قوله تعالى حكاية عن قول اصحاب الجميل حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحكم لابن عطاء ربما استحيى العارف ان يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي ان يرفعها الى خليقته وامرني ان اقول بالحق اي انطق به وان كان مرا اي على السامع او صعبا علي وامرني ان لا اخاف اي ظاهرا او باطنا في الله اي في حقه او في سبيله ولاجله لومة لائم اي ملامة احد من خلقه وامرني ان اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله اي للاستعانة على الطاعة واصابة المصيبة والاستعانة على دفع المعصية خصوصا العجب والغرور والمخيلة فانهن اي هذه الكلمات من كنز تحت العرش اي من جملة كنز معنوي موضوع تحت عرش الرحمن لا يصل اليه احد الا بحول الله وقوته او كنز من كنوز الجنة لان العرش سقفها وابعد من قال فانهن اي الخصال السبع من كنز تحت العرش اذ لا طائل تحته بل ورد من طرق كثيرة اخرجه الستة عن ابي موسى الاشعري واحمد والبزار عن ابي هريرة والطبراني عن معاذ والنسائي عن ابي هريرة وابي ذر ايضا مرفوعا لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة واختلف العلماء في معناه فقيل سمي هذه الكلمة كنزا لانها كالكنز في نفاسته وصيانته من اعين الناس وانها من

ذخائر الجنة او من محصلات نفائس الجنة وقال النووي المعنى ان قولها يحصل ثوابا نفيسا
يدخر لصاحبه في الجنة انتهى ويحتمل ان يقال انها كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن
قالها وادرك معناها واستمر على مبناها فانه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنز لا
يعرف كنهها ومنتهاها فقد روى البزار عن ابن مسعود قال كنت عند النبي صلى الله عليه
وسلم فقلتها فقال تدري ما تفسيرها قلت الله ورسوله اعلم قال لا حول عن معصية
الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله قال النووي هي كلمة استسلام
وتفويض وان العبد لا يملك شيئا وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة له في جلب خير الا
بارادة الله تعالى انتهى فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه حاضرا بقلبه
مشاهدا افعال ربه بالنسبة الى جميع خلقه فصح ما قال بعض العارفين في قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وقال بعض الصوفية
في معنى قول رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير ارادت ان
الاعتذار من الذنب مشتمل على ذنوب كثيرة تستحق ان تكون كثيرة من دعوى الوجود
ودعوى الفعل الحقيقي ودعوى الاقتدار الاستقلالي وقد قال صلى الله عليه وسلم
ايما الى نفي ما سوى الله لا حول ولا قوة الا بالله رواه احمد وعن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه من الدنيا ثلاثة اي ثلاثة اشياء كما في رواية
الطعام اي حفظا لبدنه وتقوية على دينه والنساء اي صونا لنفسه النفيسة عن
الخواطر الخسيسة والطيب اي لتقوية الدماغ الذي هو محل العقل عند بعض الحكماء
فاصاب اثنين اي شيئين بوصف الكثرة ولم يصب واحدا اصاب النساء اي حتى بلغ تسعا والطيب
اي من الخارج مع ان عرقه كان من افضل انواع الطيب ولم يصب الطعام اي الا بوصف
القلة فاطلاق النفي للمبالغة لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم لم يشبع من خبز
الشعير يومين متتابعين حتى قبض واغرب الطيبي في قوله اي لم يكثر من اصابته
اكثرهما حيث انه يوهم انه وقع له اكثار من الطعام اقل من اكثار النساء والطيب رواه احمد
قال السيوطي في تخريج احاديث الشفا اسناده صحيح الا ان فيه رجلا لم يسم وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي اي من دنياكم كما في رواية النساء والطيب
وجعلت قرة عيني في الصلاة كذا في نسخ المشكاة بلفظ جعلت وكانه غير موجود
في اصل الطيبي كما ورد في رواية او غفل عنه حيث قال قوله وقرة عيني في الصلاة
جملة اسمية عطفت على جملة فعلية لدلالة الثبات والدوام في الثانية والتجدد
في الاولى قلت وفيه بحث اذ القول بالتجدد انما هو في الفعل المضارع واما الماضي فهو
للثبات حتى اذا عبر عن المضارع بالماضي يعلل بانه لتحققه كانه قد وقع قال وجيء
بالفعل مجهولا للدلالة على ان ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وانه مجبور على الحب رحمة
للعباد بخلاف الصلاة فانها محبوبة لذاتها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال

اي اشغلنا بها عما سواها فانه تعب وكدح وانما الاستراحة في الصلاة فارحنا بندائك
بها رواه احمد والنسائي وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا في الجامع وذكر
ابن الديبع في مختصر المقاصد للسخاوي ان الطبراني رواه في الكبير والنسائي في سننه
بهذا اللفظ والحاكم في مستدركه بدون لفظ جعلت وقال انه صحيح على شرط مسلم واما
ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي لم اقف عليه الا في موضعين
من الاحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد
مزيد التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال انه لم يرو فيه لفظ ثلاث قال وزيادة محيلة
للمعنى فان الصلاة ليست من الدنيا وزاد ابن الجوزي بعد قوله حبب الي من الدنيا
اي قوله من الدنيا منصوبا على انه مفعول زاد وقد ذكر الحافظ السيوطي في الفتاوى
الحديثية مسالة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة لم بدأ بالنساء واخر الصلاة الجواب لما كان المقصود من سياق
الحديث ما اصاب النبي صلى الله عليه وسلم من متاع الدنيا بدأ به كما قال في الحديث الآخر
ما اصبنا من دنياكم هذه الا النساء ولما كان الذي حبب اليه من متاع الدنيا هو افضلها
وهو النساء بدليل قوله في الحديث الآخر الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ناسب
ان يضم اليه بيان افضل الامور الدينية وذلك الصلاة فانها افضل العبادات بعد
الايمان فكان الحديث على اسلوب البلاغة من جمعه بين افضل امور الدنيا وافضل
امور الدين وفي ذلك ضم الشيء الى نظيره وغيره في امر الدين بعبارة ابلغ مما عبر به في
امر الدنيا على مجرد التحبيب وقال في امر الدين جعلت قرة عيني فان قرة العين من
التعظيم في المحبة ما لا يخفى انتهى ولعل السكوت عن الطيب لانه تابع للنساء وجودا
وعدما في الروايتين ثم الصلوة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة وقيل
المراد بالصلاة في هذا الحديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وشرفه لديه وعن
معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به اي ارسله الى اليمن قال
قال اياك والتنعم هو المبالغة في تحصيل فضائل الشهوة على وجه التكلف في البغية
بتكثير النعمة والحرص على النهمة فان عباد الله اي المخلصين ليسوا بالمتنعمين بل التنعم
مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم
انهم كانوا قبل ذلك مترفين رواه احمد وكذا البيهقي في شعب الايمان وعن
علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضي من الله باليسير من الرزق
اي من قنع منه بقليل من العطا رضي الله عنه وفي نسخة عنه بالقليل وفي نسخة
باليسير من العمل اي من الطاعة وفي حديث رواه ابن عساكر عن علي لفظه من رضي عن الله
رضي الله عنه فان قلت هذا الحديث يدل على ان رضى العبد مقدم في قوله سبحانه

رضي الله عنهم ورضوا عنه ايماء الى ان رضى العبد متاخر فلت التحقيق ان رضى العبد محفوف برضايين من الله رضى ازلي نعلق به العلم الاولي ورضى ابدي تعلق بعمل العبد بترتب عليه الجزاء الاخروي وفي الحقيقة رضى العبد انما هو اثر رضى الله عنه اولا وما رضى الله عنه اخرا فانما هو غاية الرضى الذاتي من النعمة الصفاتي وهو الاحسان والانعام وكذلك القول في قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع اي في نفسه بالفعل او احتاج اي الى ما يدفع الجوع او غيره والتنويع فكتمه الناس قيل اي من الناس ففيه اشارة الى ان الرواية بتخفيف التاء وانه متعد الى واحد فنصب الناس على نزع الخافض ويحتمل ان تكون الرواية بتشديدها وانه حينئذ متعد الى اثنين على ما في القاموس كتمه كتما وكتمانا وكتمه اياه كان حقا على الله عز وجل اي وعدا ثابتا عليه وامرا لازما ان يرزقه رزق سنة من حلال والمراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر ويجوز فيه الكتمان والا فقد صرح العلماء بان الشخص اذا مات جوعا ولم يسال او لم ياكل ولو من الميتة يموت عاصيا رواهما اي الحديثين البيهقي في شعب الايمان وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب عبده المومن الفقير المتعفف ابا العيال والمعنى انه مع كونه صاحب العيال وفقير الحال وكسوا لبال تعفف عن السوال فهو المومن على وجه الكمال فلذا احبه ذو الجلال والجمال رواه ابن ماجة وعن زيد بن اسلم قال المولف يكنى ابا اسامة مولى عمر بن الخطاب مدني من اكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة وروى عنه الثوري وايوب السختياني ومالك وابن عيينة مات سنة ست وثلاثين قال استسقى اي طلب الماء يوما عمر فجي بماء قد شيب بعسل اي خلط بعسل فقال انه اي ماء العسل لطيب اي طبعا وشرعا ودفعا ونفعا لكني اسمع الله عز وجل قال الطيبي مستدرك عن مقدر يعني انه لطيب اشتهيه لكني اعرض عنه لاني سمعت الله عز وجل نعى اي عاب على قوم شهواتهم اي استيفاءها فقال اذهبتم بهمزة انكار مقدرة وهي في قراءة موجودة اذهبتم طيباتكم اي اخذتم لذاتكم في حياتكم الدنيا في مدة الحياة الدنيوية الدنية واستمتعتم بها اي متابعة للشهوات النفسية وما تركتم شيئا ذخيرة للدار الاخروية فاخاف ان تكون حسناتنا اي مثوباتها عجلت لنا قال الطيبي اي ثواب حسناتنا التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الاخرة قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا قلت الايتان وان لاتنا انزلتا في الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلم يشربه اي لم يشربه عمر ذلك الماء تورعا ومخالفة للنفس والهوى رواه رزين وعن ابن عمر قال ما شبعنا اي اهل بيت عمر او نحن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم وهو الاظهر

حتى

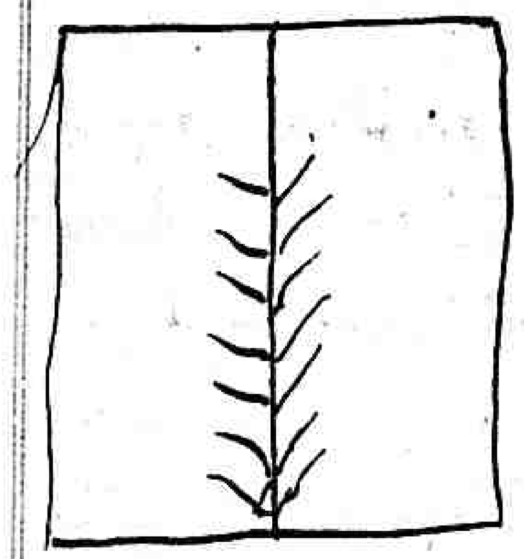
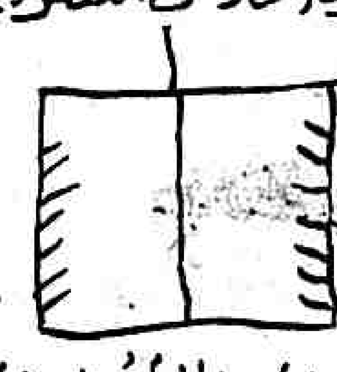
حتى فتحنا خيبر رواه البخاري

باب الامل والحرص

الجوهري الامل الرجاء وقال الراغب الحرص فرط الشره في الارادة قال تعالى ان تحرص على هداهم ان تفرط ارادتك في هدايتهم وفي القاموس اسوء الحرص ان تاخذ نصيبك وتطمع في نصيب غيرك انتهى والمراد بالامل هنا طول الامل في امر الدنيا غافلا عن الاستعداد للموت وزاد العقبى كما قال سبحانه ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل واما طول الامل في تحصيل العلم والعمل فمحمود بالاجماع كما قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وقال لو عشت الى قابل لاصومن التاسع وكذلك الحرص في امر جمع المال وكثرة الجاه والاقبال مذموم واما الحرص على القتال وعلى تحصيل العلوم وتكثير الاعمال فمستحسن بلا نزاع ثم تحقيق الامل على ما حققه المحققون من اهل اليقين ما ذكره الغزالي في منهاج العابدين انه قال اكثر علمائنا انه ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاستثناء بمشية الله تعالى سبحانه وعلمه في الذكر وبشرط الصلاح في الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بان تعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم فانت امل وذلك مثل معصية اذ هو حكم على الغيب وان قيدته بالمشية والعلم من الله فقد خرجت عن حكم الامل فتامل وانما جمع بينهما في العنوان لتلازمهما في الامكان وقدم الامل لانه الباعث على تاخير العمل والحرص على الذلل

الفصل الاول

عن عبد الله اي ابن مسعود قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطا مربعا الظاهر انه كان بيده المبارك على الارض ولذا قال الطيبي المراد بالخط الرسم والشكل وخط اي خطا كما في نسخ مصححة والمعنى وخط خطا اخر في الوسط اي وسط التربيع خارجا منه اي حال كون الخط خارجا من احد طرفي المربع وخط خططا بضم الخاء المعجمة والطاء الاولى للاكثر وجوز فتح الطاء اي خطوطا صغارا جمع صغيرة الى هذا اي متوجهة وماثلة ومنتهية الى هذا الخط الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط اي من جانبيه الذي في الوسط فالمراد بالمفرد الجنس فقال هذا اي الخط الوسط كذا قاله شارح والظاهر ان المراد به امركز الدائرة المربعة وان كان ليس له صورة مستقلة في الخط الظاهر والمراد بهذا مجموع التصوير المعلوم خطا المفهوم ذهنا بان الانسان مع ما فيه من الامل والعوارض المنتهية الى الاجل هو المشار اليه بهذا فالتقدير ان هذا الخط المصور بمجموعه هو الانسان وهذا اي الخط المربع اجله اي مدة اجله ومدة عمره محيط به اي من كل جانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه وهذا اي الخط الذي هو خارج اي من المربع امله اي مرجوه الذي يظن انه يدركه قبل حلول اجله وهذا خطاء منه لان امله طويل لا يفرغ عنه واجله اقرب اليه منه وهذه الخطط اي الخطوط الصغار الاعراض اي الافات والعاهات والبليات من المرض والجوع والعطش وغيرها مما يعرض الانسان وهو جمع عرض بالتحريك

فان اخطاه هذا اي احد الاعراض نفسه بسين مهملة وقيل معجمة اي اصابه وعضه
هذا اي عرض اخر وعبر عن الاصابة بالنهس وهو لدغ ذات السم مبالغة في المضرة
وان اخطاه هذا اي عرض اخر نفسه هذا اي عرض اخر وهلم جرا الى انقضاء الاجل وعدم

انتهاء الامل وصورة الخط هكذا عند بعضهم
قال الشيخ اي ابن حجر العسقلاني هذه الصفة هي المعتمدة وسياق
الحديث ينزل عليه فالاشارة بقوله هذا الانسان
الى النقطة الداخلة وبقوله وهذا اجله محيط به الى المربع
وبقوله وهذا الذي هو خارج امله الى الخط المستطيل المنفرد
وبقوله وهذه الى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال
لان المراد انحصارها في عدد معين ويؤيده قوله في حديث انس بعده اذ جاءه الاقرب
الى الخط المحيط به ولا شك ان الذي يحيط به اقرب اليه من الخارج عنه انتهى والاولى
ان يجعل عدد الخطوط سبعا لا تيان هذا العدد كثيرا على لسان الشارع ولانه
عشر العدد الذي يعبر به عن الكثرة مع الايماء الى اعضاء السبعة للانسان والاطوار
السبعة في مراتب الايقان ومرور الايام السبعة على دوران الافلاك السبعة المحيطة
بالاراضي السبعة ثم اعلم ان ما اشار به الشيخ الى النقط الداخلة فغير مستفاد
من التصوير النبوي ولذا ما صوره غيره احد من الشراح كالطيبي ثم رايت صورة
اخرى غير الصورة المشهورة وهي هذه

فهذه الهيئة هي المطابقة
لما قاله بعض الشراح والاظهر في التصوير رواه البخاري وعن
انس قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا اي مختلفة على
الهيئة المصورة السابقة فقال هذا اي احد الخطوط وهو الخط الخارج من دائرة
التربيع الامل اي امل الانسان وهذا اي الخط المربع المحيط به اجله فبينما هو كذلك
اي بين اوقات هو اي امره دائر او صور في الدائرة بين طلبه الامل وطلب الاجل اياه
اذ جاءه الخط الاقرب وهو الاجل المحيط به من كل جانب واخطاه الخط الابعد الخارج من
دائرة الاحاطة وهو خطه من نصور الامل وقال الطيبي قوله فبينما هو كذلك اي
هو طالب لامله البعيد فيدركه الاوقات التي هي اقرب اليه فتؤديه الى الاجل المحيط به
وهذا التاويل محمول على معنى الحديث السابق ويجوز ان يحمل على حديث ابي سعيد
في الفصل الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه الحديث قلت حمل هذا
الحديث مع التصريح بقوله خط خطوطا على الغرز خطا ظاهر لان الظاهر المتبادر
ان يكون الخط خطا ظاهرا رواه البخاري وعنه اي عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يهرم بفتح الراء اي يشيب كما في رواية والمعنى يضعف ابن ادم ويشب
بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة اي ينمو ويقوى منه اي من اخلاقه اثنان ففي التاج

للبيهقي

للبيهقي وكذا في القاموس ان الهرم كبر السن من باب علم وشب شبابا من باب ضرب الحرص
على المال اي على جمعه ومنعه والحرص على العمر اي بنطويل امله وتسويف عمله وتنعيد اجله
قال النووي قوله يشب استعارة ومعناه ان قلب الشيخ كامل الحب محتكم احتكاما مثل احتكام
قوة الشباب في شبابه قال الطيبي يجوز ان يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله
يهرم اي بمعنى يشيب متفق عليه قال ميرك هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري يكبر ابن ادم
والباقي مثله ورواه الترمذي وابن ماجة انتهى فقوله متفق عليه معناه انهما
اتفقا على روايته في المعنى دون اللفظ في جمع الصحيح المبني وهذا مبني على ما ذكر
والا فلفظ الجامع ايضا يهرم ابن ادم ويبقى اثنان الحرص والامل رواه احمد والشيخان
والنسائي عن انس فالظاهر ان لفظ يكبر رواية فيه للبخاري وان في الصحيحين روايات
متعددة كما يدل عليه كلام السخاوي في المقاصد حديث يهرم ابن ادم ويبقى فيه
اثنتان الحرص والامل متفق عليه وفي لفظ يشيب ابن ادم ويشب فيه وعن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الكبير شابا اي قويا نشيطا في اثنين اي في
امرين في حب الدنيا ويلزم منه كراهة الاجل وطول الامل وهو يقتضي تاخير العمل
متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعذر الله
قيل الهمزة للسلب اي ازال الله العذر منتهيا الى امرئ اخر اجله اي منتهاه وفي رواية
عمره حتى بلغه بتشديد اللام اي اوصله وفي رواية حتى بلغ ستين سنة اي ولم يتب
عن ذنوبه ولم يهتم باصلاح عيوبه ولم يغلب خيره شره فيكون ممن لم يبق الله له عذرا
في ترك الطاعة وفيما ضيع عمره وحاصله من بلغ ستين وقيل اربعين ولم يغلب
خيره شره فالموت خير له فقال التوربشتي المعنى انه اقصى بعذره اليه فلم يبق له عذر
يقال اعذر الرجل الى فلان اي بلغ به اقصى العذر ومنه قولهم اعذر من انذر اي اتى
بالعذر واظهره وهذا مجاز من القول فان العذر لا يتوجه على الله وانما يتوجه
له على العبيد وحقيقة المعنى فيه ان الله تعالى لم يترك له سببا في الاعتذار يتمسك
به انتهى فالمعنى انه ازال اعذاره بالكلية وكانه اقام عذره فيما يفعل به من العقوبة
والبلية وفي مختصر النهاية اي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث امهله طول هذه
المدة ولم يعتبر رواه البخاري وكذا احمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن جرير
وابن ابي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في سننه واخرج عبد بن حميد والطبراني
والروياني والمراوزي في الامثال والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة فقد اعذر الله اليه في
العمر وقد قال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر واخرج عبد الرزاق والفريابي
وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابو الشيخ والحاكم وصححه وابن
مردويه عن ابن عباس انه قال في تفسيره ستين سنة واخرج ابن جرير عن علي في الاية

قال العمر الذي اعذر الله منه ستون سنة واخرج عبد بن حميد وابن ابي حاتم عن الحسن في الاية قال اربعين سنة واما قوله تعالى وجاءكم النذير فاخرج ابن ابي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال الشيب وكذا اخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه الشيب وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان لابن ادم اي فرضا وتقديرا واديان من مال وفي رواية من ذهب لابتغى اي لطلب ثالثا اي واديا اخر اعظم منهما ذخرا وهلم جرا كما يشير اليه بقوله ولا يملا جوف ابن ادم اي بطنه او وسط عينه الا التراب اي تراب القبر وفيه تنبيه تنبيه على ان البخل المورث للحرص مركوز في جبلة الانسان كما اخبر الله عنه سبحانه في القران حيث قال ابلغ من هذا الحديث وانه لقال قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا فهذا يدل على ان حرص بني ادم وخوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى على نفسه اقوى من الطير الذي يموت عطشا على ساحل البحر خوفا من نفاده ومن الدودة التي فوقها التراب وتموت جوعا خشية من فراغه لانه ذكر من الماء والتراب في جنب خزائن رحمة ربه الا ما هو كقطرة من السحاب ويتوب الله اي يرجع بالرحمة على من تاب اي رجع اليه بطلب العصمة او ويتفضل الله بتوفيق التوبة وتحقيق التعقيب على من تاب اي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولى قال النووي معناه انه لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلي جوفه من تراب قبره وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني ادم في الحرص على الدنيا ويؤيده قوله ويتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله ومعناه ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات قال الطيبي ويمكن ان يقال معناه ان بني ادم كلهم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وان لا يشبع منه الا من عصمه الله تعالى ووفقه لازالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم فوضع ويتوب الله على من تاب موضعه اشعارا بان هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب وان ازالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله وتسديده ونحوه قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اضاف الشح الى النفس دلالة على انها غريزة فيها وبين ازالته بقوله يوق ورتب عليه قوله فاولئك هم المفلحون وههنا نكتة دقيقة فانه ذكر بني ادم تلويحا الى انه مخلوق من التراب ومن طبيعته القبض واليبس فيمكن ازالته بان يمطر الله سبحانه عليه السحاب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية والشمائل المرضية كما قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا فمن لم يتداركه التوفيق وتركه وحرصه لم يزدد الا حرصا وتهالكا على جمع المال وموقع قوله ولا يملا جوف ابن ادم موقع ذكر الجبلة ويتطابه حكم اشمل واعم كانه قيل ولا يشبع من خلق من التراب الا بالتراب وموقع ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني ان ذلك لعسير صعب ولكن يسير على من يسره الله تعالى عليه فحقيق

ان لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر وروينا عن الترمذي عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله امرني ان اقرا عليك القران فقرا عليه لم يكن الذين كفروا وقرا فيها ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقرا عليه لو ان لابن ادم واديا من مال لابتغى اليه ثانيا ولو ان له ثانيا لابتغى اليه ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب انتهى رواه البخاري قال ميرك نافلا عن التصحيح حديث لو كان لابن ادم واديان الخ رواه البخاري بهذا اللفظ من حديث ابن عباس وبمعناه من حديث انس ومسلم بهذا اللفظ وبمعناه من حديث ابن عباس ورواه الترمذي ايضا وقد ثبت في الحديث ان هذا كان قرانا فنسخ خطه رواه احمد وغيره وفي رواية لابن عباس وانس فلا ادري اشيء انزل ام شيء كان يقوله ولا نص عن ابي قال كنا نرى هذا من القران حتى نزل الهاكم التكاثر اخرجه البخاري انتهى وفي الجامع لو كان لابن ادم واد من مال لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب رواه احمد والشيخان والترمذي عن انس واحمد والشيخان عن ابن عباس والبخاري عن ابن الزبير والنسائي عن ابي هريرة واحمد عن ابي واقد والبخاري في تاريخه والبزار عن بريدة ورواه احمد وابن حبان عن جابر ولفظه لو كان لابن ادم واد من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى اودية ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وعن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي اي بمنكبي كما في رواية ونكتة الاخذ تقريبه اليه وتوجهه عليه ليتمكن في ذهنه ما يلقي اليه وفيه ايماء الى ان هذه الحالة الرضية لا توجد الا بالجذبة الالهية فقال كن اي عش وحيدا او عن الخلق بعيدا في الدنيا كانك غريب اي فيما بينهم لعدم موالفتك بهم وقلة مجالستك معهم قال النووي اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه انتهى لان الدنيا دار مرور وجسر عبور فينبغي للمؤمن ان يشتغل بالعبادة والطاعة ويتيقظ المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئا لاسباب الارتحال يرد المظالم والاستحلال متنسما الى الوطن الحقيقي فانه في سفره بلغته وستره مستقبلا للبلايا الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الامل الطويل والحرص الكثير او عابر سبيل اي مسافر بطريق او للتنويع او بمعنى بل للترقي والمعنى بل كن كانك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق وهذا ابلغ من الغربة لانه قد يسكن الغريب في غير وطنه ويقيم في منزل مدة زمانه فلله در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا الى العقبى شوقا الى لقاء المولى واعتزلوا بالكلية عن الناس فان الاستيناس بالناس علامة الافلاس وتجردوا عما عليهم من الاثقال والالباس بل صاروا حفاة عراة حاسري الراس وهم العقلاء

(في الهامش: وذلك نحو)

الاكياس الحازم فطنهم عن حد الحدود ومقياس القياس ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا
وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا انها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا
صالح الاعمال فيها سفنا وعد نفسك بضم العين وفتح الدال المشددة اي اجعلها
معدودة في اهل القبور او عدها كائنة وساكنة فيهم وفي بعض النسخ الصحيحة من
اهل القبور اي من جملتهم وواحدة من جماعتهم ففيه اشارة الى ما قيل موتوا قبل ان
تموتوا وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا رواه البخاري قال ميرك فيه نظر فان الذي
اورده هو لفظ الترمذي ولفظ البخاري عن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وليس في البخاري وعد
نفسك في اهل القبور بل هو في الترمذي والبيهقي والله اعلم اقول وفي الجامع كن
في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل رواه البخاري عن ابن عمر زاد احمد والترمذي وابن
ماجة وعد نفسك من اهل القبور وزاد النووي في الاربعين وكان ابن عمر رضي
الله عنهما يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء وخذ
من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك وزاد الامام الغزالي في الاربعين قوله
فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك غدا وجعل صدر الحديث مرفوعا بان قال صلى الله
عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت الى اخره والله اعلم

الفصل الثاني

عن عبد الله بن عمرو بالواو قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وامي نطين
بتشديد الياء المكسورة اي نصلح بالطين شيئا اي مكانا او جزءا من البيت فقال ما هذا
اي ما سببها والطين يا عبد الله اي لا عبد الهوى قلت شيء اي من البيت نصلحه اي
خوفا من فساده او زيادة على استحكامه واستنباده فقال الامر اسرع من ذلك
اي الامر الذي ينبغي لنا ان نعمره وعلى تعميره باليقين نعبره اعجل مما ذكرته من ان
نصلحه ونعمره والظاهر ان عمارته لم تكن ضرورية بل كانت ناشئة عن امل في تقوية
او صادرة عن ميل الى زينة قال الطيبي كوننا في الدنيا كعابر سبيل او راكب مستظل
تحت شجرة اسرع مما انت فيه من اشتغالك بالبناء وقال شارح اي الاجل اقرب من
تخرب هذا البيت اي نصلح بيتك خشية ان ينهدم قبل ان تموت وربما تموت قبل
ان ينهدم فاصلاح عملك اولى من اصلاح بيتك رواه احمد والترمذي وقال هذا
حديث غريب قال ميرك نقلا عن المنذري حديث عبد الله بن عمرو رواه ابو داود والترمذي
وقال حسن صحيح وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وقال السيد جمال الدين هذا الحديث
بهذا اللفظ لم اجد في جامع الترمذي ولكن اخرج عن عبد الله بن عمرو قال مر علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا قال ما هذا فقلنا قد وهى فنحن نصلح
فقال ما ارى الامر الا اعجل من ذلك وقال هذا حديث صحيح حسن وعن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء بضم الياء وفتح الهاء ويسكن

اي يصب

اي يصب والكناية عن البول فالمعنى انه كان يبول احيانا فيتيمم بالتراب اي او ما
يقوم مقامه لما ثبت انه اكتفى بوضع يده على الجدار حال التيمم من غير وجود الغبار
فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب اي فالتيمم حينئذ غريب فيقول [illegible]
ما يدريني ما للاستفهام لعلي للاشفاق اي اخاف لا ابلغه اي لا اصل الماء لمسارعة
اجلي مبادرا فاحب ان اكون حينئذ طاهرا او ما بعد قول الاشرف وما اقربه الى الوجه
الاصح حمل الحديث على معنى غير ما سبب بابا ومبني حيث قال اي يستعمل الماء قبل
الوقت فان لم يلق تيمم والله اعلم رواه اي البغوي في شرح السنة وابن الجوزي
في كتاب الوفا باسم كتاب له اظنه في شرح المصطفى وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هذا ابن ادم الظاهر ان هذا اشارة حسية الى صورة معنوية وكذا قوله
وهذا اجله وتوضيحه انه اشار بيده الى قدامه في مساحة الارض او في مسافة الهواء بالطول
او العرض وقال هذا ابن ادم ثم اخرها وواقفها قريبا مما قبله وقال هذا اجله ووضع يده
اي عند تلفظه بقوله هذا ابن ادم وهذا اجله عند قفاه اي في عقب المكان الذي اشار
به الى الاجل ثم بسط اي نشر يده على هيئة فتح الشبر بكفه واصابعه او معنى بسط وسع
في المسافة من المحل الذي اشار به الى الاجل فقال وثم بفتح المثلثة وتشديد الميم
اي هنالك واشار الى بعد مكان ذلك امله اي مأموله وهو مبتدا خبره ظرف قدم عليه
للاختصاص والاهتمام وخلاصة العبارات والاعتبارات ان هذه الاشارات المؤثرة
بالعبارات المؤكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية المطابقة لما سبق من
التصويرات الصورية انما هو للاشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة ان اجل
ابن ادم اقرب اليه من امله وان امله اطول من اجله كما قال الله ثم قوله كل امرئ مصبح
باهله والموت ادنى من شراك نعله هذا ما سنح لي في هذا المقام من توضيح المرام
وقال الطيبي ممتازا عن سائر الشراح العظام قوله ووضع يده الواو للحال وفي قوله وهذا
اجله للجمع مطلقا فالمشار اليه ايضا مركب فوضع اليد على قفاه معناه ان هذا الانسان
الذي يتبعه اجله هو المشار اليه وبسط اليد عبارة عن مدها الى قدام انتهى الكلام
رواه الترمذي وعن ابي سعيد الخدري ان النبي وفي نسخة صحيحة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم غرز اي ادخل في الارض عودا اي خشبا طويلا بين يديه واخر ا
الى جنبه اي غرز عودا اخر الى جنب العود الاول واخر بعدا اي من الثاني ومنها تقال
اتدرون ما هذا اي مجموع ما فعلت والمعنى اتعلمون ما المراد بهذا الغرز والتقرير
وما الغرض من هذا التصوير قالوا الله ورسوله اعلم اي بما في الضمير قال هذا الانسان
اي العود الاول مثاله وهذا الاجل اي وهذا العود الثاني المتصل الى جنبه اجله
اي انتهاء عمره وانقطاع عمله اراه بضم الهمزة اي قال الراوي اظنه قال وهذا الامل اي هذا
العود الابعد هو طول امله ومال امالة فيتعاطى اي يتناول الانسان الامل بان يباشره

ويتمنى ويشتغل بما يامله ويريد ان يحصله فلحقه الاجل اي فيلحقه الموت قبل ان يصله وعبر عن المضارع بالماضي مبالغة في تحقق حالة وقوعه دون الامال اي قبل ان يتم امله ويكمل عمله قال الطيبي دون الامال حال من الضمير المنصوب اي لحقه وهو متجاوز عما قصده من الامال قال يا نفس مالك دون الله من واق رواه البغوي في شرح السنة

وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر امتي اي غالبا من ستين سنة الى سبعين قيل معناه اخر عمر امتي ابتداؤه اذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقل من يجوز سبعين وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فان منهم من لم يبلغ ستين ومنهم من يجوز سبعين ذكره الطيبي وفيه انه بمعنى الغلبة في جانب الزيادة على سبعين واضح جدا واما كون الغالب في اخر عمر الامة بلوغ ستين في غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر في المشاهدة فالظاهر ان المراد به ان عمر الامة من سن المحمود الوسط المعتدل الذي مات فيه غالب الائمة ما بين العددين منهم سيد الانبيا واكابر الخلفا كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلما والاوليا مما يتعسر فيه الاستقصا ولعسر الاستقصا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه

اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين اي نهاية اكثر اعمار امتي غالبا ما بينهما واقلهم من يجوز ذلك الى السبعين فيصل الى المائة فما فوقها واكثر ما اطلعنا على طول العمر في هذه الامة من المعمرين في الصحابة والائمة سن انس بن مالك فانه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين واسما بنت ابي بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر في عقلها شي وازيد منهما عمر حسان ابن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين في الجاهلية وستين في الاسلام واكثر منه عمر سلمان الفارسي فقيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة والاول اصح والله اعلم ثم من تاريخ موته يفهم انه عاش في الاسلام قليلا لانه ذكر المؤلف انه مات بالمداين سنة خمس وثلاثين سنة وقد ادركنا سيدنا السيد زكريا وسمعنا منه ان عمره مائة وعشرون سنة رحمة الله عليه رواه الترمذي وابن ماجة وكذا ابو يعلى في مسنده عن انس قال ابن الربيع وصححه ابن حبان والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم وقال الترمذي حسن غريب وفي لفظ لاحمد والترمذي مرفوعا معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين انتهى لكن في الجامع اسنده الى الحكيم الترمذي والله اعلم وذكر حديث عبد الله بن الشخير بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين وضبطهما سبق بدون لام التعريف في باب عيادة المريض اي في اواخر الفصل الثاني وهو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ابن ادم الى جنبه تسع وتسعون منية اي مهلكة ان اخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت انتهى ولا شك ان مناسبته هاهنا اظهر من هناك فان حوله اليه فالحجة عليه وان

اسقط

اسقط عن تكرار فقد تسلم لديه

الفصل الثالث

عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول صلاح هذه الامة اليقين اي في امر العقبى والزهد اي في شان الدنيا واول فسادها البخل بضم فسكون وبفتحتين وهو الانسب هنا للمشاكلة قوله والامل فان الامل انما هو للغفلة عن سرعة الفناء مع الصغرى والكبرى والبخل انما ينشا من حب الدنيا ويقرب من هذا الحديث معنى قول الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساده الطمع وقال الطيبي معناه ان اليقين بان الله هو الرزاق المتكفل للارزاق وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فمن تيقن هذا زهد في الدنيا فلم يامل ولم يبخل لان البخيل انما يمسك المال لطول الامل وعدم التيقن روي عن الاصمعي انه تلا قوله على اعرابي والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرا السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال وهل غير هذا فقرات فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى الجاه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه رواه البيهقي في شعب الايمان

وعن سفيان الثوري اي الكوفي امام المسلمين وحجة الله على خلقه اجمعين جمع زمنه بين الفقه والاجتهاد فيه والحديث والزهد والعبادة والورع والفقه واليه المنتهى في علم الحديث وغيره من العلوم اجتمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته ولم يختلفوا في ذلك وهو احد ائمة المجتهدين واحد اقطاب الاسلام واركان الدين ولد في ايام سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين سمع خلقا كثيرا وروى عنه معمر والاوزاعي وابن جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير مات بالبصرة سنة احدى وستين ومائة ذكره المؤلف قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ اي في الغزل والخشن بفتح فكسر اي في النسج واكل الجشب بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة اي ولا باكل الغليظ الخشن من الطعام وقيل غير المادوم انما الزهد في الدنيا قصر الامل بكسر قاف وفتح صاد وفي نسخة بضم فسكون اي اقتصار الامل والاستعداد للاجل بالمسارعة الى التوبة والعلم والعمل وحاصله ان الزهد الحقيقي هو ما يكون في الحال القلبي من عزوف النفس عن الدنيا وميلها الى العقبى وليس المراد عليه لانتفاع القالبي فانه يستوي الامران فيه باعتبار الحقيقة وان كان التقشف في اللبس والتقلل في كمية الاكل وكيفيته له تاثير بليغ في استقامة العبد على الطريقة والحاصل ان حب الدنيا في القلب هو المهلك للهالك لا وجودها على قالب السالك ونشبه القلب بالسفينة اغرقها مع اهلها وان كان خارجا وحولها سيرها واوصلها الى محلها ولذا قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اختار جماعة من

فسكون ص

حيث ان المال المشير بالدنيا في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء ان ذكر داخل السفينة

الصوفية واما ارباب الملامتية فلبس العوام وبعضهم لبس الاغنياء برا للقيام تسترا لاحوالهم ومنازلهم
عن الكرام وتبعدا عن ما ينادي لبس المرقع من الشكاية من الحق الى الخلق والى السؤال
بلسان الحال ومن الطمع في غير المطمع ومن المظنة في موقع الرياء والسمعة وقد اخرج
الديلمي في مسند الفردوس عن ابي سعيد مرفوعا ليس البر في حسن اللباس والزي
ولكن البر السكينة والوقار وهذا اقرب الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق والمدار
على الاخلاص والخلاص عن العلائق رواه في شرح السنة وعن زيد بن الحسين
لم يذكره المؤلف في اسمائه لكونه من رواة مالك وهو وشيخه ليسا من الصحابة
والتابعين قال سمعت مالكا وسئل اي والحال انه سئل اي شيء الزهد في الدنيا
قال طيب الكسب اي المكسوب من المأكول والمشروب بان يكون حلالا طيبا ويورث
علما نافعا وعملا صالحا لانه قال تعالى للرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون
وقصر الامل اي بتكثير العمل مخافة اتيان الاجل الزهد في الدنيا المرغب في العقبى
قال الطيبي فان قلت اي مدخل لطيب الكسب في الزهد قلت هذا رد على من زعم
ان الزهد في مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن واكل الجشب اي ليس حقيقة الزهد ما
زعمته بل حقيقته ان تأكل الحلال وتلبس الحلال وتقنع بالكفاف وتقصر الامل ونحوه
قوله صلى الله عليه وسلم الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة
في الدنيا ان لا يكون بما في يدك اوثق مما في يدي الله انتهى وتمامه على ما في الجامع برواية
الترمذي وابن ماجه عن ابي ذر وان تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب منك فيها
لو انها ابقيت لك وسيأتي هذا الحديث في اصل الكتاب من اواخر الباب ونظيره انه قيل
للامام محمد صاحب ابي حنيفة رضي الله عنهما لم لم تصنف في التصوف فقال صنفت
[illegible] فقيل ما هو فقال كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده يأكل حراما ومن
اكل حراما لا يصلح حاله ابدا رواه البيهقي في شعب الايمان

باب استحباب المال والعمر للطاعة

اي جواز طلب حب المال وطول العمر لصرفه
في الطاعة والعبادة

الفصل الاول

عن سعد اي ابن وقاص قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي اي من يتقي المناهي او من لا يصرف ماله في
الملاهي وقيل هو الذي يتقي المحرمات والشبهات ويتورع عن المشتبهات والمباحات
الغني قال النووي المراد بالغني غنى النفس وهذا هو الغني المحبوب لقوله صلى
الله عليه وسلم الغنى غنى النفس واشار القاضي الى ان المراد به غنى المال قلت
هذا هو المناسب لعنوان الباب وهو لا ينافي غنى النفس فانه الاصل في الغني والفرد
الاكمل في المعنى ويترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات والمبرات في الدنيا
ووصول الدرجات العاليات في العقبى والحاصل ان المراد به الغني الشاكر وقد يستدل

به على انه افضل من الفقير الصابر لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه وتحقق برهانه
الخفي بالخاء المعجمة اي الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بامور نفسه او الخفي الخير بان
يعمله ويصرف ماله في مرضاة ربه بحيث لا يطلع عليه غيره الشامل للفقير ايضا كما ورد حتى
لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهو الاظهر وروي بالمهملة اي المشفق وقال النووي معناه
الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء والصحيح الاول وفيه حجة لمن يقول الاعتزال
افضل من الاختلاط ومن قال بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال في وقت الفتنة
اقول او يحمل على اختلاط ارباب البطالة وقال ابن الملك اراد به المختفي عن اعين الناس في نوافله
لئلا يدخله الرياء وقيل هو من لا يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال يجعل نفسه
منكرا من التواضع وقيل اراد به قليل التردد والخروج الى نحو الاسواق رواه مسلم
اي من طريق عامر بن سعد ابن ابي وقاص ذكره الجزري وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن سعد
ابن ابي وقاص قال الطيبي وفي بعض نسخ المصابيح الحق بعد قوله التقي النقي بالنون
ولم يوجد في صحيح مسلم وشرحه ولا في الحميدي وجامع الاصول وذكر حديث ابن
عمر لا حسد الا في اثنتين اي رجل اتاه الله القرآن ورجل اتاه الله مالا في باب فضائل القرآن
وصوابه في كتاب فضائل القرآن ثم لما كان الحديث مشتملا على المعنيين المناسبين للبابين
باعتبار الرجلين والاول منهما متعلق بفضل القرآن خص به ولا مفردا وصار الثاني
مستدركا

الفصل الثاني

عن ابي بكرة بالتاء ان رجلا قال يا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي الناس اي اي اصنافهم خير اي اخير قال من طال عمره بفتحتين على ما هو الافصح
الوارد في كلامه سبحانه وبضم وسكون على ما هو المشهور على السنة العامة تخفيفا وفتح
العين وسكون الميم لغة فيه ومنه قوله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وفي القاموس
العمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة وحسن عمله قال فاي الناس شر اي اشر قال من
طال عمره وساء عمله قال الطيبي وقد سبق ان الاوقات والساعات كرأس المال للتاجر
فينبغي ان يتجر فيما يربح فيه وكلما كان رأس ماله كثيرا كان الربح اكثر فمن مضى لطيبه
فاز وافلح ومن اضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسرانا مبينا انتهى وبقي صنفان مستويان
ليس فيهما زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عمله او ساء عمله رواه احمد
والترمذي وفي نسخة وقال حسن صحيح والدارمي وكذا رواه الطبراني باسناد
صحيح والحاكم والبيهقي عنه وروى الطبراني وابو نعيم في الحلية عن عبد الله بن بسر
مرفوعا طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وروى الحاكم عن جابر مرفوعا خياركم اطولكم اعمارا
واحسنكم اعمالا وعن عبيد بالتصغير ابن خالد قال المؤلف في فضل الصحابة بهزي مهاجري
سكن الكوفة روى عنه جماعة من الكوفيين ان النبي صلى الله عليه وسلم اخى اي
عقد عقد الاخوة وتحقيق الصحبة والمحبة بين رجلين اي من اصحابه فقتل احدهما
اي استشهد في سبيل الله اي في الجهاد ثم مات الآخر اي على فراشه بعده وفي نسخة بعد

بضم الدال مبنيا والمعنى بعد قتل اخيه بجمعة اي باسبوع او نحوها اي قريبا منها تخمينا
اقل اكثر وانما اتي به احتياطا فصلوا اي المسلمون عليه اي على الاخر فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما قلتم اي في حقه من الكلام وما للاستفهام فقالوا دعونا الله ان يغفر له اي ذنوبه
ويرحمه اي يتفضل عليه ويثيبه ويلحقه من الالحاق اي يوصله بصاحبه اي في علو درجته
لكي يكونا في منزلة واحدة من الجنة في العقبى كما كان في مرتبة واحدة من المحبة في الدنيا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين جواب شرط مقدر اي اذا كنتم تدعون الله بان يلحقه
بصاحبه زعما منكم ان مرتبته دون مرتبة اخيه فاين صلاته اي النافلة للميت بعد
صلاته اي الواقعة للشهيد وعمله بعد عمله تعميم بعد تخصيص او التقدير وسائر عماله
اي عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد او قال شك من الراوي صيامه بعد صيامه ولعله
كان في رمضان او المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيرا لما بينهما قال ابن الملك اللام
فيه توطئة للقسم او للابتداء قلت الثاني هو الصحيح لان شرط الموطئة ان تكون
مقرونة بان الشرطية نحو قوله تعالى لئن اشركت الاية نعم يمكن اللام في جواب القسم
المقدر اي والله لما بينهما والمعنى للتفاوت الذي بين الاخوين في القرب عند الله
تعالى ابعد مما بين السما والارض يعني مرتبة الميت اعلى فالحاق الشهيد به اولى وذلك
لانه ايضا كان مرابطا في سبيل الله فله المشاركة في الشهادة حكما وطريقته وله زيادة الطاعة
والعبادة شريعة وحقيقة والامر المعلوم ان الاعمال ازيد ثوابا على الشهادة
جهادا في سبيل الله واظهار الزينة لا سيما في مبادي الدعوة مع قلة اعوانه من اهل الملة
وقال الطيبي فان قلت كيف تفضل هذه الزيادة في العمل بلا شهادة على عمله معها
قلت قد عرف صلى الله عليه وسلم ان عمل هذا بلا شهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد
اخلاصه وخشوعه ثم زاد عليه بما عمل بعده وكم من شهيد لا يدرك شأو الصديق
رضي الله عنه في العمل انتهى فتأمل فانه ليس في الحديث اشعار بقلة اخلاص الشهيد
فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد مع انه لو كان هذا علة التفضيل لبينه صلى الله
عليه وسلم في وجه التعليل ولا كلام في التصديق انه ممن تفضل الله عليه سبحانه بزيادة التوفيق
مع انه رضي الله عنه شهيد حكما وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهدا
في موضع من كتابه والله اعلم رواه ابو داود والنسائي رجال هذا الحديث رجال الصحيح
الا عبد الله بن ربيعة السلمي عن عبيد بن خالد قال النسائي انه صحابي وعلى تقدير ان لا
يكون صحابيا فهو تابعي ولم يذكره احد بضعف واما عبيد بن خالد وهو ابو عبد الله
السلمي البهزي فله صحبة ونزل الكوفة روى عنه عبد الله بن ربيعة وتميم بن سلمة
وسعيد بن عبيدة نقله ميرك عن التصحيح وفي التقريب عبد الله بن ربيعة
ابن فرقد السلمي ذكر في الصحابة ونفاها ابو حاتم ووثقه ابن حبان انتهى وسيأتي
زيادة كلام في هذا المرام وعن ابي كبشة الانماري قال المؤلف هو عمرو بن سعيد

نزل

نزل بالشام روى عنه سالم بن ابي الجعد ونعيم بن زياد انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ثلاث اي من الخصال اقسم اي احلف عليهن واحدثكم عطف على قوله ثلاث بحسب
المعنى فكانه قال اخبركم بثلاث اوكدهن بالقسم عليهن واحدثكم حديثا اي تحديثا
عظيما او بحديث اخر فاحفظوه اي الاخير او المجموع ومما يدل على ما اخترناه من التقدير
المذكور والتحرير المسطور قوله فاما الذي اقسم عليهن اي الذي اخبركم بثلاث واحلف
عليهن هو هذا الذي ابينه فانه اي الشان ما نقص مال عبد اي بركته من صدقة اي من
اجل اعطاء صدقة لانها مخلوفة معوضة كمية او كيفية في الدار الدنيوية او
الاخروية قال تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ولا ظلم عبد بصيغة المجهول
مظلمة بفتح الميم وكسر اللام اسم ما اخذه الظالم ظلما كذا ذكره ابن الملك وفي القاموس
المظلمة بكسر اللام ما يظلمه الرجل والظاهر انه هنا مصدر بمعنى المفعول صفة قوله
صبر اي العبد عليها اي على تلك المظلمة ولو كان متمكنا من نوع من المذلة الا زاده الله
بها عزا اي عنده تعالى كما انه يزيد للظالم عنده ذلا بها او يزيده الله بها عزا له في الدنيا عاقبة
كما يحصل للظالم ذلا بها ولو بعد حين من المدة بل ربما ينقلب الامر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم
جزاء وفاقا ولا فتح عبد اي على نفسه باب مسالة اي باب سؤال وطلب من الناس لا لحاجة
وضرورة بل لقصد غنى وزيادة الا فتح الله عليه باب فقر اي باب احتياج اخر وهلم جرا او بان
سلب ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في اصحاب النهمة
وشبه خالد بالحمار الذي له الذنب وهو دائر في الطلب فدخل في بستان حريصا عليه فقطع
الحارس ذنبه وشبه ايضا بكلب في فمه عظم ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف
ففتح الكلب فمه حرصا على اخذ ما في قعر الانا فوقع ما في فمه من العظم في الما فالحريص
مشؤوم والحريص محروم هذا وقال الطيبي في قوله فاما الذي اقسم عليهن افرده وذكره
باعتبار كونه المذكور وانثه موعودا ثم جمع الراجع الى الموصول باعتبار الخصال المذكور انه به
فسر قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد في وجه اي الجمع او الفوج وفي المصابيح
اما اللاتي اقسم عليهن وهو ظاهر وليس المراد تخفيف الحلف بل تاكيده ثم لو افاد المدعي يجب
يذكر القسم تارة واخرى بلفظ القسم انتهى ولا لاظهار يقال التقدير فاما قولي الذي اقسم
فيه على الخصال الثلاث واذكره فانه الخ واما الذي احدثكم حديثا فاحفظوه فقال انما الدنيا
وهو تفسير وبيان بل قال جملة معترضة للتاكيد والتقدير فانما الدنيا ويؤيده انه
ليس في الجامع لفظ فقال بل فيه انما الدنيا لاربعة نفر اي كل واحد عبارة عن جمع وصنف
عبد بالجر وبرفع رزقه الله مالا وعلما فيه ايماء لان العلم رزق البتة الله تعالى هو الذي
يرزق العلم والمال وبتوفيقه وفتحه ينفتح باب الكمال وقد ورد في حديث ان علما لا ينفق
به ككنز لا ينفق منه فيدخل العلما ولو كانوا فقرا في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
ثم فيه اشعار بان المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال فهو يتقي فيه اي في المال

ربه بان لا يصرف ماله في معصيته خالقه ويصل رحمه اي بالمواساة الي اقاربه ويعلم لله فيه
اي في العلم بحقه اي فيما ما يجب العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده ففيه
لف ونشر مرتب ويؤيده لفظ الجامع ويعلم لله فيه حقا ويمكن رجع كل من الضميرين
الي كل من المال والعلم وافراده باعتبار ما ذكر وقال ابن الملك اي بحق المال والمعني
يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة واطعام الضيف ويجوز
كون الضمير لله اي بحق الله الواجب في المال فهذا اي العبد الموصوف بما ذكر
بافضل المنازل اي في اكمل مراتب السائلين في الدنيا او في اعلي الدرجات في العقبي
وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية اي ظاهره مطابق لما في الطوية
يقول اي بيان القال او بلسان الحال او هو استيناف بيان او حال لو ان لي مالا لعملت
بعمل فلان اي من اهل الخير فاجرهما سواء ولفظ الجامع فهو بنيته فاجرهما سواء وعبد
رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط وفي الجامع يخبط بكسر الباء بدون فهو حال
او استيناف بيان والمعني يقوم ويقعد بالجمع والمنع في ماله او يختلف في حاله باعتبار
الانفاق والامساك في ماله بغير علم اي لغير استعمال علم بان يمسك تارة حرصا وحبا
للدنيا وينفق اخري للسمعة والرياء والفخر والخيلا لا يتقي فيه ربه اي لعدم
علمه في اخذه وصرفه ولا يصل فيه رحمه اي لغفلة رحمه وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله
ولا يعمل فيه بحق اي بنوع من الحقوق المتعلقة بالله او بعباده ولفظ الجامع ولا
يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو
يقول لو ان لي مالا لعملت فيه بعمل فلان اي من اهل الشر فهو بنيته اي فهو مغلوب
نيته ومحكوم طويته او الحمل بطريقة المبالغة فكانه عين نيته كرجل عدل وفي نسخة
فهو بنيته كذا في الجامع اي يجزي بها ومعاقب عليها ولما كان الظاهر ان اثمه بمجرد نيته
دون اثم العامل المشتمل عمله علي النية والمباشرة اكد الوعيد وشدد التهديد
بقوله ووزرهما سواء ولفظ الجامع فوزرهما سواء قال الطيبي فهو نيته مبتدا
وخبر اي فهو سيئ النية يدل عليه وقوعه في مقابلة قوله فهو صادق النية في
القرينة الاولي وقوله يقول لو ان لي مالا الخ تفسير لقوله صادق النية وقوله فهو
يقول لو ان لي مالا الخ مقابل له وقوله فاجرهما سواء وقوله ووزرهما سواء متقابلان
قال ابن الملك هذا الحديث لا ينافي خبر ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به صدورها
ما لم يعمل به لانه جعل هنا القول اللساني والمتنا وزعنه هو القول النفساني انتهي
والمعتمد ما قاله العلماء المحققون ان هذا اذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه
بفعلها فان عزم واستقر يكتب معصية ولو لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله اعلم
رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح قال المنذري حديث ابي كبشة رواه احمد
والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح وابن ماجة بمعناه ذكره ميرك وفي الجامع

وكذا رواه احمد في مسنده وروي ابن ابي الدنيا في ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف صدر
الحديث فقط ولفظ ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا
رجل من مظلمة ظلمها الا زاده الله تعالي بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل باب
مسألة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر فهذا ايدل علي ان الحديث الاول
مركب من حديثين جمعهما الراوي وجعلهما حديثا واحدا وما يدل عليه ان لفظ الجامع
عن الانماري ثلاث اقسم عليهن الي قوله باب فقر ثم قال واحدثكم حديثا فـ
احفظوه انما الدنيا الخ فالتغيرات المحتاجة الي التاويلات انما هي من تصرفات بعض
الرواة والله اعلم وعن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله تعالي اذا اراد
بعبد خيرا اي في عاقبته استعمله اي جعله عاملا في الطاعة فانه الفرد الاكمل عند
اطلاق العمل فقيل وكيف يستعمله يا رسول الله اي والحال انه دائم الاستعمال قال يوفقه
لعمل صالح قبل الموت اي حتي يموت علي التوبة والعبادة فيكون له حسن الخاتمة ثم يقبضه
عليه رواه الترمذي اي وقال صحيح نقله ميرك عن التصحيح ورواه الحاكم وقال
صحيح علي شرطهما ذكره المنذري وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابن حبان والحاكم
ورواه الطبراني عن ابي امامة ولفظه اذا اراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته قالوا
وما طهور العبد قال عمل صالح يلهمه اياه حتي يقبضه عليه ورواه احمد والطبراني
عن ابي عتبة ولفظه اذا اراد الله بعبد خيرا عسله بفتح العين والسين المهملتين
قالوا وما عسله بالضبط المذكور علي الحكاية قال يفتح له عملا صالحا قبل موته
ثم يقبضه عليه رواه احمد والحاكم عن عمرو بن الحمق بفتح فكسر ولفظه اذا اراد الله
بعبد خيرا استعمله قيل وما استعمله قال يفتح له عملا صالحا بين يدي موته حتي
يرضي عنه من حوله هذا ورواه احمد وابن حبان عن ابي سعيد مرفوعا ان الله اذا رضي
عن العبد اثني عليه بسبعة اصناف من الخير لم يعمله واذا سخط علي العبد
اثني عليه بسبعة اصناف من الشر لم يعمله انتهي وكان العمل في الموضعين مبني
علي نيته او محمول علي اخذ عبادة ظالم لمظلوم ووضع مظلمة من مظلوم علي ظالم
والله اعلم وعن شداد بتشديد الدال الاولي ابن اوس بفتح فسكون قال المؤلف
يكني ابا يعلي الانصاري قال عبادة ابن الصامت وابو الدرداء كان شداد ممن اوتي
العلم والحلم قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الكيس بفتح الكاف وتشديد
الياء اي العاقل الحازم المحتاط في الامور من دان نفسه اي جعلها دنية مطيعة لامره
تعالي منقادة لحكمه وقضائه وقدره وفي النهاية اي اذلها واستعبدها وقيل
حاسبها وذكر النووي انه قال الترمذي وغيره من العلماء معني دان نفسه حاسبها
انتهي اي حاسب اعمالها واحوالها واقوالها في الدنيا فان كانت خيرا حمد الله تعالي
وان كانت شرا تاب منها واستدرك ما فاتها قبل ان يحاسب في العقبي كما روي

وزاد في الجامع ص

حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقد قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد
وعمل اي عملا نافعا لما بعد الموت والعاجز اي عن استعمال العقل والاحتياط في
الامر والحاصل ان الكيس هو المومن القوي والعاجز هو المومن الضعيف وهو من اتبع
نفسه هواها من الاتباع اي جعلها تابعة لهواها من تحصيل المشتهيات واستيفاء
اللذات والشهوات بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات وتمنى على الله قائلا ربي
كريم رحيم وقد قال تعالى ما غرك بربك الكريم وقال نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال ان
الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقد
عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمني اشارة الى ان وقوعه قريب من المحال
وان كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الافضال قال الطيبي والعاجز
الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما امرته به نفسه فصار عاجزا لنفسه فاتبع
نفسه واعطاها ما اشتهته قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه
الرأي وللعاجز القادر ليؤذن بان الكيس هو القادر والعاجز هو السفيه وتمنى
على الله اي بذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة رواه الترمذي وابن ماجه
وكذا احمد والحاكم

الفصل الثالث

عن رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم سيأتي اسمه قال كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي فظهر لنا كطلعة الشمس وعلى راسه اثر ماء اي من الغسل فقلنا يا رسول الله نراك
طيب النفس اي ظاهر البشر والسرور منشرح الخاطر على ما تبين لنا منك التوفيق قال اجل
بفتحتين وسكون اللام المخففة اي نعم قال اي الرجل الراوي ثم خاض القوم اي
شرعوا وبالغوا في ذكر الغنى اي في سؤال له او ذم حاله وسوء ماله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا باس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل اشار بقوله لا باس ان الفقر افضل
لمن اتقى والصحة اي صحة البدن ولو مع الفقر خير من الغنى اي مطلقا والمعنى
وصحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب والعقاب في المال وطيب
النفس اي انشراح الصدر المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده الغنى والفقر
من النعيم اي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض العارفين
في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وقيل من
النعيم المسؤول عنه المذكور في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم والاولى في
ما ذكرناه فانه المؤثر لا حمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي ان يقال لغيره بالنسبة
اليه انه النعيم فان ما عداه قد يعد كونه من الماء الحميم او من عذاب الجحيم رواه احمد
وكذا ابن ماجه والحاكم عن يسار بن عبد على ما في الجامع فتبين ابهام الرجل مع ان
جهالة الصحابي لا تضر فان الصحابة كلهم عدول وعن سفيان الثوري قال

كان المال فيما مضى يكره اي عند ارباب الحال فاما اليوم اي في هذا الزمان فهو
ترس المومن اي جنته من جنة وجنته بلا امتنان وحاصله ان المال الحلال يقي
صاحب الحال من الوقوع في الشبهة والحرام ويمنعه من ملازمة الظلمة ومصاحبتهم
في الظلام او يتستر به المومن عن الرياء والسمعة والشهرة عند العوام وقال لولا
هذه الدنانير اي وجودها عندنا وظهور استغنائنا بها عند الخلق لتمندل بنا هؤلاء
الملوك اي لجعلونا مثل منديل اوساخهم وهي كناية عن الابتذال والمذلة للظلمة
او عن موافقتهم في تصويراتهم وتحصيل المسالة قيل هو ماخوذ من البذل وهو الوسخ
قيل لبعضهم ان المال يدنيك من الدنيا فقال لئن ادناني من الدنيا لقد صانني عنها
وقيل لان اترك ما لا يحاسبني الله عليه خير من احتياج الى الناس لعبي احتياجي الى
الله خير من احتياجي الى ما سواه وقد اخرج الطبراني في الاوسط عن المقدام بن معدي
كرب مرفوعا به ياتي على الناس زمان من لم يكن معه اصفر ولا ابيض لم يتهنأ
بالعيش وهو عند الامام احمد بلفظ ياتي على الناس زمان لا ينفع فيه الا الدرهم
والدينار هذا وقد قيل الدراهم للتجار كانت مراهم وقال اي الثوري من كان في يده من
هذه اي الدنانير والاموال شيء اي قليل على قدر الكفاية فليصلحه اي ليصرفه
على وجه القناعة او لا يتلفه بل يستزيده بنوع من التجارة فانه اي زماننا زمان تعجيب
من وصفه ان احتاج اي الشخص فيه كان اول من يبذل دينه اي لتحصيل دنياه واول
منصوب وقيل مرفوع قال الطيبي اي كان ذلك الشخص اول شخص يبذل دينه فيما
يحتاج اليه هو ولو حمل من على ما لا نقل المالكي عن قطرب لكان ابين ويؤيده رواية الكشاف
من كان اول ما ياكل دينه فما موصوفة واول اسم كان ودينه خبره قلت ويمكن عكسه
بل هو الاظهر فتدبر وقال اي الثوري الحلال اي لانه قليل الوجود في المال لا يحتمل
الاسراف اي صرفه بالاكثار قال الطيبي يحتمل معنيين احدهما ان الحلال لا يكون كثيرا فلا يحتمل
الاسراف وثانيهما ان الحلال لا ينبغي ان يسرف فيه ثم يحتاج الى الغير انتهى وفي كل منهما
نظر اذ معنى الاسراف هو التجاوز عن الحد بان يصرفه في غير محله زيادة على قدره وهو
يجري في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام فالاوجه ان يقال ان الحلال من خاصيته
انه لا يقع في الاسراف كصرفه في الماء والطين بل مزورة وكذا زيادة اعطاء الاطعمة على
طريق الرياء والسمعة ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف وفيه تنبيه انه ينبغي
للطالب ان يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال وان يقنع به ولا يصرفه
على طريق الاسراف لئلا يحوج نفسه الى الاكابر والاشراف رواه في شرح السنة
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة
اين ابناء الستين اي اصحابها من وصل عمره اليها وهو العمر الذي قال الله تعالى اي في حقه
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال الطيبي ما موصوفة اي عمرناكم عمرا يتعظ فيه

الغافل الذي من شانه ان يتعظ وجاءكم النذير اي المنذر او الانذار وهو الشيب او القران او الرسول او الموت او جنس المنذر فيشمل الكل والجملة حالية رواه البيهقي في شعب الايمان وفيه سبق ما يتعلق به رواية ودراية وعن عبد الله بن شداد انما بني حليل كما سيجي بيانه ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال ان نفرًا من بني عذرة بضم فسكون قبيلة مشهورة ثلاثة بالنصب بدلا او بيانا من نفرًا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم اي جاؤه فاسلموا اي واراد الاقامة بنية المجاهدة وهم من اهل الفقر والفاقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفنيهم فبيان من يكفينيهم اي مؤنتهم من طعامهم وشرابهم ونحو ذلك قال الطيبي هم ثاني مفعولي يكفي على تقدير مضاف قال ابو طلحة انا اي اكفيكهم فكانوا اي الثلاثة او النفر عنده اي عند ابي طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا اي ارسل سرية فالبعث بمعنى المبعوث فخرج فيه اي في ذلك البعث احدهم فاستشهد بصيغة المجهول اي صار شهيدا ثم بعث بعثا فخرج فيه الاخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه اي مرابطا ناويا للجهاد وقال اي ابن شداد قال طلحة فرايت اي في المنام او في كشف المقام هؤلاء الثلاثة في الجنة ورايت الميت على فراشه اي الكائن عليه امامهم بفتح الهمزة اي قدامهم قال الطيبي الظاهر ان يقال امامهما الا ان يقال المراد المقدم من بينهما ويذهب الى ان اقل الجمع اثنان والذي عطف على الميت وفي نسخة فالذي استشهد اخرا يليه اي يقرب الميت واوله بالنصب وقيل برفعه بليه اي يلي المستشهد اخرا فدخلني اي شيء من ذلك اي مما رايته من التقديم والتاخير على ما كان يخطر في الضمير والفاعل محذوف على مذهب ابن مالك فقال الفاضل اي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت له ذلك مستغربا ومنكرا فقال وما انكرت اي واي شيء انكرت من ذلك والمعنى لا تنكر شيئا منه فانه ليس احد افضل عند الله فالاستيناف مبين متضمن للعلة اي ليس احد اكثر ثوابا عنده سبحانه من مومن يعمر بتشديد الميم المفتوحة اي يطول عمره في الاسلام لتسبيحه اي لاجل تسبيحه وتكبيره وتهليله اي ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية ولفظ الجامع رواية عن احمد لتكبيره وتحميده وتسبيحه وتهليله قال ميرك حديث عبد الله بن شداد رواه احمد وابو يعلى ورواتهما رواة الصحيح وفيه قوله عند احمد ارسالا لكن وصله ابو يعلى بذكر طلحة فيه كذا قاله المنذري في الترغيب وكانه يشير الى ان عبد الله بن شداد ليست له صحبة وانه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكره العجلي انه من كبار التابعين الثقات وكان معدودا في الفقهاء ولم يصرح في هذا الحديث عند احمد بالسماع بل قال ان نفرًا الخ وصرح ابو يعلى بانه رواه عن طلحة ومما ناسب حديث عبد الله بن شداد هذا وحديث عبيد بن خالد الذي سبق في الفصل الثاني ما رواه احمد باسناد حسن عن ابي هريرة قال كان رجلان من بلي فضاعة اسلما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشهد

احدهما واخر الاخر سنة قال طلحة بن عبيد الله فرايت المؤخر منهما ادخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فاصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة الاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلواة سنة ورواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه والبيهقي كلهم عن طلحة بنحو المؤلف منه وزاد ابن ماجة في اخره فلما بينهما ابعد مما بين السما والارض وعن محمد بن ابي عميرة بفتح العين وكسر الميم قال المؤلف مزني يعد في الشاميين روى عنه جبير بن نفير وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان عبدا لو خر بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء اي سقط على وجهه من يوم ولد بفتح الميم على البناء وقيل بجرها مونا الى ان يموت هرما بفتحتين اي ذا هرم وفي نسخة بكسر الراء اي شيخا كبيرا في طاعة الله لحقره بتشديد القاف اي لعده قليلا لما يرى من ثواب العمل في ذلك اليوم ولود اي لاحب وتمنى انه رد الى الدنيا كيما يزداد اي ليزيد من الاجر والثواب اي من اجر العمل بمقتضى الوعد والعدل وزيادة المثوبة على طريق الفضل رواهما اي الحديثين احمد اي في مسنده لكن الثاني رواه موقوفا والاول رواه مرسلا كما تقدم والله اعلم وروى احمد والبخاري في تاريخه والطبراني عن عتبة بن عبد الله مرفوعا ان رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما في مرضاة الله لحقره يوم القيامة

باب التوكل والصبر

قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله يحب المتوكلين قال واصبر وما صبرك الا بالله ان الله مع الصابرين جمع بينهما لتلازمهما وعدم انفكاكهما وقدم التوكل لانه منتج الصبر وبه يحلو المر وينكشف الضر فان النصر مع الصبر ومن توكل على الله كفاه فقال بعضهم التوكل على احد هو ان يتخذه بمنزلة الوكيل القائم بامره المتكفل باصلاح حاله على قدره وقال ابن الملك المراد بالتوكل هو ان يتيقن ان لا يصيبه الا ما كتبه الله له من النفع والضر انتهى والصبر على مراتب من حبس النفس عن المناهي وعن المشتهيات والملاهي وعلى تحمل المشاق في اداء العبادات وعلى تجرع المرارات عند حصول المصيبات ووصول البليات هذا وفي النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت امري الى فلان اي الجات اليه واعتمدت فيه وعليه ووكل فلان فلانا اذا استكفاه امره ثقة بكفايته او عجزا عن القيام بامر نفسه والوكيل هو القيم الكفيل بارزاق العباد وحقيقته انه مستقل بامر الموكول اليه وقال الراغب الصبر الامساك في ضيق يقال صبرت الدابة حبستها بلا علف والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان

في امساك الكلام سمي كتمانا وضده الافشاء وزاد في عين العلم وفي فصول العيش زهد وضده الحرص وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره انتهى والتوكل بلسان العارفين على ما قال السري السقطي هو الانخلاع من الحول والقوة بلا انزاع وقال ابن مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضا في الاحكام وقال الجنيد التوكل ان يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل ثم قيل الصبر على ثلاثة انواع صبر العوام وهو حبس النفس على ما يكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارة من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء وبه يصل الى مرتبة الشكر وغاية الرضا بالقضا وقد ورد اعبد الله على الرضا فان لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير وقال تعالى عسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا

الفصل الاول

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب اي مستقلا من غير ملاحظة اتباعهم فلا ينافي ما ورد من ان مع كل واحد منهم سبعون الفا الذين لا يسترقون اي لا يطلبون الرقية مطلقا او بغير كلمات القرانية والاسما الصمدانية ولا يتطيرون اي ولا يتشاهون بنحو الطير ولا ياخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة الشر والخير بل يقولون كما ورد اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك اللهم لا ياتي بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت وعلى ربهم يتوكلون اي في جميع ما يفعلون ويتركون قال الطيبي الجمع بين جملتي لا يسترقون ولا يتطيرون من التشاؤم الذي يراد به الاستيعاب كقولهم لا ينفع زيد ولا عمرو وعلى معنى لا ينفع الانسان شيء ما قال صاحب النهاية هذا من صفة الاوليا المعرضين عن اسباب الدنيا وعوايقها الذين لا يلتفتون الى شيء من علايقها وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم واما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات ومن صبر على البلا وانتظر الفرج من الله سبحانه بالدعا كان من جملة الخواص والاوليا ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدوا الا ترى ان الصديق لما تصدق بجميع ما له لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم علما منه بيقينه وصبره ولما اتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال لا املك غيره فضربه بحيث لو اصابه لعقره وقال فيه ما قال قلت الظاهر ان سبب غضبه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاتيانه بجميع ما له بل لانه اسره واظهر حاله بقوله لا املك غيره مع الايما الى توهم السمعة والريا والله اعلم وفي شرح مسلم للنووي قال المازري احتج بعضهم به على ان التداوي مكروه ومعظم العلما على خلاف ذلك واحتجوا بالاحاديث الواردة في منافع الادوية وبتداويه صلى الله عليه وسلم تداوي وباخبار عايشة رضي الله عنها عن كثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقياه فاذا ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون ان الادوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الامر الى الله تعالى قلت لا يصح حمل الحديث المذكور على القوم المسطور فانه صريح في انهم من كمل الاوليا وخلص الاصفيا

فالصواب

الزم

فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من الاولى في حق اهل الهداية عدم التعلق الى الاسباب الغير العادة وان كان جاز هذا للعوام وارباب البداية وحمل فعله صلى الله عليه وسلم في المعالجة بالادوية على اختيار الرخصة رعاية لعامة الامة او على مرتبة جمع الجمع المشهور عند الصوفية من ان مشاهدة الاسباب وملاحظة صنايع رب الارباب هو الاكمل والافضل عند الكمل فتدبر وتامل ولعل الحديث مقتبس من احد معنيي قوله انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب والله اعلم بالصواب متفق عليه وعنه اي عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال عرضت علي اي اظهرت لدي الامم اي مع انبيايهم فجعل يمر النبي صلى الله عليه وسلم التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل احد انه ما هو فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبي فالمعنى انه يمر نبي منهم عند العرض علي ومعه الرجل اي الواحد من اتباعه ليس له تابع غيره والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط اي الجماعة والمراد الرجال والنبي وليس معه احد اي لا من الرجال ولا من النسا والمراد من النبي هنا الرسول بالتبليغ وقيد الرجل لبيته واقتبه غالبية او قضيته مثالية والمراد الوحدة والتثنية والجمعية فرايت اي من امامي سوادا كثيرا اي جمعا عظيما وفوجا جسيما سد الافق اي سد طرف السما فرجوت ان يكون اي السواد الكثير امتي فقيل هذا موسى في قومه اي ممن امن به ولم يتغير عن دينه ثم قيل لي انظر فكانه صلى الله عليه وسلم اطرق حينئذ واعرض عن موضع العرض فقيل له انظر ترى رجالا فرايت اي من قدامي سوادا كثيرا سد الافق فقنعت بذلك وشكرت لها هنالك فقيل لي ابدي لك الزيادة على ما ذكرت من الاستفادة انظر هكذا وهكذا اي الى اليمين والشمال فرايت سوادا كثيرا سد الافق فقيل اي لي هؤلا اي مجموع ما في ما بين يديك وطرفيك امتك ومع هؤلا اي من جملتهم او زيادة عليهم سبعون الفا قدامهم وفيه منقبة عظيمة لهم كما في قوله يدخلون الجنة بغير حساب قال النووي يحتمل هذا ان يكون معناه وسبعون الفا منك غير هؤلاء وان يكون معناه في جملتهم سبعون الفا ويؤيد هذا رواية البخاري هذه امتك ويدخلون الجنة من هؤلاء سبعون الفا هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون اي لا عند الضرورة لما وقع الكي من بعض الصحابة منهم سعد بن وقاص احد العشرة او مطلقا استسلاما للقضا وتلذذا بالبلا مع علمهم انه لا يضر ولا ينفع الا الله ولا تاثير بحسب الحقيقة لما سواه فهم في مرتبة الشهود خارجون عن دايرة الوجود فانون عن حظوظ انفسهم باقون بحق الله في حراسة انفاسهم فقام عكاشة بضم العين وتشديد الكاف ويخفف على ما في القاموس والمعنى ابن محصن بكسر ميم وفتح صاد قال المؤلف اسدي شهد بدرا وما بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عرجونا او عودا فصار في يده سيفا وكان من فضلاء الصحابة مات في خلافة الصديق وله خمس واربعون سنة روى عنه ابو هريرة وابن عباس واخته

ام قيس فقال ادع الله ان يجعلني منهم ما احسن هذا السؤال المشير الى انه من اصحاب
الكمال بل من ارباب الوصال حيث علم انه لم يصل الجهد المقام والحال الا بوسيلة دعائه
صلى الله عليه وسلم من ذي الجلال والجمال قال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل اخر فقال ادع
الله ان يجعلني منهم والظاهر ان الاول كان ناويا وقاصدا للقيام باوفاقهم بل متصفا
باحوالهم وان الثاني طلبه على وجه التمني من غير التعني وطريق التقليد في التحلي من غير
قصد التخلي قال سبقك بها اي بهذه الدعوة عكاشة وقد استجيبت له او بهذه المسألة
او المعتبر فيها هي الاولية كما ورد ان الصبر عند الصدمة الاولى ولعل وجه الامتناع
من الدعاء ان لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه الاكتفا قال ابن الملك لانه لم يؤذن
له في ذلك المجلس بالدعاء الا لواحد وفيه حث على المسارعة الى الخيرات وطلب دعاء
الصالحين لان في التاخير افات وقيل كان الرجل منافقا فاجابه صلى الله عليه وسلم بكلام
محتمل ولم يصرح بانك لست منهم لحسن خلقه انتهى وقيل قد يكون سبق عكاشة
بوحي ولم يحصل ذلك للاخر وقال القاضي عياض قيل ان الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق
تلك المنزلة ولا كان بصفة اهلها بخلاف عكاشة وفي شرح الطيبي قال الشيخ
وقد ذكر الخطيب البغدادي انه قال في كتابه في الاسماء المبهمة انه يقال ان هذا الرجل
هو سعد بن عبادة فان صح هذا ابطل هذا قول من زعم انه منافق متفق عليه وعن
صهيب بالتصغير قال المؤلف هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى ابا
يحيى كانت منازلهم بارض الموصل فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك
الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به
مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام معه الى ان هلك واسلم قديما بمكة
وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل
ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله روى عنه جماعة مات سنة ثمانين
وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا اي عجبت
عجبا لامر المؤمن اي لشانه وماله في كل حاله ان امره كله بالنصب ويجوز رفعه كما قرئ
بالوجهين في قوله تعالى قل ان الامر كله لله اي جميع اموره له خير اي خير له في المآل وان
كان بعضه شرا صوريا في الحال وقدم الظرف اهتماما وليس ذلك لاحد الا للمؤمن قال
الطيبي مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية انتهى وفيه ان الاظهار والاضمار
مستويان في الاشعار بالعلية ولعل النكتة هي اظهار الاشعار على وجه التصريح
فانه آكد من طريق التلويح ثم بينه على وجه التوضيح بقوله ان اصابته سراء اي نعماء
وسعة عيش ورخاء وتوفيق طاعة من اداء وقضاء شكر فكان اي شكره خيرا له وان
اصابته ضراء اي فقر ومرض ومحنة وبلية صبر فكان اي صبره خيرا له وبهذا تبين
قول بعض العارفين انه لا يقال على الاطلاق ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر

بل حالة

بل حالة التفويض والتسليم اولى والقيام بمقتضى الوقت اعلى [illegible] اختلاف الاحوال
وتفاوت الرجال قال تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال تعالى ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا
يصلح له الا الفقر فلو اغنيته لفسد حاله وان من عبادي من لا يصلح له الا الغنى فلو افقرته
لضاع حاله ولذا قال عمر رضي الله عنه الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايتهما
اركب وعلى هذا الاختلاف الواقع بين القوم في طلبه طول العمر لطاعة الله او طلب
الموت لخوف الفتنة او للاشتياق الى لقاء الله ثم المقام التفويض والتسليم كما اشار اليه
صلى الله عليه وسلم اللهم احيني ما دامت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي
واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ثم وجه حصر الخير
في كل حال للمؤمن الكامل ان غيره ان اصابته سراء شبع وبطر وان اصابته ضراء
جزع وكفر بخلاف حال المؤمن فانه كما قال بعض ارباب الكمال

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتسع العمر
اذا مس بالنعماء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبه الاجر

رواه مسلم وكذا الامام احمد وروى احمد وابن حبان عن انس مرفوعا عجبت للمؤمن ان
الله تعالى لم يقض له قضاء الا كان خيرا له وروى الطيالسي والبيهقي في شعب
الايمان عن سعد مرفوعا عجبت للمسلم اذا اصابته مصيبة احتسب وصبر واذا
اصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها الى فيه
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي اي القادر
على تكثير الطاعة خير واحب الى الله عطف تفسيري من المؤمن الضعيف اي العاجز
عنه وفي كل خير اي اصل الخير موجود في كل منهما قيل المراد بالمؤمن القوي الصابر
على مخالطة الناس وتحمل اذيتهم وتعليمهم الخير وارشادهم الى الهدى ويؤيده
ما رواه احمد وغيره عن ابن عمر مرفوعا المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم
افضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وقيل اراد بالمؤمن القوي
الذي قوي في ايمانه وصلب في ايقانه بحيث لا يرى الاسباب ووثق بمسبب الاسباب
والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في ادنى مراتب الايمان وقال النووي القوة هنا
يراد بها عزيمة النفس في امور الاخرة فيكون صاحب هذا الكمال اكثر اقداما على العدو
في الجهاد واسرع خروجا وذهابا في طلبه واشد عزيمة في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك وقوله في كل خير معناه في كل من القوي
والضعيف خير لاشتراكهما في الايمان مع ما ياتي به الضعيف من العبادات احرص
بكسر الراء ومنه قوله تعالى ان تحرص على هداهم وفي نسخة بفتحها ففي القاموس

حرص كضرب وسمع والمعنى كن حريصا على ما ينفعك اي من امور الدين واستعن بالله اي
على فعلك فانه لا حول ولا قوة الا بالله ولا تعجز بكسر الجيم ومنه قوله تعالى اعجزت وفي
نسخة بالفتح ففي القاموس عجز كضرب وسمع اي ولا تعجز عن الحرص والاستعانة
فان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعطيك قوة على طاعته اذا استقمت على استعانته
وقيل معناه لا تعجز عن العمل بما امرت ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة فان كمال الايمان
جمع بينهما قال الطيبي يمكن ان يذهب الى اللف والنشر فيكون قوله احرص على ما ينفعك
ولا تترك الجهد بيانا للقوي ولا تعجز بيانا للضعيف وان اصابك شيء اي من امر دينك
او دنياك فلا تقل لو اني فعلت كذا وكذا كان اي لصار كذا وكذا فان هذا القول غير
سديد ومع هذا غير مفيد فانه قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال
صلى الله عليه وسلم ما اصابك لم يكن ليخطيك وما اخطاك لم يكن ليصيبك وقد قال عز
وجل لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولكن قل اي بلسان القال او بلسان الحال قدر الله بتشديد الدال وي
اي قل قدر الله كذا وكذا اي وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره وما شاء اي الله
فعله فانه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه فان لو كلمة الشرط ولو
ان تفتح عمل الشيطان قال الشاطبي رحمه الله وكم لو وليت تورث القلب انحلا قال
بعض شراح المصابيح اي ان قول لو واعتقاد معناها يفضي بالعبد الى التكذيب بالقدر
او عدم الرضا بصنع الله لان القدر اذا ظهر بما يكره العبد قال لو فعلت كذا لم يكن كذا
وقد قدر في علم الله انه لا يفعل الا الذي فعل ولا يكون الا الذي كان وقد اشار صلى الله
عليه وسلم بقوله فقل ذلك ولكن قدر الله وما شاء فعل ولم يرد كراهة التلفظ بلو في جميع
الاحوال وسائر الصور وانما عنى الاتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة للقدر
والتاسف على ما فات من امور الدنيا والا فقد ورد في القران مثل لو كنتم في بيوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتل وفي الحديث لو اني استقبلت من امري ما استدبرت لانه لم يرد به
منازعة القدر وقال القاضي قوله فان لو تفتح اي لو كان الامر وكنت مستبدا بالفعل
والترك كان كذا وكذا فيه تاسف على الفائت ومنازعة للقدر وايهام بان ما كان يفعله
باستبداده ومقتضى رايه خير مما ساقه القدر اليه من حيث ان لو تدل على انتفاء الشيء
لانتفاء غيره فيما مضى ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث فسخ الحج الى العمرة ولو اني استقبلت من امري ما استدبرت ليس من
هذا القبيل وانما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل باعمال العمرة
وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض هذا النهي انما هو لمن قاله معتقدا
ذلك حتما واما قول ابي بكر رضي الله عنه لو ان احدهم رفع راسه لرانا فهذا لا حجة فيه
لانه انما اخبر عن مستقبل وكذا قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت راجما بغير بينة
لرجمت هذه وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر فلا كراهة فيه لانه انما اخبر عن

اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته واما القاضي فليس في قدرته
واما معنى قوله فان لو يفتح عمل الشيطان انه يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس
به الشيطان قال الشيخ وقد جاء استعمال لو في الماضي كقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت
من امري ما استدبرت لم اسق الهدي فالظاهر انما ورد فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه
لا تحريم واما من قاله متاسفا على ما فات من طاعة الله تعالى او هو متعذر من ذلك فلا
باس به وعليه يحمل اكثر استعمال لو الموجودة في الاحاديث اقول بل التاسف على فوت طاعة
الله مما يثاب فينبغي ان يعد من باب الاستحباب فقد روى الرازي في مشيخته عن ابي عمرو
من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته
اقترب من الجنة مسيرة الف سنة ذكره السيوطي في الجامع رواه مسلم ولفظ الجزري في الحصن ومن
وقع له ما لا يختاره فلا يقل لو اني فعلت كذا وكذا اي لكان كذا وكذا او لو للتمني
ولكن ليقل قدر الله وما شاء فعل رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني لكن لفظ
النسائي وابن السني قدر الله موضع بقدر الله وقد ضبط بصيغة الفعل مخففا ومشددا
وبصيغة المصدر بالرفع مضافا وايضا لفظهما صنع بدل فعل والله اعلم وروى ابو داود
والنسائي وابن السني عن عوف بن مالك الاشجعي مرفوعا من غلبه امر فليقل حسبي الله ونعم
الوكيل

الفصل الثاني

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون وفي رواية الجامع بحذف احدى التائين اي
تعتمدون على الله حق توكله اي بان تعلموا يقينا ان لا فاعل في الوجود ولا موجود الا الله وان
كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة
وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود من الله تعالى ثم سعيتم في الطلب على الوجه
الجميل ويشهد لذلك تشبيهه بالطير فانها تغدو خماصا ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطانا
لرزقكم اي ولو تركتم الاسباب فانه يرزق البطال والعمال ويرزق الضعيف بحيث
يتعجب القوي كما يرزق الطير بصيغة الفاعل تغدو اي تذهب اول النهار خماصا بكسر
الخاء المعجمة جمع خميص اي جياعا وتروح اي ترجع اخر النهار بطانا بكسر الموحدة جمع بطين
وهو عظيم البطن والمراد شباعا وفي قوله تغدو ايماء الى ان السعي بالاجمال لا ينافي الاعتماد
على الملك المتعال كما قال تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالحديث
للتنبيه على ان الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى لا للمنع عن الكسب فان التوكل
محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع انه قد يرزق ايضا من غير حركة بل بتحريك غيره
اليه يصل رزق الله ببركته كما يستفاد العموم من قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وقد حكي ان فرخ الغراب عند خروجه من بيضه يكون ابيض فيكرهه
الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ ضايعا فيرسل الله تعالى الذباب والنمل فيلتقطهما
الى ان يكبر قليلا ويسود فيرجع اليه الغراب فيراه اسود فيضمه الى نفسه فيتعهده

فهذا يصل اليه رزقه بلا سعي والحكايات في ذلك كثيرة والروايات به شهيرة ومن غرائب
ما حكي عن الله سبحانه وتعالى قال لعزرائيل هل رحمت على احد عند نزع الارواح فقال نعم
يا رب حين غرقت اهل سفينة وبقي بعض اهله على الالواح وكانت امرأة بولدها ترضعه
فوق لوح فامرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها قال تعالى فالقيناه على جزيرة وارسلت
اليه اسدا ترضعه الى ان كبر فلما كبر قيضت له بعضا من الجن ليعلموه لسان الانس الى ان
نشأ نشأة كاملة ودخل في العمارة وحصل له الامارة ووصل الى مرتبة السلطنة واحاط
بجميع المملكة فادعى الالوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية واسمه شداد
والله رؤف بالعباد فالرحيم الذي يرزق اعداءه كيف ينسى احباءه قال الشيخ ابو حامد
قد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على
الارض كالخرقة الملقاة او كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فان ذلك حرام في الشرع
والشرع قد اثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات
الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول انما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله الى
مقاصده وقال الامام ابو القاسم القشيري اعلم ان التوكل محله القلب واما الحركة بالظاهر
فلا ينافي التوكل بالقلب بعد ما يحقق العبد ان الرزق من قبل الله تعالى فان تعسر شيء
فبتقديره وان تيسر شيء فبتيسيره رواه الترمذي وابن ماجه وكذا احمد والحاكم وعن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ليس من شيء من زائدة
مبالغة اي ليس شيء من الاشياء يقربكم بتشديد الراء اي يجعلكم قريبا الى الجنة ويباعدكم
اي ومن شيء يبعدكم من النار على وجه السببية فالنسبة في الفعلين مجازية الا قد
امرتكم به اي بما ذكر او بكل منهما وليس شيء ليس من هنا في الاصول يقربكم من النار ويباعدكم
من الجنة الا قد نهيتكم عنه وفيه دليل صريح على ان جميع العلوم من الامور النافعة والامور
الدافعة تستفاد من الكتاب والسنة وان الاشتغال بغيرهما تضييع العمر من غير
المنفعة فان الروح الامين وفي نسخة وان روح الامين اي جبريل كما قال تعالى نزل
به الروح الامين وفي رواية وان روح القدس بضمتين ويسكن الدال كقوله تعالى
وايدناه بروح القدس اي الروح المقدسة من الاخلاق المدنسة قال الطيبي هو كما يقول
حاتم الجود ورجل صدق فهو من باب اضافته اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في
الاختصاص ففي الصفة القدس منسوب اليها وفي الاضافة بالعكس نحو مال زيد
نفث في روعي بضم الراء اي اوحى الي والقى من النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو اقل
من التفل لان التفل لا يكون الا ومعه شيء من الريق والروع الجلد والنفس كذا في النهاية
والمعنى انه اوحى الي وحيا خفيا ان نفسا بفتح الهمزة ويجوز الكسر لان الايحاء في معنى
القول والمعنى ان نفسا اي نفس وهي مخلوق لن تموت حتى تستكمل رزقها اي
المقدر لها كما اشار اليه سبحانه بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم الآية

اي

اي تنتهوا فاتقوا الله فانكم مامورون بالتقوى وبالسعي الى الدرجات العلى واجملوا من
الاجمال اي واحسنوا في الطلب اي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه فانكم غير مكلفين
بطلب الرزق قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما
اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال عز وجل وامر اهلك بالصلاة
واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فالامر للاباحة او المعنى
اطلبوا من الحلال فالامر للوجوب ويؤيده قوله ولا يحملنكم بكسر الميم اي لا يبعثنكم استبطاء
الرزق اي تأخيره ومكثه عليكم ان تطلبوه اي على ان تطلبوه بمعاصي الله اي بسبب ارتكابها
بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة واطلها رشاوة وعبادة وديانة واخذ
من بيت المال على وجه زيادة ونحو ذلك فانه اي الشأن لا يدرك ما عند الله اي من الرزق
الحلال ومن الجنة وحسن المآل الا بطاعته اي لا بتحصيل المال من طريق الوبال قال
الطيبي قوله فاجملوا اي اكتسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي
والاستبطاء بمعنى الابطاء والسين فيه للمبالغة كما ان استعف بمعنى عف في قوله
تعالى ومن كان غنيا فليستعفف وفيه ان الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله الى
العبد لكن العبد اذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بانه حلال واذا طلب بوجه
غير مشروع وصف بانه حلال واذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عند الله
اشارة الى ان الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله ان تطلبوه بمعاصي الله
اشارة الى ان ما عند الله اذا طلب بمعصية الله ذم وسمي حراما وقوله الا بطاعته
اشارة الى ما عند الله اذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفي هذا دليل بين لاهل
السنة على ان الحلال والحرام يسمى رزقا وكله من عند الله خلافا للمعتزلة رواه البغوي
في شرح السنة والبيهقي في شعب الايمان الا انه اي البيهقي لم يذكر وان روح القدس
ثم رواية روح القدس من روايات البغوي او غيره قال ميرك ورواه ابن ابي الدنيا في القناعة
والحاكم وصححه عنه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله
واجملوا في الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح
على شرط مسلم قلت وروى ابو نعيم في الحلية عن ابي امامة مرفوعا ان روح القدس
نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل اجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب
ولا يحملن احدكم استبطاء الرزق ان يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا
بطاعته وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهادة بفتح الزاي اي ترك
الرغبة في الدنيا ليست بتحريم الحلال كما يفعله بعض الجهال زعما منهم ان هذا من الكمال
فيمتنع من اكل اللحم والحلواء والفواكه ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك
وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ان الله لا يحب المعتدين وقد ثبت

ولا تعتدوا ام

انه صلى الله عليه وسلم فعل هذه الافعال ولا اكمل من حاله الكامل ولا اضاعة المال
اي ولا بتضييعه وصرفه في غير محله بان يرميه في بحر او يعطيه للناس من غير تمييز
بين غني وفقير حاصله ان لا عبرة بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الاموال الظاهرة
ثم توجه القلب الى الخالق عند الاحتياج الى المعيشة الحاضرة بل المدار على الزهد
القلبي بالانجذاب الربي ولذا استدرك ما سبقه من المقال حيث قال ولكن الزهادة
بتشديد النون ويخفف اي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة في الدنيا اي
في شانها ان لا تكون بما في يديك اي من الاموال او من الصنايع والاعمال اوثق
اي ارجى منك بما في يدي الله بصيغة التثنية اي بخزائنه الظاهرة والباطنة
وفيه نوع من المشاكلة والمعنى ليكن اعتمادك بوعد الله تعالى لك من ايصال
الرزق اليك ومن انعامه عليك من حيث لا تحتسب ومن وجه لا تكتسب اقوى واشد
مما في يديك من الجاه والمال وانواع العقار وانواع الصنايع من الاستعمال ولو علم الكيميا
وعمل السيميا فان ما في يديك يمكن تلفه وفناؤه بخلاف ما في خزائنه فانه محقق
بقاؤه كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وان تكون عطف على ان لا
تكون اي والزهادة فيها ايضا ان لا تلتفت الى التنعم فيها والتلذذ بوجود
نعمها بل وان خفت حصول المحنة ووصول البلية فيها لئلا يميل قلبك
اليها ولا تستانس نفسك بما عليها فتكون حينئذ في ثواب المصيبة اذا انت اصبت
بها بصيغة المجهول ارغب فيها اي في حصول المصيبة لو انها اي لو فرض ان تلك
المصيبة ابقيت لك اي منعت لاجلك واخرت عنك فوضع ابقيت موضع لم
تصب وجواب لو ما دل عليه ما قبلها وخلاصته ان تكون رغبتك في وجود المصيبة
لاجل ثوابها اكثر من رغبتك في عدمها فهذان الامران شاهدان عدلان على
زهدك في الدنيا وميلك في العقبى وقال الطيبي ثوابها ابقيت لك حال من فاعل
ارغب وجواب لو محذوف واذا ظرف والمعنى ان تكون في حال المصيبة وقت
اصابتها ارغب من نفسك في المصيبة حال كونك غير مصاب بها [illegible] لانك تثاب
بوصولها اليك ويفوتك الثواب اذا لم تصل اليك رواه الترمذي وابن ماجه
وقال الترمذي هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث قلت
وغايته انه حديث ضعيف مبنى لكنه حديث شريف معنى ومثله يعتبر في فضائل
الاعمال في جميع الاقوال ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى
وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما رديفه وفيه
اشعار بكمال حفظه واستحضار لفظه واتقانه فهذا الحديث من جملة احاديثه
التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فاكثر مروياته بالواسطة لكنها
معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة وما ذاك الا لاجل صغره في زمانه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم فان المولد ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشر لكن صار خير هذه
الامة وعالمها لانه صلى الله عليه وسلم دعا له بالحكمة والفقه والتاويل ورأى
جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في اخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين
في ايام ابن الزبير وهو ابن احدى وسبعين سنة وروى عنه خلق كثير من الصحابة
والتابعين قيل المعنى امشي خلفه لا انه راكب رديفه وهو مردود لما في وسيط
الواحدي عن ابن عباس انه اهدى كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها
بحبل من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي ميلا ثم التفت فقال يا غلام بالرفع
كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المعتمدة والظاهر كسر الميم بناء على ان اصله
يا غلامي بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفا اكتفي بكسرة ما قبلها لكن قد يضم
وذلك في الاسم الغالب عليه الاضافة الى الياء للعلم بالمراد ومنه القراءة الشاذة
رب احكم بضم الباء على انه يحتمل وقوع ضمها لمشاكلة ضم الكاف كما حقق في وان احكم
حيث قرئ بالوجهين من السبعة ثم في يا غلام لغة اخرى وهي قلب الياء الفا وقد
جاءت شاذة يا غلاما بالفتح اكتفاء بالفتحة عن الالف فالمعتمد الاظهر انه صلى الله عليه وسلم
وقف عليه بالسكون ولم يظهر عليه اعرابا على ما هو المتعارف في مثله هذا والمراد
بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك وفي القاموس الغلام الطار الشارب
والكهل ضد او من حين تولد الى حين يشيب والمقصود من النداء استحضاره لديه
وتوجهه الى ما يلقى اليه وزاد في الاربعين اني اعلمك كلمات اي فصولا مفيدة
في دفع البلاء وجلب المنافع احفظ الله اي امره ونهيه يحفظك اي يحفظك في
الدنيا من الآفات والمكروهات وفي العقبى من انواع العقاب والدركات جزاء
وفاقا فان من كان لله كان الله له احفظ الله اي حقه من دوام ذكره وتمام
فكره وقيام شكره تجده تجاهك بضم التاء اي امامك والمعنى انك تجده حينئذ
كانه حاضر تلقاءك وقدامك وتشاهده في مقام احسانك وايقانك وكمال ايمانك
كانك تراه بحيث تغني بالكلية عن نظرك ما سواه فالاول حال المراقبة والثاني
مقام المشاهدة وقيل المعنى اذا حفظت طاعة الله وجدته يحفظك وينصرك
في مهماتك اين ما توجهت ويسهل لك الامور التي قصدت وقيل المعنى تجد احسانه
ورأفته قريبا منك يراعيك في جميع الاحوال وينقذك من جميع الاهوال ويسعدك
بانواع التحف والكرامات فهو تلميح الى قوله تعالى وهو اقرب اليه من حبل الوريد
وقد اشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار
محيط بها قاهر عليها اقرب من وجودها اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد
فقط بل بمعنى اخر لا يجوز كشفه رمزت اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب اذا

ماتلاشيت في نوره يقول الجبال دع فاني خربت قال الطيبي اي راع حق الله وتحر رضاه
تجده تجاهك اي مقابلك وحذاءك والتاء بدل من الواو كما في تقاة وتخمة اي احفظ
حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والاخرى واذا سألت اي اردت السؤال
فسئل الله باثبات الهمزة ويجوز نقله فيشا [illegible] الله وحده فان خزائن العطايا عنده ومفاتيح
المواهب والمزايا بيده وكل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانها تصل الى العبد او
تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق
والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى ولا يخشى الا نقمته ويلتجى في عظائم
المهام اليه ويعتمد في جمهور الامور عليه ولا يسأل غيره لان غيره غير قادر على العطاء والمنع
ودفع الضر وجلب النفع فانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا
ولا حياة ولا نشورا لا يترك السؤال بلسان الحال او بيان المقال في جميع الاحوال
ففي الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه اذ السؤال اظهار شعائر الانكسار والاقرار
بسمة العجز والافتقار والانفصال عن ذروة القوة والطاقة الى حضيض الاستكانة
والفاقة ونعم ما قيل الله يغضب ان تركت سؤاله وابن ادم حين يسأل يغضب
واذا استعنت اي اردت الاستعانة على الطاعة وغيرها من امور الدنيا والاخرة
فاستعن بالله فانه المستعان وعليه التكلان في كل زمان ومكان واعلم زيادة
حث على التوجه اليه والتقرب بالاستفادة لديه ان الامة اي جميع الخلق من
الخاصة والعامة والانبياء والاولياء وسائر الامة لو اجتمعت اي ان اتفقت
فرضا وتقديرا على ان ينفعوك بشيء اي في امر دينك او دنياك لم ينفعوك اي لم
يقدروا ان ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك اي قدره واثبته في الذكر ووقع
منه وقدر اذنهم في ذلك ولو اجتمعوا وقع في الاربعين هنا بلفظ وان اجتمعوا
فقال بعض الشراح من المحققين ان لفظ لو فيما سبق بمعنى ان اذ المعنى
على الاستقبال كقوله تعالى لو تركوا من خلفهم وتكلفه المعهود وان اجتماعهم
على [illegible] من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه ممكن ولذا قيل الظلم
من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم انتهى كلامه وهو غفلة منه
عن الحكم المفترض في الاعتقاد ان اجتماعهم على ايصال النفع والضر بدون المشيئة
من المحال فان ثبتت الرواية بالاختلاف فهو من باب التفنن واختيار لو في القرينة
الاولى اولى لانها ادل على الفرضية المحالية ووقوع ان في الثانية على اصلها
مع استفادة الحكم من المعطوف عليها على ان يضروك بشيء اي من سلب نفع او
جلب ضر لم يضروك اي لم يقدروا ان يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك وخلاصته
المعنى انك وحد الله في المطلب والمهرب فهو الضار النافع والمعطي المانع وفي
بعض الكتب الالهية وعزتي وجلالي لاقطعن من يؤمل غيري ولالبسنه ثوب

المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلي ولاجعلنه متفكرا حيرانا
يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويطرق بالفكر ابواب غيري
وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني هذا وورد اللام في
جانب النفع لانه للملك وحقيقته لاختصاص النافع وقوله وان اسأتم فلها مجاز
في صورة الضر على ما هو المشهور عند الجمهور رفعت الاقلام اي من كتابة الاحكام
وجفت الصحف اي نشفت ما دون فيها من اقضية المخلوقين الى يوم الدين فلا
يوضع عليها قلم بتدوين شيء وتغيير امر وخلاصته ان كتب في اللوح المحفوظ ما كتب
من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء اخر فعبر عن سبق القضاء والقدر
برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب في الشاهد من كتابته وقد سبق
في اول الكتاب حديث ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب
القدر فكتب ما كان وما هو كائن الى الابد وحديث جف القلم على علم الله اي ما علمه
الله وحكم به في الازل لا تغيير ولا تبديل وجفاف القلم عبارة عنه والله اعلم لا ينافي
هذا ما في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت لانا نقول المحو والاثبات ايضا مما جفت
الصحف لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة الى اللوح المحفوظ واما بالاضافة
الى علم الله فلا تبديل ولا تغيير ولهذا قال [illegible] وعنده ام الكتاب وقيل عند الله
كتابان اللوح وهو الذي لا يتغير والذي يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والاثبات
فهذا لفظ من الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح كما قاله النووي
ثم قال وفي رواية غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله بتشديد
الراء اي تحبب اليه بحفظ احكامه ذكره النووي لان المعرفة سبب المحبة يعرفك في الشدة
بتخفيف الراء اي يجازيك فيها واعلم ان ما اخطأك اي جاوزك من النعمة والرخاء والشدة
والبلاء واصل الخطأ العدول عن الجهة لم يكن ليصيبك اي محالا ان يصيبك وفيه مبالغة
من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكينونة
وسرايته في الخبر وما اصابك لم يكن ليخطئك فيه الحث على التوكل والرضى ونفي الحول
والقوة عنه اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر
واجر وزيف الا ويتعلق الله بقدره وقضائه قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين
الف عام جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر في حال السراء
والصبر في حال الضراء قابلا كما قال تعالى كل من عند الله واعلم ان النصر اي على الاعداء
مع الصبر اي على المحن والبلاء وان الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب اي الغم الذي
يأخذ بنفس النفس ولذا ورد اشتدي ازمة تنفرجي وان مع العسر يسرا قال الشارح وقد
وقع الاية في القران مكررة ليعلم انه لا يوجد عسر الا معه يسران وهذا مبني على
القاعدة المشهورة ان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى

لكنها غالبة لان قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك لا يشك فيه ان اللام
الاولى للاستغراق والثانية للجنس الذي يحصل بوجود فرد منه ثم قيل مع بمعنى
بعد وهذا ابعد عن حقيقة المعنى وارادة المبالغة في المبني حيث قصد معاقبة
احدهما للاخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن لزيادة في التسلية والتنفير على ان
المحن لا تخلو عن المنح بل انها عينها وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم هذا وقد قال القطب الرباني والغوث الصمداني السيد عبد القادر الجيلاني
في فتوحات الغيب ينبغي لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره
وحديثه فيعمل به في جميع حركاته وسكناته حتى يسلم في الدنيا والاخرة ويجد
العزة فيهما برحمة الله رواه احمد والترمذي قال الطيبي وزاد بعد قوله تجاهك
في رواية رزين تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة وفي اخره فان استطعت ان
تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم
ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين والحديث
بطوله قد جاء مثله او نحوه في مسند احمد بن حنبل في الرخا يعني تعرف الى الله اجعل
تعرفك بطاعته والعمل فيها او لاك من نعمته فانه يجازيك عند الشدة والحاجة اليه
في الدنيا والاخرة واراد بقوله لن يغلب عسر يسرين ان التعريف في العسر الثاني في
قوله تعالى للعهد والتنكير في يسر للنوع فيكون العسر واحدا واليسر اثنين فالعسر
ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها واليسر في الدنيا الفتح والنصير على الاعداء
وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الاحباب وعن سعد ابن وقاص قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن ادم رضاه بما قضى الله له اي ومن
سعادة ابن ادم استخارته الله ثم رضاه بما حكم به و قدره وقضاه كما يدل
عليه مقابلته بقوله ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله اي طلب الخيرة
منه فانه يختار له ما هو خير له ولذا قال بعض العارفين اترك الاختيار وان كنت لابد
ان تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قال تعالى وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن شقاوة
ابن ادم سخطه اي غضبه وعدم رضاه بما قضى الله له الرضا بالقضا باب الله الاعظم
وهو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الافخم ثم تقديم الاستخارة لانه
سبب المرضي ولانها توجد قبل تحقيق القضا قال الطيبي اي الرضا بقضا الله
وهو ترك السخط علامة سعادته وانما جعله علامة سعادة العبد لامرين احدهما
ليتفرغ للعبادة لانه اذا لم يرض بالقضا يكون ابدا مهموما مشغول القلب بحدوث
الحوادث ويقول لم كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى
بسخطه وسخط العبد ان يذكر غير ما قضى الله له وقال انه اصلح واولى فيما لا يستيقن

فساده

فساده وصلاحه فان قلت ما موقع قوله ومن شقاوة ابن ادم تركه
استخارة الله بين المتقابلين قلت موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك
الاستخارة ويفوض امره بالكلية انتهى وفيه ان الاستخارة والتفويض مآلهما
واحد ولذا اكتفى بالاستخارة في القرينتين في رواية على ما سياتي ثم لا شك
ان التسليم المطلق اولى من الاستخارة لانها نوع طلب وارادة وصنف منازعة
في امر قد تحقق هذا و حقيقة الاستخارة هي ان يطلب الخير من الله في جميع امره
بل وان يعتقد ان الانسان لا يعلم خيره من شره كما قال تعالى عسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون ثم يترقى
بان يرى ان لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد الخير بيديك والشر ليس اليك ثم
المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الامر المهم من الامور الدينية
والدنيوية وافضله ان يقول اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني الى اختياري والاكمل
ان يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه
في كتاب الصلاة رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه
الا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند اهل الحديث ورواه الحاكم في صحيحه
وزاد فيه من سعادة ابن ادم استخارته كذا في التصحيح وذكر في الحصن بلفظ من
سعادة ابن ادم استخارته لله ومن شقاوته تركه استخارة الله رواه الحاكم والترمذي
قال ميرك كلاهما من حديث سعد بن ابي وقاص وقال الترمذي غريب ولفظ من سعادة
ابن ادم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له ومن شقاوة ابن
ادم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله له وفي الجامع اسند الحديث
الى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه من سعادة ابن ادم استخارته الله ومن سعادة
ابن ادم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن ادم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن ادم
سخطه بما قضى الله فهذا او ما قبله مما يدل على ان لفظ المشكوة وقع فيه اختصار
مخل والله سبحانه اعلم وروى الطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا ما خاب من استخار
ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع اربعا من اعطي
الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخير
ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب **الفصل الثالث** عن جابر انه غزا
مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد بكسر القاف وفتح الباء اي جهته
وجانبه وفي النهاية النجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز فلما قفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجع وسمي القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاؤلا
بمآلها قفل معه اي قفل جابر مع النبي صلى الله عليه وسلم فادركتهم اي الصحابة القائلة
القائلة اي الظهيرة او وقت القيلولة في واد كثير العضاة بكسر العين وهو الشجر الذي

وفي نسخة مع رسول الله صح

له شوك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاراد النزول وامر بالنزول وتفرق الناس يستظلون بالشجر اي بجنبه من انواع الاشجار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة بفتح سين وضم ميم شجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاة فعلق بها اي ببعض من اغصانها سيفه ونمنا نكسرا وله نومة اي خفيفة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا اي ينادينا ويطلبنا واذا وفي نسخة فاذا عنده اعرابي اي بدوي كافر فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم هذا اي الاعرابي اخترط اي سل علي سيفي اي المعلق وانا نائم حال فاستيقظت وهو اي والحال ان سيفي في يده صلتا بفتح الصاد وبضم اي مسلولا مجردا عن الغمد قال الجوهري هو بفتح الصاد وضمها وفي القاموس الصلت السيف الصقيل الماضي وبضم وفي النهاية وسيف مجرد قال اي الاعرابي من يمنعك مني اي من ذا يمنع فالفعل على حقيقته والمضاف مقدر قال الطيبي اي من يجيك مني فادى اساس البلاغة ومن المجاز فلان يمنع الجار يحميه من ان يضار فقلت الله اي الله يمنعني على الحقيقة او نظرا الى العصمة الموعودة بقوله سبحانه والله يعصمك من الناس ثلاثا اي ثلاث مرات وفيه ايماء الى انه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة والاستعانة ولم يعاقبه اي الاعرابي وجلس اي النبي صلى الله عليه وسلم بعدما كان قائما وقطعها ثم يحتمل ان يكون القضية وقعت قبل المناداة فاخبرهم بما وقع من خرق العادة ويمكن ان يكون بعدها فنادهم ليريهم المعجزة والاول اظهر والله اعلم وفي رواية ابي بكر الاسماعيلي في صحيحه فقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ اي متناول للسيف وهو كناية عن العفو مع القدرة وقال الطيبي اي بالجنايات يريد العفو انتهى فالاخذ بمعنى المؤاخذة فقال تشهد اي اتشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله قال لا اي لا اشهد لكني اعاهدك على ان لا اقاتلك اي بانفرادي ولا اكون اي ولا ان اكون رفيقا مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله اي فتركه حتى مضى الى طريقه فاتى اي الاعرابي اصحابه اي قومه فقال جئتكم من عند خير الناس اي كرما وحلما هذا اي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة في كتاب الحميدي وفي الرياض اي وكذا في كتاب رياض الصالحين للنووي وعن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم اية لو اخذ الناس اي عملوا بها اي بانفرادها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا اي من البلايا ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من العطايا وما بعده ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الطيبي يريد الاية بتمامها فقوله ومن يتق الله الى قوله من حيث لا يحتسب اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من امور الدنيا والاخرة وقوله ومن يتوكل الخ اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع

مايطلبه

فعله — اي انا فعله

مايطلبه ويبتغيه من امور الدنيا والاخرة وبالغ امره وفيه بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل والتشكل ° اذا المرء امسى حليف التقى فلم يخش من طارق حاله ° الم تسمع الله سبحانه ° ومن يتق الله يجعل له مخرجا رواه احمد وابن ماجة والدارمي وعن ابن مسعود قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حملني على ان اقرا ذكره الطيبي والاظهر ان معناه علمني اني انا الرزاق اي قراءته هكذا قال الطيبي هي قراءة شاذة منسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشهورة ان الله هو الرزاق انتهى والمراد انها كانت قراءة قطعية متواترة معلومة وكان علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود لكنها نسخت او شذت طرقها بعد ابن مسعود ذو القوة المتين اي الشديد القوة والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شيء وقوله ذو القوة خبر بعد خبر وفيه من المبالغات تصوير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس ثم ارداقه بقوله ذو القوة وتتميمه بالمتانة فوجب ان لا يتوكل الا عليه ولا يفوض الامور الا اليه ذكره الطيبي رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن انس قال كان اخوان اي اثنان من الاخوان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اي في زمنه فكان احدهما ياتي النبي صلى الله عليه وسلم اي لطلب العلم والمعرفة والاخر يحترف اي يكتسب اسباب المعيشة فكانهما كانا ياكلان من كسب المحترف اي في عدم مساعدة اخيه اياه في حرفته او في كسب امر معيشته اخاه النبي بنزع الخافض اي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به بصيغة المجهول اي ارجو واخاف انك مرزوق ببركته لا انه مرزوق بحرفتك فلا تمنن عليه بصنعتك وفي الحديث دليل على جواز ان يترك الانسان شغل الدنيا وان يقبل على العلم والعمل والتجرد للزاد العقبي قال الطيبي ومعنى لعل في قوله لعلك يجوز ان يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفيد القطع والتوبيخ كما ورد فهل ترزقون الا بضعفائكم وان يرجع الى المخاطب ليبعثه على التفكر والتامل فينصف من نفسه رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب ورواه الحاكم ايضا وعن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلب ابن ادم بكل واد شعبة بالرفع اي لقلبه قطعة والمعنى لبعض توجه منه لان القلب واحد ودينه هموم متعددة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وفي النهاية الشعبة الطائفة من كل شيء والقطعة منه قال الطيبي ولا بد فيه من تقدير اي في كل واد له شعبة فمن اتبع قلبه الشعب كلها من لا اتباع اي من جعل قلبه تابعا الشعب الهموم في اودية الهموم لم يبال الله باي واد اهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب اي كفاه الله مؤن حاجاته المتشعبة المختلفة وفي معناه ما روي من النبي صلى الله عليه وسلم

من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة رواه ابن ماجة وعن
أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو أن عبيدي أطاعوني أي في
أمري ونهيي لأسقيتهم أي لأنزلت عليهم المطر بالليل أي وهم نائمون مستريحون ولأطلعت
من باب الإفعال أي أظهرت وأبرزت عليهم الشمس بالنهار أي وهم بأمورهم ومكاسبهم مشتغلون
ولم أسمعهم وفي رواية الجامع ولما أسمعتهم صوت الرعد أي لئلا يتأذوا ولا نالهم الكلال يخافوا
ولا ينزعجوا فلا ينضرون قال الطيبي هو من باب التتميم فإن السحاب مع وجود الرعد
فيه شائبة الخوف لقوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فنفاه ليكون رحمة
محضة رواه الحاكم وعن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله أي أهل بيته وأصحاب
نفقته فلما رأى ما بهم من الحاجة أي من الجوع والفاقة خرج إلى البرية أي إلى قطعة
من الأرض منسوبة إلى البر للتضرع إلى خالق البرية فلما رأت امرأته أي خلو يد الرجل
وإدباره عن الأهل من الحياء والخجل قامت إلى الرحى فوضعتها أي الطبقة العليا على
السفلى أو المعنى هيأتها ونظفتها وإلى التنور فسجرته بتخفيف الجيم وتشديد أي
أوقدته ثم قالت فيه إشارة إلى أن العبد يسعى في طلب الحلال ما أمكنه الوقت
ويقتضيه الحال ثم يستغني في تحصيل أمره إلى الملك المتعال بالدعاء بنحو اللهم
ارزقنا من عندك فإنك خير الرازقين وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع إلا في خيرك
فنظرت أي إلى الرحى فإذا الجفنة وهي القصعة على ما في القاموس أو القصعة الكبيرة
على ما في خلاصة اللغة والمراد هنا بالموضع تحت الرحى ليجتمع فيها الدقيق فقد امتلأت
أي من الدقيق قال أي الراوي وذهبت وفي نسخة صحيحة فذهبت إلى التنور أي للتخبز
فيه من الدقيق بعد عجنه فوجدته ملآنا أي من الخبز الملتصق به قال أي الراوي فرجع
الزوج أي راجيا لما قام بأمر الله داعيا قال أي الزوج وهو أسنى بيان أصبتم أي أكلتم
أو حصلتم بعدي شيئا أي من الأشياء ومن الإصابة قالت امرأته نعم أي أصبنا من ربنا
أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطأنا وأغرب الطيبي في قوله اللهم ارزقنا حيث قال
دعت أن يصيب زوجها ما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيأت الأسباب كذلك انتهى وقام
أي فتعجب الزوج وقام إلى الرحى أي ورفعها ليرى أثرها فذكر بصيغة المجهول وفي نسخة
صحيحة فذكر أي هو بنفسه ذلك أي ما ذكر من القضية بتمامها للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال أما بالتخفيف للتنبيه أنه أي الشأن لو لم يرفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة
رواه أحمد وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرزق ليطلب
العبد كما يطلبه أجله أقول بل حصول الرزق أسبق وأسرع من وصول أجله لأن الأجل
لا يأتي إلا بعد فراغ [illegible] الرزق قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم
يحييكم رواه أبو نعيم في الحلية قال ميرك نقلا عن المنذري رواه ابن ماجة في صحيحه
والبزار ورواه الطبراني بإسناد جيد إلا أنه قال إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه

أجله

احد وكذا ح

أجله قلت وكذا رواه ابن عدي في الكامل وهو يؤيد ما قدرته وفيما سبق من
المغني حرزته وروى أبو نعيم في الحلية عن جابر مرفوعا لو أن ابن آدم هرب من رزقه
كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت وعن ابن مسعود قال كأني أنظر
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في استحضار القضية واستحفاظ القضية
يحكي نبيا أي حال كونه يحكي حال نبي من الأنبياء ضربه قومه أي قد ضربه قومه
فهو حال بتقدير قد وجوز بدونه أيضا قال الطيبي قوله نبيا منصوب على شريطة
التفسير بقرينة قوله ضربه وهو حكاية لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم
ويجوز أن يقدر مضاف أي يحكي حال نبي أي من الأنبياء وهو معنى ما تلفظ وحينئذ
ضربه يجوز أن يكون صفة للنبي وأن يكون استئنافا كأن سائلا سأل ما حكاه فقيل
ضربه قومه فأدموه أي جعلوه صاحب دم خارج من رأسه وهو يمسح الدم عن وجهه
أي خوفا من الوقوع في فمه أو عينه ويقول أي من كمال صبره اللهم اغفر لقومي أي بعلمهم
هذا المعنى لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستأصلهم ولا فمن المعلوم أن مغفرة
الكفار بمعنى العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالإجماع ويمكن أن يكون المغفرة
كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة وإليه الإشارة بقوله فإنهم لا يعلمون وهذا
من كمال حلمه وحسن خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم عند ربهم أنهم
ما فعلوا إلا بجهلهم بالله ورسوله وفيه إشعار بأن الذنب مع الجهل أهون في الجملة
بالنسبة إلى الذنب مع العلم ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات
متفق عليه

باب الرياء والسمعة

في المغرب يقال فعل ذلك سمعة أي يريه الناس من غير أن يكون قصد به التحقيق
وسمع بكذا شهره تشبيها للتمني والتحقيق أن الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل
ليراه الناس ولا يكتفي فيه برؤية الله سبحانه وتعالى والسمعة بالضم مأخوذ من السمع
فهو ما يفعل أو يقال ليسمعه الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى ثم ليستعمل كل منهما
موضع الآخر وقد يجمع بينهما تأكيدا أو لإرادة أصل المعنيين تفصيلا وضدهما
الإخلاص في العمل لله على قصد الخلاص ثم الرواية الصحيحة في الرياء الهمزة وعليه
السبعة ويجوز إبداله ياء وبه قرأ بعض القراء وهو المشهور على ألسنة العامة

الفصل الأول

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر
أي نظر اعتبار إلى صوركم إذ لا اعتبار بحسنها وقبحها وأموالكم إذ لا اعتبار بكثرتها وقلتها ولكن
وزاد في الجامع ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم أي إلى ما فيها من اليقين والصدق والإخلاص
وقصد الرياء والسمعة وسائر الأخلاق المرضية والأحوال الردية وأعمالكم أي من صلاحها
وفسادها فيجازيكم على وفقها هذا وفي النهاية معنى النظر هنا الاجتباء والرحمة والعطف
لأن الناظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل الناس

إلى الصور المجسمة والأمور اللائقة والله يتقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره
واللب وهو القلب والعمل والنظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار
فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني ذكره الطيبي ولا يخفى تجرد المراد من النظر
هنا لما ذكره من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النفي فتدبر خصوصا فيما ذكره من
تفصيل المنظر فإن تقلبه في حقه تعالى لا يتصور والله أعلم رواه مسلم وكذا ابن ماجه
وعنه أي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا أغنى
الشركاء أي أنا أغنى من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى عن الشرك أي عما يشترك
به مما بيني وبين غيري في قصد العمل والمعنى ما أقبل إلا ما كان خالصا لوجهي
وابتغاء لمرضاتي فالشرك اسم المصدر الذي هو الشركة مستعمل في معنى المفعول
ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله من عمل عملا أشرك فيه أي
في قصد ذلك العمل معي أي مع ابتغائي وجهي غيري أي من المخلوقين فلا يضره قصد
الجنة ونوال نعيمها مثلا فإنها من جملة مرضاته سبحانه وإن كان المقام الأكمل أن لا يعبده
لطمع جنته أو خوف ناره فإنه عد كفرا عند بعض العارفين لكن التحقيق فيه أنه
لو كان بحيث لو لم يخلق جنته ولا ناره لما عبده سبحانه لكان كافرا فإنه يستحق
العبادة لذاته ولذا امتدح صهيب بما روي في حقه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله
ما عصاه وقوله تركته وشركه خبر والواو بمعنى مع أو المعنى تركته عن نظر
الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول وفي رواية فأنا منه بريء قيل من ذلك
العمل والأظهر من عامل ذلك العمل لئلا يكون تكرارا في قوله هو أي ذلك العمل للذي
عمله أي لأجله من قصده بذلك العمل لأنه لم يعمله لي انتهى وفيه أنه يلزم منه أن يكون
عمله حينئذ مباحا مع أن العمل على وجه الإشراك حرام إجماعا فيعاقب فاعله بذلك العمل
انتهى فتأمل فالتذكير بقية كلام الشراح فقال ابن الملك أغنى اسم التفضيل من غني به
عنه غنية أي استغنى به عنه وإضافته إما للزيادة المطلقة أي أنا غني من بين
الشركاء وإما الزيادة على من أضيف إليه أي أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك لكون
استغنائه من جميع الجهات وفي جميع الأوقات انتهى وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا
يخفى وقال الطيبي اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة والإضافة فيه للبيان أو على زعم
القوم وفيه أن وجه الإضافة للبيان يحتاج إلى مزيد البيان وكأنه أراد أن معناه
أنا الغني مما بينهم دونهم ثم قال والضمير المنصوب في تركه يجوز أن يرجع إلى العمل والمراد
من الشرك الشريك قال النووي معناه أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيئا لي ولغيري
لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير ويدل عليه الحديث الأول من الفصل الثاني ويجوز
أن يرجع إلى العامل والمراد بالشرك الشركة وقوله هو يعود إلى العمل على الوجه الأول
وإلى العامل على الوجه الثاني أي العامل لما عمل به من الشرك يعاقبه يختص به و

عنه وكذا الضمير في منه أقول ويمكن أن يقال معناه أنا أغنى كل من يطلق عليه اسم
الشريك كقوله تعالى أحسن الخالقين فإن كثيرا من الشركاء في الدنيا من الأغنياء إذا
وقع لهم شركة مع الفقراء فإنهم يسامحونهم به ويعطونهم إياه ويهبونه لواحد منهم
من أفقرهم فإذا كان هذا وصف بعض الشركاء من الضعفاء فكيف بالذي لا شريك له
وله وصف العظمة والكبرياء هذا وقال الإمام حجة الإسلام درجات الرياء أربعة أقسام
الأولى وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد
لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت
عند الله تعالى والثانية أن يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا
بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن
الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فقصد الثواب فيه لا ينفي عنه المقت والثالثة
أن يكون قصد الثواب والرياء متساويين بحيث لو كان واحد خاليا عن الآخر لم
يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم
رأسا برأس والرابعة أن يكون اطلاع الناس مرجحا مقويا لنشاطه ولو لم يكن لم يترك
العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله تعالى
أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب
على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله عليه وسلم أنا أغنى الشركاء فهو محمول على
ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح رواه مسلم وكذا ابن ماجه
الرواية الأولى وعن جندب مر ذكره قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سمع بتشديد الميم أي من عمل عملا للسمعة بأن نوه بعمله وشهره
ليسمع الناس به ويمدحوه سمع الله به بتشديد الميم أيضا أي شهره الله بين أهل العرصات
وفضحه على رؤوس الأشهاد وأما ما نقله الطيبي عن الثوري بأن معناه من أظهر
عمله للناس رياء فهو غير ملائم لمقام التفصيل والتمييز بين المعنيين من السمعة والرياء
حيث قال ومن يرائي يرائي الله به بإثبات الياء في الفعلين على أن من موصولة مبتدأ
والمعنى من يعمل عملا ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بأن يظهر رياءه على الخلق
وخلاصة القرينتين وزبدة الجملتين أن المعنى يسمع الله الخلق بكونه مسمعا ويظهر
لهم بكونه مرائيا وفي شرح مسلم معنى من يرائي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم
وليس هو كذلك يرائي الله به أي أظهر سريرته على رؤوس الخلائق وفيه أن قيده بقوله
وليس هو كذلك ظاهره أنه ليس كذلك بل هو على إطلاقه سواء يكون كذلك أو لا يكون كذلك
ثم قال وقيل معناه من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه
المكروه وقيل أراه ثواب ذلك من غير أن يعطيه إياه ليكون حسرة عليه وقيل من أراد
أن يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه قال الشيخ أبو حامد الهاشمي

من الروية والسمعة من السماع وانما الريا اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارايهم الخصال المحمودة فحد الريا هو ارادة العبادة بطاعة الله فالمرائي هو العابد والمرائي له هو الناس والمراي به هو الخصال الحميدة والريا هو قصده اظهارها ذلك متفق عليه ورواه احمد ومسلم عن ابن عباس ولفظه سمع سمع الله به ومن راي راي الله به وعن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم ارايت اي اخبرني كما قاله شارح فقوله الرجل يعمل العمل مبتدا وخبر في محل النصب وقال الطيبي اي اخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض والمراد بالعمل جنسه وقوله من الخير بيان له ومن المعلوم ان لا خير في العمل للريا فلا يكون عمله خالصا ويحمده الناس عليه اي يثنون علي ذلك العمل او علي ذلك الخير وفي رواية ويحبه الناس اي يعظمونه عليه اي علي ذلك الخير او لاجل ذلك العمل قال تلك اي المحمدة او المحبة او الخصلة او المثوبة عاجل بشري المومن اي معجل بشارته واما موجلها فباق الي ايام اخرته وظاهره انه يستوي فيه ان يعجبه حمدهم ومحبتهم اولا والثاني اولي والاول اظهر وسياتي التصريح به في حديث ابي هريرة من الفصل الاتي قال المظهر اي اخبرنا بحال من يعمل عملا صالحا لله تعالي لا للناس ويمدحونه بنظل ثوابه فقال صلي الله عليه وسلم تلك عاجل بشري المو من يعني هو في عمله ذلك ليس مرائيا فيعطيه الله تعالي به ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الاخرة ما اعد له رواه مسلم

الفصل الثاني

عن ابي سعد بن ابي فضالة بفتح الفاء قال الطيبي ابو سعد بسكون العين انتهي وقال الجزري هو تصحيف وقال المولف اسمه كنيته وهو حارثي انصاري يعد في اهل المدينة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم اي لحسابه وجزائه لا ريب فيه اي في وقوع ذلك اليوم او في حصول ذلك الجمع قال الطيبي اللام متعلق بجمع ومعناه جمع الله الخلق ليوم لا بد من حصوله ولا شك في وقوعه ليجزي كل نفس بما كسبت وقوله يوم القيامة توطئة له ويكون ان يكون ظرفا لجمع كما جاء في الاستيعاب اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والاخرين ليوم لا ريب فيه الحديث فعلي هذا قوله ليوم مظهر وقع مقام المضمر اي جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه نادي مناد من كان اشرك في عمل عمله لله احدا منصوب مفعول اشرك اي احدا غير الله ولذا قال فليطلب ثوابه من عند غير الله ولعل وجه العدول عن قوله من عنده ذلك الاحد ما يحصل له من ايهام الاتحاد ويكل به مقام المرام فان الله اغني الشركا عن الشرك فهذا الحديث يويد ما قررناه اخرا من معاني الحديث الاول فتامل رواه احمد وكذا الترمذي وابن ماجه ورجاله رجال مسلم الا زياد بن ميناو قد وثقوه ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك وعن عبد الله بن عمرو بالواو انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بالتشديد بعمله اي اراهم اياه وعمله اي المطلوب منه ان يخفيه عن نظر الخلق فاظهره لهم فكانه نادا هم

سمع الله

سمع الله بالتشديد ايضا اي اسمع به اي بعمله الريائي والسمعي اسامع خلقه اي اذا سمعهم وبمال سماعهم والمعني جعله مسموعا لهم ومشهورا فيما بينهم في العقبي او اظهر لهم سريرته وملا اسماعهم بما ينطوي عليه من خبث سرائره جزاء لفعله ويمكن ان يكون الضمير في قوله به راجعا الي الموصول ففي شرح السنة يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا شهرته وقوله اسامع خلقه هي جمع اسمع يقال سمع واسمع واسامع جمع الجمع يريد ان الله يسمع اسامع خلقه به يوم القيامة وحاصله ان اسامع بالنصب مفعول سمع اي بلغ الله مسامع خلقه انه مراء مزور واشهره بذلك فيما بين الناس فاسامع جمع اسمع وهو جمع سمع بمعني الاذن وروي مسامع خلقه مرفوعا علي انه صفة الله فالمعني سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني افضحه الله قال صاحب الفائق في هذه الرواية ولو روي بالنصب لكان المعني سمع الله به من كان له سمع من خلقه وحقره وصغره بالتشديد فيهما اي جعله حقيرا ذليلا من الصغار وهو الذل ولا يبعد ان يجعله كالذر صغيرا كما ورد في المتكبرين والله سبحانه اعلم رواه البيهقي وفي نسخة صحيحة رواه احمد والبيهقي في شعب الايمان قال ميرك حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني باسانيد احدها صحيح والبيهقي كذا قاله المنذري وعن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من كانت نيته اي قصده الاصلي في الامر العلمي والعملي طلب الاخرة اي مرضاة مولاه جعل الله غناه في قلبه بان جعله قانعا بالكفاف والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة وجمع له شمله اي اموره المتفرقة بان جعله مجموع الخاطر بتهيئة اسبابه من حيث لا يشعر به واتته الدنيا اي ما قدر وقسم له منها وهي راغمة اي ذليلة حقيرة تابعة لا يحتاج في طلبها الي سعي كثير بل تاتيه هينة لينة علي رغم انفها وانف اربابها ولذا قيل العلم يعطي ولا يعطي ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر اي جنس الاحتياج الي الخلق كالامر المحسوس منصوبا بين عينيه وشتت بالتشديد اي فرق الاولي اي فرق عليه امره ولا ياتيه منها اي من الدنيا الا ما كتب له اي وهو راغم فلا ياتيه ما يطلبه من الزيادة علي رغم انفه وانف اصحابه قال الطيبي يقال جمع الله شمله اي ما تشتت من امره وفرق الله شمله اي ما اجتمع من امره فهو من الاضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة فقوله جعل الله غناه في قلبه مقابل لقوله جعل الله الفقر بين عينيه وقوله جمع له شمله لقوله شتت عليه امره وقوله واتته الدنيا وهي راغمة لقوله ولا ياتيه منها الا ما كتب له فيكون معني الاول واتاه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ومعني الثاني واتاه ما كتب له من الدنيا وهو راغم رواه الترمذي اي عن انس ورواه احمد والدارمي عن ابان بفتح همزة وتخفيف موحدة يصرف ولا يصرف وهو ابن عثمان بن عفان تابعي سمع اباه وكثيرا من الصحابة عن زيد بن ثابت قال ميرك ورواه البزار والطبراني معناه وابن حبان في صحيحه وعن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله

بينا انا في بيتي في مصلاي اذ دخل علي رجل فاعجبني الحال التي راني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا هريرة قال الطيبي صدر الحديث اخبار فيه معنى الاستخبار يعني هل تحكم على هذا انه رياء ام لا ولذلك طابقه قوله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر اي لاخلاصك واجر العلانية اي للاقتداء بك او لفرحك بالطاعة وظهورها منك فتقبل معناه فاعجبه رجاء ان يعمل من راه بمثل عمله فيكون له مثل اجره وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها ذكره في شرح السنة والاظهر ان اعجابه بحسب اصل الطبع المطابق للشرع من انه يعجبه انه راه احد على حالة حسنة ويكره ان يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر عن ان يكون ذلك العمل مطمحا للرياء ومطمعا للسمعة فيكون من قبيل قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبراني عن ابي موسى من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالمومن يفرح بتوفيق الاعمال كما ان غيره يفرح بتكثير الاموال والله اعلم بالاحوال رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا قال ميرك نقلا عن الجزري رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق من طريق سعيد بن بشر عن الاعمش عن ابي هريرة قال قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث غريب وظاهر هذا الكلام يدل على ان الترمذي رواه هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا ابو سنان الشيباني عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه اعجبه ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اجران اجر السر والعلانية قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد روى الاعمش وغيره عن حبيب عن ابي صالح عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا انتهى كلام الترمذي والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في اخر الزمان اي يظهر رجال يختلون بسكون الخاء وكسر التاء اي يطلبون الدنيا بالدين اي بعمل اهل الاخرة او يستبدلونها به ويختارونها عليه والاظهر ان معناه يخدعون اهل الدنيا بعمل الدين من ختله اذا خدعه والمعنى يحتالون في طلبها بالاستثناء بالامور الدينية والتدرع بلباسها على وجه الرياء والسمعة وسائر الاحوال الدنيئة كما يدل عليه قوله يلبسون للناس اي لاجلهم جلود الضأن بسكون الهمز ويبدل والمراد به عينه او ما عليه من الصوف وهو الاظهر فالمعنى انهم يلبسون الاصواف ليظنهم الناس زهادا عبادا تاركين الدنيا راغبين في العقبى من اللين اي من اجل اظهار اللين والتلطف والتمسكن والتقشف مع الناس واراد وا به في حقيقة الامر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مريدين لهم ومعتقدين لاحوالهم السنتهم احلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب عبارة

ويبدو

ويبدو اي اثر من مرارتها من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة لاهل التقوى وغلبة الصفات البهيمية والشهوات الحيوانية والارادات النفسانية كما قال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام اي على الطعام وعلى تحصيل مال الحرام يقول الله ابي اي بامهالي يغترون اي ولم يدروا ان الي امهل ولا اهمل او المراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى وترك التوبة من فعلهم القبيح اي افلا يخافون من سخطي وعقابي ام علي اي على مخالفتي يجترئون اي بمكرهم الناس في اظهار الاعمال الصالحة افتعالا من الجرءة ولذا قيل الاجتراء الانبساط والتشجع قال الطيبي ام منقطعة انكر اولا اغترارهم بالله وبامهاله اياهم حتى اغتروا ثم اضرب عن ذلك وانكر عليهم ما هو اعظم منه وهو اجتراؤهم على الله فبي اي فبذاتي وصفاتي حلفت لابعثن من البعث اي لاسلطن او لاقضين على اولئك اي الموصوفين بما ذكر منهم اي مما بينهم بتسلط بعضهم على بعض فتنة تدع الحليم اي تترك العالم الحازم فضلا عن غيره وفي بعض نسخ المصابيح الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام والمؤدب واحد فيهم اي فيما بينهم حيران اي حال كونه متحيرا في الفتنة لا يقدر على دفعها ولا على الخلاص منها الا بالاقامة فيها ولا بالفرار منها قال الاشرف من في منهم يجوز ان يكون للتبيين بمعنى الذي والاشارة الى الرجال والتقدير على اولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وان يكون متعلقا بالفتنة اي على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك اي تكاثر خيره وبره وتعالى اي تعظم ان يدرك كنهه قال لقد خلقت خلقا اي جمعا من المخلوقين السنتهم احلى من السكر اي لما يظهر عليهم من الوعظ والذكر واثر الصبر والشكر وقلوبهم امر من الصبر ضبط في اكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها وفي القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر والمشهور على السنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء ولعله ماخوذ من لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفا فبي حلفت لاتيحنهم من الاتاحة بمعنى التقدير يقال اتاح الله لفلان كذا اي قدره له وانزله به فالفعل من باب الحذف والايصال فالمعنى لاتيحن لهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبي يغترون بتقدير الاستفهام ام علي يجترئون رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابي هريرة قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء شرة بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء الحرص على الشيء والنشاط فيه والرغبة ولكل شرة فترة بفتح الفاء وسكون التاء اي وهنا وضعفا وفي نسخة برفعهما والمعنى ان العابد يبالغ في العبادة في اول امره وكل مبالغ يفتر وتسكن حدته ومبالغته في امره ولو بعد حين فان صاحبها فعل ذلك عاليه قوله سدد اي قصد السداد والاستقامة او اقتصد في امر الطاعة والعبادة وقارب اي دنا من التوسط واحترز من الافراط والتفريط فارجوه

اي ان يكون من الفايزين فان من سلك الطريق المتوسط يقدر على مدا ومته لكن لا تقطعوا له فانه الله هو الذي يتولى السرائر وان اشير اليه بالاصابع اي وان اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا بالزهد والعبادة وصار مشهورا ومشارا اليه بها فلا تعدوه اي شيا ولا تعتقدوه صالحا لكونه من المرايين حيث جعل اوقات فترته عبادة وهو لا يتصور الا فيما يتعلق به ريا وسمعة وايضا اذا اقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من الهالكين الا ان يتداركه الله بفضله وجعله من المخلصين وتوضيحه ان الانسان يشتغل بالاشيا على حرص شديد ومبالغة عظيمة في اول الامر ثم ان تلك الشره تتبعها فترة فكان مقتصدا محترزا عن جانبي الافراط والتفريط وسالكا طريق المستقيم فارجو كونه من الفائزين الكاملين وان سلك طريق الافراط حتى يشار اليه بالاصابع فلا تلتفتوا اليه ولا تعولوا عليه فانه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بانه من الخاسرين ولا تعدوه منهم لكن لا ترجوه كما رجوتم المقتصد اذ قد يعصم الله في صورة الافراط والشهرة كما انه قد يحفو عن صاحب التفريط وراعيا للتقصير في العبادة قال الطيبي ويؤيد هذا التاويل الحديث الذي يليه والاستثنا فيه فترك ما للقسم الثالث لظهوره رواه الترمذي ورواه البيهقي عن ابن عمر مرفوعا بلفظ ان لكل شي شرة فترة الي سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته الى غير ذلك فقد هلك وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بحسب امرئ من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا فان من اشتهر لخصلة فقلما سلم من الافات الخفية كالكبر والعجب والريا والسمعة وغير ذلك من الاخلاق الدنية الا من عصمه الله اي حفظه الله في مقام تقواه ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامتية في كتمان العبادات الدينية واظهار الشهوات النفسية الدنية قيل للحسن البصري ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع فقال لا يريد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وانما يريد به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه انتهى ووجهه ان الاشارة انما يكون في البدعة والغرابة لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العبادة فيحصل بها الاشارة والشهرة فتارة تفضي بصاحبها الى الريا والسمعة والطمع من الناس في المنزلة وتارة يعصمه الله من نظر ما سواه فلا يلتفت الى الغير ويعرف ان الغير لا يقدر على دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحا ولا ذما في العبادة ولا في الاشارة كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر فيها اشارة الى كمال البشارة لكنه منزلة اقدام الرجال ومزلقة افهام الجهال فانه ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى وتوضيحه ما ذكره الطيبي باحسن عبارة وادق اشارة حيث قال وبيان الحال يعني حب الرياسة والجاه في قلوب الناس هو من اخر غوائل النفس ومواطن مكائدها يبتلي به العلما والعباد والمتشمرون عن ساق الجد لسلوك

طريق الاخرة من الزهاد فانهم مهما قهروا انفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلائق ولم يقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم يقنع بحمد الله وحده فاحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته واكرامه وتقديمه في المحافل فاصابت النفس في ذلك اعظم اللذات واللذا الشهوات وهو يظن ان حياته بالله تعالى وبعباداته وانما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول النافذة قد اثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن انه عند الله من عباده المقربين فهذه مكيدة للنفس لا يسلم عنها الا الصديقون من المخلصين ولذلك قيل اخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وهو اعظم شبكة للشياطين واذن المحمود هو المجهول الا من شهره الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف منه كالانبيا والمرسلين والخلفا الراشدين والعلما المحققين والسلف الصالحين والحمد لله رب العالمين رواه البيهقي في شعب الايمان اي عن انس وعن ابي هريرة ايضا على ما في الجامع **الفصل الثالث** عن ابي تميمة قال المؤلف هو طريف بن مجالد الهجيمي البصري كان اصله من عرب اليمن فباعه عمه وهو تابعي روى عنه نفر من الصحابة وعن قتادة وغيره مات سنة خمس ونيف قال شهدت صفوان واصحابه الظاهر ان المراد به صفوان بن سليم الزهري مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف تابعي جليل القدر من اهل المدينة مشهور روى عن انس بن مالك ونفر من التابعين كان من خيار عباد الله الصالحين يقال انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة ويقولون ان جبهته ثقبت من كثرة السجود وكان لا يقبل جوائز السلاطين ومناقبه كثيرة روى عنه ابن عيينة ذكره المؤلف ثم الظاهر ان المراد باصحابه اتباعه في العلم والعمل وجندب اي حضرهم والحال ان جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو من اكابر الصحابة يوصيهم بالتخفيف وسدد والمعنى بعضهم في الاستقامة على المجاهدة او بزيادة العبادة او بالاقتصاد في الطاعة او بالاحتراز عن الريا والسمعة وعن الاشارة والشهرة والاظهر الاخير كما يدل عليه السوال والجواب فقالوا هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا من الاحاديث فحدثنا به واخذنا من كلامه فانه اقوى تاثيرا والطف تعبيرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة سبق مبناه ومعناه ومن شاق بصيغة المفاعلة اذ لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة والمعنى ان من شق على نفسه بان يكلفها فوق طاقتها او شق على غيره بان حمله فوق استطاعته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال الطيبي اطلق ليشمل فنا مثل شق الله وفي نسخة صحيحة شاق الله عليه يوم القيامة فقالوا اي الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم بدلالة المقام على ذكرهم وهو الظاهر او صفوان

واصحابه لحذب على ما هو المتبادر من قاعدة رجع الضمير اولا هنا فقد دان اول ما ينتن
بضم اوله اي ما يفسد من الانسان بطنه اي في الدنيا فانه محل النتن او في القبر فتقع
فمن استطاع ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا لا فليفعل اي ما استطاع او معناه فليأكل
قال ابن حجر ان مآل المأكول ما ذكر من الاحوال فلا ينبغي له ان يجتهد في لذائذ النفس من
طريق الوبال بل ينبغي له ان يكتفي بالحلال ولو بقليل من المال وقد انشد ابن ادهم وما هي
الا جوعة قد سددتها وكل طعام بين جنبي واحد وتكلف الطيبي حيث قال نتن البطن
كناية عن مسه النار وانما يفتقر الى هذا التأويل لتطابق قوله فمن استطاع
ان لا ياكل الا طيبا اي حلالا ونظيره قوله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون في بطونهم نارا ولا يخفى ان اول ما يبلى من الادمي كما رمزنا هو البطن ومن استطاع ان
لا يحول اي من قدر ان لا يمنع بينه وبين الجنة اي دخولها اولا مع الفائزين ملء كف من
دم اهراقه بفتح الهاء ويسكن اي صبه فليفعل اي ما استطاع مما ذكر وقلله بقوله
ملء كف اشارة الى ان القليل يحول فكيف بالكثير وقيل اشعار الى تشنيعه لقاتل
بان فوت الجنة على نفسه بهذا الشيء الحقير المسترذل رواه البخاري وذكره السيوطي
في باب نتن الميت وبلاء جسده الا الانبياء ومن الحق بهم من كتاب شرح الصدور في احوال
القبور اخرج البخاري من حديث جندب البجلي اول ما ينتن من الانسان بطنه
انتهى والظاهر من عبارته ان الحديث بكماله مرفوع والله اعلم وعن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه خرج يوما الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد معاذ بن
جبل قاعدا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال اي عمر ما يبكيك اي اي شيء يجعلك
باكيا اشوقا الى اللقاء ام خوفا من الله بعض البلاء وغير ذلك من اسباب البكاء قال يبكيني
شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب سوال مقدر بقوله سمعته يقول ان يسير الريا
اي قليله شرك اي عظيم او نوع من الشرك يعني وهو في غاية من الخفاء لانه ادق من دبيب
النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء سلم منه الاقوياء فكيف الضعفاء فهو من
جملة اسباب البكا وسبب اخر اذى الاولياء وفا لهم اخفيا كما في الحديث القدسي اوليائي
تحت قبائي لا يعرفهم غيري والانسان لا يخلوا عن بذاذة اللسان مع الاخوان مما يجر
الى العصيان وكانه اراد هذا المعنى بقوله ومن عادى اي اذى واغضب بالفعل او القول
لله وليا اي واحدا من اوليائه تعالى فقد بارز الله اي اظهر له نفسه بالمحاربة وفي التعبير
عن المخالفة بالمحاربة اشارة الى انها جراءة عظيمة وجناية جسيمة قال الطيبي قوله لله يجوز
ان يكون متعلقا بعادى فهو اما متعلق بقوله وليا او صفة له قدم فصار حالا منه
ان الله يحب الابرار اي الذين يعملون عمل البر وهو الطاعة للحق والاحسان للخلق ولذا
قال بعض العارفين مدار الدين على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله الاتقياء
اي عن الشرك الجلي والخفي وعن المناهي والملاهي الاخفياء اي عن نظر الخلق من عامتهم

وعن

وعن مخالطتهم ومعاشرتهم الذين اذا غابوا اي من غاية الخمول لم يتفقدوا بصيغة
المجهول وفي القاموس تفقده طلبه عند غيبته ومنه قوله تعالى وتفقد الطير وان
حضروا اي فيما بينهم لم يدعوا بصيغة المفعول اي لم يطلبوا الى الدعوة وغيرها ولم يقربوا
بالمجهول ايضا ولم يقربهم العامة ولم يعرفوا قدرهم ومقدار منزلتهم قال الطيبي
قوله ان الله استئناف مبين لحقيقة الولي وذكر لهم احوالا ثلاثا اذا كانوا سفرا
لم يتفقدوا واذا كانوا حاضرين لم يدعوا الى مأدبة وان حضروها لم يقربوا او تركوا في صف
النعال وهذا التفصيل ما ورد رب اشعث اغبر لا يعبؤ به لو اقسم على الله لابره قلوبهم
مصابيح الهدى اي هم ادلة الهداية وهداة الغاية فيستحقون الرعاية بل ينبغي
ان يطلب منهم الحماية يخرجون من كل غبراء مظلمة اي من عهدة كل مسالة مشكلة
او بلية معضلة وقال الطيبي كناية عن حقارة مساكنهم وانها مظلمة مغبرة لفقدان
اداة ما يتنور ويتنظف به رواه ابن ماجة اي في سننه والبيهقي في شعب الايمان
وقد جاء في صدر حديث من احاديث الاربعين مما رواه البخاري عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب قال شارح له
اي اعلمته بمحاربته ومعاداته معي او باني ساحاربه واقهره وانتصر منه وانتقم له
وفي رواية واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث للجرو اي لولده وفي اخرى انه
يستفز بعدوه ثم الولي بحسب التركيب يدل على القرب فكانه قريب منه سبحانه
لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته واختلفوا في تعريفه
فقال المتكلمون الولي من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل
وبالاعمال الشرعية اي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبراء انه ان كان العلماء ليسوا
باولياء فليس لله ولي وقال الغزالي الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر باصلاح
الناس وفي كلامهما نظر اذ اكثر الاولياء لا سيما من السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة
وكشف حالة بخلاف بعض الخلف المتاخرين فقيل لقوة قلوب الاولين وضعف دين
الاخرين ولان الاولياء هم العلماء العاملون لا شك انهم كاملون في انفسهم مكملون
لغيرهم فهم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والواعظون
عن الاشتغال بما سواه كما اشار اليه الحديث بقوله مصابيح الهدى فطوبى لمن بهم
اقتدى وبنورهم استضاء واهتدى فالاقرب في معناه ما ذكره القشيري من ان الولي
اما فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته على التوالي وبمعنى الفاعل
اي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها من غير تخلل معصية وكلا الوصفين
شرط في الولاية انتهى كلامه وفيه اشعار بانه للتنويع وايماء في الاول الى
المجذوب السالك المعبر عنه بالمراد وفي الثاني ان السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد
وقد اشار اليهما سبحانه في قوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب

العناية
بيان

وتخشعه

والحقيقة ان فعال الولي هو من يتولى الله بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا يتصف فهو الفاني بيد الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشاء فيخرجه عن حوله وقوته ويجعله قائما بحوله وقوته ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله الى لقائه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا صلى في العلانية فاحسن اي في اداء صلاته بالقيام بشرائطها واركانها وسننها ومستحباتها وكذا في سائر طاعاته وعباداته وصلى في السر اي في الخلوة عن الخلق فاحسن اي تحمله التقى بنظر الحق قال الله تعالى هذا اي العبد عبدي اي المخلص لي حقا اي صدقا فانه لا باعث ان يكون عمله في العلانية نفاقا ولعل هذا هو السر في حثه صلى الله عليه وسلم ان تصلى السنن والنوافل في البيت رواه ابن ماجه وعن معاذ ابن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اي يوجد ويحدث في اخر الزمان اقوام اي جماعة كثيرة او مختلفة مؤتلفة اخوان العلانية اعداء السريرة اي احباء في الظواهر واعداء في السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد ومن قبيل الخبر بعد الخبر قال الطيبي في مقدرة فيها وفي قرينتها الجوهري السر ما يكتم والسريرة مثله فقيل يا رسول الله وكيف يكون ذلك اي ما ذكر وما يكون سببه قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض اي بسبب طمع طائفة منهما الى اخرى ورهبة بعضهم اي خوفهم من بعض والحاصل انهم ليسوا من اهل الحب في الله والبغض بل امورهم متعلقة بالاغراض الفاسدة والمقاصد الكاسدة فتارة يرغبون في قوم لاغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوما للعلل فيظهرون لهم العداوة وخلاصته انه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فانها مبنيتان على غرضهم وشهوتهم وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي اي مرائيا فقد اشرك اي شركا خفيا كما سيجيء مصرحا فيما يليه من حديثه ومن صام يرائي فقد اشرك فيه اشعار ان الرياء له مدخل في الصيام ايضا خلافا لمن نفاه وعلله بان مدار الصوم على النية ولا يدخل فيها الرياء ولا عبرة بعدم اكله وشربه مع عدم صحة الطوية فانا نقول الرياء لا يتصور في الصوم لكن الرياء قد يكون على وجه الاشتراك بان يريد به وجه الله ويريد به ايضا التشهير او غرضا سواه سواء يكون المقصدان متساويين او متفاوتين على ما تقدم تفصيل المرام في كلام الامام حجة الاسلام ومن تصدق يرائي فقد اشرك رواهما احمد الحديثين وعنه اي عن شداد انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء اي يبكيني شيء سمعته اي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه استعمال من على اصله يقول اي حال كونه قائلا وفيه نوع من التاكيد فذكرته اي المسموع او المقول فابكاني اي فصار ذلك سببا لحزني وبكائي وفيه نوع من الاجمال ولذا استشعر بيانه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتخوف قال الراغب الخوف توقع امر مكروه

عن

عن امارة مظنونة او معلومة والتخوف ظهور الخوف من الانسان انتهى والظاهر ان التاء للمبالغة والمعنى اخاف خوفا كثيرا على امتي الشرك اي الخفي ويدل على صحة تقديرنا ما جاء في رواية اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله والشهوة الخفية اي التي لا يدركها الا اصحاب الرياضات الرضية والمجاهدات القدسية قال فقلت يا رسول الله الشرك بالتذكير ويؤنث امتك من بعدك قال نعم اما بالتخفيف للتنبيه على انه لا يريد به الشرك الجلي انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا اي ولا صنما ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص ولكن يراؤون باعمالهم وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والشهوة الخفية ان يصبح احدهم صائما اي ناويا للصوم نفلا من بكسر الراء مرفوعا ومنصوبا اي فتظهر له شهوة من شهواته اي كالاكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي والاظهر ان المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة عزيزة الوجود من بين شهواته بحيث لا توجد في جميع اوقاته فيميل اليها بالطبع ولا يلاحظ منها لفتة الشرع حيث قال تعالى لا تبطلوا اعمالكم والنفل يلزم بالشروع فيجب اتمامه فيترك صومه اي وهو حرام في حقه من غير ضرورة داعية اليها قال الطيبي يعني اذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فيعرض له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه فيؤديه ذلك الى الهلاك والردى قال تعالى فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى انتهى وفيه ان المراد بالهوى في الاية الشهوة الجلية وهي المحرمات والامور المنهية ثم قال وسمي خفيا لخفائه هلا كذا ومشاكلة لقوله الشرك لان المراد منها الشرك الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الاتي انتهى وفيه انه لا يظهر وجه المشاكلة الا في الاطلاق ولا في التقييد بحسب المقابلة رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في شعب الايمان قال ميرك ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي الجامع الشهوة الخفية والرياء شرك رواه الطبراني عن شداد ورواه ابن ماجه عنه ولفظه ان اخوف ما اخاف على امتي الاشراك بالله اما اني لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية وعن ابي سعيد اي الخدري كما في نسخة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال الا اخبركم قال الطيبي الا ليست للتنبيه بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام وليست بزائدة لا في حظهم والمعنى الا اعلمكم بما هو اخوف عليكم اي لعمومه وخفائه بعدي اي في شريعتي وطريقتي من المسيح الدجال اي لخصوص وقته ولظهور فتنته فيجب عليكم رعاية مما فطنته فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم بدل مما قبلها او التقدير هو ان يقوم الرجل فيصلي بالرفع والنصب وكذا قوله فيزيد اي في الكمية والكيفية صلاته اي في جميع اركانها وبعضها لما يرى من نظر رجل اي مخلوق مثله اليه ولم يكتف باطلاعه سبحانه

عليه رواه ابن ماجة وعن محمود بن لبيد الانصاري الاشهلي ولد على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحدث عنه احاديث قال البخاري له صحبة وقال ابو حاتم لا يعرف له
صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال ابن عبد البر الصحيح قول البخاري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك
الاصغر فيه دلالة على ان التعبير بالشرك الاصغر وقع في هذا الحديث اولا قال الرياء
اي جنس الرياء والسمعة من الظهور والخفاء رواه احمد وزاد البيهقي في شعب الايمان
يقول الله لهم اي للمرائين يوم يجازي العباد على بناء الفاعل ونصب العباد وفي نسخة
على بناء المفعول ورفع العباد باعمالهم اي ان خيرا فخير وان شرا فشر اذهبوا اي ايها
المراؤون الى الذين كنتم تراؤون اي في احسن العبادة (واصلها نظرهم تراءون) فانظروا هل
تجدون عندهم جزاء وخيرا الواو بمعنى او كما في نسخة او عطف تفسير والله اعلم قال
الحافظ المنذري حديث محمود بن لبيد هذا رواه احمد باسناد جيد وابن ابي الدنيا والبيهقي
في الزهد وغيره وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان رجلا عمل عملا في صخرة اي في داخل حجر صلب قرضا او في جوف كهف جبل لا باب لها ولا
كوة بفتح الكاف وتضم وتشديد الواو طاقة وقيل هي بالفتح اذا كانت غير نافذة وبالضم
اذا كانت نافذة فالاولى اولى لانها في باب المبالغة اعلى خرج عمله الى الناس اي ظهر عليهم
كائنا اي ذلك العمل ما كان من الاعمال ونصب كائنا على الحال اي حال كون ذلك اي شي
كان خيرا او شرا من الاقوال والافعال وفي نسخة من كان فالتقدير كائنا ذلك العامل
او صاحب العمل من كان اي سواء اراد ظهوره او لم يرده لقوله تعالى والله مخرج ما كنتم
تكتمون وعن عثمان بن عفان بلا صرف ويصرف رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من كانت بالتانيث وفي نسخة من كان له سريرة اي طوية صالحة
او سيئة اظهر الله منها اي من تلك السريرة رداء اي علامة منه من هيئة وصورة يعرف به
اي يمتاز به عن غيره كما يعرف بالرداء كون الرجل من الاعيان او غيره من الاعوان وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما اخاف على هذه الامة
اي امة الاجابة كل منافق بالنصب والمعنى ما اخاف عليهم الا شر كل منافق اي مراء
او فاسق يتكلم بالحكمة اي بالشريعة والموعظة الحسنة ويعمل بالجور اي بالظلم
والسيئة ويعدل عن جادة الاستقامة وقد بعد الطيبي حيث جوز ان يكون كل منافق
مجرورا بدلا من هذه الامة فانه يقتضي ان يكون التقدير ما اخاف الا على كل منافق
ولا يخفى فساده اللاحق سواء جعل بدل الكل او البعض فان المبدل حينئذ يكون في
قوة المطروح ويقع الاهتمام بشان البدل فتامل ثم لا يفيده استدراكه بقوله اي اخاف
عليهم من النفاق فان هذا المعنى صحيح في نفس الامر بالوفاق روى البيهقي الاحاديث
الثلاثة في شعب الايمان وعن المهاجر بن حبيب لم يذكره المؤلف في اسمائه

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اني لست كل كلام الحكيم اي جميع قول
العالم وهو مفعول مقدم لخبر ليس اتقبل لاني لا انظر الى الاقوال وحركة اللسان بل انظر
الى الاحوال وبركة الجنان وهذا معنى قوله ولكني اتقبل همه اي نيته ولو كانت في
اوائل مراتب الخواطر وهواه اي قصده المقصود في الاواخر لان نية المومن خير من عمله حتى
له الاجر على طول امله ولو بعد حلول اجله فان كان همه وهواه في طاعتي اي في موافقتي
جعلت همته اي سكوته حمدا لي اي بمنزلة الثناء اللساني علي ووقارا اي سكينة وطمانينة
ورزانة في الحلم ومتانة في العلم وان لم يتكلم اي بالحمد ونحوه ومفهومه ان كان همه
وهواه في معصيتي اي مخالفتي جعلت كلامه كله وزرا وان تكلم بالحمد واظهر علما وذكرا
رواه الدارمي اي في مسنده

باب البكاء والخوف

جمع بينهما لتلازمهما غالبا وقدم البكاء مع انه مسبب الخوف لظهوره اولا واريد بالخوف
التعميم فذكره بعد البكاء للتتميم ثم البكاء بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد خروجه
مع رفع الصوت كذا قيل والمد اشهر والظاهر ان المراد به هاهنا المعنى الاعم فحمله
على التجريد في احد معنييه هو الاتم

الفصل الاول

عن ابي هريرة قال قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم اي من عقاب الله للعصاة وشدة
المناقشة يوم الحساب للعصاة وكشف السرائر وخبث النيات لبكيتم جواب القسم الساد
مسد لو كثيرا اي بكاء كثيرا او زمانا كثيرا من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من
سوء الخاتمة ولضحكتم قليلا وكان الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا قال الغزالي هذا الحديث من الاسرار التي اودعها قلب محمد الامين
الصادق ولا يجوز افشاء السر فان صدور الاحرار قبور الاسرار بل كان يذكر لهم
حتى يبكوا ولا يضحكوا فان البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار
عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فالحقيقة حث
الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل رواه البخاري اي من حديث ابي
هريرة وهو متفق عليه من حديث انس وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك
وفي الجامع رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن انس والحاكم
عن ابي هريرة ايضا عن ابي ذر وزاد وما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبراني
والحاكم والبيهقي عن ابي الدرداء ولفظه لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لا تدرون تنجون او لا تنجون وسياتي هذا
الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي ان المنادي ينادي من السماوات هذا الخلق
لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وعن الصديق الاكبر انه قال وددت اني اكون
خضرا تاكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر الفاروق انه سمع انسانا يقرا هل اتى
على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فقال ليتها تمت بل ورد عنه صلى الله

عليه وسلم في روايته انه قال لئن رب محمد لم يخلق محمدا وعن الفضيل انه قال ابى لا اعط
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا انما الحال البشر هولاء يغايبون يوم القيامة انما اعنط
من لا يخلف وعن ام العلاء الانصارية هي من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد
ابن ثابت وهي امه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودها في مرضها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا ادري وفي نسخة والله لا ادري مكررا وانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة حالية ما يفعل بي ولا بكم مفعول لا ادري ودخول
لا المزيد لتاكيد النفي لاشتمال النفي على كل واحد من القبيلتين على حدة قال الطيبي
فيه وجوه احدها ان هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي
هنيئا لك الجنة زجرا لها على سوء الادب بالحكم على الغيب ونظيره قوله لها يعني حين
سمعها تقول طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة قلت لا يخفى ان هذا سبب
ورود الحديث وربما تصدر ولا مدخل له في ازالة الاشكال لمعناه وثانيها ان
يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى لا ادري ما يفعل بي ولا بكم قلت وفيه
ان النسخ على تقدير صحته تاخير الناسخ انما يكون في الاحكام لا في الاخبار كما هو
مقرر في الاعتبار وثالثها ان يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة قلت هذا
هو الصحيح ورابعها ان يكون مخصوصا بالامور الدنيوية من غير نظر الى سبب ورود
الحديث قلت وهذا مندرج فيما قبله والحكم بطريق الاعم هو الوجه
الاتم والمراد من الامور الدنيوية بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم عليه هي الجوع
والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى وكذا حال الامة
وقيل المعنى اخرج من بلدي ام اقتل كما فعل بالانبياء قبلي وانتم ترمون بالحجارة ام تخسفون
كما للمكذبين من قبلكم والحاصل انه يريد نفي علم الغيب عن نفسه وانه ليس
يطلع على المكنون قال التوربشتي لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان مترددا في عاقبة امره غير متيقن بما له عند الله
من الحسنى لما ورد عنه عليه السلام من الاحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها
بخلاف ذلك وانى يحمل على ذلك وهو المخبر عن الله تعالى انه يبلغه المقام المحمود وانه
اكرم الخلائق على الله تعالى وانه اول شافع واول مشفع الى غير ذلك رواه البخاري
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على النار اي اظهرت لي
واهلها فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل اي من مؤمنيهم تعذب في هرة اي في شان
هرة ولاجلها وفي نسخة في هرة لها ربطتها اي سيئات بيان فلم تطعمها اي كفايتها ولم
تدعها اي ولم تتركها تاكل بالرفع والجملة حال اي تصيد وتاكل من خشاش الارض بفتح
الخاء المعجمة ويكسر ويضم ففي القاموس الخشاش مثلثة حشرات الارض وقال ابن الملك

هو

هو بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها والفتح اظهر وفي النهاية وروي بالحاء المهملة وهو يابس
النبات وهو وهم حتى ماتت اي الهرة جوعا ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي بضم الخاء المعجمة نسبة
الى بني خزاعة قبيلة مشهورة قال التوربشتي هو اول من سن عبادة الاصنام بمكة
وحمل العرب بالتقرب اليها بتسييب السوائب وهو ان يترك الدابة فتسيب حيث تشاء ف
فلا ترد عن حوض ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل وكانوا يسيبون العبيد بان
يعتقوهم ولا يكون الولاء للمعتق ولا على المعتق حجر في ماله فيضعه حيث شاء ويقال
له انه سائبة يجر اي يجذب قصبه بضم قاف فسكون صاد مهملة اي امعاءه في النار
وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم كوشف من سائر ما كان يعاقب به في النار
بجر قصبه في النار لانه استخرج من باطنه بدعة جر بها الجريرة الى قومه اي الجريمة
وكان اول من سيب السوائب اي وضع تحريم السوائب جمع سائبة وهي ناقة تسيبها
الرجل عند برئه من المرض او قدومه من السفر فيقول ناقتي سائبة فلا تمنع من
المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحمل عليها ولا يركب ولا يحلب وكان ذلك تقربا
منهم الى اصنامهم او ناقة ولدت عشر اناث على التوالي ذكره ابن الملك رواه مسلم
اي من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق هو والبخاري على اخراج حديث
الهرة عن ابن عمر وعن ابي هريرة ايضا وليس فيه ذكر عمرو بن عامر لكن رويا حديث
عمرو من حديث ابي هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع رأيت عمرو
ابن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان اول من سيب السوائب وبحر البحيرة يعني
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا
تحلب وعن زينب بنت جحش احدى امهات المؤمنين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل عليها يوما فزعا بفتح فكسر اي خائفا يقول لا اله الا الله ويل للعرب
ففي القاموس الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى وخص بذلك العرب لانهم
كانوا معظم من اسلم حينئذ من شر اي خروج جيش يقاتل العرب قد اقترب
اي قرب ذلك الشر في غاية القرب بيانه قوله فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج
بالالف وبهمزتهما بلا انصراف والمراد بالردم السد والاسم والمصدر فيه سواء
وهو السد الذي بناه ذو القرنين مثل هذه بالرفع على انه نائب الفاعل لقوله فتح
والاشارة الى الحلقة المبينة بقوله وحلق بتشديد اللام اي جعل حلقة باصبعيه
اي بضمهما الابهام والتي تليها بالنصب على انه مفعول حلق او على تفسير الاصبعين
بتقدير اعني ويجوز جرهما على البدلية والمراد انه لم يكن في ذلك الردم ثقبة الى اليوم
وقد انفتحت فيه اذ انفتاحها من علامات قرب الساعة فاذا اتسعت خرجوا وذلك
بعد خروج الدجال كما سياتي فياجوج وماجوج جنسان من بني ادم وطايفتان
كافرتان من الترك قالت زينب فقلت يا رسول الله انهلك بصيغة المجهول من

الاهلاك وفي نسخة صحيحة بفتح النون وكسر اللام وفينا الصالحون اي انعذب فنهلك نحن معشر الامة والحال ان بعضنا مومنون وفينا الطيبون الطاهرون ويمكن ان يكون هذا من باب الاكتفا على نقدير الاستغنا اي وفينا الصالحون ومنا الفاسطون قال نعم اي يهلك الطيب ايضا اذا كثر الخبث بفتحتين اي الفسق والفجور والشرك والكفر وقيل معناه الزنا والمقصودان النار اذا وقعت في موضع واشتدت اكلت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر والنجس ولا تفرق بين المومن والمنافق والمخالف والموافق وسياتي ان الله اذا انزل بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم يبعثوا على اعمالهم وفي نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون اي الفواحش والفسوق ومعناهما واحد متفق عليه وروى ابو داود والحاكم عن ابي هريرة ويل للعرب من شر قد اقترب افلح من كف يده وعن ابي عامر هو عم ابي موسى الاشعري واسمه عبيد بن وهب او ابي مالك الاشعري ويقال له الاشجعي واسمه مختلف فيه وقد اخرج حديثه البخاري بالشك فقال عن ابي مالك الاشعري او ابي عامر قال اي احدهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن من امتي كذا هو في نسخ البخاري اي من جملتهم ووقع في المصابيح في امتي اقوام اي جماعات يستحلون الخز بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاي نوع من الحرير ردية والحرير تخصيص بعد تعميم او المراد بالنهي عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطي لانه من الاسراف وهو مكروه والا فلم يرد نهيه عن لبسه فانه مشوب ينسج من صوف وابريسم نعم اذا كانت لحمته الحرير وسداه غيره فممنوع لبسه الا في الحرب بخلاف العكس فانه قطني مشروع لبسه والمعازف بفتح الميم اي الات الملاهي يضرب بها كالطنبور والعود والمزمار ونحوها والمعنى يعدون هذه المحرمات حلالا لانهم بايرادات شبهات وادلة واهيات منها ما ذكره بعض علمائنا من ان الحرير انما يحرم اذا كان ملتصقا بالجسد واما اذا لبس من فوق الثياب فلا باس به فهذا تقييد من غير دليل نقلي ولا عقلي والاطلاق كلام الشارع صلى الله عليه وسلم بقوله من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وكثير من الامرا والعوام اذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون لو كان حراما لما لبسه القضاة وعلماء الاعلام فيقعون في استحلال الحرام وكذلك لبعض العلما تعلقات بالمعازف يطول بيانها فاعرضنا عن تفصيل شانها فانه يحتاج الى مصنف مستقل في تبيانها وهذا الحديث مويد بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم وروى ابن ابي الدنيا في ذم الملاهي عن انس مرفوعا ليكونن في هذه الامة خسف وقذف ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف اي اذا فعلوا هذه الاشيا مستحلين لها ولينزلن اقوام اي منهم على ماهو الظاهر منا استحقاقهم العذاب الى جنب علم اي جبل يروح اي يسير عليهم بسارحة لهم

اي

اي ماشية لهم والبارز انه في الفاعل وقيل الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبي والاظهر ان الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير بفتح السير عليهم بسير ماشية وفيه اشارة لطيفة الى انهم في سيرهم تابعون لحيواناتهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات النفسانية وتاركون متابعة العلما بالايات القرانية والاحاديث النورانية ولذا وقعوا فيما وقعوا الا وجوزوا على ما فعلوه احترا وقيل الاظهر ان الفاعل ضمير مفهوم من السياق اي يانيهم راعيهم كل حين بسارحة اي ماشية لهم تسرح بالغدوة ينتفعون بالبانها واوبارها يانيهم رجل لحاجة اي ضرورية والا فهم مبعودون من ان يانيهم الناس ومن ان يحصل لهم احد من المومنين شيئ من الاستيناس فيقولون اي لحاجة او بخلا وتدللا ارجع الينا غدا اي لنقضي حاجتك او لنودي طلبتك من غير ان يقولوا ان شا الله فيبيتهم الله بالتشديد اي يعذبهم الله بالليل فانه ادهى بالويل ويضع اي يوقع الله ويسقط العلم اي الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله ويمسخ اخرين قردة وخنازير اي ويحول صور بعضهم الى صور القردة والخنازير فيكون نصبهما بنزع الخافض ولا يصال الفعل اليهما ففي القاموس مسخه كمنعه حول صورته الى اخرى ولعل المراد انه شبانهم صاروا قردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار وتخفيف امر الصغار فان القرد يبقى فيه نوع من المعرفة وصفة المشابهة بالجنس الانساني وقوله الى يوم القيامة اشارة الى ان مسخهم من امتداد الموت وان من مات فقد قامت قيامته ويمكن ان يكون حشرهم على تلك الصور ايضا رواه البخاري وكذا ابو داود وروى الطبراني عن ابي امامة ليبيتن اقوام من امتي على اكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء اي المكسورة والراء اي المخففة المهملتين وهو تصحيف وانما هو بالخاء اي المفتوحة والزاي اي المشددة المعجمتين نص عليه الحميدي اي الجامع بين الصحيحين وابن الاثير اي صاحب جامع الاصول في هذا الحديث وفي كتاب الحميدي عن البخاري اي روايته عنه ايضا وكذا في شرحه اي شرح البخاري للخطابي تروح قيل بالتانيث ويجوز تذكيره بل هو الاظهر فتذبر عليهم سارحة لهم اي بغير لبناء الجارة يانيهم لحاجة اي بحذف الفاعل والتقدير يانيهم الاتي او المحتاج او الرجل على ما يفهم من السياق وللاسماعيلي يانيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلاني والله اعلم ثم للشراح هنا مباحث شريفة واجوبة لطيفة منها قول الشيخ التوربشتي الحر بتخفيف الراء الفرج وقد صحف هذا اللفظ في كتاب المصابيح وكذلك صحفه بعض الرواة من اصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاي المنقوطتين والخز لم يحرم حتى يستحل ولقد وجدت من الناس من اعتنى بحفظ من كان يعرف بعلم الحديث وحفظه فقد كان قيده بالخاء والزاي المنقوطتين حتى ثبت له انه صحف او انبع رواية بعض من لم يعلم

زفي م

ومنها قوله ايضا قوله يروح عليهم بسارحة سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى على من لم يعلم به وانما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذلك رواه مسلم في كتابه وانما السهو من المؤلف لانا وجدنا النسخ سائرها على ذلك ومنها قوله ويضع العلم سقط عنه كلمة وهي عليهم انتهى ويؤيده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح من ان الحر بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة واصله الحرح فحذفت الحاء الاخيرة وجمعه احراح والمراد الفرج يعني قد يكون جماعة في اخر الزمان يطؤون ويعتقدون انه اذا رضي الزوج والمرأة حل منها جميع انواع الاستمتاعات ويقولون المرأة مثل البستان فكما ان لصاحب البستان ان يبيح ثمرة البستان لمن شاء فكذلك للزوج ان يبيح زوجته لمن شاء الذين لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون والملاحدة واما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد حله فهو كافر وفي هذا الحديث اختلف نسخ المصابيح في موضعين احدهما في الحر فانه في بعض النسخ بالخاء والزاي المعجمتين والصواب ما قلنا فانه ذكر في سنن ابي داود بالحاء والراء المهملتين والموضع الثاني قوله يروح عليهم رجل بسارحة لهم ففي بعض النسخ هكذا وفي بعضها يروح عليهم من غير لفظ رجل والرجل مذكور في سنن ابي داود وافاد هذا الحديث انه يكون في اخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور فليجتنب المؤمن المعاصي كيلا يقع في العذاب ومسخ الصور قال الطيبي بعد نقله كلام الشارح الاول اما قوله فقد صحف الى اخره فجوابه ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين في هذا الحديث بعد ما روي يستحلون الخز بالخاء والزاي المعجمتين قلت معارضة الخصم لا يصلح ان يكون جوابا قال والذي ذكره ابو اسحاق الحربي في باب الحاء والراء ليس من هذا في شيء انما هو حديث اخر عن ابي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة وخيرة ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير يريد استحلال الحرام من الفروج وهذا لا يتضمن الذي اخرجه البخاري وكذلك اخرجه ابو داود في السنن في كتاب اللباس في باب الخز ولباسه وانما ذكرنا ذلك لان من الناس من يتوهم في ذلك شيئا فبيناه وحديث ابي ثعلبة ليس من شرط الصحيح تم كلامه اي كلام ابي اسحاق وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية في باب الحاء والراء المهملتين قلت كونه حديثا اخر مسلم لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص في المعنى المراد ولا يضره انه ليس على شرط الشيخين اذا ثبت صحته والاصل توافق الاحاديث لان بعضها يفسر بعضا لاسيما والخز بالزاي ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكبائر ثم رأيت في الجامع الصغير ان ابن عساكر روى عن علي مرفوعا اوشك امتي ان تستحل فروج النساء والحرير واما قوله ثانيا والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الاثير في النهاية في حديث علي انه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه والخز المعروف في الزمن الاول ثياب تنسج من صوف وابريسم وهي مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون

فيكون

فيكون النهي عنها لاجل التشبه بالعجم وزي المترفين وان اريد بالخز النوع الاخر وهو المعروف الآن فهو حرام لان جميعه معمول من الابريسم وعليه يحمل الحديث الاخر معنى هذا الحديث يستحلون الخز والحرير تم كلامه اي كلام ابن الاثير وفيه ان كون الركوب على الخز وفراشه مكروها مع ان الحرير كذلك لا يقتضي استثناء حتى كفرا يوجب العذاب لاسيما والخزلعة واصطلاحا في زمنه صلى الله عليه وسلم كان من جملة المباحات فكيف يصح ان يحمل واما على ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الابريسم فيبعد كلامه صلى الله عليه وسلم ان يفسر به لاستلزامه وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير والامثل التغاير بين المتعاطفين قال الطيبي فان قلت بعطف الحرير على الخز والاول مكروه والثاني حرام على المعنى الاول وعلى الثاني يلزم عطف الشيء على نفسه او كيف يجرم وانه لم يكن مصطلحا حينئذ والجواب عن الاول انه صلى الله عليه وسلم ذهب الى التغليب لارادة التغليظ قلت التغليب تغلب وعن ظاهره تقلب قال والجواب عن الثاني انه عطف بيان وعن الثالث بانه اخبار عن الغيب فكان معجزة قلت عطف البيان مسلم لو كان الخز في زمنه يطلق على الحرير واما جعله معجزة بانه يطلق بعده على الحرير ففي غاية من التعسفات واما قوله ثالثا سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى فجوابه انه ما التبس منه بل رواه البخاري كما في المصابيح ولكن الحميدي والخطابي وصاحب جامع الاصول ذكروا تروح عليهم بسارحة بالتاء المفتوحة بنقطتين من فوق وبرفع سارحة على الفاعلية فوجب ان يقال ان الشارح زاد في الفاعل كما انشد بقول امرئ القيس ۞ الا هل اتاها والحوادث جمة ۞ بان امرأ القيس بن تملك بيقرا ۞ قلت لا شك في وقوع الالتباس على تلك النسخة وزيادة الباء في الفاعل مختص كفى والبيت ليس نصا في المعنى بل الاظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه بعضهم قال واما نسبته الى مسلم وانه رواه في كتابه كذا فسهو منه لاني ما وجدت الحديث في كتاب مسلم فكيف وقد اورده الحميدي في افراد البخاري فحسب وصاحب جامع الاصول رواه عن البخاري وابي داود قلت من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي والشيخ ثقة محقق لاسيما وهو في صدد الاحتجاج قال واما قوله رابعا وقد سقط عنه كلمة عليهم فاني ما وجدت في الاصول هذه الكلمة ثابتة قلت فثبت المدعى بالاعتراض مع انه ثبت وجوده في بعض النسخ واسنده الى مسلم واسناده مسلم ثم قال فان قلت كيف يكون نزول بعضهم الى جنب علم ورواح سارحتهم عليهم ودفعهم ذا الحاجة بالمطل والتسويف سببا لهذا العذاب الاليم والنكال الهائل العظيم قلت انهم لما بالغوا في الشح والمنع بولغ في العذاب وبيان ذلك ان في ايثار ذكر العلم على جبل ايذانا بان المكان مخصب ممرع ومقصد لذوي الحاجات فيلزم منه ان يكونوا ذوي

ثروات وموئلا للملهوفين فلما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله تروح عليهم سارحة لهم وتعقيبه بقوله المبيتة بالاستغلال على ان ثروتهم حينئذ وفور وظهور وان احتياج الواردين اليهم اشد لكثرة الامم احوج ما يكونون حينئذ وفي قولهم ارجع الينا غدا ادماج لمعنى الكذب وخلف الموعد والاستهزاء بالطالب فاذا استاهلون قلت هذا الكلام يفيد استحقاق العذاب الشديد من المسخ المفرد لا يوجد في غير اهل الكفر فالصواب ما قررناه وفيما سبق قررناه وحررناه قال وانما قلنا ان العلم يدل على الشهرة والمقصد لقول الخنساء في مدح اخيها كانه علم في راسه نار ينبهت به على ان اخاها مشهور معروف وملجا للملهوفين وما من المضطرين فان رواح السارحة دل عليه فورا لثروة وظهورها كقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت على البطون حافلة الضروع ثم ادبرت الى الحظاير قال الخطابي فيه بيان ان المسخ قد يكون في هذه الامة وكذلك الخسف كما كان في ساير الامم خلاف قول من زعم ان ذلك لا يكون انما مسخها بقلوبها اقول فما جاء في الاحاديث من نفيهما فهو اما محمول على اولى زمان الامة فهو عام حض منه اخر الزمان لهذا الحديث واما محمول على مسخ جميع الامة وخسفهم والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله اعلم

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم اي جميعهم الطالحين والصالحين ثم بعثوا اي يوم القيامة على اعمالهم اي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح قال المظهر يعني اذا اذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان في القوم سواء فيه على المذنب وغيره بشومه ولكنهم يجزون يوم القيامة على حسب اعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر متفق عليه اي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب عن ابيه ذكره ميرك فكان حق المولف ان يسند الحديث الى عمر رضي الله عنه **وعن** جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث اي يحشر يوم القيامة كل عبد على ما مات عليه اي من العمل خيرا كان او شرا فيجازى به رواه مسلم وكذا ابن ماجة وفي رواية احمد عن ابي هريرة مرفوعا يبعث الناس على نياتهم

الفصل الثاني عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت فيه معنى التعجب اي ما علمت مثل النار اي شدة وهولا نام هاربها مفعول ثان ويمكن ان يكون رايت بمعنى ابصرت فيكون الجملة صفة او حالا اي صار غافلا عنها وينبغي للهارب من عذاب النار ان يفر من عمل الفجار ولا مثل الجنة اي نعمة ونزلا نام طالبها وينبغي له ان يجد كل الجد في امتثال الاوامر ليدرك الجد رواه الترمذي ورواه الطبراني في الاوسط عن انس وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون اي ابصر ما لا تبصرون بقرينة قوله واسمع ما لا تسمعون ثم بين سماعه لقربه ولكونه نتيجة لكثرة ما له

يقول

بقوله اطت السماء بتشديد الطاء من الاطيط وهو صوت الاقتاب واطيط الابل اصواتها وحنينها على ما في النهاية اي صوتت وحق بصيغة المجهول اي ويستحق وينبغي لها ان تئط اي تصوت ثم بين سببه وهو ما راه من الكثرة بقوله والذي نفسي بيده ما فيها اي ليس في السماء جنسها موضع اربعة اصابع بالرفع على انه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد الا في قوله الا وملك حال منه اي وفيه ملك واضع جبهته لله ساجدا اي منقادا ليشمل ما قيل ان منهم بعضهم قياما وبعضهم ركوع وبعضهم سجود كما قال حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم او خصه باعتبار الغالب منهم او هذا مختص باحدى السموات والله اعلم ثم اعلم ان اربعة بغيرها في جامع الترمذي وابن ماجة ومع الهاء في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح وسببه ان الاصبع يذكر ويؤنث قال الطيبي اي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثم اطيط وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله تعالى قلت ما المحوج عن عدول كلامه صلى الله عليه وسلم من الحقيقة الى المجاز مع امكانه عقلا ونقلا حيث صرح بقوله واسمع ما لا تسمعون مع انه يحتمل ان يكون اطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس لقوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات بضم الفاء والراء جمع فرش فهو جمع الجمع للمبالغة ولخرجتم اي من منازلكم الغالبة الى الصعدات بضمتين اي الى الصحاري واختيار الجمع للمقابلة والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات والصعيد هو الطريق وقيل لا اصل التراب اي لخرجتم الى الطرقات البراري والصحاري وهم الناس كما يفعل المحزون لبث الشكوى والهم المكنون والاظهار ان الصعيد هو وجه الارض وقيل التراب ولا معنى له هاهنا قال التوربشتي المعنى لخرجتم من منازلكم الى الجبانة متضرعين الى الله تعالى وهو من حال المحزون ان يضيق به المنزل فيطلب الفضاء الخالي لبث شكواه تجارون الى الله اي تتضرعون اليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء قال ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد بصيغة المجهول اي تقطع وتستاصل وهذا تمنا منه كما له خوفه من عذاب ربه رواه احمد والترمذي وابن ماجة قال التوربشتي قوله يا ليتني هو من قول ابي ذر ولكن ليس في كتاب احد ممن نقل هو عن كتابه قال ابو ذر بل ادرج في الحديث ومنهم من قال قيل هو من قول ابي ذر وقد علموا انه بكلام ابي ذر اشبه والنبي صلى الله عليه وسلم اعلم بالله من ان يتمنى على الله حالا هي اوضع مما هو فيه ثم انها مما لا تكون قال الطيبي في جامع الترمذي وجامع الاصول هكذا تجارون الى الله لوددت اني شجرة تعضد وفي رواية ان ابا ذر قال لوددت اني شجرة تعضد ويروى عن ابي ذر موقوف وفي سنن ابن ماجة كما في المتن ونسخ المصابيح قال ابو ذر يا ليتني الخ وللبحث

وقوع الخسف والمسخ في آخر هذه الأمة

فيه مجال وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف اي البيات
والاغارة من العدو وقت السحر ادلج اي سار اول الليل او من خاف فوت المطلوب اي شمر
في طلب المحبوب ومن ادلج بلغ المنزل اي وصل الى المطلب قال الطيبي هذا مثل ضربه
النبي صلى الله عليه وسلم لسالك الاخرة فان الشيطان على طريقه والنفس واماني الكاذبة اعوانه
فان تيقظ في سيره واخلص النية في عمله امن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق باعوانه
ثم ارشد الى ان سلوك الطريق الى الاخرة صعب وتحصيل الاخرة متعسر لا يحصل بادنى سعي
فقال الا بالتخفيف ان سلعة الله اي متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى وزيادة
غالية بالغين المعجمة اي رفيعة القدر الا ان سلعة الله اي الغالية الجنة اي العالية
والمعنى ثمنها الاعمال الباقية المشار اليها بقوله سبحانه والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير املا والمومى اليه بقوله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة رواه الترمذي وكذا الحاكم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله جل ذكره اي عظم ذكره وفخم ذاكره وما احسن موقع ذكره في هذا المقام من حيث انه
توطئة لذكره في الاتيان وخوفه في كل مقام اخرجوا من النار من ذكرني اي بشرط كونه مومنا
مخلصا يوما اي وقتا وزمانا او خافني في مقام اي مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال
تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى قال الطيبي اراد
الذكر بالاخلاص وهو توحيد الله عن اخلاص القلب وصدق النية والا فجميع الكفار يذكرونه
باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه
دخل الجنة والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقييدها بالطاعات والا فهو حديث نفس
وحركة لا يستحق ان يسمى خوفا وذلك عند مشاهدة سبب هائل واذا غاب ذلك السبب عن
الحس رجع القلب الى الغفلة قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك اذا قلت
لا كفرت واذا قلت نعم كذبت اشار به الى الخوف الذي هو كف الجوارح عن المعاصي رواه الترمذي
اي في سننه والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن عايشة قالت سالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن هذه الاية والذين يوتون ما اتوا اي يعطون ما اعطوه من الزكاة والصدقات
وقلوبهم وجلة قالت اي ما يوتون ما اتوا بالقصر اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة اي خائفة ان
لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيواخذون به وتمامه انهم الى ربهم راجعون
اي لانه مرجعهم الى الله اولئك يسارعون في الخيرات اي يرغبون اشد الرغبة فيبادرونها
وهم لها سابقون اي لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او
الجنة قال الطيبي هو هكذا في نسخ المصابيح وهي القراءة المشهورة ومعناه يعطون ما اعطوا
وسوال عايشة رضي الله عنها اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون لا يطابقها وقراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياتون ما اتوا بغير مد اي يفعلون ما فعلوا وسوالها مطابق لهذه القراءة
وهكذا هو في تفسير الزجاج والكشاف قلت مودى القراءتين واحد لان المراد بالقراءة الشاذة المشهورة

تفسير ه

واحد م

اليه

اليه صلى الله عليه وسلم فقيل قطع طرق التواتر يفعلون ما فعلوه من الطاعة لا ما ظننت عايشة
ان المراد به ما فعلوه من المعصية ولا المعنى الاعم من الخير والشر لعدم مطابقته
لقوله سبحانه اولئك يسارعون في الخيرات قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لا اي ليس هم اوليس
المراد من الاية امثالهم يا بنت الصديق وفي نسخة يا ابنة الصديق وفي هذا النداء منقبة
عظيمة لها ولابيها على وجه التحقيق فكانه قال ليس كذلك وانت الصادقة على ما هو المتعارف
من حسن الادب بين الاحباب ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون فهذا تفسير
لقوله تعالى والذين يوتون ما اتوا على القراءتين غايته ان في كل منهما نوع تغليب فالمشهورة
ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما ان الشاذة متعلق بالطاعة البدنية على ان
المشهورة يمكن ان يقال في تفسيرها يعطون من انفسهم ما اعطوا من الطاعة فتشمل النوعين
من العبادة وهم يخافون ان لا يقبل منهم اي لانهم يخافون مما فعلوا بدليل قوله تعالى اولئك
يسارعون في الخيرات فانه لا يصح ان يحمل على شربة الخمر وسرقة المال وساير السيئات رواه
الترمذي وعن ابي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل
قام فقال يا ايها الناس اراد به النائمين من اصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم
ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد وفي هذا ماخذ للمذكرين من المؤذنين وانه ينبغي لهم
ان لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل وفيه اشارة الى استحباب القيام في ثلث
الاخير من الليل استحبابا موكدا اذكروا الله بوحدانيته ذاته وبساير صفاته اذكروا الله
اي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجاء وممن قال تعالى فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع
يدعون ربهم خوفا وطمعا وفي نسخة اذكروا الله ثلاث مرات اي من الائه ونعمائه وسرائه وضرائه
جاءت الراجفة فيه اشارة الى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة وعبر بصيغة الماضي
لتحقق وقوعها فكانها جاءت والمراد انه قارب وقوعها فاستعدوا لتهويل امرها والراجفة هي
الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال او مجاز عن الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهذا المعنى انسب بالحديث في هذا
المقام وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة اي التابعة وهي السماء والكواكب وتنشق وتنتثر
او النفخة الثانية وهي التي يحيى فيها الخلق والجملة في موقع الحال او استيناف بيان
لما يقع بعد الراجفة قال الطيبي اراد بالراجفة النفخة الاولى التي يموت منها
جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض واراد بالرادفة
النفخة الثانية ووقت النفخة الاولى انذرهم صلى الله عليه وسلم باقتراب الساعة لئلا
يغفلوا عن استعدادها جاء الموت بما فيه اي مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة
النزع والقبر وما بعده وفيه اشارة الى ان من مات فقد قامت قيامته فهي القيامة
الصغرى الدالة على القيامة الكبرى جاء الموت بما فيه لعل الاول بيان ما وقع وتحقق
لمن قبلنا موعظة لنا فقد وردكفى بالموت واعظا والثاني اشارة الى قرب مجيئه للموجودين

وهذا الثنا سبب لتسديد الموسس على التابيد اولى من حمل التكرار على التاكيد رواه الترمذي
قال المنذري رواه احمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وعن
ابي سعيد قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة اي لاداء صلاة والظاهر المتبادر من
مقتضى المقام انها صلاة جنازة لما ثبت انه عليه السلام اذا راى جنازة رؤيت عليه كآبة
اي حزن شديد واقل الكلام فراى الناس كانهم يكتشرون اي يضحكون من الكشر وهو ظهور
الاسنان للضحك ولعل التاء للمبالغة ففي القاموس كشر عن اسنانه ابدى يكون في الضحك
وغيره انتهى فيوخذ منه انهم جمعوا بين الضحك البالغ والكلام الكثير وقال التوربشتي
اي يضحكون والمشهور في اللغة الكشر قال اما بالتخفيف للتنبيه عن نوم الغفلة الباعثة
على الضحك والمكالمة انكم لو اكثرتم من ذكرها دم اللذات بالدال المهملة في اصل السيد
وفي اكثر النسخ المعتمدة وفي بعضها بالذال المعجمة واقتصر عليه السيوطي في حاشية الترمذي
وفي القاموس هذم بالمعجمة قطع واكل بسرعة وبالمهملة نقض البنا والمعنى لو اكثرتم من ذكر
قاطع اللذات لشغلكم عما ارى اي منا الضحك وكلام اهل الغفلة الموت بالجر تفسير لهادم اللذات
او بدل عنه كما ياتي فيما بعده وبالنصب باضمار اعني وبالرفع بتقدير هو الموت فاكثروا ذكر
هادم اللذات اي الموجودة المعمولة للاغنيا والمفقودة المسولة للفقرا فهو موعظة
بليغة للطائفتين ومن الغريب ان ذكر الموت يحيي القلب النائم والنوم اخو الموت
وكان شيخنا العارف بالله تعالى الولي مولانا نور الدين علي المتقي يعمل عليه كيسا مكتوبا
عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المريد ليستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقصر
امله ويكثر عمله وكان بعض الصالحين من السلاطين امر واحدا من امرائه ان يقف
دائما من ورائه يقول الموت الموت ليكون دوا لدائه ثم انه صلى الله عليه وسلم بين الحكمة
وجه حكمة الامر بالاكثار ذكر الموت واسبابه بقوله فانه اي الشان لم يات على القبر يوم اي
وقت وزمان الا تكلم اي بلسان القال او بلسان الحال وفي رواية زيادة فيه اي في
ذلك اليوم انا بيت الغربة اي فكن في الدنيا كانك غريب وانا بيت الوحدة اي فلا ينفع
الا التوحيد وشهود الواحد الفرد وانا بيت التراب اي اصل كل حي مخلوق فمن مرجعه
التراب ينبغي ان يكون مسكينا ذا متربة لئلا يفوته جنسية المناسبة وانا بيت الدود
اي فلا ينبغي ان يكون متكبرا وينهمك في استعمال اللذات من الماكول والمشروب لان مال
امرها الى الفنا ولا ينفع في ذلك المكان الا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل وقيل يتولد
الدود من العفونة وتاكل الاعضا ثم ياكل بعضها بعضا الى ان تبقى دودة واحدة فتموت
جوعا واستثني الانبيا والشهدا والاوليا والعلما من ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم
ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا وقال تعالى في الشهدا ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم والعلما العاملون المعبر عنهم بالاوليا [illegible]
افضل من دماء الشهدا واذا دفن العبد المومن قال له القبر او ما يقوم مقامه مرحبا

اي انت

اي انت مكانا واسعا لرقدتك واهلا اي وحضرت اهلا لمحبتك اما بتخفيف الميم للتنبيه
ان كنت انه كنت فان مخففة من المثقلة واللام فارقة بينهما وبين ان النافية في قوله
لاحب وهو افعل تفضيل بني للمفعول اي لا فضل من يمشي على ظهري الي متعلق
باحب فاذ بسكون الذال وبعد الطيبي حيث قال وفي اذ معنى التعليل اذ الصحيح
انه هنا ظرف محض والعلة والسبب كونه مومنا اي فحين وليتك من التولية مجهولا
او من الولاية معلوما اي صرت فادرا حاكما عليك اليوم هذا الوقت وهو ما بعد الموت
والدفن وصرت الي اي مقهورا ومجبورا فسترى اي ستبصر او تعلم صنيعي بك من الاحسان
اليك بالتوسيع عليك قال اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما اعاده لطول الكلام ولئلا
يتوهم ان ما بعده من كلام الراوي تفسير للمرام فيتسع اي فيصير القبر وسيعا وفي رواية
ويوسع له اي للمومن مد بصره اي من كل جانب حقيقة او كشفا او مجازا عن عدم التضييق
حسا ومعنى وفيه كناية عن تنويره ايضا ويفتح له باب الى الجنة اي ويعرض له مقعده
منها ياتيه من روحها ونسيمها ويشم من طيبها ويقر عينيه بما يرى فيها من حورها وقصورها
وانهارها واشجارها وثمارها واذا دفن العبد الفاجر اي الفاسق والمراد به الفرد الاكمل
وهو الفاسق بقرينة مقابلته بقوله العبد المومن سابقا ولما سياتي من قول القبر له ابغض
البغض من يمشي على ظهره ومنه قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الاية او الكافر
شك من الراوي لا للتنويع وقد جرت عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين
في الدارين والسكوت على حال المومن الفاسق سترا عليه او ليكون بين الرجا والخوف لا لاثبات
المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة قال له القبر لا مرحبا ولا اهلا اما ان كنت
لابغض من يمشي على ظهري فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال اي
النبي صلى الله عليه وسلم فيلتئم اي ينضم القبر عليه حتى تختلف اضلاعه اي تدخل
بعضها في بعض وفي رواية حتى تلتقي وتختلف اضلاعه قال اي الراوي وقال اي اشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابعه اي من اليدين الكريمتين فادخل بعضها وهو
اصابع اليد اليمنى في جوف بعض وفيه اشارة الى ان تضييق القبر واختلاف الاضلاع حقيقي
لا انه مجاز عن ضيق الحال وان الاختلاف مبالغة في انه على وجه الكمال كما توهم بعض ارباب
النقصان حتى جعلوا عذاب القبر روحانيا لا جسمانيا والصواب ان عذاب الاخرة ونعيمها
متعلقان بهما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ويقيض بتشديد اليا المفتوحة اي
يسلط ويوكل له اي بخصوصه والا فهو عليه سبعون تنينا بكسر التاء وتشديد النون
الاولى مكسورة اي حية عظيمة يقال له اژدر بالفارسي وبالعربي افعى وعدد السبعين
يحتمل التحديد والتكثير ويويد الثاني ما ذكر في الاحيا عن ابي هريرة مرفوعا هل
تدرون فيما ذا انزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر
في قبره يسلط عليهم تسعة وتسعون تنينا تدرون ما التنين تسعة وتسعون حية

عليهم

لكل واحدة تسعة وتسعون رأسا تخدشه وتلحسه وينفخن في جسمه الى يوم القيامة انتهى لو ان واحدا منها نفخ بالخاء المعجمة اي تنفس في الارض ما انبتت اي الارض شيئا اي من الانبات او لنباتات ما بقيت الدنيا اي مدة بقائها فتنهسه بفتح الهاء وسكون السين المهملة اي تلدغه وفي القاموس نهس اللحم كمنع قبض اخذه بمقدم اسنانه ونتفه وتخدشه اي تجرحه حتى تقضي بضم فسكون ففتح ضاد معجمة اي توصل به اي بالكافر الى الحساب اي ثم الى العقاب وفيه دليل على ان الكافر يحاسب خلافا لمن توهم بعضهم ان الكافر يدخل النار بغير حساب اللهم الا ان يقال المراد بالحساب الجزاء واما ظواهر الايات من قوله ومن خفت موازينه فصريحة في حسابهم نعم يمكن ان يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار من غير حساب والاكتساب كما يدخل بعض المومنين المبالغين في الصبر والتوكل على ما سبق بغير حساب والله اعلم بالصواب قال اي الراوي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في هذا المحل او في وقت اخر فنا مثلا انما القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار بصيغة الافراد المناسبة للفظة الجنة وفي نسخة النيران لمناسبة جمع الحفر ولان المراد بالجنة الجنان قال الطيبي قوله من حفر النار كذا في جامع الترمذي وجامع الاصول واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها النيران بالجمع رواه الترمذي قال السيوطي وحسنه واخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس الى قبر فقال ما ياتي على هذا القبر من يوم الا وهو ينادي بصوت طلق ذلق يا ابن ادم كيف نسيتني الم تعلم اني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق الا من وسعني الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القبر روضة وفي نسخة اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قال سفيان الثوري من اكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وعن ابي جحيفة بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبالفاء ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروى عنه مات بالكوفة روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين قال قالوا اي بعض الصحابة قد شبت اي ظهر عليك اثار الضعف قبل اوان الكبر وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الابيض عليه لما رواه الترمذي عن انس قال ما عددت في راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضا قال شيبتني هود بغير انصراف وفي نسخة بالصرف قيل ان جعل هود اسم السورة لم يصرف والا صرف فالمضاف مقدر حينئذ اقول لانه اذا لم يصرف كان وجوره واذا صرف كان التقدير سورة هود ويويده ما في نسخة صحيحة سورة هود واخواتها اي واشباهها من السور التي فيها ذكر القيامة والعذاب قال التوربشتي يريد ان اهتمامي بما فيها من اهوال القيامة والحوادث

النازلة

النازلة بالامم الماضية اخذ مني ما اخذه حتى شبت قبل اوان المشيب خوفا على امتي وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت باية اية فقال قوله فاستقم كما امرت قال الامام فخر الدين وذلك ان الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل الى طرفي الافراط والتفريط في الاعتقاد اخذ والاعمال الظاهرة والباطنة عسير جدا قلت لاشك ان الاستقامة خير من الف كرامة لكونها اصعب من جسر القيامة مع انها ادق من الشعر وامر من الصبر واحد من السيف واحر من الصيف لكن حمل الحديث على الاية غير ظاهر لقوله واخواتها المفسرة بالسور الاتية التي ليس فيها ذكر الاستقامة فالتمام ان يقال المقصود من ذكر القيامة واهوالها والنار واهوالها انما هو تحصيل الاستقامة للتخلص عن الندامة والملامة فكانها مذكورة في جميعها ويقال الجواب للنائم كان على طبق ما يناسبه من المقام الذي هو فيه والتحريض على ما هو المطلوب منه فيكون من باب اسلوب الحكيم والله سبحانه اعلم رواه الترمذي اي عن ابي جحيفة ورواه الطبراني عن عقبة بن عامر وعن ابي جحيفة ايضا وزاد ابن مردويه عن ابي بكر قبل المشيب وعن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية وعم يتساءلون واذا الشمس كورت يعني وامثالها مما فيه ذكر القيامة واهوالها رواه الترمذي وكذا الحاكم ورواه ايضا عن ابي بكر ورواه ابن مردويه عن سعد ورواه سعيد بن منصور في سننه عن انس وابن مردويه عن عمران بلفظ شيبتني هود واخواتها من المفصل وفي رواية لابن مردويه عن انس شيبتني سورة هود واخواتها الواقعة والقارعة والحاقة واذا الشمس كورت وسال سائل وذكر حديث ابي هريرة لا يلج النار اي لا يدخلها من بكى من خشية الله الحديث لطوله في كتاب الجهاد اي فاسقط للتكرار

الفصل الثالث عن انس قال انكم لتعملون اعمالا اي عظيمة في نفس الامر وتستصغرونها وتعدونها من الكبائر ولكن وهذا معنى قوله هي ادق في اعينكم من الشعر قال الطيبي عبارة عن تدقيق النظر في العمل وامعانه فيه والمعنى انكم تعملون اعمالا وتحسبون انكم تحسنون صنعا وليس كذلك في الحقيقة كنا نعدها اي تلك الاعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه من الموبقات بكسر الموحدة يعني المهلكات تفسير من احد الرواة اي يريد انس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا بفتح الميم اي مهلكا رواه البخاري وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب اي صغائرها وخص بها فانه ربما يسامح صاحبها فيها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات بها في الخشية غفلة عنه انه لا صغيرة مع الاصرار وان كل صغيرة بالنسبة اي عظمة الله وكبريائه كبيرة

والقليلة منها كبيرة فلذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب على الصغيرة كما يستفاد من
قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم الصغيرة بسبب العبادات المكفرة لكن بشرط اجتنابكم الكبائر لا بمجرد
اجتناب الكبائر على ما ذهب اليه المعتزلة والله اعلم فان لها اي للمحقرات من الذنوب
من الله اي من عنده سبحانه طالبا اي نوعا من العذاب يعقبه فكانه يطلبه طلبا لا مرد
له فالتنوين للتعظيم اي طالبا عظيما فلا ينبغي ان يغفل عنه بل ينبغي ان يخشى
منه وقال الطيبي قوله من الله طالبا هو من باب التجريد كقول القائل وفي الرحمن
للضعفاء كاف ٭ والقول الظاهر في قول القائل ان معناه وفي رحمة الرحمن للضعفاء
كفاية فان اسم الفاعل قد يأتي بمعنى المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر رواه
ابن ماجة اي في سننه والدارمي اي في مسنده والبيهقي في شعب الايمان ورواه
احمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه اياكم ومحقرات
الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء
ذا بعود حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها
تهلكه ورواه احمد والطبراني ايضا عن ابن مسعود نحوه وعن ابي بردة بن ابي موسى قال
المؤلف هو عامر بن عبد الله بن قيس الاشعري احد التابعين المشهورين المكثرين
سمع اباه وعليا وغيرهما كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج قال قال لي عبد
الله بن عمر هل تدري ما قال ابي لابيك اي في امر غلبة الخوف المعنون به الباب قال
اي ابو بردة او التقدير قال الراوي ناقلا عن ابي بردة قلت لا اي لا ادري قال فان ابي
قال لابيك يا ابا موسى ناداه بكنيته اشعارا بتعظيمه وتقريبا لحضرته هل يسرك اي يوقعك
في السرور ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منضما مع بعثته وهجرتنا معه
وجهادنا معه وعملنا كله كالصلاة والصوم والزكاة والحج وامثالها كله اي جميعه بجميع افراده
واصنافه معه اي ثبت ودام لنا ففي النهاية في الحديث الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة
اي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد وقيل معناه الغنيمة الثابتة
المستقرة من قولهم برد لنا على فلان حق اي ثبت انتهى كلامه وهو خبر قوله ان
اسلامنا والجملة فاعل يسرك ذكره الطيبي وان كل عمل عطف على ان اسلامنا
عملناه بعده اي بعد فوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نجونا منه اي من ذلك العمل كله
كفافا بفتح الكاف اي سواء راسا براس بدلا وبيانه ونصبه على الحال من فاعل نجونا اي متساويين
لا يكون لنا ولا علينا بان لا يوجب ثوابا ولا عقابا وقال الطيبي قوله كفافا نصب على
الحال من الضمير المجرور واي نجونا منه في حالة كونه لا يفضل علينا شيء منها ومن الفاعل
اي مكفوفا عنا شره فقال ابوك لابي لا والله اي لا يسرنا وبين سببه بقوله جاهدنا
اي الكفار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا اي صلوات وصمنا اي سنوات

وعملنا

وعملنا خيرا كثيرا اي من الصدقات او نوافل العبادات واسلم على ايدينا اي بسببنا بشر كثير
من فتح البلاد وانا لنرجو ذلك وفي نسخة ذلك اي ثوابه ما ذكر زيادة على ما سبق لنا من
الاسلام والهجرة وسائر الاعمال قال ابي يعني عمر لكني انا زيد للتاكيد والذي نفس عمر بيده
لوددت ان ذلك اي ما سبق لنا من العمل معه صلى الله عليه وسلم برد لنا اي ثم ولم يبطل
ولم ينقص ببركة وجوده وفضله وجوده صلى الله عليه وسلم وان كل شيء عملناه
بالنصب هنا بعده اي بعد مماته وفقد حياته وبعد بركاته نجونا منه كفافا راسا براس
وذلك والله اعلم ان التابع اخبر المتبوع في الصحة والفساد اعتقادا واخلاصا وعلما
وعملا ما ترى صحة بناء صلاة المقتدي على صلاة الامام المقتدى وكذا فسادها
ولا شك في وصول الكمال وحصول صحة الاعمال في حال ملازمته صلى الله عليه وسلم واما
بعده فما وقع منا لطاعات لا يخلو من تغير النيات وفساد الحالات ومراعاة المرايات كما
اخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله فما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه
صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا قلوبنا يعني بالظلمة الناشية عن غيبة نور شمس وجوده
وقمر جوده فالغنيمة الباردة ان تكون في مرتبة المساواة بين الطاعات والسيئات
وهذا بالنسبة الى اجلاء الصحابة وعظماء الخلافة واما من بعدهم فطاعاتهم
مشحونة بالغرور والعجب والرياء اسباب للمعاصي ووسائل للعقوبات فالعاصي غالبا
الا ان يتفضل الله برحمته ويعفو عنا بنيته بان يلحق المسيئين بالمحسنين بل قال
بعض العارفين معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اوجبت عجبا واستكبارا
فقلت ان اباك اي عمر والله كان خيرا من ابي اي ابي موسى في كل شيء فهذا الكلام لان كلام
السادات سادات الكلام وكيف وهو الناطق بالصواب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل
من كل باب والموافق رايه نزول الكتاب وقد طابق قوله حديثه صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم
بالله واخشاكم له وقوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء هذا وقال الطيبي قوله
لوددت خبر لكني مع اللام وهو ضعيف ويجوز ان يكون لوددت جواب القسم والجملة القسمية
خبر لكني على ما قلنا وقيل قلت بل الحديث حجة للكوفيين ففي المغني ولا يدخل اللام في خبر
لكن خلافا للكوفيين احتجوا بقوله ولكنني من حبها لعميد وخرج على زيادة اللام او على
ان اصلها لكن انا حذفت الهمزة تخفيفا ونون لكن للساكنين قلت هذه كلها تكلفات
بعيدة وتعسفات مزيدة ما انزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان فالصواب انها
للتاكيد كما جوز في بعض اخوات لكن على القياس لا سيما وقد ورد على لسان الاوحد
من فصحاء العرب باسناد هو اصح الاسانيد رواه البخاري ثم من اعجب الغرائب واغرب
العجائب انه لو حكي من طريق الاصمعي ونحوه ان اعرابيا ممن يبول على عقبيه تكلم بمثله [illegible]
ونظما اخذ النحاة به وجعلوه اصلا ممهدا واساسا مويدا فمن قال ان ادلة الصرفيين
والنحويين كتارات بيت العنكبوت فتارة تطير وتارة تفوت وعن ابي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ربي بتسع اي خصال خشية الله بالجر ويجوز اختاره اي خوفه المقرون بالعظمة في السر والعلانية اي في القلب والقالب او في الخلاء والملاء وكلمة العدل في الغضب والرضا بالقصر اي في الحالين والقصد اي الاقتصاد في المعيشة او التوسط بين الصبر والشكر غير خارج عنهما بالجزع والطغيان في الفقر والغني وان اصل من قطعني اي من ذوي الارحام وغيرهم وهذا غاية الحلم ونهاية التواضع واعطي من حرمني وهذا كمال الكرم والجود واعفو عمن ظلمني اي مع قدرتي علي الانتقام وهذا نتيجة الصبر ونتيجة الشكر وغاية الاحسان والرحمة علي افراد الانسان وان يكون صمتي فكرا اي في اسمايك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني اياتك ونطقي ذكرا اي بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك ونظري عبرة اي في الافاق والانفس ومكنونات السموات والارض وامر بالعرف وقيل بالمعروف اي بدلا عن العرف بالضم والسكون ولم يقل والنهي عن المنكر اكتفاء او العرف يشمل المعروف في الشرع ازكا با واجتنابا قال الطيبي ذكر تسعا واتي بعشر فالوجه ان يجعل العاشر وهو الامر بالمعروف علي انه مجمل عقيب التفصيل لان المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الي الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهي عنه من المحسنات والمقبحات كانه قيل امرني ربي بان اتصف بهذه الصفات وامر غيري بالاتصاف بها قالوا وان كلها عطفت المفرد علي المفرد وفي قوله وامر بالعرف عطفت المجموع من حيث المعني علي المجموع بحسب اللفظ ونحوه في التفرقة بين الواوين قوله تعالي وما يستوي الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور رواه رزين وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مومن يخرج من عينيه اي من احديهما دموع اي دمعات اقلها ثلاث وان كان اي الخارج او كل دمع مثل راس الذباب اي كمية او كيفية من خشية الله ثم يصيب بالرفع وقيل بالنصب اي يصل الدمع شيا من حر وجهه بضم الحاء وتشديد الراء المهملة اي خالصة ففي القاموس حر الوجه ما اقبل عليك وبدا لك منه الا حرمه الله علي النار وضمير المفعول راجع الي العبد المومن الموصوف ويمكن ان يرجع الي حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته والله اعلم رواه ابن ماجة وفي الجامع بلفظ ما من عبد مومن يخرج من عينيه من الدموع مثل راس الذباب من خشية الله تعالي فيصيب حر وجهه فتمسه النار ابدا رواه ابن ماجة عن ابن مسعود

باب

تغير الناس اي لتغير الزمان علي ما هو المتبادر الموافق لمضمون اكثر احاديث الباب او المراد بالتغير اختلاف احوالهم ومراتبهم في منازلهم الشاملة للتغير زمنهم وعليه ظاهر الحديث الاول من الفصل الاول فتامل

الفصل الاول

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الناس اي في اختلاف احوالهم وتغير صفاتهم كالابل المائة قال الطيبي اللام فيها للجنس قال التوربشتي الرواية فيه علي التنكير بل مائة تعبير الدلالة

نها لا تكاد اي لا تقرب ايها المخاطب خطابا عاما تجد فيها اي فيما تجد من الابل راحلة اي ناقة نابتة قوية مرتاضة تصلح للركوب فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة فيعين صاحبه ويلين له جانبه وهذا زبدة كلام الشارح الاول ومتابعه من شرح المصابيح وقال الخطابي معناه ان الناس في احكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف علي مشروف ولا لرفيع منهم علي وضيع كالابل المائة لا يكون راحلة قال الطيبي علي القول الاول لا تجد فيها راحلة صفة لابل والتشبيه مركب تمثيلي وعلي الثاني هو وجه الشبه وبيان لمناسبة الناس بالابل قلت ولا يخفي ظهور المعني الاول فتدبر وتامل وخلاصته ان المرضي المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الابل الكثيرة القوية علي الاحمال والاسفار فذكر المائة للتكثير والحد يدفان وجود العالم العامل المخلص من قبيل الكيمياء او من باب تسمية العنقاء ولذا قال بعض العرفاء ٭ اتمني علي الزمان محالا ٭ ان تري مقلتاي طلعة حر ٭ وقال الاخر ٭ واذا سالك من زمانك واحد ٭ فهو المراد وابن ذاك الواحد ٭ وكان يقول بعض ارباب الحال هذا زمان قحط الرجال وروي ان سهل التستري خرج من مسجد وراي خلقا كثيرا في داخله وخارجه فقال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل وقد نبه سبحانه علي هذا المعني في ايات منها قوله وقليل من عبادي الشكور ومنها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ومنها قوله في وصف السابقين المقربين ثلة من الاولين وقليل من الاخرين متفق عليه ورواه الترمذي وهذا لفظ البخاري نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ انما الناس كالابل المائة بالتنكير رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن بتشديد التاء الثانية وضم العين اي لتتبعوا بالتبعية سنن من قبلكم بفتح السين وهي لغة الطريقة حسنة كانت او سيئة والمراد هنا طريقة اهل الاهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء انفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما اتي علي بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وفي بعض النسخ بفتح السين ففي المقدمة اي طريقهم شبرا بشبر حال مثل يدا بيد وكذا قوله ذراعا بذراع اي ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء حتي لو دخلوا اي من كان قبلكم من بني اسرائيل جحر ضب وهو من اضيق انواع الجحر واخبثها لتبعتموهم ولعل الحكمة في ذلك انه صلى الله عليه وسلم لما بعث لاتمام مكارم الاخلاق في اخر الامم فيقتضي ان يكون اهل الكمال منهم موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الاديان المتقدمة ومن لوازم ذلك ان يكون اهل النقصان منهم في كمال مرتبة النقصان متصفين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الامم السابقة ونظيره ان بعض المشايخ ذكر انه اتصف بجميع ما سمع من رياضات ارباب الولايات فاعطي له جميع اصناف الكرامات وخوارق العادات ويناسبه ما ذكره بعض المحققين من ان التوقف لا يوجد في حق الانسان فان لم يكن في الزيادة فهو في النقصان وايضا نوع بني ادم

معجون من الطبع الملكي الروحاني العلوي ومن الطبع الحيواني النفساني السفلاني فان كان يميل الي العلو فيصير الي المرتبة الاولى من الملاء الاعلى وان كان يميل الي السفل فيسير محيط نفسه من مراتب البهايم ادنى كما اشار اليه سبحانه بقوله اولئك كالانعام بل هم اضل وهنا ينفتح باب الفضا والاخلاص الي الفضا الا بقوله لايسال عما يفعل قلنا مثل قيل يا رسول الله اليهود والنصارى اي اتعني بمن نتبعهم او بمن قبلنا سنة اليهود والنصارى قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فمن اي ان لم اردهم فمن سواهم والمعنى انهم الغالبون المشهورون من اهل الكتاب وغيرهم مندرسون فاذا اطلق من قبلكم فهم المراد وكان غيرهم غير موجودين في الاعتبار عند الاطلاق وقال شارح فمن استفهام اي فمن يكون غيرهم يعني المتبوعون لكم هم لا غيرهم وقال ابن الملك روي اليهود بالجر اي هل نتبع سنن اليهود وبالرفع على انه خبر المبتدا على تقدير حذف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى وقيل التقدير اي المتبعون هم اليهود والنصارى ام غيرهم متفق عليه ورواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان احدهم جامع امراته بالطريق لفعلتموه وعن مرداس بكسر الميم الاسلمي كان من اصحاب الشجرة يعد في الكوفيين روى عنه قيس بن ابي حازم حديثا واحدا ليس له غيره قال قال النبي وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب اي يموت الصالحون الاول فالاول بالرفع بدل من الصالحون وبالنصب حال اي واحدا بعد واحد او قرنا بعد قرن وتبقى حفالة بضم الحاء المهملة وفي نسخة حثالة بالثاء المثلثة بدل الفاء ومعناهما الردي من الشيء والتنكير في حفالة للتحقير كحفالة الشعير اي نخالته والتمر اي دقله قال الطيبي الفا للتعقيب ولا بد من التقدير اي الاول منهم فالاول من الباقين منهم وهكذا حتى ينتهي الي الحفالة مثل الافضل فالافضل قال القاضي الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان كثيرا لا يباليهم الله اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والتاء اي مبالاة فيكون محذوف الميم والالف لكونهما من الزوائد كما قيل في لبيك من انه ماخوذ من لب بالمكان اقام به واصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفا يقال ما باليته وما باليت به ومنه اي لم اكترث به وقيل بالة بمعنى حالة اي لا يبالي الله حالة من احواله ومنه البال بمعنى الحال رواه البخاري وكذا الامام احمد

الفصل الثاني عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي مطيطيا بضم الميم وفتح المهملة الاولى وكسر الثانية ممدودة وتقصر بمعنى التمطي وهو مشي فيه التبختر ومد اليدين ويروى بغير الياء الاخيرة وهو لفظ الجامع ونصبه على انه مفعول مطلق اي مشي تبختر وقيل انه حال اي اذا صارت في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين بخدمتهم

وفي

وفي الجامع وخدمها وهو الانسب بالسابق واللاحق والمعنى نامر بخدمتهم والانقياد في حضرتهم ابناء الملوك ابناء فارس والروم بدل مما قبله او بيان له سلط الله شرارها ولفظ الجامع سلط شرارها اي ظلمة الامة على خيارها اي مظلوميهم قال الشارح وهذا الحديث من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووافق الواقع خبره فانهم لما فتحوا بلاد فارس والروم واخذوا اموالهم وتخلايهم وسبوا اولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه ثم سلط بني امية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا وهكذا رواه الترمذي وكذا ابن حبان ذكره ميرك وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم اي الخليفة او السلطان وتجتلدوا اي تتضاربوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم بان يصير الملك والمال والمناصب في ايدي الظلمة وغير ارباب الاستحقاق رواه الترمذي وعنه اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بنصب اسعد ويرفع اي اكثرهم مالا واطيبهم عيشا وارفعهم منصبا وانفذهم حكما بالدنيا اي بامورها او فيها لكع بن لكع بضم اللام وفتح الكاف اي غير مصروف لئيم بن لئيم اي ردي النسب دني الحسب وقيل اراد به من لا يعرف له اصل ولا يحمد له خلق وحذف الف ابن لاجراء اللفظين مجرى علمين لشخصين خسيسين لئيمين قال ابن الملك في بعض النسخ بنصب اسعد على انه خبر يكون وفي بعضها برفعه على ان الضمير في يكون للشان والجملة بعده تفسير للضمير المذكور انتهى ولا يجوز ان يكون اسعد اسما لكع بنصبه على الخبرية لفساد المعنى كما لا يخفى فلا يغرك ما في بعض النسخ من نصب لكع فانه مخالف للرواية والدراية وقد اقتصر شارح على نصب اسعد وقال لكع بالرفع اسم يكون وهو الاحمق وقيل العبد وهو معدول عن الكلع يقال لكع الوسخ عليه لكعا فهو لكع او الملصق به ويقال للئيم كما عند لنا نكاح للمراة اللئيمة ثم استعمل للاحمق والعبد لما فيه من الذلة وللجحش لما فيه من الخفة وللصبي لما فيه من الضعف ويقال للذليل الذي يكون نفسه العبيد واريد به هاهنا الذي لا يعرف له اصل ولا يحمد له خلق انتهى وبهذا ظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن بن علي رضي الله عنهما اثم لكع وحاصله انه يطلق على الصغير قدرا او جثة بحسب ما يقتضيه المقام من المعنى المناسب للمرام ولذا قيل يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا الى صغر جثته ويطلق على العبد واللئيم والاحمق لصغر قدرهم فاذا عرفت هذا فيصلح ان يراد بلكع كل من هذه المعاني من الصغير والحقير والعبد والاحمق واللئيم ثم قال بعضهم هو ليس بمعدول وانما هو مثل صرد ونغر فحقه ان ينون لانه ليس بمعدول وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم والعبد والاحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره والمهر والصغير والوسخ وتقول في النداء يا لكع ولا يصرف في المعرفة لانه معدول عن اللكع انتهى وهذا يؤيد

ان يكون لكع هنا مصروفا فقال الطيبي وهو غير منصرف للعدل والصفة رواه الترمذي
اي في سننه والبيهقي في دلائل النبوة وكذا احمد والضيا وروى احمد وابو داود
وابن ماجة وابن حبان عن انس مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد
وروى ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة لا تقوم الساعة حتى تكون الزهد رواية
والورع تصنعا وروى احمد ومسلم عن ابن مسعود لا تقوم الساعة الا على شرار
الناس وروى ابو يعلى الموصلي والحاكم عن ابي سعيد لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت
وروى السجزي عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقران وروى الطبراني
عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا وروى احمد ومسلم والترمذي
عن انس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله هذا وسياتي في اول باب
الملاحم من حديث ابي هريرة المشتمل على ثلاثة عشر علامة من علامات الساعة ستوفي
الكلام عليها ان شاء الله تعالى وعن محمد بن كعب القرظي بضم قاف وفتح راء وظاء معجمة
نسبة الى بني قريظة طائفة من يهود المدينة ذكره المصنف في التابعين وقال سمع
نفرا من الصحابة ومنه محمد بن المنكدر وغيره وكان ابوه ممن لم يثبت يوم قريظة
فترك قال حدثني من سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه لم يسم هذا المسمع لكن تابعي
لم يقدح جهالته مع احتمال كونه صحابيا اخر فتدبر قال اي علي انا لجلوس اي لجالسون
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد اي مسجد المدينة او مسجد قبا فاطلع بتشديد
الطاء اي فظهر علينا مصعب بن عمير بضم الميم وفتح العين وعمير مصغرا ما عليه اي ليس
على بدنه الا بردة له اي كسا مخلوطا للسواد والبياض مرقوعة بفرو اي مرقعة
بجلد قال ميرك هو قرشي هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وترك النعمة والاموال
بمكة وهو من كبار اصحاب الصفة الساكنين في مسجد قبا وقال المؤلف هو عبدري كان
من اجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى ارض الحبشة في اول من هاجر اليها ثم شهد
بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية الى
المدينة يقرئهم القران ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة قبل
الهجرة وكان في الجاهلية من انعم الناس عيشا والينهم لباسا فلما اسلم زهد في الدنيا
وقيل انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى فكان ياتي الانصار
في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم
فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه ان يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فاقام
بمكة قليلا وفيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول
النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم فلما راه اي ابصر مصعبا بتلك الحال الضعيفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذي اي للامر الذي كان فيه اي قبل ذلك اليوم من

النعمة

النعمة والذي هو فيه اي وللامر الذي هو فيه من المحنة والمشقة اليوم اي في الوقت
الحاضر والظاهر المتبادر ان بكاه صلى الله عليه وسلم انما كان رحمة له وشفقة
عليه لما راه من فقره وفاقته لا سيما وقد كان عزيزا في قومه ومتنعما في نعمة لكن
يتاتى بعض المنافاة ما وقع له صلى الله عليه وسلم مع عمر حيث بكى عمر رضي الله عنه
لما راى النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعا على حصير ليس بينه وبينه شيء وقد
اثر الحصير على بدنه الشريف وتذكر عمر تنعم كسرى وقيصر فقال له انت في هذا
المقام يا عمر اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الاخرة فالاولى ان يحمل البكا على الفرح
في انه وجد في امته من اختار الزهد في الدنيا والاقبال على العقبى او على الحزن
في فقد ما عنده من بعض المساعدة لبعض الكسوة والمعاونة في بعض المعيشة
والله اعلم وبنوبته تا وبلبنا نقل الراوي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف اي الحال بكم اذا غدا اي ذهب اول النهار احدكم في حلة بضم فتشديد اي في ثوب او في ازار
ورداء وراح اي ذهب اخر النهار في حلة اي اخرى اخرى من الاولى قال ابن الملك اي كيف يكون
حالكم اذا كثرت اموالكم بحيث يلبس كل منكم اول النهار حلة واخره اخرى من غاية التنعم
ووضعت بين يديه صحفة اي قطعة من مطعوم ورفعت اخرى اي من نوع اخر كما هو
شان المترفين من طايفة الاروام وهو كناية عن كثرة اصناف الاطعمة الموضوعة
على الاطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الاعجام وسترتم بيوتكم بضم الموحدة وكسرها
اي جدرانها والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم كما تستر الكعبة
وفيه اشارة الى ان سترها من خصوصياتها لامتيازها فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ
خير منا اليوم وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستانفا فانه معنى التعليل نتفرغ
اي عن العلايق والعوايق للعبادة اي بالعبادة ونكفى بصيغة المجهول المتكلم المؤنة
اي يخدمنا والواو لمطلق الجمع فالمعنى تدفع عنا تحصيل القوت لحصوله
باسبابه مهياة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل بالخيرات
البدنية والمبرات المالية قال وفي نسخة فقال لا اي ليس الامر كما ظننتم انتم اليوم
خير منكم يومئذ لان الفقير الذي له كفاف خير من الغني لان الغني يشتغل بدنياه ولا
لا يتفرغ للعبادة مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال فالحديث صريح في تفضيل
الصابر على الغني الشاكر فان الغني بالنسبة الى الصحابة وهم اقويا اذا كان كذلك
فما بال غيرهم من الضعفا ويؤيده ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعا
ما زويت الدنيا عن احد الا كانت خيرة له اقول قوله عن احد على عمومه فان الكافر
الفقير اخف من الكافر الغني في النار فاذا نفع الفقر الكافر في تلك الدار فكيف
لا ينفع المؤمن الصابر في دار القرار رواه الترمذي وعن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان الصابر فيهم اي في اهل ذلك الزمان على دينه اي

على حفظ أمر دينه بترك دنياه كالقابض أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة على
الجمر جمع الجمرة وهي شعلة من نار قال الطيبي الجملة صفة زمان والراجع محذوف أي الصابر
فيه وفيه أن الرابط مذكور فيه بقوله كما أشرنا إليه سابقا قال والمعنى كما لا يقدر القابض
على الجمر أن يصبر لاحتراق يده كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة
والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الإيمان انتهى والظاهر أن معنى الحديث كما لا يمكن
القبض على الجمرة إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور
حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم وتعب جسيم ومن المعلوم أن المشبه به أقوى
فالمراد به المبالغة فلا ينافيه أن ما أحد يصبر على قبض الجمر ولذا قال تعالى فما أصبرهم
على النار مع أنه قد يقبض على الجمر أيضا عند الإكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس
أو إحراق أو إغراق ونحوها ولذا قال تعالى قل نار جهنم أشد حرا وقد أشار الشاطبي في
زمانه إلى هذا المعنى بقوله وهذا زمان الصبر من لك بالتي كقبض على جمر فتنجو من البلا
قال الجعبري أي هذا الزمان زمان صبر لأنه قد أنكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات
وظهرت الخيانات وأوذي المحق وأكرم المبطل فمن يسمح لك بالحالة التي تلزمها في الشدة
كالقابض على الجمر النار فقد روى أبو ثعلبة الخشني عنه عليه السلام أنه قال ائتمروا بالمعروف
وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك خاصة نفسك ودع العوام فإن وراءكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر
للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم انتهى رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
قال ميرك نقلا عن التصحيح هذا الحديث وقع له ثلاثيا وفي سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذي
وحده وقد ذكره ابن حبان في الثقات انتهى وروى ابن عساكر عن أنس أيضا يأتي على الناس زمان
يكون المؤمن فيه أذل من شاته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا كان ولفظ الجامع إذا كانت أمراؤكم خياركم أي أتقياءكم وأغنياؤكم سمحاءكم واحده
سمح فكأنه جمع سمح بمعنى سخي وأموركم شورى بينكم مصدر بمعنى التشاور أي ذوات
شورى على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أي متشاور فيها ومنه قوله تعالى
وأمرهم شورى بينهم وقد قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الأمر
والمعنى ما دمتم تتشاورون في أموركم فظهر الأرض خير لكم من بطنها أي لأجل أنكم عاملون بما
في الكتاب والسنة وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله وإذا كان أمراؤكم شراركم أي بالفسق والظلم
وأغنياؤكم بخلاءكم أي لقلة الرحمة والشفقة وأموركم إلى نسائكم أي مفوض إلى رأيهن
والحال أنهن ناقصات العقل والدين وقد ورد شاوروهن وخالفوهن وفي معناهن كل من
يكون في مرتبتهن من الرجال ممن يغلب عليه حب الجاه والمال ولم يعلم ما يتعلق
بأمر الدين وبال المال فبطن الأرض خير لكم من ظهرها أي فإن من لم يغلب خيره شره
فالموت خير له رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ثوبان وهو مولى للنبي

صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أي فرق الكفر
والضلالة أن تداعى بحذف إحدى التاءين أي تتداعى عليكم بأن يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم
وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والأموال كما تداعى أي تتداعى الأكلة بالمد
وهي الرواية على نعت الفئة زواته والجماعة ونحو ذلك كذا روي لنا عن كتاب أبي داود
وهذا الحديث من أفراده ذكره الطيبي ولو روي الأكلة بفتحتين على أنه جمع آكل اسم فاعل لكان
له وجه وجيه والمعنى كما تدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا إلى قصعتها التي يتناولون
منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا صفوا كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالهم
أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم فقال قائل ومن قلة خبر مبتدأ محذوف وقوله نحن يومئذ
مبتدأ وخبر صفة لها أي أذلك التداعي لأجل قلة نحن عليها يومئذ قال بل أنتم يومئذ
كثير أي عددا وقليل مددا وهذا معنى الاستدراك بقوله ولكنكم غثاء بالضم والمد
قال الطيبي كغثاء السيل قال الطيبي وبالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد ووسخ
شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة أحلامهم وخلاصته ولكنكم تكونون
متفرقين ضعيف الحال خفيف البال مشتت الآمال ثم ذكر سببه لعطف البيان فقال
ولينزعن أي ليخرجن الله من صدور عدوكم المهابة أي الخوف والرعب منكم أي من جهتكم
وليقذفن بفتح الياء أي وليرمين الله في قلوبكم الوهن أي الضعف وكأنه أراد بالوهن
ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال قائل يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما الوهن أي ما سببه وما موجبه قال الطيبي سؤال عن نوع الوهن وكأنه
أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت وهما متلازمان
فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين واحتمال الذل من العدو نسأل
الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكأنا نحن المعنيون بما ذكر هنالك رواه أبو داود
أي في سننه والبيهقي في دلائل النبوة

الفصل الثالث

عن ابن عباس رض أي موقوفا
قال ما ظهر الغلول بالضم أي خيانة المغنم في قوم إلا ألقى الله في قلوبهم الرعب بسكون
العين وضمها أي خوف العدو ولا فشا الزنى أي انتشر في قوم إلا كثر فيهم الموت أي بالوباء أو
الطاعون أو موت القلب أو موت العلماء ولا نقص قوم المكيال والميزان أي وما في معناهما
كالذراع والعدد من طريق الغش والخديعة إلا قطع عنهم الرزق أي الحلال أو بركة الرزق
الذي في أيديهم ولا حكم قوم أي من الحكام بغير حق أي بغير استحقاق أو بغير علم في أحكامهم
الفاسدة بل بآرائهم الكاسدة إلا فشا فيهم الدم أي القتل والمراد ما يتجر إليه ولا ختر بفتح
الخاء المعجمة والفوقية ومنه قوله تعالى إن الله لا يحب كل ختار أي غدار قوم بالعهد
أي نقضه خديعة رجاء الغلبة إلا سلط بصيغة المجهول أي سلط الله عليهم العدو
رواه مالك أي في باب ما جاء في الغلول من الموطأ

باب

كذا في الأصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف

او الباء ساكن على الوقف وقال ابن الملك باب في ذكر الانذار والتحذير التخويف والتذكير

الفصل الاول عن عياض بن حمار المجاشعي بضم الميم قال المؤلف وكان صديقا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم قديما روى عنه جماعة وهو تميمي يعد في البصريين ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته اي المعروفة او في موعظته الا بالتخفيف

للتنبيه ان ربي امرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني بخته ان يكون من بيانا ما او تبعيضية

على انه منقطع عما قبله خبر لمابعده مبتدا تقديره اي من جملته ما علمني يومي هذا اي بما اوحى

الله الي في هذا اليوم بخصوصه كل مال نحلته اي اعطيته عبدا اي من عبادي وملكته

اياه فلا يدخل الحلال الحرام حلال فلا يستطيع احد ان يحرمه من تلقاء نفسه ويمنعه

من التصرف فيه تصرف الملاك في املاكهم وهذا من مقول الله كما يدل عليه قوله واني

خلقت عبادي حنفاء اي مستعدين لقبول الحق ومايلين اليه عن الباطل كلهم اي

جميعهم لقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة ومهيا للتوحيد المطلق وما به

يتعلق ولقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله اي لا يتبدل او لا يحملونها

باليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها ذلك الدين القيم اي المستقيم فلا تعدلوا

عن الجادة الى الطريق الزايغة كما قال الله تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله اي عن طريق الحقيقي الواصل اليه المقبول لديه

لمن اراد المنة عليه ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم

اجمعين ثم بين سبب ضلالة الخلق وغوايتهم عن الحق بقوله وانهم اي عبادي الحنفاء اتتهم

الشياطين اي جاءهم بالوسوسة فاجتالتهم اي صرفتهم وساقتهم مايلين عن دينهم من

اجتاله اي ساقه وذهب به وقيل الافتعال هنا للحمل على الفعل كما تخطب زيد عمرا اي حمله

على الخطبة فالمعنى حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم وحرمت اي الشياطين

ما احللت لهم اي من البحيرة والسائبة وغيرها وتوضيحه ما حققه القاضي حيث قال

قوله كل مال نحلته حكاية ما علمه الله تعالى واوحى اليه في يومه هذا والمعنى ما اعطيت

عبدا من مال فهو حلال له ليس لاحد ان يحرم عليه وليس لقائل ان يقول هذا يقتضي ان

لا يكون الحرام رزقا لان كل رزق ساقه الله تعالى الى عبده فقد نحله واعطاه وكل ما نحله واعطاه

فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله اياه فهو حلال وذلك يستلزم ان يكون كل ما ليس

بحلال ليس برزق لانا نقول الرزق اعم من الاعطاء فانه يتضمن التمليك ولذا قال الفقهاء

لو قال الرجل لامراته اعطيتني الفا ان تطلقني فاعطته الفا بانت ودخل الالف في

ملكه ولا كذلك الرزق وامرتهم اي الشياطين بضميمه ان يشركوا بي اي اشراكا او شيئا ما لم انزل به

اي بوجوده سلطانا اي حجة وبرهانا سميت به لتسلط على القلوب عند هجوم الخواطر عليها

بالقهر والغلبة والمعنى ما ليس على اشراكه دليل عقلي ولا نقلي اذ لو كان احدهما لبينه

سبحانه وتعالى بل الامر بخلافه حيث قال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه والقران مشحون

بالادلة على بطلان الاشراك بالله قال القاضي هو مفعول يشركوا يريد به الاصنام وسائر

ما عبد من دون الله اي امرتهم بالاشراك بالله بعبادة ما لم يامر الله بعبادته ولم

ينصب دليلا على استحقاقه للعبادة وقال الطيبي قوله ما لم انزل به سلطانا انزال

سلطان ولا شريك على اسلوب قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء به

وقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع اي القيد

والمقيد وفيه هذا على سبيل التهكم اذ لا يجوز على الله ان ينزل برهانا ان يشرك به غيره وان

الله نظر الى اهل الارض اي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة فمقتهم

اي ابغضهم عربهم وعجمهم بدل من الضمير والمراد بالعجم غير العرب والمعنى ابغضهم لسوء

صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على الشرك

وانغماسهم في الكفر قوم موسى كفروا بعيسى وعبدوا عزيرا ذهبوا الى انه ابن الله وقوم

عيسى ذهبوا الى التثليث او الى انه ابن الله وغير ذلك الا بقايا اي من اهل الكتاب اي

من اليهود والنصارى تبرؤوا عن الشرك كذا قاله بعضهم والاظهر ان المراد بهم جماعة من

قوم عيسى بقوا متابعة عليهم السلام الى ان امنوا بنبينا صلى الله عليه وسلم وقال اي

الله تعالى انما بعثتك اي ارسلتك يا محمد لابتليك اي لامتحنك كيف تصبر على اذى

قومك اياك وابتلي بك اي قومك هل يؤمنون بك ام يكفرون وانزلت عليك كتابا اي عظيما

وهو القران لا يغسله الماء اي لم تكتف بايداعه الكتب فيغسله الماء بل جعلناه قرانا محفوظا

في صدور المؤمنين قال تعالى بل هو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال سبحانه

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد بالغسل النسخ والملوثل اي لا تزل بعده كتاب

ينسخه ولا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل من حكيم حميد قال الطيبي اي كتابا محفوظا في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس

او كتابا مستمرا متداولا بين الناس ما دامت السموات والارض لا ينسخ ولا ينسى

بالكلية وعبر عن ابطال حكمه وترك قراءته والاعراض عنه بغسل اوراقه بالماء على سبيل

الاستعارة او كتابا واضحا اياته بينا معجزاته لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة

مناظر فمثل الابطال معنى بالابطال صورة وقيل كني به عن غزارة معناه وكثرة جدواه

من قولهم مال فلان لا يفنيه الماء والنار وقوله تقروه اي انت نائما ويقظانا تسكون

التاف والمعنى يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك تلتفت اليه نفسك في اغلب

الاحوال فلا يغفل عنه نائما ويقظان وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به هو يفعله

بالمد كذا ذكره الطيبي وخلاصته انه في قلبك وانت نايم واقول لا احتياج الى التاويل

بالنسبة الى قلبه الجليل لانه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقد شهد كثيرا من الناس صغيرا

وكبيرا انهم يقرون وهم نائمون واغرب من هذا ما حكى بعض المريدين انه وشيخه كانا يتدارسان

وقت السحر في تلاوة القران عشرا عشرا فلما توفي الشيخ رحمه الله تعالى اتاه المريد وقت السحر

صراطي

سان

علي عادته عند قبره واراد ان يقرا وِرده فلما تمّ العشر سمع من القبر صوت شيخه انه قرا
عشرا وسكت وهكذا كان الامر مستمرا الي انه حكي المريد القضية لبعض اصحابه فوقع تحت
جنابه ونظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الاذان من الضريح الانور ايام فتنة يزيد
في المدينة المعظمة حيث لم يبق في المسجد احد الا سعيد وكانوا يقولون انه شيخ
مجنون وان الله امرني ان اُحرق اي اهلك قريشا اي كفارهم فقلت رب اي يا رب اذا يثلغوا
يثلغوا بفتح اللام اي يشدخوا ويكسروا راسي فيدعوه بفتح الدال اي راسي خبزة
اي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل الكروي مصحفا مثل خبزة قال اي الله لحبيبه صلي الله
عليه وسلم استخرجهم اي قريشا والمراد كفارهم كما اخرجوك كاخراجهم اياك جزاء وفاقا
وان كان بين الاخراجين بون فان اخراجهم اياه بالباطل واخراجه اياهم بالحق واغزهم
اي وجاهدهم والواو لمطلق الجمع فان القتال مقدم على الاخراج نُغزك بضم النون
من اغزيته اذا جهزته للغزو وهيات له اسبابه وانفق ما في جهدك في سبيل الله فسنُنفق
عليك اي نخلف عليك بدله في الدنيا والاخري قال تعالي وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
وهو خير الرازقين وفيه وعد وتسلية وابعث اي ارسل انت جيشا اي كبيرا او صغيرا
نبعث خمسة اي مقدار خمسة مثله بالنصب والمعني نبعث من الملائكة خمسة
امثال نغيثهم كما فعل ببدر قال تعالي بلي ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وكان المشركون يومئذ الفا والمسلمون
ثلاثمائة وقاتل بمن اطاعك اي بمعونته او معه من عصاك اي بعدم الايمان بك
رواه مسلم وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد بكسر
العين وهو جواب لما وفي بعض النسخ فصعد بالفاء فلا وجه له اي طلع النبي صلي
الله عليه وسلم الصفا وهو جبل معروف بمكة من شعائر الله فجعل اي فشرع النبي صلي
الله عليه وسلم ينادي اي قبائل العرب يا بني فهر بكسر الفاء وسكون الهاء قبيلة
من قريش على ما في القاموس يا بني عدي وهم قبيلة ايضا على ما في القاموس
فقوله لبطون قريش فيه اشكال والبطن دون القبيلة او دون الفخذ وفوق العمارة
والقبيلة واحد قبائل الراس للقطع المشعوب بعضها الي بعض ومنه قبائل
العرب واحدهم قبيلة وهم بنو اب واحد كذا في القاموس والحاصل ان القبيلة
بمنزلة الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة الفصل وقد يستعار بعضها لبعض
والله اعلم قال الطيبي اللام فيه بيان كقوله تعالي لمن اراد ان يتم الرضاعة كانه
قيل لمن قيل لبطون قريش حتي اجتمعوا اي من كل قبيلة وبطن جمع فقال ارايتكم بفتح
التاء ويجوز تخفيف الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها وحذفها والمعني اخبروني
وتحقيقه ما ذكره الطيبي من ان الضمير المتصل المرفوع من الخطاب الفاعل والضمير
الثاني لا محل له وهو كالبيان للاول لان الاول بمنزلة الجنس الشايع في المخاطبين

فليستوي فيه التذكير والتانيث والافراد والجمع فاذا اريد بيانه باحد هذه الانواع
يبين به فاتي في الحديث بعلامة الجمع بيانا للمراد انتهي فكانه قال اخبروني ان
اعلمتكم لو اخبرتكم ان خيلا اي جيشا بالوادي اي نزل به قال الشارح وهو موضع معروف
بقرب مكة وكانه اريد به الوادي المشهور بوادي فاطمة بين مكة والمدينة تريد اي الخيل
ان تغير عليكم من الاغارة وهي النهب والبيونة بالغفلة يعني اصحابها على احد المجازين
في قوله تعالي واسئل القرية اكنتم مصدقي اي مصدقين لي في قولي قالوا نعم اي كنا
نصدقك ونسبه انا في جميع عمرنا ما وجدنا عليك الا صدقا قال الطيبي ضمن جربنا معني
الالقاء وعداه بعلي اي ما القينا عليك قولا مجربين لك فيه هل تكذب فيه ام لا فما
سمعنا منك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد اي قبل نزول عذاب عظيم
وعقاب اليم والمعني انكم ان لم تومنوا الي ينزل عليكم عذاب قريب قال الطيبي قوله
بين يدي ظرف لغو نذير وهو بمعني قدام لان كان من يكون قدام احد يكون بين
الجهتين المسامتتين يمينه وشماله وفيه تمثيل مثل انذاره القوم بعذاب الله
تعالي النازل على القوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم فقال ابو لهب
مشهور بكنيته واسمه عبد العزي وهو ابن عبد المطلب ابن هاشم عم النبي صلي
الله عليه وسلم تبا لك اي خسرانا وهلاكا ونصبه لعامل مضمر قال القاضي فهو اما
نصب على المصدر والمعني تب تبا او باضمار فعل اي الزمك الله هلاكا وخسرانا والزم
تبا لك سائر اليوم اي بقيته باقي الاوقات اي في جميع الايام قال التوربشتي من ذهب
في سائر الي البقية فانه غير مصيب لان الحرف من السير لا من السور وفي امثالهم في الياس
من الحاجة اسائر اليوم وقد زال الظهر قال الطيبي وفيه نظر لانه قال صاحب
النهاية السائر مهموز الباقي والناس يستعملونه في معني الجميع وليس بصحيح وقد تكررت
هذه اللفظة في الحديث وكلها بمعني باقي الشيء ويدل على تصحيح ما في النهاية
ما في اساس البلاغة فانه اورده في باب السين مع الهمز فقال اسار الشارب في الاناء سورا
وسوره اي بقيته وفي المثل اسائر اليوم وقد زال الظهر انتهي كلامه فعلى هذا المراد
بسائر اليوم بقية الايام المستقبلة وفي القاموس السور البقية والفضلة
واسار ابقاه كسنخ والفاعل منها سائر والقياس مسير ويجوز والسائر الباقي لا الجميع
كما توهم جماعات او قد يستعمل له ومنه قول الاحوص * فجلتها لنا لبانة لما * وقف
النوم سائر الحراس * وضاف اعرابي قوما * فامروا الجارية بتطييبه فقال * بطني عطري
وسائري ذري * واغير على قوم فاستصرخوا بني عمهم * فابطؤوا عنهم حتى اسروا وذهب
بهم ثم جاؤوا يسالون عنهم فقال المسئول اسائر اليوم وقد زال الظهر
اي تطمعون فيما بعد وقد تبين لكم الياس لان من كانت حاجته اليوم باسره وزال
الظهر وجب ان ييأس منها بالغروب انتهي اي النداء للاستغاثة والاخبار جمعتنا

اي بالمناداة فنزلت تبت اي هلكت وخسرت يدا ابي لهب بفتح الهاء وتسكن اي نفسه
كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم اي انفسكم والباء زائدة وقيل المراد بهما دنياه واخراه
وقيل انما خصتا لانه لما قال الهذا دعوتنا اخذ حجرا ليرميه به فنزلت وانما كناه والتكنية
تكرمة لاشتهاره بكنيته ولان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اهل
النار وكانت الكنية اوفق بحاله وان كان كنى لكمال جماله وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن
ابو طالب على لغة من قصر على الواو وجعل الاسما الستة كما قصر بعضهم على الالف
فيها كقوله ان اباها وابا اباها وتب اخبار بعد خبر للتاكيد والتعبير بالماضي لتحقق
وقوعه او للاول دعا والثاني اخبار متفق عليه وفي رواية هذا قال ميرك
هذه الرواية قال ميرك هذه الرواية من افراد مسلم نادي يا بني عبد مناف هو ابو
هاشم وعبد شمس والمطلب ومنا فضم كذا في القاموس اي مثلي ومثلكم كمثل
رجل رأى العدو اي بعينه فانطلق اي ذهب مسرعا بفتح الموحدة وبالهمز اي يحفظ
من العدو واهله اي قومه ويرقبهم لعيالهم على موضع عالي فخشي اي الرجل ان يسبقوه
اي يسبق العدو الى اهله ويصلوا الى القوم وقيل ان يصل اليهم بنفسه فجعل اي فشرع
يهتف بكسر التاء اي يصيح وينادي من اعلى جبل وربما يجعل ثوبه على يده او على خشب
يرفعه لترتيب ذلك الاعلام ومنه النذير العريان وهو كناية عن خلوه من الغرض وايما
الى انه اخذ وسلب عنه ثوبه وهرب منهم فحسبه كل احد صادقا في قوله يا صباحاه
بسكون الهاء ولما كانت الغارة غالبا تكون في الصباح خص به ولو كان في المساء ايضا
والله اعلم فهي كلمة يقال للاقرار امر مخوف والمعنى يا قوم احذروا الاغارة بالذهاب
قبل مجي العدو فكانه صلى الله عليه وسلم قال احذروا عقاب الله بالايمان قبل نزوله
وعن ابي هريرة قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله عليه
وسلم قريشا اي قبائله فاجتمعوا فعم اي النبي صلى الله عليه وسلم في النداء بما ذكر وخص
ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا بني
كعب بن لوي بضم لام وفتح همز وقد يبدل واو وتحتية مشددة وهو ابن غالب بن فهر
انقذوا بفتح همز وكسر قاف اي اخلصوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب بضم ميم وتشديد
اي ابو قبيلة من قريش على ما في القاموس انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس
في القاموس انه ابو بطن وقال بعضهم هذا عام لانه يشمل بني هاشم وغيرهم انقذوا انفسكم
من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من
النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم يا فاطمة انقذي نفسك من النار ختم بها
لانها خلاصة قومها ثم عمم في تبري انقاذه اياهم من النار بغير الايمان والعمل الصالح
بقوله فاني لا املك لكم اي لجميعكم عامكم وخاصكم من الله اي من عذابه شيئا اي من الملك
والقدرة والدفع والمنفعة والمعنى اني لا اقدر ان ادفع عنكم من عذاب الله شيئا

ان اراد الله ان يعذبكم وهو مقتبس من قوله سبحانه قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد
بكم ضرا او اراد بكم نفعا بل قال تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله
وهذا بتوجه على وفق التفريد وهو على اصطلاح السلم وان كان قد ينفع للمؤمنين
بالشفاعة حيث يشفع ويشفع لكن اطلقه ترهيبا لهم على الاتكال عليه وترغيبا
لهم على الاجتهاد في امر زاد المعاد والله رؤوف بالعباد وهذا معنى قوله غير ان لكم رحما
اي قرابة سابلها بضم موحدة وتشديد لام اي سابلها ببلالها بكسر الموحدة وبفتح
اي بصلتها وبالاحسان اليها ومحمله اني سأصل تلك القرابة بالشيء الذي يتوصل
به الى الاقارب من الاحسان ودفع الظلم والضر عنهم وغير ذلك ففي النهاية البلال
جمع بلل والعرب يطلقون الندا وة على الصلة كما يطلقون اليبس على القطيعة لانهم
لما راوا ان بعض الاشيا يتصل بالندا وة ويحصل بينهما التجافي والتفرق باليبس
استعاروا البلال لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة والمعنى اصلكم في الدنيا
ولا اغني عنكم من الله شيئا رواه مسلم وفي المتفق عليه قال هذا موجود في بعض
النسخ المصححة يا معشر قريش اشتروا انفسكم اي اعتقوها وخلصوها من النار
بالايمان وترك الكفران وبالطاعة لما جئت به ولا تقيدا لما منعت منه لا اغني عنكم
من الله شيئا اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم شيئا من عذاب الله يا بني عبد مناف لا اغني
عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب بالنصب فيهما وفي نسخة برفع عباس لا اغني
عنك من الله شيئا وصفية بالواو العاطفة بخلاف ما قبله من الفاظ الندا فانها كانت
على سبيل التعداد وصفية مرفوعة وقوله عمة رسول الله منصوبة لا اغني
عنك من الله شيئا وكذا قوله ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي كذا في النسخ
من موصولة لا اغني عنك من الله شيئا قال التوربشتي اراد انه ليس من المال المعروف
في شيء وانما عبر به عما يملكه من الامر وينفذ تصرفه فيه ولم يثبت عندنا انه كان ذا
مال لا سيما بمكة ويحتمل ان الكلمتين اعني من وما وقع الفصل فيها من بعض من لم
يحققه من الرواة فكتبها منفصلتين انتهى وفيه انه يرده قوله تعالى ووجدك
عائلا فاغنى اي بمال خديجة رضي الله عنها على ما قاله المفسرون وايضا لا يلزم من
عدم وجود المال الحاضر للجواد ان لا يحصل في يده شيء من المال في الاستقبال فيحمل
الوجه المذكور على تلك الحال ومهما امكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة
في الرواية والله سبحانه اعلم

الفصل الثاني

عن ابي موسى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امتي هذه اي امة الاجابة الموجودة ذهنا المعهودة معنى
بتبعها المذكورة حسا امة مرحومة اي رحمة زائدة على سائر الامم لكون نبيهم احمد الملقب
بنبي الرحمة وهم خير الامة ليس عليها عذاب اي شديد في الاخرة بل غالب
عذابهم انهم يجزون باعمالهم في الدنيا بالمحن والامراض وانواع البلايا كما حقق في قوله تعالى

من يعمل سوءا يجز به على ما تقدم والله أعلم ويؤيده قوله عذابها في الدنيا الفتن
والزلازل والقتل أي لعبرة حق وقيل الحديث خاص بجماعة لم يأتوا كبيرة ويمكن أن تكون
الإشارة إلى جماعة خاصة من الأمة وهم المشاهدون من الصحابة أو المشية مقدرة
لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال المظهر هذا
حديث مشكل لأن مفهومه أن لا يعذب أحد من أمته صلى الله عليه وسلم سواء فيه من ارتكب
الكبائر وغيره فقد ورد الأحاديث بتعذيب مرتكبي الكبائر اللهم إلا أن يؤول المراد
بالأمة هنا من اقتدى به صلى الله عليه وسلم كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما
نهاه فقال الطيبي الحديث وارد في مدح أمته صلى الله عليه وسلم واختصاصهم من بين
سائر الأمم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم وأنهم إن أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى
الشوكة يشاكها أن الله يكفر بها في الآخرة ذنبا من ذنوبهم وليست هذه الخاصية لسائر
الأمم ويؤيده ذكر هذه ونعتها بقوله مرحومة فإنه يدل على مزيد تمييزهم بعناية الله
ورحمته والذهاب إلى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام وهذه الرحمة هي المشار إليه
بقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله الذين يتبعون
الرسول النبي الأمي انتهى ولا يخفى عليك أن هذا كله مما لا يدفع الإشكال فإنه لا شك
عند أرباب الحال أن رحمة هذه الأمة إنما هي على وجه الكمال وإنما الكلام في أن الحديث
بظاهره يدل على أن أحدا منهم لا يعذب في الآخرة وقد تواترت الأحاديث في أن جماعة
من هذه الأمة من أهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون إما بالشفاعة وإما بعفو
الملك الغفار وهذا منطوق الحديث ومعناه المأخوذ من ألفاظه ومبناه وليس
بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله إن هذا المفهوم مهجور بل المراد
بمفهومه في كلام المظهر المعلوم من العبارة ثم قول الطيبي وليست هذه الخاصية
وهي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الأمم يحتاج إلى دليل ثبت ولا عبرة بما فهم من المفهوم
من قوله عذابها في الدنيا الفتن الخ فإنه قابل للتقييد يكون عذابها غالبا لما رواه
أبو داود وكذا الحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ذكره ميرك وفي الجامع بلفظ
أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل
والقتل والبلايا رواه أبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي موسى ورواه
الحاكم في الكنى عن أنس أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها أي يتوب الله عليها
ولا يتركها مصرة على الذنوب وفيه دليل على أن المراد به خواص هذه الأمة والله أعلم
وعن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن هذا الأمر
أي ما بعث به من إصلاح الناس دينا ودنيا وهو الإسلام وما يتعلق به من الأحكام
بدأ بالألف أي ظهر وفي نسخة بالهمز أي ابتدأ أول الأمر الديني آخر زمانه صلى الله عليه
وسلم زمان نزول الوحي والرحمة نبوة ورحمة نصبهما على التمييز أو الحال أي ذا نبوة ورحمة

كاملة من نبي الرحمة على الأمة المرحومة ثم يكون أي أمر الدين خلافة أي نيابة عن حضرة
النبوة ورحمة أي شفقة على الأمة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية أي ثلاثين سنة
فانقضت بستة أشهر أيام الحسن فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافا لمن خالفه
ثم ملكا عضوضا بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن أي يصيب الرعية فيه
ظلم يعضون عضا وروي بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرير أي يكون ملوك يظلمون
الناس ويؤذونهم بغير حق وهذا مبني على الغالب إذ النادر لا حكم له فلا يشكل بأن عمر
ابن عبد العزيز كان عادلا حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة
ثم كائن أي ذلك الأمر أو ثم هذا الأمر كائن جبرية بفتح الجيم والموحدة على النصب أي
قهرا وغلبة وعتوا بضمتين فتنشأ به أي تكبرا وفسادا في الأرض أي من الحرث والأنعام
وغير ذلك من منكرات العظام ولعل وجه العدول في الكلام وهو الاستمرار والدوام كما هو
مشاهد في هذه الأيام حيث استقرت الخلافة في أيدي الظلمة لطريق التسلط والغلبة
من غير مراعاة شروط الإمامة أولا ثم في زيادة الظلم والتعدي على الرعايا والتحكم عليهم
بأنواع البلايا وأصناف الرزايا ثانيا ثم في الإعطاء المناصب بغير أربابها المستحق وعدم
الالتفات إلى العلماء العاملين والأولياء الصالحين ثالثا ثم غالب سلاطين زماننا تركوا
القتال مع المشركين وتوجهوا إلى مقاتلة المسلمين لأخذ البلاد وإعطاء الفساد ولذا
قال بعض علمائنا من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر ومما أقبح ما صدر عن بعض خواقين
الأزبك في زماننا أنه أمر بقتل العام في بلد عظيم من بلدان أهل الإسلام المشتمل
على مشايخ الكرام وسادات العظام وعلماء الأعلام والنساء والضعفاء والأطفال
وسائر المرضى والعميان والأهل والعيال ألوف مؤلفة وصنوف مؤتلفة والحال أن أهل
البلد المذكور على الملة الحنيفية ومذهب الحنيفية من جملة أهل السنة والجماعة
ومدعي السلطنة يزعم أنه على تعظيم العلم والشريعة وقد صرح علماؤنا بأن المسلمين
لو فتحوا قلعة من أهل الكفر ويوجد فيهم العدد من أهل الحرب لكن فيهم ذمي واحد مجهول
العين فيما بينهم لا يحل قتل العام في ذلك المقام فلا حول ولا قوة إلا بالله وما شاء الله
كان وما لم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما
وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين مما لم يمكن ذكره ومما لم يتصور
فكره والله ولي دينه وناصر نبيه وكل عام بل كل يوم بل كل ساعة شر مما قبله إلى أن
تقوم الساعة ولم يكن في الأرض من يقول الله الله ويؤيده قوله يستحلون الحرير والفروج
والخمور أي باعتقادها كما سبق يرزقون وفي نسخة ويرزقون أي والحال أنهم يرزقون على ذلك
أي مما ذكر من الاستحلال ويرفقون بنتائج الأفعال وينصرون أي على مقاصدهم من الأعمال
لحكمة عجزت عن إدراكها أرباب الكمال حيث يقول الله إشارة إلى قوله تعالى ولا تحسبن
الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار رواه البيهقي في شعب الإيمان

قلت وكان الاولى ان يذكره في كتابه دلائل النبوة وعن عائشة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما يكفأ بصيغة المجهول مهموزا من كفأت
الاناء اي قلبته وامثلته وكببته لافراغ ما فيه فقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يحدث في الخمر
فقال في اثنا حديثه اول اخره فالخبر محذوف اي الخمر لكنه غير ملايم لما نقل من نقل المولف
قال زيد بن يحيى الراوي اي احد رواة هذا الحديث يعني الاسلام فان الظاهر مراده
تقدير الخبر وان معناه اول ما يتغير الاسلام وهو الانقياد الظاهر المتعلق بالاركان
الطاعات واجتناب المحرمات ويؤيده قوله كما يكفأ الاناء اي ما فيه ولهذا قال الراوي
يعني يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاناء الخمر اما على مجاز الحذف اي مظروف
الاناء واما على ذكر المحل وارادة الحال كما حقق في قوله تعالى واسئل القرية لكن يشكل
بقوله قيل فكيف يا رسول الله اي يشربون الخمر ويمكن دفعه بانه يقال المعنى فكيف
الحال في انقلاب احكام الاسلام وتبيان الحلال والحرام وقد بين الله فيها اي في الخمر
مثلا ما بين اي من تحريمها قال يسمونها بغير اسمها اي يسمونها باسم النبيذ والمثلث
فيستحلونها اي حقيقة فيصيرون كفرة او فيظهرون انهم يشربون شيا حلالا فيكونون
فسقة مكرة ولذا قال بعض الشراح يعني انهم يستترون بما ابيح لهم من الانبذة
فيتوصلون بذلك الى استحلال ما حرم عليهم منها هذا ما ظهر لي في هذا المقام من حل
المرام وقال الطيبي خبر ان محذوف وهو الخمر والكاف في كما يكفأ صفة مصدر محذوف والمعنى
اول ما يكفأ من الاسلام اكفاء مثل اكفاء ما في الاناء انتهى وافاد بان التقدير من الاسلام
وان من تبعيضية ساقطة من الكلام اي من اصل كلامه وقال القاضي يكفأ يقلب ويمال
ويقال كفأت القدر اذا قلبتها لينصب عنها ما فيها والمراد به الشرب هاهنا فان الشارب
يكفأ القدح عند الشرب وقول الراوي يعني الاسلام يريد به في الاسلام وسقط
عنه والمعنى ان اول ما يشرب من المحرمات ويجترأ على شربه في الاسلام كما يشرب الماء
ويجترأ عليه هو الخمر ويولون في تحليلها بان يسمونها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث انتهى
فيفيد ان النبيذ والمثلث حلالان وان حقيقة الشي لا يتغير باسم شي حكمه
كما يسميه الزنجي بالكافور ولا يصح اسناد الاستحلال الى من توهم حرمة القهوة المحدثة بانها مثل
الخمر ولا بانها شربت على هيئة اهل الشرب لانا نقول لا خصوصية حينيذ بالقهوة
فان اللبن والماء ماء الورد كذلك على ان الشرب المتعارف في الحرمين الشريفين
وغيرهما ليس على منوال شرب الفسقة فانه بينها الزبادي المتعدده وشرب
جماعة في حالة متحدة وبهذا يزول المشابهة وترتفع الشبهة ومما يدل على اباحتها
فارض الله في كلامه بقوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وان الاصل في الاشيا
الاباحة ما لم يعرف عنها دليل من الكتاب والسنة او اجماع الامة والقياس على وجه
الصحة رواه الدارمي وروى احمد والضيا عن عبادة بن الصامت مرفوعا لتستحل

طايفة

طايفة من امتي الخمر يسمونها اياه وعن النعمان بن بشير ولابويه صحبة عن حذيفة
اي صاحب اسرار النبوة المحمدية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة
بالرفع على ان تكون تامة اي توجد وتقع فيكم ما شا الله ان تكون ثم يرفعها الله ثم تكون
خلافة بالرفع وفي بعض النسخ المصححة بالنصب على ان تكون ناقصة وهو الملايم لما يأتي
من قوله ثم تكون ملكا والمعنى ثم تنقلب النبوة خلافة ان تكون الحكومة او الامارة
خلافة اي نيابة حقيقية على منهاج النبوة اي طريقها الصورية والمعنوية ما شا الله
ان تكون اي الخلافة وهي ثلاثون سنة على ما ورد ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا
عاضا اي يصيب بعض اهله بعضا كعض الكلاب فيكون اي الملك اي الامر على هذا المنوال
ما شا الله ان يكون ثم يرفعها الله تعالى اي تلك الحالة ثم تكون اي الحكومة ملكا جبرية
اي جبروتية وسلطنة عظموتية فيكون اي الامر على ذلك ما شا الله ان يكون ثم
يرفعها الله تعالى اي الجبرية ثم تكون اي تنقلب وتصير خلافة وفي نسخة بالرفع اي
تقع وتحدث خلافة كاملة على منهاج نبوة اي من كمال عدالة والمراد بها زمن عيسى
والمهدي عليهما السلام ثم سكت النبي عليه السلام عن الكلام قال حبيب قال المولف هو
حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه روى عنه وعنه محمد بن المنتشر وغيره فلما
قام عمر بن عبد العزيز اي بامر الخلافة كتبت اليه بهذا الحديث اذكره اياه بتشديد الكاف
من التذكير يعني الموعظة وقلت ارجو ان تكون اي انت او الخليفة امير المومنين وفي نسخة
بالغيبة اي يكون الموعود امير المومنين وقال الطيبي امير المومنين خبر يكون وقوله
بعد الملك العاض والجبرية ظرف للخبر على تاويل الحاكم العادل نحوه قوله تعالى وهو الله في
السموات اي معبود فيها قالت وفي بعض النسخ بالتذكير في يكون وبالرفع في امير المومنين
فيكون قوله بعد الملك ظرفا واقعا خبرا ليكون فسر بضم السين وتشديد الرا اي فرح به
اي بهذا الحديث رجا ان يكون في حقه واعجبه عطف تفسيري يعني ان يريد لقابل بالضمير
ان عمر بن عبد العزيز رواه احمد اي في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة وفي الجامع
تكون امرا يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضا رواه الطبراني عن
معاوية وروى ابن عساكر عن علي رضي الله عنه مرفوعا تكون لاصحابي زلة يغفرها
الله تعالى لسابقتهم معي

كتاب الفتن

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية

الفصل الاول

عن حذيفة
قال قام اي خطيبا او واعظا فينا اي فيما بيننا او لاجلنا يعظنا ويخبرنا بما سيظهر من الفتن
لتكون على حذر منها في كل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما اما مصدر ميمي
او اسم مكان وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله ما ترك شيا الى صفة وقوله
يكون بمعنى يوجد صفة شيا وقوله في مقامه متعلق بترك ووضع مقامه موضع
ضمير الموصوف وقوله ذلك صفة مقامه اشارة الى زمانه عليه السلام وقوله الى قيام الساعة

غاية لتكونه والمعنى فاز منتا ما نترك شيا يحدث فيه وينبغي ان يخبر بما يظهر من
الفتن من ذلك الوقت الى قيام الساعة الا حدث به اي بذلك الشي الكائن حفظه
من حفظه اي المحدث به ونسيه من نسيه قد علمه اي هذا المقام وهذا الكلام يطرق الاحمال
اصحابي هولاء اي الموجودون من جملة الصحابة لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلا لما وقع
لهم بعض النسيان الذي هو من خواص الانسان وانا الاخر من نسي بعضه وهذا
معنى قوله وانه اي الشان وبعدم قال ان الضمير لقوله شيا ليكون منه الشي قد نسيته
صفة للشي واللام فيه زائدة واللام في ليكون مفتوحة على انه جواب لقسم مقدر
والمعنى ليقع شي مما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقد نسيته فاذاه فاذكره فاذا عاينته
تذكرته ما نسيته والعدول عن الماضي الى المضارع لاستحضار حكاية الحال ثم شبه الوقوع
بالمعاين فقال كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه اي ثم ينساه ثم اذا راه عرفه متفق
عليه وعنه اي عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض
بصيغة المجهول اي توضع وتبسط الفتن اي البلايا والمحن وقيل العقائد الفاسدة
والاهواء الكاسدة على القلوب وقيل تعرض عليها اي تظهر لها وتعرف بها يقبل منها او يابا
ويبغض منها من عرض العود على الاناء اذا وضعه عليه لعرضه وقيل هو من عرض الجند بين
يدي السلطان لاظهارهم واختبار احوالهم كالحصير اي كما يبسط الحصير عودا عودا
بضم العين والدال المهملة ونصبها على الحال اي ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال
قال التوربشتي قد روي بالرفع وكذا نرويه عن كتاب مسلم وعلى هذا الوجه اورده صاحب
المصابيح والتقدير هو عود عود ورواه آخرون بالنصب انتهى فهو خبر مبتدا مقدر والتقدير
ينسج عود عود فهو مفعول ما لم يسم فاعله وفي نسخة عودا عوذا بفتح العين والذال
المعجمة اي نعوذ بالله من ذلك عوذا بعد عوذ قال النووي هذان الحرفان مما اختلف
في ضبطه على ثلاثة اوجه اظهرها واشهرها ضم العين والدال المهملة والثاني
فتح العين والدال المهملة والثالث فتح العين والذال المعجمة ومعنى تلصق بعرض
القلوب اي جانبها كما يلصق الحصير بجنب النايم ويوثر فيه شدة التصاقها ومعنى
عودا عودا اي تعاد ويكرر شيا بعد شي قال ابن سراج ومن رواه بالذال المعجمة
فمعناه سوال الاستعاذة منها كما يقال غفرا غفرا اي نسالك ان تعيذنا من ذلك وان
تغفر لنا وقال الخطابي معناه تظهر على القلوب اي تظهر لها فتنة بعد
اخرى كما ينسج الحصير عودا عودا وشظية بعد اخرى قال القاضي عياض وعلى هذا
يترجح رواية العين وذلك ان ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودا اخذ اخر
ونسجه فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد اخرى بعرض قضبان الحصير
على صانعها واحدا بعد واحد انتهى فاذا كان الامر كذلك فاي قلب اشربها بصيغة
المفعول يقال اشرب في قلبه حبه اي خالطه فالمعنى خالط الفتن واختلط بها ودخلت

فيه

فيه دخولا تاما ولزمها لزوما كاملا وحلت منه محل الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام
ومنه قوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اي حب العجل والاشراب خلط لون بلون كان احد اللونين
شرب الاخر وكسي لونا اخر فالمعنى جعل متاثرا بالفتن بحيث تداخلت فيه حبها كما تتداخل الصبغ
الثوب فكتت بصيغة المجهول اي نقطت واثرت فيه اي في قلبه نكتة سودا واصل النكت ضرب
الارض بقضيب فيوثر فيها واي قلب انكرها اي رد الفتن وامتنع من قبولها نكتت فيه
نكتة بيضا اي ان لم تكن فيه ابتدا والا محي نكتت ابيضت فيه ودامت واشرقت
حتى غايته للامرين تصير بالفوقية وفي نسخة بالتحتية اي تصير قلوب اهل ذلك
الزمان او يصير الانسان باعتبار قلبه او يصير قلبه على قلبين اي نوعين او صفتين
ابيض بالرفع اي احدهما ابيض مثل الصفا بالقصر اي مثل الحجر المرمر الاملس من غاية
البياض والصفا وفي نسخة بنصبهما على ان الاول بدل البعض من قلبين والثاني على الحال
منه اي مماثلا او مشابها للصفا في النور والبها فلا تضره فتنة وظلمة ما دامت
السموات والارض لانها قلوب صافية قد انكرت تلك الفتن في ذلك الزمن فحفظها
عنها بعد تلك الساعات الى يوم القيامة والاخر بالرفع وكذا قوله اسود مربادا بكسر
الميم والدال المشددة من ارباد كاحمار اي صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد
والغبرة وهو حال او منصوب على الذم كالكوز اي يشبه الاخر الكوز حال كونه مجخيا بضم
ميم وسكون جيم وخاء مكسورة مشددة وقد تخفف وباخر الحروف وفي النهاية
وروي بتقديم الخاء على الجيم اي مايلا منكوسا شبه من هو خال من العلوم والمعارف
بكوز مايل لا يثبت فيه شي ولا يستقر وهذا معنى قوله ولا يعرف اي هذا القلب
معروفا ولا ينكر منكرا والمعنى لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف ولا انكار ما هو منكر
الا ما شرب اي القلب من هواه اي فيتبعه طبعا من غير ملاحظة كونه معروفا او منكرا
شرعا هذا محل المكارم وتفصيله ما ذكره شراح الكرام في هذا المقام قال القاضي اي
حتى يصير جنس الانس على قسمين قسم ذو قلب ابيض كالصفا وذو قلب اسود مربادا قال
المظهر الضمير في تصير للقلوب اي تصير القلوب على نوعين احدهما ابيض وثانيهما اسود
قال التوربشتي الصفا الحجارة الصافية الملسا واريد به هاهنا النوع الذي صفا
بياضه وعليه نبه بقوله ابيض وانما ضرب المثل به لان الاحجار اذا لم تكن معدنية لم
تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون اخر لا سيما النوع الذي ضرب به المثل فانه ابدا على
البياض الخالص الذي لا يشوبه كدرة وانما وصف القلب بالربدة لانه انكر ما يوجد من
السواد بخلاف ما يشوبه صفار تعلوه طراوة من النوع الخالص وفي شرح مسلم قال
القاضي عياض ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكنه صفة اخرى شدته على عقد الايمان
وسلامته من الخلل وان الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الاملس الذي
لا يعلق به شي واما قوله مربادا فكذا هو في روايتنا واصول بلادنا وهو منصوب على الحال

وذكر القاضي عياض خلافا في ضبطه فان منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم من روى
مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء واصله ان لا يهمز ويكون مربدا مثل مسود واحمر
لانه من اربد الاعلى لغة من قال احمار بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال اربأد
فهو مربئد والدال مشددة على القولين قال القاضي وقوله الا ما اشرب يعني لا يعرف
القلب الا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية قال الطيبي
ولعل المراد من باب تاكيد الذم بما يشبه المدح اي ليس فيه خير الا هذا
وهذا ليس بخير فيلزم منه ان لا يكون فيه خير رواه مسلم وعنه اي عن
حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين اي في امر الامانة
الحادثة في زمن الفتنة وهذا اظهر وجه مناسبته ذكرهما في الباب قال
النووي الاول حدثنا ان الامانة نزلت الى اخره والثاني حدثنا عن رفعها رأيت
احدهما وهو نزول الامانة وانا انتظر الاخر وهو رفع الامانة حدثنا وهو الحديث
الاول ان الامانة وهي الايمان ومنه قوله تعالى انا عرضنا الامانة وعبر عنه بها
لانها مدار امر الديانة نزلت في جذر قلوب الرجال بفتح الجيم وكسرها اي اصل
قلوبهم شارح جذر كل شيء اصله اي ان الامانة اول ما نزلت في قلوب رجال الله واستولت
عليها فكانت هي الباعثة على الاخذ بالكتاب والسنة وهذا هو المعني بقوله
ثم علموا اي بنور الايمان من القران اي مما يتلقون عنه صلى الله عليه وسلم
واجبا كان او نفلا حراما او مباحا ماخوذا من الكتاب او الحديث وقوله ثم من السنة
وفي نسخة صحيحة ثم علموا من السنة فيه اشارة الى تاخير رتبة الماخوذ
من الحديث بالنسبة الى نص كلام القديم قال النووي الظاهر ان المراد بالامانة
التكليف الذي كلف الله تعالى بها عباده والعهد الذي اخذه عليهم قال صاحب
التقرير الامانة في الحديث هي الامانة المذكورة في قوله تعالى انا عرضنا
الامانة وهي عين الايمان انتهى والظاهر ان المراد بالعهد في كلام النووي
العهد الميثاقي وهو الايمان الفطري وذكر قوله صاحب التقرير لبيان مزيد
تحرير التقرير لا لانه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر فانه غير موافق الصدر
الحديث السابق وكذا ما يا تبه من ختم الحديث بقوله الا حق حبة خردل
مثقال حبة من خردل من ايمان على ان الايمان هو منبع الامانة وقد تقدم قوله
صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له فالمراد به نفي الكمال والله اعلم بالحال
وحدثنا وهو الحديث الثاني عن رفعها اي ارتفاع ثمرة الايمان وانتقاصه فانه
سيكون بعد عصره في عصر الصحابة قال ينام الرجل النومة وهي على حقيقتها
فما بعدها امر متطاول او ما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب
السيئة الباعثة على نقص الامانة ونقص الايمان فتقبض الامانة اي بعضها

كما بدل

كما بدل عليه ما بعده والمعنى ينقص بعض ثمرة الايمان من قلبه فيظل بفتحات
وتشديد اللام اي فيصير اثرها اي اثر الامانة وهو ثمرة الايمان مثل اثر الوكت
بفتح الواو واسكان الكاف وبالفوقية وهو الاثر اليسير كالنقطة في الشيء ثم
ينام النومة اي الاخرى فتقبض اي الامانة اي بعض ما بقي منها فيبقى معروفا
وقيل مجهولا اثرها مثل اثر المجل بفتح الميم وسكون الجيم وبفتح وهو اثر العمل في اليد
كجمر اي تاثيرا كتاثير جمر وقال شارح ابدل من مثل اثر المجل اي يكون اثرها في القلب
كاثر جمر او خبر مبتدا محذوف اي هو يعني اثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط بكسر
الفاء ذكر الضمير فيه وكذا في قوله فتراه منتبرا بكسر الموحدة منتفخا مع ان الرجل
مؤنث سماعي على ارادة الموضع المدحرج عليه الجمر ومنه قول عمر رضي الله عنه اياكم
والتخلل بالقصب فان الفم ينتبر منه اي يرم وينتفط قيل المعنى يخيل اليك
ان الرجل ذو امانة وهو في ذلك بمثابة نفطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة فلا طائل
تحتها وفي الفائق الفرق بين الكوكتة الوكت والمجل ان الوكتة النقطة في الشيء من غير
لونه والمجل غلظ الجلد من العمل لا غير ويدل عليه قوله فتراه منتبرا وليس فيه شيء
اي صالح بل ما فاسد وفي شرح مسلم قال صاحب التحرير معنى الحديث ان الامانة
تزول عن القلوب شيئا فشيئا فاذا زال اول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت
وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله فاذا زال شيء اخر صار كالمجل وهو اثر
محكم لا يكاد يزول الا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها ثم شبه زوال
ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب
الظلمة اياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط
وانما ذكر نفط ولم يقل نفطت اعتبارا بالعضو انتهى وقال شارح من علمائنا يريد
ان الامانة ترفع عن القلوب عقوبة لاصحابها على ما اجترحوا من الذنوب حتى اذا استيقظوا
من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى فيها اثرها تارة مثل الوكت وتارة
مثل المجل وهو انتفاط اليد من العمل والمجل وان كان مصدرا الا ان المراد به هاهنا نفس
النفطة وهذا اقل من المرة الاولى لانه شبهها بالجمر بخلاف المرة الاولى اراد به خلو
القلب عن الامانة ثم ندم بقاء اثرها من طريق الحسبان ويصبح الناس اي يدخلون في
الصباح او يصيرون يتبايعون اي يجري بينهم التبايع ويقع عندهما التعاهد
ولا يكاد احد يؤدي الامانة بل يظهر من كل احد منهم الخيانة في المبايعة والمواعدة
والمعاهدة ومن المعلوم ان حفظ الامانة اثر كمال الايمان فاذا نقص الامانة
نقص الايمان وبطل الايقان وزال الاحسان حتى يقال اي من غاية قلة الامانة
في الناس ان في بني فلان رجلا امينا اي كامل الايمان وعامل الامانة ويقال اي
في ذلك الزمان للرجل اي من ارباب الدنيا ممن له عقل في تحصيل المال والجاه وطبع

في الشعر والنثر وفصاحة وبلاغة وصباحة وقوة بدنية وشجاعة وشوكة
ما أعقله وما أظرفه وما أجلده تعجبا من كماله واستغرابا من مقاله واستبعادا من
جماله وحاصله أنهم يمدحونه بكثرة العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون
منه ولا يمدحون أحدا بكثرة العلم النافع وصلاح العمل الصالح وما في قلبه حال من
الرجل والحال أنه ليس في قلبه مثقال حبة أي مقدار شيء قليل من خردل من بيانية
لحبة أي حبة خردل من إيمان أي كائنا منه وهو يحتمل أن يكون المراد منه نفي أصل
الإيمان أو كماله والله أعلم قال الطيبي لعله إنما حملهم على تغيير الأمانة في قوله
أن الأمانة نزلت بالإيمان لقوله آخرا وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان
فهلا حملوها على حقيقتها لقوله ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدي الأمانة
فيكون وضع الإيمان آخرا موضعها تفخيما لشأنها وحثا على أدائها قال صلى الله عليه
وسلم لا دين لمن لا أمانة له قلنا إنما حملهم عليه ما ذكر آخرا وما صدر أولا من قوله نزلت
في جذر قلوب الرجال فإن نزول الأمانة بمعنى الإيمان هو المناسب لأجل قلوب المؤمنين
ثم يعلمون إتقانه وإتقانهم بتتبع الكتاب والسنة وأما الأمانة فهي جزئية
من كلياتها متعلق بالإيمان والقرآن والله سبحانه أعلم متفق عليه وعنه أي
عن حذيفة قال كان الناس أي أكثرهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير
أي عن الطاعة ليمتثلوها وعن السعة والرخاء ليفرحوا به ويستعينوا بالدنيا
على الأخرى وكنت أسأله عن الشر أي عن المعصية أو الفتنة المرتبة على التوسعة
مخافة أن يدركني أي خشية أن يلحقني الشر نفسه أو بسببه وهذا الطريق هو مما
الحكماء وكثير من الفضلاء أن رعاية الاحتماء أولى في دفع الداء من استعمال الدواء
وأن التخلية مقدمة على التحلية وفي كلمة التوحيد إشارة إلى ذلك حيث نفي
السوى ثم أثبت المولى بل مدار معرفة الله سبحانه على النعوت التنزيهية
كقوله تعالى ليس كمثله شيء دون الصفات الثبوتية لظهور وجودها في خالق الأشياء
بالضرورة العقلية قال الطيبي المراد بالشر الفتنة ووهن عرى الإسلام
واستيلاء الضلالة وفشو البدعة والخير عكسه يدل عليه ما نقل الراوي عنه
قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا كنا في جاهلية أي أيام غلبت فيها الجهل
بالتوحيد والنبوة وما يتبعهما من سائر أحكام الشريعة فقوله وشر عطف
تفسيري والمعنى به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم فجاءنا الله بهذا الخير أي الخير
العظيم وهو الإسلام ببركة بعثتك ومفهومه أنه ذهب بالشر عنا بعدم فقوا عدا الكفر
والضلال ولعله حذف وجعل من باب الاكتفاء لا سيما وهما ضدان لا يجتمعان فهل
بعد هذا الخير أي الثابت من شر أي من حدوث بعض شر قال نعم قلت وهل بعد
ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن بفتحتين أي كدورة أي سواد والمراد

لا يكون

لا يكون خيرا صفوا خالصا بل يكون مشوبا بكدورة وظلمة قلت وما دخنه قال يستنون
بتشديد النون الأولى أي يقتدون بغير سنتي ويهدون أي يدلون الناس بغير
هدي أي بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي تعرف منهم وتنكر قال المظهر
أي ترى فيهم ما تعرفه أنه من ديني وترى أيضا ما تنكر أنه ديني قال الأشرف تعرف
منهم المنكر بأن يصدر المنكر عنهم وتنكر هم خبر بمعنى الأمر أي أنكر عليهم صدور المنكر
عنهم قال الطيبي الوجه الأول راجع إلى معنى قوله نعم وفيه دخن أي تعرف فيهم
الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية والوجه الثاني راجع إلى معنى
قوله يستنون بغير سنتي فالوجه أن يكون المعطوف عليه كلاهما في معنى الأمر أي
اعرف منهم ذلك وأنكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام أقول وفيه نظر
لا يخفى إذ ليس لكل أحد له قابلية معرفة المعروف وإنكار المنكر فالخطاب خاص بحذيفة
وأمثاله من أهل العلم والديانة قيل المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت عند قتل
عثمان رضي الله عنه وما بعده وبالخير الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز وبالذي
تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ومنهم من يدعو
إلى البدعة ويعمل بالجور ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر أخرى بحسب
ما يقع لهم من تتبع الهوى وتحصيل غرضهم من أمور الدنيا لا أنهم يريدون تحري الأخرى
ورعاية الدار الأخرى كما عليه بعض أمراء زماننا وقيل المراد من الشر الأول فتنة
عثمان وما بعده وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والإجماع عليه
وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الأمراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج
قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة جمع داع على أبواب جهنم قال الأشرف
أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بأنواع من التلبيس ومن
الخير إلى الشر ومن السنة إلى البدعة ومن الزهد إلى الرغبة جعل النبي صلى الله عليه
وسلم دعوة الدعاة وإجابة المدعوين سببا لإدخالهم إياهم في جهنم ودخولهم فيها وجعل
كل نوع من أنواع التلبيس بمنزلة باب من أبواب جهنم من أجابهم أي الدعاة إليها
أي إلى جهنم يعني إلى الضلالة المؤدية إليها قذفوه فيها أي رموه وصاروا سببا
لقذفه في جهنم قيل المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض
وغيرهما ممن لم توجد فيهم شروط الإمارة والإمامة والولاية وجعلوا دعاة على
أبواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
في بطونهم نارا وقيل هو كقوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم فكأنهم
كائنون على أبواب جهنم داعين الناس إلى الدخول فيها فمنهم ولاة المباشر سبب
شيء فكأنه واقع به داخل فيه قلت يا رسول الله صفهم لنا أي أهم منا أو من غيرنا
قال هم من جلدتنا أي من أنفسنا أو عشيرتنا كذا في النهاية وقيل معناه من أهل

ملتنا ذكره الأشرف وهو الأظهر وقيل من أبناء جنسنا وفيه أن الجلدة أخص من الجلد
وجلد الشيء ظاهره وهو في الأصل غشاء البدن ويتكلمون بألسنتنا أي بالعربية..
أو بالمواعظ والحكم أو بما قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شيء من الخير يقولون
بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قلت فما تأمرني أي أن أفعل به فيهم إن أدركني ذلك
أي ذلك الزمان قال تلزم جماعة المسلمين أي طريقهم وحضور جمعتهم وجماعتهم
وإمامهم أي ورعاية إمامهم ومتابعتهم ومساعدتهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة
أي متفقة ولا إمام أي أمير يجتمعون عليه وهو يحتمل فقدهما أو فقد أحدهما قال
فاعتزل تلك الفرق كلها أي الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق أهل
السنة والجماعة ولو أن تعض بأصل شجرة ولو كان الاعتزال بالعض وأن مصدرية
وتعض منصوب في النسخ المصححة والأصول المعتمدة وقيل إن مخففة من
المثقلة قال التوربشتي أي تمسك بما يصبرك وتقوى به على اعتزالك ولو بما لا
يكاد يصح أن يكون متمسكا قال الطيبي هذا شرط تعقب به الكلام تتميما
ومبالغة أي اعتزل الناس اعتزالا لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض أصل الشجر
افعل فإنه خير لك حتى يدركك الموت وأنت على ذلك أي على ما ذكر من الاعتزال
أو العض أو الخير متفق عليه وفي رواية لمسلم قال ميرك أخرج مسلم هذه الرواية
عقيب الحديث المتقدم من حديث أبي سلام عن حذيفة وذكر الدارقطني أن أبا
سلام لم يسمع من حذيفة ولذا قال فيه قال حذيفة فيكون الحديث منقطعا
وقال بعض الحفاظ وإنما لم يخرج البخاري لأبي سلام شيئا في صحيحه لأن روايته
مرسلة انتهى وأبو سلام اسمه ممطور الأسود الحبشي وقال النووي ما قاله
الدارقطني صحيح ولكن المتن صح بالطريق الأول وإنما أتى مسلم بها متابعة فإن
المرسل إذا أتى من طريق آخر تبين به صحة المرسل وجاز الاحتجاج به ويصير في المسألة
حديثان صحيحان والله أعلم أن هذا الإشكال إنما هو على قول الشافعي
ومن تبعه من أن المرسل ليس بحجة وأما على قول الجمهور بأنه حجة ومنهم أبو حنيفة
فلا شبهة فيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يكون بعدي أئمة بتخفيف الهمزة الثانية
وتسهيلها وإبدالها جمع إمام مثل إناء آنية على وزن أفعلة أي جماعة يطلق
عليهم الأئمة لا يهتدون بهداي أي من حيث العلم ولا يستنون بسنتي أي من حيث
العمل والمعنى أنهم لا يأخذون بالكتاب والسنة وسيقوم فيهم رجال قلوبهم
قلوب الشياطين لقلوبهم في الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والآراء
الكاسدة والأهواء الفاسدة في جثمان إنس بضم الجيم أي في جسد والمراد به جنس
الإنس فيطابق الجمع السابق قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت
ذلك أي الوقت أو ما ذكر من أهل ذلك الزمان قال تسمع أي ما يأمرك الأمير غير معصية أي

فيما لا معصية فيه للأمر وكذا قوله وتطيع أي فيما لا معصية فيه الأمير مفعول
تنازع فيه الفعلان وإن ضرب ظهرك بصيغة المجهول ولو ضربت وأخذ مالك وفي
نسخة بصيغة المعلوم فيهما وفيهما ضمير للأمير والإسناد حقيقي أو مجازي وتخصيص
الظهر للبيان الواقع غالبا وقوله فاسمع وأطع جزاء الشرط أي لمزيد تقرير واهتمام بخبر
شأنه وإلا فما قبل الشرط أغنى عنه قال ابن الملك إلا إذا أمرك بإثم فلا تطعه لكن لا
تقاتله بل فر منه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بادروا أي سابقوا وسارعوا بالأعمال أي بالاشتغال بالأعمال الصالحة فتنا أي وقوع
فتن كقطع الليل المظلم بكسر القاف وفتح الطاء جمع قطعة والمعنى كقطع من الليل
المظلم لفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين الصلاح والفساد فيها وفيه إيماء إلى أن
هذه الفتن ما قال تعالى في حقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما
وقد قرأ ابن كثير والكسائي في الآية بسكون الطاء على أن المراد به جزء من الليل أو من سواده
ويراد به قطعة وحاصل المعنى تعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة والنهب
والاختلاف بين المسلمين في أمر الدنيا والدين فإنكم لا تطيقون الأعمال على وجه الكمال فيها
والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث إنها تشيع ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص
منها فالمبادرة المسارعة بإدراك الشيء قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه يصبح الرجل مؤمنا
أي موصوفا بأصل الإيمان أو بكماله ويمسي كافرا أي حقيقة أو كافر النعمة أو مشابها
للكفرة أو عاملا عمل الكافر ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا وقيل المعنى يصبح محرما ما حرمه
الله ويمسي مستحلا إياه وبالعكس وحاصله التذبذب في أمر الدين والتتبع لأمر الدنيا
كما بينه بقوله يبيع أي الرجل أو أحدهم دينه أي بتركه بعرض بفتحتين أي بأخذ متاع دني وثمن
رديء من الدنيا زاد في الجامع قليل بالجر على أنه صفة عرض وقد روى ابن ماجه والطبراني
عن أبي أمامة ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا إلا من أحياه الله
فقوله يصبح استئناف لبيان بعض الفتن في ذلك الزمن وقال الطيبي استئناف
بيان لحال المشبه وهو قوله فتنا وقوله يبيع الخ بيان للبيان قال المظهر فيه وجوه
أحدها أن يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون
الدم والمال وثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم
بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس أنهم على الحق ويفتيهم بعض علماء
السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من إراقة الدماء وأخذ الأموال ونحوهما وثالثها
ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها والله
أعلم رواه مسلم وكذا أحمد والترمذي وروى [illegible]
عن أبي أمامة مرفوعا بادروا بالأعمال هرما ناغصا وموتا خالسا ومرضا حابسا وتسويفا مؤيسا
وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا بادروا بالأعمال سبعا ما تنتظرون إلا فقرا

متنبيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال فانه شر غائب ينتظر
او الساعة والساعة ادهى وامر وروى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعا بادروا
بالاعمال ستا امارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة
الرحم ونشوا يتخذون القران مزامير يقدمون احدهم ليغنيهم وان كان اقلهم فقها وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن اي عظيمة وكثيرة
متعاقبة متوالية او متراخية القاعد فيها اي في تلك الفتن خير من القائم
لانه يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد فيكون اقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدة
ما لا يشاهده القاعد ويمكن ان يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحول لما
يقع منه الفتنة في زمانه والمراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد
في اثارة الفتنة والقائم فيها اي من بعد من تشرف عليها او القائم بمكانه في تلك الحالة
خير من الماشي اي من الذاهب على رجله اليها والماشي فيها اي اليها او فيما بينها خير
من الساعي اي من المسرع اليها ماشيا او راكبا من تشرف لها بتشديد الراء اي من نظر
اليها تستشرفه بالجزم ويرفع اي تطلبه وتجذبه اليها قال التوربشتي من تطلع
لها دعته الى الوقوع فيها والتشرف التطلع واستعيرها للاصابة بشرها او اريد به
انها تدعوه الى زيادة النظر اليها وقيل انه من استشرفت الشيء اي علوته يريد
من انتصب لها انتصبت له وصرعته وقيل هو من المخاطرة والاشفاء على الهلاك
من خاطر بنفسه فيها اهلكته قال الطيبي لعل الوجه الثالث اولى لما يظهر
منه معنى اللام في لها وعاقبة كلام الفائق وهو قوله اي من غالبها غلبته قلت
ولعل الوجه الاول اولى لما فيه من رعاية المعنى المفهوم منه المبالغة
المفيدة للاحتراس واختيار الاحرى النافع في الدنيا والاخرى قال شارح تشرف
واستشرف اي سعد شرفا اي مرتفعا لينظر الى شيء هذا هو الاصل ثم استعمل في النظر
الى اي شيء في اي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن ونظر اليها نظرت اليه الفتن
وتجره الى نفسها فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها فمن وجد ملجا
اي مناصا ومفرا ومهربا ومعاذا بفتح الميم اي موضعا او شخصا ملاذا يتخلص بالذهاب
اليه وبالعياذ به من الفتن فليعذ بضم العين فليستعذ به اي بالمعاذ او بما ذكر
من الملجا والمعاذ فليذهب اليها متفق عليه ورواه احمد وفي رواية لمسلم قال
تكون فتنة اي عظيمة النائم فيها خير من اليقظان بسكون القاف اي المتنبه
لعدم شعور النائم عنها وفي معناه الغافل ولو كان يقظان فالمراد باليقظان هو
العالم بالفتنة سواء يكون مضطجعا او قاعدا او قائما واليقظان اي مضطجعا او
جالسا خير من القائم اي لتطلعه واشرافه او لان فيه نوع حركة فيها والقائم فيها
اي لتوقفه في مكانه خير من الساعي اي مشيا او ركوبا اليها فمن وجد فيها ملجا او معاذا

فليستعذ

فليستعذ وفي الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة ستكون احداث وفتنة وفرقة
واختلاف فان استطعت ان تكون المقتول لا القاتل فافعل وعن ابي بكرة اي
الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها اي القصة ستكون اي ستوجد وتحدث
وتقع فتن الا للتنبيه ثم تكون فتنة اي عظيمة وفي بعض النسخ المصححة الا ثم
تكون فتن بصيغة الجمع ثم بعده الا ثم تكون فتنة بصيغة الوحدة قال الطيبي فيه
ثلاث مبالغات اقحم حرف التنبيه بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التنبيه لها
وعطف بثم لتراخي مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها على عظمها وهولها على انه
من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائر اشكالها وانها كالداهية
الدهيا نسال الله العافية منها بفضله وعميم طوله القاعد خير من الماشي فيها
خير من الساعي اليها اي يجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لا يرى مطلبا غيرها
ولا مرام الغرض والى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج والترقي
من الماشي فيها الى الساعي اليها الا للتنبيه زيادة للتاكيد فاذا وقعت اي
الفتن او تلك الفتنة فمن كان له ابل اي في البرية فليلحق بابله ومن كان له غنم
فليلحق بغنمه ومن كانت له ارض اي عقار ومزرعة بعيدة عن الخلق فليلحق بارضه
فان الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة العميا
بين الرجال كما قال الشاعر
اذا السلامة من ليلى وجارتها ... ان لا تمر على حال بواديها
فقال رجل يا رسول الله ارايت اي اخبرني من لم تكن له ابل ولا غنم ولا ارض اي فاين
يذهب او كيف يفعل قال يعمد بكسر الميم اي يقصد الى سيفه اي ان كان له فيدق على
حده اي فيضرب على جانب سيفه الحاد بحجر والمعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به
الى الحرب لان الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضور حائرها ثم لينج بكسر اللام ويسكن وبفتح
الياء وسكون النون وضم الجيم اي ليفر ويسرع هربا حتى لا يصيبه الفتن ان استطاع
النجا بفتح النون والمد اي الاسراع قال الطيبي قوله الخ عبارة عن تجرده تجردا تاما
كانه قيل من لم يكن له ما يشتغل به من مهماته فلينج براسه الناجي والظاهر انه حمل قوله
فلينج على انه امر من النجاة وليس كذلك كما يدل عليه قوله ان استطاع النجا حيث لم يقل ان
استطاع النجاة اللهم الا ان يراد به حاصل المعنى مع قطع النظر عن المادة والمبنى والله
اعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ذكر هذه الفتن والتحذير عنها والوقوع في محن ذلك
الزمن اللهم اي يا الله هل بلغت اي قد بلغت الى عبادك ما امرتني به ان ابلغه اياهم ثلاثا
مصدر للفعل المقدر اي قال ثلاث مرات فقال رجل يا رسول الله ارايت اي اخبرني
ان اكرهت اي اخذت بالكره واجبرت حتى ينطلق بصيغة المجهول اي يذهب بي الى احد
الصفين به ان ابلغه اياهم فضربني رجل بسيفه او للتنويع يجيء سهم بصيغة المضارع
عطف على الماضي فيقتلني بصيغة المجهول الظاهر انه تفريع على الاخير والاسناد

بجاري ويحتمل ان يشمل ايضا علي الاول فتامل والمعني فما حكم القاتل والمقتول
قال يبوء اي يرجع القاتل وقيل الكره باثمه اي بعقوبته ما فعله من قتل مومنا
والمتمكن او بعقوبته قتله اياك خصوصا او المراد باثمه قصده القتل وباثمك لو مددت
يدك اليه او المراد باثمك سيئاتك التي فعلتها بان توضع في رقبته بعد فقد حسناته
علي ما ورد ويكون اي هو من اصحاب النار قال تعالي وذلك جزاء الظالمين واما لم
يقل وانت من اصحاب الجنة وان كان هذا هو المفهوم منه ونزل للاكتفاء احتياطا
لتبادر الفهم الي الخطاب المعين لا المفروض المقدر المراد به الخطاب العام علي طريق
الابهام ثم الحكم مقتبس من قوله سبحانه واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق الي اخره وقد قال
صلي الله عليه وسلم كن خير ابني ادم وفي رواية كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل قال الطيبي قوله يبوء فيه وجهان احدهما ان يمثل باثمك علي الاتساع
اي يرجع باثمه ومثل اثمك المقدر لو قتلته وثانيهما ان يمثل اثمك علي حذف المضاف
واثمه السابق علي القتل رواه مسلم وعن ابو سعيد قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم يوشك اي يقرب ان يكون خير مال المسلم بالنصب غنم اي قطعة
قال الطيبي غنم نكرة موصوفة وهو اسم يكون والخبر قوله خير مال المعرف فلا يجوز
اللهم الا ان يراد بالمسلم الجنس فلا يعتبر حينئذ وفائدة التقديم ان المطلوب
حينئذ الاعتزال وتحري الخير باي وجه كان انتهي وقيل يجوز رفع خير وغنم
علي الابتداء والخبر وفي يكون ضمير الشان كذا في المفاتيح يتبع بتشديد التاء
وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة اي يتبع بها اي يتبع الغنم او بسببها شعف
الجبال بفتح الشين والعين رءوس الجبال او اعاليها واحدها شعفة ومواقع القطر
بفتح فسكون اي مواضع المطر واثاره من النبات واوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحرا
والجبال فهو تعميم بعد تخصيص وفي تقديم شعف الجبال اشعار بالمبالغة في فضيلة
الاعتزال عن الخلق في تلك الحال لمن يريد اي بسبب حفظه من الفتن او المحن لدينه
او يهرب من الفتن الدنيوية مصاحبا بدينه ليتخلص باقامته هناك رواه البخاري
وعن اسامة بن زيد صحابيا ابن صحابي قال اشرف النبي صلي الله عليه وسلم اي اطلع علي اطم
بضمتين اي شاهق جبل او حصن او بناء مرتفع من اطام المدينة بمد اوله جمع الاطم
فقال هل ترون ما اري اي من الاشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه قالوا لا قال
فاني لاري الفتن تقع اي منه خلال بيوتكم اي وسطها كوقع المطر والمعني ان الله
تعالي اري نبيه صلي الله عليه وسلم حين راي ذلك الاطم او حين صعد اقتراب الفتن
ليخبرها منه فيكونوا علي حذر ويعرفوا انها من قدر ويعدوا معرفتها من معجزاته
صلي الله عليه وسلم قال الطيبي قوله تقع يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا والاول
الي الدوق ان يكون حالا والرواية بمعني النظر اي كشف لي فابصرها عيانا متفق عليه

وفي الجامع

وفي الجامع برواية احمد والشيخين عن اسامة هل تدري ما اري اي لاري مواقع
الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم هلكت امتي بفتح الهاء وا للاوي هدينكم والمراد بالامة الصحابة لانهم
خيار الامة واكابر الائمة علي يدي بتثنية مضافة الي غلمته بكسر العين جمع
غلام اي علي ايدي الشبان الذين ما وصلوا الي مرتبة كمال العقل والاحداث السن
الذين لا مبالاة لهم باصحاب الوقار وارباب النهي والظاهر ان المراد ما وقع بين
عثمان رضي الله عنه وقتلته بين علي والحسين رضي الله عنهم ومن قاتلهم
وقال المظهر لعله اراد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد
وعبد الملك ابن مروان وغيرهما رواه البخاري ولفظ الجامع هلاك امتي علي يدي
غلمة من قريش رواه احمد والبخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يتقارب الزمان اي زمان الدنيا وزمان الاخرة
فيكون المراد اقتراب الساعة قال التوربشتي يريد به اقتراب الساعة ويحتمل انه اراد
بذلك تقارب اهل الزمان بعضهم من بعض في الشر او تقارب الزمان نفسه
في الشر حتي يشبه اوله اخره وقيل لقصر اعمار اهله انتهي ويحتمل ان يكون كناية
عن قلة بركة الزمان من كثرة العصيان وقال القاضي يحتمل ان يكون المراد به ان
يتسارع الدول الي الانقضاء والقرون الي الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى
ايامهم وينقبض العلماء اي في ذلك الزمان لقبض العلماء الاميان ويظهر الفتن اي
يترتب عليها المحن ويلقي الشح في قلوب اهلها اي علي اختلاف احوالهم حتي يبخل
العالم بعلمه والصانع بصنعته والغني بماله وليس المراد وجود اصل الشح لانه
موجود في جبلة الانسان الا من حفظ الله ولذا قال تعالي ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون ويكثر الهرج بفتح الهاء وسكون الراء وبالجيم قالوا
وما الهرج قال القتل في القاموس هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل
انتهي فعلم ان المراد بالهرج قتل خاص وهو الممزوج بالفتنة والاختلاط فاللام
فيه للعهد متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا اي جميعها حتي ياتي علي الناس يوم
اي يوم عظيم فيه شر جسيم لا يدري القاتل فيم قتل اي المقتول اهل يجوز له قتله
ام لا ولا المقتول اي نفسه فيم قتل اهل بسبب شرعي او لغيره لاكثر النوعان
في زماننا فقيل كيف يكون ذلك اي ما سبب وقوع القتل بحيث لا يعرف القاتل ولا
المقتول سببه قال الهرج اي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول
والمعني سببه ثوران الهرج بالكثرة وهيجانه بالشدة والقاتل والمقتول في
النار اما القاتل فالقتله مثلها واما المقتول فانه كان حريصا علي قتل مسلم

ايضا ولم يجد الغرمة قال النووي اما القاتل فظاهر واما المقتول فانه اراد قتل
صاحبه وفيه دلالة للمذاهب الصحيح المشهور ان من نوى المعصية واصر على النية
يكون اثما وان لم يفعلها ولم يتكلم بها رواه مسلم وعن معقل بن يسار وهو ممن بايع
تحت الشجرة من بني سكن البصرة واليه ينسب مات زمن ابن زياد وقيل زمن معاوية
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة اي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة
عليها في الهرج اي زمن الفتنة ووقت المحاربة بين المسلمين كهجرة الي اي قبل فتح
مكة ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ونظيره ما ورد ذاكر
الله تعالى في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين رواه مسلم وكذا احمد والترمذي
وابن ماجه وعن الزبير بن عدي قال المؤلف همداني بسكون الميم كوفي كان
قاضي الري وهو تابعي سمع انس بن مالك روى عنه الثوري وغيره قال اتينا انس بن
مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج بفتح الحاء اي من ظلمه وهو حجاج بن يوسف
روي انه قتل مائة وعشرين الفا سوى ما قتل في حروبه فقال اصبروا فانه لا ياتي
عليكم زمان الا الذي بعده اشر منه اي غالبا ومن وجه دون وجه حتى تلقوا ربكم
قال القاضي اخير واشر اصلان متروكان لا يكاد يستعملان الا نادرا وانما المتعارف
في التفضيل خير وشر وفي القاموس هو شر منه واشر منه قليلة او رديئة وفيه
ايضا هو اخير منك كخير انتهى وفيه تنبيه ان استعمال اخير خير من استعمال
اشر ولعل السبب فيه ان الخير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون خير نصا في المقصود
بخلاف الشر وانما يبالغ باتيان الهمزة والله سبحانه اعلم سمعته اي قوله اصبروا الخ والاظهر
لما سيأتي انه لا ياتي عليكم الخ من نبيكم صلى الله عليه وسلم قيل هذا الاطلاق يشكل
بزمن عمر بن عبد العزيز فانه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه السلام
واجيب بانه محمول على الاكثر الاغلب وان المراد بالازمنة الفاضلة في السوء من زمن الحجاج
الى زمن الدجال واما زمان عيسى عليه السلام فله حكم مستأنف اقول الاظهر
ان يقال ان زمن عيسى عليه السلام مستثنى شرعا من الكلام واما بقية الازمنة
فيمكن ان يكون الاشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار دون اخر
وفي موضع دون موضع وفي فرد دون امر من علم وعمل وحال واستقامة وغيرها مما يطول
تفصيلها وهذا من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية فانها
بمنزلة المشعل المنور للعالم فكلما بعد عن قربه وقع في زيادة ظلامه وحجبه
وقد ادركت الصحابة رضي الله عنهم مع كمالهم باطنهم التغير من القسم بعد دفنه
صلى الله عليه وسلم وحكي عن بعض المشايخ الكبار اني كنت في جامع شيراز مشغولا بورده
في ليل اذ هجم على الخاطر وارادة الخروج من غير ظهور داع وباعث فخرجت فاذا امرأة ملتفتة
بجدار تنظر الي انا نريد بيتها وتخاف في طريقها من اهل الفساد فذكرت لها ذلك فاشارت

الى

الى ان نعبر فتقدمت عليها وقلت لها ما قال موسى عليه السلام لابنة شعيب
عليه السلام ان اخطات الطريق القويم ارمي حجرا يدلني على الطريق المستقيم فاوصلتها
الى بيتها ورجعت الى حجرتي ولم يخطر لي حينئذ شيء من الخطرات النفسانية ثم بعد مدة
من الازمنة المتاخرة عن تلك الحالة الروحانية هجس في النفس وتوسوس في الخاطر
من الامور الشيطانية فتاملت انه هل باعث هذا تغير في ماكلي او مشربي او ملبسي
او في تصدي لعبادتي وطاعتي او حدوث حادث من صحبة اجنبي وخلطة ظالم وامثال
ذلك فما رايت سبب الظهور هذه الظلمة الا البعد عن نور زمان الحضرة الموجب
لحصول مثل هذه الخطرة رواه البخاري وفي الجامع عن انس مرفوعا بلفظ لا ياتي عليكم
عام ولا يوم الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم رواه احمد والبخاري والنسائي
واخرج الطبراني عن انس مرفوعا ما من عام الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم
وفي الكبير للطبراني ايضا عن ابي الدرداء مرفوعا ما من عام الا ينقص الخير فيه ويزيد الشر
قال الزركشي واخرج الطبراني عن ابن عباس قال ما من عام الا ويحدث الناس بدعة
ويميتون سنة حتى تمات السنن وتحيى البدع فهذا الحديث صريح في ان المراد بالشر
موت السنن واحياء البدع ولا شك في تحقق هذين الامرين في كل زمن من الملوي
ويؤيده ما في البخاري عن انس مرفوعا لا ياتي على الناس زمان الا الذي بعده شر
منه واما ما اشتهر على السنة العامة من حديث كل عام ترذلون فهو من كلام الحسن
البصري في رسالته على ما ذكره الزركشي وغيره والله اعلم **الفصل الثاني** عن
حذيفة قال والله ما ادري انسي اصحابي اي من صحابة ام تناسوا اي اظهروا النسيان
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة اي داعي ضلالة وباعث بدعة
من زائدة لتاكيد الاستغراق في النفي الى ان تنقضي الدنيا اي الى انقضائها وانتهائها
يبلغ صفة للقائد اي يصل من معه اي مقدار اتباعه ثلاثمائة فصاعدا اي فزائدا
عليه الا قد سماه اي ذكر ذلك القائد لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته والمعنى ما جعله
متصفا بوصف الا بوصف تسميته الخ يعني وصفا واضحا مفصلا لا مبهما مجملا فالاستثناء
متصل وقال الطيبي قوله الى ان تنقضي متعلق بمحذوف اي ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذكر قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا مهملا لكن سماه فالاستثناء
منقطع قال المظهر اراد بهذا الفتنة من يحدث بسببه بدعة او ضلالة او محاربة
كعالم مبتدع يامر الناس بالبدعة وامير جائر يحارب المسلمين رواه ابو داود وعن
ثوبان هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اخاف
على امتي الائمة المضلين اي الامة جمع امام وهو مقتدي القوم ورئيسهم ومن يدعوهم
الى قول او فعل او اعتقاد واذا وضع السيف في امتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة اي
فان لم يكن في بلد يكون في بلد اخر رواه ابو داود والترمذي وعن سفينة هو ايضا مولى

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال ان سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وان
النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وهو معه فاعيى رجل فالقى عليه سيفه
وترسه ورمحه فحمل شيئا كثيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت سفينة روى عنه
بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة
اي الحقة او المرضية لله ورسوله او الكاملة او المتصلة ثلاثون سنة ثم تكون
اي تنقلب الخلافة وترجع ملكا بضم الميم اي سلطنة وغلبة على اهل الحق قال في شرح
العقائد وهذا مشكل لان اهل الحل والعقد كانوا متفقين على خلافة خلفاء
العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز ولعل المراد ان الخلافة الكاملة
التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد
يكون وقد لا تكون انتهى واعلم ان المروانية اولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية
ابن يزيد ثم عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز
ثم يزيد بن عبد الملك ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد ثم خرجت
منهم الخلافة الى بني العباس هذا وفي شرح السنة يعني ان الخلافة حق الخلافة
انما هي للذين صدقوا هذا الاسم باعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من بعده فاذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وان كانت اساميهم
الخلفاء ولا باس ان يسمى القائم بامور المسلمين امير المؤمنين وان كان مخالفا لبعض سير
ائمة العدل لقيامه بامر المؤمنين ويسمى خليفة لانه خلف الماضي قبله وقام مقامه
ولا يسمى احد خليفة الله بعد ادم وداود عليهما السلام قلت ونبينا لا شك ان
نبينا صلى الله عليه وسلم خليفة في خليقته بل ويدل اطلاقها على غيره صلى الله
عليه وسلم ايضا لما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم فان كان لله في الارض خليفة
الحديث قال وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال ويحك لقد تناولت
متناولا ان امي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني اموركم فسميتموني
امير المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك اي في رعاية الادب وقصد التعظيم فهذا
منه تواضع مع الخلق وتمسك مع الخالق فليس فيه دلالة على ان مثله لا يقال
له خليفة الله والله اعلم ثم يقول سفينة اي الراوية او المراد به خطاب العام امسك
اي عد مدة الخلافة قال الطيبي لعل المخاطب يقال امسك اي اضبط الحساب عاقدا
اصابعك حتى يكون امسك محمولا على اصلها انتهى وخلاصة المعنى احسب واحفظ خلافة
ابي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة اي اعوام وعثمان اي خلافته اثنتي عشر سنة وفي
نسخة اثنى عشر اي تمامها وعلي اي وخلافة علي ستة اي سنين اعوام فعلي خاتم الخلفاء
كالنبي خاتم الانبياء والمهدي خاتم الاولياء رواه احمد والترمذي وابو داود وكذا النسائي
ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع الخلافة بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد

ذلك

ذلك رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة وروى البخاري في
تاريخه والحاكم عن ابي هريرة الخلافة بالمدينة والملك بالشام وفيه تنبيه تنبيه
على ان الخلافة الحقيقية ما توجد في مكان صاحب النبوة على اتفاق جمهور اصحابه
من اهل الحل والعقد وانه لا عبرة في الحقيقة باهل الحل والعقد في غير ذلك المكان
ومن امثال غير اهل ذلك الزمان وانما ينعقد بطريق التسلط التي تسمى ملكا للضرورة
الداعية الى نظام حال العامة ولئلا يؤدي الى الفتنة الطامة والله اعلم وعن
حذيفة قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكون بعد هذا الخير اي الاسلام
والنظام التام المشار اليه بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم والمعنى ايوجد
ويحدث بعد وجود هذا الخير شر كما كان قبله اي قبل الخير من الاسلام وهو زمن
الجاهلية شر قال نعم اي لان ما وراء كل كمال زوال الا كمال ذي الجلال والجمال
قلت فما العصمة اي فما طريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع
في ذلك الشر قال السيف اي تحصل العصمة باستعمال السيف او طريقها ان تضربهم
بالسيف قال قتادة المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح ويمكن ان يشمل
ما وقع من معاوية مع علي رضي الله عنهما فان الحق كان مع علي وان العصمة كانت
بالمقاتلة مع معاوية يدل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية وقد قال
تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله قلت وهل بعد السيف بقية اي من
الشر او من الخير قال الشارح اي هل يبقى الاسلام بعد محاربتنا اياهم قال نعم تكون
امارة بكسر الهمزة اي ولاية وسلطنة على اقذاء في النهاية الاقذاء جمع قذى والقذى
جمع قذاة وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب او تبن او وسخ او غير ذلك
اراد ان اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين وكونها قال القاضي
اي امارة مشوبة بشيء من الفتن البدع وارتكاب المناهي وهدنة بضم الهاء اي صلح
على دخن بفتحتين اي مع خداع ونفاق وخيانة وفي الفائق هدن اي سكن ضرب مثلا لما
بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر انتهى ويمكن ان يكون المعنى ثم يكون
اجتماع الناس على من جعل اميرا بكراهية لغير طيب قلوب الناس فعلته كذا وفي العين
قذى اي فعلته على كراهته واغماض عين كما ان العين التي يقع فيها القذى ظاهرها
صحيح وباطنها جريح واصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب الى السواد فيكون
فيه اشعار الى انه صلاح مشوب بالفساد فيكون اشارة الى صلح الحسن مع معاوية
وتفويض الملك اليه واستقرار امر الامارة عليه وبه يظهر ان معاوية بصلح
الحسن لم يصر خليفة خلافا لمن يوهم خلاف ذلك والله اعلم قلت ثم ماذا اي ماذا يكون
قال ثم تنشأ اي تظهر دعاة الضلال اي جماعة يدعون الناس الى البدع والمعاصي

فان كان لله في الارض خليفة اي موجودا فيها ولو من صفته انه جلد ظهرك اي ضربك
بالباطل واخذ مالك اي بالغصب او ما لك من المنصب والنصيب بالتعدي فاطعه
اي ولا تخالفه لئلا يثور فتنة والا اي وان لم يكن لله في الارض خليفة فمت اي من
مات بموته اشارة الى قوله موتوا قبل ان تموتوا وكانه عبر عن الخمول والعزلة بالموت
فان لذة غالب الحياة يكون بالشهرة والخلطة والجلوة وانت عاض بتشديد الضاد
والجملة حالية اي حال كونك آخذا بقوة وماسكا لشدة على جذل شجرة بكسر الجيم وتفتح
اصلها قال القاضي اي فعليك بالعزلة والصبر على مضض الزمان والتحمل لمشاقه
وشدائده وعض جذل الشجر وهو اصله كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم فلان
يعض بالحجارة لشدة الالم ويحتمل ان يكون المراد منه ان ينقطع عن الناس ويتبوء
ويلزمها الى ان يموت او ينقلب الامر من قولهم عض الرجل بصاحبه اذا لزمه ولصق به
ومنه عضوا عليها بالنواجذ وقيل هذه الجملة شرطية قوله فاطعه ومعناه ان لم
تطعه ادتك المخالفة الى ما لا تستطيع ان تصبر عليه ويدل على المعنى الاول قوله
في الرواية الاخرى فتنة عمياء صماء عليها دعاة على ابواب النار فان مت يا حذيفة
وانت عاض على جذل خير لك من ان تتبع احدا منهم قال الطيبي على الوجه الاول لفظه
خبر ومعناه الامر وهو قسيم لقوله فان كان لله في الارض خليفة وعلى الثاني هو مسبب
من قوله فاطعه هذا وفي نسخة فمت بصيغة الخطاب من اللقيا مرتبا فمت قال السيد
جمال الدين اي فهو خبر بمعنى الامر كذا في الازهار قلت ثم ماذا من الفتن قال ثم يخرج
الدجال اي زمن المهدي بعد ذلك اي بعد ما ذكر من وقوع انواع الشرور والفتن معه
نهر بسكون الهاء وفتحها اي نهر ماء ونار اي خندق نار قيل انهما على وجه التخييل من طريق
السحر والسيميا وقيل ماؤه في الحقيقة نار وناره ماء فمن وقع في ناره اي من خالفه
حتى يلقيه في ناره واضاف النار اليه ايماء الى انه ليس بنار حقيقة بل سحر وجب
اجره اي ثبت وتحقق اجر الواقع وحط اي ورفع وسومح وزره اي اثمه السابق ومن
وقع في نهره اي حيث وافقه في امره وجب وزره اي اللاحق وحط اجره اي بطل
عمله السابق قلت ثم ماذا قال ثم ينتج بصيغة المجهول اي ثم يولد المهر بضم
ميم وسكون هاء ولد الفرس قال التوربشتي ينتج من النتج لا من النتاج وهو
الولادة ولا من الانتاج يقال نتجت الفرس والناقة على بناء ما لم يسم فاعله نتاجا
ونتجها اهلها نتجا والانتاج اقتراب ولادها وقيل استبانة حملها فلا يركب بضم الكاف
من قولهم ركب المهر اذا حان وقت ركوبه وفي نسخة بفتح الكاف اي فلا يركب المهر لاجل
الفتن او لقرب الزمن حتى تقوم الساعة قيل المراد به زمن عيسى عليه السلام
فلا يركب المهر لعدم احتياج الناس فيه الى محاربة بعضهم بعضا والمراد ان بعد
خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة اي تكون حينئذ قيام

الساعة

الساعة قريبا قدر انتاج زمان المهر وادراكه وهذا هو الظاهر والله اعلم بالسرائر
وفي رواية اي بدل يكون امارة على اقذاء الخ قال هدنة على دخن اي صلح مع كدورة
وصفا مع ظلمة وجماعة على اقذاء اي واجتماع على اهواء مختلفة او عيوب مؤتلفة
قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي قال لا ترجع قلوب اقوام برفع قلوب وهو
الاصح وبنصبه بناء على ان رجع لازم ومتعد اي لا تصير قلوب جماعات او لا ترد الهدنة
قلوبهم على الذي اي على الوجه الذي او على الصفا الذي كانت اي تلك القلوب عليه
اي لا يكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك قلت بعد هذا
اي ايقع بعد هذا الخير شر قال فتنة اي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة
عمياء اي يعمى فيها الانسان عن ان يرى الحق صماء اي يصم اهلها عن ان يسمع فيها كلمة
الحق او النصيحة قال القاضي المراد بكونها عمياء صماء ان يكون بحيث لا يرى منها مخرجا
ولا يوجد دونها مستغاثا او ان يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون ويصمون
عن تأمل قول الحق واستماع النصح اقول ويمكن ان يكون وصف الفتنة بهما كناية
عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة امرها وصلابة اهلها وعدم التفات
بعضهم الى بعض في المشاهدة والمكالمة وامنا لها عليها اي على تلك الفتنة
دعاة اي جماعة قائمة بامرها وداعية للناس الى قبولها على ابواب النار حال اي كانهم
كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق اليها ليتفقوا على الدخول فيها فان
مت بضم الميم وكسرها يا حذيفة وانت عاض على جذل اي والحال انك على هذا المنوال
من اختيار الاعتزال والقناعة بالقليل فقشر الاشجار والمنام فوق الاحجار خير لك من
ان تتبع بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح الباء احدا
منهم اي من اهل الفتنة او من دعاتهم رواه ابو داود وكذا ابن حبان واما الرواية
الثانية فرواها ابو داود والنسائي ذكره ميرك وعن ابي ذر قال كنت رديفا
اي راكبا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي ظرف وقع صفة مؤكدة رديفا
يوما على حمار فيه دلالة على كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته
مع اصحابه وكمال قرب ابي ذر حينئذ وكذا ذكره مع الايماء الى كمال الحفظ القضية
واستحضاره اياها فلما جاوزنا بيوت المدينة قال كيف بك قال الطيبي مبتدا
وخبره والباء زائدة في المبتدا اي كيف انت اي حالك يا ابا ذر اذا كان اي وقع بالمدينة
جوع اي خاص بك او قحط عام تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك اي الذي قصدته
ان تصلي فيه حتى يجهدك بضم الياء وكسر الهاء وفي نسخة بفتحهما الجوع اي يوصل
اليك المشقة ويعجزك عن المشي من البيت الى المسجد قال قلت الله ورسوله اعلم
اي بحالي وحال غيري في تلك الحال وسائر الاحوال قال تعفف بصيغة الامر اي التزم
العفة يا ابا ذر وهي الصلاح والورع والصبر على اذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام

والشبهة وعن السؤال من المخلوق والطمع فيه والمذلة عنده قال كيف بك يا أبا ذر
في ندائه مكررا تنبيه على أخذ الحديث مقررا إذا كان بالمدينة موت أي بسبب القحط
أو وباء من عفونة هوا أو غيرها يبلغ البيت أي يصل موضع قبر الميت العبد أي قيمته
أو نفسه حتى أنه بكسر الهمزة ويفتح أي الشأن يباع القبر بالعبد هذا توضيح لما قبله
من إبهام البيت فعلى هذا النهاية المراد بالبيت ههنا القبر وأراد موضع القبور يضيق فيبتاعون
كل قبر بعبد قال التوربشتي وفيه نظر لأن الموت وإن استمر بالأحياء وفشا فيهم كل
الفشو لم ينته بهم إلى ذلك وقد وسع الله عليهم الأمكنة انتهى كلامه وأجيب بأن
موضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بأنهم لا يتجاوزون عنها وفي شرح
السنة قيل معناه أي الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لا يوجد من يحفر
قبر الميت فيدفنه إلا أن يعطي عبدا أو قيمة عبد وقيل معناه أنه لا يبقى في كل بيت
كان فيه كثير من الناس إلا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت قال المظهر يعني
يكون البيت رخيصا فيباع بيت بعبد قاله الطيبي على الوجهين الأخيرين
لا يجيء موقع حتى حسنها على الوجهين الأولين قلت بل لا يصح حينئذ وقوع حتى
ولعلها غير موجودة في المصابيح قال الخطابي قد يحتج بهذا الحديث من يذهب إلى وجوب
قطع النباش وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى القبر بيتا فدل على أنه حرز كالبيوت
قلت لا سيما وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قطع النباش لكن حمله أصحابنا على أنه للسياسة
والله سبحانه أعلم قال قلت الله ورسوله أعلم كما تقدم قال تصبر يا أبا ذر بالتشديد
الموحدة المفتوحة أمر من باب التفعل وفي نسخة تصبر مضارع صبر على أنه
خبر بمعنى الأمر أي اصبر بالبلاء ولا تجزع في الضراء ولا تنس بغيبة النعماء والسراء
وارض بما يجري من القضاء تصب الأجر من خالق الأرض والسماء قال كيف بك يا أبا ذر إذا
كان بالمدينة قتل أي شديع عظيم تغمر بسكون الغين المعجمة أي تستر وتعلو الدماء
أي كثرة دماء القتلى أحجار الزيت قيل هي محلة بالمدينة وقيل موضع بها قال
التوربشتي هي من الحرة التي كانت بها الوقعة زمن يزيد والأمير على تلك الجيوش
العاتية مسلم بن عقبة المري المستبيح لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها وقتل رجالها وعاث
فيها ثلاثة أيام وقيل خمسة فلا جرم أنه انماع كما ينماع الملح في الماء ولم يلبث أن أدركه
الموت وهو بين الحرمين وخسر هنالك المبطلون قال قلت الله ورسوله أعلم
قال تأتي من أنت منه خير معناه امرأة من يوافقك في دينك وسيرتك وقال
القاضي أي ارجع إلى من أنت جئت منه وخرجت من عنده يعني أهلك وعشيرتك قال
الطيبي لا يطابق على هذا سؤاله قال قلت وألبس السلاح والظاهر أن يقال أرجع إلى
إمامك ومن بايعته فحينئذ يتوجه أن يقول وألبس السلاح وأقاتل معه قال أي

النبي

النبي عليه السلام شاركت القوم أي في الإثم إذا أي إذا لبست السلاح المعنى لا تلبس السلاح
ولكن مع الإمام واذهب الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح هذا حاصل كلام
الطيبي لكن فيه أن إمامه إذا قاتل كيف يجوز له أن يمتنع من المقاتلة معه وقال
ابن الملك قوله شاركت لعل كيدا لزجر عن إراقة الدماء وإلا فالدفع واجب انتهى
وذكره الطيبي وقرره والصواب أن الدفع جائز إذا كان الخصم مسلما إن لم يترتب عليه
فساد بخلاف ما إذا كان العدو كافرا فإنه يجب الدفع مهما أمكن قلت فكيف أصنع
يا رسول الله قال إن خشيت أن يبهرك بفتح الهاء أي يغلبك شعاع السيف بفتح
أوله بريقه ولمعانه وهو كناية عن إعمال السيف فألق أمر من الإلقاء أي اطرح ناحية
ثوبك أي طرفه على وجهك أي لئلا تري ولا تفزع ولا تجزع والمعنى لا تحاربهم
وإن حاربوك بل استسلم لقتلك للقتال إلا أن أولئك من أهل الإسلام ويجوز
معهم عدم المحاربة والاستسلام كما أشار إليه بقوله يبوء أي يرجع القاتل
بإثمك أي بإثم قتلك وإثمه أي وبسائر آثامه رواه أبو داود وكذا ابن ماجه والحاكم في مستدركه
وقال صحيح على شرط الشيخين نقله ميرك عن التصحيح وعن عبد الله بن عمرو
وهما صحابيان جليلان ابن العاص لغيره هو الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
كيف بك يا عبد الله في رواية كيف أنت أي كيف حالك إذا أبقيت مجهول من الإبقاء أي إذا
أبقاك الله بمعنى عمرك وفي نسخة بصيغة المعلوم من البقاء أي إذا بقيت في حثالة
بضم الحاء وبالمثلثة وهي ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر والردي من كل
شيء أي في قوم رديء من الناس مرجت أي فسدت وهو بفتح الميم وكسر الراء أي فسدت
عهودهم وأماناتهم وفي نسخة أمانتهم بصيغة الإفراد على إرادة الجنس أو باعتبار
كل فرد والجمع إنما هو للمقابلة والتوزيع مع إمكان حقيقة الجمع فيها فتأمل
والمعنى لا يكون أمرهم مستقيما بل يكون كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود
ويخونون الأمانات قال التوربشتي أي اختلطت وفسدت فقلقت فيهم أسباب الديانات
نافد
واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه أي يموج بعضهم في بعض ويلتبس أمر
دينهم فلا يعرف الأمين من الخائن ولا البر من الفاجر هذا وفي نسخة رجت بفتح الراء وهو
متعد وسنده قوله تعالى مرج البحرين ففيه تمييز إلى الخنا له فالمعنى أفسدت تلك
الجماعة الحامة عهودهم وأماناتهم واختلفوا في أمور ديانتهم فكانوا كما أخبر النبي صلى
الله عليه وسلم عنهم في الاشتباك مشبهين بالأصابع المشبكة فيما كتبه ميرك على
هامش الكتاب من قوله مرجت بصيغة المجهول ورمز عليه ظا إلى أنه هو الظاهر
وعلله بأن المرج متعد والمعنى على اللزوم فهو غير ظاهر على ما يظهر من القاموس
وغيره ففي القاموس الخلط والمرج محركة الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب
وإنما يسكن مع الهرج للازدواج مرج وأمر مريج مختلط وأمرج العهد لم يف به

انتهى وفي مختصر النهاية مرج الدين فسد وقلقت اسبابه ومرجت عهودهم اي
اختلطت قال فبم تامرني قال عليك بما تعرف اي الزموا فعل ما تعرف كونه حقا ودع
ما تنكر اي واترك ما تنكر انه حق وعليك بخاصة نفسك واياك وعوامهم اي عامتهم والمعنى
الزم امر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا تتبعهم وهذا رخصة في ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كثر الاشرار وضعف الاخيار وفي رواية الزم
بيتك واملك امر من الاملاك مجهولا لشدود الاحكام اي امسك عليك لسانك ولا تكلم
في احوال الناس كيلا يوذوك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع
امر العامة رواه الترمذي وصححه قال ميرك والرواية الثانية رواها ابو داود
والنسائي ايضا وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان بين يدي
الساعة اي قدامها من اشراطها فتنا اي فتنا عظاما ومحنا جساما كقطع الليل المظلم
بكسر القاف وفتح الطاء وسكون اي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها
وعدم تبين امرها قال الطيبي يريد بذلك التباسها وفظاعتها واستمرارها
يصبح الرجل فيها اي في تلك الفتن مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا
الظاهر ان المراد بالاصباح والامساء تقلب الناس فيها وقتا دون وقت لا بخصوص
الزمانين فكانه كناية عن تردد احوالهم وتذبذب اقوالهم وتنوع افعالهم من عهد
ونقض وامانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وايمان وكفر القاعد فيها
خير من القايم والماشي فيها خير من الساعي اي كلما بعد الشخص عنها وعن اهلها خير
له من قربها واختلاط اهلها لما سيؤل امرها الى محاربة اهلها فاذا رايتم الامر كذلك
فكسروا فيها قسيكم بكسرتين وتشديد التحتية جمع القوس وفي العدول عن الكسر
الى التكسير مبالغة لان باب التفعيل للتكثير وكذا قوله وقطعوا اوتاركم للتقطيع
فيها اوتاركم وفيه زيادة من المبالغة اذ لا منفعة لوجود الاوتار مع كسر القسي
او المراد به انه لا ينتفع بها من الغير ولا يستعملها في الشر دون الخير واضربوا
سيوفكم بالحجارة اي حتى تنكسر او حتى تذهب حدتها وعلى هذا القياس الارماح
وسائر السلاح فان دخل بصيغة المفعول ونايب الفاعل على قوله على احد ومن في قوله
على احد ومن في قوله منكم بيانية فليكن اي ذلك الاحد كخير ابني ادم اي فليستسلم
حتى يكون قتيلا كهابيل ولا يكون قاتلا كقابيل رواه ابو داود وفي رواية له
اي لابي داود عند ذكر اي الحديث الى قوله خير من الساعي ثم قالوا اي بعض الصحابة
فما تامرنا ان نفعل حينئذ قال كونوا احلاس بيوتكم احلاس البيوت ما يبسط
تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها وقيل الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت
القتب والبرذعة شبهها للزومها ودوامها والمعنى الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم
كيلا تقعوا في الفتنة التي بها دينكم وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم قال في الفتنة اي في ايامها وزمنها وهو ظرف لقوله كسروا فيها قسيكم وقطعوا
فيها اوتاركم والزموا فيها اجواف بيوتكم اي كونوا ملازمين لها لئلا تقعوا في الفتنة والمحاربين
فيها وكونوا كابن ادم المطلق ينصرف الى الكامل وفيه اشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة
وهو ان هابيل المقتول المظلوم هو ابن ادم لا قابيل القاتل الظالم كما قال تعالى في حق
ولد نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وقال اي الترمذي هذا حديث صحيح غريب
وعن ام مالك البهزية بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاي وياء النسبة قال المؤلف
لها صحبة ورواية وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول قالت ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتنة فقربها بتشديد الراء فعدها قريبة الوقوع قال الاشرف
معناه وصفها للصحابة وصفا بليغا فان من وصف عند احد وصفا بليغا فكانه قرب ذلك
الشيء اليه فقلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل في ماشية اي من الغنم
ونحوها يؤدي حقها اي من الزكاة وغيرها ويعبد ربه لقوله تعالى ففروا الى الله وتبتل
اليه تبتيلا وقوله واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما
يعملون ورجل اخذ بصيغة اسم الفاعل اي ماسك براس فرسه يخيف العدو من الاخافة
بمعنى التخويف اي يخوف الكفار ويخوفونه فيه تفنن قال المظهر يعني رجل هرب
من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه يعني فيبقى سالما
من الفتنة وغانما للاجر والمثوبة رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة عظيمة وبلية جسيمة تستنظف العرب
اي تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشيء اخذته كله كذا في النهاية وفي بعض الشروح
وقيل اي تطهرهم من الارذال واهل الفتنة قتلاها جمع قتيل بمعنى مقتول مبتدا
خبره قوله في النار اي سيكونون في النار او هم حينئذ في النار لانهم يباشرون ما يوجب
دخولها فيها كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال القاضي المراد
بقتلاها من قتل في تلك الفتنة وانما هم من اهل النار لانهم ما قصدوا بتلك المقاتلة
والخروج اليها اعلاء دين او دفع ظالم او اعانة محق وانما كان قصدهم التباهي والتشاجر
طمعا في المال والملك اللسان فيها اي وقعه وطعنه على تقدير مضاف ويدل عليه رواية
الاشراف اللسان اي اطلاقه واطالته فيها اشد من وقع السيف وقال الطيبي
القول والتكلم فيه اطلاقا للمحل وارادة الحال انتهى والحاصل انه لابد من ارتكاب
احد المجازين المذكورين في قوله تعالى وسئل القرية قال المظهر يحتمل هذا احتمالين
احدهما ان من ذكر اهل تلك الحرب بسوء كمن حاربهم لانهم مسلمون وغيبة المسلمين اثم
قلت وفيه انه ورد اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس ولا غيبة لفاسق ونحو
ذلك فلا يصح هذا على اطلاقه ولذا استدرك بكلامه بقوله ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب
التي وقعت بين امير المومنين علي رضي الله عنه وبين معاوية ولا شك ان من ذكر احد

من هذين التقديرين واحكامها يكون ممتنعا لان الذين كانوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي عن الطعن فيهم فان رضي الله تعالى في مواضع من القرآن تعلق بهم فلابد ان يكون مآلهم الى التقوى ورضى المولى وجنة المأوى وايضا لهم حقوق ثابتة في ذمة الامة فلا ينبغي لهم ان يذكروهم الا بالثناء الجميل والدعاء الجزيل وهذا مما لا ينافي ان يذكر احد مجملا او معينا بان المحاربين مع علي كانوا من المخالفين او بان معاوية وحزبه كانوا باغين على ما دل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لان المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ مع توقير الصحابة وتعظيمهم جميعا في القلب لرضى الرب ولذا سئل بعض الاكابر من عمر بن عبد العزيز افضل ام معاوية قال لغبار انف فرس معاوية حين غزا في ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز اذ من القواعد المقررة ان العلماء والاولياء من الامة لم يبلغ احد منهم مبلغ الصحابة الكبراء وقد اشار الى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكذا قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله والسابقون السابقون اولئك المقربون قال المظهر والثاني ان المراد به ان من مد لسانه فيهم بشتم او غيبة يقصدونه بالضرب والقتل ويفعلون به ما يفعلون بمن حاربهم انتهى وحاصله ان الطعن في احدى الطائفتين ومدح الاخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف اللسان وهذا المعنى في غاية من الظهور فتأمل لكن الطيبي رجح المعنى الاول حيث قال ويؤيده قوله ولعل المراد بهذه الفتنة الى آخره ما روينا عن الاحنف بن قيس قال خرجت وانما اريد هذا الرجل فلقيني ابو بكرة فقال اين تريد يا احنف قلت اريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا احنف ارجع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قال فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه متفق عليه قلت محمل هذا الحديث اذا كان القتال بين المسلمين على جهة العصبية والحمية الجاهلية كما يقع كثيرا فيما بين اهل حارة وحارة وقرية وقرية وطائفة وطائفة من غير ان يكون هناك باعث شرعي لاحدهما ولا يصح حمل الحديث على اطلاقه لئلا ينافي قوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي ولان الاجماع على ان قتال طائفة على البغاة ليسوا في النار فكلام ابي بكرة اما محمول على انه كان مترددا متحيرا في امر علي ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل واما فهم من كلام الاحنف انه يريد حماية العصبية لا اعلاء الكلمة الدينية على ما تشير

اليه

اليه بقوله اريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل اريد معاونة الامام الحق والخليفة المطلق وبهذا تبين ان حمل هذه الفتنة على قضية على لا يجوز ولو بما قال الطيبي واما قوله قتلاها في النار فللزجر والتوبيخ والتغليظ واما كف الالسنة من الطعن فيهم فان كلا منهم مجتهد وان كان علي رضي الله عنه مصيبا فلا يجوز الطعن فيهما لا سلم للمؤمنين ان لا يخوضوا في امرها قال عمر بن عبد العزيز تلك دماء طهر الله ايدينا منها فلا نلوث السنتنا بها قال النووي كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لانه كان بالاجتهاد والمجتهد اذا اخطأ لا اثم عليه وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب اهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته قلت وسبب هذا التحير لم يكن في ان عليا احق بالخلافة ام معاوية لانهم اجمعوا على ولاية علي واجتمع اهل الحل والعقد على خلافته وانما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة عثمان حيث تعلل معاوية بانه لما سلم لك الامر حتى يقتل اهل الفساد والشرور ممن حاصر الخليفة واعان على قتله فان هذا ثلمة في الدين وخلل في ائمة المسلمين واقتضى رأي علي وهو الصواب ان قتل قتلة الفتنة تجر الى اثارة الفتنة التي هي تكون اقوى من الاولى مع ان هجوم العوام وعدم تعين احد منهم بمباشرة قتل الامام ليس بموجب للامام اخران يقتلهم قتلا عاما ولا من بينهم يقتله من غير حجة وبينة شرعية لا سيما وقد رجعوا الى الحق ودخلوا في بيعة الخليفة ومن المعلوم ان اهل البغي اذا رجعوا عن بغيهم او شرهم واعتذروا لهم فليس لاحد ان يتعرض لهم هذا ولما كان صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن وحذر عن الدخول فيها ورغب عن البعد وهرب عن القرب اليها واطلقها نظرا الى فساد غالبها ولم يبين هذه الفتنة لخصوصها مفصلة وان وقعت مجملة بحرفيها بعض الصحابة وظنوا ان الاسلام فيها بالخصوص ايضا ما ذكره صلى الله عليه وسلم فيها بالعموم لكن لما تبين لهم في الآخر حقية علي كرم الله وجهه وخطأ معاوية ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الجلوة ولله حكمة في ذلك كله لله الامر من قبل ومن بعد فلا مقدم لما اخر ولا مؤخر لما قدم والله اعلم رواه الترمذي وابن ماجة قال ميرك ورواه ابو داود وايضا كلهم مرفوعا وقال البخاري الاصح وقفه على عبد الله ابن عمرو بن العاص اقول لكن هذا الموقوف في حكم المرفوع لان قوله قتلاها في النار لا يتصور ان يصدر من اي احد وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صماء عمياء اي باعتبار اصحابها حيث لا يجدون لها مستمعا ولا يرون منها مخرجا وخلاصا او المعنى لا يميزون فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون النصيحة

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بل من تكلم فيها بحق اوذي ووقع في الفتن والمحن
من استشرف لها اي من اطلع عليها وقرب منها استشرفت له اي اطلعت تلك الفتنة
عليه وجذبته اليها واشراف اللسان اي اطلاقه واطالته فيها كوقوع السيف اي في
تاثيره بل ابلغ لما قيل جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان ولهذا
قال في الرواية السابقة اشد من وقع السيف رواه ابو داود وعن عبد الله
ابن عمر قال كنا قعودا اي قاعدين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن
اي الواقعة في اخر الزمن فاكثر اي البيان في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس سبق
معناه اللغوي قال قائل وما فتنة الاحلاس قال هي هرب بفتحتين اي يفر بعضهم
من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة وحرب بفتحتين اي اخذ مال واهل
بغير استحقاق ثم فتنة السراء بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى فكانه قال
وفتنة الاحلاس حرب وهرب وفتنة السراء وفي نسخة بالنصب عطفا على فتنة
الاحلاس والمراد بالسراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من
البلاء والوباء واضيفت الى السراء لان السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة
التنعم او لانها تسر العدو وقال التوربشتي يحتمل ان يكون سبب وقوع الناس في
تلك الفتنة وابتلائهم بها اثر النعمة فاضيفت الى السراء يعني يكون التركيب
من قبيل اضافة الشيء الى سببه ويحتمل ان يكون صفة للفتنة فاضيفت اليها
اضافة مسجد الجامع ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد ومن ذلك قولهم
قفاه سر اذا كانت وسيعة يعني يكون التقدير فتنة الحادثة السراء اي الواسعة
التي تعم الكافة من الخاصة والعامة وقوله دخنها بفتحتين اي اثارتها وهيجها
شبهها بالدخان الذي يرتفع كما يشبه الحرب بالنار وانما قال من تحت قدمي رجل من اهل
بيتي تنبيها على انه هو الذي يسعى في اثارتها او الى انه يملك امرها يزعم انه مني
اي في الفعل وان كان مني في النسب وليس مني اي من اخلائي او من اهلي في الفعل لانه
لو كان من اهلي في الفعل لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح او ليس من اوليائي في الحقيقة ويؤيده قوله انما اوليائي المتقون وهذا
ابلغ من حديث ال محمد كل تقي ثم يصطلح الناس على رجل اي يجتمعون على بيعة
رجل كورك بفتح وكسر على ضلع بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع او الاضلاع والتنكير
للامر فيه جار على ما فيه الصلاح وهذا مثل والمراد انه لا يكون على ثبات لان
الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته والمعنى انه يكون غير اهل للولاية لقلة
علمه وخفة رايه وحلمه وفي النهاية اي يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة
لامره لان الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده
وفي شرح السنة معناه ان الامر لا يثبت ولا يستقيم له وذلك ان الضلع لا يقوم

بالورك

بالورك ولا يحمله وحاصله انه لا ينتظم ولا يستقيم له ذلك فلا يقع عنه الامر موقعه
كما ان الورك على ضلع يقع غير موقعه قال وانما يقال في باب الملاءمة والموافقة اذا وصفوا به
هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك يريد ان هذا الرجل غير خليق للملك ولا
مستقل به ثم فتنة الدهيماء بالرفع وينصب على ما سبق وهي بضم ففتح والدهماء السوداء
والتصغير للذم اي الفتنة الظلماء والطامة العمياء وفي النهاية هي تصغير الدهماء
ويريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم وقيل اراد بالدهيماء الداهية ومن اسماء
الداهية الدهيم زعموا ان الدهيم اسم ناقة غزا عليها اخوة سبعة فقتلوا عن
اخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا في كل داهية لا تدع اي لا تترك تلك
الفتنة احدا من الامة الا لطمته لطمة اي اصابته بمحنة ومسته ببلية واصل
اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف والمراد ان اثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل
الى كل احد من ضررها قال الطيبي هو استعارة مكنية شبه الفتنة بانسان ثم خيل
لاصابتها الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها فاذا قيل
انقضت فيها توهموا ان تلك الفتنة انتهت تمادت بتخفيف الدال اي بلغت المدى
اي الغاية من التمادي وفي نسخة بتشديد الدال من التماد وهو تفاعل من المد اي استطالت
واستمرت واستقرت يصبح الرجل فيها مؤمنا لتحريمه دم اخيه وعرضه وماله ويمسي
كافرا اي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك حتى يصير الناس الى فسطاطين بضم الفاء ويكسر
اي فرقتين وقيل مدينتين واصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل وارادة
الحال فسطاط ايمان بالجر على انه بدل وفي نسخة بالرفع واعرابه مشهور اي ايمان خالص
لا نفاق فيه لا في اصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله وفسطاط نفاق لا ايمان
له اي اصلا او كمالا لما فيه من اعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد
وامثال ذلك فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال اي ظهوره من يومه او من غده وهذا
يؤيد ان المراد بالفسطاطين المدينتين فان المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره
الدجال فينزل عيسى عليه السلام فيذوب الملعون كالملح يماع في الماء فيطعنه بحربة
له فيقتله فيحصل الفرج التام والفرح التمام كما قال سيد الانام اشتدي ازمة
تنفرجي وقال تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين وهما
بينا الافتراق بين الفريقين وضيا انوارهما في امر الكونين قال الطيبي الفسطاط بالضم
والكسر المدينة التي فيها مجتمع الناس وكل مدينة فسطاط واضافة الفسطاط
الى الايمان اما بجعل المؤمنين نفس الايمان مبالغة واما بجعل الفسطاط مستعارا
للكنف والوقاية على المصرحة اي هم في كنف الايمان ووقايته رواه ابو داود اي وسكت
عليه واقره المنذري ورواه الحاكم وصححه واقره الذهبي في المستدرك ورواه الحاكم
وصححه الذهبي نقله ميرك عن تصحيح الجزري وعن ابي هريرة ان النبي صلى

الله عليه وسلم قال ويل للعرب الويل طول الشر وهو تفجيع او ويل كلمة عذاب او واد في جهنم وخص العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من اسلم من شر اي عظيم قد اقترب اي ظهوره والاظهر ان المراد به ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه بقوله فتح من ردم ياجوج وماجوج الحديث كما تقدم والله اعلم قال الطيبي اراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين من وقعة عثمان رضي الله عنه او ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنهما قلت او اراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى اقرب لان شره ظاهر عند كل احد من العجم والعرب وقال ابن الملك قوله من شر اي من خروج جيش يقاتل العرب وقيل اراد به الفتن الواقعة في العرب اولها قتل عثمان واستمرت الى الان اقول ولم يعرفوا ما يقع في مستقبل الزمن والله المستعان وعليه التكلان افلح اي فاز وظفر على المدعي وانتظر على الاعداء من كف يده اي عن الاذى وترك القتال اذ لم يتميز الحق من الباطل قول وكتب الطيبي وجه عدول الشراح عن المعنى الذي قدمته الى ما ذكره ان قوله افلح من كف يده يدل على خلاف ذلك فان وقت خروجهم ليس لاحد طاقة المقاتلة معهم ثم ورد هذا الحديث عقيب الاول فقد يروينا مثل اللهم الا ان يقال ان هذا جملة مستقلة والمعنى افلح من كف يده عمن قال لا اله الا الله الا باذن شرعي حكم به وقضاه رواه ابو داود اي باسناد رجاله رجال الصحيح والحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله قد افلح من كف يده نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ المشكاة رواه ابو داود والحاكم وفيه ايضا حديث ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره رواه احمد والنسائي والحاكم وابن حبان عن ابي سعيد وفيه ايضا حديث ويل لامتي من علماء السوء رواه الحاكم في تاريخه عن انس وعن المقداد بن الاسود قال المؤلف هو ابن عمرو الكندي وذلك ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي ابن الاسود لانه كان تحت حلفه او لانه كان في حجره وقيل كان عبدا فتبناه وكان سادسا في الاسلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السعيد لمن باللام المفتوحة للتاكيد في خبر ان اي للذي جنب بضم الجيم وتشديد النون المكسورة اي بعد الفتن منصوب على انه مفعول ثان ومنه ما ورد من الدعاء اللهم جنبنا الشيطان وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي لمن بعد عنها ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن كررها ثلاثا للمبالغة في التاكيد ويمكن ان يكون التكرار باعتبار اول الفتن واوسطها واخرها ولمن ابتلي اللام للابتداء اي لمن امتحن بتلك الفتن فصبر اي على اذاهم ولم يجارهم في ذلك الاذى فواها بالتنوين اسم صوت ومع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي وقال ابن الملك معناه التلهف وقد يوضع موضع الاعجاب للشيء والاستطابة له اي ما احسن وما اطيب صبر من صبر

وقيل

وقيل معناه وطوبى له وفي النهاية قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقيل يوضع الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد يرد بمعنى التوجع وقيل يقال في التوجع اهاً له قال الطيبي ويجوز ان يكون فواها خبر لمن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط تعالى هذا ففيه معنى التعجب اي من ابتلي فصبر فطوبى له وان لا يكون خبرا على ان اللام مفتوحة ويكون قوله ولمن ابتلي عطفا على قوله لمن جنب الفتن فعلى هذا واها للتحسر اي تواها على من باشرها وسعى فيها انتهى ويؤيده ما في الجامع بلفظ ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلي فصبر وقيل اللام مكسورة ويكون فواها بمعنى التعجب اي ولمن ابتلي فصبر يعجب التعجب من حاله هذا وفي القاموس واها ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف اي من تلف شيء رواه ابو داود وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع السيف في امتي اي من بعضهم لبعض لم يرفع عنها الى يوم القيامة فقد ابتدى في زمن معاوية وهلم جرا لا يخلو عنه طائفة من الامة فصدق في اخباره امام الائمة ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض وتحقيقه في الاحاديث المنثورة في تفسير الدر المنثور ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين منها ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في الخلافة الصديق رضي الله عنه وحتى تعبد قبائل من امتي الاوثان اي الاصنام حقيقة ولعله يكون فيما سياتي او معنى ومنه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وانه اي الشان سيكون في امتي كذابون اي في دعوتهم النبوة ثلاثون اي هم او عددهم ثلاثون كلهم يزعم افرد اللفظ كل انه نبي الله وانا خاتم النبيين بكسر التاء وفتحها والجملة حالية وقوله لا نبي بعدي تفسير لما قبله ولا تزال طائفة من امتي على الحق خبر لقوله لا تزال اي ثابتين على الحق في حال كونهم غالبين على العدو لا يضرهم من خالفهم اي لثباتهم على دينهم حتى ياتي امر الله متعلق بقوله لا تزال رواه ابو داود والترمذي وكذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع لا تزال طائفة من امتي ظاهرين حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم تدور رحى الاسلام اي يستقر وتستمر دائرة رحى الاسلام اي يستقر وتستمر دائرة رحى الاسلام وتستقيم دورانها على وجه النظام او تبتدي دوران دائرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته في الاسلام لخمس وثلاثين اي لوقت خمس وثلاثين من ابتداء ظهوره وقلة الاسلام وهي من هجرة خير الانام وبانتهاء المدة ينقضي خلافة الخلفاء الثلاثة بلا خلاف بين الخاص والعام اذ بعدها مقتل عثمان رضي الله عنه او ست وثلاثين وفيه قضية الجمل او سبع وثلاثين وفيها وقعة صفين واو فيها للتنويع او بمعنى بل فان الاخيرتين اهون مما بعدهما لا سيما امر الاسلام ونظام الاحكام وظهور الصحابة والعلماء الاعلام ولهذا قال فان يهلكوا اي ان اختلفوا بعد ذلك واستمروا في امر الدين وافترقوا

المعاصي فسبيل من هلك اي فسبيلهم سبيل من هلك من الامم الماضية الذين زاغوا
عن الحق في اختلافهم وزيغهم عن الحق ووهنهم في الدين وسعي اسباب الهلاك والاشتغال
بما يؤدي اليه هذا كله مجمل الكلام واما تفصيل المرام فقال الخطابي دوران الرحى
كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحا الدوارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف
الارواح وهلاك الانفس قال الشاعر ٭ فدارت رحانا واستدارت رحاهم ٭ قلت
هو معنى ما قال غيره فيوما علينا ويوما لنا ٭ فيوم نساء ويوم نسر ٭ وقال تعالى وتلك
الايام نداولها بين الناس ثم الرحى وان كان فيها ما ذكر من تلف الارواح وهلاك
الانفس لكن فيها ايضا قوت الاشباح وقوة الارواح قال التوربشتي العرب
يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى ويقولون دارت رحا الحرب اي استتب
امرها ولم نجدهم استعملوا دوران الرحى في امر الحرب من غير جريان ذكرها والاشارة
اليها وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وانما قال رحى الاسلام فالاشبه انه اراد بذلك
ان الاسلام يستتب امره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ويصح
ان يستعار دوران الرحى في الامر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له فان الرحى يوجد
على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة ويقال فلان صاحب دارتهم اذا كان امرهم
يدور عليه ورحا الغيث معظمه ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه الحربي في بعض طرقه
تزول رحى الاسلام مكان تدور ثم قال كان تزول اقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها
واشار بالسنين الثلاث الى الفتن مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس
وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست وحرب صفين وكانت سنة سبع فانها كانت
متتابعة في تلك الاعوام الثلاثة وان يقم لهم دينهم اي وان صفت تلك المدد
ولم يتفق لهم اختلاف وضرر في الدين وضعف في التقوى يقم لهم سبعين عاما يتمادى
بهم قوة الدين واستقامة امره سبعين سنة وقد وقع المحذور في الموعد الاول
ولم يزد ذلك كذلك الى الان قال الخطابي اراد بالدين الملك قال ويشبه ان يكون اراد
بهذا ملك بني امية وانتقاله عنهم الى بني العباس وكان ما بين استقرار الملك لبني
امية الى ان ظهرت الدعاة بخراسان وضعف امر بني امية ودخل الوهن فيه نحوا
من سبعين سنة قال التوربشتي يرحم الله ابا سليمان فانه لو تامل الحديث كل التامل
وبنى التاويل على سياقه لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك ملك بني
امية دون غيرهم من الامة بل اراد به استقامة امر الامة في طاعة الولاة واقامة
الحدود والاحكام وجعل المبدا فيه اول زمان الهجرة واخبرهم انهم يلبثون على ما هم
عليه خمسا وثلاثين او ستا وثلاثين او سبعا وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف
ويفرقون كلمتهم فان هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وان عاد امرهم الى ما كان
عليه من ايثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك الى تمام السبعين هذا مقتضى

اللفظ ولو اقتضى اللفظ ايضا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول فان الملك في ايام
بعض العباسية لم يكن اقل استقامة منه في ايام المروانية ومدة امارة بني امية
من معاوية الى مروان بن محمد كانت نحوا من تسع وثمانين سنة والتواريخ تشهد له
مع ان بقية الحديث ينقض كل تاويل يخالف تاويلنا هذا وهو قول ابن مسعود قلت
اي يا رسول الله مما بقي او مما مضى يريد ان السبعين يتم لهم مستانفة بعد خمس
وثلاثين ام يدخل الاعوام المذكورة في جملتها قال مما مضى يعني يقوم لهم امر دينهم
الى تمام سبعين سنة من اول اولية الاسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين او ست
وثلاثين او سبع وثلاثين الى انقضاء سبعين وفي جامع الاصول قيل ان الاسلام
عند قيام امره على سنن الاستقامة والبعد من احداث الظلمة الى ان ينقضي
مدة خمس وثلاثين سنة ووجهه ان يكون قد عد قاله وقد بقيت من عمره صلى الله
عليه وسلم خمس سنين او ست فاذا انضمت الى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي
ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ وان كان اراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة
ففيها خرج اهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه وان كانت سنة ست وثلاثين
ففيها كانت وقعة الجمل وان كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين
رواه ابو داود

الفصل الثالث

عن ابي واقد الليثي قال المؤلف
هو الحارث بن عوف قديم الاسلام يعد في اهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج لغزوة حنين اي بعد فتح
مكة ومعه بعض من دخل في الاسلام حديثا ولم يتعلم من ادلة الاحكام ما به ولا احوالها
مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم ويعكفون حولها يقال لها ذات انواط
جمع نوط وهو مصدر ناطه اي علقه فقالوا اي بعضهم ممن لم يكمل لهم تربية التوحيد
ولم يطلع على حقيقة التفريد يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط اي
شجرة نحن ايضا نعلق عليها اسلحتنا وكانهم ارادوا به الصورية والمتابعة
العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان
الله تنزيها وتعجبا هذا اي هذا القول منكم كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة
لكن لا يخفى بينهما من التفاوت المستفادة من التشبيه حيث يكون المشبه به
اقوى والذي نفسي بيده لتركبن بضم الموحدة اي لتذهبن انتم ايها الامة سنن
من قبلكم بضم السين اي طرقهم ومناهجهم وسبل افعالهم نسخة بفتحها اي على منوالهم
وطبق حالهم وشبه فعالهم رواه الترمذي ورواه ايضا مرفوعا لياتين على امتي
ما اتى على بني اسرائيل والنعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان في
امتي من يصنع ذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان احدهم جامع امراته بالطريق

لتعلموه وعن ابن المسيب بفتح التحتية المشددة وقد يكسر تابعي جليل قال وقعت الفتنة الاولى يعني هذا كلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير لكلامه اي يريد الفتنة الاولى مقتل عثمان فلم يبق من اصحاب بدر احد هذا كلام ابن المسيب اي انهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان الى ان قامت الفتنة الاخرى بوقعة الحرة والحاصل انهم ما ابتلوا بالفتنة من زمن علي صانهم الله ببركة غزوة بدر ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة هذه ارض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة في الاسلام ايام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من اهل الشام الذين ندبهم لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين وامر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين فلم يبق من اصحاب الحديبية بالتخفيف ويشدد اي من اهل بيعة الرضوان احد ثم وقعت الفتنة الثالثة لعلها فتنة ابن الزبير وما حصل لدولة اهل مكة من الحجاج فلم ترتفع وفي نسخة فلم ترتفع بالناس طباخ اي احد وهو بفتح الطاء وتخفيف الباء الموحدة وبالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق والمفهوم من النهاية فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطاء فقد في القاموس الطباخ كسحاب ويضم القوة والاحكام والسمن قال الطيبي اصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل في غيره فقيل فلان لا طباخ له اي لا عقل ولا خير عنده اراد انها لم تبق في الناس من الصحابة احدا فالمراد بالناس الصحابة فقال للعهد رواه البخاري

باب الملاحم

بفتح الميم وكسر الحاء جمع الملحمة وهي المقتلة او هي الواقعة العظيمة وفي النهاية هي الحرب وموضع القتال ماخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدا وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها انتهى ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم نبي الملحمة وفيه اشارة الى انه معدن الجلال كما انه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال وانما اطلق سبحانه في حقه قوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين بناء على غالبية رحمته لتخلقه باخلاق الله وصفته كما ورد في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي ولذا ينادي بيا ارحم الراحمين بل الملحمة في الحقيقة عين المرحمة كما ان المحن من عنده سبحانه هي المنح والمنة والبلاء عين الولاء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

الفصل الاول

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة بتانيث الفعل ويذكر وكذا قوله حتى تقتتل فئتان عظيمتان اي لكثرتهما كمية وكيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة ويمكن حمله على التغليب اذ الجماعة العظيمة في الحقيقة انما كانت جماعة علي كرم الله وجهه قال الاكمل وهذا من المعجزات لانه وقع بعده في صدر الاول بينهما مقتلة عظيمة اي حرب عظيم وقتال قوي دعواهما واحدة اي كل واحدة من الفئتين يدعي الاسلام

قال

قال ابن الملك المراد علي ومعاوية ومن معهما ويؤخذ من قوة دعواهما واحدة الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين انتهى وفي كونه الحديث رد اعليهم بمجرد دعوى لا يخفى فانه لا يلزم من تحقق الدعوى المدعي وحصول المعنى مع الدعوى ان قد يعرى الى دعوى الخلافة ونحوها وحتى يبعث اي يرسل من عالم الغيب الى صحن الوجود ويظهر دجالون اي مبالغون في فساد العباد والبلاد كذابون اي على الله ورسوله في شرح السنة كل كذاب دجال يقال دجل فلان الحق بباطله غطاه ومنه اخذ الدجال ودجله سحره وكذبه وقيل يسمى الدجال دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا موه ولبس قريب من ثلاثين وهذا الابهام في جزمه فيما سبق بقوله ثلاثون فانه اما متاخر واما المراد منه التقريب اذ لغاء الكسر وكذا لا ابهام فيما رواه الطبراني عن ابن عمرو لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا فان المراد به التكثير او لان الثلاثين مقيدون بدعوى النبوة والباقون بغيرها على احتمال ان السبعين غير الثلاثين فيكمل المائة والله اعلم كلهم يزعم انه رسول الله وفي نسخة نبي الله وحتى يقبض اي يوخذ ويرفع العلم اي النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلماء من اهل السنة والجماعة فيكثر اهل الجهل والبدعة ويكثر الزلازل اي الحسية وهي تحريك الارض والمعنوية وهي انواع البلية قال موت العالم موت العالم ويتقارب الزمان قال الخطابي اراد به زمان المهدي لوقوع الامن في الارض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فيستقصر مدته لانهم يستقصرون مدة ايام الرخاء وان طالت ويستطيلون ايام الشدة وان قصرت ويظهر الفتن اي ويترتب عليها المحن ويكثر الهرج قيل المراد بكثرته شموله ودوامه وهو اي الهرج هو القتل يحتمل ان يكون مرفوعا والاظهر انه تفسير من احد الرواة فهو جملة معترضة وحتى يكثر فيكم المال فيفيض بالنصب ويرفع من فاض الماء اذا انصب عند امتلائه والضمير الى المال فهو مبالغة لحصول المال في المال حتى يهم بضم الياء وكسر الهاء وتشديد الميم من اهمه احزنه واقلقه وقوله رب المال منصوب على انه مفعوله والفاعل قوله من يقبل صدقة على تقدير مضاف اي حتى يوقع في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث لم يجد من يقبله والتمليك شرط لحصول الزكاة كما ان القبض شرط لوصول الصدقة وفي بعض النسخ بضم الياء وفتح الهاء على ان همه لغة بفتح الياء وضم الهاء بمعنى احزنه فرب المال منصوب على حاله وفي بعضها برفعه على انه فاعل ومن مفعوله اي يقصده رب المال عكس المتعارف في بقية الازمنة والاحوال من همه به اذا قصده فيكون من باب الحذف والايصال والمعنى الاول هو المعول فتامل قال النووي في شرح مسلم ضبطوه بوجهين واشهرهما ضم اوله وكسر الهاء قال الطيبي وفي جامع

الاصول مقتبس بضم الباء ورب المال مفعوله والموصول مع صلته فاعله وقوله
وحتى يعرضه اي بكسر الراء عطف على مقدر والمعنى حتى يهم طالب من يقبل الصدقة
صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه اي حتى يعرض المال الذي
اراد ان يتصدق به على من يظن انه يقبله فيقول الذي يعرضه عليه لا ارب لي به
بفتح الهمزة والراء اي لا حاجة لي اليه اما لغنى قلبه او لغنى يده والاظهر انه لهما جميعا
فكان الخير وسع الجميع بما فيه وقنع كل احد بما يكفيه ولا يريد ما يطغيه او ما لا يعنيه
والاظهر المعلوم انه لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف
ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب على ما ورد في الحديث بل في القران المنسوخ
التلاوة فكان اهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا الى مقام
الرضا بالقضا والقنا عة بالكفاية والاستغنا بما قسمه الله عن الناس فان
الاستيناس بالناس من علامة الافلاس وحتى يتطاول الناس في البنيان اي حتى
يتزايدوا في طوله وعرضه ويفتخروا في تزيينه وتحسينه وهذا غير مقيد بزمان
المهدي بل المراد به اما بعده واما قبله فان الان قد كثر البنيان وافتخر به اهل الزمان
وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارات الموضوعة للخيرات وجعلوها
دورا وبساتين ومواضع التنزهات ومحال البليات وحتى يمر الرجل اي من كثرة
همومه وعمومه في امر دينه ودنياه او كثرة بلاياه وفتنه دوايه بقبر الرجل اي من
اقاربه او اجانبه فيقول بالنصب ويرفع يا ليتني مكانه نقل بالمعنى اذ لفظه
مكانك اي ليتني كنت ميتا حتى لا ارى الفتنة ولا اشاهد المحنة وحتى تطلع
الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون تاكيد الناس وضميره
اي كلهم لما راوه من الاية الملجئة والعلامات العيانية وكان المطلوب منهم
الايمان في الحالة الغيبية كما اشار اليه سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ولذا قال
وذلك اي الوقت حين لا ينفع نفسا ايمانها وكذا ما يترتب على ايمانها من عمل خيرها
الحادثين في ذلك الوقت كما بينه بقوله لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
فاو للتنويع اذ قد يوجد ايمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالايمان لكن لما كان
وقوعهما في حال الباس ووقت الياس لا يكونان نافعين قال تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا وقيل التقدير لا ينفع ايمانها ولا كسبها ان لم تكن امنت من قبل
او لم تكن كسبت فاتكلم من اللف التقديري والنشر الظاهري هذا وقيل جملة لم تكن
امنت صفة نفس والاولى ان تحمل على الاستيناف لئلا يقع الفصل بين الصفة
والموصوف وقوله من قبل اتيان بعض ايات الرب على ما في القران مبهما ومجملا
ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في حديث مفسر ومبينا ثم قيل او كسبت
عطف على امنت والمراد بالخير التوبة والاخلاص فتنوينه للتعظيم اي لا ينفع

تلك

تلك النفس ايمانها وقبول توبتها فيقبل ان او للتنويع فكانه قال لا ينفع توبة
عن الشرك ولا توبة عن المعاصي وبهذا ايندفع استدلال المعتزلة بالاية على
العمل المعبر عنه بالخير جزء للايمان مع ان ظاهر قوله تعالى في ايمانها خيرا يدفع
ذلك ثم قيل عدم قبول الايمان والتوبة في ذلك الوقت مخصوص بمن شاهد
طلوعها حتى ان من ولد بعده او لم يشاهد يقبل كلاهما منه والصحيح انه غير
مخصوص للخبر الصحيح ان التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها فاذا
طلعت الشمس من مغربها اغلق ولتقومن الساعة اي النفخة الاولى وهي مقدمة
الساعة فاطلقت عليها وقد نشر الرجلان الجملة حالية اي والحال انهما فتحا
وفرقا ثوبهما بينهما الاضافة لاحدهما على انه صاحبه وللاخر على انه طالبه
فلا يتبايعانه اي لا يكملان البيع والشرى ولا يطويانه اي ولا يجمعان الثوب بل يفرقان
بل يبلغ الساعة عليهما وهما مشغولان بالبيع والشرى قال تعالى ما ينظرون
الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
يرجعون وحاصله ان قيام الساعة يكون بغتة لقوم وهم في اشغالهم
كما قال تعالى لا تاتيكم الا بغتة ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته
بكسر اللام وسكون القاف اي ناقة ذات لبن فلا يطعمه اي فلا يمكن الرجل ان يشرب
اللبن الذي طلبه وهو في يده ولتقومن الساعة وهو يليط بفتح اوله اي يطين
ويصلح حوضه اي ليسقي ابله او غنمه منه فلا يسقي اي ابله وهو بفتح الياء ويجوز
ضمها فيه اي في ذلك الحوض او من ما يه والمعنى ان الساعة تاخذ الناس بغتة
تاتيهم وهم في اشغالهم فلا تمهلهم ان يتموها ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته
بضم الهمزة اي لقمته الى فيه فلا يطعمها اي فلا يبلعها ولا ياكلها وهذا ابلغ مما قبله
من الصور متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر بفتحتين ويسكن
العين من جلود مشعرة غير مدبوغة وحتى تقاتلوا الترك قال السدي الترك
شرذمة من ياجوج وماجوج وعن قتادة انهم كانوا اثنين وعشرين قبيلة
بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا
بذلك لانهم تركوا خارجين صغار الاعين بالنصب وهو من امارات الحرص على
امتعة الدنيا صغيرها وحقيرها والبخل على كثيرها وقطميرها حمر الوجوه اي من
شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في اجوافهم ذلف الانوف بضم الذال المعجمة
اي صغيرها فيكون كناية عن عدم شموخهم الكبرا وعريضها فيدخل فيها الحق
والباطل من غير تمييز لهم بينهما والاظهر ان معناه فطس الانوف كما في الرواية
الاتية جمع افطس من الفطس بالتحريك وهو تطامن قصبة الانف وانتشارها

فرجع الى معنى عريضة وقال القاضي ذلف جمع اذلف وهو الذي يكون انفه صغيرا ويكون في طرفه غلظ كان بتشديد النون وجوههم المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس المطرقة بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقا فوق طبق وقيل هي التي البست طراقا اي جلدا لغشاها وقيل هي اسم مفعول من الاطراق وهو جعل الطراق بكسر الطاء اي الجلد على وجه الترس تمامي تشبيه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها وفيه اشارة الى انهم لكبر وجوههم وادارتها وكثرة لحمها ويبوستها ابو الوجوه الطامحة في المال والاهل ليس فيها الصفة الانسانية ولا ملايمة الاحسانية بل كانهم نوع اخر من جنس الناس ينبغي ان يقال المصر نسناس ويكفي في ذمهم فضلة ياجوج وماجوج ومن اخوانهم وانموذج وعينية من اعيانهم فلا شك انهم يكونون في غاية من الفساد ونهاية من الضرر للبلاد والعباد لا اراننا الله وجوههم الى يوم المعاد قال القاضي وقد ورد ذلك في الحديث الذي بعده صفة لخوز وكرمان ولو لم يكن ذلك من بعض الرواة فلعل المراد بهما صنفان من الترك كان احد اصولها احدهما من خوز واحد من اصول الاخر من كرمان فسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم باسمه وان لم يشتهر عندنا كما نسبهم الى قنطورا وهي امة كانت لابراهيم عليه السلام ولعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك التمامي والاقرب انه اشارة الى قضية جنكيز وما وقع له من الفساد وخصوصا في بغداد وا هو معروف بالعيان متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اخوز بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز بالضم جيل من الناس واسم لجميع بلاد خوزستان وكرمان بكسر الكاف ويفتح كذا ضبط في النسخ المصححة لكن في القاموس كرمان وقد يكسر او لحن اقليم بين فارس وسجستان وقال التوربشتي الخوز جيل من الناس وانما جاء في الحديث منونا بالسكون وسط هذا وقد ذكر ابن الاثير بالخاء المعجمة المضمومة وبالزاي مع الاضافة يقال خوزكرمان من غير واو العطف قال وروي خوز وكرمان قال والخوز جيل معروف وكرمان صقع معروف في العجم ويروى بالراء المهملة وهو من ارض فارس وصوبه الدارقطني وقيل اذا اضيف فبالراء واذا عطف فبالزاي نقله الجزري من الاعاجم بيان لهما قال شارح المراد صنفان من الترك سماها باسم ابيهما ولا عمله على اهل خوزستان وكرمان لانهم لو لم يوجدوا على النعت المذكور في الحديث بل وجد على النعت الترك حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخاري وفي رواية له اي للبخاري عن عمرو بن تغلب بالتاء فوقها نقطتان وبالغين المعجمة وهو غير منصرف قال المؤلف في فصل الصحابة هو العبدي بن عبد القيس روى عنه الحسن البصري وغيره عراض الوجوه

بالنصب على الحكاية وبالرفع على الاعراب لكونه مبتدا الخبر مقدم وعنه اي عن ابي هريرة نظرا اي مرجع الضمير الى المعنون السابق وفي نسخة صحيحة وعن ابي هريرة بالاظهار لئلا يتوهم عود الاضمار الى الصحابي اللاحق فانه بصريه وربما يظن انه الاخوي مرجع اللاحق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم اي غالبهم او يغلبهم المسلمون حتى يختبي اي يختفي اليهود من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر اي كلاهما او احدهما يا مسلم يا عبد الله جمع بين الوصفين لزيادة التعظيم هذا اي تنبه ذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد استثناء من الشجر وهو نوع شجر ذو شوك يقال له العوسج كذا ذكره الشارح وفي النهاية هو ضرب من شجر العضاة وشجر الشوك ومنه قيل المقبرة اهل المدينة بقيع الغرقد لانه كان فيه غرقد وقطع فانه من شجرة اليهود اضيف اليهم بادنى ملابسة قيل هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود رواه مسلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان بفتح القاف وسكون الحاء وهو ابو اليمن وقيل قبيلة منهم يسوق الناس اي لا جل حكمه بعصاه هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي غنمه بعصاه قيل لعل الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه على ما سيأتي رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الايام والليالي اي لا ينقطع الزمان ولا يأتي القيامة حتى يملك رجل يقال له الجهجاه قال النووي هو بفتح الجيم وسكون الهاء وفي بعض النسخ الجهجاهى بهاءين وفي بعضها الجهجا بحذف الهاء التي بعد الالف والاول هو المشهور وفي رواية حتى يملك رجل من الموالي اي المماليك والمعنى حتى يصير حاكما على الناس يقال له الجهجاه قال الجزري لم اجد هذه الرواية في واحد من الصحيحين نقله ميرك فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد والاعتضاد فلا يرد على المؤلف ايرادها في الفصل الاول لان اختصاصه بحديث الشيخين انما هو في الاصول رواه مسلم وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن بفتح الحاء وفي نسخة صحيحة لتفتحن قال التوربشتي وجدنا في اكثر نسخ المصابيح بتاء بعد الفاء ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو امثل معنى لان الافتتاح اكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح في التحقيق الامر ووقوعه والحديث انما ورد في معنى الاخبار عن الكائن والمعنى لتاخذن عصابة بكسر العين اي جماعة من المسلمين كنز آل كسرى بكسر الكاف ويفتح والال معجم او المراد به اهله واتباعه الذي في الابيض قال القاضي الابيض قصر حصين كان بالمداين وكانت الفرس تسميه سفيد كوشك والان بني مكانه مسجد مداين وقد اخرج كنزه في ايام عمر رضي الله عنه وقيل الحصن الذي بهمدان بناه دارين دارا يقال له شهرستان رواه مسلم

وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى جملة خبرية اي
سيهلك ملكه وانما عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقربه او دعا وتفاول فلا يكون كسرى
وفي نسخة بالتنوين حيث اريد به التنكير بعده اي بعد كسرى الموجود في زمنه صلى الله
عليه وسلم والمعنى لا يملك ملك كسرى كما قريل بمملكه المسلمون بعده الى يوم القيامة وقيصر
وهو ملك الروم مبتدا وخبره ليهلكن والتغاير بينهما للتفنن او هو عطف على كسرى
والى بقوله ليهلكن للتاكيد مع زيادة المبالغة المستفادة من لام القسم ونون التاكيد
ثم لا يكون قيصر بالوجهين اي قيصر اخر بعده اي بعد الاول قال الطيبي هلاك
كسرى وقيصر كانا متوقعين فاخبر عن هلاك كسرى بالماضي لانه عليه الصلاة والسلام واقع بناء
على اخبار الصادق واتى في الاخبار من قيصر بلام القسم في المضارع وبنى الكلام على
المبتدا او الخبر اشعارا بالاهتمام به بالاعتناء بشانه وانه اطلب منه وذلك ان الروم
كانوا في كان الشام وكان صلى الله عليه وسلم في فتحه رشد رغبته ومن ثم غزا صلى
الله عليه وسلم تبوك وهو من الشام اقول لما كان هلاك كسرى قبل قيصر يجب وقايع الكائن
فناسب ان يعبر عن الاول بالماضي وعن الثاني بالاستقبال ولتقسمن بصيغة المجهول
مخففا كنوزهما اي كنز كل منهما في سبيل الله وسمى عطف على قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي قال الراوي وسمى النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة بفتح الخاء وضمها
مع سكون الدال وبضم الخاء مع فتح الدال على ما سبق معناه وتحقق معناه ومحله
ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة وروي بهن جميعا اي تنقضي بخدعة
هذا والراوي جمع بين حديثين والظاهر انهما وقعا في وقتين فلا يحتاج الى طلب
المناسبة بين ايرادهما معا على ان في ذكره اشارة الى ان هلاكهما واخذ كنوزهما انما يكون
بالحرب وربما يكون محتاجا الى خدعة فنبه اصحابه رضي الله عنهم الى جوازها حتى
لا يتوهموا ان الخدعة من باب الغدر والخيانة نحو اتنه اعلم وقال الطيبي فان قلت
ما وجه المناسبة بين قوله وسمى الحرب خدعة وبين الكلام السابق قلت هذا
وارد على سبيل الاستطراد لان اصل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثا مشتملا على
الحرب فاورده في الذكر كما اورد قوله ومن كل تاكلون لحما طريا بعد قوله وما يستوي البحران
هذا عذب فرات اذ المراد منهما المؤمن والكافر قلت نقول من كل تاكلون لحما اشارة
الى تكميل للتشبيه وتتميم وتذييل افادة انه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما
باعتبار الدلالات على مظهر الجمال والجلال وهما صفتا الكمال وعليهما مدار الكونين ومال
الفريقين كما دل عليهما مثال البحرين حيث قال هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج فكل
في بابه في غاية من الكمال ويضل من يشاء ويهدي من يشاء ويعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء
والله على كل شيء قدير متفق عليه وعن نافع بن عتبة اي ابن ابي وقاص الزهري
القرشي يعرف بالمرقال بكسر الميم وسكون الراء وبالقاف وهو ابن اخي سعد ابن

ابي وقاص

ابي وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المؤلفة روى عنه ابن عمرو وجابر بن سمرة نقله ميرك
عن التصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تغزون اي لعقبى جزيرة العرب وقد
سبق تفسيرها وتكريرها وتقريرها ومجمله على ما حكي عن مالك مكة والمدينة واليمامة واليمن
فالمعنى بقية الجزيرة او جميعها بحيث لا يترك كافر فيها فيفتحها الله اي عليكم ثم فارس
ثم تغزونها فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال الخطاب فيه للصحابة
والمراد الامة فيفتحه الله اي يجعله مقهورا مغلوبا ويقع هلاكه على يدي نبي الله
لموافقة الامة وانزله لمساعدة الملة رواه مسلم اي في الفتن من حديث جابر بن سمرة
عن نافع بن عتبة ولفظه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع كلمات عدهن
عن هن في يدي تغزون جزيرة فيفتحها الله الخ والعجب ان الحاكم اخرجه في مستدركه
على التصحيح وقال على شرط مسلم واقره الذهبي نقله ميرك عن التصحيح وفيه
ان الظاهر هو ان الحاكم رواه باسناد اخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركا ولا يكون
مستدركا وعن عوف بن مالك اي الاشجعي صحابي مشهور قال اتيت النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة اي خيمة من ادم بفتحتين اي من جلد فقال اعدد اي
احسب وعد ستا اي من العلامات الواقعة بين يدي الساعة اي قدامها موتي اي قوتي
بانتقالي من دار الدنيا الى الاخرى لانه اول زوال الكمال بحجاب الجمال ثم فتح بيت المقدس
بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال وفي نسخة بضم ففتح فتشديد ثم موتان بضم الميم اي
وباء يأخذ فيكم اي يتصرف في ابدانكم كقعاص الغنم بضم القاف داء يأخذ الغنم فلا يلبثها
ان يموت قال التوربشتي اراد بالموتان الوبا وهو في الاصل موت يقع في الماشية والميم
منه مضمومة واستعماله في الانسان تنبيه على وقوعه فيهم ووقوعه في الماشية
فانها تسلب سلبا سريعا وكان ذلك طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو
اول وقع في الاسلام مات منه سبعون الفا في ثلاثة ايام وعمواس قرية من قرى
بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين ثم استفاضة المال اي كثرته في شرح السنة
اصله التفرق والانتشار يقال استفاض الحديث اذا انتشر وفي النهاية وهو من فاض الما
والدمع وغيرهما اذا اكثر حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل بالرفع وجوز النصب اي
فيصير ساخطا اي غضبان لعده المائة قليلا وهذه الكثرة ظهرت في خلافة عثمان
رضي الله عنه عند الفتوح واما اليوم فيحكون فبعض اهل زماننا يعدون الالف
قليلا ويحقرونه ثم فتنة اي بلية عظيمة قيل هي مقتل عثمان وما بعده من الفتن
المرتبة عليها لا يبقى بيت من العرب الا دخلته قيل المراد من بيوت امته وانما خص
العرب لشرفها وقربها منه وفيه نوع تغليب او ايما الى ما قيل ان من اسلم فهو عربي ثم هدنة
اي مصالحة تكون بينكم وبين بني الاصفر اي الاروام سموا بذلك لان اباهم الاول
وهو الروم ابن عيصو بن يعقوب بن اسحاق كان اصفر في بياض وقيل سموا باسم رجل اسود

ملك الروم فنكح من نسائها فولد له اولاد في غاية الحسن فنسب الروم اليه فيغدرون
اي ينقضون عهد الصدنة فياتونكم تحت ثمانين غاية اي راية وهي العلم قال الطيبي
ومن رواه بالباء الموحدة اراد بها الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها تحت كل غاية اثنا
عشر الفا اي الف فارس قال الاكمل جملته سبعمائة الف وستون الفا رواه البخاري وكذا
ابن ماجة والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه واقره الذهبي
وهذا ايضا من الوهم فان الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجهاد في باب ما يحذر من الغدر
ونقله ميرك عن التصحيح وقد تمت ما يدفع عنه والله اعلم بالصحيح وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق
بفتح الهمزة قال التوربشتي العمق ما بعد من اطراف المفاوز وليس للاعماق ههنا معنى وانما هو
اسم موضع بعينه من اطراف المدينة او بدابق بفتح الموحدة وقد يكسر ولا يصرف وقد
يصرف قال التوربشتي هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة وفي المفاتيح هما موضعان
واو شك من الراوي وقال الجزري دابق بكسر الباء الموحدة وهو الصواب وان كان عياض
في المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج دابق
مشهور قال صاحب الصحاح الاغلب التذكير والصرف لانه في الاصل اسم نهر وقد
يؤنث ولا يصرف انتهى والذي يؤنثه ولا يصرفه يريد به البقعة قلت وفي القاموس
دابق كصاحب موضع بحلب لكن المضبوط في النسخ بغير صرف فيخرج بالنصب ويرفع
اليهم جيش من المدينة قال ابن الملك قيل المراد بها حلب والاعماق ودابق موضعان
بقربه وقيل المراد بها دمشق وقيل في الازهار واما ما قيل من ان المراد بها مدينة
النبي صلى الله عليه وسلم فضعيف لان المراد بالجيش الخارج الى الروم جيش المهدي
بدليل اخر الحديث ولان المدينة المنورة تكون خرابا في ذلك الوقت من خيار اهل الارض
بيان للجيش يومئذ احتراز من زمنه صلى الله عليه وسلم فاذا تصافوا بتشديد الفاء
المضمومة قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا على بناء الفاعل تفاخرا يعني
يريدون بذلك مخادعتهم ومخادعتهم لبعضهم من بعض ويبغون به تفريق كلمتهم والمراد
بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كذا ذكره التوربشتي وهو الموافق للنسخ
والاصول قال ابن الملك وروي سبوا ببناء المجهول قال القاضي ببناء المعلوم هو
الصواب وقال النووي كلاهما صواب لان عساكر الاسلام في بلاد الشام ومصر كانوا سبيا
ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار قال التوربشتي والاظهر ان هذا القول منهم يكون
بعد الملحمة الكبرى التي تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو
ويتوجه الى المسلمين وبعد غزوة الروم لهم وذلك قبل فتح قسطنطينية فيطالب الروم
ارض العرب حتى ينزل بالاعماق او بدابق فيسأل المسلمين ان يخلوا بينهم وبين من سبى
ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر في الحديث فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم

وبين

وبين اخواننا فيقاتلونهم اي المسلمون الكفرة فينهزم ثلث اي من المسلمين لا يتوب الله
عليهم ابدا كناية عن موتهم على الكفر وتعذيبهم على التابيد ويقتل ثلثهم افضل
الشهداء عند الله بالرفع على تقدير مبتدا اي هم وفي نسخة بالنصب على انه حال ويفتتح
الثلث اي الباقي من المسلمين لا يفتنون اي لا يبتلون ببلية او لا يمتحنون بمحنة ثلاثة اولا
يعذبون ابدا ففيه اشارة الى حسن خاتمتهم فيفتتحون القاف قسطنطينية او تفتح قسطنطينية
قال ابن الملك وفي نسخة فيفتحون بنا، والاحد وهو الاصوب لان الافتتاح اكثر
ما يستعمل في معنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح قلت سبق مثل هذا في
كلام التوربشتي لكن الظاهر انه فيه ايماء الى ان الفتح كان بمعالجة تامة وفي القاموس
فتح كمنع ضد اغلق كفتح وافتتح والفتح النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح
الاستنصار والافتتاح والمعنى فيأخذون من ايدي الكفار قسطنطينية
وهي بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الاولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة
ثم نون قال النووي هكذا ضبطناه هنا وهو المشهور ونقله القاضي في المشارق
عن المتقنين وزيادة ياء مشددة بعد النون قلت ونسخ المشكوة متفقة
على ما قاله عياض وبعض النسخ بزيادة ياء مخففة بدل ياء مشددة فقد قال الجزري
ثم نون ثم ياء مخففة وحكى بعضهم تشديدها وقال اخرون بحذفها ونقله عياض
عن الاكثرين ثم هي مدينة مشهورة اعظم مدائن الروم قال الترمذي والقسطنطينية
قد فتحت في زمن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتفتح عند خروج الدجال
قال الحجازي في حاشية الشفا قسطنطينة وقسطنطينية ويروى بلام التعريف
دار ملك الروم وفيها سبع لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة
وتشديدها ومع حذفها وفتح النون وهذه بضم الطاء اكثر شهرة الا ان القاف
مضموم بكل حال فبيناهم اي المسلمون يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون
اراد الشجر المعروف والجملة حال دال على كمال الامن اذ صاح فيهم الشيطان اي نادى بصوت
رفيع ان المسيح بكسر الهمزة لما في النداء من معنى القول ويجوز فتحها اي عليهم والمراد
بالمسيح هنا الدجال قد خلفكم بتخفيف اللام اي قام مقامكم في اهليكم اي في دياركم
كما في رواية فيخرجون اي جيش المدينة من قسطنطينية وذلك اي القول من
الشيطان باطل اي كذب وزور فاذا جاؤوا اي المسلمون الشام الظاهر ان المراد به القدس
منه لما في بعض الروايات بتصريح بذلك فبينماهم يعدون بضم فكسر اي يستعدون
ويتهيؤون للقتال تفسيره بقوله يسوون الصفوف بدل منه اذ اقيمت الصلاة وفي نسخة
صحيحة اذا بالالف اي وقت اقامة المؤذن للصلاة فينزل عيسى بن مريم اي من
السماء على منارة مسجد دمشق فياتي الى القدس فامهم عدل الى الماضي تحقق الوقوع
واشعارا بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه اي ام عيسى المسلمين في الصلاة

ومن جملتهم المهدي وفي رواية قدم المهدي مُحللا بان الصلاة انما اقيمت له واشعارا بالمتابعة وانه غير متبوع استقلالا بل هو مقرر ومؤيد ثم بعد ذلك يؤمهم على الدوام فقوله فامهم فيه تغليب او تركيب مجازي اي امر امامهم بالامامة ويكون الدجال حينئذ محاصرا للمسلمين فاذا راه اي راى عيسى عدو الله بالرفع اي الدجال ذاب اي شرع في الذوبان كما يذوب الملح في الماء فلو تركه اي لو ترك عيسى الدجال ولم يقتله لانذاب حتى يهلك اي بنفسه بالكلية ولكن يقتله الله بيده اي بيد عيسى فيريهم اي عيسى او الله تعالى المسلمين او الكافرين او جميعهم دمه اي دم الدجال في حربته اي في حربة عيسى وهي رمح صغير وقد روى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد والمشهور انه من ابواب مسجد القدس وفي النهاية هو موضع بالشام وقيل بفلسطين ذكره السيوطي في شرحه للترمذي ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعد ما كان محاصرا فيلحقه عيسى في احد الاماكن فيقتله والله اعلم رواه مسلم اي بهذا السياق وروى البخاري خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام كذا ذكره ميرك عن التصحيح وعن عبد الله ابن مسعود قال ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث من كثرة المقتولين وقيل من كثرة المال والاول اصح كذا في الازهار وقيل حتى يوجد وقت لا يقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرائض واقول لعل المعنى انه يرفع الشرع فلا يقسم ميراث اصلا او لا يقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد في زماننا ويحتمل ان يكون معناه انه من قلة المال وكثرة الفقر لا يقسم ميراث بين الورثة اما لعدم وجود شيء او بكثرة الديون المستغرقة او لان اصحاب الاموال يكونون ظلمة فيرجع مالهم الى بيت المال فلا يبقى لاولادهم نصيب في المال ولا لهم خلاف في المال والله اعلم بالحال ويؤيده قوله ولا يفرح بصيغة المجهول اي ولا يفرح احد بغنيمة اما لعدم العطا لظلم الظلمة واما للغش والخيانة فلا يتهنا بها اهل الديانة ومن القواعد المقررة ان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب فلا يضره ما ذكره الراوي ثم قال اي ابن مسعود عدو اي جموع الروم او عدو كثير وهو مبتدا خبره يجمعون اي الجيش والسلاح لاهل الشام اي لمقاتلة اهل الشام ويجمع لهم اي لقتال اهل الشام اهل الاسلام يعني اي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو الروم فيتشرط المسلمون من باب التفعل استعمل تشرط مكان اشترط يقال اشرط فلان بنفسه لامر كذا اي قدمها واعلمها واعدها واشرط نفسه للشي اعلمه وروي فيشترط المسلمون اي يعينون ويعدون شرطة بضم الشين وسكون الراء طائفة من الجيش يتقدم للقتال وتشهد الواقعة سموا بذلك لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها فالشرطة للجيش وقوله للموت اي للحرب وفيه نوع تجريد ففي القاموس الشرط واحد الشرط كصرد وهم كتيبة تشهد الحرب وتتهيا للموت وطائفة من اعوان الولاة

انتهى

انتهى والمراد هنا المعنى الاول وقيل سموا بها لانهم يشترطون ان يتقدموا ويعدوا انفسهم للمهلكة ويؤيده قوله لا ترجع اي تلك الشرطة الا غالبة فالجملة صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة والمعنى ان المسلمين يبعثون مقدمة منهم على ان لا ينهزموا بل يثبتوا ويقفوا الى ان يقتلوا او يغلبوا فيقتتلون اي المسلمون والكفار حتى يحجز بضم الجيم وبكسر اي يمنع بينهم الليل اي دخوله وظلامه فيتركون القتال فيفي مضارع من الفيء بمعنى الزوال الذي يرجع هولاء اي المسلمون وهولاء اي الكافرون كل اي من الفريقين غير غالب اي وغير مغلوب وتفنى اي وتهلك وتقتل الشرطة اي جنسها من الجانبين والحاصل انه يرجع معظم الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لاحدهما غلبة على الاخر وتفنى شرط الطرفين والا لكانت الغلبة لمن تفنى شرطهم وقد قال لكل غير غالب هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين فقال السيد جمال الدين اعلم ان لفظ الشرطه يحتمل وجهين ان كان الشين منها مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرطا واحدة ومعنى فيتها زوالها بسبب دخول الليل وان كانت مضمومة فالمراد منها طائفة هي خيار الجيش ففيه اشكال من حيث ان الشرط اذا فاتت غير غالبة لم تعد اذ لو فنيت غير غالبة فكيف قال فيفي هولاء كل غير غالب وتفنى الشرط ويمكن ان يقال كان مع الشرطة جمع اخر من الجيش وهم راجعون غير غالبين لا الشرط وكان شان المسلمين في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم فالراجع سايرهم دونها انتهى والمعتمد ما قدمناه ثم يؤيد ما قدرناه ما ذكره الطيبي حيث قال في الفائق يقال الشرط نفسه لكذا اذا اعلمها له واعدها بحذف المفعول والشرطة نخبة الجيش وصاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموهم الشرط وقوله فيشترط فانه في الحديث كذلك انتهى تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا اي قدمها واعدها واعلمها ولو وجدنا الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها واضحا اي فقوم مع قوله وتفنى الشرطة ان يشترطون فيما بينهم شرطا ان لا يرجعوا الا غالبة يفني يومهم ذلك فاذا حجز بينهم الليل ارتفع الشرط الذي شرطوه وانما دخل فيه التاء ليدل على التوحيد اي يشترطون شرطة واحدة متفقون فيها ولم نعرف ذلك من طريق الرواية فقال الطيبي اذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب اليها والانحراف عن التحريف من ضم الشين الى فتحها والتزام التكليف فيها وميل التاء والعدول عن الحقيقة في تفنى الشرطه اي ذلك المجاز لبعيد واي مانع من ان يفرض ان الفئة العظيمة من المسلمين فرزوا من بينهم طائفة يتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليها ان لا ترجع الا غالبة فلذلك بذلوا جهدهم وصدقوا فيما عاهدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم وهو المراد من قولهم وتفنى الشرطة قال الجوهري قد شرط عليه كذا واشترط عليه كذا والشرط عليه وشرطا وقوله فيفي هولاء وهولاء المراد منهما الفئتان العظيمتان

لا الشرط ثم يشترط المسلمون شرطة اي اخرى للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز
بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة اي ثالثة
للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا اي يدخلوا في المساء ان يدخل الليل ففي
العبارة تفنن فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع
نهد اليهم اي نهض وقام فقصدهم بقية اهل الاسلام فيجعل الله الدبرة بفتح المهملة
والموحدة اسم من الادبار وروي الدائرة اي الهزيمة عليهم اي على الكفار وقال الشارح
اي على الروم فيقتتلون من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود في اكثر النسخ المعتمدة
وفي نسخة فيقتلون بصيغة المجهول من الثاني وهذا مبني لما توهم من انه
متعلق بقوله فيجعل الله وان لم يكن لان الامر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم
والله اعلم مقتلة مفعول مطلق من غير بابه او بحذف زوائده ونظيره قوله تعالى والله
انبتكم من الارض نباتا والمعنى مقاتلة عظيمة لم ير اي لم يبصر او لم يعرف مثلها
حتى ان الطائر بكسر الهمزة وبفتح بهمزة اي يرى بالمرور بجنباتهم بجيم فنون مفتوحة بين
اي بنواحيهم فلا وفي نسخة صحيحة فما يخلفهم بكسر اللام المشددة خلفت فلانا
اذا رأيته اذا جعلته متأخرا عنك فلا يجاوزهم حتى يخر بكسر معجمة وتشديد راء اي حتى يسقط
الطائر ميتا بتشديد التحتية وتخفف قال المظهر يعني يطير الطائر على اولئك
الموتى فما وصل الى اخرهم حتى يخر ويسقط ميتا من نتنهم او من طول مسافة
مسقط الموتى قال الطيبي والمعنى ينظر الى قول المتنبي في وصف بركة لا يبلغ
السمك المحصور غاية بعدها بين قاميها ودانيها فيتعاد بصيغة المعلوم وقيل
بالمجهول من باب التفاعل والمعنى نعد بنو الاب اي جماعة حضروا تلك الحرب كلهم
اقارب كانوا مائة فلا يجدونه الضمير المنصوب لمائة بناء وبل للمعدود او للعدد
اي فلا يجدون عددهم او لبني الاب لبس جمع حقيقة لفظا بل معنى كذا قيل والحاصل
ان بني الاب بمعنى القوم والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى فرو على كل منهما حيث قال
فلا يجدونه بقي منهم الا الرجل الواحد وخلاصة المعنى انهم يشرعون في عد القوم
فيشرع كل جماعة في عد اقاربهم فلا يجدون من مائة الا واحدا ويدنه انه لم يبق
من مائة الا واحدا فباي غنيمة يفرح الاستفهام بمعنى النفي وفيه تعجب قال الطيبي
هو جزاء شرط محذوف ايهم اولا في قوله ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا
يفرح بغنيمة حيث اطلقه ثم بينه بقوله عدوا الى اخره بان ذلك مقيد بهذه
الصفة فحينئذ يصح ان يقال فاذا كان كذلك فباي غنيمة يفرح او اي ميراث
الظاهر انه بالرفع اي فاي ميراث يقسم واو للتنويع وفي نسخة بالجر والمعنى فاي
ميراث ينفع الغنيمة وانا خير الميراث مع تقدمه سابقا نظيره قوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية فتنبيهم كذلك اذا سمعوا

اي

اي المسلمون ببأس بموحدة وهمزة ساكنة ويبدل اي بحرب شديد هو اكبر اي اعظم من ذلك
اي مما سبق والمراد بالباس اهله بارتكاب احد المجازين المشهورين فجاءهم اي المسلمون الصريخ
فعيل من الصراخ وهو الصوت اي صوت الصارخ وهو المستغيث ان الدجال بفتح ان ويكسر
قد خلفهم بتخفيف اللام اي قعد مكانهم في ذراريهم بتشديد الياء اي اولادهم وفي رواية
في اهليهم فيرفضون بضم الفاء اي فيتركون ويلقون ما في ايديهم اي من الغنيمة
وسائر الاموال فزعا على الاهل والعيال ويقبلون من الاقبال اي ويتوجهون الى
الدجال فيبعثون اي يرسلون عشر فوارس جمع فارس اي راكب فرس طليعة وهو من
يبعث ليطلع على حال العدو كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة تستوي فيه الواحد والجمع
وانما قال عشر نظرا الى ان الفوارس طلايع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
اسماءهم اي العشرة واسماء ابائهم والوان خيولهم فيه مع كونه من المعجزات دلالة على
ان علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات من الكائنات وغيرها هم خير فوارس او من خير فوارس
ظاهره انه شك من الراوي على ظهر الارض احتراس من الملائكة يومئذ اي وهو احتراز
من العشرة المبشرة وامثالهم رواه مسلم وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله قال
الشارح هذه المدينة في الروم وقيل الظاهر انها قسطنطينية ففي القاموس
قسطنطينية دار ملك الروم وفتحها من اشراط الساعة وتسمى بالرومية بوزنطيا
وارتفاع سورها احد وعشرون ذراعا وكنيستها مستطيلة وبجانبها عمود عال في دور
اربعة ابواع تقريبا وفي راسه فرس من نحاس وعليه فارس وفي احدى يديه كرة
من ذهب وقد فتح اصابع يده الاخرى مشيرا بها وهو صورة قسطنطين بانيها انتهى
ويحتمل انها مدينة غيرها بل هو الظاهر لان قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير وهذه
المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون
الفا من بني اسحاق قال المظهر من اكراد الشام هم من بني اسحاق النبي عليه الصلاة
والسلام وهم مسلمون انتهى وهو يحتمل انه كان معهم غيرهم من بني اسماعيل وهم العرب
او غيرهم من المسلمين واقتصر على ذكرهم لغلبتهم على من سواهم ويحتمل ان يكون الامر
مختصا بهم فاذا جاؤوها اي المدينة نزلوا اي حولها محاصرين لاهلها فلم يقاتلوا بسلاح
ولم يرموا بسهم تخصيص بعد تعميم كتاكيد افادة عموم النفي قالوا اي سبعون الفا وحالا
لا اله الا الله والله اكبر فيسقط بصيغة المضارع احد جانبيها اي احد طرفي سور المدينة
قال ثور بن يزيد الراوي قال المؤلف في فصل التابعين كلاعي حمصي شامي سمع خالد
ابن معدان روى عنه الثوري ويحيى بن سعيد له ذكر في باب الملاحم لا اعلمه اي لا اظن
ابا هريرة الا قال الذي في البحر اي احد جانبيها الذي في البحر والمعنى لكني لا اجزمه
ويمكن ان يكون هذا منه ردا على من زعمه ممن سمع الحديث من ابي هريرة بغير هذا

الفتنة وبهذا اندفع ما قال الطيبي هذا اشارة الى ان ما وقع في نسخ من قوله الذي
في البحر مدرج من قول الراوي ثم يقولون اي المسلمون الثانية اي الكرة الثانية لا اله
الا الله والله اكبر فيسقط بصيغة الماضي تخفيفا وتحقيقا جانبها الاخر اي الذي في البر
ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله والله اكبر فيفرج بتشديد الراء المفتوحة اي
فيفتح لهم وبالظرف نائب الفاعل فيدخلونها فيغنمون اي ما فيها فبينماهم يقتسمون
المغانم اي يريدون الاقتسام او يشرعون فيه اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال
قد خرج فيتركون كل شي اي من الغنائم وغيرها من الاثقال ويرجعون اي سريعا للمقاتلة
الدجال وشاعة الاهل والعيال رواه مسلم الفصل الثاني عن معاذ بن جبل
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس بالتخفيف والتشديد وعمرانه
بضم العين وسكون الميم اي عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال خراب يثرب اي وقت
خراب المدينة قيل لان عمرانه باستيلاء الكفار وفي الازهار قال بعض الشارحين المراد
بعمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب فان بيت المقدس
لا يخرب قال ابن الملك واما الان فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون
واجرى فيه المياه جزاه الله خيرا قلت وزاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران
في عمارته وزخارفه وتكميلاته لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة وخراب يثرب
خروج الملحمة اي ظهور الحرب العظيم قال ابن الملك قتال بين اهل الشام والروم
والظاهر انه يكون بين التتار والشام قلت الاظهر هو الاول لما في الحديث السابق
ولما سيأتي في الحديث اللاحق ولقوله وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية
وفي نسخة بالتعريف خروج الدجال قال الاشرف لما كان عمران بيت المقدس باستيلاء
الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها امارة مستعقبة لخراب يثرب وهو امارة
مستعقبة لفتح قسطنطينية وهو امارة مستعقبة لخروج الدجال جعل
النبي صلى الله عليه وسلم كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه انتهى وخلاصته
ان كل واحد من هذه الامور امارة لوقوع ما بعده وان وقع هناك مهلة قال الطيبي
فان قلت قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال وفي الحديث السابق
اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في اهليكم فيخرجون وذلك باطل فكيف
الجمع بينهما قلت انه صلى الله عليه وسلم جعل الفتح علامة لخروج الدجال لا انما
متعقبة له من غير تراخ وصراخ الشيطان كان للايذان بانه واقع ليشتغلوا عن القسم
وكان باطلا لا يدل عليه الحديث الا في الملحمة العظمى فتح القسطنطينية وخروج
الدجال في سبعة اشهر والتعريف في الصارخ في هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان
اقول والذي يظهر ان القضية متعددة وان المسلمين كانوا متفرقة فذات المدينة
غير القسطنطينية اذ فتحته كانت بالقتال وفتح المدينة انما هو بالتهليل والتكبير

من

من غير المحاربة فحينئذ يحمل تصريح الشيطان بالنسبة الى غزاة قسطنطينية وفتح
المسلمين الى اصحاب المدينة وان كلا من الفريقين تركوا الغنائم وتوجهوا الى قتال
الدجال والله اعلم بالحال رواه ابو داود اي وسكت عليه كما ذكره ميرك ورواه احمد عن معاذ
ايضا وعنه اي عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى وفي
الجامع الملحمة الكبرى قيل هي التي يقاد فيها بنو الاب ولا يجدون من مائة الا واحدا
كما مر لكن الاظهر ان المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة اسماء الله الحسنى ولذا صح عطف
قوله وفتح القسطنطينية وفي بلا واو التعريف فيهما اذ الاصل في العطف التغاير مع انضمامه
الى التبادر وخروج الدجال في سبعة اشهر باعتبار توجه المسلمين الى البلدتين وظهور
الدجال واما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينهما رواه الترمذي وابو داود
وكذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع رواه احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم
وعن عبد الله بن بسر بضم موحدة وسكون مهملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بين الملحمة وفتح المدينة اراد باحدهما المدينة الثانية وبالاخرى القسطنطينية
وهذا نص في المغايرة بينهما وقوله ست سنين مشكل مخالف لما تقدم ويمكن ان يقال اللام
في الملحمة غير القسطنطينية من سائر الملاحم فاللام للعهد بالنظر الى ملحمة سابقة ويدل عليه
انها لما وصفت بالعظمى ونحوها ويخرج الدجال في السابعة اي في السنة السابعة في اخر
السادسة التي فيها فتح المدينة واول السابعة التي رجع المسلمون عنها اي الدجال واما
ما قيل من انه لا يبعد من ان يشتبه سبع سنين بسبعة اشهر ففي غاية من البعد رواه ابو
داود وكذا ابن ماجه وقال هذا اصح اي من الحديث السابق ففيه دلالة على ان التغاير ثابت
والجمع ممتنع والاصح هو المرجح وحاصله انه بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال
سبعة سنين اصح سبعة اشهر وعن ابن عمر قال يوشك المسلمون ان يحاصروا على بناء
المجهول اي يحبسوا ويضطروا ويلتجؤوا الى المدينة اي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لمحاصرة
العدو اياهم او لغير المسلمين من الكفار ويجتمعوا بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر
او بعضهم دخلوا في حصن المدينة وبعضهم نزلوا حواليها احترازا عليها وهذا المعنى
اظهر لقوله حتى تكون ابعد مسالحهم بفتح الميم سلاح بفتح السين وقد ضبط برفعه منونا
على انه اسم موخر والخبر قوله ابعد وفي نسخة برفعه منونا وفي اخرى بكسر الحاء ففي القاموس
سلاح كسحاب وقطام موضع اسفل خيبر وقال ابن الملك سلاح هو منون في نسخة ومبني
على الكسر في اخرى وقيل هو مبني على الكسر في الحجاز غير منصرف في بني تميم ثم في النهاية
المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم
يكونون ذوي سلاح او لانهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يكون فيه اقوام يرقبون
العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه اعلموا اصحابهم ليتأهبوا له وسلاح قريب اي
موضع قريب من خيبر وهذا التفسير من الراوي والمعنى ابعد ثغورهم هذا الموضع القريب

مرجنبرو هذا يدل على كمال التضييق عليهم واحاطة الكفار حواليهم رواه ابو داود وعن
ذي مخبر بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة ابن اخي النجاشي خادم النبي صلى الله عليه وسلم
روى عنه جبير بن نفير وغيره يعد في الشاميين ذكره المؤلف قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ستصالحون الروم الخطاب للمسلمين صلحا مفعول مطلق من غير
بابه او بحذف الزوائد آمنا بالمد صفة صلحا اي صلحا ذا امن او على ان الاسناد مجازي فتغزون
انتم فتقاتلون انتم المسلمون وهم اي الروم المصالحون معكم عدوا من ورائكم اي من
خلفكم فتنصرون بصيغة المفعول اي فينصركم الله عليهم وتغنمون اي الاموال
وتسلمون اي من القتل والجرح في القتال ثم ترجعون اي من عدوكم حتى تنزلوا اي انتم
واهل الروم بمرج بفتح فسكون اي روضة وفي النهاية ارض واسعة ذات نبات كثيرة
ذي تلول بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع فيرفع رجل من اهل النصرانية
وهم الاروام حينئذ الصليب وهو خشبة مربعة يدعون ان عيسى عليه السلام
صلب على خشبة كانت على تلك الصورة فيقول اي الرجل منهم غلب الصليب
اي غلبنا ببركة الصليب فيغضب رجل من المسلمين حيث نسب الغلبة لغير
الحبيب فيدقه اي يكسر المسلم الصليب فعند ذلك تغدر الروم بكسر الدال اي
ينقض العهد وتجمع اي رجالهم ويجتمعون للملحمة اي للقتال اي للمقتلة وزاد بعضهم
اي الرواة فيثور اي يعدو ويقوم المسلمون الى اسلحتهم اي مسرعين ومتهيئين اليها
فيقتتلون اي معهم فيكرم الله تلك العصابة اي الجماعة من المسلمين بالشهادة وجعلهم
الله شهدا اي احيا عند ربهم يرزقون فرحين الاية رواه ابو داود وكذا ابن ماجه وسكت
عليه ابو داود ورواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح ذكره ميرك وعن عبد الله
ابن عمرو بالواو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشة في القاموس الحبش والحبشة
محركتين جنس من السودان ما تركوكم اي مادام انهم تركوكم فانه لا يستخرج كنز الكعبة
اي كنزا مدفونا تحت الكعبة وقيل مخلوقا فيها وقيل المراد به ما يجمعه اهل السدانة
كذا الا ذو السويقتين اي صاحب دقيق الساقين من الحبشة اي هو منهم ويكون
امرهم والمراد به حبشي الحبشة لكون هذا الوصف غالبا فيهم قال النووي هما تصغير
ساقي الانسان لدقتهما وهي صفة سوق السودان غالبا ولا يعارض هذا قوله تعالى حرما
امنا الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل يخص منه قصة ذي السويقتين قال
القاضي عياض القول الاول اظهر قوله الاظهر انه تعالى جعله حرما امنا باعتبار غالب
الاحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوها والمراد بجعله
حرما امنا انه حكم بانهم يأمنون الناس ولا يتعرضون لاحد فيه كما اجاب بهذا
البعض اهل التوفيق لما قال رئيس اهل الزندقة من القرامطة بعدما فعلوا [illegible]
من قتل العباد وخراب البلاد فاين كلام الله ومن دخله كان امنا فقال انما معناه فآمنوه

من دخله

من دخله ولا تتعرضوا الى مدخله بتهديد او قتال رواه ابو داود وكذا الحاكم في مستدركه
وعن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوا الحبشة اي اتركوهم ما ودعوكم
بتخفيف الدال اي ما تركوكم قال التوربشتي قلما يستعملون الماضي منه الا ما روي في بعض
الاشعار كقول القائل غاله في الحب حتى ودعه ويحتمل ان يكون الحديث ما وادعوكم
اي ما سالموكم فسقط الالف عن قلم بعض الرواة قال الا انا قد الجهد الطعن
في وروده في التنزيل الكشاف في قوله تعالى ما ودعك ربك وقرئ بالتخفيف يعني
ما تركك قال وثمود عندنا الحمرو وعامر ولان لفظ الارد ولج وردا العجز على الصدر
يجوز كذلك وقد جاء في كلامهم اني لانيه بالغدايا والعشايا وقوله ارجعن مازورات
غير ماجورات قال المظهر كلام النبي صلى الله عليه وسلم متبوع لا تابع بل فصحاء
العرب عن آخرهم بالاضافة اليه باقل وايضا فلغات العرب مختلفة فمنهم من اعرض
لعلهم فاني صلى الله عليه وسلم بها قال شمر زعمت النحوية ان العرب اماتوا مصدره
وماضيه والنبي صلى الله عليه وسلم افصح اقول فاحياهما باستعمال الماضي في هذا
الحديث وبالمصدر في الحديث الذي رواه احمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر
مرفوعا لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين
هذا وهو من باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد ونظائره
واتركوا الترك ما تركوكم قال الخطابي اعلم ان الجمع بين قوله تعالى قاتلوا المشركين كافة وبين
هذا الحديث ان الاية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصا
لعموم الاية كما خص ذلك في حق المجوس فانهم كفرة ومع ذلك اخذ منهم الجزية لقوله صلى
الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب قال الطيبي ويحتمل ان يكون الاية ناسخة للحديث
لضعف الاسلام واما تخصيص الحبشة والترك بالترك والودع فلان بلاد الحبشة
وغيرها بين المسلمين مهامه وقفار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب وعظم
المشقة واما الترك فبأسهم شديد وبلادهم باردة والعرب وهم جند الاسلام كانوا
من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد فلهذين السرين خصصهم واما اذا دخلوا البلاد
المسلمين قهرا والعياذ بالله فلا يجوز لاحد ترك القتال لان الجهاد في هذه الحالة فرض
عين وفي الحالة الاولى فرض كفاية قلت وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى
هذا المعنى حيث قال ما تركوكم وحاصل الكلام ان الامر في الحديث للرخصة والاباحة
لا للوجوب ابتداء ايضا فان المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة تاوبين لا يخلو زمان عن
ذلك وقد اعز الله الاسلام واهله فيما هنالك رواه ابو داود والنسائي وروى الطبراني
عن ابن مسعود مرفوعا ولفظه اتركوا الترك ما تركوكم فان اول من يسلب امتي ملكهم
وما خولهم الله بنو قنطوراء وفي النهاية هي جارية ابراهيم الخليل ولدت له اولادا منهم
الترك والصين انتهى وسيأتي زيادة تحقيق لهذا في حديث ابي بكرة وعن بريدة

الطيبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بنو قنطوراء ظاهره ان يكون بالاضافة لكنه في جميع
النسخ بالتنوين ووجه الاضافة فالوجه ان قوله بنو قنطوراء خبر مبتدأ محذوف اي هو
بنو قنطوراء والجملة صفة حديث والمعنى في حديث هو ان ذلك الحديث بنو قنطوراء قوم
صغار الاعين يعني الترك تفسير من الراوي وهو الصحابي او التابعي قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم او قال ابن مسعود مرفوعا تسوقونهم من السوق اي يصيرون مغلوبين
منهزمين بحيث انكم تسوقونهم ثلاث مرات اي من السوق حتى تلحقوهم اي توصلوهم
اخر جزيرة العرب قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لاحاطة البحار والانهار
بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال مالك هي الحجاز واليمامة واليمن
وما لم يبلغه ملك فارس والروم ذكره الطيبي وتبعه ابن الملك فاما في السياقة الاولى
فينجو اي يخلص من هرب منهم اي من الترك واما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض
اما بنفسه او باخذه واهلاكه وهو الظاهر واما في الثالثة فيصطلمون بصيغة
المجهول اي يحصدون بالسيف ويستأصلون من الصلم وهو القطع المستأصل او كما قال
اي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه وهذا من غاية ورع الراوي حيث لم يرض ان يكون
النقل بالمعنى رواه ابو داود وعن ابي بكرة بالتاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينزل اناس بضم الهمزة لغة في ناس من امتي بغائط اي بمطمئن من الارض ذكره شارح
وفي الفائق اي بموطن يسمونه البصرة بفتح الموحدة وفي نسخة بكسرها وفي القاموس
البصرة بلد معروفة ويحرك ويكسر الصاد او هو معرب بس ره اي كثير الطرق عند نهر
بفتح الهاء وسكون يقال له دجلة بكسر الدال وبفتح نهر بغداد يكون عليه جسر اي قنطرة
ويكثر اهلها اي اهل البصرة وفي حاشية الشفا للحلبي البصرة مثلثة الباء
والفتح افصح بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله عنه ولم يعبد الصنم قط على
ظهرها والنسبة اليها بالكسر والفتح قال المغني والكسر في النسبة افصح من الفتح ه
قلت ولعله لمجاورة كسر الراء هذا وقد قال الاشرف اراد صلى الله عليه وسلم بهذه المدينة
مدينة الاسلام بغداد فان دجلة هي الشط وجسرها في وسطها لا في وسط البصرة
وانما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بالبصرة لان ببغداد موضعا خارجا منه قريبا من
بابه يدعى باب البصرة فسمى النبي صلى الله عليه وسلم بغداد باسم بعضها او على حذف
المضاف كقوله تعالى واسئل القرية وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم على هذه الهيئة ولا كان مصرا من الامصار ولذا قال صلى الله عليه وسلم ويكون
من امصار المسلمين بلفظ الاستقبال بل كان في عهده صلى الله عليه وسلم قرى متفرقة
بعد ما خربت مداين كسرى منسوبة الى البصرة محسوبة من اعمالها هذا وان احدا
لم يسمع الى زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال والحرب ومعنى الحديث
ان بعضا من امتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون ثمة ويصير ذلك الموضع مصرا من

امصار

امصار المسلمين وهو بغداد واذا كان اسمه مضمرا في اخر الزمان جاء بنو قنطوراء
بفتح القاف وسكون النون مقصورا وقد يمد اي يجيئون ليقاتلوا اهل بغداد وقال بلفظ
جاء دون يجيء ايذانا بوقوعه فكأنه قد وقع وبنو قنطوراء اسم ابي الترك وقيل هي اسم
جارية كانت للخليل عليه السلام وولدت له اولادا جاء من نسلهم الترك وفيه نظر
فان الترك من اولاد يافث بن نوح وهو قبل الخليل بكثير كذا ذكره بعضهم ويمكن دفعه
بان الجارية كانت من اولاد يافث او المراد بالجارية بنت منسوبة للخليل لكونها من
بنات اولاده وقد تزوجها واحد من اولاد يافث فاتت بابي هذا الجيل فيرتفع بهذا
القال والقيل ويصح انتسابهم الى يافث والخليل عراض الوجوه بدلا وعطف بيان
وكذا قوله صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث فرق بكسر
ففتح جمع فرقة فرقة بالرفع ويجوز نصبها يأخذون في اذناب البقر من اخذ في الشيء شرع
فيه وقوله في البرية تتميم وتذييل لان اخذ اذناب البقر لا يكون غالبا الا في البرية
الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبرية ومنه قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر
والمراد بقوله في البرية اختيارا لعزلة وايثار للصحراء والخلاء على البلد واجتماع
الملاء فعلى الاول صفة او حال وعلى الثاني بدل كل او بعض ويمكن ان يكون في تعليلية
وقوله وهلكوا اخذ لكونه نتيجة لافعالهم والمعنى ان فرقة يعرضون على المقاتلة هربا
منها وطلبا لخلاص انفسهم ومواشيهم ويحملون على البقر فيهيمون في البوادي ويهلكون
فيها او يعرضون عن المقاتلة ويشتغلون بالزراعة ويتبعون البقر للحراثة الى
البلاد الشاسعة فيهلكون قال الطيبي قوله يأخذون في اذناب البقر على معنى
يوقعون الاخذ في الاذناب كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وكانهم يبالغون في الاشتغال
ولا يعبأون بامر اخر ويتوغلون في التسير خلفها الى بلاد الشام سعة فيهلكون فيها
وفرقة يأخذون اي يطلبون او يقبلون الامان من بني قنطوراء لانفسهم وهلكوا
اي بايديهم ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله ومن معه من المسلمين طلبوا الامان
لانفسهم واهل بغداد وهلكوا بايديهم عن اخرهم وقال شارح ان اراد النبي صلى الله عليه
وسلم بالبصرة بغداد لان بغداد كانت قرية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قرى البصرة
اطلاقا لاسم الجزء على الكل فالواقعة وقعت كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وان اراد
البصرة المعهودة فلعله يقع بعد ذلك اذ لم يسمع ان الكفار نزلوا بها قط للقتال وفرقة
يجعلون ذراريهم اي اولادهم الصغار ونساءهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء
اي الكاملون والمعنى ان فرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة في سبيل الله فقاتلوا الترك
قبل ظهورهم على اهل الاسلام فاستشهد معظمهم ونجت منهم شرذمة قليلون كذا
ذكره الاشرف وقال غيره وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه وقع كما اخبر وكانت
هذه الواقعة في صفر سنة ست وخمسين وستمائة رواه ابو داود وعن انس ان رسول الله

بغداد

صلى الله عليه وسلم قال يا انس ان الناس يمصرون بتشديد الصاد امصارا بفتح الهمزة جمع
مصر اي يتخذون بلادا والتمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبي فالتقدير يتخذون امصارا
ففيه تجريد وقال شارح اي يجعلون اساس مصر وبناءه وان مصرا منها اي من الامصار
يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها او للتنويع لا للشك فاياك وسباخها
اي فاحذر سباخها وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر اي ارض ذات ملح قال الطيبي
هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر وكلاءها بفتح الكاف
وتشديد اللام ممدود وهو موضع بالبصرة وقال شارح هو شط النهر وهو موضع حبس
السفينة وقيل هو موضع المرعى ويؤيده ما في بعض النسخ بالتخفيف والقصر
وقد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين هذا وقوم يجعلون كلاء البصرة اسم
من كلا على فعلاء ولا يصرفونه والمعنى انه موضع يكل فيه الريح عن عملها في غير هذا
الموضع فكان الحذر عنها لعفونة هواها وتخيلها اما سبخة فيها او لخوف غرق بها
وسوقها اما لحصول الغفلة فيها او لكثرة اللغو بها او فساد العقود ونحوها وباب
امرائها وعليك بضواحيها جمع الضاحية وهي الناحية البارزة للشمس وقيل
المراد بها جبالها وهذا امر بالعزلة فالمعنى الزم نواحيها فانه يكون بها قيل الضمير
للسباخ والصواب للمواضع المذكورة خسف اي ذهاب في الارض وغيبوبة فيها وقذف
اي ريح شديدة باردة او قذف الارض الموتى بعد دفنها او رمي اهلها بالحجارة بان تمطر
عليهم ورجف اي زلزلة شديدة وقوم يبيتون اي اهل ذلك المصر قوم يبيتون بحذف
المبتدا او فيها قوم بحذف الخبر كذا قاله شارح والظاهر ان قوم عطف على خسف اي
يكون بها قوم يمسون طيبين ويصبحون قردة اي شبابهم وخنازير اي شيوخهم قال
الطيبي المراد به المسخ وعبر عنه بما هو اشنع انتهى وقيل في هذا اشارة الى ان
بها قدرية لان الخسف والمسخ انما يكونون في هذه الامة للمكذبين بالقدر رواه هنا
بياض في الاصل وقال الجزري رواه ابو داود من طريق لم يجزم بها الراوي بل قال لا اعلمه
الا عن موسى بن انس عن انس بن مالك وعن صالح بن درهم بكسر الدال وفتح الدال
الهاء وفي القاموس درهم يكسرون برج معلوم قال المؤلف باهلي روى عن ابي هريرة
وسمرة وعنه شعبة والقطان ثقة يقول انطلقنا حاجين اي ذهبنا نريد الحج
فاذا رجل المراد به ابو هريرة وهو مبتدا خبره محذوف وقوله فقال عطف عليه
اي فاذا رجل واقف فقال لنا الى جنبكم قرية بحذف الاستفهام يقال لها الابلة بضم
الهمزة والباء وتشديد اللام البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحري كذا في
النهاية وهي احد المتنزهات الاربع وهي اقدم من البصرة قال الاصمعي [illegible]
نبطي ذكره ميرك عن التصحيح وقال شارح هي من جنان الدنيا وهي اربع ابلة البصرة
وغوطة دمشق وصغد سمرقند وشعب بوان ثم قيل بوان هو كرمان وقيل نوبندجان

في القاموس قلت نعم قال من يضمن استفهام للالتماس والسؤال والمعنى من يتقبل
ويتكفل لي اي لاجلي منكم ان يصلي اي بنية لي في مسجد العشار بفتح العين المهملة
وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره ميرك ركعتين
او اربعا اي اربع ركعات واو للتنويع او بمعنى بل ويقول اي عند النية او بعد
فراغ الصلاة هذه اي الصلوة او ثوابها لابي هريرة قيل فان قيل الصلاة
عبادة بدنية ولا يقبل النيابة فما معنى قول ابي هريرة قلنا يحتمل ان يكون هذا
مذهب ابي هريرة قاس الصلاة على الحج وان كان في الحج شائبة مالية ويحتمل ان تكون
هذا مذهب ابي هريرة معناه ثواب هذه الصلوة لابي هريرة وذلك جوزه بعضهم
كذا ذكره الطيبي وقال علماؤنا الاصل في الحج عن الغير ان الانسان له ان يجعل
ثواب عمله لغيره من الاموات والاحياء حجا او صلوة او صوما او صدقة او غيرها كتلاوة
القرآن والاذكار فاذا فعل شيئا من هذا وجعل ثوابه لغيره جاز ويصل اليه عند
اهل السنة والجماعة سمعت خليلي قال التوربشتي قد سبق منه هذا القول في غير
احاديث وكانه قول لم يصدر عن روية بل كان الباعث عليه ما عرف من قبله
من صدق المحبة ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زايغا عن منهج الادب وقد
قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا وقال صلى
الله عليه وسلم اني ابرأ الى كل خليل من خلته فليس لاحد ان يدعي خلته مع براءته عن
خلة كل خليل قال الطيبي لو تامل حق التامل ما ذهب الى ما ذهب اليه لان المحب
من فرط المحبة وصدق الوداد ورفع الاحتشام من البين لا سيما اذا امتد زمان المفارقة
علما انه نسب الخلة الى جانبه لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه رضي الله عنه
مذ اسلم ما فارق حضرة الرسالة لزمه سنين احتياجا وفاقة والناس مشتغلون
بتجاراتهم وزروعهم اقول قوله لان صدق الوداد ورفع الاحتشام من البين كلام
مدخول وتعليل معلول اذ مثل هذا لا يقال الا في المتساويين من المتصاحبين ولا
يقاس الملوك بالحدادين فاين منصب صاحب النبوة والرسالة عن مرتبة ابي هريرة في
الحضرة او الغيبة حيث يعبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه خليله باي معنى يكون
سواء من اضافة الوصف الى فاعله او مفعوله ومن المعلوم ان مثل هذا لو صدر عن ابي بكر
الصديق لانكر عليه لانه بظاهره مصادم لقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا الحديث
هذا وقد قيل في سبب تسمية ابراهيم بالخليل انه بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت
الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم طلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها
للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة منها فاخرجت
احسن حواري واختبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذه فقالت

امرأته من خليل المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه خليلا هكذا ذكره في
الكشاف قال النووي أصل الخلة الاختصاص والاستقصاء وقيل أصلها الانقطاع
إلى من خاللت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي إبراهيم عليه السلام بذلك لأنه قصر
حاجته إلى الله سبحانه وتعالى وقيل الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الأسرار وقيل
معناها المحبة والإلطاف هذا كلام القاضي وقال ابن الأنباري الخليل معناه المحب
الكامل المحبة والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة التي ليس في حبها نقص ولا خلل
قال الواحدي هذا القول هو الاختيار لأن الله تعالى خليل إبراهيم وإبراهيم خليل الله
ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة انتهى وبه تبين أن
الخلة بالمعاني التي ذكروها لا يصدق على أبي هريرة فكيف يسوغ له أن يخص لنفسه
من بين الأصحاب ويقول سمعت خليلي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم بدلا وعطف
بيان يقول حال من فاعل سمعت إن الله عز وجل يبعث أي يحشر من مسجد العشار يوم القيامة
شهداء لا يقوم أي من القبور وقيل لم يثبت مع شهداء بدر غيرهم ولم يعرف أنهم من شهداء هذه
الأمة أو من الأمم السابقة رواه أبو داود وقال أبو داود هذا المسجد مما يلي النهر
أي نهر الفرات قال المؤلف وسنذكر حديث أبي الدرداء أن فسطاط المسلمين يوم
الملحمة بالغوطة إلى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام في باب ذكر اليمن
والشام إن شاء الله تعالى

الفصل الثالث

عن شقيق وهو ابن أبي سلمة أدرك
زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ولم يسمع منه وروى عن خلق من الصحابة منهم عمر
عمر بن الخطاب وابن مسعود كان خصيصا به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث ثقة حجة
مات زمن الحجاج عن حذيفة أي ابن اليمان قال المؤلف هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد روى عنه عمر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين مات بالمدائن بعد قتل
عثمان بأربعين ليلة وقبره بها قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الفتنة فقلت أنا أحفظ كما قال صفة مصدر محذوف أي أنا أحفظه
صلى الله عليه وسلم حفظا مماثلا لما قال ذكره الطيبي فأحفظ منكم لا نقص كلمة ثم
قال هات أي أعطني على ما في القاموس إنك لجريء تفعيل من الجراءة وهي الإقدام على الشيء
ومعناه إنك غيرها بيت قد تجاسرت على ما لا أعرفه ولا يعرفه أصحابك وادعيت أنك
عرفت صريح القول ومن ثم قال هات وكيف قال أي النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو
عطف على هات أي هات ما قيل وبين كيفيته انتهى وقد يقال إنه الظاهر بالنظر إلى
حال حذيفة وما كان معلوما عندهم من أنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتعين
من الفتن أن يكون المعنى إنك لجراءتك وكثرة مسائلك أخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما لم يأخذه منه غيرك قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل
في أهله أي عياله من امرأته وجاريته أو أقاربه وماله ونفسه وولده وجاره أي وأمثال

ذلك والمعنى أن الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الأشياء ويسأل عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب
من تقصيره فيها فينبغي أن يكفرها بالحسنات لقوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات وإليه
أشار بقوله يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر
ليس هذا أريد قال الطيبي وذلك أن عمر رضي الله عنه لما سأل أيكم يحفظ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الفتنة واحتمل أن يراد بالفتنة الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين وأن
يراد بها وقعة القتال وكان سؤاله عن الثاني قال ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج كموج
البحر أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة
وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة وإنما أنث عمر رضي الله عنه المشار إليه بعد
ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار إليه وإنها الداهية الدهيا قال قلت ما لك
ولها استفهام إنكار أي أي شيء يحصل لك من الحاجة إلى تلك الفتنة وإلى سؤالها وما يترتب عليها
من المحنة وأي شيء لها من الوصول إليك والحصول لديك فإنه ليس لك ولها اقتران واجتماع
في زمان يا أمير المؤمنين بجملة تعلقه بما قبله وما بعده إن بينك وبينها بابا مغلقا استئناف
تعليل قال فيكسر الباب أي من شدته وصعوبته والاستفهام مقرر ولذا قابل بقوله أو يفتح
أي من خفته وسهولته قال قلت لا أي لا يفتح فانصب النفي على الفعل القريب لكن لما كان
موهما أن يتعلق بالفعلين جميعا استدرك وقال بل يكسر وفائدة التأكيد التنبيه وقال
الطيبي فإن قلت كان يكفي في الجواب أن يقول يكسر فلم أتى بلا أولا قلت للتنبيه على
أن هذا ليس من مقام التردد في الكسر فظهوره فلا يناسبه مقام المعادلة كما سبق مرارا انتهى
ولا يخفى ما فيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء وعمدة البلغاء وكذا من
دعوى الظهور الذي لا يتوهمه أحد من الأغبياء مع أن الأمر ليس موجودا في العبارة بل الترديد
إنما وقع لفظا وفرق بينهما عند أرباب الإشارة بل الظاهر إنما هو الاعتراض على حذيفة
في جوابه لما تقرر في محله من أن جواب أم المتصلة بالتعيين دون نعم أو لا لأنها لا تفيد إلا
التعيين بخلاف أو مع الهمزة كما إذا قلت أجاءك زيد أو عمرو فإنه يصلح جوابه بلا ونعم لأن المقصود
بالسؤال أن أحدهما لا على التعيين جاءك أو لا ولا شك أن هذا المعنى غير مراد ههنا في جوابه
بل المراد التعيين وهو القصر في الحكم بالكسر غايته أنه نفى مقابله وهو الفتح أولا ثم أثبت
الكسر لزيادة إفادة الحصر كما حقق في كلمة التوحيد فإنه لو قيل الله موجود أو ثابت أو
متحقق لم يفد نفي ما سواه فلذا عدل عنه بقوله لا إله إلا الله قال أي عمر ذلك كذا بلا لام في النسخ
المصححة أي ذلك الباب الذي من وصفه أن يكسر ولا يفتح أحرى أي حري وخليق أن لا
يغلق أبدا لأن الفتح قد يترتب إغلاقه بخلاف الكسر فإنه يبعد منه لحاذكره الطيبي ومما
يقوي هذا المعنى ما رواه الترمذي عن ثوبان إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى
يوم القيامة قال أي الراوي وهو شقيق فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب كان الظاهر

ان يقال ما الباب فكانهم تفرسوا ان المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقي كذا حققه
الطيبي وفي الكثرة شهادة على شهادة عمر رضي الله عنه فكان ابن الخطاب كان باب
الصواب ومفتاحا لعز الاسلام ومانعا من الفتن بين الانام فرضي الله عنه وادخله
دار السلام قال اي حذيفة نعم كان يعلم من الباب كما يعلم اي كعلمه ان دون غد ابتداءه
ليلته والمعنى ان الغد لا يتصور الامتناع عن حصول الليلة وكانه جعل زمن الامن
في قوته اليوم الحاضر ووقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر والحاجز بينهما في مرتبة
ليل ساتر وما احسن تعبير حذيفة رضي الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد
الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها بالليلة لخفاء امر الفتنة وشدة بلائها فان
الليل ادهى للويل وحاصله بان علمه هو ان الباب امر ظاهر لا يشك فيه احد من اولي
الالباب اني حدثته استئناف فيه معنى التعليل اي ذكرت له حديثا اي ظاهرا
ليس بالاغاليط وهي جمع الاغلوطة وهي المسألة التي يغلط بها قال الطيبي اراد ان
ما ذكرته له لم يكن مبهما محتملا كالاغاليط بل صرحه تصريحا وفيه انه قد اثر حذيفة
الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه وانما كنى عنه كناية اي لا يخرج من الفتن
شيء في حياتك وكانه مثل الفتن بدار ومقابل لدار الامن وحياته بباب مغلق وموته
بفتح ذلك الباب ثم انه كنى بالكسر عن القتل وبالفتح عن الموت وحاصله انه لم
يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز والتلويح لكن عمر ممن لا يخفى عليه الاشارة
فضلا عن العبارة بل هو ايضا من اصحاب الاسرار وارباب الانوار وانما اراد بالسؤال
تحقيق الحال وانه هل يفهم احد من الصحابة ممن يكون له هذا العلم منه على البال
ولذا جزم حذيفة بقوله لعمر والله اعلم ثم قول الطيبي ولعله لهذا السر قال له
عمر اكسرا لجري وفيه نظر ظاهر لان اظهار الحق المسموع من سيد الخلق لا يستبعد
حتى يسمى جراءة على الرد فالصواب ما تقدم والله اعلم قال اي شقيق فهبنا بكسر
الهاء من الهيبة اي فخشينا ان نسأل حذيفة من الباب اي في ذلك المجلس فقلنا
لمسروق وهو تابعي جليل سله اي سل حذيفة فسأله فقال اي حذيفة عمر اي هو الباب
بمعنى السد للفتنة عن الاصحاب والاحباب ولانه باب النطق بالصواب متفق عليه
وفي الجامع فتنة الرجل في اهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصدقة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة
وعن انس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة اي مع قرب قيامها وقد سبق كشف
المباني وما يتعلق به من المعاني رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا او متنا
والله اعلم

باب اشراط الساعة

اي علاماتها القيامة ففي النهاية الاشراط العلامات واحدها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لانهم
جعلوا لانفسهم علامات يعرفون بها كذا قال ابو عبيدة وحكى الخطابي عن بعض اهل

اللغة انه انكر هذا التفسير وقال اشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار امورها قبل
ان تقوم الساعة انتهى وكانه اخذه مما ذكره صاحب القاموس ان الشرط بحركة العلامة واول
الشيء ورذال المال وصغاره وهو لا ينافي ان يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما
يصلح للمقام فلا وجه للاكتفاء مع ان قوله مما ينكره الناس ليس على اطلاقه اذ قد يوجد في
الناس من لا ينكر صغار امور الساعة لما حصل له من علم اليقين من صاحب السيادة
والسعادة اولا وزيادة عين اليقين في مقام المشاهدة اخرا

الفصل الاول

عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم
اي يرتفع اما بقبض العلماء واما بخفضهم عند الامراء ويكثر الجهل اي بغلبة السفهاء ويكثر
الزنى اي لاجل قلة الحياء ويكثر شرب الخمر بضم الشين وفتحها وقرئ بهما في المتواتر عند قوله
تعالى فشاربون شرب الهيم ويجوز كسرها ففي القاموس شرب كسمع شربا ويثلث ثم كثرة
شرب الخمر موجبة لكثرة الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاعتداء ويقل الرجال اي وجودهم
المطلوب منهم نظام العالم ويكثر النساء اي ممن لا يتعلق بظهورهن من الامر الاهم
بل وجودهن مما يكثر الهم والغم ويقتضي تحصيل الدنيا والدرهم حتى يكون لخمسين
امرأة القيم بكسر التحتية المشددة اي القائم الواحد اي المنفرد لمصالحهن وليس
المراد انهن زوجات له بل اعم منها ومن الامهات والجدات والاخوات والعمات والخالات
وفي رواية يقل العلم ويكثر الجهل قال الظاهر انهما بدل من يرفع ويكثر فالتقدير ان يقل
العلم ويظهر الجهل ولعل هذه الرواية مبنية على اول الامر فان ماله الى رفع العلم
بالكلية كما جاء في حديث رواه البخاري عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع
الركن والقرآن وفي حديث احمد ومسلم والترمذي عن انس لا تقوم الساعة حتى لا يقال
الله الله متفق عليه وكذا رواه الترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وفي
الجامع رواه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن انس بلفظ ان من
اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنى ويشرب الخمر ويذهب الرجال
ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد وفي رواية لاحمد والشيخين عن ابن
مسعود وابي موسى مرفوعا ان بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع
فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج القتل وعن جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى
الله عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين قال المظهر اراد منه كثرة الجهل
وقلة العلم والاتيان بالموضوعات من الاحاديث وما يفترونه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويحتمل ان يراد به ادعاء النبوة كما كان في زمانه وبعد زمانه وان يراد بهم
جماعة يدعون اهواء فاسدة ويسندون اعتقادهم الباطل اليه صلى الله عليه وسلم كاهل
البدع كلهم فاحذروهم رواه مسلم قال ابن الملك في شرح المشارق قوله فاحذروهم
غير مذكور في صحيح مسلم لكن جاء في بعض رواياته غيره وقيل انه قول جابر انتهى وفي

الجامع كلفظ المشكوة بكماله وقال رواه احمد ومسلم عن جابر بن سمرة وعن ابي هريرة
بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اي يتكلم في امر مع اصحابه اذ جاء اعرابي فقال متى
الساعة فقال اذا ضيعت بصيغة المفعول من التضييع وفي نسخة من الاضاعة الامانة
اي حين جعلت الامانة ضايعة بالخيانة او وضعت عند غير ارباب الديانة فانتظر
الساعة اي فانه من اشراط القيامة قال كيف اضاعتها هذا يؤيد النسخة اي كيف
تضييع الامانة فانهم يعرفون امرها والعامة معاونون بقدرها قال اذا وسد بضم الواو
وتشديد السين وقد يخفف على ما في المقدمة اي اسند وفوض الامر امر السلطنة
او الامارة والقضا والحكومة الى غير اهله اي من لم يوجد فيه شرائط الاستحقاق
كالنسا والصبيان والجهلة والفسقة والبخلاء الجبان ومن لم يكن قرشيا ولو كان
من نسل سلاطين الزمان هذا في الخليفة وقس على هذا سائر ولي الامر والشان
وارباب المناصب من التدريس والفتوى والامامة والخطابة وامثال ذلك مما لا يحصى
الاخوان قال التوربشتي معناه ان يلي الامر من ليس له باهل فيلقى له وسادة الملك
واراد بالامر الخلافة وما ينضم اليها من قضا وامارة ونحوها او التوسيد اخذ من الوسا
يقال وسدته الشي بالتخفيف فتوسده اذا جعله تحت راسه ولفظة الى فيها
اشكال اذ كان من حقه ان يقال وسد الامر بغير اهله فلعله اتى بها ليدل على الاسنا
الامر اليه انتهى وفي القاموس اتى بها في مرادفة اللام نحو قوله تعالى والامر اليك والله
ويريد ان المعنى والامر لك لكن الاظهر ان يقال الامر راجع اليك والاحسن في الحديث
ان تتضمن معنى التفويض والاسناد كما اشرنا اليه اولا فانتظر الساعة للدلالة
على قرب قيامتها وانما دل ذلك على دنو الساعة لافضائه الى اختلال الامور وعدم تمام
النظام ووهن امور الدين وضعف احكام الاسلام وقال الطيبي لان تغير الولاة
وفسادهم يستلزم التغير للرعية وقد قيل الناس على دين ملوكهم قال القاضي اخرج
اخرج الجواب مخرج الاستئناف لانه كيد ولان السؤال الاول لما لم يكن مما يمكن ان يجيب
عنه بجواب حقيقي يطابقه فان تعيين الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي
مرسل عدل عن الجواب الى ذكر ما يدل على المسئول عنه دلالة ما من اماراتها وسلك في الجواب
الثاني مسلك الاول ليتناسق الكلام قال الطيبي كان من حق الظاهر ان يكتفي عن جواب
السؤال الاول بقوله اذا ضيعت الامانة وان يؤتى في السؤال الثاني بما يطابق الجواب
فزاد في الاول فانتظر الساعة لينبه على ان قوله اذا ضيعت الامانة ليس بيان الساعة
بل من اماراتها فلا يكون اذا شرطية وقيل السؤال الثاني بمعنى تضييع الامانة وكيف
حصول التضييع فقال اذا وسد الامر فاطنب في الاول لافادة معنى زائد واختصر
في الثاني لدلالة الكلام عليه لتعيينها انتهى وفيه انه يوهم ان قوله فانتظر الساعة
غير موجود في الجواب الثاني والحال ان الامر بخلافه بل هو موجود في الجوابين ولعله سقط

غير الاهل

من اصل

من اصل الطيبي والله اعلم رواه البخاري ولفظ الجامع اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر
الساعة رواه البخاري عن ابي هريرة وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يقوم الساعة حتى يكثر المال اي ابتلا في الحال والمال ويفيض بفتح الياء وفيه وفيما
قبله وهو عطف تفسيري اي يسيل من كثرته من كل جانب كالسيل لتميل الخلق اليه كل الميل حتى
يخرج بضم الياء اي يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد احدا يقبلها منه اي لكثرة المال ولقلة
الميل اليه لتشويش الحال وحتى تعود ارض العرب اي تصير او ترجع مروجا بالضم اي رياضا كما
كانت بينها انهارا واشجارها واثمارها وانهارا اي مياها كثيرة جارية في انهارها وفي النهاية المرج
الارض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب اي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت انتهى
وفيه اشارة الى ما قيل من ان الدنيا جنة الحمقى في التمتع ياكلون كما تاكل الانعام غافلين عن
العقبى رواه مسلم وفي رواية له اي لمسلم قال تبلغ المساكن اي تصل نهاية مساكن المدينة
اهاب بكسر الهمزة وفتح الموحدة او يهاب بكسر الياء التحتية وهو الانسب للازدواج المعتبر
عند الفصحاء والبلغاء وفي نسخة صحيحة بفتحها وهما موضعان قرب المدينة فاو للتنويع وعدم
صرفها باعتبار البقعة والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها قال شارح او نهاب بالنون
المكسورة وروي بالياء المكسورة قال النووي اما اهاب فبكسر الهمزة واما يهاب فبالمثناة
التحتية مفتوحة ومكسورة ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق الا الكسر وحكى القاضي عن
بعضهم نهاب بالنون والمشهور الاول وقد ذكر في الكتاب انه موضع بقرب المدينة على اميال
منها قال التوربشتي يريد ان المدينة تكثر سوادها حتى يتصل مساكن اهلها باهاب او يهاب
شك الراوي في اسم الموضع او كان يدعى بكلا الاسمين فذكر او للتخيير بينهما وفي التصحيح تالي
ما نقله ميرك ان قوله اهاب بكسر الهمزة ولم يعرفه على قصد البقعة ويهاب بياء اخر الحروف مكسورة
كذا قيده عياض في المشارق وقيده غيره بالفتح وقيل فيه نهاب بالنون وكانه تصحيف والشك
فيه من الراوي وفي القاموس الاهاب ككتاب الجلد وكسحاب موضع قرب المدينة ولم يذكر
فيه يهاب والله اعلم بالصواب وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون اي
يوجد في اخر الزمان خليفة اي سلطان يحثي يقسم المال اي على المستحقين بالعدل و لا
يخزنه كسلاطين زماننا ولا يعده بفتح الياء وضم العين والدال المشددة اي ويعطي كثيرا
من غير عدد واحصاء بل يكون احسانا به جزافا قال ابن الملك ويحتمل كونه من الاعداد وهو جعل
الشي عدة وذخيرة اي لا يدخر لغد ولا يكون له خزانة كفعل الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انتهى وقد سبقه شارح حيث قال انما بفتح الياء وضم العين اي لا يحصيه او بضم الياء
وكسر العين اي لا يدخره وهو كذا في بعض النسخ لكن لضعف هذا الاحتمال يسبق ومعنى
قوله وفي رواية قال يكون في اخر امتي خليفة يحثي المال بفتح الياء وكسر المثلثة اي
يعطيه بالكفين حثيا مفعول مطلق اتي به للمبالغة اي حثيا بليغا ثم اكد ذلك بقوله
ولا يعده عدا مصدر مبين ان الفعل مثلا في الرباعي قال النووي والحثو الذي يفعله هذا

الخليفة تكون بكثرة الاموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه وقال ابن الملك السر
فيه ان ذلك الخليفة يظهر له كنوز الارض او يعلم الكيميا او يكون من كرامته ان ينقلب
الحجر ذهبا كما روي عن بعض الاولياء رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوشك الفرات ان يحسر بضم السين وكسرها اي ينكشف عن كنز ففي النهاية
يقال حسرت العمامة عن راسي وحسرت الثوب عن بدني اي كشفتهما وقال شارح اي
يظهر وينكشف لنفسه عن كنز ففيه اشارة الى ان حسر متعد وقال الخلخالي احد شراح
المصابيح اي سيظهر فرات عن نفسه كنزا ففيه ايما الى انه وقع قلب في الكلام فهو من
باب عرضت الناقة على الحوض وفي القاموس حسره يحسره ويحسره كشفه راسي حسورا
انكشف فالفعل متعد ولازم وعلى تقدير اللزوم لا يحتاج الى تكلف فالاولى حمله
عليه فالمعنى يقرب الفرات ان ينكشف عن كنز اي انكشافا صادرا عن كنز عظيم من ذهب
اي كثير محض اي فالغاية بالاولى فلا تؤخذ بصيغة النهي منه شيئا اي لما يترتب
على الاخذ منه ما سياتي من المقاتلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة ويحتمل ان يكون فلا
يوخذ نفيا ويؤيده ما سياتي من قوله فلا ياخذون منه شيئا متفق عليه رواه
ابو داود والترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب الظاهر ان القضية متحدة والرواية
متعددة فالمعنى عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب ويحتمل ان يكون هذا غير الاول ويكون
الجبل معدنا من ذهب يقتتل الناس عليه اي على تحصيله واخذه فيقتل من كل مائة تسعة
وتسعون اي من الناس من المقاتلين ويقول كل رجل منهم اي من الناس او من التسعة
والتسعين لعلي اكون انا الذي انجو قال الطيبي هو من باب قوله انا الذي سمتني امي
حيدرة اي انا الذي ينجو فنظر الى المبتدا فحمل الخبر عليه لا على الموصول انتهى اي يرجو
كل واحد منهم ان يكون هو الناجي فيتفرد الباقي رجاء ان ينجو في المال فياخذ المال
وهذا من سوء المآل وتضييع الاعمال قال الطيبي فيه كناية لان الاصل ان يقال انا
الذي افوز به فعدل الى الحز لانه اذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه رواه مسلم وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض مضارع من قاء اي
تلقي الارض افلاذ كبدها بفتح الهمزة جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة من الارض
طولا وسمي ما في الارض كبدا تشبيها بالكبد التي في بطن البعير لانها احب ما هو
فيها كما ان الكبد اطيب ما في بطن الجزور واحبه الى العرب وانما قلنا في بطن البعير لان
ابن الاعرابي قال الفلذة لا تكون الا للبعير فالمعنى تظهر كنوزها وتخرجها عن بطونها الى
ظهورها امثال الاسطوان بضم الهمزة والطاء وفي نسخة صحيحة الاسطوانة وهي واحدة
والاول جنس والانسب بجميع الامثال وقوله من الذهب والفضة بيان الحال
قال القاضي معناه ان الارض تلقي من بطنها ما فيه من الكنوز وقيل ما رسخ فيها

من العروق

من العروق المعدنية ويدل عليه قوله امثال الاسطوان وشبهها بافلاذ الكبد هيئة وشكلا
فانها قطع الكبد المقطوعة طولا اقول ولعل الحديث فيه اشارة الى قوله تعالى اذا زلزلت الارض
زلزالها واخرجت الارض اثقالها فيجيء القاتل اي قاتل النفس فيقول في هذا اي في طلب
هذا الغرض ولاجل تحصيل هذا المقصود قتلت اي من قتلت هذه الانفس ويجيء القاطع الرحم
فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول قطعت يدي بصيغة المجهول ولو كان
معلوما لكان له وجه اي تسبب لقطع يدي ثم يدعونه بفتح الدال اي يتركون ما قاءه الارض
من الكنز والمعدن فلا ياخذون منه شيئا رواه مسلم وكذا الترمذي وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا اي لا تفرغ ولا تنقضي
حتى يمر الرجل بالقبر المراد بهما الجنس فهما في قوة الكثرة ويمكن ان يراد بهما الاستغراق فكل فرد
وهذا الاستغراق فيتمرغ اي يتقلب الرجل عليه اي فوق القبر وقال ابن الملك اي يتمسك
براس القبر ويتقلب في التراب ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر اي ميتا وليس به
الدين بكسر الدال الا البلاء اي الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن والضراء
والضراء قال المظهر الدين ههنا العادة وليس في موضع الحال من الضمير في يتمرغ يعني يتمرغ على
راس القبر ويتمنى الموت في حال ليس التمرغ من عادته وانما حمله عليه البلاء وقال الطيبي ويجوز
ان يحمل الدين على حقيقته اي ليس ذلك التمرغ والتمني لامر اصابه من جهة الدين لكن من
جهة الدنيا فيفيد البلاء المطلق بالدنيا بوساطة القرينة السابقة رواه مسلم اي بهذا
اللفظ والمتفق على لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه
ذكره ميرك عن التصحيح قلت وهذا اللفظ في الجامع اسنده الى احمد والشيخين واخرج ابو
نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء احب الى
المؤمن من خروج نفسه واخرج ايضا عن ابي هريرة قال يوشك ان يكون الموت احب الى المؤمن
من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه واخرج ايضا عن ابي ذر قال ليأتين على الناس زمان
تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل يا ليتني مكانها واخرج ابن سعد عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
قال مرض ابو هريرة فاتيته اعوده فقلت اللهم اشف ابا هريرة فقال اللهم لا ترجعها وقال يوشك
يا ابا سلمة ان ياتي على الناس زمان يكون الموت احب الى احدهم من الذهب الاحمر ويوشك
يا ابا سلمة ان تبقى الى قريب ان ياتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكانه وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض
الحجاز اي مكة والمدينة وما حولها تضيء بضم اوله اي تنور اعناق الابل جمع العنق بضمتين
وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة ببصرى بضم موحدة وهي مدينة حوران بالشام
وقيل مدينة قيسارية البصرة قال النووي هكذا الرواية بنصب اعناق وهو مفعول
تضيء يقال اضاءت النار واضاءت غيرها وبصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام
وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وقد خرجت في زماننا بالمدينة سنة

سنة وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة خرجت من جنب المدينة الشريفة وراء الحرة
وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة
قال التوربشتي رأى هذه النار أهل المدينة ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفاء فإنها
لبثت نحوا من خمسين يوما تتقد وترمي بالأحجار المحمرة بالنار من بطن الأرض إلى ما حولها شاكلة
للوصف الذي ذكره الله تعالى في كتابه عن نار جهنم ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر
وقد سال من ينبوع النار في تلك الصحاري مد عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد
الشيء بعد الشيء فيوجد سنتها بخبث الحديد به قال القاضي فإن قلت كيف يصح
أن يحمل هذا عليها وقد ذكر في الحديث الذي يليه أنه صلى الله عليه وسلم قال أول أشراط
الساعة نار تحشر الناس وهي لم تحدث بعد قلت لعله لم يرد بذلك أول الأشراط
مطلقا بل الأشراط المتصلة بالساعة الدالة على أنها تقوم عما قريب فإن من الأشراط
بعثته صلى الله عليه وسلم ولم يتقدمها تلك النار وأراد بالنار نار الحرب والفتن
كفتنة الترك فإنها سارت من المشرق إلى المغرب متفق عليه قال ميرك نقلا عن التصحيح
والعجب من الحاكم أنه أخرجه في مستدركه على الصحيحين وأسنده من طريق رشدين بن سعد
عن عقيل عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة وساقه باللفظ فاستدركه
عليهما وهو فيهما والعجب من هذا روايته له من طريق رشدين وهو ضعيف باتفاق الحفاظ
انتهى وقد يسوغ جوازه بأنه أتى بإسناد غير إسناد الصحيحين فيكون مستدركا لا متنا
ويدل عليه أنه روي من طريق رشدين ولعله قوي عنده أو له متابع أو شاهد يجبر به
أنه قل راو أجمع على ضعفه والله أعلم وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أول أشراط الساعة سبق الكلام عليه نار أي شعلة ساطعة أو فتنة طالعة
تحشر الناس أي تجمعهم من المشرق إلى المغرب رواه البخاري ورواه الطبراني عنه
بلفظ أول شيء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب كذا في الجامع وبه يزول
الإشكال السابق

الفصل الثاني

عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان أي زمان الدنيا والآخرة أو يتقارب أهل بعضهم
من بعض في الشر أو يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوله آخره أو يقصر
الأيام والليالي وهو المناسب هنا لقوله فيكون بالرفع وينصب وهو بالتأنيث ويجوز
تذكيره لئلا ثم عطف الشهر عليه والمعنى فيصير السنة كالشهر قال التوربشتي
يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته في كل مكان أو على أن الناس لكثرة اهتمامهم
بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام لا يدرون كيف
ينقضي أيامهم ولياليهم فإن قيل العرب يستعمل قصر الأيام والليالي في المسرات
وطولها في المكاره قلت المعنى الذي يذهبون إليه في القصر والطول مفارق
للمعنى الذي يذهب إليه فإن ذلك راجع إلى تمني الإطالة للرخاء أو إلى تمني القصر

الشدة

الشدة والذي نذهب إليه راجع إلى زوال الإحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة
ما هم فيه وذلك أيضا صحيح والشهر أي ويكون الشهر كالجمعة بضم الميم وسكون والمراد
بها الأسبوع وتكون بالتأنيث رفعا وينصب أي وتصير الجمعة كاليوم أي كالنهار ويكون
اليوم كالساعة أي العرفية النجومية وهي جزء من أجزاء الفلكية الاثني عشرة في اعتدال
الأزمنة الصيفية والشتائية وتكون الساعة كالضرمة بفتح الضاد وسكون
الراء وتفتح أي مثلها في سرعة ابتدائها وانقضائها قال القاضي أي كزمان اتقاد
الضرمة وهي ما توقد به النار أولا كالقصب والكبريت وفي القاموس الضرمة
محركة السعفة والشيحة في طرفها نار وفي النهاية الضرمة بفتح المعجمة وسكون
الراء غصن النخل والشيحة تشعل في طرفها نار فإنها إذا اشتعلت تحترق سريعا انتهى
فالمراد بها الساعة اللغوية وهي أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة
واللحظة والطرفة ونحوها قال الخطابي ويكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى أو
كليهما قلت والأخير هو الأظهر لظهور هذا الأمر في خروج الدجال وهو في زمانهما
قال فإن قيل إذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم
كالساعة والساعة كالضرمة فما وجه التقارب ومعناه قلت المراد بذلك أن السنة
ذات شهور وجمع وأيام وساعات فإن كل سنة اثنا عشر شهرا وثمان وأربعون جمعة
وثلاثمائة وستون يوما وأربعة آلاف وثلاثمائة وعشرون ساعة وإذا عادت
السنة إلى الشهر عادت جمعتها إلى جمعة شهر بتلك السنة وهي أربع وأيامها إلى
يوم الشهر بتلك السنة وهي ثلاثون يوما وساعاتها إلى ساعات شهر بتلك السنة
وهي ثلاثمائة وستون يوما ونسبة كل منهما إلى السنة كجزء من اثني عشر جزءا بلا
زيادة ونقص لعدم مزيد ونقص من أمر الضرمة بالنار فإنها غير مقدرة شرعا
ولا عرفا ولا تتبين للناظر في رأي العين ولذا قال يتقارب الزمان ولم يقل يتساوى
الزمان انتهى وسيأتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان وما يتعلق به من أداء الصلوات
كل يوم في حديث النواس من الباب الآتي رواه الترمذي وعن عبد الله بن حوالة
بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو قال المؤلف في فصل الصحابة أزدي نزل الشام روى عنه
جبير بن نفير وغيره قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أرسلنا لنغنم أي لنأخذ
الغنيمة على أقدامنا أي ماشين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا أي بعثنا رجالا لا
غير ركاب فرجعنا أي سالمين مأمونين فلم نغنم شيئا أي فصرنا محرومين محزونين
وعرف الجهد بالفتح وفي نسخة صحيحة بالضم ففي القاموس الجهد الطاقة ويضم والمشقة
وقال ابن الملك الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة قلت الظاهر أنهما لغتان
لكل منهما والمراد به هنا المشقة وقد صرح شارح بالفتح واقتصر عليه السيد في أصله
الجهد وعرف مشقة الهم وقلة الغنيمة في وجوهنا أي فيها ظهر عليها من آثار الكآبة

والحزن والحجالة والحيا فقام اي خطيبا فينا اي لاجلنا وفيما بيننا فقال اللهم لا تكلهم
من الوكول اي لا تترك امورهم اليّ اي الى امري فاضعف عنهم بالنصب جوابا للنهي والسبب
في ذلك ان الانسان خلق ضعيفا وان المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره
ولذا ورد في الدعا النبوي اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا اقل من ذلك فانك
ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك
وقال تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وهذا التوحيد المبين لقوله
لا حول ولا قوة الا بالله وقد ورد في حديث رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر
عليهما الصلاة والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما راس
صاحبه ويفترقان عن هولاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله
لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم ثم لما كان له القرب الالهي قدم دفع وكولهما اليه اولا ثم قال ولا
تكلهم الى انفسهم فيعجزوا عنها بكسر الجيم وبفتح ففي القاموس عجز من باب ضرب
وسمع ثم في ما خيرا لنفسهم عن نفسها لا لقولهما الى قوله تعالى النبي اولى بالمومنين
من انفسهم ولا تكلهم الى الناس اي الى الخلق وانما خص الناس لقرب الاستيناس
فيستاثروا عليهم عدل عن قوله فيعجزوا لظهوره الى قوله فيستاثروا اشعارا بانهم
ما يكتفون باظهار العجز بل يتبادرون الى ان يختاروا الجيد لانفسهم والردي
لغيرهم فيغلبهم لان الامة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه حتى يكلوا امورهم
اليه ويعتمدوا في جميع احوالهم عليه لان من توكل على الله كفاه امر دينه ودنياه كما قال
ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الطيبي المعنى لا تفوض امورهم الى فاضعف
عن كفاية مونتهم وسد خلتهم ولا تفوضهم الى انفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا
تفوضهم الى انفسهم فيعجزوا عن انفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا تفوضهم
الى الناس فيختاروا انفسهم عليهم ولا فيضيعوا لهم عبادة فافعل بهم ما يفعل
السادة بالعبيد ثم وضع يده على راسي اي لحكمة نسيانها مع ما فيه من البركة
الموالية وهو يحتمل الاستمرار على ذلك المرام حتى فرغ من الكلام ويحتمل انه وضعها
ثم رفعها ثم قال يا ابن حوالة اذا رايت الخلافة اي خلافة النبوة قد نزلت الارض
المقدسة اي من المدينة الى ارض الشام كما وقعت في امارة بني امية فقد دنت اي
قربت الزلازل اي وقوعها وهي مقدمات زلزلة الساعة التي هي شي عظيم وقد اخبر
سبحانه ايضا بقوله اذا زلزلت الارض زلزالها والزلزلة هي الحركة والزلزال المصدر
والبلابل جمع بلبلة ففي النهاية هي الهموم والاحزان وبلبلة الصدر وسواسه والامور
العظام اي من اشراط الساعة والساعة يومئذ اقرب من الناس من يدي هذه اي
الموضوعة على راسك اي راسي رواه كذا هنا بياض في الاصل والحق في الحاشية

ابو داود واسناده حسن ورواه الحاكم في صحيحه جزري والحق في نسخة رواه ابو داود
والحاكم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ بصيغة
المجهول اي اذا اخذ الفي اي الغنيمة دولا بكسر الدال وفتح الواو وبضم اوله جمع دولة بالضم
والفتح اي غلبة في المداولة والمداولة المناولة ففي القاموس الدولة انقلاب الزمان
والعقبة في المال ويضم او الضم فيه والفتح في الحرب او هما سوا او الضم في الاخرة
والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة وفي شرح ابن الملك قال الازهري الدولة بالضم اسم لما
يتداول من المال يعني الفي وبالفتح الانتقال من حال البوس والضرا الى حال البوس والضرا
الى حال السرور قال التوربشتي اي اذا كان الاغنيا واصحاب المناصب يستاثرون
بحقوق الفقرا او يكون المراد منه ان اموال الفي توخذ غلبة واثرة صنيع اهل الجاهلية
وذوي العدوان والامانة مغنما بان يذهب الناس بودايع بعضهم وامانانهم فيتخذونها
كالمغانم يغنمونها والزكاة مغرما اي بان يشق عليهم اداوها بحيث يعدوها غرامة
تعلم بصيغة المجهول من باب التفعل لغير الدين قال الطيبي هو بالالف واللام كذا في
جامع الترمذي وفي جامع الاصول وفي نسخ المصابيح بغير اللام والاولى اولى رواية
ودراية اي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر الاحكام بين المسلمين
لاظهار دين الله واطاع الرجل امراته اي فيما تامره وتهواه مخالفا لامر الله وعق امه
وعاق امه اي خالفها فيما تامره وتنهاه وفي القرمين اشعار بانقلاب الدهر لانعكاس
الامر كما في قوله وادنى صديقه واقصى اباه حيث قرب صديقه الاجنبي اليه وبعد
اقرب الاقربين منه مع انه اشفق الاشفقين عليه هذا وقال ابن الملك خص عقوق
الام بالذكر وان كان عقوق من الابوين معدودا من الكبائر لتاكد حقها او يكون قوله
واقصى اباه بمنزلة وعق اباه فيكون عقوقهما مذكورا قول ففيه تفنن وتجنيس
مع زيادة المبالغة في قوله اقصى على قوله عق على انه يفهم عقوق الاب من عقوق الام
بالاولى وقال الطيبي قوله وادنى صديقه واقصى اباه كلاهما قرينة لقوله واطاع امراته
وعق امه لكن المذموم في الاولى الجمع بينهما لان ادناء الصديق محمود بخلاف الثانية
فان الافراد والجمع بينهما مذمومان اقول فيه نظر لان اطاعة المراة في المباح مندوبة
وفي المعصية منهية فالغرابة بينهما انما هي في انعكاس القضية وانقلاب
البلية وكذا في القرينتين الاولين اذ تصور ادناء الصديق الصالح والبعاد الاب الطالح
ويويد ما حررناه قوله فرجح جانب الزوجة لانها محل الشهوة على جانب الام فانها مصانة
الالمرب وخص الام بالذكر لزيادة حقها وتاكد شفقتها في تربيته فعقوقها اقبح
انبح من عقوق الاب وادنى صديقه اي قربه الى نفسه للموانسة والمجالسة واقصى
اباه ابعده ولم يستصحبه ولم يستانس به وظهرت الاصوات اي رفعها في المساجد وهذا
مما كثر في هذا الزمان وقد نص بعض علمائنا بان رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر حرام

وساء القبيلة وفي نسخة ها البلد والمحلة فاسقهم وظالمهم بالاولى وقد كثر هذا ايضا
والظاهر ان الكثرة هي العلامة والا فلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الاشيا وقد قال
تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وكان زعيم القوم اي المتكفل
بامرهم ارذلهم اي اخلهم او اكثرهم اذا لة في النسب والحسب قال السيوطي زعيم القوم رئيسهم
وفي القاموس الزعيم الكفيل وسيد القوم ورئيسهم والمتكلم عنهم ثم اعلم ان الشيخ
جمعا اي رفع زعيم ونصب ارذلهم وكان الظاهر ان يعكس الحكم الا ان يراد بالزعيم الكريم
وبالارذل الاحقر والاجهل وفي المال والجاه اقل واكرم الرجل اي عظم مخافة شره
اي لا بسبب غيره من نحو رجاء خيره وظهرت القينات بفتح القاف وسكون التحتية
اي الاماء المغنيات والمعازف بفتح الميم وكسر الزاي اي وظهرت الات اللهو وشربت
بصيغة المجهول الخمور اي انواع الخمر والمراد انها تشرب شربا ظاهرا ولعن اخر هذه الامة اولها
فيه اشارة الى ان هذه العلامة من خصوصيات هذه الامة فانه لم يقع في الامم السابقة
وهي المناسبة ان يكون من اشراط الساعة ويؤيده انه لو قيل لليهود والنصارى من افضل
اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام وقال الطيبي اي طعن الخلف في السلف
وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم في الاعمال الصالحة فكانه لعنهم قوله اذا كانت الحقيقة
متحققة فما الحوج الى العدول عنها الى المعنى المجازي وقد كثرت كثرة لا يخفى في العالم
مع ان الله تعالى قال في حق الاولين والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال لقد رضي الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة والكتاب والسنة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم وهم
الذين نصروا منهم في اجتهاده وجاهدوا في الله حق جهاده وفتحوا بلاد الاسلام وحفظوا
الاحكام وسائر العلوم من سيد الانام وانتفعوا بهم علماء الاعلام ومشايخ الكرام
وقد علمنا الله في كتابه ان نقول في حقهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
وقد ظهرت طايفة لاعنة ملعونة اما كافرة او مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن والطعن
في حقهم بل نسبوهم الى الكفر بمجرد اوهامهم الفاسدة وافهامهم الكاسدة من ان ابا بكر وعمر
وعثمان وعلي اخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق والحال ان هذا باطل بالاجماع سلفا
وخلفا ولا اعتبار بانكار المنكرين واي دليل لهم من الكتاب والسنة يكون نصا على
خلافة ثم من خالفه من بعض الصحابة في ايام خلافته ايضا انما على اختلاف اجتهاد
فليس يستحق اللعن غايته انه كان مخطيا ولو فرضنا انه كان مسيا فلعله مات تائبا او باقيا
تحت المشيئة مع طالب رجا المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة وقد
روى ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه مرفوعا يكون لاصحابي زلة يغفرها الله لهم
لسابقتهم معي ونحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر والكبائر اذا كنا راجين رحمة ربنا
وشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فكيف باكابر هذه الامة وبانصار هذه الملة ومن

العجيب ان طايفة الروافض المرفوضة الباغضة المبغوضة افسق الخلق واظلمهم واجهل
العالمين واحملهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس هذا وقد قال صلى الله عليه
وسلم لا تذكروا موتاكم الا بالخير وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقد اخرج ابن عساكر عن جابر
مرفوعا حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب
من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه
يوم القيامة فارتقبوا جواب اذا والمعنى فانتظروا عند ذلك اي عند وجود ما ذكر ريحا
حمرا اي شديدة في الهواء وزلزلة اي حركة عظيمة للارض وخسفا اي ذهابا في الارض
وغيبوبة فيها ومسخا بتغيير الصورة على طبق اختلاف تغيير السير وقذفا اي رمي
حجارة من السماء وايات اي علامات اخر لدنو القيمة وقرب الساعة تتابع بحذف احدى
التاءين اي يتبع بعضها بعضا كنظام بكسر النون اي عقد من نحو جوهر وخرز قطع سلكه
بكسر اليمن اي انقطع خيطه فتتابع اي ما عليه من الخرز وهو فعل ماض بخلاف المضارع
فانه حال او استيناف رواه الترمذي اي وقال غريب وروى احمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعا
الايات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضا وعن علي رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة بسكون الشين المعجمة
وبكسر خصلة اي فعلة ذميمة فحل بها البلاء اي نزل وعدها اي واحصى النبي صلى الله عليه وسلم
هذه الخصال اي الخمسة عشر ولم يذكر اي علي تعلم لغير الدين قال الطيبي هذا كلام صاحب
المصابيح وذلك ان الترمذي ذكر الحديثين على الولاء وعد في الاول واحد منهما الاعداد
الخمسة عشر قال اي علي وبر صديقه اي بدل ادنى وجفا اباه بدل اقصى اباه واختلاف عبادة
وكذا قوله وقال اي علي وشرب الخمر بدل شربت الخمر بتغيير الفعل والفاعل ولبس بصيغة
المجهول الحرير قال صاحب المختصر هذا بدل من اللعن وهو غير صحيح لان اللعن مذكور
في حديث علي فالصواب انه بدل من تعلم لغير الدين فسقط في العددان في الروايتين
فصح قول الطيبي انه عد في كل واحد منهما الاعداد الخمسة عشر وبطل قول صاحب
المختصر ان المجموع خمسة عشر واما المذكور في الحديث الثاني فستة عشر انتهى وها انا
اذكر لك مفصلا ما ذكره المؤلف مجملا مختصرا مخلا بقوله رواه الترمذي ففي الجامع اذا
فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة
مغرما واطاع الرجل زوجته وعق امه وبر صديقه وجفا اباه وارتفعت الاصوات في
المساجد وكان زعيم القوم ارذلهم واكرم الرجل مخافة شره وشرب الخمر ولبس الحرير واتخذت
القينات والمعازف ولعن اخر هذه الامة اولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمرا وخسفا او مسخا
رواه الترمذي عن علي والواو هنا للتنويع والواو هناك للجمع به يحصل الجمع وعن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا اي لا تفنى ولا تنقضي حتى
يملك العرب اي ومن تبعهم من اهل الاسلام فان من اسلم فهو عربي رجل من اهل بيتي

يواطي اي يوافق اسمه اسمي اي ويطابق رسمه رسمي فانه محمد المهدي ويحيد به صلى الله
عليه وسلم يهدي وقال الطيبي لم يذكر العجم وهم مرادون ايضا لانه اذا ملك العرب
واتفقت كلمتهم وكانوا يدا واحدة قهروا سائر الامم ويؤيده حديث ام سلمة لعبيد هذا
انتهى ويمكن ان يقال ذكر العرب لغلبتهم في زمنه او لكونهم اشرف او هو من باب الاكتفاء
مراده العرب والعجم كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والاظهر انه اقتصر
على ذكر العرب لانهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم يعني ضد العرب فانه يقع منهم في اطاعته
والله اعلم رواه الترمذي وابو داود وفي رواية له اي لابي داود ولو لم يبق من الدنيا
الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله اي يظهر فيه اي في ذلك اليوم رجلا اي كاملا
مني اي من نسبي او من اهل بيتي شك من الراوي ولفظ المصابيح حتى يبعث فيه رجل
من اهل بيتي واختلف في انه من بني الحسن او من بني الحسين ويمكن ان يكون جامعا بين
النسبتين الحسنيين والاظهر انه من جهة الاب حسني ومن جانب الام حسيني قياسا على
ما وقع في ولدي ابراهيم وهما اسماعيل واسحاق عليهم الصلاة والسلام حيث كان انبياء بني
اسرائيل كلهم من بني اسحاق وانما نبي من ذرية اسماعيل نبينا عليه الصلاة والسلام وقام
مقام الكل ونعم العوض وصار خاتم الانبياء فكذلك لما ظهرت اكثر الائمة واكابر الامة
من اولاد الحسين فناسب ان ينجبر الحسن بان اعطي له ولد يكون خاتم الاولياء ويقوم
مقام سائر الاصفياء على انه قد قيل لما نزل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة الصورية
كما ورد منقبته في الاحاديث النبوية اعطي له لواء ولاية المرتبة القطبية
فالمناسب ان يكون من جملتها النسبة المهدية المقارنة للنبوة العيسوية واتفاقهما
على اعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها الوف الصلاة والسلام والوف التحية وسياتي في حديث ابي
اسحاق عن علي كرم الله وجهه ما هو صريح في هذا المعنى والله اعلم يواطي اسمه اسمي واسم
ابيه اسم ابي فيكون محمد بن عبد الله وفيه رد على الشيعة حيث يقولون المهدي وهو القائم المنتظر
هو محمد بن الحسن العسكري يملأ الارض استئناف مبين لحسبه كما ان ما قبله مبين لنسبه
اي يملأ وجه الارض جميعها او ارض العرب وما يتبعها والمراد اهلها قسطا بكسر
اوله وتفسيره قوله وعدلا اتى بهما تاكيدا واكد الجمع في قوله كما ملئت اي الارض قبل
ظهوره ظلما وجورا على انه يمكن ان يغاير بينهما بان يجعل الظلم هنا مقام الانزجار والجور
تعديا متعديا وكذلك يحتمل ان يراد بالقسط اعطاء كل ذي حق حقه وبالعدل
النصفة والحكم بميزان الشريعة وانتصار المظلوم وانتقامه من الظالم فيكون
جامعا كما قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وفاء بما قاله العلماء من ان الدين
هو التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وموصوف بوصف الكمال وهو اجراء
كل من تجلي الجمال وتجلي الجلال في محله اللائق بكل حال من الاحوال هذا ورواه احمد
وابو داود عن علي رضي الله عنه مرفوعا لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله تعالى رجلا

من اهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا ورواه ابن ماجة عن ابي هريرة مرفوعا
لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من اهل بيتي يملك
جبل الديلم والقسطنطينية وفي القاموس الديلم جبل معروف وروى الروياني
عن حذيفة مرفوعا المهدي رجل من ولدي وجهه كالكوكب الدري وعن ام سلمة
رضي الله عنها ام المومنين قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي
قال بعض الشراح العترة ولد الرجل من صلبه وقد يكون العترة الاقرباء ايضا وهي
العمومة قلت المعنيان لا يلايمان ههنا لانه يقول من اولاد فاطمة وفي النهاية عترة
الرجل اخص اقاربه وعترة النبي صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل قريش
كلهم والمشهور المعروف انهم الذين حرمت عليهم الزكاة اقول المعنى الاول هو المناسب
للمرام وهو لا ينافي ان يطلق على غيره بحسب ما يقتضيه المقام وقيل عترته اهل بيته
الاقربون وقيل ازواجه وذريته وقيل اهله وعترته الاقربون وقيل نسله
ورهطه الادنون وعليهما اقتصر الجوهري قلت وهو الذي ينبغي هنا ان يعتمد عليه
ويقتصر عليه رواه ابو داود وكذا ابن ماجة ورواه الحاكم وصححه واما ما رواه
الدارقطني في الافراد عن عثمان رضي الله عنه المهدي من ولد العباس عمي فمع ضعف
اسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية او يكون للمهدي الموعود
ايضا نسبة نسبية الى العباسية فقد رواه احمد وابن ماجة عن علي مرفوعا المهدي
من اهل البيت يصلحه الله في ليلة اي يصلح امره ويرفع قدره في ليلة واحدة او ساعة
واحدة من الليل حيث يتفق على خلافته اهل الحل والعقد فيها وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني اي من نسلي وذريتي او من
عترتي واهل بيتي اجلى الجبهة قال الشارح اي واسعها وفي النهاية خفيف الشعر
ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته كذا ذكره الطيبي مختصرا
وفي النهاية النزعتان من جانبي الراس مما لا شعر عليه والجلا مقصور انحسار مقدم
الراس من الشعر او نصف الراس او هو دون الصلع والنعت اجلى وجلوا وجبهة جلواء
واسعة ففيه تاييد لقول الشارح السابق وهو الموافق للمقام المطابق اقنى الانف اي
مرتفعه كذا قاله شارح وفي النهاية القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب
في وسطه يقال رجل اقنى وامراة قنواء انتهى ففي الكلام تجريد والارنبة طرف الانف
على ما في القاموس والحدبة الارتفاع وهو ضد الانخفاض والمراد انه لم يكن افطس
فانه مكروه الهيئة يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين
واما ما سياتي من قول راو او ثمان سنين او تسع سنين فهو شك منه فيحمل ان هذه
الرواية مجزومة بالسبع ويؤيده ما سياتي من رواية ابي داود ايضا عن ام سلمة ويحتمل
ان يكون مشكوكه وطرح الشك ولم يذكره واكتفى باليقين والله اعلم رواه ابو داود

وصححه ابن العربي ورواه الحاكم في مستدركه وعنه اي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قصة المهدي قال فيجيء الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني التكرار
للتاكيد ويمكن ان يكون اعطني مرة بعد اخرى لما تقرر من كرمه واحسانه قال اي النبي صلى الله
عليه وسلم فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله لما راي من حرصه على المال ومطالبته منه
في كل الاحوال فاغناه عن السؤال وخلص نفسه عن الملال رواه الترمذي وعن
ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اي يقع اختلاف اي فيما بين اهل الحل والعقد
عند موت خليفة اي حكمية وهي الحكومة السلطانية بالغلبة السلطنية فيخرج رجل
من اهل المدينة كراهية لاخذ منصب الامارة او خوفا من الفتنة الواقعة فيها وهي
المدينة المعظمة او المدينة التي فيها الخليفة هاربا الي مكة لانها مامن كل من جا اليها
ومعبد كل من سكن فيها قال الطيبي وهو المهدي بدليل ايراد هذا الحديث الوارد في
باب المهدي فياتيه ناس من اهل مكة اي لما ظهر من امره ومعرفة نور قدره فيخرجونه
اي من بيته وهو كاره اما لبلية الامارة واما خشية الفتنة والجملة حالية معترضة
فيبايعونه بين الركن اي الركن الاسعد وهو الحجر الاسود والمقام اي مقام ابراهيم
عليه السلام ويقع ما بين زمزم ايضا وهذا المثلث هو المسمي بالحطيم من الزمن
القديم وسمي به لان من حلف فيه وحنث او خالف العهد ونقض حطم اي كسر رقبته
وقطع مجنته وهلك دولته ويبعث اليه بصيغة المجهول اي يرسل الي حربه وقتاله
مع انه من اولاد سيد الانام واقام في بلد الله الحرام بعث من الشام اي جيش من اهل
الشامة واللامة فيخسف بهم اي كرامة للامام باعداء بفتح الموحدة وسكون التحتية
بين مكة والمدينة ولعل تقديم مكة لفضيلتها وتقدمها الارض قلت ولا يبعد ان
تكون هي ابي مع انها المتبادر منها ولعل الشيخ ظفر بنقل صريح او بني على ان طريق اهل
الشام من قديم الايام ليس على المدينة ولهذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم
المشهورة ومالوا الي دخول المدينة لمصالح دينية ومنافع دنيوية واما اذا كان غرضهم
محاربة المهدي فمن المعلوم انهم يطولون على انفسهم المسافة بل يريدون المسابقة والمسارعة
الي المحاربة والمسابقة فاذا راي الناس ذلك اي ما ذكر من خرق العادة وما جعل للمهدي
من العلامة اتاه ابدال الشام ولعل البدل من الكرام عن اللئام وفي النهاية ابدال الشام
هم الاولياء والعباد الواحد بدل كجمل او بدل كحمل سموا بذلك لانه كلما مات منهم واحد بدل
باخر قال الجوهري الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد ابدل الله
مكانه باخر قال ابن دريد واحدهم بديل قلت يؤيده انه يقال لهم بدلاء ايضا فيكون نظير
شريف واشراف وشرفاء ثم انهم سموا ابدالا لانهم قد يرحلون في مكان ويقيمون في مكانهم
الاول شبحا اخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وفي القاموس الابدال قوم بهم يقيم الله
عزوجل الارض وهم سبعون اربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهي والظاهر ان المراد

بالشام

بالشام جهته وما يليه من ورايه لا بخصوص دمشق الشام والله اعلم بالمراد ثم يحتمل
انهم سموا ابدالا لانهم ابدلوا الاخلاق الدنية بالشمايل الرضية او لانهم من بدلا الله
سياتهم حسنات وقال القطب الحقاني الشيخ عبد القادر الجيلاني انما سموا ابدالا لانهم فنوا
عن ارادتهم فتبدلت بارادة الحق عزوجل فيريدون بارادة الحق ابدا الي الوفاة فذنوب هولا
السادة ان يشركوا ارادة الحق بارادتهم علي وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة
فيدركهم الله برحمته باليقظة والتذكرة فيرجعون عن ذلك ويستغفرون ربهم عزوجل
انتهي ولعل العارف ابن الفارض اشار الي هذا المعني في قوله ولو خطرت لي في
سواك ارادة علي خاطري سهوا حكمت بردتي فان حسنات الابرار سيات المقربين وقد علم
كل اناس مشربهم من ماء معين وعصائب اهل العراق اي خيارهم من قولهم عصبة القوم
خيارهم ولعله منه قوله تعالي ونحن عصبة او طوايفهم فان العصابة تاتي بمعني
الجماعة يتعصب بعضهم بعضا ويعصب ويشد بعضهم ظهر بعض ويعضده وفي النهاية
العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة الي الاربعين ولا واحد لها من
لفظها ومنه حديث علي رضي الله عنه الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق
اراد ان التجمع للحروب يكون بالعراق وقيل اراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لانه قرنهم
بالابدال والنجباء ذكر ابو نعيم الاصفهاني في حلية الاولياء باسناده عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال
اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل ابدل الله عزوجل من الخمسمائة
مكانه وادخل في الاربعين وكانهم قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قال يعفون عمن
ظلمهم ويحسنون الي من اساء اليهم ويتواسون فيما اتاهم الله عزوجل وباسناده ايضا عن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عزوجل في الخلق سبعة وساق
الحديث الي قوله فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء قيل لعبد الله بن مسعود
كيف بهم يحيي ويميت قال لانهم يسالون الله عزوجل اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة
فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسالون فينبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم انواع
البلاء انتهي والمعني ان الابدال والعصائب ياتون المهدي فيبايعونه ثم ينشا اي يظهر
رجل من قريش هذا هو القوي الذي يخالف المهدي اخواله كلب وهو قبيلة فتكون امه كلبية
وفيه اشارة خفية وبشارة جلية وتفاول بغلبة ردية خير البرية قال التوربشتي يريد
ان القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في امره ويستعين عليه باخواله من بني كلب فيبعث
ابن الكلبية اليهم اي الي المبايعين للمهدي بعثا اي جيشا فيظهرون عليهم اي فيغلب المبايعون
على البعث الذي بعثه الكلبي وذلك اي البعث بعث كلب اي جيش كلب باعثه هو في نفس
الكلب ويعمل اي المهدي في الناس بسنة نبيهم اي بشريعته ويلقي بضم اوله اي يرمي ويرخي
الاسلام اي المشبه بالبعير المنقاد للامام بجرانه بكسر الجيم فراء ونون وهو مقدم عنقه

اي بكا له في الارض ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كاطلاق الرقبة على المملوك وفي النهاية
الجران باطن العنق ومنه الحديث اي ناقته صلى الله عليه وسلم وضعت جرانها وحديث عايشة
رضي الله عنها حتى ضرب الحق بجرانه اي قوي الاسلام واستقر قراره واستقام كما ان البعير اذا
برك واستراح مد عنقه على الارض قيل ضرب الجران مثل للاسلام اذا استقر قراره فلم يكن
فتنة وجرت احكامه على السنة والاستقامة والعدل فيلبث بفتح الباء الموحدة اي يمكث
المهدي بعد ظهوره سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون رواه ابو داود وقال
الحافظ السيوطي في تعاليقه على ابي داود ولم يرد في الكتب الستة ذكر الابدال الا في هذا
الحديث عند ابي داود وقد اخرجه الحاكم وصححه وقال الشيخ زكريا في رسالته المشتملة
على تعريف غالب احوال الصوفية القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي هو محل نظر الله
تعالى من العالم في كل زمان اي ينظر خاصا يترتب عليه افاضة الفيض واستفاضته
فهو الواسطة بين الله وبين عباده فيقسم الفيض المعنوي على اهل بلاده بحسب
تقديره ومراده ثم قال الاوتاد اربعة منازلهم على منازل الاركان من العالم شرق وغرب
وشمال وجنوب مقام كل منهم مقام تلك الجهة قلت فهم الاقطاب في الاقطار ياخذون
الفيض من قطب الاقطاب المسمى بالغوث الاعظم فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير
الاعظم فاذا مات القطب الاعظم ابدل من هذه الاربعة احد بدله غالبا ثم قال الابدال قوم
صالحون لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه اخر وهم سبعة قلت
الابدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعا وقد سبق للبدل معنى اخر فالاولى حمله على
ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصول كثرة البدل فيهم لغلبتهم فانهم العيون ما في الحديث
السابق او سبعون على ما ذكره صاحب القاموس بقوله وهم سبعة وهم ثم قال النقباء هم
الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة اقول لعله اخذ هذا المعنى من النقباء
بمعنى النقب والاطهار المنفاجع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم على
ما في القاموس ومنه قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اي شاهدا من كل سبط
ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يتكفل عليهم بالوفاء بما امروا به وعاهدوا
عليه على ما في البيضاوي والظاهر انهم جنسانية على ما سبق في الحديث ثم قال النجباء
هم المشتغلون بحمل اثقال الخلق وهم اربعون اقول كانه اخذ هذا المعنى من اللغة ففي
القاموس ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجائب والانسب ما ذكر فيه ايضا من ان النجيب
الكريم والجمع نجباء المنتخب المختار ونجايب القران افضله هذا وقد اخرج ابن عساكر
عن ابن مسعود مرفوعا ان لله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب ادم عليه السلام وله اربعون
قلوبهم على قلب موسى عليه السلام وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام
وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه
السلام وله واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام كلما مات واحد ابدل الله مكانه

القاطع

مطلب القطب والاوتاد

بمعنى

من

من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من
الخمسة واحد ابدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة ابدل الله
مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات
واحد من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة فبهم يدفع الله تعالى عن هذه الامة انتهى
وارجو من الله تعالى وحسن فضله وكرمه وعموم جوده انه اذا وقع محلولا من هذه المناصب
العلية يجعلني منصوبا على طريق البدلية ولو من مرتبة العامة الى ادنى مرتبة الخاصة
ويتم على هذه النعمة مع الزيادة الى حسن الخاتمة ثم في الحديث دلالة على ما ذكرناه
من الاحتمال ان تكون الابدال لا يكون من خواص الابدال بل بعموم الرجال من ارباب الاحوال
وفيه تنبيه نبيه على انه لم يذكر ان احدا يكون على قلب النبي صلى الله عليه وسلم
اذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والامر اشرف والطف من قالبه الاكرم صلى الله عليه وسلم
وفيه ايضا ما يشعر بظاهره بتفضيل خواص الملك على خواص البشر وكذا تفضيل اسرافيل
وميكائيل على جبرائيل والجمهور على خلاف ذلك والله اعلم هذا وقال العارف الصمداني الشيخ
علاء الدولة السمناني في عروة الوثقى ان البلال من البدلاء السبعة كما اخبر عنه النبي صلى
الله عليه وسلم فقال هو من السبعة وسيدهم اقول لا بد من ثبوت هذا من ثقات وسندهم
قال وكان القطب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم عمرا ويس القرني عصام فتحرى ان يكون
اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي صلى الله
عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات وهو الله قلت هذا القيد
يؤيد ما سبق من ان احدا لم يكن على قلبه صلى الله عليه وسلم في مقامه الاعظم لكن في كون القطبية
لعصام وهو غير معروف في انه من الصحابة او التابعين بخلاف اويس فانه مشهور
وقد ورد في حقه انه سيد التابعين اشكالا عظيما فانه كيف تكون له القطبية الكبرى
مع وجود الخلفاء الاربعة وساير فضلاء الصحابة الذين هم افضل الناس بعد الانبياء
بالاجماع وايضا فقد قال اليافعي رحمه الله وقد سترت احوال القطب وهو الغوث عن
العامة والخاصة غيرة من الحق عليه لكني اقول الظاهر ان هذا غالبي لثبوت القطبية
للسيد عبد القادر بلا نزاع ثم اعلم ان كثيرا من الناس ادعوا انه المهدي فمنهم من اراد
المعنى اللغوي فلا اشكال ومنهم من ادعى باطلا وزورا واجتمع عليه جمع من الاوباش
واراد الفساد في البلاد فقتل واستراح منه العباد ومنهم من راى رؤيا ووافقه الحال فحملها
شيخه على الافاق وكان حقه ان يحملها على الانفس لئلا يحصل الاختلال وهو رئيس النور
بخشيه احد مشايخ الكبروية وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية ولهم
رياضات عليه ولكنهم فانو سفلية وجهالات ظاهرة من جملتها انهم يعتقدون ان المهدي
الموعود هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان وليس يظهر غيره مهدي
في الوجود ومن ضلالتهم انهم يعتقدون ان من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر وقد جمع

شيخنا العارف بالله تعالى الولي الشيخ علي في رسالة تامة في علامات المهدي منتخبة من رسايل
السيوطي واستفتي من علماء مصره الموجودين في مكة من المذاهب الاربعة وقد افتوا بوجوب
قتل من يعتقد من غلاة الامر عليهم وكذا معتقد الطايفة الشيعة من الامامية
ان المهدي الموعود وهو محمد بن حسن العسكري وانه لم يمت بل هو مختف عن اعين الناس من
العوام والاعيان وانه امام الزمان وانه سيظهر في وقته ويحكم في دولته وهو مردود عند
اهل السنة والجماعة والادلة مستوفاة في الكتب الكلامية وقد صرح في العروة
الوثقى بان محمد بن الحسن العسكري اذا اختفى دخل في دايرة الابدال اولا وبقي فيهم
حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الابدال ثم دخل في دايرة الابطال يعني دايرة
الاربعين وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الابطال ثم دخل في سايرة السياح
وهم السبعة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد السياح ثم دخل في دايرة
الاوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم احد فصار سيد الاوتاد ثم دخل
في دايرة الافراد وهم الثلاثة وبقي فيهم حتى لا يبقى احد منهم فصار سيد الافراد
ثم جلس على الامكنة القطبية بعدان توفي الله علي بن الحسين البغدادي القطب الله
وهو دفن في بغداد في الشونيزية بروح وريحان وبقي في المرتبة القطبية تسع عشرة سنة
ثم توفاه الله اليه بروح وريحان انتهى وقد نقل مولانا عبد الرحمن الجامي قدس الله
سره السامي هذا عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده لكن لا يخفى ان الشيخ
علاء الدولة ظهر بعد محمد بن العسكري بزمان كثير ولم يشهد هذا القول الى من كان في ذلك
الوقت والظاهر انه ادعى هذا عن طريق الكشف وكذا الاعتماد من غيره ايضا لاجل ذلك ولا يخفى
ان مبنى الاعتقاد لا يكون الا على الادلة اليقينية ومثل هذا المعنى الذي اساسه
على ذلك المبنى لا يصلح ان يكون من الادلة الظنية ولذا لم يعتبر احد من الفقهاء جواز العمل
في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الامور الكشفية ومن الحالات المناسبية
ولو كانت منسوبة الى الحضرة النبوية عليه افضل الصلاة والسلام والا كمل التحية
لكن الاحاديث الواردة في احوال المهدي مما جمعه السيوطي وغيره ترد على الشيعة
في اعتقاداتهم الفاسدة واراءهم الكاسدة بل جعلوا تمام ايمانهم وبناء اسلامهم
واركان احكامهم بان محمد بن الحسن العسكري هو الحي القايم المنتظر وهو المهدي الموعود
على لسان صاحب المقام المحمود والحوض المورود وعن ابي سعيد قال ذكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلاء اي عظيما يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجا اي ملاذا يلجا اليه
اي يعوذ ويلوذ به من الظلم اي بلا ناشيا من الظلم العام فيبعث الله رجلا اي كاملا عادلا
عالما عاملا وهو المهدي من عترتي اي اقاربي واهل بيتي اي من ذريتهم فيملا اي الله به
اي بسبب وجود ذلك الرجل الارض اي جميعا وفي نسخة صحيحة تملا بالتانيث مجهولا فالارض
مرفوع قسطا وعدلا تمييز من النسبة كما ملئت اي بغيره ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السما

اي جنسه من الملايكة وارواح الانبيا عليهم السلام وساكن الارض اي من المومنين وحتى
الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق في فضل العلماء والجملة استيناف بيان كقوله لا تدع
السما اي لا تترك في زمانه من قطرها شيا اي من امطارها الا صبته اي كبته
مدرارا اي الفايق المدرار الكثير الدر ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمونث كقولهم
امراة معطار ومطفال وهو منصوب على الحال من السما اي من فاعل صبته ولا تدع الارض
من نباتها اي من انواع نباتها واصنافها شيا الا اخرجته اي انبتته واظهرته حتى تتمنى
الاحيا بفتح الهمزة جمع الحي من فوع واحظامن كسر الهمزة ونصبه الاموات بالنصب ومن
عكس ترتيب لم يصب قال التوربشتي الاحيا رفع بالفاعلية وفي الكلام حذف اي يتمنون
حياة الاموات وكونهم احيا وانما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير والامن ويشاركوهم
فيه ومن زعم فيه الاحيا بالنصب من باب الافعال او فاعل التمني الاموات فقد احال
يعيش اي المهدي في ذلك اي فيما ذكر من العدل وانواع الخير سبع سنين وهو مجزوم به في
اكثر الروايات او ثمان سنين شك من الراوي وكذا قوله او تسع سنين رواه ميرك هنا بياض
في الاصل والحق به رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح لكن نقل الجزري ان الذهبي قال
اسناده مظلم وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج
رجل اي صالح من وراء النهر اي ما وراءه من البلدان لبخاري وسمرقند ونحوهما يقال له الحارث
اسم له وقوله حراث بتشديد الراء صفة له زراع على مقدمته اي على مقدمة جيشه
رجل يقال له منصور اسم له او صفته وقيل المراد به ابو منصور الماتريدي وهو امام جليل
مشهور وعليه مدار اصول الحنفية في العقايد الحنيفية لكن ايراد الحديث في هذا
الباب غير ملايم له ومع هذا لا يمنع من الاحتمال والله اعلم بالحال مع ان عنوان الباب اشراط
الساعة وهو اعم من المهدي وغيره ونقل عن خواجه عبد الله السمرقندي النقشبندي
انه قال المنصور هو الخضر ومثل هذا لم يصدر عنه الا بنقل قال او كشف حال يوطن
اي يستقر ويثبت الامر او اصل التوطين جعل الوطن لاحد او يمكن شك من الراوي ومنه
قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وهي بمعنى الدار اي يهيي الاسباب
باموال وخزاينه وسلاحه ويمكن امر الخلافة ويقويها ويساعدها بعسكره لال محمد اي
لذريته واهل بيته عموما وللمهدي خصوصا او آل محمد والمعنى لمحمد المهدي كما مكنت
قريش اي كتمكنهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد من منهم ودخل في التمكين ابو
طالب ايضا وان لم يومن عند اهل السنة وقال الطيبي قوله يمكن لال محمد اي في الارض
كقوله تعالى مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعل له في الارض مكانا واما مكنته في الارض
فاثبته فيها ومعناه جعل لهم في الارض ذو بسطة في الاموال ونصرة على الاعداء واراد
بقوله كما مكنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قريش آخر امرها فان قريشا وان اخرجوا
النبي صلى الله عليه وسلم اولا من مكة لكن بقاياهم واولادهم اسلموا ومكنوا لمحمد صلى الله

عليه وسلم واصحابه في حياته وبعد مماته انتهى ولا يخفى ان المراد بالتمكين في الاية غير التمكين
في الحديث مع ان المراد من تمكين المشبه تمكينه في اول امره فلا يجب حمل المشبه به على
اول امره ثم قوله اخرجه النبي على ظاهره الموهم لانما نشه صلى الله عليه وسلم ولذا قيل يكفر
من اطلق هذا القول وتاويله انهم تسببوا بخروجه بالهجرة الى امكان النصارة من المدينة
المطهرة وقوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف
المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب على ما صرح به البيضاوي
وغيره وجب على كل مومن نصره اي نصر الحارث وهو الظاهر او نصر المنصور وهو الابلغ
او نصر من ذكر منهما او نصر المهدي بقرينة المقام اذ وجدت نصرها على اهل بلادهما من
بوان به لكونهما من الانصار للمهدي او قال اجابته شك من الراوي والمعنى قبول دعوته
والقيام بنصرته رواه ابو داود في باب المهدي بناء على المعنى المذكور وانما قام عنده
من الدليل الظاهر قال السيد وفيه انقطاع وعن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع
اي سباع الوحش كالاسد او سباع الطير كالبازي ولا منع من الجمع الانس اي جنس الانسان
من المومن والكافر حتى تكلم الرجل في تقديم المفعول هنا تفنن في العبارة وبيان جواز في الاستعمال
مع انه يجب تاخر الفاعل في مثل هذا الحال عذبة سوطه بفتح العين المهملة والذال المعجمة
اي طرفه على ما في القاموس وغيره وقال شارح الجارس سوطه وهي قد يكون في طرفه سباق
به الفرس من عذبة الماء اذا طاب وشاع في الخلف اذ بها يطيب سير الفرس ويستريح راكبه
وقيل من العذاب اذ بها يجلد الفرس ويعذب فيتناص ويذهب وشراك نعله فخذه بما
احدث رواه الترمذي والحاكم وصححه

الفصل الثالث

عن ابي قتادة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اي ايات الساعة وعلامات القيامة تظهر
باعتبار ابتدائها ظهورا كاملا بعد المايتين اي من الهجرة او من دولة الاسلام او من وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون اللام في المايتين للعهد اي بعد المايتين بعد
الالف وهو وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وتتابع الايات
من طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض وظهور ياجوج وماجوج وامثالها قال الطيبي
الايات بعد المايتين مبتدا وخبر اي تتابع الايات وظهور اشراط الساعة على التتابع
والتوالي بعد المايتين ويؤيده قوله في الحديث السابق وايات تتابع كنظام قطع
سلكه فتتابع والظاهر اعتبار المايتين بعد الالف انتهى ولا يخفى عدم ظهوره على
ذوي النهى رواه ابن ماجة وكذا الحاكم في مستدركه وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رايت المقصود منه الخطاب العام اي اذا ابصرتم الرايات اي الاعلام السود
ويحتمل ان يكون السود كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان الظاهر انهم عساكر
الحارث والمنصور فاتوها اي فاتوا الرايات واستقبلوا اهلها واقبلوا امراءها فان فيها

به اهله لعدم

خليفة

خليفة الله المهدي اي نصرته واجابته فلا يبعد ان يكون ظهور المهدي انما يكون في الحرمين
الشريفين ثم ظاهره على جواز ان يقال فلان خليفة الله اذا كان على طريق وسبيل
العدل وقد سبق منعه لكن قد يأول بان المراد منه انه منصوب من الله خليفة لانبيائه
فيصح ان يكون المنصوب هو المنسوب ونظيره قوله تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله رواه احمد في مسنده والبيهقي في دلائل النبوة وكذا الحاكم في مستدركه وعن
ابي اسحاق الظاهر ان المراد به ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي قال المولف راى عليا وابن
عباس وغيرهما من الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن ارقم وروى عنه الاعمش وشعبة
والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة
تسع وعشرين ومائة قال قال علي موقوفا ونظر الى ابنه الحسن الجملة حال معترضة بين
القول ومقوله واتى بقوله قال اما تاكيدا للمقالة او لتوهم الاطالة ان ابني هذا
اشارة الى تخصيص للحسن لئلا يتوهم ان المراد هو الحسين والحسن سيد كما سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي بقوله على ما سياتي في المناقب ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح
به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وسيخرج من صلبه اي من ذريته رجل يسمى باسم
نبيكم يشبهه في الخلق اي في جميعه اذ سبق بعض لفته الموافق لخلقه صلى الله عليه وسلم
ثم ذكر قصة يملا الارض عدلا بالاضافة ودونها فهذا الحديث دليل صريح على ما قدمناه
من ان المهدي من اولاد الحسن ويكون له انتساب من جهة الام الى الحسين جمعا بين الادلة
وبه يبطل قول الشيعة ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري القايم المنتظر فانه حسيني
بالاتفاق لا يبعد الحمل علينا اراد به غير المهدي فانا نقول ببطلانه قضيته يملا الارض عدلا
اذ لا يعرف في السادات الحسنية ولا الحسينية من ملا الارض عدلا الا ما ثبت في حق
المهدي الموعود رواه ابو داود ولم يذكر القصة هذا اعني ولم يذكر القصة كلام جامع
الاصول نقله عنه صاحب المشكاة وهذا معنى كلام الطيبي قوله لم يذكر القصة التعريف
فيه للعهد وهذا الكلام جامع الاصول وليس في سنن ابي داود ثم اعلم ان حديث لا مهدي
الا عيسى بن مريم ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به الجزري على انه من باب لا فتى الا علي
قال القرطبي الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته
من ولد فاطمة ثابتة من اصح هذا الحديث فالحكم لها دونه قال ويحتمل ان يكون معناه
لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى انتهى واخرج الدارقطني في سننه عن محمد بن علي
قال ان لمهدينا ايتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والارض ينكسف القمر لاول ليلة من
رمضان وينكسف الشمس في النصف منه كذا في العرف الوردي في اخبار المهدي للجلال
السيوطي وعن جابر بن عبد الله قال فقد الجراد اي عدم في سنة اي عام من سني
عمر اي من ايام خلافته التي توفي فيها صفة لسنة فاهتم اي اغتم عمر بذلك اي بفقده هما شديدا
اي خوفا من هلاك ساير الامم لما سياتي فبعث الى اليمن راكبا وراكبا الى العراق وهو الشرف

نفس في العبارة ورداكبا الى الشام ولعل عمر بعثه الى الغرب لبعده او لفضله بالحر او
لقلة وجوده غالبا في ذلك القطر فسال اي عمر او كل من الركبان بتخصيص عن الجواد وقوله
هل ادري روي مجهولا ومعلوما اي بحث فابلا اوي منه اي من الجواد شيئا اي من اثره وخبره
وهو ثمن فاتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضه بفتح القاف والضاد المعجمة اي بمقبوضه
من الجواد فنثره بين يديه فلما راها عمر كبر اي فرحا لما سيأتي قال اي عمر سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق الف امة المراد كل جنس من اجناس الدواب
كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ستمائة
بالرفع منها اي من الالف في البحر واربعمائة في البر وفي نسخة بالنصب في ستمائة واربعمائة
على البدلية من الف امة منه فان اول هلاك هذه الامة اشارة الى قوله الف امة فالمراد
بها الجنس الجواد وفي رواية ان اول هذه الامة بدون لفظ الهلاك فيقدر هلاكا والمراد
ان اول هلاك الامة خلقا الجواد ويمكن ان يكون المراد بهذه الامة امته صلى الله عليه
وسلم فاذا اهلك الجواد تتابعت الامم اي في الهلاك كنظام السلك اي كتتابع خرز منظوم
الخيط في النثر اذا انقطع السلك او كتتابع وجود الخرز في حال نظام السلك لان المقصود
من التشبيه هو التوالي وهو حاصل في الصورتين لكن الاول ابلغ والاكمل في ملاحظة
وجه الشبه في الهلاك رواه البيهقي في شعب الايمان باب

علامات بين يدي الساعة وذكر الدجال

وفي نسخة باب علامات وقوله
بين يدي الساعة اي قدامها واصله ان يستعمل في مكان يقابل صدر الشخص مما بين
يديه ثم نقل الى الزمان ثم قوله وذكر الدجال من باب التخصيص بعد التعميم وهو من دجل
اذا ساح في الارض ويقال دجل فلان الحق اذا غطاه وفي النهاية اصل الدجل الخلط يقال
دجل اذا لبس وموه والدجال فعال من ابنية المبالغة اي يكثر منه الكذب والتلبيس وهو
الذي يظهر في اخر الزمان يدعي الالهية

الفصل الاول

عن حذيفة بن اسيد بفتح
الهمزة وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك ولم يذكره المؤلف في اسمائه الغفاري بكسر الغين
المعجمة نسبة الى قبيلة منهم ابو ذر قال اطلع بتشديد الطاء اي اشرف النبي صلى الله عليه
وسلم علينا اي وشرفنا طلعته وجهه المشتمل على الحذر الغالبة لونها على طلوع القمرين حيث
يستفاد منه ضياء الدارين ونحن نتذاكر اي فيما بيننا فقال ما تذكرون اي بعضكم مع بعض
قالوا وفي نسخة فقلنا نذكر الساعة اي امر القيامة واحتمال قيامها في كل ساعة قال انها لن
تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات اي علامات فذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم بيانا للعشر
الدخان قال الطيبي هو الذي ذكر في قوله تعالى يوم تاتي السماء بدخان مبين وذلك كان
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما قال ابن مسعود وهو عبارة عما اصاب
قريشا من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان لكن قال حذيفة هو على حقيقته لانه صلى
الله عليه وسلم سئل عنه فقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة

والمومن

والمومن يصير كالزكام والكافر كالسكران فقوله يصير كالزكام اي كصاحبه او مصدر بمعنى
المفعول كالمزكوم او هو من باب المبالغة كرجل عدل والدجال والدابة وهي المذكورة في قوله
تعالى اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم وطلوع الشمس من مغربها قيل للدابة ثلاث خرجات
ايام المهدي ثم ايام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها ذكره ابن الملك ونزول عيسى
ابن مريم اي المنضم الى ظهور المهدي الاعظم فهو من باب الاكتفاء وقد روى الطبراني عن اوس
ابن اوس مرفوعا ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وروى الترمذي
عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد وفي النهاية موضع بالشام وقيل
بفلسطين كذا في شرح الترمذي للسيوطي وفي القاموس لد بالضم قرية بفلسطين
يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها هذا وقد قيل ان اول الايات الدخان ثم
خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج ياجوج وماجوج ثم خروج الدابة
ثم طلوع الشمس من مغربها فان الكفار يسلمون في زمان عيسى حتى تكون الدعوة
واحدة ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الايمان مقبولا
من الكفار فالواو لمطلق الجمع فلا يرد ان نزوله قبل طلوعها ولا ما سياتي من ان طلوع
الشمس اول الايات وياجوج وماجوج بالهمز فيهما وبدونه اي خروجهما وثلاثة خسوف
قال ابن الملك قد وجد الخسف في مواضع لكن يحتمل ان يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا
زائدا على ما وجد كان يكون اعظم مكانا وقدرا خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف
بجزيرة العرب بالرفع في الثلاثة على تقدير احدها او منها ولو روي بالجر لكان له وجه
من البدلية واخر ذلك اي ما ذكر من الايات نار تخرج من اليمن وفي رواية تخرج من ارض
الحجاز قال القاضي عياض لعلهما ناران تجتمعان تحشران الناس او يكون ابتداء خروجها
من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري ان اول اشراط
الساعة نار تحشرهم من المشرق الى المغرب بان اخريتها باعتبار ما ذكر من الايات واوليتها
باعتبار انها اول الايات التي لا شيء بعدها من امور الدنيا اصلا بل يقع بانتهائها النفخ
في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى مع كل اية منها اشياء من امور الدنيا كذا ذكره بعض
المحققين من العلماء الموفقين تطرد اي تسوق تلك النار الناس الى محشرهم بفتح الشين
وكسرها اي مجمعهم وموقفهم قيل المراد من المحشر ارض الشام اذ صح في الخبر ان الحشر يكون في ارض
الشام لكن الظاهر ان المراد ان يكون مبتدأ منها او يجعل واسعة يسع خلق العالم فيها وفي
رواية اي لمسلم او لغيره نار تخرج من قعر عدن اي اقصى ارضها وهو غير منصرف وقيل
منصرف باعتبار البقعة والموضع ففي المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن وفي القاموس
عدن محركة جزيرة باليمن تسوق اي تطرد الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة
اي في بيانها وبدلا عما ذكر فيهما من النار وريح تلقي الناس في البحر ولعل الجمع بينهما ان المراد
بالناس الكفار وانا رهم تكون مصممة الى ريح شديدة الجري سريعة التأثير في القائها اياهم

في البحر وهو موضع حشر الكفار او مستقر الفجار كما ورد ان البحر يصير نارا ومنه قوله تعالى
واذا البحار سجرت بخلاف نار المؤمنين فانها بمجرد التخريف بمنزلة السوط مهابة لتحصيل
السوق الى المحشر والموقف الاعظم والله اعلم رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي والنسائي
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا اي سارعوا وسابقوا
بالاعمال اي الصالحة النافعة في الاخرة ستا اي ست ايات اي علامات لوجود الساعة
اذ يعسر العمل ويصعب فيما بعدها او لم يقبل ولم يعتبر بعد تحققها الدخان والدجال
ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وامر العامة اي الفتنة التي تعم الناس او الامر
الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص من تامير الائمة وخويصة
احدكم بضم وفتح وسكون وتشديد وهو تصغير خاصة اي الوقعة التي تخص احدكم
قيل يريد الموت وقيل هي ما يختص به الانسان من الشواغل المقلقة في نفسه وماله
وما يهتم به وصغر لاستصغارها في جنب سائر الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك
ويؤيد ما قررناه بحسب ما حررناه ما قاله شارح لعين ما ذكرناه اي قبل ظهور الايات
الست المذكورة في الحديث لان ظهورها يوجب عدم قبول ايمان الناس لكونها ملجئة
الى الايمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله فاذا انقطع الثواب انقطع التكليف
وقال القاضي امرهم ان يبادروا بالاعمال قبل نزول هذه الايات فانها اذا نزلت دهشتهم
وشغلتهم عن الاعمال او سد عليهم باب التوبة وقبول الاعمال وفي الفائق معنى
مبادرة الست بالاعمال الانكماش في الاعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها
وتانيث الست لانها دواه ومصائب رواه مسلم وكذا احمد في مسنده وعن عبد الله
ابن عمرو بالواو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا
طلوع الشمس من مغربها قال الطيبي فان قيل طلوع الشمس من مغربها ليس اول الايات
لان الدخان والدجال قبله قلت الايات اما امارات دالة على قرب قيام الساعة واما امارات
دالة على وجود قيام الساعة وحصولها ومن الاول الدخان وخروج الدجال ونحوهما
ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة وخروج النار وطردها الناس
الى المحشر وانما سمي اولا لانه مبتدا القسم الثاني ويؤيده حديث ابي هريرة نعم
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها وخروج الدابة هو بالرفع عطف على طلوع
الشمس وهو خبر اول فيلزم ان يكون الاول متعددا ولهذا قال ابن الملك ولعل الواو
بمعنى او ويؤيده ما في رواية او خروج الدابة على الناس ضحى بالتنوين اي وقت ارتفاع
النهار ثم الظاهر ان نسبة الاولية الحقيقية اليهما مبهمة وانما بالنسبة الى احدهما
مجازية ولذا قال وايهما ولفظ الجامع فايتهما بالفاء والتانيث ما كانت ما زائدة واي
الايتين المذكورتين وقعت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها بفتحتين وبكسر فسكون
اي تحصل عقبها قريبا اي حصولا او وقوعا قريبا وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب

بينهما

بينهما وقال ابن الملك ان قيل كل منهما ليس اول الايات لان بعض الايات وقع قبلهما
قلت الايات اما امارات دالة على قربها فاولها بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم او
امارات متوالية دالة على وقوعها قريبا ومن المراد هنا واما حديث ان اولها خروج
الدجال فلا صحة له كذا في جامع الاصول رواه مسلم وكذا احمد وابو داود وابن ماجة
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اي ايات اذا خرجن فيه تغليب
او معناه ظهرن والمراد هذه الثلاث باسرها لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وقدم الطلوع
وان كان متاخرا في الوقوع لان مدار عدم قبول التوبة عليه وان ضم خروج غيره اليه
رواه مسلم وكذا الترمذي وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين غربت الشمس اتدري اين تذهب هذه اي الشمس والاشارة للتعظيم قلت الله ورسوله
اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش قال بعض المحققين لا يخالف هذا قوله تعالى
وجدها تغرب في عين حمئة فان المراد بها نهاية مدرك البصر وسجودها تحت العرش انما هو
بعد الغروب وفي الحديث رد على من زعم ان المراد مستقرها غاية ما ينتهي اليه في الارتفاع
وذلك اطول يوم في السنة او منتهى امرها عند انتهاء الدنيا قال الخطابي يحتمل ان
يراد بذلك انها تستقر استقرارا علمنا لا يحيط به وقيدنا ذا بالرفع في اصل السيد وبعض
النسخ المصححة وكذا قوله فيؤذن لها ويوشك ان تسجد ولا يقبل بالتذكير اي السجود
والظرف هو نائب الفاعل ويؤنث اي السجدة منها اي من الشمس وهو مرفوع وقيل
منصوب وكذا قوله وتستاذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع
من مغربها فذلك قوله والشمس تجري قال وقوله لمستقر لها قال الخطابي عن بعض
اهل التفسير ان الشمس تجري لاجل قدر لها يعني الى انقطاع مدة بقاء العالم وقال بعضهم
مستقرها غاية ما تنتهي اليه في صعودها وارتفاعها لاطول يوم من الصيف ثم تاخذ
في النزول الى اقصى مشارق الشتاء لاقصر يوم في السنة واما قوله مستقرها تحت العرش
فلا ننكر ان يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وانما اخبر عن غيب
فلا نكذب به ولا نكيفه لان علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي متفق عليه ورواه الترمذي
والنسائي وعن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما بين خلق ادم الى قيام الساعة امر ما نافية والمعنى ليس فيما بينهما فتنة
اكبر اي اعظم من الدجال لعظم فتنته وبليته ولشدة تلبيسه ومحنته رواه مسلم
وفي الجامع رواه احمد ومسلم عن هشام بن عامر فلينظر في الاصول ليتحقق النقول وعن
عبد الله اي ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم
اي بالنظر الى نعوته الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهاته عن العيوب والنقائص وسائر
الحدوثات الزمانية والمكانية فالجملة توطئة لقوله ان الله ليس باعور ومفهومه لا يعتبر

فان المراد به نفي النقص والعيب لا اثبات الجارحة لصفة الكمال قال الطيبي هو للتنزيه كما وسطه سبحانه في قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وان المسيح بالمهملة هو الصواب المعروف وهو فعيل بمعنى فاعل فانه يمسح الارض جميعها بسرعة او بمعنى مفعول فانه ممسوح احدى العينين قال السيوطي نقلا عن ابي بكر العربي ان من شدد سينه او اعجم خاءه فقد حرف انتهى وهو لقب مشترك بينه وبين عيسى ابن مريم عليه السلام لكنه اطلق عليه بمعنى الماسح لحصول الابراء ببركة مسحه وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفا من بطن امه وفي القاموس المسيح عيسى عليه السلام لبركته وذكرت في اشتقاقه خمسين قولا في شرح المشارق الانوار وغيره والدجال لشومه او هو كسكين والممسوح بالشوم والكثير السياحة كالمسيح كسكين والممسوح الوجه والكذاب الدجال فقد معناه اعور عين اليمين من باب اضافة الموصوف الى الصفة ومن لم يجوزه كالطيبي قال اي عين الجثة والجثة اليمنى كان عينه اي العوراء او الاخرى عنبة اي تشبيه بها فهو تشبيه بليغ طافية بالياء وبهمز اي مرتفعة قال ميرك روينا بهمز وتركه وكلاهما صحيح قال الطيبي وهي النافية عن اخواتها من الطفو وهي ان يعلو الشيء على الماء انتهى ومنه الطافي من السمك ولا تنافي بين هذه الرواية وبين ما روي انها ليست بنابتة ولا جحراء اي لا طافية مرتفعة ولا نابتة متحجرة لامكان اجتماع الوصفين باختلاف المعنيين وقال ابن الملك في شرح المشارق طافية بالهمز اي ذهب ضوءها وروي بغير الهمز اي نابتة بارزة قال التوربشتي في الاحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها ونحن نسال الله التوفيق بينهما ونبين كلا منهما على حدته في الحديث الذي ذكرته او نعلق به ففي هذا الحديث انها طافية وفي اخر انها جاحظة العين كانها كوكب وفي اخواتها ليست بنابتة ولا جحراء والسبيل في التوفيق بينها ان نقول انما اختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا انه اعور عين اليمنى وفي حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي حديثه ايضا انه اعور عين اليسرى ووجه الجمع بين هذه الاوصاف المتنافرة ان يقدر فيها ان احدى العينين ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ الاصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا في شرح الطيبي متفق عليه

وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا قد انذر امته الاعور الكذاب اي خوفهم به ولا يشكل هذا بما ثبت انه يقتله عيسى بعد ان ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية لان تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين انذروا قومهم وايضا يحمل على ما في بعض طرقه ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه على ما سيأتي فان ذلك كان قبل ان تبين له وقت خروجه وعلاماته ثم تبين له وقت خروجه فاخبر به على انه يحتمل ان الانذار انما وقع بسبب ان العلامات قد يكون وجودها معلقا لشرط فاذا فقد يتصور خروجه بعدم

ظهورها

ظهورها ونظيره خوف الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت امنهم من العذاب المهين وكذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين ولانه لا يجب على الله تعالى شيء وافعاله لا تعلل والاسباب لا تتعين وجودها ولا تاثيرها ايضا بعد حصولها ولعل هذا هو الوجه في الستر حتى ظهر على لسان صاحب الدين الاقوم والله سبحانه وتعالى اعلم او يقال ان المراد بالدجال كل من يدعي الالوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمرود وساير الابطال ولا يخلو كل منهم من نقصان العور سواء مما بطن فيه او ظهر عند اهل النظر لكن اذا جاء الفتن عمي البصر وبطل الحذر ويكون الدجال الموعود شر وهو فتنة وبلية على العامة اظهر وكبرياء عظمة الكبرى الى ما يعرف كنه او يقدر ومظاهر تجليات الجلالية والجمالية اكثر من ان يحصى ويحصر وقال الشيخ ابو مدين المغربي لا تنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته فينبغي للسالك ان يقول دايما بعد امتثال الاوامر واجتناب النواهي الهي ارنا الاشياء كما هي وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وان ربكم ليس باعور للتنبيه انه اي الدجال اعور اي وهو الغالب ان يكون طالبا للشر وان ربكم ليس باعور اي يتنزه ان يكون ناقصا ومعيبا في ذاته وصفاته وهذا الكلام منه عليه السلام من باب التنزل على عقل العوام وفهومهم كما ورد كلموا الناس على قدر عقولهم ونظيره ما في التنزيل ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها والمعنى ان الاصنام مع كمال عجزهن ونقصانهن لانهن بالنسبة الى العابدين كيف يصلحن ان يكون في مرتبة المعبودين وليس المقصد انهن لو فرض ان يكون هذه الاعضاء ثابتة لهن لكان يجوز ان يعبدن وقد روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لامه من ربي فقالت انا فقال من ربك قالت ابوك قال من ربه قالت نمرود قال من ربه قالت هو الرب الاكبر لان حينه الاكبر فقال لامه ان كان الامر كذلك فلاي شيء صورته قبيحة وصورة غلمانه مليحة وخلاصة الكلام انه عليه السلام جعل ذلك العيب الاكبر والنقصان الاظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقى للناس عذر في قبول تلبيسه ومكره مع ان الدلائل العقلية والبراهين النقلية تشهد على ان الجسم لا يكون الها وان الحادث المعيوب لا يصلح الا ان يكون معبودا مكتوب بين عينيه ك ف ر فيه اشارة الى انه داع الى الكفر لا الى الرشد فيجب اجتنابه وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الامة حيث ظهر رقم الكفر بين عينيه قال الطيبي ولعل المراد بالنص ان الا يتوهم فيه السماحة من حيث المعنى قال النووي هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل احد ولم يقتصر على جوفه عسيا او غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي اليها متفق عليه وعن

ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن الدجال
ما حدث اي حديثا لم يحدث به نبي قومه ويمكن ان يكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي
وبلي مقدرة محذوفة اوبادرجوابهم بقوله انه اعور اي مصور بصورة كريهة ظاهرة
ومزور بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطايفة الساحرة وهذا معنى قوله وانه
اي الشان يجيء معه بمثال الجنة وفي رواية بمثال الجنة والنار فالباء للتعدية والمعنى
انه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس مما يقلب الله حقيقتهما في حق المومنين والباء
زائدة اي يسير معه مثلهما ويصحب له شكلهما ويؤيده ما في رواية يجيء معه بمثال
بكسر المثناة الفوقية بدل الجار اي صورتهما لما الي فالصورة التي يقول انها الجنة
اي ويظهر بادي الرأي انها النعمة هي النار اي ذات النقمة والظاهر ان هذا من باب
الاكتفاء ويدل عليه الحديث بكلية فالتقدير والتي يقول انها النار هي الجنة ونظيره
الدنيا في نظر العارفين من ان نعمتها نقمة ونقمتها نعمة ومحنتها منحة ومنحتها محنة
وحسنها وقبحها مختلفة كالنيل دما للمحجوبين ورماد للمحجوبين وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين قال الشارح يعني من دخل جنته استحق النار لانه
صدقه فاطلق اسم السبب على المسبب اقول وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق
دخول الجنة لانه كذبه لكن الاظهر انهما ينقلبان وينعكسان بالفعل عليهما كما ورد
من ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ومنه قوله تعالى يا نار كوني
بردا وسلاما على ابراهيم وكذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة للعارفين
الواقفين في مقام الرضا كما قيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة
في الدنيا وجنة في العقبى وكذا زهرة الدنيا بالنسبة الى اربابها لعدم حضورهم
مع ربها كالسم في الدسم والمصرفي الدرهم والنار في الدنيا وربما لا يحسون بها كالمجنون
او المجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل سوف ترى اذا انجلى الغبار
افرس تحتك ام حمار وقضية ولد السلطان حال كونه سكران وعناقه للميتة العجوزة
المعطرة مشهورة بين اهل العرفان قال النووي هذه الاحاديث حجة لاهل الحق
في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشيا من مقدورات
الله تعالى من احيا الميت الذي يقتله وظهور زهرة الدنيا والخصب معه واتباع
كنوز الارض له وامر السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى
ومشيته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويقتله
عيسى ابن مريم ويثبت الله الذين امنوا وفتنته عظيمة جدا تدهش العقول وتحير
الالباب مع سرعة مروره في الارض فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلايل الحدوث
والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الانبياء عليهم السلام
من فتنته ونبهوا على نقصه ودلايل ابطاله واما اهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون

بمائية

بمائية لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله والى الذكر
كما انذر به نوح قومه قال قيل لم خص نوحا عليه السلام بالذكر قلت قال نوحا عليه
السلام مقدم المشاهير من الانبياء كما خصه بالتقديم في قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا كذا ذكره الطيبي وفيه انه انما يتم هذا ان صح ان من سبقه من الانبياء انذر
قومه والا فينزل على حقيقته اولية وبذل عليه حديث انه لم يكن نبي بعد نوح الا
قد انذر الدجال قومه واما تقديمه في الاية فلكونه مقدما على سائر اولي العزم
من الرسل بحسب الوجود ولذا قدم نبينا صلى الله عليه وسلم في اية اخرى على اولي العزم
لكون تقدمه وجودا ورتبة وهي قوله سبحانه واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وحاصله ان الخمسة هم
اولوا العزم من الرسل واجتمع ذكرهم في الايتين المذكورتين والله اعلم متفق عليه
وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا
يتولد منه من اسباب النعم بحسب الظاهر المعبر عنه بالجنة فيما يقدم بر عنا اليه
من الطاعة ونارا اي ما يكون ظاهره سبب العذاب والمشقة والالم يخوف به من عصاه
فاما الذي يراه الناس ماء فنار يحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب اي حلو
يكسر العطش والمعنى ان الله تعالى يجعل ناره ماء باردا عذبا على من كذبه ولا لقاه فيها غيظا
كما جعل نار نمرود بردا وسلاما على ابراهيم عليه السلام ويجعل ماءه الذي اعطاه من
صدقه ما معرفة دايمة ومحله ان ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخييل منه وشعبذة
كما يفعله السحرة والمشعبذون مع احتمال ان الله تعالى يقلب ناره وماءه حقيقة
فانه على كل شيء قدير فمن ادرك ذلك اي الدجال او ما ذكر من تلبيسه منكم فليقع في الذي
يراه نارا اي فليختر تكذيبه ولا يبالي بايقاعه فيما يراه نارا فانه ماء عذب طيب اي في
الحقيقة او بالقلب او بحسب المآل والله اعلم بالحال والكلام من باب الاكتفاء فالتقدير
ولا يصدقه مغترا بما يراه معه ماء فانه نار وعذاب وحجاب متفق عليه وزاد مسلم
وان الدجال ممسوح العين اي موضع احدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له اثر
العين قال القاضي اي ممسوح احدى عينيه للحديث السابق ونظايره عليها
اي على العين الاخرى بحيث لا تواري الحدقة باسرها لنعيها ظفرة بفتحتين اي لحمة غليظة
او جلدة او على العين الممسوحة ظفرة مكتوب بين عينيه كافر كما سبق يقروه كل مومن
كاتب بالجزم لا من مومن وفي نسخة بالرفع بدل البعض من كل وغير كاتب وفي رواية لمسلم
عن انس مرفوعا الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقروه كل مسلم وعنه
اي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اعور العين اليسرى قد سبق
انه اعور العين اليمنى وانه ممسوح احدى عينيه فالجمع ان يقال احدى عينيه ذاهبة
والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذا العور في الاصل هو العيب وقال ان

الاعور انما يكون بالنسبة الى اشخاص متفرقة فقوم يرونه اعور اليسرى وقوم يرونه اعور
اليمنى ليدل على بطلان امره لانه اذا كان لا يرى خلقته كما هي دل على انه ساحر كذا قال
شارح ويحتمل ان يكون احدهما من سهو الراوي وفي الجامع روى البخاري في تاريخه عن ابي هريرة
مرفوعا الدجال عينه خضراء انتهى كالزجاجة والغول يتلون بالوان شتى جفال الشعر بضم الجيم
اي كثير الشعر المجتمعة كذا في الفائق بكسر معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار
رواه مسلم وكذا احمد وابن ماجه وعن النواس بتشديد الواو بن سمعان بكسر
السين وبفتح قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال اي خروجه وسائر اموره
وابتلاء الناس به فقال ان يخرج وانا فيكم اي موجود فيما بينكم فرضا وتقديرا فانا حجيجه
فعيل بمعنى الفاعل من الحجة ومنها البرهان اي غالب عليه بالحجة دونكم اي قدامكم
ودافعه عنكم وانا امامكم وفيه ارشاد الى انه صلى الله عليه وسلم كان في المحاجة معه
غير محتاج الى معاونتهم معاونة من امته في غلبته بالحجة كذا ذكره الطيبي والاظهر
انه صلى الله عليه وسلم يدفعه بنور النبوة ويدفع خارق عادته الباطل بمعجزته
المعروفة بالحق من غير دليل وبرهان لان بطلانه اظهر من الشمس عند ارباب العرفان
وايضا هو من المصممين على الباطل من دعوته ولم يلتفت الى المجادلة واثبات الادلة
والا فبحمد الله سبحانه من يوجد في الامة يحقق المسألة بالحجة لاسيما خاتمة الاولياء
وهو المهدي وزبدة الانبياء وهو عيسى عليه السلام وحاصله انه لا ينفع معه الكلام
فدفعه اما باعدامه مع وجود سيد الانام او بذوبانه وقتله على يد عيسى عليه
السلام وحاصله انه لا ينفع معه الكلام هذا ما ظهر لي في هذا المقام والله اعلم
بالمرام قال التوربشتي فان قيل اوليس قد ثبت في الاحاديث الدجال انه يخرج بعد خروج
المهدي وان عيسى عليه السلام يقتله الى غير ذلك من الوقائع الدالة على انه لا يخرج
ونبي الله بين اظهرهم بل لا نراه القرون الاولى من هذه الامة فما وجه قوله ان يخرج
وانا فيكم قلت انما سلك هذا المسلك من التورية لابقاء الخوف على المكلفين من فتنته والالتجاء
الى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله ويتحققوا بالشح على دينهم وقال المظهر يحتمل
ان يريد به تحقق خروجه والمعنى لا تشكوا في خروجه فانه سيخرج لا محالة وان يريد عدم
علمه بوقت خروجه كما انه كان لا يدري متى الساعة قال الطيبي والوجه الثاني من الوجهين
هو الصواب لانه يمكن ان يكون قوله هذا قبل علمه صلى الله عليه وسلم بذلك فقوله كان
حقه هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لانه يمكن اذ مع الامكان والامكان لا يقال
في حق احدهما هو الصواب لاحتمال الخطأ في كل واحد منهما والله اعلم بالصواب وخلاصة
المعنى انه ان كنت فيكم فاكفيكم شره وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه
بالرفع اي فكل امرئ يحاجه ويحاربه ويغالبه لنفسه كذا قال الطيبي اي ليدفع شره عن
نفسه بما عنده من الحجة كما قاله ابن الملك لكن هذا على تقدير انه يمنع الحجة والا فالمعنى

ان كل احد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه واجتناب صورته تعذيبه والله خليفتي على
كل مسلم يعني والله سبحانه وتعالى ولي كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره وهذا دليل
على ان المؤمن الموفق لا يزال منصورا وان لم يكن معه نبي ولا امام ففيه رد على الامامية
من الشيعة انه اي الدجال وما اسنينا في بيان لبعض احواله وتبيان لبعض ما يعين
في دفع شره فانه شاب فيه اشعار بانه غير ابن الصياد وايماء الى انه محروم من بياض
الوفا ورونقه ثابت على اشتداد السواد في الظاهر الذي عنوان الباطن من سواد الفؤاد قطط
بفتح القاف والطاء بكسر قال النووي هو بفتح القاف والطاء اي شديد جعودة الشعر وفيه
ايماء الى استخبائه بالتزيج الشعر وفي المشابهة بالهيئة البشعة عينه طافئة قيل
بالياء وبهمز اي مرتفعة كاني اشبهه بتشديد الموحدة اي امثله بعبد العزى بضم العين
وتشديد الزاي ابن قطن بفتحتين وهو يهودي قاله شارح وقال الطيبي قيل انه
كان يهوديا ولعل الظاهر انه مشرك لان العزى اسم صنم ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي
هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ثم قال الطيبي لم يقل كانه عبد العزى لانه لم يكن
صلى الله عليه وسلم جازما في تشبيهه قلت لا شك في تشبيهه به الا انه لما كان معرفة الشبهة
في عالم الكشف والمنام فعبر عنه بكاني كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرؤيا والله اعلم
ويمكن ان يقال انه لم يوجد في الكون اقبح منه صورة فلا يتم التشبيه من جميع الوجوه
بل ولا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم وعبر عنه بما عبر عنه ثم في صيغة الحال
اشعار باستحضار صورة الحال فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف اي اوائلها
الى كذا لدلالة تلك الايات على معرفة ذات الله وصفاته وثبوت كتابه واياته بينات
وصدق رسوله وابينا انه بمعزل انه مما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثورا ولان
تابعه يدعو هلاكا وثبورا قال الطيبي والمعنى ان قراءته امان له من فتنته كما امن تلك
الفتية عن فتنة دقيانوس الجبار وفي رواية اي لمسلم ايضا فليقرأ عليه بفواتح سورة
الكهف فانها جواركم من فتنته اي بلية الدجال والجوار بكسر الجيم وفي اخره راء على ما في نسخة
السيد والشيخ الجزري وكثير من النسخ المصححة وفي بعضها بفتح الجيم وزاي في اخره وهو
الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان او نوابه لئلا يتعرض له المترصد في الطريق
واقتصر عليه شارح المصابيح وذكره ابن الملك ثم قال وفي بعض النسخ بكسر الجيم وبالراء
فمعناه حافظكم انتهى وفي بعض شروح البردة الجوار بالكسر والضم والكسر افصح هو
الامان هذا والمتبادر من كلام المؤلف انها رواية لمسلم لكن صحح الجزري في حصنه بانها رواية
ابي داود عن النواس لكن لفظه من ادرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فانها جوار له من
فتنته ثم اعلم انه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال من قرأها اي الكهف
كما انزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ العشر ايات من اخرها فخرج الدجال لم يسلط
عليه رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث ابي سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال

خروج الدجال بين الشام والعراق

رفعه خطأ والصواب انه موقوف واخرج الطبراني في الاوسط من حديث ابي سعيد ايضا واختلف في رفعه ووقفه ايضا ولفظ من قرأ سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة ومن قرأ العشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره وروى مسلم وابو داود عن ابي الدرداء مرفوعا من حفظ عشر آيات من اول الكهف عصم من الدجال وفي رواية ابي داود والنسائي عنه من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم وابي داود عنه من حفظ عشر آيات وللنسائي عنه من قرأ العشر الاواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية للترمذي عنه من قرأ ثلاث آيات من اول الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم والاربعة عن النواس بن سمعان من ادرك الدجال فليقرأ عليه فواتح الكهف قيل وجه الجمع بين الثلاث وبين قوله صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات ان حديث العشر متأخر ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث وقيل حديث الثلاث متأخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة الى العشر وهذا اقرب الى احكام النسخ اقول بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع ان النسخ انما يكون في الانشاء لا في الاخبار فالاظهر ان اقل ما يحفظ به عن شره قراءة الثلاث وحفظها اولى وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى وقيل حديث العشر في الحفظ وحديث الثلاث في القراءة فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفي وعصم من فتنة الدجال وقيل من حفظ العشر عصم من ان لقيه ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته ان لم يلقه وقيل المراد من الحفظ القراءة عن ظهر القلب ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال والله اعلم بالاحوال انه اي الدجال خارج خلة بفتح معجمة وتشديد لام اي طريقا واقعا بين الشام والعراق واصل الخلة الطريق في الرمل وقال شارح اي سبيل بينهما فيه اشارة الى انها منصوبة بنزع الخافض ويؤيده ما في النهاية اي في طريق بينهما قال النووي هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء المعجمة وتنوين التاء وقال القاضي المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء يعني غير منونة ومعناه سمت ذلك وقبالته قلت المناسب ان يكون هي الحلة قرية بناحية دجلة من بغداد اهلها شر من في البلاد من العباد وقال رواه لبعضهم حله بضم اللام وبها الضمير اي نزوله وحلوله قال وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين ايضا ببلادنا وقوله فعاث هو بعين مهملة وثاء مثلثة ماض من العيث وهو اشد الفساد والاسراع فيه وحكى القاضي انه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل قال الاشرف قيل الصواب فيه فعاث صيغة اسم الفاعل لكونه عطفا على اسم فاعل قبله وهو خارج قلت اكثر النسخ ومنها اصل السيد على انه فعل ماض من العيث وفي بعضها عاث كقاض من العي بمعنى العيث وهو الافصح الموافق لما في التنزيل من قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين ولكن القول بانه الصواب خطأ اذ هما لغتان بمعنى الافساد على ما هو مقرر في كتب اللغة فالحاصل ان الدجال افسد ومفسد يمينا وعاث شمالا وهما ظرفا عاث والمعنى بعيث سراياه يمينا وشمالا ولا يكتفي بالافساد فيما يطأوه من البلاد ويتوجه له

من

يمكث اربعين يوما او سنة

من الاغوار والانجاد فلا يأمن من شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن ولا مأمن يا عباد الله ايها المؤمنون الموجودون في ذلك الزمان وانتم ايها المخاطبون على فرض انكم تدركون ذلك الزمان وانتم ايها المخاطبون على فرض انكم تدركون ذلك الاوان فاثبتوا اي على دينكم وان عاقبتم قال الطيبي هذا من الخطاب العام اراد به من يدرك الدجال من امته ثم قيل هذا القول منه استمالة لقلوب امته وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال وتوطينهم على ما هم فيه من الايمان بالله تعالى واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا يا رسول الله وما لبثه بفتح لام وفتح سكون موحدة اي ما قدر مكثه وتوقفه في الارض قال اربعون يوما سيأتي حديث يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر الى آخره لكنه نقل البغوي في شرح السنة ولا يصلح ان يكون معارضا لرواية مسلم هذه وعلى تقدير صحته لعل المراد باحد المكثين مكث خاص على وصف معين عند العالم به يوما اي من تلك الاربعين كسنة اي مقدار عام في طول الزمان او في كثرة الغموم والاحزان ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قال ابن الملك قيل المراد منه ان اليوم الاول لكثرة غموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف امره فيرى كشهر والثالث يرى كجمعة لان الحق في كل وقت يزيد قدره والباطل ينقص حتى ينمحق اثرا ولان الناس كلما اعتادوا فتنة والمحنة يهون عليهم الى ان يضمحل شدتها ولكن هذا القول مردود لانه غير مناسب لما ذكر الراوي قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اي مثلا يكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره بل هذا جار على حقيقته ولا امتناع فيه لان الله تعالى قادر على ان يزيد كل جزء من اجزاء اليوم الاول حتى يصير مقدار سنة خارقا للعادة كما يزيد في اجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى وفيه ان هذا الذي قدره على المنوال الذي حرره لا يقتضي الا بسط الزمان كما وقع له صلى الله عليه وسلم في قصة الاسرى زيادة طي المكان لكن لا يخفى ان سبب وجوب كل صلاة وقته المقدر من طلوع صبح وزوال وغروب وغيبوبة شفق وهذا لا يتصور الا بتحقق تعدد الايام والليالي على وجه الحقيقة وهو مفقود فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله وانه يشكل من هذا الفصل قوله صلى الله عليه وسلم يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة مع قوله وسائر ايامه كايامكم ولا سبيل الى تأويل امتداد تلك الايام على انها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء لانهم قالوا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة يوم قال لا الحديث فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق قد تبين لنا باخبار الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه ان الدجال يبعث معه من المشبهات ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي

الابصار ابصارهم فمن ذلك تسخير الشياطين ومجيئه بجنة ونار واحياء الميت على حسب
ما يدعيه وتقويته على من يريد اضلاله تارة بالمطر والعشب وتارة بالازمة والجدب
ثم لا خفا بانه سحر الناس فلم يسبب تغيرات وتبل هذا القول الان نقول انه يأخذ باسماع
الناس وابصارهم حتى يخيل اليهم ان الزمان قد استمر على حالة واحدة اسفار بلا اظلام
وصباح بلا مسا يحسبون ان الليل لا يمد عليهم رواقه وان الشمس لا تطوي عنهم ضياءها
فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم الدواخل باختفاء الايات
الظاهرة في اختلاف الليل والنهار فامرهم ان يجتهدوا عند مصادمة تلك الاحوال
ويقدروا لكل صلاة قدرها الى ان يكشف الله عنهم تلك الغمة هذا الذي هدينا اليه
من التاويل والله الموفق لاصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل وفي شرح مسلم للنووي
قالوا هذا على ظاهره وهذه الايام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث
يدل عليه قوله وسائر ايامه كايامكم واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اقدروا له قدره فقال
القاضي وغيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا
الحديث ووكلنا الى اجتهادنا لاقتصرنا على الصلوات عند الاوقات المعروفة في غيره
من الايام ومعناه اذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم
فصلوا الظهر ثم اذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر
فاذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشا
والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع
فيه صلوات سنة فرائض مؤداة في وقتها واما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة
فيقاس على اليوم الاول في انه يقدر له كاليوم الاول على ما ذكرناه انتهى وحاصله
ان الاوقات للصلوات اسباب وتقديم المسببات على الاسباب غير جائز الا بشرع مخصوص
كما يقدم العصر على وقته بعرفات فمعنى اقدروا الى قدروا وخمنوا له اي لاداء
الصلاة الخمس قدره اي قدر يوم كذا قيل والاظهر ما قاله شارح اي قدروا لوقت صلاة
يوم في يوم كسنة مثلا قدره اي قدره الذي كان له في سائر الايام كمحبوس اشتبه عليه
الوقت قلنا يا رسول الله وما اسراعه اي ما قدر اسراعه وكيفية اعجاله في الارض
اي في سيرها وطي مساحتها قال الطيبي لعلهم علموا ان له اسراعا في الارض فسالوا
عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسالوا عن كميته لقولهم ما لبثه اي ما مدة لبثه
قال كالغيث المراد به هنا الغيم اطلاقا للسبب على المسبب اي يسرع في الارض اسراع
الغيم اذا استدبرته الريح قال ابن الملك الجملة حال او صفة للغيث واللام فيه للعهد
الذهني والمعنى هذا مثال كيفيته ولا يمكن تقدير كميته فياتي اي فيمر الدجال على
القوم اي على حي من الناس فيدعوهم اي الى باطله فيؤمنون به فيأمر السما اي السحاب
فتمطر من الامطار حتى يجري الانهار والارض اي ويأمرها فتنبت من الانبات حتى يظهر

الازهار

الازهار واسنده الى المجاز لتوحدا لفهما فتروح عليهم سارحتهم اي فترجع بعد زوال الشمس
اليهم ماشيتهم التي تذهب بالغدوة الى مراعيها اطول ما كانت اي السارحة من الابل
ونصب اطول على الحالية وقوله ذرى بضم الذال المعجمة وحكي كسرها وفتح الراء منونا
جمع ذروة مثلثة وهي اعلى السنام وذروة كل شيء اعلاه وهو كناية عن كثرة السمن
واسبغه اي واتمه ما كانت ضروعا بضم اوله جمع ضرع وهو الثدي كناية عن كثرة اللبن وامده
اي وامده ما كانت وهو اسم تفضيل من المد خواصر جمع خاصرة وهي ما تحت الجنب ومدها كناية
عن الامتلاء وكثرة الاكل ثم ياتي القوم اي قوما اخرين في العدول عن قوله بنا على ما سبق
اشعار بان اتيانه على الاولين ضرر في الحقيقة دون الاخرين فيدعوهم اي يدعوي
الالوهية فيردون عليه قوله اي لا يقبلونه او يبطلونه بالحجة فينصرف عنهم
فيه اشارة الى انه ليس له قدرة الاحيا قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين والمعنى فيصرفه الله عنهم فيصبحون ممحلين بضم الميم وبالحاء
اي داخلين في المحل قال التوربشتي امحل القوم اصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الارض
من الكلا ليس بايديهم شي من اموالهم والحاصل ان المومنين صاروا مبتلين بانواع من
البلاء والمحن والضر ولكنهم صابرون وراضون وشاكرون لما اعطاهم الله من صفات الاولياء
ببركة سيد الانبياء سند الاصفياء ويمر على الخربة بكسر الراء اي يمر الدجال بالارض الخربة
او بالبقاع الخربة فيقول لها اخرجي كنوزك اي مدفونك او معادنك فتتبعه الفاء فصيحة
اي فتخرج فتتعقب الدجال كنوزها كيعاسيب النحل اي كما يتبع النحل اليعسوب وهو اميرها ومنه
قيل للسيد يعسوب وروى الديلمي عن علي مرفوعا علي يعسوب المومنين والمال يعسوب المنافقين ففي
الكلام نوع قلب اذ حق الكلام كنحل اليعاسيب ولعل النكتة في جمع اليعاسيب هو الايما الى
كثرة الكنوز التابعة وانه قدر كانه جمع باعتبار جوانبه واطرافه او المراد جمع من امرايه ووكلايه
قال النووي اليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة قال القاضي المراد جماعة النحل لا ذكورها
خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو اميرها لانه متى طار تبعته جماعته وقال
الاشرف قوله كاليعاسيب كناية عن سرعة اتباعه اي تتبعه الكنوز بالسرعة وقال
الطيبي اذا كان قوله كاليعاسيب حالا من الدجال فالخربة صفة البقاع واذا كان حالا من
الكنوز فيجوز ان يكون الموصوف جمعا او مفردا ثم يدعو رجلا اي يطلبه حال كونه ممتليا اي
تاما كاملا قويا شبابا بتمييز عن النسبة قال الطيبي والممتلي شبابا هو الذي يكون في غاية الشباب
فيضربه بالسيف اي غضبا عليه لابائه قبول دعوته الالوهية او اظهارا للمقدرة وتوطية
لخرق العادة فيقطعه جزلتين بفتح الجيم ويكسر اي قطعتين تتباعدان رمية الغرض اي
قدر حذف الهدف فهي منصوبة بمقدر وفائدة التقييد به ان يظهر عند الناس انه ميت
بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة قال النووي هو بفتح الجيم على المشهور وحكى ابن دريد
كسرها ويعني برمية الغرض انه يجعل الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور

وحكى القاضي هذا ثم وعندي ان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره فيصيبه اصابة رمية
الغرض فتقطعه جزلتين والصحيح الاول قال التوربشتي اراد برمية الغرض ما سرعة نفوذ
السهم واما اصابته المحرف ذا الطيبي ويؤيدنا وقيل النووي قوله في الحديث الذي يليه ثم يمشي
الدجال بين القطعتين ثم يدعوه فيقبل اي الرجل الشاب على الدجال دونهما الى يتلالا
ويضيء وجهه يضحك حال من فاعل يقبل اي يقبل منا حكا بشاشا فيقول لهذا كيف يصلح الها
فبينما بالميم على الصحيح هو اي الدجال كذلك اي على تلك الحالة وذلك المنوال اذ بعث الله المسيح
ابن مريم فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
هو زاهق فينزل اي عيسى عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بكسر الدال وفتح الميم وبكسرها وهو
المشهور الان بالشاهرفان تحت مكانه وفي الجامع روى الطبراني عن اوس بن اوس ينزل عيسى
ابن مريم عند المنارة البيضا شرقي دمشق ذكر السيوطي في تعليقه على ابن ماجة انه قال
الحافظ ابن كثير في رواية ان عيسى عليه السلام ينزل ببيت المقدس وفي رواية بالاردن
وفي رواية بمعسكر المسلمين قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجة وهو عندي
ارجح ولا ينافي سائر الروايات لان بيت المقدس شرقي دمشق وهو معسكر المسلمين اذ ذاك
والاردن اسم الكورة كما في الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وان لم يكن في بيت المقدس الان
منارة فلا بد ان تحدث قبل نزوله والله اعلم وقوله بين مهرودتين بالدال المهملة ويعجم
اي حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس او زعفران قال النووي
روي بالدال المهملة والذال المعجمة اكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتاخرين
واكثر ما يقع في النسخ بالمهملة ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران
انتهى وقال ابن الانباري يروى بدال مهملة ومعجمة اي بين ممصرتين على ما جاء في الحديث
ولا نسمعه الا فيه وكذلك اشياء كثيرة لم نسمع الا في الحديث والممصرة من الثياب التي فيها
صفرة خفيفة كذا في النهاية واضعا كفيه على اجنحة ملكين حال بيان كيفية انزاله
كما ان ما قبله حال لبيان كيفية لبسه وجماله ثم بين له حالة اخرى بقوله اذا طاطا بهمزتين
اي خفض راسه قطر اي عرقه واذا رفعه اي راسه تحدر بتشديد الدال اي نزل منه
اي من شعره قطرات نورانية كالجمان بضم الجيم وتخفيف الميم وتشديد حب يتخذ من الفضة
كاللؤلؤ اي في الصفا والبياض ففي النهاية الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم حب يتخذ من
الفضة على هيئة اللآلي الكبار قال الطيبي شبهه بالجمان في الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ في
الصفا والحسن فالوجه ان يكون الوجه الكر مع الصفا والحسن وفي القاموس الجمان كغراب اللؤلؤ
وهنات اشكال اللؤلؤ وقال شارح الجمان بتشديد الميم وقال ابن الملك بالتشديد اللؤلؤ
الصغار وتخفيفها حب يتخذ من الفضة وقيل المراد بالجمان في صفة عيسى عليه السلام هو
الحب المتخذ من الفضة قلت بل هو المتعين لقوله كاللؤلؤ فلا يحل بكسر الحاء اي لا يمكن ولا يقع
لكافر ان يجد من ريح نفسه بفتح الفاء الا مات كذا ذكره النووي وقال القاضي معناه عندي

فينزل عيسى عليه السلام بمنارة دمشق

حق

حق واجب لا وزواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم غلط قال الطيبي معناه لا يحصل ولا يحق
ان يجد من ريح نفسه وله بحال من الاحوال الا حال الموت فقوله يجد مع ما في سياقه فاعل يحل
على تقدير ان ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه بسكون الراء اي لحظه ولمحه ويجوز كون
الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة اراءة دمه في الحربة فيزداد كونه ساحرا في قلوب
المؤمنين ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى اولا حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى الدجال اذ
دوام الكرامة ليس بلازم وقيل يقتل الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر النفس
المعتاد فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد وقيل المفهوم منه ان من وجد من نفس عيسى
من الكفار يموت ولا يفهم منه ان يكون ذلك اول وصول نفسه فيجوز ان يحصل ذلك بهم بعد
ان يريهم عيسى الدجال في حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله
السندي رحمه الله ثم من الغريب ان نفس عيسى عليه السلام يتعلق به الاحيا لبعض والاماتة
لبعض فيطلبه اي عيسى عليه السلام الدجال حتى يدركه بباب لد بضم لام وتشديد دال
معروف اسم جبل بالشام وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي وزاد غيره
سمي به لكثرة شجره وقال السيوطي في شرح الترمذي هو على ما في النهاية موضع بالشام وقيل
بفلسطين فيقتله في الجامع رواه الترمذي وكذا احمد عن مجمع بن جارية يقتل ابن مريم
الدجال بباب لد ثم ياتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه اي حفظهم من شر الدجال فيمسح عن
وجوههم اي يزيل عنها ما اصابها من غبار سفر الغزو مبالغة في اكرامهم او المعنى يكشف ما
نزل بهم من اثار الكابة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال ويحدثهم بدرجاتهم
في الجنة قال النووي وهذا المسح يحتمل ان يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركا او انه
اشارة الى كشف ما يكونون فيه من الشدة والخوف فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى
اني بفتح الهمزة وبكسر قد اخرجت عبادا لي اي اظهرت جماعة منقادين لقضائي وقدري لا يدان
بلا قدرة ولا طاقة لاحد بقتالهم وانما عبر عن الطاقة باليد لان المباشرة والمدافعة انما
تكون باليد وتثنية مبالغة كان يديه معدومتان لعجزه عن دفعه ويمكن ان يكون في التثنية
ايما الى العجز عنهما جميعا فحرز عبادي اي من التحريز ماخوذ من الحرز اي احفظهم وضمهم الى الطور
واجعله لهم حرزا ويبعث الله ياجوج وماجوج بالالف ويبدل فيهما وهم اي جميع القبيلتين
كقوله تعالى هذان خصمان اختصموا من كل حدب بفتحتين اي مكان مرتفع من الارض
ينسلون بفتح الياء وكسر السين اي يسرعون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية بالاضافة وبحيرة
تصغير بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة اميال وطبرية بفتحتين اسم موضع وقال
شارح هي قصبة الاردن بالشام فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول اي اخرهم او قائلهم
لقد كان بهذه اي البحيرة او البقعة مرة اي وقتا ماء اي ماء كثير ثم يشربون حتى ينتهوا
الى جبل الخمر بفتح الخاء المعجمة والميم بالراء وهو الشجر الملتف وفسر في الحديث بقوله
وهو جبل بيت المقدس لكثرة شجره او هو كل ما يترك من شجر او نبت او غيره كذا في النهاية

بهم

اي من الماء

فيقولون لقد قتلنا من في الأرض أي من ظهر على وجهها لما سيأتي من استثناء عيسى عليه
السلام وأصحابه حيث كانوا محصورين محصونين هلم أي تعال والخطاب لأميرهم أو كبيرهم
أو عام غير مخصوص بأحدهم في النهاية فيه لغتان فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين
والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح وبنو تميم يثنى ويجمع ويؤنث يقولون هلم هلمي
وهلما وهلموا فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم بضم فتشديد جمع نشابة
والباء أي سهامهم إلى السماء أي إلى جهتها فيرد الله نشابهم مخضوبة أي مصبوغة دما
وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال إصابة سهامهم لبعض الطيور في الهوا
فيكون فيه إشارة إلى إحاطة فسادهم بالسفليات والعلويات ويحصر بصيغة المفعول
أي يحبس في جبل الطور نبي الله أي عيسى عليه السلام وأصحابه أي من مؤمني هذه الأمة
حتى يكون أي يصير من شدة المحاصرة والمضايقة رأس الثور أي البقر مع كمال رخصه
في تلك الدنيا لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم قال التوربشتي أي يبلغ بهم
الفاقة إلى هذا الحد وإنما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة فيرغب أي إلى
الله أو يدعو نبي الله فيه تنبيه نبيه أنه مع متابعة الشريعة باق على نبوته عيسى
وأصحابه قال القاضي أي يرغبون إلى الله تعالى في إهلاكهم وإنجائهم من مكابدة بلائهم
ويتضرعون إليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال فيرسل الله عليهم أي على
يأجوج ومأجوج النغف بفتح النون والغين المعجمة دود يكون في أنوف الإبل والغنم
في رقابهم فيصبحون فرسى كهلكى وزنا ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب
الشاة إذا كسرها وقتلها ومنه فريسة الأسد كموت نفس واحدة لكمال القدرة وتعلق المشيئة
قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة قال التوربشتي يريد أن القهر الإلهي الغالب
على كل شيء يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى وقد نبه بالكلمتين أعني النغف وفرسى
على أنه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شيء وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته
بعدما طارت نعرة البغي في رؤوسهم فزعموا أنهم قاتلوا من في السماء ثم يهبط أي ينزل من
الطور نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض أي في وجهها موضعا وهذا
هو وجه العدول عن الضمير إلى الظاهر فاللام في الأولى للعهد وفي الثانية للاستغراق
بدليل الاستثناء وبه يتبين أن القاعدة المعروفة أن المعرفة إذا أعيدت تكون عينا
للأولى مبنية على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة موضع شبر إلا ملأه زهمهم بفتح
الزاي والهاء وقد يضم الزاي وقال شارح هو بالضم وروي بالتحريك وتفسيره قوله ونتنهم بسكون
التاء قال التوربشتي الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة
أي دسمة وعليه أكثر الروايات فيما أعلم وفيه من طريق المعنى وهن وضم الزاي مع فتح
الهاء أصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة وقال الشارح
هو أصح رواية ودراية وليوافق ما في القاموس حيث قال الزهومة والزهمة بضمها

ريح لحم سمين منتن والزهم بالضم الريح المنتنة أو بالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة
أي دسمة انتهى وقد يقال أطلق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل فيرغب
نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله في ضم أصحابه إليه إشارة إلى أن الهيئة الاجتماعية في
الهمة الاطماعية لها تأثير بليغ في الإجابة الدعائية وفي ذكرهم إيماء إلى أنهم هم الباعث
على الدعاء والتضرع إلى رب السماء فيرسل الله طيرا كأعناق البخت بضم موحدة وسكون معجمة
نوع من الإبل أي طيرا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على
الواحد ولذا قال فتحملهم أي تلك الطير فتطرحهم أي فترميهم حيث شاء الله أي من البحار أو
ما وراء معمورة الدنيا أو خلف جبل قاف ونحوها أو إلى عالم الأعدام والإفناء وفي رواية
تطرحهم بالنهبل بفتح النون وسكون الهاء وفتح الموحدة موضع وقيل مكان بيت المقدس
وفيه أنه كيف يسعهم ولعل المراد به موضع بعضهم أو على طريق خرق العادة يسعهم وقيل
حيث تطلع الشمس وفي القاموس نهبل اسم وروى الترمذي في حديث الدجال فتطرحهم
بالنهبل وهو تصحيف والصواب بالميم انتهى ولم يذكر المهبل لا لفظا ولا معنى ويستوقد
المسلمون من قسيهم بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج ونشابهم
أي سهامهم وجعابهم بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهي ظرف النشاب سبع سنين ثم يرسل الله مطرا
أي عظيما لا يكن بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كننت الشيء أي سترته ومنعته
عن الشمس وقيل من أكننت الشيء بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطرا أي لا يستر
ولا يصون شيئا منه أي من ذلك المطر بيت مدر بفتحتين أي تراب وحجر ولا وبر أي صوف
أو شعر والمراد لا تمنع منه بيوت أهل البدو والحضر قال النووي أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر
وهو الطين الصلب وقال القاضي أي لا يحول بينه وبين مكان ما حائل لعمومه الأماكن كلها
فيغسل أي المطر الأرض ويجعلها أي الأرض حتى يتركها كالزلفة بفتح الزاي واللام ويسكن بالفاء
وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع والمراد أن الماء يعم جميع
الأرض بحيث يرى الرائي وجهه فيه قال النووي روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف
وروي بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وقال القاضي روي بالفاء والقاف وبفتح اللام
وبإسكانها وكلها صحيحة قلت وهو الذي عليه الأكثر بفتحتين والفاء واقتصر
عليه القاموس في المعاني الآتية كلها واختلفوا في معناها فقال ثعلب وأبو زيد
وآخرون معناه كالمرآة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة
في صفائها ونظافتها وقيل معناه كمصانع الماء أي الماء يستنقع فيها حتى تصير الأرض
كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقال أبو عبيدة معناه الإجانة الخضراء وقيل كالصحفة
وقيل كالروضة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي أي إلى أهلك بركتك أي من سائر نعمتك
فيومئذ تأكل العصابة بكسر العين أي الجماعة من الرمانة أي ويشبعون منها ويستظلون
بقحفها بكسر القاف أي بقشرها قال النووي هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي وهو الذي

ثوق الدماغ وفيما هو ما انعلق من جمجمته وانفصل وقال شارح اراد نصف قشرها الاعلى وهو في الاصل العظم المستدير فوق الدماغ وهو ايضا اناء من خشب على مثاله كانه نصف دماغ واستعير هنا لما يلي راسها من القشر ويبارك بصيغة المجهول اي توضع البركة والكثرة في الرسل بكسر الراء وسكون السين اي اللبن حتى ان اللقحة بكسر اللام ويفتح اي الناقة الحلوبة قال النووي اللقحة بكسر اللام وفتحها مشهورتان والكسر اشهر وهي القريبة العهد بالولادة قال في المختصر من النوق وغيرها فقوله من الابل بيانية لتكفي اي اللقحة والمراد لبنها الفيام بهمز على زنة رجال والفامة بتبدل الهمزيا اي الجماعة من الناس ولا واحد له من لفظه والمراد به هاهنا الاكثر من القبيلة كما ان الفبيلة اكثر من الفخذ على ما سياتي وقال النووي الفيام بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور المعروف في اللغة ورواية الحديث بكسر الفاء بالهمز قال القاضي ومنهم من لا يجوز الهمز بل يقوله بالياء وقال في المشارق وحكاه الخليل بفتح الفاء قال وذكره صاحب العين غير مهموز وادخله في حرف الياء وحكى الخطابي ان بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش واللقحة من البقر لتكفي الفبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس قال القاضي عياض الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير جماعة من الاقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة واما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وسكونها فبينما هم بلا ميم مبتدا خبره كذلك وما عوض عن المضاف اليه والعامل فيه قوله اذ بعث الله واذ للمفاجاة اي بين اوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة ارسل عليهم ريحا طيبة فتاخذهم تحت اباطهم بهمزة ممدودة جمع ابط فتقبض اي تلك الريح روح كل مومن اسند الفعل الى الريح مجازا وكل مسلم قال النووي هكذا هو في جميع النسخ بالواو لعطفي كان الظاهر ان يكون او للشك فانه لا فرق بين المومن والمسلم عند ارباب الحق من اهل السنة والجماعة فالمقصود المبالغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل تلك ايات الكتاب وقران مبين وقوله سبحانه ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات او بنا على الفرق اللغوي بينهما من ان المراد بالمومن المصدق وبالمسلم المنقاد ولكن لما كان احدهما لا ينفع بدون الاخر جعل الموصوف بهما واحدا واطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي او لكون احدهما غالبا عليه في نفس الامر والله اعلم قال الطيبي المراد بالتكرار هنا الاستيعاب اي تقبض روح خيار الناس كلهم ويبقى شرار الناس بكسر اوله جمع شرير يتهارجون اي يختلطون فيها اي في تلك الازمنة او في الارض تهارج الحمر كاختلاطها ويتفاسدون وقيل يتخاصمون فان الاصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس وهرج في حديثه اي خلط قال النووي اي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون كذلك والهرج باسكان الراء الجماع ويقال هرج زوجته اي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها فعليهم تقوم الساعة اي لا على غيرهم وسياتي حديث لا تقوم الساعة الا على شرار الناس وفي

رواية لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله رواه اي الحديث بكماله مسلم الا الرواية الثانية وهي اي الرواية وفي نسخة وهو بتذكيره لتذكير ضميره وهو قوله تطرحهم بالنهبل الى قوله سبع سنين رواها اي تلك الرواية الترمذي وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله بكسر قاف وفتح موحدة اي الى جانبه رجل اي عظيم من المومنين قال ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم يقال ان هذا الرجل هو الخضر عليه السلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي ان يكون الخضر حيا وقد اختلف العلماء في ذلك فالجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية على انه مات وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم الى انه حي قال النووي وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري فيلقاه المسالح بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذو السلاح يحفظون الثغور مسالح الدجال مرفوع على الابدال وفيه اشارة الى ان اللام عوض عن المضاف اليه او اللام للعهد قال القاضي ولعل المراد به هاهنا مقدمة جيشه واصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر فانه يعد فيه الاسلحة ثم للجند المترصد به ثم لمقدمة الجيش فانهم من الجيش كاصحاب الثغور من ورائهم من المسلمين فيقولون له اين تعمد بكسر الميم اي تقصد فيقول اعمد الى هذا الذي خرج اي خرج عن الحق او على الخلق او ظهر بالباطل والاشارة للتحقير فيقولون او ما تومن بربنا يعنون به الدجال حيث وجدوا عنده الجاه والمال فيقول اي الرجل ما بربنا اي بربي وربكم ففيه تغليب او ما بربنا معشر المسلمين خفاء وما نافية اي ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل عنه اليه او لنشرك الاعتماد عليه فنفي كل شيء له شاهد يدل على انه واحد واما ما يمده فان الحدوث عليه لائحة وانواع النقصان فيه واضحة ومن اظهر الادلة القطعية ان المخلوقية تنافي الربوبية والعبودية تناقض الالوهية ضما للتراب ورب الارباب بكيفية والعيوب الظاهرة فيه تشهد عليه لمن له ادنى عقل كما لا يخفى وفيه ايماء الى ما سبق من قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور قال الطيبي هذا الكذب لهم وبيان لمويهم وتلبيسهم اذ ما نوامن بربنا كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض اليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا اي من قتلكم احدا دونه اي دون علمه وامره واذنه فينطلقون به الى الدجال فاذا راه المومن اي بطل الدجال الرجل الموفق وقد عرف علاماته قال يا ايها الناس تذكيرا لهل امنه وتوضيحا للغفلة هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في احاديثه انه سيخرج في اخر الزمان قال اي النبي عليه السلام فيامر الدجال به اي بضربه فيشبح بتشديد الموحدة المفتوحة اي يمد للضرب فيقول اي الدجال تاكيدا وتغليظا وتشديدا لخذوه اي امسكوه اخذا شديدا وشجوه بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم اي اكسروا راسه وفي نسخة فشبحوه بفتح الشين وكسر الموحدة ثم مهملة اي مدوه على بطنه او على قفاه يقال تشبح الحرباء على العود اي امتد وتشبيح

الشيء جعله عريضا فيوسع بسكون الواو وفتح السين ظهره وبطنه ضربا اي يكثر الضرب على ظهره
وبطنه قال فيقول اي الدجال اما يومن بي وفي نسخة اوما تومن بي اي تنكرني ولو هيتي وما تومن
بي وبربوبيتي قال فيقول اي المومن انت المسيح الكذاب اي الذي يقتلك المسيح الصديق
قال فيومر به فيوشر بضم فسكون همز ويبدل واوا وفتح شين اي فيقطع بالمنشار بكسر الميم
وسكون الهمز ويبدل ياء وبالنون في بعض النسخ وهو آلة النشر والقطع من مفرقه بفتح الميم
وكسر الراء ويفتح اي مبتدا من فرق راسه حتى يفرق بصيغة المجهول مخففا ومشددا اي حتى
يفصل بدنه قطعتين واقعتين بين رجليه اي بين طرفي قدميه قال النووي قوله يشبح بشين
معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة وكذا شبحوه اي مدوه على بطنه وجاء ايضا شجوه بجيم
مشددة من الشج وهو الجرح في الراس ثم قال وهذه الرواية اصح عندنا وقوله فيوشر الرواية
فيه بالهمز والمنشار بهمز بعد الميم وهو الافصح ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل في الاول واوا
وفي الثاني ياء ويجوز المنشار بالنون وعلى هذا يقال نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الراء
وسطه يعني وسط فرقه او وسط راسه انتهى وقال الجزري روي هذا الحديث على ثلاثة
اوجه اشبح بمعجمة وموحدة ثم مهملة وشجوه بالجيم من الشج وهو الجرح في الراس والوجه وثانيها
يشبح كالاول وشبحوه بالباء والحاء وثالثها فيشج وشجوه كلاهما بالجيم وهو الذي ذكره المولف
والوجه الثاني هو الذي ذكره الحميدي وصححه القاضي عياض والاصح عند جماعة من اصحابنا
الاول والله اعلم وقال شارح يقال وشرت الخشبة بالميشار اذا نشرته بالمنشار وفي الحديث
بالياء لا غير فيبدل عليه فيوشر قلت فيه بحث اذ قوله فيوشر يحتمل ان يكون بالهمز وان يكون
بواو مبدلة او اصلية وكذا في الميشار يصح همزه وابداله من همزة ومن واو وهذا لا ينافي ان
يكون المنشار بالنون بناء على التفنن في العبارة مع انه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان
العامة وفي القاموس اشر الخشب بالميشار شقه ونشره الخبت بخبثه ووشر الخشبة بالميشار
غير مهموز لغة في اشرها بالمنشار اذا نشرها انتهى وبه يعلم ان الاصل الهمز والواو لغة في
الشق والنون خاص بمعنى النحت قال اي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يمشي الدجال بين
القطعتين اي الشقتين من الرجل تخييلا لتحقيق القتل ثم يقول له قم فيستوي قائما
ثم يقول له الدجال اتومن بي فيقول ما ازددت بفتح الدال وقال شارح بكسر الدال الاولى على بناء
المجهول اقول صحته موقوفة على ان يثبت انه متعد الى مفعولين وظاهر ما في القاموس انه لازم
حيث قال زاده الله خيرا فزاد وازداد حيث اشار الى ان زاد لازم ومتعد وان ازداد قاصر
فقط حيث جعله مطاوعا نعم قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم صريح في انه متعد
الى مفعول واحد وان زاد فيجيء لازما ومتعديا الى مفعول والى مفعولين كقوله تعالى
فزادهم ايمانا وقيل نصب ايمانا على التمييز وحاصل المعنى ما ازددت فيك اي في معرفتك بفعلك
هذا من القتل والاحياء الا بصيرة اي زيادة علم ويقين بانك كاذب مموه قال ثم يقول
المومن ايها الناس انه اي الشان او الدجال لا يفعل مفعوله محذوف اي لا يفعل ما فعل بي من القتل

والاحياء

والاحياء في الظاهر بعدي اي بعد فعله بي باحد من الناس وفي هذا اخبار عن سلب القدرة
الاستدراجية عنه وتسلية للناس في الخوف منه قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل بضم اوله
وفي نسخة بفتحه اي فيجعل الله ما بين رقبته الى ترقوته بفتح التاء وسكون الراء وضم القاف وفتح
الواو والعظم الذي بين ثغره والنحر والعاتق نحاسا اي كالنحاس لا يعمل فيه السيف وفي شرح السنة
قال معمر بلغني انه يجعل على حلقه صفحة نحاس فلا يستطيع اي الدجال اليه اي الى وصول قتله ولا
يقدر على حصول مضرته سبيلا تمييز اي طريقا من التعرض قال فيأخذ اي الدجال بيديه ورجليه
فيقذف به اي يرمي بالمومن ويطرحه في الهوا فيحسب الناس بكسر السين وفتحها اي فيظنون
انما قذفه الى النار بتاويل المصدر اي قذفه اليها والاظهر ما اختاره الزمخشري من ان
انما بالفتح ليفيد الحصر ايضا كما اجتمعا في قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
وانما القي بصيغة المجهول اي اوقع في الجنة واللام للعهد اي في بستان من بساتين الدنيا
ويمكن ان يرميه في النار التي معه ويجعلها الله عليه بردا وسلاما مثل ابراهيم عليه السلام
ويصير تلك النار روضة وجنة وعلى كل تقدير فلم يحصل له موت على يده سوى ما تقدم
واما قول الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اعظم الناس شهادة عند
رب العالمين فالمراد بها قتله الاول فقط مع انه موضع التزلزل والخطل والوصول ثم وقع فيه الطيبي
بقوله فيحسب الناس ان الدجال قذفه فيما زعم انه ناره وانما القي في الجنة وهي دار الثواب دل
عليه قوله هذا اعظم الناس شهادة ونحوه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين اي يسرحون في ثمار الجنة اقول فهذا امنا فض لقوله
انه لا يفعل بعدي باحد من الناس للتتمة الا ان يقال المراد بقوله لا يفعل بعدي اي بعد قتلي
ثانيا باحد من الناس اي غيري ولا يخفى بعده والله اعلم وسياتي في حديث ابي سعيد ما يفيد
تاييد ما اخترناه رواه مسلم وعن ام شريك بفتح فكسر اي الانصارية او القرشية
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرن اي ليهربن الناس اي المومنون من الدجال
حتى يلحقوا بالجبال قالت ام شريك قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين العرب يومئذ
قال الطيبي الفاء فيه جزاء شرط محذوف اي اذا كان هذا حال الناس فاين المجاهدون في سبيل الله
الذابون عن حريم الاسلام المانعون عن اهله صولة اعداء الله وكنى عنهم بها قال هم اي العرب
قليل اي حينئذ فلا يقدرون عليه رواه مسلم وكذا الترمذي ذكره السيد ولفظ الجامع
ليفرن الناس من الدجال في الجبال رواه احمد ومسلم والترمذي وعن انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يتبع بفتح فسكون ففتح وقال شارح من الاتباع بتشديد التاء اي
يطيع الدجال من يهود اصفهان بفتح الهمزة ويكسر وفتح الفاء بلد معروف من بلاد الارفاس
قال النووي يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء والفاء انتهى ونسخ المشكاة كلها بالفاء
وفي المشارق بفتح الهمزة وفيه هما ابو عبيد البكري يكسرها وله واهل خراسان يقولونها بالفاء
مكان الباء وفي القاموس الصواب انها عجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل باؤها فاء وفي المغني

بكسر همزة وفتحها وبالفاء مفتوحة في اهل الشرق وبا موحدة في الغرب انتهى وبه يعلم ان
اصفهان اثنان فيطابق ما نقله ابن الملك من انه قيل المراد منه اصفهان خراسان لا اصفهان
الغرب لكن في قوله اصفهان خراسان مسامحة لان اصفهان انما هو في العراق لكن لما كان خراسان
في جهة الشرق ايضا وكان اشهر من العراق اضيف اليه بادنى ملابسة سبعون الفا في
رواية تسعون والصحيح المشهور هو الاول ذكره ابن الملك عليهم الطيالسة بفتح طاء وكسر
اللام جمع طيلسان وهو ثوب معروف وفي القاموس الطيلس والطيلسان مثلثة اللام عن
عياض وغيره معرب اصله تالشان جمعه الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة واستدل بهذا
الحديث على ذم لبسه ورواه السيوطي في رسالة سماها طي اللسان عن ذم الطيلسان رواه
مسلم وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي الدجال اي يظهر في
الدنيا او يتوجه الى صوب المدينة المعطرة المصونة وهو محرم جملة حالية اي ممنوع
عليه ان يدخل نقاب المدينة بكسر النون كما نص عليه النووي وهو جمع نقب بفتح النون
وهو الطريق بين الجبلين والانقاب جمع قلة كذا في النهاية فينزل اي الدجال بعض
السباخ بكسر السين اي في بعض الاراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت التي تلي المدينة
اي تقربها وسياتي انه ينزل دبر احد فيخرج اليه رجل اي عظيم وهو خير الناس
اي حينئذ او من خيار الناس اي على الاطلاق ويحتمل ان يكون التردد منه صلى
الله عليه وسلم واو للتخيير ويمكن ان يكون من الراوي فاو للشك ويقولون انه الخضر
عليه السلام ذهابا على القول الاصح فيقول اي بعد رؤيته اشهد انك الدجال الذي حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه اي وصفه وحاله ولما كان الظاهر ان يقال حديثك
قال الطيبي مجار على قوله الدجال لان المظهر غائب لا على ضمير المخاطب وعكسه قوله انا الذي
سمتني امي حيدره فيقول الدجال اي لمن حوله ارايتم اي اخبروني ان قتلت هذا ثم احييته
هل تشكون في الامر اي في امري وقيل اي في الالهية فيقولون لا اي لا نشك وهو يحتمل ان يتوجه
النفي الى اثبات الامر ونفيه قال النووي اما قول الدجال ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون
في الامر فيقولون لا فقد يشكل لان ما اظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور
النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير
ذلك ويجاب بانهم لعلهم قالوا ذلك خوفا منه لا تصديقا ويحتمل انهم قصدوا لا نشك في كذبك
وكفرك فان من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفا منه ويحتمل ان الذين
قالوا لا نشك هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته فيقتله
اي الرجل على ما سبق ثم يحييه اي وساله كما تقدم فيقول اي المقتول والله ما كنت اي في
سابق الايام فيك اي في بطلانك اشد بصيرة اي يقينا مني من متعلق باشد اليوم بالنصب
ظرف لاشد فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط بفتح اللام المشددة اي فلا يقدر عليه اي على
قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما سبق تقدم والله اعلم ثم في عجز الدجال اخرا دليل صريح

في ان

في ان تؤذنه اولا كانت مادته عارضة مستعارة للاستدراج به والابتلاء لغيره
ثم سلبت عنه لما استنزع عنه اوجه فيبقى حينئذ ملغاة بالارض ياكل منها الكلاب وما
احسن من قال من ارباب الالباب ما للتراب ورب الارباب قال الكلاباذي في الحديث دليل على ان
الدجال لا يقدر على ما يريد وانما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ويحتمل قد زندان يفعله
اختيارا للخالق ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء متفق عليه وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ياتي المسيح اي الدجال
من قبل المشرق بكسر القاف وفتح الموحدة اي من جهته همته اي قصده ونيته المدينة اي السكنة
حتى ينزل دبر احد بضم الدال والموحدة اي خلف احد وهو جبل معروف قرب المدينة ثم اي
بعد ما يقع قضية الرجل السابق تصرف الملائكة اي ترد وجهه وقصده قبل الشام اي الى حيث جاء
منه وفيه دليل بطلانه وامارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر ان يدخل
دارا فيه مدفن سيد الورى وظاهره انه لا يدخل حرم مكة بالاولى والاحرى وهنالك اي في
الشام يهلك اي يقتله عيسى عليه السلام متفق عليه وعن ابي بكرة قال عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال بضم راء فسكون
عين وبضمتين اي خوفه لها اي للمدينة يومئذ سبعة ابواب اي طرق اي المراد بها ابواب
القلعة يحيط على كل باب ملكان اي يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان رواه البخاري
قال السيوطي ما اشتهر على الالسنة ان جبريل عليه الصلاة والسلام لا ينزل الى الارض
بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فهو شيء لا اصل له ومن الدليل على بطلانه ما اخرجه
الطبراني يحضر موت كل مؤمن يموت على طهارة واخرج ابو نعيم في الفتن قال صلى الله عليه
وسلم يسير الدجال بالمدينة فاذا هو بخلق عظيم فيقال من انت فاذا انا جبريل بعثني لامنع حرم
رسوله انتهى ولا مفهوم له كما لا يخفى فانه يحتمل ان يكون من باب الاكتفا او وقوع الى
جبريل منع حرم رسوله واما حرمه فهو له ولي وكفيل كما يشير اليه سورة الفيل وياتي
في حديث تميم الداري عن الدجال انه قال فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة
غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما وقد قرره النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى
احمد عن ابي سعيد مرفوعا الدجال لا يولد له ولا يدخل المدينة ولا مكة وعن فاطمة بنت قيس
اي القرشية اخت الضحاك كانت من المهاجرات الاول روى عنها نفر كانت ذات جمال وعقل
وكمال وزوجها النبي صلى الله عليه وسلم من اسامة بن زيد مولاه رضي الله عنهم قالت سمعت
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي بتخفيف اعرابه كما في القران سمعنا مناديا ينادي
للايمان الصلاة بنصبها وبرفع وكذا قوله جامعة قال النووي هو بنصب الصلاة وجامعة
الاول على الاغراء والثاني على الحال وقال التوربشتي وجه الرواية بالرفع ان تقدير هذه
اي هذه الصلاة جامعة ويجوز ان ينتصب جامعة على الحال ولما كان هذا القول للدعا
اليها والحث عليها كان النصب اجود واشبه بالمعنى المراد منه انتهى فالتركيب ثلاثي كما لا يخفى

وقال شارح هذه الجملة مفعول ينادي لانه في معنى القول وهي في اعرابه على اربعة اوجه
كما مر اي في صلاة العيد وتوضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث قال برفعهما مبتدا وخبر
وبنصبهما على تقدير احضروا الصلاة حال كونها جامعة وبرفع الاول على تقدير هذه
الصلوة ونصب الثاني على الحالية وبالعكس على تقدير احضروا الصلاة وهي جامعة
وهو ضعيف لانهما رحرف العطف وعلى جميع التقادير محل الجملة نصب لانه مفعول
ينادي حكاية لانه في معنى القول فخرجت الى المسجد ولعل خروجها قبل النهي او كان
في الليل او لها رخصة في حضور الصلاة الجماعة فيها سا على صلاة العيد فصليت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي صلاة نافلة او احدى الصلوات الخمس فلما قضى صلاته
اي اداها وفرغ عنها جلس على المنبر وهو يضحك اي يتبسم ما حكا على عادته الشريفة
فقال ليلزم بفتح الزاي اي ليلتزم كل انسان مصلاه اي موضع صلاته فلا يتغير ولا ينتقر
ولا يتاخر ثم قال هل تدرون لم جمعتكم اي بنداء الصلاة جامعة قالوا الله ورسوله اعلم
قال اني والله ما جمعتكم لرغبة اي لامر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة ولا رهبة اي ولا
لخوف من عدو ولكن جمعتكم لان تميما الداري وهو منسوب الى جد له اسم الدار وفي
نسخة صحيحة بتميم الداري والاولى هو الاصح قال الطيبي كذا هو في جامع الاصول
واكثر نسخ المصابيح وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وبعض نسخ المصابيح
وفي مسلم لان تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي
اي طابق الحديث الذي كنت احدثكم به عن المسيح الدجال وهذا كما في حديث رب حامل فقه
الى من هو افقه منه وفيه اشعار بان كثرة الرواة لها دخل في قوة الاسناد ولهذا
قال علي سبيل الاستشهاد وطريق الاعتضاد حدثني فهو من قبيل رواية الاكابر عن
الاصاغر وفيه ايماء الى الرد على الجاهل المتكبر حيث يتكبر عن اخذ العلم من اهل الخمول
والاصاغر وقد قال تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال صلى
الله عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو احق بها ومن كلام علي رضي
الله عنه انظروا الى ما قال ولا تنظروا الى من قال والمعنى انه مما حكى لي انه راكب في
سفينة بحرية اي لا برية احترازا عن الابل فانها تسمى سفينة البر وقيل اي مركبا كبيرا
بحريا لا زورقا صغيرا نهريا مع ثلاثين رجلا من لخم بفتح لام وسكون خاء معجمة قبيلة معروف
وقد لا يصرف قبيلة معروفة وكذا قوله وجذام بضم الجيم فلعب اي دار بهم الموج شهرا
اي مقدار شهر في البحر واللعب في الاصل ما لا فائدة فيه من فعل او قول فاستعير بعد
الامواج السفن عن صوب المقصد وتحويلها يمينا وشمالا فارفؤوا بالهمز اي قربوا السفينة
الى جزيرة حين تغرب الشمس في شرح التوربشتي قال الاصمعي ارفات السفينة ارفيها
ارفاء وبعضهم يقول ارفيت بالياء على الابدال وهذا مرفأ السفن اي الموضع الذي تشد اليه
وتوقف عنده فجلسوا اي بعدما تحولوا من المركب الكبير في اقرب السفينة بفتح الهمزة

وضم

وضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها اشهر واكثر وحكى ضمها وهو جمع على غير قياس والقياس
قوارب قال النووي اقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها وهي
سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم
وفي النهاية اما اقرب فلعله جمع قارب وليس بمعروف في جمع فاعل افعل وقد اشار الحميدي
في غريبه الى انكار ذلك وقال الخطابي انه جمع غير قياس فدخلوا الجزيرة اللام للعهد
اي في الجزيرة التي هناك فلقيتهم دابة اهلب الهلب الشعر وقيل ما غلظ من الشعر وقيل ما كثر من شعر
الذنب وانما ذكر الدابة لانه يطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض كذا قالوا
والاظهر انه بتاويل الحيوان ولذا قال كثير الشعر وهو تفسير لما قبله وعطف بيان ثم بينه بزيادة
بيان استئنافا فلا يدرون اي لا يعرف الناس الحاضرون ما قبله من دبره لتضمن فيهما قال
الطيبي ما استفهامية مبتدا ويدرون بمعنى يعلمون لمجيء الاستفهام تعليقا ولا بد من تقدير مضاف
بعد حرف الاستفهام اي ما لمعة قبله من دبره من كثرة الشعر اي من اجله وبسببها قالوا ويلك
ما انت خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفجع قالت انا الجساسة قال النووي بفتح الجيم فتشديد
المهملة الاولى قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص
انها دابة الارض المذكورة انطلقوا الى هذا الرجل في الدير بفتح الدال وسكون التحتية اي دير
النصارى ففي المغرب الدير صومعة النصارى الراهب والمراد هنا القصر كما سياتي والجار
والمجرور حال والعامل فيه اسم الاشارة او حرف التنبيه فانه اي الرجل الذي في الدير الى خبركم
متعلق بقوله بالاشواق بفتح الهمزة جمع شوق اي كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للالصاق
قال التوربشتي اي شديد نزاع النفوس الى ما عندكم من الخبر حتى كان الاشواق ملصقة به
او كانه مهتم بها قال اي تميم لما سمت لنا اي ذكرت ووصفت لنا رجلا فرقنا بكسر الراء خفنا منها اي
من الدابة ان تكون شيطانة اي كراهة ان تكون شيطانة وان يكون الرجل شيطانا متعلقا
بها وقال الطيبي ان يكون شيطانة بدل من الضمير المجرور قال اي تميم فانطلقنا سراعا اي حال كوننا
مسرعين حتى دخلنا الدير قال شارح اي دير النصارى واصله الواو انتهى والمعنى ان اصله
دار بالالف المبدلة من الواو ماخوذ من الدور لكنه مدورا او يدار فيها او مدار المعيشة هو
والمبيت اليه ثم ابدلت الالف بالفرق ومراده بقوله دير النصارى انه مثلثة او في الاصل
يطلق عليه وقد يطلق على بيت الخمر فاذا فيه اعظم انسان اي اكبره جثة او هيبة رايناه
صفة انسان احترازا عمن لم يروه ولما كان هذا الكلام في معنى ما راينا مثله صح قوله قط
الذي يختص بنفي الماضي وهو بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة في افصح اللغات وقد
بكسر وقد يتبع طاؤه في الضم وقد يخفف طاؤه مع ضمها او اسكانها على ما في المغني ووقع في نسخة
ما رايناه قط وقوله خلقا تمييز اعظم واشده اي اقوى انسانا وثاقا بفتح الواو وكسرها قيدا من
السلاسل والاغلال على ما سياتي هذا وذكر الاشرف ان ضمير المفعول راجع الى الاعظم اي ما رايناه
قط اعظم الانسان هذا وان لفظه ما ليس في صحيح مسلم ولا في كتاب الحميدي ولا في جامع

الاصول ولا في اكثر نسخ المصابيح ولعل من زادها نظر الى لفظ فقط حيث يكون في الماضي المنفي
فالوجه ان يكون مرادة كما في قول القائل لله تعالى على الانام زوجيد مجموعة بالنصب وفي نسخة
بالرفع اي مضمومة يده الى عنقه وقوله ما بين ركبتيه الى كعبيه لما كان ظاهره الا يوفي
بالواو فجاوله ليكون المعنى ومجموعة ساقاه كعبيه ويكون قوله بالحديد قيدا لهما قال الطيبي
ما موصول له مرفوعة المحل المعنى بالحديد وحذف مجموعة في الثاني لدلالة الاولى عليه قلنا
ويلك ما انت استفهام فاورد واما كان من ويمكن ان يكون السوال عن وصفه وحاله
اذ قد علموا انه رجل وقد يجيء ما بمعنى من كما حقق في قوله تعالى والسما وما بناها وردعي
مشاكلة ما قبلها وقال الطيبي كانهم لما راوا خلقا عجيبا خارجا عما عهد وخفي عليهم حاله
فقالوا ما انت مكان من انت قال قد قدرتم اي تمكنتم على خبري فاني لا اخفيه عنكم فاخبرونا
لكم عن حالي فاخبروني اي عن حالكم ومما اساله عنكم اولا وهذا معنى قوله ما انتم حيث لم
يقل من انتم ويمكن ان يكون طباقا لقولهم وجزاء لفعلهم قال الطيبي ومثل ما قالوا له ما انت قال
لهم ما انتم لانه ما عهد ان انسانا يطرق ذلك المكان وقال ابن الملك اي من انتم او ما حالكم قالوا
فيه التفات من التكلم الى الغيبة ذكره ابن الملك ويمكن ان يكون التقدير قال بعضنا ففيه
تغليب للغائبين على الحاضرين نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر
شهرا ثم دخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا بكسر الميم اي اقصدوا
الى هذا اي الرجل في الدير اي القصر الكبير فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبروني عن نخل بيسان بفتح
موحدة وسكون تحتية وهي قرية بالشام ذكره الطيبي قرية من الاردن ذكره ابن الملك
وفي القاموس قرية بالشام وقرية بمرو وموضع باليمامة وفي نسخة بنون بدل الموحدة
لكنهما وجدت له اصلا في المغني يناسب المقام مر ولما ذكره في القاموس وقال بيسان بستان يح
الاشهر الرومية هل تثمر اي تلك النخل قلنا نعم قال اما بالتخفيف للتنبيه انها توشك اي تقرب
ان لا تثمر قال اي الرجل اخبروني عن بحيرة الطبرية بفتحتين والبحيرة تصغير البحر وفي
القاموس الطبرية محركة قصبة بالاردن والنسبة اليها طبراني هل فيها ماء قلنا هي كثيرة الماء
قال اما ماؤها يوشك ان يذهب اي يفنى قال اخبروني عن عين زغر بزاي فعين معجمتين
ثم راء كزفر بلدة بالشام قيل انه النبات قيل عدم صرفه للتعريف والتانيث لانه في الاصل
اسم امرأة ثم نقل يعني ليس لتانيثه باعتبار البلدة والبقعة فانه قد يذكر ويصرف
باعتبار البلد والمكان وقد قال شارح هو موضع بالشام وقال النووي هي بلدة معروفة
في الجانب القبلي من الشام هل في العين اي في عينها وتلك العين فاللام للعوض عن
المضاف اليه او للعهد ماء اي كثير لقوله وهل يزرع اهلها اي اهل تلك العين او البلدة وهي الاظهر
لقوله بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من مائها الظاهر ان جوابه على طبق
ما سبق وهو اما انها يوشك ان لا يبقى فيها ما يزرع به اهلها وفي الاسئلة المذكورة واجوبتها
المسطورة اشارة الى انها علامات لخروجه وامارات لذهاب بركتها بشامة ظهوره ووصوله

ولما

ولما كان هذه الاسئلة توطئة لما بعدها قال اي الدجال معرضا عن الجواب الثاني ومبادرا الى
السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود اخبروني عن نبي الاميين اي العرب ما فعل بفتحتين
اي ما صنع بعد ما بعث قال ابن الملك وفي شرح المشارق اراد الدجال بالاميين العرب لانهم لا يكتبون
ولا يقرؤون غالبا وانما اضاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اليهم طعنا عليه بانه مبعوث اليهم خاصة
كما زعم بعض اليهود او بانه غير مبعوث الى ذوي الفطنة والكياسة والعقل والرياسة قلنا
قد خرج من مكة ونزل يثرب اي هاجر منها الى المدينة قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع
بهم فاخبرناه انه قد ظهر اي غلب وظفر على من يليه اي يقرب منه من العرب واطاعوه قال اما ان
ذلك خير لهم قال الطيبي المشار اليه ما يفهم من قوله واطاعوه وقوله ان يطيعوه جاء بمزيد
البيان ويجوز ان يكون المشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير اما خبر مسند الى ان يطيعوه
وما بعده لا يكون بمعنى التفضيل او يكون ان يطيعوه مبتدأ وخبره مقدما عليه والجملة خبر
ان قال التوربشتي فان قيل يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من البعد من الله
بمكان لم يرد فيه مسلم فما وجه هذا قلنا يحتمل انه اراد به الخير في الدنيا اي طاعتهم له خير
لهم فانهم ان خالفوه اجتاحهم واستأصلهم ويحتمل انه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه
والتكبر عليه ولفوه بما ذكر عنه كالمغلوب عليه والماخوذ عليه فلم يستطع ان يتكلم بغيره
تأييدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولتفضيل ما شهدت به الاعداء واني مخبركم عني اي بكسر الهمزة
وفتحها اني انا المسيح اي الدجال واني بالوجهين يوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير
في الارض فلا ادع بالنصب في الثلاثة وجوز رفعها اي فلا اترك قرية الا هبطتها في اربعين ليلة
ظرف المسير وعدم الترك اشعارا بقوة سياحته التي هي احد وجوه تسميته بالمسيح على انه
فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مرورا كالمسح غير مكة استثناء من القرية التي وقعت
نكرة في سياق النفي المنصب على الاستثناء المفيد للاستغراق وطيبة عطف على مكة
وهي بفتح طاء وسكون تحتية فموحدة من اسماء المدينة كطابة فهما اي مكة وطيبة محرمتان علي
ممنوعتان على دخولهما كلتاهما تاكيد لهما ثم بين سبب المنع بقوله كلما اردت ان ادخل واحدة
اي حرما واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا بفتح الصاد وبضم اي مجردا عن الغمد
قال شارح هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل او المفعول حال عن الملك او السيف اي مصلتا
من قولهم اصلت سيفه اي جرده من غلافه وقوله يصدني عنها اي يمنعني عن كل واحدة منها استئناف
بيان او حال والضمير للملك او السيف مجازا ولله تعالى حقيقة وهو المذكور في اللسان والمحفوظ
في الجنان فصح ان يكون مرجعا للضمير على وجه البيان كما حقق في قوله تعالى قل هو الله احد وان على
كل نقب بفتح نون وسكون قاف اي طريق او باب منها اي من كل واحدة ملائكة يحرسونها اي يحفظونها
عن الآفات والبليات من تغيير ذلك الملك والظاهر انه جبريل عليه السلام لما تقدم والله اعلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن اي وقد طعن اي ضرب بمخصرته بكسر الميم وفتح الصاد
اي بعصاه في المنبر اي عليه كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل او في الطعن تضمين الايقاع

كقوله يخرج في عراقيبها تصلي وفي الفائق هو قضيب يشير به الخطيب او الملك اذا خاطبوا قال
التوربشتي المخصرة كالسوط كلما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصا ونحوها فهي مخصرة
وقال شارح المخصرة ما يمسكه الانسان بيده من قضيب او عصا ونحوهما ويضع تحت خاصرته
ويتكي عليها وقيل هي كالسوط هذه طيبة الجملة مقول يقال وما بينهما حال معترضة
بين الفاعل والمفعول هذه طيبة هذه طيبة كررها ثلاثا للتاكيد يعني المدينة اي
يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذه الموضوعة للاشارة المحسوسة المدينة المحروسة
قال التوربشتي لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به اعجبه ذلك وسر به فقال الا اي تنبهوا
اهل كنت حدثتكم اي بمثل هذا الحديث ومطابق لهذا الخبر فقال الناس نعم الا للتنبيه انه
اي الدجال في بحر الشام او بحر اليمن قيل لما حدثهم بقول تميم الداري لم يبين لهم موطنه
ومجلسه كل التبيين لما راى في الالتباس من المصلحة فرد الامر فيه الى التردد بين كونه في بحر
الشام او بحر اليمن ولم يكن العرب يومئذ يسافر الا في هذين البحرين ويحتمل انه اراد ببحر الشام ما يلي
الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني والبحر واحد وهو الممتد على احد جوانب جزيرة
العرب ثم اضرب عن القولين مع حصول اليقين في احدهما فقال لا بل من قبل المشرق ما
هو وما زائدة او موصولة بمعنى الذي اي الجانب الذي هو فيه قال القاضي لفظ ما هنا زائدة
للكلام وليست بنافية والمراد اثبات انه في جهة المشرق قال التوربشتي ويحتمل ان يكون خبرا
اي الذي هو فيه او الذي هو يخرج منه وا وما هو تنبيه اي اشار بيده الى المشرق قال الاشرف
يمكن انه صلى الله عليه وسلم كان شاكا في موضعه وكان في ظنه انه لا يخلو من هذه المواضع الثلاثة
فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي او غلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفى
الاولين واضرب عنهما وحقق الثالث رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اراني اي من الرويا كذا ذكره شارح ويحتمل ان يكون الطريق المكاشفة
مع ان رويا الانبياء حق كمكاشفتهم الليلة اي البارحة ان وقع القول في النهار عند الكعبة
ظرف للمروية او حال من المفعول والمعنى رايت نفسي عند الكعبة فرايت رجلا ادم بالمد
اي اسمر كاحسن ما انت راء اي في الاوصاف من ادم الرجال بضم همز وسكون دال مهملة
جمع ادم كحمر جمع احمر على ما في النهاية وما وقع في بعض النسخ من الضم فهو من سهو القلم له لمة
بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الاذن من الشعر كاحسن ما انت راء من اللمم بكسر ففتح
جمع لمة قد رجلها بتشديد الجيم اي سرحها ومشطها فهي اي اللمة تقطر ماء يحتمل ان يراد بالماء
الذي سرح به اذ لا يترح الشعر وهو يابس وان يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة متكئا
صفة اخرى لرجلا وكان من حقه لو صفته بادم اي معتمدا على عواتق رجلين جمع عاتق وهو
موضع الرداء من الكتف وقال السيوطي ما بين المنكب والعنق ثم التركيب من قبيل قوله فقطعنا
قلوبكما وحديث انضاف ساحته يطوف بالبيت استيناف بيان او حال قيل لعل اي الطائفين
او الملائكة الحافين من هذا وفيه ايما الى ان المكاشفة قد يكون في بعض الاشياء وجود

لبعض

بعض الاحفاء ثم قال لو اهذا المسيح ابن مريم قال اي النبي عليه السلام ثم اذا انا برجل جعد بفتح جيم
وسكون عين وهو من الشعر خلاف السبط او القصير منه كذا في القاموس قطط بفتح الطاء
الاولى وبكسر في القاموس القطط القصير الجعد من الراس كالقطط محركة اعور العين اليمنى
بالجر في اعور مضافا كان عينه طافية بكسر الفاء بعدها يا وفي نسخة بالهمز قال السيوطي روي
بالهمز بمعنى ذاهب ضوءها وبدونه وصححه الاكثر بمعنى ناتية بارزة كنتوء حبة العنب
قال القاضي عياض كلا عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة وهي الطافية بالهمز واليسرى
اي ناتية جاحظة كانها كوكب وهي الطافية بلا همز كاشبه من رايت قال الجزري ضبطناه
بالتكلم والخطاب وهو اوضح قلت اكثر النسخ على التكلم وهو الاظهر في مقام التشبيه من
الخطاب العام ثم الكاف مزيدة للمبالغة في التشبيه والمعنى هو اشبه من ابصر من الناس
بابن قطن بفتحتين واحد من اليهود والجار متعلق باشبه وفي الرواية الاتية اقرب
الناس شبها ابن قطن ولعل وجه التشبيه باعتبار بعض الوجوه الاتية او باعتبار ان عينه
عنبة طافية واضعا يديه حال عن الدجال على منكبي رجلين الظاهر ان المراد بهما من يعاونه
على باطله من امرائه كما ان المراد بالرجلين الاولين من يساعد ان المسيح على حقه ولعلهما الخضر
والمهدي من اصحابه يطوف بالبيت فيه اشعار بان احدا لا يستغني عن هذا الجناب ولا يفتح
لهم غرض الا من هذا الباب وفي قوله تعالى مثابة للناس ايما الى ذلك ولذا وجد الكفار في الجاهلية
وزمن الفترة ما كانوا يتركون الطواف والان لا ينبغي لليهود والنصارى ان يتركوا
رويته هذا البيت والطواف حوله وقال التوربشتي طواف الدجال حول الكعبة مع انه كافر
ماول بان رويا النبي صلى الله عليه وسلم من مكاشفاته كوشف بان عيسى عليه السلام
في صورته الحسنة التي ينزل عليها يطوف حول الدين لاقامته اوده واصلاح فساده وان
الدجال في صورته الكريهة التي ستظهر يدور حول الدين يبغي العوج والفساد قلت من هذا
فقالوا هذا المسيح الدجال قال التوربشتي وجه تسميته بالمسيح في احد الوجوه انه ان الخير
مسح عنه فهو مسيح الضلالة كما ان الشر مسح عن عيسى فهو مسيح الهداية وقيل سمي عيسى
به لانه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الا برا وقيل لانه كان امسح الرجل لا اخمص له وقيل لانه
خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لانه كان يمسح الارض اي يقطعها وقيل المسيح
الصديق وسمي الدجال به لان احدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا
انتهى ولانه يمسح في ايام معدودة جميع مساحة الارض الا مكة والمدينة فهو فعيل بمعنى
فاعل ووصف بالمسيح الدجال لان المسيح وصف غلب على عيسى عليه السلام فوصف بالدجال
ليتميز المحق من المبطل متفق عليه قيل رواه مسلم في باب الاسرا وفي رواية قال اي النبي
عليه السلام في الدجال اي في حقه وشانه رجل اي هو رجل احمر اي لونا جسيم اي بدنا جعد الراس
اي شعرا اعور عين اليمنى اقرب الناس به شبها ابن قطن وذكر حديث ابي هريرة لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها في باب الملاحم وسنذكر حديث ابن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاثني على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال الى اخره في باب قصة ابن الصياد ان شاء الله تعالى متعلق
بقوله سنذكر وكان المولف راى ان ذكره في ذلك الباب هو الاقرب الى الصواب الفصل
الثاني عن فاطمة بنت قيس في حديث تميم الداري اي على ما سبق بطوله قال اي تميم وفي نسخة
قالت اي ناقلة عنه فاذا انا بامراة قال في الحديث السابق فلقيتهم دابة اهلب وهنا فاذا انا
بامراة فقيل يحتمل ان للدجال جساستين احديهما دابة الثانية امراة ويحتمل ان الجساسة
كانت شيطانة تمثلت مرة في صورة دابة واخرى في صورة امراة وللشيطان التشكل باي
شكل اراد ويحتمل ان تسمى المراة دابة مجازا قال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم لكن
الاظهر في الاستشهاد قوله سبحانه وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اذ الدابة
في هذه الاية تعم المخلوق فيما المرزوق بخلاف الاية السابقة فان الظاهر ان المراد من الدواب
بها الحيوانات فيكون في المعنى كقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا تجر شعرها
صفة للامراة وهو كناية عن طول شعرها والشعر يحرك ويسكن قال اي تميم ما انت قالت انا
الجساسة اذهب الى ذلك القصر اي المعبر عنه فيما سبق بالدير فاتيته فاذا رجل يجر
شعره مسلسل صفة ثانية اي مقيد بالسلاسل في الاغلال ينزو بسكون النون
وضم الزاي اي يثب ويرتفع فيما بين السما والارض وابعد من قال انه متعلق بمسلسل فقلت
من انت قال انا الدجال رواه ابو داود وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ان لا تعقلوا اي لا تفهموا ما حدثتكم في شان
الدجال او تنسوه لكثرة ما قلت في حقه قال الطيبي حتى غاية حدثتكم اي حدثتكم احاديث
شتى حتى خشيت ان يلتبس عليكم الامر فلا تعقلوه فاعقلوا وقوله انا المسيح الدجال
اي بكسر ان استينافا وفتح تاكيدا لما عسى ان يلتبس عليهم الامر فلا تعقلوه انتهى وقيل
خشيت ان يلتبس عليكم بمعنى رجوت وكلمة لا زائدة ثم قوله قصير غير ملائم لما سبق
من كونه اعظم انسان ووجه الجمع انه لا يبعد ان يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة وهو
المناسب لكونه كبير الفتنة او العظمة مصروفة الى الهيبة وقيل ان الله تعالى يغيره عند الخروج
افحج بتقديم الحاء على الجيم اي الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه وينفحج ساقاه اي ينفرج
وهو خلاف الاروح كذا قاله شارح وفي النهاية الفحج تباعد ما بين الفخذين جعد اي شعره
اعور اي احدى عينيه مطموس العين اي ممسوحها بالنظر الى الاخرى ليست اي عينه بنانية
اي مرتفعة عالية من النتو ولا جحراء بفتح جيم وسكون حاء اي ولا غائرة والجملة المنفية
موكدة لاثبات العين الممسوحة ومعنى لا ناتية في ان الاخرى ناتية بارزة كانها حبة العنب
على ما تقدم والله اعلم فان البس عليكم بصيغة المجهول اي ان اشتبه عليكم امر الدجال بسبب
ما يبينت لكم من الحال او ان البس عليكم امره بما يدعيه من الوهية بالامور الخارقة للعادة
فاعلموا ان ربكم ليس باعور اي اقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التنزيه
عن الحدوث والعيوب لاسيما النقائص الظاهرة المرئية رواه ابو داود وكذا النسائي

وعن

وعن ابي عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه اي الشان
لم يكن نبي بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه اي خوفهم به وقدم المفعول الثاني للاهتمام بذكره
وقد تقدم ان نوحا عليه السلام انذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز والى انذركموه اي
الدجال ببيان وصفه خوفا عليكم من تلبيسه ومكره وفتنته انا ببعض اوصافه قال اي
النبي عليه السلام لعله سيدركه بعض من راني اي على تقدير خروجه سريعا وقيل دل على
بقاء الخضر او سمع كلامي لبس او من شك الراوي بل للتنويع لانه لا يلزم من الروية
السماع وهو لمنع الخلو لامكان الجمع وقيل المعنى او سمع حديثي بان وصل اليه ولو بعد
حين قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يوميذ فيه اشارة الى ان سحره لا يوثر في قلوب
المومنين وان كان يتخيل في اعينهم ما ليس من اليقين قال مثلها اي مثل قلوبكم الان وهو
معنى قول الراوي يعني اي يريد بالاطلاق تقييد الكلام اليوم او خير شك من الراوي
ويحتمل التنويع بحسب الاشخاص رواه الترمذي قيل وحسنه وابو داود وعن عمرو
ابن حريث تصغير حرث تابعي صغير قال المولف قرشي مخزومي راى النبي صلى الله عليه
وسلم ومسح براسه ودعا له بالبركة عن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بصيغة التثنية
لان الحديث من باب رواية الصحابي الصغير عن الكبير قال اي الصديق حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال استينا ف موكد لحديثا او بدل على مذهب الشاطبي ومن تبعه من ان البدل
يجري في الافعال وهو اصح الاقوال والتقدير حدثنا شيا من جملتها قال الدجال يخرج
من ارض بالمشرق يقال لها خراسان بضم اوله في القاموس انه بلاد بعجمي معروفة بين بلاد
ما وراء النهر وبلدان العراق معظمها الان بلدة هراة المسماة بخراسان كتسمية الدمشق بالشام
يتبعه بسكون التاء وفتح وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء اي يلحقه ويطيعه
اقوام اي جماعات اي عظيمة وغريبة من جنس الانسان ولكنهم يشبهون الجان كان وجوههم
المجان بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهي الترس وقوله المطرقة بضم الميم
وسكون الطاء على ما اصل السيد وكثر النسخ وقال السيوطي روي بتشديد الراء وتخفيفها
فهي مفعولة من اطرقه اي جعل الطراق على وجه الترس والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع
على مقدار الترس فيلصق على ظهره والمعنى ان وجوههم عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة
وهذا الوجه صفة انما يوجد في طايفة الترك والازبك مما وراء النهر ولعلهم ياتون الى
الدجال في خراسان كما يشير اليه قوله يتبعه او يكونون حينيذ موجودين في خراسان حماه
الله من افات الزمان رواه الترمذي وكذا ابن ماجة والحاكم وعن عمران بن حصين اسلم هو
وابوه وكان من فضلاء الصحابة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال اي
بخروجه وظهوره فلينأ بفتح اليا وسكون النون وفتح الهمزة امر غايب من نأى حذف الفه
للجزم اي فليبعد منه اي من الدجال لان العفو عن قربه سعة قال تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار والركون ادنى الميل فوالله ان الرجل لياتيه وهو اي الرجل يحسب بكسر السين

وفتحها اي يظن انه اي الرجل بنفسه مؤمن فيتبعه بالتخفيف ويشدد اي فيطيع الدجال مما يبعثه بضم اوله ويفتح اي من اجل ما يثيره ويباشره من الشبهات اي المشكلات كالسحر واحيا الموتى وغير ذلك فيصير تابعه كافرا وهو لا يدري رواه ابو داود وعن اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية بفتح الهمزة وبضم الياء الاشهلية الانصارية تعني ثم ذوات الفضل والدين قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة وتقدم انه يلبث في الارض اربعين يوما ولعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله السنة كالشهر فانه محمول على سرعة الانقضا كما ان ما سبق من قوله يوم كسنة محمول على ان الشدة في غاية من الاستقصا على انه يمكن اختلافه باختلاف الاحوال والرجال والشهر اي من السنة كالجمعة اي كالاسبوع والجمعة تعني الاسبوع من الشهر كاليوم اي كالنهار واليوم كاضطرام السعفة بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل اي كسرعة التهاب النار بورق النخل والاضطرام الالتهاب والاشتعال لمعنى ان اليوم كالساعة رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من امتي اي امة الاجابة او الدعوة وهو الاظهر لما سبق انهم من يهود اصفهان سبعون الفا عليهم السيجان بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج وهو الطيلسان الاخضر وقيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك اي اذا كانوا اهل الثروة سبعين الفا فما ظنك بالفقراء قلت الفقراء لكونهم مفلسين هم في امان الله اذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من اصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة سوا يكون متبوعهم على الحق او الباطل كما شوهد في الازمنة السابقة من يامر يزيد والحجاج وابن زياد وهكذا ابن يزيد الغدر كل سنة بل كل يوم في البلاد من تبع العلما العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد لتر العباد للاغراض الفاسدة والمناصب الكاسدة ونسال الله العفو والعافية وحسن الخاتمة رواه في شرح السنة قيل في سنده ابو هارون وهو متروك وعن اسما بنت يزيد اي ابن السكن قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال بين يديه اي قدام الدجال وقبل زمان خروجه ثلاث سنين اي مختلفة في ذهاب البركة سنة بالرفع وفي نسخة بالنصب تمسك السما اي تمنع بامساك الله فيها اي في تلك السنة ثلث قطرها بفتح القاف اي مطرها المعتاد في البلاد والارض اي وتمسك الارض ثلث نباتها اي ولو كانت تسقى من غير المطر والثانية اي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز نصبها اما على البدلية واما على الظرفية تمسك السما ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السما قطرها كله والارض نباتها كله فيقع القحط فيما بين اهل الارض كله وتكون الخزائن والكنوز تتبعه وانواع النعيم من الخبز والثمار والانهار معه فلا يبقى بالتذكير ويؤنث ذات ظلف بكسر الظاء المعجمة اي البقرة والشاة والظبي ولا ذات ضرس وهي السباع من البهائم الا هلك اي لا يبقى في حال من الاحوال الا في حال الهلاك وان من اشد فتنته اي اعظم بليته انه ياتي اي الدجال الاعرابي اي البدوي

ومن في معناه من جنس الغنى فيقول اي الدجال ارايت اي اخبرني ان احييت لك ابلك اي التي ماتت من القحط الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل بكسر المثلثة وتفتح اي يتصور له كهيأته اي مثال ابله من الشياطين كما يدل عليه نسخة فيتمثل له الشياطين نحو ابله كاحسن ما يكون اي كاحسن كونها ضروعا اي من اللبن ونصبه على التمييز واعظمه اي واعظم ما يكون من جهة السمن اسنمة بكسر النون جمع السنام قال اي النبي عليه السلام وانما ذكره تاكيدا او اعادة لطول الفصل تابيدا ويأتي الرجل عطف على قوله ويأتي الاعرابي فيكون من جملة اشد الفتنة قد مات اخوه اي مثلا وقد مات ابوه الظاهر ان الواو بمعنى او ولذا اعاد الفعل فيقول ارايت اي اخبرني والخطاب لمن مات ابواه او لكل ممن مات ابوه وامه ان احييت لك اباك واخاك جميعا او اخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشياطين مفعول اول نحو ابيه ونحو اخيه مفعول ثان وفي نسخة بمثل بصيغة المجهول ورفع الشياطين وقيل بنصب الشياطين بنزع الخافض اي من الشياطين فعلى هذا ينصب نحو ويرفع باختلاف القائلين قالت اي اسما ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم رجع والقوم في اهتمام وغم اي شديد وزيد لانا كيد مما حدثهم اي من اجل حديثه اياهم قالت فاخذ بلحمتي الباب بفتح اللام وسكون الحا كذا في جميع نسخ المشكاة اي بناحيته ذكره ابن الملك في شرح المصابيح وقال شارح له هو بحلقتي الباب بالجيم والقاف تاء النور لشيء الصواب فاخذ بحلقتي الباب اربد بهما العضادتان وقد فسر بجانبيه ومنه الجافان للبير اي جوانبهما وفي كتاب المصابيح بلحمتي الباب وليس بشيء ولم يعرف ذلك من كتب اصحاب الحديث الاعلى ما ذكرنا قلت ويؤيده ما في القاموس من ان اللجف حفر في جانب البير ولجيفتا الباب جانباه لكن بعد اتفاق النسخ لا بد من التوجه ففي القاموس اللحمة القطعة من اللحم فيجوز ان يكون المراد بهما قطعتي الباب فانهما تلتحمان وتنفصلان وتلتئمان وهو اولى من تخطيئته رواة الكتاب والله اعلم بالصواب فقال اي النبي عليه السلام مهيم بفتح فسكون ثم فتح فسكون في القاموس مهيم كلمة استفهام اي ما حالك وما شانك او ما وراءك او احدث لك شيء وقال القاضي مهيم كلمة يمانية ومعناه ما الحال والخبر وقوله اسما منادى حذف عنه حرف الندا قلت يا رسول الله لقد خلعت افئدتنا اي اقلقت وقلعت قلوبنا بذكر الدجال اي وما معه من الفتنة وشدة الحال قال ان يخرج وانا حي اي موجود ونقادير فانا حجيجه اي دافعه عنكم بالحجة او الهمة والا فان ربي خليفتي على كل مومن وهو ما ينافي ما سبق من قوله فامرؤ حجيج نفسه فان المقصود انه يجب على كل شخص انه يدفعه عن نفسه بالحجة اليقينية فاذا كان صاحب النبوة موجودا فلا يحتاج الى غيره لانه مؤيد من عند الله والا فالله ولي دينه وناصر نبيه وحافظ اوليائه ممن امن به فقلت يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه بكسر الموحدة ونضم اي فما نتم خبزه حتى نجوع اي من قلة صبرنا

بكسر الجيم صح

عن الاكل فكيف بالمؤمنين البالغين الكتفاء بالصبر توقيته اي في وقت القحط والحصار الخبز
عند وجود الدجال واتباعه قال يجزيهم ما يجزي بضم اوله مهموزا اي يكفيهم ما يكفي اهل السماء
اي الملائكة من التسبيح والتقديس قال المظهر يعني من ابتلي بزمانه في ذلك اليوم
لا يحتاج الى الاكل والشرب كما لا يحتاج الملائكة اليهما وابعد الطيبي حيث قال معناه وانا
نجوز العجب لتخبره فلا نقدر على خبزه كما فيه من خوف الدجال حين خلقت افيدتنا
بذكره فكيف حال من ابتلي بزمانه ممن خاف فوكل بحيرتهما انه تعالى يلهمهم بركتها التسبيح
والتقديس هذا وفي الحديث كلمتان سبحان الله وبحمده وعبادة الخالق بهما انقطع ارزاقهم
رواه البزار عن ابن عمرو ومعنى الاقطاع تسويغ الامام من مال الله شيئا لمن يراه اهلا
لذلك ثم استعمل في كل ما يعين للشخص رواه هنا بياض في الاصل والحق به احمد وابو
داود والطيالسي وقيل رواه احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب
عنها وانفرد به عنها

الفصل الثالث

عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل احد
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سألته اي عنه وانه بكسر الهمزة والواو
للحال او لعطف الجملة الثانية على المتقدمة والتقدير وقال انه والواو لمطلق الجمع
والضمير للشان قوله صلى الله عليه وسلم قال لي ما يضرك قال الطيبي الجملة حال
والمعنى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال مع انه صلى الله عليه وسلم قال ما يضرك فان الله تعالى
كافيك شره اقول والظاهر ان الجملة اخبارية ويمكن ان تكون خبرية لفظا وفي المعنى
دعائية وانما اتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله اعلم بالحال قلت
انهم اي الناس او اهل الكتاب او اليهود يقولون ان معه جبل خبز بضم الخاء المعجمة وسكون
الموحدة فزاي اي معه من الخبز قدر الجبل وفي نسخة جبل خبز وكذا في المصابيح وكانه
تصحيف وعمرا بفتح الخاء وهو افصح ويكسر وهو اشهر وفيه اشارة الى ان في زمانه
قحط الماء ايضا ابتلاء للعباد وزوال البركة في البلاد لعموم الفساد وهذا سؤال
مستقل لا تعلق له بما قبله وابعد الطيبي في قوله قلت الخ استيناف جواب عن سؤال
مقدر اي اني اتمنى لو بقيت فقال لي ما يضرك اي ما يضلك قلت كيف ما يضلني وانهم يقولون
ان معه جبل خبز قال هو اهون على الله من ذلك اي الدجال هو احقر من ان الله تعالى يجعل قوله
ذلك وانما هو تخييل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر والمراد انه اهون من ان يجعل
شيئا من ذلك اية على صدقه ولا سيما قد جعل فيه اية ظاهرة في كذبه وكفره يقرأها
من لا يقرأ وفي شرح مسلم قال القاضي معناه هو اهون على الله من ان يجعل الله تعالى
ما خلق الله تعالى على يديه مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم انما جعله الله ليزداد الذين
امنوا ايمانا وتلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم وليس معناه انه ليس معه
شيء من ذلك متفق عليه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج الدجال
على حمار اقمر اي شديد البياض على ما في النهاية وفيه ايماء الى ان حماره احسن من وجهه

مابين

ما بين اذنيه صفة ثانية لحمار سبعون باعا وهو طول ذراعي الانسان وما بينهما رواه
البيهقي في كتاب البعث والنشور باب

قصة

ابن صياد كذا في نسخة السيد واكثر النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ ابن الصياد
معرفا في القاموس ابن صايد او صايد الذي كان يظن انه الدجال وقال الاكمل ابن صايد
اسمه عبد الله وقيل صاف ويقال ابن صايد وهو يهودي من يهود المدينة وقيل هو دخيل
فيهم وكان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارا ثم اسلم لما كبر وظهرت
منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين ثم ظهرت منه احوال وسمعت منه اقوال تشعر
بانه الدجال وقيل انه تاب بالمدينة وقيل بل فقد يوم الحرة وقال ابن الملك اختلفوا
في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال وما يقال انه مات بالمدينة لم يثبت اذ فقد يوم الحرة
وانما انه لم يولد الدجال وانه لا يدخل البلدان وانه يكون كافرا فذلك في زمان خروجه
وقيل ليس هو الدجال ونقل ان جابرا حلف بالله ان ابن الصياد هو الدجال وانه سمع
عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره والظاهر من قصة
تميم الداري انه ليس هو الدجال نعم كان امر ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده
ووقى الله المسلمين من شره اقول ولا ينافي قصته قصة تميم الداري اذ يمكن ان يكون
له ابدان مختلفة فظاهره في عالم الحس والخيال دائر مع اختلاف الاحوال وباطنه
في عالم المثال مخفي بالسلاسل والاغلال ولعل المانع من ظهور كماله في الفتنة من
وجود سلاسل النبوة واغلال الرسالة والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافراد الضمير لكونه هو الاصل المروي
عنه وذكر ابيه تبعا له وفي نسخة عنهما وهو موهم ان يدخل فيه الخطاب وهو عدول عن
الصواب انطلق اي ذهب عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط وهو ما دون
العشرة من الرجال والمعنى في جملة جمع من اصحابه قبل ابن صياد بكسر القاف وفتح الموحدة
اي جانبه حتى وجدوه قيل حتى هنا حرف ابتداء تستأنف بعده الكلام ويفيد انتهاء
الغاية وقوله يلعب مع الصبيان حال من مفعول وجدوه في اطم بني مغالة بفتح الميم
وبضم والعين المعجمة ونقل بالفتح والمهملة وهو قبيلة والاطم بضمتين القصر وكل
حصن مبني بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع اطام واطوم كذا في القاموس وقال
النووي المشهور مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة وقد قارب ابن صياد يومئذ
الحلم بضمتين وبسكون اللام اي البلوغ بالاحتلام وغيره فلم يشعر بضم العين وفيها اشعار
بانهم جاؤه على غفلة منه اي لم يتفطن بمجيئهم حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره اي ظهر ابن
صياد بيده اي الكريمة ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله فنظر اليه
اي الى النبي صلى الله عليه وسلم نظر غضب او غفلة ولذا لم يترتب عليه بصيرة لهم قال تعالى
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فقال اشهد انك رسول الاميين قال القاضي يريد بهم العرب

فذروي ابن ح

لان اكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن وما ذكره وان كان حقا من قبيل المنطوق لكنه
ليشعر بباطل من حيث المفهوم وهو انه مخصوص بالعرب غير مبعوث الى العجم كما زعمه
بعض اليهود وهو ان قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقي اليه الكاذب الذي ياتيه
وهو شيطانه انتهى ويمكن ان يكون مسموعه من اليهود لانه منهم او هذا على طريقة
الحكما في زعمهم انهم مستغنون عن الانبيا ثم قال ابن صياد اتشهد اني رسول الله
يحتمل انه اراد به الرسالة النبوية كما يدل عليه المقابلة الكلامية ويحتمل انه اراد
الرسالة اللغوية فانه ارسل من عنده تعالى للفتنة والبلية فرصه النبي صلى الله
عليه وسلم بتشديد الصاد المهملة اي ضغطه حتى ضم بعضه الى بعض ومنه قوله
تعالى كانهم بنيان مرصوص ذكره الخطابي وقال النووي في اكثر نسخ بلادنا فرفضه
بالفاء والضاد المعجمة والمعنى تركه وقطع سواله وجوابه وحيد له من هذا الباب
وقال شارح قوله فرصه اي كسره وقيل صوابه بالمهملة والمراد منه المراد العصر والتضييق
ثم قال اي النبي عليه السلام امنت بالله وبرسله قال الطيبي هو عطف على فرصه وثم
للتراخي في الرتبة والكلام خارج على ارخاء العنان اي امنت بالله ورسله فتفكر هل
انت منهم انتهى وفيه ايهام تجويز التردد في كونه من الرسل ام لا ولا يخفى فساده
فالصواب انه عمل بالمفهوم كما فعله الدجال فالمعنى اني امنت برسله وانت لست
منهم فلو كنت منهم لامنت بك وهذا ايضا على الفرض والتقدير او قيل ان يعلم انه
خاتم النبيين والا فيقدم العلم في الخاتمية فلا يجوز ايضا الفرض التقدير وقد
بعض علمائنا بانه لو ادعى احد النبوة فطلب منه شخص المعجزة كفر وانما لم يقتله
صلى الله عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة لانه صبي وقد نهى عن قتل الصبيان
او ان اليهود كانوا يومئذ متمسكين بالذمة مصالحين ان يتركوا على امرهم وهو
منهم او من حلفائهم فلم يكن ذمة ابن الصياد لتنتقض بقوله الذي قال كذا قاله بعض
علمائنا من الشراح وكذا ابن الملك وهذا يدل على ان عهد الدجال لم يكن عن ولد الصغير
وقيل انه ما ادعى النبوة صريحا لان قوله اتشهد استفهام لا تصريح فيه وفيه تاييد
لما قدمناه من الاحتمال المعنى اللغوي في الرسالة ثم قال لابن الصياد وماذا ترى ذا
زيرة وما سنفها منية اي ما تبصر وتكاشف من الامر الغيبي قال ياتيني صادق
اي خبر صادق تارة وكاذب اي اخرى او ملك صادق وشيطان كاذب وقيل حاصل
السوال ان الذي ياتيك ما يقول لك ومحصل الجواب انه يحدثني بشيء قد يكون صادقا وقد
يكون كاذبا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط بصيغة المجهول مشددا للمبالغة
والتكثير ويجوز تخفيفه اي شبه عليه الامر اي الكذب بالصدق قال النووي اي ما ياتيه
به شيطانك مخلط قال الخطابي معناه انه كان له تارات يصيب في بعضها ويخطئ في بعضها
فلذلك التبس عليه الامر قال رسول الله صلى الله عليه اني خبات اي اضمرت لك اي في نفسي

خبيا

خبيا اي اسما مضمرا لتخبرني به قال ابن الملك وانما امتحنه صلى الله عليه وسلم بذلك
ليظهر ابطال حاله للصحابة وانه كاهن ياتيه الشيطان فيلقي على لسانه وخباله
يوم تاتي السما بدخان مبين الجملة حال بتقدير قد او بدونه فقال هو الدخ بضم فتشديد
وقيل بالفتح وحكي الكسر وفي النهاية الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لانه اراد
بذلك يوم تاتي السما بدخان مبين وقيل ان عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل
ان يكون اراده تعريضا لقتاله وفي القاموس الدخ ويضم الدخان اقول والرواية بضم
الدال وتخفيف الخاء لكان له وجه في انه رمز واشارة الى الدخان وتصريح بنقصان ادراكه
كما هو داب الكهان وقال النووي وهو بضم الدال وتشديد الخاء المعجمة وهي لغة في الدخان
ومعنى خبات اضمرت لك اسم الدخان والصحيح المشهور انه صلى الله عليه وسلم اضمر
له اية الدخان وهي قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين قال القاضي عياض
والاصح الاقوال انه لم يات من الاية التي اضمرها النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا اللفظ
ان قيس على عادة الكهان اذا القى الشيطان اليهم بقدر ما يخطف قبل ان يدركه الشهاب
ويدل عليه ما ذكره الراوي عنه فقال اخسا بفتح السين وسكون الهمزة كلمة زجر
واستهانة اي امكث صاغرا او ابعد حقيرا او اسكت مزجورا من الخسو وهو زجر الكلب
فلن تعدو بضم الدال اي فلن تجاوز قدرك اي القدر الذي يدركه الكهان من الاهتداء
الى بعض الشي ذكره النووي وقال الطيبي اي لا يتجاوز عن اظهار الخبيات على هذا الوجه
كما هو داب الكهنة الى دعوى النبوة فتقول اتشهد اني رسول الله اقول وحاصل الجملة
وزبدة المسالة انك وان اخبرت عن الخبيئ فلن تستطيع ان تجاوز عن الحد الذي
حدد له يريد ان الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه وان اصاب في كهانته
قال عمر فيه التفات او تجريد ويمكن ان يكون ابن عمر مصاحبا لهم ويدل عليه ما بعده
فقال قال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه اي في حقه اضرب وفي نسخة فلا اضرب وفي
اخرى ان اضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو اي الدجال لا تسلط
بصيغة المجهول مجزوما وفي نسخة بالرفع اي لا تقدر عليه اي على هلاكه لان المقدر ان قاتله
عيسى عليه السلام فيما سياتي من الايام وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله اي لما
قدمناه من كونه صغيرا او ذميا او كون كلامه محتملا اقوال واوسطها اعدلها قال ابن
الملك ولما كان فيه تردد دل انه على عدم جزمه الدجال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بصورة
الشك والله اعلم قال القاضي قوله ان يكون هو الضمير للدجال ويدل عليه ما روي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان يكون هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى عليه السلام
والا لم يكن هو فليس لك ان تقتل رجلا من اهل العهد وهو خبر كان واسمه مستكن فيه وكان
حقه ان يكنه فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل على قولهم لولاه ويحتمل ان يكون
تاكيدا للمستكن والخبر محذوفا على تقدير ان يكن هو هذا قال الطيبي ويجوز ان يقدر

ان يكن هو الدجال وهو ضمير فصل او هو المبتدا والدجال خبره والجملة خبر كان والثاني
وعلى الاخير يكون في يكون ضمير الشان ثم لا يخفى قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابي بن كعب الانصاري بالرفع للعطف ويجوز النصب للمعية يؤمان
النخل من امه يؤمه اذا قصده اي يقصدان النخل التي فيها اي فيما بينها او في بستانها
ابن صياد فطفق بكسر الفاء اي شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقي اي يستر نفسه
بجذوع النخل اي ويختفي عن ابن صياد ليأخذه على غرة وغفلة فان تلك الحالة ادل على
بطلان الرهبان وهو اي النبي عليه السلام يختل بسكون الخاء وكسر الفوقية من
الختل وهو طلب الشيء بحيلة والمفعول محذوف اي يخدع ابن صياد وان يسمع اي يسمع
من كلامه شيئا قبل ان يراه اي ويعلم هو واصحابه حاله في انه كاهن ام ساحر ونحوهما
قال النووي وفيه جواز كشف احوال ما يخاف مفسدته وكشف الامور المهمة بنفسه
وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة اي دثار مخمل وقيل لحاف صغير له فيها
زمزمة قال النووي هو في معظم نسخ مسلم بزاءين معجمتين وفي بعضها براءين مهملتين
ووقع في البخاري بالوجهين وهو صوت خفي لا يكاد يفهم او لا يفهم قال شارح هي صوت لا يفهم
منه شيء وهي في الاصل صوت الرعد فرأت ام ابن الصياد النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يتقي بجذوع النخل فقالت اي للنداء صاف بالضمير وفي نسخة بالكسر على ان اصله
صافي فحذف اليا واكتفى بالكسرة ويؤيد الاول ظاهر قوله وهو اسمه ويمكن ان يكون
الاسم بمعنى الوصف فانه قد يستعمل بالمعنى الاعم من نحو اللقب والعلم هذا اي وراءك
محمد او جاءك فتنبه له فتناهى ابن صياد اي انتهى عما كان فيه من الزمزمة وسكت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو تركته امه بين اي اظهر ما في نفسه كذا في شرح السنة وقال
النووي اي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شانه قال عبد الله بن عمر الظاهر ان ما سياتي
حديث اخر ذكره استطرادا ولذا لم يات بالعاطفة وقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما من نبي الا وقد انذر قومه
اي بعد نوح لقد انذر نوح قومه اي قبل الانبياء ولكني ساقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه
تعلمون خبر بمعنى الامر اي اعلموا انه اعور وان الله بالفتح للعطف وبالكسر على ان الجملة حالية
ليس باعور ولعله بالامر البديهي في التنزيه الالهي قال التوربشتي يحتمل ان احدا من الانبياء لم
يكاشف او لم يخبر بانه اعور ويحتمل انه اخبر ولم يقدر له ان يخبر عنه كرامة لنبينا صلى الله عليه
وسلم حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بامره جهال
العوام فضلا عن ذوي الالباب والافهام وفي شرح مسلم للنووي قالوا قصته مشكلة
وامره مشتبه في انه هل هو المسيح الدجال ام غيره ولا شك انه دجال من الدجاجلة قالوا
وظاهر الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم لم يوح اليه بانه المسيح الدجال ولا غيره وانما اوحي اليه
بصفات الدجال وكان لابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يقطع بانه الدجال

ولا غيره

ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله عنه لا يولد للدجال وقد ولد له وان لا يدخل مكة والمدينة
وابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه الى مكة فلا دلالة له فيه لانه صلى الله عليه
وسلم انما اخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الارض قال الخطابي واختلف السلف
في امره بعد كبره فروي انه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وانهم لما ارادوا الصلاة عليه
كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس وقيل لهم اشهدوا قال وكان ابن عمر وجابر يحلفان ان
ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه فقيل لجابر انه اسلم فقال وان اسلم فقيل انه دخل مكة
وكان بالمدينة فقال وان دخل وروى ابو داود باسناد صحيح عن جابر قال فقدنا ابن صياد
يوم الحرة وهذا يبطل رواية من روى انه مات بالمدينة وصلي عليه وقد روى مسلم في هذه
الاحاديث ان جابرا حلف بالله تعالى ان ابن صياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب رضي الله
عنه يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره قال البيهقي في كتابه البعث
والنشور اختلفوا في امر ابن صياد اختلافا كثيرا هل هو الدجال ام لا فمن ذهب الى انه غيره
احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة ويجوز ان يتوافق صفة ابن صياد وصفة الدجال
كما ثبت في الصحيح ان اشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو هو قال وكان امر
ابن صياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها قال
وليس في حديث تميم هذا كلام البيهقي وقد اختار انه غيره وقدمنا انه صح عن عمر وابن عمر
وجابر انه الدجال فان قيل لم لم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة
فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره احدهما انه كان غير بالغ واختار القاضي عياض
هذا الجواب والثاني انه كان في ايام مهادنة اليهود وحلفائهم وجزم الخطابي بالجواب الثاني
قال لان النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على ان
يتركوا على حالهم وكان ابن صياد منهم او دخيلا فيهم قال الخطابي واما امتحان النبي صلى الله
عليه وسلم بما خبا له من الدخان فلانه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه
من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر ابطال حاله للصحابة فانه كاهن ساحر
ياتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشيطان الى الكهنة فامتحنه ثم قال فلن تعدو
قدرك اي لا تتجاوز قدرك وقدر امثالك من الكهان الذين يحفظون من القاء الشيطان كلمة
واحدة من جملة كثيرة بخلاف الانبياء عليهم السلام فانهم يوحي الله تعالى اليهم من علم الغيب
ما يوحي فيكون واضحا جليا كاملا وبخلاف ما يلهمه الله الاولياء من الكرامات والله اعلم متفق
عليه ورواه ابو داود والترمذي وعن ابي سعيد الخدري قال لقيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابو بكر وعمر يعني ابن صياد يريد ابو سعيد بالضمير البارز ابن صياد والمعنى لقوه
في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهد اني رسول الله فقال هو
اي ابن صياد وهو تاكيد للضمير المستكن في فقال اتشهد اني رسول الله صلى الله عليه وسلم
امنت بالله وملائكته ورسله تقدم ما يتعلق به ماذا ترى قال ارى عرشا على الماء فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ترى عرش ابليس على البحر اقول قد جرى لبعض المكاشفين من هذه
الامة وقد قدمنا بيانه وما ترى اي غير هذا قال ارى صادقين وكاذبا او كاذبين وصادقا
اي يأتيني شخصان يخبران بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب والشك من ابن الصياد
في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه اذ المؤيد من عند الله لا يكون كذلك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاصحابه لبس عليه بضم لام وكسر موحدة مخففة ولو شدد
لافاد التأكيد والتكثير اي خلط عليه الامر في كهانته فدعوه اي فاتركوه فانه لا
يحدث بشيء يصلح ان يقول رواه مسلم وعنه اي عن ابي سعيد ان ابن صياد سأل
النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة اي ترابها فقال درمكة في القاموس الدرمك
كجعفر دقيق الحواري والتراب الناعم بيضاء صفة موكدة مسك خالص خبر ثان وفي
النهاية الدرمكة الدقيق الحواري شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها وبالمسك
لطيبها انتهى ويقال دقيق حواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء وهو ما حور اي
بيض من الطعام رواه مسلم وعن نافع قال لقي ابن عمر ابن صياد اي رآه في بعض طرق
المدينة فقال اي ابن عمر له قولا اغضبه اي القول مجازا او ابن عمر فانتفخ اي صار ذا نفخ من
الغضب حتى ملأ اي حبسه المنتفخ السكة بكسر فتشديد اي الطريق فدخل ابن عمر على
حفصة وهي اخته ام المؤمنين وقد بلغها اي وقد وصل اليها ما جرى بينهما فقالت له
لاجنبها رحمك الله جملة دعائية دالة على جواز نعتها للاحياء وان كان العرف الان على خلاف
ذلك ما اردت ما استفهامية مفعول اردت اي اي شيء قصدت من ابن صياد اي حيث اغضبته
في الكلام اما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج اي الدجال حين يخرج من
غضبة بسكون الضاد المعجمة اي مرة واحدة من الغضب يغضبها الجملة في موضع الجر
والضمير في موضع النصب اي انه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه فيدعي النبوة
فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه كيلا يخرج فتظهر الفتن ذكره الطيبي وقال
المظهر يعني انما يخرج الدجال حين يغضب رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري
قال صحبت ابن صياد الى مكة اي متوجهين اليها فقال لي ما لقيت ما استفهام تعجبية اي شيئا
عظيما لقيت من الناس اي من كلامهم ثم بينه بقوله يزعمون اني الدجال اي ولست اياه
وقال بعضهم قوله يزعمون استئناف كأنه لما قال ما لقيت اي اي شيء لقيت من الناس
قيل له ماذا تشكو منهم فقال يزعمون او حال من فاعل لقيت اي اي شيء لقيت من الناس
وانهم يزعمون كذا اي يترددون في امري ويشكون فيه وانت تعلم ان الامر على خلاف ذلك
الست سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يولد له وقد ولد لي اليس قد قال هو
كافر وانا مسلم اوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد اقبلت من المدينة وانا اريد
مكة قد سبق تأويلات الجمل المذكورة ثم قال لي في آخر قوله اما والله اني لاعلم اي لاعرف
مولده اي زمان ولادة الدجال ومكانه اي حينئذ واين هو اي الان واعرف اباه وامه فيه انه

يحتمل

يحتمل ان يكون كاذبا وصادقا قال اي ابو سعيد فلبسني بتخفيف الموحدة المفتوحة قال
النووي هو بالتخفيف اي جعلني التبس على امره واشك فيه يعني حيث قال اولا انا مسلم
ثم ادعى الغيب بقوله اني لاعلم ومن ادعى علم الغيب فقد كفر فالتبس علي اسلامه وكفره
وقال ابن الملك فلبسني من اللبس الى التخليط حيث لم يعين مولده وموضعه بل تركه ملتبسا
فلبس علي او معناه او قعني في الشك بقوله ولد لي وبدخوله المدينة ومكة وكان يظن
انه الدجال قال اي ابو سعيد قلت له اي لابن صياد تبا لك بتشديد الموحدة اي هلاكا وخسرا
انا لك سائر اليوم اي جميع اليوم اما باقيه اي ما تقدم من اليوم فقد خرف فيه فهذا في باقيه
قال اي ابو سعيد وقيل له اي لابن صياد ايسرك اي ايوقعك في السرور ويفرحك
ويعجبك انك ذلك الرجل اي ان تكون الدجال قال اي ابو سعيد فقال اي ابن صياد لو عرض
علي بصيغة المجهول اي لو عرض علي ما جعل في الدجال من الاغواء والخديعة والتلبيس ما كرهت
اي بل قبلت والحاصل رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضح على كفره كذا ذكره المظهر وغيره من
الشراح رواه مسلم وعن ابن عمر قال لقيته اي ابن صياد وقد نفرت بفتح الفاء اي ورمت
عينه كان الجلد ينفر من اللحم للداء الحادث بينهما قال شارح وروي بالقاف على بناء المجهول
اي استخرجت قال النووي هو بفتح النون والفاء اي ورمت ونتأت وذكر القاضي عياض
وجوها اخر والظاهر انها تصحيف فقلت متى فعلت عينك اسند الفعل الى العين
مجازا والمراد غيره والمعنى متى فعل الله بعينك ما ارى اي الذي اراه فيها من
الورم وكأنه لبس على ابن صياد ليخبره الواقعة او تجاهله قال لا ادري قلت لا تدري
بتقدير الاستفهام الانكاري وهي في راسك جملة حالية وهذا استبعاد بحسب
العادة والا فمن الامكان بل من ابداع ما كان انه يحدث في عينه شيء ولا يدري فانه
اذا اخذ الغضى على البصر لا سيما وكل احد اعمى في عيب نفسه بعيوب غيره يرى الجذع
في عين الناس ولا يرى القذى في باصرته قال ان شاء الله خلقها اي هذه العلة او هذه العين
المعيبة في عصاك اي بحيث لا تدري بها وهي اقرب شيء اليك قال القاضي قول ابن صياد
ان شاء الله خلقها في عصاك في جواب قوله لا تدري وهي في راسك اشارة الى انه يمكن ان
يكون العين بحالة لا يكون له شعور بحالها فلم لا يجوز ان يكون الانسان مستغرقا في
افكاره بحيث يشغله عن الاحساس بها والتذكر لاحوالها قلت ونظيره قطع عضو ماكولة
من بعض العارفين حالة كونه من المصلين مستغرقا في لموع مدارج مشاهدة المقربين
وطلوع معراج مناجاة رب العالمين وكما يشاهد احاد الناس انه لا يحس بالم الجوع فرحا او حزنا
وغير ذلك قال اي ابن عمر فنخر اي ابن صياد وهو بفتح النون والخاء المعجمة اي صوت صوتا
منكرا كأشد نخير حمار قال شارح هو صوت الانف يعني مد النفس في الخيشوم سمعت
بالضم اي سمعت منه صوتا منكرا فان انكر الاصوات لصوت الحمير قال الطيبي كأشد نخير
صفة مصدر محذوف اي نخر نخرة الحمار رواه مسلم وعن محمد بن المنكدر تابعي كبير روى عنه

الثوري ومالك وغيرهما وهو ممن جمع بين العلم والزهد والعبادة قال رأيت جابر
ابن عبد الله يحلف بالله أن ابن الصياد بكسر الهمزة وتعريف صياد في الأصول الدجال
أي هو الدجال قلت تحلف بالله أي أتحلف مع أنه أمر مظنون فيه غير مجزوم قال إني سمعت
عمر يحلف على ذلك أي على أن ابن صياد الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى
الله عليه وسلم أي ولو لم يكن مقطوعا لأنكره أو ولم يجز اليمين على ما يغلب به الظن لما سكت
عنه فيستدل به أراد بذلك أن ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة
أو يضلون الناس ويلبسون الأمر عليهم لا أنه المسيح الدجال لأن النبي صلى الله
عليه وسلم تردد حيث قال إن يكن هو وإن لم يكن هو لكن فيه أن الظاهر المتبادر من إطلاق
الدجال هو الفرد الأكمل فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله أعلم ثم
رأيت شارحا قال قوله فلم ينكره لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرف أنه من جملة من حذر
الناس عنه من الدجالين بقوله يخرج في أمتي دجالون كذابون قريبا من ثلاثين وابن
الصياد لم يكن خارجا من جملتهم لأنه ادعى النبوة بمحضر من النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن
حلف عمر رضي الله عنه مخالفا للحقيقة أو يريد أن فيه صفة الدجال والله أعلم بالحال
متفق عليه

الفصل الثاني

عن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك أي
لا أتردد أن المسيح الدجال ابن صياد أي هو هو وفي نسخة باللام رواه أبو داود أي في سننه
بسند صحيح والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن جابر قال فقدنا ابن صياد
وفي نسخة فقد بصيغة المجهول وضم ابن صياد يوم الحرة هو يوم غلبة يزيد بن معاوية
على أهل المدينة ومحاربته إياهم قيل هذا يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة وليس
بمخالف ذكره الطيبي وهو مخالف إذ لا يلزم من فقده المحتمل موته ولغيرها وكذا افتقاده
في الدنيا إلى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة رواه أبو داود أي بسند صحيح وعن
أبي بكرة بالتاء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث أبوا الدجال أي والده ثلاثين
عاما ولعل المراد به أحد الدجالين فلا ينافيه ما سبق ولا ما يأتي من الكلام لا يولد
لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضرس أي عظيم الضرس وهو السن والمراد به الناب لما سيأتي
وأقله أي أقل غلام منفعة والمعنى لا غلام أقل منه نفعا قال الجزري قوله أضرس كذا
في نسخ المصابيح أي عظيم الضرس والذي يولد وضرسه معه ولا شك عندي أنه تصحيف
أضر شيء وكذا هو في كتاب الترمذي الذي أخذه المؤلف منه وبهذا يصح عطف وأقله
منفعة عليه من غير تعسف ولا يتكلف تقدير ويكون الضمير عائدا إلى شيء أي أقل شيء
منفعة قلت ويؤيده أنه أورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث أبي بكرة تاما عن
أبي داود وفيه غلام أعور أضر شيء وأقله نفعا تنام عيناه ولا ينام قلبه قال القاضي أي
لا ينقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي
الشيطان إليه كما لم يكن ينام قلب النبي صلى الله عليه وسلم من أفكاره الصالحة بسبب

ما تواتر

ما تواتر عليه من الوحي والإلهام ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال أي النبي
صلى الله عليه وسلم أبوه طوال بضم الطاء وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد أكثر مبالغة
لكن الأول هو الرواية مضطرب اللحم أي خفيفه وفي النهاية هو الخفيف اللحم المستدق وفي صفة موسى
عليه السلام أنه ضرب من الرجال كأن بتشديد النون أنفه منقار بكسر الميم أي في أنفه طول
بحيث يشبه منقار طائر وأمه امرأة فرضاخية بكسر الفاء وتشديد التحتية أي ضخمة
عظيمة ذكره القاضي وفي الفائق هي صفة بالضخم وقيل بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة
كأحمري وفي القاموس رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل وهي بهاء وامرأة فرضاخة وفرضاخية
عظيمة الثديين وفي النهاية فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين طويلة اليدين أي بالإضافة
إلى عادة نسائها أو بالنسبة إلى سائر أعضائها فقال أبو بكر فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة
فذهبت أنا والزبير بن العوام بالرفع أو النصب حتى دخلنا على أبويه فإذا النعت أي نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم أي وصفه فيهما فقلنا هل لكما ولد بالرفع أي ولد وولد فقالا مكثنا بفتح
الكاف وضمها أي لبثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضر شيء وأقله
وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ولعله كان يظهر لبعض آثار قلبه على صفحة قالبه
وهو أخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه قال أي أبو بكر فخرجنا من عندهما فإذا هو
أي الغلام منجدل بكسر الدال أي ملقى على وجه الأرض قال الطيبي أي ملقى على الجدالة
وهي الأرض ومنه الحديث أنا خاتم الأنبياء في أم الكتاب وآدم لمنجدل في طينته قلت ففيه
تجريد أو تأكيد والمعنى أنه ساقط وواقع في الشمس في قطيفة أي دثار مخمل ما في القاموس
وله همهمة أي زمزمة وقال شارح أي كلام غير مفهوم ومنه شيء وهي في الأصل ترديد الصوت
في الصدر أي كما هو مشاهد في القاموس عند جريانه وفي النهاية أصل الهمهمة صوت
البقر فكشف أي ابن الصياد عن رأسه أي غطاءه فقال ما قلتما فكأنه وقع كلام بينهما
فيه غيره قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي رواه الترمذي
وكذا أبو داود وعن جابر أن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه أي
اليمنى وقيل اليسرى طالعة نابه هكذا هو في شرح السنة والظاهر طالعا نابه إلا أن
يراد به الجنس أو التعدد فيه على التحمل ذكره الطيبي فالمعنى طالعة أنيابه وفي القاموس
الناب السن خلف الرباعية مؤنث فالتعدد باعتبار الطرفين والجمع باعتبار أن أقل
الجمع اثنين وهذا الحديث يقوي رواية أضرس فيما تقدم والله أعلم فأشفق أي خاف رسول
الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أي هو الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم أي يتكلم
بكلام غير مفهوم فآذنته أمه أي أعلمته بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم إياه فقالت
يا عبد الله يحتمل العلمية والوصفية هذا أبو القاسم أي حاضر أو حضر فتنبه له وتثبت
لكلامه فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لها قاتلها الله مبتدأ
وخبره أي أي شيء لها قاتلها الله ودعا عليها زجرا لها لو تركته لتبين أي لأظهر ما في ضميره

فذكر اي جابر مثل معنى حديث ابن عمر اي الحديث الاول من باب قصة ابن صياد فقال عمر بن الخطاب ايذن لي امر من الاذن اي اعطني الاجازة يا رسول الله فاقتله بالنصب على جواب الامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو اي ابن الصياد الدجال فلست صاحبه اي صاحب قتله ومباشرة هلاكه انما صاحبه عيسى ابن مريم وان لا يكون اياه فلا اولى هنا من قولهم في مثل هذا المقام وان لم يكن فليس لك ان تقتل رجلا من اهل العهد اي من الذمة والجزية فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقا اي خائفا على امته انه اي ابن الصياد هو الدجال رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده قال بعض المحققين الوجه في الاحاديث الواردة في ابن صياد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم حسبه الدجال قبل التحقيق بخبر المسيح الدجال فلما اخبر صلى الله عليه وسلم بما اخبر به من شانه وقصته في حديث تميم الداري ووافق ذلك ما عنده تبين له صلى الله عليه وسلم ان ابن صياد ليس بالذي ظنه ويؤيده ما ذكره ابو سعيد حين صحبه الى مكة وما توافق النعوت في ابن الدجال وابن صياد فليس مما يقطع به قولا فان اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين وكذا احلف عمر واتباعه مع عدم انكاره صلى الله عليه وسلم من انه الدجال فان ذلك قبل تبين الحال وقد كان للدجال في بعض علامته ما اورث ذلك فيه صلى الله عليه وسلم اشفاقا منه

باب نزول عيسى عليه السلام

الفصل الاول

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما بفتحتين اي حاكما عدلا اي عادلا فيكسر بالرفع وقيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله حكما وعدلا او تفريعية ديقطع الصليب في شرح السنة وغيره اي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية وقال ابن الملك الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون ان عيسى عليه السلام صلب على خشبة مثله على تلك الصورة وقد يكون فيه صورة المسيح ويقتل الخنزير اي يحرم اقتناءه واكله ويبيح قتله في شرح السنة وفيه بيان ان اعيانها نجسة لان عيسى عليه السلام انما يقتلها على حكم شرع الاسلام والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح اتلافه انتهى وفيه انه قد يباح لمصلحة دينية او دنيوية مع ان في كون الخنزير نجس العين بجميع اجزائه خلافا للعلما ويضع الجزية اي عن اهل الكتاب ويحملهم على الاسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق وقيل يضع الجزية عنهم لانه لا يوجد محتاج ليقبل الجزية عنهم لكثرة المال وقلة اهل الحرص والامال ويؤيده قوله ويفيض بفتح اوله من فاض الماء يفيض اذا كثر حتى سال كالوادي عليها في القاموس اي يكثر المال حتى لا يقبله احد اي من الرجال حتى تكون السجدة اي الواحدة لما فيها من لذة العبادة والمراد بالسجدة الصلاة بكمالها لتضمنها لها خيرا من الدنيا وما فيها قال الطيبي حتى الاولى متعلقة بقوله ويفيض المال والثانية غاية لمفهوم

قوله فيكسر الصليب الى اخره اقول والاظهر ان الثانية بدل من الاولى وغاية لما قبلها فانه مقام المدح لها قال التوربشتي لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك وانما اراد بذلك ان الناس يرغبون في امر الله ويزهدون عن الدنيا حتى يكون السجدة الواحدة احب اليهم من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة فاقروا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وقدمنا وجهها قال الطيبي استدل بالاية على نزول عيسى عليه السلام في اخر الزمان مصداقا للحديث وتحريره ان الضميرين في به وقبل موته لعيسى والمعنى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله فيكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام انتهى وقيل المعنى ليس احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم عند المعاينة قبل خروج الدجال وهو لا ينفع فضميره به راجع الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وضمير موته للكتابي وقيل كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وانه عبد الله وابن امته ولا ينفع وقيل ضمير به لله سبحانه اي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع والاولى مذهب ابي هريرة في الاية متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا وفي نسخة عدلا وقوابلها فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية اي ليحكم بما ذكر وليتركن القلاص بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول وهو الملائم لقوله فلا يسعى عليها اي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية والمعنى انه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها ومعناه لا يامر احدا بان يسعى على اخذها وتحصيلها للزكاة لعدم من يقبلها ففي النهاية اي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع وقيل لا يكون معها راع ليسعى ففي الصحاح كل من ولي امر قوم فهو ساع عليهم وقال المظهر يعني ليتركن عيسى عليه السلام ابل الصدقة ولا يامر احدا ان يسعى عليها ويأخذها لانه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها والمراد بالسعي العمل قال الطيبي ويجوز ان يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الارض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج اليه لاستغنائهم ولتذهبن اي ولتزولن الشحناء بفتح اوله اي العداوة التي تشحن القلب وتملاوه من الغضب والتباغض اي الذي هو سبب العداوة والتحاسد اي الذي هو باعث التباغض وكلها نتيجة حب الدنيا فنزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب وقال الاشرف انما يذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لان جميع الخلق يومئذ يكونون على ملة واحدة وهي الاسلام واعلى اسباب التباغض واكثرها هو اختلاف الاديان قلت اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الاسلام وفيهم علماء الاعلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام ولبس السبب والباعث عليها الا حب الجاه بين الانام

والميل الى المال الحرام وليدعون ضبط في نسخة بضم الواو ونسب الى النووي ولا وجه له فان الصواب ما في الاصول المعتمدة من انه بفتح الواو وتشديد النون وفاعله ضمير عيسى عليه السلام والمعنى يدعون الناس الى المال اي اخذه وقبوله فلا يقبله احد اي استغنا بعطا الاحد رواه مسلم وفي رواية لهما اي لمسلم والبخاري بقرينة ذكر مسلم فان الغالب ان يكون قرينا له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغايب قال اي النبي عليه السلام كيف انتم اي حالكم وما لكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم اي من اهل دينكم وقيل من قريش وهو المهدي والحاصل ان امامكم واحد منكم دون عيسى فانه بمنزلة الخليفة وقيل فيه دليل على ان عيسى لا يكون من امته بل مقررا لملته ومعينا لامته عليهما السلام وفي شرح السنة قال معمر وانكم وامامكم منكم وقال ابن ابي ذيب عن ابن شهاب فامكم منكم قال ابن ابي ذيب في معناه فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم قال الطيبي فالضمير في امكم لعيسى ومنكم حال اي يومكم عيسى حال كونه من دينكم ويحتمل ان يكون معنى امامكم منكم كيف حالكم وانتم مكرمون عند الله تعالى والحال ان عيسى ينزل فيكم وامامكم منكم وعيسى يقتدي بامامكم تكرمة لدينكم ويشهد له الحديث الاتي انتهى وسياتي بقية الكلام عليه انتهى وفيه وهو قوله وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طايفة من امتي يقاتلون على الحق اما متعلقة حسبة او متعلقة على ظهور الحق او حال كونهم على الحق ظاهرين اي غالبين اي على اعدائهم قال تعالى الا ان حزب الله هم الغالبون الى يوم القيامة اي الى قرب قيام الساعة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فينزل عيسى ابن مريم فيقول اميرهم اي المهدي تعال بفتح اللام اي احضر وتقدم صل بنا او استيناف بيان والمعنى امرلنا اي في صلاتنا فانك الاولى بالامامة هو الافضل وانت النبي الرسول المكمل وفي رواية فصل لنا فيقول لا اي لا اصير اماما لكم لئلا يتوهم بامامتي لكم نسخ دينكم وقيل يعلل بان هذه الصلوة اقيمت لامامكم فهو اولى بها لكن يويد الاول اطلاق قوله ان بعضكم على بعض امراء اي دينية ودنيوية وان على الاعانة العينية تكرمة الله هذه الامة اي لاكرامه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة قال القاضي تكرمة الله نصب على المفعول لاجله والعامل محذوف والمعنى شرع الله ان يكون امام المسلمين منهم وامرهم من عدادهم تكرمة لهم ونفعها لشانهم او على انه مصدر قولك لم تخمون الجملة قبله قال التفتازاني في شرح العقايد الاصح ان عيسى عليه السلام يصلي بالناس ويومهم ويقتدي به المهدي لانه افضل وامامته اولى قال ابن ابي شريف هذا لا يوافقه ما في مسلم من قوله وامامكم منكم لكنه فيه ما يخالفه وهو حديث جابر ويمكن الجمع بينهما بان يكون صلى بهم اقل نزوله تنبيها على انه نزل مقتديا به في الحكم على شريعتهم ثم دعي الى الصلاة فاشار بان يومهم المهدي اظهارا لاكرام الله تعالى به هذه الامة قلت ويمكن الجمع

بالعكس

بالعكس ايضا وربما يدعى ان الاولى على ان قوله امامكم منكم ظاهر في ان المهدي هو الامام هو الامام والله اعلم بالمرام قال واما كونه افضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره واما الاولوية بالافضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى لهذه الامة بدوام شرعه كما نطق به الحديث رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني في بعض الاحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب المشكاة

الفصل الثالث

اي من الموضوع في الاحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المناسبة للباب عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسة واربعين سنة وهذا الظاهر يخالف قول من قال ان عيسى رفع به الى السماء وعمره ثلاث وثلاثون ويمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد اربعين لكن حديث مكثه سبعا رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكرا و ترجيح ما في الصحيح ولعل عدد الخمس ساقط عن الاعتبار لالغاء الكسر ثم يموت فيدفن معي اي مصاحبا لي في قبري اي في مقبرتي وعبر عنها بالقبر لقرب قبره فكانهما في قبر واحد فاقوم انا وعيسى في قبر واحد اي من مقبرة واحدة وفي القاموس ان في ثاني بمعنى من وكذا في المغني بين ابي بكر وعمر اي حال كوننا قائمين واقفين بين ابي بكر وعمر فاحدهما يمينهما ايما الى تيمنه بالايمان وان الايمان والظاهر انه ابو بكر والاخر عن يسارهما اليسر الاسلام وعزه به وهو عمر وسياتي في باب فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذي عنه قال مكتوب في التورية صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال ابو داود وقد بقي في البيت موضع قبر اقول والظاهر الائق بمقام عيسى عليه السلام ان يكون بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين ابي بكر رضي الله عنه لكن سياتي في كلام الجزري انه يدفن بعد عمر ولعله نظرا الى تاخر المدفن باعتبار تاخره من الموت او تكرمة لهذه الامة وتعظيما للصحابيين الكريمين ان يكونا بين النبيين العظيمين والله سبحانه اعلم رواه ابن الجوزي في كتاب الوفا

باب قرب الساعة

وفي نسخة القيمة واطلق الساعة عليها لانها تكون بغتة ومجاز لوقوعها ادنى ما يطلق عليه اسم الزمان وان كانت بالنسبة الى الله تعالى يامر بدو وقيل اطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجي بالكافور تسمية بالضد وان من مات فقد قامت قيامته عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى قال النووي الساعة جزء من اجزاء الزمان والمعبر بها عن القيمة وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على اقسام ثلاثة الكبرى وهي لبعث الناس للجزاء والقيمة الوسطى وهي انقراض القرن الواحد بالموت والقيمة الصغرى وهي موت الانسان والمراد هنا هذه الاخيرة والظاهر ان المراد بالساعة هي الكبرى سواء اريد بها النفخة الاخيرة والى قوله عليه السلام

لا يقوم الساعة الا على شرار الناس او الثانية وهي الطامة الكبرى المعروفة في الكتاب
والسنة ومن احاديث الباب قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين يحتملهما ثم حديث
عائشة الاتي يدل على القيامة الوسطى واما في كتاب الله فما اظن ان الساعة وردت بهذا
المعنى ولا ما يدل على القيامة الصغرى الا ما رواه الديلمي عن انس مرفوعا اذا مات
احدكم فقد قامت قيامته وهو المعنون في الباب مع عدم ايراد حديث بلا ابهة وهذا
كما ترى لم يرو بلفظ الساعة واريد بها القيامة الصغرى اولا وربما يعني القيامة
الوسطى الا بالاضافة فالاولى ان يقال ان الساعة منقسمة الى ثلاثة كبرى وهي
الطامة الجامعة ووسطى وهي الامانة العامة وصغرى وهي الامانة الجامعة
العامة وصغرى وهي الامانة الخاصة والقيامة تطلق على الثلاثة وعلى من مات
وحده ايضا والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

عن شعبة احد رواة الحديث
عن قتادة ثنا يحيى حاليل عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا
والساعة بالرفع وفي بعض النسخ بالنصب قال النووي روي بنصب الساعة
ورفعها قال شارح من علمائنا الساعة مرفوعة رواية ويجوز النصب على ان
الواو بمعنى مع كهاتين قال القاضي معناه ان نسبة تقدم بعثته على قيام
الساعة كنسبة فضل احدى الاصبعين على الاخرى انتهى وهو المعنى بما قيل
كفضل الوسطى على السبابة في السبق ويدل عليه ما سيأتي من حديث بن شداد
والاظهر ان يقال كفضل احدهما عن الاخرى بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال
ويؤيده ما في النهاية ويحتمل وجها اخر وهو ان يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة
لا يفترق احدهما عن الاخرى كما ان السبابة لا تفترق عن الوسطى ولم يوجد بينهما
ما ليس منهما وقال شارح اخر يريد ان دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه
دين اخر ولا يفرق بينهما دعوة اخرى كما لا يفصل شيء بين السبابة والوسطى قال
الطيبي ويؤيد الوجه الاول الحديث الاتي للمستورد بن شداد فقلت فيه نظر
لان في كل حديث روعي معنى لم يراع في الاخر اذ التاسيس اولى من التاكيد على انه لا مانع
من ان يلاحظ في هذا الحديث كلا المعنيين اذ لا تدافع فيما بينهما في راي العينين
نعم يفهم من المعنى الاول اغراق في التشبيه القرب ما لا يفهم من الثاني ولذا
اختاره بعضهم ويؤيده قوله فقط لتفسير الراوي قال شعبة وسمعت قتادة يقول
في قصصه بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ او يحكي القصة او يحدث
ويروي ومنه قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وفي نسخة بكسر القاف وهي
جمع قصة والمعنى في قصص قتادة اي تحديثه او تفسير حديثه كفضل احدهما اي
احدى الاصبعين على الاخرى قال القاضي الطيبي قوله كفضل احدهما بدل من قوله
كهاتين موضح له وهو يؤيد الاول والرفع على العطف والمعنى بعثت انا والساعة

بعثا

بعثتنا متلاصقتين مثل فضل احدهما ومعنى النصب لا يستقيم على هذا المعنى لانه على تقدير
المعية لكن يمكن ادعاؤها على طريق المبالغة كما عبر عنه في الحديث الاتي بعثت في نفس
الساعة بفتحتين اي في قربها فلا ادري اذكره اي قتادة عن انس اي مرفوعا او موقوفا
او قاله قتادة اي من عنده لنفسه وتلفظ برايه وهو الاظهر حتى يثبت الاخر متفق عليه
وروى احمد والترمذي عن انس وكذا روى احمد والشيخان عن سهل بن سعد وعن جابر
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسالوني بتشديد النون وتخفيفه
على صيغة الخطاب للاصحاب وهمزة الانكار مقدرة اي تسالوني عن الساعة اي القيامة
وهي النفخة الاولى او الثانية وانما علمها عند الله اي لا يعلمها الا هو قال الطيبي حال
مقررة لجهة الاشكال انكر عليهم سؤالهم واكده بقوله وانما علمها عند الله وقوله
واقسم بالله مقرر له يعني تسالوني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله وما اعلمه
هو القيامة الصغرى انتهى وهو يؤيد تقسيمنا المتقدم في الساعة ما على الارض
ما نافية ومن في قوله من نفس زائدة للاستغراق وقوله منفوسة صفة نفس
وكذا ما ياتي والمعنى ما من نفس مولودة اليوم ياتي عليها مائة سنة وهي حية
يومئذ يقال نفست المراة غلاما بالكسر ونفست على البناء للمفعول اذا ولدت نفسها
فهي نافس ونفساء والولد منفوس قال الشاعر كما سقط المنفوس بين القوابل
قال الاشرف معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة اراد به موت الصحابة رضي
الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم هذا على الغالب والا فقد عاش بعض الصحابة الى
من مائة سنة انتهى ومنهم انس بن مالك وسلمان وغيرهما والاظهر ان المعنى لا يعيش
نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الاتي فلا حاجة الى اعتبار
الغالب فلعل المولودين في ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود
الحديث ومما يؤيد هذا المعنى استدلال المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين
على بطلان دعوى بابارتن الهندي وغيره ممن ادعى الصحبة وزعم انه من المعمرين الى
المائتين والزيادة ثم اعلم ان الحديث بظاهره يدل على عدم حياة الخضر والياس
وقد قال البغوي في معالم التنزيل اربعة من الانبياء في الحياة اثنان في الارض
الخضر والياس واثنان في السماء عيسى وادريس فالحديث مخصوص بغيرهم
او المراد ما من نفس منفوسة من امتي والنبي لا يكون من امة نبي اخر وقيل في تلك
الارض يخرج الخضر والياس فانهما كانا على البحر حينئذ والله اعلم رواه مسلم
وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ياتي مائة سنة وعلى الارض
نفس منفوسة الجملة حالية اليوم هو ظرف منفوسة ذكره الطيبي وقال ابن الملك
اشارة الى امته صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن عائشة قالت كان رجال من الاعراب
اي اهل البدو يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الساعة الظاهر ان سؤالهم

عن الساعة الكبرى فالجواب الاتي على اسلوب الحكيم فكان ينظر الى اصغرهم فيقول ان
يعش هذا لا يدركه بالرفع وقيل بالجزم اي لا يلحقه الهرم بفتحتين وهو الكبر حتى
يقوم عليكم ساعتكم اي فنا منكم وهي الساعة الصغرى عندي والوسطى عند بعض
الشراح والمراد موت جميعهم وهو الظاهر او اكثرهم وهو الغالب قال القاضي اراد
بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم ولذلك اضاف اليهم وقال بعضهم اراد موت
كل واحد منهم متفق عليه الفصل الثاني عن المستورد بن شداد يقال
انه كان غلاما يوم قبض النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة بفتح النون والفاء اي اراد بقربها
احين تنفست وتنفسها ظهور اشراطها ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي ظهر اثار
طلوعه وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم من اول اشراطها هذا معنى كلام التوربشتي
والاظهر ان معناه بعثت انا والساعة في نفس واحد كمال الاتصال وعدم الاعتبار
بقليل من الانفصال ويؤيده قوله فسبقتها اي الساعة في الوجود كما سبقت هذه اي
السبابة هذه اي الوسطى اي وجودا وحسا باعتبار الابتدا من جانب الابهام وعدل عن
الابهام لطول الفصل بينه وبين المسبحة ثم بين الاشارتين الراوي بقوله واشار اي النبي
صلى الله عليه وسلم باصبعه السبابة اي المسبحة والوسطى على طريق اللف والنشر المرتب رواه
الترمذي وروى البيهقي عن سهل بن سعد مرفوعا مثلي الساعة كفرسي رهان مثلي
ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قوم طليعة فلما خشي ان يسبق الاح بثوبه اتيتم اتيتم
انا ذاك انا ذاك وعن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان لا تعجز
امتي بكسر الجيم ويجوز فتحها وهو مفعول ارجو اي ارجو عدم عجز امتي عند ربها من كمال قربها
ان يؤخرهم نصف يوم يعني ان لا يعجز واختاره ابن الملك او متعلق به بحذف عن كما اقتصر
عليه الطيبي ثم قال وعدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة والمكانة عند الله تعالى
مثال ذلك قول المقرب عند السلطان اني لا اعجز ان يوليني الملك كذا وكذا يعني به ان لي
عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما ارجوه عنده فالمعنى اني ارجو ان يكون لامتي عنده
مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا الى انتها خمسماية سنة بحيث لا يكون اقل
من ذلك الى قيام الساعة قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسماية انما فسر الراوي نصف
اليوم بخمسماية نظرا الى قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وقوله
تعالى يدبر الامر من السما الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة وانما
عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خمسماية سنة بنصف يوم تقليلا لبقيتهم
ورفقا لمنزلتهم اي لا ينافسهم في هذا المقدار القليل بل يزيد لهم من فضله وقدره
بعضهم ونزل الحديث على امر القيامة وحمل اليوم على يوم المحشر فنسب انه غفل عما حققناه
ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث وانه في اي باب من ابواب الكتاب فانه مكتوب في

باب

باب قرب الساعة فاين هو منه ذكره الطيبي ولعله صلى الله عليه وسلم اراد بالخمسماية ان
يكون بعد الالف فان اليوم كان في سابع سنة من الالف الثامن وفيه اشارة الى انه لا تبعد
عن الخمسماية فيوافق حديث عمر الدنيا سبعة الاف سنة فالكسر الزايد ملغى ونهاية النصف
ومانا بحنه يتعد الثانينا بالغاء الكسر الناقص وقيل اراد بقاء دينه ونظام ملته
في الدنيا خمسماية سنة فقوله ان يؤخرهم اي عن ان يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من
ارتكاب الذنوب والشدايد الناشئة من الكروب والله اعلم رواه ابو داود الفصل
الثالث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا اي وقلة
بقائها مثل ثوب شق من اوله اي قطع من اوله الى اخره اي الى قريب منه او هو من قبيل
الى الغاية فيه لا يكون داخلا تحت مغيا كقوله تعالى واتموا الصيام الى الليل فبقي
متعلقا بخيط في اخره الضمير للثوب فيوشك ذلك الخيط وهو عبارة عن زمان
قليل يكون فيه الدين المحمدي ان ينقطع اي فتنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب
زمانية الاخرى فتبقى على بدء الاباد فيسعد اهلها او يشقى رواه البيهقي في شعب الايمان

باب

لا تقوم الساعة الا على شرار الناس روي بتنوين باب وبالاضافة الى الجملة واقتصر
على الاول اصل السيد والطيبي على الثاني حيث قال هذه الجملة محكية مضاف اليها
ترجمة الباب وهو من باب تسمية الشيء بالجمل على سبيل الحكاية كما سموا تابط شرا
وبرق نحره وشاب قرناها كما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر الفصل
الاول عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى لا يقال
في الارض الله الله بالرفع فيهما وكرر للتاكيد وقيل تكريره عبارة عن تكثير ذكره وقيل
معناه الله حسبي او هو المعبود فالاول مبتدا والثاني خبر وفي نسخة بنصبهما قال شارح قوله
الله الله بالرفع مبتدا وخبر اي الله هو المستحق للعبادة لا غير وان رويا بالنصب فعلى
التحذير اي اتقوا الله واعبدوه فعلى هذا معناه لا تقوم الساعة حتى لا يبقى في الارض
مسلم يحذر الناس من الله وقيل اي لا يذكر الله فلا يبقى حكمة في بقاء الناس ومن هذا
يعرف ان بقاء العالم ببركة العلما العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين وهو
المراد بما قال الطيبي معنى حتى لا يقال حتى لا يذكر اسم الله ولا يعبد والى ينظر قوله
تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يعني ما خلقته
خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لاذكر فيها واعبد فاذا لم يذكر ولم يعبد فبالحري ان يخرب
ويقوم الساعة وقال المظهر هذا دليل على ان بركة العلما والصلحا يصل الى من في العالم
من الجن والانس وغيرهما من الحيوانات والجمادات والنباتات وفي رواية قال لا تقوم الساعة
على احد يقول الله الله بالوجهين فيهما رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وعن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق

بكسر الثاء جمع الثمر قال الطيبي فان قيل ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق
لا يزال طائفة من امتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قلنا السابق مستغرق
للازمنة عام فيها والثاني مخصص رواه مسلم وروى ابو يعلى في مسنده والحاكم في مستدركه
عن ابي سعيد مرفوعا لا يقوم الساعة لا يحج البيت وروى الطبراني عن ابن عمر رفعه لا تقوم
الساعة حتى يرفع الركن والقران وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب اي تتحرك اليات نساء دوس بفتح فسكون
قبيلة من اليمن والاليات بفتحتين جمع الالية بفتح فسكون وهي في الاصل اللحمة التي
تكون في اصل العضو وقيل هي اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهي لحم المقعد والمعنى
حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم حول ذي الخلصة بفتح الخاء المعجمة واللام وذو الخلصة
طاغية دوس اي صنمهم وقال شارح اي اصنامهم التي كانوا اي دوس يعبدون اي يعبدونها
في الجاهلية اي قبل ملة الحنيفية والظاهر ان هذا تفسير من ابي هريرة او غيره من الرواة
وفي النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل ذو الخلصة
الكعبة اليمانية التي كانت باليمن فانفذ اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير
ابن عبد الله فخربها وقيل ذو الخلصة اسم الصنم نفسه وفيه نظر لان ذو لا يضاف
الا الى اسم الجنس والمعنى انهم يرتدون الى جاهليتهم في عبادة الاوثان فتسعى نساء
بني دوس طائفات حول ذي الخلصة فترتج اعجازهن مضطربة الياتهن كما كانت عادتهن
في الجاهلية متفق عليه وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يذهب الليل والنهار اي لا تقوم الساعة حتى يعبد بالتذكير وجوز تانيثه
اللات صنم لثقيف والعزى بضم عين فتشديد بدل اي صنم لغطفان فقلت يا رسول الله
ان كنت لاظن ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة قال المظهر تقديره انه كنت
لاظن يعني انا الشان كنت لاحسب حين انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي بالتوحيد
ودين الحق اي وبالشريعة الثابتة ولما كان مؤداهما واحدا افرد الضمير في قوله ليظهره
اي ليعليه ويغلبه على الدين كله اي على الاديان جميعها باطلها بردها وحقها بالطلها برده او نسخها
ولو كره المشركون اي ما عليه الموحدون المخلصون ان ذلك بفتح الهمزة مفعول لاظن
وحين انزل الله ظرف له اي كنت اظن حين انزال تلك الاية ان ذلك الحكم المذكور المتفاهم
منها يكون تاما اي عاما كاملا شاملا للازمنة كلها بنصبه بالكون المقدر وفي نسخة صحيحة
تام بالرفع والمعنى ان ما ذكر من عبادة الاصنام قد تم واختتم وعدا ولا يكون بعد ذلك
ابدا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انه اي الشان سيكون من ذلك اي بعض ما ذكر من تمام
الدين ونقصان الكفر واغرب شارح حيث قال من ذلك اي عبادة الاصنام ما شاء الله اي
مدة مشيئته وبين ذلك بقوله ثم يبعث الله ريحا طيبة اي يشم منها رائحة الوصال
فتتوفى بصيغة المجهول اي تقبض كل من كان في قلبه وفي نسخة بصيغة الفاعل على انه

حذف

حذف منه احدى التائين اي تتوفى في القاموس اسناد التوفي الى الريح مجازا فيكون كل منصوبا على المفعولية
والمعنى تميت كل من كان في قلبه مثقال حبة اي مقدار وزن خردل فقوله من خردل بيان لحبة
وقوله من ايمان بيان لمثقال والمراد منه ان يكون في قلبه من العقائد الدينية اقل
ما يجب عليه من التصديق القلبي والتعيين بالامور الاجمالية فليس فيه دلالة على
تصور الزيادة والنقصان في نفس الايمان وحقيقة الايقان كما لا يخفى على اهل العرفان
من الاخبر فيه اي لا اسلام ولا ايمان ولا قران ولا حج ولا سائر الاركان ولا علماء الاعيان
فيرجعون الى دين ابائهم اي الاولين من المشركين الجاهلين الضالين والمضلين فروعي
لفظ من في ضمير فيه ومعناه في قوله فيرجعون كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول
امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين هذا وقال الطيبي قوله تاما هو بالرفع
في الحميدي على انه خبر ان وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب فعلى هذا هو اما حال
والعامل اسم الاشارة والخبر محذوف او خبر لكان المقدر اي ظننت من مفهوم الاية ان
ملة الاسلام ظاهرة على الاديان كلها غالبة عليها غير مغلوب فكيف يعبد اللات
والعزى وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله فتتوفى كل من كان في قلبه نظير قوله ان الله
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم
يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا الحديث رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بالواو
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث اربعين وابهمه صلى الله عليه
وسلم لحكمة في ترك التمييز ونسبه الراوي ولذا قال لا ادري اربعين يوما او شهرا او عاما
قال التوربشتي لا ادري الى قوله فيبعث الله من قول الصحابي اي لم يزدني النبي صلى الله عليه
وسلم على اربعين شيئا تبين المراد منها فلا ادري ايا اراد بهذه الثلاثة فيبعث الله عيسى
ابن مريم اي فينزله من السماء كانه اي في الصورة عروة بن مسعود اي الثقفي شهد صلح
الحديبية كافرا وقدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع بعد عوده من الطائف واسلم
ثم عاد الى قومه ودعاهم الى الاسلام فقتلوه وقيل هو اخو عبد الله بن مسعود وليس بشيء
فيطلبه اي عيسى الدجال فيهلكه اي يحربه ثم يمكث في الناس سبع سنين تقدم ما ورد
خلافه ليس بين اثنين عداوة يحتمل ان يكون قيد اللاحد وللاينا فيه ما سبق من الزيادة
ويؤيد التراخي المفهوم من قوله ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه
الارض احد في قلبه مثقال ذرة من خير او ايمان الظاهر ان او للشك ويحتمل ان يكون
للتخيير في التعبير الا قبضته اي اخذت روحه تلك الريح حتى لو ان احدكم دخل اي
فرضا وتقديرا على طريق المبالغة في كبد جبل اي وسطه وجوفه ومنه كبد السماء وسطها
لدخلته اي كبد الجبل عليه اي على احدكم حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة
الطير بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء قال القاضي المراد بخفة الطير اضطرابها
وتنفرها بادنى توهم شبه حال الاشرار في تهتكهم وعدم وقارهم وثباتهم واختلال رايهم

بكسر ففتح اي جانبه
صح

وميلهم الى الفجور والفساد وبحال الطير واحلام السباع اي وفي عقولها الناقصة جمع حلم بالضم
او جمع حلم بالكسر وفيه ايماء الى انهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب
والوحشة والاتلاف والاهلاك وقلة الرحمة لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا
بل يعكسون فيما يفعلون فيتمثل لهم الشيطان اي يتصور لهم بصورة انسان فكان
التشكل اقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة ولذا قدم الله سبحانه
شياطين الانس في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فيقول الا تستحيون
اي من الله في ترك عبادته والتوسل الى مقام قربته فيقولون فما تامرنا اي به نمتثله
فما موصولة او استفهامية فالمعنى فاي شيء تامرنا لنطيعك فيه فيامرهم بعبادة
الاوثان اي لتوسلا الى رضى الرحمن كما قال تعالى مخبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله زين لهم سوء اعمالهم وهم في ذلك اي والحال انهم فيما ذكر
من الاوصاف الرديئة والعبادات الوثنية دار بتشديد الراء كثير رزقهم حسن عيشهم
فالاول اشارة الى الكمية والثاني الى الكيفية او الاول نماء الى كثرة الامطار وما يترتب
عليه من الانهار والثمار والاشجار والثاني من جهة الامن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى
بالمال والجاه ثم ينفخ في الصور بصيغة المجهول والنافخ هو اسرافيل فلا يسمعه احد
الا اصغى ليتا بكسر اللام قال التوربشتي اي امال صفحة عنقه خوفا ودهشة ورفع
ليتا والمراد منه هنا ان السامع يصعق فيصغي ليتا ويرفع ليتا اي يصير راسه
هكذا وكذلك شان من يصيبه صيحة فيشق قلبه فاول ما يظهر منه سقوط راسه
الى احد الشقين فاسند الاصغاء اليه اسناد الفعل الاختياري قال واول من يسمعه
رجل يلوط اي يطين ويصلح حوض ابله فيصعق اي يموت هو ولا ويصعق الناس
اي معه ثم يرسل الله مطرا كانه الطل بفتح الطاء وتشديد اللام اي المطر الضعيف
الصغير القطر فتنبت منه اي من اجله او بسببه اجساد الناس اي الخبرة في قبورهم
ثم ينفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وبين النفختين اربعون عاما على ما سياتي
ثم يقال يا ايها الناس هلم في القاموس هلم يقال مركبة من ها التنبيه ومن لم اي ضم
نفسك الينا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتانيث عند الحجازيين فالمعنى
تعالوا وارجعوا واسرعوا الى ربكم قفوهم وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة قال
الطيبي عطف على قوله تعالى على سبيل التقدير اي يقال للناس هلم ويقال للملائكة
قفوهم وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستيناف انتهى وهو امر مخاطب والخطاب
للملائكة وضميرهم للناس يقال وقفت الدابة ووقفتها ولا يتعدى والمعنى احبسوهم
انهم مسئولون استيناف تعليل فيقال اخرجوا امر للملائكة اي ميزوا ما بين الخلائق بعث
النار اي مبعوثها والمعنى من يبعث اليها فيقال من كم كم اي يسال المخاطبون من كمية العدد
المبعوث الى النار فيقولون من كم عدد نخرجه من كم عدد وذكره الطيبي فكم

الاولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدا وهما مفعولا نخرج الذي هو للمتكلم فيقال من كل
الف تسعمائة بالنصب اي اخرجوا للنار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين فهم الذين
يستوجبون النار بذنوبهم يتركون فيها بقدر ذنوبهم ويجوز ان يصرفوا عن طريق جهنم
بالشفاعة ذكره ابن الملك ويجوز ان يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة لكن الظاهر
ان المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في
العقاب والله اعلم بالصواب فذلك اي الوقت يوما وقد بدل الحكم وقت يجعل اي
يصير فيه الولدان اي الصبيان جمع وليد شيبا بكسر اوله جمع اشيب كابيض وبيض
والمعنى انه يصير الاطفال شيبا من اهوال ذلك اليوم وشدائده على القوم ويجوز
ان يراد به عظم الاهوال لا حقيقة صيرورتهم شيبا في الحال فالمعنى لو ان وليدا شاب
من وقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا او يوم مرفوع منون في اكثر النسخ وفي نسخة
بالفتح مضافا قال الطيبي يحتمل ان يكون اليوم مرفوعا ويجعل الولدان صفة له
فيكون الاسناد مجازيا وان يكون مضافا مفتوحا فيكون الاسناد حينئذ حقيقيا اه
والاول ابلغ واوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا وذلك
اي ايضا يوم يكشف في كثير من النسخ برفع يوم منونا وفي بعضها بالفتح مضافا وهو اوفق
لما في القران يوم يكشف عن ساق اي شدة عظيمة يقال كشفت الحرب عن الساق اذا اشتد
فيها وكان اصله ان الولد يموت في بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فياخذ بساقه
فيخرج فجعل لكل امر عظيم وخطب جسيم قال الخطابي هذا مما هاب القول فيه شيوخنا
فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف على
تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب اما من تاوله فقال ذلك يوم يكشف
عن شدة عظيمة وبلية فظيعة وهو اقبال الاخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها
ويقال للامر اذا اشتد وتفاقم وظهر وزال خفاؤه كشف عن ساقه وهذا جائز
في اللغة وان لم يكن لله ساق رواه مسلم وذكر حديث معاوية لا تنقطع الهجرة
اي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وقد ثبت لا هجرة
بعد الفتح فالمراد بالهجرة التي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية الى الطاعة او
من ديار البدعة الى ديار السنة او من بلاد الشر الى بلاد الخير في باب التوبة وفيه اعتراض
فعلى المصنف البيان على قولي ولو ان الحديث انسب بذلك الباب والله اعلم بالصواب

باب نفخ الصور بضم

اوله وهو قرن ينفخ فيه والمراد به النفخة الثانية ففي النهاية هو القرن الذي
ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى الى المحشر الفصل الاول عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اي نفخة الصعق
وهي الاماتة ونفخة النشور وهي الاحياء اربعون ابهم في الحديث وبين في غيره انه اربعون

عاما ولعل اختيار الابهام لما فيه من الابهام فقالوا يا ابا هريرة اربعون يوما باستفهام
مقدر قال ابيت اي امتنعت عن الجواب لاني لا ادري ما هو الصواب او عن السؤال من
صاحب المقام فلا ادري ما الحال قالوا اربعون شهرا قال ابيت قال اربعون سنة قال
ابيت قال القاضي اي لا ادري ان الاربعين الفاصل بين النفختين اي شيء اياما او شهورا
او اعواما وامتنع عن الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم والاخبار عما لا اعلم قال كذا في نسخة
والظاهر ان ضميره اليه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون الى ابي هريرة فيكون موقوفا
والتقدير راويا عنه وانا فلا منه ولفظ قال فيه ولا فيما بعده ثم ينزل الله من السماء ماء
اي مطرا كالطل على ما سبق فينبتون اي فينبت اجساد الخلق منه كما ينبت البقل اي من المطر
والظاهر ان هذا قبل النفخة الثانية كما فهم من الرواية الماضية فتعبيره ثم هنا
للتراخي الرتبي اي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فانه امر محقق قال وليس من الانسان
شيء يجزء من اجزائه لا يبلى اي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسده فان الله تعالى حرم على الارض
ان تاكل من اجساد الانبياء وكذا من في معناهم من الشهداء والاولياء قيل وهم المؤذنون
المحتسبون فانهم في قبورهم احياء او كالاحياء الا عظما واحدا ولفظ الجامع الا عظم واحد بالرفع
على البدل من شيء وهو واضح وقيل هو منصوب لانه استثناء موجب لانه قوله ليس شيء
من الانسان لا يبلى الا عظما نفي النفي ونفي النفي اثبات فيكون تقديره تقدير كل شيء
منه يبلى الا عظما فانه لا يبلى ويحتمل ان يكون منصوبا على انه خبر ليس لان اسمه موصوف
كقولك ليس زيد الا قائما فمن الانسان حال من شيء وهو عجب الذنب بفتح العين المهملة
وسكون الجيم وحكى اللحياني في تثليث العين مع الباء والميم ففيه ست لغات وهو العظم
بين الاليتين الذي في اسفل الصلب قال بعض علمائنا من الشراح المراد طول بقائه تحت
التراب لا انه لا يفنى اصلا فانه خلاف المحسوس وجاء في حديث اخر انه اول ما يخلق واخر
ما يبلى ومعنى الحديثين واحد وقال بعضهم الحكمة فيه انه قاعدة بدن الانسان
واسه الذي يبنى عليه فبالحري ان يكون اصلب من الجميع كقاعدة الجدار واسه واذا كان
اصلب كان اطول بقاء اقول التحقيق والله ولي التوفيق ان عجب الذنب يبلى اخرا كما شهد به حديث
لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه ولا عبرة بالمحسوس
كما حقق في بيان عذاب القبر على ان الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لان يميز
بالحس كما لا يخفى على ارباب الحس ومنه يركب بتشديد الكاف المفتوحة الخلق اي سائر
المخلوقات من الحيوانات يوم القيامة اي كما خلق اولا في الايجاد وكذلك خلق اولا في الاعادة
او يفنى فيه ركبت عليه الخلق ثانيا قال تعالى كما بدانا اول خلق نعيده وقال سبحانه
كما بداكم تعودون متفق عليه ورواه النسائي وفي رواية لمسلم وكذا للبخاري ذكره السيد
وفي الجامع رواه مسلم وابو داود والنسائي عن ابي هريرة قال اي النبي عليه السلام
كل ابن ادم بالرفع وفي نسخة بالنصب اي كل اعضاء بدن الانسان وكذا سائر الحيوانات

ليس في الجامع

باكل

ياكله التراب الا عجب الذنب اي فانه لا ياكله كله او بعضه منه اي من عجب الذنب خلق
بصيغة المجهول اي ابتدئ منه خلق الانسان اولا وفيه وفي نسخة منه وهو رواية
الجامع وسبق ان في تاني مراد فيه لن يركبه اي ثانيا قال النووي هذا مخصوص فيخص منه
الانبياء فان الله حرم على الارض اجسادهم وهو كما صرح به في الحديث وعنه اي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي
السماء ولعل المراد بهما ابدالهما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
بيمينه اي بقوته او قدرته او بيمينه الصادرة عنه انه يفعله او يقبض الملائكة
وطيهما الكائنين بيمين عرشه قال القاضي عبر به عن افناء الله تعالى هذه المظلة
وهذه المقلة ورفعهما من البين واخراجهما من ان يكونا ماوى ومنزلا لبني ادم بقدرته
الباهرة التي تهون عليها الافعال العظام التي يتضاءل دونها القوى والقدر ويتحير
فيها الافهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل واضاف في الحديث الذي يليه
طي السموات وقبضها الى اليمين وطي الارض الى الشمال تنبيها وتخييلا لما بين المقبوضين
من التفاوت والتفاضل وقال بعضهم اعلم ان الله تعالى منزه عن الحد و[illegible]
الاجسام وكل ما ورد في القران والاحاديث في صفاته مما ينبئ عن الجهة والفوقية
والاستقرار والاتيان والنزول فلا نخوض فيها وفيه بل نؤمن بما هو مدلول تلك
الالفاظ على المعنى الذي اراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية ثم يقول
انا الملك اي لا ملك الا انا ومالك الملوك والاملاك وفيه تنبيه على ان الملك ابلغ من
المالك مع ان المفسرين اختلفوا في قوله تعالى ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ان اي
القراءتين ابلغ كما اشار اليه الشاطبي بقوله ومالك يوم الدين راويه ناصر ومحل الكلام
في البيضاوي مذكور والتفصيل في غيره مسطور اين ملوك الارض اي الذين كانوا يزعمون
ان الملك لهم استقلالا لا ادوا ما لا يرون به زوال الاول الذين كانوا يدعون الالوهية في الجهة
السفلية وفيه ايماء الى ان الملا الاعلى هم معصومون عن افعال اهل السفلى متفق
عليه ورواه النسائي وابن ماجه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول
انا الملك اين الجبارون اي الظلمة القهارون اين المتكبرون اي بما لهم وجاههم
وخيلهم وحشمهم لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا ثم يطوي
الارضين بفتح الراء ويسكن بشماله وفي رواية ياخذهن اي بدل يطوي فالتقدير ثم
ياخذهن بيده الاخرى وهذه الرواية اوفق بحديث وكلتا يديه يمين وضمير هن
الى الارضين بقرينة ذكر السموات ويحتمل ان المصنف نقل بالمعنى وان لفظ الرواية
ثم ياخذ الارضين بيده الاخرى ثم يقول انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون فينظر
في الاصول لطلب الاحوط قال اصحابنا وقيل المراد باليد اليمنى والشمال القدرة والمراد

من الطيبي التشبيه التام والقهر الكامل وهو كذلك الان ايضا ولكن في القيامة تكون اظهر ونسبة طي السموات الى اليمين وطي الارضين الى الشمال لتنبيهها لما بين المقبوضين من التفاوت بعد ان نزه ذاته سبحانه عن نسبة الشمال اليه بقوله وكلتا يديه يمين لان الشمال ناقص في القوة عادة والله منزه عن النقصان عادة وعن سائر صفات الحدثان رواه مسلم وعن عبد الله ابن مسعود قال جاء حبر بفتح الحاء وكسرها مفرد الاحبار اي عالم من اليهود اي من جملتهم او من احبارهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع بكسر الهمزة وفتح الموحدة وفي القاموس بتثليث الهمزة والباء ففيه تسع لغات والارضين على اصبع والجبال والشجر اي جنسه على اصبع والماء والثرى اي التراب الندي يعني الماء وما تحته من الثرى على اصبع وسائر الخلق اي باقيه على اصبع هذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من ان طي العلوي بيمينه والسفلي بالاخرى والظاهر تقسيم الاشياء على الاصابع موهم لارادة تحقيق الجارحة المنقسمة على الاصابع الخمسة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر اهل البدعة ولكنه كما قدره صلى الله عليه وسلم حيث لم ينكره لزم اما التاويل وهو مذهب الخلف وهو اعلم او التسليم والتفويض مع الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو اسلم والله اعلم فقال شارح والمعنى يهون على الله امساكها وحفظها كما يقال في العرف فلان يحمل باصبعه لقوته قال التوربشتي السبيل في هذا الحديث ان يحمل على نوع من المجاز او ضرب من التمثيل والمراد منه تصوير عظمته والتوقيف على جلالة شانه وانه سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف القوي القادر على ما هو مقدور بقول العرب في سهولة المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع والخارج ذلك ببعض كفي واستقله بفرد اصبع ونحو ذلك من الالفاظ استهانة بالشيء واستظهار في القدرة عليه والمتورع عن الخوض في تاويل امثال هذا الحديث في فسحة من دينه اذا لم يزلها في ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس ثم يهزهن اي الصدر للاصابع والمعنى يحركهن فيقول انا الملك اي القادر انا الله اي المعبود بالحق المستحق للعبودية والعبادة في الباطن والظاهر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قاله الحبر تصديقا له علة للعلة قال الكشاف انما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع اول شيء واخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع واعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان اكثره تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما ثم قرأ اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتضادا ويحتمل ان يكون القارئ هو ابن مسعود واستشهادا ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ اي ما عرفوه حق معرفته او

ماعظمو

وما عظموه حق عظمته ﴿والارض﴾ الواو للحال اي والحال ان جنس الارض وهو الارضين السبع ﴿جميعا قبضته﴾ اي مقبوضة وفي ملكه وتصرفه ﴿يوم القيامة﴾ يتصرف فيه كيف يشاء بلا مزاحم مع سهولة والمعنى انهن بعظمتهن بالنسبة الى قدرته ليست الا قبضة واحدة ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ اي مجموعات بقدرته او مفنيات بقسمه لانه تعالى اقسم بعزته وجلاله انه يفنيهما ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ بنسبة الولد والشريك اليه متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله اي سبحانه ﴿يوم تبدل الارض غير الارض﴾ اي يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة ﴿والسموات﴾ اي كذلك قال صاحب الكواشي انها تبدل بخبزة بيضاء فياكل المؤمنون من تحت اقدامهم حتى يفرغ الحساب وسياتي في اول باب الحشر ما يؤيد هذا المعنى وروي عن الضحاك انه يبدلها ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وكذا عن علي كرم الله وجهه وفي شرح السنة التبديل تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل الشيء مكان اخر وقال الطيبي قد يكون التبديل في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل يبدل اوصافها تسير على الارض جبالها وتفجر بحارها وتجعل مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها احد خطيئة والظاهر من التبديل تغيير الذات كما يدل عليه السؤال والجواب حيث قالت فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط اي الصراط المعهود عند المسلمين او جنس الصراط والله اعلم رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر مكوران بتشديد الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب القمر لانه المذكر او باعتبار الكوكبين النيرين وقوله يوم القيامة ظرف له والتكوير معناه اللف ومنه تكوير العمامة وقال تعالى ﴿يكور الليل على النهار﴾ وهو معنى الجمع في قوله تعالى ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ قال التوربشتي يحتمل انه من التكوير الذي هو بمعنى اللف والجمع اي يلف ضوءهما لفا فيذهب انبساطهما في الافاق ويحتمل ان يراد به رفعهما لان الثوب اذا طوي رفع ويحتمل ان يكون من قولهم طعنه فكوره مكورا اذا القاه اي ملقيان من فلكهما وهذا التفسير اشبه بنسق الحديث لما في بعض طرقه مكوران في النار فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما اهل النار ولا سيما عبدة الانوار ولا يعذبان في النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها رواه البخاري وروى ابن مردويه عن انس الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان شاء اخرجهما وان شاء تركهما والعقير الزمن

الفصل الثاني

عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم اي

فيها

افرح واتنعم من نعم عليه كفرح النبع ولا ن كذا في المصباح وفي النهاية هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه وصاحب الصور قد التقمه اي وضع طرف الصور في فمه واصغى سمعه اي امال اذنه وحنى جبهته اي امالها وهو كناية عن المبالغة في التوجه لاصغاء السمع والقاء الاذن ينتظر متى يومر بالنفخ والظاهر ان كلا من الالتقام والاصغاء وما يتعلق على حقيقته وانه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به وقال القاضي معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب ان ينفخ في الصور فكنى عن ذلك بان صاحب الصور وضع راس الصور في فمه وهو مترصد لان يومر فينفخ فيه فقالوا يا رسول الله وما تامرنا اي ان نقول الان او مطلقا عند الشدائد وحينئذ قال قولوا حسبنا الله مبتدا وخبر اي لا غيرنا الله ونعم الوكيل فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف اي نعم الموكول اليه الله رواه الترمذي وكذا الحاكم وصححه عنه وابن عباس قال حبرك عن ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الاية رواه البخاري والنسائي وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصور قرن قيل دائرة راسه كعرض السموات والارض ينفخ فيه بصيغة المجهول اي ينفخ فيه اسرافيل النفختين رواه الترمذي وابو داود والدارمي وكذا احمد والنسائي والحاكم

الفصل الثالث عن ابن عباس قال في قوله تعالى فاذا نقر اي نفخ في الناقور الصور بالجر على التفسير وفي نسخة بالرفع على تقدير هو الصور قال اي ابن عباس ايضا والراجفة اي في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة النفخة الاولى لانها ترجف الارض والجبال عندها اي تضطرب وتتحرك وتتزلزل والرادفة الثانية اي لانها تقع عقبها وقال الطيبي الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال هي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها والرادفة الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية رواه البخاري في ترجمة باب بوب النار والجيم اي في عنوانه تعليقا لكن وصله في موضع اخر منه وعن ابي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور اي اسرافيل وقال عن يمينه جبريل بكسر جيم وبفتح فكسر راء فسكون ياء وبفتحها وبهمزة بعدها مع تحتية وتحذف اربع لغات كلهن متواترات وعن يساره ميكائيل بهمز وتحتية وتحذف ولو زن ميعال ثلاث قراءات لكن في شرح الشاطبية للجعبري قال ابو عبيدة هما ممدودان في الحديث انتهى وهو يحتمل ان مراده المدة الطبيعية او حرف المد ويحتمل انه اراد جبرائيل بالالف الممدودة على الشذوذ واخبر بمثله ميكائيل والله اعلم وعن ابي رزين بفتح الراء وكسر الزاء العقيلي مصغرا ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما اية ذلك اي علامة في خلقه اي مخلوقاته الموجودين قال امررت بوادي قومك جدبا بفتح الجيم وسكون الدال كذا في النهاية والقاموس وفي المقدمة وبفتح اوله وقد تنبه وقد يسكن وقد يسكن ضد الخصب ثم مررت به

يهتز

يهتز بتشديد الزاي اي يتحرك خضرا بفتح فكسر قال الطيبي تهتز جملة حالية وخضرا نصب على التمييز استعار الاهتزاز لاشجار الوادي نضوبر الحسنها ويقال اهتز فلان فرحا اي خف لامر وارتاح له فقد اهتز له قال نعم قال فتلك اية الله اي علامة قدرته في خلقه اي في اعادته والعود احمد قال تعالى وهو الذي يبدوا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه كذلك يحيي الله الموتى الظاهر ان هذا استشهاد بالاية او اقتباس منها قال الطيبي اي ليس فرق بين انشاء الخلق واعادته والتشبيه في قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى بيان للتسوية نحو قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم اي بكل من الانشاء والاعادة عليهم ونظير هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء رواهما اي الحديثين رزين قال المؤلف هو ابو رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد العشرين وخمسماية

باب الحشر

في المغرب الحشر الجمع قلت او هو ضد النشر

الفصل الاول عن سهل بن سعد سبق ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضاء عفراء اي غير شديد البياض والعفرة لون الارض وقيل المعنى لا يخلص بياضها بل يضرب الى الحمرة كقرصة النقي بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري والقرصة بالضم الرغيف والتاء للوحدة والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر ليس فيها علم بفتحتين اي علامة لاحد يريد به الابنية ومعناه انها تكون قاعا لا بناء فيها ذكره الطيبي وقال الطيبي لعل الظاهر ان ذلك تعريض بارض الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها اعلم عليها على نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة اي كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ او التقدير تصير خبزة واحدة وهو الظاهر على ما سياتي يتكفاها بالهمز بعد تشديد الفاء قال التوربشتي هذه رواية كتاب البخاري ورواية كتاب مسلم يكفاها بسكون الكاف والهمز من كفات الاناء اي قلبته وهو الصواب والمعنى يقلبها الجبار اي الواحد القهار بيده اي من يد الى يد وكلتا يديه يمين ولعل المراد بهما القدرة والارادة فانه سبحانه منزه عن الجارحة كما يتكفا احدكم خبزته اي عجينته فهي تسمية بالمال كقوله تعالى اني اعصر خمرا في السفر بفتحتين وقيل بضم اوله جمع سفرة فالاول لظرف الزمان والثاني لمكانه لبيان والمعنى كما يفعل بالعجينة اذا اريد به ترقيقها واستواء ها حتى تلقى على الملة في السفر

استنفجا لانه لا يتضمن تنبيه ويمكن الثاني ذكره ابن الملك ايضا فقوله لاهل الجنة وهو
ما يستعجل للضيف من الطعام قال النووي يتكفاها بالهمز اي يقلبها ويميلها من يد الي يد
حتي تجتمع وتستوي لانها ليست منبسوطة كالرقاقة ونحوها وفي نسخ مسلم يكفاها بالهمز
والخبزة هي الظلمة التي توضع في الملة والمعني ان الله تعالي يجعل الارض كالظلمة
والرغيف العظيم يكون ذلك طعاما نزلا لاهل الجنة والله اعلم علي كل شي قدير قال
التوربشتي اري الحديث مشكلا جدا غير منكر شيا من صنع الله وعجايب فطرته
بل لعدم التوقيف الذي يكون موجبا للعلم في قلب جرم الارض من الطبع الذي عليه
الي طبع المطعوم والماكول مع ما ورد في الاثار المنقوله ان هذه الارض برها وبحرها
تمتلي نارا في النشاة الثانية وتنضم الي جهنم فنري الوجه فيه ان نقول معني
قوله خبزة واحدة اي كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا وهو مثل ما في حديث سهل بن
سعد كقرصة النقي وانما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها وبياضها علي ما ذكرنا وفي هذا
الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الارض هيئة وشكلا ومساحة فاشتمل الحديث
علي معنيين احدهما بيان الهيئة التي تكون الارض عليها يوميذ والاخر بيان الخبزة
التي يهيئها الله تعالي نزلا لاهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعا واختراعا من
القادر الحكيم الذي لا يعجزه امر ولا يعوزه شي انتهي واطنب الطيبي هنا مما لا طائل
تحته فاعرضنا عن ذكره وقيل الحديث مشكل لا من جهة انكار قدرته بل من جهة عدم
التوفيق بينه وبين حديث ان هذه الارض تصير يوم القيامة نارا واجيب بانه
شبه ارض الحشر بالخبزة في الاستوا والبياض كما في حديث سهل وشبه ارض الجنة
كما في حديث ابي سعيد في كونها نزلا لاهلها تكرمة لهم لعجالة الراكب زاد اينتفع به
في سفره لكن اخر هذا الحديث يشعر بان كون الارض خبزة علي التجوز والاولي الحمل
علي الحقيقة مهما امكن وقدرته تعالي صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة ابلغ
بان يقلب الله تعالي بقدرته الكاملة طبع الارض حتي ياكلوا منها تحتها فداميهم
ما شا الله بغير كلفة ولا علاج وبهذا يتبين ضعف ما قاله القاضي من انه لم يرد بذلك
ان جرم الارض ينقلب خبزة في الشكل والطبع وانما اراد بها انها تكون حينيذ بالنسبة
الي ما اعد الله لاهل الجنة كقرصة نقي يستعجل المضيف بها نزلا للضيف ثم تعريف الارض
في الحديث كتعريفها في قوله تعالي ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها
عبادي الصالحون قال ابن عباس هي ارض الجنة هذا ومما يويد الحمل علي الحقيقة قول
الراوي فاتي رجل من اليهود اي من احبارهم فقال بارك الرحمن عليك دعا له بنزول كثرة
الرحمة عليه او اخبار رحمته يا ابا القاسم كناه تعظيما الا اخبرك بنزل اهل الجنة يوم
القيامة قال بلي قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبي صلي الله عليه وسلم
فنظر النبي صلي الله عليه وسلم الينا اي نظر التفات وتعجب وتنبيه ثم ضحك اي فرحا للمطابقة

والموافقة حتي بدت نواجذه اي ظهرت اضراسه وهو كناية من المبالغة ثم قال اي
اليهودي كما في نسخة الا اخبرك بادامهم اي بما يوتدم اهل الجنة الخبزة به بالادام هو بالام ونون
علي وزن فاعل اي ثور والنون اي السمك قالوا اي الصحابة وما هذا اي ما معني هذا الذي ذكرته
قال ثور ونون ياكل من زايدة كبدهما سبعون الفا قال النووي اما النون فهو الحوت باتفاق
العلما واما بالام فبباء موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم مرفوعة وفي معناه اقوال
والصحيح منها ما اختاره المحققون انها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور
وفسره اليهودي به ولو كانت عربية لعرفتها الصحابة ولم يحتاجوا الي سواله عنها واما
قوله ياكل منها سبعون الفا فقال القاضي عياض هم السبعون الفا الذين يدخلون
الجنة بلا حساب فخصوا باطيب النزل ويحتمل انه عبر به العدد الكثير ولم يرد الحصر
في ذلك القدر وهذا معروف في كلام العرب والله اعلم متفق عليه وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يحشر الناس اي يجمع البشر علي ثلاث
طرايق اي فرق واصناف راكبان علي طريقة واحدة من تلك الثلاث والبقية يتناول الطريقين
الاخيرتين وهما الماشون والذين علي وجوههم كما سياتي في الفصل الثاني راغبين اي في الجنة
لما فيها من لقاء ربهم وهو بدل علي ثلاث وهم احد الفرق وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون راهبين اي من النار وهم الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية
فيه تنبيه علي ان طاعة الله علي الرجا اولي من عبادته علي الخوف ولذا سمي الاولون
الطايرين والاخرين السايرين وتحقيقه في كتب التصوف ويعرفه اهل التعرف
وجملة الكلام ان المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجا وبالراهبين من غلب عليهم الخوف
قال تعالي يدعون ربهم خوفا وطمعا وانما قدم الخوف في الاية لانه انسب بعموم الملا العامة
لا سيما في البداية واثنان علي بعير اي اعتقابا او اجتماعا وهم والاظهر وثلاثة علي بعير
واربعة علي بعير وعشرة علي بعير فقال مفسرا زمرة ثالثة بينهم يحشرون علي مراكبهم
والباقون يمشون علي اقدامهم علي قدر اقدامهم قال ابن الملك قوله واثنان علي
بعير الواو فيه للحال وصفة المبتدا محذوف اي اثنان منهم وكذا الحكم فيما بعده
وهذه الاعداد لتفصيل مراتبهم علي سبيل الكناية والتمثيل فمن كان اعلي مرتبة كان اقل
شركة واشد سرعة واكثر سبقا فان قلت كون الاثنين واخوانه علي البعير
بطريق الاجتماع ام الاعتقاب قلنا قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الاولي ان يحمل
علي الاجتماع اذ في الاعتقاب لا يكون الا اثنان والثلاثة علي بعير حقيقة وانما اقتصر
علي ذكر العشرة اشارة الي انه غاية عدد الراكبين علي ذلك البعير المحتمل للعشرة من
بدايع فطرة الله تعالي كناقة صالح حيث قويا لا يقوي من البعران وانما لم يذكر الخمسة
والستة وغيرهما الي العشرة للايجاز وتحشر بقيتهم اي يجمعهم النار تقيل بفتح اوله
من القيلولة وفاعله النار والمراد انها تكون معهم في النهار حيث قالوا اي كانوا واستراحوا

وتبيت اي النار معهم حيث باتوا اي كانوا في الليل وتصبح معهم حيث اصبحوا اي دخلوا في الصباح وتمسي معهم حيث امسوا والمقصود ان النار تلازمهم بحيث لا تفارقهم ابدا ثم الكلام في تفصيل المرام وتمام تفصيله فقال الخطابي الحشر المذكور في هذا الحديث انما يكون قبل قيام الساعة يحشر الناس احياء الى الشام فاما الحشر بعد البعث في القبور فانه على خلاف هذه الصورة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو على ما ورد في الحديث انهم يبعثون حفاة عراة وفسر ثلاثة على بعير واربعة على بعير على انهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم قال التوربشتي قول من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور اسد واقوى واشبه بسياق الحديث من وجوه احدها ان الحشر على الاطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه الا الحشر الذي بعد قيام الساعة الا ان يخص بنوع من الدليل ولم نجد ههنا والاخر ان التقسيم الذي ذكر في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر الى ارض الشام لان المهاجر اليها لا بد وان يكون راغبا او راهبا او راهبا فاما ان لا يكون راغبا وراهبا ويكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا والثالث ان حشر النار بقية الطائفتين على ما ذكر في هذا الحديث الى ارض الشام والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا صباح ولا مساء قول لم يرد به التوقيف ولم يكن لنا ان نقول بتسليط النار على اولي الشقاوة في هذه الدار من غير توقيف والرابع وهو اقوى الدلايل واوثقها ما روي عن ابي هريرة وهو في الحسان من هذا الباب يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف الحديث واما ما ذكر من بعث الله الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين لان احداهما حالة البعث من المنشر واخرى حالة السوق الى المحشر ويرى التقسيم الذي جاء به الحديث قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة الاية فقوله راغبين راهبين يريد به عوام المؤمنين وهم ذوو الشان الذين يترددون بين الخوف والرجاء بعد زوال التكليف فتارة يرجون رحمة الله لايمانهم وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيئات وهم اصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي رواه ايضا ابو هريرة وهو في الحسان من هذا الباب وقوله واثنان على بعير فالمراد منه اولو السابقة من افاضل المؤمنين وهم السابقون وقوله ويحشر بقيتهم النار يريد به اصحاب المشامة فهذه ثلاث طرائق فان قيل فلم لم يذكر من السابقين من ينفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه احد قلنا لانه عرف ان ذلك مجعول لمن فوقهم في المرتبة من انبياء الله ليقع الامتياز بين الانبياء والصديقين في المراكب كما وقع في المراتب انتهى وعارضه الطيبي بما لا طائل تحته فتركناه متفق عليه وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون اي ستبعثون حفاة بضم الحاء جمع حاف وهو الذي لا نعل له عراة بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع الاغرل وهو الاقلف غير

مختونين قال العلماء في قوله غرلا اشارة الى ان البعث يكون بعد تمام الاجزاء والاعضاء الزائلة في الدنيا الى البدن وفيه تاكيد لذلك فان القلفة كانت واجبة الازالة في الدنيا فغيرها من الاشعار والاظفار والاشياء ونحوها اولى وذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ذواتها وصفاتها وقدرته بالاشياء الممكنات ثم قرا اي استشهادا قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده اي نعيد الخلق اعادة مثل الاول والمعنى بدانا هم في بطون امهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة وعدا علينا اي لازما لا يجوز الخلف فيه انا كنا فاعلين اي ما وعدناه واخبرنا به لا محالة قال الطيبي فان قلت سياق الاية في اثبات الحشر والنشر لان المعنى نوجدكم عن العدم كما اوجدناكم اولا عن العدم فكيف يستشهد بها للمعنى المذكور قلت دل سياق الاية وعبارتها على اثبات الحشر واشارتها على المعنى المراد من الحديث فهو من باب الادماج قلت الظاهر ان الاية بعبارتها تدل على المعنيين وان كان سياق الاية مختصا لاحدهما فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم في قوله نوجدكم عن العدم مسامحة والله اعلم واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم قيل لانه اول من كسى الفقراء وقيل لانه اول من عري في ذات الله حين القي في النار لا لانه افضل من نبينا او لكونه اباه فقدمه لعزة الابوة على انه قيل ان نبينا يخرج في الناس من قبره في ثيابه التي توفي فيها وعندي والله اعلم ان الانبياء والاولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون اكفانهم بحيث لا ينكشف عورتهم على احد ولا على انفسهم وهو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم لما اخرج عن قبري وابو بكر عن يميني وعمر عن يساري والى البقيع الحديث ثم يركبون النوق ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا الالباس محمولا على الخلع الالهية والحلل الجنية على الطائفة الاصطفائية واولية ابراهيم عليه السلام يحتمل ان يكون حقيقية او اضافية والله سبحانه اعلم ثم رايت في الجامع الصغير حديث انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي عن ابي هريرة وروى الترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة وقال التوربشتي ان التقدم بهذه الفضيلة انما وقع لابراهيم عليه السلام لانه اول من عري في ذات الله حين اراد والقاءه في النار فقيل اوليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم له بالفضل على ساير الانبياء وتاخيره في ذلك موهم ان الفضل للسابق قلنا اذا استاثر الله عبدا بفضيلة على جماعة واستاثر المستاثر عليه على المستاثر بتلك الواحدة لعشر امثالها او فضل كانت السابقة له ولا يقدح استيثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله ولا خفاء ان الشفاعة حيث لا يؤذن لاحد في الكلام

هيم

لم يبق سابقة الاولى السابقة ولا فضيلة لذوي الفضائل الا انت عليه وكم
له من فضائل مختصة به لم يسبق اليها ولم يشارك فيها وان ناسا من اصحابي اي جماعة
منهم والتنكير للتقليل يؤخذ بهم ذات الشمال اي الى النار ومع اصحاب المشئمة فاقول
اصحابي بالتصغير للتقليل اي هؤلاء اصحابي واصيحابي اين يذهبون بهم اصيحابي كرره
تاكيدا ويمكن ان يكون اشارة الى جماعتين فيقول اي قائل او مجيب انهم لن يزالوا مرتدين على
اعقابهم مذ فارقتهم قال القاضي يريد بهم من ارتد من الاعراب الذين اسلموا في ايامه كاصحاب
مسيلمة والاسود واضرابهم فان اصحابه وان شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والانصار
شاع استعماله لغة في كل من تبعه او ادرك حضرته ووفد عليه ولو مرة قلت الاول
اصطلاح اصول الفقه والثاني مصطلح اهل الحديث وقيل اراد بالارتداد اساءة السيرة
والرجوع عما كانوا عليه من الاخلاص وصدق النية والاعراض عن الدنيا اقول هذا
بالاشارات الصوفية انسب واقرب والا فعبارة الارتداد غير مستقيمة على هذا
المعنى اصلا ولا موافقة لقوله عليه السلام فاقول كما قال العبد الصالح وهو
عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت عليهم اي على امتي شهيدا اي مطلعا رقيبا
حافظا ما دمت فيهم اي موجودا فيما بينهم الى قوله العزيز الحكيم وهو قوله فلما توفيتني
كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم متفق عليه ورواه الترمذي وعن عائشة رضي
الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة
حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال بتقدير الاستفهام ويمكن ان يقرا بالمد
والتسهيل ايضا على ما تقرر في قوله تعالى اذن لكم والنساء عطف على الرجال وهما مبتدا
قوله جميعا اي مجتمعين حال منهما على ما جوزه البعض والخبر قوله ينظر بعضهم الى بعض
وهو محط الاستفهام التعجبي قال الطيبي الرجال والنساء مبتدا وجميعا حال سد
مسد الخبر اي مختلطون جميعا ويجوز ان يكون الخبر ينظر بعضهم الى بعض وهو العامل
في الحال فقدم اهتماما كما في قوله تعالى والارض جميعا قبضته وفيه معنى الاستفهام
ولذلك اجاب فقال يا عائشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض اي امر القيامة اصعب
من ان يقدر احد على النظر الى غيره عمدا او سهوا لقوله تعالى لكل امرء منهم يومئذ
شان يغنيه متفق عليه واخرج عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه
والبيهقي في البعث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة
غرلا فقالت زوجته اينظر بعضنا الى عورة بعض فقال يا فلانة لكل امرء منهم يومئذ
شان يغنيه واخرج الطبراني عن سهل بن سعد نحوه واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم
وابن مردويه عن انس ان عائشة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كيف يحشر
الناس قال حفاة عراة واسوتاه قال انه قد نزل علي اية لا يضرك كان عليك ثياب

ولا قالت واي اية هي قال لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه واخرج الحاكم وصححه
وابن مردويه عن عائشة نحوه واخرج الطبراني في الاوسط عن ام سلمة سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة قلت يا رسول الله واسوتاه
ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ما شغلهم قال نشر الصحائف فيها
مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وعن انس ان رجلا قال يا رسول الله يحشر الكافر على وجهه
يوم القيامة وبكون الاستفهام مقدرا قال اليس اي اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا
مبتدا خبره قوله قادرا على ان يمشيه بالتخفيف ويجوز تشديده على وجهه يوم القيامة
متفق عليه وسيأتي حديث الترمذي في الفصل الثاني وحديث ابي ذر في الثالث وفي
الدر المنثور اخرج احمد والشيخان والنسائي وابن جرير وابن ابي حاتم والحاكم وابو نعيم
في المعرفة والبيهقي في الاسماء والصفات عن انس قال قيل يا رسول الله كيف يحشر
الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على ارجلهم قادر ان يمشيهم على وجوههم واخرج
ابن جرير عن الحسن قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية الذين يحشرون
على وجوههم الى جهنم فقالوا يا نبي الله كيف يحشرون على وجوههم قال ارايت الذي امشاهم
على اقدامهم اليس قادرا ان يمشيهم على وجوههم وعن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يلقى اي يرى ابراهيم اباه آزر بدل او بيان يوم القيامة وعلى
وجه آزر وضع الظاهر موضع الضمير لئلا يتوهم رجعه الى ابراهيم في الابتداء الحال قترة
اي سواد من الكآبة والحزن وغبرة بفتحتين غبار معه سواد وذكرهما مبالغة الجملة
حالية فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول له ابوه فاليوم ظرف مقدم لا
اعصيك فيقول ابراهيم يا رب انك قد وعدتني ان لا تخزيني اي لا تفضحني يوم يبعثون
اي الخلائق فاي خزي في النهاية هو الهلاك والوقوع في بلية اخزى من ابي الابعد يريد البعد
يريد البعد في المرتبة والالحاقة باهل النار او الهالك من البعد بمعنى الهلاك او
الابعد من رحمة الله تعالى فان الفاسق بعيد والكافر ابعد ورحمة الله قريب
من المحسنين والى الانبياء والاولياء اقرب قال الطيبي هو من افعل الذي قطع عن متعلقه
للمبالغة فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت
رجليك وفي نسخة انظر ما تحت رجليك وما استفهامية او موصولة قال ابن الملك ما
استفهامية خبره تحت ويجوز كونه بمعنى الذي اي انظر الى الذي تحت رجليك فينظر فاذا
هو اي آزر بذيخ بكسر ذال معجمة فتحتية ساكنة فخاء معجمة وهو ذكر الضبع الكثير الشعر
وفي نسخة بموحدة ساكنة وخاء مهملة وهو ما يذبح متلطخ اما برجيعه او بدمه او بالطين
فيؤخذ بقوائمه جمع قائمة وهي ما يقوم به الدواب بمثابة الارجل للانسان كذا ذكره شارح
ففيه تغليب اذ المراد انه يؤخذ بيديه ورجليه فيلقى اي فيطرح في النار اي في مقام
الكفار وغير صورته ليكون تسلية لابراهيم حيث لا يعرفه لو راه قد القي في النار على صورته

اي من خزي
الجحيم

فيكون خزيا وفضيحة على رؤس الخلائق فتغييره ستره لحاله في القديم مآله ثم هذا
الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه واجيب اختلف في الوقت الذي تبرأ
ابراهيم فيه من ابيه فقيل كان ذلك في الدنيا لما مات ازر مشركا وقيل انما تبرأ منه
يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ ويمكن الجمع بين القولين بانه تبرأ منه لما مات مشركا
فترك الاستغفار له لكن لما راه يوم القيامة ادركته الرأفة فسال منه فلما راه
مسخ ايس منه وتبرأ تبرأ ابديا وقيل ان ابراهيم لم يتيقن موته على الكفر لجواز ان يكون
امن في نفسه ولم يطلع ابراهيم على ذلك وتكون تبريه منه بعد الحال التي وقعت
في هذا الحديث رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعرق بفتح الراء الناس اي جميعا والجن بالاولى فتركه من باب الاكتفاء والظاهر
استثناء الانبياء والاولياء يوم القيامة اي في ابتداء امره حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين
ذراعا قيل سبب هذا العرق تراكم الاهوال وحصول الحياء والخجالة والندامة والملامة
وتزاحم حر الشمس والنار كما جاء في رواية ان جهنم تدير اهل المحشر فلا يكون الى الجنة
طريق الا الصراط حتى يبلغ اي يصل العرق اذانهم بالمد جمع الاذن قال شارح اي الى افواههم
وسيأتي ان الناس مختلفون في احوالهم على مراتب اعمالهم متفق عليه وروى
الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول رب ارحني
ولو الى النار وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدني
الشمس اي تقرب يوم القيامة من الخلق حتى يكون منهم اي الشمس والمراد جرمها كمقدار
ميل تقديره حتى يكون مقدار رمح الشمس منهم مثل مقدار الميل ونظيره قوله تعالى
فكان قاب قوسين اي كان قرب رسول الله من جبريل او من مكان القرب مثل مقدار قوسين
وفي شرح السنة قال سليم لا ادري اي الميلين يعني مسافة الارض او الميل الذي
يكحل به العين فيكون الناس على قدر اعمالهم اي السيئة في العرق فمنهم من يكون الى
كعبيه اي تقريبا فيقبل النقصان والزيادة ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم
من يكون الى حقويه الحقو الخصر ومشد الازار ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه اي فمه قال ابن الملك ان قلت اذا
كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل الى كعب الاخر قلنا يجوز ان يخلق الله تعالى
ارتفاعا في الارض تحت اقدام البعض او يقال يمسك الله عرق كل انسان بحسب
عمله فلا يصل الى غيره منه شي كما امسك جرية البحر لموسى عليه السلام قلت المعتمد
هو القول الاخير فان امر الاخرة كله على خرق العادة اما ترى ان شخصين في
قبر واحد يعذب احدهما وينعم الاخر ولا يدري احدهما عن غيره ونظيره في الدنيا انهما
يختلفان في رؤيا فيحزن احدهما ويفرح الاخر كشخصان قاعدان في مكان واحد

احدها

احدهما في غاية الحزن والاخر في اشغل شاغل او احدهما في صحة والاخر في وجع وتلبية رواه
مسلم وعن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اي يوم
القيامة كما في رواية البغوي يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك قال اخرج
بفتح الهمزة وكسر الراء اي اظهر وميز من بين اولادك بعث النار اي جمعا يستحقون البعث اليها
قال وما بعث النار قيل عطف على مقدر اي سمعت واطعت وما بعث النار اي وما مقدار
النار وقيل ما بمعنى كم العددية والاظهر ان الواو استينافية تفيد الربط بين سابقها
ولاحقها قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قيل يخالفه ما في حديث
ابي هريرة من كل مائة تسعة وتسعين واجاب الكرماني بان مفهوم العدد
لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين ويحتمل
حمل حديث ابي سعيد على جميع ذرية ادم فيكون من كل الف عشرة ويقرب من ذلك ان ياجوج
وماجوج ذكروا في حديث ابي سعيد دون حديث ابي هريرة ويحتمل ان يكون الاول
يتعلق بالخلق اجمعين والثاني بخصوص هذه الامة وان يكون ببعث النار الكفار
ومن يدخل النار من العصاة والمذنبين فيكون من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون
كافرا ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيا وهذا هو الاظهر والله اعلم فعنده
اي عند هذا الحكم يشيب الصغير اي من الحزن الكثير والهم الكبير وفي رواية البغوي
فحينئذ يشيب المولود وظهور الشيب اما على الحقيقة او على الفرض والتقدير وهذا
هو الاظهر الملائم لقوله وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى اي من الخوف
وما هم بسكارى من الخمر ولكن عذاب الله شديد ثم اعلم ان هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى
يا ايها الناس اتقوا ربكم اي احذروا بالطاعة عقابه حتى ترجوا ثوابه ان زلزلة الساعة
شيء عظيم والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فيها فقال علقمة والشعبي
هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال الحسن والسدي هي تكون يوم القيامة وقال
ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها اي الساعة او الزلزلة تذهل كل
مرضعة اي تشتغل عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها اي تسقط ولدها من هول ذلك
اليوم قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير
تمام وهذا ظاهر يؤيد قول من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث
لا يكون حبلى ومن قال يكون في القيامة قال هذا على وجه التعظيم للامر لا على حقيقته
كقولهم اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته قالوا يا رسول الله واين ذلك الواحد
ولما استعظموا ذلك الامر واستشعروا الخوف منه قال اي في جوابهم تسلية لفوادهم
ابشروا قال الطيبي لا يخلو هذا الاستفهام من ان يكون يجري على حقيقته او يكون
استعظاما لذلك الحكم واستشعارا رخوف منه فالاول يستدعي ان يجاب بان ذلك الواحد
فلان او متصف بالصفة الفلانية والثاني يستدعي ان يجاب بما يزيل ذلك الخوف

رفقا الناس والثاني هو المراد لقوله ابشروا ولانه قال وانما من امة محمد لله الناجي المفلح
من بين سائر بني ادم فقال ابشروا فان منكم رجلا ومن ياجوج وماجوج بالالف ويهمز
فيهما الف بالرفع بالرفع في الاصول المصححة فالجملة خبر لمبتدإ وقدم الجار لكون المبتدأ نكرة
وفي نسخة السيد عفيف الدين الفا بالنصب وهو ظاهر فانه من باب العطف على معمولي
عاملين مختلفين والمجرور مقدم والمعنى سيوجد بعد كل رجل منكم الف من ياجوج
وماجوج فحينئذ يكثر اهل الجنة وفيه اشعار بان اهل النار اكثر من اهل الجنة ولعل
اهلها يكثرون لوجود الملائكة المقربين والحور العين فصح معنى الحديث القدسي
غلبت رحمتي غضبي زاد البغوي فقال الناس الله اكبر ثم قال والذي نفسي بيده ارجو
ان تكونوا اي انتم ايها الصحابة او ايتها الامة وهو الاظهر ربع اهل الجنة فكبرنا التكبير
للتعجب والفرح التام والاستبشار والاستعظام فقال ارجو ان تكونوا ثلث اهل
الجنة فكبرنا ولعله صلى الله عليه وسلم درج الامر لئلا ينقطع قلوبهم بالفرح الكثير
دفعة اولا لنظر الى دخولهم في دفعات او اوحي اليه وحيا بعد وحي فاخبر بما بشر فقال
ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبرنا قال الطيبي في الحديث تنبيه على ان ياجوج
وماجوج داخلون في هذا الوعيد ويدل عليه قوله ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة ان غير
ياجوج وماجوج من الامم السابقة الفائتة للحصر ايضا داخلون في الوعيد فاذا وزع نصف
امة محمد صلى الله عليه وسلم مع مثله من الامم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من
الالف يدل عليه رواية الراوي قال اي النبي عليه الصلاة والسلام وفي نسخة صحيحة فقال ما انتم
في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور ابيض او كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود والظاهر
ان او للتخيير في التعبير ويحتمل الشك قال الطيبي وقولهم الله اكبر ثلاثا متعجبين استبشار
منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى ويكون هذا الاستعظام بعد ذلك
الاستعظام اشارة الى فوزهم بالبغية بعد الياس منها انتهى ولعل ورود هذا
الحديث قبل علمه صلى الله عليه وسلم بان امته صلى الله عليه وسلم ثلثا اهل الجنة اذ قد
ورد ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون صفا امته صلى الله عليه وسلم والاربعون
سائر الامم ويمكن ان يكون نصفا [بالنسبة] الى الا[illegible] اجمالا اولا والاظهر ان هذا الحديث وقع مختصرا
على ما سياتي الحديث بطوله متفق عليه ورواه النسائي وفي المعالم روي عن عمران بن الحصين
وابي سعيد الخدري ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرأها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم
يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس بين باك او جالس حزين متفكر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله
عز وجل يا ادم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول ادم من كل كم كم فيقول الله عز وجل

من كل

من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فكبر ذلك على المسلمين
وبكوا وقالوا فمن ينجو اذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا
وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه ياجوج وماجوج ثم قال اني لارجو
ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة
فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون
منها امتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة
بل كالشعرة السوداء في الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال
ويدخل الجنة من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع
كل واحد سبعون الفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول
الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة وعنه اي عن ابي سعيد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه قال التوربشتي مذهب اهل
السلامة من السلف التورع من التعرض للقول في مثل هذا الحديث وهو الامثل الاحوط
وقد نقل جمع من العلماء بان الكشف عن الساق مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب
واستعماله فيها شائع ومنه قول الشاعر ؏ عجبت من نفسي ومن اشفاقها ؏ ومن
طراد الطير عن ارزاقها ؏ في سنة قد كشفت عن ساقها ؏ ومنه قوله عز وجل يوم
يكشف عن ساق اي عن شدة وتنكير الساق في الاية من دلائل هذا التأويل ووجه
تعريف الساق في الحديث دون الاية ان يقال اضافها الى الله تعالى تنبيها على انها
الشدة التي لا يجليها لوقتها الا هو او على انها هي التي ذكرها في كتابه انتهى وعند الحاكم
عن ابن عباس في الاية هو يوم كرب وشدة وقال الخطابي المعنى يكشف عن قدرته
التي تنكشف عن الشدة والكرب وقيل الاصل فيه ان يموت الولد في بطن الناقة
فيدخل الرجل يده في رحمها فيأخذه بساقه ليخرجه فهذا هو الكشف عن الساق ثم
استعمل في كل امر فظيع اقول ويمكن ان يكون استعارة وحاصله ان الله تعالى
ياخذهم بالشدائد كمن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في امر خطير فيسجد له
كل مؤمن ومؤمنة اي من كان لشدة يفزعون الى السجدة طالبين رفعها بتلك القرينة
واخرج ابو يعلى بسند فيه ضعف عن ابي موسى مرفوعا في قوله تعالى يوم يكشف
عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا فهذا يشعر بانه تعالى يتجلى للناس تجليا
صوريا وبهذا ينحل الاشكال في كثير من احاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا
والله اعلم ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة المخلص منهما ولذا قال ويبقى من كان يسجد
في الدنيا رياء وسمعة اي نفاقا وشهرة فيذهب اي يقصد ويشرع ليسجد فيعود
اي يصير ظهره طبقا واحدا اي عظما بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض فلا

بقدر والطبق فقار الظهر واحده طبقة يعني صار فقاره واحدا فلا يقدر على الانحناء والمعنى
انه تعالى يكشف يوم القيامة عن شدة ترتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز اهل الاخلاص
والايقان بالسجود عن اهل الريب والنفاق فيجيء اليوم الموعود كما قال تعالى يوم يكشف عن ساق
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود وهم سالمون متفق عليه واخرج الاسماعيلي الحديث بلفظ يكشف عن ساق
قال وهذا اصح لموافقة لفظ القرآن والله سبحانه اعلم وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين الرجل العظيم اي جاها ومالا او طولا وشحما فيكون
قوله السمين عطف بيان له يوم القيامة لا يزن اي لا يعدل ولا يساوي عند الله جناح
بعوضة اي لا يكون له قدر عند الله ومنزلة يقول العرب ما لفلان عندنا وزن
اي قدر لخسته ومنه حديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى
كافرا منها شربة ماء وقال اي النبي عليه الصلاة والسلام او ابو هريرة اقرأوا
اي استشهادا او اعتضادا فلا نقيم لهم اي للكفار يوم القيامة وزنا قيل مقدارا او حسابا
اعتبارا وقيل ميزانا فالتقدير لانه وزن اذ الكفار المخلص يدخلون النار بغير حساب
وانما الميزان للمؤمنين الكاملين والمرائين والمنافقين والله سبحانه اعلم قال
الطيبي فان قلت كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية فان المراد بالوزن في الحديث
وزن الجثة ومقداره قلت الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية وذكر الجثة
والعظم لا ينافي ارادة مقداره ونفخه قال تعالى واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم وان
يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة متفق عليه الفصل الثاني عن ابي
هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اي الارض
اخبارها قال اتدرون ما اخبارها بفتح الهمزة جمع خبر وفي نسخة بكسرها على انه مصدر
اي تحديثها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها بالوجهين ان تشهد على كل عبد وامة
اي ذكر وانثى بما عمل بفتح اوله اي فعل كل واحد على ظهرها وفي نسخة بالضم على انه نائب الفاعل
قوله على ظهرها ان تقول بدل بعض من ان تشهد او بيان وتبيين ما في رواية الجامع تقول
بدون ان او خبر مبتدأ محذوف اي هي يعني شهادتها ان تقول عمل اي فلان علي اي على ظهري
كذا وكذا اي من الطاعة او المعصية يوم كذا وكذا اي من شهر كذا او عام كذا قال فهذه
اي الشهادة او المذكورات اخبارها رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
غريب وكذا رواه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت الا ندم فاغتنموا الحياة قبل الموت واستنفروا
الخيرات قبل الفوت قالوا وما ندامته اي ما وجه تأسف كل احد وملامته يا رسول
الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد اي خيرا وبرا وان كان مسيئا ندم ان لا يكون

نزع

نزع اي كف نفسه عن الاساءة رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف وفي نسخة
على ثلاثة اصناف ويبتدأ الاول بقوله صنفا مشاة بضم الميم جمع ماش وهم المؤمنون
الذين خلطوا صالح اعمالهم بسيئها وصنفا ومنهم السابقون الكاملون الايمان ركبانا
اي على النوق وهو بضم الراء جمع راكب وانما بدأ بالمشاة جبرا لخاطرهم كما قيل في قوله
تعالى فمنهم ظالم لنفسه وفي قوله سبحانه يهب لمن يشاء اناثا او لانهم المحتاجون الى
الشفقة اولا او لارادة الترقي وهو ظاهر وفاقا للتوربشتي فانه قيل لم بدأ بالمشاة
بالذكر قيل اولى السابقة قلنا لانهم هم الاكثرون من اهل الايمان وصنفا وهم
الكفار على وجوههم اي يمشون عليها قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم
اي والعادة ان يمشي على الارجل قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان
يمشيهم على وجوههم يعني وقد اخبرني كتابه بقوله الذين يحشرون على وجوههم
واخباره حق ووعده صدق وهو على كل شيء قدير فلا ينبغي ان يستبعد مثل ذلك
اما بالتخفيف للتنبيه انهم اي الكفار يتقون اي يحترزون ويدفعون بوجوههم
كل حدب اي مكان مرتفع وشوك اي ونحوه من انواع ما يتأذى والمعنى وجوههم وقاية
لابدانهم من جميع الاذى لاجل ان غلت ايديهم وارجلهم والامر في الدنيا عكس ذلك
وانما كان كذلك لان الوجه الذي هو اعز الاعضاء لم يضعه ساجدا على التراب وعدل
عنه تكبرا فجعل امره على العكس قال القاضي قوله يتقون بوجوههم يريد به بيان
هوانهم واضطرارهم الى حيث جعلوا وجوههم مكان الايدي والارجل في التوقي عن مؤذيات
الطرق والمشي الى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها ومما يناسب
المقام على ما يحكى انه روي لبعض الاغنياء انه يمشي بين الصفا والمروة على بغلة
بطريق الخيلاء ثم روي في بعض البادية والصحراء انه يمشي فقيل له في ذلك فقال
لما ركبنا في محل المشي عاقبنا الله بان نمشي في محل الركوب هذا وقد قال تعالى افمن
يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وفسروا بانه يلقى الكافر مغلولا في النار فلا يقدر
ان يدفع عن نفسه النار الا بوجهه رواه الترمذي وكذا ابو داود وابن جرير وابن مردويه
والبيهقي في البعث وحسنه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة اي احواله وان يطلع في اهواله كانه
رأي عين اي فهو رؤية من علم اليقين فليقرأ اذا الشمس كورت اي لفت والقيت في النار
قاله البيضاوي اي لفت بمعنى رفعت او لف ضوءها او القيت عن فلكها وفي الدر عن ابن
عباس اي اظلمت وعن ابي صالح نكست واذا السماء انفطرت اي انشقت واذا السماء انشقت
اي انصدعت والمراد هذه السور فانها مشتملة على ذكر احوال يوم القيامة واهواله
رواه احمد والترمذي وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي والحاكم وصححه

وابن مردويه الفصل الثالث عن ابي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون
ثلاثة افواج قال الطيبي المراد بالحشر هنا ما في قوله صلى الله عليه وسلم اول اشراط الساعة
نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وقوله ستخرج نار من حضرموت او حضرموت تحشر الناس
قلنا يا رسول الله فما تامرنا قال عليكم بالشام فوجا ومنهم الشقا بقون من المؤمنين الكاملين
راكبين طاعمين كاسين قال الطيبي هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم
الى المقصد من الزاد والراحلة وفوجا ومنهم الكفار يسحبهم بفتح الحاء اي يجرهم الملائكة على
وجوههم وهو اما حقيقة واما كناية عن كمال هوانهم وذلهم والاول اظهر لدلالة السياق
واللحاق وتحشر النار بنصب النار في اصل السيد واكثر النسخ وفي نسخة برفعها وفي نسخة
صحيحة وتحشرهم النار بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض اي اليها ومع رفعها على
الفاعلية قال الطيبي اي تحشر الملائكة النار وتلزمهم اياها حتى لا تفارقهم اين باتوا
واين قالوا اي اصبحوا ويصح ان ترفع النار اي وتحشرهم النار وفوجا وهم المؤمنون المذنبون
يمشون ويسعون اي ويسرعون لانهم يمشون بسكينة ووراحة ويلقي الله الآفة على الظهر
اي المركوب تسمية بما هو المقصود منه وتعبيرا عن الكل بالجزء فلا يبقى اي ظهر وفي نسخة
بالتانيث اي دابة وفي نسخة بضم اوله اي فلا يبقي الآفة دابة حتى ان الرجل لتكون
له الحديقة اي البستان يعطيها بذات القتب اي بعوضها وبدلها وهو بفتح القاف والتاء
للجمل اي الا كاف لغيره لا يقدر اي احد عليها اي على ذات القتب لعزة وجودها وهذا
صريح في ان المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة قال الطيبي فينبغي ان يقال لم
ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر وهذا محل ذكره باب اشراط الساعة قلنا تاسيا
لمحي السنة والعجب ان محي السنة حمل الحديث على ما ذهب اليه الخطابي حيث قال وهذا
الحشر قبل قيام الساعة وانما يكون ذلك الى الشام احياء فاما الحشر بعد البعث الى القبور فعلى
خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو كما اخبر انهم يبعثون حفاة
عراة وورد في هذا الباب اثنان في تقدم الجواب على وجه الصواب في كلام التوربشتي في
حديث ابي هريرة اول الباب والحاصل ان ركوب بعض الخواص من الانبيا والاوليا
ثابت في الحشر بعد البعث ايضا وان حديث يبعثون حفاة عراة مبنا على اكثر الخلق او نظر
الى ابتداء الامر والله اعلم رواه النسائي وفي الدر المنثور اخرج احمد والنسائي والحاكم
وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابي ذر انه تلا هذه الاية ونحشرهم يوم
القيامة على وجوههم فقال حدثني الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة
على ثلاثة افواج فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون وفوج تسحبهم الملائكة
على وجوههم انتهى فهذا الحديث صريح الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه في الاية
والحديث بيوم القيامة وبوقوع سحب الملائكة اياهم على وجوههم فالوجه الوجيه
ما اختاره شيخنا التوربشتي لا ما اخطا الخطابي حيث لم يدركه هذا المدرك وانما جاء

الآفة

الآفة من قول ابي ذر هذا الحديث على رواية اصل الكتاب زيادة على ما في رواية
الجامع ويلقي الله الآفة ويمكن دفعه بان يقال لهذا الحديث افراد جمعه وادرجه
فيه بادنى مناسبة فينبغي ان يحمل على المسامحة والله اعلم

باب الحساب والقصاص

والميزان الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص على ما في النهاية اسم من قصه الحاكم
يقصه اذا امكنه من اخذ القصاص وهو ان يفعل به مثل ما فعله من قتل او قطع
او ضرب او جرح الفصل الاول عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليس احد يحاسب يوم القيامة الا هلك اي على تقدير المناقشة والمراد
بالهلاك العذاب قلت اوليس يقول الله اي في حق اهل النجاة فسوف يحاسب حسابا
يسيرا وتمامه وينقلب الى اهله مسرورا فقال انما ذلك العرض بكسر الكاف وجوز الفتح
على خطاب العام وتعظيما لها والمعنى انما ذلك الحساب اليسير في قوله تعالى عرض عمله
لا الحساب على وجه المناقشة لكن من نوقش في الحساب يهلك بالرفع وفي نسخة
بالجزم اي يعذب قال صاحب الفائق يقال ناقشه الحساب اذا عاسره فيه
واستقصى فلم يترك قليلا ولا كثيرا وحاصله ان المراد بالمناقشة الاستقصاء
في المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة في الجليل والحقير والقليل
والكثير ووجه المعارضة ان لفظ الحديث عام في تعذيب كل من حوسب ولفظ الاية
دال على ان بعضهم لا يعذب وطريق الجمع ان المراد بالحساب في الاية العرض وهو ابراز
الاعمال واظهارها فيعرف صاحبها بذنوبه ثم يتجاوز عنها لاظهار الفضل كما ان المناقشة
لبيان ظهور العدل متفق عليه ورواه احمد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر
وابن مردويه واخرج البزار والطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي والحاكم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه يحاسبه الله حسابا
يسيرا وادخله الجنة برحمته وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وفي الجامع
الصغير من نوقش المحاسبة هلك وعن عدي بن حاتم بكسر التاء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد من مزيدة لاستغراق النفي والخطاب للمؤمنين
الا سيكلمه ربه بلا واسطة والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ليس بينه وبينه
اي بين الرب والعبد ترجمان بفتح الفوقية وسكون الراء وضم الجيم ويجوز ضمه اتباعا
على ما في نسخة وكزعفران على ما في القاموس اي مفسر للكلام بلغة عن لغة
يقال ترجمه عنه والفعل يدل على اصالة التاء وفي التهذيب التاء اصلية وليست
بزائدة والكلمة رباعية ولا حجاب اي حاجز وساتر ومانع بينه وبينه يحجبه اي
يحجب ذلك الحجاب العبد من ربه فينظر اي ذلك العبد ايمن منه اي من ذلك الموقف
وقال شارح ضمير منه راجع الى العبد قلت والمال واحد والمعنى ينظر في الجانب

الذي على يمينه فلا يرى إلا ما قدم من عمله أي عمله الصالح مصورا أو جزاءه مقدرا وينظر
أشأم منه أي في الجانب الذي في شماله فلا يرى إلا ما قدم أي من عمله السيء والحاصل
أن المقصد في أيمن وأشأم على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال وقيل نظر اليمين
والشمال هاهنا كالمثل لأن الإنسان من شأنه إذا دهمه أمر أن يلتفت يمينا وشمالا لطلب
الغوث وقال الحافظ العسقلاني ويحتمل أن يكون سبب الالتفات أنه يرجو أن يجد
طريقا يذهب فيها ليحصل له النجاة من النار فلا يرى إلا ما يفضي به إلى النار وينظر
بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه أي في محاذاته وعليها الصراط فاتقوا النار
أي إذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا أحدا ولو بشق تمرة أو تصدقوا
ولو بشق تمرة أي ولو بمقدار نصفها أو ببعضها والمعنى ولو بشيء يسير منها
أو من غيرها فإنه حجاب وحاجز بينكم وبين النار فإن الصدقة حسنة ووسيلة
إلى الجنة متفق عليه وفي الجامع اتقوا النار ولو بشق تمرة رواه الشيخان والنسائي
عن عدي بن حاتم وأحمد عن عائشة والبزار والطبراني في الأوسط والضياء عن أنس
والبزار أيضا عن النعمان بن بشير وعن أبي هريرة والطبراني في الكبير عن ابن عباس
وعن أبي أمامة وروى أحمد والشيخان عن عدي مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة
فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن الله يدني المؤمن بضم الياء أي يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فإنه سبحانه
تعالى عن ذلك والمؤمن في المعنى كالنكرة إذ لا عهد في الخارج ولا يبعد أن يراد به
الجنس فيضع عليه كنفه بفتحتين أي حفظه مستعارا من كنف الطائر وهو
جناحه لأنه يحوط به نفسه ويصون به بيضته ويستره أي عن أهل الموقف كيلا يفتضح
وقيل أي يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزي بين أهل الموقف كما يصنع أحدكم
كنف ثوبه أي طرفه على رجل إذا أراد صيانته وفضاحته وهذا تمثيل قيل
هذا في عبد لم يغتب ولم يعب ولم يفضح أحدا ولم يشهر بفضيحة مسلم بل ستر
على عباد الله وما تتبع عورتهم ولم يدع أحدا يهتك عرض أحد على ملأ من الناس فستره الله
وحفظه تحت كنف حمايته جزاء وفاقا من جنس عمله فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب
كذا في التكرير إشارة إلى التكثير وإيماء إلى أنه عالم بما في الضمير فيقول نعم أي رب حتى
قرره بذنوبه أي جعله مقرا بها بأن أظهرها له وألجأه إلى الإقرار بها ورأى في نفسه
أي ظن المؤمن في باطنه أنه قد هلك أي مع الهالكين وليس له طريق مع الناجين وقال
شارح أي علم الله في ذاته أنه هالك أي المؤمن ويجوز كون ضمير رأى للمؤمن والواو للحال
قال أي الله تعالى سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته
أي بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم بصيغة المجهول على رؤوس الخلائق هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم أي بإثبات الشريك ونحوه ألا لعنة الله على الظالمين أي المشركين

والمنافقين

والمنافقين متفق عليه وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا كان يوم القيامة بالرفع أي وقع وحصل وفي نسخة بالنصب أي إذا كان الزمان
يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم أي موصوف بالإسلام مذكرا كان أو مؤنثا يهوديا
أو نصرانيا أي واحدا من أهل الكتاب فأو للتنويع فيقول أي الله هذا أي الكتابي
فكاكك بفتح الفاء ويكسر أي خلاصك من النار قال التوربشتي فكاك الرهن ما يفك
ويخلص والكسر لغة فيه قال القاضي لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة
ومقعد من النار فمن آمن حق الإيمان بدل مقعده من النار بمقعده من الجنة ومن لم
يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين في مقاعدهم من النار والنائب منابهم
فيها وأيضا لما سبق القسم الإلهي بملء جهنم كان ملؤها من الكفار خلاصا للمؤمنين
ونجاة لهم من النار فهم في ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك ولعل تخصيص اليهود
والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما إياهم في تصديق الرسول
المقتضي لنجاتهم انتهى وقيل عبر عن ذلك بالفكاك تارة وبالفداء أخرى على وجه
المجاز والاتساع إذ لم يرد به تعذيب الكتابي بذنب المسلم لقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر أخرى رواه مسلم عن أبي موسى بلفظ إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى
كل رجل من هذه الأمة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار ورواه الطبراني
في الكبير والحاكم في الكنى عن أبي موسى ولفظه إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى
إلى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا
فداؤك من النار وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء أي
يؤتى بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب وهذا الابتداء في قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب
لأن الإجابة غير التبليغ وهي تحتاج إلى تفصيل لا يحيط بكنهه إلا علمه سبحانه
بخلاف نفس التبليغ لأنه من المعلوم الضرورية البديهية فتسأل أمته أي أمة الدعوة
هل بلغكم أي نوح رسالة ربنا فيقولون ما جاءنا من نذير أي منذر لا منه ولا من غيره مبالغة
في الإنكار توهما أنه ينفعهم الكذب في ذلك اليوم عن الخلاص من النار ونظيره قول
جماعة من الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فيقال أي لنوح من شهودك وإنما طلب الله
من نوح شهداء على تبليغه الرسالة لأمته وهو أعلم به إقامة للحجة وإنافة لمنزلته
أكابر هذه الأمة فيقول محمد وأمته والمعنى أن أمته شهداء وهو مزكي لهم وقدم في
الذكر للتعظيم ولا يبعد أنه صلى الله عليه وسلم يشهد لنوح عليه السلام أيضا لأنه
محل النصرة وقد قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيجاء بكم وفيه تنبيه نبيه أنه صلى الله عليه
وسلم حاضر ناظر في ذلك العرض الأكبر فيؤتى بالرسل وأولهم نوح ويؤتى بشهوده وهم هذه

الامة فتشهدون اي انتم انه اي ان نوحا قد بلغ اي رسالة ربه ونبيكم مزك لكم وانتم
ونبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم استشهادا
بالاية الدالة على العموم في مادة الخصوص وكذلك جعلناكم امة وسطا قيل اي عدولا
وخيارا لانهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حق انبيائهم بالتكذيب
والقتل والصلب وقد صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تفسيرا لوسط فهي لغة يقال هو
من وسط قومه اي خيارهم لتكونوا شهداء على الناس اي على من قبلكم من الكفار ويكون
الرسول اي رسولكم واللام للعوض او اللام للعهد والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم عليكم
شهيدا اي مطلعا او رقيبا عليكم وناظرا لافعالكم ومزكيا لاقوالكم قال الطيبي فان قلت
كيف قال محمد وامته وقد قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
مقدما صلة الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة قلت
الكلام وارد في مدح الامة فالغرض هنا انه يزكيهم فضمن شهد معنى رقب لان العدول
يحتاج الى رقيب يحفظ احوالهم ليطلع عليها ظاهرا وباطنا فيزكيهم ولما كانوا هم العدول
من بين سائر الامم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيدا اي رقيبا مزكيا وهذا لا يدل على انه
لا يشهد على سائر الامم مع ان مزكي الشاهد ايضا شاهد اقول الاظهر ان معنى الاية هو ان
الامة يشهدون على الامم وانه صلى الله عليه وسلم يشهد على هذه الامة وان الانبياء باجمعهم
يشهدون على الكل والله سبحانه اعلم ويؤيده ما اخرجه ابن جرير عن ابي سعيد في قوله لتكونوا
شهداء على الناس بان الرسل قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيدا بما عملتم رواه البخاري
وكذا الترمذي والنسائي واحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن
مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات واخرج سعيد بن منصور واحمد والنسائي وابن
ماجة والبيهقي في البعث والنشور عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان واكثر من ذلك فيدعى
قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من
يشهد لك فيقول محمد وامته فيدعى محمد وامته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون
نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا فذلك قوله وكذلك
جعلناكم امة وسطا الاية واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال انا وامتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من
الناس احد الا ود انه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد انه بلغ رسالة ربه وعن
انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما اضحك فيه
ايماء الى انه لا ينبغي الضحك الا لامر غريب وحكم عجيب قال اي جابر قلنا الله ورسوله اعلم قال
من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الاجارة اي الم تجعلني في اجارة منك
بقولك وما ربك بظلام للعبيد من الظلم والمعنى الم تؤمني من ان تظلم علي قال اي النبي

عليه

علينا الا من يقول اي الله تعالى في جواب العبد بلى قال فيقول فاني اي فاذا اجرتني من الظلم
فاني لا اجيز بالزاء المعجمة اي لا اجوز ولا اقبل على نفسي الا شاهدا مني اي من جنسي لان
الملائكة شهدوا علينا بالفساد قبل الايجاد قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا
نصبه على الحال وعليك معمول له تقدم عليه للاهتمام والاختصاص والباء زائدة في فاعل
كفى واليوم ظرف له او لشهيدا وبالكرام اي وكفى بالعدول المكرمين الكاتبين اي لصحف
الاعمال شهودا قال الطيبي فان قلت دل اداة الحصر على ان لا يشهد غيره فكيف
اجاب بقوله كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين قلت بذل مطلوبه وزاد عليه تاكيدا لو قرر
قال فيختم بصيغة المجهول على فيه اي فمه ومنه قوله تعالى اليوم نختم على افواههم
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وفي اية اخرى يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وفي اية اخرى شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
وهذا معنى قوله فيقال لاركانه اي لاعضائه واجزائه انطقي قال فتنطق اي الاركان
باعماله اي بافعاله التي باشرها بها وارتكبها بسببها ثم يخلى ان يترك بينه وبين الكلام اي
يرتفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام العادي فشهادة الالسنة في الاية يراد بها نوع اخر
من الكلام على خرق العادة والله اعلم به قال فيقول اي العبد بعدا لكن وسحقا بضم
فسكون وبضم اي هلاكا وهما مصدران ناصبهما مقدر والخطاب للاركان اي ابعدكن وسحقكن
فعنكن اي عن قبلكن ومن جهتكن ولاجلكن كنت اناضل اي اجادل واخاصم وادافع
على ما في النهاية وقال شارح اي اخاصم لخلاصكن وانتن تلقين انفسكن فيها والمناضلة
المراماة بالسهام والمراد هنا المحاجة بالكلام يقال ناضل فلان عن فلان اذا تكلم عنه بعذر
ودفع قلت وجواب محذوف دل عليه قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين رواه مسلم واخرج ابو يعلى وابن
ابي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا
كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول
كذبوا فيقال اهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد
عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم ثم يدخلهم النار وعن ابي هريرة قال قالوا اي بعض
الصحابة يا رسول الله هل نرى ربنا الاستفهام للاستخبار والاستعلام يوم القيامة
تقييد للاجماع على انه تعالى لا يرى في الدنيا لان الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية
قال هل تضارون بضم التاء وبفتح وبتشديد الراء على انه من باب المفاعلة او التفاعل من
الضرر والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى هل يحصل لكم تزاحم وتنازع
يتضرر بعضكم من بعض في رؤية الشمس اي لاجل رؤيتها او عندها في الظهيرة وهي نصف النهار

وهو وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله ليست اي الشمس في سحابة تغيم
تحجبها عنكم قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا
قال فوالذي نفسي بيده ولا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية احدهما
قال النووي تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما وفي الرواية الاخرى
هل تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضمها وفي رواية البخاري
لا تضارون ولا تضامون على الشك وقال القاضي البيضاوي التضارون المشدد من
الضر والمخفف من الضير اي يكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية
فيخالف فيها بعضكم بعضا ويكذبه كما لا يشك في رؤية احدهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع
فيها فالتشبيه انما وقع في الرواية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في سائر
كيفياتها ولا في المرئي فانه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدي اليها وفي تضامون بالتشديد
من الضم اي لا ينضم بعضكم الى بعض في طلب رؤيته لاشكاله وخفائه كما يفعلون في الهلال ولا
يحجبكم شيء دون رؤيته فيحول بينكم وبينها وبالتخفيف من الضيم اي لا ينالكم ضيم في رؤيته
فيراه بعض دون بعض بل تستوون فيها واصله تضيمون فنقلت فتحة الياء الى الضاد
فصارت الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف واما المشدد
فيحتمل ان يكون مبنيا للفاعل على معنى لا تضارون اي تتنازعون في رؤيته هذا وقال
الطيبي قوله الا كما تضارون كان الظاهر ان يقال لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون
في رؤية احدهما ولكنه اخرج مخرج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب اي لا تشكون في رؤية القمرين وليس في رؤيتهما شك فلا تشكون فيها البتة
قال اي النبي عليه السلام فيلقى اي الرب العبد اي عبدا من عباده فيقول اي قل بضم
الفاء وسكون اللام وبفتح ويضم اي يا فلان وفي النهاية معناه يا فلان وليس ترخيما له
لانه لا يقال الا بسكون اللام ولو كان ترخيما لفتحوها او ضموها قلت او قيل فلا كما يقال
سحي في سحبة قال سيبويه ليست ترخيما وانما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء
في غير النداء قال في لجة امسك فلانا عن فل بكسر اللام القافية وانما قيل ليس ترخيما لان شرط
مثله ان يبقى بعد حذف النون والالف ثلاثة احرف كمروان وقال قوم انه ترخيم فلان
فحذفت النون للترخيم والالف لسكونها وبفتح اللام ويضم على مذهبي الترخيم الم اكرمك
اي الم افضلك على سائر الحيوانات واسودك اي الم اجعلك سيدا في قومك وازوجك اي الم
اعطك زوجا من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة ومؤانسة
والفة واسخر لك الخيل والابل اي الم اذللهما لك وخصهما بالذكر لانهما اصعب الحيوانات
واذرك اي الم اذرك والمعنى لم ادعك ولم امكنك على قومك ترأس اي تكون رئيسا على قومك
والجملة حال وتربع اي تأخذ مرباعهم وهو ربع الغنيمة وكان ملوك الجاهلية تأخذه
لانفسهم فيقول بلى اي في كل او في الكل قال فيقول اي الرب افظننت اي اعلمت انك ملاقي

بضم الميم

بضم الميم وتشديد الياء المحذوفة العائدة بحذف التنوين والثانية ياء المتكلم المضاف
اليه فيقول لا فيقول فاني قد انساك اي اليوم اترك من رحمتي كما نسيتني اي في الدنيا من
طاعتي قال الطيبي هو مسبب عن قوله افظننت انك ملاقي يعني سودتك وزوجتك وفعلت
بك من الاكرام حتى تشكرني وتلقاني لازيد في الانعام واجازيك عليه فلما نسيتني في الشكر
نسيناك وتركنا جزاءك وعليه قوله تعالى كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
ونسبة النسيان الى الله تعالى اما مشاكلة او مجاز عن الترك ثم يلقى اي الرب الثاني اي من
العبيد فذكر مثله اي قال الراوي ذكر صلى الله عليه وسلم في الثاني مثل ما ذكر في الاول من
سؤال الله تعالى له وجوابه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب امنت بك
وبكتابك ورسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني اي يمدح الثالث على نفسه بخير
ما استطاع فيقول اي الرب ههنا اذا بالتنوين قال الطيبي اذا جواب وجزاء والتقدير
اذا اثنيت على نفسك بما اثنيت اذن فاثبت ههنا كي نريك اعمالك باقامة الشاهد
عليها وقال شارح اي يقول اذن تجزى باعمالك ههنا وقال ابن الملك اي اقر الثالث يظنه
لقاء الله تعالى وعدا انما له الصالحة فيقول ههنا اذا اي قف في هذا الموضع اذا ذكرت
اعمالك حتى يتحقق خلاف ما زعمت ثم يقال له الان نبعث شاهدا عليك ويتفكر
اي العبد الثالث في نفسه من ذا الذي يشهد علي حال تقديره يتفكر في نفسه قائلا
من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه اي فمه فيقال وفي نسخة ويقال لفخذه انطقي
فتنطق فخذه ولحمه وعظامه اي المتعلقة لفخذه بعمله وذلك اي انطاق اعضائه
وبعث الشاهد عليه وقال الطيبي اشار الى المذكور من السؤال والجواب وختم الفم
ونطق الفخذ وغيره ليعذر من نفسه قال التوربشتي ليعذر على بناء الفاعل من الاعذار
والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة اعضائه عليه بحيث
لم يبق له عذر يتمسك به وقيل ليصير ذا عذر في تعذيبه من قبل نفس العبد
وذلك اي العبد الثالث المنافق وذلك الذي سخط بكسر الخاء اي غضب الله عليه رواه
مسلم وذكر حديث ابي هريرة يدخل من امتي الجنة صوابه على ما سبق يدخل الجنة من
امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
في باب التوكل برواية ابن عباس فكأن البغوي رحمه الله ذكر الحديث مكررا باسنادين
احدهما عن ابي هريرة والاخر هناك عن ابن عباس فحذف صاحب المشكاة هاهنا واشار
الى انه ذكرناه بقا برواية ابن عباس تنبيها على ذلك فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله
حديث ابي هريرة وقوله برواية ابن عباس

الفصل الثاني

عن ابي امامة اي الباهلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني ربي ان يدخل الجنة من
الادخال لقوله سبعين الفا والمراد به اما هذا العدد او الكثرة قال الازهري سبعين
في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة جمع السبع الذي يستعمل للكثرة الا ترى انه لو زاد

على السبعين لم يغفر لهم لا حساب عليهم اي لا مناقشة لهم في المحاسبة ولا عذاب اي بالاولى
او ولا عذاب مما يترتب على الحساب مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات بفتح الحاء والمثلثة
جمع حثية من حثيات ربي قال شارح الحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفه
دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم يتفاوت لما يعطي من غير تقدير واضافة الحثيات الى
ربه تعالى للمبالغة في الكثرة قال صاحب النهاية الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة والا
فلا كف ثمة ولا حثي جل الله عن ذلك قوله وثلاث مرفوع عطف على سبعون وهو اقرب وقيل
منصوب عطف على سبعين اي وان يدخل ثلاث قبضات من قبضاته اي عددا غير معلوم
والمعنى يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير معلوم او المراد فيهما جميعا المبالغة
في الكثرة قال الاشرف يحتمل النصب عطفا على قوله سبعين الفا والرفع عطفا على قوله
سبعون الفا والرفع اظهر في المبالغة اذ التقدير مع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات
بخلاف النصب قال التوربشتي الحثية ما يحثيه الانسان بيده من ماء او تراب او
غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة وقد جيء بها هاهنا
على وجه التمثيل واريد بها الدفعات اي يعطي بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى
على العادين حصره وتعداده فان عطاءه الذي لا يضبطه الحساب اوفى واربى من النوع
الذي يتداخله الحساب قلت ويمكن حمله على التجلي الصوري والله اعلم بالصواب
رواه احمد والترمذي وابن ماجه وعن الحسن اي البصري عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس اي على الله يوم القيامة ثلاث عرضات
بفتحتين فيتلى اي ثلاث مرات فاما المرة الاولى فيدفعون عن انفسهم ويقولون لم
يبلغنا الانبياء ويحاجون الله تعالى وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بان يقول كل
فعله سهوا او خطاء او جهلا او رجاء ونحو ذلك وهذا معنى قوله فاما عرضتان فجدال ومعاذير
جمع معذرة ولا يتم قضيتهم في المرتين بالكلية واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير
الصحف كذا هو في سنن الترمذي وجامع الاصول وفي نسخ المصابيح تطاير اي تتطاير
الصحف وهو يتضمن جمع الصحيفة وهو المكتوب وقال شارح المصابيح تطاير الصحف
اي تفرقها الى كل جانب ثم روايته بالمصدر واما على رواية غيره فبالمضارع اي تسرع
وقوعها الى الايدي اي ايدي المكلفين جميعا فاخذ بيمينه واخذ بشماله الفا للتفصيلية
اي فمنهم اخذ بيمينه وهو من اهل السعادة ومنهم اخذ بشماله وهو من اهل الشقاوة
محيبة ثم قضيتهم على وفق البداية ويتميز اهل الضلالة من اهل الهداية
رواه احمد والترمذي وقال اي الترمذي لا يصح هذا الحديث من قبل بكسر ففتح اي من جهة
ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة اي فاسناده منقطع غير متصل لكن قال الشيخ الجزري في
تصحيح المصابيح ان البخاري اخرج في صحيحه للحسن عن ابي هريرة ثلاثة احاديث
وبينها قال واما مسلم فلم يخرج للحسن عن ابي هريرة شيئا نقله ميرك اقول ولا يلزم

من عدم

من عدم اخراج مسلم حديثه عنه انه لا يصح اسناده اذ شرط البخاري وتحقق اللقي ولو
مرة اقوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة وقد رواه اي هذا الحديث بعضهم
اي بعض المخرجين عن الحسن عن ابي موسى يعني فالحديث متصل من طريقه واعتضد باسناده
فان المؤلف ذكر في اسماء رجاله ان الحسن روى عن الصحابة كابي موسى وانس بن مالك وابن
عباس وغيرهم وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله سيخلص بتشديد اللام اي يختار رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر
بضم الشين المعجمة اي فيفتح عليه تسعة وتسعين سجلا بكسرتين فتشديد اي كتابا كبيرا كل
سجل مثل مد البصر اي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد اليه بصر الانسان
ثم يقول اي الرب اتنكر من هذا اي المكتوب شيئا اي مما يفعله اظلمك كتبتي بفتحات جمع
كاتب والمراد الكرام الكاتبون الحافظون اي لاعمال بني آدم فيقول لا يا رب جواب لهما
جميعا او لكل منهما فيقول افلك عذر اي فيما فعلته من كونه سهوا او خطأ او جهلا ونحو
ذلك قال لا يا رب فيقول بلى اي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك ان لك عندنا حسنة
اي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها
ويؤت من لدنه اجرا عظيما واذا قال الله لشيء فهو عظيم وقد قال عمر رضي الله عنه لو كانت
لي حسنة الله كفتني وانه اي الشان لا ظلم عليك اليوم لعله مقتبس من قوله تعالى اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم اي بنقصان اجرك ولا بزيادة عقاب عليك بل لا حكم
الا لله وهو اما بالعدل او بالفضل فتخرج بصيغة المجهول اي فتظهر بطاقة بكسر الباء
اي رقعة صغيرة تثبت فيها مقدار ما يجعل في الثواب ان كان جنسا فوزنه او
عدده وان كان متاعا فقيمته او قيمته وقيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب
الثواب فيكون الباء حينئذ زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر ويروى بالنون وهو
غريب فيها اي مكتوب في البطاقة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
يحتمل ان الكلمة هي اول ما نطق بها واختلف العلماء في ان الاقرار شرط الايمان او شطره
ويحتمل ان تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة وهو الاظهر في مادة الخصوص
من عموم الامة فيقول احضر وزنك اي الوزن الذي لك او وزن عملك او وقت وزنك
او الوزن وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل فيقول
يا رب ما هذه البطاقة اي الواحدة مع هذه السجلات اي الكثيرة وما قدرها بجنبها
ومقابلها فيقول انك لا تظلم اي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر
ان لا ظلم عليك فاحضر الوزن قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله ما هذه البطاقة
ان اسم الاشارة للتحقير كانه انكر ان يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك
السجلات فرد بقوله انك لا تظلم بحقيرة اي لا تحقر هذه فانها عظيمة عنده سبحانه اذ لا يثقل
مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت قال فتوضع السجلات في كفة بكسر فتشديد

اي وزنه من زوجي الميزان وفي القاموس الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح والبطاقة
اي وتوضع في كفة اي في اخرى فطاشت السجلات اي خفت وثقلت البطاقة اي رجحت
والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه وفي الدر اخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه
تلا هذه الاية يعني ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه اجرا عظيما فقال لان تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما
فيها ثم هذا الحديث يحتمل ان تكون البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر
ويحتمل ان تكون مع سائر اعماله الصالحة ولكن الغلبة ما حصلت الا ببركة هذه البطاقة
فلا يثقل بالرفع وفي بعض النسخ بالجزم لا يظهر وجهه بحسب المعنى اي فلا يرجح ولا يغلب
مع اسم الله شيء والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصي
قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ولذكر الله اكبر فان قيل الاعمال اعراض لا يمكن وزنها
وانما توزن الاجسام اجيب بانه يوزن السجل الذي كتب فيه الاعمال ويختلف باختلاف
الاحوال او ان الله يجسد الافعال والاقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات
لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات رواه الترمذي وابن ماجه وعن عائشة رضي الله عنها انها
ذكرت اي في نفسها النار فبكت اي خوفا منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا اي بالخصوص واما الشفاعة
العظمى فهي عامة للخلائق كلها عند الميزان قال اهل الحق الميزان حق قال تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة يضع ميزانا يوم القيامة يوزن به الصحائف التي
مكتوبا فيها اعمال العباد وله كفتان احدهما للحسنات والاخرى للسيئات وعن الحسن
له كفتان ولسان ذكره الطيبي حتى يعلم اي كل احد ايخف ميزانه ام يثقل ظاهره انه
يعم كل احد ولا يستثنى منه نبي ولا مرسل وعند الكتاب اي تطايره وعند عطائه حين
يقال اي يقول من يعطى بيمينه هاؤم اي خذوا اقرؤا كتابيه تنازع فيه الفعلان والهاء
للسكت لبيان ياء الاضافة حتى يعلم اين يقع كتابه افي يمينه ام في شماله من وراء ظهره
كذا في سنن ابي داود وبعض نسخ المصابيح وفي اكثرها ومن وراء ظهره وفي جامع الاصول
ام بدل او والاول اولى واوفق للجمع بين معنى الايتين فاما من اوتي كتابه بشماله
فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه واما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى
سعيرا الكشاف قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من
وراء ظهره وقيل يخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبي وعند الصراط اذا وضع
بين ظهري جهنم اي وسطها وفوقها والمعنى حتى يعلم انه يجاوز بالمرور منها او الورود عنها
او وقع وسقط وزل فيها قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم

ننجي

ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قال النووي مذهب اهل الحق انه
جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب اعمالهم ومنازلهم
والاخرون يسقطون فيها عافانا الله الكريم والمتكلمون من اصحابنا والسلف يقولون انه
ادق من الشعر واحد من السيف وهكذا جاء في رواية ابي سعيد رواه ابو داود قال
السيد جمال الدين اي عن الحسن البصري عن عائشة وهو منقطع الفصل
الثالث عن عائشة رضي الله عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي قدامه فقال يا رسول الله ان لي مملوكين بكسر الكاف اي مماليك وهو يحتمل
الذكور والاناث وفيه تغليب يكذبونني اي يكذبون في اخبارهم لي ويخونونني اي في مالي
ويعصونني اي في امري ونهيي واشتمهم بكسر التاء ويضم وفي المصباح شتم من باب ضرب
وفي القاموس من باب نصر ايضا اي اسبهم واضربهم اي ضرب تاديب فكيف انا منهم اي كيف
يكون حالي من اجلهم وبسببهم عند الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك اي مقدارها وعقابك عطف على
ما خانوك اي ويحسب ايضا قدر شتمك وضربك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم
اي عرفا وعادة كان اي امرك كفافا بفتح الكاف ففي القاموس كفاف الشيء كسحاب مثله
ومن الرزق ما كف عن الناس واغنى وفي النهاية الكفاف الذي لا يفضل عن الشيء ويكون
قدر الحاجة اليه وهذا هو الانسب بالمقام ولذا قال بيانا له لا لك ولا عليك اي ليس
لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب بل فعله مباح ليس عليك جناح فان وفي نسخة
وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم اي اقل منه كان فضلا لك اي عليهم فان قصدت
الثواب تجزى به والا فلا وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم بالجمع هنا وبالافراد فيما سبق
المراد منه الجنس تفنن في الكلام اي اكثر منها اقتص بصيغة المجهول اي اخذ
بمثله لهم اي لاجلهم منك الفضل اي الزيادة فتنحى الرجل اي بعد عن المجلس وجعل
يهتف بكسر التاء اي شرع يصيح ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرأ
قول الله تعالى ونضع الموازين القسط اي ذوات القسط وهو العدل ليوم القيامة اي
في ذلك اليوم فاللام للتوقيت فلا تظلم نفس شيئا اي قليلا من الظلم وان كان اي
العمل او الظلم مثقال حبة اي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على ان كان
ناقصة ورفع نافع مثقال على كان التامة من خردل اتينا بها اي احضرناها والضمير
للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدنا فقال
الرجل يا رسول الله ما اجد لي ولهؤلاء المملوكين قال الطيبي الجار والمجرور هو المفعول الثاني
شيئا اي مخلصا خيرا من مفارقتهم اي من مفارقتي اياهم لان المحافظة على المراعاة المحاسبة
والمطالبة عسر جدا اشهدك انهم كلهم بالنصب على التاكيد ويجوز رفعه على الابتداء
والخبر قوله احرار ونظيره قوله تعالى قل ان الامر كله لله حيث قرئ بالوجهين في السبعة

رواه الترمذي وعن اي عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول في بعض صلاته اي من الفرايض او النوافل او في بعض اجزايها من اول
القيام او الركوع او القومة او السجود او القعدة اللهم حاسبني حسابا يسيرا وهذا
اما تعليم للامة وتنبيه لهم عن نوم الغفلة واما تلذذ بما يقع له من هذه الكلمة واما
خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة وذهوله عن مرتبة النبوة ومنزلة
العصمة قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر اي العبد في كتابه فيتجاوز
بالرفع وينصب اي الله عنه وفي نسخة بصيغة المجهول فيهما انه اي الشان من نوقش الحساب
بالنصب على نزع الخافض اي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة يومئذ يا عايشة
هلك اي عذب ففي الصحاح المناقشة الاستقصاء وفي الحديث من نوقش الحساب
بالنصب على نزع الخافض اي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة يومئذ يا عايشة هلك
اي عذب ففي الصحاح المناقشة الاستقصاء وفي الحديث من نوقش في الحساب عذب
وقد تقدم بعض طرقه رواه احمد قال السيد وابن ماجه واصله في صحيح البخاري قلت
وفي الدر اخرجه احمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه وعن ابي
سعيد الخدري انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني من يقدر اي يقوى
على القيام اي على الوقوف للحساب بين يدي الله سبحانه يوم القيامة الذي قال
الله عز وجل اي في حقه فالموصول صفة ليوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين
قال الطيبي بدل من قوله ليوم عظيم اي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته واظهر
سطوته فهو على الجبارين وروي ان ابن عمر قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم
الناس لرب العالمين بكى نحيبا ولم يقدر على قراءة ما بعده فقال يخفف اي يوم
القيامة على المؤمن اي الكامل او المصلي حتى تكون اي طوله عليه كالصلاة المكتوبة
اي كمقدار ادائها او وقتها والظاهر انه يختلف باختلاف احوال المؤمنين كما اشار
اليه سبحانه بقوله تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف
سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وبقوله فاذا نقر في الناقور
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فمفهومه انه على المؤمنين يصير
يسيرا اما في الكمية واما في الكيفية واما فيهما جميعا حتى بالنسبة الى بعضهم
يكون هو كساعة ومنهم من جعلوا الدنيا ساعة وكسبوا فيها طاعة وعنه اي عن ابي
سعيد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ما طول هذا اليوم اي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه
مع طوله فقال والذي نفسي بيده انه اي الشان ليخفف على المؤمن اي الكامل حتى
يكون اهون عليه من الصلاة المكتوبة اي من ادائها او قيامها يصليها في الدنيا رواهما
اي الحديثين البيهقي في كتاب البعث والنشور وعن اسما بنت يزيد اي ابن السكن [illegible]

عن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس في صعيد اي مكان واحد يوم القيامة
فينادي وفي نسخة فينادي مناد فيقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم اي تتنحى وتتبعد
عن المضاجع وفي الاسناد تجاز ومبالغة لا تخفى اشارة الى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع يدعون ربهم اي داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا اي من سخطه وفي رحمته
او من ناره وفي جنته ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون واختلف في المراد بهم فقيل هم المتهجدون وقيل هم الاوابون ويحتمل ان
يراد بهم من يصلي العشاء والصبح فيقومون اي فيظهرون القيام ويتميزون عن
ساير الانام وهم قليل اي من اهل الاسلام قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
وقال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل من عبادي الشكور فيدخلون
الجنة يحتمل صيغتي الفاعل والمفعول بغير حساب لانهم صبروا على مرارة الطاعة وترك
لذة الراحة وقد قال سبحانه انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ثم يؤمر ساير الناس
الى الحساب اي المحاسبة والمناقشة والعذاب رواه البيهقي في شعب الايمان

باب الحوض والشفاعة

قال القرطبي له صلى الله عليه وسلم حوضان احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة
وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلامهم الخير الكثير ثم الصحيح ان الحوض قبل الميزان
فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان وكذلك حياض الانبيا
في الموقف قلت وفي الجامع ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان
اكون اكثرهم واردة رواه الترمذي عن سمرة وقال الراغب الشفع ضم الشي الى مثله ومنه
الشفاعة وهو الانضمام الى اخر ناصرا له وسايلا عنه واكثر يستعمل في انضمام من هو اعلى
مرتبة الى من هو ادنى ومنه الشفاعة في القيامة الفصل الاول عن انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذا انا بنهر بفتح الهاء
ويسكن اي جدول حافتاه تثنية حافة بتخفيف الفاء جانباه وطرفاه قباب الدر بكسر القاف جمع قبة بالضم
وبجيم اللولو المجوف اي الذي له جوف وفي وسطه خلا ينسكن فيه فقلت ما هذا يا جبريل
اي النهر المذكور على الوصف المسطور قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك اشارة الى
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل من الكثرة والمراد منه الخير الكثير الذي
اعطاه ربه من القران والنبوة او كثرة الامة او ساير المراتب العلية ومنها المقام
المحمود واللواء الممدود والحوض المورود ولا منافاة بل الكل داخل في الكوثر وان
كان اشتهاره في معنى الحوض اكثر فاذا طينته مسك اذفر اي شديد الرايحة قال
الطيبي اي طيب الريح والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف
اليه ويوصف به رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو بالواو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حوضي اي مقداره مسيرة شهر وزواياه جمع زاوية وهي الجانب والناحية

أي أطراف حوضي سواء أي مربع مستو لا يزيد طوله على عرضه وقيل عمقه أيضا ماؤه
استئناف بيان أبيض من اللبن فإذا النحويون يقولون لا يبنى فعل التعجب وأفعل
التفضيل من الألوان والعيوب بل يتوصل إليه بنحو أشد وأبلغ فلا يقال ما أبيض
زيدا ولا زيد أبيض من عمرو وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على منعوه
وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال وريحه أطيب من المسك وكيزانه جمع كوز كنجوم
السما أي في الكثرة والنورانية من يشرب بالرفع وفي نسخة بالجزم قال الطيبي كيف
أن يكون مرفوعا على أن من موصولة ومجزوما على أنها شرطية وقوله منها أي كيزانه
وفي رواية منه أي من الحوض ومن مائه فلا يظمأ برفع الهمز وقيل بالجزم أي فلا يعطش أبدا
فيكون شربه في الجنة تلذذا كأكله تنعما لقوله تعالى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى
وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن حوضي أي بعد ما بين طرفي حوضي أبعد من أيلة بفتح فسكون
تحتية أي أزيد من بعد أيلة وهي بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر
اليمن من عدن بفتحتين ينصرف ولا ينصرف وهو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند قال
الطيبي من الأولى متعلقة بالبعد والثانية متعلقة ببعد مقدر ثم التوفيق
بين هذا الحديث وبين الحديث الآتي ما بين عدن وعمان وهو بفتح المهملة وتشديد
الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعا والمدينة ونحو ذلك بأن ذلك الأخبار على
طريق التقريب لا على سبيل التحديد والتفاوت بين اختلاف أحوال السامعين في
الإحاطة به علما قال القاضي اختلاف الأحاديث في مقدار الحوض لأنه صلى الله
عليه وسلم قدره على سبيل التمثيل والتخمين لكل أحد على حسب ما رآه وعرفه
لهو بضم الهاء ويسكن واللام للابتداء أي لحوضي أشد بياضا من الثلج ولعله صلى الله عليه
وسلم رأى الثلج في أرض الشام وأحلى من العسل باللبن أي المخلوط به ولآنيته جمع إناء
أي أوانيه وظروفه من كيزانه وغيرها أكثر من عدد النجوم وإني لأصد أي أدفع وأمنع الناس
أي المنافقين والمرتدين عنه أي عن الحوض كما يصد الرجل أي الراعي إبل الناس أي الأجانب
عن حوضه أي صيانة عن المشاركة والمخالطة قالوا أي بعض الصحابة أتعرفنا أي
تميزنا من غيرنا يومئذ قال نعم لكم سيما بالقصر وقد يمد وهو العلامة قال تعالى سيماهم
في وجوههم من أثر السجود ليست أي تلك السيما لأحد من الأمم إذ المقصود التمييز
بمنزلة العلة تردون بكسر الراء من الورود أي تمرون علي غرا جمع الأغر وهو من في جبهته
بياض محجلين بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي في يديه ورجليه بياض
من أثر الوضوء بضم الواو أي استعماله وفي نسخة بالفتح أي ماء الوضوء ونصبهما على الحال
والظاهر أن المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الأمة وإن كان الخلاف
موجودا في كون الوضوء هل كان لسائر الأنبياء وأممهم أو للأنبياء أو إنما كان لهذه الأمة وقال

بعضهم

بعضهم وكان أيضا للأنبياء عليهم السلام دون أممهم وفي هذا فضيلة عظمى ومزية
كبرى للأمة المرحومة رواه مسلم وعن أبي هريرة وفي رواية له أي لمسلم عن أنس قال
ترى بصيغة المجهول فيه أي في حوضي أباريق الذهب والفضة لعل اختلاف الوصفين باختلاف
مراتب الشاربين من الأولياء والصالحين كعدد نجوم السما أي من كثرتها وفي أخرى له أي في
رواية أخرى لمسلم عن ثوبان قال سئل أي النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو الظاهر من
السياق عن شرابه أي صفة مشروبه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت
بضم الغين المعجمة وكسر وبتشديد الفوقية أي يصب ويسيل فيه أي في الحوض ميزابان
قال القاضي أي يدفق دفقا متتابعا دائما بقوة فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه
وأصل الغت الضغط والميزاب بكسر الميم وقال الحافظ أبو موسى بفتحها أيضا من وزب
الماء أي سال فأصل ميزاب موزاب قلبت الواو يا لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر وجه
فتح الميم وفي القاموس أزب الماء كضرب جرى ومنه الميزاب أو هو فارسي معرب أي بل الماء فعلى
هذا يجوز أن يهمز الميزاب وأن يبدل همزه يا وقال أيضا وزب الماء سال ومنه الميزاب
وهو فارسي معرب ومعناه بل الماء فعربوه بالهمز ولهذا جمعوه مآزيب يمدانه بضم الميم
وفي نسخة بضم اليا وكسر الميم أي يزيدان الحوض في مائه من الجنة أي من أنهارها
ومن الحوض الذي هو في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر أحدهما من ذهب والآخر من
ورق بكسر الراء ويسكن أي من فضة والقصد بهما الزينة باختلاف لون الأصفر والأبيض
لا لكون الذهب عزيز الوجود هنالك قياسا على ما في الدنيا ويمكن أن يكون ميزاب الذهب
من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن أو أحدهما من الماء والآخر من العسل واللبن
يخلط به في الحوض والله أعلم وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إني فرطكم بفتحتين أي سابقكم ومقدمكم على الحوض قال النووي الفرط بفتح الفاء
والراء وهو الفارط الذي يتقدم الوارد ليصلح لهم الحياض والدلاء والأرشية وغيرها
من أمور الاستقاء فمعناه أنا سابقكم إلى الحوض كالمهيئ لكم من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا
قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث يدل على أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة
من النار ليردن من الورود أي ليمرن علي أقوام أي جماعات أعرفهم ويعرفونني قيل لعل هؤلاء
هم الذين ذكرهم الله حيث قال أصحابي يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني أي من أمتي أو من
أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أي من الارتداد فإن سائر المعاصي لا تمنع
المؤمن من ورود الحوض والشرب من مائه ويدل عليه أيضا قوله فأقول سحقا بضم فسكون
ويضمان سحقا كرر للتأكيد أي بعدا وهلاكا ونصبهما على المصدر والجملة دعاء بالعذاب
لمن غير أي دينه بعدي أي بعد موتي أو بعد قبول ديني والدخول في أمتي متفق عليه
وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون أي توقف المؤمنون يوم
القيامة حتى يهموا بصيغة المفعول أي يحزنوا بذلك أي بسبب ذلك الحبس وفي نسخة

بفتح الياء وضم الهاء على بناء الفاعل وليس بشيء قال التوربشتي هو على بناء المجهول اي يحزنوا
ما المّ بهم من الحبس من قولهم اهمني الامر اذا اقلقك واحزنك فيقولون لو استشفعنا اي
ليت طلبنا احدا يشفع لنا الى ربنا فيريحنا اي يعطينا الراحة ويخلصنا من مكاننا قال الطيبي
لو هي المتضمنة للتمني والطلب وقوله فيريحنا من الاراحة ونصبه بان المقدرة
بعد الفاء الواقعة جوابا للو والمعنى لو استشفعنا احدا الى ربنا فيشفع لنا فيخلصنا مما نحن فيه
من الكرب والحبس قال في اساس البلاغة شفعت له الى فلان وانا شافعه وشفيعه
واستشفعني اليه فشفعت له واستشفع بي قال الاعشى

مضى زمن والناس يستشفعون بي ... فهل لي الى ليلى الغداة شفيع

فيأتون آدم الظاهر ان المراد بهم رؤساء اهل المحشر لا جميع اهل الموقف فيقولون اي بعضهم
انت آدم هو من قوله انا ابو النجم وشعري شعري وهو مبهم فيه فيه معنى الكمال لا يعلم
ما يراد منه فضر بما بعده من قوله ابو الناس خلقك الله بيده اي بلا واسطة او بقدرته
الكاملة وارادته الشاملة واسكنك جنته فيه ايماء الى حصول المال ووصول المنال
وما يميل اليه النفس من حسن المآل واسجد لك ملائكته اي سجود تحية وفيه اشارة
الى كمال الجاه والعظمة وعلمك اسماء كل شيء فيه اشعار باعطاء الفضيلة العظمى والمرتبة
الكبرى قال الطيبي وضع كل شيء موضع اشياء اي المسميات لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها اي
اسماء المسميات ارادة للتقصي اي واحدا فواحدا حتى يستغرق المسميات كلها اشفع
لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا اي هذا المكان العظيم والموقف الاليم فيقول لست
هناكم قيل هنا اذا الحق بها كاف الخطاب يكون للبعيد من المكان المشار اليه فالمعنى انا بعيد
من مقام الشفاعة قال القاضي البيضاوي اي يقول لهم آدم عليه السلام لست في
المكان والمنزل الذي تحسبونني فيه يريد به مقام الشفاعة وقال القاضي عياض
هو كناية عن ان منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا واكبارا لما يسألونه قال
وقد يكون فيه اشارة الى ان هذا المقام ليس لي بل لغيري قال العسقلاني وقد وقع
في رواية فيقول لست لها وكذا في بقية المواضع وفي رواية ليس لصاحبك ذاك وهو
يؤيد الاشارة المذكورة ويذكر خطيئته التي اصاب اي اعتذارا عن التقاعد والتأني
عن الشفاعة والراجع الى الموصول محذوف اي التي اصابها وقوله اكله من الشجرة بالنصب
بدل من خطيئته اي يذكر اكله من الشجرة ذكره البيضاوي وقال الطيبي ويجوز ان يكون بيانا
للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى فسواهن سبع سموات وقد نهي اي آدم عنها اي عن
الشجرة او عن الخطيئة والجملة حال من المفعول ولكن ائتوا نوحا اول نبي بعثه الله الى اهل
الارض استشكلت هذه الاولية بان آدم نبي مرسل وكذا شيث وادريس وغيرهم
واجيب بان الاولية مقيدة بقوله الى اهل الارض ويشكل ذلك بحديث جابر في البخاري
في التيمم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة ويجاب بان العموم لم يكن في اصل بعثته

نوح وانما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى وفيه
نظر ظاهر لا يخفى وقيل ان الثلاثة كانوا انبياء ولم يكونوا مرسلا ويرد عليه حديث
ابي ذر عند ابن حبان فانه كالصريح بانزال الصحف على شيث وهو علامة الارسال انتهى
وفيه بحث اذ لا يلزم من انزال الصحف ان يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال ان
يكون في الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه ويحتمل ان لا يكون فيه امر ونهي بل مواعظ ونصائح
يختص به فالاظهر ان يقال ان الثلاثة كانوا مرسلين الى المؤمنين والكافرين واما
نوح فانما ارسل الى اهل الارض وكلهم كانوا كفارا هذا وقد قيل هو نبي مبعوث اي مرسل
ومن قبله كانوا انبياء غير مرسلين كآدم وادريس فانه جد نوح على ما ذكره المورخون
قال القاضي قيل ان ادريس هو الياس وهو نبي من بني اسرائيل فيكون متأخرا من نوح فيصح
ان نوحا اول نبي مبعوث مع كون ادريس نبيا مرسلا واما آدم وشيث فهما وان كانا رسولين
الا ان آدم ارسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتعليمهم الايمان وطاعة الله وشيثا
كان خلفا له فيهم بعده بخلاف نوح فانه مرسل الى كفار اهل الارض وهذا اقرب من القول
بان آدم وادريس لم يكونا رسولين وقد يقال انه اول نبي بعثه الله بعد آدم على ان
شيثا كان خليفة له فالاولية اضافية او اول نبي بعثه من اولي العزم فالاولية
حقيقية وهذا اوفق الاقوال ووجه يزول الاشكال والله اعلم بالحال وفي شرح مسلم
قال المازري قد ذكر المورخون ان ادريس جد نوح فان قام دليل على انه ارسل ايضا لم يصح
انه قبل نوح لاخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم عليه السلام ان نوحا اول رسول
بعث وان لم يقم دليل جاز ما قالوه وصح ان يحمل ان ادريس كان نبيا مرسلا قال القاضي
عياض وقد قيل ان ادريس هو الياس وانه كان نبيا في بني اسرائيل قال القاضي عياض
وقد قيل ان ادريس هو الياس وانه كان نبيا في بني اسرائيل كما جاء في بعض الاخبار فان
كان هكذا سقط الاعتراض ومثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما الى
من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما ارسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا وكذلك شيث خلفه
بعده بخلاف رسالة نوح الى كفار اهل الارض قال القاضي وقد رأيت ابا الحسن ذهب الى
ان آدم ليس برسول ليسلم من هذا الاعتراض وحديث ابي ذر دال على ان آدم وادريس رسولان
والله سبحانه اعلم فيأتون نوحا فيقول اي على ما في نسخة لست هناكم قال الشارح اي لست
في مكان الشفاعة واشار بقوله هناكم الى البعد من ذلك المكان وفي شرح مسلم للنووي
قال القاضي عياض انما يقولونه تواضعا واكبارا لما يسألونه وقد يكون اشارة من
كل واحد منهم الى ان هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل
على الآخر حتى ينتهي الامر الى صاحبه ويحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم
معينا وتكون احالة كل واحد منهم على الآخر لان يتدرج الشفاعة في ذلك الى نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم ومبادرة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك اجابة لرغبتهم لتحققه ان هذه

الكرامة والمقام له خاصة قال الشيخ محيي الدين والحكمة في ان الله تعالى ألهمهم سؤال
آدم ومن بعده صلوات الله عليهم في الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا صلى الله عليه وسلم
فانهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل ان غيره يقدر على هذا واما اذا سألوا غيره من رسل
الله تعالى واصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع
المنزلة وكمال القرب وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة
المقربين فان هذا الامر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين ويذكر اي نوح خطيئته التي اصاب يعني
سؤاله ربه بغير علم اي قوله ان ابني من اهلي الخ وكان سؤاله انجاء ابنه وكان غير عالم
بانه لا يجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن
ما ليس لك به علم الخ قال الطيبي قوله سؤاله ربه بغير علم فوقع سؤاله هنا موقع
الكلمة في القرينة السابقة وقوله بغير علم حال من الضمير المضاف اليه في سؤاله اي
صادرا عنه بغير علم وربه مفعول سؤاله والمراد بالسؤال قوله ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق طلب ان ينجيه من الغرق والمراد من قوله بغير علم انه سأل ما لا يجوز
سؤاله وكان يجب عليه ان لا يسأل كما قال تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم وذلك انه
قال ان ابني من اهلي وان وعدك الحق اي وعدتني تنجي اهلي من الغرق وان ابني من اهلي
فنجه فقيل له ما شعرت من المراد بالاهل وهو من آمن وعمل صالحا وان ابنك عمل غير
صالح ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر
ثلاث كذبات كذبهن بالتخفيف اي قالهن كذبا قال البيضاوي احدى الكذبات المنسوبات
الى ابراهيم عليه السلام قوله اني سقيم وثانيتها قوله بل فعله كبيرهم هذا والثالثة
قوله لسارة هي اختي والحق انها معاريض ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها اكاذيب
واستنقص من نفسه لها فان من كان اعرف بالله واقرب منه منزلة كان اعظم
خطرا واشد خشية وعلى هذا القياس سائر ما اضيف الى الانبياء من الخطايا قال ابن الملك
الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة في حق غيره كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه استئناف لتعليل وبيان المعنى اعطاه الله التوراة وهي
اول الكتب الاربعة المنزلة وكلمه بلا واسطة وقربه نجيا اي مناجيا له او مناجيا
على انه حال من الفاعل او المفعول قال فيأتون موسى فيقول اني لست هناكم ويذكر خطيئته
التي اصاب قتله النفس اي نفس القبطي وفي نسخة قتل النفس بغير ضمير ولكن ائتوا
عيسى عبد الله ورسوله وروح الله اضافه اليه تشريفا ولانه كان يحيي الموتى وكلمته
اي خلق بامر كن او كلمته في دعوته كانت مستجابة قال فيأتون عيسى فيقول لست
هناكم انما قال كذا مع ان خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه من افتراء النصارى
في حقه بانه ابن الله ونحوه كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق ولكن ائتوا محمدا عبدا

غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي فلم يكن له مانع من مقام الشفاعة العظمى قال
النووي هذا مما اختلفوا في معناه قال القاضي قيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر
عصمته بعدها وقيل المراد به ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو وتأويل حكاه الطبري
واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيه آدم وما تأخر من ذنوب امته وقيل المراد
انه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب قال فيأتوني
بتشديد النون وتخفيفه كما في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اتحاجوني
في الله وقد هدان فأستأذن على ربي اي فأطلب الاذن منه على الادب مع الرب
في داره اي دار ثوابه وهو الجنة وقيل ذلك تحت عرشه قال الطيبي اي فاستأذن
في الدخول على دار ربي فيؤذن لي عليه اي في الدخول على الرب سبحانه قال التوربشتي
اضافة دار الثواب الى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى لهم دار السلام عند
ربهم على ان السلام من اسماء الله تعالى على احد الوجهين واضافتها الى الله تعالى للتشريف
والكرامة والمراد بالاستيذان عليه ان يدخل مكانا لا يقف فيه داع الا استجيب
ولا يقوم به سائل الا اجيب ولم يكن بين الواقف فيه وبين ربه حجاب والحكمة
في نقله النبي صلى الله عليه وسلم عن موقفه ذلك الى دار السلام لعرض الحاجة
هي ان موقف العرض والحساب موقف السياسة ولما كان من حق الشفيع ان يقوم مقام كرامة منه
ثم يبتغ الشفاعة موقعها ارشد صلى الله عليه وسلم الى النقلة عن موقف الخوف في القيمة
الى موقف الشفاعة والكرامة وذلك ايضا مثل الذي يتحرى الدعاء في مواقف الخدمة
ليكون احق بالاجابة قال القاضي عياض معناه فيؤذن لي في الشفاعة الموعود
بها والمقام المحمود الذي اخره الله تعالى له فاعلمه انه يبعثه فيه فاذا رأيته اي
بارتفاع الحجاب وفي المشارق فاذا انا رأيته بزيادة انا قال ابن الملك اي رأيت ربي
وهذا التفات من التكلم الى الغيبة وقعت ساجدا اي خوفا منه واجلالا وتواضعا
له واذلالا او انبساطا له وادلالا فيدعني اي يتركني ما شاء الله ان يدعني اي في
السجود ففي مسند احمد انه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا كذا ذكره السيوطي في حاشية
مسلم فيقول ارفع اي رأسك من السجود محمد اي يا محمد فانك صاحب المقام المحمود وقل
اي ما شئت تسمع بصيغة المجهول اي تقبل قولك او قل ما الحمد من الثناء تسمع اي تجاب
واشفع اي فيمن شئت تشفع بفتح الفاء المشددة اي تقبل شفاعتك وسل اي ما تريد
من المزيد تعطه بهاء السكت وفي نسخة بالضمير اي لفظ ما تسأل فالضمير راجع الى المصدر
المفهوم من الفعل وهو بمعنى المفعول قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد
يعلمنيه بتشديد اللام اي يلهمنيه حينئذ ولا ادريه الآن ثم اشفع قال القاضي
وجاء في حديث انس وحديث ابي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده
والاذن له في الشفاعة بقوله امتي امتي فيحد بضم الياء وفتح الحاء وفي نسخة

بالعكس اي حدا وهو اما مصدر او اسم اي مقدار ا معينا في باب الشفاعة قال التوربشتي
يريد انه يبين لي في كل طور من اطوار الشفاعة حدا اقف عنده فلا اتعداه مثل ان يقول
شفعتك فيمن اخل بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن اخل بالجمعات ثم يقول شفعتك
فيمن اخل بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا الترتيب على الشفاعة
في عظم الذنب على ما فيه من الشفاعة فاخرج من دار ربي فاخرجهم من النار وادخلهم
الجنة قال الطيبي فان قلت دل اول الكلام ان المستشفعين هم الذين حبسوا
في الموقف وهموا وحزنوا لذلك فطلبوا ان يخلصهم من ذلك الكرب ودل قوله فاخرجهم
من النار على انهم من الداخلين فيها فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما
لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سار بهم الى النار من غير توقف وفرقة حبسوا
في المحشر واستشفعوا به صلى الله عليه وسلم فخلصهم مما هم فيه وادخلهم الجنة ثم
شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر كما دل عليه قوله فيحد لي حدا الى
اخره فاختصر الكلام وهو من جلية التنزيل وقد ذكرنا ما اوردنا في فتوح الغيب في سورة
هود ترجع اليه مثل هذا الاختصار قلت مراده انه ذكر الفرقة الثانية
واقتصر على خلاصها لانه يفهم منها خلاص الفرقة الاولى بالاولى وقد يقال انه
من باب الاكتفا وثانيهما ان يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا فيه من الشدة
ودنو الشمس الى روسهم وحرها والجامهم العرق وبالخروج الخلاص منها قلت وهذا
القول وان كان مجازا لكنه الى حقيقة الامر اقرب والى اصل القضية انسب فان
المراد بهذه الشفاعة الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود واللواء الممدود
على ما قاله صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ومحط هذه
الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والامر بالمحاسبة للانام واما له صلى الله
عليه وسلم وكذا الغيرة من الانبيا والاوليا والعلما والشهدا والصالحين والفقرا بعد
ذلك شفاعات متعددة في ادخال بعض المومنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم
الجنة ولو استحقوا دخول النار واخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم
وفي ترفيع درجات بعضهم في الجنة وامثالها ولكن فيه انه لو اريد هذا المعنى لما كررت هذه
القضية مرات على ما لا يخفى اللهم الا ان يقال بتقسيم اهل الموقف من المومنين العصاة
على اقسام ثلاثة وقال ابن الملك تكون الشفاعة اقساما اولها للاراحة من الموقف
وثانيها لادخالهم الجنة بغير حساب وثالثها عند المرور على الصراط ورابعها للاخراج
من النار وذكر في الحديث القسمين وطوى الاخريين من البين والله اعلم ثم اعود اي ارجع
الى دار ربي الثانية اي المرة الثانية فاستاذن على ربي في داره اي فيوذن لي في دخولها
فيوذن لي عليه اي بالدخول عليه فاذا رايته اي ذلك المكان او رايت ربي مع تنزيهه
عن المكان وعن سائر صفات الحدثان وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني اي

في مقام الغنا ثم يقول رد الى حال البقا ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه
قال فارفع راسي فاثني على ربي بثنا وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج
فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود الثالثة فاستاذن على ربي في داره فيوذن لي
عليه فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع
واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع راسي فاثني على ربي بثنا وتحميد يعلمنيه
ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار
الا من قد حبسه القران اي منعه من خروج النار بان اخبر انه مخلد
في دار البوار وهذا معنى قول الراوي للحديث عن انس وهو قتادة من اجلاء التابعين
اي وجب عليه الخلود اي دل القران على خلوده وهم الكفار ومعنى وجب اي ثبت وتحقق
او وجب بمقتضى اخباره تعالى فانه لا يجوز فيه التخلف ابدا ثم تلا اي النبي صلى الله عليه
وسلم او انس او قتادة تذكرا او استشهادا او اعتضادا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
قال اي انس وهو انسب او قتادة وهو اقرب ويحتمل ان فاعله النبي صلى الله عليه وسلم على بعد
وهذا المقام مبتدا وخبر موصوف بقوله المحمود الذي وعده اي الله سبحانه نبيكم وفي نسخة
وعد نبيكم بصيغة المجهول وهذا على ان فاعل قال غيره صلى الله عليه وسلم ظاهر لا اشكال واما
على القول بان القائل هو صلى الله عليه وسلم فتوجيهه انه وضع المظهر موضع المضمر وكان الاصل
ان يقول وعدنيه وقال الطيبي يحتمل ان يكون فاعل قال الراوي وان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم على سبيل التجريد تعظيما لشانه والله سبحانه اعلم متفق عليه وعنه اي عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج اي اختلط واضطرب بعضهم
في بعض اي داخلين فيهم مقبلين مدبرين متحيرين فيما بينهم فياتون ادم فيقولون اشفع
اي لنا الى ربك ليامر بالحساب ثم يجازي بالثواب او العقاب فيقول لست لها اي لست صاحبا
للشفاعة ولا مختصا بها قال الطيبي اللام فيه مثلها في قوله تعالى ملحت الله قال صاحب
الكشاف اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت لهذا الامر اي انت لمن
ويختص به قال انت لها احد من بين البشر وعلى قوله انا لها وقوله ليس ذلك لك
ولكن عليكم بابراهيم اي الزموه فالباء زائدة والمعنى لتشفعوا وتوسلوا به فانه خليل الرحمن
فياتون ابراهيم فيقول اي لعجد قولهم اشفع الى ربك فاختصر للعلم به او قيل ان
يذكروا هذا الامر بنا على كشف القضية عنده لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
اي وبمناسبة الكلام في مرام هذا المقام فياتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم
بعيسى فانه روح الله وكلمته فان روحه مستطابة وكلمته مستجابة فياتون عيسى
فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد اي فانه خاتم النبيين وسيد المرسلين فياتوني بتشديد
النون وتخفف فاقول انا لها فاستاذن على ربي اي على كلامه او على دخول داره فيوذن لي
ويلهمني محامد احمده بها اي حينئذ لا تحضرني الان فاحمده بتلك المحامد وهي جمع حمد على غير قياس

لحما سن جمع حسن اوجمع محدثة واخر بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء اي اسقطه اي الله تعالى
اوتركه ساجدا احال فيقول يا محمد ارفع راسك وقل يسمع واسل تعطه واشفع تشفع فاقول
اي بعد رفع الراس اوفي حال السجود يا رب امتي امتي اي ارحمهم واغفر لهم يوما لفنا مرة
وتفضل عليهم بالكرامة وكرره للتاكيد واريد بهم السابقون واللاحقون فيقال انطلق
اي اذهب فاخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة اي وزنها قال النووي والله اعلم بقدرها
من ايمان المثقال ما يوزن به من الثقل بفتحتين وهو اسم لكل سنج واختلف العلماء
في تاويله حسب اختلافهم في اصل الايمان والتاويل المستقيم هو ان يراد بالامر
المقدر بالشعير والذرة والحبة والخردلة غير الشيء الذي هو حقيقة الايمان
من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب من ثمرات الايمان ولمعان الالتفات ولمعات
العرفان لان حقيقة الايمان الذي هو التصديق الخاص القلبي وكذا الاقرار المقرر
اللساني لا يدخلها التجزي والتبعيض ولا الزيادة ولا النقصان على ما عليه المحققون
وحملوا ما فاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري فانطلق اي فاذهب فافعل
اي ما اذن لي بالاخراج ممن عين وبين لي ثم اعود فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له
ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب
امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة وهي اقل الاشيا الموزونة
وقيل هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤس الابر وقيل النملة الصغيرة او خردلة
من ايمان يحتمل ان يكون او للتخيير او التنويع او للشك فانطلق فافعل ثم اعود
فاحمد بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه
واشفع تشفع فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه ادنى ادنى
ادنى مثقال حبة خردلة من ايمان وكرر ادنى ثلاثا للمبالغة في القلة فاخرجه من
النار فانطلق فافعل ثم اعود الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد
ارفع راسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله
الا الله اي ولو في عمره مرة بعد اقراره للسابق فانه من جملة تمام اللاحق وان الله لا يضيع اجر
من احسن عملا او بالاطلاق حديث من قال لا اله الا الله دخل الجنة فانه يشمل دخولا ولو اخرا
قال الطيبي هو يؤذن بان ما قدر قبل ذلك بمثقال شعيرة ثم بمثقال حبة او خردلة غير الايمان
الذي يعبر به عن التصديق وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الايمان وهو على وجهين
ان يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمانينة النفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه
واثبت لعونه وان يراد بها العمل وان الايمان يزيد وينقص بالعمل وينصر هذا الوجه
حديث ابي سعيد بعد هذا يعني قوله ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من
النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قال اي الله ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي
وكبريائي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قال القاضي اي ليس هذا لك وانما افعل ذلك

لتعظيما

تعظيما لاسمي واجلالا لتوحيدي وهو مخصص لعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي
هريرة اسعد الناس بشفاعتي الحديث على ما سياتي ويحتمل ان يجري على عمومه ويحمل
على حال ومقام اخر قال الطيبي اذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة
وذكرنا ان ما يختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الايمان مع الثمرة من ازدياد اليقين
او العمل فلا اختلاف وقال شارح من علمائنا المحققين المعنى ليس اخراج من قال لا اله
الا الله من النار اليك يعني مفوضا اليك وان كانت لك فيهم كانت شفاعة ولسنا نفعل
ذلك لاجلك بل لانا احقا بانا نفعله كرما وتفضلا ثم انه بين هذا الحديث ان الامر في اخراج
من لم يعمل خيرا قط من النار خارج عن حد الشفاعة بل هو منسوب الى محض الكرم موكول
الى الله والتوفيق بين هذا الحديث وحديث ابي هريرة اسعد الناس الخ اما على الاول
فظاهر لانه اخرجهم الله بشفاعته صلى الله عليه وسلم واما على المعنى الثاني فهو
ان المراد بمن قال لا اله الا الله في الحديث الاول هم الامم الذين امنوا بانبيائهم لكنهم استوجبوا
النار وفي الثاني هم من امته صلى الله عليه وسلم من خلطوا عملا صالحا واخر سيئا متفق عليه
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا
الله خالصا من قلبه اي لا يشوبه شك وشرك ولا يخلطه نفاق وسمعة وريا او لعله شك من الراوي
قيل اسعد هنا بمعنى اصل الفعل وقيل باقي على بابه وان كل احد يحصل له سعادة بشفاعته
لكن المؤمن المخلص اكثر سعادة فانه صلى الله عليه وسلم يشفع في اراحة الخلق من هول الموقف
ويشفع في بعض الكفار كابي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني هو اسعد ممن لم
يكن في هذه المرتبة من الاخلاص البالغ غايته والدليل على التاكيد ذكر القلب اذ الاخلاص
محله القلب ففائدته التاكيد كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه وقال القاضي اسعد هنا
بمعنى السعيد اذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من اهل التوحيد او المراد بمن قال ممن لم يكن
له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فان احتياجه الى الشفاعة اكثر وانتفاعه
بها اوفر قال الطيبي قد سبق ان حلول شفاعته انما هو في حق من اثم ايمانه اما بزيد طمانينة
او عمل ويختلف مراتب اليقين والعمل فيتلونه التفضيل بحسب المراتب ولذلك اكد خالصا بقوله
من قلبه اي خالصا كائنا من قلبه وقد علم ان الاخلاص معدنه ومكانه القلب فذكر القلب
هنا تاكيد وتقرير كما في قوله تعالى فانه اثم قلبه الكشاف فان قلت هلا اقتصر على قوله
تعالى فانه اثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة
هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان ماثما بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة
التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني
ومما عرفه قلبي رواه البخاري وفي رواية الجامع خالصا مخلصا من قلبه ولم يذكر او من
نفسه وعنه اي عن ابي هريرة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جيء بلحم فرفع اليه
الذراع وكانت اي الذراع تعجبه فنهس بالمهملة وقيل بالمعجمة والنهس بالمهملة اي فاخذ

مقدم اسنانه منها اي من الذراع يعني مما عليها بضسنه قال القاضي عياض اكثر الرواة
روه بالسين المهملة ورواه ابن هامان بالمعجمة والنهس بالمهملة الاخذ باطراف الاسنان
وبالمعجمة الاخذ بالاضراس ثم قال انا سيد الناس اي جميعهم من الانبيا وغيرهم يوم القيمة
اي حيث يحتاجون الى شفاعتي في ذلك اليوم لكرامتي عند الله تعالى فاذا اضطروا انتهوا
الى طالبين شفاعتي لهم ويؤيده حديث انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر على ما رواه احمد والترمذي
وابن ماجة عن ابي سعيد يوم يقوم الناس لرب العالمين قال الطيبي بدل من قوله
يوم القيامة وقال ابن الملك يحتمل ان يكون جواب سائل قال ما يوم القيامة قلت
ويمكن ان يكون منصوبا باعني مقدرا او مرفوعا بتقدير مبتدا محذوف هو وهو وفتح
يوم على الحكاية وتدنو الشمس اي تقرب من روس الناس فيبلغ الناس بالنصب
اي فيلحقهم وفي نسخة بالرفع اي فيصلون من الغم اي من اجله وبسببه والكرب
وهو الغم الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليه العرق الحر التام الموجب للعرق
على وجه الالجام ما لا يطيقون اي ما لا يقدرون على الصبر عليه فيجزعون ولا يصبرون
فيقول الناس اي بعضهم لبعض الا تنظرون اي الا تتاملون ولا تتفكرون او لا تبصرون
من يشفع لكم الى ربكم اي ليريحكم من هذا الهم والغم فيأتون ادم وذكر اي ابو هريرة
او النبي صلى الله عليه وسلم حديث الشفاعة اي بطوله كما سبق وقال فانطلق اي فاذهب
فاتي بالمراد فاجيء تحت العرش قيل وجه الجمع بينه وبين حديث انس على يحيى دار ان
يقال داره الجنة والجنة تحت العرش وقيل حديث انس في الجنة وحديث ابي هريرة
في الموقف فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلي ثم قال يا محمد ارفع راسك سل تعطه جملة مستانفة واشفع تشفع
فارفع راسي فاقول امتي يا رب امتي يا رب امتي يا رب ثلاثا اخذ للتاكيد والمبالغة
او اشارة الى طبقات العصاة فقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب
الايمن من ابواب الجنة وهم اي من لا حساب عليهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
اي ليسوا ممنوعين من سائر الابواب بل هم مخصوصون بالعناية بذلك الباب ثم قال
والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين بكسر الميم اي البابين المركبين على مدخل واحد
من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر بفتحتين مصروفا وقد لا يصرف ففي الصحاح
هجر اسم بلد مذكور مصروف وقال شارح هي قرية من قرى البحرين وقيل من قرى المدينة
والاول هو المعول قال المظهر المصراعان الباب المغلقان على منفذ واحد والمصراع
مفعال من الصرع وهو الالقاء وانما سمي الباب المغلق مصراعا لانه كثير الالقاء والدفع
متفق عليه وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط بفتحتين اي بجانبيه يمينا وشمالا
قال التوربشتي يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى والمعنى ان الامانة والرحم
لعظم شانهما وفخامة امرهما مما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هنالك للامين
والخائن والواصل والقاطع فيحاجان عن المحق الذي راعاهما ويشهدان على المبطل
الذي اضاعهما ليتميز كل منهما وقيل ترسل من الملائكة من يحاج لهما وعنهما وفي الحديث
حث على رعاية حقهما والاهتمام بامرهما وقال الطيبي ويمكن ان يحمل الامانة
على الامانة العظمى وهي ما في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
وصلة الرحم صلتها الكبرى وهي ما في قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة الى قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث
معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكانهما اكتنفتا جنبتي الاسلام الذي
هو الصراط المستقيم وفطرتي الايمان والدين القويم رواه مسلم وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم اي في سورته
اي في سورته او حاكيا عنه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي صرن
سبب ضلالة كثير منهم فمن تبعني اي في التوحيد والاخلاص والتوكل فانه مني
اي من اتباعي واشياعي وتمامه ومن عصاني فانك غفور رحيم اي تغفر ما دون الشرك
لمن تشاء وترحم بالتفضل على من تشاء او تغفر للعاصي المشرك بان توفقه للايمان
والطاعة في الدنيا وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى وقال عيسى قال
النووي هو مصدر يقال قال قالا وقولا وقيلا وقد اضاف الى عيسى عطفا
على مفعول تلا قول الله وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك واخره وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم اي لا يغلبك شيء فانك القوي القادر وتحكم بما تشا
فانت الحاكم الذي لا معقب لحكمه او الحكيم الذي يضع الاشيا في موضعها ويتقن
الافعال ويحسنها فرفع اي النبي صلى الله عليه وسلم يديه اي كريمتيه فقال اللهم
امتي امتي اي اللهم اغفر لامتي اللهم ارحم امتي ولعل هذا وجه التكرار او
اريد به التاكيد وقصد به الاولون والاخرون وبكى لانه تذكر النبي صلى الله عليه وسلم
الشفاعة الصادرة عن الخليل وروح الله فرقا لامته فقال الله تعالى يا جبريل
اذهب الى محمد وربك اعلم جملة معترضة حالية دفعا لما يتوهم فسله بالهمز والنقل
ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال اي
بشيء قاله النبي صلى الله عليه وسلم من سبب البكا وهو الخوف لامته فقال الله لجبريل
اذهب الى محمد فقل انا اي بعظمتنا سنرضيك اي سنجعلك راضيا في امتك اي في حقهم
ولا نسوءك اي ولا نحزنك ولا نخزيك في حق الجميع بل ننجيهم ولاجل رضاك نرضيهم
وهو في المعنى تاكيد اذ ربما يتوهم من سنرضيك نرضيك في حق البعض ولذا قال بعضهم

ما يرضي محمد واحد من امته في النار قال الطيبي لعله عليه السلام اتى بذكر التمثيل الذي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقديم الشرط والصيغة الشرطية لان المعنى ان الاصنام اضللن كثيرا من الناس فمن تاب عن عبادتها وتبعني في التوحيد فانه متصل بي فاقبل شفاعتي فيهم فلا بد من تقدير تاب لانه مصحح الشفاعة في حق المشركين قلت انما يحتاج لتقدير تاب في الشرطية الثانية وهي قوله ومن عصاني قال وعن روح الله كذلك لان الضمير في فاغفر لهم راجع الى من اتخذه وامه الهين من دون الله فيكون التقدير ان تغفر لهم بعد ما تابوا من ذلك فانك غفور رحيم قلت لا يلايمه ما قبله وهو قوله ان تعذبهم فانهم عبادك مع ان هذا الكلام يصدر عنه يوم القيامة ولا يمكن تقدير التوبة هناثم الجزاء في الاية انما قوله فانك انت العزيز الحكيم في كلام عيسى واما قوله فانك غفور رحيم جزاء للشرطية الواقعة في كلام ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم ثم قال وعقبه بقوله اللهم امتي امتي ليبين لهم الفرق بين الشفاعتين وبون ما بين المنزلتين وفيه ان هذا البيان يحتاج الى البرهان والتبيان فان الوصل بطريق الكناية ابلغ من التصريح بالدعاء كما هو مقرر عند ارباب الفنا والبقا وكذلك طريق التفويض والتسليم والرضا بالقضا والاظهر بيان للمدعو لا تبيان للمعنى في قوله وتحريره ان قوله امتي امتي متعلق بمحذوف اما التقدير شفعني في امتي وارضني فيها او امتي ارحمهم وارضني بالشفاعة فيهم والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام قلت يحتاج ايضا هذا الكلام الى توضيح المرام قال وهذا يدل على الجزم والقطع قلت الدعا لا يكون بطريق القطع اذ لا حكم على الله سبحانه فما ادا الطيقين في الدعا واحد وليس هذا المقصد حاجة قال والتكرير لمزيد التقرير قلت فتقديم وجز اخروا لا ظهر انه من مستحبات الدعا فان الالحاح من العبد في المسالة لا ينافي الرضا بالقضا قال ومن ثم اجيب في الحديث بقوله انا سنرضيك حيث اتى بان وضمير التعظيم وسين التوكيد ثم اتبعه بقوله لا نسوك لتقرير العبد لتقريره على الطرد والعكس وفي التنزيل ولسوف يعطيك ربك فترضى بدلا من الا تبدا على حرف الاستقبال ولفظة ربك وجمع بين حرفي التوكيد والتاخير فيكون المعنى ولانت سوف يعطيك ربك وان تاخر العطا قوله ربك اعلم من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي ان يتوهم فهو كقوله والله يعلم انك لرسوله في قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال النووي هذا الحديث مشتمل على انواع من الفوائد منها بيان كمال شفقته صلى الله عليه وسلم على امته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في امرهم ومنها البشارة العظيمة لهذه الامة المرحومة بما وعده الله تعالى بقوله سنرضيك في امتك ولا نسوك وهذا من ارجى الاحاديث لهذه الامة ومنها بيان عظم منزلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الله تعالى والحكمة في ارسال جبريل عليه السلام لسواله صلى الله عليه وسلم اظهار الشرف وانه بالمحل الاعلى

فيرضى

فيرضى ويكرم رواه مسلم وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد وعن ابي سعيد الخدري ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي ترون ربنا ذكر السيوطي في بعض تعاليقه ان روية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل احد من الرجال والنساء حتى قيل للمنافقين والكافرين ايضا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة واقول وفيه بحث لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولقوله صلى الله عليه وسلم على ما سياتي حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله اتاهم رب العالمين ولان لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة بل يرتفع به كل حسرة اذ من المعلوم ان النظر لا يوجد دائما لاهل الجنة ايضا قال واما الرواية في الجنة فاجمع اهل السنة على انها حاصلة للانبياء والرسل والصديقين من كل امة ورجال المومنين من البشر من هذه الامة وفي نساء هذه الامة ثلاث مذاهب لا يرين ويرين ويرين في مثل ايام الاعياد دون غيرها وفي الملائكة قولان لا يرون ربهم ويرونه وفي الجن ايضا خلاف هل تضارون بضم التاء وفتحها مع تشديد الراء وتخفيفها قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي ففيه اربعة اوجه لكن فيه نظر لان ضم التاء مع التشديد ظاهر لانه من باب المفاعلة مع احتمال بنائه للفاعل والمفعول وكذلك فتح التاء مع التشديد فانه من باب التفاعل على حذف احدى التائين وهو يتعين ان يكون بصيغة الفاعل واما ضم التاء مع تخفيف الراء فمبني على انه للمجهول ما ضاره يضره او يضوره على ما في القاموس بمعنى ضره واما فتح التاء مع الراء المخففة فلا وجه له بحسب القواعد العربية والمعنى هل تتدافعون وتتزاحمون ليحصل لكم ضرر في روية الشمس بالظهيرة اي وقت انتصاف النهار صحوا اي حين لا سحاب ولا غبار من اصحت السما اذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح وفي القاموس الصحو ذهاب الغيم فقوله ليس معها سحاب تاكيد والمراد بالسحاب الحجاب اعم من ان يكون من جانب الرائي او من جهة المرئي تاكيد اثالث والاظهر منها الاخير بقوله وهل تضارون في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها اي في السما بقرينة المقام وان لم يجر لها ذكر او في جهة روية القمر من السما سحاب اي مانع وحجاب قالوا يا رسول الله قال ما تضارون في روية الله يوم القيامة اريد به الموقف وما بعده من دخول الجنة الا كما تضارون في روية احدهما وفيه مبالغة وتعليق بالمحال اي لو كان في روية احدها مضارة والتشبيه انما هو لمجرد الظهور وتحقق الروية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة والجهة ولعل ذكر الشمس والقمر للاشعار بان روية الله حاصلة للمومنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الانوار وايماء الى تفاوت التجلي الرباني بالنسبة الى الابرار اذا كان يوم القيامة اذن موذن اي نادى مناد ليتبع بتشديد التاء المفتوحة وكسر الموحدة وفي نسخة بالسكون والفتح اي ليعقب كل امة ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام بيان غير الله والانصاب

ذا لم يخرج معنى اتيان الله في هذا اتاهم انه يشهدهم رويته ليتقنوه فيكون معرفتهم له في الاخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته في الدنيا وعلما واستدلالا ويكون طريق الروية بعد ان لم يكن بمنزلة اتيان الاتي من حيث لم يكونوا شاهدوه ثم قوله فماذا تنتظرون اي قلنا لكم ليتبع كل امة ما كانت تعبد فيتبع كلهم اتبع ما عبده فلم انتم ايضا لا تتبعونه وهذا معنى قوله يتبع كل امة ما كانت تعبد فان لفظه خبر ومعناه امر قالوا يا ربنا فارقنا الناس اي الذين عبدوا غير الله فضلا عن ان نعبد ما سواه في الدنيا والمعنى ما اتبعناهم ما دمنا في الدنيا افقر ما كنا اليهم بالنصب على الظرفية اي في افقر اكواننا الى الناس ولم نصاحبهم اي في افعالهم بل قاتلناهم وحاربناهم وعاديناهم وقاطعناهم بمرضاتك ورجا تجلياتك وحاصله انا ما اتبعناهم حينئذ والامر غيب عنا ونحن محتاجون اليهم فكيف نتبعهم الان وقت العيان انهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم قال الطيبي فقرنا ابن ضمير فارقنا وما مصدرية والوقت مقدر قال النووي معناه انهم تضرعوا الى الله تعالى ولجاوا اليه وتوسلوا بهذا القول المشعر بالاخلاص الى الخلاص يعني ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك مثل الاقربا ومن نحتاج اليهم في المعاش والمصالح الدنيوية وهكذا كان داب الصحابة ومن بعدهم من المومنين في جميع الازمان فانهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم اليه واثروا رضى الله تعالى على ذلك وفي رواية ابي هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا اي يتجلى علينا بوجه نعرفه فاذا جاء ربنا اي على ما عرفناه من انه منزه عن الصورة والكمية واللغية والجهة وامثالها عرفناه اي حق المعرفة قيل يشبه والله اعلم ان يكون انما منعهم عن تحقق الروية في الكرة الاولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا من اجل معهم من المنافقين لا يستحقون الروية وهم عن ربهم محجوبون فلما ميزوا عنهم ارتفع الحجب فقالوا عندما راوه انت ربنا وهذا معنى قوله وفي رواية ابي سعيد فيقول هل بينكم وبينه اي بين ربكم اية اي علامة تعرفونه اي بتلك الاية وهي المعرفة والمحبة التي هي نتيجة التوحيد وثمرة الايمان والتصديق فيقولون نعم فيكشف عن ساق بصيغة المجهول وقيل على بناء الفاعل قيل معنى كشف الساق زوال الخوف والهول فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه اي من نحوها وجهتها مخلصا لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء اي حذرا من السيف او خوفا من الناس ورياء اي مراءاة ومسامعة للخلق الا جعل الله ظهره طبقا واحدا وفي شرح مسلم للنووي قوله طبقة واحدة اي صفحة اي صار فقار ظهره واحدة كالصفحة كلما اراد ان يسجد سقط على قفاه قال الشيخ والذي يوضح ما ذكره الامام ابو سليمان ان الدنيا وان كانت دار ابتلاء فقد تحقق الجزاء في بعض الاحوال كما قال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فكذا الاخرة وان كانت دار جزاء فقد يقع فيه الابتدا

جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون الصاد وبضمهما وهي حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى ويذبحون عليها تقربا الى الصنم وكل ما نصب واعتقد تعظيمه من الحجر والشجر فهو النصب الا ينبعا فقوله في النار لان الانصاب والاصنام ملقاة فيها حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله اي واحده من بر اي مطيع صالح وعاص اي فاجر فاسق اتاهم رب العالمين اي اتاهم امره كما اشار اليه بقوله قال اي الرب فماذا تنتظرون اي تنتظرون ويجوز ان يعبر بالاتيان عن التجليات الالهية والتعريفات الربانية بل قيل هو القول الحق وهو بالاعتبار اولى واحق وقيل الاتيان هنا عبارة عن رويتهم اياه لان من غاب عن غيره لا يمكن رويته الا بعد الاتيان فعبر بالاتيان عن الروية مجازا او قيل الاتيان فعل من افعال الله سبحانه سماه اتيانا وقيل المراد باتيان بعض الملائكة قال القاضي عياض وهذا الوجه اشبه عندي بالحديث او يكون معناه ياتيهم الله في صورة الملائكة مخلوقا فانه التي لا تشبه صفات الالهية ليختبرهم فاذا قال لهم الملك او هذه الصورة انا ربكم وراوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وقيل الروية حقيقية غير انا لا نكيف ذلك وقيل كنه معرفتها الى علم الله تعالى وقال التوربشتي اتيان الله في الكتاب مفسر باتيان امره واتيان باسه ولفظ التنزيل يحتمل كلا القولين فاما هذا الحديث فانه يأول على اتيان امره وهو قوله فماذا تنتظرون ومن السلف من يتنزه عن تاويله خشية الخطا مع تمسكه بعروة الوثقى وهو تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما يتحدث به النفس من اوصاف الخلق قال الشيخ الامام ابو الفتوح العجلي في كتاب الاقاويل المشهورة قال البيهقي قد تكلم الشيخ ابو سليمان الخطابي رحمه الله في تفسير هذا الحديث وتاويله بما فيه الكفاية قال ان هذا موضع يحتاج الكلام فيه الى تاويل وتخريج وليس ذلك من اجل انا ننكر روية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من اجل انا ندفع ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر المجي والاتيان غير انا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالا كمجي الاشخاص واتيانها فان ذلك من نعوت الحدث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويجب ان تعلم ان الروية التي هي ثواب الاوليا وكرامة لهم في الجنة غير هذه الروية المذكورة في مقامهم واحتج بحديث صهيب في الروية يعني كما سياتي في باب روية الله تعالى وانما تعرضهم لهذه الروية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده وليس ينكر ان يكون الامتحان اذ ذاك بعد قائما وحكمه على الخلق جاريا حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزا بما يستحقونه من الثواب والعقاب ثم ينقطع اذا حققت الحقائق واستقرت امور العباد قرارها الا ترى الى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وجاء في الحديث ان المومنين يسجدون ويصير ظهور المنافقين طبقا واحدا

قال

اي بالتجلي والسجود ونحوها بدليل ان القبر هو اول منزل من منازل الاخرة يجري فيه
الابتلاء ثم قال فلئن كان معنى الخبر فذاك والا فمعناه ثم ما اراد صلى الله عليه وسلم
مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة وقال النووي هذا السجود
امتحان من الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى يدعون الى السجود فلا يستطيعون
على جواز تكليف ما لا يطاق اقول لا يظهر ما قال المستدل بين من ان التحقيق هو ان التكليف
خاص بالدنيا واما ما يقع في القبر وفي الموقف فانما هو من اثار ذلك قال النووي وقد
يتوهم من هذا الحديث ان المنافقين يرون الله تعالى وانما فيه ان الجمع الذي فيهم
المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحن بالسجود فمن سجد كان مخلصا ومن
لم يقدر عليه كان منافقا وهذا لا يدل على ان المنافقين يرون الله تعالى ثم يضرب
اي يجعل ويمد الجسر بكسر الجيم وبفتح ففي القاموس الجسر الذي يعبر عليه ويكسر والمعنى
موضع الصراط كما في رواية على جهنم اي متنها ووسطها وتحل الشفاعة بكسر الحاء
وبضم اي تنفع ويؤذن فيها ويقولون اي الانبيا والرسل بدليل حديث ابي هريرة
بعد هذا اللهم سلم تكراره مرتين المراد به الكثرة او باعتبار كل واحد من اهل الشفاعة
او للالحاح في الدعا كما هو من ادابه وهو امر مخاطب اي يقول كل نبي امتي اللهم سلم
امتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من افاته امنين من مخافاته فيمر
المؤمنون كطرف العين وفي المصابيح كطرفة العين قال الشارح لعل التلوخة يقال
طرف طرفا اذا اطبق احد جفنيه على الاخر وكالبرق وكالريح وكالطير اي بحسب مقاماتهم
وعلى قدر حالاتهم من انواع الجذبة وقوة الطيران وسرعة الجريان المعبر عنه
بقوله وكاجاويد الخيل هي جمع اجواد وهو جمع جواد وهو الفرس السابق الجيد كذا
في النهاية فتحوا رتبت من جاد اذا اسرع في السير وهو من اضافة الصفة الى الموصوف
وقوله والركاب بكسر الراء عطف على الخيل والمراد بها الابل ولا واحد له من لفظه فناج
الفا للتفريع او التفصيل وقد قسم المارة على الصراط بطريق الاجمال على ثلاث فرق بحسب
مراتبهم في العقيدة والعمل والمعرفة والمحبة فمنهم ناج مسلم بتشديد اللام
المفتوحة اي يخلص من العذاب لا يناله مكروه من ذلك الباب ومخدوش اي ومنهم مجروح
مرسل اي يخلص قال شارح اي الذي يخدش بالكلوب ثم يرسل الى النار من عصاة اهل
الايمان وقوله مرسل اي مطلق من القيد قال العلامة بعد ان يهذبوا منه ومكدوس بالسين
المهملة ومنهم مدفوع في نار جهنم يقال كدس اذا دفع من ورائه فسقط وهم الذين
لا نجاة لهم ولا خلاص لهم المعذبون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو غير صحيح لقوله بعد
المؤمنون اللهم الا ان يقال قوله فناج عطف على قوله فيمر الا انه تفريع له والضمير
في منهم المقدر راجع الى جميع المارة على الجسر وروي بالشين المعجمة من كدشه اذا
ساقه سوقا شديدا وخدشه وجرحه وطرده وروي مكردس اي ملقى في نار جهنم قال

النووي

النووي مكدوس بالسين المهملة هكذا هو في الاصول وكذا نقله القاضي عياض عن اكثر
الرواة قال ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق الشديد وبالمهملة
كون الاشيا بعضها على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها اذا ركب بعضها
بعضا وفي النهاية مكدوس في النار اي جمعت يداه ورجلاه والقي فيها قال الطيبي قسم المارة
على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق فرقة مسلم فلا يناله شي اصلا وفرقة يخدش ثم يرسل
فيخلص وفرقة تكدس ويلقى فيسقط في جهنم وخدش الجلد قشره بعود ونحوه اذا خلص يعني
الا اي نجا المؤمنون من النار اي من وقوعهم فيها فمحصله غاية المرور البعض على الصراط
وسقوط البعض في النار وقال الطيبي حتى غاية قوله مكدوس في نار جهنم اي
يبقى المكدوس في النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه او بشفاعة احد او بفضله
سبحانه وضع المؤمنون موضع الراجع الى المكدوس اشعارا بالعلية وان صفة الايمان
منافية للخلود من النار فوالذي نفسي بيده جواب اذا ما من احد منكم خطاب للمؤمنين
وقوله باشد خبر ما وقوله مناشدة منصوب على التمييز اي اشد مطالبة ومناظرة
وقوله في الحق ظرف للمناشدة وقد تبين لكم صفة للحق لانه في المعنى نكرة اي في حق
تبين ظهر لكم على خصمكم او حال اما من الضمير في اشد واما من الحق وقال شارح حال من
الحق والتقدير ما من احد منكم باشد مناشدة في حال ان تبين لكم الامر الحق وقوله من
المؤمنين متعلق باشد اي باشد مناشدة فكم منكم وقوله لله متعلق بمناشدة وقوله
يوم القيامة ظرف اشد اي يناشدون الله لاخوانهم اي لاجل اخوانهم الذين في النار بالشفاعة
من الجبار الغفار قال النووي معناه ما منكم من احد يناشد الله في الدنيا في استيفاء
حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه والمعتدي عليه باشد منكم مناشدة لله تعالى
في الشفاعة لاخوانكم يوم القيامة وقال شارح من علمائنا معناه ما من احد منكم اكثر
اجتهادا ومبالغة في طلب الحق حين ظهر لكم الامر الحق من المؤمنين في طلب خلاص اخوانهم
العصاة في النار من النار يوم القيامة ثم بين مناشدتهم بقوله يقولون ربنا كانوا
يصومون معنا اي موافقين لنا ويصلون اي صلاتنا ويحجون اي على طريقتنا فيقال
لهم اخرجوا من عرفتم اي بهذه الاوصاف فتحرم بفتح الراء المشددة اي فتمنع صورهم
بتغيرها على النار اي بان تاكلها او تسودها بحيث لا تعرف وجوههم فيعرفهم
المؤمنون الشافعون بسيماهم فيخرجون خلقا كثيرا اي منها ثم يقولون ربنا ما بقي
فيها احد ممن امرتنا به اي باخراجه من ارباب الصيام والصلاة والحج فيقول ارجعوا
فمن وجدتم فيه في قلبه مثقال دينار اي مقداره من خير فاخرجوه كما في شرح السنة
قال القاضي عياض قيل معنى الخير هنا اليقين قال والصحيح ان معناه شي زائد
على مجرد الايمان الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا التجزي لشي زائد عليه
من عمل صالح او ذكر خفي او عمل من اعمال القلب من الشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى

ونية صادقة فيخرجون خلقا كثيرا ثم تقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف
دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر اي لم نترك فيها
اي في جهنم خيرا اي اهل خير قال الطيبي اي من كان فيه شي من ثمرات الايمان من زيادة
اليقين او العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما يوضع العدل موضعه مبالغة
اي فيقال رجل عدل واريد به المعنى المصدري مبالغة على ان المعنى كانه هو بل
هو هو مع انه قد يقال ان العدل مصدر بمعنى العادل او على تقدير مضاف اي صاحب
عدل كذا في قوله تعالى واسأل القرية والله اعلم فيقول الله شفعت الملائكة وشفع
النبيون وشفع المومنون ولم يبق احد اي احد ممن يرحم على احد الا ارحم الراحمين
اي الذي رحمته وسعت كل شي وان رحمة كل احد في جنب اثر رحمته كلا شي فيقبض
قبضة اي ما يسع الكف من النار اي من اهلها فيخرج اي الله منها اي من النار او من جملة
تلك القبضة قوما لم يعملوا خيرا قط اي ليس لهم خير زائد على مجرد الايمان قال النووي
هم الذين معهم مجرد الايمان ولم يوذن فيهم الشفاعة وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب
بالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وفيه دليل على انه لا ينفع من العمل الا ما حضر
له القلب وصحبته نيته وعلى زيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب اهل السنة
قلت المحققون منهم على ان التصديق الذي هو الايمان على التحقيق لا يقبل
الزيادة والنقصان وانما التفاوت في انواره وثمراته وتمام بحثه من حقائق الانباء
ودقائق العرفان ومراتب الاحسان ومنازل العرفان والله اعلم قد عادوا اي الجملة
صفة او حال والمعنى صاروا حمما بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم فيلقيهم اي يامر الله
بالقائهم او يلقيهم بلا واسطة في نهر بفتح الهاء وبسكون اي جدول ما كاين في افواه
الجنة اي في اوائلها وهو جمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع
من العرب على غير قياس وافواه الازقة والانهار اوائلها كذا ذكره الطيبي ويمكن ان يكون
الافواه كناية عن ابواب الجنة وهو المراد بمدخولهما بابها على احسن الهيئة يقال له اي لذلك
النهر نهر الحياة فيخرجون اي من النهر كما تخرج الحبة بكسر الحا فتشديد الموحدة في حميل
السيل بفتح الحاء وكسر الميم اي محموله قال في شرح السنة الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول
التي تنتشر اذا هاجت ثم اذا مطرت من قابل نبتت وقال الكسائي هي حب الرياحين فاما الحنطة
ونحوها فهي الحب والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثاء او طين
فاذا اتفقت فيه الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي اسرع
نابتة نباتا قال النووي وانما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى فالتشبيه
في سرعة الظهور وقال شارح الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوت وقال العسقلاني الحبة
بالكسر بذر الصحراء والجمع حبب واما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب فيخرجون
كاللؤلؤ اي في البياض والصفاء في رقابهم الخواتم جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع والمراد

هنا

هنا علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح كذا قاله
شارح وقال صاحب التحرير المراد بالخواتيم هنا اشيا من ذهب او غيره تعلق في اعناقهم يعرفون بها
فيقول اهل الجنة اي حين راوهم وظهر لهم تلك العلامة هولاء عتقا الرحمن ادخلهم اي الله
الجنة بغير عمل اي عملوه على ما في نسخة صحيحة ولا خير اي من عمل باطن قدموه فيقال لهم
لكم الخطاب للعتقاء اي لكم ما رايتم اي مقدار مد بصركم من الجنة ومثله معه او لكم ما رايتم
مما في نظركم ومثاله معه من الحور والقصور وقال الطيبي فيه حذف اي فينظرون
في الجنة اشيا ينتهي مد بصرهم اليها فيقال لهم لكم ما رايتم ومثاله اقول وفيه ايما الى
قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان اي جنة ظاهرة وجنة باطنة او جنة من جهة
العدل وجنة من جهة طريق الفضل متفق عليه وعنه اي عن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله تعالى اي
للانبيا او لغيرهم من الشفعا او للملائكة ويدل الاظهر لما سيأتي مصرحا في رواية ابي هريرة
من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه اي من النار وقيل بهذا الحديث يظهر
ان من اخرجهم الرحمن بقبضته كانوا مومنين بلا خير وعمل زايد على الايمان دون الكفار كما
يوهمه ظاهر العبارة هناك فانه مخالف للاجماع فيخرجون بصيغة المجهول قد امتحشوا على بنا
الفاعل اي احترقوا والجملة حالية وقيل بالمفعول فكانه جعل متعديا بمعنى المحش
وهو احراق النار الجلد معنى النهاية المحش احراق الجلد وظهور العظم وفي القاموس
امتحش احترق وقال العسقلاني امتحشوا احترقوا وزنا ومعنى وعند بعضهم
بضم المثناة وكسر الحاء ولا يعرف في اللغة امتحشه متعديا وانما سمع لازما مطاوع
محشه وقال النووي هو بفتح التاء والحاء المهملة والشين المعجمة هكذا هو في الروايات
وبه ضبط الخطابي والهروي ونقله القاضي عياض عن شيوخه ومعناه احترقوا
قال القاضي ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء وعادوا حمما فيلقون
في نهر الحياة فينبتون اي تعود ابدانهم اليهم كما تنبت الحبة في حميل السيل الم تروا
اي الم تبصروا او الم تعلموا انها اي الحبة تخرج اي اولا صفرا اي خضرا ملتوية اي
ملفوفة مجتمعة وقيل منحنية متفق عليه وعن ابي هريرة ان الناس قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر اي ابو هريرة معنى حديث ابي سعيد
اي الذي مر قبيل ذلك غير كشف الساق وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة
مرفوعا يضرب الصراط اي يمد بين ظهراني جهنم اي بين طرفيها على ما وافق روايته على متنها
وظهرها وفوقها فاكون اول من يجوز من الرسل بامته الباء للتعدية اي من يجاوزهم عنها
ولا يتكلم يومئذ اي في ذلك المقام الا الرسل قال ابن الملك اراد بقوله يومئذ وقت
جواز الصراط وانما فسرناه بهذا لان ثمة مواطن لا يتكلم فيها الناس قلنا لقوله
هذا يوم لا ينطقون ولكن هنا له مواقف يتكلم فيها عموم الناس ايضا فالحصر نسبي والتقييد

بجنبتيه وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم كرر للتاكيد وفي جهنم اي في اطرافها كلاليب
بلا صرف لكونه على صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم او كلوب بالفتح وتشديد اللام
فيهما وهي حديدة معوجة الراس يختطف بها او يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور او
عود في راسه اعوجاج يجر بها الجمر مثل شوك السعدان بفتح فسكون وهو نبت له
شوك عظيم ويقال شوك حسك السعدان ويشبه حلمة الثدي لا يعلم قدر عظمها
بكسر ففتح اي عظمة تلك الكلاليب الا الله تختطف اي تاخذ الكلاليب بسرعة والطاء
مفتوحة وروي بكسرها والاولى هي الاولى لموافقته القران الذي هو اللغة الفصحى
وقال النووي يروى بفتح الطاء وكسرها اي تخطف الناس باعمالهم اي بسبب اعمالهم
القبيحة او بحسب اعمالهم السيئة فمنهم اي من الناس او من العصاة او من المخطوفين
من يوبق اي يهلك ويحبس بعمله اي القبيح من وبق اي هلك واوبقه غيره ففي النهاية
وبق يبق فهو وبق اذا هلك واوبقه غيره فهو موبق اي يهلك ومنهم من يخردل
بالدال المهملة على صيغة المجهول اي يصرع او يقطع قطعا كالخردلة ففي النهاية
المخردل المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار يقال خردلت اللحم بالدال
والذال اي فصلت اعضاءه وقطعتها قال ابن الملك وقيل يقطع الكلاليب لحمه
على الصراط ويجرح اعضاءه ثم ينجو اي من الوقوع في النار فالكافر يوبق والفاسق
يخردل ثم يتخلص حتى اذا فرغ الله من القضاء اي من الحكم بين عباده بما يستحق
كل من جزاء عمله واراد ان يخرج من اراد ان يخرجه ممن كان يشهد ان لا اله الا الله امر الملائكة
ان يخرجوا من كان يعبد الله اي يوحده او يعرفه بالوحدانية او يعبده على نعت التوحيد
فيخرجونهم ويعرفونهم باثار السجود قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وحرم
الله على النار اي منعها ان تاكل اثر السجود اي من وجوههم قال النووي ظاهر هذا
ان النار لا تاكل جميع اعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان
وقال القاضي عياض المراد باثر السجود الجبهة خاصة والمختار الاول قلت
ويؤيد الثاني ما سبق من القران وما في رواية مسلم الا دارة الوجه وهو المتبادر
مما تقدم فتحرم صورهم على النار فهو المعقول فكل ابن ادم اي اثار افعاله من اعضائه
تاكله النار الا اثر السجود وهذا تاكيد لما قبله فيخرجون من النار قد امتحشوا
اي احترقوا وقد سبق فيصب عليهم ماء الحياة وقد مر انهم يلقون في نهر الحياة ولعل
الاختلاف باختلاف الاشخاص فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل بمحموله ويبقى
رجل بين الجنة والنار وهو اخر اهل النار دخولا مقبل الجنة بالنصب على انه مفعول الدخول
مقبل خبر اخر عطف على اخر او خبر مبتدا اخر هو مقدر اي متوجه بوجهه قبل النار بكسر القاف
وفتح الباء اي الى جهتها فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار اي رده عنها وقد قشبني بفتح
القاف والشين المعجمة والموحدة اي اذاني واهلكني ريحها وقيل سمني واهلكني من

القشيب

القشيب فهو السم المهلك وفي المقدمة اي ملأ خياشيمي والقشب السم ويطلق على الاصابة
بكل مكروه وقال الداودي معناه غير جلدي وصورتي واحرقني ذكاؤها بفتح المعجمة
والمد وفي نسخة صحيحة ذكاها بالقصر صحيحة قال النووي هو بالمد وفتح الذال المعجمة
كذا وقع في جميع روايات الحديث اي لهبها واشتعالها وشدة وهجها والاشهر في اللغة
مقصور وقيل ان القصر والمد لغتان فيقول اي الرب هل عسيت اي يتوقع منك ان فعل
ذلك اي بك والاشارة الى صرف الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها
وهو قوله ان تسال غير ذلك والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سؤال غيره
قال الطيبي فان قلت كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون قلت
معناه انكم يا بني ادم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقض العهد احقاء بان يقال لكم
يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ذلك ام لا وحاصله ان معنى عسى راجع الى المخاطب
لا الى الله تعالى وهو من باب ارخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر في امره وشانه لينصف
من نفسه وبعده للتحقيق اي لا اسالك غير ذلك وعزتك فيعطي اي الرجل ما شاء الله مفعول
ثان ليعطي اي ما قدره وقضاه او ما اراده من عهد وميثاق اي قسم يوثق العهد به
ويؤكد فيصرف الله وجهه عن النار فاذا اقبل بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول
به اي توجه به على الجنة اي بهجتها اي حسنها او كثرة خيرها سكت كذا في الاصول بلا عاطف
بين الفعلين هنا والظاهر ان يكون احدهما جواب اذا والاخر عطف على الشرط او الجزاء
ولعل توجيهه ان قوله راى بهجتها جملة حالية على مذهب من يجوز ولفظ المشارق
فاذا اقبل على الجنة وراها سكت ما شاء الله ان يسكت اي سكوته ثم قال يا رب قدمني
عند باب الجنة اي الى بابها كما سياتي ويمكن ان يكون الظرف حالا مقدرة فيقول الله
تبارك وتعالى اليس اي الشان قد اعطيت العهود والمواثيق ان لا تسال غير الذي كنت
سالت فيقول يا رب لا اكون اشقى خلقك اي لا تجعلني اشقاهم والمراد بالشقاوة
هنا الحرمان اي لا اكون محروما فيقول اي الرب فما عسيت ما استفهامية اي فهل
عسيت ان اعطيت ذلك بصيغة المجهول ان تسال غيره اي غير ذلك فيقول لا وعزتك
لا اسالك غير ذلك تاكيد وبيان لقوله لا وقيل ذلك وفي نسخة صحيحة لا اسال غير ذلك
فيعطي اي الرجل ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه اي الله الى باب الجنة فاذا بلغ
بابها فراى زهرتها بفتح الزاي اي طيب العيش فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها
وما فيها من النضرة اي الحسن والرونق والسرور اي الفرح بما فيها من السرور والقصور
وكثرة الحور والتنعم بالحبور فسكت ما شاء الله ان يسكت بالفاء هنا على ما في جميع نسخ
المشكاة قال الطيبي قوله فسكت كذا في صحيح البخاري واكثر نسخ المصابيح فعلى هذا
جواب اذا محذوف والمعنى اذا راى ما راى تحير فسكت ونظيره قوله تعالى وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها انتهى وقيل الواو زائدة

مفعول به

وتسمى واو الثمانية نحو قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ابو البقاء الواو
زائدة عند قوم لان الكلام جواب حتى اذا وليست زائدة عند المحققين والجواب
محذوف تقديره اطمأنوا او نحو ذلك فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك
وتعالى ويلك يا ابن آدم قال شارح ويلك منصوب على المصدر لا غير ان اضيف وان
لم يضف يرفع على الابتداء وينصب باضمار الفعل مثل ويل لزيد وويلا لزيد اي اهلك
الله اهلاكا او هلكت هلاكا ما اغدرك بالغين المعجمة والدال المهملة وما فيه للتعجب
اي ينبغي ان يتعجب منك لكثرة غدرك في عهودك بان لا تسال في غيرك ويجوز ان
تكون ما للاستفهام والهمزة للصيرورة اي اي شيء صيرك غادرا في عهودك وفي
نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة اي اي شيء جعلك في هذا السؤال معذورا
اليس قد اعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي اعطيت بصيغة المجهول
فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك قال الطيبي فان قلت كيف طابق هذا الجواب
قوله اليس قد اعطيت العهود والميثاق قلت كانه قال يا رب بلى اعطيت العهود
والميثاق ولكن تاملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقولك لا تيأسوا من روح الله
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فوقفت على اني لست من الكفار الذين
ايسوا من رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسالت ذلك فكانه تعالى رضي
عنه بهذا القول فضحك انتهى وهذا معنى قوله فلا يزال يدعو حتى يضحك الله
اي يرضى منه اي من احواله وبسبب كلامه ودعائه فاذا ضحك اذن له في دخول الجنة
فيقول تمن امر مخاطب فيتمنى اذا انقطع امنيته بضم همز وتشديد يد تحتيه اي
اي مطلوبه ومتمناه قال الله تعالى تمن من كذا وكذا قال المظهر من فيه للبيان يعني
تمن من كل جنس ما تشتهي منه قال الطيبي ونحوه يغفر لكم من ذنوبكم ويحتمل ان تكون
من زائدة في الاثبات على مذهب الاخفش وقوله اقبل يذكره ربه بدل من الجملة
السابقة على سبيل البيان وربه يتنازع فيه العاملان انتهى واقبل بمعنى شرع
ويذكره بتشديد الكاف اي يلهمه ويلقنه ربه ما ينبغي ان يساله فيتمنى حتى اذا
انتهت به الاماني اي انقطعت ولم يبق له امنية قال الله لك ذلك اي مساولك ومأمولك
ومثله معه اي تفضلا عليك وفي رواية ابي سعيد قال الله لك ذلك اي ما تمنيته
وعشرة امثاله اي في الكيفية وان كان مثله في الكمية وبهذا يرتفع التدافع
ويندفع التمانع والله سبحانه اعلم متفق عليه وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة قال الطيبي
الفاء يجوز ان يكون تفصيلية ابهم اولا دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها ثانيا
وان يكون للتعقيب الاخبار وان تقدم ما بعدها عليها قبلها في الوجود وقوعا
موقع ثم في هذا المعنى لانه تخيل اخبارهم عقيب هذا القول حاله فهو يمشي تخيل دخوله

في الجنة مرة ويكبو بضم الموحدة اي يقف وقيل يسقط لوجهه مرة اي اخرى وتسفعه النار
بفتح الفاء اي تحركه مرة او تجعله علامة من سواد الوجه وزرقة العين يقال سفع من النار
اي علامة منها وسفعت الشيء اذا جعلت عليه علامة قال ابن الملك اي تلفحه لفحا يسيرا
فيتغير لون بشرته وقيل اي تعلمه علامة اي اثرا منها وفي القاموس لفحة النار بحرها
كمنعه احرقته وسفع الشيء كمنعه اعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحا يسيرا
فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك اي تعظم وتعالى او تكاثر خيرا الذي نجاني منك
هذا فرح بما اعطاه من النجاة وقوله لقد اعطاني الله شيئا ما اعطاه احدا من الاولين
والآخرين جواب قسم محذوف اقسم من الفرح اذ نجاته نعمة ما ظفر بها احد من العالمين ولعل
وجهه انه ما راى احدا مشاركا له في خروجه من النار ولم يدر ان الابرار في نعيم دار القرار
فترفع له شجرة اي عندها عين ماء لما سياتي فيقول اي رب واي في الاصل لنداء القريب
وبالبعيد فتارة ينظر الى قرب الرب من العبد كما قال سبحانه ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وتارة يراعي بعد العبد من الرب كما قيل ما للتراب ورب الارباب ادنني امر
من الادناء اي قربني من هذه الشجرة فلاستظل بكسر اللام الاولى ونصب الفعل قال
الطيبي الفاء سببية واللام مزيدة او بالعكس يعني او الفاء مزيدة واللام للعلة
ففيه مسامحة لا يخفى ثم في الكلام تجريد والمعنى لانتفع بظلها واشرب من مائها
فيقول الله يا ابن آدم لعلي ان اعطيتكها اي مسالتك او امنيتك سالتني غيرها هو
جواب الشرط وهو دال على خبر لعل فيقول لا يا رب ويعاهده ان لا يساله غيرها وربه يعذره
بفتح الياء وبضم اي يجعله معذورا وفي النهاية وقد يكون اعذر بمعنى جعله موضع العذر
وفي المشارق عذرته واعذرته اي قبلت عذره وفي المصابيح عذرته فيما صنع عذرا
من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور واعذرته بالالف لغة واعتذر اي طلب
قبول معذرته واعتذر عن فعله اي اظهر عذره لانه اي العبد يرى ما لا صبر له عليه
كذا في الاصول مرتين الاوليين وكذا في الثالثة في بعض الاصول وفي اكثرها عليها بتاويل
النعمة وعلى بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي وقدره السيوطي في حاشيته على
مسلم فيدنيه منها اي فيقربه من الشجرة فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع
له شجرة اي اخرى هي احسن من الاولى لانه اراد له الترقي من الادنى الى الاعلى فيقول اي
رب ادنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها واستظل بظلها الواو لمطلق الجمع لان الظاهر ان
الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها لا اسالك غيرها قال الطيبي هو حال تنازع فيه
استظل واشرب فيقول يا ابن آدم الم تعاهدني ان لا تسالني غيرها فيقول اي الرب لعلي ان
ادنيتك منها تسالني بالرفع اي تطلبني غيرها فيعاهده ان لا يساله غيرها وربه يعذره
لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة
اي ثالثة عند باب الجنة هي احسن من الاوليين فيقول اي رب ادنني من هذه فلاستظل

يظلها واشرب من مائها لا اسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ان لا تسألني غيرها
قال بلى يا رب هذه منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده اي هذه اسألك لا اسألك غيرها
حال او استيناف وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه وفي بعض النسخ عليها وقد سبق
الكلام عليها فيدنيه منها فاذا ادناه منها سمع اصوات اهل الجنة اي في مضاحكتهم
مع ازواجهم ومحاورتهم مع اصحابهم فاراد الاستيناس بهم او في غنائهم فاراد التلذذ
والتفرج بانغامهم فيقول يا رب ادخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك بفتح الياء
وسكون الصاد المهملة قال صاحب النهاية وفي رواية ما يصريك مني اي ما يقطع مسألتك ويمنعك
من سؤالي يقال صريت الشيء اذا قطعته وصريت الماء جمعته وحبسته انتهى والمعنى
قد كررت سؤالك مع معاهدتك ان لا تسأل فماذا يقطع سؤالك عني ويرضيك قال
التوربشتي صرى عنه شره دفع وصريته منعته وصرى ما بينهم صريا اي فصل يقال
اختصمنا الى الحاكم فصرى ما بيننا اي قطع ما بيننا وفصل وحسن ان يقال ما يفصل
بيني وبينك اي ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك والمعنى اني اجبتك الى
مسألتك كرة بعد اخرى واخذت ميثاقك ان لا تعود ولا تسأل غيره وانت لا تفي بذلك
فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية ويكون على وجه المجاز والاتساع
والمبتغى منه التوقيف على فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده حتى اجراه
يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث على الاستزادة قال وفي كتاب المصابيح ما يصريني
منك وهو غلط والصواب ما يصريك مني كذا رواه المتقنون من اهل الرواية قال
المظهر يمكن ان يحمل على القلب فاصله ما يصريك مني وقلب للعلم به والقلب شائع
في كلامهم ذائع فيما بينهم قال الطيبي الرواية صحيحة والمعنى صحيح على
سبيل الكناية قال النووي ما يصريني منك بفتح الياء واسكان الصاد المهملة
كذا في صحيح مسلم وروي في غير مسلم ما يصريك مني قال ابراهيم الحربي هو الصواب
وانكر الرواية التي في صحيح مسلم وغيره وليس كما قال بل كلاهما صحيح وان السائل
متى انقطع من المسؤول انقطع المسؤول منه والمعنى اي شيء يرضيك ويقطع
السؤال بيني وبينك ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها قال اي رب اتستهزئ
مني اي تجعلني محل الاستهزاء بي وانت رب العالمين والجملة حالية والاستهزاء بالشيء
اذا اسند الى الله تعالى يراد انزال الهوان عليه واحلاله اياه محل المستهزأ به كذا ذكره شارح
وفي شرح مسلم للنووي هذا وارد من السائل على سبيل الفرح والاستبشار قال القاضي
عياض هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما ناله من السرور ولم يخطر بباله فلم يضبط
لسانه دهشا وفرحا وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ونحوه حديث التوبة
قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح انت عبدي وانا ربك انتهى
وتوضيحه ما ذكره ابن الملك ان قيل كيف صدر منه هذا القول بعد كشف الغطاء

واسئلوا

واسئلوا العالم والجاهل في معرفة الله فيما يجوز على الله وما لا يجوز قلنا مشابهة
هذا العالم مشابهة العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح بما آتاه الله فيزل لسانه
من شدة الفرح كما اخطأ في القول من ضلت راحلته بارض فلاة عليها طعامه وشرابه ثم
فايس منها ثم بعد ما وجدها واخذ بخطامها قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا
ربك فضحك ابن مسعود فقال الا بالتخفيف تسألوني بتشديد النون وتخفيفها مم اضحك
اي من اي شيء اضحك فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا مم تضحك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ضحك رب العالمين حين قال
له اتستهزئ مني وانت رب العالمين قال التوربشتي الضحك من الله ومن رسوله
صلى الله عليه وسلم وان كانا متفقين في اللفظ فانهما متباينان في المعنى وذلك
ان الضحك من الله سبحانه يحمل على كمال الرضا عن العبد وارادة الخير ممن يشاء من عباده
ان يرحمه وقال القاضي وانما ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجابا وسرورا
بما رأى من كمال رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه وانما ضحك ابن
مسعود وكان اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله هكذا ضحك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت الظاهر انه لاحظ المعنى الموجب للضحك لا انه مجرد تقليد
وحكاية لفعله صلى الله عليه وسلم فانه ليس امرا اختياريا ولا يصدر من غير باعث من
قول عجيب او فعل غريب فيقول اني لا استهزئ منك ولكني على ما اشاء قادر وفي
نسخة قدير قال الطيبي فان قلت مم استدركه قلت عن مقدر فانه تعالى لما قال
له ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها معها فاستبعده العبد لما رأى انه ليس
اهلا لذلك وقال اتستهزئ بي قال سبحانه وتعالى نعم كنت لست اهلا له
لكني اجعلك اهلا لها واعطيك ما استبعدته لاني على ما اشاء قدير رواه مسلم
اي عن ابن مسعود وفي رواية له اي لمسلم عن ابي سعيد نحوه اي نحو المروي
عن ابن مسعود الا انه اي ابا سعيد لم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك الى
آخر الحديث وزاد اي نقص من الحديث وزاد فيه ويذكره الله بالتشديد اي يعلمه
سل كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة امثاله قال اي
النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدخل اي العبد بيته اي قصره فيدخل عليه زوجتاه
من حور العين قال النووي زوجتاه بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت في الرواية
والاصول وهي لغة صحيحة معروفة فتقولان الحمد لله الذي احياك لنا واحيانا لك
اي خلقك لنا وخلقنا لك ووضع احيا موضع خلق استبعادا بالخلود وانه تعالى جمع بينهما
في هذه الدار التي لا موت فيها وانها دائمة السرور والحياة قال تعالى وان الدار
الآخرة لهي الحيوان قال اي النبي عليه السلام فيقول اي العبد ما اعطي احد مثل ما اعطيت
اي لعدم اطلاعه على اعطاء غيره الله والله اعلم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال ليصيبن اي والله ليدركن وليمسن اقواما سفع من النار بفتح فسكون اي سواد
من لفح النار او علامة منها كذا في المقدمة وقيل احراق فالتنكير منها بذنوب اي بسببها
وقوله اصابوها صفة ذنوب وقوله عقوبة مفعول له ثم يدخلهم الله الجنة بفضله
ورحمته كذا في اصل السيد وبعض النسخ وفي بعضها بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون
قال الطيبي ليست التسمية بها تنقيصا لهم بل استذكارا ليزدادوا فرحا الى فرح وابتهاجا الى
ابتهاج وليكون ذلك علما لكونهم عتقاء الله تعالى رواه البخاري وكذا ابو داود والترمذي
وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج قوم وفي نسخة
اقوام من النار بشفاعة محمد وفي نسخة صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة بصيغة المفعول
وقيل بالفاعل ويسمون الجهنميين وفي المصابيح الجهنميون قال شارح له الرواية
بالواو وحقه الياء لانه مفعول يسمون ويحتمل ان يكون الجهنميون بالواو علما لهم فلم يغير
رواه البخاري وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجه وعن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا منها واخر اهل الجنة
دخولا اي فيها والظاهر انهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح ولا يبعد ان يكون
احترازا مما عسى ان يتوهم من حبس احد في الموقف من اهل الجنة حينئذ والله اعلم
رجل يخرج من النار حبوا حال او مصدر من حبا الصبي اذا مشى على اربع او دب على استه
اي زحفا كما في رواية فيقول الله اي له اذهب فادخل الجنة فياتيها اي فيجيء قريبا
منها او فيدخلها فيخيل اليه من تصوير تعالى انها اي الجنة ملأى تانيث ملآن فيقول اي
رب وجدتها ملأى يعني وليس لي مكان فيها فيقول اذهب فادخل الجنة المراد بها جنته
او جنة مخصوصة فان لك مثل الدنيا اي في سعتها وقيمتها وعشرة امثالها اي زيادة
عليها في الكمية والكيفية وفيه ايماء الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
فالمؤمن حيث ترك الدنيا وهي ما زرته كالحبس في حقه جوزي بمثلها عدلا وباضعافها
فضلا فيقول اتسخر بفتح الخاء اي تستهزئ مني او تضحك شك من الراوي وانت الملك
القدوس الجليل فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت اي ظهرت نواجذه
اي اواخر اضراسه وكان يقال الظاهر ان هذا كلام عمر اذ ومن بعده من الرواة فالمعنى
وكان يقول الصحابة او السلف ذلك ادنى اهل الجنة منزلة متفق عليه وعن
ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة اي فيها
واخر اهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا بكسر الهمزة والراء اي
اظهروا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها اي بمحوها او باخفائها فتعرض عليه صغار
ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا اي في الوقت الفلاني كذا وكذا اي من عمل السيئات
وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا اي من ترك الطاعات فيقول نعم اي في كل منها وبعدها حياء
لا يستطيع ان ينكر اي شيئا منها استئناف او حال وهو اي الرجل مشفق اي خائف من

كبار

كبار ذنوبه ان تعرض اي تلك الكبائر عليه لان العذاب المترتب عليها اكثر واكبر فيقال
له فان لك مكان كل سيئة حسنة وهو اما لكونه تائبا الى الله تعالى وقد قال تعالى الا من تاب
وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لكن يشكل بانه كيف يكون اخر
اهل النار خروجا ويمكن ان يقال فعل بعد التوبة ذنوبا واستحق بها العقاب واما وقع التبديل
له من باب الفضل من رب الارباب والثاني الظاهر ويؤيده انه حينئذ يطمع في كرم الله
سبحانه فيقول رب قد عملت اشياء اي من الكبائر لا اراها ههنا اي في الصحائف وفي
مقام التبديل ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
رواه مسلم وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار اربعة
قال ابن الملك هم الاخرون منها فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت احدهم
فيقول اي رب لقد كنت ارجو اذ اخرجتني منها ان لا تعيدني فيها قال فينجيه
بالتخفيف وبالتشديد اي فيخلصه الله منها رواه مسلم قال الطيبي ولعل هذا
الخروج والله اعلم بعد الورود والمعني بقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل معنى
الورود الدخول فيها وهي خامدة فيعبرها المؤمن وتنهار بغيرهم واليه الاشارة
بقوله في الحديث الذي يليه وهو قوله وعن ابي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا وذكر من الاربعة
واحد وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتمادا على المذكور لان العلة متحدة
في الاخراج من النار والنجاة منها ولانه الكافر لا خروج له الجنة فيدخل مرة اخرى
ولهذا قال حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة قال ونحوه في الاسلوب
وهو ان يراد اشياء ويذكر بعضها قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن
دخله كان امنا جمع الايات وفصلها باثنين احدهما قوله مقام ابراهيم وثانيهما
ومن دخله كان امنا الكشاف ذكرها ثان الاثنين وطوى عن ذكر غيرهما دلالة على
تكاثر الايات ونحوه في طي الذكر قول جرير * كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم *
من العبيد وثلث من مواليها * هذا وضبط قوله * يخلص المؤمنون بصيغة
المجهول مخففا من الاخلاص وفي نسخة بالتشديد من التخليص وفي اخرى بفتح
الياء وضم اللام من الخلاص فمعناه انه يتخلص سلم ونجا ثم المراد بالقنطرة الصراط
الممدود المظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهي ما تطلبه عند الظالم مما اخذ منك
وقوله ونقوا من التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب فوالذي
نفس محمد بيده لاحدهم اي من اهل الجنة اهدى بمنزلته اي اليه فان الباء بمعنى الى
على ما في القاموس كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي فالمعنى اعرف واكثر هداية
اي منزله في الجنة منه بمنزله كان له في الدنيا وقال الطيبي هدى لا يتعدى

بالباء بل باللام والاولى في الوجه ان يضمن معنى الوصول اي الوصول بمنزله هاديا اليه وفي معناه
قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار اي يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة فجعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة
كالوصول اليها رواه البخاري وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل احد الجنة الا اري بصيغة المجهول من الاراءة وقوله مقعده بالنصب
مفعول ثان له وقوله من النار بيان للمقعد لو اساء اي لو اساء العمل وعصى ربه فرضا
وتقديرا لكان ذلك مقعده ليزداد شكرا علة لاري ويحتمل ان يكون الاراءة في القبر
على ما يشهد له بعض الاحاديث ويحتمل ان يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر
من هذا الحديث والله اعلم ولا يدخل النار احد الا اري مقعده من الجنة لو احسن
اي العمل والجواب مقدر على ما سبق او لو في الموضعين للتمني ليكون اي الاراءة ويكونه
مصدرا ذكر فعله عليه حسرة بالنصب على الخبرية وفي نسخة بالرفع على ان كان
تامة اي ليقع عليه حسرة وندامة وملامة يوم القيامة رواه البخاري وعن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جا اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار جيء بالموت اي احضر به وورد في رواية يؤتى به على صورة كبش املح ليتيقنوا
غاية اليقين والعرفان حتى يجعل اي واقفا بين الجنة والنار ثم يذبح قال
العسقلاني والحكمة فيه الاشارة الى انه حصل لهما الفداء كما فدي ولد ابراهيم
بالكبش وفي الاملح اشارة الى صفتي اهل الجنة والنار لان الاملح ما فيه بياض
وسواد ثم ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت اي ابدا بل خلود بلا موت كما في رواية
ويا اهل النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد اهل النار حزنا
الى حزنهم بضم الحاء وسكون الزاء ويجوز فتحهما وبهما قرئ في السبعة قال التوربشتي
المراد منه تمثيل لهم على المثال الذي ذكره في غير هذه الرواية يؤتى بكبش لدعين
الحديث وذلك ليشاهدوه باعينهم فضلا ان يدركوه ببصائرهم والمعاني اذا ارتفعت
عن مدارك الافهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شانها صيغت لها قوالب من
عالم الحس حتى يتصور في القلوب وتستقر في النفوس ثم ان المعاني في الدار
الاخرة تتكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية واما اذا احيينا
ان يؤثر الا فدا مر في سبيل لا معلم بها لاحد من الانام فاكتفينا بالمروي عن الامام
متفق عليه

الفصل الثاني

عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال حوضي من عدن بفتحتين وهو يعرف ولا يعرف اخر بلاد اليمن مما يلي البحر الهندي الى عمان
البلقاء بضم العين المهملة وتشديد الميم مضافا الى البلقاء بفتح موحدة وسكون
لام وقاف ممدودة قال الطيبي عمان مدينة بالشام وفي شرح السنة موضع
بالشام وبضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين قلت لكن الاصول المعتمدة

والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الاول فهو المعول ثم الاظهر ان البلقاء مدينة
بالشام وعمان موضع بها وانما اضيف لقربه اليها على ما اشار اليه العسقلاني في
والمعنى مقدار سعة حوضي في العقبى كما بين الموضعين في الدنيا ثم اعلم ان
اختلاف الاحاديث في تقدير الحوض كحديث انس ما بين ايلة وصنعاء وحديث ابن عمر
كما بين جرباء واذرح وحديث ابن عمرو مسيرته مسيرة شهر وحديث حارثة ابن وهب
كما بين صنعاء والمدينة ونحو ذلك مبني على ان المقصود تصوير كثرة طوله
وعرضه لا تعيين قدره بعينه وحصره فورد الحديث في كل مقام بما يوافق ادراك
السامع في المرام ولا يبعد ان يختلف باختلاف مذهب الناظرين ومشرب الواردين
وسعة صدورهم وحذاقة نظرهم كاختلاف وسعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة
الى الساكنين والله اعلم ماؤه اشد بياضا من اللبن فيه ايماء الى ان البياض هو اللون المحبوب
خلافا لما اختاره بعض من ان اللون الاصفر بمقتضى طبعه المقلوب واعذب منه ثلم
يميل الى تغير شفة تشابه المحمرة الى لون السواد مع انه مما يغم الفؤاد ويورث
الفؤاد والكباد واحلى من العسل اي الذ منه مع ما فيه من الشفاء للعباد وفيه ايماء
الى مذمة شربة الخمر لما فيها من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من
الفساد واكوابه جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في الشروح او لا خرطوم له
على ما في القاموس عدد نجوم السماء بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي عدد اكوابه
عدد نجوم السماء وفي بعض النسخ على نزع الخافض وهو الاظهر اي بعدد نجوم السماء من
شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا فيه ايماء الى تفاوت مراتب الشاربين واختلاف
رفع ظماء الواردين اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين اي لتعطشهم الظاهر
والمعنوي وقد قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الاخرة وعلى قياسه
اظماكم وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية والمراد من المهاجرين
الذين هاجروا من مكة الى المدينة وهو صلى الله عليه وسلم سيدهم وفي معناهم كل من
هاجر من وطنه الاصلي لله سبحانه واختار الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد
في تحصيل المال والجاه واشتغل بالعلم والعمل في رضا مولاه الشعث بضم الشين المعجمة
وسكون العين المهملة جمع اشعث بالمثلثة اي المتفرق الشعر روسا تمييز والراس قديما ول
الوجه فدخل اللحية في شعر الراس من هذا الوجه الدنس بضم الدال والنون وقد يسكن جمع
الدنس وهو الوسخ ثيابا الذين لا ينكحون بصيغة المجهول اي لا يزوجون لو خطبوا المتنعمات
بكسر العين وفي نسخة بفتح الياء وكسر الكاف اي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات
وزهدهم في اللذات ولا يفتح لهم السدد بضم السين وفتح الدال الاولى المهملتين جمع
سدة وهي باب الدار سمي بذلك لان المدخل يسد به والمعنى لو وقفوا على باب ارباب الدنيا
زمنا وتقديرا لا يفتح لهم ويعيبونهم او هو كناية عن عدم الالتفات اليهم في الضيافة

وانواع الدعوة حيث لم يدعوهم الي مقامهم ولم ينتبا ركوا باقدامهم رواه احمد والترمذي
وابن ماجة وكذا الحاكم وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن زيد بن ارقم قال كنا مع
رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في سفر فنزلنا منزلا فقال ما انتم اي ايها الصحابة الحاضرون
جزءا بالرفع في اصل السيد وكثير من النسخ وفي نسخة بالنصب من مائة الف جزء ممن يرد علي
الحوض قال ابن الملك يجوز نصب جزء علي لغة اهل الحجاز باعمال ما واجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه
علي لغة بني تميم يريد به كثرة من امن به وصدقه من الانس والجن وقيل كم كنتم يومئذ
الاستفهامية تمييزها محذوف نصب علي انه خبر كان اي كم رجلا او عددا كنتم حين اذ كنتم معه
في السفر قال اي زيد بن ارقم سبعمائة بالنصب اي كنا وفي نسخة بالرفع اي عددنا
السبعمائة او ثمانمائة يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل ان يكون بمعنى بل ويحتمل
التردد من زيد كما هو مقرر في باب التخمين والمراد ان العدد ما بينهما لا ينقص عن الاول
ولا يزيد علي الثاني والله اعلم رواه ابو داود وعن سمرة اي ابن جندب قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا اي ليشرب امته من حوضه وانهم
اي الانبياء ليتباهون يتفاخرون اي بينهم ايهم اكثر وارده اي ناظرين ايهم
اكثر امته وارده ذكره الطيبي وقيل ايهم موصولة صدر صلتها محذوف او مبتدا
وخبر كما يقول يتباهى العلماء ايهم اكثر علما اي قائلين واني لارجو ان اكون اكثرهم
وارده ولعل هذا الرجاء قبل ان يعلم ان امته تمانون صفا وباقي الامم اربعون
في الجنة علي ما سبق ثم الحوض علي حقيقته المتبادر منه علي ما في المعتقد
في المعتقد واغرب الطيبي حيث قال يجوز ان يحمل علي ظاهره فيدل علي ان لكل
نبي حوضا وان يحمل علي المجاز ويراد به العلم والهدي ونحوه ومنبري علي حوضي وجه
واليه يلمح قوله صلي الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا اعطي من الايات ما مثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تبعا يوم القيامة قلت هذا المعني لا ينافي الحوض الحسي الذي هو مبني علي
مراتب الواردة بقدر اخذ الفيض من العلم والهدي الذي حصل لهم من جهة
انبيائهم بل اقول لا بد في التفاوت بين ماء كل حوض في الصفاء والرواء واللذة والكثرة
بحسب اختيارهم مذهبهم فهو علي منوال فالتجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
مشربهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن انس قال سالت النبي
صلي الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة اي الشفاعة الخاصة من بين هذه
الامة دون الشفاعة العامة فقال انا فاعل قلت يا رسول الله فاين اطلبك
قال الطيبي اي في موطن من المواطن التي احتاج الي شفاعتك اطلبك لتخلصني من تلك
الورطة فاجاب علي الصراط وعند الميزان والحوض اي افتقروا وفاقتي الي شفاعتي هذه
المواطن فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة في الفصل

الثاني

الثاني من باب الحساب فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال صلي الله عليه وسلم
اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا قلت جوابه لها يشعر بذلك لئلا يتكل
علي كونه حرم رسول الله صلي الله عليه وسلم وجوابه لانس كيلا ييأس فقوله فيه انه خادم
رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو محل الاتكال لا يضامع ان الباس غير ملائم لها ايضا
فالاوجه ان يقال ان الحديث الاول محمول علي الغائبين فلا احد يذكر احدا من اهله
الغيب والحديث الثاني محمول علي من حضره من امته فيكون بين عدم التذكر وبين
وجود الشفاعة عند التخصص كما يدل عليه قوله فاين اطلبك قال اطلبني اول
ما تطلبني اي في اول طلبك اياي علي الصراط فما مصدرية واول نصب علي الظرفية
قال الطيبي نصبه علي المصدر قلت فان لم القك علي الصراط قال فاطلبني
عند الميزان فيه ايذان بان الميزان بعد الصراط قلت فان لم القك عند الميزان
قال فاطلبني عند الحوض فاني لا اخطي بضم همز وكسر الطاء بعدها همز اي لا اتجاوز
هذه الثلاث اي البقاع وفي نسخة هذه الثلاثة بالتاء اي المواطن والمعنى
لا اتجاوزهن ولا احد يفقدني فيهن جميعهن فلا بد ان تلقاني في موضع منها وقد استشكل
كون الحوض بعد الصراط لما سياتي في حديث الباب ان جماعة يدفعون عن الحوض
بعد ان كادوا يردون ويذهب بهم الي النار ووجه الاشكال ان الذي يمر علي الصراط
الي الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد اليها ويمكن ان يحمل علي انهم يقربون من
الحوض بحيث يرون فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ
ابن حجر العسقلاني رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن مسعود
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال قيل له ما المقام المحمود اي الذي وعدته في قوله
تعالي عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال ذلك يوم بالرفع والتنوين علي
الرواية الصحيحة علي ما صرح به جمع من علمائنا ويجوز فتحه وهو خبر ذلك علي
التقديرين اما علي الثاني فظاهر واما علي الاول فتقديره ذلك اليوم الذي
الخ فيه المقام المحمود يوم ينزل الله تعالي علي كرسيه يمكن ان يكون كناية عن
حكمه بالعدل في يوم الفصل فيل اظهار الفضل المتوقف علي شفاعته صلي الله
عليه وسلم اشعار المزيد فضله علي خلقه فكما انه لولاه لما خلق الله الافلاك
ولا وجد الاملاك فكذا لولاه لما وقع الامر في الهلاك فهو الاول والاخر
والظاهر والباطن وهو مظهر الكل المعبر عنه بانه مظهر الجامع المسمي بالله وقيل
هذا علي طريقة الاستعارة التمثيلية كما اشار اليه القاضي بقوله مثل التجلي لعباده
بنعت العظمة والكبرياء والاقبال عليهم للعدل والقضاء وارفاء المقربين منهم علي
حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان من غرف القصر الي
صدر الدار وجلوسه علي كرسي الملك للحكومة والفصل واقامة خواصه واهل

كولهئه حواليه قداما ووراداو يمينا وشمالا اعلي تعا وقد مرانهم لديه وقيل معني نزول
الله تعالي علي كرسيه ظهور مملكته وحكمته محسوسا وقيل معناه التجلي لسبغة العظمة
والاقبال بوصف الكبريا في اليوم الموعود حتي يتضايق من احتمال ما غشيه من ذلك
وهذا لم يبعد عند المحقق لما في كشف الحجاب من معني النزول عن معارج الجلال الي مدارج
الجمال فيئط بكسر الهمزة وتشديد الطاء اي يصوت الكرسي كما يئط الرحل اي الاكاف
الجديد اي بسبب ركوب راكبه اذا كان عظيما قال الطيبي وهو مبالغة وتصوير لعظمة
التجلي علي طريقة الترشيح من تضايقه متعلق بقوله فيئط اي من عدم اتساع الكرسي
بالله تعالي كذا قاله شارح وقيل اي من تضايق الكرسي بملائكة الله وهذا تمثيل
عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه وهو كسعة ما بين السما والارض بفتح السين
سعة وتكسر وفي نسخة نسعه ما بين السما والارض ففي القاموس وسعه الشي بالكسر
يسعه كيضعه سعة كدعة ودية وفي المغرب يقال وسع الشي المكان ومعناه
وسعه المكان ذلك اذا لم يضق عنه والجملة حال والضمير راجع الي الكرسي اي حال
ان الكرسي يسع ما بين السما والارض اشارة الي قوله تعالي وسع كرسيه السموات والارض
لكن جا في الحديث ان الارض بجنب السما كحلقة ملقاة في فلاة وهكذا كل سما بالنسبة
الي ما في فوقها والسموات السبع والارضين عند الكرسي كحلقة في فلاة وكذا
هو في جنب العرش قال الطيبي قوله وهو يسعه حال او معترضة جي دفعا لتوهم
من يتوهم ان اطيط الكرسي للضيق بسبب تشبيه بالرحل في الاطيط ويجا بكم حفاة
عراة غرلا اي تحضرون في هذه الحالات فتكون اول من يكسي ابراهيم برفعه ونصبه
اول وفي نسخة بعكسه قال الطيبي فعلي الاول فالنسبة تقدم وتاخير كقوله تعالي
ان خير من استاجرت القوي الامين يقول الله تعالي واسنينا في بيان الكسوة بضم الهمزة
والسين امر للملائكة اي البسوا خليلي ابراهيم فيوتي بريطتين بيضاوين من رياط
الجنة بكسر الراء جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة الرقيقة اللينة من كتان التي لا تكون
لفقتين بل يكون قطعة واحدة يوتي بها من الشام ثم اكسي بصيغة المفعول اي البس
انا علي اثره بفتحتين وبكسر فسكون اي عقب ابراهيم وبعده ثم اقوم عن يمين الله اي
قيام كرامة يغبطني بكسر الموحدة اي يتمناه الاولون والاخرون فان قيل كيف وجه
المطابقة بين السوال والجواب اجيب بان الدال علي الجواب هو قوله ثم اقوم عن
يمين الله لكنه صلي الله عليه وسلم ذكر اولا الوقت الذي يكون فيه المقام المحمود وصفه
بما يكون فيه من الاهوال ليكون اعظم في النفوس موقعا ثم اشار الي الجواب بقوله
ثم اقوم عن يمين الله وحاصل الجواب ان المقام المحمود هو المقام الذي اقوم فيه
عن يمين الله يوم القيامة قال الطيبي وفي الحديث دلالة ظاهرة علي فضل نبينا
صلي الله عليه وسلم علي ما سوي الله تعالي من الموجودات وحيازته قصب السبق من بين الخلايق

واللائق من الملائكة والثقلين وكفي بالشاهد شهيدا علي ان الملك الاعظم اذا ضرب سرادق الجلال
لقضا شيون العباد وجمع اساطين دولته واشراف مملكته وجلس علي سرير ملكه لا يخفي ان من يكون
عن يمينه هو اولي القرب واما كسوة ابراهيم عليه السلام قبله صلي الله عليه وسلم فلا يدل
علي تفضيله عليه وانه انما قدم كسوته عليه مثل من يغبط الاولون والاخرون اظهارا لفضله
وكرامته ومكانته ونحوه قوله تعالي ان ابراهيم كان امة قانتا الي قوله ثم اوحينا اليك الاية
الكشاف في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلي الله عليه وسلم واجلال محله
والايذان بان اشرف ما اولي خليل الله من الكرامة واجل ما اولي من النعمة اتباع رسول الله
صلي الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت علي تباعد هذا النعت في المرتبة من بين ساير
النعوت التي اثني الله تعالي عليه بها انتهي وقيل لا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن
ان يقال لا يدخل النبي صلي الله عليه وسلم في ذلك علي القول بان المتكلم لا يدخل تحت خطابه
قلت هذا غفلة من القايل عن تصريح قوله ثم اكسي علي اثره فقيل ويمكن ان يقال بان
نبينا صلي الله عليه وسلم انما جي به كاسيا او انما كسي ثانيا للكرامة بخلاف غيره فانه كسي
للعري افوات وهذا مستبعد جدا بل الظاهر انهم يبعثون عراة ثم يخلق لهم اكفانهم
فيلبسونها ثم يخلع الله تعالي علي من يشا من عباده لما كان الخليل افضل الانبيا عليهم
السلام ابتدي به ولما كان نبينا صلي الله عليه وسلم خاتم الرسل ختم به واقيم علي يمين
الرحمن مع انه قد يكون الامر فرقا علي ان ابراهيم كان جده عليه السلام ومتبوعه في بعض
المقام مع مراعاة كونه اول من عري في ذات الله حين اراد والقاوه في النار فيما ذكرنا امتياز
الخليل عن ساير الانبيا باعطاء الخلعة علي طريقة الابتدا وتبيين مقام نبينا صلي الله عليه
وسلم في الانتها والله سبحانه اعلم رواه الدارمي وعن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم شعار المومنين بكسر الشين المعجمة اي علامتهم التي يتعارفون بها مقتديا
كل امة برسولهم قولهم يوم القيامة علي الصراط رب سلم سلم والتكرار للالحاح او المراد
به التكثير ويمكن ان يكون شعار المومنين قول الانبيا في حقهم هذا الدعا ويويده ما رواه
الطبراني عن ابن عمر وشعار امتي اذا حملوا علي الصراط يا لا اله الا انت ويمكن الجمع بان هذا
من خصوصيات هذه الامة والاول لساير الامم والاظهر ان قوله رب سلم سلم انما هو من
شعار المومنين الكاملين من العلما العاملين والشهداء الصالحين ممن لهم مقام الشفاعة
تبعا للانبيا والمرسلين رواه الترمذي وكذا الحاكم وقال اي الترمذي هذا حديث غريب
وروي ابن مردويه عن عايشة مرفوعا شعار المومنين يوم القيامة في ظلم القيامة لا
اله الا انت وعن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال شفاعتي لاهل الكباير من امتي
اي شفاعتي في العفو عن الكباير من امتي خاصة دون غيرهم من الامم وقال الطيبي اي
شفاعتي التي تنجي الهالكين مختصة باهل الكباير وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض
مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالي يوميذ لا تنفع

الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقد جاءت في الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة
الشفاعة في الآخرة واجمع السلف الصالح ومن بعدهم من اهل السنة عليها ومنعت الخوارج
وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المؤمنين في النار بقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين وبقوله سبحانه ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجيب بان الآيتين
في الكفار والمراد بالظلم الشرك واما تاويلهم احاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات
فباطل والفاظ الاحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم واخراج من استوجب
النار قلت ومنه هذا الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لاصحاب الكبائر
الذين هم على زعمهم من اهل الخلود في النار قال والشفاعة خمسة اقسام اولها مختصة
بنبينا صلى الله عليه وسلم وهي الاراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب الثانية في ادخال
قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا وردت في نبينا صلى الله عليه وسلم الثالثة الشفاعة
يوم القيامة استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله
تعالى الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت الاحاديث باخراجهم من النار
بشفاعة نبينا والملائكة واخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا اله الا الله الخامسة
الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وهذه لا ننكرها ايضا رواه الترمذي وابو داود
اي عن انس ورواه ابن ماجة عن جابر وفي الجامع رواه احمد وابو داود والترمذي وابن
حبان والحاكم عن انس ورواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم عن جابر ورواه
الطبراني عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة وفي رواية للخطيب عن ابي
الدرداء شفاعتي لاهل الذنوب من امتي وان زنى وان سرق على رغم انف ابي الدرداء وفي
رواية له عن علي شفاعتي لامتي من احب اهل بيتي وروى ابو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن
ابن عوف شفاعتي مباحة الا لمن سب اصحابي وروى ابن منيع عن زيد بن ارقم وبضعة
عشر من الصحابة ولفظه شفاعتي حق يوم القيامة فمن لم يؤمن بها لم يكن من اهلها
وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني آت اي ملك عظيم من
عند ربي فخيرني اي ربي والملك بينهما بان يدخل بفتح الياء وضم الخاء على ما في الاصول
المعتمدة وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول وفي اخرى بضم اوله وكسر الخاء على ان الفاعل
هو الله او الملك مجازا فقوله نصف امتي مرفوع على الاولين ومنصوب على الثالثة وقوله
الجنة بالنصب على انه مفعول ثان بكل من الروايات وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة
اي لامتي الاجابة لاحتياج اكثرهم اليها وهي اي الشفاعة لمن مات لا يشرك بالله شيئا ولعله
انه نقل عن نسخة السيد جمال الدين المحدث ان تدخل بالتاء المثناة من فوق على بناء الفاعل من
الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج الى تكلف بل الى تعسف وهو ان يقال اكتسب التانيث
من المضاف اليه وضبط بالحمزة ايضا بادخال من باب الافعال على البناء للفاعل مخاطبا ويرده
قوله نصف امتي والقول بالالتفات في مثل هذا انما لا يلتفت اليه رواه الترمذي وابن

ماجة وكذا ابن حبان عن عوف ورواه احمد عن ابي موسى وعن عبد الله بن ابي الجد بفتح الجيم
وسكون الدال المهملة كذا في جامع الاصول وهكذا في النسخ المعتمدة وايضا نسبت الى العسقلاني
لكنه في نسخة السيد بالذال المعجمة ويؤيده ما في التقريب من انه بجيم مفتوحة فذال
معجمة ساكنة كناني صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن شقيق وقال المؤلف
تميمي يذكر في الوحدان روى عنه عبد الله بن شقيق وعداده في البصريين قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل اي جليل من امتي اكثر من بني تميم
وهو قبيلة كبيرة فقيل الرجل هو عثمان ابن عفان رضي الله عنه وقيل اويس القرني
وقيل غيره قال زين العرب وهذا اقرب رواه الترمذي والدارمي وابن ماجة وعن ابي
سعيد اي الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي اي بعض افرادهم
من العلماء والشهداء والصلحاء من يشفع للفئام بكسر الفاء بعدها همز وقد يبدل قال الجوهري
هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همز اقول الاظهر
ان يراد هنا معناه الفئام بل كما قيل هو في المعنى جمع فئة لقوله ومنهم من يشفع
للقبيلة وهي قوم كثير جدهم واحد ومنهم من يشفع للعصبة بضم فسكون وهو
ما بين العشرة الى الاربعين من الرجال لا واحد لها من لفظه والاظهر ان المراد بها جمع
ولو اثنان لقوله ومنهم من يشفع للرجل ويمكن ان يقال طوى ما بين العصبة والرجل
ما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المراة بالقياس الخفي حتى يدخلوا اي
الامة كلهم الجنة قال الطيبي يحتمل ان تكون غاية يشفع والضمير لجميع الامة اي ينتهي
شفاعتهم الى ان يدخلوا جميعهم الجنة ويجوز ان يكون بمعنى كي فالمعنى ان الشفاعة
لدخول الجنة رواه الترمذي اي وحسنه على ما نقله عنه السيد وعن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من امتي
اربعمائة الف بلا حساب اي ولا كتاب ولا سابقة عذاب فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله
اي زدنا في الاخبار رجاء وعدك ربك ادخال امتك الجنة لشفاعتك يدل على هذا التاويل
حديث ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل
الجنة من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل الف سبعون الفا وثلاث
حثيات من حثيات ربي كذا ذكره الطيبي وهو مستحسن جدا الا ان فيه قوله بشفاعتك
لا دلالة للكلام عليه والظاهر ان هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة
وان كانوا داخلين في الشفاعة العامة هذا وفي قوله زدنا دليل على ان له صلى الله
عليه وسلم مدخلا ومجالا في الامور الاخروية وفي التصرفات الربوبية بحسب ما اولاه
مولاه من المرتبة الجليلة والمرتبة العلية قال اي انس وهكذا اي وفعل هكذا او تعبيره
تحثي بكفيه وجمعهما فقال ابو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا اي تحثي بكفيه وجمعهما
والظاهر ان هذا حكاية لفعله سبحانه ولذا قال الشارح انما ضرب المثل بالحثيات لان

من شان المعطي الكريم اذا استزيد ان يحثي بكفيه من غير حساب وربما ناوله بلا
كف فالحثي كناية عن المبالغة في الكثرة والا فلا كف ولا حثي فقال عمر دعنا يا ابا بكر
اي اتركنا على ما بين الحال بطريق الاجمال لنكون بين الخوف والرجاء على وجه الاعتدال فقال
ابو بكر وما عليك اي باس وضرر ان يدخلنا الله كلنا اي جميعنا وهو تاكيد للضمير في
يدخلنا الجنة فقال عمر ان الله عز وجل اي بل اقول زيادة على ما تقول على ما هو المعتقد
بالمنقول والمعقول وهو ان الله عز وجل ان شاء ان يدخل خلقه الجنة اي جميع مخلوقاته
من الانس والجن مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم بكف واحد اي بمرتبة واحدة فعل
كما قال سبحانه ولو شاء لهداكم اجمعين ولكن الله يفعل ما يريد فقيل اراد بكف واحد عطاءه
وفضله اي لو اراد ان يتفضل كله بفضل رحمته فعل فانها اوسع من ذلك هذا والكف
على ما في القاموس اليد او الى الكوع وجعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية
وعدها ابن الحاجب ايضا في رسالته التي يجب تانيثه فقوله بكف واحد مؤول بعطاء
واحد او بمقبوض واحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر قال التوربشتي
وانما لم يجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر بمثل كلام عمر رضي الله عنهما لانه
وجد للبشارات مدخلا عظيما في توجه النفوس القدسية فان الله يحثي خلقه من
عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج والقبيل بعد القبيل ثم يتخلص من قصر
عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته وهم الذين سلم لهم الايمان ولم يعملوا خيرا
قط على ما سبق في الحديث قال بعض العارفين ما ذهب اليه ابو بكر هو من باب التضرع
والمسكنة وما ذهب اليه عمر من باب التفويض والتسليم فقول التسليم اسلم والله اعلم
رواه اي صاحب المصابيح في شرح السنة باسناده ورواه احمد في مسنده على ما ذكره السيد
وعن اي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف بضم وفتح وتشديد
اي يجعل صفا وفي نسخة بفتح فضم اي يصير صفا اهل النار اي من عصاة المؤمنين والفجار
في طريق اهل الجنة من علماء الاخيار وصلحاء الابرار على هيئة السالكين السائلين
في طريق الاغنياء في جهة الدار فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول الرجل منهم
اي من اهل النار يا فلان كناية عن اسمه اما تعرفني انا الذي سقيتك شربة اي من
ماء او لبن ونحوهما وقال بعضهم انا الذي وهبت لك وضوء بفتح الواو اي ما توضأ
وعلى هذا القياس من لقمة او خرقة او نوع اعانة او جنس عطية كلية او جزئية
ولو شق تمرة او كلمة طيبة فان الغريق يتعلق بكل حشيش فيشفع له اي ذلك
الصالح فيدخله الجنة اي يصير سببا لدخوله اياها والمعنى فيدخله معه الجنة
والله اعلم قال المظهر فيه تحريض على الاحسان الى المسلمين لا سيما مع الصلحاء
والمجالسة معهم ومحبتهم فان محبتهم زين في الدنيا ونور في العقبى رواه ابن ماجه
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار اشتد

صياحهما

صياحهما اي بكاؤهما وتضرعهما واستغاثتهما فقال الرب تعالى اي للزبانية اخرجوهما فقال لهما
لاي شيء اشتد صياحكما اي بعد ما كنتما ساكتين خامدين قالا فعلنا ذلك اي اشتداد
الصياح لترحمنا اي فانك تحب من يتضرع اليك قال فان رحمتي لكما ان تنطلقا اي تذهبا
فتلقيا انفسكما حيث كنتما من النار وفيه ايماء الى ان مجرد التضرع الظاهري لا يفيد الرحمة
بدون الانقياد الباطني ولذا قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قوله ان
تنطلقا فتلقيا خبر ان فان قلت كيف يحمل الانطلاق الى النار والقاء النفس
فيها على الرحمة قلت هذا من حمل السبب على المسبب وتحقيقه انهما لما فرطا في جنب الله
وقصرا في العاجلة في امتثال امره امرهما ذلك بالامتثال في القاء انفسهما في النار ايذانا
بان الرحمة انما هي على امتثال امر الله عز وجل فيلقي احدهما نفسه اي في النار فيجعلها الله عليه
بردا وسلاما اي كما جعلها بردا وسلاما على ابراهيم ويقوم الآخر اي يقف فلا يلقي نفسه
فيقول له الرب تعالى ما منعك ان تلقي نفسك اي من القائها في النار كما القى صاحبك
اي كالقائه فيها فيقول رب اني لارجو ان لا تعيدني فيها بعد ما اخرجتني منها فالاول
امتثل بالخوف والعمل والثاني عمل بالعلم والامل فيقول له الرب تعالى لك رجاؤك اي
مقتضاه ونتيجته كما ان لصاحبك خوفه وعمله بموجبه فيدخلان بصيغة المفعول
اي فيدخلهما الله جميعا الجنة برحمته اي المرتبة على العمل والمعرفة رواه الترمذي
وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار يرد على
وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال وردت ماء كذا اي حضرته وانما
سماه ورودا لان المارة على الصراط يشاهدون النار ويحضرونها وعلى هذا اول
قوله تعالى وان منكم الا واردها وفيه ايماء الى انهم حينئذ في العطش الشديد وانما
مرورهم على الصراط للوصول الى الحوض المورود قال التوربشتي الورود لغة قصد
الماء ثم يستعمل في غيره والمراد منه هنا الجواز على جسر جهنم ثم يصدرون منها بضم الدال
اي ينصرفون عنها فان الصدر اذا عدي بعن اقتضى الانصراف وهو هنا على الاتساع
ومعناه النجاة اذ ليس هناك انصراف وانما المرور عليها فوضع الصدر موضع النجاة
للمناسبة التي بين الصدور والورود قال الطيبي ثم في ثم يصدرون مثلها في قوله
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا في انها للتراخي في الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت
بين ورود الناس النار وبين نجاة المتقين فيها فكذلك بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على ان المراد بالصدور
الانصراف انتهى والحاصل ان الخلق بعد شروعهم في الورود يتخلصون من
خوف النار ومشاهدة دونها وملاصقة لهبها ودخانها وتعلق اشواكها وامثالها
على مراتب شتى في سرعة المجاوزة وابطائها باعمالهم اي بحسب مراتب اعمالهم الصالحة
فاولهم اي اسبقهم كلمح البرق اي الخاطف ثم كالريح اي العاصف ثم كحضر الفرس اي جريه

وهو بضم الحاء وسكون الضاد العدو الشديد ثم كالراكب في رحله أي على راحلته وعدا أي بغير تمكنه من السير كذا قاله الطيبي وقيل أراد الراكب في منزله ومأواه فإنه يكون ح السير والسرعة والرعة ثم كشد الرجل أي عدوه وجريه ثم كمشيه أي كمشي الرجل على هينته رواه الترمذي والدارمي في

الفصل الثالث

ابن عمر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن أمامكم بفتح الهمزة أي قدامكم يوم القيامة حوضي أي بعد الصراط ما بين جنبيه أي طرفيه كما بين جربا بفتح جيم وسكون راء وموحدة ممدودة وأذرح بفتح همز وسكون ذال معجمة وضم راء والحاء مهملة غير منصرفين قال بعض الرواة أي رواة هذا الحديث قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال قال صاحب القاموس الجرباء قرية بجنب أذرح غلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواة الحديث من إسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح وفي رواية فيه أي موضوع في أطرافه أو على أجنابه أباريق كنجوم السماء أي في الكثرة وصفاء الضياء من ورده فشرب منه أي شربة لم يظمأ بعدها أي بعد تلك الشربة أو بعد الشرب وهو مصدر يذكر ويؤنث أبدا أي دائما سرمدا فيكون شربه الأشربة في الجنة بعدها بناء على التلذذ والتفكه والتلطف بها متفق عليه ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عنه بلفظ الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ويجراه على الدر والياقوت تربته أطيب ريحا من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وعن حذيفة وأبي هريرة قالا أي كلاهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس المراد بهم الخلق وخصوا بالذكر للتشريف فإنهم عمدة أرباب التكليف فيقوم المؤمنون أي الخواص من عموم الناس حتى تزلف بضم التاء وسكون الزاء وفتح اللام وبالفاء تقرب لهم الجنة ومنه قوله تعالى وإذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت فيأتون أي المؤمنون آدم والمراد منهم بعضهم الخواص من كل أمة فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة أي اطلب فتح بابها حتى ندخلها فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم أي وصاحب الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه إلى الضراعة وهذا معنى قوله لست بصاحب ذلك أي ذلك المقام الذي أرد تموه من الشفاعة الكبرى والمرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص بصاحب اللواء المحمود واذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله أي فإنه من أفضل الرسل وجد خاتم الأنبياء فتقربوا إليه والزموا أمركم عليه قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك أي المقام الموعود والمرام المشهود وإنما كنت خليلا من وراء وراء بالفتح فيهما على ما في الأصول المعتمدة والنسخ المعروفة المصححة قال النووي المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في العربية بناؤهما على الضم قال أبو البقاء الصواب الضم فيهما لأن تقديره من وراء ذلك قال وإن صح الفتح

قبل وقال الشيخ أبو عبد الله الفتح صحيح ويكون الكلمة مركبة كشذر مذر وشغر بغر فبنيا وهما على الفتح وإن ورد منصوبا منونا جاز ذلك جيدا وأنكر المبهم أي قصدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليما أي بلا واسطة كتاب ومن غير وراء حجاب قال صاحب التحرير وهذا ورد على سبيل التواضع أي لست بصدد تلك الدرجة الرفيعة ومعناه أن المكارم التي أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبرائيل عليه السلام ولكن ائتوا موسى عليه السلام فإنه حصل له الكلام بغير واسطة قال وإنما كرر لأن نبينا صلى الله عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية أيضا فكأنه قال أنا وراء الذي هو وراء محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه بالجر على البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما على المدح فيقول عيسى لست بصاحب ذلك وحينئذ ينحصر الأمر في نبينا خاتم الرسل ومقدم الكل فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيه وضع الظاهر موضع الضمير المتكلم على سبيل الالتفات أو على طريق التجريد فيقوم أي عن يمين عرش الرحمن ويؤذن بالشفاعة في نوع الإنسان لإزاحة كرب الموقف وعموم الأحزان فيؤذن له فيسجد على ما سبق وترسل الأمانة والرحم أي مصورتين كما تقدم فيقومان بالتأنيث على تغليب الأمانة المتقدمة بالتأنيث وبالتذكير على تغليب الرحم المذكر أي فيقفان أو ليحضرا لتجلي الصراط بالقاف أي طرفيه يمينا وشمالا لا لبيان ما قبله ونصبهما على البدلية أو الظرفية فيمر أولكم للتنائه من الغيبة العامة إلى الخطاب للخاصة كالبرق أي في سرعة السير قال أي أبو هريرة قلت بأبي أنت وأمي البا للتعدية أي أفديك بهما أي شيء استفهام كمر البرق أي أي شيء شبيه به والمعنى في أي شيء تشبه بالبرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر أي سريعا ويرجع في طرفة عين ذكره على سبيل الاستطراد وعلى طريق التتميم للمعنى المراد فيكون الجواب بأنه يشبه في سرعة السير كذا حرره الشراح وعندي أن التشبيه مركب من سرعة المرور من ضياء الظهور ليجتمع نورا على نور وليكون إشارة إلى البدن والروح وإلى الظاهر والباطن وإلى الكمية والكيفية وأيضا المرور مذكور في كلام السائل ولا بد في الجواب من أمر زائد والله أعلم ثم الظاهر أن المراد بهم الأنبياء ويحتمل أن يراد بهم الأصفياء من هذه الأمة وهم أرباب الجذبات الإلهية ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال أي جريهم والرجال إما جمع رجل أو جمع راجل قال الطيبي قوله أي شيء كمر البرق أي ما الذي يشبه من المارين بمر البرق وقوله ألم تروا إلى البرق بيان لما شبهوا به بالبرق وهو سرعة اللمعان يعني سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق كأنه أي السائل استبعد أن يكون في الإنسان ما يشبه البرق في سرعة فسأل عن أمر آخر هو المشبه فأجاب بأن ذلك غير مستبعد وليس ممكنا أن يمنحهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة ألا ترى كيف أشد الجريان إلى الأعمال

في قوله تجري بهم اعمالهم اي تجري وهي ملتبسة بهم كقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال
ويجوز ان يكون الباء للتعدية اي تجعلهم جارين ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم
حتى تعجز اعمال العباد متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية او حالية والمعنى
تجري بهم اعمالهم حتى تعجز اعمالهم عن الجريان بهم حتى يجيء الرجل بدل من قوله حتى تعجز
وتوضيح له فلا يستطيع اي الرجل لضعف عمله وتقاعده عن السبق في الدنيا السير
اي المرور على الصراط الا زحفا اي حبوا كالا تقدم والله اعلم قال اي النبي صلى الله عليه
وسلم او ابو هريرة مرفوعا وفي حافتي الصراط بتخفيف الفاء اي جانبيه كلاليب
جمع كلاب معلقة مأمورة تأخذ اي هي من امرت به ولو روي بالباء وفتح الهمز وسكون
الخاء على المصدر لكان له وجه وجيه فمخدوش اي فمنهم مجروح ناج اي من الوقوع
في النار ومكدوس في النار بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة وقيل المعجمة وهو
الذي جمعت يداه ورجلاه والقي في موضع كذا في النهاية في السين المهملة ثم قال
والمكردس بمعناه وفي مكدوس بالمهملة اي مدفوع في النار ذكره في النهاية ثم قال
ويروى بالمعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح ايضا وفي
القاموس كدسه اي صرعه وبالمعجمة دفعه عنيفا والذي نفس ابي هريرة بيده
هذا ايضا يؤيد ان مرجع ضمير قال اليه ثم هذا القسم اما موقوف عليه او مرفوع اليه صلى
الله عليه وسلم ان قعر جهنم سبعين خريفا قال الدماميني اي ان مسافة السير
اليه سبعين خريفا وقال صاحب المغني وجهه ان القعر مصدر قعرت البئر اذ
بلغت قعرها وسبعين ظرفه اي ان بلوغ قعرها يكون في سبعين عاما وفي نسخة
بالواو وهو ظاهر وفيه حذف اي مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي بعض
الاصول والروايات سبعين بالياء وهو صحيح ايضا على تقدير مسيرة سبعين فحذف
المضاف وترك المضاف اليه على اعرابه او يكون التقدير ان بلوغ قعر جهنم لكائن في
سبعين خريفا وسبعين خريفا ظرف لمحذوف رواه مسلم وعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كانهم الثعارير بالمثلثة
والعين المهملة والراء جمع ثعرور كعصافير وعصفور قلنا ما الثعارير قال انه
على ما في نسخة صحيحة وفي نسخة قال الضغابيس بضاد وغين معجمتين
وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع ضغبوس في النهاية الثعارير هي القثاء
الصغار شبهوا بها لان القثاء ينمي سريعا وقيل هي رؤس الطراثيث تكون بيضا شبهوا
ببياضها واحدها طرثوث وهو نبت يؤكل والضغابيس صغار القثاء متفق عليه
وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه بالصرف ويصرف رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة اي ثلاثة اصناف
من الاصفياء الانبياء ثم العلماء اي العاملون ثم الشهداء اي المخلصون وفي العطف بثم دلالة

صريحة على تفضيل العلماء على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن انس وابن عبد البر
عن ابي الدرداء وابن الجوزي في العلل عن النعمان بن بشير مرفوعا يوزن يوم القيامة مداد
العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وفيه مبالغة لا يخفى على الفضلاء
فان مداد هم اقل امداد هم ودم الشهداء افضل اسعاد هم رواه ابن ماجة وروى ابو
داود عن ابي الدرداء مرفوعا يشفع الشهيد في سبعين من اهل بيته

باب صفة الجنة واهلها

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه والتركيب دائر على
معنى الستر في الجنة والجنة والجنة والجنون ونحوها فكان الجنة لتكاثفها وتظللها
سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة
لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان او لكونها مستورة عن اعين
الانسان ليكون الايمان بالغيب لا بالعيان او لان الله تعالى اخفى من قرة الاعين
لاهلها الاعيان والله سبحانه اعلم

الفصل الاول

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت اي هيأت لعبادي الصالحين
بفتح ياء المتكلم ويسكن ما لا عين قال الطيبي ما هنا اما موصولة او موصوفة
وعين وقعت في سياق النفي فافاد الاستغراق والمعنى ما رايت العيون كلهن
ولا عين واحدة منهن والاسلوب من باب قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يطاع فيحتمل نفي الرؤية والعين معا او نفي الرؤية فحسب اي لا رؤية ولا عين
او لا رؤية وعلى الاول الغرض منه نفي العين وانما ضمت اليه الرؤية ليؤذن بان
انتفاء الموصوف امر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحقيقه الى ان صار كالشاهد
على نفي الصفة وعكسه ولا اذن سمعت ويسكن الذال سمعت ولا خطر اي وقع
على قلب بشر قال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
اي لا قلب ولا خطور او لا خطور فعلى الاول ليس لهم قلب مخطر فجعل انتفاء الصفة
دليلا على انتفاء الذات اذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الاخطار فلا قلب كقوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فان قلت لم خص البشر هنا دون القرينتين
السابقتين قلت لانهم هم الذين ينتفعون بما اعد لهم ويهتمون لشانه ويخطرونه
ببالهم بخلاف الملائكة والحديث كالتفصيل للآية فانها نفت العلم والحديث نفى
طريق حصوله واقرؤا ظاهره انه مرفوع ويؤيده العاطف والاظهر انه موقوف لقوله
ان شئتم اي اردتم الاستشهاد والاعتضاد فلا تعلم في محل النصب على انه مفعول
اقرؤا والتقدير اقرؤا قوله فلا تعلم نفس اي منفس من الملائكة وغيرهم ما اخفي لهم
قرا الجمهور اخفي بتحريك الياء على البناء للمفعول اقرؤا والتقدير وقرا حمزة بسكونها
على انه مضارع مسند للمتكلم ويؤيده قراءة ابن مسعود نخفي بنون العظمة وقرا

اخفي فتح اوله والفا علي البنا للفاعل وهو الله تعالى من قرة اعين الكشاف لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراها وفي شرح السنة تقال اقر الله عينك ومعناه ابرد الله دمعها لان دمعة الفرح باردة حكاه الاصمعي وقال غيره معناه بلغك الله امنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك فلا تستشرف الي غيره قال الطيبي فعلى هذا الاول من القرة البرد والثاني من القرار وفي قوله اعددت دليل على ان الجنة مخلوقة وبعضه سكني ادم وحوا الجنة ولمجيئها في القران علي نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنجم والثريا والكتاب ونحوها وذلك ان الجنة كانت تطلق على كل بستان ملتف اغصان اشجارها ثم غلبت على دار الثواب وانما قلنا اللاحقة بالاعلام لكونها غير لازمة للام وتحقيق القول انها منقولة شرعية على سبيل التغليب وانما تغلب اذا كانت موجودة معهودة وكذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة وان اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب المقصود والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير والمهل والضريع عن مطلق النار متفق عليه وكذا رواه احمد والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة من غير قوله اقرأوا ان شئتم الخ على ما في الجامع فهو يؤيد كونه موقوفا وروى الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب احد ورواه البزار والطبراني في الاوسط عن ابي سعيد ولفظه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا قال لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد افلح المؤمنون هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني سبب هذا الحديث ان موسى عليه السلام سأل ربه من اعظم اهل الجنة منزلة فقال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت الخ اخرجه مسلم والترمذي انتهى ولا يخفى ان الضمير في ما اخفي لهم لقوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون والمراد المتهجدون او الاوابون فلما احفوا اعمالهم عن اعين العباد جوزوا باخفاء الله تعالى لهم ما ارادهم من الاعداد جزاء وفاقا على حسب ما وفقوا من الامداد والاسعاد وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة اريد به قدر قليل منها او مقدار موضعه فيها خير اي كمية وكيفية من الدنيا وما فيها لان الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية قال ابن الملك سوى كلام الله تعالى وصفاته وجميع انبيائه انتهى وغرابته استثنا به مما لا يخفى ثم قال وما هو باق لا يوازيها ما هو في معرض الزوال قلت فلفظ خير لمجرد الزيادة

وقال

وقال التوربشتي انما خص السوط بالذكر لان من شان الراكب اذا اراد النزول في منزل ان يلقي سوطه قبل ان ينزل معلما بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه اليه احد متفق عليه وفي الجامع رواه البخاري والترمذي وابن ماجة عن سهل بن سعد والترمذي عن ابي هريرة فقول المؤلف متفق عليه محل بحث لتوقفه من وجهين وفي الجامع لقيد سوط احدكم من الجنة خير مما بين السما والارض رواه احمد عن ابي هريرة وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة اي مرة من ذهاب اول النهار في سبيل الله او روحة اي مرة من رواح اخر النهار او اول الليل واو ليس للشك اي للتنويع اي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو وحج او هجرة او طلب علم خير من الدنيا وما فيها اي جزاء وثوابا ومالا وما با ولو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت بتشديد الطاء اي اشرفت ونظرت الي الارض لاضاءت ما بينهما اي ما بين المشرق والمغرب او ما بين السماء والارض او ما بين الجنة والارض وهو الاظهر لتحقق ذكرهما في العبارة صريحا ولملات ما بينهما ريحا اي طيبا ولنصيفها كالامير منسنا نف اي ولخمارها على راسها فيه به كفير اله بالنسبة الي خمار البدن جميعه خير من الدنيا وما فيها اي فكيف الجنة نفسها وما بها من نعيمها رواه البخاري وفي الجامع غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها رواه احمد والشيخين وابن ماجة عن انس والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد ومسلم وابن ماجة عن ابي هريرة والترمذي عن ابن عباس ورواه احمد ومسلم والنسائي عن ابي ايوب مرفوعا ولفظه غدوة في سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت وروى الطبراني والضيا عن سعيد بن عامر مرفوعا لو ان امراة من نساء اهل الجنة اشرفت الي الارض لملات الارض من ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر وروى احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن انس بلفظ لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قده في الجنة خير من الدنيا وما فيها والقد بكسر القاف وتشديد الدال وتر القوس وقيل السوط وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة قال ابن الجوزي يقال انها طوبى قال العسقلاني وشاهد ذلك عند احمد والطبراني وابن حبان يسير الراكب في ظلها اي في ناحيتها والا فلا ظل في عرف اهل الدنيا ما يقي من حر الشمس واذاها وقد قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقد يقال المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الصبح الي طلوع الشمس ومنه ما بين طلوع الشمس ولذا قال تعالى في ظل ممدود ويمكن ان يكون للشجرة من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجاب الستار مائة عام لا يقطعها اي لا ينتهي الراكب الي انقطاع ظلها ولقاب قوس احدكم في الغاية القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر والتنعال امة يعرف بها المسافة بين الشيئين من فوقهم نزلوا في هذه الارض اذا انزوا فيها بمواطنهم ومحالهم وقال التوربشتي الراحل يبادر الي تعيين المكان

يوضع كما ان الراكب يأ در اليه برى سوطه انتهى والاظهر في المعنى لقد موضع قيد سوط احدكم في الجنة او المقدار وقيمة لو فرض انه يوجد فيها خير مما طلعت عليه الشمس في الدنيا او تغرب وفي نسخة او غربت واو اما للشك واما للتنويع واما بمعنى الواو وقال المراد بها ما بين الخافقين وهو المعبر به عن الدنيا وما فيها متفق عليه وفي الجامع ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه البخاري والترمذي عن انس والشيخان عن سهل بن سعد واحمد والشيخان والترمذي عن ابي سعيد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن في الجنة خيمة اي عظيمة من لؤلؤة بهمزتين وبيدالهما وقد يبدل الاول دون الثانية اي درة واحدة مجوفة عرضها فالطول بالاولى وفي رواية طولها اي وعلى قياسه عرضها ويتحصل بالروايتين ان طولها وعرضها كل واحد منهما ستون ذراعا في كل زاوية اي من الزوايا الاربعة منها اي من تلك الخيمة اهل اي للمؤمن من زوج وغيره ما يرون اي ذلك وجمع باعتبار معناه الاخرين اي الجمع الاخرين من اهل الكائنين في رواية اخرى يطوف عليهم اي يدور على جميعهم المؤمنون بصيغة الجمع في اصل السيد وكثير من نسخ المشكاة وفي بعضها بصيغة الافراد وقال الطيبي كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح وفي مسلم والحميدي وجامع الاصول المؤمن فعلى هذا جمع لارادة الجنس انتهى وقال الشارح وتبعه ابن الملك ان المعنى يجامع المؤمن الاهل وان الطواف هنا كناية عن المجامعة وجنتان مبتدا خبره محذوف اي وللمؤمن جنتان واغرب من قال انه عطف على اهل لكونه بعيدا عن المعنى وان كان قريبا في اللفظ ثم قال الشارح اي درجتان او قصران من فضة آنيتهما وما فيهما اي من القصور والاثاث كالسرور وكقضبان الاشجار وامثال ذلك فقيل قوله من فضة خبر آنيتهما والجملة صفة جنتان او من فضة صفة قوله جنتان وخبر آنيتهما وما فيهما كذلك او آنيتهما فاعل الظرف اي تفضض آنيتهما وكذا من جهة المبنى والمعنى قوله وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ثم ظاهره ان الجنتين من فضة لا غير وبالعكس فالجمع بينه وحديث وصف بناء الجنة من ان لبنة من ذهب ولبنة من فضة ان الاول صفة ما في الجنة من ابنية وغيرها والثاني صفة حوائط الجنان او المراد به التبعيض لا التنويع او يقال الجنتان من ذهب للكمل من اهل بينة مقام الخوف الموجب للقيام بالطاعة على الوجه الاكمل كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام ارباب الكمال كما اشار اليه تعالى بقوله ومن دونهما جنتان والحاصل ان المراد بالاولين هم السابقون وبالاخرين هم اللاحقون واما الجنة الملمعة فاصحابها المخلطون والله سبحانه اعلم بهذا وقال البيهقي دل الكتاب والسنة على ان الجنان اربعة وذلك لان الله تعالى قال في سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان ووصفهما ثم قال ومن دونهما جنتان ووصفهما وروينا عن ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان آنيتهما وما فيهما من ذهب

وجنتان

وجنتان آنيتهما وما فيهما من فضة قلت ويؤيد ما قدمناه ما في رواية جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين ولا يبعد ان يكون المراد بالجنتين نوعان من الجنة احدهما من ذهب والآخر من فضة وقد يكون لارباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة على يمين قصورهم وشمالها طلبا للازينة لا يفقد ان الذهب او كرر الفضة على انه قد يراد بالتثنية التكثير ويقويه ان ابواب الجنة وطبقاتها ثمانية يتفق في الماهية وهي جنة عدن وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة نعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة وما بين القوم اي وليس ما يمنع من الموانع بين اهل الجنة وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء اي صفة العظمة على وجهه اي ثابتا على ذاته فهو حال من الرداء في جنة عدن اي كائنين في جنة اقامة وخلود وهو بدل من قوله في الجنة كذا قيل وهو يوهم الاختصاص مع ان وصف الاقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة فلا عبرة بالمفهوم الموهم قال الطيبي قوله على وجهه حال من رداء الكبرياء والعامل معنى ليس وقوله في جنة متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر في غير الجنة قلت هذا مسلم لكن لفظ الحديث في جنة عدن وقال الشيخ التوربشتي ما بين العبد المؤمن اذا تبوأ مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب الكدورة الجسمية واضمحلال الموانع الحسية هناك وبين نظره الى ربه الا ما يصده من هيبة الجلال وسبحات الجمال ولا يرتفع ذلك منهم الا رأفة ورحمة منه تفضلا على عباده وانشد في المعنى

اشتاقه فاذا بدا ۞ اطرقت من اجلاله ۞ لا خيفة بل هيبة ۞ وصيانة لجماله ۞ واصد عنه تجلدا ۞ واروم طيف خياله ۞

متفق عليه وفي الجامع ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا رواه مسلم عن ابي موسى ورواه احمد ومسلم والترمذي عن ابي موسى بلفظ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها اهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن وروى احمد والطبراني عن ابي موسى مرفوعا جنان الفردوس اربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وهذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك انهارا وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة يمكن ان يراد به الكثرة لما ورد من رواية البيهقي عن عائشة مرفوعا عدد درج الجنة عدد آي القرآن فمن دخل الجنة من اهل القرآن فليس فوقه درجة ويمكن ان يقال في الجنة مائة درجة لكل واحد من اهلها فيكون بيانا لاقل ما يكون فيها من انواع السعة واصناف النعمة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض

ويمكن تفنيده وصف المائدة بما ذكر وغيرها يكون خلافها من كونه اقل واكثر كذا ورد الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا ان في الجنة درجة لا ينالها الا اصحاب الهموم والفردوس اي الجنة المسماة بالفردوس المذكور في القران في قوله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس اعلاها اي اعلى ساير الجنان درجة او على هذه المائة باعتبار كل فرد او باعتبار المجموع في النهاية الفردوس في اللغة البستان الذي فيه الكروم والاشجار ومنه جنة الفردوس قلت ولا بد له من وصف زائد يختص به ويمتاز به عن غيره كما يشير الى بعضه قوله منها وفي رواية الجامع ومنها اي من جنة الفردوس تفجر بصيغة المجهول اي تشقق وتجري انهار الجنة الاربعة بالرفع صفة الانهار وهي انهار الماء واللبن والخمر والعسل المذكورة في القران فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ومن فوقها يكون عرش الرحمن فهذا يدل على ان الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال صلى الله عليه وسلم تعليما للامة وتعظيما للهمة فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس اي فانه سر الجنة على ما رواه الطبراني عن العرباض وهو بضم السين وتشديد الراء اي وسطها وخيرها وروى الطبراني عن سمرة مرفوعا الفردوس ربوة الجنة واعلاها واوسطها ومنها تفجر انهار الاربعة وروى ابن مردويه عن ابي امامة مرفوعا ان اهل الفردوس يسمعون اطيط العرش رواه الترمذي وفي الجامع رواه ابن ابي شيبة واحمد والترمذي والحاكم في مستدركه قال المؤلف ولم اجده اي هذا الحديث في الصحيحين اي في متنيهما ولا في كتاب الحميدي اي الجامع بينهما ولعله سقط عن جامع الاصول لصاحب عن تتبعه وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح حيث اورد الحديث في الصحاح والحال انه لم يوجد الا في الحسان فالاعتراض كذا قاله الم وواقفه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح واقول قد اخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن ابي هريرة مثل عبادة والتفاوت بينهما اي بين حديث ابي هريرة وحديث عبادة يسير فكان على صاحب المشكاة والشيخ ايضا ان يقولا ورواه البخاري من حديث ابي هريرة مع تفاوت يسير انتهى وقال الحافظ ابن حجر في تخريج احاديث المشكاة وعجيب من ادخال البغوي له في احاديث الصحاح ثم كلامه وقيل ونسبه صاحب المشارق ايضا الى البخاري وقد قيل انه موجود في البخاري في موضعين الاول في كتاب الجهاد والثاني في باب وكان عرشه على الماء وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في سبيل الله ممن حفظه حجة على من لم يحفظ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا اي مجمعا فيه الصور المشتهاة يأتونها اي يحضر اهل الجنة تلك السوق كل جمعة بضمتين ويسكن الثاني قال النووي السوق مجمع لاهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة اي اسبوع وليس هناك اسبوع حقيقة لفقد الشمس

والليل

والليل والنهار قلت وانما يعرف وقت الليل والنهار بارخاء استار الانوار ورفعها على ما ورد في بعض الاخبار فيهذا يعرف يوم الجمعة وايام الاعياد وما يترتب عليها من الزيادة والرؤية وساير الامداد والاسعاد وفي الجامع ان اهل الجنة ليحتاجون الى العلماء في الجنة وذلك انهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم تمنوا على ما شئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون اليهم في الجنة كما يحتاجون اليهم في الدنيا رواه ابن عساكر عن ابن جابر هذا او يسميه يوم الجمعة يوم المزيد في الجنة يدل على تميزه عن ساير الايام والله اعلم بالمرام فتهب ريح بضم الهاء وتشديد الموحدة اي فتاتي ريح الشمال بفتح اوله من غير همز وخصت بالذكر لانها من ريح المطر عند العرب فتحثو اي تنثر تلك الريح والمفعول محذوف اي المسك وانواع الطيب في وجوههم اي ابدانهم وخصت الوجوه لشرفها او المراد بها ذواتها وثيابهم فيزدادون اي في ثيابهم حسنا وجمالا جمع بينهما للتاكيد والمراد باحدهما الزينة وبالاخر حسن الصورة فيرجعون اي من السوق ازدادوا حسنا وجمالا فيه يكون زيادة حسنهم بقدر حسنها ثم فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم اي انتم ايضا وفيه تغليب لكون الاهل اعم من النساء والولدان او اريد به التعظيم والتكرير ادرج في المشاكلة والمقابلة بعدنا اي بعد مفارقتكم عنا حسنا وجمالا فيقولون وانتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وهو اما لاصابتهم من تلك الريح او بسبب انعكاس جمالهم او لاجل انا نشرنا لهم وتزيين ما لهم رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة بضم الزاي اي اول جماعة وهم الانبياء والاولياء كذا قاله شارح والاظهر ان المراد بهم الانبياء خاصة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ولعل دخولها على صورة الشمس مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم اي يقربونه تلك الزمرة في قرب المرتبة من الاولياء والعلماء والشهداء والصالحين كاشد اي كل واحد منهم كاشد كوكب دري في السماء وهو بضم الدال وتشديد الراء اي شديد الانارة منسوب الى الدر وتقدمت لغات اخر مع بيان معانيها ثم فوقه اضاءة تمييز بين وجه الشبه قال الطيبي افرد المضاف اليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب يعني اذا تقصيت كوكبا كوكبا رايتهم كاشد اضاءة قلوبهم الى قلوب اهل الجنة حينئذ وقلوب الزمرة الاخيرة فالاولى بالاولى على قلب رجل واحد اي في الاتفاق والمحبة وقوله لا اختلاف بينهم ولا تباغض تفسير لقوله قلوبهم الخ وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لكل امرئ منهم زوجتان اي عظيمتان من الحور بضم الحاء اي النساء البيض الابدان من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواري والحواريون اي حسان الاعيان يرى بصيغة المجهول اي يبصر مخ سوقهن جمع الساق اي مخ عظامها من وراء العظم واللحم الواو لمطلق الجمع والترتيب للترقي من الحسن اي من اجل لطافته خلقتهن قال الطيبي هو تتميم صونا من توهم ما يتصور في تلك الرؤية مما ينفر

عنه الطبع والحسن هو الصفا ورقة البشرة ونعومة الاعضاء هذا ولعل الزوجتين المذكورتين
لعموم افراد المؤمنين من اهل الجنة واما اهل الخصوص فيزداد لهم على حسب مقاماتهم
وقال الطيبي الظاهر ان التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى فارجع البصر كرتين
لانه قد جاء ان للواحد من اهل الجنة العدد الكثير من الحور العين يسبحون الله اي اهل الجنة
ينزهونه تعالى عن صفات النقصان ويثبتون له نعوت الكمال لحال التلذذ والابتهاج متلازمان
كما حقق كلمة التوحيد من ان الجمع بينهما للتوكيد والى ذلك اشار في قوله سبحانه دعواهم
فيها سبحانك اللهم بكرة وعشيا اي دائما على انه اراد بهما ليلا ونهارا باطلاق الجزء وارادة
الكل مجازا وقال الطيبي يراد بهما الديمومة كما يقال العرب انا عند فلان صباحا
ومساء لا تقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة لا يسقمون بفتح القاف وضم ففي
القاموس سقم وكرم والمعنى لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون ولا يبولون اي
من قبل ولا يتغوطون اي من دبر ولا يتفلون بضم الفاء وكسرها اي لا يرمون قوله ولا يمتخطون
اي ليس في فمهم وانفهم من المياه الزائدة والمواد الفاسدة ليحتاجوا الى اخراجها ولان الجنة
مساكن طيبة للطيبين فلا يلائمها الادناس والانجاس آنيتهم جمع اناء اي ظروفهم
الذهب والفضة اي ملمعة على ارادة الزينة او ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم
الفضة قالوا وبمعنى او للتنويع وامشاطهم جمع مشط الذهب ووقود مجامرهم
بفتح الواو اي ما يوقد به مجامرهم الالوة بفتح الهمزة وبضم اللام وتشديد الواو
وقال النووي هو العود الهندي وقال شارح المجمر بالفتح ما يوضع فيه الجمر ويبخر
فيه العود وبالكسر الالة وقال بعضهم وقال بعضهم انه لا نار في الجنة واجيب بانه يفوح
بغير نار فالقول وقد يكون بنور وهو في غاية من الظهور وفي النهاية المجامر جمع مجمر بالكسر
وهي التي توضع فيه النار للبخور وبالضم وهو الذي يتبخر به واعد له الجمر قال الطيبي
والمراد في الحديث هو الاول وفائدة الاضافة ان الالوة هي الوقود نفسه بخلاف المتعارف
فان وقودهم غير الالوة انتهى وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات
المتعالية والا فلا تلبد لشعورهم ولا وسخ ولا عفونة لابدانهم وثيابهم بل ريحهم
اطيب من المسك فلا حاجة لهم الى التمشط والتبخر الا لزيادة الزينة والتلذذ
بانواع النعمة الحسنة كما قال ورشحهم المسك والمعنى رائحة عرقهم المسك فهو
تشبيه بليغ على خلق رجل واحد بضم الخاء واللام ويسكن والمعنى انهم على قلب واحد
كما سبق ويفتح الاول والمعنى انهم ازواجا في سن واحد وهو ثلاثون او ثلاث وثلاثون
سنة على ما سياتي في الحديث وهو الملائم المناسب لقوله على صورة ابيهم آدم اي في القامة
وبينه بقوله ستون ذراعا في السماء اي طولا فكني عنه به قاله الطيبي وقيل العرض
سبعة والله اعلم قال النووي روي بضم الخاء واللام وفتح الخاء واسكان اللام
وكلاهما صحيح ورجح الضم بقوله في الحديث الاخر لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم

اي عرقهم صح

علي

على قلب واحد وقد يرجح الفتح بقوله لا يمتخطون ولا يتفلون وقال الطيبي فعلى هذا
لا يكون قوله على صورة ابيهم آدم بدلا من قوله على خلق رجل واحد بل يكون خبر مبتدأ محذوف
فاذا قيل الموصوف بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد حسن الابدال انتهى وانما الاختلاف
في المراد بلفظ الحديث والا فلا خلاف ان اهل الجنة كلهم كاملون في الخلق والخلق جميعا
بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار فانه موجب لحسن الخلق بالفتح ولذا قيل الظاهر
عنوان الباطن وقد ورد انه سبحانه ما خلق نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت لكن قوله
تعالى وانك لعلى خلق عظيم بيان ان يكون له صلى الله عليه وسلم شان عظيم في خلق تصويره
تجسيم فان المؤمن مرآة المؤمن فيستفاد صفاء المرآة وصفاء لينها وتحليتها وتخليتها تنعكس
وتنجلي فيها صورة المحبوب والمطلوب متفق عليه وفي الجامع اول زمرة يدخل الجنة
على صورة القمر ليلة البدر والثانية على لون احسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم
زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقهما من ورائها رواه احمد والترمذي
عن ابي سعيد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة ياكلون
فيها ويشربون اي فيها ولا يتفلون اي لا يبصقون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون
من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل قالوا اي بعض الصحابة فما بال الطعام
اي ما شانه وفضلته قال جشاء بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلاء قال شارح اي صوت
مع ريح يخرج من الفم عند الشبع اقول التقدير هو جشاء ورشح اي عرق كرشح المسك اي يصير
فضلة الطعام جشاء اي نظيره والا فجشاء الجنة لا يكون مكروها بخلاف جشاء الدنيا ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم اقصر عنا جشاءك ويصير رشحا وهو اما باعتبار اختلاف
الاشخاص او الاوقات او بعض الطعام يكون جشاء وبعضه رشحا او الاظهر ان الاكل
ينقلب جشاء والشرب يعود رشحا والطعام قد يطلق عليهما نظرا الى معنى الطعم ففي القاموس
طعم الشيء حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب اقول ويؤيده التنزيه
في قوله وهو يطعم ولا يطعم هذا وفي رواية الجامع ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح
المسك واما قول الطيبي اي يندفع الطعام بالجشاء والرشح فهو حاصل المعنى لا حل المبنى
كما لا يخفى ثم بين بعض احوال اخر لاهل الجنة على سبيل الاستيناف والبيان حيث قال
يلهمون اي اهل الجنة التسبيح والتحميد اي ونحوهما من الاذكار كما تلهمون انتم في هذه الدار
النفس بفتحتين اي التنفس والمعنى لا يتعبون من التسبيح والتهليل كما لا تتعبون انتم
او هم من النفس ولا يشغلهم شيء من ذلك كما لا يمنعهم من التنفس كالملائكة او يريد انها تصير
صفة لازمة لا ينفكون عنها كالتنفس اللازم للحيوان والحاصل انه لا يخرج عنهم
نفس الا مقرونا بذكره وشكره ولذا قال العارفون ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة عاجلة
في الدنيا وجنة آجلة في العقبى فالاولى وسيلة للاخرى والاخرى نتيجة للاولى وقد
اشير الى هذا المعنى في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم فانه لا نعيم اعلى من دوام ذكر الكريم

وان الفجار لفي جحيم فات الجنات اشد انواع العذاب قال الطيبي لانها والقاء الشيء في الروع ويخلص
ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملا الاعلى فقوله تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لان المراد
به التنفس رواه مسلم وكذا احمد والترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم بفتح العين اي يتنعم ولا يباس بسكون الموحدة فالهمزة المفتوحة
اي لا يفتقر ولا يهتم قال الطيبي هو تاكيد لقوله ينعم والاصل ان لا يجاء بالواو ولكن اراد به
التقرير على الطرد والعكس كقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون قلت
وفي رواية الجامع لا يباس بلا عاطف ولا يبلى بفتح اللام مع التذكير والتانيث اي لا يخلق ثيابه
ولا يفنى اي لا يذهب شبابه قال القاضي معناه ان الجنة دار الثبات والقرار وان التغير
لا يتطرق اليها فلا يشوب نعيمها بوس ولا يعتريه فساد ولا تغيير فانها ليست دار الاضداد
محل الكون والفساد رواه مسلم وعن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ينادي منادي اي في الجنة وقيل اذا راوها من بعيد ان لكم بكسر الهمزة اي قايلا ان لكم
ان تصحوا بكسر الصاد وتشديد الحاء اي تكونوا صحيحة الابدان دايما فلا تسقموا اي فلا
تمرضوا ابدا وان لكم ان تحيوا بفتح الياء اي تكونوا احيا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا بكسر
الشين المهملة وتشديد الموحدة اي تدوموا شبابا فلا تهرموا بفتح الراء اي لا تشيبوا ابدا
وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا قال الطيبي هذا النداء والبشارة الذ واشهى مما فيه
من السرور وفي عكسه انشد المتنبي ٭ اشد الغم عندي في سرور ٭ تيقن عنه صاحبه
انتقالا رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان اهل الجنة يتراون اي ينظرون ويرى بعضهم بعضا اهل الغرف بضم ففتح جمع غرفة
وهي بيت يبنى فوق الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة من فوقهم وفي هذا تصريح
بان قوله تعالى في الجنة عالية يراد بها العلو الحسي ايضا كما تتراون اي انتم في الدنيا الكوكب الدري
اي لصفاء لونه ونوره وعلو ظهوره الغابر بالغين المعجمة ثم بالموحدة من الغبور اي الباقي
في الافق بضمتين جمع الآفاق اي في اطراف السما وفي نسخة بالهمزة بدلها من الغور اي الذاهب
في الافق البعيد الغور قبيله من المشرق اي من جانبه او المغرب اي من طرفه والظاهر ان او
للتخيير في التشبيه كقوله تعالى او كصيب من السما ونحوه او كظلمات في بحر وليست للشك
قال التوربشتي قد اختلف في الغابر فمنهم من رواه بالهمزة بعد الالف من الغور يريدون انحطاطه
في الجانب الغربي ومنهم من رواه بالباء من الغبور والمراد منه الباقي في الافق بعد انتشار
ضوء الفجر فانما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضي ولا شك ان الرواية الاولى نشات
من التصحيف انتهى ولم يذكر وجه التصحيف فيه وقال شارح وروي الغاير من الغور
وهو الانحطاط وهو تصحيف لانه لا يناسب قوله من المشرق اذ غور الكوكب في الجانب
الشرقي مما لا يتصور ثم قال قوله من المشرق والمغرب كذا في المصابيح اي بالواو والصواب
من المشرق الى المغرب كما في كتاب مسلم قال المولف وكذا في شرح السنة وجامع الاصول

ورياض

ورياض الصالحين قيل وانما ذكر المشرق والمغرب دون السما لان المقصود البعد ولا تنازع
معاوقال النووي معنى الغاير الذاهب الماضي اي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون
وروي في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء وروي العازب بالعين المهملة والزاي
ومعناه البعيد في الافق فكلها راجعة الى معنى واحد قال الطيبي فان قلت ما فايدة
تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الافق قلت للايذان بانه من باب التمثيل
الذي وجهه منتزع من عدة امور متوهمة في المشبه شبه روية الراى في الجنة صاحب
الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضي الباقي في جانب الشرق او الغرب في الاستضاءة
مع البعد فلو قيل الغابر لم يصح لان الاشراق يفوت عند الغروب اللهم الا ان تقدر
المستشرف على الغروب كقوله تعالى حتى اذا بلغن اجلهن اي شارفن بلوغ اجلهن لكن لا
يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي نعم يجوز على التقدير كقولهم متقلدا سيفا ورمحا
وعلفته تبنا وماء باردا اي طالعا في الافق من المشرق وغابرا في المغرب لتفاضل ما بينهم
علة للتراي والمعنى انما ذلك لتزايد مراتب ما بين ساير اهل الجنة العالية وما بين
ارباب اهل الغرف العالية قيل الجنة طبقات اعلاها للسابقين واوسطها للمقتصدين
واسفلها للمخلصين قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى
ان يبلغها غيرهم من الاوليا وايشاركها معهم بعض الاصفيا والذي نفسي بيده رجال
اي وهم رجال او يبلغها رجال اي كاملون في الرجولية كقوله تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله امنوا بالله اي حق الايمان بما ان وشايبه الا القان ونهاية
الاحسان وصدقوا المرسلين في اجابة ما امروا به ونهوا عنه وقاموا بوصف الصابرين
والشاكرين وترقوا الى مقام الراضين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض
هونا الى ان قال اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الاية وفي جميع المرسلين اشعار
بان هذه المرتبة العلية غاية للسابقين على حسب تفاوتهم في الرتب السنية
وليست خاصة لهذه الامة مع ان التصديق المرسلين على وجه التحقيق انما هو لهذه
الجماعة نعم قد يراد به مقابلة الجمع للجمع فالمراد رسوله خاصة بالاصالة وساير
الرسل بالتبعية فانه يلزم من التصديق بواحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب
ومنه قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين متفق عليه وكذا رواه احمد وابن حبان
والدارمي عن ابي سعيد وكذا الترمذي عن ابي هريرة ورواه احمد والشيخان وابن حبان
عن سهل ابن سعد ولفظه ان اهل الجنة ليتراون اهل الغرف في الجنة كما تتراون الكوكب
في السما ورواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عن ابي سعيد والطبراني عن
جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن ابي هريرة بلفظ ان اهل الدرجات العلى يراهم من
هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في افق السما وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وفي بعض
طرق الحديث قيل وما معنى انعما قال اهل لذلك هما وروى ابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا

اهل عليين ليشرف احدهم علي الجنة فيضي وجهه لاهل الجنة كما يضي القمر ليلة البدر
لاهل الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروى ابن ابي الدنيا في كتاب الاخوان والبيهقي
عن ابي هريرة مرفوعا ان في الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها ابواب مفتحة
تضي كما تضي الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون
في الله وروى احمد وابن حبان والبيهقي عن مالك الاشعري والترمذي عن علي مرفوعا ان
في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام
والان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وعن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة اقوام افئدتهم اي قلوبهم مثل افئدة الطير
اي في الرقة واللينة والرحمة والصفا والخلو عن الحسد والحقد والغل والبغضاء وكمال
لكونها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب قال النووي قيل مثلها في رقتها كما ورد اهل
اليمن ارق افئدة والين قلوبا وقيل في الخوف والهيبة والطير اكثر الحيوان خوفا وفزعا
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقيل في التوكل كما ورد ولو انكم تتوكلون
على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقد قال تعالى
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم رواه مسلم وكذا
احمد في مسنده وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة يقولون لبيك ربنا اي يا ربنا وسعديك والخير اي
جنسه او جميع افراده في يديك اي منحصر في قبضة قدرتك وارادتك فيقول هل
رضيتم اي عن ربكم فيقولون وما لنا لا نرضى الاستفهام للتقرير والمعنى اي شي مانع
لنا من ان لا نرضى عنك يا رب اي يا ربي والقياس يا ربنا فكانه افرد باعتبار كل قايل وقد
اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك الجملة حالية فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك اي
فيقولون يا رب واي شيء افضل من ذلك صح
من عطائك هذا فيقول احل بضم الهمز وكسر الحاء اي انزل عليكم رضواني بكسر الراء او
بضم دوام رضواني فانه لا يلزم من كثرة العطا دوام الرضا ولذا قال فلا اسخط بفتح الخاء
المعجمة اي لا اغضب عليكم بعده ابدا انما للبقا يترتب على الرضا من الرب المتفرع على
الرضا من العبد للقضا ترتيب البقا بعد تحقق الفنا فاذا انه الملك في الحديث دلالة
على ان رضوان الله تعالى على العبد فوق دخوله اياه الجنة وقال الطيبي الحديث
ماخوذ من قوله تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن
طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر الكشاف انما كبر من ذلك كله لان رضاه سبب
كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته وكرامته اكبر اصناف
الثواب لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراه من النعم وانما
يتهنا لها له برضاه كما ينقص عليه بسخط ولم يجد لها لذة وان عظمت قال الطيبي واكبر
اصناف الكرامة روية الله تعالى قلت ولعل الرضوان اكبر لاشتماله على تحصيل اللقا وساير

انواع

انواع النعم متفق عليه وكذا رواه احمد والترمذي وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى مقعد احدكم اي اقل مرتبة مكانه ومسيرة جنانه ومسافة
قصوره من الجنة اي فيها ان يقول اي الله والملك له تمن فيتمنى ويتمنى والظاهر ان المراد
بالتكرير هو التكثير قال الطيبي قوله ان يقول له خبر ان والمعنى ان ادنى منزلة احدكم
في الجنة ان ينال امانيه كلها بحيث لا يبقى له امنية ونحوه قول الشاعر لم يبق جودك
لي شيئا اومله تركتني اصحب الدنيا بلا امل فيقول اي الرب له هل تمنيت اي جميع امانيك
فيقول نعم فيقول له فان لك ما تمنيت اي وعدا وعدا ومثله معه اي زيادة وفضلا
وفيه ايماء الى ان من يكون منتهى تمناه رضى مولاه وما يترتب عليه من لقاه فلا ينقص
له مزيد ان يعطاه رواه مسلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيحان وجيحان بفتح اولهما نهران بالشام اولهما مثل السيح بالسين والحاء المهملتين
وهو جري الما على وجه الارض والنون فيه زايدة وثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحاء
اذا ساء غذاؤه والنون فيه اصلية والفرات نهر بالكوفة والنيل نهر مصر واما سيحون
فنهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم كذا قاله شارح وقيل سيحان نهر
بالشام وقيل بالهند وجيحان نهر بلخ وقال النووي سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون
والمذكوران في الحديث في بلاد الارمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنة
وهما نهران عظيمان جدا وهذا هو الصواب واما قول الجوهري جيحان نهر بالشام فغلط
وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس
واتفقوا على ان جيحون بالواو نهر خراسان وقيل سيحون نهر بالسند كل اي كل واحد
منها من انهار الجنة انما جعل الانهار الجنة الاربعة من انهار الجنة لما فيها من العذوبة
والهضم وتضمنها البركة الالهية وتشرفها بورود الانبيا اليها وشربهم عنها وذلك
مثل قوله صلى الله عليه وسلم في عجوة المدينة انها من ثمار الجنة ويحتمل وانه سمى
الانهار التي هي اصول انهار الجنة بتلك الاسامي ليعلم انها في الجنة بمثابة الانهار
الاربعة في الدنيا او لانها مسميات بتلك الاسما فوقع الاشتراك فيها كذا ذكره شارح من
علمائنا وقال القاضي جعل الانهار الاربعة لعذوبة مائها وكثرة منافعها كانها
من انهار الجنة ويحتمل ان يكون المراد بها الانهار الاربعة التي هي اصول انهار الجنة وسماها
باسامي الانهار الاربعة التي هي اعظم انهار الدنيا واشهرها واعذبها وافخرها عند العرب
على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم انها في الجنة بمثابتها وان ما في الدنيا من انواع المنافع
والنعايم انموذجات لما يكون في الاخرة وكذا ما فيها من المضار المردية والمستكرهات الموذية
وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض كون هذه الانهار من الجنة الايمان لهم
بلادها او ان الاجسام المتغذية بمائها صايرة الى الجنة والاصح انها على ظاهرها وان
لها مادة من الجنة مخلوقة لانها موجودة اليوم عند اهل السنة وقد ذكر مسلم في كتاب

الايمان في حديث الاسرا ان الفرات والنيل يجريان من الجنة وفي البخاري من اصل سدرة المنتهى
وفي معالم التنزيل روى ابن عباس ان الله تعالى انزل هذه الانهار من عين واحدة من عيون
الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض
وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاذا كان عند
خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جبريل يرفع من الارض القران والعلم والحجر الاسود ومقام
ابراهيم وتابوت موسى وهذه الانهار فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون
رواه مسلم وعن عتبة بضم عين مهملة فمثناة فوقية ساكنة فموحدة على ما في
اسماء الرجال للمؤلف ابن غزوان بفتح معجمة وسكون زاي قيل هو سابع سبعة في الاسلام
قال ذكر لنا هو في حكم المرفوع لان الغالب في الصحابي الكبير ان لا ياخذ من غير النبي صلى
الله عليه وسلم او من الصحابة ومراسيل الصحابي حجة بالاتفاق المعنى بلغنا ان الحجر يلقى
اي يرمى من شفة جهنم بفتح اوله ويكسر وحدة الشفاة اي من شفير جهنم وطرفها فيهوي
اي فيسقط الحجر وينزل فيها اي في هوى جهنم سبعين خريفا اي سنة لا يدرك اي الحجر
لها اي لجهنم قعرا وهو ابلغ من ان يقال لا يصل الى قعرها والمعنى انها مع طولها وعرضها
وعمقها والله لتملأن بصيغة المجهول اي جهنم من الكفار رجوع لعتبة بعد وصف جهنم
انتقالا الى نعت الجنة ولقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة اي ما بين
طرفي باب من ابوابها مسيرة اربعين سنة ولياتين عليها يوم وهو لعل كلام غير مرفوع
عليها وهو يرجع الى ما فالاول باعتبار المعنى لان ما عبارة عن اماكن والثاني باعتبار
لفظ فالمعنى والحال ان ما بينهما كظيظ بالمعجمتين اي مملو فعيل بمعنى مفعول وقيل
اي ممتلئ من الزحام بكسر الزاي اي الكثرة رواه مسلم

الفصل الثاني

عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قيل اي من النطفة والظاهر
ان يكون اقتباسا من قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي وخلقنا من الماء كل حيوان
بقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء وذلك لان الماء اعظم مواده او لفرط احتياجه
اليه وانتفاعه بعينه وقرئ حيا على انه صفة كل ومفعول ثان والظرف لغو
والشيء مخصوص بالحيوان قلنا وفي نسخة صحيحة قلت الجنة ما بناؤها اي اهي
من حجر او مدر او خشب او شعر قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة اي بناؤها ملمع
ومرصع بينهما او ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم والله اعلم وملاطها بكسر
الميم اي ما بين اللبنتين موضع النورة المسك الاذفر اي الشديد الريح في النهاية
الملاط الطين الذي يجعل بين سافتي البناء يملط به الحائط اي يخلط وحصباؤها اي حصا
الصغار التي في الانهار اللؤلؤ والياقوت اي مثلهما في اللون والصفا وتربتها اي مكان ترابها
الزعفران اي الناعم الاصفر الطيب الريح فجمع بين الوان الزينة وهي البياض والحمرة
والصفرة وبتكميل الاشجار الملونة بالخضرة ولما كان السواد مما يغم الفؤاد خص باهل

العناد

العناد من العباد من يدخلها ينعم ولا يباس بفتح وسطهما قال التوربشتي قد وجدناه في
المصابيح وفي بعض كتب الحديث ييؤس بالهمزة المضمومة بدلا لذلك او على الضمة وباس الامر
يبوس اذا اشتد وباس ويباس اذا افتقر والغلط انما وقع في رسم الخط والصواب لا يباس
انتهى وفي القاموس الباس العذاب والشدة في الحرب ومنه الباس وبؤس ككرم وبئس كسمع
اشتدت حاجته ومنه البأساء ويخلد اي يدوم فيها فلا يتحول عنها ولا يموت اي لا يتعرض دائما
يبقى ولا تبلى بفتح اوله اي لا تخلق ولا تنقطع ثيابهم وكذا اثاثهم ولا يفنى شبابهم
اي لا يهرمون ولا يخرفون ولا يتغيرهم مضي الزمان فانهم خلقوا للنعيم الابدي في ذلك المكان
رواه احمد والترمذي والدارمي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما في الجنة شجرة الا وساقها من ذهب واما اغصانها فمختلفة فتارة من
ذهب واخرى من فضة وياقوتة او زمردة او لؤلؤة او مرصعة ملمعة مزينة بانواع
الازهار واصناف الالوان ومن فوقها اجناس الاثمار ومن تحتها تجري الانهار رواه الترمذي
وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة قال
ابن الملك المراد بالمائة هاهنا الكثرة وبالدرجة المرقاة اقول الاظهر ان المراد بالدرجات المراتب
العالية قال تعالى هم درجات عند الله اي ذوو درجات بحسب اعمالهم من الطاعات كما ان اهل
النار اصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم في شقاوة الكفر كما يشير اليه قوله سبحانه
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويؤيده الحديث الذي يليه وظاهر قوله ما بين
كل درجتين مائة عام اي مقدار مسافة مائة سنة رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن غريب وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة
درجة لو ان العالمين اي خلق الاولين والاخرين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم اي لكفتهم
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وكذا رواه ابن حبان من وجه اخر وصححه وعنه
اي عن ابي سعيد في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها اي اعتلاء فرش الجنة او ارتفاع
الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها كما بين السماء والارض خبر لارتفاعها كقوله مسيرة
خمسمائة سنة او الثاني بدل او بيان ثم دخول اللام في خبر المبتدا كما في قول الشاعر
ام الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبة والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة
عليهما في الصحاح والكاف في لكما اسم قال الزجاج في قوله تعالى ان هذان لساحران قالت النحاة
القدماء الضمير فيه مضمر اي انه هذان لساحران قالوا واصل هذه اللام ان يقع في الابتداء
ووقوعه في الخبر جائز هذا وفي الكشاف في قوله فرش مرفوعة اي نضد حتى ارتفعت
او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش ويدل عليه قوله انا انشأناهن
انشاء على التفسير الاول اضمر هن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهى فمعنى مرفوعة على
الفرش والسرر او بالجمال على نساء اهل الدنيا على ما قيل فان كل فاضل رفيع لكن ثبت في الحديث
ان المؤمنات احق من الحور لصلاتهن وصيامهن قال التوربشتي قول من قال المراد منه

هن

ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات كما بين السما والارض
هذا القول اوثق واعرف لوجوه المذكوره ذلك لما في الحديث ان للجنة مائة درجة ما بين
كل درجتين كما بين السما والارض انتهى وعارضه الطيبي بما لا طائل تحته فاعرضت
عن ذكره وتركت بحثه رواه الترمذي اي موقوفا وقال هذا حديث غريب وعنه
اي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون الجنة
يوم القيامة وهم الانبيا عليهم السلام ضوء وجوههم اي نورها على مثل ضوء القمر
ليلة البدر وهو وقت كمال انارته والزمرة الثانية على مثل احسن كوكب دري في
السما وهم الاوليا والصلحا على اختلاف مراتبهم في الضيا لكل رجل منهم زوجتان
على كل زوجة سبعون حلة بضم حاء وتشديد لام ولا تطلق الا على ثوبين يرى
اي يبصر مخ ساقها اي مخ عظام ساق كل زوجة من ورائها اي من فوق حللها السبعين لكمال
لطافة اعضائها وثيابها والتوفيق بينه وبين خبر ادنى اهل الجنة من له ثنتان
وسبعون زوجة وثمانون الف خادم بان يقال لكل منهم زوجتان موصوفتان
بان يرى مخ ساقها من ورائها وهذا لا ينافي ان يحصل لكل منهم كثير من الحور العين
البالغة الى هذه الغاية كذا قيل والاظهر ان لكل زوجتان من نساء الدنيا وان
ادنى اهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في الجملة يعني ثنتين من نسا
الدنيا وسبعين من الحور العين والله سبحانه اعلم رواه الترمذي وكذا احمد
في مسنده وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى المومن قوة كذا وكذا
في الجماع وهو كناية عن جماع عدة من النسا كالعشرة مثلا قيل يا رسول الله او يطيق
بفتح الواو اي يعطى تلك القوة ويستطيعون ذلك المقدار والاشارة الى مضمون
قوله كذا وكذا من الجماع قال يعطى قوة مائة اي مائة رجل كما قيل او مائة مرة
من الجماع والمعنى فاذا كان كذلك فهو يطيق ذلك رواه الترمذي وفي الجامع يعطى
المومن في الجنة قوة مائة في النسا رواه الترمذي وابن حبان عن انس وفي الجامع
ان الرجل من اهل الجنة يعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والشهوة والجماع حاجة
احدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر رواه الطبراني عن زيد بن ارقم وعن
سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان ما يقل بضم اليا وكسر القاف
وتشديد اللام يحمله ظفر بضمتين وبسكون الثاني قال الطيبي ما موصولة والعائد
محذوف اي ما يقله وقال القاضي اي قدر ما يستقله بحمله ظفر ويحمل عليه مما في الجنة
اي من نعيمها بدا بالالف اي ظهر في الدنيا للناظرين لتزخرفت اي تزينت له اي لذلك
المقدار وبسببه من الاعيان وظهور الانوار ما بين خوافق السموات والارض اي
اطرافهما وقيل منتهاها وقيل الخافقان المشرق والمغرب كذا ذكره شارح وقال القاضي
الخوافق جمع خافقة وهي الجانب وهي في الاصل الجانب التي تخرج منها الرياح من

الخفقان

من الخفقان وتغالب الخافقان المشرق والمغرب وقال الطيبي وتانيث الفعل لان ما بين
بمعنى الاماكن كما في قوله تعالى اضاءت ما حوله في وجه ولو ان رجلا من اهل الجنة
اطلع بتشديد الطاء اي اشرف على اهل الدنيا فبدا اي ظهر اساوره ففي تيسير الوصول
فبدا سواره لطمس ضوءه اي محا نوره ضوء الشمس كما تطمس الشمس وفي نسخة كما يطمس ضوء
الشمس ضوء النجوم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقد سبق هذا المعنى في
احاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها في الصحيحين في الجامع ان الرجل من اهل العليين
ليشرف على اهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كانها كوكب دري رواه ابو داود عن ابي
سعيد وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد بضم
جيم وسكون را جمع اجرد وهو الذي لا شعر على جسده وضده الاشعر مرد جمع امرد
وهو الذي لا شعر على ذقنه وقد يراد به الحسن بناء على الغالب كحلى بفتح الكاف فعلى بمعنى
مفعول اي مكحول وهو من في اجفانها سواد خلقة كذا قاله شارح وفي النهاية الكحل
بفتحتين سواد في اجفان العين خلقة والرجل اكحل وكحيل وكحلى جمع كحيل لا يفنى
شبابهم ولا تبلى ثيابهم رواه الترمذي والدارمي وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين اي خلقة او مكحلين ابنا
ثلاثين اي اترابا او ثلاث اي وابنا ثلاث وثلاثين سنة واو للشك الراوي رواه الترمذي
قيل وحسنه وعن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر له اي والحال انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى قال هي شجرة تكون في
السما السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر والمنتهى بمعنى موضع الانتها والانتها
كانها في منتهى الجنة واخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم
ولا يعلم احد ما وراها قال اي النبي عليه السلام يسير الراكب المجد في ظل الفنن محركة اي الغصن
وجمعه الافنان ومنه قوله تعالى ذواتا افنان ويقال ذلك للنوع من الشي وجمعه فنون
كذا حققه الراغب منها اي من السدرة مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب والاول
ابلغ ويمكن ان يراد بهما المبالغة في طولها وعرضها فاو للتخيير او للتنويع باختلاف بعض
الاماكن او بالنسبة الى نظر بعض الاشخاص لكن قوله شك الراوي يابى عن ذلك الا انه
لم يعرف من كلام من ان الشك وقع ممن والله اعلم فيها اي في سدرة المنتهى والمعنى في ما بين
اغصانها او عليها بمعنى فوقها مما يغشيها فراش الذهب بفتح الفا جمع الفراشة وهي
التي تطير وتتهافت في السراج قيل هذا تفسير لقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى
ومنه اخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله يغشاها فراش من ذهب قال الامام
ابو الفتح العجلي في تفسيره ولعله اراد الملائكة تتلألأ اجنحتها تلألؤ اجنحة الفراش
كانها مذهبة كان ثمرها القلال اي قلال هجر في الكبر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وعن انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر بفتح الهاء وبسكون

اي جدول ماء في طرفيه حوضان احدهما في الجنة والاخر في الموقف وانما قال القائل نهر
في الجنة لكون اكثره في الجنة او مآل تمامه اليها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
وفيه ايماء الى ان ماءه جامع بين نوع اللبن ولذة العسل واشارة الى قوله تعالى وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فيه اي في ذلك النهر او في اطرافه طير اي جنس من الطيور
طويل العنق وكبيره كاعناق الجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور والمعنى انه اعد للخير ليأكل
منه اصحاب شرب ذلك النهر فانه نهاية عيش الدهر قال عمر ان هذه اي الطير فانه يذكر
ويؤنث لناعمة اي لمتنعمة او لنعمة طيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها
بفتحات جمع اكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب وهذا هو الذي في اصل الجزري وسائر النسخ
المصححة والمعنى من ياكلها انعم منها وفي نسخة صحيحة وهي اصل السيد اكلها
بالمد وكسر الكاف على الصيغة الواحدة قد تستعمل للجماعة وفي نسخة اكلها بصيغة
الفاعل المذكور وفي اخرى اكلوها بصيغة جمع المذكور رواه الترمذي ورواه الحاكم
عنه مرفوعا والكوثر نهر اعطانيه الله نهر في الجنة ترابه مسك ابيض من اللبن
ترده طاير اعناقها مثل اعناق الجزر اكلها انعم منها وعن بريدة بالتصغير ان رجلا
قال يا رسول الله هل في الجنة خيل قال ان الله بكسر الهمزة وسكون النون على ان ان شرطية
ثم كسر للالتقاء ادخلك الجنة قال الطيبي الله مرفوع بفعل يفسره ما بعده ولا يجوز رفعه
على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط وقوله فلا تشاء ان تحمل فيها جواب الشرط اي فلا تشاء الحمل
في الجنة على فرس من ياقوتة حمراء يطير بالتذكير ويؤنث ففي القاموس الفرس للذكر والانثى
اي يسرع بك في الجنة حيث شئت الا فعلت بصيغة المخاطب المذكر المعلوم والمعنى
ان تشاء ان تفعله وفي نسخة على بناء المجهول اي حملت عليها وركبت وفي اخرى بتاء
التانيث الساكنة فالضمير للفرس اي حملتك قال القاضي تقدير الكلام ان ادخلك الجنة
فلا تشاء ان تحمل على فرس كذلك الا حملت عليه والمعنى انه ما من شيء تشتهيه الانفس
الا وتجده في الجنة كيف شاء تحلى لو اشتهيت ان تركب فرسا على هذه الصفة
لوجدته وتمكنت منه ويحتمل ان يكون المراد ان ادخلك الله الجنة فلا تشاء ان يكون
لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرسا من جنس
ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة والمعنى فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن
الفرس المعهود ويدل على هذا المعنى ما جاء في الرواية الاخرى وهو ان ادخلت الجنة
اتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ولعله صلى الله عليه وسلم لما اراد بيان
الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل
مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا اثبت الجواهر وادومها وجودا واصفاها لونا واصفاها
جوهرا وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير واكد ذلك في الرواية الاخرى بقوله
جناحان وعلى هذا قياس ما ورد في صفة ابنية الجنة ورياضها وانهارها الى غير ذلك

والعلم

والعلم بحقايقها عند الله تعالى قال الطيبي الوجه الاول ذهب اليه الشيخ التوربشتي
وتقدير قوله ان حملت يقتضي ان يروى فلا تشاء الا فعلت على بناء المفعول فانه استثناء
مفرغ اي لا يكون مطلوبك الا اسعافا واذا نزل على بناء الفاعل كان التقدير ولا تكون
مطلوبك الا ايثارا والوجه الثاني من الوجهين السابقين قريب من الاسلوب الحكيم فان
الرجل سأل عن الفرس المتعارف في الدنيا فاجابه صلى الله عليه وسلم بما في الجنة اي اترك
ما طلبته فانه مستغنى عنه بهذا المركب الموصوف وساله رجل فقال يا رسول الله هل في
الجنة من ابل قال اي بريدة فلم يقل له ما قال لصاحبه اي مثل مقوله لصاحبه كما سبق
بل اجابه بمختصر فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك
اي وجدت عينك لذته لذاذة بالكسر لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا قال شارح
وفيه اشارة الى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين رواه الترمذي وعن
ابي ايوب قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي اي بدوي فقال يا رسول الله اني
احب الخيل اي في الدنيا افي الجنة خيل يعني او ليس فيها او لا يشتهي لاستغنائها عنها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادخلت الجنة اتيت اي جيء بفرس من ياقوتة
قيل اراد الجنس المعهود مخلوقا من انفس الجواهر وقيل ان هنا مركبا من جنس غير معهود ومن
المعهود كما مر والاخير هو الاظهر لما سياتي وقوله له جناحان فحملت عليه بصيغة المجهول
اي ركبته ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس اسناده بالقوي
وابو سورة بفتح السين المهملة الراوي اي راوي هذا الحديث لضعيف اي ينسب الى الضعف
باحد اسبابه في الحديث اي في علمه او في اسناده وسمعت محمد بن اسماعيل اي البخاري يقول
ابو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير وروى الطبراني عن ابي ايوب مرفوعا ان اهل
الجنة يتزاورون على النجائب بيض كانهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم
الا الابل والطير وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون
ومائة صف اي قدرها وصور واصطفافهم ثمانون اي صفا منها اي من جملة العدد كائنون
من هذه الامة واربعون اي صفا من سائر الامم والمقصود بيان تكثير هذه الامة وانهم
الثلثان في القيامة قال الطيبي فان قلت كيف التوفيق بين هذا وما ورد من
قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ارجو ان تكونوا ربع هذه الامة اهل الجنة
فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم ارجو ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله
عليه وسلم ارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة قلت يحتمل ان يكون الثمانون صفا مساويا
في العدد للاربعين صفا وان يكون كما زاد على الربع والثلث يزيد على النصف كرامة
له صلى الله عليه وسلم قلت وهذا هو الاظهر على ان النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي
في العدد او الصف ولذا يوصف بالاقل والاكثر رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في
كتاب البعث والنشور وكذا رواه احمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عنه والطبراني

عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن ابي موسى وعن سالم تابعي جليل عن ابيه اي عبد
الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذين كذا في الاصول المعتمدة
والنسخ المصححة بصيغة المجهول الجمع فيكون صفة للامة وفي نسخة بصيغة الافراد
على انه صفة الباب وهو الظاهر لان المعنى باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه
مسيرة الراكب المجود اسم فاعل من التجويد وهو التحسين قال شارح اي الراكب الذي
الذي يجود ركض الفرس من جودته اي جعلته جيدا في اساس البلاغة يجود في صنعته
تصرف فيها واجاد الشيء وجوده احسن فيما فعل وجود في عدوه عدا عدوا جوادا او مر
جوادا من خيل جياد قال الطيبي والمجود يحتمل ان يكون صفة الراكب والمعنى
الراكب الذي يجود ركض الفرس وان يكون للمضاف اليه والاضافة لفظية اي
الفرس الذي يجود في عدوه ثلاثا ظرف مسيره والمعنى ثلاث ليال او سنين وهو الاظهر
لانه يفيد المبالغة الكثيرة المراد به الاكثر لئلا يخالف ما سبق من ان ما بين مصراعين
من مصاريع الجنة مسيرة اربعين سنة على انه يمكن انه اوحي اليه اولا بالقليل
ثم اعلم بالكثير او يحمل على اختلاف الابواب باختلاف اصحابها والله اعلم ثم انهم اي اهل
الجنة من امتي عند دخولهم من ابوابها فالمراد بالباب جنسه ليضغطون بصيغة
المجهول اي ليعصرون ويضيقون عليه اي على الباب حتى تكاد اي تقرب مناكبهم
تزول اي تنقطع من شدة الزحام رواه الترمذي وقال هذا حديث ضعيف وفي
المصابيح ضعيف منكر قال شارح له اي هذا الحديث منكر لمخالفته للاحاديث الصحيحة
التي وردت في هذا المعنى مما مر وسالت محمد بن اسماعيل اي البخاري عن هذا الحديث والعالم
بالحديث المحيط بطرق الاحاديث اذا قال لم اعرفه دل على ضعفه وقال اي البخاري خالد
بضم اللام ابن ابي بكر وهو احد رواة هذا الحديث يروي المناكير يعني فيكون حديثا
ضعيفا وليس فيه ان حديثه هذا منكر قال السيد جمال الدين قوله خالد سهو من
صاحب المشكاة وصوابه خالد اذ في الترمذي خالد بن ابي بكر وكذا في كتب اسماء الرجال
وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا
اي مجمعا والسوق مؤنث سماعي ولذا قال ما فيها اي ليس في تلك السوق شرى بالكسر
والقصر اي شراء ولا بيع والمعنى ليس فيها تجارة الا الصور بالنصب وفي نسخة بالرفع
اي التماثيل المختلفة من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وكذا اذا اشتهى
صورة النساء يدخلن فيها قال الطيبي قد سبق في الفصل الاول في حديث انس ان المراد
بالسوق المجمع وهذا يؤيده يعني حديث قال فيها شرى ولا بيع فاذن فالاستثناء منقطع
ويجوز ان يكون متصلا بان يجعل تبديل الهيئة من جنس البيع والشرى كقوله تعالى
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يعني على وجه والا فالمعنى ان
استثناءه منقطع ثم قيل يحتمل الحديث معنيين احدهما ان يكون معناه عرض الصور

المستحسنة

المستحسنة عليه فاذا اشتهى وتمنى تلك الصور المعروضة عليه صوره الله سبحانه وتعالى
بالشكل تلك الصورة بقدرته وثانيهما ان المراد من الصورة الزينة التي يتزين الشخص بها
في تلك السوق ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحلي والحلل والتاج يقال فلان صورة حسنة
اي هيئة مليحة يعني فاذا رغب في شيء منها اعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها
وعلى كلا المعنيين التغير في الصفة لا في الذات قال الطيبي ويمكن ان يجمع بينهما ليوافق
حديث انس فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا الحديث
وهو مقتبس من قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ولعل التقييد
بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة وبخصوص الصور لكونه يوم المزيد ويوم
اللقا ويوم الجمع ومشاهدة اهل اللقا وزيادة اهل الصفا والله سبحانه اعلم وسيأتي
في الحديث الذي يليه مزيد بيان لذلك رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن
سعيد بن المسيب تابعي جليل انه لقي ابا هريرة اي في السوق مما يدل عليه السياق
فقال له ابو هريرة اسال الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة اي كما جمع بيننا في سوق
المدينة فقال سعيد افيها اي افي الجنة سوق يعني وهو موضوعه للحاجة الى التجارة
قال نعم اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالفتح في اصل السيد وغيره وفي نسخة
بالكسر على الحكاية اي الخبر هو قوله ان او التقدير قائلا ان اهل الجنة اذا دخلوها اي
الجنة نزلوا فيها اي في منازلها ودرجاتها بفضل اعمالهم اي بقدر زيادة طاعاتهم كمية وكيفية
ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة اي قدر اتيامه والمراد مقدار الاسبوع من ايام الدنيا
فيزورون ربهم اي فيه ويبرز من الابراز اي ويظهر لهم عرشه اي نهاية لطفه
وغاية رحمته كما اشير اليه بقوله الرحمن على العرش استوى والا فقد سبق ان العرش سقف
الجنة وليلائم ايضا على وجه التنزيه من الجهة قوله ويتبدى بالتشديد بدا اي يظهر
ويتجلى ربهم لهم في روضة اي عظيمة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر اي كراسي مرتفعة
من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد بفتح زاي وموحدة فراء
ساكنة فجيم مفتوحة جوهر معروف ومنابر من ذهب ومنابر من فضة اي بحسب مقادير
اعمالهم ومراتب احوالهم ويجلس ادناهم اي ادونهم منزلة وما فيهم دني اي والحال انه ليس
في اهل الجنة دون وخسيس قال الطيبي هو تتميم صونا لما يتوهم من قوله ادناهم
الدناءة والمراد به الادنى في المرتبة والحاصل انه يجلس اقل اهل الجنة اعتبارا
على كثبان المسك بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب اي تل من الرمل المستطيل من
كثبت الشيء اذا جمعته والكافور بالجر عطف على المسك ففي القاموس هو نبت طيب نوره
كنور الاقحوان او الطلع او وعائه وطيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين
يظل خلقا كثيرا وبالغة المعهود وخشبه ابيض هش ويوجد في اجوافه الكافور وهو انواع
ولونها احمر وانما يبيض بالتصعيد مع الكرم وعين في الجنة ما يرون بصيغة المجهول من

الاراءة والضمير الى الجالسين على الكثبان اي لا يظنون ولا يتوهمون ان اصحاب الكراسي ارباب
المناصب افضل منهم مجلسا حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن بل اعلمهم انهم في مقام الرضا ومتلذذون بحال التسليم بما جرى به القضاء قال
ابو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا اي بتجلي الذات قال نعم هل تتمارون
بفتح الراء وفي نسخة بحذف احدى التائين اي هل تشكون في رؤية الشمس اي في رؤيتكم
الشمس والقمر اي وفي رؤية القمر ليلة البدر واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي
البدور فانه لم يكن حينئذ في نهاية النور قلنا لا اي لا نشك في رؤية الشمس والقمر
قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم والتشبيه انما هو في كمال الظهور لا في غيره من خطرات
تختلج في الصدور ولا يبقى في ذلك المجلس لاحاضره الله محاضرة بالضاد المعجمة من الحضور
وقد صحف بالمهملة قال التوربشتي الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة والمراد من
ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان وبينه الحديث ما منكم
من احد الا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الحديث والمعنى خاطبه الله مخاطبة
وحاوره محاورة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بالفتح وفي نسخة بالضم بن فلان
بنصب ابن وصرف فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم ابيه روى احمد وابو داود عن ابي
الدرداء مرفوعا انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا اسمائكم
اتذكر يوم قلت كذا وكذا اي مما لا يجوز في الشرع فكانه يتوقف الرجل فيه ويتامل فيما تكلمه
من معاصيه فيذكر بتشديد الكاف اي فيعلمه الله ببعض غدراته بفتح الغين المعجمة
والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء والمراد معاصيه لانه
لم يف بتركها الذي عهد الله اليه في الدنيا فيقول يا رب افلم تغفر لي اي وادخلني الجنة
فلم تغفر لي ما صدر من المعصية فيقول بلى اي غفرت لك فبسعة مغفرتي بفتح الباء
وكسرها بلغت اي وصلت منزلتك هذه قال الطيبي عطف على مقدر اي غفرت لك
فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم دل على التخصيص اي بلوغك
تلك المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك فبينا وفي نسخة فبينما هم اي اهل الجنة على
ذلك اي على ما ذكر من المحاضرة والمحاورة غشيتهم اي غطتهم سحابة من فوقهم فامطرت
عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا قوموا الى ما اعددت لكم من الكرامة فخذوا
ما اشتهيتم فناتي سوقا قد حفت بتشديد الفاء اي احاطت به الملائكة فيها كذا في بعض
الاصول المعتمدة موجود والمعنى عليه اي تلك السوق ما لم تنظر العيون بضم العين وكسرها
جمع العين الى مثله وهو في نسخ اكثر الشراح مفقود فقال المظهر ما موصولة فالموصول مع صلته
يحتمل ان يكون منصوبا بدلا من الضمير المنصوب المقدر العائد الى ما في قوله ما اعددت ويحتمل
ان يكون في محل الرفع على انها خبر مبتدا محذوف اي المعد لكم وقال شارح او هو مبتدا اخبره
محذوف اي فيها اقول وهو اخذ واوفق وقال الطيبي الوجه ان يكون ما موصوفة فيه لا من سوق

اي غطتهم ح

ولم تسمع

ولم تسمع الاذان بمد الهمزة جمع الاذن اي وما لم تسمعه بمثله ولم يخطر بضم الطاء اي وما لم يمر
مثاله على القلوب وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر على ما رواه ابو هريرة ايضا كما سبق فيحمل لنا
اي الى قصورنا ما اشتهينا اي في ذلك السوق من انواع المرزوق ليس يباع فيها ولا يشترى الجملة
حال من ما في اشتهينا وهو المجهول والضمير في يباع عائد اليه وفي ذلك السوق وهو يذكر
ويؤنث فانثه تارة وذكره اخرى والتانيث اكثر واشهر اي وفي تلك السوق يلقى اي
يرى اهل الجنة بعضهم بعضا قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو هريرة مرفوعا
حقيقة او مرفوعا في حكم المرفوع فيقبل من الاقبال اي فيجيء ويتوجه الرجل
ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه اي في الرتبة والمنزلة وما فيهم من دني
زيد من المبالغة في نفي الاستغراق وفي نسخة صحيحة بدون من كما في صدر الحديث
فيروعه بضم الراء اي يعجب الرجل ما يرى اي يبصره عليه اي على من هو دونه من
اللباس بيان ما كذا ذكره شارح والظاهر عكس مرجع الضميرين قال الطيبي الضمير المجرور
يحتمل ان يرجع الى من فيكون الروع مجازا عن الكرامة مما هو عليه من اللباس وان
يرجع الى الرجل ذو المنزلة فالروع بمعنى الاعجاب اي يعجبه حسنه فيدخل في روعه
ما يتمنى مثل ذلك لنفسه ويدل عليه قوله فما ينقضي اخر حديثه اي ما ينتهي
في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائد الى من قال الشارح اي حديث من هو
دونه مع الرجل الرفيع المنزلة قلت ويجوز قلب الكلام ايضا حتى يتخيل عليه
بصيغة الفاعل وفي نسخة بالبناء للمفعول اي حتى يتصور له ان عليه ما هو احسن منه
والمعنى يظهر عليه ان لباسه احسن من لباس صاحبه وذلك اي بسبب ما ذكر من التخيل
انه اي الشان لا ينبغي لاحد ان يحزن بفتح الزاي لعلهم فيها اي في الجنة يحزن هنا لازم
من حزن بالكسر لا من باب نصر فانه متعد غير ملائم للمقام ثم ننصرف اي نرجع ونعود
الى منازلنا فيتلقانا من التلقي اي يستقبلنا وفي نسخة فيلقانا من اللقيا ازواجنا
ازواجا اي من نساء الدنيا ومن الحور فيقلن مرحبا واهلا لقد جئت وان بك من الجمال افضل
مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا بكسر الحاء وتشديد القاف
وفي نسخة بضم الحاء ففي الصحاح حق الشيء كضرب ونصر اذا ثبت وفي القاموس حق الشيء وجب
ووقع بلا شك وحققه اوجبه لازم ومتعد فالمعنى يوجبنا ويلزمنا ويمكن ان يكون من
باب الحذف والايصال اي يحق لنا ويليق بنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا اي من الانقلاب
وهو الانصراف على وجه الكمال لاثر مجالسة ذي الجلال والجمال ومشاهدته المنزهة عن الحلول
والاتحاد والاتصال والانفصال رواه الترمذي وابن ماجة وقال الترمذي هذا حديث غريب
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنى اهل الجنة اي اقلهم
خدما ونساء الذي له ثمانون الف خادم واثنتان اي من نساء الدنيا وسبعون زوجة

اي من الحور العين وفي نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه انه ذكر اعتبارا بمعنى الزوج
من لفظ الحور والزوج وتنصب بصيغة المجهول ويضرب ويرفع له قبة من لؤلؤ وزبرجد
وياقوت قال القاضي يريد ان القبة معمولة منها او مكللة بها كما بين الجابية وهي مدينة
بالشام اي صنعاء وهي بلدة باليمن قال شارح هي قصبة باليمن وقيل هي اول بلدة بنيت بعد
الطوفان والمعنى ان فسحة القبة وسعتها طولا وعرضا وتجدما بين طرفيه كما بين
الموضعين قال السيوطي في الجامع الصغير رواه احمد والترمذي وابن حبان والضياء عنه
وبهذا الاسناد اي بالاسناد المتصل الى ابي سعيد ايضا قال اي النبي عليه السلام او ابو
سعيد مرفوعا وفي المصابيح وبه قال اي وبالاسناد المذكور قال من مات من اهل الجنة
من صغير او كبير يردون اي يعودون وفيه تغليب لانه لا رد في الصغير والمعنى يصيرون
ثلاثين في الجنة متعلق بقوله يردون لا يزيدون عليها ابدا اي زيادة مؤثرة
في تغيير ابدانهم واعضائهم وشعورهم واشعارهم ولا في مكانهم في الجنة بتا ابد الابدين
وكذلك اهل النار اي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا المقدار من ازمنة
الاعمار للابرار والكفار ليكون التنعم والعذاب على وجه الكمال في كل من دار البوار
ودار القرار قال الطيبي فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما
رواه مسلم عن ابي هريرة في باب البكاء صغارهم دعاميص الجنة اي دخالون على ابوابها
لا يمنعون من موضع كما في الدنيا قلت في الجنة ظرف يردون وهو لا يشعر انهم لم
يكونوا دعاميص قبل الرد وبهذا الاسناد قال ان عليهم اي على رؤوس اهل الجنة التيجان
بكسر المثناة الفوقية جمع تاج ادنى لؤلؤة منها اي التاجات في المشرق ولعل وجه ان
المضاف اكتسب التانيث من المضاف اليه والمعنى لتنور ما بين المشرق والمغرب فانهما
متحد ويمكن ان يكون لازما والتقدير لتضيء به ما بينهما من الاماكن لو ظهرت على اهل
الدنيا وبهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد في الجنة اي فرضا وتقديرا كان حمله
اي حمل الولد ووضعه وسنه اي كمال سنه وهو الشباب لئلا ثلاثين سنة في ساعة لان
الانتظار اشد من الموت ولا موت في الجنة ولا حزن كما يشتهي اي من ان يكون ذكرا او انثى
ونحو ذلك وقال اسحاق بن ابراهيم اي ابن حبيب البصري روى عن معمر بن سليمان وروى
عنه ابو عبد الرحمن النسائي وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين في هذا الحديث
اي ذكر في بيان هذا الحديث اذا اشتهى او في هذا الحديث دلالة على انه اذا اشتهى
المؤمن في الجنة الولد كان اي حصل الولد في ساعة ولكن لا يشتهي فقوله ولكن هو
المقول حقيقة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وروى ابن ماجه الرابعة
اي الفقرة الرابعة من فقرات الحديث والدارمي الاخيرة وهي ما اورده اسحاق بن ابراهيم
وفي تيسير الوصول الى جامع الاصول عن ابي رزين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكون لاهل الجنة ولد اخرجه الترمذي وفي رواية عن الحبري ان اشتهى الولد كان حمله

ووضعه

ووضعه وسنه في ساعة واحدة قال بعضهم لكن لا يشتهي وعن علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لمجتمعا بفتح الميم الثانية اي موضعا
للاجتماع واجتماعا للحور العين قال الراغب الحور جمع احور وحوراء والحور قيل ظهور قليل من
البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من العين ويقال للبقر الوحشي
اعين وعيناء لحسن عينيها وجمعها عين وبها شبه النساء قال تعالى وحور عين كامثال
اللؤلؤ المكنون وروى ابن مردويه عن عائشة عنه صلى الله عليه وسلم الحور العين خلقن
من تسبيح الملائكة وروى ابن مردويه والخطيب عن انس مرفوعا الحور العين خلقن من
الزعفران قلت ولا تنافي بين الحديثين لاحتمال تعليله في الحديث الاول رحمنا الله يرفعن
باصوات الباء زائدة تأكيد للتعدية او اراد بالاصوات النغمات والمفعول محذوف اي
يرفعن اصواتهن بانغام لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات اي الدائمات في الغنى
والمغنى فلا نبيد من باد هلك وفني اي فلا نفنى ونحن الناعمات اي المتنعمات فلا نبأس
فلا نفتقر ولا نحتاج الى غير المولى ونحن الراضيات اي عن ربنا او عن اصحابنا فلا نسخط
اي في حال من الحالات طوبى اي الحالة الطيبة لمن كان لنا وكنا له اي في الجنات العاليات
رواه الترمذي وعن حكيم بن معاوية اي القشيري قال البخاري في صحبته نظر روى عنه
ابن اخيه معاوية بن حكيم وقتادة كذا ذكره المؤلف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد قال الطيبي يريد
بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما وبالنهر مثل نهر معقل حيث تنشق منها احدهما ثم منه
تشق جداول انتهى والظاهر ان المراد بالبحار المذكورة هي اصول الانهار المسطورة في
القرآن كما قال تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى فقوله ثم تشقق بحذف احدى التاءين اي تتفرق الانهار
اي الجداول بحيث تتخلل الانهار الى بساتين الابرار وتحت قصور الاخيار على انه قد يقال
المراد بالبحار هي الانهار وانما سميت انهار الجنة بخلاف بحار الدنيا فان الغالب منها انها في محل
القرار رواه الترمذي اي عن حكيم بن معاوية ورواه الدارمي عن معاوية الظاهر انه
معاوية بن ابي سفيان لان معاوية ابا حكيم لم يعرف كونه من الصحابة ثم رأيت السيوطي
قال في الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن معاوية بن حيدة لكنه لم يذكره المؤلف
في اسمائه

الفصل الثالث

عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل
في الجنة اي في دار الجزاء ليتكئ اي ليعتمد ويستند في الجنة اي في جنته الخاصة به سبعين
مسندا بفتح الميم وبضم النون مفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب بنزع
الخافض اي على سبعين مسندا او متكأ واحدا بعد واحد كان بلون وصنف من انواع الزينة
قبل ان يتحول اي من شق الى آخر وهو ظرف كما هو ظاهر واغرب الطيبي حيث قال قوله سبعين
متسندا هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى وفرش مرفوعة بانها منضودة بعضها فوق بعض

وقوله قبل ان يتحول ظرف لقوله يا تيه ولا يخفي غرابة الاول في المعني وغرابة الثاني في المبني ثم تاتيه امراة فتضرب علي منكبيه اي ضرب الفرح والدلالة علي مطالعة الجمال فينظر اي فيطالع الرجل فيري وجهه اي عكسه في خدها اي من كمال صفائها وضيائها حال كون خدها اصفي من المراة اي انور من جنس المراة المعهودة في الدنيا وان ادني لولوة عليها اي علي تلك المراة تضي ما بين المشرق والمغرب اي لو كان في الدنيا فتسلم اي المراة عليه فيرد السلام اي عليها ويسالها من انت فتقول انا من المزيد يراد به ما في قوله تعالي لهم ما يشاوون فيها ولدينا مزيد ومن المزيد افضلها ما قال سبحانه للذين احسنوا الحسني وزيادة اي الجنة ورؤيته تعالي وانما سميت زيادة لان الحسني هي الجنة وهي ما وعد الله تعالي بفضله جزاء الاعمال المكلفين والزيادة فضل علي فضل وانه اي الشان ليكون عليها اي علي المراة سبعون ثوبا اي بالوان مختلفة فينفذها بضم الفاء اي يدرك لطافته بدن المراة بصره اي نظر الرجل حتي يري مخ ساقها من وراء ذلك اي من انواع الثياب ولم يمنع بصره شي من الحجاب وان عليها من التيجان المرصعة ما يناسب في حقها ان ادني لولوة منها لتضي ما بين المشرق والمغرب وقيل ان بالكسر مزيدة وا للام داخل في خبر ان الاولي نحو قوله تعالي الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم اي فله نار جهنم انتهي والظاهر انها اذا كانت مزيدة فتكون اللام داخلة في خبر المبتدا او الجملة خبر ان الاولي ثم لا شك ان ان الثانية في الاية غير مزيدة بل لزيادة تاكيد ومبالغة في النسبة رواه احمد وعن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يتحدث وعنده رجل من اهل البادية ان رجلا بكسر الهمزة علي الحكاية فهي من جملة ما يتحدث به وفي بعض النسخ بفتحها علي انه مفعول يتحدث والجملة بينهما حالية معترضة وقال الطيبي هو بكسر الهمزة مفعول يتحدث علي حكاية ما تلفظ به رسول الله صلي الله عليه وسلم وحاصله ان رجلا من اهل الجنة استاذن ربه في الزرع اي بناء علي ما تعوده به في الدنيا او لتنزهه به في العقبي فقال اي ربه وفي نسخة فيقال له الست فيما شيت اي من الاكل والشرب وساير انواع النعم قال بلي ولكني احب ان ازرع فبذر الفاء فصيحة اي فاذن له فيه فبذر اي رمي البذر في ارض الجنة فبادر الطرف بسكون الراء تحريك الجفون في النظر اي فسابقه نباته والمعني فحصل نباته في الحال وكذا قوله واستواوه واستحصاده اي من غير مونته للحصاد من جانب العباد فكان امثال الجبال فيقول الله تعالي اي حينئذ دونك يا ابن ادم اي خذ ما تمنيته قاله علي سبيل التوبيخ تجنبا لما لتمه ومن ثم رتب عليه قوله فانه لا يشبعك شي اي كثير حتي في الجنة وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من القواعد المقدرة ان كل اناء يترشح بما فيه وان الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون اظهر النبي صلي الله عليه وسلم هذا المعني في لباس هذا المبني فقال الاعرابي والله لا تجده اي هذا الرجل الا قرشيا اي من اهل مكة او انصاريا اي من اهل المدينة فا و

للتنويع فانهم اي مجموع القبيلتين اصحاب زرع اي في الجنة وان كان الانصار اكثر زرعا تاما بالفاء وفي نسخة صحيحة وامّا نحن اي معاشر اهل البادية فلسنا باصحاب الزرع اي فلا نشتهي مثل ذلك فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم اي من فطانته البدوي او من مسالته العجيبة وجوابه البديعي رواه البخاري وعن جابر قال سال رجل رسول الله صلي الله عليه وسلم اينام اهل الجنة قال النوم اخو الموت ولا يموت اهل الجنة اي فلا ينامون وهذا الجواب بالدليل البرهاني مع دعواه وقع في النفس واظهر في اطمينان الايمان من الجواب الاجمالي بان قال لا رواه البيهقي في شعب الايمان

باب رؤية الله تعالي

من باب اضافة المصدر الي مفعوله

الفصل الاول

عن جرير بن عبد الله اي البجلي قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انكم ايها المومنون سترون ربكم اي تبصرونه عيانا بالكسر مصدر موكد او حال موكدة اي من الفاعل او المفعول اي معاينين بكسر الياء او معاينا بفتح الياء والمعاينة رفع الحجاب بين الرائي والمرئي وفي القاموس لقيه عيانا اي معاينة لم يشك في رؤيته اياه وقال الطيبي عيانا اي جهارا وكونه يكون من المعاني المحسوسة بالعين الظاهرة وقال النووي اعلم ان مذهب اهل السنة قاطبة ان رؤية الله تعالي ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا ايضا علي وقوعها في الاخرة اي نقلا وان المومنين يرون الله تعالي دون الكافرين وزعمت طوايف من اهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجية ان الله تعالي لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطا صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة علي اثبات رؤية الله تعالي في الاخرة للمومنين ورواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وايات القران فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مسطورة في كتب المتكلمين من اهل السنة واما رؤية الله تعالي في الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم علي انها لا تقع في الدنيا وحكي الامام ابو القاسم القشيري في رسالته المعروفة عن الامام ابي بكر بن فورك انه حكي فيها قولين للامام ابي الحسن الاشعري احدهما وقوعها والثاني لا تقع ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالي في خلقه ولا يشترط فيها الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك ولكن جرت العادة في رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك علي وجه الاتفاق لا علي سبيل الاشتراط وقد قرر ائمتنا المتكلمون ذلك بالدلايل الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالي اثبات جهة تعالي عن ذلك بل يراه المومنون لا في جهة كما يعلمونه لا في جهة قلت وكما يرانا هو لا في جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك والحاصل انه لا قياس الغايب بالشاهد لا سيما الخالق بالمخلوق ولذا قيل لا قياس الملوك بالحدادين وفي رواية اي عن جرير قال كنا جلوسا اي جالسين عند رسول الله صلي الله عليه وسلم

فنظر الى القمر ليلة البدر قال لا كمل اي البدر الكامل وسمي ليلة اربعة عشر بدرا لمبادرته
الشمس بالطلوع فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر اي المحسوس المشاهد المرئية
استانف ثم استانف وقال او ذكر على سبيل الحال لا تضامون بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم
وهو الظلم قال الحافظ ابن حجر وهو الاكثر اي لا يظلم بعضكم بالتكذيب والانكار وفي نسخة بفتح
التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم وفي اخرى بالضم والتشديد من المضامة
وهي المزاحمة وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل والمفعول وحاصل معنى الكل لا تشكون في رؤيته
رؤية القمر ليلة البدر قال في جامع الاصول قد يخيل الى بعض السامعين ان الكاف في قوله
كما ترون كاف التشبيه للمرئي وانما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائي ومعناه ترون
ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون
قال ولا تضامون روي بتخفيف الميم من الضيم الظلم المعنى انكم ترونه جميعكم لا يظلم
بعضكم بعضا في رؤيته فيراه البعض دون البعض وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى
الازدحام اي لا يزدحم بعضكم بعضا في رؤيته ولا يضم بعضكم الى بعض من ضيق كما يجري عند
رؤية الهلال مثلا دون رؤية القمر فانه يراه كل منكم موسعا عليه منفردا به فان استطعتم
ان لا تغلبوا بصيغة المجهول اي لا تصيروا مغلوبين على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها فافعلوا اي ما ذكر من الاستطاعة او عدم المغلوبية قال القاضي ترتيب قوله ان
استطعتم على قوله سترون بالفاء يدل على ان المواظب على اقامة الصلوات والمحافظة
عليها خليق بان يرى ربه وقوله لا تغلبوا معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن
صلوتي الصبح والعصر وانما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس الى الاستراحة
والنوم وفي العصر من قيام الاسواق واشتغال الناس بالمعاملات فمن لم يلحقه فترة في
الصلوتين مع مالهما من قوة المانع فبالحري ان لا تلحقه في غيرهما والله اعلم ثم قرا اي
النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا او جريا على عادته او وسبح بالعطف على ما قبله وهو قوله
سبحانه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اي وصل في هذين
الوقتين وعبر عن الكل بالجزء وهو التسبيح المراد به الثناء في الافتتاح المقرون بحمد الرب
المشتمل عليه سورة الفاتحة ويدل على هذا المعنى ما بعده وهو قوله ومن اناء الليل
اي ساعته وهو العشائين فسبح واطراف النهار اي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر لعلك
ترضى بالفتح والضم اي على رجاء ان يكون راضيا ومرضيا وجمعا مثبتا والمراد بالتسبيح
تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال
والمراد بحمده ثناء الكمال بنعت الجمال ووصف الجلال متفق عليه وفي الجامع رواه احمد
والشيخان والاربعة عنه لكن بغير قراءة الاية وعن صهيب مصغرا عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون اي اتريدون شيئا
ازيدكم اي على عطائكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا بتشديد الجيم

ويكشف

ويكشف اي اولم تخلصنا من النار اي من دخولها او خلودها قال الطيبي لتقرير والتعجب
من انه كيف يمكن الزيادة على ما اتاهم الله تعالى من سعة فضله وكرمه وقوله فيرفع الحجاب
بصيغة المجهول ورفع الحجاب وقع للتعجب كانه قيل لهم هذا هو المزيد والله سبحانه منزه
عن الحجاب فانه محجوب غير محجوب اذ المحجوب مغلوب فالمعنى فيرفع الحجاب عن اعين
الناظرين كما يدل عليه قوله فينظرون الى وجه الله اي ذاته المنزهة عن الصورة
والجهة ونحو ذلك فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين احسنوا
اي العمل في الدنيا بان اجادوه مقرونا بالاخلاص الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة
وزيادة اي النظر لوجهه الكريم وتنكيرها للتعظيم اي زيادة عظيمة لا يعرف قدرها ولا
يكتنه كنهها قال الطيبي ولذا كان مفسرا للتنزيل من نزل عليه فمن بعده او فقد تعدى
طوره لو اراد به الزمخشري في عدوله عنه الى التاويل وكذا من تبعه كالبيضاوي
حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجميل الثابت ممن نزل عليه التنزيل رواه مسلم

فصل الثاني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ادنى اهل الجنة منزلة اي اقلهم مرتبة لمن ينظر الى جنانه بكسر الجيم اي بساتينه
وازواجه اي نسائه وحوره ونعيمه اي ما يتنعم به وخدمه اي من الولدان وسرره مسيرة
الف سنة اي حال كون جنانه وما عطف عليه كائنة في مسافة الف سنة والمعنى ان
ملكه مقدار ذلك المسافة قيل هو كناية عن كون الناظر يملك في الجنة ما يكون مقداره
الف سنة لان المالكية في الجنة خلاف ما في الدنيا وفي التركيب تقديم وتاخير اذ جعل
اسم ان وهو قوله لمن ينظر خبرا والخبر وهو ادنى منزلة اسما اعتناء لشان المقدم
لان المطلوب ثواب اهل الجنة وسعتها وان ادناهم منزلة من يكون ملكه كذا ونحوه قوله
تعالى ان خير من استاجرت القوي الامين خبرا واكرمهم بالنصب عطفا على ادنى وفي نسخة
بالرفع عطفا على مجموع اسم ان وخبرها اي واكرمهم كرامة على الله واعلاهم منزلة واقرب
رتبة عنده سبحانه من ينظر الى وجهه اي ذاته غدوة بضم الغين وعشية اي صباحا
ومساء والمراد وهي بالمحافظة على صلاتي طرفي النهار ركعتين والمراد ان يكون النظر دائما
ثم ان الغدوة عبارة عن النهار والعشية عبارة عن الليل مجازا بذكر الجزء وارادة
الكل او بذكر اول شيء وارادة تمامه لكن الاول اظهر لانه لو كان النظر على وجه
الدوام لما انتفعوا بسائر النعيم وقد خلقت لهم ومما يؤيده الخبر الاول رواه الحكيم
عن بريدة مرفوعا ان اهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرا عليهم
القران وقد جلس كل امري منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت
والزمرد والذهب والفضة بالاعمال فلا تقر اعينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيئا
اعظم منه ولا احسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم وقرة اعينهم ناعمين الى مثلها من
الغد ثم قرا وجوه يومئذ ناضرة اي ناعمة غضة حسنة والمراد بالوجوه الذوات

وخصت لشرفها ولظهور آثار النعمة عليها الى ربها ناظرة قال الطيبي قدم صلة ناظرة اما
للرعاية الفاصلة وهي ناضرة باسرة فاقرة واما لان الناظر يستغرق عند رفع الحجاب
بحيث لا يلتفت الى ما سواه وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا ربما استغرقوا
في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا الى الكون ويعضده حديث جابر في آخر الفصل الثالث فنظر
اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه رواه
احمد والترمذي وكذا الطبراني وروى هنا وفي الزهد عن عبيد بن عمير مرسلا ان ادنى
اهل الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وابوابها وعن ابي رزين
العقيلي مصغرا قال قلت يا رسول الله اكلنا اي جميعنا معاشر المؤمنين يرى ربه اي
يبصرونه والافراد في يرى باعتبار لفظة كل مخليا به بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة
فلام مكسورة فتحتية مخففة اي خاليا به بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية يوم القيامة
وقيل بفتح ميم وتشديد تحتية واصله مخلوي كذا ذكره الجزري واقتصر ابن الملك
على الثاني والمعنى منفردا به ففي النهاية يقال خلوت به ومعه واليه واختليت به اذا
انفردت به اي كلكم يراه منفردا لنفسه كقوله لا تضارون في رؤيته قال بلى اي نعم
كلنا يرى ربه قال اي ابو رزين قلت وهو موجود في اكثر النسخ المصححة والمعنى
عليه وما آية ذلك اي ما علامة رؤية كلنا ربه بحيث لا يزاحمه شيء والمعنى مثل لنا
ذلك في خلقه اي مخلوقاته نظيرا لذلك فان الله تعالى جعل في الدنيا انموذجا لجميع
ما في العقبى قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى اي قلت بلى
قال فانما هو اي القمر خلق من خلق الله اي ويراه كلنا فالله اجل اي اكمل مرتبة واعظم
اي افضل منقبة لانه واجب الوجود فهو اولى في نظر العقل بالشهود قال الطيبي قاس
القائل رؤية الله تعالى على ما في المتعارف فان الجم الغفير اذا راوا شيئا يتفاوتون في الرؤية
لا سيما شيئا له نوع خفاء فيضيم بعضهم بعضا بالازدحام فمن راء رؤية كاملة ومن راء دونها
فالمراد بقوله مخليا اثبات كمالها ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا الهلال
رواه ابو داود

الفصل الثالث

عن ابي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رايت ربك اي في ليلة المعراج قال نور اي هو نور عظيم والمراد انه نور الانوار ومنه
قوله تعالى الله نور السموات والارض اي منورهما ومظهر انوار ما فيهما من الشمس والقمر
والكواكب وامثال ذلك ومن اسمائه النور وهو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على ما ذكره
المحققون اني بفتح الهمزة وتشديد النون على ما في اكثر النسخ اي كيف اراه اي ابصره فان
كمال النور يمنع الادراك وفي بعض النسخ نوراني بتشديد الياء للنسبة بزيادة الالف
والنون للمبالغة كالرباني وحينئذ فقوله اراه بمعنى اظنه من الرؤية بمعنى الراي فلو قرئ
بضم الهمزة لكان اظهر في هذا المعنى ويمكن ان يكون بمعنى ابصره ايما الى انه ما راه في الدنيا
وسيراه في الاخرى او مراده ابصرته والعدول الى الاستقبال لحكاية الحال الماضية فكانه

يستحضره ويتلذذ به قال ابن الملك اختلف في رؤيته في تلك الليلة وفي الحديث دليل
للفريقين على اختلاف الروايتين لانه روي بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة فيكون
استفهاما على الانكار وروي بكسر النون فيكون دليلا للمثبتين ويكون حكاية عن الماضي
بالحال انتهى وقال الامام احمد في قوله نوراني بتشديد النون يجيء على طريق الايجاب وليس الاستفهام
على معنى الانكار المستفيد للنفي بل للتقرير المستلزم للايجاب اي نور حيث اراه قال
النووي وفي الرواية الاخرى رايت نورا واني بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة هكذا
رواه جميع الرواة في جميع الاصول ومعناه حجابه نور فكيف اراه قال الامام المازري معناه
ان النور منعني من الرؤية كما جرت العادة فان كمال النور يمنع الادراك وروي نوراني
منسوب الى النور وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه الله نور السموات
والارض وفي الاحاديث معناه ذو نور ومنورهما وقيل هادي اهلهما وقيل منور
قلوب عباده المؤمنين قلت ويؤيده قوله كمشكاة فيها مصباح رواه مسلم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما اي في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه نزلة اخرى
قال اي ابن عباس راه بفؤاده مرتين قال صاحب المدارك اي ما كذب فؤاد محمد ما راه ببصره
من صورة جبريل عليه السلام اي ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا
لانه عرفه يعني انه راه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما راه حق وقيل المرئي هو
الله سبحانه راه بعين راسه وقيل بقلبه وفي شرح مسلم للنووي قال ابن مسعود
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل وهذا الذي قاله هو مذهبه في هذه الاية
وذهب الجمهور من المفسرين الى ان المراد راى ربه سبحانه وتعالى ثم اختلفوا فذهب جماعة
الى انه صلى الله عليه وسلم راى ربه بفؤاده دون عينه وذهب جماعة الى انه راه بعينه
قال الامام ابو الحسن الواحدي قال المفسرون هذا اخبار عن رؤية النبي صلى الله عليه
وسلم ربه عز وجل ليلة المعراج قال ابن عباس وابو ذر وابراهيم التيمي راه بقلبه
وعلى هذا راى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده او خلق لفؤاده
بصرا حتى راى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين قلت وهذا قول حسن ووجه مستحسن
يمكن به الجمع بين متفرقات الاقوال والله اعلم بالحال ثم قال الواحدي ومذهب جماعة
من المفسرين انه راى بعينه وهو قول انس وعكرمة والربيع قال المبرد ان الفؤاد راى
شيئا فصدق فيه وما راى في موضع النصب اي ما كذب الفؤاد مرئيه وقال القاضي عياض
اختلف السلف والخلف هل راى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته
عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي
عن ابن عباس انه راى بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن كان يحلف على ذلك وحكي مثله
عن ابن مسعود وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري
وجماعة من اصحابه انه راه ووقف بعض مشايخنا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز

ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة واختلفوا ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه سبحانه وتعالى
ليلة الاسراء بغير واسطة ام فيحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزاه بعضهم
الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله تعالى ثم دنا فتدلى فالاكثر
على ان هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما السلام وعن ابن عباس والحسن
ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي الى ربه او من الله
والدنو والتدلي على هذا امنا ول ليس على وجهه قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد
بالحدود فدنوه عليه السلام من ربه عز وجل قربة منه وظهور عظيم منزلته لديه واشراق
انوار معرفته عليه واطلاعه على اسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه والدنو
من الله لها اظهار ذلك له وايصال عظيم بره وفضله اليه وقاب قوسين او ادنى عبارة عن لطف
المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله اجابة
الرغبة وابانة الرتبة ونحوه قوله عليه السلام حكاية عن ربه من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا هذا اخر كلام القاضي عياض وقد اوردت بعض الفوائد من هذه الرياض في
رسالتي المدراج للمعراج رواه مسلم وفي رواية الترمذي قال اي ابن عباس راى محمد ربه
اي بفؤاده لئلا يخالف رواية مسلم وقيل اي بعينه وهو الظاهر من الاطلاق للكلام لما بعده
من السؤال والاخروية الفؤاد غير منكرة باجماع اهل الكمال ولا يعتري عليها اعتراض نقلا
ولا عقلا في كل حال قال عكرمة قلت اليس الله يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار
قال اي ابن عباس ويحك كلمة ترحم لها عند الشفقة وحال خوف المزلة ذلك اي الادراك الكلي اذا
تجلى بنوره اي الخاص الذي هو نوره اي الذاتي وهذا الجواب بظاهره انه اراد الرؤية بالفؤاد
وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بان رؤيته بالعين انما هو في الاخرة بالتجلي الخاص الكامل
العام لكل مؤمن لكن على قدر مراتبهم في المعرفة وعدم كمالاتها عن المعنى المشهور في الادراك
وهو الاحاطة المنفية بالاجماع لقوله تعالى ولا يحيطون به علما قال الطيبي قوله ذلك اذا
تجلى بنوره يعني تلك الاية على انه تعالى لا يحيط به وبحقيقته ذاته حاسة الابصار وهذا
اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وظهر بصفة الجلال واما اذا تجلى بما يسعه بطاق البشرية
من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهى وقال صاحب الخلاصة فهم عكرمة من قول ابن عباس
راه بفؤاده انه راه بعينه لكن بمساعدة فؤاده فلذلك تمسك بالاية ولو كان المراد انه
كانت الرؤية بالفؤاد حلية كالرؤية البصرية لم يتجه السؤال بالاية الا ان يحمل الاية على ان
المراد نفي الادراك الذي يكون كالادراك البصري في الجلاء وانما خص ذكر البصر لانه محل الادراك
بحسب العادة والظاهر ان سؤال عكرمة كان على قول ابن عباس راى محمد ربه كما هو
رواية الترمذي لا على قوله بفؤاده كما هو رواية مسلم وحينئذ لا اشكال في الاستدلال
بالاية الكريمة ومعنى جواب ابن عباس انه اذا تجلى بنوره على ما هو عليه اضمحل الادراك
واما اذا كان تجلى على قدر ما يقتضي ادراك القوة البشرية فانه يدرك على ذلك الوجه ثم

قوله

قوله وقد راى ربه مرتين يحتمل انه راه بفؤاده مرتين وهو الظاهر الموافق لما في صحيح مسلم او
مرة بفؤاده ومرة بعينه اذ لم ينقل احد انه راه بعينه مرتين والحاصل انه ليس
في كلام ابن عباس صريح دلالة على ان مراده رؤيته ربه بعين البصر واما صاحب التحبير فانه
اختار اثبات الرؤية فقال الحجج في هذه المسالة وان كانت كثيرة لكنا لا نتمسك الا بالاقوى
منها حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليه
السلام قلت ليس في كلامه نص على ان المراد به الرؤية البصرية لاحتمال ان يكون رؤية
البصيرة من خصائصه بخصائصه مع ان ظاهر هذا الكلام ان لا يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم
وصف الخلة ونعت الكلام مع انهما ثابتان له عليه السلام على ما ذكره العلماء الاعلام ثم قال
والاصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في
هذه المسالة هل راى محمد صلوات الله عليه ربه فاخبره انه راه قلت يحتمل ان يكون سؤال
ابن عمر وكذا سؤال عكرمة ناشئا عن تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى هل الضمير الى جبريل
والى الله سبحانه فاخبره انه راه اي بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه قال
ولا يقدح في هذا حديث عائشة لانها لم تخبر انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لم ار ربي قلت وكذا ابن عباس لم يخبر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
رايت ربي مطلقا فضلا ان يكون مقيدا بعين البصر قال وانما ذكرت ما ذكرته متأولة
لقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الاية ولقوله لا تدركه الابصار قلت هاتان
الايتان سندان يمنعها على ابن عباس ايضا متاول كما لا يخفى على من تامل قال واذا صحت
الروايات عن ابن عباس في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك
بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسماع ولا يستجيز احد ان يظن بابن عباس
انه تكلم في هذه المسالة بالظن والاجتهاد قلت الرؤية ببصر العين غير مصرح
عنه وعلى تقدير التسليم فلا شك انه نشا من باب اجتهاده واخذ من اطلاق
الاية قال وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا
باعلم من ابن عباس قلت هذا مع ما فيه من المناقشة لا يفيد فائدة تامة مع
انها ليست منفردة في هذا الباب بل يوافقها ابن مسعود وغيره من الاصحاب ثم على تقدير
التعارض والتساقط فطوالتنا فض بينت كلامها ويتحقق مرامها قال ثم ان ابن عباس اثبت
شيئا نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي قلت هذا اذا كان الاثبات مستندا الى
الحس والا فمن آداب البحث ان كلام المانع معتبر لا سيما مع سند المنع حتى يأتي الخصم
ببرهان جلي اذ الاصل هو العدم فالوجود يحتاج الى تحقق بدليل قطعي من النقل او
العقل هذا اخر كلام صاحب التحبير وما يترتب عليه من التقرير فقال الامام النووي
الحاصل ان الراجح عند اكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بعيني راسه
ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مما لا

لا ينبغي ان يشك فيه قلت ولا ينبغي ان يجزم به ايضا ثبوت السماع اصلا فضلا من ان
يكون طريقه قطعا فصلا ولا لما وقع فيه خلاف الاقل والاكثر فتأمل وتدبر قال ثم ان
عايشة لم تنف الروية بحديث ولو كان معها حديث لذكرته قلت وكذا ابن عباس
لم يثبت الروية بحديث ولو كان معه حديث لذكره وانما اخذه من اطلاق الاية المتقدمة
لو ثبت النقل صريحا عنه من اثبات الروية بعين البصر وقد علم ايضا مما سبق ان عايشة
ما نفت للروية المذكورة وما ذكرته من الادلة فانما هي سند منعها للتقوية وليست
مستند لها حتى يقال في حقها ما قال وانما اعتمدت على الاستنباط من الايات اما احتجاجها
بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فجوابه ان الادراك هو الاحاطة والله
تعالى لا يحاط فاذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الروية بغير احاطة
قلت سبق سوال عكرمة مطابقا لما فهمت عايشة من الاية وكذا تفسير ابن عباس
هذا المعنى وجوابه على غير هذا المبنى وان كان هذا جوابا حسنا في نفي الامر
كما لا يخفى قال وبقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الاية فجوابه اذ لا يلزم من
الروية وجود الكلام حال الروية فيجوز وجود الروية من غير كلام قلت الظاهر
ان هذا المعنى اخذ من سياق قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
ما اوحى حيث استدل الخصم به على الجمع بين كمال القرب والوحي الخاص المراد به الكلام
من غير واسطة وقد دفعته بقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب اي او تكليما ظاهرا يدركه سمعا لقا لكن من وراء الحجاب والله اعلم بالصواب وفي
التفسير الكبير اعلم ان النصوص وردت ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه بفواده
وجعل بصره في فواده او راه ببصره وجعل فواده في بصره وكيف لا ومذهب اهل السنة
الروية بالارادة لا بالقدرة المعتمدة اذا حصل العلم بالشيء عن طريق البصر كان روية
بالارادة وان حصل من طريق القلب كان معرفته والله تعالى قادر على ان يحصل العلم
بخلق مدرك معلوم في البصر كما قدر ان يجعله بخلق مدرك معلوم في القلب والمسالة
مختلف فيها بين الصحابة واختلاف الوقوع مما ينبني على الاتفاق على الجواز انتهى
وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولي التوفيق وقال صاحب التعرف واجمعوا
انه لا يرى في الدنيا بالابصار ولا بالقلوب الا بالايقان لانه غاية الكرامة وافضل
النعم ولا يجوز ان يكون ذلك الا في افضل المكان واخرى ان الدنيا دار فناء ولا يجوز ان
يرى الباقي في الدار الفانية ولو راه في الدنيا لكان الايمان به ضرورة وبالجملة
ان الله تعالى اخبر انها تكون في الاخرة ولم يخبر انها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء الى
ما اخبر الله تعالى به واختلفوا في النبي صلى الله عليه وسلم هل راى ربه ليلة
الاسرا فقال الجمهور منهم انه لم يره محمد صلى الله عليه وسلم ببصره واحتجوا بخبر عايشة
انها قالت من زعم ان محمدا عليه الصلاة والسلام راى ربه فقد كذب منهم الجنيد والنوري

وابو سعيد

وابو سعيد الخراز وقال بعضهم راه وانه خص بين الخلائق بالروية واحتجوا بخبر ابن عباس
واسماء وانس منهم ابو عبد الله القرشي وبعض المتاخرين وقال بعضهم راه بقلبه ولم يره
ببصره واستدل بقوله تعالى ما كذب الفواد ما راى هذا وزعم بعض الناس ان قوما من
الصوفية ادعوا الروية لانفسهم فقد اطبق المشايخ على تضليل من قال ذلك وصنفوا
في ذلك كتبا منهم ابو سعيد الخراز له في انكار ذلك كتاب ورسائل وكذا للجنيد في
تكذيب من ادعاه رسائل وكلام كثير واجمعوا على ان من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه
وعن الشعبي بفتح فسكون [illegible] قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله اي كعبا ابن عباس
عن شيء فكبر اي كعب حتى جاوبته الجبال قال الطيبي اي كبر تكبيرة مرتفعا بها صوته حتى
جاوبته الجبال صداء كانه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك ولعل ذلك السوال
سوال روية الله تعالى كما سئلت عايشة رضي الله عنها فقفت لذلك شعرها قلت
ظاهر كلام كعب الابي من انها نها لروية في الجملة يابى عن هذا المعنى وان يكون نحو
ما صدر من عايشة في المبنى فالوجه ان يحمل التكبير على تعظيم ذلك المقام والتشوق
الى ذلك المرام لكنه لم يرد عليه جواب الكلام فقال انا بنو هاشم اي فيجب تعظيمنا
وتكليمنا وتفهيمنا فقال كعب ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وعيسى وموسى
وقال الطيبي واما قوله بنو هاشم فتعرض له على التسكين من ذلك الغيظ والتفكر
في الجواب يعني نحن اهل علم ومعرفة فلا نسال عما يستبعد هذا الاستبعاد ولذلك
فكر فاجاب ان الله الخ فقوله هذا لا يخلو عن بعد اذ لا دلالة في الحديث على ثبوت غيظ
له ولا على تحقق فكر فيه مع ان تنفيس هذه المسالة لا يتحقق بفكر ساعة مع ان عقيدته
مبنية على خلافها فكلم اي الله موسى مرتين اي في ميقاتين وراه محمد اي في المعراج
مرتين كما يدل عليه قوله سبحانه ولقد راه نزلة اخرى فهذا يدل على ان مذهب كعب
على ان الضمير في راه الى الله تعالى لا الى جبريل بخلاف قول عايشة لكن لا دلالة فيه على
انه بروية البصيرة او البصر على ان قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى يويد المعنى الاول
ولذا صح عن ابن عباس انه راه بفواده مرتين على ما تقدم والله اعلم قال مسروق فدخلت
على عايشة ظاهره انه كان حاضرا في مجلس كعب وابن عباس وسمع ما جرى بينهما فقلت
هل راى محمد ربه اي بالعين او بالفواد فقالت استعظاما لهذا السوال لقد تكلمت بشيء
وفي نسخة تكلمت لكنه ليس بشيء لانه يحتاج الى القول بزيادة الباء في بشيء قف
بفتح القاف وتشديد الفاء اي قام من الفزع لما لذلك الشيء شعري اي
شعر بدني جميعا وهذا انما حصل عندها من عظمة الله وهيبته واعتقادها من تنزيهه
واستحالة وقوع ذلك قلت رويدا اي ارفقي وامهلي والمقصود تسكينها والملايمة
في تليينها حتى يقدر على السوال والجواب معا ثم قرا لقد راى من ايات ربه
الكبرى ظاهره ان الاية لا تناسب مدعى مسروق بل قال بعض المفسرين انها المعنية

لما رأى فيما سبق من قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فهو نقيض مطلوبه ولذا قال الطيبي اي قرائن
الآيات التي خاتمتها هذه الآية كما يشهد له الرواية الاخرى اعني قوله قلت لعائشة فاين
قوله ثم دنى فتدلى مع بعده ليس في الرواية الاخرى لفظ رأى فالاظهر انه اراد بالكبرى الآية
العظمى على عظمة شأنه تعالى او على تعظيم جنابه صلى الله عليه وسلم وقصدها الرؤية البصرية
او الفؤادية فقالت اين تذهب بك اي الآية يعني فهما قال الطيبي اي اخطأت فيما فهمت
من معنى الآية وذهبت اليه فاسناد الاذهاب الى الآية مجاز انتهى او اين تذهب بك الآية
الكبرى انما هو اي الآية الكبرى جبريل فذكر الضمير باعتبار الخبر ومما يدل على انه الآية
الكبرى ما سيأتي عنهما انه له ستمائة جناح تسد الافق ويؤيده ايضا قولها من اخبرك ان
محمدا رأى ربه فظاهره انها تنفي رؤيته تعالى مطلقا غير مقيد بالفؤاد او البصر او كتم شيئا
مما امر به اي باظهاره كما يدل عليه قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان
لم تفعل فما بلغت رسالته وهو تعريض بالكتمان عن الجميع او عن البعض فيرد الاعتقاد
الفاسد للشيعة في اختصاص اهل البيت ببعض الاحكام الشرعية وفيه ايماء الى انه
لو تحقق له رؤية الله تعالى بنوع من الانواع لبينه واظهره للحاجة في تفسير الآية الله
وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم او يعلم الخمس التي قال تعالى ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث اي الى اخر مفاتيح الغيب ولعلها ارادت بايراد هذه الآية المبالغة
في نفي الرؤية وانها بمنزلتها في القربة ولهذا قالت في هذا اجزاء الكلام مني المترتبات
فقد اعظم الفرية بكسر الفاء اي الكذب الذي هو بلا مرية ولكنه رأى جبريل اي في صورته
الاصلية لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد بفتح همزة وسكون
جيم موضع معروف باسفل مكة من شعابها له ستمائة جناح قد سد الافق رواه الترمذي
ورواه الشيخان مع زيادة واختلاف فكان الاولى ايراد روايتهما فهو تعريض من صاحب
المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح وفي روايتهما قال اي مسروق قلت لعائشة فاين
قوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فان الظاهر المتبادر ان ضمير دنا الى الله
وضمير فتدلى الى النبي او بالعكس كما سبق وكذا ضمير فكان الى احدهما وقد قال بعده فاوحى الى
عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى وبما قدرنا يتم استشكال مسروق قالت ذلك اي مرجع الضمير
فقالت ذلك اي مرجع الضمير في الكل جبريل عليه السلام اي لا الرب سبحانه في هذا المقام
ثم استأنفت لبيان دفع ما عسى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم كان يرى جبريل عليه السلام
وانما فما وجه تخصيص ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت كان اي جبريل ياتيه في صورة الرجل
اي متشكلا بشكله وغالبا بصورة دحية وانه اتاه هذه المرة اي في اجياد في صورته
التي هي صورته اي الاصلية فسد الافق اي على نحو ما رآه ليلة المعراج في صورته
الاصلية على وجه التحقيق هذا وكان ابن عباس اخذ بقول كعب واختار انه رآه مرتين
على احتمال ان الرؤية لعين البصر او البصيرة او احدهما والاخرى باخرى مع الاتفاق

على

على انه لم يره بعينه مرتين والله اعلم واما نفي عائشة فيحتمل ان يحمل على الاطلاق او بتقييده
بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد فالظاهر هو الاول فتدبر وتأمل قال الحافظ ابن حجر الجمع
بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب
لا مجرد العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما به تعالى على الدوام وان الرؤية التي حصلت له
خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا
ولو جرت العادة بخلقها في العين وعن ابن مسعود في قوله فكان اي القرب المعنوي
من العبد والرب او الصوري بين جبريل والنبي عليهما السلام قاب قوسين اي قدرهما
وهو كناية عن كمال قربهما او ادنى اي بل اقرب وهو ما بين العينين وقد قال في مقام المزيد
لحال المريد ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم نذكر
ما بينهما من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى لعدم تعلقه بالمبحث وان اختلف
في مرجع ضميره او حي في المعنى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال اي ابن مسعود
فيها اي في هذه الآيات كلها رأى اي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستمائة
جناح يعني الضمائر كلها راجعة الى جبريل وهذا التأويل مطابق وموافق لما فهمت
عائشة من الآيات كما سبق التنبيه عليه وقال بعض علمائنا ان ابن مسعود اعلم
الصحابة بعد الخلفاء الاربعة متفق عليه وفي رواية الترمذي قال ابن مسعود
في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى قال اعاده تاكيدا رأى النبي وفي نسخة صحيحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف وفي النهاية اي بساط وقيل
فراش ومنهم من يجعل الرفرف جمعا واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف قلت الاظهر
ان يكون المراد منه ثيابا خضرا ويؤيده ما سيأتي ويقويه قوله تعالى متكئين
على رفرف خضر وقيل يحتمل ان يكون المراد منه بسط اجنحته فصارت شبه الرفرف
قال السيوطي في مختصر النهاية رفرف الطائر بجناحه بسطهما عند السقوط على شيء
يحوم عليه ليقع فوقه وفي القاموس رف الطائر بسط جناحيه كرفرف والثلاثي
غير مستعمل والرف شبه الطاق كالرفرف جمعه رفوف والثوب الناعم والرفوف ثياب
يتخذ منها المجالس وتبسط والرقيق من ثياب الديباج وله اي للترمذي وللبخاري
اي ايضا وقدم الترمذي لتقدم مرجعه في قوله متعلق بقال الآتي لقد رأى من
آيات ربه الكبرى قال اي ابن مسعود اي رفرفا اي ذا رفرف اخضر سد افق السماء
وهو جبريل كما سبق عنه ايضا وهو المطابق لما قدرناه وفي تحرير الكلام قدرناه
والله سبحانه وتعالى اعلم وسئل مالك بن انس وهو صاحب المذهب عن قوله تعالى
الى ربها ناظرة فقيل قوم اي المعتزلة واشباههم من اهل البدعة يقولون اي
في معنى الآية الى ثوابه اي ناظرة الى ثواب ربها كما قال بعضهم الى مفرد الآلاء بمعنى
النعماء واريد هنا الجنس اي منتظرة نعمة ربها فقال مالك كذبوا اي على الله تعالى

في معنى كلامه تابين هم عن قوله تعالى كلا اي حقا انهم اي الكفار عن ربهم قدم عن متعلقه
للاهتمام او للتعظيم او للاختصاص او لمراعاة الفاصلة يومئذ اي يوم القيامة ووقت
الجزاء لمحجوبون اي لا يرون الله سبحانه والحجاب اشد العذاب كما ان الرؤية زيادة على
كل مثوبة حيث قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة والمعاني فاين ذلك القوم حيث
وقعوا في بعد وغفلة عن مفهوم هذا القول وهو ان المؤمنين غير محجوبين بل
يكونون في مقام النظر مطلوبين ويصيرون من كمالهم في مرتبة الحب محبوبين قال
مالك الناس اي المؤمنون فانهم في الحقيقة هم الناس وسائر الناس كالنسناس ينظرون
الى الله يوم القيامة باعينهم وقد سبق ما يدل ذلك وقيل الناس كلهم يرون الله
ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم وقد مر الكلام عليه وعلى ان الرؤية
للمؤمنين حاصلة بلا شبهة وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير
الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه اي البغوي في شرح
السنة اي باسناده وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا وفي نسخة بينما
اهل الجنة في نعيم اي واقعين في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم اذ سطع اي سنح لمع لهم
نور اي عظيم فرفعوا روسهم فاذا الرب قد اشرف اي تجلى بتجلي العظمة والكبرياء والبهاء
والعلاء عليهم من فوقهم اي مبتدا منه اخذا من حيث جهاتهم فقال السلام عليكم يا اهل
الجنة ولعل المراد بهم جماعة قيل في حقهم ان اكثر اهل الجنة البله حيث منعوا
اللذات عن رؤية الذات وعليون لاولي الالباب لانهم لاعتلاء هممهم وارتفاع
نهمتهم عن النظر الى غير رب الارباب ويؤيده ما رواه الدارقطني في الافراد والديلمي
في مسند الفردوس عن ابي هريرة مرفوعا اهل شغل الله في الدنيا هم اهل
شغل الله في الاخرة واهل شغل انفسهم في الدنيا هم اهل شغل انفسهم في
الاخرة وفي التنزيل اشارة الى ذلك في قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون
سلام قولا من رب رحيم قال اي النبي عليه الصلاة والسلام وذلك اي سلام
الرب يعني شاهده قوله تعالى او معنى قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم اي
لهم سلام عظيم يقال لهم قولا كائنا من جهة رب الرحيم قال فنظر اي الرب اليهم
وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب
عنهم اي بارتفاع الحجاب عليهم بعد رفعه عنهم ويبقى نوره اي اثر نوره وثمرة ظهوره
على ظاهرهم وباطنهم كما يشاهده اهل المشاهدة في حال البقا بعد تحقق الفنا والله اعلم رواه ابن ماجه

باب صفة النار واهلها

الفصل الاول عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم وفي رواية
الترمذي ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم زاد الترمذي لكل جزء منها

حرها

حرها قيل يا رسول الله ان كانت لكافية ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة
اي ان هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحراق الكفار وعقوبة
الفجار فهلا اكتفي بها ولاي شيء زيدت في حرها قال فضلت اي نار جهنم عليهن اي على
نار الدنيا بتسعة وستين جزءا كلهن اي حرارة كل جزء من تسعة وستين جزءا من
نار جهنم مثل حرها اي مثل حرارة ناركم في الدنيا وحاصل الجواب منع الكفاية اي
لا بد من التفضيل لحكمة كون عذاب الله اشد من عذاب الناس ولذلك اوثر ذكر النار
على سائر اصناف العذاب في كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى فما اصبرهم على
النار وقوله فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وانما اظهر الله هذه الجزء من
النار في الدنيا انموذجا لما في تلك الدار وقال الامام الغزالي في الاحياء اعلم انك اخطأت
في القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب
هذه عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا
مما هم فيه متفق عليه واللفظ للبخاري اي ووافقه مسلم في المعنى وفي رواية
مسلم ناركم التي يوقد ابن ادم من الايقاد ويجوز التشديد بدمن التوقيد وفيها
اي في رواية مسلم عليها وكلها بدل عليهن وكلهن بالنصب اي عوضهما لفا ونشرا
مرتبا وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم الباء
للتعدية اي يؤتى بها من المكان الذي خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى وجيء
يومئذ بجهنم يومئذ اي يوم القيامة ووقت الندامة والحسرة والملامة
لها سبعون الف زمام بكسر الزاي وهو ما يشد به مع كل زمام سبعون الف ملك
يجرونها بتشديد الراء اي يسحبونها اي الى ان ترد بارض لا يبقى للجنة طريق الا
الصراط على ظهرها وفائدة هذه الازمة التي يجرونها بعد الاشارة الى عظمها منعها
من الخروج على المحشر الا من شاء الله منهم رواه مسلم وعن النعمان بضم النون ابن
بشير صحابي ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهون اهل النار اي اقلهم
عذابا من له نعلان اي من تحت قدميه وشراكان اي من فوقها من نار اي كائنتين منها
يغلي اي يفور منهما اي من النوعين وهما النعلان والشراكان دماغه كما يغلي المرجل بكسر
الميم وفتح الجيم اي وهو قدر النحاس كذا قاله شارح وقال العسقلاني ويقال ايضا لكل
اناء يغلي فيه الماء من اي صنف كان والحاصل انه كما قال تعالى تغلي في البطون كغلي
الحميم وهذا بالنسبة الى من لم يغمر في الجحيم ولذا قال ما يرى بصيغة المجهول اي ما يظن
من له نعلان وشراكان من نار ان احدا اي من اهل النار اشد عذابا منه اي لانفراده
وعدم اطلاعه على حال غيره وانه بالكسر اي والحال انه لاهونهم عذابا ففيه تصريح
بتفاوت عذاب اهل النار متفق عليه وفي الجامع اهون اهل النار عذابا يوم القيامة
رجل يوضع في قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير

اقول ولعل هذا الحديث بالنسبة الى ادنى العصاة من المؤمنين وما في المتن الى
ادناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذي يليه وعن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهون اهل النار عذابا اي من الكفار ابو طالب لقوله تعالى
في حقه باتفاق المفسرين انك لا تهدي من احببت وهو منتعل من باب التفعل
وفي نسخة صحيحة من باب الافتعال اي متلبس بنعلين اي من نار يغلي منهما
وفي نسخة يغلي منهما اي من نعليه ومن جهة نعاله واريد بها الجنس دماغه وانما
خفف عذابه لكونه حاميا له صلى الله عليه وسلم عن تشديد عداوة الكفار فلما
خفف خفف جزاء وفاقا رواه البخاري واسنده السيوطي في الجامع الصغير الى
احمد ومسلم عنه والله اعلم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى
بانعم اهل الدنيا الباء للتعدية اي يحضر اشدهم تنعما واكثرهم ظلما لقوله من اهل
النار من بيانية في محل حال يوم القيامة ظرف يؤتى فيصبغ بصيغة المجهول اي
يغمس في النار صبغة بفتح الصاد اي غمسة اطلاقا للملزوم على اللازم فان
الصبغ انما يكون بالغمس غالبا وفي النهاية اي يغمس في النار غمسة كما يغمس الثوب
في الصبغ ثم يقال اي له يا ابن ادم هل رايت خيرا اي نعمة قط هل مر بك نعيم قط
اي في زمان من الازمنة وفي الكلام مبالغة لا يخفى حيث اوقع الاستفهام على
مجرد الرؤية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور فيقول لا اي ما رايت قط والله
يا رب فنفى مؤكدا بالقسم والندا في الجواب لما انسته شدة العذاب ما مضى عليه
من نعيم الدنيا او لم يعده من النعيم نظرا الى ماله وسوء حاله فاي نعيم اخره الجحيم
واي شدة مالها الجنة كما قيل ويؤتى باشد الناس بؤسا نصبا للتمييز اي شدة
ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقته وحاجته وبليته في الدنيا اي اولا من
اهل الجنة ما لا يفصح صبغة في الجنة اي في انهارها او لكونه منها فيقال
له يا ابن ادم هل رايت بؤسا قط وهل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر
بي بؤس ولا رايت شدة قط وكانه اطنب في الجواب تلذذا بالخطاب وقلب الكلام
للفرح التام رواه مسلم وعنه اي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله تعالى لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة لو ان لك اي لو فرض الان تملك
ما في الارض من شيء من زائدة للاستغراق اي جميع ما فيها وطلب منك ان تفتدي
وتخلص نفسك من النار اكنت تفتدي وهو من الافتدا بمعنى اعطاء الفدية
للانجا فيقول نعم فيقول اي الله سبحانه اردت منك اهون من هذا اي طلبته
فوضع السبب موضع المسبب لان مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف
والخلف بقولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ الله لم يكن وحاصله اني امرتك باسهل
من هذا وانت في صلب ادم اي تعلق بك الامر والحال انت في صلب ادم وفيه ايماء الى

قضية

قضية الميثاق والمشتمل على قوله الست بربكم قالوا بلى والمراد منه التوحيد والعبادة
على وجه التفريد واليه اشار بقوله ان لا تشرك بي شيا وهو بدل او بيان لقوله
اهون فابيت اي كل شيء الا ان تشرك بي اي فلا جرم لا اقبل منك ولو افتديت بجميع
ما في الارض كما قال ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا
به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وقال في موضع اخر ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وقال الطيبي قوله
لو ان لك ما في الارض جميعا اي لو ثبت لان لو تقتضي الفعل الماضي واذا وقعت ان المفتوحة
بعد لو كان حذف الفعل واجبا لان ما في ان من معنى التحقيق والثبات ينزل
منزلة ذلك الفعل المحذوف وقوله اردت منك ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب
المعتزلة فان المعنى اردت منك التوحيد فخالفت مرادي واتيت بالشرك
وقال المظهر الارادة ههنا بمعنى الامر والفرق بين الامر والارادة ان ما يجري
في العالم لا محالة كائن بارادته ومشيئته واما الامر فقد يكون مخالفا لارادته
ومشيئته قلت وتوضيحه ان الامر بالايمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت
مشيئته الايمان ببعضهم وارادة الكفر ببعضهم ولذا قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
وقال سبحانه ولكن اختلفوا فمنهم من امن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن
الله يفعل ما يريد وقال ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وقال فريقا هدى
وفريقا حق عليهم الضلالة قال الطيبي الاظهر ان يحمل الارادة هنا على اخذ الميثاق
في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم الاية بقرينة
قوله وانت في صلب ادم فيقول له ابيت الا ان تشرك بي اشارة الى قوله تعالى او
تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل ويحمل الاباء هنا على نقض العهد وقوله الا ان تشرك استثناء
مفرغ وانما حذف المستثنى منه مع ان الكلام موجب لان في الاباء معنى الامتناع فيكون
نفيا اي ما اخترت الا الشرك انتهى وهو كلام حسن الا ان اطلاق الارادة وارادة اخذ الميثاق
يحتاج الى بيان يدفع به ما تقدم من الايراد والله اعلم متفق عليه وعن سمرة بن جندب
مر ذكره مرارا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال منهم اي من اهل النار من تاخذه النار الى كعبيه
ومنهم من تاخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تاخذه النار الى حجزته بضم حاء وسكون جيم
فزاي اي معقد ازاره ووسطه ومنهم من تاخذه النار الى ترقوته بفتح اوله وضم قافه
اي الى حلقه وفي الصحاح لا يضم اوله وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق
وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوة بالفتح وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضعف
والشدة كما ان بعضا من الشخص يعذب دون بعض ويؤيده قوله في الحديث السابق وهو
منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه رواه مسلم قال الطيبي واول الحديث في شرح السنة
برواية ابي سعيد اذا خلص المؤمنون من النار الى قوله فيها نورهم فيعرفونهم بصورهم

لانا كالنار صورتهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي
الكافر في النار مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع قال القاضي يزاد في مقدار اعضائه
الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار قال القرطبي هذا يكون للكفار فانه
قد جاءت احاديث تدل على ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة امثال الذر في صورة الرجال
فيساقون الى سجن في جهنم قال ابن الملك في شرح المشارق ونظر فيه الشيخ الشارح يعني
الاكمل بان هذا الحديث يدل على عظم اجسامهم في النار والذي ذكره في المحشر اقول الظاهر
ان المراد بالمتكبرين عصاة المومنين وكلام القرطبي محمول عليه لملائم الحديث الآتي ضرس
الكافر يوم القيامة مثل احد على ان الاظهر في الجمع ان يكون امثال الذر في موقف بداية
فيه ثم يعظم اجسامهم ويدخلون النار ويكونون فيها كذلك وقال ابن الملك قوله
في النار شبر مذكور في مسلم كذا قاله النووي فالاوجه في منع قول القرطبي ان يقال
ما ذكره لا يدل على العذاب عظمهم في الحشر لان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو للحقارة
لا في الصورة والا فلا التقديم قوله في صورة الرجال انتهى مباحثه لا يخفى وفي رواية
ضرس الكافر مثل احد وغلظ جلده بكسر الغين وفتح اللام اي عظمه مسيرة ثلاث اي
ليال قال الطيبي هكذا هو في جامع الاصول وشرح السنة انه باعتبار الليالي قال
النووي هذا كله لكونه ابلغ في ايلامه وهو مقدور لله تعالى يجب الايمان لاخبار
الصادق به رواه مسلم وفي الجامع الصغير اسند الرواية الاولى الى الشيخين والثانية
الى مسلم والترمذي والله اعلم وروى البزار عن ثوبان مرفوعا ضرس الكافر مثل
احد وغلظ جلده اربعون ذراعا بذراع الجبار وروى ابن ماجة عن ابي سعيد مرفوعا
ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لاعظم من احد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة
جسد احدكم على ضرسه وذكر حديث ابي هريرة اشتكت النار الى ربها في تعجيل الصلوات
يعني فهو اما مكرر اسقط من هنا ونبه عليه واما اعتراض فعلى تنبيهها على انه
اللائق هو ذلك الباب والله اعلم بالصواب الفصل الثاني عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اوقد بصيغة المفعول وقوله على النار نائب الفاعل قال
الطيبي هذا قريب من قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوقد الوقود فوق
النار اي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق اخرى ومستعلية عليها الف سنة
حتى احمرت بتشديد الراء ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة زاد في الجامع كالليل المظلم والحديث
دليل على ان النار مخلوقة كما ذهب اليه اهل السنة خلافا للمعتزلة وجماعة من اهل البدعة
ويؤيده قوله تعالى اعدت للكافرين بصيغة الماضي رواه الترمذي وكذا ابن ماجة وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل احد
وفخذه بفتح فكسر ففي القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مونث كالفخذ

وبكسر

وبكسر اي فخذ الكافر مثل البيضاء في النهاية هو اسم جبل وقال شارح هو موضع في بلاد العرب
وقيل هو جبل ومقعده اي موضع قعوده من النار اي فيها كما في رواية مسيرة ثلاث مثل
الربذة بفتح الراء والموحدة والدال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية
وقيل بقرب مكة وقيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال وقال شارح قريب من ذات
عرق يريد ما بين الربذة والمدينة انتهى فقوله مثل الربذة اي مثل بعد الربذة من
المدينة او مثل مسافتها اليها فانه صلى الله عليه وسلم قال هذا الحديث وهو في المدينة ويؤيده
ما روي من ان مقعده في النار ما بيني وبين الربذة وقال ابن الملك قرية من قرى المدينة
بها قبر ابي ذر الغفاري وقيل جبل بالشام رواه الترمذي ورواه احمد والحاكم عنه بلفظ
ضرس الكافر يوم القيامة مثل احد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء
وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة وعنه اي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا لفظ
الجامع اثنتان واربعون ذراعا بذراع الجبار وفي القاموس الذراع بالكسر من طرف
المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيهما وذراع الثوب قاسه بها وان
ضرسه مثل احد وان مجلسه اي موضع جلوسه من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه
الترمذي وكذا الحاكم وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب
بفتح الحاء اي يجر لسانه ويجوز ان يكون على بناء المفعول بل هو الاظهر في المعنى المراد
وكذا ضبط في الجامع ولفظ ليسحب لسانه وراءه الفرسخ والفرسخين يتوطاه الناس اي
يطاونه باقدامهم ويمشون عليه رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابي
سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود بفتح الصاد واللام للعهد
اشارة الى قوله تعالى سارهقه صعودا اي ساغشيه عقبة صعبة المسلك جبل ففي
القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط وجبل في جهنم والعقبة الشاقة والمعنى انه
جبل عظيم من نار يتصعد فيه بصيغة المجهول اي يكلف الكافر ارتقاءه وفي نسخة بفتح
اوله اي يطلع في ذلك الجبل سبعين خريفا اي مدة سبعين عاما ويهوي به بصيغة
المفعول اي يكلف ذلك الكافر لسقوطه فيه وفي نسخة بفتح الباء وكسر الواو اي ينزل ذلك
الكافر من هوى كرمى سقط فالباء للتعدية كذلك اي سبعين خريفا فيه اي في ذلك الجبل
ابدا فيه للمتقلبين اي يكون دائما في الصعود والهبوط ومنه تبين معنى لطيف فيما اشتهر
عنه صلى الله عليه وسلم ان السفر قطعة من سقر مع ما فيه من الايماء الى اللطافة والتجنيس
والمناسبة الابجدية وبهذا يندفع ما ينقل عن علي كرم الله وجهه انه لم يقل النبي هكذا العكس
وقال ان السفر قطعة من السفر لكن لا يخفى احسنية ما في كلامه صلى الله عليه وسلم من
عدم المبالغة الزائدة ولما فيه من المطابقة الواقعة الجادة مع الاشارة الى تفسير
الاية وما تضمنه مما ذكرناه من افادة اللطافة والظرافة هذا وقد ذكر صاحب خلاصة

الطيبي ظنا ان ضميره راجع الي الجبل وان الباء بمعني في ان نكرره علي طريقة قولك فيه زيد
داعيت فيك يعني ان الافادة للتاكيد والمبالغة ولا شك ان ما قررناه احسن في مقام الافادة
رواه الترمذي ولفظ الجامع ثم يهوي فيه ذلك ابدا رواه احمد والترمذي وابن حبان
والحاكم عنه وعنه اي عن ابي سعيد عن النبي صلي الله عليه وسلم قال في قوله كالمهل
اي في تفسير قوله تعالي وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اي كعكر الزيت
بفتح الكاف والعين اي درديه وقال الطيبي اي الدردي منه والذي قاله اغرب شارح وفسر
المهل بالصديد بلا مع ظهور النص السديد فاذا قرب بضم فتشديد راء اي المهل الي وجهه
اي وجه العاصي سقطت فروة وجهه اي جلدته وبشرته فيه اي في المهل وفي النهاية
فروة وجهه اي جلدته والاصل فيه فروة الراس وهي جلدتها بما عليها من الشعر استعارها
من الراس للوجه رواه الترمذي وعن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الحميم
اي في قوله تعالي يصب من فوق رؤسهم الحميم المفسر بالماء البالغ نهاية الحر ليصب علي
رؤسهم اي يكب فوقها فينفذ الحميم بضم الفاء من النفوذ وهو التاثير والدخول في
الشيء اي يدخل اثر حرارته من راسه الي باطنه حتي يخلص بضم اللام اي يصل الي جوفه
اي الي جوف راسه او الي بطنه وهو الظاهر المتبادر بل هو الصواب لقوله فيسلت بضم اللام
من سلت القصعة اذا مسحها من الطعام فيذهب واصل السلت القطع فالمعني فيمسح
ويقطع الحميم ما في جوفه اي من الامعاء وقال القاضي اي يذهبه ويمر حتي يمرق بضم الراء
اي يخرج من قدميه وهو الصهر بفتح الصاد بمعني الاذابة والمعني ما ذكر من النفوذ
وغيره هو معني الصهر المذكور في قوله تعالي يصهر به ما في بطونهم والجلود ومع هذا لهم
الوعيد الشديد بقوله سبحانه ولهم مقامع من حديد ثم يعاد اي ما في جوفه كما كان لقوله
تعالي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اي شدة العقاب رواه
الترمذي وعن ابي امامة عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله اي تعالي كما في نسخة ويسقي
من ماء صديد قال صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل يتجرعه اي يشربه لا بمرة
بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته ولذا قال تعالي ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من
كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال اي النبي عليه السلام يقرب بفتح الراء
المشددة اي يدني بالصديد تقريبا الي فيه الي فم العاصي فيكرهه اي لعفونته وسخونته
فاذا ادني بصيغة المجهول اي زيد في قربه منه اي من العاصي او من فمه شوي اي احرق
وجهه ووقعت اي سقطت فروة راسه اي جلدته فاذا شربه اي ماء الصديد الحار الشديد
قطع امعاءه بتشديد الطاء للمبالغة والتكثير حتي تخرج اي الامعاء وفي نسخة بالياء اي [illegible]
من دبره بضمتين وهو ضد القبل يقول الله تعالي وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول اي الله
تعالي في موضع اخر وان يستغيثوا اي يطلبوا الغياث بالماء علي عادتهم الاستغاثة في طلب
الغيث وهو المطر يغاثوا اي يجابوا ويؤتوا بماء كالمهل اي كالصديد وكعكر الزيت علي ما صح عنه

صلي

صلي الله عليه وسلم يشوي الوجوه اي ابتداء ثم يجري الي البطون وسائر الاعضاء انتهي بئس
الشراب اي المهل والماء كالمهل فانه مكروه ومكره رواه الترمذي وعن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلي الله عليه وسلم لسرادق النار بكسر اللام وضم السين وجر القاف وفي نسخ بالفتح والرفع
قال الطيبي روي بفتح اللام علي انه مبتدأ واكثرها علي انه خبر وهذا الظهر وفي النهاية
السرادق كلما احاط بشيء من حائط او مضرب او خباء قول وهو اشارة الي قوله تعالي
انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وفي القاموس السرادق الذي يمد فوق البيت
وجمعه سرادقات وقال شارح هو الذي فوق صحن الدار اقول الظاهر ان المراد به في الاية
هو المعني الاعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم ولعل سرادقها من نار غليظ مركبة
من دخان وغيره ولذا قال السرادقها بجمعه جدر بضمتين جمع جدار وهو لا ينافي ان يمد
من فوقهم فانه صح في الاخبار انه يطبق عليهم بل علي كل واحد منهم حتي تبطن كل انه
لا يعذب في النار غيره فان البلية اذا عمت طابت لا سيما اذا راي ان عذابه اخف من
بعض كثف كل جدار بضم الكاف والمثلثة مرفوعا في اصل السيد وكثير من النسخ وفي
بعضها بالكسر والفتح وعليه اكثر الشراح وهو الاظهر وفقا لصاحب المفاتيح والخلخالي
بكسر الكاف وفتح المثلثة اي الغلظ فالمعني كثافة كل جدار وغلظه مسيرة اربعين
سنة وقال شارح بالفتح والكسر الغلظ وفي النهاية الكثف جمع كثيف وهو الثخين
الغليظ لكن لا يخفي ان معني الجمع غير ملائم لاضافته الي كل جدار نعم في نسخة ضبط
بضمتين مجرورا علي انه صفة جدر وكل جدار بالرفع علي الابتداء وهو ظاهر لفظا ومعني
والله اعلم رواه الترمذي وعنه اي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم لو ان دلوا من غساق بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد اهل النار
وغسالتهم وقيل ما يسيل من دموعهم وقيل الزمهرير كذا في النهاية وقيل هو العذب
البارد المنتن لا يقدر علي شربه من برودته كما لا يقدر علي شرب الحميم لحرارته قلت
وهو الملائم للجمع منهما في قوله تعالي فليذوقوه حميم وغساق وكذا في قوله سبحانه
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا علي اللف والنشر المشوش اعتمادا علي فهم
السامع والحاصل انه لو ان شيئا قليلا يهراق بفتح الهاء ويسكن اي يصب في الدنيا
لانتن اهل الدنيا اي لصار ذوي نتن منه فاهل مرفوع علي الفاعلية وعليه
الاصول المعتمدة وكانه وجد في بعض النسخ بالنصب علي توهم ان انتن متعد بزيادة
الهمزة فقال شارح انتن الشيء اي تغير وصار ذا نتن فنصب اهل الدنيا بعيد والصواب [illegible]
رفعه كذا قاله الامام التوربشتي رحمه الله وفي القاموس النتن ضد الفوح
نتن ككرم وضرب نتانة ونتنا وانتن فهو منتن بكسرتين وبضمتين وكقنديل قول ولعل
وجه الكسرتين انه كسر الميم اتباعا كما في قوله الحمد لله قرئ في الشواذ بكسر الدال وضمها
اتباعا لما بعدها وعد الكلمتين كلمة لامتزاجهما وعدم انفكاكهما غالبا رواه الترمذي

وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله او لعل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته اي حق تقويه
من القيام بالواجبات واجتناب السيئات وقد فسره ابن مسعود بقوله هو ان يطاع فلا
يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ورواه الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا
رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه وصححه المحدثون فهو انما تفسير لكمال التقوى فلا اشكال لا انه
فيكون منسوخا بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ذكره بعضهم وقال بعض العارفين
هو ان يتنزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي موحدون منقادون ثابتون جامعون بين الخوف والرجاء لكن حسن
الظن بالمولى من الاحرى والاولى وهو في الحقيقة امر بدوام الاسلام فان النهي في
هذا المقام توجه الى القيد في الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة
من الزقوم اي من ماء شجر يخرج في اصل الجحيم قال شارح الزقوم شجرة خبيثة مرة
كريهة الطعم والرائحة يكره اهل النار على تناوله فلو ان قطرة منه قطرت بالقاف
اي نقطت ونزلت في دار الدنيا لافسدت اي لمرارتها وعفونتها وحرارتها على اهل الارض
معايشهم بالياء وقد يهمز جمع معيشة فكيف بمن يكون الزقوم طعامه ففي الصحاح
ان الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد والزقم اكله فالعقيلي بزقومهم في الدنيا كما قال
تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال الطيبي قوله حق تقاته اي واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم اي بالغوا في التقوى حتى
لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وهذا معنى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون تاكيد لهذا المعنى اي لا تكونن على حال
سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت حتى واظبت على هذه الحالة ودوام عليها اماتته
وسلم في الدنيا من الافات وفي الاخرى من العقوبات ومن تقاعدها وتقاعس وقع في العذاب
في الاخرة ومن ثم اتبعه صلى الله عليه وسلم بقوله لو ان قطرة من الزقوم الحديث وهو منقول
من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وكذا رواه
احمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اي في قوله تعالى وهم فيها اي الكفار في النار كالحون اي عابسون حين تحترق وجوههم من النار
كذا ذكره الطيبي وقال شارح اي بادية اسنانهم وهو المناسب لتفسيره صلى الله عليه وسلم الآية
الراوي بقوله قال والاعادة للتاكيد تشويه بفتح اوله اي تحرق الكافر النار اي نار اهل البوار
فتقلص على صيغة المضارع بحذف احدى التاءين اي تنقبض شفته العليا بفتح الشين وبكسر
حتى تبلغ اي تصل شفته وسط رأسه بسكون السين ويفتح ويسترخي بالتذكير والتانيث
اي يسترسل شفته السفلى تانيث الاسفل كالعليا تانيث الاعلى حتى تضرب اي تقرب
سرته رواه الترمذي وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ابكوا بكسر همز

الوصل وضم الكاف امر من بكى يبكي اي ابكوا خوفا على ذنوبكم او شوقا الى ربكم كما اخبر الله سبحانه
عن حال انبيائه واصفيائه اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وقد سجد بعض السلف
في هذه الاية فقال هذه السجدة فاين البكا فان لم تستطيعوا اي لم تقدروا على البكا الحقيقي
فتباكوا بالامر للاختيار اي تشبهوا بالبكاة امر من باب التفاعل والمعنى تكلفوا انفسكم بالتكليف
على البكا وفيه ايماء الى قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فان اهل النار اي من الكفار وكذا
من العصاة ربما يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم اي عليها والتعبير بفي ابلغ
وتوكيد قوله كانها اي دموعهم جداول جمع جدول وهو النهر الصغير حتى تنقطع الدموع
فتسيل الدماء بنصب الفعل ورفعه وكذا الوجهان في قوله فتقرح بتشديد الراء المفتوحة
على انه مضارع من باب التفعل حذف احدى التاءين منه اي فتجرح منه اي من سيلان الدماء
العيون بضم العين ويكسر جمع العين وفي نسخة فتقرح بسكون القاف وفتح الراء فالعيون
منصوب لان قرح كمنع جرح على ما في القاموس فالمعنى فتجرح دموعهم او دماؤهم عيونهم
وتزيد في سيلانها فلو ان سفنا بضم السين والفاء جمع سفينة ازجيت بصيغة المجهول
من الازجاء بالزاي والجيم اي ارسلت فيها اي في الدموع والدماء لجرت اي السفن بها رواه
اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى اي يسلط على اهل النار الجوع اي الشديد فيعدل بفتح الدال وكسر الدال اي فيساوي
جوعهم ما هم فيه من العذاب والمعنى ان الم جوعهم مثل الم سائر عذابهم فيستغيثون
اي بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقربه دابة لخبثه
ولو اكلت ماتت والمراد هنا شوك من نار امر من الصبر وانتن من الجيفة واحر من النار لا يسمن
اي لا يشبع الجائع ولا ينفعه ولو اكل منه كثيرا ولا يغني من جوع اي ولا يدفع ولو بالتسكين
شيئا من الم الجوع وفيه ايماء الى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الخ فيستغيثون بالطعام
ثانيا لعدم نفع ما اغيثوا اولا فيغاثون بطعام ذي غصة اي مما ينشب في الحلق ولا
يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل وفيه اشعار الى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما
وطعاما ذا غصة وعذابا اليما والمعنى انهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتنتنا ولونه فيغصون
به فيذكرون انهم كانوا يجيزون من الاجازة بالزاي اي يسيغون الغصص جمع الغصة بالضم
وهي ما اعترض في الحلق فالمتعرف على ما في القاموس والمعنى انهم كانوا يعالجونها في الدنيا
بالشراب فيستغيثون اي على مقتضى طباعهم بالشراب اي لدفع ما حصل لهم من العذاب
فيرفع اليهم الحميم بالرفع اي يرفع اطراف انائه فيه الحميم وهو الماء الحار الشديد بكلاليب
حديد اي على ايدي الملائكة او بيد القدرة من غير الواسطة فاذا دنت اي قربت اواني
الحميم من وجوههم شوت وجوههم اي احرقتها فاذا دخلت اي انواع ما فيها من الصديد والغساق
وغيرهما بطونهم قطعت ما في بطونهم اي من الامعاء قطعة قطعة فيقولون ادعوا خزنة
جهنم نصب على انه مفعول ادعوا وفي الكلام حذف اي يقول الكفار لبعضهم ادعوا خزنة

جهنم فيدعونهم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اي الخزنة
الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا اي الخزنة تهكما بهم فادعوا اي انتم ما شئتم
فانا لا نشفع للكافر وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي في ضياع لانه لا ينفعهم حينئذ
دعاؤهم لانفسهم ولا من غيرهم وهذا لا يدل لا يستجاب لهم دعوة في الدنيا كما فهمه بعض
العلماء وقد استجيب دعاء الشيطان في الامهال والله اعلم بالحال وقال الطيبي
الظاهر ان خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا بل هو منادى ليطابق قوله تعالى وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقوله الم تك تاتيكم
الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي
يستجيب لها الدعوات قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ على ذلك وليس قولهم فادعوا
لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف
يسمع دعاء الكافرين قال اي النبي عليه الصلاة والسلام فيقولون اي الكفار ادعوا
مالكا والمعنى انهم لما ايسوا من دعاء خزنة جهنم لاجلهم وشفاعتهم لهم ايقنوا ان
لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله فيقولون يا مالك ليقض اي سل ربك داعيا
ليحكم بالموت علينا ربك لنستريح او من قضى عليه اذا اماته فالمعنى ليمتنا
ربك لنستريح قال اي النبي عليه الصلاة والسلام فيجيبهم اي مالك جوابا من عند
نفسه او من عند ربه تعالى بقوله انكم ماكثون اي مكثا مخلدا قال الاعمش وهو احد
الرواة من اجلاء التابعين نبئت بالتشديد للموحدة المكسورة اي اخبرت من بعض
الصحابة موقوفا او مرفوعا ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم اي بهذا الجواب الف عام
قال فيقولون اي بعضهم لبعض ادعوا ربكم فلا احد اي فليس احد خير من ربكم اي في
الرحمة والقدرة على المغفرة فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا بكسر فسكون
وفي قراءة بفتحتين والف بعدهما وهما لغتان بمعنى ضد السعادة والمعنى سبقت
علينا هلكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا وكنا قوما ضالين اي عن طريق التوحيد ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وهذا كذب منهم فانه تعالى قال ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون قال فيجيبهم اي بواسطة او بغيرها اخسئوا فيها اي ذلوا
وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت والمعنى ابعدوا اذلاء في النار ولا تكلمون
اي لا تكلموني في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف عنكم قال فعند ذلك يئسوا
اي قنطوا من كل خير اي مما يخلصهم من العذاب او يخففه عنهم وعند ذلك اي ايضا
ياخذون في الزفير اي في احتراق النفس للشدة وقيل الزفير اول صوت الحمير كما ان
الشهيق اخر صوته قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق والحسرة اي وفي الندامة
والويل اي وفي شدة الهلاك والعقوبة وقيل هو واد في جهنم قال عبد الله بن عبد
الرحمن احد المحدثين من اصحاب التخريج والناس لا يرفعون هذا الحديث اي بل يجعلونه

موقوفا

موقوفا على ابي الدرداء لكنه في حكم المرفوع فان امثال ذلك ليس مما يمكن ان يقال من قبل
الراي رواه الترمذي اي مرفوعا كما يفهم من صدر الحديث وعن النعمان بن بشير رضي
الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انذرتكم النار اي اخبرتكم بوجودها
وشدتها وخوفتكم بانواع عقوبتها انذرتكم النار اي اعلمتكم بما ينجي به عنها حتى قلت لكم
اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم يمكن ان يراد بهما الانذار في زمان الحال وعبر بالماضي في السابق
اللاحق للاستقبال او الاول اخبار والثاني انشاء او جمع بينهما للتاكيد في احد
المعاني وفي نسخة كررها ثلاثا فما زال يقولها اي يكرر الكلمة المذكورة ويرفع بها صوته
حتى لو كان اي النبي عليه الصلاة والسلام في مقامي هذا اي المقام الذي كان الراوي
فيه عند رواية هذا الحديث سمعه اي سمع صوته اهل السوق لانه بالغ في رفع
صوته عملا بقول نوح عليه الصلاة والسلام ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم
واسررت لهم اسرارا وحتى سقطت خميصته وهي نوع ثوب كانت عليه اي فوق كتفه
كانت بمنزلة ردائه عند رجليه اي من جذبة الالهية وعدم شعوره من الهيبة
الحسية رواه الدارمي وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي بحذف الياء في اكثر النسخ
المصححة وفي نسخة بالياء قال النووي في مقدمة شرح مسلم اما ابن العاص فالاكثر
ما يجيء في كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء وهي لغة والفصيح الصحيح العاصي بالياء
وكذلك شداد بن الهادي وابن ابي الموالي فالصحيح الفصيح في كل ذلك وما اشبهه
اثبات الياء والاعتداد بوجوده في كتب الحديث اذ اكثرها بحذفها اقول تعبيره بالصحيح
الفصيح غير صحيح اذ جاء اثبات الياء وحذفها في الكلام الافصح كتابة وقراءة نعم حذفها
رسما اكثر من اثباتها قراءة استمر من حذفها في نحو قوله تعالى المهتد والمتعال وباق وواق
ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب الى كتابة الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين مستبعد جدا خصوصا من الامام النووي الذي هو من
اتباع المحدثين ومن الفقهاء المتورعين هذا والصحيح في العاص انه معتل العين
لا معتل اللام على ما حققه صاحب القاموس بقوله الاعياص من قريش اولاد امية بن
عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص فالعاص على هذا يخرج عما نحن
فيه بالكلية ولا يجوز اثبات الياء فيه بالمرة والله اعلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان رصاصة بفتح الراء والصاد المهملتين اي قطعة من الرصاص وفي القاموس الرصاص كسحاب
معروف وفي نسخة السيد رضاضة براء واحدة ومعجمتين وهي الحصا الصغار على ما في
النهاية وفي نسخ المصابيح رضراضة براءين ومعجمتين وهي الحجارة المدقوقة على ما قاله
شارح وهو سهو من الكاتب او من صاحب الكتاب والله اعلم بالصواب قال التوربشتي في سائر
نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة وهو غلط لم يوجد في جامع الترمذي ولعل الغلط
وقع من غيره مثل هذه اشارة الى محسوسة معينة هناك كما اشار اليه الراوي بقوله واشار

الى مثل الحجة بضم الحيم في نسخ المصابيح المصححة للمشكاة وهي قدح صغير قال المظهر ما بين الحاجبين وقيل المتهمين وهي حبة صغيرة صفراء بالحجم وهي عظم الراس المشتمل على الدماغ وقيل الاول اصح انتهى والجملة حالية لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة قال التوربشتي يعني مدى قعر جهنم بالمبلغ من البيان فان الرصاص من الجواهر الرزينة والجوهر كلما كان اتم رزانة كان اسرع هبوطا الى مستقره لا سيما اذا انضم الى رزانته كبر جرمه ثم قدره على الشكل الدوري فانه اقوى انحدارا وابلغ مرورا في الجو انتهى فالمعنى ان المراد بالجمجمة جمجمة الراس على ان اللام للعهد او بدل عن المضاف اليه وهو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة ثم قوله ارسلت صفة لاسم ان وما بينهما معترضة اي ادليت من السماء الى الارض وهي الى مسافة ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من راس السلسلة اي المذكورة في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة او المراد بذرعها ذراع الجبار وقال شارح اي راس سلسلة الصراط وهي في غاية من البعد لسارت اي لنزلت وصارت مدة ما ربعين خريفا اي سنة الليل والنهار اي فيهما جميعا لا يختص سيرها باحدهما قبل ان تبلغ اصلها اي اصل السلسلة او قعرها شك من الراوي والمراد بقعرها نهايتها وهو معنى اصلها حقيقة او مجازا فالترديد انما هو في اللفظ المسموع وانعدل الطيبي حيث قال يراد به قعر جهنم لان السلسلة لا قعر لها قلت وجهنم في هذا المقام لا ذكر لها مع تفكيك لزوم الضمير فيها وان كان قعرها محققا على ما رواه هناد عن انس مرفوعا لو ان حجرا مثل سبع خلفات القي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها والمراد بالخلفات النوق الحوامل والحبالى كبير جرمها هنا مناسب لما قدمه التوربشتي رواه الترمذي وعن ابي بردة بضم موحدة عن ابيه قال المؤلف هو ابو بردة بن عامر بن عبد الله بن قيس احد التابعين المشهورين المكثرين سمع اباه وعليا وغيرهما وكان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا في القاموس هو مفرج بين جبال او تلال او اكام يقال له هبهب بضم الهاء الثانية من غير تنوين في نسخة الجزري وكثير من النسخ ولعل عدم الصرف باعتبار البقعة مع العلمية وفي نسخة السيد بسكون الهاء بين ولا يظهر له وجه اللهم الا ان يقال انه نكرا رهب امر من الهيبة فكان الراوي او من حضره يقول بلسان القال او الحال هب هب مخاطبا خطاب العام والله اعلم بالمرام وفي النهاية السريع وهبهب السراب اذا برق قال التوربشتي سمي بذلك اما لسرعة وقوعه في المجرمين اولشدة اجيج النار فيه او للمعانه عند الاضطرام والالتهاب والله اعلم بالصواب يسكنه فيه حذف وايصال اي يسكن فيه كل جبار اي متكبر عنيد عن قبول الحق يتعاظم على الخلق شديد رواه الدارمي وروى ابن مردويه عن ابن عمر والفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتتعوذ بالله منه ورواه ابن جرير عن ابي هريرة الفلق جب في جهنم

مغطي

مغطي الفصل الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم اهل النار في النار اي يكبر جثتهم حتى ان بكسر الهمز ويفتح بين شحمة اذن احدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اي ليزيد عذابهم كمية وكيفية وان غلظ جلده سبعون ذراعا عطف على مدخول حتى او على الجملة السابقة وكذا قوله وان ضرسه مثل احد وعن عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح جيم وسكون زاي فهمز قال المؤلف هو عبد الله بن جزء بفتح الجيم ابو الحارث السهمي سكن مصر او شهد بدرا مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهى وفيه اشكال لا يخفى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات كامثال البخت بضم موحدة فسكون معجمة ومفرده بختي في القاموس بالضم الابل الخراسانية تلسع احداهن اللسعة اي اللدغة فيجد اي الملسوع حموتها بفتح فسكون اي اثر سمها وسورته الما اربعين خريفا وان في النار عقارب كامثال البغال الموكفة بالهمز والواو والكاف مفتوحة من اكاف الحمار واوكفته شددت عليه الاكاف تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا رواهما اي الحديثين احمد وعن الحسن اي البصري قال حدثنا ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران بفتح المثلثة اي كثوريه فهو تشبيه بليغ كقولهم زيد اسد مكوران بتشديد الواو المفتوحة اي ملفوفان من طعنه فكوره اي القاه على ما ذكره الطيبي والمعنى انه يلفى ويطرح كل منهما عن فلكهما في النار لزيادة عذاب اهلها بجرمهما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس مرفوعا الشمس والقمر وجوههما الى العرش واقفاؤهما الى الدنيا ففيه تنبيه تنبيه على ان وجوههما كانت الى الدنيا لما اطاق حرهما احد من اهل الدنيا وقال ابن الملك اي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها وكان اخذه من تكوير العمامة ومنه قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال وفي النهاية ومنه حديث ابي هريرة يجاء بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار والرواية ثوران بالثاء المثلثة كانهما يمسخان وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهى ومن الغريب انه وقع في نسختي الشيخ الجزري والسيد بالنون اصلا وبالمثلثة في الهامش نسخة ومما يؤيد الرواية بالثاء ما ذكره السيوطي في البدور عن انس وعن كعب الاحبار ايضا ثوران عقيران فقال الحسن وما ذنبهما فقال اي ابو هريرة احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي اي لعل بذل النفس لجاجا بالقياس ويجعل موجب دخول النار العمل فان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اقول الظاهر من سؤاله بيان الحكمة في ادخالهما النار مع انقيادهما وطاعتهما للملك الجبار والنار انما هي دار البوار للكفار والفجار فمعنى قول ابي هريرة احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعته وليس لي مزيد علم على ذلك فسكت الحسن فثبت ان سؤاله حسن وكذا جوابه مستحسن مع انه لا يلزم من ادخالهما النار تعذيبهما لخزنة جهنم فقال بعض العلماء انما جعلا في النار لانهما قد عبدا من دون الله تبكيتا للكافرين قال القرطبي قد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الاحبار

في قوله هذا احبت قال له هذه يهودية ادخلها في الاسلام اكرم من ان تعذبها وهما دايبان
في طاعته ثم حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انهما يعودان الى ما خلقا منه وهو نور الرحمن
فيختلطان بما صلا انما يصيران نورين والنور لا يعذب بالنار ولذا تقول النار للمؤمن
جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فيرجع الكلام الى ان فايدة ادخالهما تعيير عبدتهما فلا
منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند التامل التام والله الكافي مع ان الحديث
المروي غير ثابت قال السيوطي في البدور هذا الحديث اخرجه ابو الشيخ في العظمة من طريق
ابي عصمة نوح بن ابي مريم عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس وابو عصمة كذاب
وضاع رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور وفي الجامع الصغير الشمس والقمر ثوران
عقيران في النار ان شاء اخرجهما وان شاء تركهما وقيل قوله عقيران اي زمنان بمعنى لا
يجريان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الا شقي
ومن الشقي قال من لم يعمل لله اي لاجل رضاه او لامره بطاعة اي بواجبه ولم يترك له اي لله
معصية وهو شامل للكافر والفاجر فقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى
محمول على التصلي على وجه الخلود قال الطيبي الباء زايدة فيهما وبناء المرة فيهما مع التنكير
للتقليل وزيادة الباء للتاكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة وان الله تعالى لا يضيع
اجر من عمل له طاعة ما او ترك لاجله ولخوفه معصية ما بخوف قوله واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى رواه ابن ماجه باب

خلق الجنة والنار

اي في كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب اهل السنة والجماعة وفي بيان انهما لمن خلقتا وذكر بعض اوصافهما من خلقتهما

الفصل الاول

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت بتشديد الجيم اي تخاصمت وتجادلت وتعارضت
الجنة والنار اي بلسان المقال او بلسان الحال قال الطيبي هذه المحاجة جارية على
التحقيق فانه تعالى قادر على ان يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة او على التمثيل قلت الاول
هو المعول لان مذهب اهل السنة على ما في العقايد ان لله علما في الجمادات وساير الحيوانات
سوى العقلا لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية فيجب على المرء الايمان به وكل
علمه الى الله سبحانه انتهى وادلته كثيرة ليس هذا موضع ذكرها فقالت النار اوثرت بصيغة
المجهول من الايثار اي اختصصت بالمتكبرين اي عن الحق والمتجبرين اي على الخلق بالتسلط والقهر
فقيل هما بمعنى بينهما للتاكيد وقيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الذي لا يوصل
اليه وقيل الذي لا يكترث ولا يبالي بامر الضعفا والمساكين قالت الجنة فمالي اي فاي
شي وقع لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس اي في البدن والمال وسقطهم بفتحتين اي اراذلهم
واكثرهم جهلا واقلهم اعتبارا المحقرون فيما بينهم الساقطون عن اعينهم وهذا بالنسبة
الى ما عند اكثر الناس لانهم كما قال تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون وفي موضع ولكن اكثرهم يجهلون
واما بالنسبة الى ما عند الله عظما وكذا عند من عرفهم من العلما والصلحا فوصفهم بالسقط

والضعف لهذا المعنى او المراد بالحصر الاغلب وغرتهم بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء وهي عدم التجربة
او وجود الغفلة يعني الذين لا تجربة لهم في الدنيا ولا اهتمام لهم بها في الدنيا والذين هم غافلون
عن امور الدنيا شاغلون بهمة العقبى على ما ورد في الخبر اكثر اهل الجنة البله اي في امور
الدنيا بخلاف الكفار فانهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون
هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رواه الاكثر بغين معجمة مفتوحة فراء فثاء مثلثة
اي اهل الحاجة من الغوث وهو الجوع وروي بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء وبعدها مثناة فوقية
اي البله الغافلون وهي ثابتة في اكثر نسخ المسلم ورواه اخرون بعين مهملة فجيم
فزاي مفتوحات وبعدها مثناة جمع عاجز وروي بضم العين والجيم جمع عاجز ايضا قال الله للجنة
انما انت الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وخبر الحاجة اي تكررها لما بها من الضعفا
وتأنيث في السؤال وضعف في الجواب انما انت رحمتي اي مظهرها في شرح السنة سمي
الجنة رحمة لان بها يظهر رحمة الله تعالى كما قال ارحم بك من اشاء من عبادي والا فرحمة الله
من صفاته التي لم يزل بها موصوفا ليست لله صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم
بجميع اسمايه وصفاته جل جلاله وتقدست اسماؤه وفي المعالم الرحمة ارادة الله الخير لاهله
وقيل ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق فهو على الاول صفة
ذات وعلى الثاني صفة فعل وقال اي الله للنار انما انت عذابي اي سبب عقوبتي ومنشا
سخطي وغضبي اعذب بك من اشاء من عبادي والحاصل ان الجنة والنار مظاهر
المؤمنين والكفار ومظاهر الجمال والجلال على وصف الكمال ولا يظهر لاحد وجه
تخصيص كل بكل في مقام الفضل مع العلم بان احدهما من باب العدل والاخر من طريق
الفضل ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكل واحدة منكما ملؤها لان كلا لهما في ملي ما لها
فاما النار فلا تمتلي قال تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي
فتطلب الزيادة فتطلب الزيادة ولا تمتلي من اهلها المعد لها حتى يضع الله اي فيها او عليها
رجله وفي الرواية الاتية قدمه فمذهب السلف التسليم والتفويض مع التنزيه وارباب التأويل
من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته او قوم قدمهم الله للنار من اهلها وتقدم
في سابق حكمه انهم لاحقوها فتمتلي منهم جهنم والعرب تقول كل شي قدمته من خير او شر
فهو قدم ومنه قوله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم اي ما قدموه من الاعمال الصالحة
الدالة على صدقهم في تصديقهم والمراد بالرجل الجماعة وهو وان كان موضوعا لجماعة كثيرة
من الجراد لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد او اخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى
وظن ان الرجل يسد مسد القدم هذا وقد قيل وضع القدم على الشي مثل للردع والقمع
فكأنه قال يأتيها امر الله فيكفها من طلب المزيد ويدل على هذا المعنى قوله فيضع الرب
قدمه عليها ولم تقل فيها كذا قاله شارح المصابيح لكن الرواية الاتية بلفظ فيها في المشكاة
نعم فيه تأتي بمعنى على كما في التنزيل لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل الرجل يكنى به

سبكين توريتهما كما يقال للامر يراد ابطاله وضعته تحت قدمي ذكره في النهاية وفي شرح السنة
القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله تعالى المنزهة عن التكيف والتشبيه
وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنة كاليد والاصبع والعين والمجيء والاتيان
والنزول فالايمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدي من سلك فيها طريق
التسليم والخائض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا
كبيرا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى وهو الموافق لمذهب الامام مالك ولطريق امامنا
الاعظم على ما اشار اليه في الفقه الاكبر فالتسليم اسلم والله اعلم تقول اي النار والجملة
استئناف بيان او حال والاظهر ان يقال فتقول قط بفتح القاف وسكون الطاء وفي
نسخة بكسرها منونة وفي اخرى من غير تنوين قط قط ذكر ثلاث مرات على ما في النسخ المصححة
المفهوم من قول شارح انه مرتين حيث قال بسكون الطاء اي كفى كفى ويحتمل كسر الناء حسبي
حسبي قال النووي فيه ثلاث لغات باسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة
وفي القاموس اذا كان قط بمعنى حسب فقط كعن وقط منونا مجرورا فاقتصاره عليه مشعر
بان الكسر مع عدم التنوين خطأ فهنالك اي في ذلك الزمان تمتلئ اي النار بقدرة الله تعالى ويزوي
بصيغة المجهول اي يضم ويجمع بعضها الى بعض اي من غاية الامتلاء فلا يظلم الله اي ابدا
من خلقه احدا اي لا ينشئ الله خلقا للنار فانه ظلم بحسب الصورة وان لم يكن ظلما
حقيقة فانه تصرف في ملكه والله تعالى لا يفعل ما في صورة الظلم واما الجنة فان الله
ينشئ لها اي من عنده خلقا اي جمعا لم يعملوا عملا وهذا افضل من الله تعالى كما انه سبحانه
لو انشأ للنار خلقا على ما قيل لكان عدلا والله اعلم متفق عليه وعن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى اي يطرح فيها اي من الكفار والفجار وتقول
هل من مزيد اي من زيادة حتى يضع رب العزة اي صاحب الغلبة والقوة والقدرة
فيها قدمه وقد قدمنا ما يتعلق به فينزوي اي ينضم ويجتمع بعضها الى بعض فتقول
قط قط اي مرتين والمراد بهما الكثرة وانحصار العدد بعزتك وكرمك اي زيادة مطابق
ولا يزال في الجنة اي زيادة مساكن خالية عن السكان حتى ينشئ الله لها خلقا
فيسكنهم من الاسكان فضل الجنة اي في تلك الزيادة منها قال النووي في قوله
واما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا هذا دليل لاهل السنة على ان الثواب ليس مترتبا
على الاعمال فان هؤلاء يخلقون ويعطون الجنة بغير عمل قال الطيبي وللمعتزلة ان
يقولوا ان نفي الظلم عمن لم يذنب دليل على انه ان عذبهم كان ظلما وهو عين مذهبنا
والجواب انا وان قلنا وان عذبهم لم يكن ظالما فانه لم يتصرف في ملك غيره لكنه تعالى لا
يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة فنفي الظلم اثبات للكرم متفق عليه وذكر حديث
انس حفت الجنة بالمكاره بتمامه وحفت النار بالشهوات في كتاب الرقاق اي لان الحديث
انسب به من هذا الباب والله اعلم بالصواب **الفصل الثاني** عن ابي هريرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها اي نظر اعتبار فذهب
فنظر اليها والى ما اعد الله لاهلها فيها اي ما عدا ما اعد الله احدا لصالحين ما لا عين رأت ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم جاء اي رجع الى موضعه اي الى حيث ما امر به او في محل القرب
فقال اي رب اي يا رب وعزتك لا يسمع بها احد اي ويحب دخولها فالاذن تعشق قبل العين
احيانا الا دخلها اي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم الا بشأنها لحسنها وبهجتها
ثم حفها اي احاطها الله بالمكاره جمع كره وهي المشقة والشدة على غير قياس والمراد بها التكاليف
الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الانسانية وهذا يدل على ان المعاني لها صور
حسية في تلك المباني ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها اي ثانيا لما تجدد من الزيادة
عليها باعتبار رجوعها فذهب اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي اكثر الاصول بدون قال فذهب
فنظر اليها اي وراى ما عليها ثم جاء فقال اي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها
احد اي لما رأيت حولها من الموانع التي هي العلائق والعوائق للخلائق قال الطيبي اي
وجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات قال فلما خلق
الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال اي رب
وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها اي لا يسمع بها احد الا فزع منها واحترز فلا يدخلها
فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال وهو موجود هنا في اكثر النسخ
المصححة فنظر اليها فقال اي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى احد الا دخلها اي
لميلان النفوس الى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن العبادات والطاعات فهذا
الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات
ونعم ما قال بعض ارباب الحال ❊ لولا المشقة ساد الناس كلهم ❊ الجود يفقر والاقدام قتال
رواه الترمذي وابو داود والنسائي **الفصل الثالث** عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى اي اماما وجماعة لنا يوما الصلوة اللام للعهد الذهني الذي هو
في المعنى كالنكرة ثم رقي بكسر القاف اي صعد المنبر فاشار بيده قبل قبلة المسجد بكسر
القاف وفتح الموحدة اي الى جانبها وجهتها فقال قد رأيت بصيغة المجهول من الاراءة
اي البصرية الان اي في هذا الزمن القريب من الماضي والاستقبال المعبر عنه بالحال
مع مراعاة التوسعة باعتبار المادة ولذا قال قد صليت لكم الصلاة اي حين صلينا ومن
ابتداء ما صليت لكم الصلاة الى الان رئيت المنبر الجنة والنار ممثلتين بتشديد
المثلثة اي مصورتين صورة اجمالية او تفصيلية في قبل هذا الجدار بكسر القاف
وفتح الباء وفي نسخة بضمهما اي في مقابلته ففي القاموس القبل بالضم وبضمتين نقيض
الدبر ورأيته قبلا محركة وبضمتين وكصرد وكعنب اي عيانا ومقابلة قال الكرماني فان
قلت الان للحال ورأيت للماضي فكيف يجتمعان قلت قد تقرب به للحال فان قلت فما فوتك

في صلينت فانه للمضي البتة قلت كل خبر او منشي يقصد الزمان الحاضر لا الحظة الحاضرة الغير المنقسمة المسماة بالحال انتهي والمعني ان الحال في كل مقال بحسب ما يناسب المقام في تحصيل المرام فلم ار كاليوم في الخير والشر اي لم ار مرئيا مثل مرئي اليوم في الخير ولا مرئيا مثل مرئي اليوم في الشر فان الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور والنار حايزة لانواع الشرور من الويل والثبور فلا نظير لهما في جمع الخير والشر قال الطيبي الكاف في موضع الحال وذو الحال هو المفعول به وهو الجنة والنار لشهادة السابق والمعنى لم ار الجنة والنار في الخير والشر يوما من الايام مثل ما رايت اليوم اي رايتهما رؤية جلية ظاهرة مثلت في قبل هذا الجدار ظاهرا خيرها وشرها رواه البخاري ورواه مسلم عن انس ايضا عرضت علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا والله اعلم بالصواب

باب بدء الخلق وذكر الانبياء

عليهم الصلاة والسلام البدء بفتح الموحدة فسكون الدال فالهمز بمعنى الابتداء وينبغي ان لا يكتب بالواو حتى لا يشتبه ضبط بضمتين فواو ساكنة فهمزا وبواو مشددة بلا همز فان معناهما الظهور علي ما حققته في رسالتي علقتها علي اول كتاب البخاري مما يتعلق بباب كيف كان بدء الوحي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم متنبها الي قول الله تبارك وتعالى الظهر[?] علي وجه الخلو من الاغراب نعم لو رسم بالياء وجه وجيه

الفصل الاول

عن عمران بن حصين قال اني كنت عند رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ جاءه قوم اي وقت مجيئهم من بني تميم قبيلة عظيمة مشهورة فقال اقبلوا بفتح الموحدة اي تقبلوا من البشرى بضم الموحدة اي البشارة المطلقة او المعهودة يا بني تميم وهم لما لم يفهموا الا بشارة من البشارة يعرفوا طريق استقبالها بالقبول المرتب عليه حصول كل وصول قالوا بشرتنا فاعطنا حملوا البشارة علي الاحسان العرفي فطلبوا ما يترتب عليه من العطا الحسي وهذا مقتضي ما غلب عليهم من الدنيا العاجلة وغفلتهم عن المراتب الاجلة فكل انا يترشح بما فيه ويبني علي ذلك البنا معاينة وقد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم ومذهبهم وقال الطيبي اي اقبلوا مني ما يقتضي ان تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به ولما لم يكن جل همهم الا بشارات الدنيا والاستعطا دون دينهم قالوا بشرتنا للتفقه وانما جينا للاستعطا فاعطنا ومن ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ لم يقبلها بنو تميم وقال العسقلاني بشرتنا هو دال علي اسلامهم وانما راموا العاجل وسبب غضبه صلي الله عليه وسلم ونفيه قبولهم البشرى لاستشعاره بقلة علمهم وضعف قابليتهم لكونهم علقوا امالهم بعاجل الدنيا الفانية وقدموا ذلك علي التفقه في الدين الموصل الي ثواب الاخرة الباقية وكان الواجب عليهم اهتمامهم بالسؤال عن حقايق كلمة التوحيد والمبداء والمعاد والاعتنا

بضبطها

بضبطها والسؤال عن واجباتها والموصلات اليها فدخل ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جيناك لنتفقه في الدين عملا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولما كانت نيتهم الصالحة خالصة للتفقه في الدين لا للطمع في الدنيا حصل لهم البشارة والقبول والعلم والعمل والوصول وحرم الاولون عن البشارة بل وعن العطا في الحقارة ووقعوا في حضيض الخسارة فالهمة العالية هي الموصلة الي المرتبة العالية كما قدمناه في الحكاية المروية عن الشيخ ابي العباس المرسي انه خرج من المدينة المطهرة علي قصد زيارة تربة الامير حمزة المنورة وتبعه رجل ففتح له باب المقبرة علي خرق العادة ودخل الشيخ في محل الزيارة فراى جماعة من رجال الغيب بريئين من النقصان والعيب فعرف انه ساعة الاجابة فطلب من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والاخرة ثم قال للرجل الذي تبعه ملتفتا اليه رحمة وشفقة عليه يا اخي اطلب من الله تعالى ما تريد فان الان وقت الاجابة والمزيد فسال الله تعالى دينارا ولم يذكر جنة ولا نارا فرجعا ولما وصل باب المدينة اعطى الرجل دينارا احد من اهل السكينة ودخلا كلاهما علي القطب الولي السيد ابي الحسن الشاذلي وقد كشف له القضية فقال للرجل انا دني الهمة تدرك وقت الاجابة وتطلب قطعة دينار دنية فهلا طلبت كابي العباس العفو والعافية ليكونا في امر دينك ودنياك كافية ووافية ثم ما احسن طريق سؤالهم من الابتداء في اول حالهم الدال علي كمال امالهم حيث قالوا وسالناك اي وجيناك نسالك عن اول هذا الامر اي امر الخلق ومبدا العالم ما كان اي اي شيء كان اول هذا قال الطيبي سؤال عن ما كان استفهامية اي اي شيء كان اول الامر وكرر السؤال لمزيد الاهتمام بالامر فقال كان الله اي في الازل كما هو كاين الي ابد الاباد بلا وصف التغير والحدوث علي ما هو نعت العباد فان ما ثبت قدمه استحال عدمه ولم يكن شيء قبله اي لانه خالق كل شيء وموجده فلا يتصور وجود موجود ممكن قبل الموجد الواجب الوجود وحاصله انه تعالى الاول الذي هو قبل كل شيء ولا شيء قبله فذكر الجواب علي طريق السؤال مطابقة في الاهتمام بالحال وخلاصته انه اول قديم بلا ابتداء كما انه اخر كريم بلا انتهاء قال الطيبي قوله ولم يكن شيء قبله حال وعلي مذهب الكوفي خبر والمعنى يساعده اذ التقدير كان الله في الازل منفردا متوحدا وهو مذهب الاخفش فانه جوز دخول الواو في خبر كان واخواتها نحو كان زيد وابوه قايم علي جعل الجملة خبرا مع الواو تشبيها للخبر بالحال اقول ولما كان السؤال عن الاول ضمن بين لهم الاولية الازلية ونفى لغيره القبلية ولم يتعرض لمعنى المعية ولهذا اوقع في عبارة السادة الصوفية كان الله ولم يكن معه شيء ثم قالوا والان علي ما عليه كان لان وجود الشيء الممكن في جنب وجود الواجب كلا شيء ولذا قال

بعضهم ليس في الدار غيره ديار فقال اخر سوى الله والله ما في الوجود اولان الاشياء انما هي مظاهر صفاته ومراسي ذاته فقد روي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة الى ذلك على تفسير حبر الامة اي ليعرفون قال التوربشتي هذا فصل مستقل بنفسه لا امتزاج بالفصل الثاني وهو قوله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض لما بين الفصلين من المنافاة فانك اذا جعلت وكان عرشه على الماء من تمام القول الاول فقد ما قضت الاول بالثاني لان القديم من لم يسبقه شيء ولم يعارضه في الاولية وقد اشار بقوله وكان عرشه على الماء الى انهما مبدا التكوين وانهما كانا مخلوقين قبل السموات والارض ولم يكن تحت العرش قبل السموات والارض الا الماء وكيف ما كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته انتهى كلامه قال الطيبي اراد الشيخ بما قاله ان المعطوف عليه مقيد بقوله ولم يكن قبله شيء ولو جعل المعطوف عليه غير مستقل لزم المحذوف فاذا جعل مستقلا دخلت الثانية على الاولى فلا فاذن لفظة كان في الموضعين بحسب حال مدخولها فالمراد بالاول الازلية والقدم وبالثاني الحدوث بعد العدم والحاصل ان قوله وكان عرشه على الماء عطف على مجموع قوله كان الله ولم يكن قبله شيء وانه من باب الاخبار عن حصول الجملتين في الوجود وتفويض الترتيب الى الذهن قالوا وبمنزلة ثم قال العسقلاني وليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ماء تحت العرش كما شاء الله تعالى وقال ابن الملك وكان عرشه على الماء والماء على متن الريح والريح قائمة بقدرة الله تعالى وقيل خلق العرش والماء قبل السموات والارض ثم خلقهما من الماء بان تجلى على الماء فتموج واضطرب وحصل له زبد فاجتمع في محل الكعبة الشريفة ولذا سميت مكة ام القرى ثم دحيت الارض من تحتها ثم القي الجبال لعلها بلا ميدانها واول الجبال ابو قبيس على بعض الاقوال وطلع دخان من تموج الماء الى جانب السماء فخلقت السموات منها ومحاله في سورة حم فصلت وتفصيله في كتب المفسرين وسير المورخين والله سبحانه اعلم بالاولين والاخرين وكتب اي اثبت جميع ما هو كائن في الذكر اي في اللوح المحفوظ قال الراوي ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك اي الحقها فقد ذهبت اي من عقلتها فانطلقت اطلبها حال او استئناف تعليل وايم الله بفتح الهمزة وصلا وقطعا وتحتية ساكنة وميم مضمومة مضافة الى الجلالة وهي كلمة بنفسها وليست جمعا قال شارح ايم الله اسم موضع للقسم عن سيبويه وهمزته للوصل ولم يجئ في الاسماء الف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره ايم الله قسمي وعند الكوفيين هو محذوف ايمن جمع يمين وهمزته للقطع لوددت اي تمنيت انها اي الناقة قد ذهبت اي فقدت ولم اقم اي في طلبها المانع من سماع بقية كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهل اليمن رواه البخاري وعن عمر رضي الله عنه قال قام فينا اي خطيبا رسول

الله صلى الله عليه وسلم مقاما اي قياما عظيما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار منازلهم اي فبين المبدا والمعاد وتوضيحه انه صلى الله عليه وسلم بين احوال الامم كلهم الى وقت دخول الجنة وعين احوال امته مما يجري عليهم من الخير والشر الى ان دخل اهل الجنة منهم الجنة واهل النار النار حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه قال الطيبي حتى غاية اخبرنا اي اخبرنا مبتدئا من بدء الخلق حتى انتهى الى دخول اهل الجنة الجنة ووضع الماضي موضع المضارع للتحقيق المستفاد من قول الصادق الامين وقال العسقلاني اي اخبرنا عن المبدا شيئا بعد شيء الى ان انتهى الاخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ودل ذلك على انه اخبر في المجلس الواحد بجميع احوال المخلوقات من المبدا والمعاد والمعاش وتيسير ايراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة امر عظيم رواه البخاري وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب اي اثبت او امر ان يكتب الملائكة كتابا وهو اللوح او كتب كتابة مستقلة قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي بكسر الهمزة وفتحها سبقت غضبي اي غلبت كما في رواية والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب والحاصل ان ارادة الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده اكثر من ارادة الشر والنقمة والعقوبة لان الرحمة عامة والغضب خاصة كما حقق في قوله الرحمن الرحيم عامة للمومن والكافر بل لجميع الموجودات ولذا لا يطلق الرحمن على غيره سبحانه فاذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية ويكون لفظه من جملة المكتوب والفتح على انها بدل من كتابا وعلى كل فالمكتوب انما هو هذه الجملة وبويده قوله فهو مكتوب عنده فوق العرش والمعنى انه مكنون عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الادراك وقيل معناه انه مثبت في علمه سبحانه واما اللوح المحفوظ فقد اطلع على بعض معلوماته من ارادة الله من ملائكته وانبيائه وخلص اوليائه من ارباب الكشوف لا سيما اسرافيل فانه موكل عليه ويأخذ الامور منه فيأمر ميكائيل جبريل وميكائيل وعزرائيل كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الاخبار والاثار واما على قول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ او القضاء الاجمالي او التفصيلي فينبغي الكسر على الاستئناف اللهم الا ان يجعل هذه الجملة المستفادة من الكلمة الاجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من انواع الحظوظ قال التوربشتي يحتمل ان يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ويكون معنى قوله فهو مكتوب عنده فعلم ذلك عنده ويحتمل ان يكون المراد منه القضاء الذي قضاه وعلى الوجهين فان قوله فهو عنده فوق العرش تنبيه على كينونته مكنونا عن سائر الخلائق مرفوعا عن حيز الادراك ولا يتعلق هذا القول بما يقع في النفوس من المتصورات تعالى عن صفات الحدثان فانه هو البائن عن جميع خلقه المتسلط على كل شيء بقهره وقدرته وفي سبق الرحمة بيان ان قسط الخلق منها اكثر من قسطهم من الغضب وانها تنالهم من غير استحقاق وان الغضب

لا يلحقهم الا باستحقاق الا ترى انها تشمل الانسان جنينا ورضيعا وفطيما وناسيا من غير ان يعد
منه طاعة استوجب بها ذلك ولا يلحقه الغضب الا بما يصدر عنه من المخالفات ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما ساق اليهم من النعم قبل استحقاقها
وقال النووي غضب الله تعالى ورضاه يرجعان الى اثابة المطيع وعقاب العاصي والمراد بالسبق
هنا والغلبة في اخرى كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة اذا
كثرا منه اقول ولو ابقيا على حقيقتهما من غير ارادة المجاز جاز ايضا لان رحمته تعالى سابقة
باعتبار التعلق على غضبه بالنسبة الى كل احد من مخلوقاته فان اول الرحمة نعمة الايجاد
ثم نعمة الامداد فلا يخلو عن النعمتين احد من العباد وكذا ملحمه سيما نبا بالنسبة الى
نعمه غالبة كثيرة شاملة لعموم الخلائق سواء من اطاعه او عصاه في البلاد قال الطيبي
يحتمل ان يكون ان مفتوحة بدلا من كتابا ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب وهو على
وزن قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي اوجب وعدا ان يرحمهم قطعا بخلاف ما يترتب
عليه مقتضى الغضب فان الله تعالى عفو كريم يتجاوز عنه بفضله وانشد

وانى اذا اوعدته او وعدته ۝ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

فالمراد بالسبق هنا القطع بوقوعها قلت لا بد ان يخص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة
بمغفرتهم وسبق الارادة برحمتهم والا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل واجب الحصول
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والتخلف في غيره غير جائز قطعا وقد حررت هذه
المسألة في خصوص رسالة لنا سميتها بالقول السديد في خلف الوعيد متفق عليه
وعن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان
اى جنسهم قال النووي الجان الجن وقال شارح يعني ابا الجن وهو المناسب لمقابلة بآدم ثم قيل
المراد به ابليس من مارج اى لهب مختلط بسواد ودخان النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وقال
والجان خلقناه من قبل من نار السموم وخلق آدم بصيغة المجهول كما قبله مما وصف لكم على
بناء المفعول مما بينه الله لكم في قوله خلقه من تراب وقوله وخلق الانسان من صلصال كالفخار
وقوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقوله اني خالق بشرا من طين ولعل
كثرة ما ورد في خلقه مع اشتهارها اوجبت الابهام في قوله ما وصف لكم رواه مسلم وكذا احمد
وروى الحكيم الترمذي وابن عدي في الكامل بسند حسن عن ابي هريرة مرفوعا خلق الله
آدم من تراب الجابية وعجنه بماء الجنة والجابية على ما في القاموس قرية بدمشق وباب
الجابية من ابوابها وروى ابن عساكر عن ابي سعيد مرفوعا خلقت النخلة والرمان والعنب
من فضل طينة آدم وروى الطبراني عن ابي امامة مرفوعا خلق الله الحور العين من الزعفران
وروى الحكيم وابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان وابو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن
ابي الدرداء رفعه خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف حيات وعقارب وخشاش الارض
وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة اصناف

عروض احمد

صدق

صنف كالبهائم وصنف اجسادهم اجساد بني آدم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله
يوم لا ظل الا ظله وفي قوله وصنف عليهم الحساب والعقاب ايماء الى قول ابي حنيفة وتوقفه
في حق الجن بالثواب والله اعلم بالصواب وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه اي في الجنة قال التوربشتي اري هذا الحديث مشكلا
جدا فقد ثبت بالكتاب والسنة ان آدم خلق من اجزاء الارض وقد دل على انه ادخل الجنة وهو بشر
حي ويؤيده المفهوم من نص الكتاب وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وقال شارح فيحتمل
ان تكون الكلمات اعني في الجنة سهوا من بعض الرواة احطأ سمعه فيها قال القاضي
الاخبار متظاهرة على ان الله تعالى خلق آدم من تراب قبضه من وجه الارض وخمره حتى صار طينا
ثم تركه حتى صار صلصالا وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان وهو من اودية عرفات
ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة لجواز ان تكون طينته لما خمرت في الارض وتركت فيها
حتى مضت عليها الاطوار واستعدت لقبول الصورة الانسانية حملت الى الجنة وصورت
ونفخ فيها الروح وقوله تعالى يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لا دلالة له اصلا على انه
ادخل الجنة بعد ما نفخ اذ المراد بالسكون الاستقرار والتمكن والامر به لا يجب ان يكون
قبل الحصول في الجنة كيف وقد تظاهرت الروايات على ان حواء خلقت من آدم في الجنة
وهي احد المأمورين ولعل آدم عليه الصلاة والسلام لما كانت مادته التي هي البدن
من العالم السفلي وصورته التي بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهي بها الملائكة
من العالم العلوي اضاف الرسول صلى الله عليه وسلم تكون مادته الى الارض لانها نشأت
منها واضاف حصول صورته الى الجنة لانها وقعت فيها فجعل ابليس اي فشرع من
كمال تلبيسه يطيف به بضم حرف المضارعة قال النووي طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا
واطاف به يطيف اذا استدار حوله ينظر ما هو استيناف بيان او حال اي يتفكر في عاقبته
مرة وتارة مثل ما يطمع منه فلما رآه اجوف وهو من له جوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك
اي لا يتقوى بعضه ببعض ولا قوة له ولا ثبات بل يكون متزلزل الامر متغير الحال معرضا
للآفات والتمالك التماسك وقيل المعنى لا يقدر على ضبط نفسه من المنع عن الشهوات
وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وقال النووي الاجوف
بصفة الانسان مقابل للصمد بصفة الباري وقيل السيد سمي بالصمد لانه يصمد اليه
في الحوائج ويقصد اليه في الرغائب من صمدت الامر اذا قصدته وقيل انه المنزه عن ان يكون
بصدد الحاجة او في معرض الآفة مأخوذ من الصمد بمعنى المصمت وهو الذي لا جوف له
فالانسان مفتقر الى الغير يفضا حوائجه والى الطعام والشراب ليملأ جوفه فانه لا
تماسك له في شيء ظاهرا وباطنا اقول ولعل جنس الجن ليسوا على صفة الاجوفية لتتم
الاستدلال بالهيئة المخصوصة الانسانية رواه مسلم وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي بنفسه عليه الصلاة والسلام الملك

لكن

العلام حيث قال تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن وهو أبي والحال أنه ابن ثمانين سنة
وفي الموطأ ابن مائة وعشرين سنة قيل والأول هو الصحيح كذا ذكره الأكمل في شرح
المشارق بالقدوم بفتح القاف وضم الدال المخففة وفي نسخة بتشديدها قال صاحب
القاموس القدوم آلة للنجر وموضع اختتن به إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد تشدد
داله وقال الطيبي القدوم بالتخفيف آلة النجار معروفة وبالتشديد اسم
موضع وقيل هو بالتخفيف أيضا هكذا في جامع الأصول وفي كتاب الحميدي قال البخاري قال
أبو الزناد وهو راوي الحديث اختتن إبراهيم بالقدوم مخففة قال التوربشتي ومن
المحدثين من يشدده وهو خطأ قال النووي القدوم وقع في رواية البخاري الخلاف
في التشديد والتخفيف ويقال لآلة النجار قدوم بالتخفيف لا غير وأما القدوم
مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد أراد القرية ورواية
التخفيف يحتمل القرية والآلة والأكثرون على التخفيف متفق عليه ورواه أحمد وعنه

أي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات
بفتح الذال وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلا عن الشيخ هو اسم لا صفة لأنك تقول كذب
كذبة كما تقول ركع ركعة ولو كان صفة لسكن في الجمع وقال أبو البقاء الجيد أن يقال بفتح
الذال في الجمع أقول ولعل وجهه أن المصدر جاء بالفتح والكسر على ما يفهم من القاموس
لكن لما كان الفتح مخصوصا بالمعنى الاسمي بخلاف الكسر فإنه مشترك بين الاسم
والمصدر كان الفتح أجود هذا وقد ورد على الحصر ما رواه مسلم من ذكر قول إبراهيم
في الكوكب هذا ربي وأجيب بأنه في حال الطفولية وهي ليست زمان التكليف و
المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج قال المازري إن الكذب على الأنبياء فيما
هو طريق البلاغ عن الله عز وجل فالأنبياء معصومون منه سواء قل أو كثر فإن تجويزه
منهم يرفع الوثوق بأقوالهم لأن منصب النبوة يرتفع عنه وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد
من الصغائر كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي إمكان وقوعه منهم وعصمتهم
منه القولان المشهوران للسلف والخلف قال عياض الصحيح أن الكذب لا يقع منهم
مطلقا وأما الكذبات المذكورات فإنما هي بالنسبة إلى فهم السامع لكونها في صورة
الكذب وأما في نفس الأمر فليست كذبا قلت وقد وقع شارح من علمائنا حيث قال إنما
سماها كذبات وإن كانت من جملة المعاريض لعلو شأنهم عن الكناية بالحق فيقع ذلك
موقع الكذب عن غيرهم أو لأنها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات وقال الأكمل في
شرح المشارق يحتمل أن يراد بها حقيقة الكذب لأن الاستثناء من النفي إثبات فيحتاج
إلى العذر بأن الكذب للإصلاح جائز فما ظنك في دفع ظلم الظالمين قال ابن الملك لكنه
يحتمل ذلك ومع كلام إبراهيم عليه السلام قرينة حالية ومقالية دالة على أنه تجوز فيه
ولم يرد ظاهره ألا ترى أنه من جملة كذباته قوله لسارة أنك أختي في الإسلام فقوله في

الإسلام قرينة على أنه لم يرد به الأخت في النسب وقوله بل فعله كبيرهم فإن إسناد
صدور الفعل من الجماعة قرينة على أنه معزول أو مجوز فيه فلا يكون كذبا قلت ولا سيما
وفيه قول بالوقف على بل فعله والابتداء بقوله كبيرهم هذا اثنتين منهن بدل من ثلاث
كذبات في ذات الله أي لأجل الله تعالى أو في أمر الله أو فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشرك
ويراد به القرآن أي في كلامه وعبر عنه عنه بما لم ينفك عن المتكلم كما هو رأي الأشعري
كذا ذكره ابن الملك وتوضيحه ما قال شارح أي في أمر الله وما يختص به إذ لم يكن لإبراهيم
نفسه فيه أرب لأنه قصد بالأولى أن يتخلف عن القوم بهذا العذر فيفعل بالأصنام
ما فعل وبالثانية إلزام الحجة عليهم بأنهم ضلال سفهاء في عبادة ما لا يضر ولا ينفع
وقيل يحتمل حذف المضاف أي في كلام ذات الله يعني أن ثنتين مذكورتان في كلام
الله تعالى دون الثالثة ومنه قوله لسارة هي أختي قال النووي وهذه أيضا
في ذات الله تعالى لأنها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضى بها
الله تعالى وإنما خص الثنتين بأنهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعا له
ودفعا لحرمه هذا وفي المغرب ذو بمعنى الصاحب يقتضي شيئين موصوفا ومضافا
إليه ويقول للمؤنث امرأة ذات مال ثم اقتطعوا عنها مقتضاها وأجروها مجرى
الأسماء التامة المستقلة بأنفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا ذات قديمة
ومحدثة ونسبوا إليها من غير تغيير علامة التأنيث فقالوا الصفات الذاتية
واستعملوها استعمال النفس والشيء عن أبي سعيد كل شيء ذات وكل ذات شيء قال
الطيبي قوله في ذات الله أي في الدفع من ذات الله ما لا يليق بجلاله ويدل عليه
ما جاء في حديث آخر ما فيها كذبة إلا ما حل عن دين الله أي خاصم وذب عن دين الله وهو
معنى التعريض لأنه نوع من الكناية ونوع من التعريض يسمى الإسناد راج وهو إرخاء
العنان مع الخصم في المحاورات ليعثر حيث يراد تبكيته فسلك إبراهيم عليه السلام مع القوم
المنهج حينئذ قوله إني سقيم بالرفع وفي نسخة بالجر إني سقيم وذلك حين طلبوا منه عليه
السلام أن يخرج معهم إلى عيدهم فأراد أن يتخلف عنهم للأمر الذي هم به فنظر نظرة
في النجوم فقال إني سقيم وفيه إيهام منه أنه استدل بأمارة علم النجوم على أنه سيسقم
ليتركوه فيفعل بالأصنام ما أراد أن يفعل وسقيم القلب لما فيه من الغيظ باتخاذكم
النجوم آلهة أو لعبادتكم الأصنام وقوله بالوجهين وهو حين كسر عليه السلام أصنامهم
إلا كبيرها وعلق الفأس في عنقه بل فعله كبيرهم هذا أي فاسألوهم إن كانوا ينطقون
يعني إن كان لهم نطق ففيه تنبيه تنبيه على أن الإله الذي لم يقدر على المضرة
عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضر عن غيره وإيماء إلى أن العاجز عن النطق لا يصلح
للألوهية فإن الإله من هو منعوت بصفات الكمال من أسماء الجلال والكمال وقال
أي النبي صلى الله عليه وسلم في بيان الثالثة بينا هو أي إبراهيم عليه السلام متوجه

الى الشام ذات يوم اي بعد هلاك نمرود وسارة عطف على هو وهي بينهما عهد اذ اتى اي مر
ابراهيم على جبار من الجبابرة اي ظالم متسلط قال الطيبي اذ جواب بينا اي بينما ابراهيم
ذات يوم اذا اتيا على بلد جبار من الجبابرة وشي بهما فقيل له اي للجبار ان هاهنا اي
بلدنا هذا رجلا معه امراة من احسن الناس اي صورة فارسل اي رسولا اليه اي الى ابراهيم
يطلبه فذهب اليه فسأله عنها اي عن جهتها من هذه اي من تكون لك هذه المراة التي معك
قال الطيبي من هذه بيان للسؤال اي سأل الجبار بهذا اللفظ فقال اي اختي اي في الاسلام
وقيل كان كذبا وكان جائزا بل واجبا في دفع الظالم على ما في شرح مسلم لكن حمله
على التعريض اولى فانه صلى الله عليه وسلم قال على ما رواه ابن عدي والبيهقي عن عمران
ابن حصين ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب مع ان نفس قوله اختي لا يخلو عن تعريض
ما حيث لم يقل هذه اختي او هي اختي فاتى اي ابراهيم سارة فقال لها ان هذا الجبار
ان يعلم ان شرطية اي ان علم انك امرأتي يغلبني عليك اي في اخذك بالظلم عني
فان سألك اي عن نسبك ونسبتك على تقدير ارساله اليك ووصولك عنده فاخبريه
انك اختي اي على طريق التعريض كما فعلته فانك اختي في الاسلام اي حقيقة بلا
مشاركة لاحد غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله ليس اي موجود على وجه الارض مؤمن
غيري وغيرك قال الطيبي يريد به قوله تعالى انما المؤمنون اخوة بمعنى ان الايمان
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق بالفضل الاخوة في النسب
السابق وليس احد احق بهذا العقد مني ومنك الان لانه ليس على وجه الارض مؤمن
غيري وغيرك انتهى واستشكل بكون لوط عليه الصلاة والسلام مشاركهما في الايمان
كما قال تعالى فآمن له لوط ويمكن ان يجاب بان مراده بالارض هي التي فيها ما وقع له ولم
يكن معه لوط اذ ذاك ذكره العسقلاني ثم قيل كان من امر ذلك الجبار الذي يتدين
به في الاحكام السياسية ان لا يتعرض الا لذوات الازواج ويرى انها اذا اختارت الزوج
فليس لها ان تمتنع من السلطان بل يكون هو احق بها من زوجها فاما اللاتي لا ازواج لهن
فلا سبيل عليهن الا اذا رضين ويحتمل ان يكون المراد انه ان علم ذلك الزمني بالطلاق
او قصد قتلي حرصا عليك وقيل لان دين الملك ان لا يحل له التزوج والتمتع بقرابات
الا ثيبا فارسل اي الجبار اليها اي الى سارة ليطلبها فاتي بها اي جيء بها الى الجبار فقام ابراهيم
استئنافا بيان كان قائلا قال فماذا فعل بعد ما جيء فقام ابراهيم يصلي حال او استئناف
تعليل اي ليصلي عملا بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان صلى الله عليه وسلم
اذا حزبه امر صلى على ما رواه احمد وابو داود عن حذيفة فلما دخلت بصيغة الفاعل وفي
نسخة ادخلت عليه اي على الجبار ذهب اي طفق يتناولها اي يأخذها او يمسها بيده اي
من غير سؤال وجواب او بعد سؤالها وسماع جوابها لكن غلب عليه الميل اليها لكمال حسنها
وجمالها فاخذ بصيغة المجهول مخففا اي حبس نفسه وضغط والمراد به الخنق هنا

اي اخذ بمجاري نفسه حتى سمع له غطيط وقال ابن الملك فاخذ ببناء المجهول اي حبس
عن امساكها او عوقب بيده او اغمي عليه وفي نسخة بالتشديد للمبالغة قال شارح ويروى
اخذ على بناء المجهول من الاخذ وهو استجلاب قلب شخص برقية او غيرها كالسحر بحيث
يحصل له خوف او هيمان او جنون على ما قاله العسقلاني ويؤيده رواية التخفيف
قول المؤلف ويروى اي بدلا او زيادة فغط بضم غين معجمة وتشديد طاء مهملة
اي خنق حتى ركض برجله اي ضرب برجليه الارض من شدة الغط وقال ابن الملك اي عصر
عصرا شديدا وقيل الغط هنا بمعنى الخنق اي اخذ بمجاري نفسه حتى يسمع
له غطيط وهو صوت بالانف وقال العسقلاني اي اختنق حتى صار كالمصروع
فقال ادعي اي سلي الله لي اي لاجلي الخلاص ولا اضرك اي بالتعرض لك فدعت الله فاطلق
اي من الاخذ ثم تناولها الثانية اي المرة الثانية فاخذ مثلها اي مثل الاخذة الاولى
واشد اي بل اشد منها فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت الله فاطلق فدعا بعض حجبته
بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب فقال انك لم تأتني بانسان اي جنس اقدر عليها انما
اتيتني بشيطان اي حيث لم اقدر عليها بل تضرعني وتريد ان تهلكني قال الطيبي اراد
به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون امرهم فاخدمها هاجر اي جعل الجبار
هاجر خادمة لسارة لما رأى كرامتها وقربها عند الله وجبرا لما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض
لها فاتته اي ابراهيم وهو قائم يصلي وهو اما لعدم اطلاعه على خلاصها استمر على حاله او
انكشف له الامر وزاد في العبادة ليكون عبدا شكورا بعد ما كان عبدا صبورا ويؤيد
الاول قوله فاومأ بيمينه اي اشار ابراهيم بيده اي الى سارة وهو في الصلوات مهيم
بفتح فسكون ففتح اي ما شأنك وما حالك وهي كلمة يمانية يستفهم بها وههنا مفسرة
للايماء اي وما يبديه مما يفهم منه معناه ليست ترجمة لقوله والا لكان من حقه ان يقول
فاومأ بيده وقال مهيم قالت رد الله كيد الكافر في نحره اي على صدره وهو من قوله تعالى
ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومن قبيل الدعاء اللهم انا نجعلك في نحورهم
ونعوذ بك من شرورهم واخدم هاجر اي ام اسماعيل قيل سميت هاجر لانها هاجرت من الشام
الى مكة وقيل كان لا يولد له من سارة فوهبت هاجر له وقالت عسى الله ان يرزقك
منها ولدا وكان ابراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة نقله ابن الملك قال
ابو هريرة تلك اي هاجر امكم اي جدتكم يا بني ماء السماء قال القاضي قيل اراد بهم العرب
سموا بذلك لانهم يتبعون المطر ويتعيشون به والعرب وان لم يكن باجمعهم من بطن هاجر
لكن غلب اولاد اسماعيل على غيرهم وقيل اراد بهم الانصار لانهم اولاد عامر بن حارثة الازدي
جد نعمان بن المنذر وهو كان ملقبا بماء السماء لانه كان يستمطر به ويحتمل انه اراد بهم بني
اسماعيل وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف اصولهم قال ابن الملك وقيل اشار بهم لكونهم
من ولد هاجر لان اسماعيل انبع الله تبارك وتعالى له زمزم وهي من ماء السماء والله سبحانه اعلم

قال الطيبي فان قلت فاذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحته فما باله يشهد
على نفسه بها في حديث الشفاعة في قوله وان كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها قال
نفسي نفسي نفسي على ان نسميتها وانها معاريض بالكذبات اخبار الشيء على خلاف ما هو
به يحتمل وان اخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وسميناها معاريض فلا شك
ان صورتها صورة التعويج عن المستقيم فالحبيب قصد الى براءة ساحة الخليل عما لا يليق
به فسماها معاريض والخليل لمح الى مرتبة الشفاعة هنالك وانها مختصة بالحبيب
فتجوز بالكذبات متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب ارني كيف تحيي الموتى تمامه قال
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال ابن الملك اراد صلى الله عليه وسلم ان ما صدر
من ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن شكا بل كان طلبا لمزيد العلم وانا احق به لاني مامور
بذلك لقوله تعالى وقل رب زدني علما واطلق الشك بطريق المشاكلة وقال الامام المزني
معناه لو كان الشك متطرقا اليه لكنت احق به وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا انه كذلك
وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعا ولصدوره قبل ان يعلم انه خيرهم ولد ادم واما
سؤال ابراهيم فللترقي من علم اليقين الى عين اليقين او لانه لما احتج على المشركين بان
ربه يحيي ويميت طلب ذلك ليظهر دليله عيانا وتوضيحه ما قال الخطابي مذهب هذا
الحديث التواضع والهضم من النفس وليس في قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على
ابراهيم لكن فيه نفي الشك عن كل واحد منهما يقول اذا لم اشك انا ولم ارتب في قدرة الله
تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك فيه ولا يرتاب به وفيه الاعلام بان المسالة
من قبل ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل طلب زيادة العلم استعارة معرفة
كيفية الاحياء والنفس تجد من الطمانينة بعلم الكيفية ما لم تجده بعلم الانية والعلم
في الوجهين حاصل والشك مرفوع وقد قيل انما طلب الايمان حسا وعيانا لانه فوق
ما كان عليه من الاستدلال والمستدل لا يزول عنه الوساوس والخواطر فقد قال
عليه الصلاة والسلام ليس الخبر كالمعاينة انتهى وفيه ان حد علم الانبياء من باب الاستدلال
غير ظاهر بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقيني الذي لهم في السرائر
بحيث لا يتصور فيه تردد والخواطر وتوسوس الضمائر نعم مرتبة عين اليقين فوق
مرتبة علم اليقين وان هذا الحق حق اليقين والله الموفق والمعين وفي بعض نسخ المصابيح
نحن احق من ابراهيم بدون قوله بالشك فقال شارح له اي نحن احق منه بالسؤال الذي سال يريد
به تعظيم امره وان سؤاله هذا لم يكن لنقصان في عقيدته بل لكمال فكرته وعلو همته الطالبة
لحصول الاطمئنان بالوصول الى درجة العيان قال وفي بعض الروايات نحن احق بالشك من ابراهيم
ومعناه ما ذكرنا انه اي لم يكن صدور هذا السؤال منه شك من ابراهيم اختلج في صدره اذ
لو كان الشك يعتريه لكنا احق بالشك منه ولكنا لا نشك فكيف يجوز ان يشك هو فيه اقول

المراد بقوله نحن ليس صيغة التعظيم ليحتاج الى الاعتذار بانه قال ذلك تواضعا لابراهيم
بل المعنى اني مع امتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احياء الموتى بل نحن معاشر الخلق من سائر
الامم غالبا نعتقد قدرته على الاحياء وابراهيم عليه الصلاة والسلام من اكمل الانبياء في مرتبة
التوحيد ومقام التقرب بحيث امرنا بمتابعته على طريقه القويم وسبيله المستقيم فكيف
يتصور منه الشك اذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبوعين لجاز لنا بالاولى ونحن
من الاحقين التابعين والحاصل انه اراد بالدليل البرهاني نفي الشك عن الخليل الرحماني
وايصاله اياه الى المقام الاطمئناني والحال العياني ويرحم الله لوطا قيل تقدير الكلام بعد
الدعاء له بالرحمة اعتراء نقص عليه فيما سيأتي من الانباء على طريقة قوله تعالى عفا الله عنك
لم اذنت لهم حيث كان لم تقبيحة او مقدمة للخطاب المزعج لقد كان ياوي الى ركن شديد اي عشيرة
قوية قال ابن الملك فيه اشارة الى وقوع تقصير منه وقال شارح تبعا للقاضي وكانه استغرب
منه وعده بادرة اذ لا ركن اشد من الركن الذي كان ياوي اليه وهو عصمة الله وحفظه وعندي
ان اخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريق الادب في الاتباع لان الانبياء لانه صلى الله عليه وسلم
اذا كان ينهى عن غيبة افراد العامة حيا وميتا فكيف يتصور ان يذكر في حق نبي من اسرائيل نبي
مرسل ما يكون موهما لنقص مرتبته او تنزل عن علو همته فالمعنى والله اعلم انه كان بمقتضى
الجبلة البشرية في بعض الامور الضرورية يميل الى الاستعانة بالعشيرة القوية فيجوز
لنا مثل ذلك المحافل فانا مامورون بمتابعة ارباب الكمال في التعلق بالاسباب مع الاعتماد
على رب الارباب والله اعلم بالصواب ثم رايت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير
والتحرير وهو ما رواه الحاكم عن ابي هريرة مرفوعا رحم الله لوطا كان ياوي الى ركن شديد
وما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه قلت ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب
عليه السلام ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز ولذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
كان معظما ومحميا ومكرما لقومه من ابي طالب وغيره واليه الايماء في قوله تعالى الم
يجدك يتيما فاوى ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف اي مقدار طول زمن لبثه وجاءني
داع بالطلب او ساع الى لاجبت الداعي اي ولبادرت الخروج عملا بالجواز لكن يوسف عليه السلام
كما اخبر الله سبحانه عنه فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله الى صبر لحكم يقتضيه ذلك
وربما اوجبته عليه في مرامه ذلك المقام من قصة البراءة مما نسب في حقه من الكلام على
السنة العوام ليقابل صاحب الامر على جهة التعظيم والاكرام اما ترى ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يكلم بعض امهات المؤمنين في طريق فمر عليه صحابي فقال له عليه السلام ان
هذه فلانة من الازواج الطاهرات فقال يا رسول الله ايظن فيك ظن السوء فقال ان
الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم قال التوربشتي هو مبني على اجادة صبر يوسف وتركه
الاستعجال عن السجن مع امتداده مدة الحبس عليه قال ثم ان في ضمن هذا الحديث تنبيها
على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا يبارزهم فيه احد فانهم بشر يطرا

عليهم من الاحوال ما يطرو على غيرهم من البشر فلا تعدوا ذلك منقصة ولا تحسبوه سيئة
قلت هذا يؤيد ما قررناه في قضية سيدنا لوط عليه السلام وقال ابن الملك اعلم انه
ليس اخبارا عن نبينا صلى الله عليه وسلم بتضجره وقلة صبره بل فيه دلالة على مدح
يوسف وتركه الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك ما كان متهما به من الفاحشة
ولا ينظر اليه بعين مشكوك انتهى وهو بعينه كما ذكرناه على ما لا يخفى وقيل بل فيه
اشارة الى تقصير يوسف وذلك من جهة انه لم يترك الوسائط ولم يفوض كل ما اتاه الله
تعالى قلت سبق انه مباشرة الاسباب لا ينافي تفويض الامر الى رب الارباب بل قال بعض
العارفين ان مرتبة جمع الجمع هو مباشرة السبب مع ملاحظة عمل الرب وقيل بل فيه ايما
الى تقصيره من جهة انه كان رسولا ولذا دعا اهل السجن بقوله ارباب متفرقون خير
ام الله ولم يكن له طريق الى دعوة الملك فلما وجد اليه سبيلا قدم براءة نفسه مما
نسب اليه على حق الله تعالى وهو دعوة الملك قلت وهذا ظاهر البطلان اذ على تقدير
تسليم كونه رسولا عاما او خاصا فتقديم ما يتوقف صحة الارسال من البراءة
عليه مما يجب المبادرة اليه لئلا يدور ويطعن طاعن حواليه ومما يدل على صحة ما قررناه
وعلى حقية ما حررناه ما اخرجه ابن جرير وابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا رحم
الله يوسف ان كان لذا اناة حليما لو كنت انا المحبوس ثم ارسل الي لخرجت سريعا وفي
رواية احمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلا رحم الله اخي يوسف لولا انا اتاني
الرسول بعد طول الحبس لاسرعت الاجابة حين قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة
كذا في الجامع الصغير متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية
على انه فعيل اي مستحيا ستيرا بفتح السين وتخفيف الفوقية المكسورة قال شارح اي
مستورا والظاهر انه مبالغة ساتر ويدل عليه ما في نسخة من كسر السين والفوقية
المشددة وكان الشارح جعل قوله لا يرى من جلده شيئا صفة كاشفة وليس بظاهر
بل هو استيناف بيان لما يلزم من كونه كثير التستر وحاصله انه كان من شانه ان يستر جميع
بدنه عند اغتساله استحياء اي من الناس فاذاه من اذاه بالمدينة اي من اراد ايذاءه
من بني اسرائيل فقالوا جمع باعتبار رضى من كل افراد او لا بناء على لفظه ونحوه كثير في التنزيل
اي فقال بعض المؤذين ما يستتر اي موسى هذا التستر البليغ الا من عيب بجلده اما برص او
ادرة بضم همزة وسكون دال مهملة نفخة بالخصية على ما في النهاية وان الله اراد ان يبرئه
بالتشديد اي بالراء اي ينزهه عن نسبة ذلك العيب ويثبت له الحياء من عالم الغيب وقد اشار
الله سبحانه بقوله يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
وكان عند الله وجيها ثم اعلم ان قوله وان الله هو هكذا في النسخ المصححة بالواو وقال
الطيبي الفاء في قوله فان الله للتعقيب واصل الكلام فقالوا كيت وكيت فاراد الله ان يبرئه

واني

واني بان المؤكدة تاكيدا اعتناء بشانه فخلا يوما وحده اي انفرد عن الناس وقتا ما حال
كونه منفردا ليغتسل فوضع ثوبه على حجر اي بجنب الماء ففر الحجر بثوبه الباء للتعدية
اي فاخذه فارا عن موسى فجمح موسى بجيم وميم وحاء مفتوحات اي ذهب واسرع اسراعا
لا يرده شيء ومنه قوله تعالى وهم يجمحون في اثره بفتحتين وبكسر الهمزة وسكون المثلثة اي
في عقب الحجر يقول اي بلسان القال او بلسان الحال ثوبي اي اعطني ثوبي يا حجر ثوبي اي اعطني
ثوبي يا حجر والتكرير للتكثير حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل والظاهر انه فيهم
المؤذين فراوه عريانا احسن ما خلق الله قال الطيبي عريانا وكذا قوله احسن كلاهما الرؤية
بمعنى النظر وقالوا والله ما بموسى من باس اي ليس به عيب ما واخذ ثوبه وطفق اي شرع
بالحجر ضربا اي يضربه ضربا فالجار متعلق بالفعل المقدر كما في قوله سبحانه فطفق مسحا بالسوق
والاعناق فوالله ان في الحجر لندبا بفتح النون والدال اي اثرا وعلامة باقية من اثر ضربه
واصل الندب اثر الجرح اذا لم يرتفع على الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر وقوله ثلاثا او
اربعا او خمسا متعلق بالضرب او الندب والشك من الراوي قال الطيبي قوله ثلاثا
اي ندبات ثلاث بيانا او تفسيرا للاسم ان وضربه هذا من اثر غضبه على الحجر لاجل فراره
وقلة ادبه ولعله ذهل عن كونه مأمورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وفيه ماخذ
للعلماء الايثار على الضرر الخاص بتحمل لنفع العام والله اعلم بالمرام ثم قيل ان موسى امر ان
يحمل الحجر معه الى ان كان في التيه فضربه بعصاه مرة او مرتين فانبجست منه اثنتا
عشرة عينا وقال النووي فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه السلام احدهما مشي الحجر
بثوبه والثانية حصول الندب في الحجر بضربه وفيه حصول التمييز في الجماد وفيه جواز
الغسل عريانا في الخلوة وان كان ستر العورة افضل وبهذا قال الشافعي ومالك واحمد
وخالفهم ابن ابي ليلى وقال ان للماء ساكنا قلت امامنا الاعظم مع الجمهور وظاهر مخالفة
ابن ابي ليلى في دخول الماء فقط وفيه ابتلاء الانبياء والصالحين من اذى السفهاء والجهال
وصبرهم عليه وفيه ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص
في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب المنفرة الا على سبيل الابتلاء متفق
وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا ايوب يغتسل
عريانا يحتمل ان يكون لابسا للازار كما يدل عليه قوله الاتي يحثي في ثوبه ويحتمل ان يكون
متجردا عن الثياب كلها على طبق ما سبق لموسى عليه الصلاة والسلام وكان جائزا عندهما
لكنه صلى الله عليه وسلم اشار الى ان التستر اولى حياء من المولى بناء على انه صلى الله عليه وسلم
بعث ليتمم مكارم الاخلاق فخر بالخاء المعجمة والراء المشددة اي فسقط ونزل عليه
اي فوقه او على اطرافه جراد اي جنس جراد فجعل ايوب يحتثي اي يضعه في ثوبه كذا في النهاية
والاظهر انه ياخذ بكفه او بكفيه ويضع في ثوبه المنفصل وهو الازار للابس قبل الاغتسال
او بعده او المنفصل الذي ما لبسه بعد وفي المصابيح يحتثي في ثوبه قال شارح له

اي يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل الى نفسه فناداه ربه اي نداء تلطف يا ايوب الم اكن اغنيتك
اي جعلتك ذا غنى عما ترى قال بلى وعزتك قال الطيبي هذا ليس بعتاب منه تعالى في ان الانسان
وان كان ثريا لا يشبع من ثراه بل يريد المزيد عليه بل من قبيل التلطف والامتنان بانه
ليشكر على النعم عليه فيزيد في الشكر واليه الاشارة بقوله ولكن لا غنى بكسر فتنح مقصورا
اي لا استغناء لي عن بركتك اي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك وفي رواية من يشبع من رحمتك
او فضلك وفيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه
وبصرفه فيما يحبه ربه ويرضاه ويتوجه الامر اليه وفيه تسمية المال من جهة الحلال
بركة في المال وحل الحلال قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله
عنه جوابا عن قوله اعطه افقر اليه مني ما جاءك من هذا المال وانت غير مشرف ولا سائل
فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال استب رجل
من المسلمين ورجل من اليهود بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم والمعنى
اسب كل واحد منهما الاخر فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين اي على عالمي زمانه
جميعهم من خلق الاولين والاخرين والمخلوق عليه مقدر فقال اليهودي والذي اصطفى
موسى على العالمين اي على عالمي زمانه لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه
المشاركة في الاصطفاء على الخلق من بين الانبياء وهو خلاف ما عليه العلماء ولذا انكر عليه
ورفع المسلم يده عند ذلك اي القول الموهم لخلاف الادب فلطم وجه اليهودي اي ضربه
بكفه كفالة وتأديبا فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره
وامر المسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اي المدعى عليه فسأله عن ذلك اي الامر
فاخبره اي بمطابقة الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني بضم التاء وتشديد
الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء لا تجعلوني خيرا بمعنى لا تفضلوني على موسى اي تفضيلا يكون
من اصحاب النبوة تفضيلا يؤدي الى ايهام المنقصة او الى تشبيه الخصومة فان امر التفضيل
ليس لفظي على وجه التفضيل فان الناس اي جميعهم يصعقون بفتح العين يوم
القيامة اي عند النفخة الاولى فاصعق معهم من صعق الرجل اذا اصابه فزع
فاغمي عليه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا لكن هذه الصعقة صعقة فزع
قبل البعث لذكر الاقامة بعده فاكون اول من يفيق فان الافاقة انما تستعمل في الغشي
والبعث في الموت فاذا موسى باطش قال شارح اي قوي والظاهر ان معناه اخذ بجانب
العرش فلا ادري كان اي اكان فيمن صعق فافاق قبلي اي بالفضيلة اختص بها او كان فيمن
استثنى الله اي في قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله والمعنى او كان فيمن لم يصعق فله منقبة ايضا من هذه الجهة قال العسقلاني يعني
يعني فان افاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وان كان ممن استثناه الله تعالى فلم يصعق
فهي ايضا فضيلة وانما النبي صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الانبياء عليهم السلام

من يقول

من يقول ذلك من رايه لا من يقوله بدليل او من يقوله بحيث يؤدي الى تنقيص المفضول
او يجر الى الخصومة او المراد لا تفضلوني بجميع انواع الفضائل بحيث لا يبقى للمفضول
فضيلة او اراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة فانهم متساوون فيها وانما التفاضل
بخصائص وفضائل اخر كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض وفي رواية فلا ادري احوسب اي اجوزي بصعقة يوم الطور اي
بافاقة الصعق الى الطور وفي نسخة بالضم اي بصعق نفسه في ذلك اليوم حيث قال
تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وفي القاموس صعق كسمع صعقا
ويحرك وصعقة وتصعاقا فهو صعق ككتف غشي عليه او بعث قبلي اي افاق قبلي فا[في]
عدم مشاركتي في صعقتي فالبعث مجاز عن الافاقة توفيقا بين الروايتين ولا اقول
ان احدا اي لا انا ولا غيري من الانبياء افضل من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد
المثناة الفوقية المفتوحة قيل هي اسم ام يونس على ما في جامع الاصول ثم قيل ان احدا
يستعمل في الاثبات لان المعنى لا افضل احدا على يونس وفي رواية ابي سعيد قال لا تخيروا
لا تفضلوا بين الانبياء قال التوربشتي قوله لا تخيروني على موسى اي لا تفضلوني عليه
قول قاله على سبيل التواضع او لانه يردع الامة عن التخيير بين انبياء الله من تلقاء
انفسهم نابا فان ذلك يفضي بهم الى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة
يدعوهم الى الافراط والتفريط فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون
في مهواة الغي ولهذا قال لا تخيروا بين الانبياء اي لا تقدموا على ذلك باهوائكم وارائكم
بل بما اتاكم الله من البيان وعلى هذا النحو قوله صلى الله عليه وسلم ولا اقول ان احدا خير
من يونس بن متى اي لا اقول من تلقاء نفسي ولا افضل احدا عليه من حيث النبوة
والرسالة فان شانهما لا يختلف باختلاف الاشخاص بل نقول كل من اكرم بالنبوة فانهم
سواء فيما جاؤا به عن الله وان اختلفت مراتبهم وكذلك من اكرم بالرسالة والاشارة بقوله
سبحانه لا نفرق بين احد من رسله وانما خص يونس بالذكر من بين الرسل لما قص الله
عليه في كتابه من امر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الاجابة وقلة الاحتمال
عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل فقال اعز من قائل ولا تكن كصاحب الحوت وقال وهو
مليم فلم يامن صلى الله عليه وسلم ان يخامر بواطن الضعفاء من امته ما يعود الى تنقيصه
في حقه فنباهم ان ذلك ليس بقادح فيما اتاه الله من فضله وانه مع ما كان من شانه كسائر
اخوانه من الانبياء والمرسلين وهذا قول جامع في بيان ما ورد في هذا الباب فافهم ترشد
الى الامور واما ما ذكره في هذا الحديث من الصعقة فهي قبل البعث عند نفخة الفزع
فاما في البعث فلا تقدم لاحد فيه على نبينا صلى الله عليه وسلم واختصاص موسى عليه
السلام بهذه الفضيلة لا توجب له تقدما على من تقدمه بسوابق وفضائل كثيرة والله
المسئول ان يعرفنا حقوقهم ويحيينا على محبتهم ويميتنا على سننهم ويحشرنا في زمرتهم متفق عليه

وفي رواية لا تفضلوا بالضاد المعجمة المكسورة على ما في اكثر النسخ اي لا توقعوا التفضيل بين انبياء الله
اي وكذا بين رسله على وجه الازدراء ببعض فان ذلك يكون سببا لفساد الاعتقاد وفي بعض
وذلك كفر وفي نسخة بالصاد وهو الظاهر اي لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى لا نفرق بين احد منهم
وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني اي يعني
نفسه خير من يونس بن متى اي فضلا من غيري متفق عليه وفي رواية البخاري قال من قال
انا خير اي في النبوة من يونس بن متى فقد كذب لان الانبيا كلهم متساوون في مرتبة النبوة
وانما التفاضل باعتبار الدرجات وخص يونس بالذكر لان الله تعالى وصفه بما يوهم انحطاط
رتبته حيث قال فظن ان لن نقدر عليه اذ ابق الى الفلك المشحون فلفظ انا واقع موقع هو
ويكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون المراد به نفس القائل فحينئذ كذب
بمعنى كفر كني به عن الكفر لان هذا الكذب مساو للكفر قال النووي قيل ضمير المتكلم يعود
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يعود الى كل قائل اي لا يقول بعض الجاهلين من
المجتهدين في العبادة او العلم او غير ذلك من الفضائل فانه لو بلغ ما بلغ لا انه لم يبلغ
درجة النبوة ويؤيده الرواية الاولى ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى
اقول في تاييدها نظر للتحقيق لاحتمال ان فيه ابطال المعنى الثاني اظهر منها حيث
قال ما ينبغي لعبد بطريق العموم المشير الى انه حديث قدسي على ما ذكره السيوطي في الجامع
من رواية مسلم عن ابي هريرة قال تعالى لا ينبغي لعبد لي يقول انا خير من يونس بن متى
قال الخطابي وانما خص يونس بالذكر لان الله تعالى لم يذكره في جملة اولي العزم من الرسل وقال
فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فقصر به عن مراتب اولي العزم
والصبر من الرسل يقول صلى الله عليه وسلم اذا لم اذن لكم ان تفضلوني على يونس بن متى
فلا يجوز لكم ان تفضلوني على غيره من ذوي العزم من اجلة الانبيا صلوات الله عليهم
وهذا منه عليه الصلاة والسلام على سبيل التواضع والهضم من النفس وليس ذلك
بمخالف لقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر لانه لم يقل ذلك مفتخرا ولا متطاولا به على الخلق
وانما قال ذلك ذكرا للنعمة ومعترفا بالمنة واراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة
والله اعلم وعن ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله
الخضر بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون قال النووي جمهور العلما انه حي موجود بين اظهرنا
لا سيما عند الصوفية واهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به
والاخذ عنه وسؤاله وجوابه وحضوره في المواضع الشريفة مواطن الخير اكثر من ان يحصر
وصرح الشيخ ابو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من انكره من المحققين قال الحبري المفسر
وابو عمرو هو نبي واختلفوا في كونه مرسلا قال القشيري وكثيرون هو ولي واحتج من قال بنبوته
بقوله ما فعلته عن امري فدل على انه اوحي اليه وبانه اعلم من موسى عليه السلام ويبعد ان يكون
الولي اعلم من النبي واجاب الاخرون بانه يجوز ان يكون قد اوحى الله اليه بطريق الالهام كما القي الى ام موسى

في قوله

في قوله تعالى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه قلت فيه ان الوحي الى ام موسى فيما يتعلق
بتدبير خلاص الطفل حالة الاضطرار في امره واما حمل الغلام على الالهام الى الولي غير صحيح
اذ لا يصح لاحد من الاوليا ان يقتل نفسا زاكية بغير نفس اعتمادا على الوحي الالهامي بانه
طبع كافرا وقد قال الثعلبي المفسر الخضر نبي معمر محجوب عن اكثر الابصار وقال وقيل انه لا يموت
الا في اخر الزمان حين يرفع القران قلت وقد تقدم انه يقتله الدجال ثم ذكروا انه كان
انه من زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ام بعده بقليل او كثير قلت ويروى انه
من اولاد ادم والله اعلم وفي الجامع الصغير روى الحارث عن انس الخضر في البحر والياس في البر
يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس وبين ياجوج وماجوج
ويحجان ويعتمران كل عام ويشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل وفي الفتاوى الحديثية روى
ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما السلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد
منهما راس صاحبه ويفترقان عن هولاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله
بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول
ولا قوة الا بالله ثم قوله طبع كافرا اي خلق الغلام على انه يختار الكفر فلا ينافي خبر كل مولود
يولد على الفطرة او المراد بالفطرة استعداد قبول الاسلام وهو لا ينافي كونه شقيا في
جبلته وقد روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا خلق الله
يحيى بن زكريا في بطن امه مومنا وخلق فرعون في بطن امه كافرا وفي الحديث المشهور ان
الملك ينفخ الروح في كل مولود ويكتب شقي او سعيد وعلى طبقه يوم ياتي لا تكلم نفس الا باذنه
فمنهم شقي وسعيد وقد قال تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم
قال القاضي عياض في هذا حجة لاهل السنة وصحة مذهبهم في ان العبد لا قدرة له
على الفعل الا بارادة الله وتيسيره له خلافا للمعتزلة القائلين بان للعبد فعلا من قبل
نفسه وقدرة على الهدى والضلال وفيه ان الذين قضي لهم بالنار طبع على قلوبهم
وختم عليها وجعل من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وحجابا مستورا وجعل في اذانهم وقرا
وفي قلوبهم مرضا لتتم سابقته وتمضي كلمته لا راد لحكمه ولا معقب لامره وقضائه وقد يحتج
بهذا الحديث من يقول ان اطفال الكفار في النار قلت الاولى التفصيل بان من طبع منهم كافرا
يكون في النار ومن ولد على الفطرة فهو في الجنة وبه يحصل الجمع بين اقوال الائمة وتعارض
القول بالتوقف الذي اختاره امامنا الاعظم والله اعلم ويدل عليه قوله ولو عاش اي
ذلك الغلام بان ادرك الكبر لارهق ابويه اي يكلفهما طغيانا وكفرا اي جعل سببا لاضلالهما
فالحاصل ان علة قتله مركبة من كونه طبع كافرا وانه لو فرض انه عاش لكان مضلا فاجرا قال
النووي لما كان ابواه مومنين يكون هو مومنا قلت فكيف يجوز قتل المومن قال فيجب تاويله
بان معناه والله اعلم ان ذلك الغلام لو بلغ لكان كافرا ولو عاش لارهق ابويه اي غشيهما
طغيانا وكفرا اي طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه او معناه حملهما ان يتبعاه فيطغيا

قال ابن الملك فان قلت خوف كفر احد في المال لا يبيح قتله في الحال فكيف قتله الخضر في خوف
كفره قلت يجوز ان يكون ذلك في شرعهم فانت تقرير الله تعالى وتقرير موسى صح في ذكره
بل يدل على جواز مثل ذلك في شرعنا لو علم قطعا انه طبع كافرا كما قرره صاحب الشرع في هذا
الحديث فبطل كونه لغلام مؤمنا حينئذ اذ لا يجوز قتل المؤمن من غير جنح اجماعا في جميع
الاديان قالوا ولقول هذا علم لدني وله مشرب اخر غير المعهود في الظاهر ولا تشتغل بكلفته
قلت لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة في احكام الطريقة ومن فرق بينهما ممن لم يصل
الى مرتبة الجمع نسب الى الزندقة ثم ان الامر لا يخلو عن احد شيئين فان الخضر ان كان من
اهل النبوة فلا بد ان يكون عمله على وفق الشريعة وان كان من اهل الولاية فليس له ان
يعتمد على عمله اللدني والهامه الغيبي في مثل هذه القضية العظمى والبلية الكبرى
ثم في الحديث بيان الحكمة في قتل الخضر وكانه خرج موضع الاعتذار عنه نظرا كما
في الاية من الاشارة الى ذلك تلويحا متفق عليه وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما سمي الخضر اي خضرا وفي نسخة بنصبها اي انما سمي الرجل المشهور الخضر لانه جلس على
فروة بيضاء في النهاية الفروة الارض اليابسة وقيل الهشيم اليابس من النبات قالت معناهما
واحد وموادهما متحد واختار شارح القول الثاني فقال المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه
بالفروة وقيل الارض اليابسة وقيل جلدة وجه الارض وقيل قطعة نبات مجتمعة يابسة
قلت هذا هو الاظهر قال الطيبي ولعل الثاني من قول صاحب النهاية لان قوله فاذا
هي تهتز من خلفه خضراء اما تمييز او حال فكانه نظر الخضر عليه السلام الى مجلسه ذلك
فاذا هي تتحرك من جهة الخضرة والنضارة انتهى ولعله قال من خلفه مع ان النمو والاهتزاز
انما كان في موضع الجلوس من تحته للاشعار بان الخضرة زادت من المجلس الى انتهاء الفروة
البيضاء ثم قال شارح قوله خضراء بفتح فكسر مع التنوين اي نباتا اخضر ناعما وروي بلا
تنوين صفراء قلت وهو كذلك في اكثر النسخ المضبوطة المعتمدة لكن لا يخفى ان النسخة
الاولى المناسبة وجه التسمية او للجمع بين المبني والمعنى رواه البخاري واسنده السيوطي
بهذا اللفظ بعينه في الجامع الصغير الى احمد والشيخين والترمذي عن ابي هريرة والطبراني
عن ابن عباس والله اعلم وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جاء ملك الموت اي في صورة بشر الى موسى بن عمران فقال له اي لموسى اجب ربك اي
بقبول الموت والمعنى اني جئتك لاقبض روحك قال اي النبي عليه الصلاة والسلام فلطم
موسى عين ملك الموت اي ضربها بباطن كفه ففقأها بالهمز فقاف فهمز مفتوحا اي شقها
وقلع ضوءها قيل الملائكة يتصورون بصورة الانسان وتلك الصورة بالنسبة اليهم
كالملابس بالنسبة الى الانسان واللطمة انما اثرت في العين الصورية لا في العين
الملكية فانها غير متأثرة باللطمة وغيرها قال شارح وانما لطمها موسى لاقدامه على
قبض روحه قبل التخيير والانبياء كانوا مخيرين عند الله اخر الامر بين الحياة والوفاة

وسياتي زيادة تحقيق قال فرجع الملك الى الله تعالى فقال انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد
الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله عينه وقال ارجع الى عبدي قال الطيبي فان قلت اي
فرق بين قول الملك عبد لك على التنكير وبين قول الله عبدي قلت دل قول الملك على
نوع طعن فيه حيث نكره وبينه بقوله لا يريد الموت وقوله سبحانه دل على تفخيم وتعظيم
مكانه حيث اضافه الى نفسه ردا عليه فقل الحياة بالنصب على انه مفعول قوله تريد
على تقدير الاستفهام قبل الفعل والمفعول ويمكن ان يقرأ الحياة بهمزة ممدودة
كما في قوله تعالى قل الذكرين حرم ام الانثيين فالتقدير الحياة تريد ام الموت ثم فصله
بقوله فان كنت تريد الحياة اي الطويلة اذ الموت غير منظور في الدنيا لقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت فضع يدك اي واحدة او اثنين على متن ثور اي على ظهر بقرة
فما توارت وفي نسخة فما وارت يدك بالرفع وفي نسخة بالنصب وقوله من شعره
بيان لما وفي نسخة من شعره بالضمير من شعر متن الثور فانك تعيش بها اي بكل
شعرة متوارية سنة واعلم انه يقال واراه الشيء اي ستره وتوارى اي استتر
ومنه قوله تعالى يتوارى من القوم فقال الشارح فما توارت غلط وقع عن بعض
الرواة في كتاب مسلم وفي كتاب البخاري فله بما غطت يده بكل شعرة سنة
وقال القاضي قوله فما توارت يدك هذا هكذا مذكور في صحيح مسلم ولعل الصواب هو
فما وارت يدك بالرفع واخطأ بعض الرواة ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه فله
بما غطت يده بكل شعرة سنة ويحتمل ان يكون يدك منصوبا بنزع الخافض وفي
توارت ضمير راجع الى فانه لكونه مفسرا بالشعر قال الطيبي قوله من شعره
بيان لما والضمير فيه راجع الى متن ثور وما وراه يده قطعة منه فانه باعتبار
القطعة اي القطعة التي توارت بيدك او تخفى بيدك انتهى وقيل الثاني اولى لانه
ادل معناه وارت اي غطت ذكره الكرماني قال اي موسى ثم مه بفتح الميم
وسكون الهاء واصله ما حذفت الفه ووقفت عليه بالهاء لغة بين الحركة والسكون
قال النووي هي هاء السكت وما استفهامية اي ثم ماذا يكون احياة ام موت قال
ثم تموت قال فالان من قريب اي فاخترنا الموت في هذه الحالة رب ادنني امر من الادنا
اي قربني من الارض المقدسة ولعله اراد دفن مواضعها وهو المسمى بيت المقدس
الذي كان فيه قبلة الانبياء والا فالارض المقدسة تطلق على جميع اراضي الشام
رمية بحجر اي كرمية حجر والمراد السرعة ذكره شارح والظاهر ان يكون المراد التقريب
مقدار رمية واحدة بحجر ولذا قال ابن الملك اي بمقدار ذلك اقول لعله كان في التيه
فاراد التقرب الى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعا به او من محل مطلوبه قال
النووي واما سؤاله الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين
من الانبياء وغيرهم من الصالحين قالوا وانما سأل الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس

لانه خاف ان يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس قلت وبهذا يبعد حد الاول
ينفع الفتن بقتيم غيره من الانبياء المكان الفتنة في كل مكان بل فيه اشارة الى
ان المقبرة ينبغي ان يكون قرب المقبرة لا داخلها ولعلهما زمن يكون بيت المقدس كانت
حينئذ قريبة الى محل تربته عليه الصلاة والسلام وعلى كل ففيه استحباب الدفن
والدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن ارباب الديانة.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده اي عند بيت المقدس وبقول
شارح حيث قال لو اني عنده موسى لاريتكم قبره الى جنب الطريق اي طرف الجادة من بيت
المقدس الى جوانبه عند الكثيب الاحمر اي تل المستطيل المجتمع من الرمل متفق عليه
قال المازري وقد انكر بعض الملاحدة هذا الحديث قالوا كيف يجوز على موسى فقاء عين
ملك الموت واجابوا عن هذا باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون موسى عليه السلام
قد اذن الله في هذه اللطمة وان يكون امتحانا للملطوم والله سبحانه يفعل في خلقه
ما يشاء ويمتحنهم بما يريد قلت ولا يخفى انه بعيد والثاني ان هذا على المجاز والمراد
ان موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة يقال فقأ فلان عين فلان اذا غلبه بالحجة قال وفي
هذا اضعف لقوله صلى الله عليه وسلم فرد الله عينه فان قيل اراد رد حجته كان
بعيدا والثالث ان موسى لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده
يريد نفسه فدافعه عنها فادت المدافعة الى فقء عينه وما قصدها بالفقء
وهذا جواب الامام ابي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره القاضي
عياض قالوا وانما اتى في المرة الثانية بعلامة علم بها انه ملك الموت فاستسلم
بخلاف المرة الاولى قال ابن الملك في شرح المشارق فان قيل كيف صدر من موسى
هذا الفعل اجيب بانه متشابه يفوض علمه الى الله تعالى وبان موسى لم يعرف انه
ملك الموت وظن انه رجل قصد نفسه فدفعه عنها فادت مدافعته الى فقء عينه
وهذا المختار المازري والقاضي عياض وانكر الشيخ الشارح يعني الاكمل بان هذا غير
صحيح لان الرجل الداخل لم يقصده بالمحاربة حتى يدفعه عنه بل دعاه للموت وبمجرد
هذا القول لا يصدر عن مومن صالح مثل هذا الفعل فما ظنك بموسى عليه السلام
واقول ان موسى غلبه الحدة كان في طبعه حدة حتى روي انه عليه السلام اذا غضب
اشتعلت قلنسوته فاذا هجم عليه رجل قد دعاه الى الهلاك عرف انه لا يكون الا بان
قد دفعه قبل قصده ولا يحتمل ان يكون جائزا في شرعه اولان موسى عليه الصلاة
والسلام غضب لله عز وجل حين ادعى قبض روحه زعمه ان بشرا لا يقبض الروح فغضب
عليه فلطمه وكان هذا الغضب لله وفي الله فلم يكن مذموما ولهذا لم يعاتب الله موسى
من اخذ راس هارون ولحيته وكان يجره مع ان هارون كان اكبر منه سنا واجل قدرا
عند علماء الامة وقد قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على

ولده

ولده قلت هذا وجه حسن الا ان قوله لزعمه غير مستحسن قال ومما اختاره الشيخ
الشارح في الجواب ان موسى عليه السلام يحتمل ان يكون مأذونا في حق اللطمة ويكون
ذلك امتحانا للملطوم فلا يخفى بعده وفي شرح السنة يجب على المسلم الايمان به وعلى
ما جاء به من غير ان يعتبره بما جرى عليه عرف البشر فيقع في الارتياب لانه امر مصدره قدرة
الله تعالى وحكمه وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة
يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خص به فلا يعتبر حالهما بحال
غيرهما وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فلما دنت وفاته
وهو بشر يكره الموت طبعا لطف الله تعالى به بان لم يفاجئه بغتة ولم يأمر الملك الموكل به
بان يأخذه قهرا بل ارسله على سبيل الامتحان في صورة بشر فلما رآه موسى
استنكر شأنه عن معرفته فاحتجز منه دفعا عن نفسه بما كان من صكه اياه فاتى ذلك على
عينه التي ركبت في الصورة البشرية وقد كان في طبع موسى عليه السلام حدة على ما
قص الله علينا من امره في كتابه من وكزه القبطي والقائه الالواح واخذ برأس اخيه
يجره اليه هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد سوء وقد ذكر الخطابي رحمه الله
هذا المعنى في كتابه ردا على من طعن في هذا الحديث وامثاله من اهل البدع الملحدين
اباده الله تعالى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي بصيغة
المجهول اي اظهر لدي الانبياء وهم اعم من الرسل وهو اما في المسجد الاقصى في ليلة
الاسراء او في السموات العلى كما يدل عليه الحديث الذي يليه والمعنى عرض ارواحهم
مشكلين بصورهم كانوا عليها في الدنيا كذا ذكره ابن الملك تبعا للشارح من علمائنا وهو الظاهر
وقال القاضي لعل ارواحهم مثلت له بهذه الصور ولعل صورهم كانت كذلك او صور
ابدانهم كوشفت له في نوم او يقظة فاذا موسى ضرب اي نوع من الرجال وقيل اي خفيف
اللحم كانه من رجال شنوءة بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو ساكنة وهمزة وها
ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها وقال ابن السكيت ازد شنوة بالتشديد
غير مهموز وهي قبيلة معروفة والمعنى انه يشبه واحدا من هذه القبيلة
قال شارح والشنوءة التباعد من الادناس على ما ذكره الجوهري ومنهم ازد شنوءة
وهم حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم وحسن
سيرتهم ورايت عيسى بن مريم فاذا اقرب من رايت به شبها بفتحتين اي نظيرا
عروة بن مسعود قيل هو اخو عبد الله بن مسعود وليس بصحيح ورايت ابراهيم فاذا اقرب
من رايت به شبها صاحبكم يعني نفسه اي يريد صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسي
ذاته لما ظهر له في مرآته ولما كان جبريل ملازما للانبياء لكونه من لوازم الانبياء ذكره
في معرض الانبياء فقال ورايت جبريل فاذا اقرب من رايت به شبها دحية بن خليفة
بكسر الدال وقد يفتح وهو من الصحابة من اجمل الناس صورة رواه مسلم وعن ابن عباس

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي بالاضافة وفي نسخة بالتنوين اي
الصرف في ليلة اسري بي فيها موسى رجلا اي حال كونه على صورة رجل ادم اي اسمر شديد
السمرة على ما في النهاية طوالا بضم الطاء وتخفيف الواو اي طويلا كعجاب مبالغة طويل
واما بكسر الطاء فهو جمع طويل جعدا هو ضد السبط ومعناه غير مسترسل الشعر ولعل
انقباض شعره مما يشعر على حدته باطنه من غير شعوره كانه من رجال شنوءة ورايت
عيسى رجلا مربوع الخلق اي متوسط لا طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا هزيلا وفيه
ايماء الى اعتدال مزاجه ايضا وقوله الى الحمرة والبياض حال اي مايلا لونه اليهما فلم يكن
شديد الحمرة والبياض بل كان بينهما من البياض المشوب بالحمرة كما كان نعت نبينا
صلى الله عليه وسلم على ما في الشمائل في الوصفين السابقين سبط الراس بكسر الباء
وفتحها ايضا وقد يسكن وفي القاموس السبط ويحرك وكتف نقيض الجعد والمعنى
مسترسل شعر الراس فهذا يدل على انه غلبت عليه صفة الجمال كما انه غلبت على موسى
نعت الجلال ونبينا صلى الله عليه وسلم لما كان في مرتبة الكمال كان شعره ايضا بين السبوطة
والجعودة في غاية من الاعتدال ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات اي مع علامات
اراهن الله اياه اي النبي عليه الصلاة والسلام يعني راى النبي صلى الله عليه وسلم الدجال
مع ايات اخر اراهن الله النبي صلى الله عليه وسلم وما حكاها وقوله في ايات اراهن الله اياه
من كلام الراوي ادرجه في الحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة لما عسى ان يختلج في صدورهم
ولو كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم لقال اراهن الله اياي كذا ذكره شارح والظاهر
ان يكون الضمير راجعا الى الدجال والمراد بالايات خوارق العادات التي قدرها الله سبحانه
للدجال ابتلاء للعباد كما تقدم والله اعلم وقال الطيبي قوله في ايات اي رايت المذكور في جملة
ايات ولعله اراد بها الايات المذكورة في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى فعلى
هذا في الكلام التفات حيث وضع اياه موضع اياي او الراوي نقل معنى ما تلفظه
ان قوله فلا تكن في مرية من لقائه متعلق باول الكلام وهو حديث موسى عليه السلام
تلميحا الى ما في التنزيل من قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه
الكشاف قيل من لقائك موسى عليه السلام ليلة الاسرا فيكون ذكر عيسى وما يتبعه
من الايات على سبيل التبعية والادماج اي لا يكن يا محمد في رواية ما رايت من الايات
في شك فعلى هذا الخطاب في قوله فلا يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكلام كله
متصل ليس فيه تغيير من الراوي الا لفظ اياه ويشهد له قول الشيخ محي الدين في شرح هذا
الحديث كان قتادة يفسرها ان النبي صلى الله عليه وسلم قد لقي موسى عليه السلام ووافقه
عليه جماعة منهم مجاهد والكلبي والسدي ومعناه فلا تكن في شك من لقائك موسى
والشارحون ذهبوا الى ان قوله في ايات اراهن الله من كلام الراوي الحقه بالحديث دفعا
لاستبعاد السامعين واماطة لما عسى يختلج في صدورهم وقال المظهر الخطاب في فلا تكن

خطاب

خطاب عام لمن سمع هذا الحديث الى يوم القيامة والضمير في لقائه عائد الى الدجال اي اذا
كان خروجه موعودا فلا تكن في شك من لقائه وقال غيره الضمير راجع الى ما ذكر اي فلا تكن في شك
من رؤية ما ذكرنا لا يات الى يوم القيامة متفق عليه وذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير
بدون قوله والدجال وقال رواه احمد والشيخان وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة اسري بي ظرف مقدم لقوله لقيت موسى فنعته اي فوصفت موسى فقال في
حقه فاذا هو رجل مضطرب قال القاضي وغيره من الشراح يريد انه كان مستقيم القد حادا
فان الحاد يكون قلقا متحركا كان فيه اضطرابا ولذلك يقال رمح مضطرب اذا كان طويلا مستقيما
وقيل معناه انه كان مضطربا من خشية الله تعالى وهذا صفة النبيين والصديقين
فروي انه عليه السلام كان يصلي ولقلبه ازيز كازيز المرجل رجل الشعر بكسر الجيم وسكونها وبفتح
وفي القاموس شعر رجل وكتف وجبل بين السبوطة والجعودة وفي النهاية اي لم يكن
شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما قلت الظاهر ان يكون جعودته غالبة
على سبوطته لئلا ينافي ما سبق من كون موسى عليه السلام جعدا كانه من رجال شنوءة
سبق بيانه ولقيت عيسى ربعة بسكون الموحدة ويجوز فتحها على ما ذكره العسقلاني اي
مربوع الخلق وفي النهاية اي لا طويل ولا قصير والتانيث على تاويل النفس احمر اي شديد
الحمرة كانه خرج من ديماس بكسر الدال ويفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام قال الجوهري
وان فتحت الدال جمعت على دياميس مثل شيطان وشياطين وان كسرتها جمعت على دماميس
كقيراط وقراريط ثم لما كان الديماس له معان قال الراوي يعني اي يريد النبي صلى الله
عليه وسلم به الحمام قال العسقلاني هذا في تفسير عبد الرزاق والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة
الجسم وكثرة ماء الوجه كانه خرج من حمام وهو عرق ورايت ابراهيم وانا اشبه ولده اي
اولاده من نسل وكذا اسماعيل ومطلقا به اي بابراهيم صورة ومعنى فالمشابهة الصورية
عنوان للمناسبة المعنوية مع ان الولد سر ابيه في مبانيه ومعانيه قال اي النبي عليه السلام
فاتيت باناءين اي احضرت بهما احدهما لبن قال التوربشتي العالم القدسي يصاغ فيه الصور
من العالم الحسي ليدرك بها المعاني فلما كان اللبن في عالم الحس من اول ما يحصل به التربية
ويرشح به المولود صيغ عنه مثال الفطرة التي يتم بها القوة الروحانية وينشا عنها الخاصية
الانسانية وقال بعضهم ولم يقل فيه لبن كانه جعله لبنا كله تغليبا للبن على الاناء لكثرته
وتكثير الماء اختياره ولما كان الخمر منهيا عنه قلله فقال والاخر فيه خمر اي خمر قليل فقيل لي
خذ ايهما شئت اي اي الاناءين اي المشروبين اردته فاشربه فاخذت اللبن فشربته
اي لما يدل الامر بالاخذ على جواز الشرب لانه المقصود منه وانما عرض عليه كلاهما اظهارا
على الملايكة فضله باختياره الصواب فقيل لي هديت الفطرة بصيغة الخطاب مجهولا اي
فقالت الملايكة هداك الله الى الفطرة وهو يحتمل الاخبار والدعاء والاول اظهر لما ياتي
في اخر الحديث والمعنى انك هديت الفطرة الكاملة الشاملة لاتباعك العاملة قال القاضي

المراد بها الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها فانه منها الاعراض عما فيه غائلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعي الى الخير الوازع عن الشر المودي الى صلاح الدارين وخير المنزلين والميل الى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن فانه من اصلح الاغذية واول ما به حصل التربية وقال ابن الملك وفي هذا القول له عند اخذ اللبن لطف ومناسبة فان اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض واول ما يحصل به تربية المولود وصيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية بخلاف الخمر فانها لكونها ذات مفسدة صيغ منها مثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية ولهذا قيل له ايضا اما بالتخفيف للتنبيه انك لو اخذت الخمر اي شربته او ما شربت والحاصل لو ملت اليها ادنى الميل غوت اي ضلت امتك اي لو عامت الغواية المترتبة على شربها بناء على انه لو شربها لاحل لامته شربها فوقعوا في ضررها وشرها ولما كان هو معصوما لم يتغلل له غويت على ما يقتضي المقابلة وفيه ايماء الى ان استقامة المقتدي من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة اتباعهم لانهم بمنزلة القلب للاعضاء متفق عليه وعن ابن عباس قال سرنا مع السير اي سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة يحتمل من مكة الى المدينة وبالعكس فمررنا بواد فقال اي واد هذا فقالوا وادي الازرق وهو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته وقيل منسوب الى رجل بعينه قال كاني انظر الى موسى فذكر من لونه وشعره شيئا اي بعضا من اوصافهما وهو ان لونها اسمر وشعره جعد على ما سبق واضعا اي حال كون موسى واضعا اصبعيه في اذنيه بضم الذال ويسكن والتثنية فيهما على طريق اللف والنشر له اي لموسى جوار بضم جيم فهمز وقد يبدل اي تضرع بالتلبية الى الله ذكره شارح وقال الطيبي رفع صوت بها ولا منع من الجمع مارا بهذا الوادي قال الطيبي واضعا ومارا حالان مترادفان او متداخلان من موسى عليه الصلاة والسلام وقد تخلل بينهما كلام الراوي يعني الراوي عن حاله وهو النبي صلى الله عليه وسلم قال اي ابن عباس ثم سرنا اي ذهبنا حتى اتينا على ثنية بفتح مثلثة وكسر نون وتشديد تحتية اي عقبة وهي طريق عال في الجبال او بين الجبلين فقال اي ثنية هذه قالوا هرشى بهاء فراء فشين معجمة فالف مقصورة تكتب بالياء كسكرى على طريق الشام والمدينة قرب الجحفة او لفت بكسر اللام وسكون الفاء على ما في اكثر النسخ وقال الطيبي يروي فيه كسر اللام واسكان الفاء وفتحها معه وفتحهما وقال شارح هو شيء ثنية بقرب الجحفة يقال لها ايضا لفت والشك للراوي في قوله ويمكن ان يكون او للتنويع على ان بعضهم قال هرشى وبعضهم لفت ولا خلاف في الحقيقة فقال كاني انظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف اي للتواضع واختيار الزهد وهذا ماخذ الصوفية ومن تبعهم من العلماء كالكسائي ولعله لبسها على غير هيئة المعتاد او كان جائزا في شرعه لبس الجبة ونحوها مطلقا والله اعلم خطام ناقته اي

زمامها

زمامها وزناً ومعنى وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل على خطمه اي مقدم انفه وفمه خلبة بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وبضمها ثم موحدة فهاء اي ليف نخل مارا بهذا الوادي ملبيا قال الاذن من بوبق كما تقدم وفيه اشعار بان الحج من شعائر الله ومن شعائر الانبياء احياء وامواتا ويفيد الترغيب في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة على التوحيد والحنيفية الابراهيمية المشعرة الى التجريد والتفريد والله سبحانه اعلم قال النووي فان قيل كيف يحجون ويلبون وهم اموات والدار الاخرة ليست بدار عمل الجواب من وجوه احدها انهم كالشهداء بل افضل والشهداء احياء عند ربهم فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا ويتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان عمروا كانوا في الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا انقضت مدتها وتعقبتها الاخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل وثانيهما ان التلبية دعاء من عمل الاخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وثالثها ان تكون هذه روية منام في غير ليلة الاسراء كما قال في رواية ابن عمر رضي الله عنهما بينما انا نائم رايتني اطوف بالكعبة وذكر الحديث في قصة عيسى قلت ورويا الانبياء حق وصدق قال ورابعها انه صلى الله عليه وسلم اري حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا وكيف حجهم وتلبيتهم كما قال صلى الله عليه وسلم كاني انظر الى موسى قلت الظاهر ان المراد بقوله هذا استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للاشارة الى غاية تحققها ونهاية صدقها قال وخامسها ان يكون اخبر عما اوحي اليه صلى الله عليه وسلم من امرهم وما كان منهم وان لم يرهم روية عين قلت يرده قوله كاني انظر اليهما قال وهذا اخر كلام القاضي عياض وفي الحديث دليل على استحباب الوضع وضع الاصبع في الاذن عند رفع الصوت بالاذان ونحوه وهذا الاستنباط والاستحباب يجيء على مذهب من يقول من اصحابنا وغيرهم ان شرع من قبلنا شرع لنا قلت هذا الاستنباط انما يتم لو قيل باستحباب وضع الاصبعين في الاذنين وقت التلبية ولا اظن ان احدا قال بهذا واما وضع الاصبع في الاذن حال الاذان فله دليل مستقل ذكر في بابه رواه مسلم وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف اي سهل ويسر على داود القران اي في قراءة الزبور وحفظه فكان يامر بدابه اي لركوبه وركوب اصحابه فتسرج اي الدواب او فتسرج في سرجها فيقرا القران اي المقرو وهو الزبور وصح ان تسرج دوابه في النهاية الاصل في هذه اللفظة يعني القران الجمع وكل شيء جمعته فقد قراته وسمي القران قرانا لانه جمع القصص والامر والنهي والوعد والوعيد والايات والسور بعضها وهو مصدر كالغفران والكفران وقد يطلق على القراءة نفسها يقال قرا قراءة وقرانا ومنه قوله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه قال التوربشتي يريد بالقران الزبور وانما قال له القران لانه قصد اعجازه من طريق القراءة وقد دل الحديث على ان الله تعالى يطوي الزمان لمن يشاء من عباده كما يطوي المكان لهم وهذا باب لا سبيل للادراك

كـ

الا بالفيض الرباني قلت حاصله انه من خرق العادة على اختلاف انه بسط للزمان او طي للمكان
والاول اظهر وقد حصل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في ليلة الاسرا هذا المعنى على وجه الاكمل
في المبنى من الجمع بين طي المكان وبسط الزمان بحسب السمع واللسان في قليل من الان ولاتباعه
ايضا وقع حظ من هذا الشان على ما حكي ان عليا كرم الله وجهه كان يبتدي القران من ابتدا
ركوبه مع تحقق المباني ونظم المعاني ويختمه حين وضع قدمه في ركابه الثاني وقد نقل مولانا نور
الدين عبد الرحمن الجامي قدس الله سره السامي في كتابه نفحات الانس في حضرات القدس عن
بعض المشايخ انه قرا القران حين استلم الحجر الاسود والركن الاسعد الى حين وصوله محاذاة
باب الكعبة الشريفة والعتبة المنيفة وقد سمعه ابن الشيخ شهاب الدين السهروردي منه
كلمة كلمة وحرفا حرفا من اوله الى اخره قدس الله اسرارهم ونفعنا ببركة انوارهم ولا ياكل اي داود
لا ينبغي داود عليه السلام الا من عمل يده كما قال تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات اي
دروعا واسعات وقد يراد به بصيغة التثنية ايماء الى ان عمله كان محتاجا الى مباشرة
العضوين فيكون اجره مرتين فرواية الجامع بيده على صيغة الافراد يراد بها الجنس وقد روى
ابو سعيد مرفوعا على ما رواه ابن لال افضل الاعمال الكسب من الحلال رواه البخاري
وعنه اي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت امراتان معهما ابناهما اي
لكل واحدة ابن جاء الذيب استيناف بيان فذهب بابن احديهما فقالت صاحبتها اي رفيقة احديهما
الذي ذهب بابنها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك ولعل الولدين كانا شبيهين
او كانت احديهما كاذبة لكنها تريد ان تتسلى بالموجود بدلا عن المفقود او لاغراض اخر فاسدة
واحكام كاسدة فتحاكمتا اي رفعتا الحكومة الى داود فقضى به اي حكم بالولد للكبرى اما
لكونه في يدها على مقتضى القاعدة الشرعية ان صاحبة اليد اولى او لانه اشبه بها على
على اعتبار علم القيافة كما قال به الشافعي فخرجتا على سليمان بن داود مارتين عليه فاخبرتاه
اي بما سبق من حالهما وتحقق من مالهما فقال اي لخدمه ائتوني بسكين اشقه بفتح القاف
المشددة على جواب الامر وفي نسخة بالرفع اي انا اقطع الولد نصفين بينكما اي مقسوما بين
والمعنى انه على فرض انكما لم تظهرا الى الصدق في امره ولعل الاخرى ايضا كانت في اول
الامر متعلقة بالولد متمسكة باليد ومع هذا لم يرد حقيقة التنصيف وانما صور
لهما هذا التصوير توسلا الى ما اراده من ظهور امارة التاليف فقالت الصغرى لا تفعل
اي الشق يرحمك الله اي كما ادركني في الرحمة على ولدي هو ابنها اي رضيت بانه يكون ابنها وهو
حي ولا ارضى بالشق المفضي الى موته فقضى به للصغرى اي لوجود قرينة الشفقة
والرحمة فيها وتحقق العداوة واليبوسة والغفلة الدالة العداوة في الاخرى قال الشارح
واعلم ان قضاءهما حق لكونهما مجتهدين ومستند قضائهما في هذه القضية هي القرينة لكن
القرينة التي قضى بها سليمان اقوى من حيث الظاهر وقيل يحتمل ان قراين الاحوال كانت
في شرعهم بمثابة البينة في شرعنا ولو كانت احديهما ذات اليد والله اعلم وفي شرح مسلم

للنووي

للنووي قالوا احتمل ان داود عليه الصلاة والسلام قضى به للكبرى لشبه رآه فيها او لكونه
كان في يدها واما سليمان فتوسل بطريق من الحيلة والملاطفة الى معرفة باطن القضية
وانما اراد اختبار شفقتهما ليتميز له الام لا القطع حقيقة فلا يتميز حكم للصغرى باقرار
الكبرى لا بمجرد الشفقة قلت الاقرار لا لذلك للعيان رئة عليه ولا طريق للاشارة اليه قال
وقال العلماء ومثل ذلك يفعله الحكام ليتوصلوا به الى حقيقة الصواب قلت وقد حقق
ابن القيم الجوزي هذا المبحث في كتاب الفراسة في السياسة قال النووي فان قيل
كيف نقض سليمان حكم ابيه داود فالجواب من وجوه احدها ان داود لم يكن جزم بالحكم وثانيها
ان يكون ذلك فتوى من داود لا حكما وثالثها لعله كان في شرعهم فسخ الحكم اذا رفعه الخصم
الى حاكم اخر ويرى خلافه قلت وفي كل منها نظر ظاهر فالوجه ان القرينة الاقوى كانت عندهما
بالاعتبار هو الاولى واما الوجه اقرار الكبرى بانها للصغرى فلا اشكال بكل الحال لان الاقرار
بعد الحكم معتبر في شرعنا ايضا كما اذا اعترف المحكوم عليه بعد الحكم بان الحق لخصمه والله
اعلم متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان
لاطوفن الطواف هنا كناية عن الجماع والمعنى والله لادورن الليلة الا اتية على تسعين
امراة وفي رواية بمائة امراة قال الحافظ العسقلاني فيه روايات ستون وسبعون وتسعون
وتسع وتسعون ومائة والجمع ان الستين كن حرائر وما زاد كن سراري وبالعكس واما السبعون
فللمبالغة واما التسعون والمائة فوق التسعين فمن قال تسعون الغى الكسر ومن قال مائة
جبر الكسر كلهن اي كل واحدة تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله وهذه نية حسنة الا
انها غير مبنية على المشيئة فقال له الملك اي الموكل على يمينه او جبريل او غيرهما او المراد به
الهامه او المامه قل ان شاء الله فلم يقل اي لم يلتفت بما في الجنان عن التلفظ باللسان ونسي
تعلم وروي بضم النون وتشديد السين وهو احسن اي حصل النسيان بان الجمع بين القلب
واللسان اكمل عند ارباب الجمع واصحاب العرفان او اراد ان يقول ونسي فطاف عليهن فلم تحمل
منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل اي بنصفه او بعضه حيث عدل عن شق
الصواب وصوب الكمال وايم الذي نفس محمد بيده تقدم الكلام على ايم لفظا
ومعنى وقال التوربشتي هنا الاصل في ايم الله ايمن الله حذف منه النون وهو اسم
وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون والفه الف وصل عند اكثر النحويين ولم يجي في الاسما
الف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره ايمن الله قسمي واذا حذف عنه النون قيل ايم
الله او ايم الله بكسر الهمزة ايضا لو قال ان شاء الله لجاهدوا اي لوجدوا وولدوا وكبروا وقاتلوا
الكفار في سبيل الله اي طريق رضاه فرسانا حال من ضمير جاهدوا اجمعون تاكيد للضمير
ومنهم من يرويه اجمعين على الحال والرواية المعتد بها اجمعون بالرفع قيل والحديث
يدل على ان من اراد ان يعمل عملا يستحب ان يقول عقيب قوله اني اعمل كذا ان شاء الله
تعالى تبركا وتيمنا وتسهيلا لذلك العمل وقد قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك

غدا الا ان يشاء الله متفق عليه ولفظ الجامع قال سليمان بن داود لاطوفن الليلة على
مائة امرأة كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل
ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان والذي نفس
محمد بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته رواه احمد والشيخان والنسائي
عن ابي هريرة **وعنه** اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
زكريا بالقصر ويروى بالمد نجارا اي يعمل الخشبة وينحتها ويأكل من كسب يده وفيه وفيما
قبله من حديث داود عليه السلام دلالة على ان الكسب من سنة الانبياء وهو لا ينافي التوكل
بترك مراعاة الاسباب في الاشياء كما فعله بعض الانبياء وجماعة من اصفياء الاولياء
على خلاف في كون ايهما افضل عند العلماء وتحقيقه في كتاب الاحياء رواه مسلم وكذا
احمد وابن ماجه **وعنه** اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا
اولى الناس اي اقربهم لعيسى بن مريم في الاولى والاخرة اي في الدنيا والعقبى قال
الحافظ ابن حجر اي اقربهم لانه بشر بانه يأتي من بعده ولا منافاة بينه وبين قوله
تعالى ان اولى الناس بابراهيم من جهة الاقتداء واولاهم بعيسى بن مريم من جهة قرب العهد
انتهى لكن لا يخفى ان مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله الانبياء اخوة فالاولى ما قال القاضي
من ان الموجب لكونه اولى الناس بعيسى عليهما الصلاة والسلام انه كان اقرب
المرسلين اليه وان دينه متصل بدينه وان عيسى كان مبشرا به ممهد القواعد
دينه داعيا للخلق الى تصديقه ثم قال وهذه الجملة استيناف فيه دليل على الحكم
السابق كأن سائلا سأل عن المقتضي للاولوية فاجاب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك يريد
ان الاخوة التي بين الانبياء ليست بينهم وبين سائر الناس وجعل ذلك كالنسب
الذي هو اقرب الاسباب ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته كما سيجيء الاشارة
اليه والدلالة عليه بقوله وليس بيننا نبي وقوله من علات بفتح فتشديد اي هم
اخوة من اب واحد فان العلة الضرة وبنو العلات اولاد الرجل من نسوة شتى فقوله
وامهاتهم شتى اي متفرقة مختلفة اما تأكيد او تجريد والمعنى كما ان اولاد العلات امهاتهم
مختلفة فكذلك الانبياء دينهم واحد وشرائعهم مختلفة قال القاضي وغيره من الشراح
العلة الضرة مأخوذ من العلل وهو الشربة الثانية بعد الاولى وكان الزوج عل
منها بعدما كان ناهلا من الاخرى من النهل وهو الشرب الاول واولاد العلات اولاد
الضرات من رجل واحد والمعنى ان حاصل امر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا
جميعا لاجلها دعوة الخلق الى معرفة الحق وارشادهم الى ما به ينتظم معاشهم ويحسن معادهم
فهم متفقون في هذا الاصل وان اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية
والاوعية الحافظة له فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما هو الاصل المشترك بين جميع الانبياء
بالاب ونسبهم اليه وعبر عما يختلفون فيه من الاحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة

المعنيان

في الوصف

في الوصف يعني بحسب الازمنة والمصالح المتعلقة بالاشخاص المختلفة طبعا بالامهات
وهو معنى قوله وامهاتهم شتى فانهم وان تباينت اعصارهم وتباعدت ايامهم فالاصل
الذي هو السبب في اخراجهم وابرازهم كل في عصره امر واحد ولذا قال ودينهم واحد
وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الوقوف عليه
والتمسك به فعلى هذا المراد بالامهات الازمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم
ولذا قال وليس بيننا اي بيني وبين عيسى نبي اما مطلقا او محمول على نبي ذي شرع
او على اولي العزم من الرسل قال ابن الملك اي ليس بيني وبينه نبي بل جئت بعده كما قال
ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد قال وبهذا ابطل قول من قال الحواريون كانوا
انبياء بعد عيسى عليه الصلاة والسلام انتهى وكأنه حمل النفي على الاطلاق قال الطيبي
قوله الانبياء اخوة من علات كالمرآة استيناف دال على بيان الموجب لقوله صلى الله عليه وسلم
انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخرة فينبغي ان ينزل البيان على المبين
بمعنى الانبياء كلهم متشاركون فيما بعثوا لاجله من اصول التوحيد وليس لاحد اختصاص
منه لكون انا اخص الناس بعيسى لانه كان مبشرا في قبل بعثتي وممهدا لقواعد
ملتي ثم في اخر الزمان متابع لشريعتي وناصر لديني فكأننا واحد والاولى والاخرة
يحتمل ان يراد بهما الدنيا والاخرة وان يراد بهما الحالة الاولى وهي كونه مبشرا والحالة
الاخرة وهي كونه ناصرا مقفوا لدينه فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين
قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا اي اخصهم
به واقربهم منه قلت الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والتنزيل في كونه
تابعا وله الفضل تابعا ومتبوعا قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم
حنيفا وقد مر تقريره والله اعلم متفق عليه ولفظ الجامع انا اولى الناس بعيسى بن
مريم في الدنيا والاخرة ليس بيني وبينه نبي والانبياء اولاد علات وامهاتهم شتى
ودينهم واحد رواه احمد والشيخان وابو داود ولا يخفى حسن نظم هذه الرواية المطابقة
مراعاة لترتيب الدراية **وعنه** اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل بني ادم فيه تغليب الذكور على الاناث يطعن الشيطان بفتح العين ويضم من طعنه
بالرمح كمنعه ونصره طعنا ضربه ووخزه على ما في القاموس والمراد هنا المس لما في رواية
فالمعنى انه يمسه ويصيبه في جنبيه باصبعيه اي السبابة والوسطى وفي النهاية
اشعار بكمال العداوة وايماء الى قصد اضلاله في امر الدين والاخرة حين يولد اي اوان
ولادتهم والافراد باعتبار لفظ كل غير عيسى بن مريم اي لدعوة حنة جدته في حق امه بقولها
واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ذهب اي اراد الشيطان
وشرع وطفق يطعن اي في جنبي عيسى فطعن في الحجاب فاوقع الطعن في المشيمة وهي ما فيه
الولد فالمعنى لم يتأثر من مسه عيسى قال الطيبي وهذا يدل على ان المس في قوله صلى الله عليه وسلم

ما من مولود الا يمسه الشيطان على الحقيقة كما مر في الوسوسة قلت وتمام الحديث
حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها فكان الراوي اقتصر في هذا الحديث
على ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام لانه المقصود الاصلي في المرام او خص عيسى نظرا
الى بعض القيود في الكلام متفق عليه واسنده السيوطي في الجامع الى البخاري وفي لفظ
مسلم كل بني ادم يمسه الشيطان يوم ولدته امه الا مريم وابنها وعن ابي موسى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل بضم الميم وفي نسخة بفتحها ويجوز كسرها ففي القاموس كمل
كنصر وكرم وعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق في كمل ثلاث لغات لكن كسر الميم ضعيف اول
الصحيح الضم لموافقة المعنى اللازمي اي صار كاملا وبلغ مبلغ الكمال من الرجال كثير اي كثيرون
من افراد هذا الجنس حتى صاروا رسلا وانبيا وخلفا وعلما واوليا ولم يكمل من النسا الا مريم
بنت عمران واسية امراة فرعون الا قليل منهن ولما كان ذلك القليل محصورا فيهما باعتبار
الامم السابقة نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال فانه يبعد تعدادهم واستقصاؤهم بطريق
الاختصار سواء اريد بالكمال الانبيا او الاوليا قال الحافظ ابن حجر استدل بهذا الحصر على
انهما نبيتان لان اكمل الانسان الانبيا ثم الاوليا والصديقون والشهدا فلو كانتا غير نبيتين
للزم ان لا يكون في النسا ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما وقال الكرماني لا يلزم من
لفظ الكمال ثبوت نبوتهما لانه يطلق لتمام الشي وتناهيه في بابه فالمراد ببلوغهما اليه في
جميع الفضائل التي للنسا قلت لا يخفى ان هذا المقال لا يندفع به الاشكال ان يقال لا يلزم
من كمال المراة اكمليتها حتى تلزم النبوة بل يكفي لحصول كمال وصولها للولاية فغايته ذكرهما
بطريق الحصر اختصاصهما بكمال لم يشركهما فيه احد من نساء زمانهما او من نساء الامم
المتقدمة او مطلقا لم يفد ذلك لما نقل العلما من الاجماع على عدم نبوة النساء ولما يدل
عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا لكن نقل عن الاشعري نبوة حوا وسارة وام موسى
وهاجر واسية ومريم وهذا انما يصح بناء على الفرق بين النبي والرسول والله وقال ابن
الملك في شرح المشارق في الجواب عن الايراد السابق قلنا الكمال بالحق في شي يكون حصوله للكامل
اولى من غيره والنبوة ليست اولى بالنسا لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار
فلا تكون النبوة في حقهن كمالا بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى ولا يخفى
انه انما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة والا فعلى الفرق بينهما كما عليه الجمهور من
ان الرسول مامور بالتبليغ بخلاف النبي فلا تلزم من النبوة عدم الستر مع ان الرسالة
ايضا لا تنافي الستارة كما لا يخفى والله اعلم وفضل عائشة على النساء اي على جنسهن من
نساء الدنيا جميعهن او على النساء المذكورات او على نساء الجنة او على نساء زمانها هذه
الامة او على الازواج الطاهرات كفضل الثريد على ساير الطعام قال الطيبي لم يعطف
عائشة على اسية لكن ابرزه في صورة جملة مستانفة تنبيها على اختصاصها بما امتازت
بها عن ساير النساء وهي نحوه في الاسلوب قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من الدنيا

ثلاثا

ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلاة قالت وسيأتي ما يدل على خلاف ذلك مع
ان لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث قال التوربشتي قيل انما مثل بالثريد لانه افضل طعام
العرب ولا يرون في الشبع اغنى غناء منه وقيل انهم كانوا يجدون الثريد فيما طبخ بلحم وروي سيد
الطعام اللحم فكانها فضلت على النسا كفضل اللحم على ساير الاطعمة والسر فيه ان الثريد
مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المونة في المضغ
وسرعة المرور في المري فضرب به مثلا ليؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق والخلق حلاوة النطق
وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة العقل والتحبب الى البعل
فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستيناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت عن
النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النسا وروت ما لم يرو مثلها من الرجال
ومما يدل على ان الثريد اشهى الاطعمة عندهم وألذها قول الشاعر
اذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك امانة الله الثريد انتهى وقد اختلفوا في التفضيل
بين عائشة وخديجة وفاطمة قال الاكمل روي عن ابي حنيفة ان عائشة بعد
خديجة افضل نساء العالمين اقول فهذا يحتمل تساوي خديجة وعائشة لكون الاولى
من العرفا السوابق والثانية من الفضلا اللواحق وقال الحافظ ابن حجر فاطمة افضل
من خديجة وعائشة بالاجماع ثم خديجة ثم عائشة وقال السيوطي في النقاية وشرحها
ونعتقد ان افضل النسا مريم وفاطمة روى الترمذي وصححه حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة فرعون وفي
الصحيحين من حديث علي خير نسائها خديجة بنت خويلد وفي الصحيح فاطمة سيدة نساء هذه
الامة وروى النسائي عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة
استاذن ربه ليسلم علي وبشرني ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نساء اهل
الجنة وروى الحارث بن ابي اسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل مريم خير نساء عالمها وفاطمة
خير نساء عالمها ورواه الترمذي موصولا من حديث علي بلفظ خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة قلت
وفي الدر المنثور اخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة
نساء اهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم اسية امراة فرعون واخرج ابن ابي شيبة
عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء العالمين
بعد مريم ابنة عمران ثم قال السيوطي وافضل امهات المؤمنين خديجة وعائشة قال صلى الله عليه
وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم واسية وخديجة وفضل عائشة على النسا
كفضل الثريد على ساير الطعام وفي لفظ الا ثلاث مريم واسية وخديجة وفي التفضيل بينهما
اقوال ثالثها الوقف قلت وصحح العماد بن كثير ان خديجة افضل لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم
قال لعائشة حين قالت قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت
بي حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسئل ابن داود فقال عائشة

اقرأها السلام النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل وخديجة اقرأها السلام جبريل من ربها
فهي افضل على نساء محمد فقيل له اي افضل فاطمة ام امها قال فاطمة بضعة النبي صلى الله
عليه وسلم فلا نعدل بها احدا وسئل السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت
محمد افضل ثم امها خديجة ثم عائشة ثم استدل لذلك وعن ابن العماد ان خديجة افضل من
فاطمة باعتبار الامومية لا السيادة والله اعلم متفق عليه وفي رواية الجامع لتقديم اسمه
علي مريم وزيادة وان فضل عائشة الخ رواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وذكر
حديث انس يا خير البرية اي قال اعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك ابراهيم
وحديث ابي هريرة اي الناس اكرم تمامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكرمهم عند
الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل
الله الحديث قال شارح اي اذا لم تسألوني عن هذا فاكرم الناس في زمانه يوسف قلت او
في النسب والحسب كما يدل عليه تعداد ابائه واجداده وحديث ابن عمر الكريم ابن الكريم
تمامه ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم في باب المفاخرة
والعصبية

الفصل الثاني

عن ابي رزين قال المؤلف هو لقيط بن عامر
ابن صبرة بفتح اللام وسكون القاف وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة عقيلي
صحابي مشهور عداده في الطائف روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما قال قلت يا
رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه لاشك ان المكان مع الزمان من جملة خلقه
معدودات فلولا التأويل بحسب الامكان لاول السؤال واخره بينهما رضا لنوساكي
بيان كشف المعنى من الشراح الاعيان قال كان في عماء بفتح العين ممدود اي في غيب هوية
الذات بلا ظهور مظاهر الصفات كما عبر عنه بقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لاعرف وفي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة اليه
ودلالة عليه على تفسير حبر الامة اي ليعرفون قال الشيخ علي والرواية في كتابه العروة
فاثبت تجلي الذات اولا بقوله كنت كنزا مخفيا ثم تجليه بالصفة الاحدية بقوله احببت
ان اعرف ثانيا ثم تجليه بالصفة الواحدية بقوله فخلقت الخلق لاعرف ثالثا وفي
اصطلاحات الصوفية للكاشي العماء هي الحضرة الاحدية عندنا لانه لا يعرفها احد
غيره فهو في حجاب الجلال اقول ولعله اراد بالاحدية احدية الجمع فانها بين غيب المغيب
وبين احدية الصرفية او المراد بالاحدية الاحدية الصرفية فانها بين احدية الجمع
وبين الواحدية وهذه البينونة بالنسبة الى العلو والسفل وهذا القول هو الصحيح
لان العماء في اللغة غيم رقيق يحول بين السماء والارض وكذلك الاحدية الصرفة حايلة بين
سماء الذات وارض الكثرة الاسمائية ثم قال وقيل هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ
الاسماء والصفات لان العماء هو الغيم الرقيق والغيم هو الحائل بين السماء والارض وهذه الحضرة
الواحدية هي الحائلة بين سماء الاحدية الصرفية وبين ارض الكثرة الخلقية وقد جعل

العارف الجامي شرحا على هذا الحديث الشريف فان كنت تريد التحقيق فعليك بذلك التصنيف
فقد علم كل اناس مشربهم ويتبع كل فريق مذهبهم هذا وفي الفائق العماء هو السحاب الرقيق
وقيل السحاب الكثيف المطبق وقيل شبه الدخان يركب رؤوس الجبال وعن الحرميين الضباب وفي
النهاية العماء بالفتح والمد السحاب وفي القاموس هو السحاب المرتفع والكثيف والمطر الرقيق
او الاسود او الابيض او هو الذي هراق ماءه ولا شك ان احدا من هذه المعاني لا يناسب
المقام المتبادر الا ان يقال ان السحاب كناية عن حجاب الجلال وهو عبارة عن حجاب الذات
الباقي على سر الصفات المتعلقة بالعلويات والسفليات ولذا قال ابو عبيد لا يدري
احد من العلماء كيف كان ذلك العماء وفي رواية عمى بالقصر وهو ذهاب البصر فقيل هو كل
امر لا تدركه عقول بني ادم ولا يبلغ كنهه الوصف ولا يدركه الفطن قال الازهري نحن
نؤمن به ولا نكيفه بصفة اي نجري اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل مع التنزيه عن
ما لا يجوز عليه من الحدوث والتغير ما تحته هواء وما فوقه هواء ما نافية فيهما
وفيه اشارة الى ما سبق كان الله ولم يكن معه شيء قال القاضي المراد بالعماء ما لا يقبله
الاوهام ولا يدركه العقول والافهام عبر عن عدم المكان بما لا يدرك ولا يتوهم وعن
عدم ما يحويه ويحيط به بالهواء فانه يطلق ويراد به الخلاء الذي هو عبارة عن عدم
الجسم ليكون اقرب الى فهم السامع ويدل عليه ان السؤال كان عما خلق قبل ان يخلق
خلقه فلو كان العماء امرا موجودا لكان مخلوقا اذ ما من شيء سواه الا وهو مخلوق خلقه وابدعه
فلم يكن الجواب طبق السؤال والله اعلم بالحال وقيل في الكلام حذف مضاف كما في قوله
تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه فيكون التقدير اين كان عرش ربنا ويدل
عليه قوله وخلق عرشه على الماء المطابق لقوله سبحانه وكان عرشه على الماء لانه لو لم
يكن السؤال عن العرش لما كان حاجة للتعرض اليه وقال الطيبي لم يفتقر الى التقدير
ولا بد لقوله في عماء بالمد من التأويل حتى يوافق الرواية الاخرى عمى مقصورا وما ورد في الصحاح
عن عمران بن حصين كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وذلك ان قوله ما تحته
هواء وما فوقه هواء جاء تتميما وصونا لما يفهم من قوله في عماء من المكان فان الغمام المتعارف
محال ان يوجد بغير هواء فهو نظير قوله كلتا يديه يمين على ما سبق فالجواب من الاسلوب
الحكيم سئل عن المكان فاجاب عن اللامكان يعني ان كان هذا امكانا فهو في مكان وهو
ارشاد له في غاية من اللطف رواه الترمذي وقال قال يزيد بن هارون وهو احد مشايخ
شيوخ الترمذي من رواة هذا الحديث العماء اي يعني معناه ليس معه شيء وفيه
ايماء الى كلام العارفين في هذا الشأن كان الله ولم يكن معه شيء والان على ما هو عليه كان
واشارة الى قوله تعالى كل من عليها فان وعن العباس بن عبد المطلب زعم اي نقل
انه اي العباس كان جالسا في البطحاء اي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق مقبرة
المعلاة وقد تطلق على مكة واصل البطحاء على ما في القاموس مسيل واسع فيه دقاق الحصى

في عصابة بكسر اوله اي مع جماعة من كفار مكة قال الطيبي استعمال زعم ونسبة الي عباس
رمز الي انه لم يكن حينئذ مسلما ولا تلك العصابة كانوا مسلمين يدل عليه قوله في البطحا
قلت وكان وجه دلالته عليه انه كان غالبا مجتمع الكفار ومجمع رايهم في تلك الدار
ومن جملة ما اتفق مشايخ العرب في ذلك المكان انهم يجرون بني هاشم ولا بنيا يعونهم ولا
يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد صلى الله عليه وسلم وحمايته
كما هو في السير معروف ولذا لما حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع نزل به عند نزوله
من منى اشارة الى ما من الله عليه بالغلبة على اعداء الدين وايما الى اعلاء كلمة الدين
هذا وحديث ابي هريرة في الفصل الثالث مما يدل صريحا ان تلك العصابة كانوا مسلمين وما فيه
تكثير سيتعمل بمعنى القول المحقق والله اعلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيهم
اي حينئذ وهذا يحتمل ان يكون قبل القضية المذكورة او بعد القصة المسطورة بعد
ما وقع فيما بينهم من الهدنة فمرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تسمون هذه ما استفهامية بمعنى التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمقصود التنبيه
ضد الانكار اي اي شيء تسمون هذه اشارة الى السحابة وهي مفعول ثان تسمون والاول لفظه
قالوا السحاب بالنصب اي نسميه السحاب ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف اي هي السحاب
والمعنى ان هذه واحدة من جملة جنس السحاب قال والمزن اي وتسمونها ايضا المزن قالوا
والمزن اي نسميها ايضا في النهاية هو الغيم والسحاب واحدته مزنة وقيل هي السحابة البيضاء
زاد البيضاوي وماؤه ابيض ومنه قوله تعالى انتم انزلتموه من المزن قال والعنان قالوا والعنان
كسحاب زنة ومعنى من عن اي ظهر وفي النهاية الواحدة عنانة وقيل ما عن لك فيها اي اعترض
وبدا لك اذا رفعت راسك وحاصله انه صلى الله عليه وسلم لما لاطفهم في الكلام وبين
لهم معرفته بلغاتهم المختلفة في مقام المرام تدريجا بالانتقال من معلومهم الى مجهولهم
وترقيا من الخلق الى الحق قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض اي مقدار بعد مسافة
ما بينهما قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان او ثلاث وسبعون سنة
الشك من الراوي كذا قيل وللتنويع لاختلاف اماكن الصاعد والهاوي وبه يظهر صحة
ما قال الطيبي والمراد بالسبعون في الحديث التكثير لا التحديد لما ورد ان بين السماء والارض
وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام اي سنة والتكثير هنا ابلغ والمقام له ادعى والعلم بالغيب
ويكون النصب التي فوقها اي فوق سماء الدنيا كذلك اي في البعد حتى عد سبع سموات اي على
هذه الهيئات ثم فوق السماء السابعة بحر اي عظيم بين اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء
ثم فوق ذلك اي البحر ثمانية اوعال جمع وعل وهو العنز الوحشي ويقال له تيس شاة الجبل
بين اظلافهن جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة للبقر والشاة والظبي بمنزلة الحافر للدابة
والخف للبعير وركبهن بفتح فكسر اي ما فوق افخاذهن مثل ما بين سماء الى سماء قيل المراد بهن
الملائكة على اشكال اوعال ويلائمه قوله ثم على ظهورهن العرش اي محمول كما قال تعالى الذين يحملون

العرش

العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم بين اسفله اي العرش واعلاه ما بين سماء الى سماء اي من كثرة البعد
وقطع النظر عن الحد والا فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة في فلاة على ما ورد به في حديث
ثم الله اي وسعة علمه او اتساع قدرته في ملكه فوق ذلك قال الطيبي اراد صلى الله عليه وسلم
ان يخرجهم عن السفليات الى العلويات والتفكر في ملكوت السموات والعرش ثم يترقوا الى معرفة
الله وحده ويرفعهم ويستنكفوا عن عبادة الاصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام فاخذ في
الترقي من السحاب ثم من السموات ثم من البحر ثم من الاوعال ثم من العرش الى ذي العرش والفوقية
بحسب العظمة لا المكان فالمعنى انه على الشان عظيم البرهان وقال شارح اي فوق العرش حكما
وعظمة واستيلاء رواه الترمذي وابو داود وعن جبير بن مطعم قال اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي جاءه اعرابي اي بدوي فقال جهدت الانفس بصيغة المجهول من الجهد بفتح
الجيم المشقة وبضمها الطاقة والمعنى حملت فوق طاقتها وجاع العيال عيال الرجل بالكسر
من يعوله ويمونه وينفق عليه من الزوجة والاولاد والعبيد وغير ذلك ونهكت بضم النون
وكسر الهاء اي نقصت الاموال اي التي تنمو من الامطار وهلكت الانعام وهو جمع نعم بحركة
الابل والبقر والغنم كما اخبر الله عنها بقوله ثمانية ازواج فاستسق الله لنا اي فاطلب
من الله السقي لنا بالمطر من اجل معاشنا الذي هو زاد معادنا فانا نستشفع اي نطلب الشفاعة
بك اي بوجودك وحرمتك ونتقرب الى الله ونستشفع بالله اي نستجير ونستغيث به عليك
اي ان تشفع لنا عنده بان يوفقك على مساعدتنا لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهما للتساوي
في القدر او للتشارك في الامر والحال ان الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا وقال تعالى ليس لك من
الامر شيء وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى انكر النبي عليه
واستعظم الامر لديه وتعجب من هذه النسبة اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله
اي تنزيها له عن المشاركة سبحان الله كرره تاكيدا او ذكر الثاني تعجبا فما زال يسبح حتى عرف ذلك
بصيغة المجهول اي حتى تبين اثر ذلك التغير في وجوه اصحابه لانهم فهموا من تكرر تسبيحه انه صلى
الله عليه وسلم غضب من ذلك فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى فلما اثر منهم
كون زوالهم وقطع التسبيح والتفت اليهم ثم قال ويحك بمعنى ويلك الا ان الاول فيه معنى
الشفقة المزلة والمزلقة والثاني دعا عليه بالهلاكة والعقوبة والمعنى اعلم ايها المتكلم
الجاهل في كلامه الغافل عن مرامه انه اي الشان لا يستشفع بصيغة المجهول بالله على احد شان الله
بينا فتعليل اي لان شانه العلي وبرهانه الجلي اعظم من ذلك اي من ان يستشفع به على احد
قال الطيبي يقال استشفعت بفلان على فلان ليشفع لي اليه وشفعه اجاب شفاعته ولما قيل
ان الشفاعة هي الانضمام الى اخر ناصرا له وسائلا عنه الى ذي سلطان عظيم منع صلى الله
عليه وسلم ان يشفع بالله على احد وقوله ذلك اشارة الى انه هيبته وخوف استشعر من قوله سبحان الله
تنزيها عما نسب الى الله تعالى من الاستشفاع به على احد وتكراره مرارا ويحك كرره تاكيدا للزجر
وتنبيها لامره اتدري ما الله اي عظمته التي يدل عليها ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته

ان عرشه على سمواته اي محيط بها من جميع جهاتها هكذا بفتح اللام الابتدائية دخلت على خبر ان
تاكيد للحكم وقال بأصابعه اي اشار بها فعلا بيانا للمشار اليه قولا مثل القبة عليها اي على العرش
اي مماثلا لها تأتي ما في جوفها قال الطيبي هو حال من المشار به وفي قال معنى الاشارة اي اشار بأصابعه
الى مشابهة هذه الهيئة وهي الهيئة الحاصلة للاصابع الموضوعة على الكف مثل حالة
الاشارة وانه اي العرش مع ما وصف به من المجد والكرم والسعة والعظم ليئط بكسر الهمزة وتشديد الطاء
اي ليتضايق ويعجز عن القيام به اي بحق معرفته وعن سعة علمه واحاطة عظمته حيث
لا يدركه ويدرك بعد ما يركبه من احدية جلاله وهيبته اطيط الرحل بالراكب اي لعجز الرحل بالراكب
انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله قال الخطابي هذا الكلام اذا اجري على ظاهره كان فيه
نوع من الكيفية والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية فعلم انه ليس المراد منه تحقيق
هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة وانما هو كلام تقريب اريد به تقرير عظمة الله
تعالى في النفوس وافهام السائل من حيث يدركه فهمه اذ كان اعرابيا جافيا لا علم له بمعاني ما دق
من الكلام وقد يهذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله في نفس السائل وان من يكون
كذلك لا يجعل شفيعا الى من هو دونه اقول ويمكن ان معنى يئط يصوت بالتسبيح والتنزيه
من عظمة الله وانه حيث تحير العرش من معرفة ذاته وصفاته كصوت الرحل الجديد بالراكب
الثقيل الشديد والله اعلم بالقول السديد رواه ابو داود وعن جابر بن عبد الله عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك اي عن وصف ملك عظيم من ملائكة الله
المعظمين لقوله من حملة العرش فانهم اقوى من غيرهم لان المطايا على قدر العطايا ان بفتح الهمز
ويكسر ما بين شحمة اذنيه الى عاتقه ورواية الجامع بصيغة الافراد فيهما مسيرة سبعمائة عام
يعني فقس الباقي على هذا النظام رواه ابو داود وكذا الضياء وعن زرارة بن ابي اوفى بضم الزاي
قال المؤلف له صحبة مات في زمن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل
هل رأيت ربك فانتفض جبريل اي ارتعد ارتعادا شديدا من عظمة ذلك السؤال ومن هيبته
ما سمع من المقال قيل فيه دليل على حقيقة رؤية الله تعالى في دار البقاء لانه لو كانت مستحيلة
ما سأل النبي صلى الله عليه وسلم لكن اختلف في ان الملائكة يرون الله تعالى ام لا ثم لما كان الرؤية غالبا
تنبئ عن القربة فارتعد جبريل من الهيبة وقال يا محمد ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور
قال شارح وهو عبارة عن كمال الله ونقصان جبريل والحجاب من طرف جبريل انتهى والمعنى ان
المحجوب هو صفة المخلوق الموصوف بنعت النقصان واما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف
الكمال فلا يحجبه شيء ولو من انوار الجمال لو دنوت اي قربت قدر الانملة كما في رواية من بعضها اي من
بعض جميع تلك الحجب النورانية على فرض المحال والا فما منا الا له مقام معلوم لاحترقت
اي من تأثير ذلك النور الذي يغلب النار في الظهور فان النار يقول جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي
فكيف بنور ربي وهو حسبي هكذا اي لفظ الحديث في المصابيح اي عن زرارة ورواه ابو نعيم
في الحلية عن انس الا انه اي انسا لم يذكر فانتفض جبريل وفي الجامع برواية الطبراني في الاوسط

عن انس

عن النبي هل ترى ربك قال ان بيني وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت ادناها لاحترقت وعن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق اسرافيل منذ يوم خلقه بفتح
الميم على الاضافة وفي نسخة بالجر منونا صافا بتشديد الفاء اي حال كون اسرافيل واقفا قدميه
مفعول صافا والعامل منذ بضم الميم ويكسر وهو مبني على الضم ويليه اسم مجرور وهو حرف جر
بمعنى من في الماضي وبمعنى في في الحاضر وقال المظهر منذ ههنا حرف جر وهو بمعنى في وقال
الطيبي صافا حال من اسرافيل لا من ضميره المنصوب ومنذ يوم ظرف لصافا وليس بمعنى
في وقال الدارحديثي اتفقوا ان مذ ومنذ انما يدخلان على اسماء الزمان قالوا ان اريد ابتداء
الزمان الماضي الذي انتهاؤه انت فيه يكون للابتداء كقولك ما رأيته مذ يومين او مذ سنة
كذا اي انتفى الرؤية من ابتداء يومين انا في آخرهما وليسا بمعنى في وان قال به بعض لان
المفهوم منهما نفي الرؤية في مدة معينة انت في آخرها فمقصوده انه ابتداؤها وانتهاؤها
والمعنى ان الله تعالى لما خلق اسرافيل صافا قدميه من اول مدة خلقه لا يرفع بصره
الى السماء فوقه ادبا او لا يرفع نظره عن اللوح المحفوظ خوفا بينه وبين الرب تبارك
وتعالى سبعون نورا اي من انوار الحجاب واستار العتاب واستار النقاب حتى لا يعرفه
غيره قال تعالى ولا يحيطون به علما ما منها اي ليس من السبعين من نور يدنو اي يقرب منه
اسرافيل فرضا الا احترق اي من ذلك النور الذي فوق طاقة نظر اسرافيل رواه الترمذي
وصححه وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم وذريته اي يوم الميثاق
وبعده قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون بكسر الكاف اي يطأون او
يتزوجون ويركبون اي على الدواب في البر وعلى السفن في البحر فاجعل لهم الدنيا اي بطريق
الدوام والبقاء واجعل لهم الدنيا فقط ولنا الآخرة اي نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة
في الدنيا تعادلا بيننا قال الله تعالى لا اجعل من خلقته بيدي بصيغة التثنية وروي
بالافراد قال الطيبي قوله لا اجعل يحتمل ان يكون نفيا لاجعل وان يكون كلمة لا ردا لقولهم
ثم يبتدئ بالجملة الاستئنافية انكارا عليهم وهو ابلغ يعني اكثر مبالغة او بلاغة
فانه يدل على نفي تكرار وان كان الاول هو الاظهر فتدبر والمعنى لا اجعل ما فيه من خلقته
بيدي واسطة على سبيل التدريج مركبا من معجون الكمال المشتملة على قابلية الهداية
والضلال واستعداد مظهر ذات الجمال والجلال ونفخت فيه من روحي اي بعد تربيته بكمال
تسويته وتصويره تشريفا تكريما تشريفا له وتعظيما كمن قلت له كن اي بالخلق الآني فكان اي
من غير التواني قال الطيبي اي لا يستوي في الكرامة من خلقته بنفسي ولا وكلت خلقته
الى احد ونفخت فيه من روحي وهو آدم واولاده مع من يكون بمجرد الامر بقولي كن وهو الملك
واضافة الروح الى نفسه اضافة تشريف كقوله بيت الله وقال ابن الملك اي لا يستوي البشر
والملك في الكرامة والقربة بل كرامة البشر اكثر ومنزلته اعلى وهذا من جملة ما يستدل
به اهل السنة في تفضيل البشر على الملك اقول ووجهه والله اعلم ان الملك خلق معصوما

تصار عن الجحيم ممنوعا وعن النعيم محروما والبشر خلق ممنوحا بالطاعة والمعصية ومبلو
بالعطية والبلية فمن قام بحقهما استحق الثواب في الدارين ومن اعرض عنهما استوجب
العذاب في الكونين رواه البيهقي في شعب الايمان الفصل الثاني عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن اي الكامل من الانبيا والاوليا اكرم على
الله من بعض ملائكته وهم خواصهم او عوامهم من اهل الاصطفا وقال الطيبي يراد بالمومن
عوامهم وببعض الملائكة ايضا عوامهم قال محيي السنة في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم
الاولى ان يقال عوام المومنين افضل من عوام الملائكة قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك هم خير البرية ويستدل به اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملائكة انتهى
ولا يخفى ان المراد بخواص المومنين الرسل والانبيا وبخواص الملائكة نحو جبريل وميكائيل
واسرافيل وبعوام المومنين الكمل من الاوليا كالخلفا وساير العلما وبعوام الملائكة باقيهم
وهذا التفصيل اولى من اجمال بعضهم في قوله تعالى ان البشر افضل من الملك بمعنى ان
هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل او لا كمل افضل من هذا الجنس لعدم وجودهم
فيهم فتامل رواه ابن ماجة قلت حديث المومن اعظم حرمة من الكعبة في ابن ماجة
بسنديه عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال ونظر الى الكعبة لحرمة المومن اعظم
عند الله حرمة منك وهو بعض حديث طويل وعنه اي عن ابي هريرة قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيدي اشارة الى كمال قربه ودلالة على تمام حفظه ولفا
في احدى يدي ايما الى تعدد اعداد الخمسة مع قطع النظر عن خلق ادم بعد الجمعة فانه
بمنزلة العلة الغائية والفذلكة الايمانية فقال خلق الله التربة اي التراب
وهو الارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب وخلق فيها الجبال يوم الاحد
وهذا معنى قوله تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له
اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه اي جنسه يوم الثلاثا بالمد قال عز وجل وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام اي في تتمة الاربعة وخلق النور بالراء وفي نسخة بالنون في اخره قال
الاكمل هو بالراء كالمسلم ولغيره بالنون وهو الحوت ويجوز خلقها في الاربعا والنور
هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره انتهى والظاهر ان المراد بالنور هو نفسه وما به
ظهوره فيناسب قوله تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها
وزينا السما الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم يوم الاربعا بفتح الهمزة
وكسر الموحدة ممدودا وفي القاموس مثلثة البا ممدودة واعلم ان لفظ النور كذا
في النسخ المصححة والاصول المعتمدة وبث فيها الدواب اي وفرقها في الارض بعد خلق
اصولها يوم الخميس وهو لا ينافي ما سبق من ان فقضاهن سبع سموات وخلقهن في يومين وخلق

ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق اي لكونه الفذلكة الايمانية وبمنزلة
العلة الغائية واخر ساعة من النهار اي وفي اخر ساعة من نهار الجمعة فيما بين العصر
الى الليل وهي الساعة المرجوة للاجابة في يوم الجمعة عند جماعة من الائمة رواه مسلم وكذا
احمد في مسنده مرفوعا لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه هو ان هذا الحديث من غرائب
صحيح مسلم وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الاحبار وان ابا هريرة
انما سمعه من كعب وانما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا والله اعلم وعنه اي عن
ابي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اي معه جلوس اذ اتى اي مر عليهم
سحاب وفي نسخة سحابة فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا اي السحاب قالوا
الله ورسوله اعلم قال هذه اي السحابة والتعبير بالتانيث للوحدة وبالتذكير للجنس من باب
التفنن العنان بفتح العين من عن اي ظهر كما سبق هذه روايا الارض قيل التقدير
بهذه وهو غير ظاهر ففي النهاية سمى السحاب روايا البلاد والروايا من الابل الحوامل للماء
واحدتها راوية فشبهها بها وبه سميت المزادة راوية وقيل بالعكس يسوقها الله اي يجريها
ويامر بسوقها الى قوم لا يشكرونه اي بل يكفرونه حيث ينسبون المطر الى اقترانات النجوم واقترانها
وغروبها وطلوعها ويقولون مطرنا بنوء كذا ولا يدعونه اي لا يذكرون الله ولا يطلبون منه
ولا يعبدونه بل يعبدون الاصنام وهو بعميم كرمه يرزقهم ويغيثهم كثيرا للانام
وباقي الانعام ثم قال تدرون ما فوقكم اي من السما قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع
وهو اسم لسما الدنيا وقيل لكل سما والجمع ارقعة سقف محفوظ وموج مكفوف اي ممنوع من الاسترسال
والمعنى ان الله تعالى حفظها عن السقوط على الارض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف ثم قال هل
تدرون ما بينكم وبينها اي مقدار ما بين الارض والسما قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم
وبينها خمسمائة عام اي مسيرتها ومسافتها ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك اي المحسوس والمذكور
من سما الدنيا قالوا الله ورسوله اعلم قال سماءان اي سما بعد سما بعد ما بينهما خمسمائة
سنة ثم قال كذلكم اي سماءان مرتين اخريين حتى عد سبع سموات اي الى ان عد السبع ما بين
ما بين كل سماءين ما بين السما والارض اي كما بينهما من خمسمائة عام ففيه نوع تفنن في
العبارة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك اي المذكور قالوا الله ورسوله اعلم قال ان فوق ذلك
بالنصب على انه ظرف وقع خبرا مقدما لان قوله العرش بالنصب على انه اسم له وبينه
وبين السما اي السابعة بعد ما بين السماءين اي من السموات السبع ثم قال هل تدرون
ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال انها الارض اي العليا ثم قال هل تدرون ما
تحت ذلك اي المشار اليه قالوا الله ورسوله اعلم قال ان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة
خمسمائة سنة اي وهكذا ذكر ارضا بعد اخرى حتى عد سبع ارضين بفتح الراء ويسكن بين
كل ارضين بالتثنية اي بين كل ارضين منها مسيرة خمسمائة سنة قال والذي نفس محمد
بيده لو انكم دليتم بتشديد اللام المفتوحة من ادليت الدلو دليتها اذا ارسلتها البير

ومنه قوله تعالى فادلى دلوه على التجريد او للتاكيد والمعنى لو ارسلتم بحبل الى الارض السفلى لهبط بفتح الموحدة اي لنزل على الله اي على علمه وملكه كما صرح به الترمذي في كلامه الاتي والمعنى انه تعالى محيط بعلمه وقدرته على سفليات ملكه كما في علويات ملكوته دفعا لما عسى يختلج في وهم من لا فهم له ان له اختصاصا بالعلو دون التسفل ولهذا قيل كان معراج يونس عليه الصلاة والسلام في بطن الحوت كما ان معراج نبينا صلى الله عليه وسلم كان في ظهر السما فالقرب بالنسبة في حد الاستوا كما اخبر عن قربه لكل من العبيد بقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وانما يتفاوت القرب المعنوي بالنسبة الى الذين ومنه قرب الفرايض وقرب النوافل كما هو مقرر في محله ثم قرا اي النبي صلى الله عليه وسلم استشهادا او ابو هريرة اعتضادا هو الاول اي القديم الذي ليس لذاته ابتداء والاخر اي الباقي الذي ليس له انتها والظاهر اي بالصفات والباطن اي بالذات وهو بكل شي اي من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات عليم اي بالغ في كمال العلم به محيط علمه بجوانبه رواه احمد والترمذي وقال الترمذي قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية اي المذكورة تدل على انه اراد بهبط على علم الله وقدرته وسلطانه قال الطيبي اما علمه تعالى فهو من قوله وهو بكل شي عليم واما قدرته فمن قوله هو الاول والاخر اي هو الاول الذي يبدي كل شي ويخرجهم من العدم الى الوجود والاخر الذي يفني كل شي كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام واما سلطانه فمن قوله والظاهر والباطن قال الازهري يقال ظهرت على فلان اذا غلبته والمعنى هو الغالب الذي يغلب ولا يغلب ويتصرف في المكونات على سبيل الغلبة والاستيلا اذ ليس فوقه احد يمنعه والباطن هو الذي لا ملجا ولا منجا دونه ثم قال الترمذي وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان اي يستوي فيه العلويات والسفليات وما بينهما كما ان هذه الصفات موجودة في كل زمان بل قبل ان يخلق الزمان والمكان وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه قال الطيبي الكاف في كما منصوب على المصدر اي هو مستو على العرش استوا مثل ما وصف به نفسه في كتابه وهو مستاثر بعلمه باستوايه عليه وفي قول الترمذي اشعار الى انه لا بد لقوله لهبط على الله من هذا التاويل المذكور ولقوله على العرش استوى من تفويض علمه الى الله تعالى والامساك عن تاويله كما سبق انتهى اقتضا من خلاف الظاهر يحتاج الى التاويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه وعنه اي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان طول ادم ستين ذراعا في سبع اذرع عرضا قال الحافظ ابن حجر يحتمل ان يريد بقدر ذراع نفسه وان يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين والاول اظهر لان ذراع كل احد بقدر مرفقه فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة في جنب طول جسده والله اعلم اقول في القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد تذكر فيهما جمع اذرع

اي

اي بفتح الهمزة وضم الراء وقد تقدم في حديث المتفق عليه ان الله تعالى خلق ادم وطوله ستون ذراعا فالاولى ان يقال المراد بالذراع طولا هو المتعارف المتبادر الى الفهم الذي يحصل به العلم والمراد به عرض ذراعه باعتبار ربعه وبه يحصل الجمع ويرتفع الدور الذي هو في مرتبة المنع وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي الانبيا اي اي فرد منهم كان اول بالنصب اي اسبق قال ادم بالرفع على تقدير هو قلت يا رسول الله ونبي كان قال الطيبي لا بد فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما قال اولا اي الانبيا واجيب بقوله ادم اي او هو نبي كان قال نعم نبي ذكر نبي بتعظيم قوله نعم ليبسط به قوله مكلم اي لم يكن نبيا فقط اي بل كان نبيا مكلما انزل عليه الصحف قلت يا رسول الله كم المرسلون الكتابي في قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والفرق بينهما ان الرسول من الانبيا من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله انتهى والمشهور في الفرق بينهما ان الرسول من امر بالتبليغ والنبي اعم والله اعلم قال ثلثماية وبضعة عشر لبهم العدد اشعارا بعدم الجزم كيلا يزيد او ينقص في الحد جما غفيرا اي جمعا كثيرا وفي النهاية اي مجتمعين كثيرين واصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والاحاطة ولم يقل العرب الجاء الا موصوفة وهو منصوب على المصدر كطرا وقاطبة فانهما اسما وضعت موضع المصدر وفي رواية عن ابي امامة الظاهر ان المراد ليس ابا امامة الباهلي فانه صحابي جليل بل هو ابو امامة سهل بن حنيف الانصاري الاوسي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين ولم يسمع منه شيا لصغره ولذلك قد ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة واثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة ثم قال وهو احد الاجلة من العلما من كبار التابعين بالمدينة سمع اباه وابا سعيد وغيرهما روى عنه نفر مات سنة ماية وله اثنان وتسعون سنة كذا ذكره المولف قال ابو ذر قلت يا رسول الله كم وفا عدة الانبيا اي كم كمال عددهم قال ماية الف واربعة وعشرون الفا الرسل من ذلك ثلثماية وخمسة عشر جما غفيرا العدد في هذا الحديث وان كان مجزوما به لكنه ليس بمقطوع فيجب الايمان بالانبيا والرسل مجملا من غير حصر في عدد لئلا يخرج احد منهم ولا يدخل من احد من غيرهم فيهم وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى استيناف فيه معنى التعليل والمعنى لانه سبحانه اخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح اي لعدم تاثير الخبر فيه تاثيرا يؤدي اباعثا على الغضب الموجب للالقا فلما عاين ما صنعوا القى الالواح اي غضبا لله على قومه لمخالفة دينه فانكسرت اي الالواح من شدة القايه الدالة على كثرة غضبه ثم في القايها ايما بانها انما تنفع لاهل الايمان فاذا اخذوا الكفر والطغيان لم يبق فايدة في ابقايها لكن الظاهر انه ما فات شي منهم من كسرها قال الطيبي قوله ان الله الى اخره

استشهاد وتقريره لمعنى قوله ليس الخبر كالمعاينة فانه تعالى لما قال قد انا فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري عنده نزول الالواح لتوراة عليه لم يلق الالواح فلما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ براس اخيه
يجره اليه روى الاحاديث الثلاثة احمد ووافقه الطبراني في الاوسط والحاكم في مستدركه
عن ابن عباس وروى الطبراني صدر الحديث فقط وهو قوله ليس الخبر كالمعاينة عن انس وكذا
الخطيب عن ابي هريرة باب

فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه

اعلم ان تفصيل فضائله وتحصيل شمائله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى
بل ولا يمكن ان يعد ويستقصى وانما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب نبذة من شمائله وثلة
من فضائله تدل على بقية خصائله الفصل الاول عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثت اي ولدت من خير قرون بني ادم اعلم ان معنى الخيرية في هذا
الحديث والاصطفائية في الذي يليه المذكورتان في حق القبائل ليس باعتبار الديانة
بل باعتبار الخصائل الحميدة والشمائل السعيدة قرنا فقرنا قيل انه حال للتفضيل والفاء
فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق الى القرن اللاحق ويدل عليه قوله
حتى كنت اي صرت من القرن الذي كنت فيه اي وجدت والقرن من الناس اهل زمان واحد
وقد قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وفي شرح السنة القرن كل طبقة مقترنين
في وقت قيل سمي قرنا لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم وهو مصدر قرنت اي وصلت وجعل
اسما للوقت او لاهله وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وقيل مائة انتهى والقول
الاول هو المراد هنا فالمعنى بعثت من خير من طبقات بني ادم كائنين طبقة بعد طبقة حتى
كنت من القرن الذي انا فيه ففيه تفضيله على غيره من بني ادم وعلى تفضيل امته على
سائر الامم قال الطيبي قوله حتى كنت غاية قوله بعثت والمراد بالبعث تقلبه في اصلاب
الاباء ابا فابا قرنا فقرنا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه يعني انتقلت اولا من صلب
ولد اسماعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بني هاشم فالفاء في قوله قرنا فقرنا للترتيب
على سبيل الترقي من الاباء الابعد الى الاقرب فالاقرب كما في قولك خذ الافضل فالافضل كل واعمل
الاحسن والاجمل وفي معناه انشد ابن الرومي كم من اب قد علا بابن ذي شرف كما علا برسول الله
عدنان وفي قولنا حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه شبيهة لما روى الامام ابن الجوزي في كتاب
الوفا عن كعب الاحبار قال لما اراد الله عز وجل ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم امر جبريل عليه
السلام فاتاه بالقبضة البيضاء التي هي موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء
التسنيم فغمست في انهار الجنة وطيف بها في السموات والارض فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه
وسلم قبل ان يعرف ادم ثم كان نور محمد يرى في غرة جبهة ادم وقيل له يا ادم هذا سيد ولدك
من المرسلين فلما حملت حواء بشيث انتقل النور من ادم الى حواء وكانت تلد في كل بطن ولدين

ولدين

ولدين الا شيثا فانه ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل ينتقل من طاهر الى
طاهر الى ان ولدته امنة من عبد الله بن عبد المطلب انتهى وقد ذكرت مجملا من احوال ولادته
صلى الله عليه وسلم في رسالة سميتها بالمورد في المولد رواه البخاري وعن واثلة بن الاسقع قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة بكسر الكاف ابن خزيمة ابو
قبيلة كذا في القاموس من ولد اسماعيل بفتح الواو واللام وبالضم والسكون اي من اولاده
واصطفى قريشا من كنانة وهم اولاد نضر بن كنانة كانوا تفرقوا في البلاد فجمعهم قصي بن
كلاب في مكة فسموا قريشا لانه قرشهم اي جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون
قريشا لانهم لم يقرشوا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم في شرح السنة
هو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
ابن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان انتهى وقد ضبطت الاسما
المذكورة في رسالتي المسماة المسطورة رواه مسلم وكذا الترمذي على ما في الجامع وفي
رواية الترمذي اي واثلة ايضا ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد
اسماعيل كنانة وتمام الحديث على ما في الجامع وفي رواية الترمذي اي واثلة ايضا واصطفى
من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة في شرح مسلم
للنووي قال الهروي السيد هو الذي يفوق قومه في الخير وقال غيره هو الذي يفزع اليه في
النوائب والشدائد فيقوم بامورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم والتقييد بيوم
القيامة مع انه صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة معناه انه يظهر يوم القيامة
سودده بلا منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين وهو
قريب من معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار مع ان الملك له قبل ذلك لكن
كان في الدنيا من يدعي الملك او من يضاف اليه مجازا فانقطع كل ذلك في الاخرة وفي الحديث
دليل على فضله صلى الله عليه وسلم على كل الخلق لان مذهب اهل السنة ان الادمي افضل من الملائكة
وهو صلى الله عليه وسلم افضل الادميين بهذا الحديث وغيره واما الحديث الاخر لا تفضلوا
بين الانبياء فجوابه من خمسة اوجه احدها انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل ان يعلم انه
سيد ولد ادم والثاني قاله ادبا وتواضعا والثالث ان النهي انما هو عن تفضيل يؤدي الى تنقيص
المفضول والرابع انما نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة والفتنة والخامس ان النهي مختص
بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفاضل في الخصائص وفضائل اخرى ولا بد من
اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد قال ايضا ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض واول من ينشق عنه القبر اي فهو اول من يبعث في قبره وكم
في المحشر كما رواه الترمذي عن انس انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا

وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية
للترمذي والحاكم عن ابن عمر انا اول من ينشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم آتي اهل البقيع
فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة وفي رواية للترمذي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه
الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري واول شافع اي في ذلك المحضر واول مشفع بتشديد الفاء المفتوحة اي اول
من تقبل شفاعته على الاطلاق في انواع الشفاعات وفيه دليل ايضا على انه صلى الله عليه
وسلم افضل المخلوقات واكمل الموجودات رواه مسلم وكذا ابو داود وفي رواية احمد والترمذي
وابن ماجه عن ابي سعيد انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد وما من
نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اكثر الانبيا
تبعا بفتحتين جمع تابع اي اتباعا يوم القيامة لان امته ثلثا اهل الجنة على ما سبق في الحديث
وفيه اشعار بان كثرة الاتباع يوجب افضلية المتبوع فابو حنيفة رحمه الله حظ
عظيم ونصيب جسيم من ذلك فان غالب اهل الاسلام من اتباعه في فروع الاحكام وكذلك
الامام عاصم من بين قراء الانام وانا اول من يقرع باب الجنة اي يدق ويستفتح له فيدخلها
رواه مسلم وروى ابن النجار عن انس ايضا انا اول من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان احسن
من طنين الحلق على تلك المصاريع وعنه اي انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي
اي اجيء باب الجنة يوم القيامة فاستفتح اي اطلب فتحه فيقول الخازن من انت سمي
الموكل لحفظ الجنة خازنا لان الجنة خزانة الله تعالى اعدها الله للمؤمنين وهو حافظها
فاقول محمد اي انا محمد فيقول بك اي بفتح الباب لك قبل غيرك من الانبيا امرت ان لا افتح
لاحد قبلك قال الطيبي بك متعلق بامرت والباء للسببية قدمت للتخصيص والمعنى
بسببك امرت بان لا افتح لغيرك لا بشيء آخر ويجوز ان تكون صلة للفعل وان لا افتح بدلا
من الضمير المجرور اي امرت بان لا افتح لاحد غيرك رواه مسلم وعنه اي عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا اول شفيع في الجنة قال المظهر اي انا اول شافع للعصاة من امتي
في دخول الجنة وقيل اي انا اول شافع في الجنة برفع درجات الناس فيها لم يصدق نبي من
الانبيا ما صدقت ما مصدرية اي لم يصدق نبي تصديقا مثل تصديق امتي اياي لغاية
كثرة مصدقيه قال المظهر وهذا كناية عن انه صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا امة
ويؤيده قوله وان من الانبيا نبيا ما صدقه الا رجل واحد رواه مسلم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي اي صفتي العجيبة الشأن الغريبة البرهان
ومثل الانبيا اي من الاخوان المشتركين في اساس البنيان من التوحيد وتحقيق الايمان
وتدقيق الايقان مما يوجب مرتبة القرب والاحسان كمثل قصر اي بناء مرتفع احسن
بنيانه اي زين بناء اركانه ترك منه اي من القصر موضع لبنة والجملة استئناف

بيان

بيان او حال بتقدير قد او بدونه فطاف به النظار بضم النون وتشديد الظاء المعجمة اي دار
به الحاضرون وتفرج في جوانبه الناظرون يتعجبون من حسن بنيانه اي يستحسنون انواع
اركانه الا موضع تلك اللبنة فانه خارج عن موضع الاستحسان داخل في موضع الاستغراب
في ذلك الشأن فكنت اي فصرت انا ضمير فصل للتاكيد وافادة الحصر على وجه انا سددت
موضع اللبنة اي لكوني خاتم النبيين ختم بي البنيان حال او استئناف بيان والمراد
بالبنيان الدين المشبه بذلك البنيان وختم بي الرسل الظاهر ان المراد هنا بمعنى الانبيا
اما على القول بالترادف او باعتبار التجريد لان الرسول نبي امر بالتبليغ ويدل عليه قوله
في رواية فانا اللبنة وانا خاتم النبيين بكسر التاء وبفتح وفيه ايماء الى ما ورد عنه صلى الله
عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال الطيبي هذا من التشبيه التمثيلي شبه الانبيا
وما بعثوا به من الهدى والعلم وارشادهم الناس الى مكارم الاخلاق بقصر شيد بنيانه
واحسن بناؤه لكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خلله من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل
مع مشاركته اياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان هذا على ان يكون الاستثناء منقطعا
ويجوز ان يكون متصلا من حيث المعنى اذ حاصل المعنى يتعجبون من المواضع الا موضع تلك اللبنة
وليس ذلك المصلح الا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يتمناه اهل الوفا
وقوله انا سددت موضع اللبنة يحتمل ان يكون هو المراد باللبنة لذلك الموضع وان يكون بنفسه
يكون بمنزلة اللبنة ويؤيد هذا الرواية الاخرى من قوله فانا اللبنة متفق عليه
وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبيا من نبي من
الثانية للمبالغة والاولى للتبعيض والمعنى ليس نبي من الانبيا الا قد وفي الجامع الا وقد
اعطي من الآيات اي المعجزات وخوارق العادات ومن بيان لما في قوله ما مثله امن عليه البشر
ما موصولة ومثله مبتدا وامن خبره وعليه يتعلق بامن لتضمنه معنى الاطلاع كانه
قال امن للاطلاع عليه البشر او حال محذوف اي امن البشر واقفا او مطلعا عليه والمفعول
محذوف والمعنى ان كل نبي قد اعطي من المعجزات ما اذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد الى
تصديقه فاذا انقطع زمانه انقطع تلك المعجزة هذا خلاصة بعض الشراح من علمائنا
وقال الطيبي من فيه بيانية ومن الثانية زائدة تزاد بعد النفي وما في مثله موصولة
وقعت مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدا وامن خبره والجملة صلة الموصول
والراجع الى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال اي مغلوبا عليه في التحدي والمباراة
والمراد بالآيات المعجزات وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
اي مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم يعني ليس نبي من الانبيا
الا قد اعطاه الله تعالى من المعجزات بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم
والمعنى اسب كل واحد منهما الآخر فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين اي
جميعهم من خلق الاولين والآخرين والمخلوق عليه مقدر فقال اليهودي والذي

اصطفى موسى على العالمين اي على عالمي زمانه لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه
المشاركة في الاصطفاء على الخلق من بين الانبيا وهو خلاف ما عليه العلماء ولذا انكر عليه
فرفع المسلم يده عند ذلك اي القول الموهم لخلاف الادب فلطم وجه اليهودي اي ضربه بكفه
كفا له وتاديبا فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره وامر
المسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم اي المدعى عليه فسأله عن ذلك اي الامر
فاخبره اي بمطابقة الخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني بضم التاء وتشديد الياء
من التخيير بمعنى الاصطفاء والمعنى لا تجعلوني خير المعنى لا تفضلوني على موسى اي ونحوه
من اصحاب النبوة تفضيلا يؤدي الى ايهام المنقصة او الى تسبب الخصومة فان امر التفضيل
ليس بقطعي على وجه التفصيل فان الناس اي جميعهم يصعقون بفتح العين يوم القيامة
اي عند النفخة الاولى فاصعق معهم من صعق الرجل اذا اصابه فزع فاغمي عليه وربما
مات منه ثم يستعمل في الموت كثيرا لكن هذه الصعقة صعقة فزع قبل البعث لذكر الافاقة
لعدم فاكون اول من يفيق فان الافاقة انما يستعمل في الغشي والبعث في الموت فاذا
موسى باطش قال شارح اي قوي والظاهر ان معناه اخذ بجانب العرش فلا ادري كان اي
الان فيمن صعق فافاق قبلي اي لفضيلة اختص بها او كان فيمن استثنى الله اي في قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله والمعنى
من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذي هو من صفته انه اذا شوهد اضطر الشاهد الى
الايمان به وتحريره ان كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه
فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة كقلب العصا ثعبانا في زمان موسى عليه
السلام واخراج اليد البيضاء لان الغالبة في زمنه السحر فاتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم
الى الايمان وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فاتاهم بما هو اعلى من الطب وهو احياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص وفي زمن رسولنا صلى الله عليه وسلم البلاغة والفصاحة فجاء القران
وابطل الكل انتهى وفيه تامل من جهة قوله ابطل الكل فالصواب ان يقال فجاء القران
معجزته مشتهرة دائمة الى انقراض الزمان بل الى ابد الاباد لما يتلى في درجات الجنان بل
يسمع من كلام الرحمن وهذا معنى قوله وانما كان الذي اوتيت وفي الجامع اوتيته والموصول
صفة لمحذوف اي كان خارق العادة الذي اعطيته بالخصوص وحيا اي كلاما منزلا علي
نزل به الروح الامين اوحى الله الي اي لا غيره فالمراد بالوحي هنا القران الذي هو في نفسه
دعوة وفي نظمه معجزة وهو لا ينقرض صفوته كما ينقرض معجزات غيره قال القاضي وغيره
اي معظم الذي اوتيت وافيده اذا كان له غير ذلك معجزات من جنسها او نبينه والمراد
بالوحي القران البالغ اقصى غاية الاعجاز وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون
له والغائبون عنه والموجودون بعده الى يوم القيامة تعالى السوا ولذلك رتب عليه
قوله فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله اعلم

متفق عليه ورواه احمد وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
اي من الخصائل والفضائل لم يعطهن احد قبلي اي من الانبيا فمن المحال ان يعطى احد بعده نصرت اولها
نصرت اي نصرني ربي على اعدائي بالرعب بضم فسكون وبضمتين اي بخوف العدو مني مسيرة
شهر اي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام او وراء وفي شرح الطيبي الرعب الفزع
والخوف وقد اوقع الله تعالى في قلوب اعداء النبي صلى الله عليه وسلم الخوف منه فاذا كان
بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا في شرح
السنة اراد ان اهل الكتاب لم يبح لهم الصلوة الا في بيعهم وكنائسهم واباح الله عز وجل
لهذه الامة الصلوة حيث كانوا تخفيفا عليهم وتيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام
والمقبرة والمكان النجس وقوله طهورا اراد به التيمم انتهى وفي الحمام والمقبرة تفصيل قدمنا
وقيل معناه انهم كانوا لا يصلون الا فيما تيقنوا طهارته من الارض وخصصنا بجواز
الصلوات في جميع الارض الا فيما تيقنا نجاسته ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله
بقوله فايما رجل اي شخص من امتي ادركته الصلاة اي وجبت عليه ودخل وقتها في اي موضع
فليصل اي في ذلك الموضع بشروط المعتبرة في صحة الصلاة واحلت لي المغانم اي الغنايم وهي
الاموال الماخوذة من الكفار ولم تحل وفي نسخة بصيغة المجهول اي لم تبح الغنايم لاحد قبلي
اي من الانبيا بل غنايمهم توضع فتنزل نار فتحرقها هكذا اطلقه بعض الشراح من علمائنا وقال
ابن الملك اي من قبلنا من الامم اذا غنموا الحيوانات تكون ملكا للغانمين دون الانبيا فخص
نبينا صلى الله عليه وسلم لم ياخذ الخمس والصفي واذا غنموا غيرها جمعوه فتجيء نار فتحرقه
قلت ولعل الحكمة في احراق الغنيمة لتحصل تخليص النية وتزيين الطوية في مرتبة الاخلاص
في الجهاد والله اعلم بالعباد واعطيت الشفاعة اللام فيه للعهد اي الشفاعة العامة للاراحة
من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الاولون والاخرون وكان النبي اللام
فيه للاستغراق اي وكان كل نبي من قبل يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس اي الى اقوام
مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب عامة اي شاملة للعرب والعجم قال الطيبي
التعريف في النبي للاستغراق الجنسي وهو اشمل من الجمع لما تقرر في علم المعاني ان استغراق
المفرد اشمل من استغراق الجمع لان الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه فلا يخرج منه شيء
وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد او اثنان على الخلاف في ان اقل
الجمع اثنان او ثلاثة انتهى وقيل اللام فيه للجنس عند النحويين وللعهد عند الاصوليين
وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن لا للتعيين الذات فتلك الماهية هي النبوة
متفق عليه ورواه النسائي وفي رواية احمد عن علي كرم الله وجهه اعطيت ما لم يعطه احد
من الانبيا قبلي نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت
امتي خير الامم وروى الحارث وابن مردويه عن انس ولفظه عيت ثلاث خصال اعطيت صلوة
في الصفوف واعطيت السلام وهو تحية اهل الجنة واعطيت امين ولم يعطها احد ممن كان قبلكم

الا ان يكون الله اعطاها هارون فان موسى كان يدعو ويؤمن هارون وعن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست قال التوربشتي وفي حديث جابر بخمس وليس هذا
باختلاف تضاد وانما هو اختلاف زمان يوم الغنيمة حديث الخمس متقدما وذلك انه
اعطيها فحدث به ثم زيد له السادسة فاخبر عن ست قال ابن الملك فان قلت هذا انما يتم
لو ثبت تاخر الدال على الزيادة قلت ان ثبت فلا كلام والا فيحمل على انه اخبار عن زيادتها
في المستقبل عبر عنه بالماضي تحقيقا لوقوعه انتهى وقال صاحب الخلاصة ويجوز ان
يكون ذكر الخمس او الست لمناسبة المقام وحينئذ جاز ان يكون سبعا كما اذا ضمت الشفاعة
الى هذه الست قلت ويجوز ان يكون زائدا عليه لما سيأتي ولما تقدم والله اعلم
اعطيت جوامع الكلم اي قوة ايجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فاتي بالكلمات اليسيرة
المعاني الكثيرة وقد جمعت اربعين حديثا من الجوامع الواردة على الكلمتين هما اقل ما يتيسر
منه تركيب الكلام ويأتي منه انشاد المرام كقوله عليه الصلاة والسلام العدة دين والمستشار
مؤتمن ولا تغضب وامثال ذلك وقد روى ابو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه اعطيت
جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا وفي شرح السنة قيل جوامع الكلم هي القرآن
جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في الفاظ يسيرة وقيل ايجاز الكلام في اشباع من المعاني
فالكلمة القليلة الحروف منها يتضمن كثيرا من المعاني وانواعا من الكلام ونصرت بالرعب
المطلقة هنا مقيدة بغاية فيما سبق بمسيرة شهر واحلت لي اي لاجلي على امتي الغنائم وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة اي الى الموجودات باسرها عامة من الجن والانس
والحيوانات والجمادات كما بينته في الصلاة العلية على الصلاة المحمدية وقال الطيبي
يجوز ان يكون كافة مصدرا اي ارسلت ارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد وان يكون حالا اما من الفاعل والتاء على هذا للمبالغة كتاء
الرواية والعلامة واما من المجرور اي مجموعين وختم بي النبيون اي وجودهم فلا يحدث
بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام وترويج دين نبينا صلى الله
عليه وسلم على نهج النظام وكفى به شهيدا شرفا وناهيك به فضلا على سائر الانام قال
الطيبي اي اغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد واخبر باستغناء الناس عن الرسل
واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واما باب
الالهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة فلا ينقطع لدوام الضرورة وحاجتها الى
تاكيد وتجديد وتذكير وكما ان الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا الى التذكير والتنبيه
لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات فالله تعالى اغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب
الالهام برحمته لطفا منه بعباده رواه مسلم وكذا الترمذي وفي رواية الطبراني عن السائب
ابن يزيد فضلت على الانبياء بخمس بعثت الى الناس كافة وادخرت شفاعتي لامتي ونصرت بالرعب
شهرا امامي وشهرا خلفي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي

وفي

وفي رواية البيهقي عن ابي امامة فضلت باربع جعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم
فايما رجل من امتي اتى الصلاة فلم يجد ما يصلي عليه وجد الارض مسجدا وطهورا وارسلت
الى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهرين يسير بين يدي واحلت لي الغنائم وفي رواية
الطبراني عن ابي الدرداء فضلت باربع جعلت انا وامتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل
الصعيد لي وضوءا وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واحلت لي الغنائم فبعض الاحاديث
وان دل بمنطوقه على انه صلى الله عليه وسلم مخصوص من عند الله تعالى بفضائل معدودة
لكن لا يدل بمفهومه على حصر فضائله بل هي غير منحصرة وعنه اي عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا انا
نائم رايتني اتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي في النهاية اراد بما فتح الله تعالى
لامته من افتتاح البلاد المتعذرات واستخراج الكنوز الممتنعات انتهى والمراد منه
معادن التي فيها الذهب والفضة وسائر الفلزات متفق عليه ورواه النسائي وعن
ثوبان وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
زوى لي الارض اي جمعها لاجلي قال التوربشتي زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به تقريب
البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب منها وحاصله انه طوى له الارض
وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره ولذا قال فرايت مشارقها ومغاربها اي جميعها وان
امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها قال الخطابي توهم بعض الناس ان من في منها للتبعيض
وليس ذلك كما توهمه بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة والتفصيل لا يناقض الجملة ومعناه
ان الارض زويت لي جملتها مرة واحدة فرايت مشارقها ومغاربها ثم هي تفتح لامتي جزءا فجزءا
حتى يصل ملك امتي الى كل اجزائها اقول ولعل وجه من قال بالتبعيض هو ان ملك هذه الامة
ما بلغ جميع الارض فالمراد بالارض ارض الاسلام وان ضمير منها راجع اليها على سبيل الاستخدام
والله اعلم بالمرام واعطيت الكنزين الاحمر والابيض بدلان مما قبلهما اي كنز الذهب والفضة
قال التوربشتي يريد بالاحمر والابيض خزائن كسرى وقيصر وذلك ان الغالب على نقود ممالك
كسرى الدنانير والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة
عامة اي بقحط شامل لجميع البلدان المسلمين قال الطيبي السنة القحط والجدب وهي من الاسماء
الغالبة وان لا يسلط عليهم عدوا وهم الكفار وقوله من سوى انفسهم صفة عدوا اي كائنا
من سوى انفسهم وانما قيده بهذا القيد لما سأل اولا ذلك فمنع على ما يأتي في الحديث الآتي
فيستبيح اي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع والمفرد بيضتهم قال ابن الملك اي يجعلها مباحة
وقال شارح اي يستاصل مجتمعهم وقال الطيبي اراد بالبيضة اي مجتمعهم وموضع سلطانهم
ومستقر دعوتهم وبيضة الدار وسطها ومعظمها اراد عدوا يستاصلهم ويهلكهم جميعهم وقيل
اراد اذا هلك اصل البيضة كان هلاك كل ما فيه من طعم او فرخ واذا لم يهلك اصل البيضة
ربما سلم بعض فراخها والنفي منصب على السبب والمسبب معا يفهم منه انه قد يسلط عليهم

عدو ولكني لا تناصل مثنا فهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء اي حكمت حكما مبرما فانه
لا يرد بشيء بخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شيء او عدمه كما حقق في باب الدعاء ورد البلاء
واني اعطيتك اي عهدي وميثاقي لامتك اي لاجل امتك اجابتك ان لا اهلكهم بسنة عامة
اي بجدب يعمهم القحط ويهلكهم بالكلية قال الطيبي اللام في لامتك هي التي في قوله سابقا
سالت ربي لامتي اي اعطيت سوالك لدعائك لامتك والكاف هو المفعول الاول وقوله ان
لا اهلكهم المفعول الثاني كما هو في قوله سالت ربي ان لا يهلكها هو المفعول الثاني وان لا اسلط
عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من الذين هم باقطارها
اي باطرافها جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى فلا تبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو
اجتمع على محاربتهم من اطراف بيضتهم وجواب لو ما يدل عليه قوله وان لا اسلط حتى يكون
بعضهم يهلك بعضا ويسبي كيرمي بالرفع عطف على يهلك اي ويأسر بعضهم بوضع الظاهر
موضع المضمر بعضا اي بعضا اخر وفي نسخة بالنصب على ان يكون عطفا على يكون قال الطيبي
حتى بمعنى كي اي لكي يكون بعض امتك يهلك بعضا فقوله اني اذا قضيت قضاء فلا
يرد توطئة لهذا المعنى ويدل عليه حديث خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني سالت الله ثلثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك
امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان
لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها قال المظهر اعلم ان الله تعالى في خلقه قضائين مبرما
ومعلقا بفعل كما قال ان فعل الشيء الفلاني كان كذا وكذا وان لم يفعله فلا يكون كذا وكذا
فهذا من قبيل ما يتطرق اليه المحو والاثبات كما قال تعالى في محكم خطابه يمحو الله ما يشاء
ويثبت واما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه في الازل من غير ان يعلقه
بفعل فهو في الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقضي عليه
ولا المقضي له لانه من علمه بما كان وما يكون وخلاف معلومه مستحيل قطعا وهذا من
قبيل ما لا يتطرق اليه المحو والاثبات قال تعالى لا معقب لحكمه وقال النبي عليه الصلاة
والسلام لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه فقوله صلى الله عليه وسلم اذا قضيت قضاء
فلا يرد من القبيل الثاني ولذلك لم يجب اليه وفيه ان الانبياء مستجابو الدعوة الا في مثل
هذا رواه مسلم وعن سعد اي ابن ابي وقاص احد العشرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بمسجد بني معاوية هم بطن من الانصار وقيل كان المسجد في المدينة دخل
حال او استيناف بيان وفي رواية البغوي فدخل اي دخل المسجد فركع اي فصلى فيه ركعتين
اي تحية او فريضة وصلينا معه اي موافقة او متابعة ودعا اي ناجي كما في رواية ربه
طويلا اي زمانا كثيرا او دعاء ثبتا بعد الصلاة والظاهر ان اصحابه دعوا معه او امنوا والظاهر
ان طويلا قيد للصلاة والدعاء لما سياتي في حديث خباب في اول الفصل الثاني ثم انصرف
اي من الدعاء فقال سالت ربي ثلثا اي من المسؤلات او ثلث مرات فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة

للمتقين

للمتقين وفي نسخة بسكون الراء اي بالغرق العام كقوم فرعون في النيل وقوم نوح في الطوفان
فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم اي حربهم الشديد بينهم فمنعنيها رواه مسلم
وعن عطاء بن يسار هو من اجلاء التابعين قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت استيناف
بيان اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن نعته في التوراة قال اجل بفتحتين
وسكون اللام المخففة قال الطيبي هو حرف يصدق بها الخبر خاصة يقول لمن قال قام زيد اجل
ورد عن بعض جواز وقوعه بعد الاستفهام وفي الحديث جاء اجل بالله موعلي تاويل قراءة التوراة
هل وجدت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فاخبرني قال اجل اي نعم اخبرك انه
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران اي بالمعنى كقوله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا حال مقدرة من الكاف او من الفاعل او مقدرا او مقدرين شاهدا
على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل
قول الشاهد العدل في الحكم ذكره الطيبي او شاهدا للافعال امتك يوم القيامة او
لجميع الانبياء في تبليغهم كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا او مزكيا لامتك في شهادتهم على الامم بتبليغ رسالة الانبياء اليهم كما قال تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقد تقدم
والله اعلم او معناه شاهدا لقدرتنا وارادتنا في الخلق كما ليشير اليه قوله ومبشرا
اي للمؤمنين بالمثوبة ونذيرا اي منذرا ومخوفا للكافرين بالعقوبة وحرزا بكسر الحاء
وسكون الراء للاميين قال القاضي اي حصنا وموئلا للعرب يتحصنون به عن غوائل الشيطان
او عن سطوة العجم وتغلبهم وانما سموا اميين لان اغلبهم لا يقرؤون ولا يكتبون انتهى
او لانهم ينسبون الى ام القرى وهي مكة او لكون نبيهم اميا ولعل هذا الوجه في هذا
المقام اوجه ليشمل جميع الامة ولا ينبغي تمسك اليهود على ما زعموا من انه مبعوث الى العرب
خاصة فانه بذكره لا ينفي ما عداه لا سيما وقد قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
بشيرا ونذيرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي قال [illegible]
ويحتمل ان يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستيصال او الحفظ لهم من العذاب
ما دام فيهم فلذا قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم انت عبدي اي الخاص كما وصفه
بالقران في مواضع سبعة باضافة الى الله وضميره اضافة تشريف ورسولي اي الاخص
كما قال في مواضع من القران هو الذي ارسل رسوله بالهدى فالاضافة للعهد كما يقال
الكرم زيد عبيدا اذا كان له عبيد متعددة مع انه اذا اطلق اسم الجنس فالمراد به الفرد
الكامل فتامل سميتك المتوكل اي خصصتك بهذا الوصف الكامل لتوكلك على وتفويضك
الي وتسليمك لدي عملا بما في القران وتوكل على الحي الذي لا يموت وكذا في قوله سبحانه لا نسالك
رزقا نحن نرزقك ورزق ربك خير وابقى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب ودلالة عليه واشارة اليه ليس بلفظ الانفاق فيه تضمن للمتقين قال الطيبي

دنك

يحتمل ان يكون اية اخرى في التوراة لبيان صفته وان يكون حالا من المتوكل او من الكاف
في سميتك فعلى هذا فيهما التفاتا انتهى والمعنى ليس بسيء الخلق او القول ولا غليظ
كما في صحيح ح كريه الخلق او سيء الفعل او غليظ القلب وهو الاظهر لقوله تعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب اي شديده وقاسيه فيناسبه حينئذ ان يكون الفظ معناه بذاءة
اللسان تخفيفه اي ما الجهارة عضو به الكريمين من دنس الطبع ودنس هوى النفس الذميمين
وقد قال الطيبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل ولا سخاب بتشديد الخاء المعجمة
اي صياح في الاسواق قال الطيبي اي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس
لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءته بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم
قلت فهو مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم او ماخوذ من قوله تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يدفع بالسيئة السيئة لقوله تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله ولقوله سبحانه ادفع بالتي هي احسن الاية
واطلاق السيئة على جزائها اما للمشاكلة والمقابلة او لكونه في صورة السيئة او
بالاضافة الى دفعها بالحسنة كانها سيئة ومنه قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين
ولكن يعفو اي عن المسيء ويغفر اي يستر او يدعو له بالمغفرة لقوله تعالى فاعف عنهم
واصفح وقوله فاعف عنهم واستغفر لهم وهذا اقل مراتب معاملته مع المسيئين وكان قد
يقابلهم بالاحسان اليهم لقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب
المحسنين ولن يقبضه بالياء التحتية في الاصول المعتمدة وفي نسخة بالنون ويؤيد الاول
ما في نسخة صحيحة ولن يقبضه الله بزيادة لفظ الجلالة وكذا الحاكم في الافعال
الاتية قال الطيبي وكذا التفات في قوله ولن يقبضه بالياء المثناة من تحت على
رواية المشكاة ويعضده ما في شرح السنة ولن يقبضه الله حتى يقيم به اي بواسطته
الملة العوجا كما في التنزيل وما للكفار ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقال
في مدح دين الاسلام ذلك الدين القيم وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال القاضي يريد
به ملة ابراهيم فانها قد اعوجت في ايام الفترة فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت وما
زالت كذلك حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم فاقامها اقامها الله وادامها
بان يقولوا لا اله الا الله متعلق بقوله يقيم وفيه ايماء الى ان اقامة التوحيد في اداء
معنى هذه الكلمة من التفريد وقال شارح للمصابيح قال الله تعالى ولن نقبضه اي
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نقيم به الملة العوجا اي حتى نجعلها مستقيمة به ويريد
بها ما كانت العرب تتدين بها وتزعم انها ملة ابراهيم وانما وصفها بالعوجا وسماها ملة
على الاتساع كما يقال الكفر ملة ويفتح بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفا على
قوله يقيم وفي نسخة السيد بالرفع على القطع اي وهو يفتح او يفتح بها اي بواسطة هذه
الكلمة وفي نسخة به اي بهذا النبي او بهذا القول اعينا بالنصب على ما في جميع نسخ

المشكاة عميا بتصر اي قوله جمع اعمى قال الطيبي هذا رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي
وجامع الاصول وفي المصابيح بفتح بها اعين عميا على بناء المفعول والاول اصح رواية ودراية
اقول ولعله وجه الصحة الدراية هو ان المعطوف عليه بصيغة الفاعل بلا خلاف على اختلاف انه
بالياء او النون ثم قوله واذانا الى اخره على هذا المنوال وهو بمد الهمز جمع الاذن صما جمع اصم وقلوبا
غلفا بالضم اي وله جمع اغلف وهو الذي لا يفهم كانه في غلاف وانما ذكر هذه الاعضاء لانها الات
العلوم والمعارف قال تعالى في حق الكفار ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولعله لم يذكر اللسان في معرض هذا البيان لانه ترجمان الجنان
والاناء يترشح بما فيه من الاعيان قال الطيبي فان قلت قوله انه لموصوف في التوراة ببعض
صفته في القران يقتضي ان يكون المذكورات كلها مثبتة في القران قلت اما قوله يا ايها
النبي انا ارسلناك ففي الاحزاب وقوله حرزا للاميين ففي الجمعة هو الذي بعث في الاميين رسولا
منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب وقوله سميتك المتوكل الى قوله ولكن يعفو
ويغفر في قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب الى قوله ان الله يحب المتوكلين وقوله
ولا سخاب في الاسواق في قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين اي دم على التسبيح والتحميد
واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب وافر في السجود ولا تخل بها ولا تشتغل بغيرها
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان اكون من الساجدين
تنزيه ولا سخاب في الاسواق من قبيل قوله تعالى ولا شفيع يطاع اذ هو يحتمل ان يراد به نفي
سخاب وحده ونفيهما معا وهو المراد هنا قلت ويحتمل ان يكون قوله في الاسواق فيه اعتبار
في النفي احتراز من رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد قال وقوله ولا يدفع بالسيئة
السيئة في قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن وقوله حتى يقيم
به الملة العوجا في قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا اثبات التوحيد
ونفي الشرك فان قلت كيف الجمع بين قوله ويفتح بها اعينا عميا وبين قوله تعالى وما انت
بهادي العمي عن ضلالتهم قلت دل ايلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على ان الكلام في الفاعل
وذلك انه تعالى نزله لحرصه على ايمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال له
انت لست بمستقل فيه بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره انتهى وحاصله
انه قد ينسب الهداية اليه صلى الله عليه وسلم نظرا الى كونه من اسباب الهداية
ومنه قوله وانك لتهدي وتنفى عنه اخرى نظرا الى ان حقيقة الهداية راجعة الى الله
تعالى ومنه قوله سبحانه انك لا تهدي من احببت فيكون من قبيل قوله تعالى وما رميت اذ
رميت اي ما رميت خلقا وحقيقة اذ رميت كسبا وصورة ولكن الله رمى حيث جعلك قادرا
على الرمي وفاعلا له والاظهر ان نفي الهداية عنه انما هو بالنسبة الى من لم يرد الله هدايته
واثباتها له فيمن اراد هدايته فلا منافاة فهو صلى الله عليه وسلم مظهر هدايته كما ان ابليس
مظهر ضلالته والا فهو سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء من يضلل الله فلا هادي له ومن

بيده الله فالأفضل له رواه البخاري أي عن عطاء بن يسار وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام وهو صحابي مشهور ونحوه أي نحو ما رواه البخاري في المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ وقال شارح للمصابيح في سائر نسخ المصابيح رواه عطاء بن سلام وهو غلط والصواب رواه عطاء عن ابن سلام يعني عبد الله بن سلام وعطاء هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو انتهى وحاصله أن عطاء بن يسار يروي هذا الحديث من طريق ابن عمرو كما رواه البخاري ويرويه أيضا من طريق ابن سلام كما رواه الدارمي والمناسب للصحاح المعبر عنه بالفصل الأول هو رواية البخاري وتأييده برواية الدارمي فلا لتنزله السابق وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب المشكاة على البغوي مع قطع النظر عن سائر نسخ المصابيح وذكر حديث أبي هريرة نحن الآخرون السابقون يوم القيامة الحديث بطوله في باب الجمعة لكونه أنسب بذلك الباب تخطيه باعتبار أواخر الحديث وغالبه فهو من المؤلف اعتذار قولي واعتراض فعلي

الفصل الثاني

عن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الأولى ابن الأرت بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية صحابي مشهور قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فأطالها أي جعلها طويلة باعتبار أركانها أو بالدعاء فيها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة أي عظيمة لم تكن تصليها أي عادة قال أجل أي نعم إنها صلاة رغبة أي رجاء ورهبة أي خوف قال شارح أي صلاة فيها للثواب ورغبة إلى الله وخوف منه تعالى قلت الأظهر أن يقال المراد به أن هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء الثواب وخوف العقاب بخلاف سائر الصلوات إذ قد يغلب فيها أحد الباعثين على الآخر قالوا وفي قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا بمعنى أو لمانعة الخلو ثم لما كان سببه صلاته الدعاء لأمته وهو كائن بين رجاء الإجابة وخوف الرد طولها ولذا قال وإني سألت الله فيها ثلاثا أي ثلاث مسائل فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة تصريح بما علم ضمنا سألته أن لا يهلك أمتي بسنة أي بقحط عام وفي معناه الوباء والمقصود أن لا يهلكوا بالاستئصال فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم وهم الكفار وكان العدو من أنفسهم أهون ولا يحصل به الهلاك الكلي والإعلاء كلمة السفلى فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض أي حربهم وقتلهم وعذابهم فمنعنيها أي لما سبق من الحكمة قال الطيبي هو من قوله تعالى أو يلبسكم شيعا أي يجعل كل فرقة منكم متابعة للإمام وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس بعض المعنى يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى انتهى ذكر بإسناده المتصل إلى البخاري بسنده إلى جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو هذا أيسر رواه الترمذي والنسائي وعن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل أجاركم أي حفظكم وأنقذكم من ثلاث خلال أي خصال أن لا يدعو عليكم نبيكم أي بكفر بعضكم قاله ابن الملك والأظهر أنه

لا يدعو

لا يدعو عليكم دعاء الاستئصال بالإهلاك فيمتنع كونه مستجابا أي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك لكن دعاء موسى كان خاصا ببعض قومه وهو القبطيون السبط كما لا يخفى وأن لا يظهر أي لا يغلب أهل الباطل أي وإن كثر أنصاره على أهل الحق أي وإن قل أعوانه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة على ما رواه الحاكم عن عمر وفي رواية ابن ماجه عن أبي هريرة لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها ولعله مقتبس من قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي المصابيح على الحق قال شارح له أي بحيث يمحقه ويطفئ نوره وإن كانت الرواية على أهل الحق فإنه أراد به الظهور كل الظهور حتى لا يبقى لهم فئة ولا جماعة قال التوربشتي يريد أن الباطل وإن كثرت أنصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفئ نوره ولم يكن بحمد الله مع ابتلائنا به من الأمر الفادح والمحنة العظمى من تسلط الأعداء علينا ومع استمرار الباطل فالخوارج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها وأن لا تجتمعوا على ضلالة أي وأن لا تتفقوا على شيء باطل وهذا يدل على أن إجماع الأمة حجة وأن ما رآه حسن عند الناس فهو حسن عند الله ويقويه قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم فهذا مأخذ حسن لقولهم الإجماع حجة استنبط الشافعي رحمه الله من الكتاب قال الطيبي وحرف النفي في القرائن زائدة نحو قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وفائدته توكيد معنى الفعل الذي عليه ويحققه وذلك أن الإجارة إنما تستقيم إذا كانت الخلال لا منفية رواه أبو داود وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين سيفا منها وسيفا من غيرها أي بل اختار الله منهما وهو السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال وإلا فقد يجتمعان في بعض الأحوال ففيه إشارة إلى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الأمة إلى يوم القيامة لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة وقال القاضي معناه أن سيوفهم وسيوف أعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان إلى استئصالهم بل إذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم وهو من قول الشيخ التوربشتي وقال الطيبي الظاهر أن يقال إنه تعالى وعدني أن لا يجمع على أمتي محاربتين محاربة بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم بل يكون أحدهما فإذا كانت إحداهما لا تكون الأخرى لأنه موافق للأحاديث السابقة لأنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطيها وسأله أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فأجاب الأول ومنع الثاني ولم يجمع بين المنعين رواه أبو داود وعن العباس أنه جاء أي غضبان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه سمع شيئا أي من الطعن في نسبه أو حسبه فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر أي ليكون بيان أمره أظهر على

روس المحضر فقال من انا استفهام تقرير على جهة التبكيت فقالوا انت رسول الله فقال انا محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب قال الطيبي قوله
فكانه سمع مسبب عن محذوف اي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعنا من الكفار في رسول
الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالى لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم كانهم
حقروا شانه وان هذا الامر لعظيم الشان لا يليق الا بمن هو عظيم من احدى القريتين كالوليد
ابن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلا فاقرهم صلى الله عليه وسلم على سبيل التبكيت
على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه فانه اولى بهذا الامر من غيره لان نسبه اعرف واد وبيته اعلى
واشرف ومن ثم لما قالوا انت رسول الله ردهم بقوله انا محمد بن عبد الله ويعضد هذا
التاويل ما روى البخاري عن ابي سفيان انه حين ساله هرقل عظيم الروم عن نسبه صلى الله
عليه وسلم فقال هو فينا ذو نسب فقال هرقل سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب
وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها الا ترى كيف جعل النسب طرفا للتبكيت وانه يفي اي
في النسب انتهى ثم استانف في بيان ما رفعه الله من طهارة نسبه ونظافة حسبه
عموما وخصوصا تحدثا بالنعمة وترغيبا للامة في امرنا لتعبد فقال ان الله خلق الخلق اي
الجن والانس وابعد الطيبي وادخل الملائكة معهم فجعلني في خيرهم وهم الانس ثم جعلهم
اي صير هذا الخير بمعنى الخيار او الاخيار فرقتين اي عربا وعجما فجعلني في خيرهم فرقة
وهم العرب ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة يعني قريشا ثم جعلهم بيوتا اي
بطونا فجعلني في خيرهم بيتا يعني بطن بني هاشم فانا خيرهم نفسا اي ذاتا وحسبا وخيرهم
بيتا اي بطنا ونسبا واليه اشار تعالى بقوله لقد جاكم رسول من انفسكم وقوله لقد من الله على
المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم بفتح الفاء على قراءة شاذة صحيحة قال الطيبي
قوله ثم جعلهم قبائل بعد قوله ثم جعلهم فرقتين اشارة الى بيان الطبقات الست التي
عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ
يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها فقوله خلق الخلق اي الملائكة
والثقلين فجعلني في خيرهم اي في العرب وهلم جرا فانا بفضل الله ولطفه على ما في سابقة
الازل خير الخلق نفسا حيث خلقني انسانا رسولا خاتما للرسل ثم دائرة الرسل وجعلني
نقطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولي ويحتاجون الي وخيرهم بطنا حيث نقلني من طيب
الى الطيب الى ان نقلني من صلب عبد الله بالنكاح من اشرف القبائل والبطون فانا افضل
خلق الله تعالى عليه واكرمهم لديه رواه الترمذي ولفظ الجامع ان الله خلق الخلق فجعلني
في خير فرقهم وخير الفرقتين ثم خير القبائل فجعلني في خير القبيلة ثم خير البيوت
فجعلني في خير بيوتهم فانا خيرهم نسبا وخيرهم بيتا وعن ابي هريرة قالوا يا رسول الله

مني

مني وجبت لك النبوة اي ثبتت قال وادم اي وجبت لي النبوة والحال ان ادم بين الروح والجسد
يعني وانه مطروح على الارض صورة بلا روح والمعنى انه قبل تعلق روحه بجسده قال الطيبي
هو جواب لقولهم متى وجبت اي وجبت في هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها محذوفان رواه
الترمذي ورواه ابن سعد وابو نعيم في الحلية عن ميسرة الفجر وابن سعد عن ابن ابي الجدعا
والطبراني في الكبير عن ابن عباس بلفظ كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كذا في الجامع
وقال ابن الربيع اخرجه احمد والبخاري في تاريخه وصححه الحاكم وروى ابو نعيم في الدلائل
وغيره من حديث ابي هريرة مرفوعا كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث واما
ما يدور على الالسنة بلفظ كنت نبيا وادم بين الماء والطين فقال السخاوي لم اقف عليه
بهذا اللفظ فضلا عن زيادة وكنت نبيا ولا ادم ولا ماء ولا طين وقال الحافظ ابن حجر في بعض اجوبته
ان الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي وقال الزركشي لا اصل له بهذا اللفظ ولكن
في الترمذي متى كنت نبيا قال وادم بين الروح والجسد قال السيوطي وزاد العوام
ولا ادم ولا ماء ولا طين ولا اصل له ايضا وعن العرباض بن سارية بكسر العين صحابي جليل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني عند الله مكتوب خاتم النبيين بفتح التاء
وكسرها وهو مرفوع على انه نائب الفاعل وقيل منصوب على التمييز اي مكتوب من هذه
الحيثية وان ادم لمنجدل من الجدل وهو الالقاء على الارض الصلبة اي والحال انه ساقط
وملقى في طينته اي خلقته وهو خبر ثان لان والجملة حال من ضمير مكتوب اي كتبت
خاتم الانبياء في الحال التي ادم مطروح على الارض حاصل في اثنا خلقته لما يفرغ من تصويره
وتعلق الروح به كذا ذكره الشراح وساخبركم باول امري وقيل اي باول ما ظهر من نبوتي
ورفعتي في الدنيا على لسان اهل ملة ابراهيم عليه السلام وقوله دعوة ابراهيم بالرفع اي هو
دعوة ابراهيم حين بنى الكعبة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا فاستجاب الله دعاءه وفي
نسخة بالجر على البدلية مما قبله وكذا قوله وبشارة عيسى يعني قوله ومبشرا برسول
ياتي من بعدي اسمه احمد ورؤيا امي التي رات حين وضعتني قال الطيبي وغيره يحتمل
ان يراد منها الرؤية في المنام وفي اليقظة فعلى الاول معنى وضعت اي شارفت
وقربت من الوضع ويؤيده لما روى ابن الجوزي في كتاب الوفا ان امه صلى الله عليه وسلم
رات حين دنت ولادتها اتاها ات فقال قولي * اعيذه بالواحد من شر كل حاسد *
بعد ان رات حين حملت به ان اتيا اتاها وقال هل شعرت انك حملت بسيد هذه الامة
ونبيها وعلى الثاني يكون المولى محذوفا وهو ما دل عليه قوله وقد خرج اي ظهر لها اي لامي
نور اضاء اي تبين لها منه اي من ذلك النور قصور الشام وذلك النور عبارة عن ظهور
نبوته ما بين المشرق والمغرب واضمحلال ظلمة الكفر والضلالة وفي نسخة بنصب
قصور وهو لا يخلو عن قصور لوجود منه والاضاءة جاء لازما وقاصرا رواه اي البغوي
الحديث بكماله في شرح السنة اي باسناده عن العرباض ورواه احمد عن ابي امامة من قوله ساخبركم

الى آخره قلت وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن العرباض ابي عند الله لمكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وروى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ولفظه انا دعوة ابراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى ابن مريم وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لا اقوله تفاخرا بل اعتدادا بفضله وتحدثا بنعمته او تبليغا لما امرت به وقيل لا افتخر بذلك بل فخري بمن اعطاني هذه المرتبة اقول ويمكن ان يكون المعنى ولا افخر بهذه السيادة بل افتخر بالعبودية له والعبادة فانه يوجب الحسنى والزيادة قال الطيبي قوله ولا فخر حال مؤكدة اي اقول هذا ولا فخر قال التوربشتي الفخر ادعاء العظمة والمباهاة بالاشيا الخارجة عن الانسان كالمال والجاه قال النووي فيه وجهان احدهما انه امتثال الامر الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وثانيهما انه من البيان الذي يجب عليه تبليغه الى امته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره صلى الله عليه وسلم كما امرهم الله تعالى به قال الراغب فان قلت كيف استحسن مدح الانسان نفسه وقد علم في الشاهد استقباحه حتى قيل للحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه قلنا قد يحسن ذلك عند تنبيه الغير على ما خفي عليه من حاله كقول المعلم للمتعلم اسمع مني فانك لا تجد مثلي وعلى ذلك قول يوسف عليه الصلاة والسلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وسئل بعض المحققين عن شيء لم يقع اطلاقه في الله تعالى مع ورود الشرع فاستشكله ويقبح من سواك التمدح ونفعله فاجبنا منها ذاكا قال الشيخ ابو حامد في الاحيا قال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي لا يفتر عن العمل فكذلك الممدوح لان المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب وهو لذلك مهلك كالذبح فان سلم المدح عن هذه الافات لم يكن به باس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا بل يزيدهم جدا بعثهم ان يزيدوا فيما يستوجبون الحمد من مكارم الاخلاق فلت ونظيره العالم او الشيخ اذا اثنى على تلميذه او مريده الكامل العاقل بحضرة جماعة فانه لا شك ان يكون سببا لزيادة عبيتهما في المجاهدة وتحصيل اعلى مراتب العلم والعبادة نعم يقع نادرا ممن يكون فيه البلادة حيث يحصل له الفتور المؤدي الى مقام القصور فيتوقف على طلب الزيادة فنعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة وقد قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن استوى يوماه فهو مغبون زمان ففي الحديث منهومان لا يشبعان وقال تعالى وقل رب زدني علما وفي النهاية قال صلى الله عليه وسلم اخبارا عما اكرمه الله تعالى به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله تعالى عنده واعلاما منه ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا اتبعه بقوله ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى لم انلها من قبل نفسي ولا بلغتها بقوتي فليس لي ان افتخر بها وبيدي اي بتصرفي وعندي يوم القيامة في المقام المحمود لواء الحمد اللواء بالكسر والمد العلم وفي العرصات مقامات لاهل الخير والشر ينصب

في كل

في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدوة حق كان او سوء واعلى تلك المقامات مقام الحمد ففي النهاية اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤوس الخلائق ويحتمل ان يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين ارفع واعلى من مقام الحمد ودونه تنتهي ساير المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين احمد الخلائق في الدنيا والآخرة اعطي لواء الحمد ليأوي الى لوائه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ادم ومن دونه تحت لوائي ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد فقيل محمد واحمد واقيم يوم القيامة المقام المحمود ويفتح عليه في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على احد قبله ولا يفتح على احد بعده وامد امته ببركته من الفضل الذي اتاه فنعتت امته في الكتب المنزلة بهذا النعت فقال الامة الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء ولله الحمد اولا وآخرا ولا فخر قال مرتبة القرب المرتب عليه الالتفات لنا شيء من مقام الرضا والفناء والبقاء اعلى من ذلك الخلوص التوجه الى المولى ونسيان ما سواه من الورى وما من نبي ادم بالرفع وقيل بالخفض على انه بيان او بدل من محل من نبي او من لفظ نبي وعطف عليه قوله فمن سواه الا تحت لوائي قال الطيبي نبي نكرة وقعت في سياق النفي وادخل عليه من الاستغراق فتفيد استغراق الجنس وقوله ادم فمن اما بيان او بدل من محله ومن فيه موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف واوثر الفاء التفصيلية في فمن سواه على الواو للترتيب على منوال قولهم الامثل فالامثل وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وزاد في الجامع وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر رواه احمد والترمذي وابن ماجة وعن ابن عباس قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم حال من الضمير في دنا وقد مقدرة وقوله يتذاكرون حال من الضمير المنصوب في سمعهم كذا ذكره الطيبي والظاهر ان قوله سمعهم جواب اذا وقوله قال بعضهم اما استيناف بيان للتذاكر او حال بتقدير قد او بدونه ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى اي اذا كان الكلام في التفاضل فعيسى كلمة الله وروحه اي شرف باضافتهما الله قال الطيبي الفاء في قوله فعيسى جواب شرط محذوف اي اذا ذكرتم الخليل فاذكروا عيسى كقوله تعالى فلم تقتلوهم اي اذا افتخرتم بقتلهم فانكم لم تقتلوهم وقال آخر ادم اصطفاه الله اي بتعليم الاسما وباسجاد الملائكة له فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كرره ليستنبط به غير ما اناط به اولا ويكون خروجا ولا من مكان وكانا منه الى آخر وقد سمعت قال كلامكم وعجبكم تعجبين اي وفهمت تعجبكم فهو من باب متقلدا سيفا ورمحا ان ابراهيم خليل الله بفتح الهمزة على انه بدل مما قبله او مفعول له وفي نسخة بالكسر استينافا وهو كذلك اي كونه ابراهيم خليل الله حق وصدق وموسى نجي الله فعيل من النجوى بمعنى الفاعل او المفعول اي كليم الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك

الا للتنبيه جيء به للتأكيد بين المعطوف عليه حيث قال وانا حبيب الله اي محبه ومحبوبه
ولا فخر قال الطيبي قد ذكروا من فضائلهم بقوله وهو كذلك ثم نبه على انه
افضلهم واكملهم وجامع لما كان متفرقا فيهم والعلماء فرقوا بين الخليل والحبيب بان
الخليل من الخلة اي الحاجة فابراهيم عليه الصلاة والسلام كان افتقاره الى الله تعالى
فمن هذا الوجه اتخذه خليلا والحبيب فعيل بمعنى الفاعل والمفعول فهو صلى الله عليه
وسلم محب ومحبوب والخليل محبته لحاجته الى من يحبه والحبيب محبته لا لغرض وحاصله
ان الخليل في منزلة المريد السالك الطالب والحبيب في مرتبة المراد المجذوب المطلوب
الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ولذا قيل الخليل تكون فعله برضاء
الله تعالى والحبيب يكون فعل الله برضاه قال تعالى فلنولينك قبلة ترضاها ولسوف
يعطيك ربك فترضى وقيل الخليل مغفرته في حد الطمع كما قال ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي والحبيب مغفرته في مرتبة اليقين كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قال تعالى في حقه
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه والخليل قال واجعل لي لسان صدق في
الآخرين وقال للحبيب ورفعنا لك ذكرك والخليل قال واجعلني من ورثة جنة
النعيم والحبيب قال له انا اعطيناك الكوثر والاظهر في الاستدلال على ان مرتبة
محبوبيته في درجة الكمال قوله ذي الجلال والجمال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول
مشفع اي مقبول الشفاعة يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح
الحاء وبكسر جمع حلقة وهي هنا حلقة باب الجنة ففي القاموس حلقة الباب والقوم
وقد يفتح لامها ويكسر او ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او لغة ضعيفة والجمع
حلق محركة وكبدر فيفتح الله لي اي بابها فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين اي من
المهاجرين والانصار وغيرهم على مراتبهم في السبق كما سبق ان يدخل فقراء امتي قبل
اغنيائهم بخمسمائة عام وهذا دليل واضح على ان الفقير الصابر افضل من الغني
الشاكر قال الطيبي هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى لانه استحقوا
محبة الله تعالى هنا لمحبة حبيبه وانضامهم وليس الفقر عند الصوفية الفاقة والحاجة
بل الفقر عندهم الحاجة الى الله تعالى لا الى غيره والاستغناء به لا عنه بغيره قال النوري
نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقيل لسهل بن عبد الله ان
النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر فقال انما استعاذ من فقر النفس الذي
مدح النبي صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده فقال الغنى غنى النفس فكذلك الفقر
المذموم فقر النفس وهو الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم اقول المذموم من
الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك عن المولى غايته ان حالة الفقر اسلم من العوائق

ولذا

بالاضافة

ولذا اختاره سبحانه لاكثر انبيائه واوليائه من بين الخلائق حتى قال حجة الاسلام
ان الكافر الفقير عذابه اخف من الكافر الغني كما ان الفقر ينفع الكافر في النار فكيف
لا ينفع المؤمن في دار القرار ولذا قال صلى الله عليه وسلم اجوعكم في الدنيا اشبعكم في الآخرة
ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر وهذا فذلكة الكل رواه الترمذي
والدارمي وعن عمرو بن قيس قال المؤلف وقيل هو عبد الله بن عمرو القرشي العامري الاعمى
وهو ابن ام مكتوم عاتكة وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين
الاولين مصعب بن عمير استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة مرات آخرها حجة
الوداع مات بالمدينة وقيل استشهد بالقادسية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نحن الآخرون يعني في المجيء الى الدنيا والسابقون اي في دخول الجنة وعدد ذلك من الفضائل
يوم القيامة اي في دار العقبى واني قائل قولا غير فخر اي غير مفتخر فيه بل المقصود
منه بيان الواقع ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله اي مختاره لكلامه وانا حبيب الله
اي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا ومعي لواء الحمد اي الدال على كوني احمد
ومحمد يوم القيامة اي في مقام المحمود وان الله وعدني اي خيرا كثيرا في امتي اي في حقهم
وشانهم واجارهم اي انقذهم واعاذهم من ثلاث اي خصال لا يعمهم اي الله بسنة اي بقحط وبلاء
يستأصلهم ولا يستأصلهم اي لا يأخذ اصلهم ولا يهلكهم بالكلية عدو اي الله لهم من الكفار
ولا يجمعهم على ضلالة ولعله سبحانه لم يجمعهم على هداية لقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وكان هذا مأخذ من قال اختلاف الامة
رحمة رواه الدارمي وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا قائد المرسلين
اي مقدمهم في الآخرة ولا فخر وانا خاتم النبيين اي في الدنيا ولا فخر وعدل من المرسلين
الى النبيين لانهم اعم فيكون نسبة الخاتمية اتم وانا اول شافع ومشفع اي واول مشفع
كما في رواية ولا فخر رواه الدارمي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا اي من قبورهم وانا قائدهم اي متبوعهم اذا وفدوا اي اذا
قدموا على الله والوفد جماعة يأتون الملك لحاجته وانا خطيبهم اي المتكلم عنهم اذا انصتوا
اي اذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فاعتذر عنهم عند ربهم فيكون لي قدرة على الكلام
في ذلك المقام دون سائر الانام فاطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو اهله ولم يؤذن
حينئذ في التكلم لغيري فهو مخصوص من قوله سبحانه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون او محمول على اول الامر ومختص بالكفار وانا مستشفعهم بفتح الفاء
على بناء المفعول من قولهم استشفعت زيدا الى فلان اي سألته ان يشفع اليه فزيد
مستشفع بالفتح وفلان مستشفع اليه وفي بعض النسخ بكسر الفاء على بناء الفاعل اي
اسأل الله ان يكون شفيعا لهم اذا حبسوا اي في الموقف ولم يحاسبوا وانا مبشرهم الى المؤمنين
بالرحمة والمغفرة اذا ايسوا اي اذا غلب عليهم اليأس من روح الله لغلبة الخوف ففي الكلام

نوع من الاستخدام الكرامة بالرفع على ما في النسخ المصححة فهو مبتدأ والمفاتيح عطف عليه
وقوله يومئذ ظرف والخبر بيدي وهو بصيغة الإفراد إلى أمر الكرامة بأنواع الشفاعة
ومفاتيح كل خير يوم القيامة بتصرفي وفي نسخة بالتشديد للباء على التثنية لكونها لغة أو
للتوزيع والتنويع وذلك لأنه يصل أنواع اللطف من الله تبارك وتعالى لأهل العرصات
من الأنبياء وغيرهم بواسطة شفاعة العامة في المقام المحمود تحت اللواء الممدود عند
الحوض المورود وفي نسخة بنصب الكرامة على أنه مفعول لبسوا وبيدي خبر المفاتيح
فقط إذا قنطوا من حصول الكرامة ووقعوا في وصول ولواء الحمد يومئذ بيدي بسكون
الياء وأنا أكرم ولد آدم على ربي وسبق أنه أكرم الأولين والآخرين على الله يطوف على أي يدور
حولي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أي مصون عن الغبار وقيل شبههم ببيض النعام في الصفاء
والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان قلت هذا عند بعض أولاد العرب
بخلاف طباع أهل الشام وحلب وطائفة الأعاجم وجماعة الأروام فإن الأحسن عندهم
هو البياض المشوب بحمرة على ما ورد في شمائله صلى الله عليه وسلم وفي مدح الحور العين
كأنهن الياقوت والمرجان حيث فسر المرجان باللؤلؤ ويدل عليه قوله أو لؤلؤ منثورا
على أن أو للتخيير في التشبيه وإنما قيده بالمنثور لأنه أظهر في النظر من المنظوم مع أنه
يناسب تفرق الخدم ويحتمل أن تكون أو للتنويع وقال شارح قوله بيض مكنون أي لؤلؤ
مستور في صدفه لم تمسه الأيدي أو لؤلؤ منثورا وشك الراوي رواه الترمذي
والدارمي وقال الترمذي هذا حديث غريب ولفظ الترمذي على ما في الجامع أنا أول
الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا لواء الحمد يومئذ
بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فأكسى صدر الحديث على ما في الجامع وغيره أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى الحلة
فأبعث فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع الأصول أي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال سلوا الله لي الوسيلة هي المذكورة في دعاء الأذان آت محمدا الوسيلة فيحتمل
الإطلاق والتقييد لوقت المسألة وفي النهاية هي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء
ويتقرب به قلت ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة
قال الطيبي وإنما طلب عليه السلام من أمته الدعاء بطلب الوسيلة افتقارا إلى الله
تعالى وهضما لنفسه أو لينتفع أمته ويثاب به أو يكون إرشادا لهم في أن يطلب كل منهم من
صاحبه الدعاء قالوا يا رسول الله وما الوسيلة أي المطلوبة المسؤولة قال الطيبي عطف
على مقدر أي الفضل ذلك وما الوسيلة انتهى والأظهر أن يقال أمرتنا بسؤال الوسيلة
وما الوسيلة مع أنه قد يقال الحذف للواو أنها للربط بين الكلام قال أعلى درجة في الجنة
لا ينالها أي لا يدرك تلك الدرجة العالية إلا رجل واحد أبهم تواضعا وأرجو وفي نسخة وأرجو أن

اكون

أكون أنا هو وضع الضمير المرفوع أعني هو موضع المنصوب أعني إياه رواه الترمذي ولفظ
الجامع سلوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل وأرجو أن أكون أنا هو
ورواه ابن أبي شيبة والطبراني في الأوسط عن ابن عباس سلوا الله لي الوسيلة فإنه لا يسألها
عبد في الدنيا إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة وعن أبي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين بكسر الهمزة في نسخ المشكاة قال
التوربشتي إنه بكسرها والذي يفتحها وينصبها على الظرف لم يصب ذكره الطيبي وقال شارح فتحها
ليس بصواب وقال ابن الملك الفتح غلط أقول إن كان بحسب الرواية فلا احتمال وإن كان من حيث الدراية
فله وجه لاحتمال وهو أنه يريد به مقدمهم كما تقدم من قوله وأنا قائدهم إذا وفدوا بل الأظهر
أنا أمامهم حينئذ لا هذا المعنى وخطيبهم أي إذا انصتوا لا يسبق وصاحب شفاعتهم
أي في المقام المحمود وغير فخر أي غير مفتخر أو من غير فخر رواه الترمذي وكذا أحمد وابن
ماجه والحاكم في مستدركه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن لكل نبي ولاة بضم الواو جمع ولي من النبيين قال التوربشتي أي أحباء وقرناء هم
أولى بهم من غيرهم وإن وليي أبي يعني به إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد بينه بقوله
وخليل ربي خبر بعد خبر لأن ثم قرأ أي استشهادا إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه
أي في زمانه وما بعده إذ كل من جاء من بعده من الأنبياء وهو من أولاده واتباعه في أصل
التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين
أي خصوصا وعموما قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح وإن وليي ربي وهو غلط ولعل الذي
حرف هذا أدخل عليه التداخل من قوله سبحانه إن وليي الله الذي نزل الكتاب والرواية على
ما ذكرنا هو الصواب قال المظهر لو كان كما ظنه ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب
أن يكون وليي الخليل ربي من غير ذكر العطف الموجب للمغايرة وبإضافة الخليل إلى ربي يكون
مطابقا لأبي أقول لو كان على خلاف قول الشيخ لكان حق العبارة إضافة الخليل إلى
ضمير ربي قال الطيبي والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الأصول
وكذا في مسند الإمام أحمد بن حنبل وأيضا لو ذهب إلى أن خليل ربي عطف بيان بلا واو
لزم خمول كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبا النبي ووليه فأتى به بيانا وإذا
جعل معطوفا عليه لزم تشهيره والعطف يكون لإثبات وصف آخر له عليه الصلاة والسلام
على سبيل المدح فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك أقول والأظهر
أن يقال إن العطف لتغاير الوصفين كما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب وقرآن مبين فإن
قلت لزم من قوله لكل نبي ولاة أن يكون لكل واحد منهم أولياء متعددة قلت لا لأن
النكرة إذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق أي أن لكل نبي واحدا واحدا وليا
كقوله تعالى ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام قلت وفي نظيره نظر ظاهرا ولا محذور
في كون كل شجرة لها أقلام بل هو الظاهر المطلوب في مقام المبالغة بأن يكون أغصان كل شجرة

افلا مار واه الترمذي وكذا احمد وهو كذا في الجامع الصغير بدون قوله ثم قرأ الى آخره وعن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق فجمع مكرمة خصلة يكرم
الشخص بها ان يكون كريما والمراد من الاخلاق الاحوال ولذا قوبل بقوله وكمال محاسن الافعال
للامور الظاهرة من العبادات والاقوال والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وحاصله انه بعثه
افضل الافعال وطريقته اكمل الاحوال العادات الملك اي ارسلني الى العالم لينتم بوجودي مكارم
اخلاق عباده وليكمل محاسن افعالهم قال الطيبي الاضافة فيهما من باب اضافة الصفة الى الموصوف
قال الراغب كل شيء يشرف في بابه فانه يوصف بالكرم قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج كريم
وانه لقرآن كريم واذا وصف الله تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المتظاهرة واذا وصف
به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي يظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر
ذلك منه انتهى وكلامه ينظر الى ان العطف للتاكيد وما قدمناه اولى لكونه من التاسيس
والتفنيد للتابيد قال الطيبي ومعنى هذا الحديث وحديث ابي هريرة مثلي ومثل الانبيا
الى قوله انا سددت موضع اللبنة بالنفيان في معنى اتمام ما قص انتهى والذي تقدم
من المعنى انه اقرب والله اعلم رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده ورواه ابن سعد
والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق
وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابنه
وتكون في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن اراد
به السعادة صدق الحديث وصدق الناس واعطاء السائل والمكافاة بالصنايع وحفظ
الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف وراسهن الحيا
والتذمم ان يرعى ذمامه اي حرمته وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعا اللهم اهدني لصالح الاعمال
والاخلاق لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت وعن كعب يحكي عن التوراة قال نجد مكتوبا
محمد رسول بالرفع على حكاية المكتوب عبدي اي الخالص المختار اي المصطفى على الخلق لا فظ
بالرفع على ان لا عاطفة والمعنى انه ليس قبيح الخلق ولا غليظ اي سيء الخلق ولا سخاب
اي صياح في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة اي بل يدفع السيئة بالحسنة وهو معنى قوله
ولكن يعفو اي في الباطن ويغفر اي يستر في الظاهر مولده بمكة وهجرته اي دارها يعني مهاجره
بطيبة اي المدينة السكنة ومكة اي بعد انتها هجرته واما مرضا الاقتنه بالشام كما كان لمعاوية
ومن تقدم لبني امية على ذلك الظاهر وقال المظهر اراد بالملك هنا النبوة والدين
فان ذلك يكون بالشام اغلب والا فهو كان جميع الافاق لقوله وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وقيل معناه الغزو والجهاد ديمة لانه يصير جلاد الكفار بالجهاد ملكا لاهل الاسلام
ولهذا لا ينقطع الجهاد في الشام اصلا وامر بالمسافرة اليها لادراك فضيلة الجهاد والمرابطة
في سبيل الله قلت هذا انما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم واما اليوم فالغزو والجهاد
في بلاد الروم نعم هو في حقه الشام من الحرمين الشريفين وامته الحمادون اي البالغون

في الج

في الحمد المكثرون كما بينه بقوله يحمدون الله في السراء والضراء اي في حالتي السرور والضرر
والمراد الدوام لان الانسان لا يخلو منهما في الليالي والايام فكانه قال يحمدونه على كل حال
وهذا مرتبة لفضلاء ارباب الكمال وهو المعنى بقوله يحمدون الله في كل منزلة اي مرتبة من
مراتب الاحوال وقيل معناه في كل منزل ولعل التنبيه باختبار المنفعة والناحية اذا
نزلوا منزلا شكروا الله تعالى عليه لانه اداهم الى المنزل والسالكون فيهم وملائمه قوله
ويكبرونه على كل شرف بفتحتين اي مكان مرتفع لتعجب العظمة الله تعالى وقدرته
لما يشرفون منها على عجايب خلقته كما انهم يسبحون في كل هبوط رعاة بضم الراء جمع راع اي
بزنه مراعون للشمس اي بطلوعها واستوائها وغروبها محافظة لاوقات الصلاة واداء اوراد
لها وانه وقد روى الحاكم عن عبد الله بن ابي اوفى مرفوعا ان خيار عباد الله الذين
يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله وقوله يصلون الصلاة اذا جاء وقتها
استيناف تعليل لما سبق اي يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا اوقات الصلاة
قيلا يفوت عنهم الصلوات في وقتها ثم استيناف بيان لبقية احوالهم بقوله يتأزرون
بتشديد الزاي اي يشدون ازارهم على انصافهم اي من السرة الى الركبة ويؤيده ما في
بعض نسخ المصابيح على اوساطهم او يشدون معقد السراويل والمراد مبالغتهم في ستر
عوراتهم ويجوز ان يكون على معنى الى اي ازارهم الى انصاف سوقهم قال الطيبي وفيه ادماج
لمعنى التجلد والتشمر للقيام الى الصلاة لان من شد ازاره الى ساقه تشمر لما اوله ما اهم
شانه او يكون كناية عن التواضع كان جر الازار كناية عن التكبر والخيلا ويتوضؤون اي
ويصبون ماء الوضوء على اطرافهم اي على اماكن الوضوء ويسبغونها مناديهم اي مؤذنهم
ينادي في جو السما اي في مكان مرتفع من منارة ونحوها صفهم في القتال وصفهم في الصلاة
سواء اي في كونهم كالبنيان مرصوص قال الطيبي شبه صفوفهم في الجماعات بسبب تجاهد
النفس الامارة والشيطان بصف القتال والمجاهدة مع اعداء الدين واخرجه مخرج التشبيه
لى التشبيه ايذانا بان كل واحد منهما يصلح ان يكون مشبها ومشبها به بل اخر ذكر صف الصلاة
ليكون مشبها به لكونه ابلغ لهم بالليل دوي بفتح الدال وتشديد الياء اي صوت خفي بالتسبيح
والتهليل وقراءة القرآن كدوي النحل هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي مع تغيير يسير
قلت كان الاولى ايراد لفظ الدارمي فانه من اجل المخرجين ونقله اكمل عند المحدثين وعن
عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة خبر قوله صفة محمد اي نعته وحليته قوله وعيسى
بن مريم يدفن معه عطف على المبتدا اي ومكتوب فيها ايضا ان عيسى يدفن معه
قال الطيبي هذا هو المكتوب في التوراة اي صفة محمد كيت وكيت وعيسى بن مريم يدفن
معه او المكتوب صفة محمد كذا وعيسى بن مريم يدفن معه قال ابو مسعود وهو احد
رواة الحديث مدني ذكره الطيبي وقال المؤلف هو عبد العزيز بن سليمان المدني راى ابا
سعيد الخدري وسمع السائب بن يزيد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل

د نقوه توفي في امارة المهدي له ذكر في باب فضائل سيد المرسلين وقد نفي في البيت
اي في حجرة عائشة موضع قبر فقيل بينه صلى الله عليه وسلم وبين الصديقين وهو
اقرب الى الادب وقيل بعد عمر وهو الاظهر فقد قال الشيخ الجزري وكذا اخبرنا غير واحد ممن
دخل الحجرة وراى القبور الثلاثة على هذه الصفة النبي صلى الله عليه وسلم مقدم
وابو بكر متاخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وراس عمر كذلك من ابي بكر
تجاه رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وبقي موضع قبر واحد الى جنب عمر وقد جاء ان عيسى
عليه السلام بعد لبثه في الارض يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة فيحمل الى المدينة
فيدفن في الحجرة الشريفة الى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان مصاحبين
بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما الى يوم القيامة
رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن ابن عباس قال ان الله تعالى فضل
محمدا صلى الله عليه وسلم على الانبياء وعلى اهل السماء فقالوا يا ابا عباس هو كنية ابن عباس بم فضله اي الله
على اهل السماء كانهم قدموا الاهم فالاهم او على سنن اليوم تبيض وجوه الاية قال ان الله تعالى
قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال الطيبي تعليم التفضيل من صولة الخطاب وغلظته في مخاطبة اهل السماء فرضى ما لا يتاتى
منهم وجعله كالواقع وتزلزلوا لو عثر الشهر بباطنها الكبرياء وجلاله وانهم بعداء من ان
ينسبوا الى ما يشاركونه كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم
ومن ملاطفته في الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم وانه ما صدر ويصدر منه مغفور
وجعل فتح مكة علة للمغفرة والنصرة واتمام النعمة والهداية الى الصراط
المستقيم وانزال السكينة في قلوب المؤمنين انتهى وخلاصة كلامه انه تعالى غلظ
في وعيد خطابهم ولاطف في خطاب وعده لكن فيه نظر فانه سبحانه قد بالغ في مدحهم
في مواضع كثيرة على ما لا يخفى ومنه ما قبل هذه الاية وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه
بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وغلظ في الوعيد لنبيه صلى الله
عليه وسلم على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين مع ان المراد بقوله ومن يقل منهم يحتمل ان يكون من الملائكة او من الخلائق
قال القاضي يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي
الربوبية انتهى فالاولى ان يقال في وجه التفضيل ان هذه الاية تدل على انه مبعوث
الى الملائكة ايضا كما قال به بعض العلماء قالوا وما فضله اي زيادة فضله على الانبيا
قال قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء
الاية ويهدي من يشاء وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة للناس

قال الطيبي واما بيان فضله على الانبيا فان الاية دلت على ان كل نبي مرسل الى قوم مخصوص
وهو صلى الله عليه وسلم مرسل الى كافة الناس ولا ارتياب ان الرسل انما بعثوا لارشاد
الخلق الى الطريق المستقيم واخراج الناس من الظلمات الى النور ومن عبادة الاصنام الى
عبادة الملك العلام فكل من كان منهم في هذا الامر اكثر تاثيرا كان افضل وافضل وكان
له صلى الله عليه وسلم فيه القدح المعلى وحاز قصب السبق اذ لم يكن مختصا بقوم دون
قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الارض ومغاربها وتغلغل في كل مكان
واستمر امتداده على وجه كل زمان زاده الله شرفا على شرف وعزا على عز ها ردشارف
ولم يبارز خاله الفضل يجدا فيه سابقا ولاحقا فارسله الى الجن والانس اي كما يستفاد من
بقية الايات القرانية نحو قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
ونحو قوله عز وجل يا معشر الجن والانس على ما في سورة الرحمن فذكر الناس بزيادة الكافة
تعظيما او تغليبا او لانه يعمهم ففي القاموس يكون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس
جمع عزيز ادخل عليه وقيل الفا للتعقيب وظاهر العبارة تقتضي ان يكون للتنبيه
وتوجيهه ان تعريف الناس لاستغراق الجنس وكافة اما حال او صفة مصدر محذوف
اي تكفهم ان يخرج فرد من افراد هذا الجنس من الارسال والجن تبع للناس فعلم التزاما
ارساله الى الثقلين جميعا وعن ابي ذر الغفاري منسوب الى غفار بكسر اوله
قبيلة مشهورة قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي حتى استيقنت
قال الطيبي حتى غاية العلم اي كيف تدرجت في العلم حتى بلغ علمك غايته التي هي
اليقين فقال يا ابا ذر اتاني ملكان وانا ببعض بطحاء مكة فوقع اي فنزل احدهما الى
الارض وكان الاخر بين السماء والارض اي واقفا فقال احدهما لصاحبه الظاهر انه
النازل اهو هو وضع احدهما موضع هذا قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به بصيغة المجهول
فوزنته على بناء الفاعل اي غلبته في الوزن ورجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم
ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزنت بهم فرجحتهم كاني انظر اليهم
اي الى الالف الموزون ينتثرون علي من خفة الميزان اي من خفة تلك الكفة قال فقال احدهما لصاحبه
لو وزنته بامته اي بجميع الخلق من قومه لرجحها قال الطيبي وفيه ان الامة كانوا يفتقرون في معرفة
كونه نبيا الى امثال هذه الخوارق قلت وهذا ايضا يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال المذكور
المشهور في سؤال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى رواهما اي الحديثين الدارمي وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اي وجب على النحر اي الاضحية وقال الطيبي اي وجب
علي به قوله تعالى فصل لربك وانحر ولم يكتب عليكم قيل النحر كان واجبا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان لم يكن عينا الخبر ثلاث كتبن علي ولم يكتب عليكم الضحى والاضحى والوتر ذكره ابن
الملك في شرح المشارق في حديث نزلت علي انفا سورة انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر الخ
وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها قال الطيبي لم توجد في الاحاديث وجوب الضحى عليه صلى الله

عليه وسلم سوى هذا الحديث رواه الدارقطني قال ابن حجر في شرح الشمائل رواية الدارقطني
امرت الى صحيفة واما ما قيل انها من خصائصه بمعنى ان النبي من خصوصياته كما صرحوا به
وجوب اصل صلاتها لا تكرارها كل يوم قالت وقد رواه احمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس
ايضا بلفظ كتب علي الاضحى ولم يكتب عليكم وامرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها فاقل مرتبة
هذا الحديث ان يكون حسنا ولولا ثبوته لما عدت من خصائصه ثم المتبادر من وجوبها عليه
ان يكون في كل يوم كما في بقية الواجبات الشرعية نعم الاولى انه لا يلزم من الامر لوجوب لاحتمال
ان يكون من الاستحباب ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن ابن عباس مرفوعا امرت بالوتر والضحى
ولم يعزم علي ورواه احمد عن ابن عباس امرت بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب والجمع بين الادلة
ان اصلها واجب واستمرارها مستحب ٥ والله اعلم ٥

باب اسما النبي صلى الله عليه وسلم

وصفاته الظاهر انه عطف تفسيري فانه صلى الله عليه وسلم ليس له اسم جامد لغة وله اسما
نقلت من الوصفية الى العلمية كاحمد وغيرها وله صفات باقية على اصلها مختصة
به او اشترك فيه غيره والاظهر ان المراد بالاسما هو المعنى الاعم منها ومن الصفات الشاملة للتي
تاتي بيانها ثم من القواعد المقررة ان كثرة الاسما تدل على عظمة المسمى ففي شرح مسلم
للنووي ذكر ابو بكر بن العربي المالكي في كتابه الاحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم ان الله
تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم ايضا ثم ذكر منها على التفصيل بضعا
وستين وقال ابن الجوزي في الوفا ذكر ابو الحسين بن فارس اللغوي ان لنبينا صلى الله عليه وسلم
اثنين وعشرين اسما وذكرها الطيبي مفصلا وقد افرد السيوطي رسالة سماها البهجة السوية في
الاسما النبوية وقد اشتملت على بضعة وخمسمائة من الصفات المصطفوية ولخصها باخراج
تسعة وتسعين اسما من صفاته العليا على طبق عدد اسما الله الحسنى والان فنقتصر على ما ورد
في الاحاديث الاتية مما المقصود هي الشافية والكافية والوافية

الفصل الاول

عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لي اسما اي كثيرة عظيمة شهيرة
انا محمد فقيل هو اسم مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد يقال حمدت فلانا احمده اذا اثنيت عليه
بجلائل خصاله واحمدته اذا وجدته محمودا ويقال هذا الرجل محمود فاذا ابلغ النهاية في ذلك وتكاملت
فيه المحاسن والمناقب فهو محمد قال الاعشى يمدح بعض الملوك ٥ الى الماجد القرم الجواد المحمد ٥
اراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة وهذا البنا ابدا يدل على بلوغ النهاية كما تقول في الحمد
محمد وفي الذم مذمم وقيل هذا البنا للتكثير نحو فتحت الباب فهو مفتح اذا فعلت به ذلك مرة
بعد اخرى ومحمد اسم منقول على سبيل التفاؤل انه سيكثر حمده اقول وقد كان في الظاهر
ما اضمر في الباطن وسيحمده الاولون والاخرون في المقام المحمود وتحت اللواء المحمود وانا احمد
افعل تفضيل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة اي احمد من كل حامد ومحمود بناء على انه للفاعل
او المفعول والاول اظهر لئلا يتكرر ولانه تعالى يلهمه المحامد يوم القيامة لم يلهمها احدا من

الاولين والاخرين فهو جامع بين الحامدية والمحمودية والمريدية والمرادية وقد اشرت الى بعض
الكلمات الصوفية مما هو من المشارب الصفية في رسالتي المسماة بالصلاة العلوية على
الصلاة المحمدية هذا وقال ابن الجوزي في الوفا قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم
يجعل له سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشرت به الانبياء فلو جعل الاسم
مشتركا فيه لما تمت الدواعي ودفعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر اهل الكتاب
بقربه سموا اولادهم بذلك وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر لانه صلى الله عليه وسلم بعث
والدنيا مظلمة بغياهب الكفر فاتى صلى الله عليه وسلم بالنور الساطع حتى محا الكفر قال
النووي يحتمل ان يراد به الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وجاء
في حديث اخر مفسرا بالذي محيت به سيئات من تبعه كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف وانا الحاشر اي ذو الحشر الذي يحشر اي يجمع الناس على قدمي بفتح
ميم وتشديد يا وفي بالكسر والتخفيف اي على اثري قال النووي ضبطوه بتخفيف
اليا على الافراد وتشديدها على التثنية قال الطيبي والظاهر على قدمي اعتبارا
للموصول الا انه اعتبر المعنى المدلول للفظ انا وفي شرح السنة اي يحشر اول الناس لقوله انا
اول من تنشق عنه الارض وقال النووي اي على اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي قال
الطيبي هو من الاسناد المجازي لانه سبب في حشر الناس لان الناس لم يحشروا ما لم يحشر
وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي الظاهر ان هذا تفسير للصحابي او من بعده
وفي شرح مسلم قال ابن الاعرابي العاقب الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه يقال
عقب الرجل لولده متفق عليه ورواه مالك والترمذي والنسائي وعن ابي موسى الاشعري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما فقال انا محمد وانا احمد والمقفي
بكسر الفا المشددة في جميع الاصول المصححة اي المتبع من قفى اثره اذا اتبعه يعني انه
اخر الانبياء الاتي على اثرهم لا نبي بعده وقيل المتبع لاثارهم امتثالا لقوله تعالى فبهداهم
اقتده وهو في معناه العاقب وفي بعض نسخ الشمائل بفتح الفاء المشددة لانه قفي به
قال الطيبي قيل هو على صيغة الفاعل وهو المولي الذاهب يقال قفى عليه اي ذهب به فكانه
المعنى هو الاخر الانبيا فاذا قفي فلا نبي بعده بمعنى المقفي والعاقب واحد لانه تبع الانبيا
او هو المقفي لانه المتبع للنبيين وكل شي تبع شيئا فقد قفاه يقال هو يقفو اثر فلان
اي يتبعه قال تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا هذا احد الوجهين والوجه الاخر ان يكون
المقفي بفتح القاف ويكون ماخوذا من القفي والقفي الكرم والتضيف والقفاوة البر واللطف
فكانه سمي المقفي لكرمه وجوده وفضله والوجه الاول احسن واوضح قول والظاهر
ان هذا الوجه الثاني لا وجه له بل هو تصحيف لمخالفته اصول المصححة والشمائل والشفا
والحاشر ونبي التوبة لانه تواب كثير الرجوع الى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اني استغفر الله

في اليوم سبعين مرة او لانه قبل من امته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الامم السالفة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولما كان هذا المعنى مختصا به سمي نبي التوبة ونبي الرحمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة والرحمة العطف والرافة والاشفاق لانه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤف رحيم ولذا كانت امته امة مرحومة لان النبي صلى الله عليه وسلم ما يرحم الا من رحمه الله رواه مسلم وكذا احمد على ما ذكره السيوطي عنهما لكن بلفظ الرحمة ثم قال وزاد الطبراني في الكبير ونبي الملحمة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم اي ذمهم والاستفهام للتقرير بين وجه الصرف مستانفا بقوله يشتمون بكسر التاء اي يسبون مذمما ويلعنون مذمما وانا محمد اي لا مذمم والمعنى ان ما ذكروه اوصاف المذمم وانا بحمد الله محمد وقيل كانوا يسمونه بمذمم مكان محمد قال التوربشتي يريد بذلك انهم يظهرونه بمذمم مكان محمد وكانت العوراء بنت حرب زوجة ابي لهب تقول مذمما قلينا ودينه ابينا وامره عصينا رواه البخاري وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط بكسر الميم اي شاب مقدم راسه ولحيته ففي المغرب شمط بالكسر اذا ابيض شعر راسه يخالط سواده والوصف اشمط وبالفارسية دو موي في المعنى ظهر الشيب في شعر راسه ولحيته وكان اي هو وشيبه اذا دهن بتشديد الدال اي استعمل الدهن لم يتبين اي لم يظهر الشيب واذا شعث بكسر العين اي تفرق راسه اي شعره تبين اي ظهر بعض الشيب قال الطيبي دل هذا على انه عند الادهان يجمع شعر راسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا يتبين فاذا شعث راسه تبين اقول والاظهر ان شعث الراس كناية عن عدم الادهان ويدل عليه ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة ايضا سئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان اذا ادهن راسه لم ير منه شيب فاذا لم يدهن روي منه وقد روى الترمذي عن ابن عمر قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضا وعن انس قال ما عددت في راس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا اربع عشرة شعرة بيضا وكان كثير شعر اللحية اي كثيفها لا دقيقها او المراد انه لم يكن كوسجا فقال رجل وجهه مثل السيف يعني في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول ايضا قال اي جابر لا بل كان اي وجهه مثل الشمس والقمر اي في قوة الضياء وكثرة النور ويحتمل ان يكون الاستفهام مقدرا فالتقدير اوجهه مثل السيف فقال لا الى اخره ثم قال تتميما للمبنى وتعميما للمعنى وكان اي وجهه مستديرا اي مايلا الى التدوير اذ ورد في شمايله انه لم يكن مكلثم الوجه قال الطيبي رد الراوي ردا بليغا حيث شبهه بالسيف الصقيل ولما لم يكن الوجه شاملا للطرفين قام بتمام المراد من الاستدارة

والاشراق الكامل والملاحة قال لا بل كان مثل الشمس في نهاية الاشراق والقمر في الحسن والملاحة لما لم يفهم منه الاستدارة عرفا قال وكان مستديرا بيانا للمراد فيهما ورايت الخاتم بفتح التاء وكسرها اي خاتم النبوة عند كتفه مثل بيضة الحمامة اي قدرها ورايته اي لونه يشبه جسده اي لون سائر اعضائه والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته وفي نفي البرص رواه مسلم وفي الجامع كان خاتم النبوة في ظهره بضعة ناشزة اي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم رواه الترمذي في الشمائل عن ابي سعيد وفي رواية للترمذي عن جابر بن سمرة كان خاتمه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة وقد جمعت غالب طرق الفاظ الحديث وبينت مبانيه واوضحت معانيه في شرح الشمائل وعن عبد الله بن سرجس بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس كذا في اسماء الرجال للمؤلف وبرجوع على ما في القاموس بكسر النون وفتحها معروف ذكره في رجس فالنون زائدة حينئذ كونه غير منصرف على ما في بعض النسخ والمعتمد ما في بعضها من فتح السين وسكون الراء وكسر الجيم مصروفا وهو المطابق لما في المغني وفي نسخة بفتح الجيم وما رايت له وجها قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت معه خبزا ولحما وقال ثريدا شك في اللفظ والاتحاد في المعنى او اختلاف في المراد وقد جاء في رواية ابي داود والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان احب الطعام اليه الثريد من الخبز والثريد من الحيس ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى اي بكسر المعجمة الاولى اعلى الكتف وقيل عظم رقيق على طرفها كذا في النهاية وتبعه ابن الملك وقال شارح الناغض الغضروف وهو ما لان من العظم وقيل اصل العنق وقيل ما ارتفع من الكتف وهو اعلاه ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور من انه بين كتفيه لانه يحتمل انه وجد كذلك والقول المشهور لا يدل على كونه تقييدا على السواء بل يحتمل ان يكون بينهما على التفاوت من احدى الجانبين او كان على السواء وخيل اليه انه الى اليسرى اقرب وكذلك القول فيمن روى عنه اي عن كتفه اليمنى جمعا بضم الجيم وسكون الميم ففي النهاية الجمع هو ان تجمع الاصابع وتضمها يقال ضربه بجمع كفه بضم الجيم انتهى واما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم وفي المصابيح جميعا اي مجموعا قال الامام التوربشتي اي لا اعرفه رواية والاشبه انه غلط من الكاتب وفي كتاب مسلم مثل الجمع بضم الجيم وهو الكف حين تقبضها ويؤيده ما ورد في صفة خاتم النبوة كالكف وفي كتاب مسلم من طريق اخرى جمعا اي كجمع ونصبه بنزع الخافض قال ابن الملك ويروى بفتح الجيم ونصبه على انه حال اي نظرت اليه مجموعا او مجتمعا قال النووي وظاهر قوله جمعا يحتمل ان يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وان يكون في المقدار والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله مثل بيضة الحمام عليه خيلان بكسر اوله جمع خال وهي نقطة تضرب الى السواد وفي النهاية هو الشامة في الجسد كامثال الثاليل بفتح المثلثة وبمد الهمزة وكسر اللام الاولى جمع ثؤلول بضم الثاء وسكون الهمزة خراج صلب يخرج على الجسد

له ثنو واستداره وفي النهاية وهو هذه الحبة التي يظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها
وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون الخاء المعجمة رواه مسلم وعن ام خالد بنت خالد بن
سعيد قيل اسلم بعد ابي بكر فهو ثالث او رابع في الاسلام قال المؤلف هو ابن العاص الاموية
وهي مشهورة بكنيتها ولدت بارض الحبشة وقدم بها الى المدينة وهي صغيرة ثم تزوجها الزبير
ابن العوام روي عنها نفر قالت اتي النبي صلى الله عليه وسلم اي جيء بثياب فيها خميصة
اي في جملتها كساء اسود مربع له علمان ذكره المظهر فقوله سوداء تاكيدا وتجريد صغيرة
فقال ائتوني بام خالد فاتي بها اي بام خالد لتحملها لان الضمير فيها اي محمولة لانها طفل فاخذ
الخميصة بيده فالبسها لا يخفى ما فيه وفيما قبله من التنقل بالمعنى او الالتفات في المبنى
قال استئناف بيان ابلي امر مخاطبة لها من الابلاء وهو جعل الثوب خلقا واخلقي من الاخلاق
بمعناه وجمع بينهما للتاكيد والمراد الدعا فقوله ثم ابلي واخلقي زيادة مبالغة في ارادتها
لها بطول عمرها ثم اعلم ان اخلقي بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفاء فهو تاسيس لا تاكيد
لفظا وان كان يؤول اليه معنى واخلفي ثوبا بعد ثوب فان الاخلاق غالبا لا يكون الا بعد
الاخلاق ويؤيده ما رواه ابو داود انه صلى الله عليه وسلم لما راى على ام خالد ثوبا جديدا
قال لها ابلي ويخلف الله وفي الحصن ابلي واخلقي ثم ابلي واخلقي فذكره بصيغة الافراد ثلاث
مرات ولعله نقل بالمعنى او وقع خطابه صلى الله عليه وسلم لاحد من اصحابه من غيرها بهذا
الدعا ثلاث مرات والله اعلم وكان فيها اي في الخميصة علم اخضر او اصفر فقال يا ام خالد
هذا اي العلم او هذا الثوب اسناده حسن وهو بفتح السين المهملة وبنون قال في النهاية السكنة
وفي نسخة بكسر السين وروي سنا بلا الف ونون خفيفة وروي بنون مشددة وهي بفتح
اوله عند الجميع الا القابسي فانه بكسرها وهي اي كلمة سناه اي بلغة الحبشة حسنة لانها
باعتبار انها نشأت هناك وهي بالحبشية وهو من كلام ام خالد او تفسير من غيرها قالت فذهبت
العب بخاتم النبوة فزبرني ابي اي صاح علي وزجرني وهددني ونهاني عن ذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعها اي تتبرك بالخاتم ايضا كما تبركت باللباس للخلقة الشريفة وهذا يدل
كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته وقد اشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي
قدس سره في عوارفه الى اسناد المشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث اقول ولعله
اراد الباس خرقة التبرك دون الباس خرقة الاجازة رواه البخاري وكذا ابو داود وعن
انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن اي الباعد عن حد الاعتدال
والمفرط طولا الذي بعد من قدر الرجال الطوال او الظاهر البين طوله من بان اذا بعد او ظهر ولا
بالقصير اي المتردد كما في رواية والحاصل انه كان معتدل القامة لكن الى الطول اميل
فان النفي انصب الى قيد وصف البائن فيثبت اصل الطول ونوع منه فهو بالنسبة الى الطويل
البائن قصير ولذا افيد نفي القصير بالمتردد ويؤيده انه جاء في رواية انه ربعة الى الطول وهذا
انما هو حد ذاته والا فما ماشاه طويل الا غلبه صلى الله عليه وسلم في الطول وليس بالابيض

الابهق

الامهق اي الذي بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا غيرها كلون الثلج والبرص واللبن فالمراد انه كان
نير البياض وقد جاء في رواية انه كان بياضه مشوبا بالحمرة وهو احسن انواع الالوان المستحسنة
عند الطباع الموزونة وهذا معنى قوله ولا بالآدم اي الشديد السمرة وليس بالجعد القطط
بفتحتين ويكسر الثانية اي الشديد الجعودة كشعور الحبش ولا بالسبط بكسر الموحدة وفتحها
وسكونها وهو من السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما في غالب شعور الاعاجم
وفي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعودة فالمعنى ان شعره صلى الله عليه وسلم كان
وسطا بينهما بعثه الله على راس اربعين سنة المشهور انه صلى الله عليه وسلم بعث بعد
استكمال اربعين سنة فالمراد بالراس اخر السنة كما في قول القراء والمفسرين من ان رؤس الاي اواخرها
سواء اريد بلفظ الاربعين السنة التي تنضم الى تسعة وثلاثين او مجموع السنين من اول
الولادة الى استكمال اربعين سنة هذا وقال صاحب جامع الاصول ان الصحيح عند اهل العلم
بالاثر انه بعث على راس ثلاث واربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين اي على خلاف في ثلاث والا
فالصحيح ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون فمن قال ستين الغى الكسر ومن قال خمسا وستين
ادخل سنة الولادة والوفاة ثم العشر بسكون الشين واما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها
ايضا فغير معروف وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على راس ستين سنة وليس اي والحال انه
لا يوجد عند وفاته في راسه ولحيته عشرون شعرة بسكون العين ويفتح بيضاء بل
ما عددن فيها الا اربع عشرة شعرة بيضاء كما تقدم والله اعلم وفي رواية يصف اي ينعت
انس النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ربعة بسكون الموحدة وقد تفتح من القوم يقال رجل
ربعة ومربوع اذا كان بين الطويل والقصير فقوله ليس بالطويل ولا بالقصير تفسير وبيان
له ازهر اللون خبر بعد خبر لكان اي نير اللون وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره
شارح وقال الطيبي نقلا عن القاضي الازهر الابيض المستنير والزهر والزهرة البياض النير وهو
احسن الالوان وقال اي انس كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح العين وتسكن الى انصاف
اذنيه نصفها لذال وتسكن وفي رواية بين اذنيه وعاتقيه متفق عليه وفي رواية للبخاري
قال كان ضخم الراس اي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعادته
واشارته الى كمال رياسته وسيادته والقدمين للايماء الى الشجاعة والثبات والقوة في العبادات
لم ار بعده اي بعد شهوده ولا قبله اي قبل وجوده مثله اي مماثلا ومشابها في جميع مراتب
الكمال خلقا وخلقا في كل الاحوال وهذا فذلكة مشاهدة للعجزة عن مراتب وصفه ومناقب
نعته وكان سبط الكفين اي غليظهما قال ابو عبيد يعني انهما الى الغلظ والقصر وقال غيره
هو الذي في انامله غلظ بلا قصر ويحتمل ان يكون كناية عن الجود لان العرب تقول للبخيل جعد
الكف وفي ضده سبط الكف وفي اخرى له اي للبخاري قال كان شثن القدمين والكفين بسكون
المثلثة اي غليظ الاطراف من شثن بالضم والكسر اذا غلظ ويحمد ذلك في الرجال لانه اشد
لقبضهم وادل على قوتهم ويذم في النساء لفوات المطلوب منهن وهو الرعاية ثم المراد غلظ

العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن انس ما مسست ديباجة ولا حريرة الين من كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا اي قريبا منه والا فهو
اطول منه بعيد ما بين المنكبين روي مكبرا ومصغرا وروي منصوبا على انه خبر بان لكان ومرفوعا
على حذف المبتدا له شعر يبلغ شحمة اذنيه اي وصلها وفي رواية ابن ماجة والترمذي في الشمائل
عن عائشة كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة والجمة من شعر الراس ما سقط على المنكبين
والوفرة شعر الراس اذا وصل شحمة الاذن ولعل اختلاف الروايات باعتبار اختلاف
الحالات رايته في حلة حمراء اي فيها خطوط حمر ذكره ابن الملك وقال ابن الهمام هي عبارة عن ثوبين
من اليمن فيهما خطوط حمر وخضر لا انه احمر بحت وقال العسقلاني هي ثياب ذات خطوط قال
ميرك فلا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الاحمر فلو سلم لو حمل على ظاهره فلا دلالة له ايضا اذ يحتمل
انه من باب الاختصاص او قبل النهي او لبيان الجواز فيفيد ان النهي عن الحمرة للكراهة
لا للحرمة لم ار شيئا قط احسن منه وهو ايضا يفيد نفي المساواة متفق عليه ورواه ابو داود
والترمذي والنسائي وفي رواية لمسلم وكذا للثلاثة قال ما رايت من ذي لمة بكسر اللام وتشديد
الميم في النهاية اللمة من شعر الراس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي
الجمة احسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره يضرب اي يصل منكبيه بعيد ما بين
المنكبين بالرفع ليس بالطويل ولا بالقصير اي المفرطين وعن سماك بن حرب بكسر السين
تابعي مشهور كوفي قال ادركت ثمانين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن جابر بن سمرة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم اي وسيعه وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية
البلاغة وقال النووي اي عظيمه هكذا قاله الاكثرون وهو الاظهر قالوا والعرب تمدح بذلك
وتذم صغر الفم اشكل العينين الاشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطة او ما فيه
بياض يضرب الى حمرة منهوس العقبين بالسين المهملة اي معرقهما على ما في القاموس وفي المهملة
والمعجمة قليل لحمهما ما ضليع الفم قال عظيم الفم في القاموس رجل ضليع الفم اي عظيمه او واسعه
او عظيم الاسنان متراصفها والعرب تمدح سعة الفم وتذم صغره قيل ما اشكل العينين قال
طويل شق العين بفتح الشين قال القاضي عياض تفسير سماك اشكل العينين وهم منه
وغلط ظاهر وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله ابو عبيدة وجميع اصحاب الغريب وهو ان
الشكلة حمرة في بياض العين وقيل ما منهوس العقبين قال قليل لحم العقب رواه مسلم
وكذا الترمذي وعن ابي الطفيل قال المؤلف هو عامر بن واثلة الليثي الكناني غلبت عليه
كنيته ادرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ومات سنة مائة واثنين بمكة
وهو اخر من مات من الصحابة في جميع الارض روى عنه جماعة قال رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان ابيض مليحا احترازا من كونه امهق مقصدا بفتح الصاد المشددة اي متوسطا
معتدلا وفي النهاية هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كان خلقه يجيء به القصد
من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى احد طرفي التفريط والافراط رواه مسلم وكذا الترمذي

في الشمائل

في الشمائل عنه وفي رواية له فيها عن ابي هريرة كان ابيض كانما صيغ من فضة وروى البيهقي
عن علي انه صلى الله عليه وسلم كان ابيض مشربا بحمرة وعن ابي هريرة اذا وضع رداءه عن
منكبيه فكانه سبيكة فضة وعن ثابت قال المؤلف هو ثابت بن اسلم البناني ابو محمد تابعي من اعلام
اهل البصرة وثقاتهم اشتهر بالرواية عن انس بن مالك وصحبه اربعين سنة قال سئل انس
عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر الخاء ما يختضب به من حمرة لونه على ما في القاموس
فقال انه لم يبلغ ما يخضب بكسر الضاد قال شارح فاعل يبلغ ضميرا يرجع الى شعر النبي صلى الله عليه وسلم
وما مصدرية وفاعل يخضب النبي صلى الله عليه وسلم اي يبلغ الخضاب وقيل ما موصولة وعائدها
محذوف اي يخضبه وهو مفعول يبلغ اي لم يبلغ شعره حدا يخضبه يعني كان بياضه قليلا
قال الطيبي اي كان قليلا لان الشيب لا يظهر في ابتداء النظر فلم يفتقر كنه بالخضاب لو شئت
ان اعد اي احصي شمطاته بالحركات اي شعراته البيض في لحيته جواب لو محذوف اي لعددتها
او لعددتها او لفعلت وفي رواية لو شئت ان اعد شمطات كن في راسه فعلت وهو كناية عن
قلة البياض فيهما لان المعدود قليل وما فاق القليل ومنه قوله تعالى اياما معدودات ودراهم
معدودة وفي رواية لمسلم قال انما كان البياض اي ما حصل وهو الشعر الابيض كناية
عن الشيب في عنفقته بفتح العين وسكون النون فقاف ثم قاف اي شعره النابت تحت شفته
السفلى وفوق الذقن وفي الصدغين بضم اوله اي الشعر المتدلي على ما بين
العين والاذن وفي الراس نبذ بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة اي شيء يسير من شيب
وفي نسخة بنون مضمومة وموحدة مفتوحة اي شعرات متفرقة قال الطيبي نبذ مبتدا
وقوله في عنفقته خبره والجملة خبر كان ثلث ولا يبعد ان يكون الجملة معطوفة على جملة
انما كان والاظهر ان الجار معطوف على ما قبله من امثاله ونبذ خبر مبتدا محذوف هو وهو
راجع الى البياض وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي ابيض نيرا
كان بتشديد النون عرقه اللؤلؤ اي في الصفاء والضياء اذا مشى تكفا بتشديد الفاء
مهموزا وفي نسخة صحيحة فالف قال النووي هو بالهمز وقد يترك همزه وزعم كثيرون انه بلا همزة وليس
كما قالوا ونقل شارح عن التوربشتي ان الرواية المعتد بها تكفي بغير همز وذكر الهروي ان
الاصل فيها الهمزة تركت قال التوربشتي قيل اي مائلا الى قدام كما تتكفا السفينة في جريها
من قولهم اكفات الاناء وكفاته اذا املته ويقال كفات الاناء فتكفا وتكفا او اراد به الترفع عن الارض
مرة واحدة كما يكون مشي الاقوياء وذوي الجلادة بخلاف المتماوت الذي يجر رجله في الارض ويدل
عليه قول الواصف اذا مشى تقدم وفي شرح مسلم قال شمر معناه مال يمينا وشمالا كما تكفا
السفينة قال الازهري هذا خطا لان هذه صفة المختال قال القاضي عياض لا بعد فيما قاله
شمر اذا كان خلقة وجبلة والمذموم منه ما كان مستعملا مقصودا اما مسست بكسر السين
الاولى وبفتح ديباجة بكسر الدال وبفتح وهو نوع من الحرير ولا حريرا اي مطلقا الين من كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت بكسر الميم وبفتح مسكا ولا عنبرة اطيب من رائحة

النبي صلى الله عليه وسلم قال العسقلاني مسست بكسر المهملة الاولى على الافصح وكذلك شممت
بكسر الميم الاولى على الافصح وكذلك شممت بكسر الميم الاولى وفتحها لغة ويقال في المضارع
امسه واشمه بالفتح فيهما على الافصح وبالضم على اللغة المذكورة وفي القاموس الشم حس الانف
شممته بالكسر اشمه وشممت اشم بالضم شما متفق عليه وفي الشمائل للترمذي كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا قط ولا شيئا كان الين
من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة من عرف بالفاء وعنه اي عن انس عن ام سليم
بالتصغير كذا في الاصول المعتمدة وفي بعض النسخ وعن ام سليم بدون قوله وعنه قال
المؤلف هي بنت ملحان بكسر الميم وفي اسمها خلاف تزوجها مالك بن النضر ابو انس بن مالك فولد
له انسا ثم قتل عنها مشركا واسلمت فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت ودعته الى
الاسلام فاسلم فقالت اني اتزوجك ولا اخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها
ابو طلحة روى عنها خلق كثير ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيها اي يجيء بيتها فيقيل
بفتح الياء من القيلولة وهي الاستراحة عند الهجيرة وقد يكون مع النوم عندها اي
لانها كانت ام خادمه وهو انس ولانه لا يخشى على الكشف او الخلوة قال النووي ام حرام
وام سليم كانتا خالتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين اما من الرضاع واما
من النسب فتحل له الخلوة بهما فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على غيرهما من النساء وقيل
انما كان يقيل عندها لانها كانت من محارمه من جهة الرضاع والا لم يدخل النبي صلى الله
عليه وسلم قبل نزول الحجاب عليها وعلى اختها ام حرام وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما
من نساء الانصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رضيعا في المدينة فتعين ان يكون
ذلك من قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وقال التوربشتي قد وجدت في بعض
كتب الحديث انهما كانتا من ذوات محارم النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه
وسلم لم يكن يقيل في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم ووصلة
فلا بد ان يكون ذلك من جهة الرضاع واذ قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقيل
في بيت اجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم ووصلة فلا بد ان يكون ذلك من جهة
الرضاع واذ قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل في المدينة رضيعا تعين ذلك
ان يكون من قبل ابيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وكان عبد المطلب قد فارقا باكا
هاشما وتزوج بالمدينة في بني النجار وام حرام وام سليم بنتا ملحان كانتا من بني النجار
وعرفنا من جميع ذلك ان الحرمة بينهم كانت حرمة الرضاع ولقد وجدنا الجم الغفير من علماء
النقل اوردوا احاديث ام حرام وام سليم ولم يبين احد منهم العلة اما من الغفلة
عنها واما لعدم العلم بها فاحببت ان ابين وجه ذلك كيلا يظن جاهل انه كان في سعة
من ذلك لمكان العصمة ولا يتدرجه مستبيح الى الترخص بالارخصة في وراثي والله

اعلم

اعلم اول من وقفت لذلك فواها لها من درة كنت مستخرجها والله الموهبة فتبسط اي
تفرش ام سليم نطعا بكسر النون وفتحها وسكون الطا وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك
وكعنب بساط من الاديم فيقيل عليه وكان كثير العرق اي لانه كان كثير الحيا فكانت تجمع عرقه
فتجعله في الطيب اي في الطيب الذي معها فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سليم ما هذا
اي الذي تفعلينه قالت عرقك نجعله في طيبنا اي ليطيب طيبنا ببركته او بزيادته وهو
اي عرقك او الطيب المخلوط به من اطيب الطيب وفي رواية قالت يا رسول الله نرجو بركته
اي كثرة خيره لصبياننا قال اصبت اي فعلت الصواب وفيه استحباب التبرك والتشرف
بآثار الصالحين قيل لما حضر انس بن مالك الوفاة اوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك الطيب
متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة
الاولى من باب اضافة الموصوف الى الصفة والمتبادر انها الصبح وقال النووي وتبعه ابن
الملك هي صلاة الظهر ثم خرج اي من المسجد الى اهله اي متوجها الى احدى الحجرات الشريفة
وخرجت معه فاستقبله ولدان جمع وليد وهو الصبي فجعل اي شرع يمسح اي بيديه
الكريمتين خدي احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدي بصيغة التثنية وفي نسخة
بالافراد على ارادة الجنس فوجدت ليده بردا اي راحة او ريحا اي رائحة طيبة والظاهر ان
ومعنى الواو او ومعنى بل كانما اخرجها اي اذا اخرج يده من الكم فكانه اخرجها من جونة عطار
بضم الجيم وسكون الهمزة ويبدل اي سلة او خفية وفي النهاية هو بضم الجيم التي يعد فيها
الطيب ويحرز قال النووي وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه وهو مما اكرمه
الله سبحانه وتعالى به قالوا وكانت هذه الريح الطيبة صفته وان لم يمس طيبا ومع هذا
كان يستعمل الطيب في كثير من الاوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقات الملائكة واخذ
الوحي الكريم ومجالسة المسلمين رواه مسلم وذكر حديث جابر سموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي
في باب الاسامي وحديث السائب بن يزيد نظرت الى خاتم النبوة تمامه مثل زر الحجلة في باب
احكام المياه **الفصل الثاني** عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير اي بل كان معتدل القامة ضخم
الرأس اي عظيمه لدلالته على عظمة رياسته واللحية اي كثيفها دون الكوسج وقد روى الطبراني
عن العداء بن خالد انه صلى الله عليه وسلم كان حسن السبلة اي اللحية شثن الكفين
والقدمين اي انهما يميلان الى الغلظ والقصر كذا في النهاية مشربا حمرة اي مخلوطا لونه
بالحمرة وهو على صيغة المفعول مخففا ويجوز تشديده وفي النهاية الاشراب خلط لون بلون
كان احد اللونين سقى اللون الاخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير
والمبالغة ضخم الكراديس اي عظيم الاعضاء وهو جمع الكردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل
نحو المنكبين والركبتين والوركين وقيل رؤوس العظام طويل المسربة بفتح الميم وسكون
السين وضم الراء الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر الى السرة اذا مشى تكفأ بتشديد

الفاء بعد همزا والفا وهو انسب لقوله تكفيا بكسر الفاء المشددة بعدها تحتية على ان اصله
تكفؤا بضم الفاء والهمز فلما خففت ماضيه بالابدال الحق مصدره بالمعتل وفي نسخة
تكفوا على الاصل وقال شارح تكفا تكفؤا بالهمز وهو الميل تارة الى اليمين واخرى الى الشمال في المشي
وقيل تكفا اي اعتمد الى القدم من قولهم كفات الاناء اذا قلبته ويؤيده قوله كانما ينحط بتشديد
الطاء اي يسقط من صبب اي منحدر من الارض فمن تحتية او بمعنى في ظرفية ولذا قيل
اي يسقط من موضع عال والمعنى يمشي مشيا قويا سريعا وفي شرح السنة الصبب الحدور
وهو ما انحدر من الارض يريد به انه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا
لا كمن يمشي اختيالا ويقارب خطاه تنعما لم ار قبله اي قبل موته لان عليا لم يدرك زمانا
قبل وجوده ولا بعده اي بعد فوته مثله صلى الله عليه وسلم وربما يكون هذا
الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقا فمع قطع النظر عن القبلية والبعدية
فنعته فذلكة مشتملة على اظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه اي عن علي كان اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم
اي من جهة خلقته قال لم يكن بالطويل الممغط بضم الميم الاولى وتشديد الثانية المفتوحة
وكسر الغين المعجمة اي الممدود من المغط وهو المد وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن
الاثير في جامع الاصول وخطاء المحدثين في جعله اسم فاعل من انمغط ووافقهم الجوهري
وتبعه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح كذا ذكره ميرك وفي النهاية هو بتشديد
الميم الثانية المتناهي في الطول من امغط النهار اذا امتد ومغطت الحبل وغيره اذا
مددته واصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت في الميم ويقال بالغين
المهملة ولا بالقصير المتردد اي المتناهي في القصر كانه تردد بعض خلقه على بعض وانضم
بعضه الى بعض وتداخلت اجزاؤه وكان ربعة من القوم اي متوسطا ما بين افرادهم
فهو في المعنى تاكيد لما قبله ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط تقدم بيان مبناه وبين
معناه فقوله كان جعدا رجلا بكسر الجيم ويفتح وبسكون اي لم يكن شديد الجعودة ولا اسبوط
ولم يكن بالمطهم بتشديد الهاء المفتوحة اي الفاحش السمين وقيل النحيف الجسم وهو من
الاضداد وقيل هو المنتفخ الوجه ولا بالمكلثم بفتح المثلثة اي المدور وجهه غاية التدوير
بل كان وجهه مائلا الى التدوير ولذا قال وكان في الوجه اي في وجهه تدوير اي نوع تدوير او تدوير
ما والمعنى انه كان بين الاسالة والاستدارة ابيض اي هو ابيض اللون مشرب اي
مخلوط بحمرة ادعج العينين اي اسود العينين مع سعتهما ذكره شارح وفي النهاية الدعج والدعجة
شدة السواد في العين وغيرها يريد ان سواد عينيه كان شديدا وقيل الدعج شدة سواد
العين في شدة بياضها اهدب الاشفار بفتح الهمز جمع شفر بالضم اي كثير اطراف الجفون كثير
الهدب عليها والاهدب الرجل الكثير اشفار العين واشفارها هي اطراف الجفون التي ينبت
عليها الشعر وهو الهدب كذا حققه شارح وفي النهاية طويل شعر الاجفان جليل المشاش

بضم

بضم الميم اي عظيم روس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وقال الجوهري هي روس العظام
التي يمكن مضغها وقال شارح اي عظيم روس العظام والمناكب والكتد اي وجليله وهو بفتح
الفوقية وبكسر ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح وفي النهاية هو مجتمع الكتفين وهو الكاهل
اجرد اي الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك وانما اراد به ان الشعر كان في
اماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين فان ضد الاجرد الاشعر الذي على جميع بدنه
شعر وقد بين بقوله ذو مسربة انه لم يكن اجرد على الاطلاق ومن اصحاب التجارب من الهند
وغيرهم من لا يحمد الرجل اذا كان في سائر اعضائه اجرد ولا سيما الصدر شثن الكفين
والقدمين اي غليظهما الدال على قوة البطش والثبات المشيرين الى صفة الشجاعة ونعت
العبادة اذا مشى يتقلع بتشديد بدل اللام اي يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا بقوة
متداركا احديهما بالاخرى مشية اهل الجلادة لا كالذي يقارب الخطى احتشاما واختيالا
فان ذلك من مشي النساء ويوصفن به كانما يمشي اي ينحط في صبب اي منحدر من الارض
فنبه بها الى قوة المشي والميل الى القدام واذا التفت اي اراد الالتفات الى احد
جانبيه التفت معا اي بكليته بمعنى انه لا يسارق النظر وقيل اراد لا يلوي عنقه
يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل
جميعا ويدبر جميعا قال التوربشتي يريد انه كان اذا توجه الى الشيء توجه بكليته ولا
يخالف ببعض جسده بعضا كيلا يخالف بدنه قلبه وقصده مقصده لما في ذلك من التلون
وآثار الخفة بين كتفيه خاتم النبوة جملة من خبر ومبتدا او هو خاتم النبيين
اجود الناس صدرا اما من الجودة بفتح الجيم بمعنى السعة والانفساح اي اوسعهم قلبا
فلا يمل ولا يتزجر من اذى الامة ومن جفاء الاعراب واما من الجود بالضم بمعنى الاعطاء ضد
البخل على احد سياس زخارف الدنيا ولا من العلوم والحقائق والمعارف التي في صدره
فالمعنى انه اسخى الناس قلبا واصدق الناس لهجة بسكون الهاء ويفتح اي لسانا ففي القاموس
اللهجة اللسان ويحرك وكذا في الصحاح وقال في الديوان اللهجة بفتحتين اللسان وهي
الفصحى وبسكون الهاء لغة ضعيفة وفي الفائق روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها
والفتح افصح وقال ابو حاتم عن الاصمعي اللهجة بهاء ساكنة ولم يعرفا اللهجة والينهم عريكة
اي جانبا وطبيعة ففي النهاية قال فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل
الخلاف واكرمهم عشيرة بفتح فكسر فتحتية اي قبيلة وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون
اي معاشرة ومصاحبة وقال الطيبي قوله عشرة هكذا هو في الترمذي والجامع
اي صحبته وفي المصابيح العشيرة اي الصاحب انتهى وفيه نظر اذ النسختان موجودتان
في الشمائل وغيره على ما بيناه والله اعلم من راه بديهة اي اول مرة او فجاءة وبغتة هابه
اي خافه ووقار وهيبة من هاب الشيء اذا خافه ووقره وعظمه ومن خالطه معرفة تمييز
احبه اي لحسن خلقته وشمائله والمعنى ان من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة اليه

هابه لوقاره وسكونه فاذا جالسه وخالطه بان له حسن خلقه فاحبه حبا بليغا يقول
ناعته اي واصفه عند العجز عن وصفه لم ار قبله اي قبل وجوده او قبل موته ولا بعده
مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي اي في جامعه وفي الشمائل وعن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا اي زقاقا فيتبعه اي في تبعه احد الا عرف
اي ذلك التابع انه اي النبي عليه الصلاة والسلام قد سلكه اي ذلك الطريق من طيب عرفه
بفتح فسكون فتاء اي رائحة يعني بتكيف هواء ذلك الطريق بكيفية الطيب منه
فيعرف منه انه قد سلك هذا الطريق او قال اي جابر من ريح عرقه بفتحتين فالشك
من الراوي والمال واحد اذ المقصود بيان طيب عرفه الخلقي لا طيب عرفه
الوصفي كما سبق من انه خصه الله بطيب العرق وقال ابن الملك هذا من خصايصه دون
سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام رواه الدارمي وعن ابي عبيدة
ابن محمد بن عمار بن ياسر قال المؤلف عبيدة بفتح العين والنون تابعي روى عن جماعة
وروى عنه عبد الرحمن بن اسحاق قال قلت للربيع بضم ففتح فتشديد بنت معوذ
ابن عفراء بتشديد الواو المكسورة صحابية جليلة صفي اي امدحي لنا طيبة من الوصف اي
النعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني بتشديد الياء المكسورة او
المفتوحة تصغير شفقة ومرحمة لو رايته اي نور وجهه وطلعته فيه مطالعة
ووافقك الطالع الميمون والبخت الهمايون رايت الشمس طالعة اي في وجهه كما سياتي
مع وجهه كما سياتي مع وجهه او التقدير فكانك رايت الشمس طالعة وهو اظهر
رواه الدارمي وعن جابر بن سمرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة
اي عظيمة اضحيان بكسر الهمزة والحاء وتخفيف التحتية كذا في الروايات وهو منصرف
وان جاز لفه ونونه زايدتين لوجود اضحيانة واصل الكلمة البرد والظهور وقال
شارح اي ليلة مضية لا غيم فيها يقال ليلة اضحيان واضحيانة وضحيا وضحيانة
من الصحاح وفي الفائق اي مقمرة من اولها الى اخرها وافعلان مما قل في كلامهم
فجعلت انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نظرة والى القمر اي اخرى لا نظر الترجيح
بينهما في الحسن الصوري وعليه حلة حمراء جملة حالية معترضة فاذا هو احسن عندي
اي في نظري او معتقدي ولفظ الترمذي في الشمائل فلهو عندي احسن من القمر اي لزيادة الحسن
المعنوي فيه صلى الله عليه وسلم كما قال بعض ارباب العشق من اهل المجاز مما طابا لمحبوبه
يشابهك القمر لكن من اين له الكلام وساير مراتب النظام رواه الترمذي والدارمي
وعن ابي هريرة قال ما رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في الصورة
مع قطع النظر عن السيرة كان بتشديد النون اي رايته كان الشمس تجري في وجهه
قال الطيبي شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه وفيه معنى قول
الشاعر ۞ يزيد وجهه حسنا ۞ اذا ما زدته نظرا ۞ وفيه ايضا عكس التشبيه للمبالغة

ومارايت

ومارايت احدا اسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مع تحقق وقاره وسكونه نوعا
اقتصاره متمثلا قوله تعالى واقصد في مشيك كانما الارض تطوى له بصيغة المجهول اي
تزوى وتجمع على طريق خرق العادة تهوينا عليه وتسهيلا لامره وانا استيناف بيان اي نحن
لنجهد انفسنا بضم النون وكسر الهاء وفي نسخة بفتحهما من الاجهاد او الجهد وهما الحمل
على الشيء فوق طاقته قال التوربشتي يجوز فيه فتح النون وضمها لغة جهد دابته
واجهدها اذا حمل عليها فوق طاقتها فالمعنى انا نحمل على انفسنا من الاسراع عقيبه فوق طاقتنا
وانه لغير مكترث بكسر الراء اي غير مبال بمشيبنا او غير مسرع بحيث تلحقه مشقة
فكانه يمشي على هينته يقال مبالا به اي متعب نفسه فيه ويقال اكترث بالامر
اذا بالى به كذا ذكره شارح وفي النهاية اي غير مبال ولا يستعمل الا في النفي واما في الاثبات
فشاذ رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان في ساقي رسول الله صلى الله
عليه وسلم حموشة بضم الحاء المهملة والميم اي دقة ولطافة مناسبة لساير اعضائه
وكان لا يضحك اي في غالب احواله الا تبسما وهو مقدمة الضحك فيحتمل ان يجعل الاستثناء
متصلا او منقطعا قال الطيبي جعل التبسم من الضحك واستثناه منه فان التبسم
من الضحك بمنزلة السنة من النوم ومنه قوله تعالى فتبسم ضاحكا اي شارعا في
الضحك وكنت بصيغة المتكلم ولو روي بالخطاب لكان له وجه اذا نظرت اليه اي رايته
قلت اي في ضميري اكحل العينين اي هو مكحل العين وليس باكحل بل كانت عيناه كحلاء
من غير اكتحال رواه الترمذي وقوله كان لا يضحك الا تبسما رواه احمد والحاكم ايضا

الفصل الثالث

عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين
وفي نسخة من الشمائل افلج الثنايا في النهاية الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا
والرباعيات والفرق فرجة بين الثنيتين انتهى كلامه وفي الحديث استعمل فلج موضع
فرق كذا ذكره الطيبي والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال الفلج بالتحريك
تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الاسنان وهو افلج الاسنان ولا بد من ذكر الاسنان
يعني ليحصل الفرق اذا تكلم روي بصيغة المجهول رئي اي ابصر كالنور اي شيء مثل النور يخرج اي
حال كونه يظهر من بين ثناياه وهو اما ان يراد به كلامه النوراني وامر ابديه كما الذوق
الوجداني ولا مانع من الجمع لما رواه احمد عن ابي الدرداء انه صلى الله عليه وسلم كان لا يحدث
حديثا الا تبسم ولعل العارف ابن الفارض اشار اليه في قوله ۞ عليك بها صرفا وان شئت
مزجها ۞ فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم ۞ قال الطيبي الضمير في يخرج يجوز ان يرجع الى
ما دل عليه تكلم وان يرجع الى النور والكاف زايدة نحو قولك مثلك يجود فعلى الاول للتشبيه
وجه البيان والظهور كما سميت الحجة الظاهرة بالنور وعلى الثاني لا تشبيه فيه فيكون
من معجزاته صلى الله عليه وسلم رواه الدارمي وعن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سر بضم السين وتشديد الراء اي فرح وصار مسرورا استنار وجهه حتى كان

بتشديد النون وجهه قطعة قمر لعل الاضافة بيانية او بمعنى من نظر الى امثل القمر الكبر لا بحسب بادي الراي في النظر وكنا نعرف ذلك اي من عادته او ذلك لا يختص بل لا يخفى على احد منا قال الطيبي حال مؤكدة اي كان ظاهرا جليا لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة متفق عليه وعن انس ان غلاما اي ولدا يهوديا اي واحدا من اليهود كان يخدم بضم الدال وبكسر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض اي الغلام فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده تواضعا وجزاء ورجاء فوجد اباه عند راسه يقرا التوراة اي بعضا منها كما يقرا سورة يس عندنا حالة النزع فقال له اي لابيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا يهودي انشدك بضم الشين اي اقسم عليك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة اي في بعض ابوابها نعتي اي باعتبار ذاتي وخلقتي وصفتي اي باعتبار افعالي واحوالي ومخرجي اي مكان خروجي او زمانه من ولادة او بعثة وهجرة قال لا قال الفتى اي الغلام بلى والله يا رسول الله انا نجد لك في التوراة نعتك ووصفك وفي نسخة صحيحة وصفتك ومخرجك واني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه اقيموا هذا اي اباه من عند راسه ولوا اخاكم الواو للعطف على اقيموا ولوا امر مخاطب من ولي الامر يليه اذا تولاه اي كونوا اولياء امر اخيكم في الاسلام وتولوا امر تجهيزه وتكفينه وسائر الاحكام قال السيد جمال الدين محدث وبعض محدثي زماننا تنافر هذه الكلمة على انها حرف شرط وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما انا رحمة مهداة بضم الميم اي ما انا الا رحمة للعالمين اهداها الله اليهم فمن قبل هديته افلح وظفر ومن لم يقبل خاب وخسر كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين رواه الدارمي والبيهقي في شعب الايمان وكذا ابن سعد والحكيم عن ابي صالح مرسلا والحاكم في مستدركه عنه عن ابي هريرة مرفوعا ۞ والله اعلم ۞

۞ باب ۞

في اخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم في النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورتها الظاهرة واوصافها ومعانيها ولهما اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة والشمائل جمع شمال وهو الخلق انتهى والشمال بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار ومقابله قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل ولا بالفتح والهمز لانه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب للباب الفصل الاول عن انس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وفي رواية مسلم تسع سنين فما قال لي اف بضم الهمز وكسر الفاء المشددة وفي نسخة بفتحها وفي نسخة بتنوين المكسورة وهي ثلاث قراات متواترات وقال النووي في شرح مسلم وفيه عشر لغات اف بضم الفاء وفتحها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين ثلاثة

اخوان بضم الهمزة واسكان الخاء وافٍ بكسر الهمزة وفتح الفاء وافي وافه بضم همزتهما قال شارح وهي كلمة تبرم وملال اي ما قال لي ما فيه تبرم ولا لم صنعت اي لاي شيء صنعت هذا الفعل ولا الا بتشديد اللام اي هلا صنعت اي لم لا فعلت هذا الامر والمعنى لم يقل لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء لم اصنعه وكنت مامورا به لم لا صنعته وقال الطيبي اف اسم فعل بمعنى اتضجر واكره وحرف التحضيض في الماضي افاد التنديم كما في المضارع يفيد التحريض واعلم ان ترك اعتراض النبي صلى الله عليه وسلم على انس رضي الله عنه فيما خالف امره انما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والاداب لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه لا يجوز ترك الاعتراض فيه وفيه ايضا مدح انس فانه لم يرتكب امرا يتوجه اليه من النبي صلى الله عليه وسلم اعتراض ما متفق عليه ورواه الترمذي في الشمائل وزاد فيه بعد قوله اف لم قال وما قال لشيء صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعنه اي عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا بضمتين وبسكون اللام اي عشرة فارسلني يوما لحاجة فقلت والله لا اذهب اي بلساني وكانه اراد به الوقت الاتي وبوتيده قوله وفي نفسي اي وفي قلبي وجناني ان اذهب لما امرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لاجل امره اياي به فخرجت اي على قصد الذهاب اليه حتى امر بالنصب وفي نسخة بالرفع كقوله تعالى حتى يقول الرسول حتى يقول الطيبي هو حكاية الحال الماضية ويجوز ان يكون حتى ناصبة بمعنى كي قلت لكن لا يلائمه المعنى والمراد اني خرجت اذهب الى ان مررت في طريقي على صبيان وهم يلعبون في السوق والظاهر انه وقف عندهم اما للعب او للتفرج ولذا قال فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض اي اخذ بقفاي والقفا بالقصر مؤخر العنق فقولهم ورائي للتاكيد او متعلق بقبض قال اي انس فنظرت اليه وهو يضحك وقال يا انيس تصغير انس للشفقة والمرحمة ذهبت اي اذهبت حيث امرتك قلت نعم بناء على انه شرع في الذهاب فقوله انا اذهب اي الان احمل الذهاب يا رسول الله قال شارح انما قال نعم لان المامول كالموجود بناء على الجزم العزم على الذهاب اولان ذهبت في السوال في معنى تذهب لعلمه صلى الله عليه وسلم بانه ما ذهب الى تلك الحاجة واقتصر الطيبي على الاول ثم قال وتحمل قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا اذهب وامثاله على انه كان صبيا غير مكلف قال الجزري ولذا ما ادبه بل داعبه واخذ بقفاه وهو يضحك رفقا به رواه مسلم وعنه اي عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد اي ثوب مخطط على ما في النهاية نجراني بفتح نون وسكون جيم منسوب الى نجران بلد باليمن ذكره شارح وفي النهاية هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن غليظ الحاشية اي الطرف فادركه اعرابي اي لحقه من ورائه فجبذه اي فجذب الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بردائه جبذة شديدة والجبذ لغة في الجذب وقيل هو مقلوب منه ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي اي في صدره ومقابله من شدة جذبه قال الطيبي اي استقبل صلى الله عليه وسلم

نحوه استقبلنا لا انا ما وهو معنى قوله واذا التفت التفت معا وهذا يدل على انه لم يتغير
ولم يتاثر من سوء ادبه حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
موضع الرداء من المنكب قد اثرت بها اي في صفحة حاشية البرد من شدة جبذته قلت وصدق
الله في قوله الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
ثم قال يا محمد الظاهر انه كان من المؤلفة فلذا فعل ما فعله ثم خاطبه باسمه نائلا
على وجه العنف متمايلا للحبل للطف مر لي اي مر وكلاءك بان يعطوا لي ومر باعطائه لي من
مال الله الذي عندك اي من غير صنيع لك في اعطائك كما صرح في رواية حيث قال لا من مالك
ولا من مال ابيك فقيل المراد به مال الزكاة فانه كان يصرف بعضه الى المؤلفة فالتفت
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فنظر اليه تعجبا ثم ضحك اي تلطفا ثم امر له
بعطاء وفيه استحباب احتمال الوالي من اذى خصومه وفيه دفع المال لحفظ على عرض الرجال
متفق عليه وعنه اي عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس
اي خلقا وخلقا وصورة وسيرة ونسبا وحسبا ومعاشرة ومصاحبة واجود الناس
اي اكثرهم كرما وسخاوة واشجع الناس اي قوة وقلبا ويدل عليه قوله تعالى فقاتل
في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين على القتال ولذا كان يركب البغل
لانه لا يتصور معه الكر ولقد فزع بكسر الزاء اي خاف اهل المدينة وفي المصابيح فزع
الناس في شرح السنة اي استغاثوا يقال فزع منه بالكسر اي خاف وفزع اليه اي استغاث
كذا ذكره شارح ذات ليلة اي حيث سمعوا اصواتا انكروها فانطلق الناس قبل الصوت
بكسر القاف وفتح الموحدة اي الى جانبه فاستقبلهم اي النبي صلى الله عليه وسلم الناس راجعا
اليهم حال كونه قد سبق الناس الى الصوت اي الى نحوه وتحقق عدم الفزع عنده وابعد
الطيبي في قوله الضمير في فاستقبلهم راجع الى ما دل عليه الصوت الذي فزع منه
اهل المدينة يعني القوم قال ميرك والظاهر ان الضمير للناس والمراد انه صلى الله
عليه وسلم سبق الناس الى الصوت فلما رجع استقبل الناس الذين خرجوا نحو الصوت
قلت بل هذا هو المتعين بقوله وهو يقول لن تراعوا بضم التاء والعين مجهولا من
الروع بمعنى الفزع والخوف اي لم تخافوا ولم تفزعوا واتى بصيغة الجحد مبالغة في
النفي وكانه ما وقع الروع والفزع قط لم تراعوا كرره تاكيدا او لكل الخطاب قوم من عن
يمينه ويساره وفي شرح السنة ويروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع لا النهي
فعلى هذا يكون خبرا في معنى النهي ذكره الطيبي والظاهر انه على الاول من غير تاويل
يكون خبرا في معنى النهي واما على هذا فيكون منهيا على الحقيقة قال التوربشتي
هو في اوثق الروايات لن تراعوا اي لا خوف ولا فزع فاسكنوا يقال ريع فلان اذا فزع
وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لابي طلحة عري بضم فسكون اي ليس عليه سرج
بيان وتاكيدا واحترازا من نحو جل او لجام وفي عنقه اي النبي صلى الله عليه وسلم سيف

اي متقلده وفي نسخة بكسر السين اي في جيد الفرس حبل من ليف اليف واقتصر عليه شارح
وهو بعيد جدا في المعنى وان كان قريبا في المبنى فقال لقد وجدته اي الفرس بحرا
اي جوادا او سريع الجري وكان يسمى ذلك الفرس المندوب بمعنى المطلوب وكان بطيئا
ضيق الجري فانقلب حاله ببركة ركوبه صلى الله عليه وسلم ويشبه الفرس اذا كان
جوادا بالبحر لاستراحة راكبه به كراكب الماء اذا كانت الريح طيبة متفق عليه قال
النووي فيه بيان ما اكرمه الله تعالى به من جليل الصفات وفيه معجزة انقلاب الفرس
سريعا بعد ان كان بطيئا وفيه جواز سبق الانسان وحده في كشف اخبار العدو
ما لم يتحقق بالهلاك وجواز العارية وجواز الغزو على فرس المستعار واستحباب
تقلد السيف في العنق وتبشير الناس بعدم الخوف اذا ذهب وعن جابر قال ما سئل
اي ما طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا اي لا اعطيه بل اما اعطى او
اعتذر ورعا او وعد له فيما تمنى عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من
ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فقد روى البخاري في الادب المفرد عن انس انه
صلى الله عليه وسلم كان رحيما فكان لا ياتيه احد الا وعده وانجز له ان كان عنده هذا
وكان يقول صلى الله عليه وسلم انفق يا بلال وقيل بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا
كما رواه البزار عن بلال وعن ابي هريرة والطبراني عن ابن مسعود وما ابلغ قول
الفرزدق في زين العابدين * حمال اثقال اقوام اذا امتدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم ينطق بذاك فم * متفق عليه وفي الجامع
كان لا يسال شيئا الا اعطاه او سكت رواه الحاكم عن انس وعن انس ان رجلا سال النبي صلى
الله عليه وسلم غنما بين جبلين اي قطعة غنم تملا ما بينهما فاعطاه اياه اي مطلوبه على
وجه تمامه فاتى قومه اي متعجبا من كرمه الدال على كمال توكله وزهده فقال اي قوم
اي يا قوم اسلموا اي فان الاسلام يهدي الى مكارم الاخلاق فوالله ان محمدا ليعطي عطاء اي عظيما
ما يخاف الفقر قال الطيبي يجوز ان يكون حالا من ضمير يعطي وان يكون صفة لعطاء اي عطاء
ما يخاف الفقر معه فان قلت كيف دل هذا الوصف على وجوب الاسلام قلت مقام ادعاء
النبوة مع اعطاء الجزيل يدل على وثوقه على ان ارسله الى دعوة الخلق فان من جبلة
الانسان خوف الفقر قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر رواه مسلم وعن جبير بن مطعم
بينما هو اي جبير يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله مصدر ميمي واسم
زمان من قفل كنصر ورجع فقولا رجع اي عند رجوعه او وقت رجوعه من حنين
بالتصغير موضع بين مكة والطائف فعلقت بكسر اللام اي تشبثت الاعراب او طفقت
يسالونه اي يطلبونه من العطايا والمطايا وهو يعطيهم او يعدهم ويمنيهم حتى اضطروه
اي الجاوه سمرة بفتح فضم اي شجرة طلح فخطفت بكسر الطاء اي اخذت السمرة بسرعة رداءه
حيث تعلقت به وقال شارح اي سلبت انتهى ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى الاعراب

كما يدل عليه قوله فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي واغرب الطيبي
حيث علق رداءه بها فاستعير لها الخطف لو كان لي عدد هذه العضاه بكسر العين المهملة
وبالضاد المعجمة وبالهاء في الآخر ام غيلان وقيل كل شجر يعظم وله شوك واحده عضاهة وعضة
بحذف الهاء الاصلية كما حذف من الشفه وعدد نصب على المصدر اي لعد عددها او على
نزع الخافض اي بعددها او كعددها والمراد به الكثرة نعما بفتحتين وفي القاموس
النعم وقد يكسر عينه الابل والشاء او خاص بالابل وجمعه انعام قلت ويرد عليه
قوله سبحانه ومن الانعام ثمانية ازواج حيث يراد بها اصناف الابل والبقر والضان
والمعز من الذكور والاناث لقسمته بينكم اي لزهدي في النعم وتزكي في المنعم وطلبي
قرب المنعم ثم لا تجدوني بخيلا ثم هنا بمعنى الفاء او للتراخي في الزمان اي بعد
ما جربتموني في العطا وعرفتم طبعي في الوعد بالوفاء واعتمادي على رب الارض والسما
فلا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا او قال المظهر اذا جربتموني في الوقايع لا تجدوني
متصفا بالاوصاف الرذيلة وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالاوصاف الحميدة
لمن لا يعرفه ليعتمد عليه وقال الطيبي ثم هنا للتراخي في الرتبة يعني اني ذكرت
العطالسن بمضطرا لليه بل اعطيه مع ارىحيته نفس ووفور نشاط ولا بكذوب
ادفعكم عن نفسي ثم امنعكم عنه ولا بجبان اخاف احدا فهو كالتتميم للكلام السابق
رواه البخاري وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغدوة
الى الضحى جاءه وفي الجامع جاءه خدم المدينة جمع خادم من غلام وجارية بانيتهم
جمع اناء فيها الماء اي فيطلبون البركة والنماء والعافية والشفا فما يؤتى
وفي الجامع فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها اي تطييبا لخواطرهم وتحصيلا لمقاصدهم
فربما جاؤه بالغدوة اي في الغدوة الباردة فيغمس يده فيها قال الطيبي فيه
تكليف المشاق لتطييب قلوب الناس لاستماع الحذر والضعفا وليتبركوا باداء يده
الكريمة في اوانيهم وبيان تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الضعفا رواه مسلم
وكذا احمد الا انه في الجامع عنهما بدون قوله فربما الى اخره وروى ابن عساكر عن انس
انه صلى الله عليه وسلم كان ارحم الناس بالصبيان والعيال وفي الجامع كان
مما يقول للخادم حاجة رواه احمد عن رجل وعنه اي عن انس قال كانت امة اي
جارية من اماء اهل المدينة اي فرضا وتقديرا تاخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قيل المراد من الاخذ باليد لازمه وهو الرفق فتنطلق به حيث شاءت
اي ولو خارج المدينة وهذا يدل على غاية تواضعه مع الخلق ونهاية تسليمه مع الحق
رواه البخاري وعنه اي عن انس ان امراة كان في عقلها شيء اي من الخفة والجذبة
فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة اي خفية عن الناس فقال يا ام فلان انظري
اي تفكري او ابصري اي السكك بكسر ففتح جمع السكة وهي الزقاق شئت اي اردت احضار

فيه حتى اقضي لك حاجتك اي كي احصل لك مقصودك ومرادك فخلا اي مشى
معها في بعض الطرق اي ووقف معها وسمع كلامها ورد جوابها حتى فرغت من حاجتها
وفيه تنبيه على ان الخلوة مع المراة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت
على احتمال ان بعض الاصحاب كانوا واقفين بعيدا منهما مراعاة لحسن الادب رواه
مسلم وعنه اي عن انس قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا اي اتيا
بالفحش من الفعال ولا لعانا ولا سبابا المقصود منها نفي اللعن والسب وكل ما
يكون من قبيل الفحش القولي لا نفي المبالغة فيها وكانه نظر الى ان المعتاد هو المبالغة
فيها فنفاها على صيغة المبالغة والمقصود نفيها مطلقا كما يدل عليه اخر كلامه
قال الطيبي فان قلت بناء على فعال للتكثير او للمبالغة ونفيه لا يستلزم نفي اللعن
والسب مطلقا قلت المفهوم هاهنا غير معتبر لانه وارد في مدحه صلى الله عليه
وسلم فان اريد التكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين اي ليس
بلاعن واحد واحد منهم وان اريد المبالغة كان المعنى ان اللعن يبلغ في العظم
بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعانا بليغ اللعن نحو قوله تعالى وان الله
ليس بظلام للعبيد قلت الاظهر في معنى الاية والحديث ان نفي فعال النسبة
كتمار ولبان اي ليس الله بذي ظلم مطلقا ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن
مستحقا من الكفار والفجار لكونه نبي الرحمة ولذا استثنى الراوي بقوله كان يقول
عند المعتبة بفتح التاء وقيل بكسرها ايضا بمعنى الملامة والعتاب على ما في
القاموس واختاره ابن الملك وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح
والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة او المخاصمة هذه الكلمة معرضا عنه غير
مخاطب له ما له ترب جبينه وهي ايضا ذات وجهين اذ يحتمل ان يكون دعا على
المقول له بمعنى رغم انفك وان يكون دعا له بمعنى سجد لله وجهك رواه البخاري
وعن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم ابعث لعانا اي ولو على
جماعة مخصوصة من الكافرين لقوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او
يعذبهم وانما بعثت رحمة اي للناس عامة وللمؤمنين خاصة متخلقا بوصفي الرحمن الرحيم
لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابن الملك اما للمؤمنين فظاهر واما
للكافرين فلان العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اقول بل عذاب الاستيصال مرتفع عنهم ببركة وجوده الى يوم القيامة وقال
الطيبي اي انما بعثت لاقرب الناس الى الله والى رحمته وما بعثت لابعدهم عنها فاللعن
مناف لحالي فكيف العن رواه مسلم وكذا البخاري في الادب المفرد وروى الطبراني
عن كرز بن سامة قوله اني لم ابعث لعانا وروى البخاري في تاريخه عن ابي هريرة بلفظ
انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وعن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم

اشد حياء من العذراء اي البكر في خدرها بالكسر اي في سترها قال الطيبي هو تتميم
فان العذراء اذا كانت في خدرها اشد حياء مما اذا كانت خارجة عنه فاذا رأى شيئا يكرهه
اي من جهة الطبع او من طريق الشرع عرفناه في وجهه اي من اثر التغير فازلناه فانه ما
كان يعاتب احدا بخصوصه في امر الكراهة دون الحرمة قال النووي معناه انه صلى
الله عليه وسلم لم يتكلم بالشيء الذي يكره لحيائه بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته
وفيه فضيلة الحياء وانه محثوث عليه ما لم ينته الى الضعف والخور متفق عليه
وعن عائشة قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا بكسر الميم الثانية
قط ضاحكا قال التوربشتي يريد ضاحكا كل الضحك يقال استجمع الفرس جريا قال الطيبي
فعلى هذا ضاحكا وضع موضع ضحكا على انه منصوب على التمييز واما قول الفقهاء استجمع
شرائط الجمعة فليس من هذا المعنى والمعنى ما رأيته ضاحكا كل الضحك بجميع الفم
حتى ارى منه لهواته بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على اقصى الفم من سقفه
وانما كان اي غالبا يتبسم وربما يضحك لا على سبيل المبالغة رواه البخاري وكذا مسلم
وابو داود وعنها اي عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد بضم
الراء اي لم يكن يتابع الحديث اي الكلام كسردكم اي المتعارف بينكم من كمال اتصال الفاظكم بل
كان كلامه فصلا بينا واضحا لكونه مامورا بالبلاغ المبين كما بينته بقولها كان يحدث
حديثا لو عده العاد اي لو اراد عده مريد العد لاحصاه اي لعده واستقصاه وفي وضع
احصاه موضع عده مبالغة لا تخفى فان اصل الاحصاء هو العد بالحصى ولا شك في حصول
المهملة عند عده من رفعه وحطه قال الطيبي يقال فلان يسرد الحديث اذا تابع الحديث
بالحديث استعجالا وسرد الصوم توالية يعني لم يكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم متتابعا
بحيث ياتي بعضه اثر بعض فيلتبس على المستمع بل كان يفصل كلامه لو اراد المستمع عده
امكنه فيتكلم بكلام واضح مفهوم في غاية الوضوح والبيان متفق عليه ورواه الترمذي
في الشمائل ولفظ الجامع كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه رواه الشيخان وابو
داود وفي الجامع ايضا كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه رواه الترمذي والحاكم
عن انس وعن الاسود قال المؤلف هو ابن هلال المحاربي روى عن عمر ومعاذ وابن مسعود
وعنه جماعة قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته ما استفهامية
قالت كان اي من عادته يكون اي يستمر مشتغلا في مهنة اهله بفتح الميم وبكسر وبسكون
الهاء اي مصالح عياله والمهنة الخدمة والابتذال وفيه مبالغة لعظم مقام الرجال
ولهذا فسر الراوي بقوله يعني خدمة اهله اي اهل بيته ممن يكون اهل الخدمة قال صاحب
النهاية المهنة الخدمة والرواية بفتح الميم وقد يكسر قال الزمخشري وهو عند الاثبات
خطأ قال الاصمعي المهنة بفتح الميم والابتذال مهنة بالكسر وكان القياس لو قيل مثل جلسة
وخدمة الا انه جاء على فعلة واحدة وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك

وكلمه

وكلمه الحذق بالخدمة والعمل مهنه كمنعه ونصره مهنا ومهنة ويكسر خدمه وقال
العسقلاني المهنة بفتح الميم وكسرها وانكر الاصمعي الكسر وفسرها بخدمة اهله وبيننا
ان التفسير من قول الراوي عن شعبة وان جماعة رووه بدونه لكن اخرج ابن سعد في رواية
بدونه وفي رواية في آخره يعني بالمهنة خدمة اهله فاذا حضرت الصلاة خرج الى
الصلاة اي وترك جميع عمله وكانه لم يعرف احدا من اهله رواه البخاري وكذا الترمذي
وعن عائشة قالت ما خير اي ما جعل مخيرا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين
الا اخذ اي اختار وكذا في رواية الترمذي ايسرهما ما لم يكن اي الامر الايسر اثما اي اذا اثم
وفي رواية الترمذي ما لم يكن مأثما اي اثما او موضع اثم بناء على انه مصدر ميمي او اسم
مكان والى هنا انتهى رواية الترمذي فان كان اثما كان ابعد الناس منه اي وكان حينئذ
ياخذ ارشدهما ولو اعسرهما واشدهما قال العسقلاني ابهم فاعل خير ليكون اعم من ان يكون
من قبل المخلوقين او من قبل الله تعالى لكن التخيير بين ما فيه اثم وبين ما لا اثم فيه من
قبل الله مشكل لان التخيير انما يكون بين جائزين الا اذا حملناه على ما يفضي الى الاثم
فذلك ممكن بان يخير بين ان يفتح عليه من كنوز الارض ما يخشى من الاشتغال به ان
لا يتفرغ للعبادة وبين ان لا يؤتيه من الدنيا الا الكفاف وان كانت السعة اسهل فالاثم على
هذا امر نسبي لا ما يراد به الخطيئة لثبوت العصمة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي ما عاقب احدا لنفسه اي لاجل حظها في شيء اي يتعلق بنفسه فقط اي ابدا
الا ان تنتهك حرمة الله بصيغة المجهول اي ترتكب فينتقم بالرفع وفي نسخة بالنصب
اي فيعاقب حينئذ لله اي لغرض اخروي اي بسبب تلك الحرمة ثم الانتهاك الحرمة تناولها
بما لا يحل يقال فلان انتهك محارم الله اي فعل ما حرم الله فعله عليه قال الطيبي استثناء
منقطع اي ما عاقب احد الخاصة نفسه بجناية جنى عليه بل يخاف الله تعالى اذا فعل
احد شيئا من المحرمات انتقاما لا لقوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله قال العسقلاني
المعنى ما انتقم لخاصة نفسه فلا يرد امره صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن ابي معيط
وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع
ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل ذلك في غير السب الذي يفضي الى الكفر وقيل يختص
ذلك بالمال واما العرض فقد اقتص ممن نال منه متفق عليه ورواه ابو داود وعنها
اي عن عائشة قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا اي ادميا لانه صلى الله
عليه وسلم ربما ضرب مركوبه قط بيده ولا امراة ولا خادما خصتا بالذكر اهتماما بشانهما
ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج اليه وضربهما وان جاز بشرطه فالاولى تركه قالوا
بخلاف الولد فان الاولى تاديبه ويوجه بان ضربه لمصلحة تعود اليه فلم يندب العفو
بخلاف ضرب هذين فانه لحظ النفس غالبا فندب العفو عنهما مخالفة لهواها وكظما لغيظها
الا ان يجاهد في سبيل الله فانه صلى الله عليه وسلم قتل ابي بن خلف بيده ثم ليس المراد

به الغزو مع الكفار فقط بل يدخل فيه الحدود والتعازير وغير ذلك وما نيل بكسر النون مجهول نال يقال نال منه نيلا اذا اصاب وفي الحديث ان رجلا كان ينال من الصحابة اي يقع فيهم ويصيب منهم فالمعني ما اصيب منه شيء قط فينتقم من صاحبه اي من صاحب ذلك الشيء الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم وروي الترمذي الفصل الاول بلفظ ما ضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امراة وا الفصل الثاني بلفظ ما رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالي شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالي شيء كان من اشدهم في ذلك غضبا

الفصل الثاني

عن انس قال خدمت رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا ابن ثمان سنين بحذف الياء منها في نسخة والجملة حال دال علي اول الخدمة ولذا اطلقه ثم اعاده مقيدا بقوله خدمته عشر سنين فما لامني علي شيء قط اتي فيه بصيغة المجهول اي اهلك واتلف من قولهم اتي عليهم الدهر اي اهلكهم وافناهم وضمير فيه عائد الي شيء والجار والمجرور قائم مقام الفاعل اي ما لامني علي شيء اتلف علي يدي بصيغة التثنية وفي نسخة بالافراد قال الطيبي اتي صفة شيء وضمن فيه معني عيب او طعن وعلي يدي حال فان لامني لائم من اهله قال دعوه اي اتركوه فانه اي الشان لو قضي شيء لكان اي لو قدر امر نفع هذا لفظ المصابيح وكذا رواه ابن حبان في صحيحه وروي البيهقي في شعب الايمان مع تغيير اي يسير يسامح في مثله وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلي الله عليه وسلم فاحشا اي ذا الفحش في اقواله وافعاله ولا متفحشا اي متكلفا فيه ومتعمدا كذا في النهاية قال القاضي نفت عنه تولي الفحش والتفوه به طبعا وتكلفا ولا سخابا اي صياحا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة اي بالحسنة لقوله ولكن يعفو اي في الباطن ويصفح اي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالي فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين رواه الترمذي وعن انس يحدث عن النبي صلي الله عليه وسلم انه كان يعود المريض ويتبع بفتح الموحدة وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء اي يعقب ويشيع الجنازة بفتح الجيم وكسرها ويجيب دعوة المملوك اي الماذون او المعتوق او الي بيت مالكه ويركب الحمار وهذا كله يدل علي كمال التواضع للحق وحسن الخلق لقد رايته يوم خيبر علي حمار خطامه بكسر اوله اي زمامه ليف قال ابن الملك فيه دليل علي ان ركوب الحمار سنة قلت فمن يستنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة الهند فهو احمق من الحمار رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان وفي الجامع كان يجلس علي الارض وياكل علي الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك علي خبز الشعير رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وروي الحاكم في مستدركه عن انس كان يردف خلفه ويضع طعامه علي الارض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وفي رواية عريا ليس عليه شيء وروي ابن عساكر عن ابي ايوب كان يركب

الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني وعن عائشة قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخصف بكسر الصاد اي يخرز ويرقع وفي شرح السنة اي يطبق طاقة علي طاقة واصل الخصف الضم والجمع ومنه قوله تعالي يخصفان عليهما من ورق الجنة اي يطبقان ورقة ورقة علي بدنهما ويخيط بكسر الخاء ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته تعميم بعد تخصيص وفي الجامع برواية احمد عن عائشة كان يخيط ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وقالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه بكسر اللام اي ينظر في الثوب هل فيه شيء من القمل وهو لا ينافي ما روي من ان القمل لا يكن يؤذيه وقال شارح اي يلتقط القمل ويحلب شاته بضم اللام ويخدم نفسه بضم الدال وبكسر وهو تعميم وتتميم قال الطيبي قولها كان بشرا تمهيد لما بعده لانه لما رات من اعتقاد الكفار ان النبي صلي الله عليه وسلم لا يليق بمنصبه ان يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس وجعلوه كالملوك فانهم يترفعون عن الافعال العادية الدنية تكبرا كما حكي الله تعالي عنهم في قوله ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فقالت انه صلي الله عليه وسلم كان خلقا من خلق الله تعالي وواحدا من اولاد ادم شرفه الله بالنبوة وكرمه بالرسالة وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في افعالهم تواضعا وارشادا لهم الي التواضع ورفع الترفع وتبليغ الرسالة من الحق الي الخلق كما امر قال تعالي قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي رواه الترمذي وكذا ابن حبان وصححه وفي الجامع كان ياتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم رواه ابو يعلي في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن سهل بن حنيف وعن خارجة بن زيد بن ثابت اي الانصاري المدني قال المؤلف تابعي جليل القدر ادرك زمن عثمان وسمع اباه وغيره من الصحابة وهو احد فقهاء المدينة السبعة قال دخل نفر اي جماعة من التابعين وقيل النفر عدة رجال من ثلاثة الي عشرة علي زيد بن ثابت وهو ابو خارجة صحابي جليل افرض الصحابة واحد كتبة الوحي وممن اخذ القران قرا عليه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين فقالوا له حدثنا احاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم وفي نسخة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وكانهم ارادوا ما يدل علي حسن الخلق وجميل المعاشرة مع الخلق قال كنت جاره فيه ايماء الي قربه اليه حسا ومعني واشارة الي ان له خبرة به اتم من غيره فكان اذا انزل عليه الوحي بعث الي اي ارسل الي احدا يطلبني فجئته فكتبته اي الوحي له اي لاجل امره فكان اي من عادته في مجاملة ومراعاة مصاحبه اذا ذكرنا الدنيا اي ذما ومدحا لكونها مزرعة الاخرة ذكرها معنا زيادة علي الخير ومعاونة علي التقوي واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ويشير الي فوائده وحكمه ولطائفه وادابه واكله والحاصل انه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم التبرم والسامة ويشوقهم فيما يشرعون فيه الي ما شرع الله من تبليغ المواعظ والاحكام ولا ينافي هذا ما ورد من انه

صلى الله عليه وسلم كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه ولأن مجلسه مجلس علم لا ذكر الدنيا
والطعام فقد يقترن به فوائد علمية أو حكمية أو دينية وبتقدير خلوه عنها ففيه جواز
تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات ومثل هذا البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم
والله أعلم فكل هذا بالرفع وينصب أي جميع ما ذكر أحدثكم فقيل الرواية بالرفع وفي خبره
الرابطة محذوف ويجوز النصب بتقدير أحدثكم إياه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمقصود من هذه الجملة تأكيد صحة الحديث وإظهار الاهتمام به والله أعلم رواه
الترمذي وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صافح الرجل لم ينزع أي لم
يخلص ولم يفك يده من يده حتى يكون أي الرجل هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه
حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير بصيغة المجهول أي لم يبصر النبي صلى
الله عليه وسلم مقدما بكسر الدال المشددة ركبتيه بين يدي جليس أي مجالس له فقيل
أي ما كان يجلس في مجلس بحيث يكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة
في مجالسهم وقيل ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه بل كان يخفضهما تعظيما لجليسه
وقال لو أراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما وبسطهما كما يقال قدم رجلا وأخر أخرى
ومعناه كان صلى الله عليه وسلم لا يمد رجليه عند جليسه تعظيما له قال الطيبي فيه وفي
قوله كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدأ
بالمفارقة عنه ولا يمتهنه بمد الرجلين إليه رواه الترمذي وعنه أي عن أنس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر أي لا يبقي شيئا لغد توكلا على الله واعتمادا على
خزائنه وهذا بالنسبة إلى نفسه النفيسة خاصة فأما لأجل أهله وعياله فربما كان
يدخر لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة احتمالهم وقلة صبرهم رواه الترمذي
وعن جابر بن سمرة قال كان صلى الله عليه وسلم طويل الصمت أي كثير السكوت والمعنى
أنه لا يتكلم إلا لحاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي
هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقد قال الصديق الأكبر
ليتني كنت أخرس إلا عن ذكر الله رواه أي البغوي في شرح السنة أي بإسناده ورواه
أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة أيضا ولفظه كان طويل الصمت قليل الضحك فكان حق
صاحب المشكاة أن يسنده إليه فإن حديث مسند أحمد مما يعتمد عليه وعن جابر أي ابن
عبد الله ولذا قيل وعنه لأنه غيره وهو المراد عند الإطلاق به قال كان في كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أي تبيين في قراءته لقوله ورتل القرآن ترتيلا
وترسيل أي وتمهيل في حديثه أي تأنيا عليه ومراعاة لقوله تعالى وما عليك إلا
البلاغ المبين وقال ابن الملك هما بمعنى وهو التبيين والإيضاح في الحروف انتهى ولا
يخفى أن التأسيس بالتغيير أولى من الحمل على التأكيد وإن كان مآلهما واحدا وأصل
معانيهما متحدا فإن المراد منهما أنه كان لا يعجل في إرسال الحروف بل يلبث فيهما وبينهما

نبينا

نبينا لدلالتها من مخارجها وصفاتها وتمييز الحركات وسكناتها وخلاصة الكلام نفي العجلة
وإثبات التؤدة وفي النهاية الترتيل في القراءة التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف تشبيها
بالشعر المرتل وهو المشبه بنور الأقحوان يقال رتل القراءة وترتل فيها والترسيل الترتيل
يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل وهو والترتيل سواء رواه أبو داود وعن
عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد أي في كلامه سردكم هذا أي كسردكم
من العجلة والمتابعة ولكنه كان يتكلم بكلام بينه أي بين أجزائه فصل أي فرق أو
فاصل يحفظه من يجلس إليه رواه الترمذي وعن عبد الله بن الحارث بن جزء بفتح
ميم وسكون زاي فهمز كذا ذكره المؤلف في أسمائه وقيل هو بكسر زاي وياء وقيل جزئة
زاي في المغني وهو أبو الحارث السهمي شهد بدرا وسكن مصر ومات بها قال ما رأيت أحدا
أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن عبد الله بن سلام
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس يتحدث يكثر من الإكثار أي يتحقق منه
كثيرا أن يرفع طرفه بسكون الراء أي نظره إلى السماء أي كان ينظر إلى السماء حال التكلم ترقبا
لجبريل انتظارا للوحي المولى وشوقا إلى الرفيق الأعلى رواه أبو داود الفصل الثالث
عن عمرو بن سعيد عن أنس كذا في النسخ المعتبرة والأصول المشهورة ويؤيده ما في الكاشف
وفي نسخة عن أنس عن عمرو بن سعيد والظاهر أنه سهو قلم ورد له قدم وقال [illegible]
أسماء الرجال للمؤلف هو عمرو بن سعيد مولى ثقيف بصري روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما
وعنه ابن عون وجرير بن حازم وعنه قال ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال النووي هذا هو المشهور ويروى بالعباد قلت وملايم الأول
استئنافه البياني بقوله كان إبراهيم ابنه مسترضعا بفتح الضاد وقيل بكسرها في عوالي
المدينة أي القرى التي عند المدينة فكان أي النبي عليه السلام ينطلق ونحن معه
فيدخل البيت أي الذي فيه إبراهيم وإنه ليدخن بضم الياء وتشديد الدال وفتح الخاء وفي نسخة
بسكون الدال وفي نسخة بفتح الياء وتشديد الدال وكسر الخاء ثم بين سببه بقوله
وكان ظئره قينا وهو أبو سيف القين واسمه البراء بن أوس الأنصاري وهو معروف بكنيته
قال النووي الظئر بكسر الظاء مهموز المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك المرضع والظئر
يقع على الذكر والأنثى والقين بالفتح الحداد ثم الجملتان كالبيان معترضتان بين
المعطوف عليه وهو قوله فيدخل البيت والمعطوف وهو قوله فيأخذه أي ابنه فيقبله ثم
يرجع قال عمرو أي ناقلا عن أنس خلافا لمن توهم أنه الراوي فإنه من التابعين على أنه يمكن
أن يكون مقوله الآتي موقوفا عليه ومنقطعا عما قبله فلما توفي إبراهيم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن إبراهيم ابني تحقيقا لبنوته للتقرير لأن أمه جارية وهي مارية القبطية
أهداها المقوقس القبطي صاحب مصر والإسكندرية وولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان
وإنه مات في الثدي هو كناية عن الرضاع والمراد به اللبن وزوجته التي أرضعت إبراهيم

ام بردة كذا ذكره المؤلف بذكر المحل وارادة الحال وقال الطيبي اي في سن رضاع الثدي او حال
تغذيه بلبن الثدي وان له لظئرين اي لمرضعتين بدل واحدة في الدنيا تكملان من باب
الافعال وفي نسخة من باب التفعيل اي توفيان وتتمان رضاعه بفتح الراء وكسرها اي مدة رضاعه
وهي الحولان فانه توفي وله ستة عشر شهرا او سبعة عشر وقيل وله سبعون يوما فتتمان
بقية السنتين في الجنة قال صاحب التحرير وهذا الاتمام لارضاع ابراهيم يكون عقيب
موته فيدخل الجنة متصلا بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولابيه صلى الله
عليه وسلم رواه مسلم واحمد بلفظ لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا فاخرجه الماوردي
عن انس وابن عساكر عن جابر وابن عباس وعن ابن ابي اوفى ورواه ابن سعد عن مكحول مرسلا
لو عاش ابراهيم ما رق له خال وروى ابن سعد عن الزهري مرسلا لو عاش ابراهيم لوضعت
الجزية عن كل قبطي كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير وقال
ابن الربيع في كتابه تمييز الطيب من الخبيث اخرج ابن ماجة وغيره من حديث ابن عباس
قال لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه وقال ان له مرضعا في الجنة
ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله من القبط وما استرق قبطي
وفي سنده ابو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف والله اعلم انتهى
وقال النووي في تهذيبه وما روي عن بعض المتقدمين من حديث لو عاش ابراهيم
لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم
وقال ابن عبد البر في تمهيده لا ادري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد الا
نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى وهو تعليل عليل اذ ليس في
الكلام ما يدل على ان ولد النبي نبي بطريق الكلية ولا ضرر في تخصيص التقدير هم
والمرضعة مع انه لا يستلزم وقوع المقدم في القضية الشرطية فلا ينافي كونه
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ويقرب من قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه
احمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعا لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب والله
سبحانه عالم بما كان وبما يكون وبما لا يكون وبانه لو كان كيف يكون هذا وقد قال
شيخ مشايخنا العلامة الرباني الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة وهذا عجيب
من النووي مع وروده من الصحابة ولا يظن بالصحابي انه يهجم على مثل هذا بظنه قلت
مع انهم لم يقولوه موقوفا بل اخرجوه مرفوعا كما بينه خاتمة الحفاظ السيوطي في سائر له
في رسالة على حدة مع ان من القواعد المقررة في الاصول ان موقوف الصحابة اذا لم يتصور
ان يكون من رأي فهو في الحكم المرفوع فانكار النووي كابن عبد البر لذلك اما لعدم اطلاعهما
او لعدم ظهور التاويل عندهما والله اعلم وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا كان
يقال له فلان كناية عن اسمه حبر اي عالم من علماء اليهود كان له على رسول الله صلى
الله عليه وسلم دنانير اي معدودة معلومة فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم اي

فطالبه

فطالبه اياها فقال له يا يهودي ما عندي ما اعطيك ما الاولى نافية والثانية موصوفة
اي شيئا اعطيكه اياه عوضا عن الدنانير قال فاني لا افارقك يا محمد حتى تعطيني اي
كي تعطيني او الا ان تعطيني فقال رسول الله صلى الله اذا بالتنوين اجلس معك بالرفع
وفي نسخة بالنصب فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر
والمغرب والعشاء الاخرة والغداة اي الفجر وهو يحتمل كونهما في المسجد او في احد بيوت
اهله والاول اظهر وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه بالضرب
ويتوعدونه اي بالاخراج والقتل ففطن بكسر الطاء اي فعلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الذي يصنعون به من التهديد والوعيد الشديد وما موصوفة او موصولة
وكانه انكر عليهم او بالغضب نظر اليهم ولما فطن صنيعهم اراد والاعتذار فقالوا يا رسول
الله يهودي يحبسك قال الطيبي همزة الانكار مقدرة والتنكير فيه للتحقير فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم منعني ربي ان اظلم معاهدا بكسر الهاء وهو الذمي والمستأمن
وغيره تعميم بعد تخصيص ووجه تقديم المعاهد لما يقتضيه المقام ولان مخاصمته
اقوى يوم القيامة لانه لا يمكن ارضاؤه باخذ حسنة مسلم له او وضع سيئة له على مسلم
لا في مظالم الدواب ولعل الاصحاب رضي الله عنهم لم يكونوا قادرين على قضاء
دينه او ما كان يرضى باداء بعضهم مراعاة لامر دينه وهو اظهر ولذا لم يكن يقترضوا لامر
غيرهم لحكمة ولعلها تنزيه من نوع طمع او وصف نفع يؤدي الى نقصان اجر وقد
قال تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا ونطقت السنة الرسل على قولهم وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين وليكون حجة على اليهود لكونه صلى الله عليه وسلم مغموما
في كتبهم بانه يختار الفقر على الغنى وتبكيتا عليهم في قولهم عند نزول قوله تعالى
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن ومن جملة الحكم ما ظهر في خصوص هذه القضية
فلما ترجل النهار اي ارتفع الضحى وتعين الظهور وتبدل الظلمة بالنور وتغير المتردد
بالسرور قال اليهودي اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله وشطر مالي اي
نصفه في سبيل الله اي في مرضاته شكرا لنعمة الاسلام وطلبا لمزيد الانعام اما بالتخفيف
للتنبيه والله ما فعلت الذي فعلت بك اي من غلظ القول وخشونة الفعل الا لانظر
الى نعتك اي الى موافقة وصفك في التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بفتح
الجيم اي موضع هجرته بطيبة اي المدينة وملكه اي معظمه بالشام اي وتوصيه ليس
بفظ اي سيء اللسان ولا غليظ اي جافي الجنان ولا سخاب اي صياح في الاسواق اي على
عادة اهل الزمان ولا متزي او متصف بالفحش اي في الفعل بقوله ولا قول الخنا بفتح
اوله مقصورا اي الفحش والخشونة اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله هذا مالي
اي كله فكانه سماه واشار الى مكانه فاحكم فيه اي في جميعه او في شطره بما اراك الله اي

اعلمك بانه محله اللائق وكان اليهودي كثير المال اي ومع هذا احوله الحال والمال في المال
رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر الذكر اي ذكر الله وما يتعلق به لما في مسند الفردوس عن عايشة من احب شيا
اكثر من ذكره ويقل اللغو اي غير الذكر المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها فانه ولو كان ما خلو
عن مصلحة وحكمة لكنه بالاضافة الى الذكر الحقيقي لغو ولذا قال الغزالي ضيعت قطعة
من العمر العزيز في تاليف البسيط والوسيط والوجيز فاطلق عليه اللغو نظرا الى الصورة
والمبنى مع قطع النظر عن المعنى ومنه قولهم حسنات الابرار سيات المقربين والاظهر
قال تعالى في حق كمل المومنين والذين هم عن اللغو معرضون وقال عز وجل واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه واتماما قيل من ان المعنى لا يلغو اصلا فان القلة قد يستعمل في النفي
مطلقا نحو فقليلا ما تومنون فيابا ه حسن المقابلة بقوله ويكثر واما قول بعضهم
ويجوز ان يراد باللغو الدعابة وان ذلك كان منه قليلا فمردود اذ عد مزاحه صلى
الله عليه وسلم من اللغو هو اللغو فانه روى الترمذي عن ابي هريرة قال قالوا يا رسول
الله انك تداعبنا قال اني لا اقول الا حقا فلله در مزاح هو الحق فكيف يجده الذي
هو الصدق المطلق وقد صرح العلما بان المزاح بشرطه من جملة المستحبات فكيف يعد
من اللغو اللهم الا ان يقال مما قدمناه من الامر النسبي واللغو الاضافي ويطيل
الصلاة اي خصوصا في الجمعة لقوله ويقصر الخطبة من التقصير وفي نسخة من القصر
ولعل وجهه ان الصلاة معراج ومحل مناجاة المهيمن فيناسبها الاطالة بلا ملالة
والخطبة محل التوجه الى الخلق ودعاهم الى الحق وفيها زيادة مظنة الريا والسمعة
لطلاقة اللسان في الفصاحة والبلاغة ولذا ورد من مئنة الرجل طول صلاته
وقصر خطبته ولا يانف بفتح النون من الانفة وزاد في الجامع ولا يستنكف اي
لا يستكبر ان يمشي مع الارملة في النهاية الارامل المساكين من رجال ونسا وهو بالنسا اخص
واكثر والواحد ارمل وارملة وفي القاموس امراة ارملة محتاجة او مسكينة والارمل
العزب وهي بها اذ لا يقال للعزبة الموسرة ارملة انتهى ولا يخفى ان المعنى الاخير
هو المراد هنا لقوله والمسكين اللهم الا ان يقال عطف تفسيري كما يدل عليه قوله
فيقضي له الحاجة حيث اتى بصيغة الافراد والمراد لكل منهما او لما ذكر رواه النسائي
والدارمي وفي الجامع بزيادة والعبد بعد قوله والمسكين وقال رواه النسائي والحاكم
عن ابن ابي اوفى والحاكم عن ابي سعيد وعن علي رضي الله عنه ان ابا جهل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم انا اي معشر قريش لا نكذبك بتشديد الدال ويجوز تخفيفها
اي لا ننسبك الى الكذب فانك عندنا مشهور بالصدق ولكن نكذب بما جيت به اي نكذبك
بسبب ما جيت به من القران او التوحيد والمعنى ننكره ومنه قوله تعالى وكذب
به قومك وهو الحق وفي القاموس كذب بالامر تكذيبا انكره وفلانا جعله كاذبا وقال

فاستعمل

فاستعمل المقنيات في الحديث فانزل الله تعالى فيهم اي في ابي جهل واضرابه فانهم لا يكذبونك
الاية قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك والجمهور على التشديد وقرا نافع
بالتخفيف ولكن الظالمين بايات الله يجحدون يقال جحده حقه وبحقه كمنعه انكره مع علمه
كذا في القاموس ذكره الطيبي وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن
محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن
اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لساير قريش فقوله
ولكن نكذب بما جيت به وضع موضع ولكن نحسدك وضعا للمسبب موضع السبب رواه
الترمذي وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة لو شيت اي لو
اردت مال الدنيا ومنا لها لسارت معي جبال الذهب جاءني اي استينافا بيان متضمن للتعليل
اي نزل الي ملك اي عظيم طويل كما بين بقوله وان حجزته بضم الحاء وسكون الجيم فزاي
اي معقد ازاره تنساوي الكعبة اي تعادل لطولها ولعل وجه ظهوره بهذه العظمة تعظيما
لهذا الامر وتنبيها فقال ان ربك يقرا عليك السلام في النهاية اقرى فلانا السلام واقرا
عليه السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرا السلام ويرده وفي القاموس قرا
عليه السلام ابلغه كاقراه ولا يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا ويقول ان شيت نبيا
عبدا اي ان اردت ان تكون نبيا كعبد اي جامعا بين وصف النبوة والعبودية فكن او
اختر او فلك هذا وان شيت نبيا ملكا اي فكذلك وحاصله ان الله خيرك فاختر ما شيت
وفيه ايما الى ان الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان قال الطيبي قوله نبيا عبدا خبر
تكون محذوف يدل عليه الرواية الاخرى ان الله يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا وجزاء الشرط
محذوف اي ان شيت ان تكون نبيا متعبدا فكن اياه فنظرت الى جبريل عليه السلام اي
نظر مشاورة واختيارا في موضع الخيرة لقوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر
انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولان بعض الانبيا جمع بينهما وربما يظن انه هو مرتبة الكمال
كما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح وكونه وسيلة الى فتح البلاد وتوسيع العباد امثال
ذلك فاشار الي ان ضع نفسك اي تمسك رقية وضع امر من وضع امر تفسيرية لما في اشار من
معنى القول والحاصل انه اوما الى بان حط نفسك عن طمع مرتبة الملكوتية واختر ان يكون في مقام
العبودية فانه في المال اعلى وفي المال اعلى وفي ذوق الطالبين احلى فان الملك لله الواحد
القهار وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليظهر عبوديتهم لي والوهيتي
وربوبيتي لهم كما روي في الحديث كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
وفي تقديم الشرطية اشعار بالمرتبة الاولى وفيه دليل صريح على ان الفقير الصابر افضل
من الغني الشاكر خلافا لمن خالفه كابن العطا ودعا عليه الجنيد المودي الى العطا وفي رواية
ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فاشار جبريل
بيده الى الارض ان تواضع اي اختر الفقر والعبودية الموجبة للتواضع لله المنتج لرفعة

الفقر عند الله لا الملك والغني الباعث على الطغيان والنسيان الموجب للتكبر والكفران
المفضي لوضعه عن نظر الله وهذا باعتبار غالب الاحوال ولذا اختار الله الفقر لاكثر
الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء جعلنا الله منهم وحشرنا معهم فقلت نبيا عبدا اي اكون
نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا ياكل متكئا فسر الاكثرون
الاتكاء بالميل الى احد الجانبين لانه يضر بالاكل فانه يمنع مجرى الطعام ونقل القاضي عياض
في الشفا عن المحققين انهم فسروه بالتمكن للاكل في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته
لان هذه الهيئة تدعي كثرة الاكل يقول انا ستنا فبيان لما قبله اكل كما ياكل العبد اي مما
تيسر له من ادنى المأكول واجلس كما يجلس العبد اما على الركبتين كهيئة الصلاة وهو افضل
الهيئات او برفع احدى الركبتين حالة الاكل او غيره او برفع الركبتين على صفة الاحتباء وهو
اكثر انواع جلوسه صلى الله عليه وسلم في غير الصلاة رواه البغوي في شرح السنة اي
باسناده وفي الشمائل للترمذي عن ابي جحيفة مرفوعا اما انا فلا اكل متكئا وفي الجامع
الصغير انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واشرب كما يشرب العبد رواه ابن عدي في الكامل
عن انس وروى احمد ومسلم وابو داود عن كعب بن مالك انه صلى الله عليه وسلم كان ياكل
بثلاث اصابع ويلعق يده قبل ان يمسحها وروى ابن السني والطبراني عن ابن مسعود انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا يسمي عند كل نفس ويشكر في اخرهن
وفي الحلية لابي نعيم عن ابي جعفر مرسلا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب الماء
قال الحمد لله سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا وروى الطبراني عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض وياكل على الارض ويعتقل الشاة
ويجيب دعوة المملوك الى خبز الشعير باب

المبعث وبدء الوحي هذا من باب ما قاله ارباب الهداية من ان النهاية هي الرجوع الى
البداية فنقول الباب اصله البوب قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على
ابواب وقد تقال ابوبة ذكره العيني والمراد هنا نوع من الكلام المشتمل عليه جنس الكتاب
المجموع لافراد الانواع كما بينته في تعليقي الاول باب كتاب البخاري في بيان الاعراب بدون
الاعراب ثم المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث وهو من بعث اذا ارسل ذكره ابن الملك
فالمراد به انه مصدر ميمي والاظهر ان المقصود به معرفة زمان البعث ومكانه الدال عليه
اول الحديث من الفصل الاول والبدء بموحدة مفتوحة فدال ساكنة فهمزة بمعنى
الابتداء قيل ويروى بدو كظهور وزنا ومعنى وهل الاصل الاول لانه يجمع المعنيين
او الثاني لانه اعم قلت اما محله قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه يحتمل
الاحتمالين كما اوضحناه في محله واما ما نحن فيه فلا يساعد الرسم الثاني فانه مكتوب
بالياء هنا بخلاف ما في الصحيح فانه مكتوب فيه بالواو فتأمل ولا تمل ويؤيد ما قلنا
ايضا انه قال العسقلاني في فتح الباري قال عياض روي البدء بالهمز وسكون

الدال من الابتداء او بغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور قلت ولم ار
مضبوطا في شيء من الروايات التي اتصلت بنا الا انه وقع في بعضها كيف كان ابتداء
الوحي فهذا يرجح الاول وهو الذي سمعناه من قول المشايخ وقد استعمل المصنف يعني البخاري
في هذه العبارة كثيرا كبدء الحيض وبدء الاذان وبدء الخلق والوحي لغة
الاعلام في خفاء وقيل اصله التفهيم ومنه قوله تعالى واوحى ربك الى النحل وشرعا
هو الاعلام بالشرع وقد يطلق ويراد به اسم المفعول اي الموحى وهو كلام الله المنزل على
نبي من انبيائه وقال شارح البعث مصدر بمعنى الارسال والبدء الابتداء والوحي
هنا الرسالة ولعل اختياره كغيره معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان
الضامن الدلالة على كيفيته اصل الفعل والله اعلم الفصل الاول عن ابن عباس قال
بعث بصيغة المجهول اي جعل مبعوثا الى الخلق بالرسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاربعين سنة اي وقت تمام هذه المدة قال الطيبي اللام فيه بمعنى الوقت كما في
قوله تعالى قدمت لحياتي فمكث بضم الكاف ويفتح اي فلبث بمكة ثلاث عشرة سنة بتاء
الشين المعجمة ويكسر يوحى اليه جملة حالية او استئنافية اي يوحى اليه في اثناء
تلك السنين ثم امر بالهجرة اي الى المدينة فهاجر اليها وقام بها عشر سنين بالسكون
لا غير ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة وهذا هو الصحيح وقيل ابن خمس وستين
كما سيأتي عن ابن عباس ايضا بادخال سنتي الولادة والوفاة وقيل ابن ستين كما يأتي
عن انس بالغاء متفق عليه وعنه اي عن ابن عباس قال اقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة اي بادخال سنتي الولادة والهجرة يسمع الصوت اي
صوت جبريل ويرى الضوء اي النور في الليالي المظلمة ضياء عظيما سبع سنين قال
الطيبي يعني انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من امارات النبوة سبع سنين ضياء مجردا
وما رأى معه ملكا وهو معنى قوله ولا يرى شيئا اي سوى الضوء فالواو للحكمة في
رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استئناسه اولا بالضوء المجرد ذهاب
روعه اذ في رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فانه امر عظيم
انتهى ولقد احسن ابن الملك في قوله والسر فيه ان الملك لا يفارقه ضوء الملكية
ونور الربوبية فلو رآه ابتداء فلربما لا يطيقه القوة البشرية وعسى ان يحدث
من ذلك غشي فاستؤنس اولا بالضوء ثم غشيه الملك ويجوز ان يراد بالضوء انشراح
صدره قبل نزول الوحي فسمي الانشراح ضوءا ولا نكمل انشراح صدره الا بعد وصوله
الى الاربعين لسبقه ان يكون واسطة بين الله وبين خلقه وثمان سنين يوحى اليه
اي في مكة واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سبق الكلام عليه متفق
عليه قال ميرك قوله متفق عليه لم يقع في موقعه لان البخاري لم يخرجه بل هو في
صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين واشار اليه شيخنا ابن

حجر في شرح صحيح البخاري ومشائخهم صاحب المشكاة صنيع ابن الاثير في جامع الاصول
والحاصل انه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع الى الماخذ فلذا وقع فيما وقع
والله اعلم وعن انس قال توفاه الله تعالى على راس ستين سنة قال الطيبي مجاز قوله على
راس ستين اي اخره كمجاز قولهم راس اية اي اخرها سمي اخر الشي راسا لانه مبتدا مثله
من اية اخرى او عقد اخر متفق عليه ورواه الترمذي في الشمائل وعنه اي عن انس
قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم اي توفي وهو ابن ثلاث اي والحال انه صاحب ثلاث
سنين وستين اي سنة كما في نسخة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين اي بلا خلاف وكانت
خلافته سنتين واربعة اشهر وعمر وهو ابن ثلاث وستين وقيل ابن تسع وخمسين
وقيل ثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل احدى وخمسين قال المؤلف طعنه ابو لؤلؤة غلام
مغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين
ودفن يوم الاحد غاشر محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو اصح
ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا واما عثمان فدفن ليلة السبت
بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل غير
ذلك وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة واما علي فاستخلف يوم قتل عثمان
وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن
ابن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين
ومات بعد ثلاث ليال من ضربته ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل
خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته اربع سنين وتسعة
اشهر واياما ولعل الشمائل لم يذكر عليا مع ان الصحيح في عمره انه ثلاث وستون لانه
اذ ذاك في قيد الحياة اولانه ما تحرر عنده والله اعلم رواه مسلم وروى الترمذي
عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
ابن ثلاث وستين وابو بكر وعمر اي كذلك وانا ابن ثلاث وستين اي وانا متوقع
ان اموت في هذا السن موافقة لهم وفي جامع الاصول كان معاوية في زمان نقله
هذا الحديث في هذا السن ولم يمت فيه بل مات وله ثمان وسبعون سنة وقيل
ست وثمانون سنة قال ميرك يعني لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو قريب من ثمانين
قلت لكن حصل مرغوبه من ثواب التوافق الذي هو مرجوه مع زيادة عمره وامله فنية
المؤمن خير من عمله قال محمد بن اسمعيل البخاري ثلاث ما لجر على الحكاية والتقدير
رواية ثلاث وستين اكثر اي رواية من غيرها ورجح الامام احمد ايضا هذه الرواية
قال النووي في شرح مسلم ذكر ثلاث روايات احديها انه صلى الله عليه وسلم توفي
وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث وستين وهي
اصحها واشهرها رواه مسلم هنا من رواية انس وعائشة وابن عباس ومعاوية

رضي

رضي الله عنهم فرواية ستين مقتصرة على العقود ورواية الخمس متاولة له وانكر عروة
على ابن عباس قوله وقال انه لم يدرك اول النبوة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين ولد
عام الفيل على الصحيح المشهور وادعى القاضي عياض الاجماع عليه واتفقوا على انه
ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول واختلفوا هل هو ثاني الشهر ام ثامنه ام عاشره
وتوفي يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الاول ضحى صلوات الله وسلامه عليه انتهى ولا يخفى
ان هنا قولا اخر ايضا وهو ان عمره صلى الله عليه وسلم اثنان ونصف وستون سنة وانه
على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ان عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله وعمر عيسى
عليه الصلاة والسلام خمس وعشرون ومائة وقيل هذا الحديث لا يخلو عن ضعف ويمكن
ان يقال الغاء النصف من الكسر غير بعيد عند اهل الحساب والله اعلم بالصواب وعن
عائشة قالت اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي هذا الحديث
من مراسيل الصحابة فان عائشة لم تدرك هذه القضية فيكون سمعتها من النبي
صلى الله عليه وسلم او من صحابي ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء الا ما انفرد به الاستاذ
ابو اسحاق الاسفرايني قال الطيبي والظاهر انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم
لقولها قال فاخذني فغطني فيكون قولها اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم
حكاية ما تلفظ به صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون بالتاء والياء
على ما قيل انه صلى الله عليه وسلم يؤدي لفظ ما اوحي اليه او معناه فلا يكون الحديث حينئذ
من المراسيل قلت هذا اغرب من الطيبي لانها لم تسند في صدر الحديث انها سمعت منه
صلى الله عليه وسلم فكان من المراسيل اما عنه او عن صحابي ولا ينافيه قولها قال فانه
اما نقل كلامه صلى الله عليه وسلم او نقل كلام الصحابي والتقدير قال فلان عنه عليه
الصلاة والسلام والله اعلم بالمرام ثم الظاهر ان من في قولها من الوحي تبعيضية لا
بيانية كما قيل اي اول ما ابتدئ به من اقسام الوحي الرؤيا الصادقة وقوله في النوم اما
تاكيد واما في الرؤيا تجريد اذ الرؤيا ما رايت في منامك على ما في القاموس ثم اعلم ان حقيقة
الرؤيا الصادقة ان الله يخلق في قلب النائم او في حواسه الاشياء كما يخلقها في اليقظة
وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولا يمنعه نوم ولا غيره عنه فربما يقع ذلك في اليقظة
كما رواه في المنام وربما رآه في المنام وربما رآه علما على امور اخرى يخلقها في ثاني الحال
او كان خلقها فيقع ذلك كما جعل الله تعالى الغيم علامة للمطر كذا حققه العلامة
الكرماني فكان لا يرى رؤيا وفي نسخة الرؤيا الاجاءت اي تلك الرؤيا بمعنى اثرها الدال على
تحققها مثل فلق الصبح بفتح الفاء واللام اي ضوئه اذا انفلق كما في شرح السنة والمعنى
شبيهة ضياء به او مجيئا مثله قال شارح الفلق بالتحريك الصبح بعينه وحسن اضافته
الى الصبح وان كانت لاختلاف اللفظين لكونه من الالفاظ المشتركة فانه يطلق الفلق
على الصبح وعلى المطمئن من الارض فشبهت ما جاءه في اليقظة موافقا لما راه في المنام بالفلق

لانارته واضاءته وصحته وقال القاضي شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقا
لما راه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكن لما كان مستعملا في هذا المعنى
وفي غيره كالخلق كله في قوله قل اعوذ برب الفلق وغير ذلك اضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة
العام الى الخاص كقولهم عين الشي ونفس الشي وقال الطيبي للفلق شان عظيم ولذلك جاء
وصفا لله تعالى في قوله سبحانه فالق الاصباح وامرنا بالاستعاذة برب الفلق لانه ينبي عن
انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع تباشير الصبح لظهور سلطان الشمس واشراقها الافاق كان
الرويا الصالحة مبشرات تنبي عن وفور انوار عالم الغيب واثار مطالع الهدايات تشبه
به الرويا التي هي جزء يسير من اجزاء النبوة وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركي العقول
على ثبوت النبوة لان النبي انما سمي نبيا لانه ينبي عن عالم الغيب الذي لا يستقل العقول
بادراكه وفي شرح مسلم للنووي قال انما ابتدي صلى الله عليه وسلم بالرويا لئلا يفجاه
الملك ويانيه صريح النبوة بغتة فلا يحتملها قوى البشرية فبدي بتباشير الكرامة وصدق
الرويا استينا سا قلت وهو مقتضى الامور التدريجية في الامور الدينية والدنيوية وكانت
الرويا شبيهة بالفلق الذي هو الصبح وهو مقدمة طلوع الشمس المشبه به اتيان جبريل بالوحي
المنزل الذي هو نور وكتاب مبين يهدي الله لنوره من يشاء ثم نور بين يدي النور الحجابي الافاقي
والنور العلمي الخلاقي ثم حبب اليه الخلاء بالمراد الخلوة المناسبة المرتبة التخلية
عن الغير المقدمة على التجلية المرتبة عليها بثبوت نور وجوده وظهور كرمه وجوده قال
النووي الخلوة شان الصالحين وعباد الله العارفين قال الخطابي حبب الخلوة لان
معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مالوفات البشر قلبه ويجمع همه
فالمختص في الخلوة يفتح الله عليه ما يونسه في خلوته من تفويض الله تعالى اياه عما تركه
لاجله واستنار قلبه بنور الغيب حين تذهب ظلمة النفس واختيار الخلوة لسلامة
الدين وتفقد احوال النفس واخلاص العمل انتهى واختلف في افضلية الخلوة والجلوة
والخلطة والعزلة والصحيح ان كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الافضل والاكمل
للمصلحة المترتبة عليها الحكمة الالهية واقتضاء صفة الربوبية وكان يخلو بغار حراء
بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد ومذكر مصروف على الصحيح وقيل مونث غير مصروف
ذكره النووي وقال القاضي الزاهد صاحب التعلب والخطابي وغيرهما العوام يخطاون في
حراء في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون
الالف وهي ممدودة وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة اميال عن يسار الذاهب من مكة الى
منى وقال شارح هو بالكسر والمد والقصر خطاء يذكر ويونث فيصرف على الاول ولا يصرف
على الثاني اقول ولعل وجه التذكير اعتبار الموضع والتانيث باعتبار البقعة وقال العسقلاني
حراء هو بالمد وكسر اوله وهو الصحيح رواية وحكي فيه غير ذلك جواز الرواية وعند الاصيلي
بالفتح والقصر فيتحنث فيه اي فيتعبد في ذلك الغار فرارا من الاغيار وفي سيرة ابن

هشام

هشام فيتحنف بالفاء اي يتبع الحنيفية وهو دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم ذكره
السيوطي وهو اي التحنث التعبد وكان المتعبد يتحرز عن الحنث بمعنى الاثم ويجتنب عنه
بعبادته وهذا التفسير اما من قول عايشة رضي الله عنها او من قول الزهري ادرجه في الحديث
والتحنث في اللغة الحنث عن نفسه وقيل لم يرد من باب التفعل في معنى القاء الشي عن
النفس الا التحنث والتاثم والتحوب كذا ذكره شارح وقال السيوطي قوله وهو التعبد مدرج
في الخبر قطعا قال العسقلاني وهو محتمل ان يكون من كلام عروة او من دونه قال وجزم الطيبي
بانه من تفسير الزهري ولم يذكر دليله انتهى وقال التوربشتي فسر التحنث بقولها
وهو التعبد ويحتمل ان يكون التفسير من قول الزهري ادرجه في الحديث وذلك من دابه
قال النووي وقوله الليالي ذوات العدد متعلق بيتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث
الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى فان التحنث لا يشترط فيه الليالي بل
يطلق على القليل والكثير وهذا التفسير اعتراض بين كلامي عايشة رضي الله عنها واما
كلامها فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد وانما اطلق الليالي واريد بها الليالي مع ايامهن
على سبيل التغليب لانها انسب للخلوة وقيد بذوات العدد لارادة التقليل كما في قوله تعالى
دراهم معدودة انتهى فالمراد بذوات العدد القلة وقيل يحتمل الكثرة اذ الكثرة تحتاج للعدد لا القليل
وقيل ابهام العدد لاختلافه بالنسبة الى المدة التي يتخللها مجيئه الى اهله والا فاصل
الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر في كل سنة وذلك الشهر كان رمضان اقول ويمكن ان يكون
مدة اربعين قياسا على ميقات موسى عليه الصلاة والسلام ولما فيها من الخواص والاثار
التي تظهر انوارها واثارها على الصوفية الابرار مع ما فيها من مطابقة الاربعينات
في الاطوار وقد قال صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه هذا وقال الحافظ العسقلاني ولم يات التصريح بصفة
تعبده لكن في رواية عبيد بن عمير عند ابن اسحاق فيطعم من يرد عليه من المساكين
وجاء عن بعض المشايخ انه يتعبد بالتفكر ذكره السيوطي في حاشية مسلم وفي التحرير
للامام ابن الهمام ان المختار انه صلى الله عليه وسلم قبل بعثته متعبد فقيل بشرع نوح
وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ونفاه المالكية الامدي وتوقف الغزالي اي في تعبده
قبل البعثة بشرع من قبله وفي شرح التحرير قال امام الحرمين والمازري وغيرهما
لا يظهر لهذه المسالة ثمرة في الاصول ولا في الفروع بل يجري مجرى التواريخ
المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة انتهى والظاهر ان المراد بالتعبد هنا التجرد
للعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل الى الحق بحسب ما يقتضيه
صفة الربوبية والخلو عن المطالب النفسية والمارب الشهوية وخلاصة الغيبة عما
سواه والحضور مع الله المترجم عنه قول لا اله الا الله الوارد فيه افضل الذكر لا اله
الا الله المعني بقوله فاعلم انه لا اله الا الله المعبر عنه عند الصوفية بالفناء

مطلب في خلوة الاربعين للصوفية

والبقاء والانفصال والاتصال والبيتوتة والكينونة وهو نهاية مراتب العباد
وغاية مطالب العباد وقيل ان ينزع الى اهله يقال نزع الى اهله نزع نزاعا اي اشتاق
ومال ولذا قيل ينزع كيرجع زنة ومعنى قال شارح والمعنى انه كان لا يميل عن اهله
بالكلية الى الخلوة ويدل عليه قوله ويتزود بالرفع اي فيجيء اهله ويأخذ زاده لذلك
التعبد الليالي ذوات العدد ولما ذكر من الليالي مشتغلا بجرب العبادة ودونها الامر
المعاد الى نزاع الزاد ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها لمثل تلك الليالي او لنحو تلك
العودة التي فيها الخلوة وفيه ايماء الى ان اخذ الزاد لا ينافي التوكل والاعتماد والحاصل
انه صلى الله عليه وسلم استمر على تلك الحال من الذهاب للاعتزال والرجوع لنيل المنال
(الاول) وحسن حتى جاءه الحق اي امر الحق وهو الوحي او رسول الله الحق وهو جبريل عليه السلام
ذكره التوربشتي او المعنى بين له الحق وظهر له الجمال المطلق لا مرآة والامراء وهو في غار
حراء فجاءه الملك اللام للعهد وهو جبريل وقيل اسرافيل فقال اقرأ اي مطلقا او مر
مقتضى الامر الباهر او لا اقرأ وهو الظاهر فقال ما انا بقارئ اي لا احسن القراءة
ولم اتعلم القراءة كما هو المعتاد فيمن يقرأ قال فاخذني فغطني بتشديد الطاء اي
عصرني فقيل الغط في الاصل العقل في الماء والتفويض فيه على ما في النهاية وغيره
ولما كان الغط مما يأخذ بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق وفي بعض الروايات
فخنقني اقول الاظهر ان الغط هو العصر اما من جهة البطن او الظهر لكن لشدته
ربما يضيق النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق وهذا المعنى اولى
والخلق وفي شرح مسلم قالوا والحكمة في الغط شغله عن الالتفات والمبالغة
في امره باحضار قلبه لما يقوله وانما كرره ثلاثا مبالغة في التنبيه ففيه انه
ينبغي للمعلم ان يحتاط في تنبيه المتعلم ويأمره باحضار قلبه وقيل انما غطه
ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا وحاصل المعنى عصرني عصرا شديدا حتى بلغ
مني الجهد بضم الجيم ويفتح وبالرفع وبنصب قال النووي الجهد يجوز فيه فتح الجيم
وضمها وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ مني
الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته وقد ذكر الوجهين اعني نصب الدال
وفتحها صاحب التحرير التيمي وقال شارح هو بضم الجيم ورفع الدال وهو بالضم الوسع
والطاقة وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان في الوسع اما
المشقة والغاية فبالفتح لا غير وقال التوربشتي لا ارى الذي يرويه بنصب الدال
الا قد وهم فيه او جوزه من طريق الاحتمال فانه اذا نصب الدال عاد المعنى الى انه
غطه حتى استفرغ قوته في ضغطه وجهد بحيث لم يبق فيه مزيد وهذا قول غير
سديد فان البنية البشرية لا تستدعي استيفاء القوة الملكية في مبدأ الامر وقد
دلت القضية على انه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب قال الطيبي لا شك ان جبريل في حالة

الغط لم يكن على صورته الحقيقية التي تجلى بها عند سدرة المنتهى وعندما راه مستويا
على الكرسي فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه واذا صحت الرواية
اضمحل الاستبعاد اقول لا يلزم من تشكل الملك بصورة الآدمي وتبدله عن اصل هيئته الملكي
سلب القوة عنه ونفي الغلبة هنا فان الامر المعنوي لا يتغير بتغير الشكل الصوري
فكلام الشيخ في محله وصحة الرواية موقوفة على نقلها لا بمجرد جوازها وذكرها وحملها ثم
اي بعد ما بلغ بغطه من الجهد ارسلني اي تركني في مقام البعد وكانه نقل من مقام الجمع
الى حال التفرقة ومن رتبة الولاية الى مرتبة النبوة ترقيا الى درجة جمع الجمع فقال اقرأ
فقلت ما انا بقارئ الظاهر من صنيع الشراح ان قوله ما انا بقارئ في كل مرتبة على معنى واحد
ويمكن ان يقال ان ما في الاولى نافية وفي الثانية استفهامية والباء زائدة او على لغة اهل
مصر اي شيء اما اقرأه فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ اي الذي انا بقارئ ما هو على ان ما موصولة مبتدأ وخبره
محذوف والفرق بينه وبين ما قبله في المعنى المراد ان الاول استفهام للانكار
وهذا استفهام للاعلام فاخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ باسم ربك قال النووي هذا دليل صريح في ان اول ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب
الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل اوله يا ايها المدثر وليس بشيء قلت الظاهر
ان اقرأ اول الحقيقي ويا ايها المدثر اول الاضافي وهو بعد فترة الوحي الالهي قال
واستدل بهذا الحديث من يقول بسم الله الرحمن الرحيم ليست من القرآن في اوائل السور لكونها
لم يذكر هنا وجواب المثبتين لها انها لم تنزل اولا بل نزلت البسملة في وقت آخر كما نزلت باقي
السور في وقت آخر قلت فلا يكون البسملة جزء الجميع واوائل السور لعدم التقابل بالفعل
فتبين مذهب اهل الفضل ولعل النووي لما اشعر ضعف الجواب اسنده الى المبهم تبرءا من قولهم
والله اعلم بالصواب قال الطيبي اقرأ امر بايجاد القراءة مطلقا وهو لا يختص بمقروء دون
مقروء وقوله باسم ربك حال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك اي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ
وهذا يدل على ان البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة فيكون مأمورا قراءتها في هذه
السورة ايضا قلت لا يخفى بعد ما ذكره على المتأمل اما قوله امر بايجاد القراءة ففيه بحث فان
الايجاد والامداد من افعال رب العباد وعلى ما هو مقرر في اعتقادنا فالامر انما توجه بمباشرة
القراءة لا بايجادها ثم قوله وهو لا يختص بمقروء دون مقروء ففيه ان لفظ اقرأ هنا ايضا
مقروء فالظاهر ان الباء على سماتيته او انه للصادق او الملابسة كما حقق في البسملة اول
الفاتحة اي اقرأ مستعينا باسم ربك او ملتصقا به قراءتك او كالذكر ثم لتيمنا به وعلى
التنزل فلا يلزم من الافتتاح باسم الرب ان يؤتى بسم الله الرحمن الرحيم ثم يقرأ كما هو
ظاهر بل ظاهره خلاف المأمور على انه يلزم منه ان المقروء بعد قوله اقرأ باسم ربك والحال ان
الامر ليس كذلك فان مذهب الشافعية ان يقرأ البسملة قبل قوله اقرأ باسم ربك ثم قوله

وهذا ابدا على ان البسملة مامور قراءتها في ابتداء كل قراءة ممنوع ومدفوع لاتفاق العلما
على استحباب التعوذ او وجوبه قبل قراءة وعلى جواز البسملة كذلك الا في اول براءة
على الصواب وفي اثنا سورتها خلاف والمعتمد منعها الذي خلق الاشيا ومن جملتها خلق
القدرة على القراءة والقوة على الطاعة خلق الانسان من علق تخصيص بعد تعميم اشعارا
بان الانسان خلاصة المخلوقات وزبدة الموجودات وهو اولى مما اختاره الطيبي من انه
ابهام وتبيين ولعل العدول عن قوله خلق الانسان من نطفة لمراعاة الفاصلة وللايماء
الى نقله في اطوار الخلقة الى مرتبة النبوة بالوصول الى الحق المطلق والى مقام الرسالة
من دعاء الخلق الى دعوة الحق اقرا تاكيد للتقرير وتكرير للتكثير وربك الاكرم الذي من كل
كريم فان كرم كل كريم من اثر كرمه وذرة من شعاع ظهور شمس نعمته وفيه اشارة الى ان وصفه
الاكرم اقتضى بلوغ وصول الامي الى حصول مقام الاعلم وصيره واسطة ايضا لفيض
العلم الى افراد العالم الذي علم بالقلم اي بواسطة كثيرا من العلوم المتعارفة لافراد
بني ادم علم الانسان اي بطريق بيان اللسان وتبيان الجنان ما لم يعلم اي من الاشيا
الحادثة في المكان والزمان ويمكن ان يراد بالانسان وهو الكامل في هذا الشان واللام
للمعهود في الاذهان فيكون فيه اشارة الى قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما فصلوا عليه وسلموا تسليما فرجع بها اي رجع النبي صلى الله عليه وسلم
بالايات اي معها متوجها الى مكة يرجف بضم الجيم اي يضطرب فواده ويتحرك شديدا من الرعب
الذي دخل في قلبه فدخل على خديجة وقال الطيبي اي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب
فواده ورجع بحي بمعنى فصد ايضا انتهى وما قررناه هو الظاهر كما لا يخفى فقال زملوني
بتشديد الميم المكسورة اي غطوني بالثياب ولفوني بها زملوني كرره للتاكيد او لزيادة
التابيد فزملوه حتى ذهب عنه الروع بفتح الراء الخوف والرعب الشديد فقال لخديجة
واخبرها الخبر اي خبر ما تقدم والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وهو
لقد خشيت اي خفت على نفسي اي من الجنون او الهلاك وقال شارح ادهشته هيبته
البديهية فخشي على نفسه من تخبط الشيطان وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي
عياض ليس هو بمعنى الشك فيما اتاه الله تعالى لكنه ربما خشي انه لا يقوى على مقاومة
هذا الامر ولا يقدر على حمل اعباء الوحي فتزهق نفسه او يكون هذا اول ما راه
في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقيق رسالة ربه فيكون قد
خاف ان يكون من الشيطان فاما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز
الشك فيه وتسلط الشيطان عليه قال الشيخ محي الدين وهذا الاحتمال ضعيف
لانه تصريح بان هذا بعد غطه الملك واتيانه باقرا باسم ربك وقال السيوطي قبل خشي
الجنون وان يكون ما راه من جنس الكهانة قال الاسماعيلي وذلك قبل حصول العلم
الضروري له ان الذي جاءه ملك وانه عند الله وقيل الموت من شدة الرعب وقيل المراد

وقيل العجز عن حمل اعباء النبوة وقيل عدم الصبر على اذى قومه وقيل ان يقتلوه وقيل
ان يكذبوه وقيل ان يعيروه فقالت خديجة كلا هي كلمة ردع اي لا تظن ذلك او لا تخف
ومعناه حقا فقولها والله للتاكيد وتاييد للتاييد لا يخزيك الله ابدا قال النووي
هو بضم الياء وبالخاء المعجمة في رواية يونس وعقيل وفي رواية معمر بالحاء المهملة
والنون ويجوز فتح الياء في اوله وضمها وكلاهما صحيح اقول لا يخفى ان فتح الياء انما
يكون مع فتح الزاي بخلاف ضم الياء فانه مع كسر الزاي كما في قرئ بهما متواترا في قوله تعالى
ولا يحزنك قولهم ونحوه واما الرواية الاولى فمن الاخزاء بمعنى الافضاح والاهانة
ومنه قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه انك بالكسر استينافا فيه تبيينا
تعليل لتصل الرحم اي ولو قطعوك وتصدق الحديث بضم الدال اي تتكلم بصدق
الكلام ولو كذبوك او كذبوك وتحمل بكسر الميم الكل بفتح الكاف وتشديد اللام وهو ما لا
يستقل بامره وقد يعبر عنه بالثقيل ومنه قوله تعالى وهو كل على مولاه والمعنى
انك تتحمل مؤنة الكل والثقيل بحمله الكل ان تركوك ولم يساعدوك ويدخل في حمل الكل
الانفاق على الضعيف واليتيم والارامل والعيال من النساء والرجال وتكسب المعدوم
بفتح التاء من الصحيح المشهور وروي بضمها ذكره النووي والمعنى تحصل المال للخير
او تعطي المحتاج فكان الفقير معدوم في نفسه او في نظر الغني او لان الفقر يقتضي
العناد والاسكات كما ان المعنى يوجب الظهور والتحرك والطغيان قال ثعلب والخطابي
وغيرهما يقال كسبت الرجل مالا واكسبته مالا لغتان افصحهما كسبته بحذف الالف ومعنى
الثم يكسب غيرك المال المعدوم اي تعطيه اياه تبرعا فحذف الموصوف واقيم الموصوف
به مقامه وقيل المعنى يعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفايس الفوائد ومكارم
الاخلاق او تصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله وكانت العرب تتمادح بكسب المال
لا سيما قريش وكان صلى الله عليه وسلم مغبوطا في تجارة قال النووي وهذا القول ضعيف
او غلط ويمكن تصحيحه بان يضم معه زيادة فمعناه تكسب المال العظيم الذي يعجز غيرك
عنه ثم تجود به في وجوه الخير وابواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وغيرهما
وصاحب التجريد جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدوم العاجز عن الكسب
وسماه معدوما كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحياة انتهى وقيل
الثواب ويكسب المعدوم اي تعطي العايد وتمنحه لان المعدوم لا يدخل تحت الافعال
قال التوربشتي المعدوم هي اللفظة الصحيحة بين اهل الرواية واجراها
بعضهم على التوسع فراى انه نزل العايل منزلة المعدوم مبالغة في العجز كقولك
للبخيل والجبان ليس بشيء قال ويمكن نسبه من كسبت زيدا مالا واكسبته مالا ويجوز بضم
التاء من اكسبت زيدا مالا قال الخطابي والافصح كسبته فمعنى تكسب ان جعل متعديا
الى واحد انك تكسب ما لا يكون موجودا ولا حاصلا لنفسك وتقري به الضيف فيكون

المجموع سببا لأن لا يخزيه الله وتكسب المعدوم وهو الفقير سمي معدوما مبالغة
كأنه صار من غاية فقره معدوما والمتصدق عليه يكسبه ويجعله موجودا وإن جعل متعديا
إلى اثنين فالمحذوف إما المفعول الأول أي يكسب غيرك المعدوم أي تعطيه ما لا يكون
موجودا عنده وتوصله إليه أو المفعول الثاني أي تكسب المعدوم أي الفقير ما لا
أي تعطيه إياه وإنما ذكر لفظ الكسب إرادة أنك لن تزال تسعى في طلب عاجز تنعشه
كما يسعى غيرك في طلب مال يغتنمه الغني وزبدته أنها أرادت أنك ممن لا يصيبه مكروه
لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل وفيه دلالة على أن مكارم الأخلاق
وخصال الخير سبب للسلامة من مصارع السوء وفيه مدح الإنسان في وجهه في بعض الأحوال
لمصلحة نظرا وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة
وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها
وثبات قلبها وعظم فقهها وفيه تنبيه على أن فقره صلى الله عليه وسلم مرضيا
واختيارا لا مكروها اضطرارا ومنشأه كمال الكرم والحياء والجود وعلى أن هذه الصفات
المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم
مكارم الأخلاق ثم انطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل أي ابن أسد
القرشي ابن عم خديجة أي ابنة خويلد بن أسد فهو ابن عمها حقيقة واختلف في إسلامه
ذكره صاحب القاموس فقالت له يا ابن عم اسمع من ابن أخيك وهذا بطريق المجاز كقولهم
يا أخا العرب وقال شارح إنما قالت ذلك على سبيل التعظيم لا على سبيل الحقيقة فقال
له ورقة وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ذكره المؤلف في
فصل الصحابة يا ابن أخي ماذا ترى قيل ذا زائدة وما استفهامية وقيل ذا موصولة
أي ما الذي تراه فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى أي بخبره وبطلعة على
ما ظهر عليه من الملك وأثره فقال ورقة هذا أي الملك الذي رأيته هو الناموس الذي
أنزل أي أنزله الله على موسى قيل ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره
وأهل الكتاب يسمون جبريل بالناموس فقال أهل اللغة الناموس صاحب سر الخير والجاسوس
صاحب سر الشر فقيل سمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحي يا ليتني أي كنت لا في نسخة
فيها أي في أيام النبوة أو مدة الدعوة أو الأزمنة التي تظهر فيها جذعا بفتح الجيم والذال
المعجمة أي جلدا شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخل في السنة
الثالثة فالجذع في الأصل للدواب وهو هنا استعارة ونصبه إما بإضمار كنت أو بليت على
تأويل تمنيت والأصح أنه حال أي ليتني حاصل فيها جذعا كما هو مذهب البصريين في [illegible]
أيام الصبا راجعا قال الخطابي والمازري وغيرهما نصب على أنه خبر كان المحذوفة
تقديره ليتني أكون فيها جذعا على مذهب الكوفيين وقال القاضي الظاهر عندي أنه منصوب
على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل الظرف هذا وفي قوله يا ليتني المنادى محذوف

أي

أي يا محمد وقال ابن الملك ظن أكثر الناس أن يا التي تليها ليت حرف نداء والمنادى محذوف وهو عندي
ضعيف لأن قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه منادى كقول مريم يا ليتني مت
قبل هذا قلت يمكن أن يكون التقدير يا رب أو يا نفسي أو يا ولدي أو أراد به الخطاب
العام المقصود فيه أو هام الإبهام هنا ولأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي
ادعي فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحكم المنادى قبل أمر أو دعاء فإنه يجوز حذفه لكثرة
ثبوته ثمة فمن ثبوته قبل الأمر يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقبل الدعاء يا موسى ادع لنا ربك
ومن حذفه قبل الأمر ألا يا اسجدوا في قراءة الكسائي أي ألا يا هؤلاء وقبل الدعاء قوله ألا يا
اسلمي يا دار مي على البلى أي ألا يا دار مي اسلمي فحسن حذف المنادى فيهما اعتمادا على ثبوته
بخلاف ليت فإن العرب لم تستعمله ثابتا فادعاء حذفه باطل فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه
مثل ألا في نحو ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة قلت لعل وجه حذف المنادى مع كثرة استعماله
فتارة يكون مفردا مذكرا أو مؤنثا وتارة تثنية أو جمعا كذلك وتارة يكون محققا وأخرى
يكون موهوما ولا شك أن كثرة الاستعمال موجبة للحذف والتخفيف حتى ربما يجعل الحذف
واجبا فادعاء حذفه بعد الاعتبار حق بل واجب لا باطل وذاهب ثم رأيت في القاموس
ذكر جواز الوجهين وقدم ما قدمناه حيث قال وإذا ولي يا ما ليس بمنادى كالفعل في ألا يا
اسجدوا والحرف في نحو يا ليتني كنت معهم ويا رب كاسية في الدنيا عارية في العقبى والجملة
الاسمية نحو يا لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار فهي للنداء والمنادى
محذوف أو لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها انتهى وتبعه صاحب المغني
وفيه بحث لا يخفى والله تعالى أعلم بالسر وأخفى ليتني أكون حيا أي وإن لم أكن قويا إذ يخرجك
إذ هنا للاستقبال كإذا أو المعنى حين يتسبب لخروجك من بلدك قومك أي قاربك من كفار
قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم بفتح الواو وبتشديد الياء المفتوحة
ويجوز كسرها كقوله بمصرخي وهو خبر لقوله هم وأصله مخرجون أضيف إلى ياء الإضافة فكسر الجيم
للمناسبة فإعرابه تقديري كمسلمي والجملة عطف على مقدر والاستفهام للاستعلام على وجه
التعجب من هذا الأمر لما كبد المرام أي أيكون ما قلت وهم مخرجي قال نعم أي يخرجونك وسببه
أنه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به أي من الرسالة إلا عودي ماض مجهول من المعاداة والاستثناء
مفرغ من أعم عام الأحوال وإن يدركني يومك شرط جزاؤه أنصرك نصرا مؤزرا بتشديد الزاي
المفتوحة قال القاضي يريد باليوم الزمان الذي أظهر فيه الدعوة أو عاداه قومه فيه
وقصدوا إيذاءه وإخراجه والمؤزر البالغ في القوة من الأزر وهو القوة ومنه قوله تعالى
واشدد به أزري ثم لم ينشب بسكون النون وفتح الشين أي لم يلبث ولم يبرح وحقيقته أنه
لم يتعلق بشيء ولم يشتغل بغير ما هو عليه فكني به عن ذلك وقوله أن توفي نصب على
التمييز أي من جهة الوفاة أي لم يلبث وفاته بأن جاء سريعا وقال الطيبي بدل اشتمال من ورقة
أي لم يلبث وفاته وفتر الوحي أي انقطع كما سيأتي في الحديث الآتي متفق عليه وزاد البخاري

اي على رواية مسلم قوله حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم بكسر الزاي اي من الحزن والحزن
خلاف السرور يقال حزن الرجل فهو حزن وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا لكن بفتح الزاي في المتعدي
فيما بلغنا اي من الاحاديث الدالة على حزنه وهو معترض بين فعل ومصدره المنصوب على
انه مفعول مطلقا اعني حزنا بضم فسكون ويجوز فتحهما اي حزنا عظيما من صفته انه غدا اي
ذهب في الغدوة منه اي من اجل الحزن او من جهته فتور الوحي وقيل بمعنى غدا وروي على
هذا يكون بعين مهملة ذكره زين العرب وقال العسقلاني غدا بالعين مهملة وهو الذهاب
بسرعة ومنهم من اعجمها من الذهاب غدوة انتهى واقتصر الشارح على العين المهملة
فقال اي مشى من العدو مرارا اي مرة بعد اخرى كي يتردى اي يتردى من رؤس شواهق الجبل
اي عواليه هو جمع شاهق وهو الجبل المرتفع فكلما اوفى وصل ولحق بذروة جبل بكسر الذال
ويجوز تثليثه اي باعلاه لكي يلقي نفسه منه تبدى اي تبين وظهر له جبريل فقال يا محمد
انك رسول الله حقا مصدر مؤكد للجملة السابقة وهي قوله انك لرسول الله نصب بمضمر
اي احق هذا الكلام حقا فيسكن اي يطمئن لذلك جأشه ويقر لذلك اضطراب قلبه
وقلة ورعه وفزعه وتقر بكسر القاف وتشديد الراء تسكن نفسه اي من اضطرابها
وعن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي اي لمقاطعة اياما
ثم حصوله متتابعا قال فبينا وفي نسخة فبينما انا امشي اي في ارض مكة بناء على الاطلاق
او فوق جبل حراء كما يدل عليه قوله الاتي حتى هويت سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا
الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت بضم جيم وكسر همز وسكون مثلثة
اي فزعت وخفت منه اي من الملك رعبا بضم فسكون وبضمتين اي خوفا اي ممتليا رعبا ورعبا
كلا الرعب والرهب يتعدى ولا يتعدى او مفعول مطلق او مفعول لاجله قال الفزع انقباض
ونفار يعتري الانسان من الشيء المخيف وهو قريب من الجزع والرعب الانقطاع من امتلاء
الخوف كذا حققه التوربشتي وغيره من الشراح والاظهر عندي انه تمييز مؤكد ونظيره ذرعها
سبعون ذراعا حتى هويت بفتح الواو اي سقطت ونزلت الى الارض فجئت اهلي اي اهل بيتي
فقلت زملوني زملوني اي دثروني وغطوني من التزميل وهو نقل المتاع والتكرير
للتأكيد فزملوني فانزل الله تعالى يا ايها المدثر بتشديد الدال والثاء اي المتدثر ولهذا
قيل معناه يا ايها المتلبس باعباء النبوة والمتكفل باثقال الرسالة قم اي بامرنا او دم على
القيام بالطاعة مطلقا او على قيام الليل المستفاد من قوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل
ولذا قيل انه امر بالقيام للنبوة وهذا امر بالقيام للرسالة كما يشير اليه قوله فانذر اي فاعلم
الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المؤمنين بانواع الثواب فهو من باب الاكتفاء والاقتصار
على الانذار بناء على غلبة الكفار وعموم الفجار وربك فكبر اي فخص ربك بوصف الكبرياء والعظمة
وثيابك فطهر اي من النجاسات ويؤخذ منه طهارة الباطن عن الفساد وزادت بالاولى وقيل
معناه فقصر ثيابك على ذكر المسبب وارادة السبب مع ما فيه من الدلالة على التواضع الملائم

للعبودية

للعبودية المناسب لما قبله من ظهور كبرياء الربوبية والرجز بكسر الراء وضمها اي الشرك والعصيان
فاهجر اي فاترك الظاهر ان هذا اقتصار من الراوي او تمامه ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر
ثم حمي الوحي بكسر الميم اي اشتد حره وتتابع اي نزوله وعن عائشة ان الحارث بن هشام هو
مخزومي اخو ابي جهل شقيقه اسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح
الشام قال العيني واعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة من الابل سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ظاهر الحديث من مسند عائشة وعليه
اعتمد اصحاب الاطراف فكانها حضرت القصة ويحتمل ان يكون الحارث اخبرها بذلك بعد
فيكون من مرسل الصحابة وحكمه الوصل اتفاقا ويؤيده انه في مسند احمد وغيره من طريق عامر
ابن صالح الزهري عن هشام عن ابيه عن عائشة عن الحارث بن هشام قال سألت وعامر فيه
ضعف لكن له متابع عند ابن منده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا اي في بعض
الاحيان والازمان قيل وهو وقت انزال الوعيد يأتيني اي الوحي مثل صلصلة الجرس
اي اتيانا مثل صوته قال الطيبي يجوز ان يكون مفعولا مطلقا والاحسن ان يكون حالا اي يأتيني
الوحي مشابها صوته لصوت الجرس والصلصلة صوت الحديد اذا حرك وهو اي هذا
النوع من الوحي اشده اصعبه علي والغيبة التي قال العسقلاني لان الفهم من كلام مثل الصلصلة
اشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود على ما سيأتي ولعل في قوله تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا اشارة الى ذلك قال الخطابي يريد والله اعلم انه صوت متدارك يسمعه ولا
يثبته عند اول ما يقرع سمعه حتى يتفهم ويثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه ولذا قال وهو
اشد علي فيفصم عني بفتح الياء وكسر الصاد اي ينقطع عني وفي نسخة بضم الياء وكسر الصاد
من افصم الحمى والمطر اي اقلع على ما في القاموس وفي نسخة اخرى بصيغة المجهول اي يقلع
عني كرب الوحي قال العسقلاني في قوله فيفصم اي الوحي او الملك فكانه جوز تقدير المضاف في
الوحي السابق اي كيف يأتيك صاحب الوحي وهو الملك ثم قال وهو بفتح المثناة التحتية وسكون
الفاء وكسر الصاد المهملة كذا لابي الوقت من فصم يفصم من باب ضرب يضرب والمراد
قطع الشدة اي يقلع وينجلي ما يغشاني من الكرب والشدة ويروى فيفصم بضم الياء
وكسر الصاد من افصم المطر اذا اقلع رباعي قال في المفاتيح وهي لغة قليلة وفي رواية
اخرى فيفصم بضم اوله وفتح ثالثه مبني للمفعول والفاء والفصم القطع من غير بينونة
كما قال ان الملك يفارقني ليعود حالي وقد وعيت عنه ما قال جملة حالية وهو بفتح
العين اي حفظت الذي ذكره فما موصولة والعائد محذوف ثم الوحي هنا قبل الانفصام
وفيما بعد حال الكلام فلذلك ورد اولا ماضيا وثانيا حالا حيث قال واحيانا يتمثل اي يتمثل ويتشكل
لي الملك رجلا اي مثل رجل فيكلمني فاعي ما يقول قال التوربشتي هذا حديث يغالط فيه ابناء
الضلالة ويتخذونه ذريعة الى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق ابلج ونور يتوقد
من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لا يغلط الا من اعمى الله عينيه وجملة

القول في هذا الباب ان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم محببا بالبلاغ مهيمنا على الكتاب
مكاشفا بالعلوم الغيبية مخصوصا بالمسامرات القلبية وكان يتوخى على الامة حصتهم
بقدر الاستعداد فاذا اراد ان ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها امثلة من عالم
الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه فلما سال الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل العويصة
والعلوم الغريبة التي لا ينكشف نقاب السر عن وجهها لكل طالب ومتطلب وعالم ومتعلم
ضرب لها في الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شي تنبيها على ان اتيانها
يرد على القلب في لبسة الجلال وهيبة الكبريا فتاخذ هيبة الخطاب حين ورودها
بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول ما لا علم له بالقول مع وجود ذلك فاذا سري عنه
وجد القول المنزل هنا ملقى في الروع واقعا موقع المسموع وهذا معنى قوله فيفصم
عني وقد وعيت ومعنى يفصم يقلع عني كرب الوحي شبهه بالحمى اذا فصمت عن المحموم
ويقال افصم المطر اي اقلع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحي الى الملائكة على ما رواه
ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السما امرا ضربت الملائكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير هذا وقد سبق لنا عن حديث عائشة ان الوحي كان يوتيه على صفتين اولهما
اشد من الاخرى وذلك لانه كان يرد فيها من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية
فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة على ما ذكر في حديث ابو هريرة وهو حديث حسن صحيح والاخرى
يرد فيها الملك الى شكل البشر وشاكلته فكانت هذه ايسر وقال الطيبي لا يبعد ان يكون
هناك صوت على الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها اياه ولكن القلب
للمناسبة يشرب معناه فاذا سكن الصوت افاق النفس حينئذ يتلقى النفس من القلب ما القي
اليه فيؤدي الى العلم بكيفية ذلك من الاسرار التي لا يدركها العقل في شرح مسلم قال القاضي
عياض ان ما جا مثل ذلك يجري على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه الا الله سبحانه
ومن اطلعه الله على شي من ذلك من ملائكته ورسله وما تاوله هذا او يحيله عن ظاهره
الا ضعيف النظر والايمان اذا جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله قالت عائشة
قال الكرماني يحتمل ان يكون داخلا تحت الاسناد المذكور سيما اذا جوزنا العطف بحذف حرف عطف
وان يكون غير داخل تحته بل كان ثابتا باسناد اخر ذكره على سبيل التعليق تايبدا لام الشدة
وتاكيدا له قال العسقلاني هو بالاسناد الذي قبله وان كان بغير عطف ولقد رايته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان بكسر الهمزة والواو للحال اي فينفصل الوحي
عنه والحال ان جبينه اي مقدم وجهه ليتفصد اي لينصب عرقا تمييز محول عن الفاعل
والمعنى ليسيل عرقه مثل سيلان الدم من العرق والمقصود متفق عليه ورواه الترمذي
وعن عبادة بن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل بالمجهول من الانزال عليه
الوحي وفي حين اول ما انزل عليه كرب بصيغة المجهول اي اصابه الكرب وحزن لذلك اي لثقل

نزوله وصعوبة حصوله قال شارح الكرب والكربة الذي ياخذ بالنفس يقال كربه الغم اذا
اشتد عليه والمشكي في كرب اما النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انه كان لشدة اهتمامه بالوحي
كمن اخذه غم اي بسبب مبناه او معناه ولذا قيل له لا تحرك لسانك لتعجل به ان علينا جمعه
وقرانه الاية قالا والخوف ما عسى يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد لذلك او المشكي
الوحي بمعنى اشتد فان الاصل في الكرب الشدة قلت حينئذ لا يلايمه قوله لذلك قال
التوربشتي يحتمل انه كان يهتم بامر الوحي اشد الاهتمام ويتاهب لما يطالب به من حقوق العبودية
والقيام بشكر المنعم ويخشى على عصاة الامة ان ينالهم من الله خزي ونكال فيأخذه
الغم الذي ياخذ بالنفس حتى يعلم ما يوحى اليه ويحتمل ان المراد منه كرب الوحي وشدته
فان الاصل في الكرب الشدة وانما قال الصحابي كرب لما وجد من شبه حاله بحال المكروب وقوله
وتربد وجهه اي تغير واكثر ما يقال ذلك في التغير من الغضب وتربد الرجل اي تعبس وفي
رواية نكس راسه اي اطرقه كالمتفكر ونكس اصحابه رووسهم اي اتباعا له وتادبا معه فلما اتلي
عنه بضم همزة فسكون فوقية وكسر لام ففتح تحتية اي سري عنه وكشف كانه من الاملاء
وهو الاخالة معنى الكشف بقرينة عن وهذا ما في المشهور في الاصول ولم يوجد في نسخ الشكاة
غيره والمعنى فلما ارتفع الوحي على الرواية الاولى والكرب على الرواية الاخرى رفع راسه
اي وتبعه اصحابه وقال النووي انلي بهمزة وتاء مثناة فوق ساكنة فلام فيا هكذا وفي
معظم نسخ بلادنا ومعناه ارتفع عنه الوحي هكذا فسره صاحب وغيره وفي بعض النسخ
اجلي بالجيم وفي رواية ابن ماهان انجلي بالجيم ومعناها ازيد عنه وزال عنه وقال
الطيبي ضمن اتلي معنى اقلع فعدي بعن وينصره رواية شرح السنة فلما اقلع
عنه وقال التوربشتي فلما اتلي عليه كذا هو في المصابيح واري صوابه فلما تلي عليه من
التلاوة وان كان اتلي عليه محققا فمعناه احيل عليه اي احيل عليه
البلاغ وذلك ان الملك اذا قضى اليه ما نزل به فقد احال عليه البلاغ رواه مسلم
وعن ابن عباس قال لما نزل وانذر عشيرتك اي قومك الاقربين خرج النبي وفي نسخة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد بكسر العين اي طلع الصفا فجعل ينادي اي يقول
باعلى صوته يا بني فهر بكسر فسكون يا بني عدي اي وامثال ذلك لبطون قريش وتقدم
تحقيقه وتفصيله حتى اجتمعوا اي حضر جمع من كل قبيلة فجعل الرجل اي من مشايخهم
واكابرهم اذا لم يستطع ان يخرج اي بعذر به ارسل رسولا لينظر ما هو اي من الخبر فجاء
ابو لهب وقريش اي عامتهم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم اي اخبروني وصدقوني
ان اخبرتكم ان خيلا يعني فرسانا تخرج اي تظهر من صفح هذا الجبل اي ناحيته او سفحه ففي القاموس
ان الصفح الجناب ومن الجبل مضطجعه والسفح عرض الجبل المضطجع او اصله او اسفله
وفي رواية ان خيلا تخرج بالوادي اللام فيه للعهد الذهني ولعل المراد به الوادي المشهور
بوادي فاطمة في طريق مكة الى المدينة تريد اي الخيل والمراد اصحابها وراكبها ان تغير عليكم

اي تاتيكم بغتة للاغارة ليلا او صباحا اكنتم مصدقي قالوا نعم او نصدقك لانك عندنا الامين
ما جربنا عليك الا الصدق قال الطيبي ضمن جرب معنى الفي اي ما الفينا عليك شيا من الاخبار
مجربين اياك الا وجدناك فيه صادقا قال فاني نذير لكم اي منذر ومخوف بين يدي عذاب
شديد اي قدامه وهو اما في الدنيا او في الاخرى فقال ابو لهب تبا بتشديد الموحدة
اي خسرانا وهلاكا لك الهذا اي الهذا الامر الذي ذكرته جمعتنا فنزل تبت يدا
ابي لهب بفتح الهاء وبسكون اي خسر وهلك هو واليد مقحمة او عبارة عن نفسه لان اكثر الاعمال
وهما لجناياتها ونحوهما قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك فقوله وتب تاكيدا والاولى
في الدنيا والثاني في الاخرى فالمعنى خسر الدنيا والاخرة او الاول دعاء والثاني اخبار
متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي عند الكعبة اي قريبا منها وجمع قريش في مجالسهم اي حال كون جمع من قريش في
مجالسهم حول الكعبة اذ قال قائل اي ابو جهل او غيره ايكم يقوم اي يتوجه الى جزور ال
فلان اي بعيرهم منحور بكسر الميم اي فيقصد القايم الى فرثها وهو السرجين مادام في
الكرش على ما في الصحاح والضمير الى الجزور فانه وان يطلق على الذكر والانثى الا ان اللفظ
مونثة يقال هذه الجزور وان اردت ذكرا كذا في النهاية ودمها وسلاها بفتح السين
وتخفيف اللام وهو الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن امه ملفوفا فيه وقيل
هو في الماشية السلا وفي الناس المشيمة والاول اشبه لان المشيمة تخرج بعد الولد ولا
يكون الولد فيها حين يخرج كذا في النهاية فانبعث اي فقام وذهب الى ما ذكر اشقاهم
اي اشقى كفار قريش وهو ابو جهل وقيل عقبة ابن ابي معيط كذا ذكره شارح وقال
النووي هو عقبة بن ابي معيط كما صرح في الرواية الاخرى فلما سجد اي النبي عليه
السلام وضعه اي ما ذكر والمعنى طرحه احدهما ولعله بهذا يحصل الجمع بين القولين بين
كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا اي حال كونه مستمرا على سجوده ومستقرا
على شهوده راضيا بقضائه مسلما لامره وحسن بلائه فهو في غاية من السرور ونهاية
من الحضور الحاصل من قرب الرب وهم لبعدهم عن الحق المطلق وتعلقهم بالخلق الخالق
غفلوا عن ذلك وهلكوا هنالك فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض اي واقعين وساقطين
فوق بعضهم من الضحك اي من كثرته الناشية عن اعجابهم بفعلهم وتعجبهم عن فعله صلى الله
عليه وسلم فانطلق منطلق الى فاطمة اي واخبرها بما جرى فاقبلت تسعى اي حال كونها
تسرع وهي صغيرة فانها ولدت وعمره صلى الله عليه وسلم احدى واربعون سنة على ما في المواهب
وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا هو تاكيد لما قبله وتمهيد لما بعده وهو قوله
حتى القته اي طرحته عنه فاطمة وابعدته منه واقبلت اي توجهت عليهم تسبهم
اي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون عنها لصغرها ولعل هذا هو السبب في انه غيرها ما اقدر
على هذا الفعل لما كان عسى ان يثور الفتنة المودية الى القتال بين القبائل فلما

قضى

قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة اي اداها وفرغ منها قال اللهم عليك
بقريش الباء زائدة وعليك اسم فعل فالمعنى خذهم اخذا شديدا اخذ عزيز مقتدر
ثلاثا وكان اي من عادته انه اذا دعا اي الله دعا ثلاثا واذا سال اي طلب من الله ثلاثا فهل
هذا التاكيد للدعاء والاظهر انه تخصيص له هذا وفي شرح مسلم للنووي فان قيل كيف استمر
في الصلاة مع وجود النجاسة على ظهره اجاب القاضي عياض بان ليس هذا بنجس لان الفرث
ورطوبة البدن طاهران وانما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من ان روث ما يوكل
لحمه طاهر ومذهبنا ومذهب ابي حنيفة انه نجس وهذا الذي قاله القاضي ضعيف
لان هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث انه لا ينفك من الدم في الغالب ولانه ذبيحة عباد
الاوثان قلت ينبغي على تقدير ان يكون مذبوحة والا فالميتة نجسة اتفاقا وكان النووي
غفل عن التصريح في الحديث بذكر الدم حتى تعلق بان السلا لا ينفك عن الدم غالبا ثم قال
والجواب المرضي انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا
للطهارة قلت ورد بانه لو كان كذلك لاخبره جبريل فان الصلاة مع النجاسة لا يصح
ولا بد من البيان في مثل ذلك فالجواب الصواب ما في شرح السنة قيل كان هذا الصنيع
منهم قبل تحريم الاشياء من الفرث والدم وذبيحة اهل الشرك فلم يكن يبطل الصلاة بها
كالخمر كانوا يصيبون ثيابهم قبل تحريمها انتهى كلام الطيبي ولعل ثباته على ذلك كان
لمزيد الشكوى واظهار ما صنع اعداء الله برسول الله صلى الله عليه وسلم لياخذهم اخذا
وبيلا ولذا كرر الدعاء ثلاثا اللهم عليك بعمرو بن هشام اي خصوصا وهو ابن المغيرة المخزومي
الجاهلي المروي كان يكنى ابا الحكم فكناه النبي صلى الله عليه وسلم ابا جهل فغلبت عليه
هذه الكنية قتله ابنا عفراء وقطع راسه ابن مسعود في بدر وعتبة بن ربيعة جاهلي
قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر مشركا وشيبة بن ربيعة اي ابن عبد شمس بن عبد مناف
جاهلي قتله علي بن ابي طالب يوم بدر مشركا والوليد بن عتبة اي ابن ربيعة جاهلي قتل
ببدر مشركا وامية بضم همز وفتح ميم وتشديد تحتية بن خلف بفتحتين قتل يوم
بدر مشركا واما اخوه ابي بن خلف فانه قتل يوم احد مشركا قتله النبي صلى الله عليه وسلم
بيده ذكره المؤلف في اسمائه وعقبة بضم فسكون بن ابي معيط بالتصغير وعمارة بضم
فتخفيف بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رايتهم اي الصنف المذكورين صرعى اي هلكى
وهو كالجمع المفعول اي مصروعين مطروحين يوم بدر ثم سحبوا بصيغة المجهول اي جروا
الى القليب وهو البير قبل ان تطوى قليب بدر بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه
ثم بدر اسم موضع معروف وقيل هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع قال العسقلاني قد
استشكل عد عمارة في المذكورين فانه لم يقتل ببدر بل ذكر اصحاب المغازي انه مات بارض
الحبشة والجواب ان كلام ابن مسعود محمول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن ابي معيط
انما قتل صبرا بعد ان رجعوا عن بدر وامية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطعا ثم قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع بصيغة المجهول مخففا اصحاب القليب لعنة اي اتبع عذابهم
الدنيا بعذاب الاخرة مثل قوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وفي نسخة
بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب اصحاب على الدعا عليهم بايصال اللعنة المتواصلة
اليهم قال العسقلاني جملة واتبع الخ يحتمل ان يكون من تمام الدعا الماضي فيكون فيه علم
عظيم من اعلام النبوة ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان القوا في القليب
متفق عليه وعن عايشة انها قالت يا رسول الله هل اتى عليك يوم هو اي وقت
وزمان كان اي صعوبة اشد من يوم احد فقال لقد لقيت من قومك اي ما هو اشد من يوم
احد او لقيت من قومك ما لقيت بحذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذاهب في الفهم
وكان اشد ما لقيت منهم بنصب اشد وفي نسخة برفعه واما قوله يوم العقبة فبالنصب
لا غير والمراد بها ما يضاف اليها جمرة العقبة قال شارح اشد بالنصب خبر كان وما لقيت
منهم في محل الرفع اسمه ويوم العقبة ظرف لقيت والتقدير وكان ما لقيته منهم
يوم العقبة اشد مما لقيته منهم في ساير الايام ويجوز ان يكون يوم العقبة اسم كان
وخبره اشد مضافا الى ما الموصولة او الموصوفة المعبر بها عن الايام تقديره وكان
يوم العقبة اشد الايام التي لقيت منهم او اشد ايام لقيت منهم ويجوز ان يكون على
العكس وقيل ما لقيت منهم يوم القيامة اسم كان ويكون اشد خبره بتقدير المضاف
اليه او بتقدير من وقال الطيبي اشد ما لقيت خبر كان واسمه عايد الى مقدر وهو
مفعول قوله لقد لقيت ويوم العقبة ظرف فالمعنى كان ما لقيت من قومك يوم العقبة
اشد ما لقيت منهم واراد بالعقبة العقبة التي بمنى وكان رسول الله يقف عند
العقبة في الموسم ويعرض نفسه على قبايل العرب يدعوهم الى الله تعالى والى الاسلام انتهى
والمعنى انهم ما اجابوه لذلك فاشتد عليه حينئذ وهو معنى قوله اذ عرضت نفسي وفي
نسخة اذ وهو الظاهر قال الطيبي وضع اذا التي هي للاستقبال موضع اذ بمعنى الموضوعة
للماضي استحضارا لتلك الحالة الفظيعة والمعنى حين عرضت نفسي بالامان والاجارة
من التعرض على جري العادة على ابن عبد ياليل بكسر اللام الاولى ابن كلال بضم الكاف
قال العسقلاني اسمه كنانة والذي في المغازي ان الذي كلمه هو عبد ياليل نفسه وعند اهل
النسب ان كلالا اخوه لا ابوه وانه عبد ياليل بن عمرو بن عمير ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود
وكان ابن عبد ياليل من اكابر اهل الطايف من ثقيف وقيل انه قدم مع وفد الطايف سنة
عشر فاسلموا وذكره ابن عبد البر في الصحابة لكن ذكر الواقدي ما يدل على انه لم يسلم والله
اعلم فلم يجبني الى ما اردت اي ما قصدت وطلبت منه حينئذ من العهد والامان فانطلقت
وانا مهموم جملة حالية معترضة بين الفعل ومتعلقه وهو قوله على وجهي اي توجهت
مهموما على جهتي قال الطيبي اي فانطلقت حيرانا هايما لا ادري اين اتوجه من شدة ذلك
الغم وصعوبة ذلك الهم فلم استفق الا بقرن الثعالب يقال افاق واستفاق من مرضه

وسكره

وسكره بمعنى اي فلم افق مما كنت فيه من الغم وشدة الهم حتى بلغت قرن الثعالب والقرن
جبل وقرن الثعالب جبل بعينه بين مكة والطايف فرفعت راسي اي الى السما لانها قبلة
الدعا ومهبط الرجاء فاذا انا بسحابة قد اظلتني اي بالزيادة على العادة فاذا فيها اي
في السحابة جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك اي قولهم اياك وما ردوا
عليك اي من اباهم ويحتمل ان يكون الثاني تاكيدا للاول وبيانا على ان الاضافة فيه
من المصدر الى فاعله وقد بعث اي ارسل الله اليك ملك الجبال لتامره بما شيت فيهم قال اي
النبي عليه السلام فناداني ملك الجبال اي بقوله يا ايها النبي او يا محمد فسلم علي اي تسليم
تعظيم وتكريم ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك
اليك لتامرني بامرك اي بشانك او بما تريد ان شيت ان اطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة
المخففة من اطبق اذا جعل الشي فوق الشي بحيث يحيط بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق
على موضع من الارض والمعنى اذا اردت ان اقلب عليهم الاخشبين وهما جبلان يضافان
الى مكة تارة والى منى اخرى وهما واحد ذكره شارح وفي القاموس الاخشبان الجبلان المطيفان
بمكة وهو ابو قبيس والاحمر وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان والاخشب كل جبل
غليظ وفي القاموس قعيقعان كزعيفران جبل بمكة وجهه الى ابي قبيس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل اي لا اريد ذلك وان استحقوا النكال وهم بل ارجوا ان يخرج الله
من اصلابهم اي من انسابهم بعضهم من يعبد الله وحده اي من يوحده منفردا او بطريقه
مخلصا لا يشرك به شيا اي من شرك جلي او خفي متفق عليه وعن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كسرت رباعيته بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السن التي
بين الثنية والناب وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الايمن يوم احد وشج
بضم شين وتشديد جيم اي جرح راسه فقوله في راسه اما من باب التجريد او نوع من
التاكيد قال الطيبي وهو من قبيل قوله يخرج في عراقيبها نصلي يولغ في الشج حيث اوقع
الراس ظرفا للشج مبالغة فكانه قال واوقع الشج في راسه تضمينا فجعل يسلت بضم اللام
اي يزيل الدم عنه ويقول اي استعطافا واستعجابا كيف يفلح قوم شجوا راس نبيهم وكسروا
رباعيته عن الزهري انه ضرب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بالسيف
سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها ذكره السيوطي في حاشية البخاري ولعل وجهه
حصول المشاركة له مع السبعين من الشهدا الا ان الله عصمه لقوله والله يعصمك
من الناس وانما حصل له بعض الاثر من الشج والكسر لتحقق الثواب والاجر ولاظهار
مقتضى الاوصاف البشرية من العجز والضعف ولتاثير المناسبة للعبودية
وموجب نعت الكبريا والعظمة والاستغنا والقوة والقدرة الملايمة للربوبية
رواه مسلم وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير الى رباعيته حال من

رسول الله وعاملة قال وقفع مفتر المفعول وفعلوا هذا اشتد غضب الله على رجل يقتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله لعل حذف العاطف بين الفصلين للاشارة
الى انهما حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي ويؤيده تكرار اشتد غضب الله وللاشعار
بان كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعا لتوهم الاشتراك ولم يأت باو كيلا يظن الشك قال
الطيبي يجب ان لا يراد به الجنس ولا يراد به نفسه وضعا للظاهر موضع المضمر
اشعارا بان من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن الا اشقى الناس والذي يقتله
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابي بن خلف قال النووي وقوله في سبيل الله احتراز
عمن يقتله في حد او قصاص لان من يقتله في سبيل الله كان قاصد الله صلى الله عليه وسلم
متفق عليه وهذا الباب خال عن الفصل الثاني تقدم توجيهه مرارا الفصل الثالث
عن يحيى بن ابي كثير قال المؤلف يكنى ابا النضر اليماني مولى الطي اصله بصري صار الى اليمامة
اي انس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيره روى عنه عكرمة والاوزاعي وغيرهما
قال سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن قال المؤلف روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن
عوف الزهري القرشي احدى الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة
في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ويقال له اسمه كنيته وهو كثير الحديث سمع
ابن عباس وابا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه الزهري ويحيى بن ابي كثير
والشعبي وغيرهم عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر فيه اشتباه الحال
على الراوي فان نزول يا ايها المدثر كان بعد فترة الوحي كما علم مفصلا في حديث عائشة
فاوليته اما اضافية كما قدمناه او اوليته مخصوصة بالانذار فيفيد انه اول الوحي
بالرسالة وان ما قبله كان نسبة النبوة والله اعلم قلت يقولون اي الجمهور او بعض
العلماء اقرأ باسم ربك اي هو اول ما نزل قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك اي مثل سؤالك
وقلت له مثل الذي قلت لي اي في جوابه للسؤال بما يرد فيه من الاشكال فقال لي جابر
لا احدثك الا بما اي بمثل ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي به من غير تغيير
مما يدل على انه اول ما نزل بنفسه فقال جاورت بحراء شهرا فيه اشعار بان ايام الفترة
كانت شهرا فلما قضيت جواري بكسر الجيم اي مجاورتي واعتكافي هبطت اي نزلت
وفيه ايماء الى انه ثابت الحال لان نزوله اذا كان في غار حراء كما سبق من المقال فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت عن خلفي
فلم ار شيئا فرفعت راسي فرأيت شيئا وقد سبق عن جابر ايضا انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا انا امشي سمعت صوتا من
السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء الحديث فهو صريح بان مراده الاولية
الاضافية فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا لعل محل الصب الوجه
لدفع الغشيان ولا ينافي ما قبله مما يدل على البرودة الناشئة من الخفقان قلت

يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال الطيبي قوله لا احدثك
الى آخره اخبار عما سمع واعتقد من اول ما نزل من القرآن يا ايها المدثر لكن لا يدل على المطلوب
لانه قال في آخره فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر وقد سبق في حديث عائشة ان اول
ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك انتهى فالجمع بما قدمناه كما لا يخفى ولذا قال بعض المحققين
قول من قال ان اول ما نزل يا ايها المدثر ضعيف والصواب ان اول ما نزل على
الاطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة واما يا ايها المدثر فكان نزولها بعد
فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي
كما صرح به في رواية الزهري عن جابر ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي الى
ان قال فانزل الله تعالى يا ايها المدثر وقال النووي وقول من قال من المفسرين ان
اول ما نزل الفاتحة فباطل وفيه بحث لانه يمكن ان يقال مراده اول سورة نزلت
بكمالها او اول سورة بالمدينة على القول بانها مدنية او اول سورة بعد اقرأ والمدثر
فيكون اوليتها ايضا اضافية ويؤيده قوله وذلك اي نزول المدثر قبل ان تفرض الصلاة
اي مطلق الصلاة المتوقف صحتها او كمالها على قراءة الفاتحة والله اعلم متفق عليه

باب علامات النبوة

الفصل الاول عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع
الغلمان بكسر الغين اي الصبيان فاخذه فصرعه اي فطرحه والقاه على قفاه فشق
عن قلبه اي عن جانب قلبه وشقه فاستخرج وفي جامع الاصول فاستخرج واستخرج منه
علقة بفتحتين اي دما غليظا وهو ام المفاسد والمعاصي في القلب فقال هذا حظ
الشيطان منك اي نصيبه لو دام معك ثم غسله اي قلبه او جوفه او محل شقه
في طست بفتح الطاء وبكسر وبسين مهملة وتاؤه بدل من السين الاخير قال ابن الملك في شرح
المشارق الطست بفتح الطاء وفيها لغات طس وطس وطست طست وطستة وطسة بالفتح
والكسر في جميع وقوله من ذهب لعله اختير لما فيه من معنى الذهاب ولا ينافيه حرمته
استعماله في الشريعة المطهرة اما لكون الملائكة غير مكلفين بافعالنا او لوقوعه قبل تقرير
الاحكام بماء زمزم استدل به على انه افضل مياه العالم حتى ماء الكوثر لكن الماء الذي
نبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فلا شك انه افضل المياه على الاطلاق لكونه
من اثر يده الشريفة وماء زمزم من اثر قدم اسماعيل المنيفة وبون بين بينهما ولان
العاجز الكائن في يده صلى الله عليه وسلم ابلغ نعمة فقد يقال ماء فمه المبارك اكمل من الكل
ولو مزج بما غيره ولعل العارف ابن الفارض اشار اليه بقوله عليك بها صرفا وان
شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو العدل ثم لامه بلام فهمزاي اصلح موضع شقه
واعاده اي القلب المخرج على ما يدل عليه رواية الجامع السابقة في مكانه والواو لمطلق الجمع
فلا ينافيه ان لا يلتئم بعد الاعادة قال التوربشتي يقول لا من الجرح والصدع

اذا شدد نه قال التامر بريد انه سواه واصلحه وجاء الغلمان اي الذين كانوا يلعبون معه في
الصحراء يسعون اي يسرعون الي امه اي الرضاعية يعني اي يريد انس باسه ظئره
اي مرضعته حليمة فقالوا ان محمدا قد قتل لان نضد رحيانه بعد شق البطن ومعالجته
من خوارق العادة وعلامة النبوة فاستقبلوه اي توجه جمع من قومها اليه فراوه وهو
منتقع اللون بفتح القاف اي متغيره ففي القاموس انتقع لونه مجهولا اذا تغير
وقال التوربشتي يقال انتقع لونه اذا تغير من حزن او فزع وكذلك امتقع بالميم وهذا
الحديث وامثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له بتاويل من طريق المجاز اذ لا ضرورة
في ذلك اذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة القادر انتهي وزبدة ما قيل فيه
انه صار بهذا مقدس القلب منوره يستعد لنزول الوحي ولا يتطرق اليه هواجس
النفس وينقطع طمع الشيطان عن اغفاله كما يشير اليه قوله هذا حظ الشيطان
منك قال انس فكنت ارى اثر المخيط بكسر الميم اي الابرة في صدره ولعل مراده بهذا
ان امر الشق كان حسيا لا معنويا واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصا به او وقع
لغيره من الانبياء ايضا وقد وقع شق له صلى الله عليه وسلم وهو عند حليمة وهو ابن عشر
ثم عنده مفاجأة جبريل عليه السلام بغار حرا ثم في المعراج ليلة الاسرا رواه
مسلم وكذا النسائي وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي اي ويقول السلام عليك يا نبي الله كما ورد في رواية قبل ان ابعث
قيل انه الحجر الاسود كذا في بعض حواشي الشفا ويمكن ان يكون الحجر المتكلم المعروف
بزقاق الحجر بين المسجد وبين بيت خديجة رضي الله عنها اني لاعرفه الان تقرير
لقوله اني لاعرف واستحضار له كانه يسمع كلامه الان هذا خلاصة كلام الطيبي ويمكن
ان يكون التقدير اني لاعرفه الان بالوصف المذكور فانه يبتغي وجوده بالاولى من
الحالة الاولى فقد ورد عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام
عليك يا رسول الله وفيه ايما الي انه مبعوث الي كافة الخلق كما بينته في شرح
كلام شيخنا جلال الدين محمد البكري عند قوله خليفتك رواه مسلم وكذا الامام احمد
في مسنده والترمذي في جامعه وعن انس قال ان اهل مكة اي كفارهم سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اي يظهر لهم اية اي علامة دالة على نبوته ورسالته
فاراهم القمر شقتين بكسر فتشديد اي قطعتين مفصولتين فراوا حراء بينهما بان
كانت شقة فوق الجبل وشقة دونه كما سياتي وعن ابن مسعود قال انشق القمر
على عهد رسول الله اي في زمانه صلى الله عليه وسلم فرقتين اي قطعتين منفارقتين
فرقة فوق الجبل اي جبل حراء وفرقة دونه والمراد انهما تباينتا فاحدهما الي جهة العلو
والاخري الي السفل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اي على نبوتي او

معجزتي من الشهادة وقيل معناه احضروا وانظروا من الشهود متفق عليه قال
الزجاج زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه اهل العلم ان تاويله ان القمر ينشق يوم
القيمة والامر بين في اللفظ بقوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فكيف يكون
هذا يوم القيمة ومعجزات وقوله سحر مستمر اي مطرد يدل على انهم راوا قبله ايات اخر
مترادفة ومعجزات سابقة وقال الامام فخر الدين الرازي انما ذهب المنكر الي ما ذهب لان
الانشقاق امر هائل ولو وقع لعم وجه الارض وبلغ مبلغ التواتر والجواب ان
الموافق قد نقله وبلغ مبلغ التواتر واما المخالف فربما ذهل او ذهب نحو الخسوف والقران
اولي دليل واقوي شاهد وامكانه لا شك فيه اي عقلا وقد اخبر عنه الصادق فيجب
اعتقاد وقوعه واما امتناع الخرق والالتيام فحديث اللئام وفي شرح مسلم للنووي
قالوا انما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب
مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقل من يتفكر في السما وينظر اليها وفي شرح السنة
هذا شي طلبه قوم خاص على ما حكاه انس فاراهم ذلك ليلا واكثر الناس نيام ومستكنون
بالابنية والايقاظ في البوادي والصحراء قد يتفق ان يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت
وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس اي مع انه قد يمتد وانما كان ذلك قدر
اللحظة التي هي مدرك البصر ولو دامت هذه الاية حتي يشترك فيها العامة والخاصة
ثم لم يومنوا لاستوجبوا الهلاك كما كان من سنة الله تعالى في الامم قبلنا ان نبيهم كان
اذا اتي باية عامة يدركها الحس فلم يومنوا اهلكوا كما قال تعالى في المائدة اني منزلها عليكم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فلم يظهر الله هذه الاية
العامة لهذه الحكمة والله اعلم قلت وفي نقل الفضية اشارة الي ذلك حيث شقة
منه فوق الجبل واخري دونه ولا شك انه يحجب عن بعض الناس ممن يكون من وراء
الجبل فكيف بسائر اهل الحجاز وبقيته مع اختلاف المطالع على ان اراءة المعجزة لقوم
على ما اقترحوا كناقة صالح لا تستلزم ظهورها لغيرهم وعن ابي هريرة قال قال ابو
جهل هل يعفر محمد وجهه بتشديد الفاء المكسورة من التعفير وهو التمريغ في التراب
اي هل يصلي ويسجد على التراب بين اظهركم فيما بينكم على ان الاظهر مقحمة للاشارة
الي وقوعه على وجه الظهور او الاسناد الي ظهر احد وحمايته ورعايته قال الطيبي
يريد به سجوده على التراب وانما اوثر التعفير على السجود تعنتا وفسادا واذلالا
وتحقيرا فقيل نعم واللات والعزي لئن رايته يفعل ذلك لاطان اي لادوسن على
رقبته فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فجاءه ابو جهل وهو يصلي حال من المفعول
والحال من الفاعل قوله زعم بفتح العين اي قصد ابو جهل ليطا اي ليضع رجله على رقبته
قال ابن الملك وفي نسخة بفتح اللام على انه لام تاكيد قلت فالفعل مرفوع حينئذ وفي نسخة
زعم بكسر العين ففي القاموس زعم كفرح طمع قال الطيبي زعم وقع حالا من الفاعل بعد

الحال من المفعول وزعم بمعنى طمع وارد قال في اساس البلاغة ومن المجاز زعم فلان في
غير مزعم طمع في غير مطمع لان الطامع زاعم ما لم يستيقن فما تجنهم بكسر الجيم وتنتج
ففي القاموس تجنه كسمع ومنع هجم عليه واتاه بغتة اي فما اتي قومه فجاءة منه اي من
النبي صلى الله عليه وسلم او من اتيانه اليه الا وهو اي والحال انه وهو اي ابو جهل نكص
بكسر الكاف ويضم اي يرجع على عقبيه قهقرى وينتفي بيديه اي يحجز بهما ويدفع شيئا بهما
قال الطيبي المستثنى فاعل فجئ اي فما فجئ اصحاب ابي جهل من امر ابي جهل الا نكوصه على عقبيه
وقد سد الحال هنا مسد الفاعل وفيه ارجاعنا الكلام الى اللفظ فقيل كما سد مسد الخبر
في ضربي زيدا قائما ففي الكلام ميل الى المعنى دون اللفظ ويجوز ان يكون الضمير في فجئ
راجعا الى ابي جهل وفي منه الى الامر اي فما فجئ ابو جهل كائنا من الامر على حال من الاحوال
الا على هذه الحال هذا وفي القاموس نكص على عقبيه نكوصا رجع عما كان عليه
من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه او في الشر نادر قلت الذي
يدل على استعماله في الشر قوله الاية فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ثم صنيع
القاموس يشعر انه بضم الكاف في المضارع لكن اتفق القراء على كسره حتى لم يوجد
في الشواذ ايضا نعم قال الزجاج يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى على اعقابكم
تنكصون فقيل له اي لابي جهل مالك اي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع
فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا بفتح فسكون اي خوفا وامرا شديدا واجنحة
جمع جناح الطائر وهولاء الملائكة الذين يحفظونه ويؤيده ما ذكره الراوي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني اي قرب عندي لاختطفته الملائكة
اي استلبته بسرعة عضوا عضوا والمعنى لاخذ كل ملك عضوا من اعضائه رواه مسلم
وعن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبي صلى الله عليه وسلم اي حاضرا وقاعدا اذ اتاه
رجل فشكا بالالف وفي نسخة بالياء على انه لغة في الواو كما في القاموس اليه الفاقة اي
الفقر وشدة الحاجة ثم اتاه الاخر وفي نسخة اخر وهو الاظهر فشكا اليه قطع السبل
اي بسبب قطاع الطريق او لقلة الزاد وعدم علف الدواب وطمع اهل البادية وتوهم
للقافلة فقال يا عدي هل رايت الحيرة بكسر الحاء وهو البلد القديم بظهر الكوفة
ومحلة معروفة بنيسابور على ما في النهاية والظاهر ان المراد بها الاول لانه المعروف
عند العرب ولذا اقتصر عليه شارح وان كان الثاني اغرب واعجب قيل فاجاب
عدي ما رايتها لكن انبئت عنها اقول ويمكن ان يكون رايت بمعنى علمت وان لا يتوقف
الكلام على جوابه حيث قال فان طالت بك حيوة فلترين بفتحات متواليات فلتبصرن
الظعينة اي المراة المسافرة وقيل لها ذلك لانها تظعن مع الزوج حيث ما ظعن او لانها
تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المراة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امراة
وللمراة بلا هودج كذا في النهاية وقال شارح الظعينة المراة ما دامت في الهودج

فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة والمراد هنا المراة سواء كانت في الهودج او لا اقول كونها
في الهودج ابلغ في المعنى المراد على ما يدل عليه قوله ترتحل من الحيرة اي وحدها حتى تطوف
بالكعبة لا تخاف احدا الا الله روي انه قال عدي قلت في نفسي فاين دعار طي الذين قد سعروا البلاد
حياة لتفتحن بصيغة المجهول من الفتح وفي نسخة من باب الافتعال يقال افتتحته
واستفتحته طلبت الفتح والمعنى لتوخذن كنوز كسرى اي على وجه الغنيمة قال عدي
كسرى بن هرمز وفي القاموس كسرى بالكسر ويفتح ملك الفرس معرب خسرو اي واسع
الملك ولئن طالت بك حيوة لترين الرجل ملء كفه اي مثلا من ذهب او فضة اي من نوعي
النقدين يعني تارة من هذا ومرة من هذا ويحتمل ان يكون او بمعنى الواو او للشك
يطلب من يقبله اي واحدا منهما او مما ذكر فلا يجد واحدا يقبله منه اي لعدم الفقراء
في ذلك الزمان او لاستغناء قلوبهم والاكتفاء بما عندهم والقناعة بما في ايديهم
فقيل انما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه السلام ويحتمل ان يكون اشارة الى ما وقع
في زمن عمر بن عبد العزيز مما يصدق الحديث وبذلك جزم البيهقي قيل ولا شك في رجحان
هذا الاحتمال لقوله في الحديث ولئن طالت بك حيوة قلت ولا شك في رجحان الاول لقول
عدي الاتي ولئن طالت بكم حيوة لترون والحاصل ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع وليلقين
عطف على صدر الحديث وقوله الله مفعول مقدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله احدكم
وظرفه قوله يوم يلقاه وهو يحتمل اعرابين كما لا يخفى في الضميرين وكذا الحال في قوله
وليس بينه وبينه ترجمان بفتح اوله وضم الجيم ويضمان ويفتحان كما في نسختين اي مترجم
يترجم له بل يكون اللقي والكلام بلا واسطة قال صاحب المشارق هو بفتح التاء وضم الجيم
وضبطه الاصيلي بضمهما التيمي وفي النهاية الترجمان بالضم والفتح الذي يترجم الكلام اي
ينقله من لغة الى اخرى والتاء والنون زائدتان وفي القاموس الترجمان كعنفوان
وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه وعنه والفعل يدل على اصالة التاء
وفي المفاتيح هو على وزن زعفران ويجوز بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والله اعلم
فليقولن اي الله سبحانه الم ابعث اليك رسولا فيبلغك بالنصب مشددا ويخفف
فيقول بلى فيقول الم اعطك مالا وافضل بالجزم من الافضال الم احسن اليك ولم
انعم عليك والاستفهام للتقرير اعطيتك المال وانعمت عليك بالكمال ومكنتك
من التصرف والاستمتاع منه والصرف على اهل استحقاقه فيقول بلى فينظر عن
يمينه فلا يرى الا جهنم لتركه الطاعات وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم لارتكابه
السيئات والظاهر انهما كنايتان عن الاحاطة وان الخلوص منها ليس الا بالمرور عليها
كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
اي بالايمان والاحسان ولذا قال فاتقوا النار ولو بشق تمرة اي بنصفها او ببعضها
فمن لم يجد فبكلمة طيبة اي من الباقيات الصالحات ومن انواع الاذكار والدعوات

او بكلمة طيبة للسائل بقرينة ما قبله وهو الوعد على قصد الوفاء والدافع حامل لها
وهذا الذي سماه الله تعالى قولا معروفا وقولا ميسورا قال الطيبي فان قلت
ما وجه نظم هذا الحديث قلت لما اشتكى الرجل الفاقة والخوف وهو العر المعنى
في قوله تعالى ان مع العسر يسرا وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد اجاب عن
التسائل في ضمن بشارة لعدي وغيره من الصحابة بالبسر والامن ثم بين ان هذا
اليسر والغنى الدنيوي عسر في الاخرة وندامة الا من وفقه الله تعالى بان سلطه
على انفاقه فيصرفه في مصارف الخير ونظيره حديث علي رضي الله عنه كيف بكم اذا
غدا احدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة الى قوله انتم اليوم خير
منكم يومئذ وقد سبق في باب تغير الناس قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من
الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله اي كما اخبر به رسول الله وكنت فيمن افتتح
كنوز كسرى بن هرمز بضم الهاء والميم زاد في المصابيح الذي في الابيض قال شارح له
اراد القصر الابيض الذي كان بالمدائن يقال بالفارسية كوشك ولئن طالت بكم حياة
لترون ما قال اي مؤدى ما قال النبي وهو الرجل الذي يخرج ملء كفه الخ فقوله ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم بدلا او عطف بيان للنبي يخرج ملء كفه بدلا او بيان لقوله ما قال
والمعنى يخرج الرجل كما في نسخة فهو نقل بالمعنى مختصرا او الرجل يخرج على ما سبق
في الاصل فهو نقل باللفظ مختصر رواه البخاري وعن خباب بفتح الخاء المعجمة
وتشديد الموحدة الاولى ابن الارت بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية قال المؤلف
يكنى ابا عبد الله التميمي وانما لحقه سبا في الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة
واعتقته اسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله
على اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها روى عنه جماعة قال شكونا اي الكفار
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة اي كساء مخططا والمعنى جاعل
البردة وسادة له من توسد الشيء جعله تحت راسه وقد وفي نسخة ولقد لقينا
اي راينا وحصل لنا من المشركين اي من كفار مكة شدة اي محنة شديدة فقلنا الا
تدعو الله اي لنا على المشركين فانهم يؤذوننا فقعد وهو محمر وجهه من احمر بتشديد اللام
اذا اشتد حرارته وقال كان الرجل اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة
فيمن قبلكم يحفر له بصيغة المجهول اي يجعل له حفرة في الارض فيوضع وفي اتفاقا يجعل
فيه فيجاء بالمنشار بالنون ويروى بالهمزة وابدالها ياء وهو الة ينشر بها الخشبة فيوضع
راسه فيشق باثنين اي فيقطع نصفين فما يصده ذلك اي فلا يمنعه ذلك العذاب
الشديد عن دينه ويمشط بصيغة المجهول مخففا والمعنى يوشك بامشاط الحديد
بفتح الهمزة جمع المشط وهو ما يمشط به الشعر ما دون لحمه اي ما تحت لحمه ذلك الدليل وغيره
وهو الظاهر من عظم وعصب بفتحتين قال الطيبي من بيان لما وفيه مبالغة بان

الامشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم الى العظم وما يلتصق به من العصب وما
يصده ذلك عن دينه جملة حالية والله ليتمن بفتح الياء وكسر التاء وتشديد الميم
اي ليكملن هذا الامر اي امر الدين وفي نسخة بصيغة المجهول وفي اخرى بضم حرف
المضارعة وكسر التاء على ان الفاعل هو الله تعالى وقوله هذا الامر منصوب على المفعولية
ويؤيده الميل الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله ويابى الله الا ان يتم نوره حتى يسير
الراكب اي رجل او امراة وحده من صنعاء بلد باليمن الى حضرموت موضع باقصى اليمن وهو
بفتح الميم غير منصرف للتركيب والعلمية وقيل اسم قبيلة وقيل موضع حضر فيه
صالح عليه الصلاة والسلام فمات فيه وحضر جرجيس فمات فيه ذكره شارح وتبعه ابن
الملك وفي القاموس حضرموت وبضم الميم وقبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف
فيقال حضرموت بضم الراء وان شئت لا تنون الثاني لا يخاف الا الله او الذئب على غنمه وفي نسخة
بالواو وهو يحتمل ان يكون بمعنى او ويكون او بمعنى الواو للجمع او للشك وعلى كل التقدير
فلا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الامن وزوال الخوف فاندفع ما قيل من ان سياق
الحديث انما هو للامن من عدوان بعض الناس على بعض كما هو في الجاهلية لا الامن من
عدوان الذئب فان ذلك انما يكون في اخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام ولكنكم
تستعجلون اي بنزول عذاب المشركين فاصبروا على امر الدين كما صبر من قبلكم من المؤمنين
على اشد من عذابكم لقوة اليقين رواه البخاري وكذا ابو داود والنسائي وعن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على ام حرام بنت ملحان بكسر الميم وهو ابن خالد
وهي خالة انس نسبا وهي واخته ام سليم من خالات النبي صلى الله عليه وسلم رضاعا او
نسبا قال النووي اتفق العلماء على انها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا
في كيفية ذلك فقال ابن عبد البر وغيره كانت احدى خالاته من الرضاعة وقال
اخرون بل كانت خالة لابيه او لجده عبد المطلب وكانت امه من بني عبد النجار وقد
سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث اختها ام سليم مع زيادة تحقيق فتذكر وكانت
تحت عبادة بن الصامت اي زوجته قال المؤلف اسلمت وبايعت وكانت غازية
مع زوجها بارض الروم وقبرها بقبرس روى عنها اخوها انس بن مالك وزوجها
عبادة قال ابن عبد البر لا اقف لها على اسم صحيح غير كنيتها وكان موتها في خلافة
عثمان فدخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي بكسر اللام مخففة
اي تفتش راسه اي شعر راسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ اي انتبه
بعد نومه وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك بضم الياء وكسر الحاء اي اي شيء يبعثك
على الضحك يا رسول الله فان مثلك لا يضحك بلا سبب من امر عجيب قال ناس اي جمع من امتي
عرضوا علي غزاة اي حال كونهم مجاهدين في سبيل الله اي مع الكفار يركبون ثبج هذا البحر
بفتح مثلثة وموحدة فجيم اي وسطه ومعظمه ملوكا على الاسرة او مثل الملوك على الاسرة

الظاهر انه شك من الراوي ويحتمل انه حال او صفة مصدر محذوف اي يركبون ملوكا
على الاسرة او كونا مثل ركوب الملوك على الاسرة قال الطيبي شبه ثبج البحر بظهر
الارض والسفينة بالسرير وجعل الجلوس عليها مشابها بالجلوس الملك على سريره ايذانا
بانهم يزالون لانفسهم ويتركبون هذا الامر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مناهم
كالملوك على اسرتهم وفي شرح مسلم قيل هو صفة لهم في الاخرة اذا دخلوا الجنة
والاصح انه صفة لهم في الدنيا اي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة
امرهم وكثرة عددهم انتهى وفيه اشعار بان الحال منفردة على المعنيين بخلاف ما قرره
الطيبي فانها حينئذ مخففة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها
فيه التفات او تجريد او نقل بالمعنى او من كلام انس ثم وضع راسه فنام ثم استيقظ وهو
يضحك فقلت يا رسول الله ما يضحكك اي الان قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة
في سبيل الله كما قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في الاولى اي في المقالة الاولى ويحتمل
كلام الراوي اختصارا فقلت اي ثانيا يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت
من الاولين فيه ايماء الى ان مرتبة الاولين فوق مرتبة الاخرين فركبت ام حرام البحر
في زمن معاوية اي في ايام ولاية معاوية فلا ينافي ما تقدم من ان موتها في خلافة
عثمان فصرعت عن دابتها بصيغة المجهول اي فسقطت عن ظهر مركوبها حين خرجت
من البحر فهلكت اي ماتت ونظيره قوله تعالى حتى اذا هلك اي مات يوسف متفق
عليه ورواه ابو داود والترمذي والنسائي وعن ابن عباس قال ان ضمادا بكسر الضاد
والضم وتخفيف الميم وبدال في اخره ويروى ضمام بميم في اخره قدم مكة بكسر الدال
اي نزل بها من سفر وكان من ازد شنوءة بفتح اوله وضم نون فواو ساكنة فهمزة فهاء
قبيلة كبيرة من اليمن والازد قبيلة منها قال ابن الملك هو بضم الضاد المعجمة
وكسرها اسم رجل كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقال المؤلف
هو ضماد بن ثعلبة الازدي كان يتطبب ويطلب العلم اسلم في اول الاسلام وكان
بكسر القاف اي يعالج الداء بشيء يقراه ثم ينفث من هذا الريح قال الطيبي الاشارة بهذا
الى جنس العلة له وذكره باعتبار الجنون وقال التوربشتي الاشارة بهذا الى جنس العلة
التي كانوا يرونها الريح وكانهم كانوا يرون ان الخبال الذي يصيب الانسان والادواء
التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح انتهى قال ابو موسى
الريح ههنا بمعنى الجن سموا بها لانهم لا يرون كالريح فسمع اي ضماد سفهاء مكة اي جهالهم
من الكفار يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رايت اي ابصرت هذا الرجل اي بالوصف
المذكور له او بعينه فجواب لو مقدر والاظهر ان لو هذه للتمني كما يشير اليه قوله لعل
الله يشفيه على يدي اي بسببي قال اي ابن عباس فلقيه اي محمدا فقال يا محمد اني ارقي
من هذا الريح فهل لك اي رغبة في ان ارقيك واخلصك من الجنون فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم

الله عليه وسلم ان الحمد لله اي ثابت له مختص به سواء احمد او لم يحمد نحمده اي لوجوبه علينا ولعود
نفعه الينا ونستعينه اي في جميع امورنا من يهده الله اي الى طريق توحيده وشهود
تفريده بمقتضى فضله فلا مضل له ومن يضلل اي ومن يضلله عن سواء السبيل بموجب
عدله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده اي منفردا وهو تاكيد لما قبله كقوله
لا شريك له والمراد بالاول توحيد الذات وبالثاني تفريد الصفات واشهد ان محمدا
عبده اي المختص المكرم ورسوله المخصوص المعظم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
اما بعد اي واراد ان يخطب له خطبة عظيمة وموعظة جسيمة تعجز عنه البلغاء ويتحير
منه الفصحاء ليعلم العقلاء انه مجتنبه من المجانين والسفهاء فقال اعد علي كلماتك
هؤلاء اي المتقدمة الدالة على جزالة الخاتمة فاعادهن عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاث مرات يحتمل ان يكون التثليث بالاولى كما كان لدى العادة او بغيرها
لا يفيد حقيقة الاعادة مع زيادة المبالغة في مقام الافادة وتمام الاستفادة
فقال اي ضماد لقد سمعت قول الكهنة بفتحتين جمع كاهن وهو المخبر عن الغيبيات
بعبارات مسجعة واشارات مبدعة وقول السحرة جمع ساحر وهو المميل في العين
والدين من جهة قوله او من اجل فعله وقول الشعراء جمع شاعر وهو المحلي باللسان في
كل شان حتى شان ما زان وزان ما شان يريد انهم ينسبونك تارة الى الكهانة ومرة
الى السحر واخرى الى الشعر وقد سمعت مقالة اصحابها فما سمعت اي منهم مثل كلماتك هؤلاء
يعني فلو كنت منهم لا يشبه كلامك كلامهم فاذا كان كلامه ابلغ من كلام هؤلاء فلا يعد
مجنونا الا السفهاء ثم انهم كانوا يرون الكهانة والسحرة والشعراء اهل البلاغة والمتفرقين
في القول على اي اسلوب شاؤوا فاشار بقوله هذا الى الاعجاز اي جاوز كلامك حد البلاغة
وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قابل كلام ضماد بما تقدم ليظهر له كمال عقله وتبين
جهل اعدائه وقال الطيبي ظاهر هذا القول منه صلى الله عليه وسلم في قول ضماد
انه لما سمع من سفهاء اهل مكة ان محمدا مجنون اعتقد انه كذلك فقال هل لك رغبة
في الخلاص كانه صلى الله عليه وسلم ما التفت الى قوله ذلك وارشده الى الحق البحت
والصدق المحض اي اني لست بمجنون اتكلم كلام المجانين بل كلامي نحو هذا وامثاله
فتفكر فيه هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات ونحوه قوله تعالى ويقولون
انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين اي انهم جننوه لاجل القران وما هو الا ذكر وموعظة
للعالمين وكيف يجنن من جاء بمثله قلت بل المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام
الخلق ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون قال الطيبي العرب
ربما استعملوا هؤلاء في غير العقلاء وقد شهد به التنزيل قال تعالى ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وقال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد اولئك الايام ولقد بلغن اي هؤلاء الكلمات الجامعات المحيطات بحرف

كاللآلي المنظومات التي تعجز الغواص عن اخراجها وابرازها لما فيها من الدلالات التي تدل
على اعجازها من كلام ايجازها قاموس البحر الكلام ووسطه لجة المرام والمعنى بلغت
غاية الفصاحة ونهاية البلاغة قال صاحب القاموس القمس الغوص والقمس الغوص
معظم ماء البحر كالقاموس والقاموس البحر او ابعد موضع فيه غورا هات بكسر التاء
اي اعط يدك ابايعك بالجزم جواب الامر على الاسلام قال اي ابن عباس فبايعه اي النبي
عليه السلام رواه مسلم وفي بعض نسخ المصابيح بلغنا اي بصيغة المتكلم مع الغير
عوس البحر بالنون والعين وهو تصحيف وتحريف حيث لم يذكر الناعوس في القاموس
قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل الى تقويمه من طريق المعنى
والرواية لم نروه وناعوس البحر ايضا خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من
اهل الحديث وقد وهموا فيه والظاهر انه سمع بعض الرواة اخطأ فيه فروي كما
وهذا من الالفاظ التي لم يسمع في لغة العرب والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه
ومعظمه من القمس وهو الغوص والقماس الغواص وقال الطيبي قوله بلغنا خطأ ان
اراد به من حيث الرواية فلا ننكره لانا ما وجدناها في الاصول وان اراد بحسب
المعنى فمعناها صحيح اي قد وصلنا الى لجة البحر ومحل اللآلي والدرر فيجب ان
نقف عليه ونغوص فيه استخراجا للفوائد والتقاطا للفرائد قلت الشيخ انما
نفى المعنى اللغوي الحقيقي اذ ليس الكلام في المعنى المجازي الذي هو باشارات الصوفية
اشبه فتدبر وتنبه قال واما قوله ناعوس البحر ايضا خطأ فليس بصواب اثباتا
رواية فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم ناعوس البحر ضبطناه بوجهين
اشهرهما بالنون والعين نحو وهذا هو الموجود في اكثر نسخ بلادنا والثاني قاموس البحر
بالقاف والميم وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم
قلت هذا لا ينافي قول الشيخ فانه لم ينكر وجود النقل والرواية بل يطعن فيه
من حيث اللغة والرواية قال وقال القاضي عياض روى بعضهم ناعوس بالنون
والعين وقال شيخنا ابو الحسين ناعوس البحر بمعنى قاموسه وهذا يفيد ان القاموس
هو الاشهر والاكثر وانما جاء الناعوس في رواية وهو لكونه لا يستقيم في المعنى حمل
على انه بمعنى القاموس وان لم يسمع في كلام العرب قال وفي النهاية قال ابو موسى
ناعوس البحر كذا وقع في صحيح مسلم وفي سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه
ولجته ولعله لم يجوز كيفيته فصحفه بعضهم وليست هذه اللفظة اصلا في مسند
اسحاق بن راهويه الذي روى عنه مسلم هذا الحديث غير انه قرنه بابي موسى درايته
فلعلها فيها قال وانما اوردنا نحو هذه الالفاظ لان الانسان اذا طلبه ولم يجده في
شيء من الكتب فتحير فاذا نظر في كتابنا عرف اصله ومعناه قلت وهذا كله يؤيد
الشيخ فيما قرره ويؤكد ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية قال

الطيبي

الطيبي واما دراية فقال القاضي ناصر الدين ناعوس البحر معظمه ولجته الذي
تغاص فيها لاخراج اللآلي من نعس اذا نام لان الماء من كثرته لا يظهر حركته فكانه
نائم قلت ثبت العرش ثم انقش فان تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية
مع ان هذا المبنى معناه اللغوي بل بتكلف وتعسف في تصحيحه بالمعنى المجازي فانى
يقاوم قول الشيخ وهذا من الالفاظ التي لم يسمع في لغة العرب واغرب الطيبي حيث
قال ومن الجائز ان يكون الناعوس حقيقة في القاموس وكانت لغة غريبة خفي
مكانها فلم تنقل نقلا فاشيا انتهى ولا يخفى انه ان فتحنا باب الامكان لسد
طريق التحقيق في كل مكان والله المستعان وذكر حديث ابي هريرة وجابر بن سمرة
باضافة الحديثين الى الراويين لغاوستر امرينا والتقدير احدهما بهلاك كسرى
اي الى آخره والآخر لتفتحن عصابة اي الحديث في باب الملاحم معللو بذكر وجهه
برار اقرار وكذا صور توجيه قوله وهذا الباب خال عن الفصل الثاني الفصل
الثالث عن ابن عباس قال حدثني ابو سفيان بن حرب بضم السين وجوز تثليثه واسمه
صخر بمهملة فمعجمة ولد قبل الفيل بعشر سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطائف
وحنينا وفقئت عينه في الاولى والاخرى يوم اليرموك توفي بالمدينة وصلى عليه
عثمان من فيه الى في من للابتداء اي الحديث الذي ارويه انتقل من فمه الى فمي فلم يكن
بيننا واسطة كذا ذكره الطيبي والاظهر ان معناه لم يكن احدا حاضرا غيري
معه كما يدل عليه حدثني وكذا قوله في فانه لو كان غيره لجاز ان يرويه فلا يكون التحديث
منحصرا من فمه الى فمي فقط قال اي ابو سفيان انطلقت اي سافرت في المدة اي في
مدة الصلح التي كانت بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صلح الحديبية
ذكره النووي وكان سنة ست ومدتها عشر سنين لكنهم نقضوا العهد بقتال بعض
خزاعة من حلفائه صلى الله عليه وسلم فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة قال اي ابو سفيان
فبينا انا بالشام اي من اهل الشام اذ جيء بكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل بكسر الهاء
وفتح الراء وكسر القاف وهذا هو المشهور على ما في شرح مسلم وفي نسخة بكسر الهاء
والقاف وسكون الراء وهو غير منصرف للعجمة والعلمية وهو ملك الروم ولقبه قيصر
وهو اول من ضرب الدنانير واول من احدث البيعة على ما في القاموس قال اي ابو سفيان
وكان دحية الكلبي بكسر الدال وبفتح جاء به اي بالكتاب فدفعه الى عظيم بصرى
اي اميرها وهي بضم الموحدة مقصورة قرية بين المدينة ودمشق فدفعه عظيم
بصرى الى هرقل فقال هرقل هل ههنا اي في ارض الشام احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم
انه نبي يعني لكي نسأل عن وصفه ليتبين لنا صدقه من كذبه قالوا اي بعض خدمه وحشمه
نعم فدعيت في نفر اي مع نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلا وقيل المغيرة بن شعبة
منهم وفيه انه سابق اسلامه لانه اسلم عام الخندق فيبعد ان يكون حاضرا وسكت مع كونه

مسلماً قلت وقد تقدم انه لم يذكر فيه منا بنا في سكونة فدخلنا على هرقل فاجلسنا بصيغة
المجهول وفي نسخة على بناء الفاعل اي امر هرقل بجلوسنا بين يديه اي قدامه ليسمع كلامنا
ويسمع كلامه فقال ايكم اقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم انه نبي قال العلماء وانما سأل
قرب النسب لانه اعلم بحاله وابعد من ان يكذب في حقه فقال ابو سفيان فقلت انا اي اقرب
نسبا منه فاجلسوني بين يديه اي وحدي واجلسوا اصحابي خلفي وانما اجلسهم خلفه
ليكون اعون عليهم في تكذيبه ان كذب ولا يستحيوا منه وليمكن لهم ان يشيروا اليه ويدلوا
عليه بما هنالك اما بايماء او بتحريك راس ونحو ذلك ولا يبعد انه قصد في ترتيبه
تعظيمه لكونه اقرب في النسب على ما يقتضيه الادب ثم دعا الترجمان وضم الجيم
ويضمهما والفتح افصح وسبق انه يجوز فتحهما وهو المعبر عن لغة بلغة اخرى ثم التاء
زائدة او النفد ير دعا احدا احضارا ترجمانه فحضر فقال قل لهم اي لاصحاب ابي سفيان
اني سائل هذا وفي نسخة بالاضافة والمعنى اني اريد ان اسال ابا سفيان عن هذا
الرجل الذي يزعم انه نبي اي عن وصفه فان كذبني بتخفيف الذال اي فان تكلم
بالكذب علي فكذبوه بالتشديد اي فانسبوه الى الكذب ولا تسكتوا على الباطل واعلموني
بالحق قال ابو سفيان وايم الله بهمزة وصل وبقطع وبضم ميم وتخفيفه لفظ موضوع
لولا الحياء من ان يؤثر بصيغة المجهول اي يروى علي الكذب بفتح فكسر وفي نسخة
بكسر فسكون والمعنى لولا خوف ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به لكذبته
اي لكذبت عليه لبغضي اياه وانما عداه بعلى لتضمن معنى المضرة اي كذبا يكون
علي لا لي وفي هذا بيان ان الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الاسلام اقول
الظاهر ان معناه لولا مخافة ان يكذبني هؤلاء الذين معي لكذبته في بعض كلامي ليحصل
مرامي ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم الحسب ما يعده الانسان من مفاخر ابائه ذكره
الجوهري فهو اعم من النسب ولذا عدل عنه الى الحسب قيل وفي البخاري كيف نسبه فيكم وفي
جامع الاصول كيف حسبه قال قلت هو فينا ذو حسب اي عظيم فان رسول الله هو محمد
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف واما ابو سفيان ابن حرب ابن امية
ابن عبد شمس بن عبد مناف وليس في النفر يومئذ احد من بني عبد مناف غيري قال فهل
كان من ابائه اي بعض اجداده واسلافه وفي نسخة في ابائه اي في جملتهم من ملك اي من
سلطان وفي نسخة من موصولة وملك بصيغة الماضي اي من كان ملكا قال بعض المحققين
هو هكذا بحرف الجر وملك صفة مشبهة وهو رواية كريمة والاصيلي وابي الوقت وابن عساكر
في نسخة وابوذر عن الكشميهني من ملك على ان من موصولة وملك فعل ماض ولابي ذر
كما في الفتح من ابائه ملك باسقاط من والاول اشهر قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب بفتح
التاء الثانية اي تنسبونه الى التهمة بالكذب اي باتباعه قبل ان يقول ما قال اي من دعوى
النبوة قلت لا قال ومن بالواو وبتبعه بسكون التاء وفتح الباء وفي نسخة بتشديد الفوقية

وكن المؤجدة اشراف الناس اي اشرافهم ام ضعفاؤهم قال الطيبي وفي الحميدي وجامع
الاصول فهل يتبعه وام هاهنا منقطعة وفي وقوعها قرينة لحصول التكان لان هل تستدعي
السؤال عن حصول الجملة وام المتصلة تستدعي حصولها لان السؤال بها عن تعيين
احد المتساويين مسندا ومسندا اليه والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكوة
من يتبعه فيكون همزة الاستفهام مقدرة في قوله اشراف الناس فسال اولا مجملا ثم
سال ثانيا مفصلا قال قلت بل ضعفاؤهم والمراد بالاشراف اهل النخوة والتكبر لا كل شريف
والا لورد مثل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما من اسلم قبل سوال هرقل كذا ذكره بعضهم وتعقبه
العيني بان العمرين وحمزة كانوا من اهل النخوة فقول ابي سفيان جرى على الغالب قال
ايزيدون اي بزيادة امثالهم ام ينقصون اي يرجع بعضهم الى ادبارهم او يموت بعضهم
من غير جرهم لكثرهم قلت لا اي لا ينقصون ابدا بل يزيدون اي دائما قال هل يرتد اي يرجع احد منهم
عن دينه بعد ان يدخل فيه اي يطيب نفسه سخطة بفتح السين وبضم وسكون الخاء المعجمة
اي كراهة وتغيبا له اي لدينه وهي مفعول له وخرج به من ارتد لحظ نفساني قال
ثالثا قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت يكون
بالتثنيث ويذكر الحرب اي المحاربة بيننا وبينه سجالا بكسر اوله اي حلة ومداولة
يصيب منا ونصيب منه اي هو ينال منا مرة لغلبته ونحن ننال منه اخرى لغلبتنا
فهو تفسير لقوله سجالا او فذلكة لها وتلك الايام نداولها بين الناس وقال الشاعر
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر قال الطيبي واصله من السجل الذي
هو الدلو لان لكل واحد من المتواردين دلوا مثل ما للاخر ولكل واحد منهم يوم في الاستقاء
ومعناه ان الحرب بعود نارة له وتارة وقال غيره السجال جمع سجل وهو الدلو الكبير والحرب
اسم جنس فصح الاخبار عنه بالجمع وما فيه تشبيه بليغ اي الحرب نوب نوبة لنا ونوبة
له فقد وقعت المقابلة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم قبل هذه القصة في ثلاث
مواطن بدر واحد والخندق فاصاب المسلمون من المشركين في بدر وعكس في احد واصيب
من الطائفتين ناس قليل وفي الخندق فصدق ابو سفيان في كلامه سجالا الا انه
لا يلزم منه التساوي قال فهل يغدر بكسر الدال من الغدر وهو نقض العهد وخلاف
الوعد فقلت لا اي ما وقع منه غدر فيما مضى ونحن منه اي على خطر في هذه المدة اي
مدة الهدنة والصلح الذي جرى يوم الحديبية لا ندري ما هو اي النبي والله صانع فيها
اي الغدر في مدة هذا الصلح ام لا قال اي ابو سفيان والله ما امكنني من كلمة اي ما قدرت
على كلمة والمراد بها جملة مفيدة ادخل فيها اي في اثنائه كلاما في شيئا اي مما يطعن فيه في
الجملة غير هذه الجملة التي فيها تجوز احتمال الغدرة في مدة الهدنة قال فهل قال هذا
القول اي من امر النبوة ودعوى الرسالة احد قبله اي ممن سبقه من غير الانبياء المعروفين
كابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى عليهم السلام قلت لا

ثم قال اي بعد ما فرغ من الاسئلة الدالة على النبوة والرسالة واراد ان يشرع
في تبيين نوعها من جهة المنقول والمعقول والعرف والعادة قال الترجمانه
قل له اني سالتك عن حسبه فيكم فزعمت اي فاجبت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل
تبعث في احساب قومها اي توقع بعثتهم في احساب اقوامهم فتعديته بفي لتضمين
معنى الايقاع ويمكن ان يكون في بمعنى من على ما جوزه صاحب القاموس والمعنى وهو
ظاهر جدا يغني عما تكلفه له الطيبي لقوله هو من باب التجريد اي يبعث ذوي حسب وهو
هو كقولك في البيضة عشرون رطلا وهي في نفسها هذا المقدار قيل والحكمة في ذلك
انه ابعد من انتحاله الباطل واقرب الى انقياد الناس له ولا يخفى ان هذا القول
انما يستفاد من النقل ويساعده العقل وسالتك هل كان في ابائه ملك اي في جملتهم
احد من الملوك ولو روي بصيغة الجمع لكان له وجه فزعمت ان لا فقلت اي في نفسي
بمقتضى راي لو كان من ابائه ملك اي لو كان قطعا منهم سلطان قلت رجل يطلب
ملك ابائه اي سلطنتهم وهذا دليل عقلي لا يخالفه نقل وسالتك عن اتباعه اشرافهم ام ضعفاؤهم
اي افقراء الناس واهل خمولهم ام اشرافهم اي اغنياؤهم واهل وجاهتهم فقلت بل ضعفاؤهم
وهم اتباع الرسل اي ابتداء كما هو المشاهد في اتباع العلماء والاولياء قال النووي
واما قوله ان الضعفاء هم اتباع الرسل فلكون الاشراف يانفون من تقدم مثلهم عليهم
والضعفاء لا يانفون فيسرعون الى الانقياد واتباع الحق وسالتك هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع اللام لام الجحود ليترك
الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله فان من المعلوم عند كل احد ان
الكذب على الله افحش واشد ولذا قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وسالتك
هل يرتد احد عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك بالواو والظاهر
ان يقال فكذلك ان لا يخرج ولا يرجع الايمان اذا خالط بشاشته بفتح الموحدة اي
انسه وفرحة القلوب اي فان من دخل على بصيرة في امر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل في
الاباطيل ذكره النووي وقد عبر صلى الله عليه وسلم لذاته بالطعم واخرى بالحلاوة فان
من ذاق لذة شي احبه لا محالة ومن لم يذق لم يعرف ومن مشرب العارفين لم يعرفه
ولذا قال بعض المشايخ انما رجع من رجع من الطريق يعني ممن وصل مع الغريق الى
الرقيق فهو كالغريق في الامن الداخل في البيت العتيق وقد قال شيخ مشايخنا ابو الحسن
البكري قدس الله سره السري الايمان اذا دخل القلب امن السلب قلت ولعل الاشارة
الى هذا المعنى والدلالة على هذا المعنى في قوله سبحانه وتعالى فمن يكفر بالطاغوت اي
بما سوى الله ويؤمن بالله حق الايمان وحق تقته فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها اي لا انقطاع ولا انفصال ولا اتحاد ولا اتصال وسالتك هل يزيدون ام ينقصون
ولعله ترك الواسطة وهي المساواة للاشارة الى ان من لم يكن في الزيادة فهو

في

في النقصان لا التوقف منتفي في طور الانسان فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان
اي يزيد بنفسه واهله حتى يتم اي يكمل بالامور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة
وصيام وغيرها ولذا نزل في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي الاية انجازا لما وعده سبحانه بقوله يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا
ان يتم نوره وقد بحمد الله الى الان بعد مضي الالف من الزمان في زيادة الايمان
تحت اشعة انواره وفي بركة لمعان اسرار المستفاد من اخباره والمستفاضة من
اثاره وسالتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا
ينال منكم وتنالون منه اي يصيب منكم وتصيبون منه وكذلك الرسل تبتلى فيه
ايماء الى ان الدار دار ابتلاء ولذا قال بعض العارفين ما دمت في هذه الدار لا تستغرب
وقوع الاكدار وقد قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفسر البلاء بالمحنة والمنحة فهو
من الاضداد والحاصل للعباد ان الغالب ان البلاء لاهل الولاء كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم تكون لها اي للرسل واتباعها العاقبة اي المحمودة
قال تعالى والعاقبة للتقوى والاخرة خير وابقى قال النووي يعني يبتليهم في ذلك ليعظم
اجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم في طاعة الله وسالتك هل يغدر فزعمت انه اي النبي او
الشان لا يغدر يعني والاصل بقاء الشي على ما هو عليه كما هو مقرر في مسالة الاستصحاب
ولهذا اعرض عن الجملة المدخولة المعلولة وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك هل قال
هذا القول احد قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان قال هذا القول احد قبله قلت رجل
ائتم اي هو رجل اقتدى بقول قيل قبله قال اي ابو سفيان ثم قال بما يامركم بصيغة
الجمع تغليبا او التفاتا ولذا عدل عن قول قلت الى قوله قلنا يامرنا بالصلاة والزكاة
اي بالعبادة المالية والبدنية والصلة اي صلة الرحم وكل ما امر الله به ان يوصل
والعفاف بفتح العين اي الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم قال ان يك ما تقول حقا
فانه نبي في شرح مسلم قال العلماء قال هرقل ان يك ما تقول حقا فانه نبي اخذه من الكتب
القديمة ففي التوراة هذا ونحوه من علامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه
بالعلامات واما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة
هكذا قاله المازري وقال الشيخ اكمل الدين ومع هذا لم يؤمن ولم ينتفع بتلك المعرفة
فانه هو الذي جيش الجيوش على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الروم وقاتلهم ولم
يقصر في تجهيز الجيش عليهم من الروم وغيره كرة بعد كرة فيهزمهم الله تعالى ويهلكهم
ولم يرجع اليه منهم الا اقلهم واستمر على ذلك الى ان مات وقد فتح اكثر بلاد الشام ثم
ولي بعده ولده وبهلاكه هلكت المملكة الرومية قلت يعني الرومية الجاهلية ثم
انقلبت امر المملكة الاسلامية بالغلبة والشوكة الاسلامية حتى اقامهم الله تعالى تلك
الطايفة النصرانية ولمقاتلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة الحرمين الشريفين

من عماراتهما وخيراتهما ومبراتهما في البلدين المنيفين وارسال امراء الحاج من كل فج
عميق لامن الطريق الواصل الى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم الشريعة وتكريم العلما
واحترام المشايخ والاوليا جزاهم الله احسن الجزا ونصرهم على جميع الاعدا الى يوم التناد هذا
ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له ولا حول ولا قوة الا بالله
فيما اعتقاله لو معقوله اكمله لكن ما ساعدة لعدم السعادة الازلية ووجود الشقاوة
الابدية والسبب في ذلك طمع الرياسة وظهور الكمال والميل الى وصول المال وحصول
المنال والغفلة عن الحال وما يؤدي الى المكال ولذا قال وقد كنت اعلم اي علما يقينا
انه اي النبي عليه الصلاة والسلام خارج اي ظاهر في اخر الزمان ولم اكن اظنه منكم
اي من نسل اسماعيل وهو ابو العرب بل كنت اظنه انه منا معشر بني اسحاق فان اكثر
الانبيا بعد ابراهيم عليه السلام منهم وهذه حجة داحضة وبلية غامضة
فان الظن لا يغني من الحق شيئا وما يتبع اكثرهم الا ظنا والحق احق ان يتبع ولو اعلم
اني اخلص بضم اللام اي اصل اليه اي خدمته ودولته وحضرة رؤيته لاحببت
لقاءه اي دولة ملاقاته وسعادة متابعته ولو كنت عنده اي ولو حضرت في مقامه
ووصلت الى موضع قيامه لغسلت اي وجهي عن قدميه اي غسلا خاصا دراعيا
اقدامه لما اريد من الثبات على الحق واقدامه او التقدير غسلت الغبار والوسخ
عن قدميه فضلا عن تقديم يديه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي بالتشديد
للتثنية المنبية عن المبالغة والتاكيد قال النووي ولا عذر له في هذا
لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك ورغب في الرياسة
فاثرها على الاسلام وقد جا ذلك مصرحا به في صحيح البخاري ولو اراد الله هدايته
لوفقه كما وفق النجاشي وما زالت عنه الرياسة وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال
الدين السيوطي اختلف في ايمانه والارجح بقاؤه على الكفر ففي مسند احمد انه كتب
من تبوك الى النبي صلى الله عليه وسلم اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كذب بل هو على نصرانيته قلت ليس فيه نص على موته بالكفر وانما رجح بناء على
الاصل ثم دعا لكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراه اي فحفظه وبالغ في محافظته
فصار سببا لبقاء الملك في ذريته بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه ومزق الله ملكه وقتل
ولده واخرج الله عنهم ملكه قال سيف الدين ارسلني ملك الغرب الى ملك الفرنج
في شفاعة فقبلها وعرض علي الاقامة فابيت فقال لاتحفنك بتحفة سنية فاخرج
من صندوقة مقلمة من ذهب فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه فقال هذا كتاب
نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه الى الان وقد اوصانا ابانا انه ما دام عندنا لا يبرح
الملك منا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا ذكره اكمل الدين متفق عليه وقد سبق
تمام الحديث وهو انه كتب اليه في باب الكتابة الى الكفار

باب في المعراج

العروج الذهاب في صعود قال تعالى تعرج الملائكة والروح والمعراج بالكسر شبه
السلم مفعال من العروج بمعنى الصعود فكانه الة له وقيل هو الة وفرق بينه
وبين الاسراء كما بينته في رسالتي المسماة بالمدارج للمعراج وانما سميت ليلة المعراج
لصعود النبي صلى الله عليه وسلم فيها الى السما وفي شرح السنة قال القاضي عياض
اختلف الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان جميع ذلك
في المنام والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتاخرين من
الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه اسري بجسده ومن طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن
ظاهرها الا بدليل ولا استحالة في حملها عليه فيحتاج الى تاويل وقيل ذلك قبل ان
يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسرا اقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع
الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم
بخمس سنين وقال ابن اسحاق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة
واشبه هذه الاقوال قول الزهري وابن اسحاق وقد اجمعوا على ان فرض الصلاة كان
ليلة الاسرا فكيف يكون هذا قبل ان يوحى اليه واما قوله في رواية شريك وهو
نائم وفي الرواية الاخرى بينا انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به
من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة اول وصول الملك اليه وليس
في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها وقال محيي السنة في المعالم والاكثرون
على ذلك قلت ومن العلما من قال بتعدد الاسراء نوما ويقظة وبه
يجمع بين الادلة المختلفة قال الطيبي وقد روينا عن البخاري والترمذي عن ابن
عباس في قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين
اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس وفي مسند الامام
احمد بن حنبل عن ابن عباس قال شيء اراه النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة
راه بعينه ولانه قد انكره قريش وارتدت جماعة ممن كان اسلموا حين سمعوه وانما ينكر
اذا كانت في اليقظة فان الرؤيا لا ينكر منها ما هو ابعد من ذلك على ان الحق
ان المعراج مرتان مرة بالنوم واخرى باليقظة قال محيي السنة رؤيا اراه الله قبل
الوحي بدليل قول من قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة
بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه كما انه راى فتح مكة في المنام سنة ست
من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان وعن بعض المحققين ان الارواح ماخوذة من
انوار الكمال والجلال وهي بالنسبة الى الابدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة الى هذا
العالم وكما ان كل جسم يصل اليه نور الشمس يتبدد ظلمانيته بالاضوا فكذلك كل وصل

اليه نور الروح انقلب حاله من الموت الى الحياة وقالوا الارواح اربعة اقسام الاول
الارواح المكدرة بالصفات البشرية وهي ارواح العوام غلبتها القوى الحيوانية لا تقبل
العروج والثاني الارواح التي لها كمال القوة النظرية باكتساب العلوم وهذه ارواح
العلما والثالث الارواح التي لها كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الاخلاق الحميدة
وهذه ارواح المرتاضين اذا كبروا اقوى ابدانهم بالارتياض والمجاهدة والرابع الارواح
الحاصلة لها كمال القوتين وهذه غاية الارواح البشرية وهي للانبيا والصديقين
فلما ازداد قوة فوق ارواحهم ازداد ارتفاع ابدانهم عن الارض ولهذا لما كان
الانبيا عليهم السلام قويت فيهم هذه الارواح عرج بهم الى السما واكملهم قوة نبينا
صلى الله عليه وسلم فعرج به الى قاب قوسين او ادنى

الفصل الاول

عن قتادة تابعي جليل عن انس بن مالك اي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مالك
ابن صعصعة انصاري من بني مدني سكن البصرة وهو قليل الحديث ان نبي الله صلى
الله عليه وسلم حدثهم اي الصحابة ومنهم انس عن ليلة اسري به بالاضافة وفي نسخة
بالتنوين اي ليلة اسري به فيها قال زين العرب في شرح المصابيح انها مضافة
الى الماضي وفي نسخة روايتي مجرورة منونة وقال الطيبي يجوز بنا ليلة واعرابا
واسري بصيغة المجهول ايما الى قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا والاسرا
من السري وهو السير في الليل يقال سرى واسرى بمعنى وقيل اسرى سار من اول الليل
وسرى من اخره قيل وهو اقرب فالبا في به للتعدية وذكر الليل للتجريد او للتاكيد وفي
الاية بالتنكير للتقليل والتعظيم بينما انا في الحطيم قال القاضي قيل هو الحجر سمي
حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيما لانه حطم جداره عن مساواة الكعبة وعليه
ظاهر قوله بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر فلعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم
قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر اخرى وقيل الحطيم غير الحجر وهو ما بين
المقام الى الباب وقيل ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر والراوي شك في انه سمع
في الحطيم او في الحجر انتهى وقال ابن حبيب الحطيم ما بين الركن الاسود الى الباب الى
المقام حيث يتحطم الناس للدعا وقيل كان اهل الجاهلية يتحالفون هنالك
ويتحطمون بالايمان كذا ذكره الشارح الاول والله اعلم مضطجعا قيد للروايتين
يحتمل النوم واليقظة اذا تاني ات اي جا الي ملك فشق اي قطع ما بين هذه الى
هذه يعني تفسير من مالك على ما هو الظاهر اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
هذا من ثغرة نحره بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة اي نقرة نحره التي بين الترقوتين
الى شعرته بكسر الشين اي عانته وقيل منبت شعرها كذا في النهاية فاستخرج قلبي
قال شارح وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبي اذ هو لاخراج مادة الهوى من قلبه
وهذا لادخال كمال العلم والمعرفة في قلبه ثم اتيت وفيه ايما الى التخلية والتحلية [illegible]

الفناء والبقا ونفي السوى واثبات المولى كما يشير اليه الكلمة العليا ثم اعلم ان هذا معجزة
فان من المحال العادي ان يعيش من يشق بطنه ويستخرج قلبه وكان بعضهم عملوها على
المعاني المجازية ولذا قال التوربشتي ما ذكر في الحديث من شق النحر واستخراج القلب
وما يجري مجراه فان السبيل في ذلك التسليم دون التعرض بصرفه الى وجه يتقول له
متكلف ادعا للتوفيق بين المنقول والمعقول هربا مما يتوهم انه محال ونحن بحمد الله
لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز في خبر الصادق عن الامر لعدم المحال به على
القدرة ثم اتيت بطست بفتح الطاء وبكسر مهملة في العربية ومعجمة في العجمية من
ذهب لعل استعمال قبل التحريم او لان الفضة من خصوصياته عليه الصلاة والسلام
مملوء على وزن مفعول بالهمز ويشدد ايمانا تمييز قال القاضي لعله من باب التمثيل
او تمثيل له المعاني كما تمثل له ارواح الانبيا الدارجة بالصور التي كانوا عليها نقله
الطيبي وفيه ان الارواح اجساد لطيفة على الصحيح من الاقوال الا ان يقال المراد
تمثل له الارواح باجسادهم الفانية لكن فيه ان الله حرم على الارض ان تاكل لحوم الانبيا
نعم لو قيل ببقاء اجسادهم المتعلقة بها ارواحهم في عالم الملك وتمثلها في عالم
الملكوت لوجهنا وجها وتنبيها نبيها بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القادر
وفي شرح مسلم معنى جعل الايمان في الطست جعل شي فيه يحصل به الايمان
فيكون مجازا وقد قال الشارح الاول لا مانع من ارادة الحقيقة اقول والحاصل ان المعاني
قد تتجسم كما حقق في وزن الاعمال وذبح كبش الموت فغسل قلبي ثم حشي بالمجهول
من الحشو اي ملي من حب ربي ثم اعيد اي القلب الى موضعه الاول على الوجه
الاكمل وفي رواية ثم غسل البطن اي الجوف مطلقا او محل القلب فانه بيت الرب بما
زمزم ثم ملي ايمانا وحكمة اي ايقانا واحسانا ما هو تكميل وتذييل ثم اتيت بدابة هي
تطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها او التاء فيها
للوحدة فالمعنى بمركوب متوسط دون البغل اصغر منه وفوق الحمار اي اكبر منه
ابيض بالنصب على الحال او الصفة يقال له البراق بضم اوله سمي به لبريق لونه او لسرعة
سيره كبرق السحاب ولا مانع من الجمع وان كان يؤيد الثاني قوله يضع خطوه عند اقصى
طرفه بفتح فسكون في كل منهما اي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره قيل الاصح
انه كان معه المركوب الانبيا وقيل لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الاصفيا
وفي شرح مسلم قالوا هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة الاسرا قال الزبيدي في مختصر العيني وصاحب التحرير هي دابة كانت الانبيا
عليهم الصلاة والسلام يركبونها وهذا الذي قالاه يحتاج الى نقل صحيح قال الطيبي ولعلهم
حسبوا ذلك من قوله في حديث اخر فربطه بالحلقة التي يربطها الانبيا اي ربطنا البراق
بالحلقة التي يربط بها الانبيا البراق قلت وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره

لان المراد بالبراق الجنس في الثاني قال واظهر منه حديث انس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق فما ركبك احد اكرم على الله منه قلت هو مع ظهوره لا يخفي ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال اذ يحتمل انه ركبه بعض الملائكة او جبريل قبله عند نزوله اليه صلى الله عليه وسلم عليه او التقدير فما ركبك مثلك او جنسك احد اكرم على الله منه فلا معنى لتفرك عنه فحملت عليه بصيغة المجهول اي ركبت عليه بمعاونة الملك او باعانة الملك وفيه ايما الى صعوبته كما سياتي وجهه فانطلق بي جبريل حتى اتى السما الدنيا ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما وتمسك به من زعم ان المراج كان في ليلة الاسرا الى بيت المقدس فاما المعراج فعلى غير هذه الرواية من الاخبار انه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحا ذكره العسقلاني اقول الاظهر ان هذا اختصار من الراوي واجمال لما سبق انه ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الانبيا نعم يمكن ان يكون سيره على البراق الى بيت المقدس ثم اسراوه الى السما بالمعراج الذي هو السلم والله اعلم فكان الراوي طوى الرواية فاختل بها مراد الرواية ثم قيل الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس قبل العروج الى السما اظهار الحق للمعاندين لانه لو عرج به من مكة الى السما اولا لم يكن سبيل الى ايضاح الحق للمعاندين كما وقع من الاخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير مع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحل اليه لانه محل هجرة غالب الانبيا ولما روي ان باب السما الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فاسري اليه ليحصل العروج مستويا من غير تعويج ذكره السيوطي فاستفتح اي طلب جبريل فتح باب السما الدنيا قيل من هذا اي المستفتح قال جبريل بتقدير هو او انا قال القاضي عياض وفيه ان السما ابوابا حقيقية وحفظة موكلين بها وفيه اثبات الاستيذان وانه ينبغي ان يقول انا زيد مثلا يعني لا يكتفي بقوله انا كما هو المتعارف اذ قد ورد به النهي قيل ومن معك اي انت تعرفك ومن معك حتى يستفتح قال محمد قيل وقد ارسل اليه الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر اي اطلب وارسل اليه بالعروج او بالوحي الاول اشهر واظهر وعليه الاكثر قال النووي وفي رواية اخرى وقد بعث اليه اي بعث اليه للاسراء وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى على الملائكة الى هذه المدة وهذا هو الصحيح وقال البيضاوي اي ارسل اليه للعروج وقيل معناه اوحي اليه وبعث نبيا والاول اظهر لان امر نبوته كان مشهورا في الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها واوفق للاستفتاح والاستيذان ولذلك تكرر معه وتحت هذه الكلمات ونظايرها اسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته قلت ولعل ماخذها وقوفه على جميع الابواب على داب اداب الارباب الالباب ثم السوال من وراء الحجاب وكذا الجواب مرحبا

بذلك

بذلك الجناب المشعر بالتنزل الرحماني والاستقبال الصمداني والاقبال الفرداني المشير الى ما قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي من اتاني يمشي اتيته هرولة ومن تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا المومي الى قوله سبحانه وهو معكم اينما كنتم المصرح بالمعية الخاصة في المقام المزيد ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ثم الوارد على لسانه بلسان الجمع ان الله معنا ثم عرض عالي مقامه وحصول مرامه على ابايه الكرام واخوانه العظام في تلك المشاهد الفخام فيا لها من ساعة سعادة لا يتصور فوقها زيادة وقيل كان سوالهم للاستعجاب بما انعم الله عليه او للاستبشار بعروجه اليه اذ كان من بين عندهم ان احدا من البشر لا يترقى الى اسباب السموات من غير ان ياذن الله له ويامر ملايكته باصعاده فان جبريل لم يصعد بمن لم يرسل اليه ولا يستفتح له ابواب السما قال اي جبريل نعم اي ارسل اليه بالتقريب لديه والانعام عليه قيل مرحبا به اي اتى الله بالنبي مرحبا اي موضعا واسعا فالبا للتعدية ومرحبا مفعول به والمعنى جا اهلا وسهلا لقوله فنعم المجي مجيئه جا وفعل ماض وقع استينافا لبيان زمانه او حالا دالمجي فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف قال المظهر فيه تقديم وتاخير وحذف المخصوص بالمدح اي جا فنعم المجي مجيئه وقيل تقديره نعم المجي الذي جاءه محذوفا الموصول والاكتفي بالصلة او نعم المجي مجي جاء بحذف الموصوف ففتح اي باب السما فلما خلصت بفتح اللام اي وصلت اليها ودخلت فيها فاذا فيها ادم فقال اي جبريل هذا ابوك اي جدك ادم فسلم عليه قال التوربشتي امر بالتسليم على الانبيا لانه لو كان عابرا عليهم وكان في حكم القيام وكانوا في حكم القعود والقايم يسلم على القاعد وان كان افضل منهم وكيف لا والحديث دال على انه اعلى رتبة واقوى حالا وانم عروجا فسلمت عليه فرد السلام اي ردا جميلا وفيه دليل على ان الانبيا احيا حقيقة ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قيل وانما اقتصر الانبيا على هذا الوصف لان الصلاح صفة تشتمل جميع خصايل الخير وشمايل الكرم ولذا قيل الصالح من يقوم بما يلزم من حقوق الله وحقوق عباده ولذا ورد على السنة الانبيا توفني مسلما والحقني بالصالحين ويمكن ان يكون المراد به الصالح لهذا المقام العالي والصعود المتعالي ثم صعد بي بكسر العين اي طلع بي جبريل والبا للتعدية او للمصاحبة حتى اتى السما الثانية وقد ورد ان بين كل سما مسافة خمس ماية عام فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل جبريل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا في تكرار هذا السوال والجواب في كل من الابواب اشعار بانه تبسط له الزمان وطول له المكان واتسع له اللسان وانتشر له الشان في ذلك الان بعون الرحمن ففتح فلما خلصت اذا يحيي وعيسي وهما ابنا خالة جملة معترضة محتملة معترضة ان يكون من اصل الحديث وان يكون مدرجة من كلام الراوي هذا وقال ابن الملك

المرئي كان ارواح الانبيا متشكلة بصورهم التي كانوا عليها الا عيسى فانه مرئي بشخصه وسبقه التوربشتي حيث قال رؤية الانبيا في السموات وفي بيت المقدس حين امهم يحمل على رؤية روحانيتهم المتمثلة بصورهم التي كانوا عليها غير عيسى فان رؤيته محتملة للامرين او احدهما قلت وقد قدمنا ان الانبيا لا يموتون كسائر الاحياء بل ينتقلون من دار الفنا الى دار البقا وقد وردت به الاحاديث والانبيا وانهم احياء في قبورهم فانهم افضل من الشهداء وهم احيا عند ربهم قال اي جبريل هذا يحيى فذمه لسبقه في الوجود وهذا عيسى ختم به لانه اتم في الشهود وخاتمة ارباب الفضل والجود فسلم عليهما اي جملة او على حدة فسلمت فردا اي السلام على باحسن رد ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولما سبق في الحديث من الانبيا اخوة من علات وانهم شتى ودينهم واحد والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح قيل من هذا قيل جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه اشعار بان كلا من الانبيا لم يحصل لهم الاستعلاء الا بالاستيذان الملكي والفتح الالهي وان كلا منهم كالملائكة لهم مقام معلوم ومقام معلوم لا مقدم لما اخر ولا موخر لما قدم والله اعلم فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد اي ردا حسنا ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا وهذا التكرير والبيان على وجه التكثير بعد من قبيل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع نفخ فلما خلصت فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال عياض هذا يخالف قول اهل التاريخ ان ادريس كان من ابائه صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون قول ادريس ذلك تلطفا وتادبا وهو اخ ايضا وان كان ابا فان الانبيا اخوة كذا في شرح مسلم ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فيه اشعار بانه لم يفتح باب السما الا لمن يكون مشتوقا ببعثه للعلا ووصف الولا واما الاعدا فلا يفتح لهم ابواب السما حتى يلج الجمل في سم الخياط فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فقيه تنبيه تنبيه على ان من منح له يفتح له باب ما منع من باب اخر ولم يفتح له حجاب بل يفتح له ابواب الرحمة ثم ابواب الجنة وما احسن من قال من ارباب الحال

ه على بابك الاعلى قوى بد الرجاء ومن جاهد الباب لا يخشى الردا ه

فلما

فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت اي موسى او مقامه بكى اي موسى تاسفا على امته وشفقة على اهل ملته فانهم قصروا في الطاعة ولم يتبعوه حق المتابعة مع طول مدته وامتداد ايام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم مع قلة عمره وقصر زمانه وبهذا يظهر وجه قوله قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي فانه لم يرد بذلك استنقاصا بشانه فان الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب وهذا ارفع كلام التوربشتي وقد حمله بعضهم على الغبط وفيه نظر ظاهر لاهل الفطنة اللهم الا ان يحمل على التمني فانه قد يتصور في امر المحال والله بالحال وقال بعض العلما لم يكن بكا موسى عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد المومنين فكيف بمن اصطفاه الله وهو في عالم الملكوت بل كان اسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزم لتنقيص اجره لان لكل نبي مثل اجر كل من اتبعه واما قوله غلام فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه اذ اعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه احدا قبله ممن هو اسن منه وقال العسقلاني ويظهر لي ان موسى عليه الصلاة والسلام اشار الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في اول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتري قوته نقص قلت ويمكن ان يكون وجه تسميته غلاما انه حين مروره على الانبيا كان في مدة عمر قليل بالنسبة الى اعمارهم في الدنيا ثم مرور الازمنة عليهم في حال البرزخ وقد يعتبر كونه غلاما بما حصل له المرتبة العلية في قليل من مدة البعثة النبوية فان المعراج على ما سبق انما كان بعد الوحي بزمان قليل اذا قضى ما قيل عنه انه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بنا على ان قبله ليس من العمر التام والله اعلم بحقيقة المرام ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا في اطباق كلمتهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق اشعار بان السنة الخلق اقلام الحق وليس هنا في الاصول لفظ ففتح فكانه سقط من لفظ الراوي او اكتفا بما سبق ودلالة عليه بقوله فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك اي جدك الاقرب ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام وكان نبينا عليه السلام كان في الاستغراق التام ومنشا هذه المرام غافلا عن الانام كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ما زاغ البصر وما طغى حتى احتاج في كل من المقام الى تعليم جبريل بالسلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال الحافظ السيوطي استشكل رؤية الانبيا في السموات مع ان اجسادهم مستقرة في قبورهم واجيب بان ارواحهم تتشكلت

بصور اجسادهم او احضرت اجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الانبيا بالسما التي لقيه والاشهر انه على حسب تفاوتهم في الدرجات وعلى هذا افاد ابن ابي جمرة اختصاص ادم بالاولى لانه اول الانبيا واول الابا فكان في الاولى اولى وعيسى بالثانية لانه اقرب الانبيا عهدا من نبينا صلى الله عليه وسلم ويليه يوسف لان امة محمد يدخلون الجنة على صورته وادريس في الرابعة لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا والرابعة من السبع معتدل وهارون في الخامسة لقربه من اخيه وموسى ارفع منه لفضل كلام الله تعالى وابراهيم فوقه لانه افضل الانبيا بعد نبينا اقول بقي الكلام على ساير الانبيا عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سما الا واحد من المشاهير الاعلام واكتفي بذكرهم عن بقية الكرام ثم رفعت الى سدرة المنتهى وفي نسخة السيد وبعض الشيخ رفعت الى سدرة المنتهى ويؤيده قوله الاتي ثم رفع الى البيت المعمور وفي نسخة الي بتشديد اليا قال الحافظ العسقلاني الاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وللكشميهني رفعت لي بفتح العين وسكون التاء اي رفعت السدرة لي باللام اي من اجلي ويجمع بين الروايات بان المراد رفع اليها اي ارتقي به واظهرت له والرفع الى الشي يطلق على التقرب منه وقال التوربشتي الرفع تقريبك الشي وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة اي مقربة لهم فكانه اراد ان سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشي المقرب اليه وفي معناه رفع لي بيت المعمور ورفع لي بيت المقدس قال النووي سميت سدرة المنتهى لان علم الملايكة ينتهي اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن عبد الله بن مسعود انها سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله تبارك وتعالى وقال السيوطي واضافتها الى المنتهى لانها مكان ينتهي دونها اعمال العباد وعلومهم لخلايق لا تجاوز الملايكة والرسل منها الا النبي صلى الله عليه وسلم وهي في السما السابعة واصلها ساقها في السادسة فاذا نبقها بكسر الموحدة ويسكن اي ثمرها من كبره الدال على كبرها مثل قلال هجر بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي اناء للعرب كالجرة الكبيرة وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرتها كالمطعوم في ظرفه ضرب مثلا ثمرتها باكبر ما كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف كذا ذكره شارح وفي القاموس هجر محركة بلد باليمن مذكر مصروف وقد يونث ويمنع وقرية كانت قرب المدينة ينسب اليها القلال او ينسب الى هجر اليمن واذا ورقها في الكبر مثل اذان الفيل بكسر الفاء والتحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة جمع الديك والاذان بالمد جمع الاذن قال اي جبريل هذه اي هذا المقام او هذه الشجرة سدرة المنتهى فاذا

اربعة انهار اي ظاهرة وقال شارح اذا للمفاجاة اي فاذا انا باربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان اي النوعان من الاربعة نحو قوله تعالى هذان خصمان اختصموا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة قال ابن الملك يقال لاحدهما الكوثر وللاخر نهر الرحمة كما في خبر وانما قال باطنان لخفاء امرهما فلا يهتدي العقول الى وصفهما او لانهما مخفيان عن اعين الناظرين فلا يريان حتى يصبا في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات قال القاضي الحديث يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها وقال ابن الملك يحتمل ان يكون المراد منهما ما عرفا بين الناس ويكون ماوهما مما يخرج من اصل سدرة المنتهى وان لم يدرك كيفيته وان يكون من باب الاستعارة في الاسم بان شبههما بنهري الجنة في الهضم والعذوبة او من باب توافق الاسما بان يكون اسما نهري الجنة موافقين لاسمي نهر الدنيا وفي شرح مسلم قال مقاتل الباطنان هو السلسبيل والكوثر والظاهران النيل والفرات يخرجان من اصلها ثم يسيران حيث اراد الله تعالى ثم يخرجان من الارض ويسيران فيها وهذا لا يمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه ثم رفع لي اي قرب واظهر لاجلي البيت المعمور وهو بيت في السما السابعة حيال الكعبة وحرمته في السما كحرمة الكعبة في الارض ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن قال ابن الملك اعلم ان اللبن لما كان ذا خلوص وبياض واول ما يحصل به تربية المولود صور به في العالم القدس مثل الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية وهي الاستعداد للسعادات الابدية اولها انقياد الشرع واخرها الوصول الى السعادة فقال هي الفطرة انث مرجع اللبن مع انه المذكر مراعاة للخبر انت عليها وامتك اي عليها وامتك اي عليها او كذلك ثم بعد وصوله الى مقام دني فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فرضت علي الصلاة وفي الحديث الاتي على امتي ولا منافاة خمسين صلاة بتقدير اعني وقوله كل يوم اي وليله ظرف فرجعت فمررت على موسى اي بعد ابراهيم فقد روى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال لقيت ابراهيم ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقال اي موسى بما امرت من العبادة قال امرت بخمسين صلاة اي اقلها ركعتان قال ابن الملك وقيل كانت كل صلاة على ركعتين الا انه يرد ان من قال على صورة يلزمه ركعتان بكل يوم يحتمل اختصاصه بالنهار والاظهر ان المراد كل يوم وليلة لما سياتي من قوله خمس صلوات في كل يوم وليلة ويكون من باب الاكتفاء للظهور والاستغنا قال ان امتك لا تستطيع قيده بالامة لان قوة الانبيا وعصمتهم يمنعهم عن المخالفة ويعينهم على الموافقة في الطاعة ولو على اقصى غاية المشقة

ذا الطاقة والمعنى لا تقدر امتك عادة او سهولة لضعفهم او كسلهم خمسين صلاة
اي اداءها كل يوم ثم بين عذرها استعطافا عنهم بقوله واني والله قد جربت الناس اي
زاولت ومارست الاقوياء من الناس قبلك اي قبلي ولقيت الشدة فيما اردت منهم
وعالجت بني اسرائيل اي بالخصوص اشد المعالجة اي ولم يقدروا على مثل ذلك
فكيف امتك فارجع الى ربك فسئله امر من سال مهموزا او مبدلا او منقولا
نسختان مقلوبتان وقرانان صحيحتان اي فاطلب التخفيف لامتك فرجعت
اي الى ربي فوضع عني عشرا وهو محمول على الامثل وسياتي انه وضع عنه خمسا وكانه كان
اولا ثم صار عشرا او عشرا عن الخمسين بالعشر فاقتصار او اختصار فرجعت الى موسى
فقال مثله اي مثل مقالته الاولى فرجعت اي ثانيا فوضع عني عشرا فرجعت الى
موسى فقال مثله فرجعت اي ثالثا فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت اي خامسا فامرت بخمس صلوات كل يوم اي وليلة ولعل الاكتفاء به
للتغليب حيث اكثر الصلوات فيه او لان الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة
وليالي ايام النحر فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت امرت بخمس صلوات كل يوم
قال ان امتك اي اكثرهم لا يستطيع خمس صلوات اي مواظبتها ومداومتها ومحافظتها
كل يوم واني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اي ولم يستطيعوا ما دون
ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قال الخطابي مراجعة الله في باب الصلوات
انما جازت من رسولنا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام لانهما عرفا ان الاول غير
واجب قطعا لما صدرت منهما المراجعة قصدا والمراجعة دليل على ان ذلك غير
واجب قطعا لان ما كان واجبا قطعا لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي وتبعه ابن
الملك واقول وما لم يكن واجبا لا يحتاج الى سؤال التخفيف قطعا فالصحيح ما قيل
انه نسخ في الاول من خمسين ثم رحم عباده ونسخها بخمس كآية الرضاع عند بعض وعدة
المتوفى عنها زوجها على قول وقيل دليل على انه يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه كما قال
به الاكثرون وهو الصحيح وخالفت المعتزلة وبعض العلماء لا يجوز ذكره النووي قال
اي النبي صلى الله عليه وسلم سالت ربي اي التخفيف حتى استحييت اي من كثرته
وفي نسخة بياء واحدة فهما لغتان والثانية تخفيف للاولى بالنقل والحذف
والمعنى فلا ارجع لطلب التخفيف وان كان الظن في الامة ان لا يستطيعوا دوام
المحافظة ولكني ارضى اي بما قضى ربي واسلم اي امر ربي وامرهم الى الله
وانقاد لما حكم قال الطيبي فان قلت حق لكن ان يقع بين كلامين متغايرين
معنى فما وجهه هنا قلت تقدير الكلام هنا حتى استحييت فلا ارجع فاني اذا رجعت
كنت غير راض ولا مسلم ولكني ارضى واسلم انتهى ولا يخفى ان المراجعة غير منافية
للرضى والتسليم الا ما رضي بها موسى ونبينا عليهما افضل الصلاة والسلام ونوضحه

ان

ان سؤال العافية ودفع البلاء وطلب الرزق ودعاء النصر على الاعداء وامثال
ذلك كما صدر من الانبياء والاولياء لا ينافي الرضا بالقضاء ابدا ولا التسليم لما في الازل
ابدا قال اي النبي عليه السلام فلما جاوزت اي موسى وتركت المراجعة نادى مناد
اي حاكيا كلام ربي امضيت فريضتي اي احكمتها وانفذتها اولا وخففت عن عبادي
اي ثانيا وسياتي لهذا تتمة معرفتها مهمة متفق عليه ورواه النسائي وعن ثابت
البناني بضم الموحدة قبل النون الاولى تابعي من اعلام اهل البصرة وثقاتهم اشتهر
بالرواية عن انس بن مالك وصحبه اربعين سنة وروى عنه نفر عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل اي وسطاني لقوله
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه اي نظره فركبته حتى اتيت
بيت المقدس بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال ويروى بضم الميم وفتح
القاف وتشديد الدال المفتوحة فربطته بالحلقة بسكون اللام وبفتح قال
النووي هي بسكون اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكي فتحها او كسر ربط
بالتذكير ويجوز تانيثه بكسر الموحدة ويضم ففي القاموس ربطه ويربطه شده
وفي الصحاح ربطت الشيء اربطه واربطه ايضا عن الاخفش انتهى فعلم ان الضم
لغة ضعيفة ولهذا اجمع القراء على الكسر في قوله تعالى وليربط على قلوبكم ثم قوله
بها بضمير المؤنث في جميع نسخ المشكوة وهو ظاهر وفي شرح مسلم الحلقة التي يربط
له كذا هو في الاصول بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو الشيء الذي يربط
به والمعنى بالشيء الذي يربط به الانبياء اي براقهم او هذا البراق على خلاف تقدم
نعم لو كان المروي يربط الانبياء بها لوقع الاتفاق على اتحاد البراق قال ثم دخلت المسجد
اي المسجد الاقصى وهذا المقدار من الاسراء مما اجمع عليه العلماء وانما خلاف المعتزلة في
الاسراء الى السماء بناء على خرق العادة منع الخرق والالتيام لكلام الحكماء اللئام فصليت
فيه ركعتين اي تحية المسجد والظاهر ان هذه هي الصلاة التي اقتدى به الانبياء
وصار فيها امام الاصفياء ثم خرجت اي من المسجد فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن
ولعل ترك العسل هنا اقتصار الراوي فاخترت اللبن اي لما سبق فقال جبريل اخترت الفطرة
اي التي فطر الناس عليها وهو الدين القيم كما قال تعالى واشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله كل مولود يولد على الفطرة انتقالا لاسمها يفطر به المولود ويغذى من اللبن المعهود
ثم عرج بفتح العين والراء على ما ذكره النووي وتبعه السيوطي فالفاعل جبريل او
الرب الجليل بقوله بنا اي بي وبجبريل ويمكن ان يكون قوله بنا بناء على التعظيم وفي
نسخة بصيغة المجهول اي صعد بنا الى السماء وساق اي وذكر ثابت الحديث عن انس مثل
معناه اي نحو معنى الحديث السابق برواية قتادة عن انس قال اي النبي عليه السلام
او ثابت او انس مرفوعا فاذا انا بادم فرحب بي اي قال لي بعد رد سلامي مرحبا بالابن الصالح

والنبي الصالح ودعا لي بخير يحتمل ان يكون بيانا لقوله فنعم المجيء جاء وان يكون غيره
غير مبين وقال في السماء الثالثة فاذا انا بيوسف اذا هو بدل من الاول وبمعنى
بدل الاشتمال وقد اعطي شطر الحسن قال المظهر اي نصف الحسن واقول وهو يحتمل ان يكون
المعنى نصف جنس الحسن مطلقا او نصف حسن جميع اهل زمانه وقيل بعضه لان الشطر
كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقا اقول لكنه لا يلايمه مقام المدح وان
اقتصر عليه بعض الشراح اللهم الا ان يراد به بعض زائد على حسن غيره وهو اما مطلق
فيحمل على زيادة الحسن الصوري دون الملاحة المعنوي لئلا يشكل بنبينا صلى الله
عليه وسلم واما مقيد بنسبة اهل زمانه وهو الاظهر وكان الطيبي اراد هذا المعنى
لكنه اغرب في المبنى حيث عبر عنه بقوله وقد يراد به الجهة ايضا كقوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام اي جهة من الحسن وسمة منه كما يقال على وجهه
مسحة جمال اي اثر ظاهر ولا يقال ذلك الا في المدح انتهى وغرابته مما لا يخفى على
ذوي النهى هذا وقد قال بعض الحفاظ من المتأخرين وهو من مشايخنا المعتبرين
انه صلى الله عليه وسلم كان احسن من يوسف عليه السلام اذ لم ينقل ان صورته كان
يقع من ضوئها على الجدران ما يصير كالمرآة يحكي ما قابله وقد حكي ذلك عن صورة
نبينا صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى ستر عن اصحابه كثيرا من ذلك الجمال الباهر فانه لو
برز لهم لم يطيقوا النظر اليه كما قاله بعض المحققين واما جمال يوسف عليه السلام
فلم يستتر منه شيء انتهى وهو يؤيد ما قدمناه من ان زيادة الحسن الصوري ليوسف
عليه السلام كما ان زيادة الحسن المعنوي لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الاشتراك في
اصل الحسن على انه قد يقال المعنى اعطي شطر حسني فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر
اي ثابت عن انس في هذا الحديث بكاء موسى وقال في السماء السابعة اي زيادة على ما سبق
فاذا انا بابراهيم مسندا بكسر النون منصوبا على الحال في جميع نسخ المشكاة مطابقا لما
في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة وفي المصابيح مرفوع على حذف المبتدأ او قوله
ظهره منصوب على المفعولية لكلمنا سنحنين وقوله الى البيت المعمور متعلق
الى المسند واذا هو الى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
اي البيت المعمور قال الطيبي الضمير المجرور فيه عائد الى البيت المعمور اي يدخلون
فيه ذاهبين غير عائدين اليه ابد الكثرتهم ثم ذهب بي بصيغة الفاعل وفي نسخة
للمفعول اي انطلق بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في الاصول السدرة بالالف
واللام وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى كذا في شرح مسلم فاذا ورقها كآذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها اي السدرة وهو بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية
اي جاءها ونزل عليها من امر الله بيانية مقدمة او تعليلية معترضة ما غشي
اي غشيها ايماء الى قوله تعالى فغشاها ما غشى فقيل انوار اجنحة الملائكة وقيل

فراش

فراش الذهب قال القاضي ولعله مثل ما يغشى الانوار التي ينبعث منها وتتساقط
على سواقطها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها واضاءتها في نفسها او الوان لا يدري
ما هي وهو الاظهر تغيرت اي السدرة عن حالتها الاولى اي من نبتها الاعلى وهو جواب لما
فما احد من خلق الله اي من مخلوقاته وسكان ارضه وسماواته يستطيع ان ينعتها بفتح
العين اي يصفها من حسنها تعليلية نظرا لجمالها وعظمة جلالها واوحى الي ما اوحى في
ابهام الموصول او الموصوفة ايماء الى تعظيم الوحي وانه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى ففرض
على خمسين صلاة في كل يوم فنزلت الى موسى اي منتهيا اليه فقال ما فرض ربك على
امتك قلت خمسين صلاة وزيد في نسخة صحيحة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك
فسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني بلوت اي جربت بني اسرائيل وخبرتهم
اي اختبرتهم وامتحنتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على امتي اي عنهم
وعدل لتضمين التهوين فحط عني اي فوضع عن جهتي ولاجلي عن امتي خمسا اي خمس صلوات
ولعل التقدير خمسا خمسا فيوافق رواية عشرا والاظهر ان رواية عشرا اقتصار
من رواة انه خمسا ويؤيده قوله فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان
امتك لا تطيق ذلك اي المقدار الباقي ايضا فارجع الى ربك فسأله التخفيف قال
فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى قال النووي معناه بين المواضع الذي ناجيته اولا
فناجيته ثانيا وبين موضع ملاقاة موسى اولا حتى قال اي سبحانه وتعالى يا محمد انهن
خمس صلوات اي محتمة كل يوم وليلة قال الطيبي الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله هي
النفس ما حملتها تتحمل لكل صلاة اي حقيقة واعتبارا عشر اي ثواب عشر صلوات اي
حكما واعتبارا فذلك اي فمجموع ما ذكر خمسون صلاة ثم استأنف ببيان فضيلة اخرى هو
وعطيته اخرى متضمنة لهذه الجزئية المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال
من هم بحسنة اي عزم على فعلها فلم يعملها لمانع شرعي او عذر عرفي كتبت بصيغة المجهول
اي كتبت له هي الحسنة واللام بنت من اضافته الى الحسنة او من قبيل حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه له اي لعاملها حسنة بالنصب اي ثواب حسنة واحدة
قال الطيبي كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع الى قوله بحسنة وحسنة
وضعت موضع المصدر اي كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشرا وكذا سيئا منصوبان
على المصدر على ما في جامع الاصول وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر
مرفوعان وهو غلط الناسخ اقول لعله من جهة الرواية واما من طريق الدراية
فله وجه في الجملة وهو ان يكون قوله كتبت له جملة مستقلة مجملة وقوله حسنة
بتقدير هي جملة مبينة مفصلة فان عملها اي بعدما هم بها واهتم بشانها كتبت اي تلك
الحسنة المهمومة المعمولة له عشرا اي ثواب عشر حسنات لانضمام قصد القلب اي مباشرة
عمل القالب كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل التضاعف في غير الحرم

المحزون من هم بسيئة اي ولم يصر على فعلها فلم يعملها اي فتركها من غير باعث او سبب
مباح بخلاف ما اذا تركها لله لم يكتب اي تلك السيئة الموصوفة له شيئا اما لو تركها وقد
عزم على عملها فان تركها لله فلا شك انها تكتب له حسنة وان تركها لغرض فاسد فتكتب
له سيئة على ما بينته حجة الاسلام في الاحياء وصرح به كثير من العلماء فان عملها كتبت
اي له كما في نسخة صحيحة سيئة واحدة لان السيئة لا تتضاعف بخسيا لكيته كما قال
تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون اشارة الى انه هكذا عدلا كما ان
التضاعف فضلا قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي اي راجعه
في امر امتي حتى استحييت منه رواه مسلم وعن ابن شهاب اي الزهري وهو احد
الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين بالمدينة المشار اليه في فنون علوم
الشريعة سمع نفرا من الصحابة وروى عنه خلق كثير منهم قتادة ومالك بن انس عن
انس قال كان ابو ذر اي من اعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين اسلم قديما بمكة ويقال
كان خامسا في الاسلام وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه خلق
كثير من الصحابة والتابعين ذكره المؤلف يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج
بضم فاء وتخفيف راء ويشدد من الفرج والتفريج بمعنى الشق والكشف اي ازيل عن سقف
بيتي قال الطيبي فان قيل قد روى انس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم بينما انا في الحطيم او في الحجر وفي هذا الحديث قال فرج عن سقف
بيتي قلنا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان احدهما كان في اليقظة ما رواه
مالك والثاني في النوم ولعله صلى الله عليه وسلم اراد بيتي ام هانئ اذ روي ايضا
الاسرى منه فاضافه الى نفسه تارة لانه ساكنه واليها اخرى لانها صاحبته وقال
بعض المحققين الجمع بين الاقوال الواردة في هذه المواضع انه صلى الله عليه وسلم
نام عند بيت ام هانئ وبيتها عند شعب ابي طالب ففرج سقف بيتها واضاف البيت
الى نفسه لكونه يسكنه فنزل فيه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد وكان مضطجعا
وبه اثر النعاس ثم اخرجه من الحطيم الى باب المسجد فاركبه البراق ثم قوله وانا بمكة
جملة حالية للاشعار بان القضية مكية لا مدنية فنزل جبريل ففرج صدري
اي شقه ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه
اي صب ما في الطست في صدري ثم اطبقه اي غطى صدري ولام شقه ثم اخذ بيدي
فعرج بي الى السماء فلما جئت اي وصلت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء
افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم محمد فقال ارسل اليه قال
نعم فلما فتح وفي نسخة بصيغة المجهول علونا السماء الدنيا اي طلعناها اذا رجل قاعد
على يمينه اسودة جمع سواد كازمنة جمع زمان بمعنى الشخص لانه يرى اسود من

بعيد اي اشخاص من اولاده وعلى يساره اسودة اذا وفي نسخة فاذا نظر قبل يمينه
بكسر القاف وفتح الموحدة جانب يمينه ضحك اي لما يرى مما يدل على سروره ويمنه واذا
نظر قبل شماله بكى اي لما يشاهد مما يشعر بشروره وشومه فقال اي بعد السلام ورده
مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قيل ظاهره انه سال النبي صلى
الله عليه وسلم بعد ان قال له آدم مرحبا ورواه مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي
المعتمد فيحمل هذه عليها اذ ليس في هذه اداة تمنع قبل قوله لاظهر ان المشار اليه ههنا
في السؤال انما هو الاسودة واعيد ذكر آدم في الجواب ليعطف عليه مقصود الخطاب
فصح كلام الراوي قال اي جبريل هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله وفي
نسخة صحيحة وعن شماله نسم بنيه بفتح النون والسين جمع نسمة وهي الروح او النفس
ماخوذ من النسم وهو النفس ومن نسيم الصبا اي ارواح اولاده السابقين او مع شمول
اللاحقين وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالى يا بني آدم فاهل اليمين اي الاسودة
التي عن يمينه منهم اي من جملة جمع الاسودة اهل الجنة والاسودة التي عن شماله
اهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله وفي نسخة صحيحة واذا نظر عن
شماله بكى قال القاضي قد جاء ان ارواح الكفار محبوسة في سجين وارواح الابرار
منعمة في عليين فكيف يكون مجتمعة في السماء واجيب بانه يحتمل انها تعرض على آدم اوقاتا
فصادف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم وبان الجنة كانت في جهة يمين آدم
والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ويحتمل ان النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد
بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون
اليه فقوله نسم بنيه عام مخصوص والله اعلم حتى عرج بي ضبط للفاعل وقيل للمفعول
والمعنى عرج بي جبريل الى السماء الثانية وفي جامع الاصول هكذا ثم عرج بي جبريل حتى اتى
السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول اي مثل مقول الخازن
السابق قال انس فذكر اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو ذر مرفوعا وهو الاظهر انه اي النبي
عليه السلام وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم الظاهر وجودها
ويحيى ويوسف ويحتمل اسقاطهم من الرواية ولم يثبت بكسر الموحدة من الاثبات لم
يبين ابو ذر اي النبي صلى الله عليه وسلم كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء
الدنيا هذا بلا خلاف فيه وابراهيم في السماء السادسة هذا موافق لرواية شريك عن انس
والثابت في جميع الروايات غيرها ومكانه في السابعة فان قلنا بتعدد المعراج فلا اشكال
والا فالارجح رواية الجماعة لقوله فيها انه راه مسندا ظهره الى البيت المعمور وهو في السابعة
بلا خلاف ولانه قال هنا انه لم يثبت كيف منازلهم فرواية من اثبت ارجح قال ابن شهاب
اي الزهري فاخبرني ابن حزم بفتح الحاء وسكون الزاي قال المؤلف هو ابو بكر بن محمد بن عمرو
ابن حزم روى عن ابي حبة وابن عباس وعنه الزهري ثم ابوه وجده ايضا من الصحابة

حيث قال المؤلف أبوه النصاري ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر
بنجران وكان أبوه عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم على نجران وكان محمد فقيها روى عن أبيه
وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة قتل يوم الحرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وذلك
سنة ثلاث وستين أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري بفتح الحاء المهملة وتشديد
الباء الموحدة كذا في شرح السنة وفي المصابيح بالياء قال النووي هو بالحاء المهملة والباء
الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف فقيل حية بالياء المثناة تحت
وقيل بالنون والأصح ما ذكرناه وقد اختلف في اسمه فقيل عامر وقيل مالك وقيل
ثابت وقال المؤلف هو ثابت بن النعمان الأنصاري البدري وفي كنيته واسمه خلاف كثير
ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرا فذكر كنيته ولم يسمه وحبة بتشديد الباء الموحدة هو
الأكثر قتل يوم أحد كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم عرج بي حتى ظهرت أي
علوت لمستوى بفتح الواو منونا وهو المستقر وموضع الاستعلاء من استوى إذا
استعلاه وثبوت الياء بعد الواو يدل على أنه صيغة اسم المفعول واللام فيه للعلة
أي علوت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل أن يكون متعلقا
بالمصدر أي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل أن يكون بمعنى إلى قال تعالى أوحى لها أي إليها
وقيل بمعنى على أسمع فيه أي في ذلك المكان أو في ذلك المقام صريف الأقلام أي صوتها
عند الكتابة وقيل هو هنا عبارة عن الاطلاع على جريانها بالمقادير والأصل فيه صوت
البكرة عند الاستقاء يقال صرفت البكرة تصرف صريفا والمعنى إني أقمت مقاما بلغت
فيه من رفعة المحل إلى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من أمر الله وتدبيره
في خلقه وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم لأحد فيه عليه كذا حققه بعض
الشراحين من علمائنا وقال النووي المستوى بفتح الواو وقال الخطابي المراد
به المصعد وقيل المكان المستوى وصريف الأقلام بالصاد المهملة صوت ما يكتبه الملائكة
من قضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ما شاء الله تعالى من
ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد الله من أمره وتدبيره قال القاضي عياض هذا حجة لمذهب
أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ
بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات لكن كيفية ذلك وصورتها
لا يعلم إلا الله تعالى وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت
به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله وقال ابن حزم وأنس عطف على فأخبرني فهو من مقول
ابن شهاب الزهري قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي وهو لا ينافي ما سبق
من قوله ففرض علي خمسين صلاة فرجعت بذلك أي أخذا به وقاصدا العمل حتى مررت على
موسى فقال ما فرض الله ما أسقطها منه وقوله لك أي لأجلك على أمتك قلت فرض
خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك أي فسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق أي هذا الحمل

الثقيل

الثقيل فراجعني بمعنى رجعني لعله رد بي موسى يعني صار سببا لرجوعي إلى ربي
فوضع أي الله شطرها أي بعض الخمسين وهو الخمس الذي هو العشر أو العشر الذي هو الخمس
على خلاف تقدم فرجعت إلى موسى فقلت وضع شطرها فقال راجع ربك أي ارجع
إليه للمراجعة فإن أمتك لا تطيق أي ذلك كما في نسخة فرجعت أي إلى مكاني الأول
فراجعت أي فراودت الكلام وطالبت المرام مبالغا في ذلك المقام فإن المفاعلة
إذا لم يكن للمبالغة فهي للمبالغة فوضع شطرها فرجعت إليه أي إلى موسى فقال
ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك أي ما قد رهنا لك فراجعته وفي نسخة
فراجعت أي ربي فقال أي في الآخر على ما في المصابيح والمعنى فقال للنبي
صلى الله عليه وسلم في آخر المراجعات هي وفي نسخة هن خمس أي خمس صلوات
في الأداء وهي خمسون أي صلاة في الثواب والجزاء لا يبدل القول لدي يحتمل
أن يراد أني ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب وهذا القول غير مبدل أو
جعلت الخمسين خمسا ولا تبديل فيه قال الطيبي وقوله استحييت من ربي لا يناسب
المعنى قلت لا ينافيه بل يناسبه إذا حمل على ما قيل وجود المقام بعدم التبديل
فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي أي حين قال لي
لا يبدل القول لدي مع أنه لا مانع من تعدد المانع ثم انطلق بي حتى انتهى
بي بصيغة المجهول فيهما والمعنى ثم ذهب بي حتى وصل بي إلى سدرة المنتهى وغشيها
أي بالتخفيف أي والحال أنه غشيها ألوان أي من الأنوار وأصناف من أجنحة الملائكة
أو غيرها لا أدري أي الآن أو في ذلك الزمان لتوجه نظره إلى المكون دون المكان ما هي
أي حقيقة ما هي في ذلك المكان والزمان ثم أدخلت الجنة فإذا للمفاجأة فيها
جنابذ اللؤلؤ بفتح الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة جمع جنبذة بضم الجيم
والباء وهي ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة قول العامة إن الجنبذة بفتح الباء
معرب كنبذة وإذا ترابها المسك وهو أطيب الطيب وفي الحديث أنه يفوح ريح الجنة
مسيرة خمسمائة عام متفق عليه وعن عبد الله أي ابن مسعود قال لما أسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
قال شارح وهم بعض الرواة في السادسة والصواب في السابعة على ما هو المشهور
بين الجمهور من الرواة انتهى والمعنى أن إضافة السهو إلى واحد منهم أولى
ولا نرد أن علم الخلائق ينتهي إليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى وقال
النووي هكذا هو في جميع الأصول قال القاضي كونها في السابعة هو الأصح وقول الأكثر
وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى قال النووي ويمكن أن يجمع بينهما
فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة فقد علم أنها في نهاية من العظم
وقد قال الخليل السدرة في السابعة قد أظلت السموات والجنة وقد ذكر القاضي

عيانا من ان مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصل المنتهى ان يكون
اصلها في الارض فان سلم له هذا امكن حمله على ما ذكرناه اليها اي الى السدرة ينتهي
ما يعرج به من الارض اي ما يصعد به من الاعمال والارواح الكائنة في الجهة السفلى
فيقبض منها بصيغة المجهول فيه وفيما بعده ويحتمل تعدد القابض والاخذه
فيهما واليها ينتهي ما يهبط به اي من الوحي والاحكام النازلة من الجهة العليا فيقبض
منها قال اي قرا ابن مسعود او قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال اي
ابن مسعود في تفسير قوله ما يغشى فراش اي هو فراش من ذهب يحتمل ان يكون
مرفوعا وفي حكم المرفوع قال الطيبي فان قلت كيف التوفيق بين هذا وبين قوله
في غير هذا الحديث فغشيها الوان لا ادري ما هي قلت قوله غشيها في موقع
قوله اذ يغشى في ارادة الابهام والتهويل وان كان معلوما كما في قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون ثم قوله هنا فراش من ذهب بيان له اقول
الاظهر والله اعلم ان ما يغشى اشيا كثيرة ولا تحصى وما لا يمكن ان يحاط بها وينتفي
لان السدرة اذا كانت هي المنتهى فكيف يكون احاطة العلم بما فوقها مما يغشى وهو
لا ينافي ذكر بعض ما راى ولم يجمع بين سائر الروايات والاقوال فقيل يغشاها
جم غفير من الملائكة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال رايت على كل ورقة ملكا
قائما يسبح وقيل فرق من الطير الخضر وهي ارواح الانبيا وقيل غير ذلك على ان في
قوله لا ادري اشارة الى انها لا يشتبه الاعيان المشهورة المستحضرة في النفوس
الموجودة فلقت لهم بذكر نظائرها ثم اعلم ان الفراش بالفتح طير معروف ومنه قوله
تعالى كالفراش المبثوث وقد قال شارح الفراش ما تراه كصغار البق يتهافت
ويتساقط في النار وقيل يحتمل ان يكون المراد بالفراش ارواح الانبيا وهذا
لا ينافي قوله في غير هذا الحديث فغشيها الوان لا ادري ما هي لجواز ان يكون هذا
ايضا مما غشيها انتهى وتبين البون البين بين هذه الاية وبين قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم من حيث انه وقع الابهام هنا للتعظيم والعجز عن احاطته
وفي قضية فرعون اشارة الى معلومية وحقارته قال اي ابن مسعود فاعطي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تلك الليلة او في ذلك المقام الحاله ثلاثا
اي لها على ما عداها مزية كاملة اعطي الصلوات الخمس اي فرضيتها واعطي خواتيم
سورة البقرة اي اجابة دعوتها فان قلت هذا بظاهره ينافي ما ثبت في صحيح
مسلم وغيره من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم
سمع نقيضا من فوقه اي صوتا فرفع راسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل
قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب
وخواتيم سورة البقرة لن تقرا بحرف منها الا اعطيته قلت لا منافاة فان الاعطا

كان في السما من جملة ما اوحى الى عبده ما اوحى بقرينة اعطاء الصلوات الخمس في
المقام الاعلى ونزول الملك المعظم الى تعظيمها اعطي وبشارة ما خص من بين
سائر الانبيا نعم يشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية وقضية المعراج بالاتفاق
مكية فيندفع بان ثناء الخواتيم من السورة فهي مدنية باعتبار اكثرها فقد نقل
ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد ان الله تعالى تولى ايحايها بلا واسطة جبريل
ليلة المعراج فهي مكية عندهم واما الجواب على قول الجمهور ان السورة بكمالها
مدنية فقد قال التوربشتي ليس معنى اعطي انها نزلت عليه بل المعنى انه استجيب
له فيما لقن في الايتين من قوله سبحانه غفرانك ربنا الى قوله انت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين ولمن يقوم بحقها من التابعين قال الطيبي في كلامه اشعار بان
الاعطا بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة
مدنية والمعراج في مكة ويمكن ان يقال هذا من قبيل فاوحى الى عبده ما اوحى
والنزول بالمدينة من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد
القوى انتهى وحاصله انه وقع تكرار الوحي فيه تعظيما له واهتماما بشانه
فاوحى اليه في تلك الليلة بلا واسطة ثم اوحى اليه في المدينة بواسطة جبريل
وبهذا يتم ان جميع القران نزل بواسطة جبريل كما اشار اليه سبحانه بقوله نزل به
الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ويمكن ان يحمل كلام الشيخ على ان المراد هنا
بالاعطا استجابة الدعا مما اشتمل الايتان عليه وهو لا ينافي نزولها بعد الاسرا اليه
قال الطيبي وانما اوثر الاعطا لما عبر عنها بكنز تحت العرش فقد روينا عن احمد
ابن حنبل اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي وكان
لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى مقامان يغبطهما الاولون والاخرون احدهما
في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في العقبى وهو المقام المحمود دولا هنم فيهما الا
بشان هذه الامة المرحومة وغفر بصيغة المجهول لمن لا يشرك بالله من امته
شيا المقحمات بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر الحاء اي الكباير المهلكات التي تقحم
صاحبها النار ان لم ينجا وتغمده الملك الغفار والمعنى انه صلى الله عليه وسلم
وعد تلك الليلة الكاملة بهذه المغفرة الشاملة وان نزل قوله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا بعد ذلك فانه من سورة النسا وهي
مدنية ولعل عدم ذكر المشية في الحديث لظهور القضية في حكم القديم من
والحديث هذا وقال ابن حجر المراد بغفرانه انه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس
المراد انه لا تعذب امته اصلا اذ قد علم من نصوص الشرع واجماع اهل السنة
اثبات عذاب العصاة من الموحدين انتهى وفيه انه حينئذ لا يبقى خصوصية
لامته ولا مزية لملته اللهم الا ان يقال المراد به غالب هذه الامة فانها امة مرحومة

والله اعلم رواه مسلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رايتني اي والله لقد ابصرت نفسي الاتقى وعلمت ذاتي الاقدس في الحجر قائما
وقريش اي والحال ان جماعة من قريش سالني عن مسراي بفتح الميم مصدر ميمي اي
عن سيري الى بيت المقدس بالضبطين فسالتني اي قريش عن اشيا من بيت المقدس
لم اثبتها من الاثبات اي لم احفظها ولم اضبطها لاشتغالي باموراهم منها فكربت بصيغة
المفعول اي احزنت كربا كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق والمعنى
حزنا شديدا ويناسبه قوله ما كربت مثله اي مثل ذلك الكرب وفي القاموس
الكرب الحزن ياخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب قال الطيبي
كذا في المصابيح وفي شرح صحيح مسلم كربة قال النووي الضمير في قوله مثله
يعود على معنى الكربة وهو الغم والهم او الشيء قال الجوهري الكربة بالضم
الغم الذي ياخذ النفس لشدته فرفعه الله اي بيت المقدس لي اي لاجلي انظر
اليه حال والمعنى رفع الحجاب بيني وبينه لانظر اليه واخبر الناس بما اطلعت
عليه وهذا معنى كلامه مستانفا مبينا ما يسالوني بتشديد النون ويخفف
عن شيء الا انباتهم اي اخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة ولذا لم يقل ما سالوني
بصيغة الماضية وقد رايتني في جماعة من الانبيا اي مع جمع في ليلة الاسرا
كما يدل عليه السياق والسباق واللحاق وهذه الرواية غير رؤية السما بالاتفاق
ثم قيل رؤيته اياهم في السما محمولة على رؤية ارواحهم الا عيسى لانه ثبت انه
رفع بجسده وقد قيل في ادريس كذلك واما الذين صلوا معه في بيت المقدس
فيحتمل الارواح ويحتمل الاجساد بارواحها والاظهر انه صلاته لهم في بيت المقدس
كان قبل العروج قلت وقد سبق انهم احيا عند ربهم وان الله حرم على الارض
ان تاكل لحومهم ثم اجسادهم كارواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم
الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومما يؤيد تشكل الانبيا وتصورهم
على وجه الجمع بين اجسادهم وارواحهم قوله فاذا موسى قائم يصلي فان حقيقة
الصلاة ومعنى الاتيان بالافعال المختلفة انما يكون للاشباح للارواح لاسيما
وكالتصريح في المعنى المراد قوله فاذا رجل ضرب اي نوع وسط من الرجال او خفيف
اللحم على ما في النهاية جعد بفتح فسكون وفيه معنيان احدهما جعودة الجسم
وهو اجتماعه والثاني جعودة الشعر والاول اصح هاهنا لما جا في رواية ابي هريرة
انه رجل جعد الشعر كذا قاله صاحب التحرير وقال النووي يجوز ان يراد به المعنى
الثاني ايضا لانه يقال شعر رجل اذا لم يكن شديد الجعودة كانه من رجال شنوءة
وهي قبيلة مشهورة واذا عيسى قائم يصلي فيه ايما الى ان الصلاة معراج
المؤمن من حيث انها حالة حضور مع الرب وكمال القرب في الحالات وانواع الانتقالات

وهو

وهو من اعظم اللذات عند عشاق الذات والصفات اقرب الناس به شبها عروة بن
مسعود الثقفي نسبة الى ثقيف قبيلة وهذا هو اخ لعبد الله بن مسعود
كما في بعض حواشي المصابيح فانه هذلي واذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به
اختار منقبة فيه لابراهيم قال الطيبي والمعنى اكثر الناس شبها بابراهيم صاحبكم
يعني نفسه هذا من كلام ابي هريرة او من بعده اي يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله
صاحبكم نفسه وذاته اشارة الى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم رؤيته اياهم
يصلون يحتمل انها كانت في اثناء الاسراء الى بيت المقدس او في نفس المسجد الاقصى
وهو المعبد الاعلى ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله فحانت الصلاة اي دخل وقتها
ولعل المراد بها صلاة التحية او يراد بها صلاة المعراج على الخصوصية فاممتهم اي
صرت لهم اماما وكنت لهم اماما في شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض فان
قيل كيف راى موسى عليه السلام يصلي وام صلى الله عليه وسلم الانبيا في بيت
المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات فالجواب يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
راهم وصلى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا الى السماء فوجدهم فيها وان يكون اجتماعهم
وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى انتهى والاظهر انه لامنع
من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع مع ان الامور الخارقة للعادة عن الكيفية
العقلية خارجة فقد روي انه قيل للسيد عبد القادر ان قضيب البان ما يصلي
فقال لا تقولوا فان راسه دايما على باب الكعبة ساجد وتشكله بصوره المتعدده
في الاماكن المختلفة معروف عند طبقة الصوفية فكان الانبيا عليهم السلام
كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم فلما تبين
لهم اسراء سيد الانبيا الى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس
الذي هو مقر الاصفياء واقتدوا بالامام الحي الذي هو افضل رجال الطريقة ثم
تقدموا بطريق المشايعة وادب المتابعة الى السموات وتوقف كل في ما اعطاه الله
تعالى من المقامات فمر عليهم وحصل كلا بالسلام عليه وهم اظهروا الترحيب والتعظيم
لديه مع ساير الملايكة المقربين وحملة العرش والكروبيين الى ان تجاوز عن سدرة
المنتهى وانتهى الى مقام قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفواد
ما راى وهذا غاية القرب ونهاية الحب ثم بمقتضى البقاء بعد الفناء والفرقة
بعد الجمع والتدلي بعد الترقي والرجوع الى البداية بعد العروج الى النهاية للحكم
الصمدانية وللقسم الفردانية رجع على حاله من العظمة النبوية والدولة الخاتمية
واجتمع بساير الانبيا ثانيا ونزلوا معه منفردين او معه حزبين او ثنا بنا الى ان اجتمعوا
في المسجد الاقصى اخرا وصلى بهم صلاة مودع فاخرا ثم قوله فلما فرغت من الصلاة
يحتمل ان يكون قبل صعوده وان يكون بعد شهوده قال لي قائل هو جبريل او غيره من ملك

جلنيل يا محمد هذا خازن النار فسلم عليه اي تعظيما لجلال الملك لفها وتواضعا كما هو دأب الابرار فالتفت اليه اي على قصد السلام عليه فبدأني بالسلام اي لما عرف من تعظيمي المقام وآداب الكرام وقال الطيبي انما بدأ بالسلام يزيد ما استشعر من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبيا ابتداء كما سبق قلت قد سبق انه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعا له وتكريما له او لانه قائما وهم قعود على ما صرح به في ادم او لانه كان مارا وهم وقوف وهو ممتثل لشيخ التوربشتي او لانه حي وانهم في صورة الاموات والله اعلم بحقيقة الحالات رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني اي فلا تستغرب من قوله الفصل الثالث عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني اي نسبني الى الكذب قريش اي فيما ذكرته من قضية الاسرا وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما طريقه من الاشيا قمت في الحجر اي في موضع بدي في الصعود ولا يتجلى لي الشهود ثانيا فجلى الله بتشديد اللام من التجلية اي فاظهر لي بيت المقدس اي وطريقه الاقدس فطفقت بكسر الفا فتيل القاف اي فشرعت اخبرهم عن اياته اي علامات بيت المقدس وهذا لانه مما يكون من شواهدها لان النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل معجزاته وانا انظر اليه اي وكان نظري واقع عليه وحسده حاضر لديه متفق عليه

باب

في المعجزات المعجز ماخوذ من العجز الذي هو ضد القدرة وفي التحقيق المعجز فاعل العجز في غيره والله سبحانه وسميت بها لان صدق الانبيا واعلام الرسل معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتهم بمثلها والها فيها اما للمبالغة كعلامة ونسابة واما ان يكون صفة لمحذوف كاية وعلامة ذكره الطيبي الفصل الاول عن انس بن مالك ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بصيغة الافراد في اصح النسخ بنا على نهاية خصوصيته وغاية مرتبته لاسيما في هذا المقام فانه بالنسبة الى انس كالسيد والغلام نظرا الى انه الاسناد واليه الاسناد مع احتمال ان الترضية من كلام الانس وفي نسخة رضي الله عنهما جمعا بينهما لا دادحقوقهما واصل استحقاقهما قال نظرت الى اقدام المشركين على رؤسنا اي كائنا فوق رؤسنا ونحن اي انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار اللام للعهد الذهني نحو قوله تعالى اذ هما في الغار اي غار ثور للاختفا من الكفار على قصد الهجرة الى الدار قال الطيبي الغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل بيمين مكة على مسيرة ساعة بخوسية او المراد بها مدة قليلة طلع المشركون فوق الغار في طلب سيد الابرار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب دين الله وقال ايضا من كمال الاضطراب خوفا على ذلك الجناب ما رواه انس عنه فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدمه اي موضعها ابصرنا اي لتقابلنا فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما

ننزل

نزل قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ونسبة الاخراج اليهم لكونهم سببا لخروجه بامر الله اياه لحكمة اراده الله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه انتهى ولا يخفى ان القصة بالتمام هذه الرواية وفي معناه من قضية الحمامة والعنكبوت حيث اظهرهما الله في عيونهم على باب الغار تنضيد معجزه هذا وقال الطيبي معنى قوله الله ثالثهما جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى اليهما في المعية المعنوية التي اشار اليها بقوله سبحانه ان الله معنا ثم قال فان قلت اي فرق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهارون لا تخافا انني معكما قلت بينهما بون بعيد لان هو معنى قوله معكما ناصركما وحافظكما من معرة فرعون ومعنى قوله الله ثالثهما ان الله تعالى جاعلهما ثلاثة فسكون سبحانه احد الثلاثة وان كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه من النصرة والخذلان فان قلت ما الفرق بينهما بين قوله الله ثالثهما وبين قوله ثالثهما الله قلت يفيد الاول انهما مختصان بان الله ثالثهما وليس بثالث غيرهما وفي عكسه يفيد ان الله تعالى ثالثهما لا غيره ولم يكن بين العبارتين وقال اكمل الدين في شرح المشارق استشكل بان في قوله ثالثهما اطلاق الثالث على الله وهو كلام حق ليس فيه زيغ وفي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اطلاق الثالث عليه كفر وكفر القائلون به فما سبب ذلك اجيب بان في الحديث اضافة الثالث الى عدد الناقص منه بواحد وذلك بمعنى التصيير وهو مصير كل شي وفي الاية اضافة الى عدد مثله وذلك بمعنى واحد منهم تعالى وتقدس قلت وكذا زال الاشكال به من قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم حيث لم يقل ثالثهم وخامسهم ثم رفع وهم المعية المكانية بالجهة السبحانية والبنية البرهانية حيث عمم الحكم بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا الاية متفق عليه وعن البرا بن عازب صحابيان جليلان عن ابيه انه قال لابي بكر يا ابا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت من سرى لغة في اسرى بمعنى السير في الليل اي حين سافرت من مكة الى المدينة للهجرة بعد الخروج من الغار قال اسرينا ليلتنا اي جميعها ومن الغد اي وبعضه وهو نصفه كما يفيده قوله حتى قام قايم الظهيرة اي بلغت الشمس وسط السما قفي النهاية اي قام الشمس وقت الزوال من قولهم قامت به دابته اي وقفت والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط السما ابطات حركة الظل الى ان يزول فيحسب الناظر انها قد وقفت وهي سايرة لكن سيرا لا يظهر له اثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده فيقال لذلك الوقوف المشاهد قام قايم الظهيرة وخلا الطريق اي صار خاليا عن مرور

الفوائق لا يمر فيه احد تاكيد لما قبله او بيان فرفعت لنا صخرة طويلة اي اظهرت
قال الطيبي ومنه رفع الحديث وهو اذاعته واظهاره وفيه بحث لان الحديث المرفوع
خاص بما اسند الي النبي صلي الله عليه وسلم وسمي الحديث به لانه كان الرفعة بسببه
لها اي لتلك الصخرة ظل اي عظيم من صفة انه لم تات بالنا بيت ويذكر اي لم تكن
عليه الشمس اي شعاعها حينئذ فنزلنا عندها اي عند الصخرة وسويت للنبي
صلي الله عليه وسلم مكانا بيدي بصيغة التثنية اشعارا بزيادة الاهتمام
في الخدمة ينام عليه استيناف تعليل او صفة لمكانا وبسطت عليه فروة اي
وفرشت علي المكان جلدا لشعره قلت نم يا رسول الله وانا انفض ما حولك بضم
الفاء اي اتجسس الاخبار والفحص عن العدو واري هل هناك من عدو وغيره
من النفض الذي هو سبب النظافة من نحو الغبار وفي النهاية اي احرسك
واطوف هل اري طلبا يقال نفضت المكان اذا نظرت جميع ما فيه والنفضة
بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوا
او خوفا فنام وخرجت انفض ما حوله فاذا انا براع مقبل بالجر صفة راع ومعناه
جاء من قبلنا ومن جهته فذا منا قلت اي غنمك لبن قال نعم لبن قال ثم قلت
افتحلب بضم اللام ويجوز كسرها علي ما في القاموس والمغني افتحلبها لي قال نعم
فاخذ شاة فحلب في قعب بفتح القاف وسكون العين اي في قدح من خشب
مقعر كثبة بضم الكاف وسكون المثلثة ثم موحدة اي قدر حلبة من لبن وقيل ملا
القدح من اللبن تقول من لبن علي قصد التجريد او لمزيد التاكيد ومعي اداوة بكسر
الهمزة اي ظرف ماء من مطهرة او سقاية حملتها للنبي صلي الله عليه وسلم اي خاصته
او خالصة في النية وقصد الطوية يرتوي فيها قال التوربشتي روينا من الماء بالكسر
وارتويت وترويت كلها بمعني قال الطيبي فعلي هذا ينبغي ان يقال يرتوي منها لا فيها
قلت في القاموس ان في تاتي بمعني من او التقدير يرتوي من الماء فيها وقال
النووي معني يرتوي فيها جعل القدح آلة للري والسقي ومنه الراوية الابل
التي يسقي عليها الماء انتهي فعلي هذا يكون في بمعني الباء ثم قوله يشرب ويتوضا
مستانف للبيان والجملة اعني قوله ومعي الخ حالية معترضة بين قوله فحلب
وقوله فاتيت النبي صلي الله عليه وسلم اي باللبن فكرهت ان اوقظه اي انبهه
من النوم لاستغراقه فيه فوافقته بتقديم الفاء علي القاف في النسخ المصححة اي فاتيت
به حالة استيقظ او بعد من قال اي فوافقته في النوم الا ان يقال المعني فوافقته
في اجتنابه النوم لان الايقاظ نوع منه لغة لذا قال صاحب الخلاصة وفي بعض نسخ
البخاري حين استيقظ اي وافق اتياني وقت استيقاظه ويؤيده ما في بعض الروايات
فوافقته وقد استيقظ وقال شارح روي بتقديم الفاء علي القاف مع حرف حتي

اي الي وافقته فيما اختاره من النوم وهو حين التي هي الظرف بدل حتي والمعني
وافق اتياني اياه حين استيقظ وروي بتقديم القاف علي الفاء من التوقف
والمعني صبرت عليه وتوقفت في المجيء اليه حتي استيقظ فصببت من الماء اي
بعضه علي اللبن اي ليبرد حتي برد اسفله كناية عن كثرته فقلت اشرب يا رسول الله
فشرب حتي رضيت اي طاب خاطري ثم قال الم يان للرحيل من اني يأني اذا دخل وقت الشيء
والمعني الم يدخل وقت الرحيل كذا قاله شارح والاظهر في المعني الم يات وقت التحول
للرحيل وهو السير الجميل الي موضع التحمل ويطابق قوله تعالي الم يان للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله قلت بلي قال اي ابو بكر فارتحلنا بعدما مالت الشمس اي من
وسط السماء وحصل برد النهار واتبعنا بتشديد التاء الفوقية وفي نسخة بهمزة قطع
وسكون فوقية اي وقد لحقنا سراقة بن مالك بضم السين قال المؤلف في فصل
الصحابة هو سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي الكناني كان ينزل قديدا ويعد في
اهل المدينة روي عنه جماعة وكان شاعرا مجيدا فقلت اتينا بصيغة المجهول
اي اتانا العدو يا رسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه النبي صلي الله عليه
وسلم فارتطمت به فرسه اي ساخت قوائمها كما تسوخ في الرمل الي بطنها في جلد
بفتحتين اي صلب من الارض فقال اني اراكما بفتح الهمزة من الراي دعوتما علي اي بالضرر
فادعوا لي اي بالمنفعة والنجاة من المشقة فالله لكما بالرفع وفي نسخة بالنصب قال
شارح هو مرفوع بالابتدا اي فالله كفيل علي لكما الا اهم بعد ذلك لعدوكما او فالله
مستجيب والفاء للسببية ان ارد عنكما الطلب متعلق بادعوا لي لان اردا ومنصوب
بما دعل اي اسال الله لكما ان ارد عنكما الطلب اي طالب الكفار الذين طالبوكما وقال
الاشرف الجار محذوف والتقدير بان ارد وقوله فالله لكما حشو بينهما ويمكن ان يقال
والله مبتدا ولكما خبره وقوله ان ارد خبر ثان للمبتدا وقال غيره معناه فادعوا لي كيلا
يرتطم فرسي علي ان اترك طلبكما ولا اتبعكما بعد ثم دعائهما فالله لكما اي الله تعالي حافظكما
وناصركما حتي تبلغا بالسلامة الي مقصدكما ويجوز ان يكون معناه ادعوا لي حتي
انصرف عنكما فان الله تعالي قد تكفل بحفظكما عني وحبسني عن البلوغ اليكما قال
الطيبي الفاء في فالله يقتضي ما يترتب ما بعدها عليه فالتقدير ادعوا لي بان
اتخلص مما انا فيه فان تكما ان فعلتما فالله اشهد لاجلكما ان ارد عنكما الطلب ويؤيد هذا
التقدير ما في شرح السنة والله علي القسم اي اقسم بالله لكما علي ان ارد الطلب عنكما
فدعا له النبي صلي الله عليه وسلم فنجا اي فتخلص من العنا كما رجا فجعل اي فشرع في الوفا
بما وعد لا يلقي احدا اي من ورائهما الا قال كفيتم بصيغة المفعول وفي لفظ كفيتم
اي استغنيتم عن الطلب في هذا الجانب لا في كفيتم ذكر ما هنا اي ليس ها هنا احد
فما نافية علي ما ذكره بعض الشراح وقال الطيبي ما هنا بمعني الذي اي كفيتم الذي

ههنا انتهى والاول اظهر وهو اولى لما يستفاد منه التاكيد كما لا يخفى كقوله فلا يلقى
احد الاداوة اي بهذا المعنى متفق عليه قال النووي فيه فوائد منها هذه المعجزة الظاهرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفضيلة الباهرة لابي بكر رضي الله عنه من
من وجوه وفيه خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها في السفر للطهارة
والشرب وفيه فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته وعن انس قال سمع عبد الله
ابن سلام بالتخفيف اللام وهو من اجلاء الصحابة الكرام ومن اولاد يوسف عليه
السلام وكان من احبار اليهود واعلمهم بالتوراة فعلم بمقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفتح الميم والدال اي بقدومه من مكة الى المدينة وهو اي
والحال ابن سلام في ارض في بستان يخترف اي يجتني من الفواكه فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم اي فجاءه فقال اني سائلك عن ثلاث اي ثلاثة اشيا لا يعلمهن الا نبي
اي او من ياخذ منه او من كتابه لئلا يستشكل بانه كان ممن يعلمها اما مجملا او مفصلا
ولهذا اضاف رجوا انها معجزة له وعلم يقين بنبوته عنده وهو الظاهر من ايراد
الحديث في هذا الباب ويمكن ان يكون قد تحقق عنده معجزات اخر منضمة الى هذا
الجواب والله اعلم بالصواب فما اول اشراط الساعة اي علاماتها وما اول طعام
اهل الجنة وما ينزع بكسر الزاي يقال نزع الولد الى ابيه اذا اشبهه ذكره في الغريبين
فالمعنى وما يشبه الولد بالنصب الى ابيه او الى امه للتنويع ولعل المراد قومها
او اصل الشبه او الحكم غالبي عادي وفي نسخة برفع الولد والنسبة بما قال
الطيبي اي ما سبب نزوع الولد وميله الى احد الابوين فحذف المضاف وان
المصدرية من المضارع كما في قوله احضر الوغى انتهى والاظهر ما قال شارح
ومعناه اي شيء يجذب الولد الى ابيه في الشبه قال اخبرني بهن جبريل قاله
دفعا للتوهم انه سمع من بعض علماء اهل الكتاب انفا بالمد ويقصر اي هذه الساعة
اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس اي تجمعهم من المشرق الى المغرب واما
اول طعام ياكله اهل الجنة اي المسمى بنزل المعبر عنه بما حضر وهو مقدمة
بقية النعمة فزيادة كبد حوت اي طرفها وهي اطيب ما يكون من الكبد وقد نقل
انه الحوت الذي على ظهره الارض واذا جعل الارض طعمة لاهل الجنة فالحوت
كالادام للسمك كذا ذكره شارح وهو مشعر بان هذه الطعمة يوم القيامة لاهل
الجنة واذا سبق ماء الرجل اي علا وغلب ماء المراة نزع الولد بالنصب اي جذب
الرجل وماؤه الولد الى شبهه ويرفع واذا سبق ماء المراة نزعت اي جذبت المراة
الولد وفي نسخة برفع الولد والنسبة يظهر مما قال المظهر يعني اذا غلب ماء الرجل
اشبهه الولد واذا غلب ماء المراة اشبهها الولد قال الطيبي فعلى هذا التانيث
في نزعت بتاويل النسبة وقال شارح قوله نزعت اي جذبت المراة بالولد الى شبهها

لسبب

بسبب غلبت ماؤها او جذبت ماؤها فالتانيث للتانيث من المضاف اليه انتهى
واما نسبة الذكورة والانوثة فباعتبار مسابقة ماء الرجل وعكسه على ما ورد
في حديث اخر قال اي ابن سلام اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم استانف
وقال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت بضم موحدة وسكون هاء في النهاية هي جمع بهوت
من بناء المبالغة في البهتان كصبور وصبر ثم سكن تخفيفا وانهم ان يعلموا باسلامي
من قبل ان تسالهم اي عني يبهتوني بتشديد النون ويخفف اي يبهتونني كما في
بعض النسخ المصححة اي ينسبوني الى البهتان ويجعلوني مبهوتا حيران ولم يكن
اسلامي عليهم حجة واضحة البرهان فجاءت اليهود اي باحضارهم واتفاقا فيما تاهم
وابن سلام في اختفاء عنهم فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اي رجل عبد الله
فيكم اي فيما بينكم او في زعمكم او معتقدكم قالوا خيرنا وابن خيرنا اي في الحسب من العلم
والصلاح وسيدنا وابن سيدنا اي في النسب او في سائر مكارم الاخلاق قال ارايتم
اي اخبروني ان اسلم عبد الله بن سلام اي فهل تسلمون قالوا اعاذه الله من ذلك
اي معاذ الله ان يتصور هذا منه فخرج عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فقالوا شرنا اي موشرنا وابن شرنا فانتقصوه من النقص وهو
العيب قال هذا اي هذا الانتقاص هو الذي كنت اخاف اي احذره وحملته على
سوالهم تصديقا لحالهم وشهادة على مقالهم يا رسول الله رواه البخاري وعنه
اي عن انس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور اي اهل المدينة للامتحان
حين بلغنا اقبال ابي سفيان اي بالعير من الشام الى مكة وقام سعد بن عبادة
وقد قام من بين الصحابة وهو رئيس الانصار وقال كما قال مما سياتي وانما خص
بالقيام لان سبب الاستشارة اختبار الانصار لانه لم يكن بايعهم على ان يخرجوا معه
للقتال وطلب العدو وانما بايعهم على ان يمنعوه ممن قصده فلما عرض له الخروج
بعير ابي سفيان اراد ان يعلم انهم يوافقونه على ذلك ام لا فاجابوا احسن بالموافقة
التامة في هذه المرة وفي غيرها وفيه حث على استشارة الاصحاب واهل الراي والخبرة
قال الطيبي وذلك ان قريشا اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان فاعجبت المسلمين تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
بلغ مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة النجا النجا فخرج ابو جهل بجميع
اهل مكة فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة
فقال لا والله فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فاخبر ان الله وعدكم احدى
الطائفتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر
وهذا ابو جهل قد اقبل فقام سعد بن عبادة فقال يا رسول الله والذي نفسي
بيده لو امرتنا ان نخيضها بضم النون وكسر الخاء اي ندخل الدواب بطريقة المقام ودلا

لنا

المرام البحر لاخضناها قال القاضي اي لاخضناه الادخال في الماء والكناية للخيل
والابل وان لم يجر ذكرها لقرينة الحال ولو امرتنا ان نضرب اكبادها قال القاضي
ضرب الاكباد عبارة عن تكليف الدابة للسير بابلغ ما يمكن فالمعنى لو امرتنا
بالسير البليغ والسعي والسير مع الى برك الغماد اي مثلا من المواضع البعيدة
وهو بفتح الموحدة وضم الغين المعجمة ويكسران قال شارح ومنهم من يجعل كسر الغين
وكسر الباء اصح الروايتين قال النووي هو بفتح الباء واسكان الراء هو
المشهور في كتب الحديث وروايات المحدثين وقال القاضي عياض عن بعض اهل
اللغة صوابه بكسر الباء وكذا قيده شيوخ حديث ابي ذر في البخاري واتفقوا
على ان الراء ساكنة الا ما حكاه القاضي عن الاصيلي باسكانها وفتحها وهذا
غريب ضعيف والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان واصل
الحديث على ضمها واللغة على كسرها قلت رواية المحدثين ارجح وللاعتماد
اصح قال وهو موضع باقصى هجر وذكر غيره انه موضع من وراء مكة بخمس
ليال بناحية الساحل وقيل بلد باليمن ثم قوله لفعلنا جواب لو ولعل وجه
العدول عن ضربنا اكبادها اليه للايجاز وللايماء الى ان كل امر صعب كالسير
في بحر والسفر في بر لو امرتنا نفعله لفعلنا قال اي انس فندب اي دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس اي المهاجرين والانصار فانهم كانوا هم الناس
فانطلقوا حتى نزلوا بدرا وهو مشهد معروف وياتي بيانه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي لاصحابه هذا مصرع فلان اي مقتل فلان من الكفار
وهذا مهلك فلان وهذا مطرح فلان حاكيا عن سبعين منهم ويضع يده على
الارض ههنا وههنا اشارة الى خصوص تلك القطع من الارض لزيادة توضيح
المعجزة قال اي انس فما ماط اي ما زال وبعد وتجاوز احدهم اي من الكفار عن موضع
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال وهو اي والحال انه في قبة يوم بدر الحديث من جملة مراسيل الصحابة
لان ابن عباس ما حضر بدرا والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وهو
قوله اللهم انشدك بضم الشين اي اطلبك واسالك عهدك اي امانك ووعدك
اي انجازه اللهم ان تشأ اي عدم العبادة او عدم الاسلام وهلاك المومنين لا تعبد
بالجزم على جواب الشرط بعد اليوم لانه لا يبقى على وجه الارض مسلم وفيه
اشعار بان الله سبحانه لا يجب عليه شيء مع انه لا خلف في وعده ولا في وعيده
من حيث انه لا يجوز الخلف في خبره فالخوف انما هو لاحتمال استثناء مقدر وقيد
مقدر او وقت مقرر وهذا محل المرام في هذا المقام وانما تفصيل الكلام فقد قال
التوربشتي يقال نشدتك فلانا انشده نشدا اذا قلت له نشدتك الله اي سالتك بالله

وقد يستعمل في موضع السوال والعهد ههنا بمعنى الامان يريد اسالك امانك
وانجاز وعدك الذي وعدته بالنصر فان قيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
اعلم الناس بالله وقد علم ان الله سبحانه لم يكن ليعده وعدا فيخلفه فما وجه
هذا السوال قلنا الاصل الذي لا يفارق الحكم هو ان الداعية وطلبه علة
الداعي حصول المطلوب او لم يتعلق ثم ان العلم بالله يقتضي الخشية منه ولا
ترفع الخشية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما اوتوا ووعدوا وامن جهة العاقبة
فيجوز ان يكون خوفه من مانع ينشأ ذلك من قبله او من قبل امته فيحبس عنهم
النصر الموعود ويحتمل انه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت وكان على وجل من تاخر
الوقت فتضرع الى الله تعالى ليتنجز له الوعد في يومه ذلك واما ما اظهر من التضرع
فقيل الاحسن ان يقال ان مبالغة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوال
مع عظم ثقته بربه وكمال علمه كان به تشجيع الصحابة وتقوية لقلوبهم لانهم
كانوا يعرفون ان دعاءه لا محالة مستجاب لاسيما اذا بالغ فيه قلت وفيه اشعار بان
من لم يقدر على المحاربة او لم يؤمر بالمقاتلة فينبغي له حينئذ ان يدعو للنصرة
ليحصل له ثواب المشاركة فانه صلى الله عليه وسلم لما راى اصحابه تم توجهوا الى الخالق
رجع بنفسه الى الذات المطلق وراجع ربه في طلب الحق قال الطيبي المراد بالوعد
ما في قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولعله صلى الله عليه وسلم
استحضر معنى قوله تعالى ان الله لغني عن العالمين وقوله سبحانه والله هو الغني
الحميد ان يشأ يذهبكم فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك اي يكفيك ما دعوته يا رسول الله
الححت على ربك اي بالغت في السوال والجملة استيناف بيان للحال فخرج اي النبي صلى
الله عليه وسلم من قبته وهو يثب بكسر المثلثة المخففة قبل الموحدة من الوثوب اي يسرع
رجاء ونشاطا في الدرع اي حال كونه في درعه للمحافظة وعلى نيته المقاتلة وهو يقول
اي يقرأ ما نزل عليه سيهزم الجمع اي جمع الكفار ويولون اي ويريدون الدبر بضمتين
اي الظهر وقال شارح بضم الباء وسكونها ثم الجملة الثانية تاكيد للاولى ويمكن
ان يكون الهزيمة كناية عن المغلوبية فالمعنى سيغلب الجمع بل الحمل عليه اولى
مراعاة للتاسيس كما لا يخفى رواه البخاري وكذا النسائي وعنه اي عن ابن عباس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم بدر قال النووي بدر ماء معروف على نحو اربع مراحل من المدينة
بينها وبين مكة قال ابن قتيبة هو بير كانت لرجل يسمى بدرا وكانت غزوة بدر يوم
الجمعة سبع عشرة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هذا جبريل
اخذ براس فرسه عليه اي على جبريل اداة الحرب اي آلته ولعله صلى الله عليه وسلم
اظهره لانس حتى ابصره كما يشير اليه قوله هذه الاية في الاصل موضوع للمحسوس وبه
يتبين وجه ايراد الحديث في باب المعجزات رواه البخاري وعنه اي عن ابن قال بينما رجل

اي انصاري من المسلمين يومئذ يشتد اي يسرع ويعدو في اثر رجل بكسر الهمزة
وسكون المثلثة وفي نسخة بفتحتها اي في عقب رجل من المشركين امامه اذ فتح قدامه
اذ سمع اي المسلم فالحديث من مراسيل الصحابة كما يدل عليه اخره ضربة اي صوت
ضربة بالسوط فوقه اي فوق المشرك وصوت الفارس يقول اقدم بفتح الهمزة وكسر الدال
بمعنى اعزم حيزوم اي يا حيزوم وهو اسم فرسه وفي نسخة بضمهما بمعنى تقدم
قال النووي هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الاقدام قالوا وهي كلمة زجر الفرس
اقول فكانه يومر بالاقدام فانه ليس لذي فهم الكلام واما بالنسبة الى فرس الملك
فيمكن حمله على الحقيقة او على حذف المادة ويؤيده الندا باسمه والله اعلم ثم قال
وقيل بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم والاول اشهرها وحيزوم اسم
فرس الملك وهو منادى بحذف حرف الندا وقال شارح سمي باقوى ما يكون من الاعضاء
منه واشد ما يستظهر به الفارس في ركوبه منه وهو وسطه الصدر وما يضم
عليه الحزام قلت ويمكن ان يكون فيعول للمبالغة من مادة الحزم وهو شدة
الاحتياط في الامر اذ نظر اي المسلم الى المشرك امامه خر مستلقيا اي سقط
على قفاه فاذا هو اي المشرك قد خطم بضم الخاء المعجمة من الخطم وهو الاثر على الانف
فقوله انفه للتاكيد ايماء الى التجريد وقال شارح للمصابيح اي كسر فظهر اثره انتهى
وهو يشعر بان رواية المصابيح بالحاء المهملة كما لا يخفى والحاصل انه جرح
انفه وشق وجهه اي قطع طولا كضربة السوط فاخضر ذلك اجمع بتشديد الراء
اي صار موضع الضرب كله اخضر او اسود فان الخضرة قد تستعمل بمعنى السواد
كعكسه للمبالغة ومن قبيل الثاني قوله تعالى مدهامتان فجاء الانصاري فحدث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت فيه ان هذا الكشف كرامة للصحابي
وكرامة الاتباع بمنزلة معجزة المتبوع لاسيما ووقوعه في حضرته وحصوله لاجل
بركته او بيان اخبار الصحابي وملونته بنقل الصحيح مما يدل على نزول الملك
للمعاونة وقد صدقه الصادق المصدوق هذه المقالة فيصح عده من المعجزة
ثم في قوله ذلك من مدد السما الثالثة تنبيه على ان المدد كان من السموات كلها
وهذا من الثالثة خاصة فالاشارة الى الملك في ذلك وهو مبتدا خبره ما بعده
واغرب الطيبي حيث اعرب وجعل ذلك مفعول صدقت وقال اشارة الى المذكور
من قوله سمع ضربة الخ فقتلوا اي المسلمون يومئذ سبعين واسروا سبعين
وفي نسخة على بناء المفعول فيهما فضميرهما راجع الى المشركين رواه مسلم وعن
سعد بن ابي وقاص قال رايت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد
رجلين الظاهر انهما على سبيل التوزيع بان يكون كل منهما على جانب منه والا لكانوا اربعة
عليهما ثياب بيض يقاتلان كاشد القتال الكاف زائدة للتاكيد ذكره الطيبي ولا

يظهر

يظهر وجه كونه للتاكيد والاظهر ان معناه قتالا مثل اشد قتال رجال الانس ما رايتهما
قبل ولا بعد اي فيتعين انهما من الملائكة وقوله يعني جبريل وميكائيل من قول
الراوي ادرجه بيانا ولعله عرف ذلك من دليل رواه البخاري وعن البراء قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطا قال شارح الرهط ما دون العشرة من الرجال ليس
فيهم امراة وفي القاموس الرهط ويحرك من ثلاثة او سبعة الى عشرة او ما دون العشرة
او ما فيهم من امراة ولا واحد له من لفظه الى ابي رافع قال القاضي كنيته ابو الحقيق اليهودي
اعدى عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة عهده ونقض له بالهجاء وتحصن عنه
بحصن كان له فبعثهم اليه ليقتلوه فدخل عليه عبد الله بن عتيك اي في صفة
قتاله فوضعت السيف في بطنه حتى اخذ في ظهره قال الطيبي عداه بفي على شدة
التمكن واخذه منه كل ماخذ واليه اشار بقوله حتى اخذ في ظهره فعرفت اي قتله
فجعلت افتح الابواب ولعله بعد فتحها او لا ردها حفظا وراءه او طلع عليه من طريق
اخر حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي اي على ظن اني وصلت الارض فوقعت
اي سقطت من الدرجة في ليلة مقمرة بضم الميم الاولى وكسر الثانية اي مضيئة
قال الطيبي يعني كان سبب وقوعه على الارض ان ضوء القمر وقع في الدرج ودخل
فيه فحسب ان الدرج مساو للارض فوقع منه على الارض فانكسرت ساقي فعصبتها
بتخفيف الصاد وتشدد للمبالغة والتكثير اي شددتها بعمامة بكسر العين فانطلقت
الى اصحابي اي من الرهط الواقفين اسفل القلعة فانتهيت الى النبي صلى الله
عليه وسلم اي مع اصحابي فحدثته اي بما جرى لي وعلي فقال ابسط رجلك اي مدها فبسط
رجلي فمسحها فكانما لم اشتكها قط اي كانها لم تتوجع ابدا رواه البخاري وعن جابر
قال انا اي نحن معاشر الاصحاب كنا يوم الخندق نحفر اي الارض حول المدينة بيننا
وبين الاعداء فعرضت اي ظهرت في عرض الارض معارضا للمقصد كدية بضم الكاف
وسكون الدال قطعة شديدة اي صلبة لا يعمل فيها الفاس فجاوا النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل اي في الخندق وبطنه
معصوب اي مربوط بحجر اي من شدة الجوع ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا بفتح
اوله اي ماكولا ومشروبا وهو فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم
والجملة معترضة لبيان سبب ربط الحجر فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول
بكسر الميم وفتح الواو بالفارسي كلمنه قاله شارح وفي القاموس المعول بكسر الحديد ينقر
بها الجبال فضرب فعاد اي انقلب الحجر وصار كثيبا اي رملا اهيل اي سائلا ومنه قوله
تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا قال القاضي والمعنى ان الكدية التي عجزوا عن رضها
صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم كتلا من الارض مصبوبة
سيالا فانكفات الى امراتي اي انقلبت وانصرفت الى بيتها فقلت هل عندك شيء

أي من المأكول فإني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا بفتحتين ويسكن الثاني واقتصر
عليه القاضي وسكت عليه الطيبي أي جوعا وسمي به لأن البطن تضمر به وفي
المشارق لعياض رأيت به خمصا بفتح الميم أي ضمورا في بطنه جوع ويعبر بالخمص عن
الجوع أيضا وقال السيوطي قوله خمصا بفتح المعجمة والميم وقد تسكن ومهملة
انتهى والمراد به أثر الجوع وعلامته من ضمور البطن وصفار الوجه ويكون ذلك
من طول مكثهم ولشدة كدهم على عيشهم وافتقار غاية ذوقهم ونهاية تشوقهم فأخرجت
أي المرأة جرابا بكسر الجيم فيه صاع أي قدر صاع من شعير ولنا بهمة بفتح موحدة وسكونها
قال النووي هي الصغيرة من أولاد الضأن ويطلق على الذكر والأنثى كالشاة وفي
نسخة بهيمة وهي أصل المصابيح قال شارح له هي تصغير بهمة بفتح الباء وسكون
الهاء ولد الضأن وقيل ولد الشاة أول ما تضعه أمه وقيل السخلة وهي ولد
المعز داجن أي سمينة قاله صاحب المصابيح المواهب وفي شرح مسلم ما ألف البيت
ويؤيده ما في القاموس دجن بالمكان دجونا أقام والحمام والشاة وغيرهما ألفت وهي
داجن فذبحتها وطحنت أي المرأة الشعير وفي نسخة بصيغة المتكلم والأول أوفق
لقضاء كل من الرجل والمرأة بخدمة تليق به مع تحقق المسارعة كما يدل عليه رواية
البخاري ففرغت إلى فراغي اللحم الآن يا قل ويقال معناه أمرتها أو غيرها بالطحن
حتى جعلنا أي بالاتفاق اللحم في البرمة أي القدر من الحجر وقيل هي القدر مطلقا
وأصلها المتخذ من الحجر ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فساررته قال النووي فيه جواز
المسارة بالحاجة في حضرة الجماعة وإنما المنهي أن يناجي اثنان دون الثالث انتهى
وفيه بحث لا يخفى والأظهر أن يقال إنما يحمل النهي نوعه ضرر للجماعة فقلت يا رسول
الله ذبحنا بهيمة لنا بالتصغير هنا للتحقير في جنب عظمة الضيف الكبير وطحنت
بالوجهين صاعا من شعير والمقصود أن هذا قدر يسير وأصحابك كثير فتعال
أنت ونفر معك وهو ما دون العشرة من الرجال ويطلق على الناس كلهم على
ما في القاموس وكأنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى المعنى الثاني لما فيه من الأمر
الرباني فصاح النبي صلى الله عليه وسلم لما أن جابرا صنع سورا بضم فسكون واوا
طعاما وفي القاموس السور الضيافة فارسية شرفها النبي صلى الله عليه وسلم فحي
بتشديد الياء المفتوحة هلا بفتح الهاء ولام منونة وفي نسخة بغير تنوين
والباء في بكم للتعدية أي أسرعوا بأنفسكم إليه بضم السين عند عموم هو الطعام
الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث
صحيحة بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بالألفاظ الفارسية وهو يدل على
جوازه وأما حيهلا فهو بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن علا وقيل حيهل ومعناه
عليكم بكذا أو ادعوكم بكذا وفي القاموس بسط لهذا المبنى والمعنى ولكن اقتصرنا

علي

على ما ذكرنا بناء على أن الجوع معناه والتغطي لما هنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنزلن بضم التاء واللام برمتكم ولا تخبزن بفتح التاء وكسر الباء وضم الزاي
عجينكم حتى أجيء أي إلى بيتكم وجاء فأخرجت له أي أنا وفي نسخة بصيغة الواحدة
عجينا أي قطعة من العجين فبصق فيه قال النووي هو بالصاد في الأكثر الأصول
وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة انتهى والمعنى رمى بالبزاق فيه وبارك أي
ودعا بالبركة فيه ثم عمد بفتح الميم أي قصد إلى برمتنا فبصق أي فيها كما في نسخة
وبارك ثم قال ادعي بهمز وصل مضموم وكسر عين أمر مخاطبة من دعا يدعو أي اطلبي
خابزة قال النووي كذا جاء في بعض الأصول أي على خطاب المؤنث وهو الصحيح
الظاهر ولهذا قال فلتخبز معك يعني رواية بكسر الكاف وفي بعضها ادعوا بالواو
أي اطلبوا وفي بعضها ادع واقدحي بفتح الدال أي اغرفي من برمتكم قال التوربشتي
يقال قدحت المرق أي غرفته ومنه القدح ومع المعرفة سلك بالخطاب مسلك
التلوين فخاطب به ربة البيت قال الطيبي لعل في نسخة فلتخبز معي بالإضافة
إلى ياء المتكلم كما هو في بعض نسخ المصابيح فحمله على ما ذهب إليه وقد علم من كلام النووي
أن معي لم ترد في روايته وإذا ذهب إلى ادعي فلتخبز معك لم يكن من تلوين الخطاب
في شيء انتهى وهو غريب منه إذ مراد الشيخ أنه صلى الله عليه وسلم خاطبهم بصيغة
الجمع أولا بقوله لا تنزلن ولا تخبزن ثم قال ادعي فلتخبز معك ثم قال واقدحي من
برمتكم بالجمع بين الإفراد والجمع ثم قال ولا تنزلوها بصيغة الجمع المذكر على طريق الأول
على سبيل التغليب فأي تلوين أكثر من هذا مع أن في الالتفات إليها بالأمر الخاص إشارة
إلى أنها ربة البيت غير خارجة عن سنن الاستنقاء منه في المقام وبهذا التقرير والتحرير
تبين لك أنه لا فرق بين قوله فلتخبز معك أو معي في تلوين الكلام والله
أعلم بحقيقة المرام قال جابر وهم أي عدد أصحابه صلى الله عليه وسلم ألف أي ألف رجال
كائن في جوع ثلاثة أيام ولبث أيام فأقسم بالله لأكلوا أي من ذلك الطعام حتى تركوه
أي منفضلا وانحرفوا أي وانصرفوا وإن برمتنا لتغط بكسر الغين المعجمة وتشديد
الطاء المهملة أي لتفور وتغلي وتسمع غليانها كما هي أي ممتلئة على هيئته الأولى
فخبر هي محذوف والمعنى تغلي غليانها مثل غليان هي عليه قبل ذلك قال الطيبي
ما كافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة وهي مبتدأ والخبر محذوف أي كما هي قبل
ذلك وإن عجيننا ليخبز كما هو في الصحفة كأنه ما نقص منه شيء قال النووي قد تظاهرت
الأحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع الماء وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين
الجذع وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي
به وقد جمع العلماء أعلام من دلائل النبوة في كتبهم كالقفال الشاشي وصاحبه أبي
عبد الله الحليمي وأبي بكر البيهقي وغيرهم مما هو مشهور وأحسنها كتاب البيهقي

ولله الحمد على ما أنعم به على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلينا بإكرامه متفق عليه وعن
أبي قتادة صحابي مشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار أي ابن ياسر حين
يحفر الخندق حكاية حال ماضية فجعل يمسح رأسه أي رأس عمار عن الغبار ترحما عليه
من الأغبار ويقول بؤس بضم موحدة وسكون همزة ويبدل وبفتح السين مضافا إلى
ابن سمية وهي بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أم عمار روي فيما سلف بمكة
وعذبت لترجع عن دينها فلم ترجع وطعنها أبو جهل فماتت ذكره ابن الملك وقال غيره
كانت أمة لأبي حذيفة المخزومي زوجها ياسرا وكان حليفه فولدت له عمارا فأعتقه
أبو حذيفة أي يا شدة عمار احضري فهذا أوانك فاستعمل في حذف حرف النداء من أسماء
الأجناس وإنما يحذف من أسماء الأعلام وروي بؤس بالرفع على أنه في بعض النسخ أي
عليك بؤس ويصيبك بؤس وعلى هذا ابن سمية منادى مضاف أي يا ابن سمية
وقال شارح المعنى بأشده ما يلقاه ابن سمية من الفئة الباغية نادى بؤسه وأراد
نداءه ولذا خاطبه بقوله تقتلك الفئة الباغية أي الجماعة الخارجة على إمام
الوقت وخليفة الزمان قال الطيبي ترحم عليه بسبب الشدة التي يقع فيها
عمار من قبل الفئة الباغية يريد به معاوية وقومه فإنه قتل يوم الصفين
وقال ابن الملك اعلم أن عمارا قتله معاوية وفئته فكانوا طاغين باغين بهذا
الحديث لأن عمارا كان في عسكر علي وهو المستحق للإمامة فامتنعوا عن بيعته وحكي
أن معاوية كان يأول معنى الحديث ويقول نحن فئة باغية طالبة لدم
عثمان وهذا كما ترى تحريف إذ معنى طلب الدم غير مناسب هنا لأنه صلى الله
عليه وسلم ذكر الحديث في إظهار فضيلة عمار وذم قاتله لأنه جاء في طريق ويح
قلت ويح كلمة يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له بخلاف
ويل فإنها كلمة عقوبة تقال للذي يستحقها ولا يترحم عليه هذا وفي الجامع
الصغير برواية الإمام أحمد والبخاري عن أبي سعيد مرفوعا ويح عمار تقتله
الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار وهذا كالنص الصريح المتبادر
من البغي المطلق في الكتاب كما في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله
سبحانه فإن بغت إحداهما على الأخرى فإطلاق اللفظ الشرعي على إرادة المعنى اللغوي
عدول عن العدول وميل إلى الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه والحاصل أن
البغي بحسب المعنى الشرعي والإطلاق العرفي خص من العموم معنى الطلب اللغوي إلى
طلب الشرعي الخاص بالخروج المنهي فلا يصح أن يراد به طلب دم خليفة الزمان وهو
عثمان رضي الله عنه وقد حكي عن معاوية تأويل أقبح من هذا حيث قال إنما
قتله علي وفئته حيث حمله على القتال وصار سببا لقتله في المآل فقيل له في الجواب
فإذن قاتل حمزة هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان باعثا له على ذلك والله سبحانه

وتعالى

وتعالى حيث أمير المؤمنين بقتال المشركين والحاصل أن هذا الحديث فيه معجزات
ثلاث أحدها أنه سيقتل وثانيها أنه مظلوم وثالثها أن قاتله باغ من البغاة
والكل صدق وحق ثم رأيت الشيخ أكمل الدين قال الظاهر أن هذا أي التأويل السابق
عن معاوية وما حكي عنه أيضا من أنه قتله من أخرجه للقتال وحرضه عليه كل
منهما افتراء عليه أما الأول فتحريف للحديث وأما الثاني فلأنه ما أخرجه أحد بل
هو خرج بنفسه وماله مجاهدا في سبيل الله قاصدا لإقامة الفرض وإنما كان كل
منهما افتراء على معاوية لأنه رضي الله عنه أعقل من أن يقع في شيء ظاهر الحديث
الفساد على الخاص والعام قلت فإذا كان الواجب عليه أن يرجع عن بغيه بإطاعة
الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة فتبين بهذا أنه كان في
الباطن باغيا وفي الظاهر متسترا بدم عثمان مراعيا مرائيا فجاء هذا الحديث عليه
ناعيا وعن عمله ناهيا لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا فصار عنده كل من القرآن
والحديث مهجورا فرحم الله من أنصف ولم يتعصب ولم يتعسف وتولى الاقتصاد
في الاعتقاد دليلا يقع في جانبي سبيل الرشاد من الرفض والنصب بأن يحب جميع الآل
والصحب رواه مسلم وعن سليمان بن صرد بضم ففتح مصروفا قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم حين أجلي بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول أي تفرق وانكشف
الأحزاب عنه وهم طوائف من الكفار تحزبوا واجتمعوا لحرب سيد الأبرار في يوم
الخندق منهم قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من بني كنانة وأهل تهامة وقائدهم
أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن
حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامنهم اليهود من قريظة والنضير
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى
نزل الله تعالى النصر بأن أرسل عليهم ريح الصبا وجنودا لم تروها وهم الملائكة
وقذف في قلوبهم الرعب فقال طلحة بن خويلد الأسدي النجا النجا فانهزموا من غير قتال
وهذا معنى الإجلاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي حينئذ الآن أي فيما بعد هذا
الزمان وعبر عنه بالآن للمبالغة في البيان نغزوهم أي ابتداء ولا يغزوننا بتشديد
النون ويخفف أي ولا يغزونا كما في نسخة والمعنى لا يحاربوننا ففيه مشاكلة للمقابلة
نحن نسير إليهم أي وهم لا يسيرون إلينا وكان الأمر كما أخبر فغزاهم بعد صلح الحديبية
وفتح مكة وحصلت له الغلبة ولله الحمد والمنة قال الطيبي قوله الآن نغزوهم
إخبار بأنه قل شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا البتة بعد بل نحن نغزوهم
ونقتلهم ويكون عليهم دائرة السوء وكان كما قال فكان معجزة رواه البخاري وعن
عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح
أي عن نفسه واغتسل أي أراد أن يغتسل أتاه جبريل وهو أي النبي صلى الله عليه وسلم

أو جبريل وهو في اللفظ أقرب وفي معنى الحديث أنسب ينفض رأسه من الغبار فقال
أي جبريل قد وضعت السلاح والله ما وضعته اخرج إليهم أي إلى الكفار وأبهمهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فأين أي إلى أين أقصد وإليهم من أخرج فأشار إليه إلى بني قريظة
وهم طائفة من اليهود حول المدينة وقد نقضوا العهد وساعدوا الأحزاب فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم إليهم أي ونصره الله عليهم وكيفية نصرته وبيان قصته
في كتب السير وبعض التفاسير مبسوطة وما وقع له في كل قضية من المعجزات
مضبوطة متفق عليه وفي رواية للبخاري قال أنس كأني أنظر إلى الغبار ساطعا
أي مرتفعا في زقاق بني غنم بفتح الغين معجمة وسكون النون قبيلة من الأنصار
والزقاق بضم الزاي السكة موكب جبريل عليه السلام بالنصب على نزع الخافض على ما في
صحيح البخاري وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح وفي بعضها بالرفع والموكب بفتح
الميم وكسر الكاف جماعة ركاب يسيرون برفق على ما في النهاية حين سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة الظاهر أن ذلك الزقاق كان مما يكون من سير الناس
فيه فرؤية الغبار الساطع منه تدل على أنه من أثر جند الملائكة والغالب أن رئيسهم
جبريل عليه السلام وهو معهم أو هو مع النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فيهم إليه
لأنهم كالأتباع له وعن جابر قال عطش الناس بكسر الطاء يوم الحديبية بالتخفيف
أفصح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة أي ظرف ماء من مطهرة أو سقاية
فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه أي إلى جانب جنابه طالبين فتح الخير من بابه قالوا
استئناف بيان ليس عندنا ماء بالمد نتوضأ به ونشرب أي منه إلا ما في ركوتك أي
من الماء فما مقصورة موصولة والاستثناء يحتمل الاتصال والانقطاع ثم في القضية جملة
مطوية وهي أن من المعلوم بحسب العادة أن الركوة لم تكف الجماعة فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة أي في جوفها أو في فمها فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون أي التي
تخرج من بين صخور الجبال أو عروق الأرض قال فشربنا وتوضأنا أي جميعنا فطوبى
لهم من طهارة الظاهر والباطن من ذلك الماء الذي هو أفضل من جميع المياه المعين ه
والله الموفق والمعين قيل لجابر كم كنتم أي يومئذ حين كفاكم ولما كان هذا السؤال غير
مناسب في مقام المعجزة قال أي ولا في الجواب لو كنا مائة ألف أي مثلا لكفانا ثم
قال تتميما للفضل الخطاب كنا خمس عشرة مائة قال الطيبي عدل عن الظاهر لاحتماله
التجوز في الكثرة والقلة وهذا يدل على أنه اجتهد فيه وغلب ظنه على هذا
المقدار وقول البراء في الحديث الذي يليه هذا الحديث كنا أربع عشرة مائة كان عن
تخمين لما سبق في الفصل الثاني من باب قسمة الغنائم أن أهل الحديبية كانوا
ألفا وأربعمائة تحقيقا وقول من قال هم ألف وخمسمائة وقال الحافظ السيوطي الجمع
أنهم كانوا أربعمائة وزيادة لا يبلغ المائة فالأول ألغى الكسر والثاني جبره ومن قال

ألفا

ألفا وثلاثمائة فعلى حسب اطلاعه وقد روي ألفا وستمائة وألفا وسبعمائة وكأنه
على ضم الأتباع والصبيان ولابن مردويه عن ابن عباس كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة
وعشرين وهذا تحرير بالغ والله أعلم متفق عليه وعن البراء بن عازب قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة يوم الحديبية والحديبية
بئر بالهمز ويبدل فنزحناها أي نزعنا ماءها فلم نترك قطرة فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم أي خبر نفاد مائها فأتاها فجلس على شفيرها أي طرفها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ
ثم مضمض ودعا ثم صبه أي مجه فيها ثم قال دعوها أي اتركوها ساعة لعله للإشارة
إلى أن ساعة الإجابة قد تحققت وأن المراد بها الساعة النجومية لا اللغوية
أو المدة القليلية بحسب الإطلاقات العرفية فأرووا أي أسقوا أسقيا كاملا
أنفسهم وركابهم أي إبلهم ومركوبهم واستمروا على ذلك حتى ارتحلوا أي سافروا عنها
والظاهر أن قضية جابر متقدمة على هذه القضية وأن المعجزة في الحديبية
متكررة والعجب من الناس عموما وخصوصا أنهم ما ضبطوا هذه البئر ولا جعلوا
من البناء الكبير للخير الكثير مع أنها قريبة من مكة على طرف جدة في طريق جدة رواه
البخاري وعن عوف لم يذكره المؤلف ولعله من أتباع التابعين عن أبي رجاء عمران
ابن تميم العطاردي أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعلي وغيرهما
وعنه خلق كثير كان عالما عاملا معمرا وكان من القراء مات سنة سبع ومائة ذكره
المؤلف في التابعين عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه
وسلم فاشتكى إليه الناس العطش فنزل فدعا فلانا أي شخصا معروفا كان يسميه أبو رجاء
ونسيه عوف أي فعبر عنه بفلان ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء أي فاطلباه
فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أي راكبة بين راويتين وهي في الأصل ما يوضع
فيه الزاد وسطيحتين قال القاضي وهي نوع من المزادة يكون من جلدين قوبل أحدهما
بالآخر فسطح عليه وقال الجزري هي أصغر من المزادة فهو قوله من ماء بيان لما فيهما فجاءا
أي الطالبان بها أي بالمرأة وما معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن
بعيرها قال الطيبي الضمير الأول يجوز أن يرجع إلى المرأة أي طلبوا منها أن تنزل عن
البعير وقيل راجع إلى المزادة بمعنى أنزلوها واستنزل وأنزل بمعنى ودعا النبي
صلى الله عليه وسلم بإناء أي طلبه ففرغ بتشديد الراء أي صب فيه من أفواه المزادتين
فيه إشارة إلى ترجيحها عند الراوي ونودي في الناس اسقوا بهمزة قطع مفتوحة
وقيل بهمزة وصل مكسورة أي اسقوا أنفسكم وغيركم والمعنى خذوا الماء قدر
حاجتكم فاستقوا أي فأخذوا الماء جميعهم قال أي عمران فشربنا عطاشا بكسر أوله
جمع عطشان حال من فاعل شربنا أربعين رجلا بيان له ذكره الطيبي وقال شارح
حال من ضمير عطاشا أو شربنا حتى روينا بكسر الواو وملأنا كل قربة معنا وإداوة

اي وايمن الله نفسي لقد اقلع عنها بصيغة المجهول اي انكفت الجماعة عن تلك
المزادة ورجعوا عنها وانها اي الشان ليخيل علي بناء المفعول اي ليشبه الينا
انها اي تلك المزادة اشد ملاوة بكسر الميم وبفتح وسكون اللام فعالة من الملا
مصدر ملات الاناء منها اي من المزادة حين ابتدا اي النبي صلي الله عليه وسلم
الاخذ منها وفي نسخة ابتدي بصيغة المجهول اي الاستقا والشرب منها
والمعني انها حينئذ كانت اكثر ماء من تلك الساعة التي استقوا منها
متفق عليه وعن جابر قال سرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي نزلنا
واديا افيح اي واسعا علي ما في النهاية فذهب رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به واذا شجرتين قال الطيبي بالنصب كذا
في صحيح مسلم واكثر نسخ المصابيح وفي بعضها شجرتان بالرفع وهو معبر
فتقدير النصب فوجد شجرتين نابتتين بشاطي الوادي اي بطرفه وقال
شارح للمصابيح وروي شجرتين باضمار راي وفي شجرتين وهو ظاهر فانطلق
رسول الله صلي الله عليه وسلم الي احدهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال
انقادي علي اي للتستر علي باذن الله تعالي وقال الطيبي اي لا تعصي علي ونظيره
قوله تعالي مالك لا تامنا علي يوسف اي لم تخافنا عليه فانقادت معه كالبعير
المخشوش وهو الذي يجعل في انفه الخشاش بكسر الخاء المعجمة وهو عويدة يجعل
في انف البعير ليكون اسرع الي الانقياد كذا في النهاية الذي يصانع قائده
قال التوربشتي اي ينقاد له ويوافقه والاصل في المصانعة الرشوة
وهي ان تصنع لصاحبك شيئا ليصنع لك شيئا حتي اتي الشجرة الاخري فاخذ
بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كذلك حتي
اذا كان بالمنصف هو بفتح الميم والصاد المهملة نصف الطريق والمراد هنا
الموضع اوسط مما بينهما قال التئما اي تقاربا علي قال الطيبي هو حال اي اجتمعا
مستترين علي باذن الله فالتامتا اي حتي قضي الحاجة بينهما قال جابر فجلست احدث
نفسي اي بامر من الامور فحانت اي فظهرت مني لفتة اي التفاتة فاذا انا برسول
الله صلي الله عليه وسلم مقبلا قال الطيبي يقال حان اذا اتي وقت الشي واللفتة
فعلة من الالتفات واذا الشجرتين اي وجدتهما او رايتهما قد افترقتا فقامت كل
واحدة منهما علي ساق اي وقفت بانفرادها في مكانها ففيه معجزتان رواه
مسلم وعن يزيد بن ابي عبيد هو شيخ البخاري روي المكي بن ابراهيم عنه
وروي البخاري عن المكي وللبخاري ثلاثيات من هذه الطريق وقال المؤلف هو مولي
سلمة روي عنه يحيي بن سعيد وغيره قال رايت اثر ضربة في ساق سلمة بن الاكوع
فقلت يا ابا مسلم ما هذه الضربة قال ضربة اي هي ضربة اصابتني يوم خيبر وفي

نسخة

نسخة اصابتها اي الساق وفي نسخة اصابتها وفي نسخة اصيبها بصيغة المجهول
فقال الناس اصيب سلمة اي مات لشدة اثرها فاتيت النبي صلي الله عليه وسلم
فنفث فيه اي في موضع الضربة وفي نسخة فيها اي في نفس الضربة او في الساق
ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتي الساعة بالجر وفي نسخة بالنصب قال بعض المحققين
الساعة في اكثر نسخ البخاري بالجر علي خلاف ما جعله الكرماني فانه قال يلزم
من ظاهر العبارة الاشتكاء زمن الحكاية واجاب بان الساعة منصوب وحتي
للعطف فالمعطوف داخل في المعطوف اليه ما اشتكيتها زمانا حتي الساعة نحو
اكلت السمكة حتي راسها قلت يمكن ان يكون معناه ما وجدت اثر وجع الي الان
واما بعده فلا ادري اجده ام لا فيصدق عليه ان حكم ما بعدها خلاف ما قبلها
او المراد في الشكاية تاكد وجه بان مراده ما وجدت وجعا الي الان فلو امكن ان
يوجد وجع يكون بعد ذلك ومن المحال عادة ان يوجد وجع بعد مدة مديدة من
برئه رواه البخاري وكذا ابو داود وعن انس قال نعي النبي صلي الله عليه وسلم
زيدا اي زيد بن حارثة وجعفرا اي ابن ابي طالب وابن رواحة اي اخبر بموتهم للناس فيه
جواز النعي قبل ان ياتيهم خبرهم اي فكان معجزة وقد كانوا بارض يقال لها مؤته بميم
مضمومة ساكنة مهموزة ثم مثناة فوقية قرية بالشام وكانت في السنة الثامنة وكان
المسلمون ثلاثة الاف والروم مع هرقل مائة الف فقال تفسير وتفصيل لما قبله
اي فقال صلي الله عليه وسلم اخذ الراية اي العلم زيد اذ العادة ان ياخذ
امير العسكر فاصيب اي استشهد ثم اخذ جعفر اي الراية فاصيب اي علي تفصيل
مشهور ثم اخذ ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان بكسر الراء اي تسيلان دمعا
للثلاثة من حضر موتهم حتي اخذ الراية سيف من سيوف الله اي شجيع من شجعانه
فانه كان يعد الفا وانقطع في يده يومئذ ثمانية اسياف والاضافة للتشريف
يعني خالد بن الوليد تفسير من كلام انس او من بعده والمعني يريد النبي صلي
الله عليه وسلم بالوصف السابق خالد بن الوليد حتي فتح الله عليهم اي في يده
وزمان امارته واختلفوا هل كان قتال فيه هزيمة للمشركين حتي رجعوا غانمين
او المراد بالفتح حيازة المسلمين حتي رجعوا سالمين وعن جابر قال شهدت مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم يوم حنين بالتصغير قيل غزوة حنين كانت في شوال
سنة ثمان وحنين واد بين مكة والطايف وراء عرفات فلما التقي المسلمون
والكفار اي ووقع القتال الشديد فيما بينهم ولي المسلمون اي بعضهم من المسرعين
مدبرين اي لكن مقبلين الي سيد المرسلين وطفق اي شرع رسول الله صلي الله عليه وسلم
اي يركض بضم الكاف اي يحرك برجليه بغلته قبل الكفار بكسر القاف وفتح الباء
اي الي جهتهم وقبالتهم قال الاكمل بغلته هي التي يقال لها دلدل اهداها له فروة بن نفاثة

فقيد قبول هدية المشركين وورد انه رد بعض الهدايا من المشركين فقيل قبول الهدية
ناسخ للرد وفيه نظر لجهالة التاريخ والاكثرون على انه لا نسخ وانما قبل ممن طمع في
اسلامه ويرجون مصلحة للمسلمين ورد ممن على خلاف ذلك وانا اخذ بلجام بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها بضم الكاف وتشديد الفاء اي امنعها وعلة منعها
ارادة ان لا تسرع اي البغلة الى جانب العدو وابو سفيان قيل اسمه المغيرة بن الحارث بن
عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم آخذ بصيغة الفاعل اي ماسك بركاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نادبا وهما فقط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي عباس اي يا عباس ناد اصحاب السمرة بفتح وضم الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية
فقال عباس وكان اي العباس رجلا صيتا جملة معترضة من كلام رواة بعده والصيت
بتشديد الياء اي قوي الصوت واصله صيوت واعلال اعلال سيد فقلت اي
فناديت باعلى صوتي اين اصحاب السمرة اي لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة
وما يترتب عليها من الثمرة فقال والله لكأن بتشديد النون عطفتهم بالنصب اي رجعتهم
وفي نسخة لكأن بالتخفيف وعطفتهم بالرفع حين سمعوا صوتي عطفة البقر بالرفع
على الاول وبالنصب على الثاني على اولادها في نسخة اولاده بناء على ان رسم الجنس
يؤنث ويذكر فقالوا اي باجمعهم او واحد بعد واحد يا لبيك المنادى محذوف اي
يا قوم كقوله تعالى الا يا اسجدوا على قراءة الكسائي يا لبيك التكرار للتأكيد او
التكثير قال عباس فاقتتلوا اي المسلمون والكفار بالنصب اي معهم والدعوة
في الانصار يقولون اي والنداء في حق الانصار بخصوصهم بدل ما تقدم في حق المهاجرين
بحسب تعليمهم يا معشر الانصار يا معشر الانصار فاطلق القول واريد المصدر
على طريق قوله تعالى ومن اياته يريكم البرق وقول الشاعر احضر الوغى وتسمع بالمعيدي
ونحو ذلك قال اي العباس ثم قصرت الدعوة بصيغة المجهول اي اقتصرت والحصرت
على بني الحارث بن الخزرج اي فنودي يا بني الحارث وهم قبيلة كبيرة فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته الواو للحال اي نظر صلى الله عليه وسلم
حال كونه على بغلته وقوله كالمتطاول عليها حال من الضمير المرفوع في على بغلته اي
كالغالب القادر على سوقها وقيل كالذي يمد عنقه ينظر الى ما هو بعيد عنه
مائلا الى قتالهم وقال الطيبي هو متعلق بنظر ثم ذكر كلاما يشعر ان نسخته
فيها بعض اختصار رمحال على وفق ما في المصابيح فقال اي النبي عليه الصلاة والسلام
هذا حين بالفتح وفي نسخة بالضم الى يفتح حمي بفتح فكسر الوطيس قال ابن
الملك يجوز ان يكون هذا اشارة الى القتال وحين بالفتح ظرف له وان يكون اشارة
الى وقت القتال وحين بالرفع خبره وقال الاكمل يجوز في حين الفتح لانه مضاف
الى مبني والضم على انه خبر مبتدا وقال الطيبي هذا مبتدأ والخبر محذوف وحين

مبني

مبني لانه مضاف الى غير متمكن متعلق باسم الاشارة اي هذا القتال حين اشتد
الحرب وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب قلت الاظهر ما قيل ان هذا
مبتدا او حين خبره وبني على الفتح لاضافته الى الفعل اي هذا الزمان اشتداد الحر
ثم الوطيس شبه التنور او التنور نفسه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها
حره وفي النهاية الوطيس شبه التنور وقيل هو الضراب في الحرب وقيل هو الوطئ
الذي يطيس الناس اي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر
احد يطؤها ولم يسمع هذا الكلام من احد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من فصيح
الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق ثم اخذ حصيات فرمى بهن
وجوه الكفار ثم قال اي فقال شاهت الوجوه شاهت الوجوه ثم قال اي تفاؤلا واخبارا انهزموا
ورب محمد قال فوالله ما هو اي ليس انهزام الكفار الا ان رماهم اي سوى رميهم بحصياته اي
ولم يكن بالقتال والضرب بالسيف والطعان ويحتمل ان يكون الضمير عبارة عن
الامر والشأن ويكون هو المستثنى منه فما زلت ارى حدهم اي باسهم وحدتهم
وسيوفهم وشدتهم كليلا اي ضعيفا وامرهم مدبرا اي وحالهم ذليلا قال النووي
فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما فعلية والاخرى
خبرية فانه اخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين رواه مسلم وكذا
النسائي وعن ابي اسحاق قال المؤلف هو ابو اسحاق السبيعي الهمداني الكوفي
راى عليا وابن عباس وغيرهما وسمع البراء بن عازب وزيد بن الارقم روى عنه
الاعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية قال قال رجل اي في
رواية انه من قيس لكن لا يعرف اسمه للبراء يا ابا عمارة بضم فتخفيف فررتم اي افررتم
كما في الشمائل وفي رواية افررتم كلكم يوم حنين قالوا لا والله ما ولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لا حقيقة ولا صورة وفي العدول عن لفظ فر اي ولى حسن عبارة
ولكن خرج اي الى العدو شبان اصحابه بضم الشين وفتح الموحدة اي جماعة من الشبان
ممن ليس لهم وقار واي غاية حذارهم ولهذا عبر عنهم في رواية الشمائل بقوله ولكن
ولى سرعان الناس اي الذين يتسارعون الى الشيء من غير روية ومعرفة كاملة
كما يدل ... قوله ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة اي تلقتهم هوازن بالنبل
علينا في الشمائل لا يكاد يسقط لهم سهم على الارض فرشقوهم اي فرموهم رشقا
ما كانوا يخطئون قال النووي هذا الجواب اجابه البراء من بديع الادب لان تقدير
الكلام فررتم كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك فقال البراء
لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه جرى لهم كذا وكذا
فاقبلوا اي الشأن هناك اي في ذلك الزمان والمكان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي متحيزين اليه والمعنى انه مع هذا لا يصدق عليهم الفرار لقوله تعالى ومن يولهم

يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وقد قال صلى الله عليه وسلم انا فئتكم
قلت ذكر في الحديث السابق ولى المسلمون مدبرين وفي هذا الحديث فاقبلوا فكيف
الجمع قلت المراد به ان جمعا من المسلمين وقع لهم صورة الادبار ثم بعد توجهه
صلى الله عليه وسلم اليهم ومناداته بصياح العباس حصل لهم سعادة الاقبال
ودولة الاتصال والانتقال من صورة الفرار الى سيرة القرار ورسول الله صلى الله
عليه وسلم على بغلته البيضاء قال العسقلاني وقع عند البخاري على بغلته
البيضاء وعند مسلم من حديث العباس ان البغلة التي كانت تحته يوم حنين
اهداها له فروة بن نفاثة وهذا هو الصحيح وذكر ابو الحسن بن عبدوس
ان البغلة التي ركبها يوم حنين هي دلدل وكانت شهباء اهداها له المقوقس
يعني صاحب الاسكندرية واما التي اهداها له فروة فيقال لها فضة ذكر ذلك
ابن سعد وذكر عكسه والصحيح ما في مسلم وابو سفيان بن الحارث يقوده
اي يمشي قدامه او يقود بغلته على حذف مضاف او بتاويل المركوب وهذا الظاهر
يعارض ما تقدم من ان العباس كان اخذا باللجام وان ابا سفيان كان اخذا بالركاب
لكن يمكن حمله على سبيل التناوب او على ان تلك الحال لشدتها احتاج الى اثنين
فنزل اي النبي صلى الله عليه وسلم واستنصر اي طلب النصر والفتح لا منه كما يأتي
تتمة قصته وقال وفي نسخة فقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب بسكون الباء
فيهما على جري العادة في السجع والنظم وانما صدر هذا من مشكاة صدر النبوة
مستقيما على وزن الشعر بمقتضى طبعه الموزون من غير تعمد منه فلا يعد
ذلك شعرا قال القاضي عياض قد غفل بعض الناس وقال الرواية انا النبي
لا كذب بفتح الباء وعبد المطلب بالخفض حرصا على تغيير الرواية ليستغني
عن الاعتذار وانما الرواية باسكان الباء وقال الخطابي اختلف الناس في هذا
وما اشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
واوقاته وتاويل ذلك مع شهادة الله تعالى بانه لم يعلم الشعر وما ينبغي له
فذهب بعضهم الى ان هذا وما اشبهه وان استوى على وزن الشعر فانه اذا لم يقصد
به الشعر اذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه وانما هو اتفاق كلام يقع
احيانا فيخرج منه الشيء بعد الشيء على بعض اعاريض الشعر وقد وجد في كتاب الله
العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه انه ليس بشعر قال النووي فان قيل
كيف نسب نفسه الى جده دون ابيه وافتخر بذلك مع ان الافتخار من عمل الجاهلية
فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت شهرته بجده اكثر لان اباه قد توفي شابا قبل
اشتهاره وكان جده مشهورا شهرة ظاهرة شايعة وكان سيد اهل مكة وكان مشتهرا
عندهم ان عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر ويكون شانه عظيما

وكان

وكان اخبره بذلك سيف بن ذي يزن يعني وجماعة من الكهان وقيل ان عبد المطلب راى
رويا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مشهورا عندهم فاراد النبي صلى الله
عليه وسلم ان يذكرهم بذلك وينبههم بانه صلى الله عليه وسلم لا بد له من ظهوره على الاعداء
وان العاقبة له لتقوى نفوسهم واعلمهم ايضا انه ثابت ملازم الحرب لم يول مع من ولى
وعرفهم موضعه ليرجع اليه الراجعون واما قوله انا النبي لا كذب فمعناه انا النبي حقا
فلا افر ولا ازول وفيه دليل على جواز قول الانسان في الحرب انا فلان وانا ابن فلان يعني
اذكرني على مقتضى العادة اظهارا للشجاعة المعتادة فلا يعد من باب الريا والسمعة
ثم اي بعد ما اجتمع المسلمون ورجع الشبان المسرعون صفهم اي جعلهم صفا كانهم
بنيان مرصوص رواه مسلم وللبخاري معناه اي فالحديث متفق عليه في مواده وفي رواية
لها قال البراء كنا والله اذا احمر البأس اي اشتد الحرب من قولهم موت احمر وقال النووي احمرار
البأس كناية عن اشتداد الحرب فاستعير ذلك لحمرة الدما الحاصلة او لاشتعال نار الحرب
واشتعالها كما في الحديث الشريف الان حمي الوطيس نتقي به اي نلتجي اليه ونطلب الخلاص من
سببه وان الشجاع بفتح اوله اي البليغ في الشجاعة منا للذي يحاذي به اي يوازيه ويحاذي
منكبه بمنكبه والمعنى اذا احد لم يقدر حينئذ على التقدم عليه فاما ان يكون جبانا
فيفر عنه او شجيعا فيلوذ به ويلوذ اليه يعني اي يريد البراء الصحابي النبي صلى الله
عليه وسلم وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله سبحانه وعن سلمة بن الاكوع قال
غزونا اي الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا اي يوم حنين فولى صحابة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي بعضهم فلما غشوا على زنة رضوا والضمير للكفار اي لما قاربوا
غشيانه نزل عن البغلة فقبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به اي بالتراب
راميا وجوههم فقال دعاء او خبرا شاهت الوجوه اي تغيرت وقبحت فما خلق الله منهم
انسانا اي فما بقي منهم احد الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة والتعبير بما خلق الله
لافادة التاكيد وتقرير الحصر على وجه التابيد قال الطيبي فيه بيان المعجزة
من وجهين احدهما ايصال تراب تلك القبضة الى اعينهم جميعا وثانيهما انها بحيث
ملات عين كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وهم اربعة آلاف فيمن ضمهم
من امداد سائر العرب قلت والثالث انهزامهم بذلك كما يشير اليه قوله فولوا مدبرين
حال موكدة او مقدرة اي غير راجعين فهزمهم الله اي ونصر رسوله واستجاب
دعاءه وجمع له بين عز الجاه وحسن الحال وغنيمة المال ولذا قال وقسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم وعن ابي هريرة قال شهدنا
اي حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرجل اي في حقه وشانه ممن معه يدعي الاسلام حال او استئنافا بيانا قال النووي
اسم الرجل قزمان قاله الخطيب البغدادي وكان من المنافقين كذا في جامع الاصول

هذا من اهل النار مفعول للقول فلما حضر القتال اي وقته قاتل الرجل من اشد القتال
وكثرت به الجراح بكسر الجيم جمع الجراحة على ما في القاموس فجاء رجل اي متعجبا فقال
يا رسول الله ارايت الذي تحدثت اي اخبرني عن حال من اخبرت عنه انه من اهل النار
فانه قد قاتل في سبيل الله من اشد القتال فكثرت به الجراح اي وظاهر حاله انه
من اهل الجنة لانه قاتل في سبيل الله اشد القتال فرد عليه فقال اما انه من اهل
النار اي القول ما قلت لك وان ظهر لك خلافه لانه لا عبرة بصورة الاعمال وانما
المدار على حسن الاحوال اوخاتمة الاعمال فكاد اي قرب بعض الناس اي بعض المسلمين
ممن له ضعف في الدين وقلة معرفة بعلم اليقين يرتاب اي يشك في امره
لقوله انه من اهل النار فبينما هو اي الرجل على ذلك اي ما ذكر من سيم الحال اذ وجد
الرجل الم الجراح فاهوى بيده اي قصد ومال اي كنانته بكسر اوله اي الى جعبته
وهي ظرف سهمه فانتزع سهما اي فاخرجه فانتحر اي نحر نفسه بها اي بالمعبالة
التي مركبة في السهم وهي كمكنسة نصل عريض طويل على ما في القاموس والحاصل
انه ما ت كافرا لخبث باطنه او فاسقا بقتل نفسه فاشتد رجال من المسلمين
اي عدوا واسرعوا قاصدين ومتوجهين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله صدق الله حديثك بتشديد الدال في اكثر النسخ اي حققه وفي نسخة
بتخفيفها اي صدق في اخبارك المطابق للواقع فقد انتحر فلان وقتل نفسه عطف تفسير
وبيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر اشهد اني عبد الله ورسوله قال الشارح
هذا الكلام يقال عند الفرح فرح عليه السلام حين ظهر صدقه وقال الطيبي يحتمل تعجبا
وفرحا لوقوع ما اخبر عنه تعظيما لله تعالى وحمدا وشكرا التصديق قوله وان يكون كسر النفس
وعجبها حتى لا يتوهم انه من عنده وينصره قوله يا عبد الله يا بلال قم فاذن اي فاعلم
الناس لا يدخل الجنة الا مؤمن اي خالص احترازا عن المنافق او مؤمن كامل فالمراد دخولها
مع الفائزين دخولا اوليا غير مسبوق وان الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر اي المنافق
او الفاسق من يعمل رياء او يخلطه معصية وربما يكون عملا به سوء الخاتمة نسال
الله العافية والجملة يحتمل ان يكون داخلة تحت التاذين او استيناف بيان
الاختلاف احوال العاملين ومن نظائره من يصنف ويدرس ويعلم او يتعلم او يؤذن او يتام
او ينحو امثال ذلك كمن يبني مسجدا او مدرسة او رواية لغرض فاسد وقصد كاسد
مما يكون سببا لنظام الدين وانتظام المسلمين وصاحبه من جملة المحرومين جعلنا
الله تعالى من المخلصين بل من المخلصين رواه البخاري وكذا مسلم وفي الجامع ان الله ليؤيد
هذا الدين باقوام لا خلاق لهم رواه النسائي وابن ماجة وابن حبان عن انس واحمد والطبراني
عن ابي بكرة وفي رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال ما هم
من اهله وعن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سحره يهودي حتى

انه

انه يخيل اليه بصيغة المفعول اي ليظن انه فعل الشيء اي الفلاني مثلا وما فعله
اي والحال انه ما فعل ذلك الشيء وقيل معناه انه غلب عليه النسيان يتوهم من حيث
النسيان انه فعل الشيء الفلاني وما فعله او انه ما فعله وقد فعله وذلك في امر الدنيا
لا في الدين ونظيره ما قال تعالى في حق موسى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى اي والحال انها ما تسعى بل انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليه الشمس صارت
تخيل اليه انها تتحرك قال النووي قد انكر بعض العلماء المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منزلة النبوة لذلك وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي
ادعاه باطل لان الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق
بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فاما ما يتعلق
ببعض امور الدنيا التي لم يبعث لها فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد ان يتخيل اليه
السحر وقد قيل انه انما كان يتخيل اليه ما يخيل ولكنه لم يعتقد صحته وكانت
معتقداته على الصحة والسداد اقول ويمكن ان يعتقد صحته ما لم يتعلق
بالدين ثم ينبه عليه ويبين له صحيح الاعتقاد كما قال تعالى لموسى لا تخف انك
انت الاعلى وقيل معنى ليخيل اليه اي يظهر له من نشاطه انه قادر على اتيان النساء
فاذا دنا منهن اخذته اخذة السحر فلم يتمكن من ذلك قال النووي وكل ما جاء من انه يخيل
شيئا لم يفعله فمحمول على التخييل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن بالرسالة قال
المظهر واما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع باثباته فليس كذلك لان السحر انما يعمل
في ابدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والامراض ما يجوز على غيرهم وليس تاثير السحر
في ابدانهم باكثر من القتل وتاثير السم وعوارض الاسقام فيهم وقد قتل زكريا وابنه
وسم نبينا صلى الله عليه وسلم واما امر الدين فانهم معصومون فيما بعثهم الله عز وجل
وارصدهم له وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه ان يلحقه فسادا وتبديل
بان لا يطول ذلك لي يزول سريعا وكانه ما حل وفائدة الحلول تنبيه على انه بشر مثلكم
وعلى ان السحر تاثيره حق فانه اذا اثر في اكمل الانسان فكيف غيره حتى اذا كان
ذات يوم بالنصب ويجوز الرفع ذكره العسقلاني لكن الرفع لا يلائم قولها عندي
دعا الله ودعاه كرر للتاكيد او للتكثير اي واكثر الدعا قال الطيبي اي اعقب دعا
بدعا واستمر عليه ويدل على هذا التاويل الرواية الاخرى ثم دعا ثم دعا قال
النووي هذا دليل على استحباب الدعاء عند حصول الامور المكروهة وحسن الالتجا
الى الله تعالى ثم قال اشعرت اي اعلمت يا عائشة ان الله قد افتاني اي بين لي فيما استفتيته
اي فيما طلبت بيان الامر منه وكشفه عنه ثم بينه بقوله جاءني رجلان اي
ملكان على صورة رجلين جلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي وفي نسخة
بالتثنية ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل اي ما سبب تعبه الذي بمنزلة وجعه

قال مطبوب اي هو مسحور كنوا بالطب عن السحر كما كنوا باللديغ عن السليم قال اي الاخر ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي قيل اي بناته لقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد اي النسا او النفوس السواحر التي تعقد عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق قال القاضي وتخصيصه بالنعوذ لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بير فمرض النبي صلى الله عليه وسلم ونزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرا عليه فكان كلما قرا اية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى والظاهر ان ذلك قضية اخرى فانها مغايرة لما في هذا الحديث ونقع من لبيد والاخر من بناته والله اعلم قال اي الاخر فيماذا اي سحره في اي شي قال في مشط بضم الميم وفي القاموس المشط مثلثة وككتف وعنق وعتل ومنبر انتهى ومشاطة بضم الميم ما سقط من شعر الراس واللحية عند تسريحه بالمشط وجف طلعة ذكر بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل وطلعة ذكر على الاضافة واراد بالذكر فحل النخل قيل ويروي جب بالباء الموحدة اي داخل طلعة ذكر قال النووي الجف بضم الجيم والفاء هكذا هو في اكثر بلادنا وفي بعضها جب بالباء وهما بمعنى وهو وعاء طلع النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا اضاف في الحديث طلعة الى ذكر اضافة بيان قال فاين هو اي ما ذكر من ما سحر به قال في بير ذروان بفتح الذال المعجمة قال شارح وفي كتاب مسلم في بير ذي اروان وقيل هو الصواب لان اروان بالمدينة اشهر من ذروان وذروان على مسيرة ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار قلت فذروان اوفق في هذا المقام والله اعلم بالمرام قال النووي وفي كتاب مسلم في بير ذي اروان وكذا وقع في بعض روايات البخاري وفي معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور والاول اصح واجود وهي بير في المدينة في بستان ابي طلحة فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في اناس اي مع جمع من الصحابة اي المخصوصين الى البير فقال هذه البير التي اريتها بصيغة المفعول وكان بالتشديد ماءها نقاعة الحنا بضم النون اي لونه والمعنى ان ماءها متغير لونه مثل ما نقع فيه الحنا والنقاعة ما يخرج من المنقوع وكان نخلها رؤوس الشياطين قال التوربشتي اراد بالنخل طلع النخل وانما اضافه الى البير لانه كان مدفونا فيها واما تشبيه ذلك برؤوس الشياطين فلما صادفوه عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر وكانت العرب تعد صور الشياطين من اقبح المناظر ذهابا في الصورة الى ما يقتضيه المعنى وقيل اريد بالشياطين الحيات الخبيثات العرمات واما ما كان فان الاتيان بهذا المنظر في الحديث مسوق على نص الكتاب في التمثيل قال تعالى كانه رؤوس الشياطين فاستخرجه اي ما ذكر مما سحر به

متفق عليه وعن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن اي حاضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما قال التوربشتي القسم مصدر قسمت الشي فانقسم ويسمى الشي المقسوم وهو الغنيمة بالمصدر والقسم بالكسر الحظ والنصيب ولا وجه للمكسورة في الحديث لانه يختص بما اذا انفرد نصيب وهذا القسم كان في غنايم حنين وقسمها بالجعرانة اتاه ذو الخويصرة تصغير الخاصرة وهو رجل من بني تميم قبيلة كبيرة شهيرة ونزل فيه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فهو من المنافقين وسيجي انه من اصله يخرج الخوارج واما قول شارح هو رييس الخوارج ففيه مسامحة اذ اول ظهورهم في زمن علي كرم الله وجهه فقال يا رسول الله اعدل الظاهر انه اراد بذلك التسوية كما هو عادة اهل النفاق بان يراد بالعدل التسوية او قسمة الحق اللايق بكل احد والعدل الذي في مقابل الظلم لكنه صلى الله عليه وسلم عالم بنور النبوة او ظهور الفراسة او قرينة الحالية فانه صلى الله عليه وسلم علم بنور النبوة او ظهور الفراسة او قرينة الحالية فانه صلى الله عليه وسلم كان في اعطايه يرى قدر الحاجة والفاقة وغيرها من المصلحة فتعين انه اراد المعنى الثاني ولان التسوية في مكان ينبغي التفاضل نوع من الظلم فغضب عليه فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل قد خبت بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح الخطاب اي حرمت المقصود وخسرت على الخطاب ايضا ان لم اكن اعدل قال التوربشتي وانما رد الخيبة والخسران الى المخاطب على تقدير عدم العدل منه لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم فاذا قدر انه لم يعدل فقد جاء المعترف بانه مبعوث اليهم خاب وخسر لان الله تعالى لا يحب الخاينين فضلا من ان يرسلهم الى عباده انتهى وخلاصته انه اذا حكم ذلك القايل بانه لا يعدل فقد خاب القايل وخسر بهذا الحكم فقال عمر ايذن لي اضرب عنقه بالجزم ويجوز رفعه وفي نسخة صحيحة ان اضرب عنقه فقال دعه اي اتركه وفي شرح السنة كيف منع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتاله مع انه قال لئن ادركتهم لاقتلنهم قيل انما اباح قتلهم اذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا الناس ولم تكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم واول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله عنه وقاتلهم حتى قتل كثيرا منهم انتهى والاظهر ما ذكره الاكمل حيث قال فيه دلالة على حسن اخلاقه صلى الله عليه وسلم وانه ما كان ينتقم لنفسه لانه قال اعدل وفي رواية قال اتق الله وفي اخرى ان هذه القسمة ما عدل فيها وكل ذلك يوجب القتل اذ فيه النقص للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لو قاله احد في عصرنا الحكم بكفره وارتداده انتهى وهو كالبيان لتعليل منعه عن قتله بقوله فان له اصحابا اي اتباعا سيوجدون من نعتهم انه يحقر احدكم صلاته اي كمية وكيفية مع صلاتهم اي في جنب صلاتهم المزينة المحسنة للريا والسمعة وصيامه مع صيامهم اي في نوافل ايامهم قال شارح فيه تنبيه على انهم يصلون وانه نهى عن قتل المصلين انتهى وفيه انه ليس هذا النهي على اطلاقه بقرينة

القرآن استئناف بيان اي يداومون على تلاوته ويبالغون في تجويده وترتيله ومراعاة
مخارج حروفه وصفاته لا يجاوز تراقيهم اي حال كونهم لا يتجاوز مقروءهم على حلوقهم
وهو كناية عن عدم عملهم ونفي قبول قراءتهم قال شارح والتراقي جمع ترقوة وهي العظام
بين ثغرة النحر والعاتق يريد انه لا يتخلص عن السنتهم واذانهم الى قلوبهم وقال
القاضي لا يتجاوز قراءتهم عن السنتهم الى قلوبهم فلا تؤثر فيها او لا يتصاعد من مخرج
الحروف وحيز الصوت الى محل القبول والاثابة يمرقون بضم الراء اي يخرجون من
الدين اي من طاعة الامام او من الاسلام ويمرون عليه سريعا من غير حظ وانتفاع
به كما يمرق السهم من الرمية بتشديد الياء التحتية فعيلة بمعنى مفعول وهي
الصيد ويقال مرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر اي خروج السهم ومروره
بجميع اجزائه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم قال شارح شبههم
في ذلك بالرمية لاستيحاشهم مما يرمون به من القول النافع ثم وصف المشبه به
في سرعة تخلصه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم ليبين المعنى
المضروب له بقوله ينظر الى نصله بصيغة المجهول الى رصافه بضم الراء ويكون بدله
وهو عصب يلوى فوق مدخل النصل الى نضيه بفتح فكسر فتشديد وهو قدحه بكسر
القاف وهو ما جاوز الريش من النصل الى الفوق لانه بري حتى صار نضوا فهو مجاز باعتبار
ما كان وهو جملة معترضة من كلام الراوي لتفسير النضي ثم قوله الى قذذه
من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو جمع قذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريش
السهم قال القاضي اخرج متعلقات الفعل على سبيل التعداد لا التنسيق فلا
يوجد فيه اي في السهم او في كل واحد من المذكورات شيء اي من الفرث والدم
والحالات السهم او كل واحد منها قد سبق الفرث والدم اي مر عليهما والمعنى كما نفذ
السهم في الرمية بحيث لم يتعلق به شيء من الروث والدم كذلك دخول هؤلاء في
الاسلام ثم خروجهم منه سريعا بحيث لم يؤثر فيهم هذا وقيل المراد بالنصل
القلب الذي هو المؤثر والمتاثر فاذا نظرت الى قلبه فلا تجد فيه اثرا مما شرع فيه
من العبادة وبالرصاف الصدر الذي هو محل الانشراح بالاوامر والنواهي فلم ينشرح
لذلك ولم يظهر فيه اثر السعادة وبالنضي البدن والمعنى ان البدن وان
تحمل تكاليف الشرع من الصلاة والصوم وغير ذلك لكنه لم يحصل له منه فائدة وبالقذذ
اطراف البدن التي هي بمنزلة الالات لاهل الصناعات اي لم يحصل لها ما يحصل لاهل
السعادات آيتهم اي علامة اصحابه الكائنة فيهم الكائنة منهم رجل اسود اي ظاهرا
وباطنا احدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة بفتح الموحدة قطعة اللحم
واو للتخيير في التشبيه او للشك من الراوي تدردر بحذف احدى التاءين اي تضطرب
وتجيء وتذهب وقال الطيبي اي تحرك وترجرج مارا وجائيا انتهى وظاهره انه جعله

فعلا

فعلا ماضيا وهو خلاف ما عليه الاصول المضبوطة ويخرجون عطف على يمرقون على خير
فرقة اي في زمان خير من الناس يريد عليا واصحابه رضي الله عنهم وفي رواية على
حين فرقة بضم الفاء فعالى بمعنى في اي يظهرون في حين تشتت امر الناس واضطراب
احوالهم وظهور المحاربة فيما بينهم قال ابو سعيد اي الخدري راوي الحديث
اشهد اي احلف اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان علي
ابن ابي طالب قاتلهم وانا معه اي فهو ومن معه خير الفرقة فامر اي علي بذلك الرجل
اي بطلب ذلك الرجل الذي ابهم وعلامته فالتمس بصيغة المجهول اي فطلب واخذ
فاتي به حتى نظرت اليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته اي سابقا وفي
رواية قال ابن الملك اي بدل اتاه ذو الخويصرة في اول هذا الحديث اقبل رجل غائر العينين
اسم فاعل من الغور اي غارت عيناهما ودخلتا في راسه ناتئ الجبهة بكسر الفوقية
بعدها همزة اي مرتفعها كث اللحية بفتح فتشديد مثلثة اي كثيفها مشرف الوجنتين
اي عالي الخدين محلوق الراس اي لادعاء المبالغة في النظافة والتاكيد في قطع
التعلق وهو مخالفة ظاهرة لما عليه اكثر اصحابه صلى الله عليه وسلم من ابقاء شعر
راسه وعدم حلقه الا بعد فراغ النسك غير علي كرم الله وجهه فانه كان يحلق لكبر الما وذنشا
سببه ووجهه فقال يا محمد اتق الله اي في قسمك فقال فمن يطع الله اي يتقيه من
امتي اذا عصيته اي مع عصمتي وثبوت نبوتي فيامنني الله اي يجعلني امينا على اهل
الارض ولا تامنوني بتشديد النون وتخفيف والخطاب على وجه العتاب الذي الخويصرة
وقومه فسال له رجل وهو عمر رضي الله عنه كما سبق قتله اي تجويزه فمنعه اي لما تقدم
فلما ولى اي الرجل قال ان من ضئضئ هذا بكسر معجمتين وسكون همزتين بينهما ولهما اي من
اصله ونسبه وعقبه على ما في النهاية وقال التوربشتي من ذهب الى انهم يتولدون
منه فقد ابعد اذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة ثم ان الزمان الذي
كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول الى ان نابذ المارقة عليا رضي
الله عنه وحاربوه لا يحتمل ذلك بل معناه انه من الاصل الذي هو منه في النسب
او من الاصل الذي هو عليه في المذهب قوما يقرؤون القران لا يجاوز اي مقروءهم
حناجرهم اي ظواهرهم ولا يؤثر في بواطنهم يمرقون من الاسلام اي من كماله او من انقياد
الامام استدل به من كفر الخوارج وقال الخطابي المراد بالاسلام هنا طاعة الامام
مروق السهم اي كخروجه سريعا من الرمية اي من انتفاع بها يقتلون اهل الاسلام
اي لتكفيرهم اياهم بسبب ارتكاب الكبائر ويدعون بفتح الدال اي يتركون اهل الاوثان
اي اهل عبادة الاصنام وغيرهم لئن ادركتهم لاقتلنهم قتل عاد اراد بقتل عاد استيصالهم
بالاهلاك فان عادا لم يقتل وانما اهلكت بالريح واستؤصلت بالاهلاك فدل الحديث
على جواز القتل عند اجتماعهم وتظاهرهم ولذلك منع من قتل ذلك الرجل انتهى وفيه

ان منع قتله لم يكن لانفراده بل بسبب اخبثانه تنفذ قدره والله اعلم متفق عليه وعن
ابي هريرة قال كنت ادعو امي الى الاسلام وهي مشركة حال مؤكدة او المراد بها انها مصرة
على الشرك فدعوتها يوما اي الى الاسلام ومتابعة سيد الانام فاسمعتني في رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي في حقه وشانه ما اكره اي شيئا اكرهه من الكلام او اكره
ذكره بين الانام فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي اي من الحزن والغبن حيث
لم اقدر على تاديبها لكونها امي قلت وفي نسخة فقلت يا رسول الله ادع الله ان يهدي
ام ابي هريرة فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرجت مستبشرا اي مسرورا منشرحا
بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما صرت اي وصلت الى الباب اي باب امي فاذا هو
اي الباب مجاف اي مردود ومنه الحديث اجيفوا ابوابكم اي ردوها كذا في النهاية
فسمعت امي خشف قدمي بالتثنية وفي نسخة بالافراد اي صوتهما وقيل حركتهما
وحسهما وهو بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين ويحرك على ما في القاموس فقالت
مكانك بالنصب اي الزمه يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الماء اي تحريكه وقيل
صوته فاغتسلت ولبست درعها بكسر الدال اي قميصها وعجلت بكسر الجيم عن خمارها
اي تركت خمارها من العجلة يقال عجلت عنه تركته والمعنى انها بادرت الى فتح الباب
بعد لبس الثياب وقبل ان تلبس خمارها وهذا معنى قال الطيبي ان عجلت الفعل
متجاوزة عن خمارها ففتحت الباب اي بعد ما وقع عليها النقاب ورفع عنها الحجاب
ثم قالت يا ابا هريرة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا اي قولا خيرا او كلاما
يتضمن خيرا او التقدير وصلت يا ابا هريرة خيرا باسلام امك رواه مسلم وعنه
اي عن ابي هريرة قال انكم اي معشر التابعين وقيل الخطاب مع الصحابة المتاخرين تقولون اكثر
ابو هريرة اي الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد اي موعدنا فيظهر عنده
الصادق وكذب الكاذب لان الاسرار تنكشف هنالك وقال الطيبي اي لقاء الله الموعد
يعني به يوم القيامة فهو يحاسبني على ما ازيد وانقص لاسيما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وان اخوتي اي اخواني واصحابي من
المهاجرين كان يشغلهم بفتح الياء والغين واما الضم والكسر فلغة قليلة او رديئة
يمنعهم الصفق بفتح فسكون اي ضرب اليد على اليد عند البيع قال الطيبي هو كناية
عن العقود في البيع والشراء وان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل اموالهم
اي المواضع التي فيها نخيلهم والحاصل ان المهاجرين كانوا اصحاب تجارات والانصار
اصحاب زراعات وكنت مسكينا اي عاجزا عن مال التجارة واسباب الزراعة الزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحبته اي صحبته وخدمته حامدا على ملء بطني
قال الطيبي هو حال اي الزمه صلى الله عليه وسلم قانعا بما يملا بطني وغذاه لعلي

قانع

الله

مبالغة وفي معناه قول الشاعر: فاذ ملكت كفاف قوت فكن به ❊ فتيقنا فان المتقي
وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط اي لن يفرش احد منكم ثوبه
حتى اقضي اي افرغ مقالتي هذه كانه اشارة الى دعاء حبيب ذكره الطيبي وقيل
لانه مقالته دعاء للعصمة بالحفظ والفهم والاظهر ان المراد بها الكلام الذي كان شرع
فيه ثم يجمعه بالنصب والرفع اي يضم ثوبه الى صدره فينسى من مقالتي اي من احاديثي
شيئا ابدا قال الطيبي هو جواب للنفي على تقدير ان فيكون عدم النسيان مسببا عن المذكور
كلها واو ثم لي الثانية دلالة على ان النسيان بعد ذلك كالمحال وقوله من مقالتي
شيئا اشارة الى جنس المقالات كلها فبسطت نمرة بفتح النون وكسر الميم قال الطيبي
اي شملة مخططة من مازر الاعراب وجمعها نمار كانها اخذت من لون النمر لما فيها من
السواد والبياض حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته اي تلك ثم جمعتها
الى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته اي من جنس مقالته ذلك فان
المصدر يذكر ويؤنث او ذكرها باعتبار معناها وهو القول والكلام وقال الطيبي اشارة
الى جنس المقالة باعتبار المذكور الى يومي هذا وهو وقت رواية هذا الحديث متفق
عليه وعن جرير بن عبد الله اي البجلي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا تريحني من الاراحة وهو اعطاء الراحة اي لا تخلصني من ذي الخلصة بفتحتين وهو
بيت كان لخثعم يدعى كعبة اليمانية والخلصة اسم طاغيتهم التي كانت فيه قال
الاشرف فيه ايماء الى ان النفوس الزكية الكاملة قد يلحقها العنا مما هو على خلاف ما يليق
من عبادة غير الله تعالى وغيرها مما لا يجوز ولا ينبغي فقلت بلى وكنت لا اثبت على الخيل
بل كنت اقع عنها احيانا فذكرت ذلك اي عدم الثبوت للنبي صلى الله عليه وسلم
فضرب يده على صدري حتى رايت اي علمت اثر يده اي تاثيرها لقوة ضربها في صدري
وقال اللهم ثبته اي ظاهرا وباطنا واجعله هاديا اي لغيره مهديا بفتح وتشديد
التحتية اي مهتديا في نفسه لا يزيغ عن هديه قال فما وقعت اي سقطت عن فرسي
بعد اي بعد ذلك الدعاء او بعد ذلك اليوم فانطلق قال الطيبي هو من كلام الراوي
وقيل هو من كلام جرير ففيه التفات والمعنى فذهب جرير في مائة اي مع مائة
وخمسين فارسا من احمس اي من قوم قريش والاحمس الشجاع ففي النهاية هم قريش
ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس سموا احمسا لانهم تحمسوا في دينهم
اي تشددوا والحماسة الشجاعة والحاصل انهم كانوا متصلبين في الدين
والقتال فلا يستطيعون اي لا يرمى ولا يدخلون البيوت من ابوابها وامثال ذلك
فحرقها بالنار بتشديد الراء اي احرق جرير الخلصة وكسرها اي والطلبة منها متفق
عليه وعن انس قال ان رجلا قيل لم يعرف اسمه وقيل هو عبد الله بن ابي السرح
وقيل انه غلط فانه مات مسلما بل هو رجل كان نصرانيا فاسلم وقرا البقرة وال

عمران كان يكتب اي الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين اي
تعاد نصرانيا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الارض لا تقبله فاماته الله فدفنوه فاصبح ولفظته الارض فقالوا هذا فعل
محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فاعمقوا له في الارض ما استطاعوا
فاصبح ولفظته الارض فعلموا انه ليس من الناس فالقوه قال انس فاخبرني ابو طلحة
وهو زوج ام انس انه اي ابا طلحة اتى الارض التي مات فيها فوجده منبوذا اي مطروحا
ملقى على وجه الارض فقال ما شان هذا فقالوا دفناه مرارا فلم تقبله الارض متفق
عليه وعن ابي ايوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس اي سقطت
وغربت ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فسمع صوتا يحتمل انه سمع صوت ملائكة
العذاب او صوت يهود المعذبين او صوت وقع العذاب وعند الطبراني ما يؤيد
الثاني وكذا ظاهر ما بينه صلى الله عليه وسلم فقال يهود اي هذا يهود اي صوته يعني
صوت جماعة من اليهود تعذب في قبورها فيه اثبات عذاب القبر ومعجزة من جهة
كشف احوالهم متفق عليه وعن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر
فلما كان قرب المدينة بالنصب على نزع الخافض والخبر متعلقه اي فلما كان النبي
صلى الله عليه وسلم واصلا بقربها هاجت اي ثارت وظهرت ريح اي عظيمة تكاد ان تدفن
الراكب بكسر الفاء اي تغربه لتواريه من شدة ثورانها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثت هذه الريح بصيغة المجهول اي ارسلت لموت منافق اي في وقت موته
فقدم المدينة فاذا عظيم من المنافقين قد مات قيل هو رفاعة بن زيد والسفر
غزوة تبوك وقيل نافع والسفر غزوة بني المصطلق رواه مسلم وكذا البخاري
وعن ابي سعيد الخدري قال خرجنا اي من مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم
حتى قدمنا عسفان بضم اوله ففي القاموس عسفان كعثمان موضع على مرحلتين
من مكة وقال شارح اي رجعنا عن السفر ووصلنا عسفان موضع قريب المدينة
قال صاحب الازهار غلط بل هو على مرحلتين من مكة ذكره المغرب وغيره فاقام بها اي
بتلك البقعة او القرية ليالي اي واياما فقال الناس اي بعض المنافقين او الضعفاء
في الدين واليقين ما نحن ها هنا في شيء اي شغل وعمل او في شيء من امر الحرب وان
عيالنا لخلوف بالضم اي نساء بيوت او نساء بلا رجال يقال حي خلوف اذا لم يبق منهم الا النساء
والخلوف ايضا الحضور المتخلفون والجملة حال وقوله ما نامن عليهم اي على عيالنا
خبر بعد خبر ولعل تذكير الضمير للتغليب او تنزيلا منزلة الرجال في الجلادة
والشجاعة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم اي قولهم هذا الكلام فقال
والذي نفسي بيده ما في المدينة شعب بكسر المعجمة طريق في الجبل ولا نقب اي
طريق بين الجبلين اي ليس في المدينة ما يطلق عليه الشعب والنقب الا عليه ملكان

يحرسان بضم الراء اي يحفظانها بامر الله تعالى حتى تقدموا بفتح الدال اي ترجعوا اليها قال
الطيبي قوله عليه اي على كل واحد من الشعب والنقب والضمير في يحرسانها راجع الى
المدينة والمراد شعابها ونقبها فلا ثنت الا طرفان يراد بهما جميعها ثم قال ادخلوا فارتحلنا
واقبلنا الى المدينة اي متوجهين اليها فوالذي يحلف به اي الله سبحانه وضعنا رحالنا
اي متاعنا عن ظهور رحالنا حين دخلنا المدينة حتى اغار علينا اي معشر المدينة
بنو عبد الله بن غطفان بفتح المعجمة فالمهملة والمعنى ان المدينة حال غيبتهم عنها
كانت محروسة كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم اعجازا ولو لم يكن ما نعا من الاغارة
والتهييج علينا الا حراسة الملائكة وهذا معنى قوله وما يهيجهم بتشديد الياء
ما يثير بني عبد الله على الاغارة قبل ذلك اي قبل دخولنا المدينة شيء اي من
البواعث وقال شارح اي قبل الغارة وهو ليس بشيء رواه مسلم وعن انس قال اصاب
الناس سنة اي قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في زمانه فبينا
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول الله هلك
المال اي المواشي لانها اكثر اموالهم وهلاكها اما بتغييرها او بموتها وجاع العيال وهو
بكسر العين من يلزمه النفقة من الاهل فادع الله لنا اي متضرعا اليه فرفع يديه
اي بالسؤال لديه وما نرى اي نحن في السماء قزعة بفتح القاف والزاي اي قطعة من
السحاب فوالذي نفسي بيده ما وضعها اي يده وافراد الضمير باعتبار ارادة الجنس
حتى ثار السحاب اي سطع وظهر جنس السحاب بظهور اكما ملا امثال الجبال ثم لم ينزل عن
منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته اي ينزل ويقطر وهو يتفاعل من الحدور
ضد الصعود يتعدى ولا يتعدى انتهى والمعنى حتى تساقط المطر على لحيته وهو يدل
ان السقف قد وكف حتى نزل الماء عليه ذكره ابن الملك ولا يخفى بعده فمطرنا بصيغة
المفعول اي جاءنا المطر يومنا اي تلبية يومنا ذلك وهو يوم الجمعة ومن الغد ومن
بعد الغد يحتمل ان يكون من تبعيضية والاظهر انها ابتدائية لقوله حتى اي
الى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي اي حال او قد قام ذلك الاعرابي بعينه او غيره
من الاعراب او من غيرهم قال الحافظ العسقلاني وفي رواية ثم دخل رجل في
الجمعة المقبلة وهذا ظاهر انه غير الاول وفي رواية حتى جاء ذلك الاعرابي في الجمعة
الاخرى وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا فلعل انسا ذكره بعد ان نسيه بعد ان ذكره قلت
ويحتمل انه تردد في كون القائم الثاني هو الاول لكن غلب على ظنه تارة انه هو فعبر
عنه بالجزم وتارة انه غيره فعبر عنه بالتنكير وتارة اتى بصيغة الشك لاستواء
الامرين عنده فالشك منه لا من غيره والله اعلم فقال اي القائم يا رسول الله تهدم
بتشديد الدال اي خرب البناء وغرق المال بكسر الراء اي صار غريقا فادع الله لنا فرفع
يديه فقال اللهم حوالينا اي امطر حوالينا بفتح اللام اي في مواضع المنافع الحاصلة لنا

ثم اكده بقوله ولا علينا اي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا قال العسقلاني
اي انزل الغيث في مواضع النبات لا على الابنية يقال قعدوا حوله وحواله وحوليه
وحواليه بفتح اللام ولا يقال حواليه بكسر اللام قاله الجوهري وغيره ثم قال وفي قوله
ولا علينا بيان للمراد بقوله حوالينا ثم في ادخال الواو هاهنا معنى لطيف وذلك لانه
يقتضي ان طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه بل ليكون وقاية عن اذى
المطر فليست الواو مخلصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تاكل
بثدييها فان الجوع ليس مقصودا لعينه لكن لكونه مانعا من الرضاع باجرة اذ كانوا
يكرهون ذلك انتهى وقال بعض المحققين او اوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله
علينا نحو قوله تعالى من سبا بنبا يقين وقال الطيبي قوله ولا علينا عطف على جملة
حوالينا ولو لم تكن الواو لكان حالا اي امطر على المزارع ولا تمطر على الابنية وادي
في قوله علينا معنى المضرة كانه قيل اجعل لنا لا علينا فما يشير حكاية حال ماضية الى
ناحية اي جانب من السحاب جمع سحابة الا انفرجت اي انكشفت وتفرقت وصارت
المدينة اي جوها مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو المفرجة في السحاب والمعنى ان
المطر والغيم انكشف عما يحاذيها واحاط بما حولها بحيث صار جو المدينة مثل الجوبة
خاليا عن السحاب فحذف المضاف وهو الجو واقيم المضاف اليه مقامه كذا ذكره شارح
وقيل المعنى حتى صارت المدينة مثل الحضرة المستديرة الواسعة وصار الغيم
محيطا باطراف المدينة منكشفا عنها وسال الوادي قناة بالضم على انه بدل او بيان
للوادي وهي له غير منصرف وفي نسخة بالفتح اعني بالتقدير وفي اخرى بتنوينهما
ظرف سال قال ميرك اعرب قناة بالضم على البدل بناء على ان قناة اسم الوادي ولعله
من تسمية الشيء باسم ما جاوره اقول فالقناة اسم ارض بجنب الوادي والظاهر
انها محفورة في الارض يكون نهرا في بطنها يقال لها بالفارسية كاريز وسمي بها لطولها
المشبه بالقناة وهي الرمح وقيل هو بالنصب والتنوين على التشبيه اي سال مثل
القناة قيل ووقع في رواية البخاري حيث سال وادي قناة شهرا وصح بغير تنوين
في هذه الرواية انتهى كلامه ناقلا عن العسقلاني وقال شارح قناة نصب
على الحال من فاعل سال اي سال الوادي سائلا مثل القناة ولما كان من شان القناة
الاستمرار على الجري حسن ان يجعل حالا عن الوادي ويجوز فيه المصدر اي سيلان
القناة وقال الطيبي نصبه على الحال او المصدر على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اي مثل القناة او سيلان القناة في الدوام والاستمرار والقوة والقدر
وقال بعض المحققين قناة بفتح القاف والنون الخفيفة علم على ارض ذات
مزارع بناحية احد وواديها احد اودية المدينة المشهورة قاله الحازمي وذكر محمد
ابن الحسن المخزومي في اخبار المدينة ان اول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم

يثرب

يثرب قبل الاسلام وفيه ان الفقهاء يقولونه بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من
القنوات وليس كذلك وهو الذي جزم به بعض الشراح وقال المعنى على التشبيه اي سال
مثل القناة وعبارة البخاري حتى سال الوادي وادي قناة شهرا قال الكرماني
قناة علم موضع وقيل انه الوادي الذي عند قبر حمزة رضي الله عنه وهو ياتي من
الطائف وقيل نصب قناة على التمييز اي مقدار قناة بناء على انه تفسير قناة
بالرمح اولى منه بحفرة في الارض لانه قلما بلغ القناة في كثرة مياهها مبلغ السيل
وفيه بحث لا يخفى على ذوي النهى ولم يجئ احد من ناحية اي من حواليها المدينة الا
حدث اي اخبر بالجود بفتح الجيم وسكون الواو اي المطر الكثير وفي رواية قال
اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام بالمد وفي نسخة بكسر الهمزة جمع الاكمة وهي
التل والرابية وقيل الاكمة تجمع على اكم ويجمع الاكم على اكام كجبل وجبال ويجمع الاكام
على اكم مثل كتاب وكتب ويجمع الاكم على اكام كعنق واعناق وقال ابن الملك هو بفتح
الهمزة ممدودة وكسرها مقصورة جمع اكمة محركة وهو ما ارتفع من الارض والظراب
بكسر الظاء المعجمة اي الجبال الصغار وبطون الاودية اي الخالية عن الابنية ومنابت
الشجر اي المنابت للشجر فاقلعت اي انقلعت وفي نسخة بصيغة المجهول اي كفت السحاب
عن المطر وقيل انكشفت والتانيث لانه جمع سحابة يقال اقلع المطر انقطع وفي القاموس
اقلعت عنه الحمى تركته والاقلاع عن الامر الكف وفي المشارق اقلع المطر كف ومنه
قوله تعالى يا سماء اقلعي انتهى وتبين ان صيغة المفعول من رواية المجهول
والله اعلم وخرجنا نمشي في الشمس قال النووي فيه استحباب طلب انقطاع
المطر عن المنازل والمرافق اذا كثر وتضرروا به ولكن لا يشرع له صلاة ولا اجتماع
في الصحراء متفق عليه وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
استند الى جذع نخلة بكسر الجيم اي اصلها وساقها من سواري المسجد جمع سارية
بمعنى الاسطوانة فلما صنع له المنبر بصيغة المفعول فاستوى عليه اي قام
صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق اي بنصفين
او قطعا فنزل النبي صلى الله عليه وسلم اي ومشى اليها حتى اخذها اي بيده
فضمها اليه اي الى نفسه صلى الله عليه وسلم وعانقها تسلية فجعلت اي طفقت
الاسطوانة او جذع النخلة والتانيث من المضاف اليه تئن انين
الصبي الذي يسكت بتشديد الكاف المفتوحة اي مثل انينه حتى استقرت
اي سكنت وسكتت قال اي النبي صلى الله عليه وسلم في سبب بكائها بكت على ما كانت
تسمع من الذكر اي على فوته وفوت قرب الذاكر رواه البخاري وعن سلمة بن الاكوع
ان رجلا قال التوربشتي يقال له بسر بن راعي العير وقيل بسر بالسين المهملة وهو
من الصحابة وضبط في الاذكار العير بفتح العين وبالياء المثناة من تحت وقال هو

صحابي أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع
قال لا استطعت دعا عليه لأنه كذب في اعتذاره ما منعه أي من قبول الحق
وقال شارح أي من أكل باليمين إلا الكبر أي لا العجز قال الطيبي هو قول الراوي ورد
استئنافا فالبيان موجب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مكان فإن قلت الدعاء عليه
بلا استطعت وهو رحمة للعالمين فأجيب بأنما منعه من الأكل باليمين العجز
بل منعه الكبر قال أي سلمة فما رفعها أي الرجل يمينه إلى فيه أي فمه بعد ذلك
لدعائه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن أنس أن أهل المدينة فزعوا بكسر الزاي
أي خافوا من إتيان العدو مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا أي عريانا
لأبي طلحة بطيئا أي في الجري والمشي وكان أي الفرس يقطف بكسر الطاء أي يمشي
مشيا ضعيفا ذكره شارح وقال الطيبي أي تقارب خطاه فلما رجع أي النبي صلى الله
عليه وسلم وكان قد سبق الناس قال وجدنا فرسكم هذا بحرا أي جلدا سمي بحرا لأن
جريه لا ينفد كما لا ينفد ماء البحر قال الطيبي هو المفعول الثاني لوجدنا
وشبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه فكان وفي نسخة وكان بعد ذلك
لا يجارى بفتح الراء أي لا يقاوم في الجري ولا يسبق وفي رواية لا يحاذى أي لا يعادل
فرس يجري معه وفي رواية فما سبق بعد ذلك اليوم رواه البخاري وكذا مسلم
وعن جابر قال توفي بصيغة المجهول أي قبض وأبي أي وأبي وعليه دين فعرضت
على غرمائه أن يأخذوا التمر أي جميع تمرنا بما عليه أي في مقابلة ما عليه فأبوا
قالوا أي امتنعوا لأنه كان في أعينهم قليلا وهم يهود فأتيت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت قد علمت أي أنت أن والدي استشهد يوم أحد وترك دينا كثيرا
وإني أحب أن يراك الغرماء أي عندي لعلهم يراعوني فقال لي اذهب فبيدر
كل تمر على ناحية أي اجمع كل نوع صبرة على حدة أمر من بيدر الطعام إذا داس في
البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام والمراد هنا اجعل كل نوع من تمرك بيدرا
أي صبرة واحدة وقيل فرق كل نوع في موضعه ففعلت أي صبرا وبيادر ثم
دعوته أي طلبته صلى الله عليه وسلم فلما نظروا إليه كأنهم أغروا بي بصيغة
المجهول أي لجوا في مطالبتي والحوا كأن دواعيهم حملهم على الإغراء بي من ابن الملك
أي هيجته والمعنى ألظوا بي وكأنهم هيجوا بي وقيل من غري بالشيء إذا ولع به
والاسم الغراء بالفتح والمد والمعنى أغروا بي الصفو في تلك الساعة أي ظنا منهم أنه
صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالمسامحة أو بحط بعض الدين أو بالصبر فأظهروا ما يدل
على أنهم لا يرضون بشيء من ذلك فلما رأى ما يصنعون طاف أي دار حول أعظمها أي أكبر
تلك البيادر بيدرا والتمييز للتأكيد نحو قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ثلاث
مرات ظرف طاف ثم جلس عليه أي على أعظمها ثم قال ادع لي أصحابك أي أصحاب دينك

فحضروا

فحضروا فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أي قضى عنه أمانته أي دينه
وسمي أمانته لأنه ائتمن على أدائه قال تعالى وتخونوا أماناتكم أي ما ائتمنتكم عليه
ذكره التوربشتي وأنا أرضى أي كنت أرضى حينئذ أن يؤدي الله أمانة والدي ولا
أرجع بالنصب ويجوز رفعه على أن يكون الجملة حالية أي ولا أنقلب إلى إخوتي
بتمرة فسلم الله البيادر كلها أي جعلها سالمة عن النقصان ذكره شارح أو
خلصها عن أيدي الغرماء ببركته صلى الله عليه وسلم وحتى أي بفتح الهمزة
وجوز كسرها قال الطيبي حتى هي الداخلة ما بعدها فيما قبلها وهي عاطفة على
مقدر رجع أولا في قوله فسلم الله البيادر كلها ثم فصلها بقوله حتى كذا وحتى
كذا انتهى ومحمله أنها عطفت على مقدر أي فسلم الله البيادر كلها حتى لم ينقص
من تلك البيادر التي لم يكلها بشيء أصلا وحتى أني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي
صلى الله عليه وسلم أي جالسا كأنها أي الفضة أو البيدر والتأنيث باعتبار الصبرة
لم تنقص تمرة بالرفع على أن النقص لازم أي لم ينقص تمرة منها وفي نسخة بالنصب
على أنها تمييز أو مفعول والإسناد إلى الصبرة مجازي وقوله واحدة للتأكيد رواه
البخاري وكذا النسائي وعنه أي عن جابر قال إن أم مالك أي البهزية من بني سليم
لها صحبة وراوية وفي جامع زكية روى عنها طاوس ومكحول كانت تهدي من الإهداء
النبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها بضم فتشديد قربة صغيرة ذكره شارح وفي
النهاية هي وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص لها أي
كانت لأم مالك سمنا مفعول تهدي فيأتيها بنوها فيسألون الأدم بضمتين
ويسكن الثاني أي الإدام وليس عندهم فيه تعليب شيء أي من الإدام ومما يشترى
به والجملة حال فتعمد بكسر الميم أي تقصد أمهم إلى الذي أي إلى العكة والتذكير
باعتبار الظرف كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال
أي الظرف أو السمن الذي تجد فيه يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته أي لوما دة
الطمع فانقطع الإدام بناء على أن الحرص شؤم والحريص محروم فأتت النبي صلى الله
عليه وسلم أي وأخبرته بالخبر جميعا وقال الطيبي أي فأتت وشكت انقطاع إدام
بينها من العكة فقال عصرتيها أي العكة والياء للإشباع وهمزة الاستفهام
مقدرة قالت نعم قال لو تركتيها بإشباع الياء أيضا أي لو تركت ما فيها من السمن
وما عصرتها ما زال أي دام ثبتك قائما أي ثابتا دائما فإن البركة إذا نزلت في شيء
ولو كان قليلا كثر ذلك القليل رواه مسلم وعن أنس قال أبو طلحة لأم سليم
وهي أم أنس زوجة أبي طلحة لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا
أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء أي ولو قليلا من المأكول فقالت نعم فأخرجت
أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها وهو ما تستر المرأة به رأسها فلفت الخبز ببعضه

لتردسنه اي جننة واخفته تحت بدي اي يداسي وفي النهاية يقال دسه اذا ادخله في الشي بنير وقوة ولاثتني بالشاد المثلثة اي عممتني ببعضه اي ببعض الخمار وهو الطرف الاخر منه قال القاضي اي عممتني او لففتني من اللوث وهو لف الشي بالشي وادارته عليه انتهى وفيه دلالة علي كمال فلة الخبز ثم ارسلتني الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فذهبت به اي بالخبز اليه فوجدت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المسجد قال العسقلاني المراد بالمسجد هو الموضع الذي اعده النبي صلي الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق ومعه الناس اي الكثير وهم ثمانون رجلا علي ما سياتي فقمت عليهم اي بلفظ الجمع وفي نسخة الجميع فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم ارسلك بهمزة مقدرة وقال العسقلاني بهمزة ممدودة للاستفهام اي ابعثك الي ابو طلحة قلت نعم وهو لا ينافي ارسال امه لان مرادهما واحد وما لهما متحد ولعله صلي الله عليه وسلم عدل عن ذكرها احتشاما ولان ابا طلحة هو الباعث الاول وتامل فانه المعول قال بطعام قلت نعم والتفريق اما للتفهيم او بحسب تدرج الوحي والتعليم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لمن معه قوموا قال ابن حجر ظاهره انه صلي الله عليه وسلم فهم ان ابا طلحة استدعاه الي منزله فلذا قال لمن حوله قوموا واول الكلام يقتضي ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز مع انس فيجمع بانهما ارادا بارسال الخبز مع انس ان ياخذه النبي صلي الله عليه وسلم فياكله فلما وصل انس وراي كثرة الناس استحيي واظهر له ان يدعو النبي صلي الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الي المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل ان يكون ذلك علي راي من ارسله عهد اليه اذا راي كثرة الناس دعا النبي صلي الله عليه وسلم خشية ان لا يكفيهم ذلك الشي وقد عرفوا ايثار النبي صلي الله عليه وسلم وانه لا ياكل وحده وقد وجدت اكثر الروايات يقتضي ان ابا طلحة استدعي النبي صلي الله عليه وسلم في هذه الواقعة **قلت** هذا الكلام كله غير مستقيم علي النهج القويم لانه صلي الله عليه وسلم لما عرف بنور الوحي ان ابا طلحة ارسل انسا بطعام واخبره به كيف يفهم ان ابا طلحة استدعاه الي منزله ثم قوله واول الكلام يقتضي الخ ليس في محله لانه صرح في ذلك المرام لاقتضي الكلام ثم لا دلالة للاستحياء والاستدعاء المنسوبين لانس لانه ليس له ولاية ذلك ولا علي راي من ارسله لانه لو كان بامر ابي طلحة لما حصل له فزع واضطراب باتي النبي صلي الله عليه وسلم اليه فالصواب انه صلي الله عليه وسلم اراد اظهار روحه اشباع جمع كثير بخبز قليل ومتضمنه اي معجزة اخري وهي فضيلة العائلة الانسية في بيت ابي طلحة وانس امه ليحصل لهم بركته عظيمة لحسن نيتهم واخلاص

طويتهم وادب خدمتهم ويكون نظيرما تقدم والله اعلم ثم قال انس فانطلق اي النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه من الناس وانطلقت بين ايديهم اي قدامهم كهيئة الخادم والمضيف اومسرعا لايصال الخبر لقوله حتي جئت ابا طلحة فاخبرته اي باتيانهم فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جا رسول الله صلي الله عليه وسلم بالناس اي معهم وليس عندنا ما نطعمهم اي غير ارسلناه اليه وانهم جمع كثير فكيف نقدم لهم شيا قليلا فقالت الله ورسوله اعلم اي فلا بد من ظهور بعض الحكم قال النووي فيه منقبة عظيمة لام سليم ودلالة علي عظم دينها ورجحان عقلها وقوة يقينها يعني انه صلي الله عليه وسلم قدر الطعام فهو اعلم بالمصلحة ولو لم تعلم المصلحة لما فعلها فانطلق ابو طلحة اي مشيا خفيفا لتلقي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو طلحة معه اي حتي دخلا علي ام سليم والناس وراءهما فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم اي تعالي واحضري ما عندك اي من الخبز فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم اي ابا طلحة او غيره بالخبز ليعني بتفتيته ففت بصيغة المجهول الماضي اي جعل فتيتا اي قطعا صغارا صغيرا قال شارح اوهوامر مخاطب ولعل تقديره فامر به وقال فت وعصرت ام سليم عكة فادمته بفتح الهمزة وفي نسخة بمدها اي جعلت ما خرج من العكة وهو السمن اداما لذلك الفتيت ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فيه اي في ذلك الخبز مع الادام وفيما ذكر من الخبز والادام ما شا الله ان يقول اي من الدعا او الاسما وفي رواية ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال اي لابي طلحة او لانس او لغيرهما ايذن لعشرة وانما اذن لعشرة عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها اكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم ذكره الطيبي وقيل انما لم ياذن للكل مرة واحدة لان الجمع الكثير اذا نظروا الي طعام قليل ازداد حرصهم الي الاكل ويظنون ان ذلك الطعام لا يشبعهم والحرص عليه يمحق البركة ويمكن ان يكون بناء علي ان الجمع الجليل اذا ابصروا الطعام القليل لاثر بعضهم بعضا علي انفسهم او ستحيوا من الاكل الكثير واستثقلوا في اكلهم ولم يحصل لهم مرادهم من القوة في الشجاعة وعلي اداء الطاعة وقيل لضيق المنزل فاذن لهم فاكلوا حتي شبعوا ثم خرجوا ثم قال ايذن لعشرة ثم لعشرة اي وهلم جرا فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون او ثمانون رجلا قال ابن حجر كذا وقع هنا بالشك وفي غيرها بالجزم بالثمانين وفي رواية بضعة وثمانون وفي رواية ابن ابي ليلي ففعل ذلك بثمانين رجلا وفي رواية عند احمد قلت كم كانوا

فالذكانوا بضعا وثمانين ولا منافاة بينهما لاحتمال ان يكون ذكر البضع لالغاء الكسر لكن في رواية عند
احمد حتى اكل منه اربعون وبقيت كما هي وهذا يؤيد التغاير وان القضية متعددة
قلت القضية متحدة والجمع بان الجمع الاول كانوا اربعين ثم لحقهم اربعون آخرون كانوا
وراءهم اووقع منه صلى الله عليه وسلم دعاهم متفق عليه وفي رواية لمسلم انه قال
ائذن لعشرة تدخلوا فقال كلوا وسموا الله فاكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا
ثم اي بعد فراغ اكل اصحابه اكل النبي صلى الله عليه وسلم واهل البيت وترك سورا
بضم سين وسكون همز وبيدل اي فضلا وجزم التوربشتي وقال هو بالهمز اي بقية وفي رواية
للبخاري قال ادخل علي عشرة حتى عد اربعين ثم اكل النبي صلى الله عليه وسلم اي من غير
انتظار للاربعين الاخر ليحصل بركته للطرفين من الاربعين او للمعنى ثم بعد
فراغ الاكل اكل فجعلت انظر اي اتفكر واتردد واتامل هل نقص منها شيء ام لا فلا يظهر
منه نقص مثلا وفي رواية لمسلم ثم اخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان
فقال اي لاهل البيت دونكم هذا اي خذوه قال التوربشتي فان قيل كيف يستقيم هذه
الروايات من صحابي واحد ففي احديهما يقول ترك سورا وفي الاخرى يقول فجعلت
انظر هل نقص منها شيء وفي الثالثة ثم اخذ ما بقي فجمعه الحديث قلنا وجه التوفيق
فيهن بين وهو ان نقول انما قال وترك سورا باعتبار انهم كانوا يتنا ولون منه
فما فضل منه سماه سورا وان كان بحيث انه لم ينقص منه شيء او اراد بذلك
ما فضل عنهم بعد ان فرغوا منه وقيل اخبر في الاولى انه دعا فيه بالبركة وفي
الثانية لحكمة على ما وجده عليه بعد الدعا وعوده الى المقدار الذي كان عليه
قبل التناول والثالثة لالتباس فيها على ما ذكرناه وعنه اي عن انس قال اتي
النبي صلى الله عليه وسلم اي جيء باناء وهو بالزوراء بالفتح والمد وهي البيرا البحبة
الفقعر وقيل موضع قريب بالمدينة ذكره شارح والظاهر ان الثاني هو المراد قال
ابن حجر هو محل بالمدينة عندالسوق وفي القاموس موضع بالمدينة قرب المسجد
فوضع يده في الاناء فجعل اي شرع الماء ينبع بفتح الموحدة وضمها وجوز كسرها فقيل
فيه ثلاث لغات والمختار الفتح وفي المصابيح نبع كنصر وكمنع لغة وفي القاموس نبع
ينبع مثلثة خرج من العين من بين اصابعه قال النووي في كيفية هذا النبع قولان
حكاهما القاضي وغيره احدهما ان الماء يخرج من نفس اصابعه وينبع من ذاتها وهو قول
المزني واكثر العلماء وهو اعظم من المعجزة من نبعه من حجر ويؤيده ما جاء في رواية
فرايت الماء ينبع من اصابعه وثانيهما انه تعالى اكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين اصابعه
فتوضأ القوم اي منه قال قتادة قلت لانس كم كنتم اي يومئذ قال ثلثمائة بالنصب
على تقدير كنا وفي نسخة بالرفع اي نحن او القوم ثلثمائة وكذا قوله او زهاء ثلثمائة
بنصب زهاء وبرفعه وهو بضم الزاي وبالمد اي مقدارها قال الطيبي ثلثمائة منصوب

على انه خبر لكان المقدر وزهاء ثلثمائة اي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا خرصتهم
متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الايات اي المعجزات والكرامات
بركة وانتم تعدونها تخويفا اي انذارا وهلكة قال شارح وسميت اية لانها علامة
نبوته فقيل اراد ابن مسعود رضي الله عنه بذلك ان عامة الناس لا ينفع فيهم
الا الايات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم يعني الصحابة كان ينفع فيهم
الايات المقتضية للبركة انتهى وحاصله ان طريق الخواص مبني على غلبة
المحبة والرجا وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والفنا ويسمى الاولون بالطايرين
المجذوبين المرادين والاخرون بالسايرين السالكين المريدين ونقصيل هذا المرام
مما لا يقتضيه المقام وقال الطيبي قوله وانتم تعدونها تخويفا من قوله تعالى وما نرسل
بالايات الا تخويفا والايات اما ان يراد بها المعجزات او ايات الكتاب المنزلة وكلاهما
بالنسبة الى المومن الموافق بركة وازديادا في ايمانها وبالنسبة الى المخالف المعاند
انذار وتخويف يعني لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة
والمقدمة وفيه مدح للصحابة الذين استسعدوا بصحبة خير البرية ولزموا
طريقته وذم لمن عدل عن الطريق المستقيم قلت ايراد الاية المذكورة في هذا
المقام غير مناسب للمرام فان معناها على ما قاله المفسرون وما نرسل بالايات اي
بالايات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله وما منعنا ان نرسل بالايات
الا ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وقوله الا تخويفا
اي من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات
وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعث اليهم موخر الى يوم القيامة
فالتخويف مطلوب من المومنين على كلا المعنيين على ما نطق به الكتاب على ابلغ
وجه واكده حيث اتى بصيغة الحصر فكيف يستقيم لابن مسعود رضي الله عنه
ان ينكر عليهم في عدها تخويفا فتبين ان مراده غير هذا المعنى مما تقدم والله اعلم
والاظهر ان يقال لمعناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب
مما يترتب عليها البركة ايات ومعجزات وانتم تحصرون خوارق العادات على الايات
المقترحة التي يترتب عليها مخافة العقوبة ويدل عليه بيانه بقوله كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه
ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور بفتح الطاء اي الماء المبارك اي الكثير
البركة والمعنى هلموا اليه واسرعوا والبركة من الله اي لا من احد سواه ثم قال ابن
مسعود ولقد رايت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا
اي احيانا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وذكر صاحب الشفا وغيره عن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح رواه البخاري

وكذا الترمذي وعن ابي قتادة قال خطبنا اي خطب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انكم تسيرون عشيتكم اي اول ليلتكم وليلتكم اي بقيتها اواخرها وتاتون الماء
اي تحضرونه ان شاء الله غدا فانطلق الناس لا يلوي احد على احد اي لا يلتفت اليه ولا
يعطف عليه بل يمشي كل واحد على حدته من غير ان يراعي الصحبة لاهتمامه بطلب
ووصوله اليه وحصوله لديه قال ابو قتادة فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسير اي في ليلته حتى ابهار الليل بسكون الموحدة وتشديد الراء ومصدره ابهرار
كاحمار احمرارا اي انتصف وتوسط ذكره التوربشتي ويقال ذهبت معظمه واكثره وقيل
ابهار الليل اذا طلعت نجومه واستنارت فمال عن الطريق اي لقصد النوم فوضع
راسه ثم قال اي لبعض خدمه احفظوا علينا صلوتنا اي وقتها وهي صلاة الصبح
فكانه غلبت عليهم النوم فرقدوا فكان اول من استيقظ رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو اسم كان او خبره واول عكسه والشمس في ظهره اي طالعة حال حالية
قال اركبوا قال ابن الملك في تاخيره صلى الله عليه وسلم قضاء الصلاة دليل على
ان من نام عن صلاة او نسيها ثم تذكرها لا يجب عليه القضاء على الفور وعلى ندب
مفارقة الموضع الذي تركه فيه المامور او ارتكب فيه المنهي يعني وبوم ممتد
فقد لكن لا لا اظهر ان تاخيره انما هو لرجاء ان يصل الى الماء او الخروج وقت الكراهة
كما يدل عليه قوله فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس اي بقدر رمح او اكثر
نزل ثم دعا بميضاة بكسر الميم وفتح الهمزة وفي نسخة بالف قبل الهمز واصله موضاة ابدلت
الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن الملك بكسر الميم على مفعلة من الوضوء وفي الفائق
هي على مفعلة من الوضوء ومفعالة مطهرة كبيرة يتوضا منها ذكره الطيبي وفي
النهاية بالكسر والقصر وقد يمد والمعنى ثم طلب مطهرة كانت معي فيها شيء
اي قليل من ماء فتوضا منها وضوءا دون وضوء يعني وضوءا وسطا وذلك لقلة
الماء ذكره شارح ووافقه الطيبي وقيل اراد انه استنجى في هذا الوضوء بالحجر
لا بالماء والصواب الاول قاله ابن كمال والاظهر ان يقال وضوءا دون وضوء يتوضا
في سائر الاوقات من التثليث بان اكتفى بمرة او مرتين قال اي ابن مسعود وبقي فيها
شيء من ماء ثم قال اي النبي عليه الصلاة والسلام احفظ علينا اي لاجلنا ميضاتك
اي ذاتها او ما فيها فسيكون لها نبا اي خبر عظيم وشان جسيم وقائدة جليلة
ونتيجة جميلة يتحدث بها ويروى حكايتها وقال ابن الملك اي معجزة كما سياتي ثم
اذن بلال بالصلاة فيه استحباب الاذان للقضاء كما هو سنة للاداء فصلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعتين اي سنة الصبح لفوتها مع فرضه المودى قبل الزوال
واما اذا فاتت وحدها فلا قضاء لها الا عند محمد لكن بعد طلوع الشمس الى زوالها وبعد
الزوال لا يقضي اتفاقا ثم صلى الغدوة اي فرض الصبح قضاء وركب وركبنا معه

فانتهينا الى الناس اي النازلين من اهل القافلة حين امتد النهار اي ارتفع وحمي كل
شيء اي اشتد حرارته وهم يقولون يا رسول الله هلكنا اي من حرارة الهواء وعطشنا
بكسر الطاء اي من عدم الماء فقال لا هلك بضم فسكون اي لا هلاك عليكم وهو دعاء او خبر
ودعا بالميضاة فجعل يصب اي الماء وابو قتادة يسقيهم بفتح اوله وبضم فلم يعد
مضارع عدا اي لم يتجاوز ان راى الناس ان مصدرية اي رؤيتهم ماء اي كثيرا في الميضاة
تكابوا بتشديد الموحدة اي تزاحموا عليها اي على الميضاة مكبا بعضهم على بعض
قال الطيبي لم يضبط الشيخ محيي الدين هذا اللفظ وفي اكثر نسخ المصابيح وقعت
بفتح الباء وسكون العين وضم الدال واثبات الفاء في قوله فتكابوا وليس في مسلم
ولا في شرحه الفاء وان راى الناس يحتمل ان يكون فاعلا اي لم يتجاوز رؤية الناس الماء
تكابهم فتكابوا وان يكون مفعولا اي لم يتجاوز الساقي او الصب رؤية الناس الماء
في تلك الحالة وهي تكبهم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احسنوا الملا
بفتحتين اي الخلق ففي القاموس الملا محركة الخلق ومنه احسنوا املاءكم اي اخلاقكم
وفي الفائق الملا حسن الخلق وقيل للخلق الحسن ملا لانه اكرم ما في الرجل وافضله
من قولهم لكرام القوم ووجوههم ملا وانما قيل للكرام ملا لانهم يتمالون اي
يتعاونون اقول الاظهر ان يقال لانهم يملاون المجلس ويملاون العيون عظمة او بجسمهم
وخدمهم كثرة كلكم بروي بفتح الواو اي جميعكم تروون من هذا الماء فلا تزاحموا
ولا تسيئوا اخلاقكم بالتدافع قال اي الراوي ففعلوا اي الناس من احسان الخلق اولم
يتزاحموا حيث اطمانوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب واسقيهم حتى
ما بقي غيري اي من الصحابة وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب
فقلت لا اشرب حتى تشرب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ساقي القوم
اخرهم اي شربا كما في بعض الروايات على ما سياتي ولا شك ان الساقي حقيقة هو النبي
صلى الله عليه وسلم فلا ينافي قول ابي قتادة واسقيهم لانه بمعنى انا ولهم قال فشرب
وشرب قال اي ابو قتادة فاتى الناس الماء اي وصلوا الى مكان الماء جامين بتشديد
الميم اي مستريحين ذكره التوربشتي رواء بالكسر والمد جمع راو وهو الذي روى من
الماء او جمع ريان كعطاش جمع عطشان اي ممتلين من الماء وقال شارح قوله
جامين اي مجتمعين من الجم او مستريحين من الجمام بالفتح وهو الراحة وزوال الاعياء
قال التوربشتي واكثر ما يستعمل ذلك في الفرس نعني لانه كثير العطش رواه مسلم
هكذا في صحيحه وكذا في كتاب الحميدي وجامع الاصول اي ساقي القوم اخرهم بدون
شربا وهو كذلك في تاريخ البخاري ورواية احمد وابي داود عن عبد الله بن ابي اوفى وزاد
في المصابيح بعد قوله اخرهم لفظه شربا فقلت وهو رواية الترمذي وابن ماجه
عن ابي قتادة وكذا رواه الطبراني في الاوسط والقضاعي عن المغيرة وعن ابي هريرة

قال لما كان يوم غزوة تبوك بعدم الصرف وقد يصرف وهو موضع بينه وبين المدينة
مسيرة شهر قال ابن حجر المشهور في تبوك عدم الصرف للتأنيث والعلمية ومن صرفها
اراد الموضع انتهى والاظهر انه لا يجوز صرفه للعلمية ووزن الفعل على وزان
يزيد قال السيوطي وكانت سنة تسع في رجب وهي آخر غزوة غزاها صلى الله عليه
وسلم بنفسه قيل سميت بذلك لانه صلى الله عليه وسلم راى قوما من الصحابة
يبوكون عين تبوك اي يدخلون فيها القدح اي السهم ويحركونه ليخرج الماء فقال
ما زلتم تبوكونها بوكا اصاب الناس جواب لما اي حصل لهم مجاعة بفتح الميم اي جوع
شديد فقال عمر يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم وفي الحديث اختصار اذ روي
انهم اصابتهم مجاعة فقالوا يا رسول الله لو اذنت لنا فنحرنا نواضحنا فاكلنا وادهنا
فقال افعلوا فجاء عمر فقال يا رسول الله ان فعلت قلت الظهور ولكن ادعهم بفضل
ازوادهم والفضل ما زاد عن شيء والازواد جمع زاد وهو طعام يتخذ للسفر
فالمعنى مرهم بان ياتوا ببقية ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها اي على تلك الازواد
بالبركة اي كثرة الخير فقال نعم فدعا بنطع بكسر النون وفتح الطاء وفي نسخة
بفتح فسكون والاول افصح على ما صرح به شراح الشفا وقال النووي في النطع
لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطاء واسكانها وافصحهن كسر النون
وفتح الطاء وفي القاموس النطع بالكسر والفتح والتحريك وكعنب بساط من الاديم
فبسط بصيغة المجهول اي النطع ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف
ذرة بفتح الذال المعجمة وتخفيف الراء ففي القاموس الذرة كثبة حب معروف
اصله ذرو ويجيء الآخر بكف تمر اسم جنس واحده تمرة بالتاء ويجيء الآخر بكسرة
اي بقطعة من الخبز حتى اجتمع على النطع شيء يسير اي قليل جدا فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالبركة اي بنزولها عليه ثم قال خذوا اي ما تريدون
اي من الزاد الواقع في النطع واجعلوا في اوعيتكم وقال الطيبي اي صبوا في اوعيتكم
آخذين او خذوا صابين في اوعيتكم انتهى وقد اشار الى نوعي التضمين لكن الجعل
اولى من الصب في هذا المقام من جهة المعنى كما لا يخفى على ذوي النهى فاخذوا
في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر اي في المعسكر وفي نسخة في العسكر وعاء الا
ملؤه واصل ذلك ان الحال لتخال اي ابو هريرة فاكلوا اي جميع العسكر حتى شبعوا
وفضلت بفتح الضاد وكسرها اي زادت فضلة بالرفع اي زيادة كثيرة ففي القاموس
الفضل ضد النقص وقد فضل كنصر وكرم والجمع فضول فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله فيه ايماء الى رؤية المعجزات سبب
زيادة اليقين في المعتقد انه لا يلقى الله بهما اي بالشهادتين عبد قال الطيبي
يجوز ان يكون الباء فيه سببية او استعانية او حالا او قد جيء بالجملة استطرادا

واستبشارا

واستبشارا للامة وقوله غير شاك مرفوع صفة عبد قلت وفي نسخة
منصوب على الاستثناء او الحال فيحجب بالنصب وفي نسخة بالرفع اي فيمنع عن
الجنة قال شارح فيحجب بالنصب باضمار ان في جواب النفي وهو لا يلقى انتهى قال
ابن الملك والمعنى من يلقى الله بالشهادتين من غير تردد وشك فلا يحجب عن
الجنة ابدا وقال الطيبي فيحجب مرفوع عطفا على الجملة السابقة والنفي منصب عليهما
معا رواه مسلم وكذا البخاري نحوه عن سلمة وعن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
عروسا فعول لغة يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى زوجا جديدا بزينب اي بسببها
وقيل اي متزوجا بها فعمدت بفتح الميم اي فقصدت امي ام سليم بدلا وبيانا الى تمر
وسمن واقط بفتح فكسر اي لبن مجفف يابس مستحجر على ما في النهاية وفي القاموس
الاقط مثلثة ويحرك وككتف ورجل وابل شيء يتخذ من المخيض الغنمي فصنعت حيسا
فالحيس مجموع الثلاثة والحديث متفق عليه فقول ابن حجر في شرح الشمائل الحيس
هو تمر مع سمن او اقط وقيل هو مجموع ثلاثتها نقل غير مرضي والصواب ان ينفك
وقد يطلق على التمر مع سمن او اقط كما قال وقد يجعل بدل الاقط دقيق او فتيت وبه
ما ذكرناه ما في القاموس الحيس الخلط وتمر يخلط بسمن واقط فيعجن شديدا
ثم يندر منه نواه وربما يجعل فيه سويق فجعلته اي ام سليم في تور بمثناة فوقية
ثم واو ساكنة فراء اناء كالقدح فقالت يا انس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي وهي تقريك السلام وتقول ان هذا لك
منا قليل اي زهيد غير لائق بك فذهبت اي به اليه فقلت اي ما وصتني به
فقال ضعه اي قابله بلسان الحال ان اليسير عندنا كثير وله بهذا القبول فضل
كبير ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا اي ثلاثة سماهم اي عينهم
باسمائهم ونسبتهم فعرفت عنهم بفلان وفلان وفلان فقوله رجالا اسامي من كلام
انس بدل من فلانا الخ او بتقدير اعني او يعني والله اعلم وادع لي من لقيت
اي على العموم بعد خصوص من سمي ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بتشديد
الصاد المهملة اي ممتلئ بهم والظاهر ان المراد بالبيت هو الدار ويحتمل ان يكون
على بابه ويكون فيه معجزة اخرى حيث وسع خلقا كثيرا قيل لانس عددكم كم كانوا
الضمير نظرا الى معنى العدد لزيادته على الواحد قال زهاء ثلثمائة بنصب زهاء
على تقدير كانوا وقيل برفعه اي عددنا مقدار ثلثمائة فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله اي من الذكر والدعاء ثم جعل
يدعو عشرة عشرة اي عشرة بعد عشرة ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله
وليأكل بسكون لام الامر وبكسر اي لياخذ كل رجل مما يليه اي مما يقربه من الوعاء
قال اي انس فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى اكلوا كلهم

اي وشبعوا جميعهم قال لي يا انس ارفع اي القدح فرفعت فما ادري حين وضعت
كان اكثر ام حين رفعت اي في الصورة والا فلا شك انه حين الرفع اكثر ببركة
وضع يده صلى الله عليه وسلم وفضلة اصحابه رضي الله عنهم هذا وقد قيل
ظاهره ان الوليمة لزينب كانت من الحيس الذي اهدته ام سليم والمشهور من الروايات
انه اولم عليها بخبز ولحم ولم يكن في القصة تكثير ذلك الطعام واجيب بانه يجوز
ان يكون حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم وانكار وقوع تكثير الطعام في
قصة الخبز واللحم عجيب فان النسائي نقل اولم عليها بشاة وانه اشبع المسلمين خبزا
ولحما وهم يومئذ نحو الف قلت لا دلالة فيه على ان الحيس وليمة وانما وقع ارساله
هدية ثم اما في اخر ذلك اليوم واما في يوم اخر ولم عليها بشاة واشبع الا لهم خبزا
ولحما فلا منافاة بين القضيتين ولا معارضة بين الحديثين والله سبحانه اعلم
متفق عليه وعن جابر غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا على ناضح
اي راكب على بعير يستقى عليه كما في النهاية قد اعيي اي عجز عن المشي قال ابن الملك
هو لازم ومتعد فلا يكاد يسير اي لا يقرب السير المطلوب منه فتلاحق اي لحق بي النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما لبعيرك قد عيي بكسر الياء اي عجز فتخلف رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي عن العسكر وعن الناضح فزجره اي بالضرب او الصوت فدعا له فما زال
بين يدي الابل اي سابقها قدامها بدل او بيان لقوله بين يدي الابل وهو ظرف لقوله
فما زال ويجوز ان يكون ظرفا لقوله يسير ويسير خبره واسمه عائدا الى الناضح كذا
حققه الطيبي فقال لي كيف ترى بعيرك قلت بخير قد اصابته بركتك
قال افتبيعنيه بوقية اي باربعين درهما صرح به الشارح وهو بضم الواو وبفتح
وكسر القاف وتشديد التحتية قال في المصباح وجرى على السنة الناس
بالفتح في الوقية وهو لغة حكاها بعضهم وفي نسخة صحيحة باوقية بضم الهمزة
وسكون الواو وقيل هذا هو المشهور والوقية يستعملها الان المستعربون وهم
بالضم لغة عامرية والاوقية لغيرهم قيل هي في الحديث اربعون درهما وعند
الاطباء ومتعارف الناس الان عشرة دراهم وخمسة اسباع درهم وفي القاموس
الاوقية بالضم سبعة مثاقيل كالوقية بالضم وفتح المثناة التحتية مشددة
واربعون درهما وقيده صاحب النهاية بقوله في القديم فبعته على ان لي فقار
ظهره الى المدينة بفتح الفاء اي ركوبه وفقار ظهره وهي عظام الظهر وفي النهاية
فقار الظهر خرزاته الواحدة فقارة اي بالفتح كما نص عليه صاحب القاموس
واسم سيفه صلى الله عليه وسلم ذو الفقار لانه كان فيه حفر صغار حسان على ما في النهاية
قال ابن الملك فيه جواز استثناء منفعة المبيع مدة فلما قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير اي اتيته به غدوة فاعطاني ثمنه ورده علي

قال

قال ابن حجر هذا بطريق المجاز لان العطية انما وقعت له بواسطة بلال كما رواه مسلم
فلما قربت المدينة قال لبلال اعطه اوقية من ذهب وزاده الني وفيه بحث اذ الظاهر
انه امره بيلال سبق ثم اعطاه في غده تحقق مع ان حقيقة العطا انما يكون للامر به
متفق عليه وعن ابي حميد بالتصغير الساعدي نسبة الى بني ساعدة قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك اي اليها وفيها فنصب غزوة على نزع الخافض
فاتينا وادي القرى بسكون الواو اي بالوادي لكنها تسقط في الدرج وفي بعضها بنصبها وهو
ظاهر على ان التركيب اضافي لا مزجي وقال التوربشتي وادي القرى لا يعد من الياء
من الوادي فان الكلمتين جعلتا اسما واحدا انتهى وهو موضع معروف اي جئناه
مارين على حديقة اي بستان عليها حائط لامراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخرصوها بضم الراء اي قدروا واجمعوا ثمرها فخرصناها اي مختلفين في قدرها
وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة اوسق والوسق ستون صاعا وقال
احصيها بفتح الهمزة اي اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها حتى نرجع اليك ان شاء
الله وانطلقنا حتى قدمنا تبوك رسمه بغير الف هنا في جميع النسخ يدل على انه غير منصرف
لا غير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب بضم الهاء وتشديدا لموحدة اي
ستمر عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها احد اي من مكانه فانه يتضرر فمن كان
له بعير فليشده اي فليربط من الان بعقاله بكسر العين ما يربط به وظيف البعير
الى ذراعه فهبت ريح شديدة فهذه معجزة فقام رجل فحملته الريح حتى القته
بجبل طي بياء مشددة بعدها همزة على وزن سيد وهو ابو قبيلة من اليمن ذكره في شرح
مسلم وكذا في القاموس ثم قيل الجبلان احدهما اجا بالتحريك وهو مهموز مهمل
مهموز على فعل حبل وقيل كعصا والاخر سلمى بفتح السين وهما بارض نجد ويقال انهما
سميا باسم رجل وامراة نسبا لهما اليه والحاصل ان هذه معجزة اخرى قال الراوي ثم اقبلنا
اي في الرجوع حتى قدمنا وادي القرى فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم المراة
عن حديقتها كم بلغ ثمرها بفتح المثلثة والميم ويجوز ضمهما وضم فسكون والمراد ثمرها
كما في نسخة فقالت عشرة اوسق بالنصب اي بلغ وفي نسخة بالرفع اي قدرا وساقها
عشرة اوسق مطابقا لقوله عليه السلام فهذه معجزة ثالثة لا طلب تحديها وطلب
معارضتها فلا ينافيه انه قد يقع مثل هذا اتفاقا ولعله صلى الله عليه وسلم
اراد بهذه المعجزات اظهارها ليتقوى به للذين كانوا معه من اهل النفاق ولزيادة القادة
ايمان اهل الوفاق متفق عليه وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم ستفتحون مصر وهي بلدة معروفة وهي ارض يسمى اي يذكر فيها القيراط وهو
نصف عشر دينار وقيل خمس شعيرات واصله قراط بتشديد الراء ابدلت الراء الاولى
ياء ونظيره دينار قال القاضي اي يكثر اهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم

فيها وقلة مروتهم وقيل القيراط كلمة يذكرها اهلها في المسابة ويقولون اعطيت فلانا قراريط اي اسمعته المكروه وقد حكاه الطحاوي وغيره وهو اعلم بلهجة اهل بلده لانه منهم ومعنى الحديث ان القوم لهم دناءة او خسة وفي لسانهم بذاء وفحش فاذا فتحتموها اي اذا استوليتم على اهلها وتمكنتم منهم فاحسنوا الى اهلها اي بالصفح والعفو عما تنكرون ولا يحملنكم سوء اقوالهم وافعالهم على الاساءة فان لها اي لاهلها ذمة اي حرمة وامانا من جهة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ورحما بفتح فكسر اي قرابة من قبل هاجر ام اسماعيل عليه السلام فان هاجر وامارية كانتا من القبط او قال ذمة وصهرا شك من الراوي قال الشارح فعلى هذه الرواية الصهر يختص بمارية والذمة بهاجر فاذا رايتم رجلين يختصمان في موضع لبنة بفتح لام وكسر موحدة وهي الاجر وقيل طوبة فاخرج اي يا ابا ذر منها اي من مصر والظاهر المطابق لرايتم ان يقال فاخرجوا ولعله صلى الله عليه وسلم خص لامر به لشفقته عليه من وقوعه في الفتنة لو اقام بينهم قال اي ابو ذر فرايت عبد الرحمن بن شرحبيل بضم ففتح فسكون فكسر فسكون بلا انصراف ابن حسنة بفتحات واخاه ربيعة لم يذكرهما المؤلف في اسمائه يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها وقد وقع هذا في اخر عهد عثمان حين عتبوا عليه تولية عبد الله بن سعد بن ابي سرح اخيه من الرضاعة فهذا من قبيل ما كوشف للنبي صلى الله عليه وسلم من الغيب انه سيحدث هذه الحادثة في مصر وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور بخروج المصريين على عثمان رضي الله عنه اولا وقتلهم محمد بن ابي بكر ثانيا وهو والي عليهم من قبل علي فاختباهم بالشر في جوف حمار ميت فرموه بالنار فجعل ذلك علامة وامارة لتلك الفتن وامر ابا ذر بالخروج منها حينما راه وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر الشراح وقال الطيبي او علم ان في طباع سكانها خسة ومماكسة كما دل عليه صدر الحديث فاذا اقتضت الحال الى ان يتخاصموا في هذا المحقر فينبغي ان يتحرز عن مخالطتهم ويجتنب عن مساكنتهم رواه مسلم وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في اصحابي وفي رواية قال وفي امتي اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها مع انه ليشم من مسافة خمسمائة عام حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة وهو من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الشيخ التوربشتي صحبة النبي صلى الله عليه وسلم المعتد بها هي المقترنة بالايمان ولا يصح ان يطلق الصحابي الا على من صدق في ايمانه وظهرت منه اماراته دون من اغمص عليهم بالنفاق فاضافتهم اليهم لا يكونا لا

علي

على المجاز لتشبههم بالصحابة وتسترهم بالكلمة وادخالهم انفسهم في غمارهم ولهذا قال في اصحابي ولم يقل من اصحابي وذلك مثل قولنا ابليس كان في الملائكة اي في زمرتهم ولا يصح ان يقال كان من الملائكة فان الله سبحانه يقول كان من الجن وقد اسند هذا القول الى خاصته وذوي المنزلة من اصحابه امر هذه الفئة المسومة المنكسة لئلا يقبلوا منهم الايمان ولا يقبلوا من قبلهم المكر والخداع ولم يكن يخفى على المحفوظين شانهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة الا انهم كانوا لا يواجهونهم بصريح المقال اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حذيفة اعلمهم باسمائهم وذلك لانه كان ليلة العقبة مع النبي صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله ولم يكن على العقبة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار يقوده وحذيفة يسوق به وكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نادى ان خذوا بطن الوادي فهو اوسع لكم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ الثنية فلما سمعه المنافقون طمعوا في المكر به فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشفة القوم من ورائه فامر حذيفة ان يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضربا فنفرهم الله حين ابصروا حذيفة فانقلبوا مسرعين على اعقابهم حتى خالطوا الناس فادرك حذيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحذيفة هل عرفت احدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين ولكن اعرف رواحلهم فقال ان الله تعالى اخبرني باسمائهم واسماء ابائهم وساخبرك بهم ان شاء الله عند الصباح ثم ثم كان الناس يراجعون حذيفة في امر المنافقين وقد ذكر عن حذيفة انهم كانوا اربعة عشر فتاب اثنان عشر على النفاق على ما اخبر به الصادق المصدوق وقد اطلعت على اسمائهم في كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة غير اني وجدت في بعضها اختلافا فلم ارد ان اخاطر بديني فيما لا ضرورة لي بما ثبته منهم اي من الاثني عشر منافقا ثمانية منهم تكفيهم اي تدفع شرهم الدبيلة قال القاضي الدبيلة في الاصل تصغير الدبر وهو الداهية فاطلقت على قرحة ردية تحدث في باطن الانسان ويقال لها الدبلة بالفتح والضم سراج من نار تفسير الدبيلة والظاهر انه من كلام حذيفة يظهر اي يخرج السراج في اكتافهم حتى تنجم بضم الجيم اي تظهر وتطلع النار في صدورهم اي في بطونهم وفي كلام القاضي ايما الى ان قوله تظهر بصيغة التانيث حيث قال وفسرها في الحديث بنار تخرج في اكتافهم حتى ينجم اي يظهر من نجم النجم اذا ظهر وطلع ثم قال ولعله اراد بها ورما حار الحديث في اكتافهم بحيث يظهر اثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثلة بسراج من نار وهو شعلة المصباح وقد روي عن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم عرفه اياهم وانهم هلكوا كما اخبره الرسول صلوات الله وسلامه عليه رواه مسلم وسنذكر حديث سهل بن سعد لا عطين

زهم

هذه الراية غدا اي رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
في باب مناقب علي اي فانه اولى وحديث جابر اي وسيذكر حديث جابر من يصعد
الثنية بكسر الدال لالتقاء الساكنين على ان من شرطية وروي يصعد بالرفع
على ان من استفهامية وتمامه فانه يحط عنه ما حط عن بني اسرائيل في باب جامع
المناقب اي فانه المناسب ان شاء الله تعالى متعلق بسيذكر الفصل الثاني عن
ابي موسى قال خرج ابو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في اشياخ
من قريش اي في جملتهم والمراد منهم اكابرهم او اسنهم فلما اشرفوا اي اطلعوا على الراهب
اسمه بحيرا وهو بضم الباء وفتح الحاء ممدودا على المشهور لكن ضبط الشيخ الجزري
بفتح الباء وكسر الحاء المهملة وياء ساكنة وفتح الراء والف مقصورة وهو زاهد النصارى
قاله شارح وقال المظهر وكان اعلم النصارى انتهى وكذا ذكره الجزري والجمع بانه لا منع
من الجمع هبطوا اي نزلوا في ذلك الموضع وهو بصرى من بلاد الشام على ما ذكره المظهر
فحلوا رحالهم اي ففتحوها فخرج اليهم الراهب وكانوا اي الناس من قريش وغيرهم
يمرون به اي بمكانه فلا يخرج اليهم قال اي الراوي فهم يحلون رحالهم اشعارا بحر وجه
ونزوله عليهم في اول حلولهم ووصولهم فجعل يتخللهم الراهب اي اخذ يمشي
فيما بين القوم ويطلب في خلالهم شخصا حتى جاء فاخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال استيناف بيان هذا سيد العالمين اي على الاطلاق هذا رسول رب
العالمين اي الى العالمين جميعهم نظرا الى السابقة واللاحقة كما اشار اليه بقوله
يبعثه الله اي يرسله او يظهر رسالته رحمة للعالمين لقوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وفيه ايماء الى انه مبعوث الى كافة الخلق اجمعين فقال له اشياخ
من قريش ما علمك اي ما سبب علمك وبيان كيفيته فقال انكم حين اشرفتم من العقبة
لم يبق شجر ولا حجر الا خر اي سقط ساجدا اي منقادا له ولا يسجدان الا لنبي
اي عظيم ورسول كريم واني اعرفه اي النبي ايضا بخاتم النبوة بفتح التاء وكسر
والنبوة بالادغام وبالهمز اسفل بالنصب اي في مكان اسفل من غضروف كتفه
بضمتين وهو راس لوح الكتف مثل التفاحة بالنصب وفي نسخة صحيحة بالرفع
وفي اخرى بالجر على انه صفة خاتم ذكره شارح وقال بعض المحققين يروى بالرفع
على انه خبر محذوف وبالنصب على اضمار الفعل ويجوز الجر على الابدال دون الصفة
لان مثلا وغيرا لا يتعرفان بالاضافة الى المعرفة ثم رجع الى الراهب فصنع لهم
طعاما فلما اتاهم به اي بالطعام وكان هو اي النبي صلى الله عليه وسلم في رعية
الابل بكسر الراء وسكون العين اي في رعايتها فقال اي الراهب ارسلوا اليه فاقبل
عليه فاقبل اي بعد الارسال او قبله وعليه غمامة اي سحابة تظله اي يجعله
تحت ظله فلما دنا من القوم اي قرب منهم وجدهم اي وجد النبي صلى الله عليه وسلم

القوم

القوم قد سبقوه الى شجرة اي الى ظلها فلما جلس مال فيء الشجرة عليه اي زيادة على
ظل السحابة او زالت السحابة ومالت الشجرة لظلها [illegible] وقال الطيبي
قوله عليه اي وانقاد ظله عليه فقال اي الراهب للقوم انظروا الى فيء الشجرة مال
عليه اي انكم ما تنظرون الى مظلة السماء فانظروا الى مظلة الارض ولكن الله سبحانه
اعماهم عما هم كما اخبر به بقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واظهر هذا
المعنى في قوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
فقال اي الراهب انشدكم الله بنصب الجلالة وبضم الشين اي احلف عليكم بالله وقيل
اي اطلب منكم بالله جواب هذا السؤال وبطل عمل الفعل للتعليق بالاستفهام في قوله
ايكم وليه اي قريبه والجملة مبتدأ وخبر قالوا ابو طالب اي وليه فلم يزل اي الراهب
يناشده اي يناشد ابا طالب ويطالب رده عليه السلام خوفا عليه من اهل الروم
ان يقتلوه في الشام ويقول لابي طالب بالله عليك ان ترد محمدا الى مكة وتحفظه من العدو
حتى رده ابو طالب اي الى مكة وبعث معه ابو بكر بلالا وفي رواية علي عن ابيه انه قال
وزوده معه رجالا وكان فيهم بلال اخرجه رزين وزوده الراهب من الكعك وهو الخبز
الغليظ على ما في الازهار وقال شارح هو نوع من الخبز وقال الطيبي هو الخبز وهو
فارسي معرب وكذا في القاموس والزيت اي لادام ذلك الخبز وقد ورد من طرق رواه
احمد وغيره كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة رواه الترمذي اي وقال
حسن غريب وقال الجزري اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيحين او احدهما وذكر ابي
بكر وبلال فيه غير محفوظ وعده ائمتنا وهما وهو كذلك فان سن النبي صلى الله عليه
وسلم اذ ذاك اثنا عشر سنة فابو بكر اصغر منه بسنتين وبلال لعله لم يكن ولد
في ذلك الوقت انتهى وقال في ميزان الاعتدال قيل مما يدل على بطلان هذا الحديث
قوله وبعث معه ابو بكر بلالا فان ابا بكر اذ ذاك ما اشترى بلالا وقال الحافظ ابن حجر
في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل انها مدرجة
فيه منقطعة من حديث اخر وهما من احد رواته كذا في المواهب اللدنية ولا
يخفى ان ايراد هذا الحديث بباب علامات النبوة كان اوفق للتحقيق والله
ولي التوفيق وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل كما في رواية ولا شجر وهو
يقول السلام عليك يا رسول الله فالحديث معجزة النبي وكرامة للولي رواه الترمذي
والدارمي وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي اي جيء بالبراق ليلة اسري به باضافتها
الى الجملة وجوز اعرابها منونا والتقدير اسري فيها به صلى الله عليه وسلم ملجما مسرجا
على بناء المفعول فيهما اي موضوعا عليه اللجام والسرج فاستصعب اي استعصى البراق
عليه ولم يمكن من الركوب ويقال استصعب عليه الامر اي صعب فالمعنى صعب عليه

ركوبه باستعصابه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا ولم تفعل بغيره او لو فعلت بسائر
الانبياء فما ركبك احد كان اكرم على الله منه قال اي النبي صلى الله عليه وسلم فارفض
بتشديد الضاد المعجمة اي انصب البراق عرقا تميز والمعنى سال منه العرق حياء لكون
اهتزازه من عظمته فرحا وظن انه وقع استعصا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وعن بريدة بالتصغير اسلمي اسلم قبل بدر ولم يشهدها وبايع بيعة الرضوان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس سبق ضبطه بالوجهين
قال جبريل باصبعه اشار بها فخرق اي جبريل به اي بتلك الاشارة الحجر فشد اي جبريل
او النبي صلى الله عليه وسلم به اي بالحجر البراق قال الطيبي فان قلت كيف الجمع
بين هذا وبين قوله في حديث انس فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء قلت
لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل
عليه السلام رواه الترمذي وكذا ابن حبان وصححه وعن يعلى بن مرة الثقفي قال
المؤلف شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف روى عنه جماعة عداده
في الكوفيين قال ثلاثة اشياء اي من المعجزات رايتها من رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي في سفر واحد بينا نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى على بناء المفعول اي
يستقى عليه فلما راه البعير جرجر اي صاح من الجرجرة وهي صوت يردد البعير في حلقه
على ما ذكره القاضي فالمعنى ردد الصوت في حلقه فوضع جرانه بكسر الجيم اي مقدم
عنقه وقيل باطن عنقه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب
هذا البعير اي مالكه فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك اي لا نبيعكه بل
نعطيكه هبة يا رسول الله فان رسالتك تقتضي جلالتك وانه بكسر الهمزة والضمير
البعير اي والحال انه لاهل بيت اراد نفسه وعياله ما لهم معيشة اي ليس لهم
ما يتعيشون به غيره قال اما بتشديد الميم وفي نسخة بتخفيفها على انها للتنبيه
وهو ظاهر لقوله اذ ذكرت هذا من امره اي فاعلم اني ما طلبت شراءه الا لتخليصه
لا لغرض اخر به فانه شكى كثرة العمل وقلة العلف فاذا كان كذلك بان امتنع البيع
فاحسنوا اليه اي بكثرة العلف وقلة العمل مع جواز كثرتهما وقلتهما اذ الظلم
هو الجمع بين كثرة العمل وقلة العلف قال الطيبي جواب اما محذوف وقوله فانه
شكى جواب لاما المقدرة تقديره اما اذا ذكرت ان البعير لاهل بيت ما لهم معيشة
فلا اتمنى شراءه واما البعير فعاهده فانه اشتكى اذ لا بد لاما التفصيلية من التكرار
اقول الظاهر ان الجواب لاما المقدرة فعاهدوه واما قوله فانه شكى فانه علة للجواب
والله اعلم بالصواب وفي المغني واما بالفتح والتشديد هي حرف شرط وتفصيل وتوكيد
ثم قال وقد ياتي لغير تفصيل اصلا نحو اما زيد فمنطلق واما التوكيد فقل من ذكره ولم
ار من احكم شرحه غير الزمخشري فانه قال فائدة اما في الكلام ان يعطيه فضل توكيد

تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب
وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما
يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى
الشرط ثم سرنا اي سفرنا او تحولنا من مكاننا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله
عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض اي تقطعها حتى غشيته اي اتته واظلته
ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له
اي انا وفي نسخة بصيغة المجهول اي ذكرت القضية له وهو يحتمل احتمالين فقال
هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم على رسول الله فاذن لها اي فجاءت للسلام قال الطيبي
لعلي ثم سرنا فمررنا بماء اي بموضع فيه ماء جمع من اهله وقال شارح اي بقبيلة فاتته امراة
بابن لها به جنة بكسر الجيم اي جنون فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره بفتح الميم وكسر
الخاء المعجمة في النسخ كلها وفي القاموس المنخر بفتح الميم والخاء وبكسرهما
وضمهما وكمجلس الانف ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم للجنون او الشيطان
الذي فيه اخرج اي منه فاني محمد رسول الله ثم سرنا فلما رجعنا مررنا بذلك الماء
فسالها اي المراة عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رايناه اي من الصبي
ريبا بفتح الراء وسكون الياء اي شيئا نكرهه بعدك اي بعد مفارقتك او بعد عليك
ومنه قوله تعالى ريب المنون اي حوادث الدهر وقيل ما رابنا منه اوقعنا في شك من
حاله وتضجرنا من امره ومنه قوله سبحانه لا ريب فيه رواه اي البغوي في شرح السنة
اي باسناده وعن ابن عباس قال ان امراة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه اي الجنون عند غدائنا
وعشائنا اي عند حضورهما او وقت استعمالهما وقال شارح اي صباحنا ومساءنا
فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره اي صدر الولد ودعا فثع بالمثلثة
والعين المشددة اي قاء ثعة اي قيئة واحدة فقيل لنهاية الثع القيء والثعة المرة
الواحدة وخرج من جوفه مثل الجرو بكسر الجيم وسكون الراء اي ولد الكلب الاسود
صفة للجرو وقوله يسعى حال اي يمشي ذلك الجرو ويسرح رواه الدارمي وعن
انس قال جاء جبريل عليه السلام على ما في نسخة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
اي النبي جالس حزين وقد تخضب بالدم اي تلوث به يوم احد عند كسر رباعيته من
فعل اهل مكة اي من ضرب كفارهم وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ضرب
وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله تعالى ذكره السيوطي
في حاشية البخاري وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس لكن حصل له هذا
لتكثر له الاجر والخير في مشاركة مشقة المؤمنين ومحنة المجاهدين ولذا لما
اصاب حجر اصبعه ودميت قال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فقال

اي جبريل يا رسول الله هل تحب ان نريك اية اي علامة منك على نبوتك تقلبة
لك على محنتك لتعرف انها سبب لمزيد محبتك وقرب منزلتك قال نعم فنظر
اي جبريل الى شجرة من ورائه اي من خلفه او من خلف النبي عليهما الصلاة والسلام
فقال اي جبريل ادع بها اي اطلبها فدعا بها فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه اي منادية
لديه ومنقادة اليه صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل مرها اي بالرجوع
فلترجع اي لحكمة تقتضيه فامرها فرجعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسبي اي كفاني حسبي كرر للمبالغة او اشارة الى تكرير خرق العادة بالمجيء والاعادة
والمعنى كفاني في تسليتي عما لقيته من الحزن هذه الكرامة من ربي رواه
الدارمي وعن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اي في غزوة
او عمرة فاقبل اعرابي اي بدوي فلما دنا اي قرب قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
تشهد اي اتشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال من يشهد اي على وجه خرق العادة وظهور المعجزة على ما تقول اي من دعوى
الرسالة قال هذه السلمة بفتحات شجرة من البادية ذكره شارح وفي النهاية السلم
شجر من العضاه واحدها سلمة بفتح اللام وورقها القرظ الذي يدبغ به وبها
سمي الرجل سلمة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اي والحال ان النبي
عليه السلام بشاطئ الوادي اي كائن وواقف بطرفه فاقبلت اي الشجرة كما في نسخة
تخد الارض بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشقها اخدودا وقوله
خدا على ما في بعض النسخ مفعول مطلق حتى قامت بين يديه اي مسلمة عليه
ومسلمة لديه فاستشهدها اي طلب الشهادة من الشجرة ثلاثا اي مرتبا لا متواليا
فشهدت ثلاثا انه كما قال اي ان الشان كما قال النبي عليه السلام من كونه رسول
رب العالمين ثم رجعت الى منبتها بكسر الموحدة اي موضع نباتها وموطن اصلها رواه الدارمي
وعن ابن عباس قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعرف اي من معجزة
انك نبي اي صادق قال ان دعوت بكسر ان في اكثر الاصول وفي بعضها بفتحها وهو
الاظهر اي بان دعوت هذا العذق بكسر العين وهو العرجون بما فيه من الشماريخ وهي
بمنزلة العنقود من العنب وبالفتح النخلة والمراد به الاول لقوله من هذه
النخلة يشهد اي حال كون العذق يشهد اني رسول الله وقال الطيبي ان دعوت جواب
لقوله بما اعرف اي باني ان دعوته يشهد لي ومقتضاه ان يكون يشهد مجزوما بصيغة
الغائب والمعنى تعرف باني ان دعوته يشهد وقال شارح ان الشرط تشهد جزاؤه او [illegible]
ويشهد جملة حالية انتهى وظاهره ان يكون تشهد على الاول مخاطبا مجزوما
كما في نسخة ليكون جواب الاعرابي بنعم مقدرا او النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتظر
جوابه اذ ليس له جواب صواب غيره فدعاه اي العذق رسول الله صلى الله عليه وسلم

تجعل

تجعل اي فشرع العذق ينزل من النخلة حتى سقط وقع على الارض الى النبي صلى
الله عليه وسلم اي منتهيا اليه ومستسلما لديه ثم قال ارجع فعاد اي الى ما كان
عليه فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وعن ابي هريرة قال جاء ذئب
بهمزة ساكنة ويبدل الى راعي غنم اي الى قطعة غنم راعيها معها فاخذ اي الذئب منها
شاة فطلبه الراعي اي تبعه وحمل عليه حتى انتزعها منه اي خلصها من فمه قاله
اي الراعي فانه هو الراعي او الراوي ذكره شارح فصعد الذئب على تل بتشديد
اللام اي مكان مرتفع فاقعى اي جلس مقعيا بان قعد على وركيه ونصب يديه
واستثفر بالمثلثة فالفاء اي ادخل ذنبه بين رجليه وقيل بين اليتيه وقال
قد عمدت بفتح الميم على صيغة المتكلم اخبارا على سبيل الشكاية وفي نسخة بصيغة
الخطاب على انه استفهام على سبيل الانكار والمعنى فقصدت الى رزق رزقنيه
الله اي اباحه لي اخذته ثم انتزعته مني اي بناء على وجوب تخليصه عليك فالكل
منقادون تحت امره مطيعون لحكمه مستسلمون لقضائه وقدره فقال
الرجل اي الراعي قال التوربشتي اسمه اهبان بن اوس الخزاعي ويقال له مكلم الذئب
تالله قسم فيه معنى التعجب ان رايت اي ما رايت كاليوم اي ما رايت ذئبا يتكلم
كاليوم وفي الفائق اي ما رايت اعجوبة كاعجوبة اليوم فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ذئب يتكلم خبر مبتدا
محذوف كانه قيل اي شيء هو فقال ذئب يتكلم فقال الذئب اعجب من هذا
اي من تكلم الذئب رجل في النخلات بالمثناة اي بنخيل المدينة بين الحرتين
بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي ارض ذات حجارة سود بين جبلين من
جبال المدينة يخبركم بما مضى اي بما سبق من خبر الاولين ممن قبلكم وما هو كائن
بعدكم اي من انباء الاخرين في الدنيا ومن احوال الاجمعين في العقبى قال اي الراوي
وهو ابو هريرة فكان الرجل اي الراعي يهوديا فيه رد على ما قيل من ان ذلك الرجل
خزاعي فان خزاعة ليست بيهود اللهم الا ان يقال كان يهوديا فجاء اي النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره اي بخبر الذئب واسلم وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم اي فيما
رواه ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم انها امارة يحتمل ان يكون الضمير للقصة
وان يكون ضميرا مبهما يفسره ما بعده وان يرجع الى معنى ما تكلم به الذئب باعتبار
الحالة والقصة ذكره الطيبي والمعنى ان الحالة التي رآها وامثالها علامات
بين يدي الساعة اي قدامها قد اوشك الرجل اي قرب ان يخرج من بيته فلا يرجع
ظاهره النصب لكن اتفق الشيخ على رفعه على ان التقدير فهو لا يرجع حتى يحدثه
نعلاه اي في رجله وسوطه اي في يده بما احدث اهله اي من افعال السوء والحسن بعده
اي بعد خروجه من اهله ومفارقته اياهم رواه اي البغوي في شرح السنة اي

باسناده وعن ابي العلاء بفتح العين قال المولف هو تابعي فصل للتابعين اسمه يزيد
ابن عبد الله بن الشخير عن سمرة بن جندب تقدم ضبطهما وسيسقط ذكرهما قال
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول اي نتناول ولنه الايدي اي نتناوله بعدي
احدنا هذه مرة وهذه مرة ذكره شارح فالمعنى نتناوب اخذ الطعام من قصعة
بفتح القاف اي من صحفة كبيرة من غدوة بضم فسكون ويجوز بفتحتين فالفاء اي
من اول النهار حتى الليل اي الى دخول العشية يقوم عشرة اي بعد فراغهم من
الاكل ويقعد عشرة اي للتناول منها قلنا اي لسمرة فما كانت تمد بصيغة المجهول
من الامداد وهو ظاهر او من المدد من قولك مد السراج بالزيت قال المعنى فاي شي
كانت القصعة تمد منه ونزاد فيه ومن اين يكثر الطعام فيها طول النهار ولما كان
في هذا السؤال نوع من التعجب قال اي سمرة من اي شي تعجب والخطاب لابي
العلاء من جملة القائلين فانه من روساء التابعين او المراد خطاب العام والمعنى
لا تعجب ايها المخاطب ما كانت تمد الا من ها هنا واشار بيده الى السما والمعنى لا يكون
كثرة الطعام فيها الا من عالم العلا بنزول البركة فيها من السما وفيه ايماء الى قوله
تعالى وفي السماء رزقكم وهذا ظاهر شرح الكلام على وفق المرام وقال شارح ضمير قال
الى النبي صلى الله عليه وسلم واليه ذهب المظهر ومن تبعه وقال الطيبي ويحتمل
ان يكون القائل سمرة والسائل ابو العلاء وهو الظاهر انتهى ووجه ظهوره لا يخفى اذ
مثل هذا السؤال من الاصحاب المشاهدين للمعجزة في غاية من الغرابة واما سؤال
التابعين من الصحابي فقد يوجه بانه توهم انه كان ياتي الطعام ويوضع في القصعة
مرة بعد مرة بعد فراغ عشرة او نحوها كما يقع في العرف على طريق الاعارة فاجاب الصحابي
بان هذا لم يقع الا على سبيل خرق العادة فالمدد من رب السما لا من احد من المخلوقين من سكان
الارض رواه الترمذي والدارمي وعن عبد الله بن عمرو بالواو ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج يوم بدر في ثلثمائة بكسر المثلثة الثانية على الاضافة وخمسة عشر بفتح الجزئين
على التركيب قال استيناف بيان او حال اللهم انهم اي ثم انهم حفاة بضم الحاء جمع حاف وهو
من لا نعل له فاحملهم بهمز وصل وكسر ميم اي اعنهم على الحمل والمعنى اعط كلا منهم مركوبا
اللهم انهم عراة بالضم جمع عار اي عريان فيما بعد الا ازار فاكسهم بضم السين اي اعطهم
الكسوة والبسهم لباس الزينة اللهم انهم جياع فاشبعهم اي باطنا وظاهرا ليستقروا ويثبتوا
على الطاعة ففتح الله له اي للنبي صلى الله عليه وسلم ونصره على مشركي مكة ومنها
قريش واكابرهم حتى قتل منهم سبعون واسر سبعون فانقلبوا اي فرجع اصحابه
وما منهم رجل الا وقد رجع بحمل او جملين واكتسوا او شبعوا اي من غنايمهم اعلالهم فصدق
الله في قوله عسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا كما اخبر عنهم بقوله وان
فريقا من المؤمنين لكارهون وفي الحديث ان الصبر على ما تكره فيه خير كثير ثم هذا

نتيجة

نتيجة في الدنيا والاخرة خير وابقى رواه ابو داود وعن ابن مسعود عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم منصورون اي على الاعداء ومصيبون
اي للغنايم ومفتوح لكم اي البلاد الكثيرة فمن ادرك ذلك اي ما ذكر منكم فليتق
الله اي في جميع اموره ليكون كاملا وليامر بالمعروف ولينه عن المنكر ليكون مكملا
لا سيما في ايام امارته وتحصيل عمالته وقيل المراد بالمنكر الغلول وهو الخيانة في
الغنيمة والظاهر ان المراد هو المعنى الاعم والله اعلم رواه ابو داود وعن
جابر ان يهودية من اهل خيبر قيل انها زينب بنت الحارث وهي بنت اخي مرحب
ابن ابي مرحب سمت شاة اي جعلتها مسمومة مصلية بفتح الميم وكسر اللام
وتشديد التحتية اي مشوية قيل واكثرت السم في الكتف والذراع لما بلغها
انها احب اعضاء الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهدتها لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فاكل منها واكل
رهط اي جماعة من اصحابه معه اي من تلك الشاة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها وامنعوها عن الاكل وارسل الى اليهودية
فدعاها اي طلبها فحضرت فقال سممت هذه الشاة لا بتقدير الاستفهام
بل بالجزم في اخبار الكلام ولذا لم يقل لا ولا نعم فقالت من اخبرك اي الله او
احد من الخلق قال اخبرتني هذه اي هذه الذراع بانطاق الله اياها وقوله في يدي
حال من هذه اي مستقرة فيها للذراع قيل اللام بمعنى عن نحو قال لزيد انه لم يفعل
الشر اي قال عنه والمعنى قال عن الذراع انها اخبرتني ويحتمل ان يكون بمعنى
الى اي قال ذلك مشيرا اليها قالت نعم قالت جواب سوال مقدر ان كان
اي محمد نبيا فلن تضره اي الشاة المسمومة وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي فيه اختلاف اذ الرواية وردت
بانه امر بقتلها فقتلت ووجه التوفيق بينهما انه عفا عنها في اول الامر فلما
مات بشر بن البراء بن معرور من الاكلة التي اكلها امر بها فقتلت مكانه انتهى
وفي المواهب وقيل اسلمت ولم تقتل وقال بعض المحققين قوله فعفا عنها اي تركها
اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم لما مات بشر بن البراء بن معرور امر بقتلها قصاصا
ويحتمل ان يكون تركها لكونها اسلمت ثم امر بقتلها قصاصا لقتل بشر ولم ينفرد
الزهري بدعواه انها اسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه
بعد قولها وان كنت كاذبا ارحت الناس منك وقد استبان لي انك صادق وانا اشهدك
ومن حضر على دينك ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتوفي اصحابه
الذين اكلوا من الشاة اي بعضهم وهو بشر واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على كاهله بكسر الهاء اي بين كتفيه من اجل الذي اكل من الشاة اي المسمومة حجمه اسنان

بيان ابو هند قيل اسمه يسار الحجام بالقرن والشفرة بفتح فسكون اي كانت الحجامة
قرنا والمبضعة السكين العريض وهو اي ابو هند مولى النبي بياضة بفتح الموحدة
وتخفيف التحتية قبيلة من الانصار رواه ابو داود والدارمي وعن سهل
ابن الحنظلية قال المؤلف هي ام جده وقيل امه واليها ينتسب وبها يعرف واسم ابيه
الربيع بن عمرو وكان سهل ممن بايع تحت الشجرة وكان فاضلا معتزلا عن الناس
كثير الصلاة والذكر وكان عقيما لا يولد له سكن الشام ومات بدمشق في اول
ايام معاوية انهم اي الصحابة ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
اي وقت توجهه اليه فاطنبوا السير اي اطالوا وبالغوا فيه حتى كان عشية
اي السير ممتدا الى وقت العشية كذا ذكره الطيبي والاظهر ان يقال حتى
كان الوقت عشية فجا فارس اي راكب فرس مسرعا فقال يا رسول الله اني طلعت
بكسر اللام وفي بعض النسخ بفتحها اي علوت على جبل كذا وكذا ففي القاموس طلع
الجبل علاه كطلع بالكسر واقتصر الجوهري على الكسر وصاحب المفتاح على الفتح
وفي نسخة السيد ضبط بالكسر ووضع عليه صح والله اعلم فاذا انا بهوازن
بفتح الهاء وكسر الزاي قبيلة كبيرة على بكرة ابيهم بفتح فسكون اي كلهم مجتمعين
قيل كان الرجل يحمل جميع اولاده على بكرة والبكرة بالفتح الفتي من الابل بمنزلة
الغلام من الناس والانثى بكرة وجاوا على بكرة ابيهم كلمة للعرب يريدون بها
الكثرة وقال القاضي يقال جاء القوم على بكرة ابيهم اي جاوا باجمعهم بحيث لم يبق
منهم احد وعلى ههنا بمعنى مع وهو مثل يضرب العرب وكان السبب فيه انه جاء
من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعا ولم يخلفوا شيئا حتى ان بكرة كانت لابيهم
اخذوها معهم فقال من وراءهم جاوا على بكرة ابيهم فصارت لك مثلا في قوم جاوا على
بكرة ابيهم باجمعهم وان لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت
في هذا الموضع بظعنهم بضمتين وبسكون الثاني جماعة الرجال والنسا الذين
يظعنون اي يرتحلون كذا قاله شارح وقال الجزري اي بنسائهم وهو الاظهر على
انها جمع الظعينة وهي المراة ما دامت في الهودج وقيل هي الهودج كانت فيها امراة
او لا وهو مركوب من مراكب النسا مقبب وغير مقبب ونعمهم بفتحتين اي
وبامولهم ومواشيهم اجتمعوا الى حنين اي متوجهين اليه فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي تعجبا من حسن صنيعه وقال تلك الجماعة من الرجال والنسا
والاموال غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله للتبرك او للتقنية احتياطا ثم قال من
يحرسنا الليلة اي يحفظ عسكرنا من البيات الليلة اي الاتية قال انس بن ابي مرثد
بفتح الميم والمثلثة الغنوي بفتحتين انا يا رسول الله قال المؤلف شهد انس بن مرثد
ابن ابي مرثد فتح مكة وحنينا مات سنة عشرين وله ولابيه وجده واخيه صحبة

واسم

واسم ابي مرثد كناز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي وقيل ان اسمه انيس قال
ابن عبد البر وهو اكثر ويقال انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم اغد يا انيس
الى امراة هذا فان اعترفت فارجمها وقيل غيره والله اعلم قال اركب فركب فرسا له
فقال استقبل هذا الشعب بكسر اوله وهو الطريق بين جبلين حتى تكون في اعلاه
فلما اصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين اي سنة الصبح
ثم قال هل احسستم بكسر السين الاولى ادركتم بالحس فارسكم بان رايتموه او سمعتم صوته
فقال رجل يا رسول الله ما احسسناه اي ما عرفنا له خبرا ولا راينا له اثرا فثوب بالتشديد
الواو المكسورة اي اقيم بالصلاة قال الطيبي الاصل في التثويب ان يجي الرجل
مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر فسمي الدعا تثويبا لذلك وكل داع مثوب
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جملة حالية معترضة والمعنى
شرع حال صلاته يلتفت الى الشعب اي يميل بطرف عينيه الى جهة الطريق في الجبل
حتى اذا قضى الصلاة اي اداها وفرغ منها قال ابشروا فقد جاء فارسكم الاضافة
لادنى ملابسة فجعلنا ننظر الى خلال الشجر في الشعب بكسر الخاء المعجمة جمع الخلل
بفتحتين وهو الفرجة وبين الشيئين فاذا هو اي الفارس قد جاء حتى وقف على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي راكبا او نازلا فقال اني انطلقت حتى كنت في اعلى هذا
الشعب حيث امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى حسن العدول عن
قوله حيث امرتني فلما اصبحت طلعت الشعبين كليهما اي ثنيتي طريقي الجبل وجوانبهما
مخافة ان يكون فيه احد مختفيا فلم ار احدا فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل نزلت اي من الدابة الليلة اي البارحة وهي الماضية قال لا الا مصليا او
قاضي حاجة اي من بول او غائط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا عليك اي
ليس عليك حرج في ان لا تعمل اي من النوافل والفضائل بعدها اي بعد هذه الخصلة
التي فعلتها فانه قد حصل لك فضيلة كافية قال ابن الملك وفيه بشارة منه
صلى الله عليه وسلم بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر انتهى ولا يخفى ما فيه
من النظر وقال الطيبي اي لا باس عليك بان لا تعمل بعد هذه الليلة من المبرات
والخيرات فان عملك الليلة كافية لك عند الله مثوبة وفضيلة واراد النوافل
والتبرعات من الاعمال لا الفرايض فان ذلك لا يسقط ويمكن ان ينزل على ما عليه من
عمل الجهاد في ذلك اليوم جبرانا لقلبه وتسلية له رواه ابو داود وعن ابي هريرة
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات بفتحتين قال الشيخ ابو نصر كانت التمرات احدى
وعشرين كذا في الازهار فقلت يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة اي اسال الله البركة
فيهن او لاجلهن فضمهن اي فاخذهن بيده او وضع يده عليهن ثم دعا لي اي لاجلي خصوصا
فيهن بالبركة اي بالبركة فيهن وكثرة الخير في اكلهن تبقا بعض قال اي بطريق الاستيناف

خذهن فاجعلهن اي ادخلهن في مزودك بكسر الميم وهو ما يجعل فيه الزاد من الجراب
وغيره كلما اردت ان تاخذ منه اي من التمر من المزود شيئا قال الطيبي ان جعل منه
صلة لتاخذ وشيئا مفعول فيكون نكرة شايعة فلا يختص بالتمر وان جعل حالا من شيئا
اختص به فادخل فيه اي في المزود يدك فخذه اي التمر منه ولا تنثره بضم المثلثة
وبكسر نثرا مفعول مطلق ففي المصباح نثرته نثرا من بابي نصر وضرب رميته به
متفرقا فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق اي ستين صاعا على ما هو المشهور
وصرح به شارح او حمل بعير على ما ذكر في القاموس في سبيل الله قال الطيبي يجوز
ان يحمل حملت على الحقيقة وان يحمل على معنى الاخذ اي اخذت منه مقدار كذا بدفعات
انتهى والحمل على الحقيقة اولى فانه ابلغ في المدعى ويويده قوله فكنا اي انا
واصحابي ناكل منه ونطعم اي غيرنا وكان اي المزود لا يفارق حقوي اي وسطي
قال شارح الحقو الازار والمراد هنا موضع شد الازار وقال الطيبي الحقو معقد
الازار وسمي الازار للمجاورة حتى كان يوم بالرفع على كان تامة وجوز نصبه على
ان التقدير حتى كان الزمان يوم قتل عثمان بصيغة المصدر مضافا الى مفعوله
وفي نسخة بصيغة المجهول وعثمان نايب الفاعل قال الخلخالي يجوز فتح يوم مضافا
الى قتل وبموجبه فعلية ويجوز رفعه على انه فاعل كان التامة فانه اي المزود انقطع
اي ذلك اليوم وسقط مني وضاع فحزنت عليه حزنا شديدا وفيه ايماء الى ان الفساد
اذا فشا ارتفعت البركة وكان يقول ابو هريرة للناس هم ولي همان بينهم هم الجراب
وهم الشيخ عثمانا ذكره ابن الملك رواه الترمذي

الفصل الثالث

عن ابن عباس قال
تشاورت قريش ليلة بمكة اي في دار الندوة وحضر معهم الشيطان على صورة شيخ
نجدي فقال بعضهم اذا اصبح فاثبتوه بفتح همز وكسر موحدة اي فاربطوه بالوثاق
بفتح الواو وهو ما يشد به يريدون النبي صلى الله عليه وسلم اي ليحبسوه بالقيد
المستتر والبارز والاظهر ان المراد باثباته حبسه وقال بعضهم بل اقتلوه
وحصلوا لكم منه الراحة وقال بعضهم بل اخرجوه اي على وجه الاهانة وقد اخبر الله
سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وذلك
بانهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم خافوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين
في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت
وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ
بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي
ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بيس الراي يفسد قوما
غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا

فيضربوه

فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه
فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك اي بان جاءه جبريل واخبره بالخبر وامره
بالهجرة فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله عنه الى الغار
فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج
النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا اي للتعمية
عنه في التخالبة اذ كان راي الكفار استقر على انهم يحرسونه في الليل ثم في الصبح
يقتلونه كما يشير اليه قوله يحسبونه بكسر السين وفتحها اي يظنون عليا النبي صلى
الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا بمثلثة بعدها الف اي وثبوا عليه اي على من على
المرقد ظنا انه عليه السلام فلما راوا عليا الى مكانه رد الله مكرهم اي عليهم كما قال سبحانه
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فقالوا اي لعلي اين اي لعلي اي ذهب صاحبك هذا
اي المشار اليه صلى الله عليه وسلم قال اي علي من كمال عقله لا ادري وهو اما حقيقة
او تورية فاقتصوا بالتشديد الصاد المهملة اي تتبعوا اثره اي اثار قدمه فلما بلغوا
الجبل اي جبل ثور اختلط اي اشتبه امر الاثر عليهم فصعدوا الجبل بكسر العين ففي
القاموس صعد في السلم كسمع انتهى فصعدوا الجبل من باب دخلت الدار اي فطلعوا
عليه فمروا بالغار اي بالكهف الذي فوق ذلك الجبل فظنوا انه فيه فراوا على بابه نسج
العنكبوت اي منسوجه فقالوا لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه وقيل لما دخل
الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وروي ان
المشركين طلعوا فوق الغار بحيث لو نظروا الى اقدامهم لراوهما فاشفق ابو بكر رضي الله
عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ولا منع من جمع الجمع فمكث
بضم الكاف وفتحه اي بيت فيه ثلاث ليال اي ثم توجه الى المدينة رواه احمد وعن
ابي هريرة قال لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم بفتح
السين وضمها وبكسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي اي لاجلي وفي نسخة
لي اي متنبهين الي وجعلوا مجتمعين عندي من كان ههنا اي في هذا المكان من
اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سايلكم عن شيء افلا
فهل انتم مصدقي بتشديد الدال والياء اي مصدقوني في الاخبار وحذفت النون كما قال بعض
المحققين في اصل المشكاة صادقي بالتخفيف قال كذا في ثلاثة مواضع في اكثر النسخ فيدل
على ان الاصل دخول نون الوقاية في الاسماء المعربة المضافة الى ياء المتكلم لتقيها عن
خفاء الاعراب فلما منعوها ذلك صار الاصل متروكا فنبهوا عليه في بعض الاسماء المعربة
لمشابهة الفعل قالوا نعم يا ابا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من

ابوكم اي جدكم قالوا فلان اي بطريق الكذب على وجه الامتحان قال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا
صدقت وبررت بكسر الراء اي احسنت قال فهل انتم مصدقي عن شيء ان سألتكم عنه اي
ثم اخبرتكم به قالوا نعم يا ابا القاسم وان كذبناك اي في قولنا هذا لعرفت كما عرفته في ابينا
فقال لهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا اي زمنا قليلا كما اخبر الله سبحانه عنهم
بقوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم تخلفونا بضم اللام وتشديد النون وتخفف
ان تعقبوننا فيها وهذا على زعمهما لفاسد واعتقادهم الكاسد انه قول صدق وخبر
حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها اشارة الى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا
تكلمون وهو في الاصل زجر الكلب فالمعنى اسكتوا سكوت هوان فانكم كاذبون في اخباركم
والله لا نخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم مصدقي في شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم يا ابا القا
قال هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك فقالوا اردنا ان كنت كاذ
اي في دعوى رسالتك ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك بتشديد الراء المفتوحة
ويجوز ضمها ولو روي بكسر الضاد وسكون الراء المخففة لجاز كما قرئ في قوله تعالى لا يضركم شيئا
في ال عمران قال الطيبي قوله ان نستريح مفعول لاردنا وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل
والمفعول محذوف لوجود القرينة اي ان كنت كاذبا لضرك فنستريح منك وان كنت
صادقا لم يضرك فننتفع بهدايتك وحاصله اردنا الامتحان يعني فاما ان نعلم انك
كاذب ونستريح منك وان نعلم انك نبي فنتبعك وفيه انه تبين من جحودهم انهم كاذبون
في دعويهم فثبتت عليهم الحجة البالغة بظهور المعجزة السابقة رواه البخاري وعن
عمرو بن اخطب الانصاري قال المؤلف هو مشهور بكنيته ابي زيد غزا مع النبي صلى الله عليه
وسلم غزوات ومسح راسه ودعا له بالجمال فيقال انه بلغ مائة سنة ونيفا وما في راسه
ولحيته الا نبذ من شعر ابيض عداده في اهل البصرة روى عنه جماعة قال صلى بنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر اي صلاة الصبح وصعد بالكسر اي طلع على المنبر فخطب
اي خطب لنا او وعظنا حتى حضرت الظهر اي صلاة الظهر بدخول وقتها فنزل فصلى
ثم صعد المنبر فيه اشعار بانه قد يتعدى بنفسه فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى
ثم صعد المنبر حتى غربت بفتح الراء اي غابت الشمس فاخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة
اي مجملا او مفصلا ففيه الاعجاز اكثر قال اي عمرو فاعلمنا اي الان احفظنا اي يومئذ ذكره
السيوطي وقال السيد جمال الدين الاولى ان يقال احفظنا الان لتلك القصة اعلمنا اي
الان رواه مسلم وعن معن بفتح فسكون معدود في التابعين ابن عبد الرحمن اي ابن
عبد الله بن مسعود الهذلي قال اي معن سمعت ابي اي عبد الرحمن ولم يذكره المؤلف في
الصحابة قال سألت مسروقا وهو تابعي مشهور من اذن بالمد اي من اعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بالجن اي بحضورهم ليلة بالتنوين ويجوز فتحها بناء على اضافتها الى قوله استمعوا القران
بل فتحها هو افصح في قوله ليلة اسري به وكذا في يوم ولدته امه ومنه قوله تعالى يومئذ

الصادقين عند جمهور القراء فقال اي مسروق بن عبد الرحمن حدثني ابوك يعني عبد الله
ابن مسعود تفسير من بعض الرواة المتاخرين انه اي ابن مسعود ولا يبعد رجوع الضمير
الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اذنت بالمد اي اعلمت بهم شجرة متفق عليه وعن انس
قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال اي فطلبنا رؤيته وكنت رجلا حديد
البصر فرأيته وليس احد يزعم انه راه اي الهلال غيري فجعلت اقول لعمر اما تراه فجعل
لا يراه قال الطيبي كانه تابع لقوله فجعلت اي طفقت اريه الهلال فهو لا يراه فاحكم
تبعا مشاكلة كما في فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب تاكيد لقوله لا تحسبن الذين يفرحون
انتهى ولا يبعد انه يقال التفنن بل فجعل عمر يطالع في التماحه لكونه لا يراه قال يقول
عمر اي بعد عجزه عن رؤيته ساراه وانا مستلق على فراشي الجملة حال من الفاعل و
المفعول والمعنى ساراه بلا مشقة وليس لي الى رؤيته الان حاجة قال الطيبي اي
لا يهمني الان رؤيته بتعب ساراه بعد من غير تعب ثم انشا اي ابتدا عمر يحدثنا عن اهل
بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا بضم فسكون اي يعلمنا مصارع اهل
بدر اي مواضع طرحهم وصرعهم وهلاكهم بالامس اي بامس القضية لا الحكاية يقول هذا
مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان اي غدا كما في نسخة ان شاء الله تعالى وهكذا
الى ان بين مصارع سبعين منهم قال عمر والذي بعثه اي النبي بالحق اي بالصدق ما اخطاوا
اي ما تجاوزوا المذكورون الحدود التي حدها اي المواضع التي بينها وعينها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي نسخة السيد جمال الدين ما اخطا بصيغة المتكلم من الثلاثي
المجهول والمعنى ما اغلطها بل احفظها واعرفها لكن هذا مبني على سقوط الواو عن رسم
الكتابة وحينئذ يحتمل ان يكون على بناء الغائب المذكر المفرد والضمير راجع الى الله
او الى النبي صلى الله عليه وسلم سبحانه اعلم قال اي عمر فجعلوا بصيغة المجهول اي القوا
في بئر اي مجموعة بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى
اليهم فقال يا فلان بن فلان بفتح الفوقيتين الاولين وهما كنايتان عن العلمين ويا
فلان بن فلان وهكذا الى ان نادى كلهم او بعضهم اكثرهم او افاهم هل وجدتم ما وعدكم
الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا وفيه ايماء الى قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
قالوا نعم فهو لهم ايضا لا بد انهم قالوا نعم اما بلسان المقال او بيان الحال فقال عمر
يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها اي بظاهرها وبحسب لحاظنا فقال ما انتم باسمع
لما اقول منهم متعلق باسمع والمعنى لستم باقوى او اكثر سماعا منهم لما اقوله لهم غير
انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيئا اي من الجواب او بحيث انكم تسمعون رواه مسلم وعن
انيسة تصغير انسة كما في نسخة بنت زيد بن ارقم لم يذكرها المؤلف في الصحابة عن
ابيها قال المؤلف يكنى ابا عمرو الانصاري الخزرجي يعد في الكوفيين سكنها ومات بها سنة

ثمان وسبعين وهو ابن ثمان وثمانين سنة روى عنه عطاء بن يسار وغيره ان النبي
وفي نسخة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زيد يعني نفسه اما على
التجريد او بنوع التفات او بتصرف الرواة يعوده من مرض كان به قال ليس عليك
من مرضك باس ولكن كيف لك اي حالا ومآلا اذا عمرت بتشديد الميم المكسورة اي
طال عمرك بعدي فعميت بكسر الميم اي فصرت اعمى قال احتسب اي اطلب الثواب واصبر
اي على حكم رب الارباب قال اذا بالتنوين وفي نسخة اذن تدخل الجنة بغير حساب
وفي نسخة الخبر روي بالرفع ولعل وجهه ان تدخل بمعنى يستحق دخولها بغير حساب
قال اي الشخص الراوي سواء كان زيدا او غيرها فعمي بعدما مات النبي صلى الله
عليه وسلم ثم رد الله عليه بصره ثم مات ولعله صلى الله عليه وسلم لم يذكر له رد بصره
لتكون مشقة صبره اكثر واجره المرتب عليه اكبر ثم حصل له النصر مع البصر وعن
اسامة بن زيد رضي الله عنهما صحابيان جليلان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقول
بتشديد الواو اي من كذب وافترى علي ما لم اقل اي متعمدا كما في رواية فليتبوأ مقعده
من النار وهذا القدر من الحديث كاد ان يكون متواترا في المعنى كما بيناه في موضعه
وذلك اي وسبب ورود هذا الحديث انه اي النبي عليه السلام بعث رجلا اي الى
قوم او الى احد فكذب عليه اي على النبي عليه السلام وانكشف له بنور النبوة
او بلغه خبره فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ميتا وقد انشق
بطنه ولم تقبله الارض وهذا يؤيد قول الجويني ان المفتري على النبي عليه السلام
عمدا كافر رواهما اي الحديثين السابقين البيهقي في دلائل النبوة وعن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير اي نصف وسق
وهو ستون صاعا او حمل بعير ويحتمل ان يراد بالشطر البعض فانه بعض معانيه
كما في قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وهو انسب بالمقام لا لانه بالابلغية على
المرام وقد سبق تحقيقه في حديث الطهور شطر الايمان فما زال الرجل ياكل
منه وامراته بالرفع اي وتاكل هي ايضا منه وضيفهما اي من الرجال والنساء كذلك
وهو يطلق على المفرد والجمع حتى كاله اي الرجل بقية المأكول ففني اي نفد
سريعا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له او لم يذكر فقال لو لم تكله لاكلتم اي انتما
وامراتك واضيافكما وقام لكم اي على وجه الدوام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم
رواه مسلم وعن عاصم بن كليب بالتصغير قال المؤلف في فصل التابعين هو الجرمي
الكوفي سمع اباه وغيره ومنه الثوري وشعبة وحديثه في الصلاة والحج والجهاد
انتهى وكان حقه ان يقول وفي المعجزات عن ابيه لم يذكره المؤلف في اصحابه عن رجل
من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة بكسر الجيم
وفتحها فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر اي طرفه والجملة حال

يوصي الحافر

يوصي الحافر بتخفيف الصاد وتشديده حال اخرى يقول بيان او بدل اوسع امر مخاطب
للحافر من قبل رجليه بكسر القاف وفتح الباء اي من جانبهما اوسع من قبل راسه فلما
رجع اي من المقبرة استقبله داعي امراته اي زوجته المتوفى فاجاب ونحن معه
فجيء بالطعام فوضع يده اي فيه ثم وضع القوم اي ايديهم فاكلوا هذا الحديث بظاهره
يرد على ما قرره اصحاب مذهبنا من انه يكره اتخاذ الطعام في اليوم الاول
والثالث او بعد الاسبوع كما في البزازية وذكر في الخلاصة انه لا يباح اتخاذ
الضيافة عند ثلاثة ايام وقال الزيلعي ولا باس بالجلوس للمصيبة الى
ثلاث من غير ارتكاب محظور من فرش البسط والاطعمة من اهل البيت وقال
ابن الهمام يكره اتخاذ الضيافة من اهل البيت والكل عللوه بانه شرع في السرور
لا في الشرور وقال وهي بدعة مستقبحة روى الامام احمد وابن ماجة باسناد
صحيح عن جرير بن عبد الله قال كنا نعد الاجتماع الى اهل البيت وصنعهم
الطعام من النياحة انتهى فينبغي ان يقيد كلامهم بنوع خاص من اجتماع
يوجب استحياء اهل بيت الميت فيطعمونهم كرها او يحمل على كون بعض الورثة صغيرا او غائبا
او لم يعرف رضاه او لم يكن الطعام من عند احد معين من ماله لنفسه لا من مال الميت
قبل قسمته ونحو ذلك وعليه يحمل قول قاضي خان يكره اتخاذ الضيافة في ايام
المصيبة لانها ايام تأسف فلا يليق بها ما يكون للسرور وان اتخذ طعاما للفقراء
كان حسنا واما الوصية باتخاذ الطعام بعد موته ليطعم الناس ثلاثة ايام فباطلة
على الاصح وقيل يجوز ذلك من الثلث وهو الاظهر فنظرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الى رسول الله كما في نسخة يلوك لقمة في فيه اي يلفها من فمه الى جانب فم
ففي النهاية اللوك ادارة الشيء في الفم ثم قال اجد لحم شاة اخذت وفي نسخة اخذت
بغير اذن اهلها فارسلت المراة تقول يا رسول الله اني ارسلت الى النقيع بالنون
وهو موضع يباع فيه الغنم تفسير مدرج من بعض الرواة وفي المقدمة النقيع
موضع بشرق المدينة وقال في التهذيب هو في صدر وادي العقيق على نحو عشرين
ميلا من المدينة قال الخطابي اخطأ من قال بالموحدة والجملة معترضة بين
القول وهو قولها ارسلت ومقوله وهي متعلقة وهو قولها ليشترى شاة بصيغة
المجهول فلم يوجد فارسلت الى جار لي قد اشترى شاة ان يرسل اي بان يرسل الجار
بها اي بالشاة المشتراة لنفسه الي بثمنها اي الذي اشتراها به فلم يوجد اي الجار
فارسلت الى امراته فارسلت اي المراة الي بها اي بالشاة فظهر ان شراءها غير صحيح وهو
نظير بيع الفضولي المتوقف على اجازة صاحبه وعلى كل فالشبهة قوية والمباشرة
غير مرضية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعميه هذا الطعام الاسرى
جمع اسير والغالب انه فقير وقال الطيبي وهو كفار وذلك انه لما لم يوجد صاحب الشاة

ليستحلوا منه وكان الطعام في صدر الفساد ولم يلق يدي الطعام هؤلاء بالطعام انتهى وقد لزم منها قتله الشاة باتلافها ووقع هذه القصة عندنا رواه ابو داود والبيهقي في دلائل النبوة متعلق بروي المقدر وقد يروى عن حزام بكسر حاء مهملة فزاي بن هشام عن ابيه اي هشام ولم يذكرهما المؤلف في اسمائه عن جده حبيش بضم حاء مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية فشين معجمة وفي نسخة بخاء معجمة ونون ثم سين مهملة والاول اصح على ما في جامع الاصول واقتصر عليه المصابيح قال المؤلف حبيش بن خالد الخزاعي قتل يوم فتح مكة مع خالد بن الوليد روى عنه ابنه هشام وهو اخو ام معبد اي الخزاعية وهي عاتكة بنت خالد يقال انها اسلمت لما نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم في مهاجرته الى المدينة ويقال انها قدمت المدينة فاسلمت والحديث المعروف بحديث ام معبد مشهور ذكره المؤلف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اخرج بصيغة المفعول اي امر بالخروج من مكة او اضطر اهل مكة بسبب خروجه اذ لم يقع اخراجها منه كما يشير اليه قوله خرج اي باختياره مهاجرا اي من مكة لتكفر اهلها الى المدينة اي واهلها من الانصار ومن انضم اليهم من المهاجرين الكبار هو وابو بكر ومولى ابي بكر عامر بن فهيرة بضم فاء وفتح هاء ولم يذكره المؤلف ودليلهما اي مرشد النبي والصديق في الطريق عبد الله الليثي هو مولى ابي بكر الصديق هاجر معهما الى المدينة وكان قبل ان يسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم كذا ذكره بعضهم ولم يذكره المؤلف مروا على خيمة ام معبد بلفظ التثنية مضافا فسالوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصيبوا اي لم يصادفوا عندها شيئا من ذلك اي مما ذكر من اللحم والتمر ومن جنس الماكول وكان القوم مرملين اي فاقدين الزاد في شرح السنة المرمل من نفد زاده يقال ارمل الرجل اذا ذهب طعامه مسنتين اي اصابهم القحط يقال اسنت الرجل فهو مسنت فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة بفتح الكاف وسكون السين وبكسر اوله اي جانبها قال الطيبي كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها جانب الخيمة وفي القاموس الكسر جانب البيت والشقة السفلى من الخباء وما يكسر ويثنى على الارض منه والناحية ويكسر فقال ما هذه الشاة يا ام معبد قالت شاة خلفها بالتشديد اللام اي تركها الجهد بضم الجيم وبفتح اي الهزال عن الغنم اي متخلفة عنها قال هل بها من لبن اي بعضه قالت هي اجهد من ذلك والمعنى ليس فيها لبن اصلا قال اتاذنين لي ان احلبها من باب نصر على ما في المصباح وفي القاموس الحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن يحلب ويحلب وفي النهاية حالبت الشاة والناقة احلبها حلبا بفتح اللام فقالت بابي انت وامي ان رايت بها حلبا بفتحتين ويسكن اللام اي لبنا محلوبا فاحلبها قال صاحب المصباح الحلب محركة يطلق على الصدر

وعلى اللبن المحلوب فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طلبها فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها اي لام معبد في شانها اي في شان الشاة كما في نسخة اي في حقها فتفاجت عليه بالتشديد الجيم اي فتحت ما بين رجليها للحلب ودرت بالتشديد الراء اي سلت الدر بالفتح وهو اللبن واجترت بالراء المشددة قال الطيبي الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه فدعا باناء يربض الرهط بضم الباء وكسر الموحدة اي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في المكان اذا لصق به وقام ملازما له فحلب فيه اي في الاناء ثجا اي حلبا ذا سيلان حتى علاه اي ظهر على الاناء البهاء اي بهاء اللبن وهو بفتح الباء رغوته وهي بفتح الراء وضمها وحكي كسرها الزبد يعلو الشيء عند غليانه ثم سقاها اي ام معبد حتى رويت ولعل الابتداء بها كرامة لها ولكونها صاحبة الشاة وترغيبا الى اسلامها وسقى اصحابه اي بعدها حتى رووا اي ضلوا وشبعوا ثم شرب اخرهم اي في اخرهم لقوله ساقي القوم اخرهم شربا ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء بفتح فسكون اي بعد ابتداء بلا مكث حتى ملا الاناء ثم غادره اي تركه عندها اي معجزة يريها زوجها وبايعها اي النبي عليه السلام على الاسلام وارتحلوا عنها رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفا وفي الحديث قصة اي طويلة وهي انه لما رحل النبي صلى الله عليه وسلم جاء ابو معبد يسوق اعنزا عجافا فراى في البيت لبنا فقال من اين هذا اخفا لنا مر بنا رجل مبارك وذكرت من وصف النبي صلى الله عليه وسلم ونعته بعبارة فصيحة فقال ابو معبد هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من امره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان اصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا واصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه ○ رفيقين قالا خيمتي ام معبد
هما نزلا بالهدى واهتدت به ○ فقد فاز من امسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم ○ به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ○ ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ○ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
فغادرها رهنا لديها لحالب ○ ترددها في مصدر ثم مورد

قال في السنة الصوت الذي سمعوا بمكة بعض مسلمي الجن اقبل من اسفل مكة والناس يتبعونه يسمعون الصوت وما يرونه حتى خرج باعلى مكة قالت اسماء فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان وجهه الى المدينة وقال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عماية وهاد به كل مهتد
لقد نزلت منه على اهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم او في ضحى الغد
ليهن ابا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد ليهن بني كعب مقام فتاتها
ومقعدها للمومنين بمرصد

باب الكرامات

الكرامات جمع كرامة وهي اسم من الاكرام والتكريم وهي فعل خارق للعادة غير مقرون بالتحدي وقد اعترف بها اهل السنة وانكرها المعتزلة واحتج اهل السنة بحدوث الحبل لمريم من غير فحل وحصول الرزق عندها من غير سبب ظاهر وايضا في قصة اصحاب الكهف في الغار ثلثمائة سنة وازيد في النوم احياء من غير آفة دليل ظاهر وكذا في احضار آصف بن برخيا عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف حجة واضحة واما المعتزلة فتعلقوا بانه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي يخرج الخارق عن كونه دليلا على النبوة واجيب بانه يمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة وفي الحقيقة كرامة كل ولي معجزة لنبيه لدلالتها على حقيقة متبوعه واما على قول ابن الملك والقدرة الا نبيا عليها متى ارادها ليسهل عليهم تمهيد الاديان والشرائع ففيه بحث نظر ظاهر الفصل الاول عن انس ان اسيد ابن حضير بالتصغير فيهما قال المولف انصاري اوسي كان ممن شهد العقبة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع وعباد بفتح العين وتشديد الموحدة ابن بشر بكسر فسكون انصاري اسلمي بالمدينة قبل اسلام سعد ابن معاذ وشهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن الاشرف اليهودي وكان من فضلاء الصحابة روى عنه انس بن مالك وعبد الرحمن بن ثابت وقتل يوم اليمامة وله خمس واربعون سنة تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل اي طويلة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا اي انصرفا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان اي حال كونهما يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية بتصغير عصاه فاضاءت عصا احدهما لهما

والاظهر ان يكون هو اسيدهما اسلاما وهو المقدم ذكرا حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اي وصل كل واحد اهله رواه البخاري قال ميرك ليس الحديث في البخاري بهذا اللفظ بل فيه عن انس ان رجلين كانا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصابيح يضيئان بين ايديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى اتى اهله اخرجه في اخر باب علامات النبوة في الاسلام واخرج في كتاب مناقب الانصار في باب مناقب اسيد بن حضير وعباد بن بشر بلفظ ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فاذا نور بين ايديهما حتى افترقا فافترق النور معهما وقال معمر عن ثابت عن انس ان اسيد ابن حضير ورجلا من الانصار وقال حماد اخبرنا ثابت عن انس قال كان اسيد بن حضير وعباد بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما في صحيح البخاري وقد رواه محي السنة في شرح السنة من طريق البخاري باللفظ الاول ثم رواه باسناد اخر باللفظ الذي اورده صاحب المشكاة فتامل ويفهم من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني ان اللفظ الذي اورده المصابيح والمشكاة اخرجه عبد الرزاق في مصنفه من طريق الاسماعيلي في مستخرجه ورواه احمد في مسنده والحاكم في مستدركه بنحوه والله اعلم وعن جابر قال لما حضر احد اي حربه دعاني ابي من الليل اي في بعض من الليل فقال ما اراني بضم الهمزة اي ما احسبني الا مقتولا في اول من يقتل اي في اول جمع يقتلون من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا اترك بعدي اعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فانه اعز علي حتى من نفسي وان علي دينا اي كثيرا فاقض اي سريعا واستوص باخواتك اي اقبل وصيتي فيهن وهن كن تسعا ثم انتصاب قوله خيرا على المصدر اي استيصاء خيرا وقيل التقدير وصيفي بالخير في شانهن فكان ابي اول من قتل ودفنته مع اخر وهو عمرو بن الجموح وكان صديق والدها بزوج اخته في قبر قال ابن الملك فيه دليل على جواز دفن اثنين في قبر واحد انتهى والظاهر ان محله اذا كان ضرورة رواه البخاري وعن عبد الرحمن ابن ابي بكر ذكره المولف في التابعين وقال روى عنه ابن محمد وقال ابن الملك اسلم عام الحديبية وكان اسن اولاد ابي بكر وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهو الظاهر من الحديث كما لا يخفى قال ان اصحاب الصفة كانوا اناسا اي جماعة فقراء اي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم مشاهيرهم على ما ذكره الحافظ ابو نعيم في حليته الاولياء ابو ذر الغفاري عمار بن ياسر سلمان الفارسي صهيب بلال ابو هريرة خباب الارت حذيفة بن اليمان ابو سعيد الخدري بشر

ابن الحصاصة ابو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وفيهم نزل
قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
وكانت الصفة في المسجد مسقفة بجريد النخل وكان هؤلاء الفقراء يستوطنون
تلك السقيفة ويبيتون فيها فنسبوا اليها وكان الرجل اذا قدم المدينة وكان
له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف ينزل الصفة وان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اي يوما من كان عنده طعام اثنين اي من عيال له فليذهب بثالث
اي من هؤلاء الفقراء اصحاب الصفة قال الطيبي وهذا هو الصحيح وفي اكثر
نسخ المصابيح بثلاثة وهو غير صحيح رواية ومعنى ومن كان عنده طعام اربعة
فليذهب بخامس اي ان لم يكن عنده ما يقتضي اكثر من ذلك او سادس اي ان اقتضاه
فاو للتنويع او للتخيير ويحتمل ان يكون للشك او بمعنى بل للمبالغة في باب
الضيافة على ان مقتضى من كان عنده طعام اثنين ان يذهب بثالث
ان يكون عنده طعام اربعة ان يذهب باثنين بل روى احمد ومسلم والترمذي
والنسائي عن جابر مرفوعا طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي
الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية وان ابا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي
صلى الله عليه وسلم بعشرة قال ابن حجر عبر عن ابي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله
من المسجد وعبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالانطلاق لقربه انتهى ولا
دلالة في الحديث على ما ذكره بل مقتضاه العكس كما لا يخفى فالاولى ان يقال
انما عبر عنه بالمجيء لان الراوي هو ابنه وهو من اهل البيت فكانه قال جاءنا
بثلاثة وذهب النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة وان ابا بكر تعشى عند النبي صلى
الله عليه وسلم اي اكل العشاء بالفتح وهو طعام الليل في بيته صلى الله عليه وسلم
معه او مع اضيافه او بانفراده عنه في بيته ثم لبث اي مكث ابو بكر عنده تعشيه
فيما بين العشاءين حتى صليت بصيغة المجهول اي اديت معه عليه السلام
العشاء بكسر العين اي صلاة العشاء ثم رجع اي الى بيته عليه السلام حتى تعشى
النبي صلى الله عليه وسلم اي وحده او مع اضيافه في بيت عائشة او غيرها وانما
رجع معه اغتناما لرؤيته واهتماما بصحبته مع احتمال انه اعاد الاكل في حضرته
فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله وفي رواية ثم ركع بدل رجع اي صلى النافلة
وفي اخرى حتى نعس اي تاخر عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى نعس النبي صلى
الله عليه وسلم وقام لينام فرجع الى بيته قال الكرماني ان قلت هذا يشعر بان
التعشي عند النبي صلى الله عليه وسلم كان متاخرا بعد الرجوع اليه وما تقدم
اشعر بانه كان قبله قلت الاول بيان حال ابي بكر في عدم احتياجه الى طعام
عند اهله والثاني هو سوق القصة على الترتيب الواقع والاول كان التعشي

البو

ابو بكر والثاني تعشي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحاصل ان ابا بكر لما ابطا
في رجوعه الى بيته قالت له امراته ما حبسك عن اضيافك اي عن الحضور معهم
قال اوما عشيتهم بتشديد الشين واشباع كسرة التاء الى تولد الياء وهو من
التعشية وهي اعطاء العشاء والمعنى اقصرت في خدمتهم وما اطعمتهم عشاءهم
قالت ابوا اي امتنعوا من الاكل حتى تجيء اي تحضر معهم وتشاركهم في اكلهم فغضب
اي على اهله لظن انهم قصروا في الالحاح والمبالغة او على نفسه حيث غفل عن هذا
المعنى وذهل عن هذا المعنى وقال وفي نسخة فقال والله لا اطعمه بفتح الهمز
والعين اي لا اكل الطعام ابدا فحلفت المراة ان لا تطعمه اي ابدا كما في نسخة وحلف
الاضياف ان لا يطعموه اي لا ياكلوه منفردين او مطلقا قال ابو بكر كان هذا اي
الحلف من الشيطان اي من اغوائه فدعا بالطعام فاكل واكلوا قال الكرماني ان
قلت كيف جاز له خلاف اليمين قلنا لانه اتيان بالافضل لخبر من حلف على يمين
فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه او كان مراده لا اطعمه
معكم او في هذه الساعة او عند الغضب وهذا مبني على انه هل يقبل التخصيص
اذا كانت الالفاظ عامة وعلى ان الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب
انتهى ولا يخفى ضعف هذه الوجوه الاخيرة لاسيما مع لفظ التابيد فجعلوا
اي ابو بكر واضيافه لا يرفعون لقمة اي من الصحفة الى افواههم الا ربت اي زادت
اللقمة وارتفعت من اسفلها اي من الموضع الذي اخذت منه اكثر منها اي
من تلك اللقمة وضبط اكثر بالنصب في اكثر النسخ وفي نسخة بالرفع قال الطيبي
اي ارتفع الطعام من اسفل الصحفة ارتفاعا اكثر انتهى وفيه تنبيه على
ان اكثر منصوب على انه صفة لمفعول مطلق محذوف فوجه الرفع ان يكون التقدير
الا ربت لقمة هي اكثر منها ثم قال اسناد ربت الى الصحفة مجازي اقول وكونه مجازا
لان الارتفاع انما هو بالنسبة الى ما في الصحفة من طعامها لا الى الصحفة
ذاتها لكن الاظهر ان الاسناد الى اللقمة على سبيل البدلية فقال لامراته
وهي ام رومان ام عبد الرحمن وام عائشة من بني فراس بن غنم بن مالك بن النضر
ابن كنانة والمنتمون الى النضر كنانة كلهم قريش ذكره التوربشتي يا اخت
بني فراس بكسر الفاء ما هذا اي الامر العجيب والشان الغريب قالت وقرة عيني
بالجر وفي نسخة بالنصب ولعله على نزع الخافض وقال ابن الملك بالجر الواو
للقسم وبالنصب منادى حذف حرف ندائه انتهى وفيه نظر متوجه كما لا يخفى
وقال بعض المحققين قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان
لان عينه قرت وسكنت لحصول غرضها فلا تستشرف لشيء اخر وقيل ماخوذ من القر
اي البرد لذا قيل دمعة السرور باردة وانما حلفت ام رومان بذلك لما وقع

عندها من السرور بالكرامة التي حصلت لهم ببركة الصديق وزعم بعضهم ان
المراد بقرة عينها النبي صلى الله عليه وسلم انها اي القصعة والمراد ما فيها
الان لاكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار بكسر الميم اي مرات فاكلوا وبعث اي الصديق
بها اي بالقصعة او ببعض ما فيها الي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر بصيغة المجهول
اي فروي انه اكل منها متفق عليه وذكر حديث عبد الله بن مسعود كنا نسمع
تسبيح الطعام في المعجزات قلت الاظهر ايراده في باب الكرامات الفصل
الثاني عن عائشة قالت لما مات النجاشي سبق ضبط ونقدم ذكرنا نتحدث
اي يذكر بعضنا لبعض انه لا يزال يرى على قبره نور اي في الحبشة والمعنى ان
هذا امر مشهور فيما بيننا ومذكور عمن راى قبره نوره منا ولا يتصور اتفاقنا
على الكذب فهو كان ان يكون متواترا رواه ابو داود وعنها اي عن عائشة
قالت لما ارادوا اي الصحابة او اهل البيت غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
لا ندري انجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه اي ونغطي عورته
من غيرها كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه جملة حالية والمعنى فاختار
بعضهم التجريد قياسا وبعضهم عدمه اختصاصا فلما اختلفوا القى الله اي
سلط عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه بفتحتين في صدره في القاموس
الذقن بالتحريك مجتمع اللحيين من اسفلهما وبكسر ثم كلمهم مكلم من ناحية
البيت لا يدرون من هو صفة مكلم قيل هو الخضر عليه السلام ان اغسلوا النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه بيان لقوله كلمهم والحديث يدل على ان غسل
الميت وعليه قميصه مستحب ذكره ابن الملك وفيه نظر اذ لا يدل الا على جوازه
او اختصاصه اذ لم يذكر في المذهب انه مستحب فقاموا فغسلوه وعليه قميصه
يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص قال ابن الهمام فقد ذكر ولانه صلى
الله عليه وسلم غسل في قميصه الذي توفي فيه فكيف يلبسونه الاكفان
فوقه وفيه بلل قلت لا دلالة فيه على انهم البسوه الكفن فوق القميص مبلولا
اذ يحتمل ستر عورته ثم قلع قميصه ثم البس كفنه لقميص والله سبحانه اعلم
رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابن المنكدر قال المؤلف هو محمد بن المنكدر
التيمي سمع جابر بن عبد الله وانس بن مالك وابن الزبير وعنه ربيعة روي عنه
جماعة منهم الثوري مات سنة ثلاثين ومائة وله نيف وسبعون سنة
وهو تابعي كبير من مشاهير التابعين واجلائهم جمع بين العلم والزهد والورع
والعبادة والدين المتين والصدق والفقه ان سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المؤلف وقيل هو مولى ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
اعتقته واشترطت عليه خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ما عاش ويقال

اسمه

اسمه مختلف فيه وسفينة لقب له ويقال ان النبي عليه السلام كان في سفر
وهو معه فاعيى رجل فالقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيا كثيرا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت سفينة روي عنه ابو عبد الرحمن ومحمد
وزياد وكثير اخطا الجيش اي اضل طريقه بحيث لا يهتدي اليهم سبيلا بارض الروم
او اسر اي فيها شك من الراوي فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو اي سفينة
بالاسد اي بفرد عظيم من جنس الاسد فقال يا ابا الحارث وهو كنية الاسد انا
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت استيناف بيان الحاله
في اغواء الطريق او لكماله في خدمة نعم الرفيق فاقبل الاسد له بصبصة اي
تحريك ذنب كفعل الكلب تملق الي مالكه وتذللا لصاحبه والجملة حال وفي
النهاية بصبص الكلب بذنبه اذا حركه وانما يفعل ذلك لطمع او خوف حتى قام
اي الاسد الي جنبه كلما سمع اي الاسد صوتا اهوى اليه اي قصده ليدفعه
ان كان صوت اذى ثم اقبل يمشي الي جنبه اي الي جانب اي الي جنب سفينة
حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد فكانه كان دليلا ولا ايضا له كفيلا وقد اشار
صاحب البردة الي هذه الزبدة بقوله ٭ ومن تكن برسول الله نصرته ٭
ان تلقه الاسد في اجامها تجم رواه اي البغوي في شرح السنة باسناده
وعن ابي الجوزاء قال المؤلف هو اوس بن عبد الله الاذوي من اهل البصرة
تابعي مشهور الحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمر وروي عنه عمرو بن
مالك وغيره قتل سنة ثلاث وثلاثين قال قحط اهل المدينة على بنا المفعول
قحطا شديدا فشكوا اي الناس الي عائشة فقالت انظروا قبر النبي بالنصب
على نزع الخافض وفي نسخة الي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه
اي من قبره كوى بكسر الكاف وبضم ففي المغرب الكوة ثقب البيت والجمع كوى
وقد يضم الكاف في المفرد والجمع انتهى وقيل يجمع على كوي بالكسر والقصر
والمد ايضا والكوة بالضم ويجمع على كوي بالكسر والقصر والمد ايضا والكوة بالضم
ويجمع على كوى بالضم والمعنى اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ
متعددة حتى لا يكون بينه اي بين قبره وبين السما سقف اي حجاب ظاهري
ففعلوا فمطروا بضم فكسر مطرا اي شديدا حتى نبت العشب بضم فسكون اي
العلف في مناته وسمنت بكسر الميم الابل وكذا سائر المواشي بالاولي حتى تفتقت
اي تشققت خواصرها من الرعي وقيل الشق وقيل تشققت من الشحم اي من كثرته
فسمي عام الفتق اي سنة الخصب الذي افضي الي الفتق هذا وقد قيل في سبب
كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السما لما رات قبر النبي صلى الله عليه وسلم
سال الوادي من بكائها قال تعالى فما بكت عليهم السما والارض حكاية عن حال الكفار

فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار وقيل انه صلى الله عليه وسلم
كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضي الله عنها بكشف
قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب اقول وكانه
كناية عن عرض الغرض المطلوب بتوجهه الى السماء وهي قبلة الدعاء ومحل
نزول الضعفاء كما قال تعالى وفي السماء رزقكم رواه الدارمي وعن سعيد
ابن عبد العزيز قال المؤلف تنوخي دمشقي كان فقيه اهل الشام في زمن
الاوزاعي وبعده وقال احمد ليس بالشام اصح حديثا منه ومن الاوزاعي
وهو والاوزاعي عندي سواء وكان سعيد بكاد سيل فقال اما قمنا الى الصلاة
الامثلت لي جهنم قال لما كان ايام ووقع ايام الحرة بفتح فتشديد قال الطيبي
هو يوم مشهور في الاسلام ايام يزيد بن معاوية لما نهب المدينة عسكر
من اهل الشام ندبهم لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين وامر
عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك
يزيد والحرة هذه ارض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة ووقعت فيها
هذه الوقعة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة
المجهول اي لم يؤذن احد فيه لاجل الفتنة ثلاثا اي ثلاث ليال بايامها
ولم يقم على بناء المفعول من الاقامة اي ولم يقم احد للصلاة ايضا ولم
يبرح بفتح الراء لم يفارق سعيد ابن المسيب المسجد وكان الناس يقولون
في حقه انه شيخ مجنون قال المؤلف كان سيد التابعين جمع بين الفقه
والحديث والزهد والورع والعبادة لقي جماعة كثيرة من الصحابة وروى
عنهم وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم حج اربعين حجة مات سنة
ثلاث وسبعين وكان اي سعيد في ذلك الوقت الشديد لا يعرف
وقت الصلاة الا بهمهمة اي بصوت خفي لا يفهم يسمعها من قبر النبي صلى
الله عليه وسلم رواه الدارمي وعن ابي خلدة بفتح المعجمة وسكون اللام قال
المؤلف هو خالد بن دينار التميمي السعدي البصري الخياط من الخياطة من
ثقات التابعين روى عن انس وعنه وكيع وغيره قال قلت لابي العالية
قال المؤلف اسمه رفيع بن مهران الرياحي مولاهم البصري راى الصديق
وروى عن عمر وابي وعنه عاصم الاحول وغيره قالت حفصة هي بنت سيرين
كان يقول قرات على عمر ثلاث مرات ادرك النبي صلى الله عليه وسلم بعد سنتين
من وفاته توفي سنة تسعين سمع انس بحذف همزة الاستفهام اي اسمع
احاديث من النبي صلى الله عليه وسلم اي بلا واسطة بروايتها او لم اسل
من الصحابة مع انها حجة اتفاقا وكانه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم تردد

بعض

بعض الناس فيه قال اي ابو العالية خدمه اي خدم النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين اي دعم عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم اي بالبركة
في عمره وولده وماله فهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة احدى
وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين ويقال انه ولد له مائة ولد وكان
له بستان يحمل اي يثمر في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيها اي في الحديقة
وهي بمعنى البستان وفي نسخة صحيحة فيه اي في ذلك البستان ريحان
وهو نبت معروف له ريح طيب يجيء منه ريح المسك وحاصل الجواب انه من
كان له هذه المنزلة والصحبة وطول ملازمته الخدمة كيف لا يسمع ولا
يروي عنه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب

الفصل الثالث

عن عروة ابن الزبير اي ابن العوام يكنى ابا عبد الله القرشي سمع
اباه وامه اسماء وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة روى عنه ابنه هشام
والزهري وغيرهما ولد له سنة اثنين وعشرين وهو من كبار التابعين
وهو احد الفقهاء السبعة من اهل المدينة ان سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
بضم نون ففتح فاء وهو احد العشرة المبشرة خاصمته اروى بفتح الهمزة والواو
مقصورا قال صاحب جامع الاصول لا ادري الا انه اروى صحابية ام تابعية
بنت اوس بفتح فسكون هكذا في نسخ المشكاة قيل وكذا في نسخ المصابيح
وفي جامع الاصول اويس بضم الهمزة وفتح الواو وبا ساكنة وفي اسماء الرجال
للمؤلف في فصل الصحابة اوس بن اوس ويقال اوس بن ابي اوس الثقفي
وهو نضم ولده عمرو بن اوس روى عنه ابو الشعثاء السماني وابنه عمرو وغيرهما
والحاصل انها رفعته في الخصومة الى مروان بن الحكم قال المؤلف يكنى ابا
عبد الملك القرشي الاموي جد عمر بن عبد العزيز امره النبي صلى الله عليه
وسلم الى الطائف فلم يزل بها حتى ولي عثمان فرده الى المدينة وروى عن
نفر من الصحابة منهم عثمان وعلي وعنه عروة ابن الزبير وعلي بن الحسين
مات بدمشق سنة خمس وستين انتهى وكانه كان واليا بالمدينة وادعت
اي اروى انه اي سعيد اخذ شيئا من ارضها اي ظلما فقال سعيد انا كنت اخذ
من ارضها شيئا فيه معنى الانكار على نفسه المتضمن لانكارها وقوله
بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرر لجهة الانكار قال
اي مروان ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي سعيد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شبرا اي قدر شبر واراد شيئا يسيرا
من الارض اي ارض احد ظلما اي اخذ ظلم او من جهة ظلم طوقه بضم الطاء وكسر
الواو المشددة اي طوقه الله كما في نسخة اي جعل ذلك الشبر منها طوقه الى سبع ارضين

بفتح الراء وسكون قال النووي بفتح الراء واسكانها قليل وفي الحديث تصريح بان
الارض سبع طباق وهو موافق لقوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن
ومن قال المراد بالسبع الاقاليم فقد وهم لانه لو كان كذلك لم يطوق الظالم من كل
اقليم بخلاف طباق الارض فانها تابعة لهذا الشبر فقال له مروان لا اسالك بينة
وفي نسخة ببينة اي لا اطالبك بحجة بعد هذا اي بعد ايرادك هذا الحديث
والمعنى اصدقك في باطن الامر انك غير ظالم لها ولا اشك في نقلك الحديث ولا
احتاج لرواية اخرى فانك بمنزلة راويين وأكثر وقال الطيبي وكان
سعيد لما انكر توجه عليها البينة توجه اليها اليمين فاجرى مروان هذا الكلام
منه مجرى اليمين وقال لا اسالك بينة بعد هذا انتهى ولا يخفى ان اعتبار هذا
غير شرعي في باب الدعوى فالصواب ما ذكره الكرماني من ان سعيدا نزل ما ادعته
كما يشهد له نقل عروة فقال سعيد اللهم ان كانت كاذبة
فاعم بصرها بفتح الهمزة وكسر الميم اي اجعل بصرها اعمى واقتلها في ارضها اي المدعى
ادعت فيها وفي رواية واجعل قبرها في دارها وكان سعيد مجاب الدعوة
على ما في التهذيب قال اي عروة فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينا هي تمشي في
ارضها اذ وقعت في حفرة اي عميقة لما سيأتي من رواية في بير فماتت
متفق عليه وفي رواية للبخاري عن ابن عمر مرفوعا من اخذ من الارض شيئا
ظلما جاء يوم القيامة يحمل ترابها الى المحشر وفي رواية للطبراني وايضا عن
الحكم بن الحارث من اخذ من طريق المسلمين شبرا جاء يوم القيامة يحمله من سبع ارضين
وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه قال المؤلف روى عن
جده وابن عباس وعنه شعبة والاعمش وغيرهم ثقة وانه اي محمدا المذكور رآها
عمياء تلتمس الجدر بضمتين ويجوز اسكان داله جمع جدار وفي نسخة بفتح فسكون
ففي القاموس الجدر الحائط كالجدار جمع جدر وجدران والمعنى انها تدور
على الجدر او تمسكها تقول اصابتني دعوة سعيد وانها مرت على بير اي حفرة عميقة
كما سبق في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت اي فصارت قبرها اي
حقيقة او حكما وعن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه بعث جيشا اي ارسل الى نهاوند
بتثليث النون بلد من بلاد الجبل جنوبي همدان وامر بتشديد الميم اي جعل اميرا
عليهم رجلا يدعى اي يسمى سارية في القاموس هو ابن زنيم الذي ناداه عمر على المنبر
ياسارية نهاوند انتهى ولم يذكره المؤلف فبينما عمر يخطب اي في مسجد المدينة
على رؤوس الاشهاد من اكابر الصحابة والتابعين منهم عثمان وعلي رضوان الله
عليهم اجمعين فتعدد كرامة عظيمة ومنقبة جسيمة وانه على مرتبة صلاح الله
وصحة خلافته فجعل اي عمر يصيح اي في اثناء خطبته او بعد تمامها يا ساري

مرخم سارية وفي نسخة يا سارية الجبل بالنصب اي الزم الجبل واجعله وراء
ظهرك فتعجب الناس فقدم رسول من الجيش فقال يا امير المؤمنين لقينا
بكسر القاف وفتح الياء فقوله عدونا بالرفع وفي نسخة بسكون الياء ونصب عدونا
فهزمونا اي فغلبونا ولا فاذا بصائح يصيح يا ساري الجبل فاسندنا ظهورنا
الى الجبل فهزمهم الله تعالى فيه انواع من الكرامة لعمر كشف معركة وايصال
صوته وسماع كل منهم بصحبته وفتحهم ونصرهم ببركته رواه البيهقي في دلائل
النبوة وعن نبيهة بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية فهاء فتاء
كذا ضبط المؤلف في اسمائه وفي نسخة نبيه بدون تاء وهو الظاهر وقيل هو الصواب
فانه الموافق لما في القاموس والمغني وكذلك في التحرير العسقلاني ابن وهب
اي الكعبي الحجازي سمع ابان بن عثمان وكعبا مولى سعيد بن العاص وروى عنه
نافع ذكره المؤلف في التابعين ان كعبا اي كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو من
كبار التابعين قال المؤلف هو كعب بن ماتع يكنى ابا اسحاق المعروف بكعب الاحبار
ادرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره واسلم في زمن عمر بن الخطاب روى
عن عمر وصهيب وعائشة ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان
رضي الله عنهم دخل على عائشة فذكروا اي اهل المجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بعض نعته او قضية موته فقال كعب اي نقلا من الكتب السالفة مما رآه
او سمعه ممن قبله او انكشافا له وهو المناسب لان يكون كرامة له ويمكن ان
يكون كرامة لقوله بمعجزة ان الله تعالى اكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكره
من قوله ما من يوم يطلع بضم اللام اي يظهر فجره او تطلع شمسه الا نزل سبعون
الفا من الملائكة حتى يحفوا بضم الحاء والفاء المشددة اي يحيطوا بقبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم يضربون باجنحتهم اي الطيران حوله او فوقه ملتمسين بركته
وقربه ونوره ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالثناء الجزيل
والدعاء الجميل حتى اذا امسوا اي دخلوا وقت المساء عرجوا بفتح الراء اي صعدوا
الى السماء وهبط اي نزل من السماء مثلهم اي من عدد الملائكة في ليلهم فصنعوا
مثل ذلك اي من ضرب الاجنحة وكثرة التصلية حتى اذا انشقت عنه الارض
اي عند النفخة الثانية خرج اي ظهر في سبعين الفا من الملائكة يزفونه
بضم الزاي وبكسر وتشديد الفاء اي يهدون المحبوب الى الحبيب او المحب الى المحبوب
والاول هنا المناسب لغة اكثر وهو باعتبار اصل اللغة اظهر فانه يزفون بالضم
من زففت العروس الى زوجها اذا اهديتها اليه ويزفون بالكسر من زف البعير
او الظليم وهو الذكر من النعام اذا اسرع ففيه حذف وايصال اي يسرعون به
اليه والمفهوم من القاموس انه يجوز في الحديث ضم الياء وكسر الزاي على المعنيين

حيث قال زفت العروس الى زوجها من باب كتب كا زفها والطايم وغيره يزف من باب
ضرب اسرع كا نف رواه الدارمي

باب

بالتنوين مرفوعا وفي نسخة بالسكون فقيل المعنى هذا باب في بيان هجرة اصحابه
من مكة وبيان وفاته صلى الله عليه وسلم وفي نسخة باب ما يتعلق بموته صلى الله
عليه وسلم من المقدمات الفصل الاول عن البراء ابن عازب قال اول من
قدم علينا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب اسم مفعول ابن عمير
بالتصغير وابن ام مكتوم فجعلا يقرئاننا اي يعلماننا القران ثم جاء عمار اي ابن
ياسر وبلال اي ابن رباح وسعد اي ابن وقاص ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين اي
رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اي مع الصديق الاكبر فما رايت اهل المدينة فرحوا بشيء اي في الدنيا فرحهم به
اي مثل فرحهم بمجيئه عليه السلام الى المدينة حتى رايت الولائد جمع وليدة
وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد فعيل بمعنى مفعول وقد يطلق على الامة
وان كانت كبيرة وقال شارح الوليدة الصبية والامة ويناسبه قوله والصبيان مع
الصبي يقولون اي من كمال الفرح والسرور هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا
اي وحصل به الرجا والتحقق الان البراء فما جاء اي النبي عليه السلام حتى قرات سبح
اسم ربك الاعلى اي تعلمتها ففيه ذكر المسبب وهو القراءة وارادة السبب وهو
التعلم في سور اي في جملة سور ومع سور مثلها اي مثل سورة سبح في المقدار
من المفصل اي من اوساطه وهذا يدل على ان سبح اسم ربك نزلت بمكة ويشكل
عليه ان قوله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى نزلت في زكاة الفطر
ووجوب صدقة الفطر وصلاة العيد في السنة الثانية ويحتمل ان يكون
السورة مكية الا هاتين الايتين والاصح انها كلها مكية ثم بين النبي صلى الله
عليه وسلم المراد بقوله قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى زكاة الفطر وصلاة
العيد فليس في الاية الا الترغيب في الزكاة والصلاة من غير بيان المراد فبينه
السنة بعد ذلك كذا ذكره بعض المحققين والله اعلم رواه البخاري وعن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر اي في مرضه
الذي مات فيه كما في رواية وفي اخرى كان هذا قبل ان يموت بخمس ليال فقال ان
عبدا اي عظيما كما يدل عليه قوله خيره الله اي جعله مخيرا بين ان يوتيه
اي يعطيه من زهرة الدنيا بفتح الزاي اي بهجتها وحسنها وزينتها ما شاء
مفعول موخر من يوتيه والمعنى مقدار ما اراد من طول العمر والبقاء في الدنيا
والتمتع بها وبين ما عنده اي الله سبحانه مما اعد له من انواع النعيم المقيم

ولذة اللقاء من الوجه الكريم فاختار ما عنده اي لانه خير وابقى فبكى ابو بكر
لكمال فهمه وادراكه حيث عرف مفارقته صلى الله عليه وسلم من الدنيا بقرينة
المرض او لان الاختيار ما عند الله وترك زهرة الدنيا بحسب الظاهر من مقدمات
مراتب الاولياء ومن المعلوم انه لا يناسب مقام سيد الانبياء فانتقل الى ان
معناه بطريق الاشارة اختيار الموت واللقاء وترك الحياة والبقاء فاذا سنيا فا
فديناك باباينا وامهاتنا اي معهم لو كان ينفع الفداء قال الراوي فعجبنا له
اي لابي بكر حيث بكى به ولا هنا لك باعث يقتضيه وما ذاك الا لعدم فهمهم
ما فهمه من الاشارة لتقيدهم بظاهر العبارة فقال الناس اي بعضهم لبعض
انظروا اي نظر تعجب الى هذا الشيخ اي مع كبره المقتضي لوقاره وزيادة عقله
وفهمه يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد اي منكر غير معين خيره الله
بين ان يوتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو اي الشيخ يقول فديناك
باباينا وامهاتنا اي ومثل هذا انما يقال لا العظيم يريد الانتقال من الدنيا الى
العقبى قال ابو سعيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير بالنصب
وهو ضمير الفصل وفي نسخة بالرفع وله وجه والمعنى فظهر لنا في اخر الامر انه صلى
الله عليه وسلم كان العبد المخير وكان ابو بكر اعلمنا اي اكثر علما منا حيث علم اولا
ان المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم اسم تفضيل ولا يبعد ان
يكون فاضلا اي وقد كان اعلمنا بالقضية لكنا ما فهمناها بالكلية متفق عليه
وعن عقبة بن عامر الجهني روى عنه نفر من الصحابة وخلق كثير من التابعين
ذكره المؤلف في الصحابة قال صلى الله عليه وسلم على قتلى احد جمع قتيل والمراد بهم
الشهداء بعد ثمان سنين اي من دفنهم وقيل صلى عليهم صلاة الجنازة وحمله الظاهر
المتبادر فهو من خصوصياته او خصوصيتهم وقال الشافعي المراد بالصلاة الدعا
كالمودع للاحيا والاموات قال المظهر اي استغفر لهم استغفارا كالمودع للاحيا
والاموات اما الاحيا فبحزو جمعه من بينهم واما الاموات فبانقطاع دعائه واستغفاره
لهم قال السيوطي وذلك قرب موته صلى الله عليه وسلم ثم طلع المنبر فقال اني
بين ايديكم فرط بفتح الفاء والراء وهو الذي يتقدم الواردة فيهيي لهم الارشاء
والدلاء ويستقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع يريد انه شفيع لهم
لانه يتقدمهم والشفيع يتقدم على المشفوع له وقد روى الترمذي في الشمائل
عن ابن عباس يحدث انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له
فرطان من امتي ادخله الله بهما الجنة فقالت له عائشة فمن كان له فرط من امتك
قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم يكن له فرط من امتك قال فانا فرط لامتي
لن يصابوا بمثلي وانا عليكم شهيد اي مطلع على احوالكم اذ تعرض على اعمالكم

او انا شاهد لكم ومثن عليكم وان موعدكم اي مكان وعدكم للشفاعة الخاصة بكم
في يوم الجمع الحوض اي او روده فانه حينئذ يتميز الخبيث من الطيب والمنافق
من المؤمن فيكون الشفاعة لامة الاجابة واني لانظر اي الان اليه اي الى
الحوض وانا في مقامي هذا اي فوق المنبر وعلى ظاهره وكان كشف له عنه في تلك
الحالة واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض اي ستفتح لامتي خزائن الارض
بفتح بلادها وايمان عبادها واني لست اخشى عليكم اي على مجموعكم ان تشركوا
بعدي لكن ذلك قد وقع من بعض ولكني قد اخشى عليكم ان تنافسوا بحذف احدى
التاءين اي ترغبوا فيها رغبة الشيء النفيس وتميلوا اليها كل الميل فان المنافسة
لانها سبب للنعم الفانية بل تختص بالامور الباقية ولذا قال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون اي المؤمنون الكاملون وزاد بعضهم اي بعض الرواة على
ما سبق قوله فتقتتلوا اي يقتل بعضكم بعضا للملك فتهلكوا كما هلك من كان
قبلكم اي في المال باسوء الحال قال النووي فيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فان معناه الاخبار بان امته تملك خزائن الارض وقد وقع ذلك وانهم
لا يرتدون وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وانهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع
ذلك متفق عليه وعن عائشة قالت ان من نعم الله علي اي خاصة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي اي في غيبتي وفي يومي اي نوبتي لا كونه
متشرفا بخدمتي وفي جامع الاصول كان ابتداء مرض النبي صلى الله عليه وسلم
من صداع عرض له وهو في بيت عائشة ثم اشتد به وهو في بيت ميمونة
ثم استاذن نساءه ان يمرض في بيت عائشة فاذن له وكان مدة مرضه اثني
عشر يوما ومات يوم الاثنين ضحى من ربيع الاول فقيل لليلتين خلتا منه
وقيل لاثنتي عشرة خلت منه وهو الاكثر وبين سحري ونحري بفتح فسكون
فيهما وهو تدل على كمال قربي وقربه والمعنى انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو مستند
الى صدرها وما يحاذي سحرها منه اذ السحر الرئة على ما في النهاية وقيل السحر ما لصق
بالحلقوم من اعلى البطن وقال ابن الملك النحر موضع القلادة من اعلى الصدر وقال
ابن حجر السحر هو الصدر وهو في الاصل الرئة والمراد بالنحر موضعه انتهى وجاء
في رواية بين حاقنتي وذاقنتي اي كان راسه بين منكبها وصدرها ولا يعارضه
ما للحاكم وابن سعد من طرق ان راسه الكريم كان في حجر علي كرم الله وجهه لان كل طريق
منها لا يخلو عن شيء كذا قاله الحافظ ابن حجر وعلى تقدير صحتها يجمع بانه كان في حجره
قبل الوفاة وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته قالوا الصواب بفتح ان عطفا
على ان من نعم الله فيكون مجرد اخبار واقول لو صحت الرواية بالكسر لكان له الوجه
ان يقال الواو للحال ثم الريق بالكسر ما النعم ولما كان الجمع بينهما احتاج الى بيان

سبب

سبب قالت بطريق الاستئناف دخل علي اي عندي عبد الرحمن بن ابي بكر والمراد به
اخوها وبيده اي وبيد عبد الرحمن سواك اي غير مستعمل لما سياتي وانا مسندة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاضافة وفي نسخة بتنوين مسندة ونصب
الرسول وهو بضم الميم وكسر النون يقال سند اليه استند واسندته انا كذا في القاموس
فرايته اي النبي عليه السلام ينظر اليه اي الى المسواك او الى صاحبه وعرفت اي والحال
اني قد عرفت في الماضي من طبعه انه يحب السواك اي مطلقا او عند تغير الفم
خصوصا فقلت آخذه لك اي منه فاشار براسه ان نعم اي نعم فان مفسرة قيل وله
اي اخذته منه وناولته اياه فاستعمله فاشتد اي السواك عليه لانه شدبه
وقالت وفي نسخة فقلت الينه لك بتشديد الياء المكسورة فاشار براسه
ان نعم فلينته اي لينت السواك بريقي واعطيته النبي صلى الله عليه وسلم
فامره على اسنانه بتشديد الراء اي اماره من الامرار والمعنى فاجتمع الريقان في جوفه
وكذا في حلقه عند موته وفيه ايماء الى رضاه عنها حتى عند انقطاع حياته
وبين يديه ركوة اي ظرف فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه وايرادها
بلفظ التثنية اشعارا بنهاية حرارته وايماء الى اظهار عجزه وعبوديته
قيل وسببه انه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق ويؤخذ منه انه ينبغي فعل
ذلك لكل مريض فان لم يفعل فعل به لان فيه نوع تخفيف الكرب كالتجريب بل
يجب التجريب اذا اشتدت حاجة المريض اليه ويقول لا اله الا الله اي الواحد القهار
الذي قهر العباد بالموت وهو الحي الذي لا يموت ان للموت سكرات بفتحتين جمع سكرة
اي شدائد ومشقات عظيمات من حرارات ومرارات طبيعيات حتى للانبياء
وارباب الكمالات فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله تهوينه للاموات
وفي شمائل الترمذي عنها قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت
اي مشغول او ملتبس وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح
وجهه بالماء ثم يقول اللهم اعني على سكرات الموت والشك انما هو في اللفظ
ثم في ذلك السكرات زيادة رفع الدرجات ثم نصب يده اي رفعها بطريق الدعاء او على
وجه الايماء الى جهة السماء فجعل يقول اي مكررا في الرفيق الاعلى متعلق بمحذوف
اي اجعلني في الرفيق الاعلى وهم هنا الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين اسم
جاء على فعيل بفتح على الواحد والجماعة كالصديق والخليط والمراد هنا الجمع كقوله
تعالى وحسن اولئك رفيقا والرفيق المرافق في الطريق وقيل التقدير اجعلني
ساكنا فيه قائما به وقال الجوهري الرفيق الاعلى الجنة ذكره ابن حجر وهو لا يخلو
عن غرابة وقيل الرفيق الاعلى من اسمائه تعالى من الرفق والرأفة فعيل بمعنى فاعل
لانه سبحانه رفيق بعباده واختار لفظ في الدلالة على زيادة القرب المشعر

بالاستغراق في حضرة الرب والفنا في مقام بقاء الحب ثم ما فيه من الاشارة
الى التوحيد المفيد لتاكيد التاييد وقد غفل الازهري عن هذا المعنى
الاظهر والمعنى الانور وغلط قايل ذلك على ما نقله ابن حجر فتامل وتدبر ثم رايت
التوربشتي قال قد ذهب بعضهم في الرفيق الاعلى على انه اسم من اسماء الله تعالى
قال الازهري غلط قايل هذا وقوله ان الله رفيق لم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه
كما لم يوجب ان الله حيي يستر اطلاق ذلك عليه وانما اراد به ايضاح معنى لم
يكن يقع في الافهام الا من هذا الطريق قال الفاضل الطيبي لم لا يجوز ان يستدل
بهذا الحديث على اطلاق هذا الاسم عليه وما المانع وليس هذا نحو قوله تعالى ان الله
لا يستحيي لان ذلك اخبار وقول صاحب النهاية انه اختار ما عند الله تعالى تصريح بان
المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى فلو اريد به الملايكة والنبيون لقيل
من عند الله ويؤيده حديث ابي سعيد ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه زهرة الدنيا
ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده وحديث جعفر في اخر الفصل الثالث من
هذا الباب يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقايك الحديث ولان حصول هذه البغية
مستلزم لحصول تلك المنزلة كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك
فادخلي على الرفيق ايذان بغاية القرب وشدة تمكنه فيه وحلول رضوانه عليه
واليه الاشارة بقوله راضية مرضية قلت ويؤيده رواية عايشة الاتية
اللهم الرفيق الاعلى ثم المعنى كان هذا حاله ومقاله حتى قبض وما التفت
اي عن يمينه او شماله او عن الطريقين ايماء الى الاعراض عن الكونين والميل
الى المكون الذي لقاؤه قرة العين ولذا كان سيد الثقلين رواه البخاري وعنها
اي عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض
بفتح الراء اي مرض الموت الا خير بين الدنيا والاخرة اي بين البقاء مدة اخرى
في الدنيا وبين توجهه الى عالم العقبى ولا شك ان كلا يختار ما عند الله لانه خير
وابقى وكان في شكواه اي مرضه الذي قبض اخذته بحة شديدة بضم موحدة وتشديد
وتشديد مهملة اي غلظ الصوت وخشونته على ما في النهاية وقال ابن حجر
هي شيء يعوص في الحلق فيغيره الصوت فيغلظ وقيل المراد هنا سعلة ففي
القاموس السعال والسعلة بضمها وهي حركة تدفع بها الطبيعة اذى عن الرية
والاعضاء التي تتصل بها فسمعته يقول اي الرفيق الاعلى مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اي وحسن اولئك رفيقا
يعني مع الرفيق الاعلى فالجمع بما ذكرناه هو الاولى حشرنا الله معهم في العقبى
فعلمت انه خير اي بين البقاء في الدنيا وما عند الله في الاخرى من لقاء المولى متفق
عليه وعن انس قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مثلثة وضم قاف

اي

اي اشتد مرضه جعل اي طفق يتغشاه الكرب وفي المصابيح يتغشى بلا ضمير وبلا
لفظ الكرب قال شارح له اي يتغطى ويستتر بالثياب اي يغشى عليه من شدة المرض
وفي بعض النسخ جعل يتغشاه الكرب وهو بالفتح وسكون الغم الذي ياخذ بالنفس
قوله وهو المناسب لقوله فقالت فاطمة اي بنته رضي الله عنها واكرب اباه بسكون
الهاء للسكت والالف فيه للندبة وسيلة لمد الصوت في الكلمة المفيد للمبالغة
فقال لها ليس على ابيك كرب بعد اليوم يعني ان الكرب كان بسبب شدة الالم
وصعوبة الوجع وبعد هذا اليوم لا يكون ذلك لان الكرب كان بسبب العلايق الجسمانية
وبعد اليوم ينقطع تلك العلايق الصورية ولا كرب في المتعلقات الروحانية
المعنوية وزاد الترمذي انه قد حضر من ابيك ما ليس بتارك منه احد
الوفاة يوم القيامة اي هو الموت الى قيام الساعة فلما مات قالت يا ابتاه قال
الطيبي اصله يا ابي ابدلت من اليا الالف لانهما من حروف الزوايد والالف للندبة
لمد الصوت والهاء للسكت ولابد للندبة من احدى العلامتين يا او والالف
الندبة لاظهار التوجع ومد الصوت والحاق الالف في اخره للفصل بينها وبين
النداء وزيادة الهاء في الوقف ارادة بيان الالف لانها خفية وتحذف في الوصل
اجاب ربا دعاه اي الى العقبى فاختار ها على الدنيا وهو بضم هاء الضمير
ولكن في الوقف مراعاة للسجع ولا يبعد ان تكون الهاء للسكت على ان المفعول
محذوف للعلم به لكن لا يستقيم هذا في قولها يا ابتاه من جنة الفردوس ماواه
فانه يتعين ان يكون للضمير بخلاف قولها يا ابتاه الى جبريل ننعاه فانه يحتمل
الاحتمالين ثم قوله من جنة الفردوس بفتح الميم ورفع الجنة في الاصول
المصححة وفي نسخة بكسرها وخفض الجنة قال الجزري بفتح ميم من على انها موصولة
ويحتمل كسرها على انها حرف جر اي موضع قراره من جنة الفردوس وقال الطيبي
قوله من جنة الفردوس في البخاري وشرح السنة وقع من موصولة وفي بعض
نسخ المصابيح وقعت جارة والاول انسب لانه من وادي قولهم وامن حفر بير
زمزماه انتهى وقوله ننعاه اي نظير خبر موته اليه من النعي كذا قاله شارح
وفي الازهار اي نبكي اليه وقيل نعزيه وقيل نخبره اقوال واوسطها اعلاها
فلما دفن قالت فاطمة يا انس اطابت انفسكم اي اهانت على انفسكم انما المعنى
ان تحثوا بفتح التاء وضم المثلثة اي تكبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله التراب وما انسب البيت في تعريتها ماذا على من شم تربة احمد ان لا
يشم مدى الزمان غواليا صبت على مصايب لو انها صبت على الايام صرن لياليا
رواه البخاري

الفصل الثاني

عن انس قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بكسر العين اي رقصت كرامة بكرم

الحا المهملة جمع حربة وهي رمح قصير وقيل بفتحها جرهم فرحا لقدومه
رواه ابو داود وفي رواية الدارمي اي عن انس قال ما رايت قط كان احسن اي ازهر
في الخاطر ولا اضوأ اي في النور الظاهر من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي فانه كان يوما لوصال المشتاق فيقتضي ذلك الجمال وما رايت يوما
اقبح اي اسود واحزن في القلب ولا اظلم اي في عين الطالب من يوم مات فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان يوما لفراق على العشاق وفي رواية
الترمذي قال اي انس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة اضاء منها اي اشرق من المدينة كل شيء بالرفع فان الاضاءة لازم وقد يتعدى
ومن بيان تقدمت قال الطيبي الضمير راجع الى المدينة وهذا يدل على ان
الاضاءة كانت محسوسة فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم منها كل شيء
فان نوره شمل العالم الصوري والمعنوي وتخصيص المدينة لكونها اقرب ونسبة
رواية الدارمي انسب وما نفضنا ايدينا عن التراب من النفض وهو تحريك الشيء
ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما وانا لفي دفنه اي مشغولون بعد
جنازته حتى انكرنا قلوبنا اي تغيرت حالنا بوفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وظهور انواع الظلمة علينا ولم نجد قلوبنا ما كانت عليه من انوار
الصفا والالفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من رسول الله صلى
الله عليه وسلم من التاييد والتعليم ولم يرد انهم لم يجدوها على ما كانت من
التصديق وعن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا
في دفنه اي في موضع يدفن فيه فقيل يدفن في مسجده وقيل بالبقيع بين اصحابه
وقيل بمكة وقيل عند ابيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام او في نفس الدفن
والمعنى هل يدفن كما روى الترمذي في الشمائل عن سالم بن عبيد وكانت له
صحبة قالوا لابي بكر يا صاحب رسول الله ايدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم قالوا اين قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه فان الله لم يقبض
روحه الا في مكان طيب فعلموا ان قد صدق انتهى وهو لا ينافي ما روي عنه
في هذا الحديث فقال ابو بكر سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا اي ما نسيته
كما في نسخة قال الترمذي قال يحتمل ان يكون صفة شيئا او مستانفا اي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب اي النبي او يريد الله
ان يدفن اي ذلك النبي فيه اي في ذلك المكان ادفنوه في موضع فراشه اي الذي
مات فيه ولعل السر تحول الى موضع من المواضع الشريفة ليكون شرف المكان بالمكين
ويتشرف به اهل التمكين رواه الترمذي اي وقال غريب وفي اسناده عبد الرحمن
ابن ابي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه

رواه

رواه ابن عباس عن ابي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى مالك هذا الحديث
وقال بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي قال ناس يدفن عند المنبر
وقال آخرون يدفن بالبقيع فجاء ابو بكر الصديق رضي الله عنه وقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما دفن نبي قط الا في المكان الذي توفي فيه ذكره ميرك
عن تصحيح المصابيح

الفصل الثالث

عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول وهو صحيح اي والحال انه في حال صحته انه اي الشان لن يقبض
نبي اي لن يموت حتى يرى مجهول من الاراءة وفي نسخة معلوم من الرؤية
اي يبصر ويعرف مقعده اي الخاص به من الجنة اي من منازلها العالية ثم
يخير بالنصب ويرفع اي يجعل مخيرا بين قعوده في الدنيا وبين وصوله الى
مقعده في العقبى قالت عائشة فلما نزل اي الموت اي علاماته به اي بالنبي صلى
الله عليه وسلم وراسه على فخذي حال وجواب لما قولها غشي عليه اي اغمي ثم افاق
فاشخص اي رفع بصره الى السقف اي فانه جهة السموات العلى ثم قال اللهم الرفيق
اي اختار او اسالك الرفيق الاعلى قلت اذا بالتنوين وفي نسخة اذن لا يختارنا بالرفع
وينصب قالت وعرفت انه اي هذا الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح قال
الطيبي اي ان هذا القول اشارة الى الحديث الذي قال في حال صحته في قوله
انه لن يقبض وفي نسخة لم يقبض نبي قط وهو يؤيد النسخة لكن في رواية ابدا
حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة فكان اخر كلمة تكلم
بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله بالنصب وفي نسخة بالرفع اللهم الرفيق
الاعلى قال السهيلي واول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع
عند حليمة الله اكبر ذكره ابن حجر وروي انه صلى الله عليه وسلم اول من قال
بلى يوم قال الست بربكم متفق عليه وعنها اي عن عائشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال
اي ما ابرح اجد الم الطعام اي المسموم الذي اكلت بخيبر وهذا اوان
وجدت بفتح النون وفي نسخة بضمها قال الطيبي يجوز في اوان الضم والفتح
فالضم لانه خبر المبتدأ والفتح على البنا لاضافته الى المبني قلت وهذا
هو المختار على ما سبق في يوم ولدته وليلة اسري به والمعنى وهذا زمان
صادفت فيه انقطاع ابهري بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة وهو عرق
يتعلق به القلب فاذا انقطع مات صاحبه من ذلك السم اي من اثره
بتاثيره سبحانه والسم مثلثة السين والضم اشهر والفتح اكثر هذا وفي النهاية
الابهر عرق في الظهر وهما ابهران وقيل هما الاكحلان اللذان في الذراعين
وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم يبق معه حياة وقيل الابهر

عرق متشاوه من الراس ويمتد الى القدم وله شرايين تتصل باكثر الاطراف والبدن
فالذي في الراس منه يسمى النامة ومنه قولهم اسكت الله نامته اي امانه
ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد ويمتد الى الصدر فيسمى الابهر
ويمتد الى الساقين فيسمى الصافن والهمزة في الابهر زائدة رواه البخاري
وذكر ابن السني وابو نعيم في الطب عن ابي هريرة ما زالت اكلة خيبر
تعادني كل عام حتى كان هذا اوان قطع ابهري قال الهروي الاكلة بضم الهمزة
وقال العربيا كل منها الا لقمة واحدة انتهى وتعادني بضم التاء وتشديد
الدال اي تعاودني وقطع بصيغة الماضي مضافا اليه وعن ابن عباس
قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة المفعول اي حضره الموت
وفيه تجوز فانه عاش بعد ذلك اليوم ويوم الخميس الى يوم الاثنين وقيل
التقدير لما حضره هم الموت وفي البيت رجال اي كثيرة وفيهم عمر بن الخطاب
جملتان حاليتان معترضتان بين لما وجوابه وهو قوله قال النبي صلى الله
عليه وسلم هلموا اي تعالوا واحضروا اكتب لكم كتابا بالجزم جوابا وقوله
لن تضلوا بعده صفة كتابا قال النووي في شرح مسلم اعلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الاحكام الشرعية
في حال صحته ومرضه ومعصوم من ترك بيان ما امر ببيانه وتبليغ ما اوجب
الله عليه بتبليغه وليس هو معصوما من الامراض والاسقام العارضة
للاجسام مما لا نقص فيه بمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد
سحر عليه السلام حتى صار يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يكن فعله ولم يصدر
منه في هذا الحال كلام في الاحكام مخالف لما سبق فاذا علمت ما ذكرناه
فقد اختلفوا في الكتاب الذي اراد كتابته فقيل اراد ان ينص على الخلافة
في انسان معين لئلا يقع نزاع قلت هذا بعيد جدا اذ التنصيص على خلافة
ابي بكر او عمر او العباس او علي لا يحتاج الى كتابته بل كان مجرد القول كافيا
للمقصود وايضا مع انه قد اشار الى خلافة ابي بكر بنيابته للامة مع التصريح
بقوله يابى الله والمؤمنون الا ابا بكر نعم لو قيل انه اراد ان يكتب الخلافة
المستمرة خلفا وفاته لمن يستحقها واحدا بعد واحد الى خروج المهدي عيسى
عليه السلام لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه ولكن اراد الله الامر مستورا
وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقيل اراد كتابا يبين فيه مهمات الاحكام ملخصة
ليرتفع النزاع ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه قلت لم يكن في زمانه
نزاع ليرتفع ولا خلاف ليندفع واما باعتبار ما بعده من الزمان مما سيقع
الاختلاف في مكان فقد اخبر بوقوعه بقوله اختلاف امتي رحمة وبقوله

اصحابي

اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وبقوله عليكم بالسواد الاعظم وبقوله
وان افتراق المفتونة وقد قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك
خلقهم على الاحكام الشرعية المتفرقة في عشرين سنة كيف تصير ملخصة
منصوصة في ساعة بحيث لا يتصور فيه اختلاف طائفة نعم لو اريد به انه
قصد ان يكتب كتابا يبين فيه بعض الاحكام التي قد توجد في الازمنة
الاتية مما ليس بمذكور في الكتاب ولا بمحفوظ في السنة لا يبعد من طريق الرافة
وسبيل الرحمة على كافة الامة من الائمة والعامة او اراد ان يكتب كتابا يبين
فيه طريق الفرقة الناجية ويفصل فيه احوال الفرق الضالة من المعتزلة
والخوارج والرافضة وسائر المبتدعة فقال قد غلب عليه الوجع اراد بما ذكره
التخفيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند شدة الوجع وقوله حسبكم
كتاب الله اي كافيكم في امر الدين لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وهو خطاب
لمن نازعه في ذلك ورد عليه لا على النبي صلى الله عليه وسلم مع انه رضي الله
عنه له موافقات وقع بعضها في مواضع من المخالف فيمكن حمل هذه القضية على
الموافقة فيما تقع المخالفة ويدل عليه سكوته صلى الله عليه وسلم على تلك
المقالة وصرفه عنانه عن امر الكتابة هذا او قد عرف عمر ان ذلك الامر لم يكن جزما
منه بل رعاية لمصالحهم وكان اصحابه اذا امر بشيء غير جازم يراجعونه فيه
وكان يتركه برايهم فاختلف اهل البيت اي من كان في البيت عنده من اصحابه
واقاربه فمنهم من يقول قربوا اي الدواة والقلم يكتب لكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالجزم على جواب الامر اي يملي عليكم ما اراد كتابته ومنهم من يقول
ما قال عمر اي من المنع لشدة الوجع فلما اكثروا اللغط بفتحتين اي الصوت الذي
لا يفهم مبناه ولا يتبين معناه والاختلاف اي الموجب للنزاع والخلاف قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني اي فاني تركت قصد الكتابة اعتمادا
على ما ثبت عندكم من الكتاب والسنة قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم
هم بالكتاب حين ظهر له انه مصلحة او اوحي اليه بذلك ثم ظهر ان المصلحة تركه
او اوحي اليه بذلك ونسخ اما قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله فقد
اتفقوا على انه من دلائل فقهه وفضائله ودقائق نظره وفيه لانه خشي
ان يكتب النبي صلى الله عليه وسلم امورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة
عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها واشار بقوله حسبكم كتاب الله
الى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم قال عبيد الله
اي ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ولد اخي عبد الله بن مسعود وهو
احد الفقهاء السبعة من اهل الحديث سمع ابن عباس وخلقا كثيرا من الصحابة

فكان ابن عباس يقول ان الرزية بفتح الراء وكسر الزاي بعدها ياء ساكنة ثم همزة وقد
يسهل فيشدد الياء على ما في شرح البخاري اي المصيبة كل الرزية اي تمامها وكمالها
ما حال اي الحال الذي وقع حائلا وصار مانعا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم متعلق بحال وكان ابن عباس
مال الى خلاف ما قاله عمر ومن تبعه من الصحابة فتدبر قال البيهقي في كتاب دلائل
النبوة انما قصد عمر رضي الله عنه بذلك التخفيف على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين غلبه الوجع ولو كان مراده صلى الله عليه وسلم ان يكتب
ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك
كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما امر في تلك الحالة
باخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك يعني مما سياتي بيانه قال وقد
حكى سفيان بن عيينة عن اهل العلم قبله انه صلى الله عليه وسلم اراد ان
يكتب استخلاف ابي بكر رضي الله عنه ثم ترك ذلك اعتمادا على علمه من تقدير
الله تعالى ذلك كما هم بالكتابة في اول مرضه حين قال وارأساه ثم ترك الكتابة
وقال يأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر وذلك بسبب استخلافه ابا بكر في الصلاة وقال ايضا
وان كان المراد به بيان احكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك
من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وعلم انه لا تقع واقعة الى يوم القيامة
الا وفي الكتاب والسنة بيانها نصا او دلالة وفي تكلف النبي صلى الله عليه وسلم
في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة فراى الاقتصار على ما سبق
بيانه تخفيفا عليه ولئلا ينسد باب الاجتهاد على اهل العلم والاستنباط والحاق
الفروع بالاصول فراى عمر الصواب ترك الكتابة تخفيفا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفضيلة للمجتهدين وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دليل
على استصواب رايه وكان عمر افقه من ابن عباس وموافقيه وفي رواية سليمان
ابن ابي مسلم الاحول قال المؤلف هو خال ابي نجيح تابعي من ثقات الحجازيين وابيهم
سمع طاوسا وابا سلمة وروى عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة قال ابن
عباس يوم الخميس مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف او عكسه وقوله وما يوم الخميس
يستعمل عند ارادة تفخيم الامر والشدة والتعجب منه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة
والقارعة ما القارعة ثم بكى اي ابن عباس حتى بل دمعه الحصى اي حتى سال
دموعه بالاحصاء ووصلت اليها في الارض من الحصى ثم بكاؤه يحتمل ان يكون
لتذكر وفاته وفقدان حياته صلى الله عليه وسلم يتجدد الحزن عليه ولفوات
ما فات في معتقده من خير الذي كان يحصل لو كان كتب ذلك الكتاب وهذا هو
الاظهر في المقام والانسب فيما اراده من المرام قلت يوما لابن عباس وما يوم

الخميس

الخميس قال ميرك قائله سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس وظاهر ايراد المصنف
يقتضي ان قائله سليمان وليس كذلك وهذا اظهر من سياق البخاري قال اشتد
برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه اي في ذلك اليوم فقال ائتوني بكتف اكتب لكم
كتابا بالجزم في جميع النسخ الحاضرة المصححة المقروءة فعلى هذا اشكل جزم قوله
لا تضلوا بعده ابدا ولعل وجهه ان يكون جوابا بالشرط مقدر اي ان اكتب لكم وعملتم به
لا تضلوا اي لا تصيروا ضالين وفي نسخة ان لا تضلوا وهو واضح جدا اي لئلا تضلوا
او مخافة ان لا تضلوا فتنازعوا اي امرهم بينهم واختلفوا في رايهم ولا ينبغي عند
نبي تنازع قيل هو من جملة الحديث المرفوع ويؤيده ما تقدم في العلم بلفظ ولا ينبغي
عندي التنازع ويحتمل ان يكون مدرجا من قول ابن عباس وهو الظاهر المتبادر
فقالوا اي بعضهم ما شانه اي حاله صلى الله عليه وسلم اهجر بفتحات اي اختلف
كلامه من جهة المرض على سبيل الاستفهام وفي النهاية اي هل تغير كلامه واختلط
لاجل ما به من المرض ولا يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل عمر ولا
يظن به ذلك قال الخطابي ولا يجوز ان يحمل قول عمر على انه توهم الغلط على رسول
الله صلى الله عليه وسلم او ظن به غير ذلك مما لا يليق بحاله لكنه لما راى ما غلب عليه
صلى الله عليه وسلم من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف ان يكون
ذلك القول مما يقول المريض مما لا عزيمة له فيه فيجد المنافقون بذلك سبيلا الى الكلام
في الدين وقد كان اصحابه يراجعونه في بعض الامور قبل ان يجزم فيها بحتم كما راجعوه
يوم الحديبية في الخلاف وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش فاما اذا امر بالشيء امر
عزيمة فلا يراجعه فيه احد منهم ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى
رفع درجته فوق الخلق كلهم لم ينزه من سمات الحدوث والعوارض البشرية
وقد سها في الصلاة فينبغي ان يتوقف في مثل هذا حتى يتبين حقيقته فلهذا
المعنى وشبهه راجعه عمر رضي الله عنه وفي شرح مسلم قال القاضي عياض
اهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا في صحيح مسلم وغيره اهجر على الاستفهام
وهو اصح من رواية من روى هجر يهجر لانه لا يصح منه صلى الله عليه وسلم
لان معنى هجر هذى وانما جاء هذا من قائله استفهاما للانكار على من قال لا تكتبوا
اي لا تتركوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلوه كامر من هجر في كلامه لانه
صلى الله عليه وسلم لا يهجر وان صحت الرواية الاخرى كانت خطا من قائلها لانه قالها
بغير تثبت لما اصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهده من النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه الحالة الدالة على وفاته وخوف الفتن والضلال بعد حياته
اقول لو صحت الرواية لزم حملها على تقدير الاستفهام كما يدل عليه قوله
استفهموه بكسر الهاء وفي بعض النسخ بفتحها هذا وفي فتح الباري قوله اهجر بهمزة

عند جمع رواة البخاري في كتاب المغازي وفي رواية في الجهاد بلفظ فقالوا هجر بغير
همز وعند الشميهني فقالوا هجر هجر قال القاضي معنى اهجر افحش يقال هجر الرجل اذا
هذى واهجر اذا افحش ولغتشف فانه يستلزم سكون الهاء والروايات كلها انما هي
بفتحها وقد تكلم القاضي وغيره في هذا الموضع فلخصه القرطبي تلخيصا حسنا
ثم لخصته من كلامه وحاصله ان قوله هجر الراجح فيه اثبات الهمزة الاستفهامية
وبفتحات على انه فعل ماض والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض مما لا ينتظم
ولا يعتد به لعدم فائدته ووقوع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مستحيل
لانه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى ولقوله صلى الله عليه وسلم اني لا اقول في الغضب والرضا الا
حقا واذا عرفت ذلك فانما قال من قال منكرا على من يتوقف في امتثال امره باحضار
اسباب الكتابة فكانه قال التوقف في ذلك الظن انه كغيره يقول الهذيان
في مرضه امتثل امره واحضر ما طلبه فانه لا يقول الا الحق وهذا احسن الاجوبة
قال ويحتمل انه قال ذلك من شك عرض له ولكن يبعد ان لا ينكره الباقون عليه
مع كونهم من كبار الصحابة ولو انكروه لنقل ويحتمل ان يكون الذي صدر منه قال ذلك
من دهشته وحيرته كما اصاب كثيرا منهم عند موته وقال غيره يحتمل ان قائل
ذلك اراد اشتداد وجعه وقيل قال لارادة سكوتهم الذي لغطوه ورفعوا اصواتهم
عنده فكانه قال ان ذلك يؤذيه ويفضي في العادة الى ذلك ويحتمل ان يكون
قوله اهجر فعلا ماضيا من الهجر بفتح اوله وسكون ثانيه والمفعول محذوف
اي الحياة وذكر بلفظ الماضي مبالغة لما راى من علامات الموت عليه قلت
ويظهر ترجيح ثالث الاحتمالات التي ذكرها القرطبي ويكون قائل ذلك بعض
من قرب دخوله في الاسلام انتهى واقول هذا بعيد من مقام الكرام فان
مثله لا يكون مع الاصحاب الفخام وعلى التنزل فلا يسكتون عنه من غير زجر
ولوما للكلام والله اعلم بحقيقة المرام فذهبوا اي فشرع بعض اصحابه يردون
عليه اي هذا الراي صريحا بخلاف قول عمر فانه كان تلويحا فقال دعوني اي اتركوني
ذروني بمعناه تاكيد له والمعنى دعوني من النزاع واللغط الذي نزعتم فيه
فالذي انا فيه اي من مراقبة الله تعالى والتاهب للقائه والتفكر في ذلك ونحوه
خير مما تدعوني اليه اي افضل مما انتم عليه من الاختلاف واللغط قال
الخطابي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف امتي رحمة
والاختلاف في الدين ثلاثة اقسام احدها في اثبات الصانع ووحدانيته
وانكار ذلك كفر وثانيها في صفاته وانكارها بدعة وثالثها في احكام الفروع
المحتملة وجوهها فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء وقال

المازري ان قيل كيف جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع قوله ايتوني
اكتب فالجواب ان الاوامر يقارنها قراين تنقلها من الندب الى الوجوب
عند من قال اصلها الندب ومن الوجوب الى الندب عند من قال اصلها الوجوب
فلعله ظهر منه صلى الله عليه وسلم من القراين ما دل على انه لم يوجب ذلك
عليهم بل جعله الى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم وهو دليل على
رجوعهم الى الاجتهاد في الشرعيات وادى اجتهاد عمر رضي الله عنه الى الامتناع
ولعله اعتقد ان ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير قصد جازم وكان
هذا قرينة في ارادة عدم الوجوب والله اعلم فامرهم بثلاث اي خصال فقال
تفسيرا لها قبله اخرجوا المشركين من جزيرة العرب مر بيانه في باب اخراج اليهود
من جزيرة العرب واجيزوا الوفد اي اكرموا الوافدين عليكم والواصلين
اليكم من حوالتكم واعطوهم الجائزة والعطية فيما لديكم بنحو ما كنت اجيزهم
اي كمية وكيفية والتميز فيما بينهم بحسب ما يليق بهم قال النووي امر صلى الله
عليه وسلم باكرام الوفود وضيافتهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من
المؤلفة وقال سواء كان الوفد مسلمين او كفارا لان الكافر انما يفد غالبا فيما
يتعلق بمصالحنا ومصالحه وسكت اي ابن عباس عن الثالثة اي نسيانا منه
او اختصارا او قالها اي ذكرها فنسيتها وفي نسخة بضم النون وتشديد السين
قال سفيان الظاهر انه ابن عيينة هذا اي قوله سكت من قول سليمان اي
الاحول قال النووي الساكت هو ابن عباس والناسي سعيد بن جبير قال المهلب
الثالثة تجهيز جيش اسامة وقال القاضي عياض ويحتمل انه قوله صلى الله عليه
وسلم لا تتخذوا قبري وثنا يعبد متفق عليه وعن انس قال قال ابو بكر لعمر
رضي الله عنهما بصيغة التثنية اما لجلالتهما او لكونه من مقول انس وفي
نسخة عنهم بصيغة الجمع لبعض انسا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق بنا الى ام ايمن هي ام اسامة بن زيد بن حارثة كانت مولاة النبي صلى الله
عليه وسلم فزوجها زيدا واسمها بركة وهي حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم ورثها
النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيه عبد الله وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى
وكانت من الحبشة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما واما زيد فملكته خديجة
فاستوهبه صلى الله عليه وسلم فوهبته له فاعتقه صلى الله عليه وسلم وكذا
ذكره بعض المحققين ولم يذكر المؤلف ام ايمن في اسمائه نزورها كما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزورها استئناف بيان كانه قيل لم تنطلق اليها
فاجيب نزورها لانها مستحقة لذلك فهو اتم بلاغة من الاول لو قيل نزورها
حسب ما اقتضاه تعظيم المزور فلما انتهينا اي انا والشيخان وهو كناية بصيغة المتكلم

في نسخ صحيح مسلم وفي بعض نسخ المشكاة فلما انتهيا بصيغة التثنية اي وصل
ابو بكر وعمر اليها بكت فقالا لها ما يبكيك اما تعلمين ان ما عند الله خير لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني لا ابكي اني لا اعلم بفتح الهمزة على انه مفعول له
لقوله لا ابكي والمعنى لا ابكي لاني لا اعلم ان ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اي لان هذا امر ظاهر وظهوره باهر ولكني ابكي ان اي لان الوحي
اي بالاحكام الالهية السماوية قد انقطع من السماء فهيجتهما بالتشديد اي هاجت
اي حملتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها والبكاء بهذا المعنى لا ينقطع الى اخر الدنيا
رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد حال من المفعول وهو قوله
علينا عاصبا راسه حال من ضمير فاعل خرج اي رابطا راسه بخرقة اي عصابة
حتى غاية لخرج اي الى ان هوى اي قصد نحو المنبر اي الى جهته فاستوى عليه
واتبعناه بهمز قطع واسكان تاء وفي نسخة بهمز وصل وتشديد تاء اي لحقناه
وتبعناه بان قعدنا تحت المنبر قريبا لديه ومتوجها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اي بعد الحمد والثناء والذي نفسي بيده اني لانظر الى الحوض اي الكوثر
من مقامي هذا الماورد من قوله ومنبري على حوضي وقد سبق بيانه وتحقيق شانه
ثم قال ان عبدا اي عظيما وعند الله وجيها كريما عرضت عليه الدنيا وزينتها
اي الفانية فاختار الاخرة اي ونعيمها الباقية وقد قال بعض العارفين
لو خير العاقل بين قدحين احدهما خزف باق والاخر ذهب فان فالاختيار
الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس فان الاخرة ذهب باق
والدنيا خزف فان كما اشار اليه سبحانه بقوله والاخرة خير وابقى فلم يفطن
بفتح الطاء ويضم من باب فرح ونصر على ما في المصباح وفي القاموس فطن به
واليه وله كفرح ونصر وكرم فتبين ان ما في بعض النسخ من كسر الطاء
سهو قلم نشأ من قلة فطانة الكاتب والمعنى لم يتفطن لها اي لهذه
النكتة او للوفاة ولم يفهمها احد غير ابي بكر بالرفع على البدلية وبنصب
اي الا ابا بكر فانه عرفها فذرفت عيناه اي سالت دموع ابي بكر فبكى ثم قال
بل نفديك بآبائنا وامهاتنا وانفسنا واموالنا اي عبيدنا واماءنا وغيرها
لو كان جائزا الفداء بشيء منها او بجميعها قال ابو سعيد ثم هبط اي نزل على المنبر
فما قام عليه حتى الساعة اي الى الان قال الطيبي حتى هي الجارة والمراد
بالساعة القيامة يعني فما قام عليه بعد ذلك في حياته رواه الدارمي
وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله اي الى اخر السورة المبشرة
الى حصول الكمال المستعقب للزوال فكانه قال اذا اصبحت نصرتك فاشتغل بخدمتك

من تنزيه

من تنزيه ربك وشكر نعمتك فقد تم المقصود من بعثتك دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاطمة اي طلبها قال الاستيناف بيان او حال نعيت الى نفسي هـ
بصيغة المجهول المؤنث اي اخبرت باني اموت قال الطيبي ضمن نعى معنى
الانهاء وعدي بالى اي انهي الي نعي نفسي كما يقول احد اليك فلانا يقال نعي
الميت ينعاه اذا اذاع موته واخبر به ولعل السر في ذلك انه تعالى رتب قوله
فسبح بحمد ربك على مجموع قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس فهو امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصته نفسه من الثناء على الله بصفات الجلال
حامدا له على ما اولى من النعم بصفات الاكرام وهي بذل المجهود فيما كلف به
من تبليغ الرسالة ومجاهدة اعداء الدين وبالاقبال على العبادة والتقوى
والتاهب للمسير الى المقامات العليا والتحوق بالرفيق الاعلى فبكت اي فاطمة
رضي الله عنها حزنا على القرب فراقه قال لا تبكي فانك اول اهلي لاحق بي
فضحكت اي فرحا بسرعة وصاله فراها بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
يراد بها عائشة رضي الله عنها وجمعها في قوله فقلن تعظيما لشانها ذكره الطيبي
ولا يبعد مشاركة غيرها معها في ما راتها وهو الظاهر من قوله بعض ازواج
النبي مع قوله فقلن يا فاطمة رايناك بكيت ثم ضحكت ولعلهن كن في مقام
متاخر عنها او نساء النبي صلى الله عليه وسلم معها كما هو مصرح في رواية اخرى
حيث امتنعت عن الجواب حينئذ ثم اخبرت بعد موته عليه السلام فقالت
والنسخة الصحيحة قالت انه اخبرني انه قد نعيت اليه نفسه فبكيت فقال
لا تبكي فانك اول اهلي لاحق بي فضحكت قال الاكمل والصحيح انها عاشت بعده
ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل ثلاثة اشهر وقيل شهرين وقيل سبعين
يوما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن
عطف على جاء نصر الله وتفسير لقوله تعالى ورايت الناس يدخلون في دين الله
افواجا وايذان بان المراد بالناس هم اهل اليمن هم ارق افئدة اي ارحم قلوبا والين
صدورا والايمان يمان اي يمني والالف عوض عن ياء النسبة قيل انما قال ذلك لان
الايمان بدا من مكة وهي تهامة وتهامة من ارض اليمن ولذا يقال الكعبة اليمانية
وقيل انه قال هذا القول وهو بتبوك ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين
اليمن فاشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة وقال ابو عبيدة المراد بهم الانصار لانهم
يمانون في الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم انصاره وقال الشيخ ابو عمرو بل
المراد به اهل اليمن كما هو الظاهر ونسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف
بشيء وقوي قيامه به نسب ذلك الشيء اليه لا ان فيه نفي له عن غيره فلا منافاة
بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم الايمان في اهل الحجاز ثم المراد به الموحدون

فاة

في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن في جميع الاحيان والحكمة وهي عبارة عن اتقان
العلم والعمل وقيل الاصابة في القول والفعل وهما متقاربان قال تعالى يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقال الطيبي الحكمة كل كلمة
صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في المهالك يمانية بتخفيف الياء وكذلك الالف
فيه عوض وحكى المبرد وغيره ان التشديد لغة رواه الدارمي وفي الجامع الصغير
الايمان يمان رواه الشيخان عن ابي مسعود وروى ابن عدي في الكامل
وابو نعيم في الحلية عن انس الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى
تجلسه مجالس الملوك وفي رواية لابن عدي وابن لال عن ابي هريرة الحكمة عشرة
اجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت وعن عائشة انها قالت اي
لشدة صداع بها وا راساه ندبت راسها واشارت الى الموت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذاك بكسر الكاف اشارة الى ما يستلزمه المرض من الموت لو كان
اي ان حصل ذاك اي موتك وانا حي اي والحال اني حي فاستغفر لك لك اي لمؤانستك
وادعو لك اي لرفع درجاتك فقالت عائشة وا ثكلياه الثكل بالضم ويحرك
على ما في القاموس الموت والهلاك وفقدان الحبيب او الولد وقال غيره الثكل
كقفل فقد الموته او من يعز على الفاقد وليست حقيقته مرادة هنا بل هو كلام
يجري على السنتهم عند المصيبة والله اني لاظنك اي احسبك تحب موتي فلو كان
ذلك اي لو حصل موتي في يوم لظللت بكسر اللام اي صرت في ذلك اليوم اخر يومك
معرسا بضم ميم فسكون وفي نسخة بتشديد الراء اي مرتبطا ببعض ازواجك
والمعنى انك فقدتني وعشت بعدي تفرغت لغيري ونسيتني سريعا يقال عرس
واعرس اذا بنى على زوجته ثم استعمل في كل جماع ذكره ابن حجر وفي النهاية التعريس
نزول اخر الليل يقال منه عرس واعرس واعرس الرجل فهو معرس بنى بامراته ولا
يقال عرس وفي القاموس اعرس اتخذ عروسا وباهله بنى عليها والقوم نزلوا في اخر
الليل للاستراحة كعرسوا وهذا اكثر فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا وا راساه
بل للاضراب اي دعي ما تجدين من وجع راسك واشتغلي بي فانه اهم من امرك
وفي توافق محبتهما ايماء الى كمال محبتهما على وفق خروج الدم من يد المجنون العامري
وفق افتصاد ليلى لقد هممت اي قصدت او اردت شك من الراوي ان ارسل الى ابي
بكر وابنه اي عبد الرحمن واعهد اي اوصي ابا بكر بالخلافة بعدي واجعله ولي
عهدي ان يقول القائلون اي لئلا يقول القائلون او مخافة ان يقول القائلون
لم يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر الخلافة الكبرى وانما اقتصر
على الخلافة الصغرى وهي الامامة مع ان فيها الاشارة الى اقامة تلك الامامة
او يتمنى المتمنون اي الخلافة لغيره من انفسهما وغيرهم فاو للتنويع او

للشك وقال ابن الملك اي كراهة ان يقول انا احق منه بالخلافة او يتمنى احد ان
تكون الخليفة غيره وقال الطيبي ان يقول مفعول له على تقدير محذوف
اي اجعل ابا بكر ولي عهدي كراهة ان يقول الجاهرة وانت تعرف ان الفعل المعلل
مذكور وهو اعهد ولعله محذوف في اصل الطيبي والله اعلم ثم قلت اي في
الخاطر او في الظاهر يابى الله اي الا خلافته ويدفع المؤمنون اي غير خلافة ابي بكر
او يدفع الله شك من الراوي ويابى المؤمنون اي ايضا الا استخلافه في الامامة
الصغرى فانها امارة الامارة الكبرى كما فهم بعض كبراء الصحابة حيث قال
عند المنازعة اختاره صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا نختاره لامر دنيانا فهذا
برهان جلي وتبيان علي عند كل ولي نجي فقوله ويابى الله والمؤمنون اشارة
الى تكفير من انكر حقية خلافة الصديق اللهم الا ان يقال المراد بالمؤمنين اكثرهم
وفيه ايماء الى مخالفتهم لجمهور المسلمين وقال ابن الملك اي تركت الايصاء اعتمادا على ان
الله تعالى يابى كون خليفة ويدفع المؤمنون غيره وفيه فضيلة لابي بكر واخبار
بما سيقع فكان كما قال رواه البخاري وعنها اي عن عائشة قالت رجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة اي من اجل جنازة فهو مفعول له من
البقيع متعلق برجع فوجدني وانا اجد صداعا بالصداع او له اي فصادفني والحال
اني احس وجع راس وانا اقول وا راساه فقال بل انا يا عائشة وا راساه قال وما ضرك
لو مت قبلي بضم الميم وكسرها فغسلتك بالتخفيف وكفنتك بالتشديد وصليت
عليك ودفنتك فيه ايماء الى ان موتها في حياته خير من حياتها بعد مماته قلت لكاني
بك اي والله لكان متلبسا بك قال الطيبي اللام فيه جواب قسم محذوف والمذكور
معترض بين الحال وصاحبها المعنى والله لكاني ابصرتك والحال انك لو فعلت
ذلك اي ما ذكر من الغسل وغيره لرجعت الى بيتي اي مكاني فعرست فيه ببعض
نسائك بتشديد الراء ففي الصحاح اعرس الرجل باهله اذا بنى بها ولا تقل عرس
والعامة تقول انتهى والحديث حجة على اللغويين اللهم الا ان يراد بالتعريس هنا
النزول للاستراحة في اخر الليل ومطلقا على سبيل التجريد ويكون كناية عن الجماع
او يحمل من باب الاستعارة التبعية فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يدل
عبارتها على كمال غيرتها حتى بعد وفاتها ثم بدي بصيغة المجهول اي شرع في
وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي وعن جعفر اي الصادق بن محمد الباقر
عن ابيه اي محمد ان رجلا من قريش دخل على ابيه اي ابي محمد علي ابن الحسين بدل او
بيان لابيه والمراد به زين العابدين فقال اي علي بن الحسين رضي الله عنهم الا احدثك
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي الرجل بلى حدثنا عن ابي القاسم صلى الله
عليه وسلم قال اي علي ابن الحسين مرسلا فانه من اجلاء التابعين لما مرض رسول الله

صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل اي للعيادة والرسالة فقال يا محمد ان الله ارسلني
اليك تكريما لك وتشريفا لك اي تعظيما خاصة لك في قوله يسالك اي الله سبحانه
عما هو اعلم به منك اي فانه اقرب الى المريض من حبل الوريد يقول كيف تجدك اي
من الاحوال فقال اجدني يا جبريل مغموما اي مهموما واجدني يا جبريل مكروبا اي محزونا
وانما اشكو بثي وحزني الى الله واقول في كل حال الحمد لله ثم جاءه اليوم الثاني
اي جبريل فقال له ذلك اي ما سبق من السوال فرد عليه النبي صلى الله عليه
وسلم كما رد اول يوم اي من بيان الحال ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال
اول يوم اي اسفه حقيقة او اضافة ورد عليه كما رد عليه اي فيما تقدم
وجاء معه ملك في هذا اليوم او يوما اخر يقال له اسماعيل على مائة الف ملك
اي حاكم كل ملك على مائة الف ملك اي امير فستاذن عليه اي بالدخول فسال
اي جبريل عنه ثم قال اي فقال او بعد تامل قال جبريل هذا ملك الموت يستاذن
عليك اي بالدخول ما استاذن على ادمي قبلك اي من الانبيا ولا يستاذن على ادمي
بعدك اي من الاولياء بالاولى فقال اي جبريل ايذن له فاذن له فسلم عليه
اي فرد ثم قال يا محمد ان الله ارسلني اليك اي حيث اعرض الامر عليك فان امرتني
ان اقبض روحك قبضته وان امرتني ان اتركه تركته والروح يذكر ويونث
وفي نسخة بترك الضمير فقال وتفعل او تفعل ما موري يا ملك الموت قال نعم
بذلك اي بتخيير امرت وامرت ان اطيعك اي فيما احببت به وهذا اولى من قول
الطيبي قوله وامرت عطف على قوله بذلك امرت اي بقبض روحك من العطف المفسر
للمعطوف عليه قال اي ابن الحسين فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه
السلام اي كالمستبشر اليه فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك اي ولما
ارسل الى موجب عنايتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض بكسر الهمز
الوصل والضاد اي انفذ لما امرت به ولا تتوقف فيه قال الطيبي والى هاهنا
ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء وذكر بعده فقال جبريل عليه السلام عليك يا رسول
الله هذا اخر موطئي الارض انما كنت حاجتي في الدنيا فقبض روحه انا لله وانا
اليه راجعون فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية اي من كل
ناحية البيت سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله
وبركاته ان في الله اي في كتابه عزاء بفتح العين اي تسلية من كل مصيبة اشارة
الى قوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة او في ثوابه عوضا من كل
محنة وبلية قال صاحب النهاية وفي الحديث من لم يتعز بعزاء الله تعالى قيل اراد
بالتعزي في هذا الحديث التسلي والتصبر عند المصيبة وان يقول انا لله وانا
اليه راجعون قال الطيبي فعلى هذا يجوز ان يقدر مضاف في قوله في الله اي

ان في لقاء الله تعالى تسلية وتصبرا من كل مصيبة وان يراد ان في الله تسلية على التجريد
اي الله معز ومسلي نحو قوله وفي الرحمن للضعفاء كاف ويؤيده القرينتان لا يعني قوله
وخلفا بفتحتين اي عوضا من كل هالك ودركا بفتح الدال والراء اي تداركا من كل فائت
وما احسن ما قال بعض ارباب الحال ٭ لكل شيء اذا فارقته خلف ٭ وليس لله ان فارقت
من عوض ٭ فبالله اي فاذا كان الامر كذلك فبعونه وحوله وقوته فثقوا اي الجزع
والفزع اشارة الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وفي بعض النسخ موافقا
لما في الحصن الحصين فثقوا بكسر المثلثة وتخفيف القاف المضمومة اي
فاعتمدوا وايما الى قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت واياه فارجوا اي لا
ترجوا سواه فانه لا اله الا الله او من عنده فارجوا الثواب فانما المصاب اي
الحقيقة من حرم الثواب بصيغة المفعول اي من منع المثوبة بسبب قلة
الصبر في فضيلة المصيبة والصبر المعتبر عند المولى هو الذي يكون عند
الصدمة الاولى هذا وقال الطيبي الفاء في قوله فبالله جواب للشرط
وبالله حال قدمت على عاملها اختصاصا كما في قوله تعالى فاياي فاعبدون
اي اذا كان الله معزيا وخلفا ودركا فخصوه بالتقوى مستعينين به والفاء
في فاتقوا وردت لتاكيد الربط وكذا في قوله فارجوا وتقديم المفعول
ليس لارادة التخصيص بل للتعاد لبه القرينة في اقتران الفاء قلت لا منافاة
بين ارادة الاختصاص المفيد للاختصاص وحصول التعادل بين القرائن
التماثل فقال علي اي زين العابدين او علي بن ابي طالب اتدرون من هذا اي
صاحب الصوت هذا هو الخضر عليه السلام بفتح الخاء وكسر الضاد وقيل بكسر
وسكون وفي تهذيب الاسماء يجوز اسكان الصاد مع فتح الخاء وكسرها فتح الخاء
وكسرها قال الطيبي وفيه دلالة بينة على ان الخضر عليه السلام حي موجود رواه
البيهقي اي الحديث بكماله في دلائل النبوة وقد علمت ان صدر الحديث الى قوله
فلما توفي ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء اما ما بعده فقد ذكره ابن الجوزي في
الحصن ولفظه ولما توفي صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا
واياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
رواه الحاكم في مستدركه عن جابر ثم قال ودخل رجل اشهب اللحية جسيم صبيح
فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا
من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم
في البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبره الصبر فقال ابو بكر وعلي هذا الخضر
عليه السلام رواه في المستدرك من حديث انس قال مبرك وليس بصحيح وقال

العسقلاني هذا الحديث واهي الاسناد اي ضعيف بخصوص هذا السند لكن اذا
انضم الى غيره يتقوى ويترقى الى درجة الحسن فاندفع ما قال الحمصي في حاشية
المشكاة من ان هذا الحديث موضوع رواه عبد الله بن محرر عن يزيد الاصم
عن زين العابدين وابن محرر متروك كما في مقدمة مسلم انتهى ولا يخفى انه
لا يستلزم من كون احد الرواة متروكا كون الحديث موضوعا لا سيما اذا جاء الحديث
من طريق اخرى وتعدد طرقه فلا شك في كونه ثابتا ولا يضر عدم كونه صحيحا
اذ لا يتعلق به حكم شرعي مع ان اكثر الاحكام انما ثبتت باحاديث الحسان لقلة الصحاح
حيث لا معارض والله اعلم باب
بالرفع والاسكان

الفصل الاول

عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى
الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا اوصى بشيء قال النووي
وفي رواية اخرى ذكروا عند عائشة رضي الله عنها ان عليا رضي الله عنه كان
وصيا فقالت متى اوصى اليه وقد كنت مسندته الى صدري مات فمتى اوصى ومعنى
لا اوصى بشيء اي لا اوصى بثلث ماله ولا غيره اذ لم يكن له مال ولا اوصى الى علي
ولا الى غيره خلاف ما يزعمه الشيعة واما الاحاديث الصحيحة في وصيته
صلى الله عليه وسلم بكتاب الله ووصيته لاهل البيت واخراج اليهود من جزيرة
العرب واجازة الوفد فليست مرادة بقولها ولا اوصى واما الارض التي
كانت له صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك فقد سبلها صلى الله عليه وسلم
في حياته وجعلها صدقة للمسلمين رواه مسلم وكذا الترمذي في الشمائل
الا قولها ولا اوصى بشيء ثم قال رزين صيغة للراوي عن عائشة واشك في العبد
والامة وسيأتي نفيهما ايضا واما ما حكى بعض اهل السير من ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان له ابل كثيرة وكان له عشرون ناقة يحفظونها في نواحي
المدينة ويأتون بالبانها في كل ليلة وكان له سبع شياه يشربون البانها وكان
له سبع معز يشربون من البانها فلا يصلح لمعارضة هذا الحديث الصحيح
ولو صح لحمل على انها كانت من ابل الصدقة وكان اصحابه الفقراء من اهل الصفة
وغيرهم يشربون من البانها وعن عمرو بن الحارث اي الخزاعي له صحبة على ما في
الشمائل اخي جويرية بالتصغير احدى امهات المؤمنين قال ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا امة اي في الرق
ففيه دلالة على ما ذكر من رقيق النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الاخبار كان انما
اعتقه ولا شيئا تعميم بعد تخصيص الا بغلته البيضاء اي التي كان يختص
بركوبها وسلاحه اي الذي يختص بلبسه من نحو سيفه ورمح ودرع ومغفر وحربة
ولعل هذا الحصر اضافي مبني على عدم اعتبار اشياء اخر مثل الاثواب والامتعة

البنت

البنت والا فقد ثبت انه ترك اثوابا وغيرها قد بينت في موضعها ولعل حكمة
سكوت الراوي عن ذكرها كونها محقرة بالنسبة للمذكورات وارضا جعلها
صدقة قال شارح الضمير المفعول لما ذكر من البغلة والسلاح والارض والظاهر
المتبادر انه للارض قال العسقلاني اي تصدق بمنفعة الارض فصار حكمها
حكم الوقف والمعنى انه جعلها في حياته صدقة جارية باقية الى فنائها فيدوم
ثواب الصدقة بدوامها فلا ينافي ان ما عداها من املاكه بعد الموت تصير صدقة
كما لا يخفى قال العلامة الكرماني في شرح البخاري هي نصف ارض فدك وثلث ارض
وادي القرى وسهمه من خمس خيبر وحصته من ارض بني النضير وضمير جعلها
راجع الى كل الثلاثة لا الى الارض فقط فانه صلى الله عليه وسلم قال نحن
معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة انتهى وسيأتي تحقيقه رواه البخاري
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتسم ورثتي دينارا
بالياء التحتية للفعل ورفعه فهو اخبار حقيقة ومعناه ليس تقتسم ورثتي بعد موتي
دينارا اذ لست اخلف بعد موتي دينارا املكه فيقتسمون ذلك ويحتمل ان يكون
اخبارا في الصورة ونهيا في المعنى فهو ابلغ من النهي الصريح قال الطيبي ويجوز
ان يكون بمعنى النهي فهو على منوال قوله على لاحب لا يهتدى بمناره
اي لا دينار هناك فيقتسم انتهى وفي نسخة بالتذكير وفي اخرى بالجزم وفي بعض
النسخ لا تقتسم من الافتسام مرفوعا ومجزوما قال ميرك هو باسكان الميم على
النهي وبضمها على النفي وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت
انه صلى الله عليه وسلم لم يترك ما لا يورث عنه وتوجيه رواية النهي انه
لم يقطع بانه لا يخلف شيئا بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان اتفق انه
خلفه ذكره العسقلاني وقال ابن حجر في شرح الشمائل رواية مسلم لا يقتسم وهو نفي
لا نهي لان النهي عنده شرط الامكان وارث النبي غير ممكن فتمحض للاخبار
بانهم لا يقتسمون شيئا لانه لا يورث انتهى وفيه ان الشرط هو الامكان العقلي
وهو متصور والا لا الامكان الشرعي لئلا ينافي رضا ثم قوله ورثتي اي بالقوة فحيث
لا قسمة فلا وراثة قال ابن حجر اي من يصلح وارثي لو امكنت وقال ميرك هم
ورثته باعتبار انهم كذلك بالقوة لكن منعوا من الميراث بالدليل الشرعي
وهو قوله لا نورث ثم بين سببه وعلته مستأنفا ما تركت ما موصولة مبتدأ
وتركت صلة والعائد محذوف اي الذي تركته بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو
صدقة والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط كقولهم الذي يأتيني فله درهم
وهو ضمير الفصل يفيد التوكيد والتأبيد وفي شرح السنة قال سفيان بن عيينة
كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في معنى المعتدات اذ كن لا يجوز لهن ان ينكحن

ابدا فجرت لهن النفقة وقوله ومؤونة عاملي اراد بالعامل الخليفة بعده
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة اهله من الصفايا التي كانت له
من اموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم ابو بكر ثم عمر كذلك
ثم صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فاقطعها مروان وغيره من اقاربه فلم تزل
في ايديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز وقال الشارح من علمائنا يريد بما تركه من
الاموال الفيء التي كان يتصرف فيها تصرف الملاك ولم يكن ذلك لغيره وقوله بعد
نفقة نسائي لان نفقة نسائه بعده كانت تتعلق بحياة كل واحدة
منهن لكونهن محبوسات عن النكاح في الله وفي رسوله ونفي حكم نكاح النبي
صلى الله عليه وسلم باقيا مدة بقائهن فوجب لهن النفقة من مال الفيء وجوب
نفقة النساء على ازواجهن انتهى والحاصل انه ليس معنى نفقة نسائه انه
ليس منفصلا لكونهن محبوسات وممنوعات عن الازواج بسببه فهن في حكم المعتدات
ما دام حياتهن وقيل لا عدة عليهن لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وكذلك
سائر الانبياء فعلى هذا الاشكال في نفقة النساء وقال بعضهم لعظم حقوقهن
وقدم هجرتهن وكونهن امهات المؤمنين وكذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن
قال الشارح وانما نفقة عامله فانها تتعلق بعامل ذلك وهو العامل النخل استعمله
على مال الفيء فاستحق العمالة لتفرده بعمله ولم يكن ياخذها فاستثنيناها من مال الفيء
انتهى ولفظ الحديث ومؤونة عاملي ففي شرح المشارق المؤونة الثقل فعولة من مانت
القوم اي احتملت مؤونتهم وفي الصحاح المؤونة تهمز ولا تهمز وقال الفراء مفعلة من الاين
وهو التعب والشدة وقيل هي مفعلة من الاون وهو الخرج والعدل لانها ثقل على
الانسان انتهى وفي الحديث المعونة تاتي على قدر المؤونة وقال بعض المحققين
اختلف في المراد بقوله مؤونة عاملي فقيل الخليفة بعده وهذا هو المعتمد وقيل
يريد بذلك العامل على النخل والقيم على الارض وبه جزم الطبري وابن بطال وابعد
من قال المراد بعامله حافر قبره عليه السلام وقال ابن دحية في الخصائص المراد بعامله
خادمه العامل على الصدقة وقيل العامل فيها كالاجير واستدل به على اجرة
القسام وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له ونائب عنه في امته متفق عليه
ورواه الترمذي في الشمائل بزيادة ولا درهما فقيل فائدة التقييد بهما التنبيه
على ان ما فوقهما بذلك اولى وهذا الحكم عام في الانبياء لورود الحديث الاتي لا نورث
ما تركنا صدقة يعني لا نورث نحن معاشر الانبياء فانا من جملة الفقراء ومن شرط
الفقير عند الصوفية انه لا يملك مما في يده امانة او وقف وصدقة وحاصل
الحديث ما ميراثنا الا الاوقاف ومنحصر في مرفق احوال الفقراء والمساكين كما جاء في حديث
ان النبي لا يورث انما ميراثه في فقراء المسلمين والمساكين وقيل لئلا يفرح احد

بمونه

بموته من ورثته من حيث انه اخذ تركته وخالف الحسن البصري في المسألة العامة
وقال هذا الحكم مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يرثني ويرث من آل
يعقوب وقال وهي وراثة مال لا نبوة والا لم يقل واني خفت الموالي من ورائي
اذ لا يخاف منهم على النبوة وصوب الجمهور خلاف قوله لخبر النسائي انا معشر الانبياء
لا نورث والمراد في الاية وراثة النبوة دون حقيقة الارث بل قيامه مقامه
وحلوله مكانه وعلى هذا فانما خاف من استيلاء المولى على مرتبة الظاهرة بالقهر
والقوة والغلبة هذا وقال الباجي اجمع اهل السنة ان هذا حكم جميع الانبياء وقال
ابن علية ان ذلك لنبينا عليه السلام وقالت الامامية ان جميع الانبياء يورثون
ذكره السيوطي وعن ابي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا نورث بسكون الواو وفتح الراء اي نحن معاشر الانبياء لا نورث قال الطيبي
لا نورث بتخفيف الجار فاستتر ضمير الجمع في الفعل اي انقلب الفعل عن لفظ الغائب
الى لفظ المتكلم انتهى وهذا بناء على انه لا يتعدى بنفسه وجعله بعض اللغويين
متعديا بنفسه وبمن فلا حذف ولا تحويل على الاسناد كذا حققه الاستاد مولانا
عبد الله السندي رحمه الله وقد جاء اللغتان في التنزيل يرثني ويرث من آل يعقوب
وفي القاموس ورث اباه ومنه بكسر الراء يرثه كيعده واورثه جعله من ورثته وحكي
نورث على صيغة المعلوم وكذا ضبط في نسخة اي لا نترك مالا ميراثا لاحد فقول
المغرب ورث اباه مالا يرثه وراثة وهو وارث والاب والمال كلاهما موروث
ومنه انا معاشر الانبياء لا نورث وكسر الراء خطأ رواية انتهى وبه اندفع
زعم من قال انه هو الاظهر والمعنى انه ليس بخطأ دراية لو صحت رواية لما
تقدمناه في المعنى المستفاد من القاموس ما تركناه الضمير راجع الى ما الموصولة
صدقة بالرفع جملة مستانفة كانه لما قيل لا نورث فقيل ما تفعلون بتركتكم
فاجيب ما تركنا صدقة ذكره الطيبي ويروى صدقة بالنصب وهو كذلك في
نسخة ما تركناه مبتدأ صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض ونظيره
قوله تعالى ونحن عصبة بالنصب في قراءة شاذة واما قول الشيعة ان ما نافية
وصدقة مفعول تركنا فهذيان وزور ويرده وجود الضمير في تركناه في اكثر
الروايات ووجود فهو صدقة في بعض وصراح بعض الاحاديث كقوله انا معاشر
الانبياء لا نورث لما يلزم منه التناقض بين السابق واللاحق والله الموفق للصادق
واما ما جاء في رواية ما تركنا صدقة من غير ضمير فهو كما قال المالكي ان ما تركنا
موصولة مبتدأ وتركنا صلة والعائد محذوف وصدقة خبر وبه يحصل الجمع
رواية ودراية متفق عليه وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال ان الله اذا اراد رحمة امة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا

بفتحتين فيهما والثاني تفسير للاول والمعنى اي سابقا ومقدما او شفيعا بين يديها
اي قدامها حين ماتت راضيا عنها واذا اراد الله هلكة امة بفتحتين اي هلاك
عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر اي اليها او الى قدرة خالقها فاقر الله عينيه
بالتثنية للمبالغة اي اسرهما بما نزل بها مما يشتفي غيظه بهلكتها اي بسبب هلاكها
حين كذبوه اي من الكفار وعصوا امره اي من الفجار رواه مسلم وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لياتين على احدكم
يشمل الصحابة وغيرهم يوم اي زمان ولا يراني اي احدكم حينئذ ثم لان يراني
اي لرؤيته اياي احب اليه من اهله وماله معهم اي مع اهله وهو يفيد التاكيد
ورفعا لما يتوهم من ان يكون الواو بمعنى او ويحمل على الاهل تارة وعلى المال اخرى
رواه مسلم وفي الحديث ايماء الى معنى ما ورد من الحديث المشهور طوبى لمن راني وامن بي

باب مناقب قريش وذكر القبائل

المناقب جمع المنقبة وهي الشرف والفضيلة وذكر القبائل عطف على المناقب
والمراد بذكرهم اعم من مدحهم وذمهم

الفصل الاول

عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم اي الناس كلهم
تابعون لقريش في هذا الشان اي في الدين والطاعة او في الخلافة ويؤيد المعنى
الاول قوله مسلمهم اي مسلم عادته الناس تبع لمسلمهم اي لمسلم قريش وكافرهم تبع
لكافرهم قال شارح واذ قد علمنا ان احدا من قريش لم يبق بعده على الكفر علمنا ان
المراد منه ان الاسلام لم ينقصهم ما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف فهم سادة
في الاسلام كما كانوا قادة في الجاهلية انتهى وقيل معناه ان كانوا خيارا سلط الله
عليهم خيارا منهم وان كانوا شرارا سلط الله عليهم شرارا منهم كما قيل اعمالكم
عمالكم وكما روي كما تكونوا يولى عليكم وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على
قبائل العرب وتقديمها في الامامة والامارة وقال المظهر كانت العرب تقدم قريشا
وتعظمها اذ كانت دارهم موسما والبيت الذي هم سدنته منسكا وكانت لهم
السقاية والرفادة يعظمون الحجيج ويسقونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم
وقال القاضي المراد بهذا الشان الدين والمعنى ان مسلمي قريش قدوة غيرهم
من المسلمين لانهم المتقدمون في التصديق السابقون في الايمان وكافرهم
قدوة غيرهم من الكفار فانهم اول من رد الدعوة وكفر بالرسول واعرض عن الايات
قال الاشرف فلا يكون حينئذ قوله وكافرهم الخ في معرض المدح قلت فلا يكون
ولا محذور حينئذ مع انه قد يقال ليس مدحا شرعيا لكنه يتضمن مدحا عرفيا
وهو ان هذا الجنس متبوعون في الجملة لا تابعون كما سياتي من ان الناس تبع
لقريش في الخير والشر ويؤيده انه لما بعث صلى الله عليه وسلم قال عامة العرب

ينظر

ننظر ما يصنع قومه فلما فتح مكة واسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين الله
افواجا ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش ثم رايت الطيبي قال ويؤيد قول القاضي
الحديث الذي يتلوه كانه قيل متبوعون في كل امر والناس يقتفون اثارهم ويزعمون
ان كل ما صدر عنهم خير ونحوه قول الشاعر ◦ ونحن التاركون لما سخطنا ◦ ونحن
الاخذون لما رضينا اقول وفيه اشعار بان الخلق لا يانفون عن متابعتهم وان
قابلية المتبوعية تجعلوه في جبلتهم فينبغي ان لا يخرج عنهم امر الخلافة لئلا
يترتب عليه المخالفة وبه يحصل الجمع بين الاقوال الائمة في معنى هذا
الحديث متفق عليه وعن علي قال سمعته اذناي ووعاه قلبي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش صالحهم تابع لصالحهم وشرارهم تبع
لشرارهم اخرجه احمد في المناقب وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس
تبع لقريش وجه تشعبهم بقريش مبسوط في القاموس في الخير اي الاسلام والشر
اي الكفر رواه مسلم وكذا احمد وفي الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح
الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح رواه ابن عدي في الكامل عن عائشة
مرفوعا وفي رواية ابن عساكر عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش خالصة الله
تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن اراد لها بسوء خزي في الدنيا والاخرة
وروى ابن عدي عن جابر مرفوعا قريش خالصة على مقدمة الناس يوم القيامة
ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لمحسنها عند الله تعالى من الثواب وروى احمد
والترمذي عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش ولاة الناس في الخير والشر الى يوم
القيامة وفي رواية لاحمد عن ابي بكر وسعد مرفوعا قريش ولاة هذا الامر فبر
الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن ابي ذئب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال شرار قريش خير شرار الناس اخرجه الشافعي في مسنده
وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين وامانة رجل من قريش تعدل امانة رجلين
من غيرهم رواه احمد وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
بني هاشم والذي بعثني بالحق نبيا لو اخذت بحلقة الجنة ما بدات الا بكم
اخرجه احمد في المناقب وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال
هذا الامر اي امر الخلافة في قريش ما بقي منهم اي من الناس اثنان اي فيكون
واحد خليفة وواحد تابع له قال النووي هذه الاحاديث وما اشبهها فيها دليل
ظاهر على ان الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع
في زمن الصحابة ومن بعدهم ومن خالف فيه من اهل البدع فهو محجوج باجماع الصحابة
وبين صلى الله عليه وسلم ان هذا الحكم مستمر الى اخر الدهر ما بقي من الناس اثنان

وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم الى الان انتهى والتحقيق ان هذا خبر بمعنى الامر اي
من كان مسلما فليتبعهم ولا يخرج عليهم والا فقد خرج هذا الامر عن قريش في اكثر
البلاد من مدة اكثر من مائتي سنة ويحتمل ان يكون على ظاهره وانه مقيد بقوله في الحديث
الاتي ما اقاموا الدين ولم يخرج منهم الا وقد انتهكوا حرمته كذا ذكره السيوطي وقيل
هو على ظاهره والمراد بالناس اي سائر العرب ذكره ابن حجر قلت بر متفق عليه وفي
ذخائر العقبى نسبة الى البخاري ورواه احمد في مسنده وعن معاوية اي ابن ابي
سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر اي امر
الامارة في قريش لا يعاديهم احد اي لا يخالفهم الا كبه الله اي اسقط وفي رواية الا
كبه الله على وجهه والمعنى اذله واهانه ما اقاموا الدين اي قريش اي احكام
دين الاسلام ثم ما مصدرية والوقت مقدر وهو متعلق بقوله كبه الله قال
ابن الملك اي مدة محافظتهم الدين واهله وقيل المراد الصلاة لرواية ما اقاموا
الصلاة لكن هذا انما يستقيم المعنى اذا علق قوله ما اقاموا بكب لا بان هذا
الامر في قريش لان منهم من لم يقم الصلاة ولم يصرف عنه الامر كذا قاله التوربشتي
وفيه دلالة على اختصاص الامامة لقريش وهم بنو النضر بن كنانة وجميع
بطونها في ذلك بمنزلة واحدة ولعل ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم انه يوجد
فيهم من هو جامع لاوامر الملك والدين وصالح لامور المسلمين وفي شرح الطيبي
قال المظهر ان الخلافة في قريش لا يعاديهم ولا يخالفهم احد في ذلك الا اذله الله
ما داموا يحافظون الدين انتهى كلامه ويفهم من كلام الشيخ التوربشتي ان قوله ما اقاموا
الدين اذا علق بكب يستقيم المعنى اذا حمل الدين على الصلاة واما اذا حمل على الدين
باصوله وتوابعها فلا لان منهم من غير وبدل ولم يصرف عنه الامر وقيل معنى الحديث
لا يخالف قريشا احد في الامور المتعلقة في الدين بان ارادوا نقضه وبطلانه وقريش
يريد اقامته وامضاءه الا اذله الله وقهره قال الطيبي واللفظ لا يساعد الا ما عليه
المظهر وهو اظهر اقول الظاهر ان المراد بالصلوة الدين وانما عبر عنه بها لانها عماد
الدين وكونها ام العبادات وانها تمحو السيات او ذكرها على منوال المثال اي
الصلاة ونحوها من امور الدين والله اعلم رواه البخاري وعن المطلب بن عبد الله بن
حنطب عن ابيه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال ايها الناس
قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها اخرجه الشافعي في مسنده
واحمد في المناقب وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يزال الاسلام عزيزا اي قويا شديدا ومستقيما سديدا الى اثني عشر خليفة قال
الطيبي الى ههنا نحو حتى في الرواية الاخرى لان التقدير لا يزال الدين قائما حتى
يكون عليهم اثنا عشر خليفة في ان ما بعدها داخل فيما قبلها الكشاف في قوله تعالى

فاغسلوا

فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم
وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل لانه لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت
القران من اوله الى اخره لان الكلام مسوق لحفظ القران كله كلهم من قريش قال
بعض المحققين قد مضى منهم الخلفاء الاربعة ولا بد من تمام هذا العدد قبل
قيام الساعة وقيل انهم يكونون في زمان واحد يفترق الناس عليهم وقال
التوربشتي السبيل في هذا الحديث وما يعتقبه في هذا المعنى ان يحمل على المقسطين
منهم فانهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة ولا يلزم ان يكونوا على
الولاء وان قدر انهم على الولاء فان المراد منهم المسمون بها على المجاز وفي شرح
مسلم للنووي قال القاضي عياض توجه هنا سؤال وهو انه قد جاء الخلافة بعدي
ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وهو مخالف هذا الحديث واجيب بان المراد
ثلاثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا في بعض الروايات خلافة النبوة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ولم يشترط هذا في الاثني عشر وقيل المراد باثني عشر
ان يكون مستحقي الخلافة من العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد
قبل قيام الساعة قلت وقد حمله الشيعة الاثني عشر على انهم من اهل البيت
النبوة متوالية اعم من ان تكون لهم خلافة حقيقة او استحقاقا فاولهم علي
فالحسن فالحسين فزين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق فموسى الكاظم فعلي الرضا
فمحمد التقي فعلي النقي فحسن العسكري فمحمد المهدي رضوان الله عليهم اجمعين على ما ذكر هم
زبدة الاولياء خواجه محمد پارسا في كتاب فصل الخطاب مفصلة وتبعه مولانا
نور الدين عبد الرحمن الجامي في اخر شواهد النبوة وذكرا فضائلهم ومناقبهم وكرا
ماتهم ومقاماتهم مجملة وفيه رد على الروافض حيث يظنون باهل السنة انهم يبغضون اهل
البيت باعتقادهم الفاسد ووهمهم الكاسد والا فاهل الحق يحبون جميع الصحابة وكل
اهل البيت لا كالخوارج الاعداء لاهل بيت النبوة ولا كالروافض المعادين لجمهور
الصحابة وكبار الائمة وفي رواية لا يزال الناس اي امر دينهم ماضيا اي جاريا مستمرا
على الصواب والحق ما وليهم اي مدة ما تولى امرهم اثنا عشر رجلا كلهم من قريش وفي
رواية لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة او بمعنى الواو لمطلق الجمع وحتى يكون
عليهم اي على الناس متولوا لها اثنا عشر خليفة كلهم من قريش متفق عليه وعن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء
وبالراء علم قبيلة وفي القاموس بنو غفار ككتاب رهط ابي ذر الغفاري وهو مبتدأ
خبره غفر الله لها قال ابن الملك اي اقول في حقهم واقول انما يقدر مثل هذا في
نحو زيد اضربه حيث لا يصح حمل الجملة الانشائية على الاسم المرفوع بالابتدائية واسلم

قبيلة اخرى سالمها الله اي صنع الله بهم ما يوافقهم من امر المسالمة عن المكروه وعصية
بالتصغير بطن على ما في القاموس والمراد به قبيلة او جماعة عصت الله ورسوله
وفي الحديث ايما الى ان الاسما تنزل من السما قال الطيبي الجملتان الاوليان
يحتمل ان يكونا خبريتين او يحمل على الدعا لهما واما قولها وعصية عصت الله فهو اخبار
ولا يجوز حمله على الدعا لكن فيه اظهار شكاية منهم يستلزم الدعا عليهم بالخذلان
لا بالعصيان وفي شرح السنة قيل انما دعا لغفار واسلم لان دخولهما في الاسلام كان من
غير حرب وكانت غفار متهمة بسرقة الحجيج فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحا عنهم
تلك السبة ويغفرها لهم واما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببير معونة فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقنت عليهم وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي هو من حسن
الكلام والمجانسة في الالفاظ ماخوذ من سالمته اذا لم تر فيه مكروها فكانه دعا عليهم
بان يصنع الله بهم الخير الذي كانوا فيه متفق عليه ورواه احمد والترمذي وفي رواية
لاحمد والطبراني والحاكم عن سلمة بن الاكوع وعن ابي هريرة مرفوعا اسلم سالمها الله وغفار
غفر الله لها واما والله ما انا قلته ولكن الله قاله وفي رواية الطبراني عن عبد الرحمن
ابن سندر بلفظ اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وتجيب اجابوا الله ففي القاموس
تجيب بن كنده بطن وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريش اي مسلموهم من اهل مكة وغيرهم والانصار اي قبيلتهم من اهل المدينة
وفي القاموس ان انصار النبي صلى الله عليه وسلم غلبت عليهم الصفة وجهينة
بالتصغير قبيلة ومزينة كذلك واسلم وغفار واشجع ابو قبيلة والمراد هنا اولاده
المؤمنون موالي بفتح الميم وكسر اللام وتشديد اليا التحتية جمع مولى مضافا الى يا
المتكلم وقال شارح يروى على الاضافة اي احبائي وانصاري ويروى موال بالتنوين
اي بعضهم لبعض احبا وانصار ولا ولاء لاحد عليهم الا الله ورسوله وقال النووي
اي هم ناصروه والمختصون به وهو ايضا وليهم وناصرهم والمتكفل بهم وبمصالحهم
لقوله ليس لهم مولى دون الله ورسوله اي غيرهما قال الطيبي جملة مقررة للجملة الاولى
على الطرد والعكس وفي تمهيد ذكر الله لذكر رسوله وتخصيص ذكر الرسول ايذان بمكانته
ومنزلته عند الله واشعار بان توليه اياهم بلغ مبلغا لا يعتاد بقدره ولا يكتنه
كنهه متفق عليه وعن ابي بكرة بالتا وهو الثقفي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني تميم في القاموس تميم كامير ابو قبيلة
ومضر ومن بني عامر عطف باعادة الجار والحليفين اي ومن الحليفين يعني المتحالفين
على التناصر بني اسد بفتح فسكون وغطفان بفتحتين وعا بدل من الحليفين او
عطف بيان قال النووي وتفضيل تلك القبائل لسبقهم الى الاسلام وحسن اثارهم
في الاحكام متفق عليه الا ان البخاري لم يذكر الحليفين ذكره ميرك وعن ابي هريرة

قال

قال ما زلت بكسر الزاي اي ما برحت احب بني تميم منذ ثلاث اي خصال او كلمات وقوله
سمعت صفة ثلاث والعايد محذوف اي سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
فيهم حال كالتتمة اي قائلا اياها في حقهم والمعنى اني احبهم من الوقت الذي قال
النبي في حقهم ثلاث خصال وقال الطيبي قوله ثلاث صفة موصوف محذوف وكذا سمعت
النبي والاظهر ما سمعت ثم قوله سمعته يقول بيان او بدل لقوله سمعت من رسول الله
صلى الله عليه وسلم والجملة هو تفصيل للخصال الثلاث احدها قوله هم اشد امتي على
الدجال اي حين ظهوره وفيه اشعار بوجودهم الى زمانه بكثرة قال اي ابو هريرة وجاءت
صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صدقات قومنا شرفهم باضافتهم
الى نفسه صلى الله عليه وسلم وهذه ثانيتها قال ابو هريرة وكانت سبية بفتح فكسر
فتشديد تحتية اي اسيرة منهم عند عائشة قال ابن الملك وفيه دليل على جواز استرقاق
العرب انتهى وفي سنده كلام نظر لا يخفى فقال اي النبي صلى الله عليه وسلم اعتقيها
فانها من ولد اسماعيل بضم الواو وسكون اللام جمع وقد ذكره الطيبي وفي نسخة
بفتحهما ففي الصحاح الولد قد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد بالضم وقد يكون الولد
جمع الولد كالاسد والاسد وهذه ثالثتها فانه دل على ان قبيلتهم تكون من بني
اسماعيل متفق عليه

الفصل الثاني

عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من يرد من الارادة اي من يقصد هوان قريش اي ذلهم واهانتهم اهانه الله اي
اذله واخزاه رواه الترمذي وكذا الامام احمد في مسنده والحاكم في مستدركه
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش اي يوم
بدر والاحزاب نكالا بفتح النون اي وبالا وقال شارح فسره هنا بالقحط والغلاء
وقال الطيبي النكال العبرة وقيل العقوبة فاذق اخرهم نوالا اي انعاما وعطاء
رواه الترمذي وعن ابي عامر الاشعري لم يذكره المؤلف في اسمائه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم الحي اي القبيلة الاسد بفتح فسكون قال التوربشتي الاسد ابو حي
من اليمن ويقال لهم الازد وهو بالسين افصح وهما ازدان ازد شنوءة وازد عمان انتهى
وسيأتي ان المراد هنا ازد شنوءة والاشعرون وفي نسخة والاشعريون باثبات يا
النسبة قال الطيبي هو بسقوط اليا في جامع الترمذي وجامع الاصول وبا
ثباته في المصابيح قال الجوهري يقول العرب جاءتك الاشعرون بحذف اليا لا يفرون
في القتال اي في حال قتالهم مع الكفار وهو حال من القبيلتين على حد هذان خصمان
اختصموا ولا يغلون بفتح فضم فتشديد اي ولا يخونون في المغنم هم مني اي من اتباعي
في سنتي وطريقتي او من اوليائي وانا منهم اي من اوليائهم وفيه اشعار بانهم متقون
لقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب ورواه ابن عن
الزهري مرسلا الاشعريون في الناس كصرة فيها مسك وعن انس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم الازد اي ازد شنوءة وفي القاموس اي ازد بن الغوث وهو بالسين
افصح ابو حي من اليمن ومن اولاده الانصار كلهم ازد الله اي جنده وانصار دينه
في الارض فانه كرمهم الله بذلك فهو تعريضا فوق الذي يريد الناس ان يضعوهم اي يحقروهم
ويذللوهم ويابى الله الا ان يرفعهم اي ينصرهم ويعزهم ويعلوهم على اعدائهم
قال القاضي يريد بالازد ازد شنوءة وهو حي من اليمن اولاد ازد بن الغوث بن نبت
ابن مالك بن كهلان بن سبا واضافهم الى الله تعالى من حيث انهم حزبه واهل نصرة رسوله
قال الطيبي قوله ازد الله يحتمل وجوها احدها انها شهرتهم بهذا الاسم لانهم ثابتون
في الحرب لا يفرون على ما مر في الحديث السابق وعليه كلام القاضي وثانيها ان تكون
الاضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله
يريد الناس ان يضعوهم الى اخرهم وثالثها ان يراد بها الشجاعة والكلام على التشبيه
اي الازد اسد الله فجاء به اما مشاكلة او قلب السين زايا انتهى ونبه صاحب الازهار
من شراح المصابيح لكن انما يتم هذا لو كان الاسد بالفتح والسكون لغة في الاسد
بفتحتين كما لا يخفى وهو ليس كذلك على ما يفهم من القاموس وليأتين على الناس
زمان يقول الرجل اي في ذلك الزمان يا ليت ابي كان ازديا وياليت امي كانت ازدية
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب قال ميرك وقد روي موقوفا على انس وهو
عندنا اصح انتهى ولا يخفى انه ولو كان موقوفا فهو في الحكم يكون مرفوعا لانه
لا يقال من قبل الراي والله اعلم وعن عمران بن حصين السلمي الخزاعي اسلم
هو وابوه وسكن البصرة الى ان مات بها اثنتين وخمسين قال مات النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يكره ثلاثة احياء جمع حي بمعنى قبيلة ثقيف كامير قبيلة من
هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن كذا في القاموس وبني حنيفة كسفينة
لقب اثال بن لجيم ابو حي منهم خولة جعفر الحنفية ام محمد بن علي بن ابي طالب وبني امية
بضم ففتح فتشديد تحتية قبيلة من قريش قال العلماء انما كره ثقيفا للحجاج
وبني حنيفة لمسيلمة وبني امية لعبيد الله بن زياد قال البخاري قال ابن سيرين
اتي عبيد الله بن زياد براس الحسين فجعله في طست وجعل ينكته بقضيب وقال
الترمذي في الجامع قال عمارة بن عمير لما جيء براس عبيد الله بن زياد واصحابه نضدت في
المسجد فانتهيت اليهم فقالوا قد جاءت قد جاءت فاذا حية قد جاءت حتى دخلت في منخر
عبيد الله بن زياد فمكثت ساعة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت
ففعلت ذلك مرتين او ثلاثا قال الترمذي هذا حديث صحيح كذا في الازهار رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذاب اي مبالغ في الكذب ومبير بضم ميم وكسر موحدة اي مفسد ومهلك من
البوار وهو الهلاك والفساد تنوينهما للتعظيم قال عبد الله بن عصمة بفتح فسكون

كوفي

كوفي حنفي روى عن ابي سعيد وابن عمر وعنه اسرائيل وشريك يقال الكذاب هو المختار
ابن ابي عبيد بالتصغير وهو ابن مسعود الثقفي قام بعد وقعة الحسين ودعا
الناس الى طلب ثاره وكان غرضه في ذلك ان يصرف الى نفسه وجوه الناس ويتوسل
به الى الامارة وكان طالبا للدنيا مدلسا في تحصيلها كذا ذكره القاضي وقيل كان
يبغض عليا وقيل كان يدعي النبوة بكوفة فسمي كذابا ومن جملة كذبه دعواه ان
جبريل ياتيه بالوحي ذكره ابن الملك وقال ابن عبد البر كان ابوه من جملة الصحابة وولد
المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية واخباره غير مرضية وذلك
انه طلب الامارة الى ان قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وسبعين وكان قبل
ذلك معدودا في اهل الفضل والخير يظهر بذلك كله ويكتم الفسق فظهر منه
ما كان يكتمه الى ان فارق ابن الزبير وطلب الامارة وكان المختار يزعم انه يطلب دم الحسين
ويستر طلب الدنيا والامارة فيأتي منه الكذب والجنون وانما كانت امارته
ستة عشر شهرا ويقال كان في اول امره خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا وكان
يتم ببغض علي كرم الله وجهه ويظهر منه لضعف عقله احيانا كذا نقله ميرك
عن التصحيح وكذا ذكره المؤلف في اسمائه والمبير هو الحجاج بن يوسف وهو بفتح
الحاء مبالغة الحاج ومعنى الاتي بالحجة قال المؤلف هو عامل عبد الملك بن مروان على
العراق وخراسان وبعده لابنه الوليد مات بواسطة في شوال سنة خمس وتسعين
وعمره اربع وخمسون سنة وقال هشام بن حسان بفتح فتشديد يجوز منصرف وقد ينصرف
احصوا بفتح الهمزة والصاد اي ضبطوا ما قتل الحجاج صبرا بفتح فسكون اي مصبورا
بحبس محبوسا مأسورا لا في معركة ولا خلسة فبلغ مائة الف وعشرين الفا رواه
الترمذي وروى مسلم في صحاح الصحيح اي في صحيحه لا في كتاب اخر من تصانيفه
حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت اسماء اي امه بنت الصديق ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرايناه اي ابصرناه
واعلمناه ونعني به المختار على ما بيناه واما المبير فلا اخالك بكسر الهمزة ويفتح قال
شارح اخال بالفتح هو القياس وبالكسر هو الافصح وفي الانهاد والكسر اشهر اي لا اظنك
الا اياه قيل والظاهر فلا اخالك الا اياه لان الاياك فقد يمتنع المفعول الثاني
للاهتمام وسيجيء تمام الحديث اي بسطه في الفصل الثالث وعن جابر قال قالوا اي
بعض الصحابة يا رسول الله احرقتنا نبال ثقيف بكسر النون جمع نبل اي سهامهم
ولعله في غزوة طائف ومحاصرتهم فادع الله عليهم قال اللهم اهد ثقيفا اي الى الاسلام
او غالبهم الحياطة للاحكام رواه الترمذي وعن عبد الرزاق قال المؤلف في فصل
التابعين هو ابن همام يكنى ابا بكر احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما
وعنه احمد واسحاق وصنف الكتب مات سنة احدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون

عن ابيه اي همام بن الحارث النخعي تابعي سمع ابن مسعود وعائشة وغيرهما من الصحابة
روى عنه ابراهيم النخعي عن مينا بميم مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فالف
ممدودة هذا هو المشهور وقال صاحب المطالع بمد وقصر كذا ذكره الامام النووي
في شرح مسلم وقال المؤلف روى عن مولاه عبد الرحمن ابن عوف وعثمان وابي هريرة
وعنه ولد عبد الرزاق ضعفوه عن ابي هريرة قال كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فجاءه رجل احسبه بكسر السين وفتحها اي اظنه من قيس في القاموس قيس
عيلان بالفتح ابو قبيلة واسمه الياس بن مضر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العن حميرا بكسر فسكون ففتح اي ادع عليهم بالبعد عن الرحمة [illegible] وهو ابو قبيلة من
اليمن ففي القاموس حمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن وابن سبا بن يشجب
ابو قبيلة فاعرض عنه اي عن الرجل بادبار وجهه عنه ثم جاءه من الشق الاخر
فاعرض عنه ثم جاءه من الشق الاخر فاعرض عنه والمعنى انه اعرض عنه من الجانبين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله حميرا افواههم سلام اي ذات سلام او محل
سلام وايديهم طعام اي ذات طعام وقال شارح فالطعام مصدر لصحة الحمل
وقال ابن الملك ويمكن ان يقال جعل افواههم نفس السلام وايديهم نفس الطعام مبالغة
انتهى واقتصر عليه الطيبي والمعنى انهم يفشون السلام ويطعمون الطعام
فجمعوا بين الاحسان وحلاوة اللسان وهم اهل امن اي من المضرة وايمان وتصديق
كامل بالغهم الى مرتبة الايقان رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه
الا من حديث عبد الرزاق اي من طريقه الى مينا ويروى بصيغة المجهول عن مينا
هذا اي المشار اليه احاديث مناكير قال ميرك قال ابو حاتم مينا يكذب وقال ابن معين
ليس بثقة انتهى وقال شارح للمصابيح قوله منكر هذا الحاق من بعض اهل
المعرفة بالحديث لان المؤلف رحمه الله يعني محيي السنة لو كان يعلم انه منكر
لم يتعرض له لانه قد التزم الاعراض عن ذلك المنكر في عنوان الكتاب والله
اعلم بالصواب وعنه اي عن ابي هريرة وقد نص عليه السيد جمال الدين
قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ممن انت اي من اي قبيلة قلت من دوس
بفتح فسكون قبيلة من اليمن من الازد كذا في الازهار وفي القاموس
دوس بن عدنان بن عبد الله ابو قبيلة قال ما اي على سبيل التعجب ما كنت ارى
بضم الهمزة على المجهول اي ما كنت اظن قبل ذلك ان في دوس احدا فيه خير قال
في الازهار فيه منقبة لابي هريرة وتعمية لدوس لولا ابو هريرة رواه الترمذي
وعن سلمان قال قال لي اي خاصة في الخطاب او بيني وبينه لا بحجاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تبغضني فتفارق دينك بالنصب على جواب النهي كما صرح
به زين العرب قلت يا رسول الله كيف ابغضك اي كيف يتصور مني ان ابغضك

وانت

وانت حبيب الله محبوب امتك وبك هدانا الله اي الى الاسلام وسائر مكارم
الاحكام قال تبغض العرب فتبغضني اي حين تبغض العرب عموما فتبغضني
في ضمنهم خصوصا او اذا ابغضت جنس العرب فربما يجر ذلك الى بغضك اياي نعوذ
بالله والحاصل ان بغض العرب قد يصير سببا لبغض سيد الخلق فالحذر
الحذر كيلا يقطع في الخطر قال الطيبي العرب ما يقابل العجم وفي النهاية العرب اسم
لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء اقام بالبادية او المدن
والنسبة اليها اعرابي وعربي وفي القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث
وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له رواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عثمان بن عفان [illegible] مرفوعا قال
من غش العرب اي خانهم وقال شارح اي باغضهم لم يدخل في شفاعتي اي الصغرى
لعموم الكبرى ولم تنله مودتي اي لم تصبه محبتي اياه او لم تصل ولم تحصل له محبته
اياي والمقصود نفي الكمال رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا
من حديث حصين بن عمر وليس هو اي حصين المذكور عند اهل الحديث بذاك القوي
قلت فيكون الحديث ضعيفا من طريقه وهو معتبر في الفضائل وكيف وهو مؤيد
باحاديث كثيرة تكاد تصل الى التواتر المعنوي كقوله صلى الله عليه وسلم حب
العرب ايمان وبغضهم نفاق رواه الحاكم عن انس وفي رواية الطبراني في الاوسط
عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب
فقد احبني ومن ابغض العرب فقد ابغضني وفي رواية الطبراني في الكبير
عن سهل بن سعد احبوا قريشا فانه من احبهم احبه الله وروى الحاكم في مستدركه
عن ابي هريرة مرفوعا احبوا الفقراء وجالسوهم واحب العرب من قلبك وليردك
عن الناس ما تعلم من نفسك هذا والحديث المذكور في المتن رواه احمد في مسنده
ايضا وقال ميرك الشاه ينبغي ان يكون حديثا فالحديث حسن لغيره وعن ام الحرير
بفتح الحاء المهملة فكسر الراء الاولى كذا نقله المؤلف في اسمائه وكذا ضبطه
صاحب المغني وكذا في الجامع الاصول وفي نسخة بضم ففتح وهو موافق لما في
التقريب حيث قال بضم الحاء المهملة مصغرا ويقال بفتح اولها لا يعرف
حالها من الرابعة مولاة طلحة بن مالك لم يذكره المؤلف قال سمعت مولاي يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة اي من علامات قرب القيامة
هلاك العرب اي مسلمهم او جنسهم وفيه ايماء الى ان غيرهم تابع لهم ولا
تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا يكون في الارض من يقول الله رواه
الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك
بالضم اي الخلافة في قريش اي غالبا او ينبغي ان يكون فيهم وهو الاظهر المطابق

لبقية القرابين الاثنية وهي قوله والقضاء في الانصار اي الحكم الجزئي قال الطيبي
لفالوهم لانهم اووا ونصروا وبهم قام عمود الاسلام وفي بلدهم تم امره واستقام وبنيت
المساجد وجمعت الجماعات ذكره ابن الملك وقال في الازهار قيل المراد بالقضاء
النقابة لان النقباء كانوا منهم وقيل القضاء الجزئي وقيل لانه صلى الله عليه وسلم
قال اعلمهم بالحلال والحرام معاذ وقيل القضاء المعروف لبعثه صلى الله عليه وسلم
معاذا قاضيا الى اليمن انتهى والاخير هو الاظهر لقوله والاذان في الحبشة
اي لان رئيس مؤذنيه صلى الله عليه وسلم كان بلالا وهو حبشي والامانة في الازد
اي ازد شنوءة وهم حي من اليمن ولا ينافي قول بعض الرواة يعني اليمن لكن
الظاهر المتبادر من كلامه ارادة عموم اهل اليمن فانهم ارق افئدة واهل امن
وايمان والله اعلم وفي رواية موقوفا اي جاء هذا الحديث موقوفا ولو قال موقوف
بالرفع لكان اظهر والمعنى انه وقفه بعضهم على ابي هريرة ولم يرفعه الى
النبي صلى الله عليه وسلم لكن مثله موقوفا يكون حكمه مرفوعا رواه الترمذي
وقال هذا اي سنده موقوفا اصح اي من اسناده مرفوعا ورواه الامام احمد
في مسنده مرفوعا وروى الطبراني عن ابي معاوية الازدي الامانة في
الازد والحيا في قريش

الفصل الثالث

عن عبد الله
ابن مطيع عن ابيه قال المؤلف قرشي عدوي من اهل المدينة يقال
ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب به ابوه اليه وكان
اسم ابيه العاص فسماه النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا وكان عبد الله من سادات قريش
هو الذي امره اهل المدينة عليهم حين خلعوا يزيد بن معاوية سمع اباه وروى
عنه الشعبي وغيره وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين وكان
ابن الزبير استعمله على الكوفة فاخرجه منها المختار بن ابي عبيد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة لا يقتل بصيغة النفي كما في الاكثر قرشي
اي منسوب الى قريش بحذف الزوائد وفي القاموس قرشي وقريشي صبرا اي لا في المعركة
كما في الازهار بعد هذا اليوم اي يوم الفتح الى يوم القيامة قال الحميدي وقد
تاول بعضهم هذا الحديث فقال معناه لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبرا
وهو مرتد عن الاسلام ثابت على الكفر اذ قد وجد من قريش من قتل صبرا فيما سبق
ومضى من الزمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجد منهم من قتل صبرا
وهو ثابت على الكفر انتهى والمعنى انه لا يوجد قرشي مرتد ابدا فيقتل ويؤيده
ما ورد من ان الشيطان قد ايس من جزيرة العرب وقال الطيبي ويجوز ان يكون
النفي بمعنى النهي وهو ابلغ من صريح النهي كما ان رحمك الله يرحمك ابلغ ونحو قوله تعالى
الزاني لا ينكح الا زانية في وجه قلت هذا وجه غير وجيه كما لا يخفى على كل نبيه

ثم قال وهذا الوجه اقرب الى مدح قريش وتعظيمهم ويبقى الكلام على اطلاقه قلت
لا يصح ان يكون هذا النهي على اطلاقه لانه قد يجب القتل على قرشي قصاصا او حدا
وهو لا يكون الا صبرا فيكون حكمه كحكم غيره فلا يحصل لقريش مزية فضلا عن
ان يكون اقرب الى مدحهم وتعظيمهم والله اعلم رواه مسلم وعن ابي نوفل
معاوية بن مسلم قال المؤلف سمع ابن عباس وابن عمرو وروى عنه شعبة وابن
جريج قال رايت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة يريد على عقبة مكة
الواقعة في طريق اهل المدينة حين ينزلون مكة وكان عبد الله بن الزبير
مصلوبا هنالك ولذا جعل قبرا في الحجون قريب العقبة لكن غير ثابت وكذا سائر
قبور الصحابة في مقبرة مكة ليست لها محل معين على وجه الصحة حتى
تربة خديجة رضي الله عنها ايضا وانما بني عليها اعتمادا على كشف بعض الاولياء
والله اعلم قال اي ابو نوفل فجعلت قريش تمر عليه اي على ابن الزبير والناس
اي وسائر الناس يمرون عليه ايضا حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال
السلام عليك ابا خبيب بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة
كنية ابن الزبير كني بابنه خبيب اكبر اولاده السلام عليك ابا خبيب السلام
عليك ابا خبيب فيه استحباب تثليث السلام ولو قبل الدفن لقد كنت انهاك عن
هذا المشار اليه بهذا الى صلبه والمعنى كنت انهاك عما يؤدي الى ما رايت فيه
قال الطيبي فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا يعني
من جهة مجاز الاول نحو قوله اعصر خمرا اما بالتخفيف للتنبيه والله ان كنت
ان هي المخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف وقوله ما زائدة علمتك اي
علمتك صواما اي كثير الصيام في النهار قواما كثير القيام في الليل وصولا
بفتح الواو اي مبالغا في الصلة للرحم اي للقرابة وفي شرح مسلم قال
القاضي عياض هذا اصح من قول بعض الاخباريين ووصفه بالامساك وقد عده
صاحب كتاب الاجواد فيهم وهو المعروف من احواله انتهى وقد اراد ابن عمر بهذا
القول براءة ابن الزبير مما نسب اليه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه
واعلام الناس بمحاسنه وان ابن الزبير كان مظلوما ومرحوما وعاش سعيدا
ومات شهيدا اما كرره تاكيدا والله لامة اي لجماعة انت شرها اي بزعمهم
لامة سوء بفتح السين وبضم اي لفساد فهمهم وسوء اعتقادهم فقوله لامة
مبتدأ انت شرها صفتها اي والله لامة انت اكثر من وصل اليه شر الناس لامة سوء
فالحكم فرضي وتقديري او زعمي وادعائي على طريق انكاري وفي رواية لامة خير
فهو على سبيل تهكمي واستهزائي وهو نظير ما قال بعضهم حين اخراج ابي يزيد البسطامي
من بلده بلد ابو يزيد شر اهلها نعم البلد وفي شرح مسلم للنووي هكذا هو مروي

عن مشايخنا وكذا نقله القاضي عن جمهور رواة صحيح مسلم ونقله القاضي عن رواية السمرقندي لامه سوقال وهو خطاء وتصحيف اي سهو وتحريف لكن حيث صحت الرواية وطابقت الدراية فلا معني للتخطية ثم نفذ بفتح النون والفاء والذال المعجمة اي ذهب ومضي عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج اي الظالم موقف عبد الله وقوله اي خبره وقوفه عليه وقوله في حقه لديه فارسل اي الحجاج اليه اي الي ابن الزبير فانزل بصيغة المجهول عن جذعه اي المصلوب عليه فالقي بصيغة المجهول اي فطرح في قبر اليهود اي في موضع قبورهم من سكان مكة او من ورائها من غير اهلها وهذا لا ينافي ما سبق من انه مدفون في اعلي المعلي لانه حمل بعد ذلك من ذلك المحل الادني ودفن في الموضع الاولي ثم ارسل اي الحجاج الي امه اسما بنت ابي بكر اي بطلبها فابت ان تاتيه اي فامتنعت من الاتيان اليه والوقوف لديه والقيام عليه فاعاد عليها الرسول اي فابدا السا نطلبا نيتي بتشديد النون علي صيغة الخطاب لتقوله او لابعثن اليك اي لارسلن الي اتيانك الي من يسحبك بفتح الحاء اي يجرك بقرونك اي بضفائر شعرك قال اي ابو نوفل فابت وقالت والله لا اتيك بمد الهمزة اي لا اجيئك حتي تبعث الي من يسحبني بقروني قال اي ابو نوفل فقال اي الحجاج اروني سبتي بكسر السين المهملة وفتح الفوقية وتشديد التحتية اي نعلي وكذا ضبطه النووي وقال هي النعل التي لا شعر عليها وفي نسخة صحيحة سبتيي بكسر فسكون فكسر فوقية فتشديد تحتية فتحتية وفي النهاية السبت بالكسر جلود البقر المدبوغة بالقرظ وهو با لتحريك ورق السلم يتخذ منها النعال اي السبتية سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها اي حلق وازيل وقيل لانها انسبتت بالدباغ اي لانت ويقال للنعل المتخذ منها سبت اتساعا ومنه يا صاحب السبتين علي النسب وقال الود او دم منسوب الي موضع يقال له سوق السبت وفي المشارق قوله اروني سبتي و يا صاحب السبتين بيايين وذكر الهروي بياء واحدة مخففة تثنية سبت انتهي والمعني ايتوني بهما او قدموهما الي فاخذ نعليه اي فلبسهما ثم انطلق يتوذف بالواو والذال المعجمة المشددة قال ابو عبيد معناه يسرع وقيل يتبختر حتي دخل عليها اي علي اسما فقال كيف رايتني بكسر التاء وفي نسخة باشباع كسرتها باء اي كيف وجدتني صنعت بعدو الله اراد به ابنها علي زعمه الفاسد واعتقاده الكاسد قالت رايتك افسدت عليه دنياه وافسد عليك اخرتك والاسناد سببي فيهما ثم قالت بلغني انك تقول له اي في حاجته او بعد مماته يا ابن ذات النطاقين بكسر النون وهو ما يشد به المراة وسطها عند معاناة الاشتغال لترفع به

ثوبها وسميت بذلك لانها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله صلي الله عليه وسلم وشدت باحدهما قربته وبالاخر سفرته فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم يومئذ ذات النطاقين وقيل شدت باحدهما سفرته وبالاخر وسطها للشغل وكان الحجاج من خسته حمل قوله صلي الله عليه وسلم في حقها ذات النطاقين علي الذم وانها خدامة وخراجة ولاجه تشد نطاق المخدمة فكانها سلمت انها ذات نطاقين ولكن نطاق ليس هذا شانه واليه الاشارة بقولها انا والله ذات النطاقين اما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلي الله عليه وسلم وطعام ابي بكر من الدواب متعلق بارفع اي اربطه بسفرة طعامهما واعلقها مرفوعة خشبية من الدواب كالفارة والذرة ونحوهما واما الاخر فنطاق المراة التي لا تستغني عنه اما لخدمتها المتعارفة في بيتها الممدوحة واما لربطها في وسطها ابقا لحالها خشية ان تصير بطونها كما هو الان عادة العرب من الحزام المصنوع من الجلد للفقرا والحفرا المصنوع من الذهب والفضة للاغنيا قال الطيبي وهو نظير قوله تعالي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين كانه قيل نعم هو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لا اذن شر فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسرها بالمدح وان كانوا قصدوا به المذمة واما بالتخفيف للتنبيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم حدثنا ان بالفتح وجوز الكسر علي انه من جملة المحدث في ثقيف كذابا ومبيرا اي مفسدا فاما الكذاب فرايناه تعني المختار واما المبير فلا اخالك بكسر الهمزة وبفتح اي فلا اظنك الا اياه اي ذلك المبير قال الطيبي الظاهر ان يقال لا اخاله الا اياك فقدم ثاني مفعوليه اهتماما وان المحكوم عليه بهذا الحكم هو لا ان المبير من هو ونظر الي قوله وجعلوا لله شركاء الجن قدم شركاء وهو المفعول الثاني علي الاول وهو الجن وقدم ايضا لله عليهما اهتماما ومزيدا للانكار قال النووي في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب استحباب السلام علي الميت وتكريره وفيه الثنا علي الموتي بجميل صفاتهم المعروفة وفيه منقبة عظيمة لابن عمر لقوله الحق وعدم اكتراثه بالحجاج لانه يعلم ان مقامه وثناءه عليه يبلغه فلم يمنعه ذلك ان يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما اشاع عنه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه فاراد ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب اليه الحجاج واعلام الناس بمحاسنه ومذهبنا ان ابن الزبير كان مظلوما انتهي ولا اظن ان فيه خلافا في مذهب من المذاهب الا عند الخوارج قال اي ابو نوفل فقام عنها اي الحجاج فلم يراجعها اي فلم يردها في الكلام ثم انها

ماتت بعد قتل ابنها بعشرة ايام ولها مائة سنة ولم يقع لها سن رواه مسلم
وعن نافع اي مولى ابن عمر ان ابن عمر اتاه رجلان في فتنة ابن الزبير
اي قبل قتله فقالا ان الناس صنعوا ما ترى اي من الاختلاف وانت ابن عمر
اي وقد كان خليفة وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ومن
اصحابه ايضا فلا شك انك من الوجهين اولى بالخلافة من عبد الملك الذي
من جملة امرائه الحجاج فما يمنعك اي تخرج اي عليه لظهور كمال ظلمه فقال
يمنعني ان الله حرم على اخي دم المسلم قالا اي الرجلان الم يقل الله تعالى وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة اي لا توحيد او تمامه ويكون الدين لله فقال ابن عمر قد قاتلنا
حتى لم يكن فتنة اي شرك وكان الدين لله اي وصار دين الاسلام خالصا لله
وانتم تريدون ان تقاتلوا حتى تكون فتنة اي تقع فتنة بين المسلمين ويكون
الدين لغير الله اي لتزلزل دينه وعدم ثبات امره والحاصل ان السائل يرى قتال
من خالف الامام الذي يعتقد هو طاعة وكان ابن عمر يرى ترك القتال
فيما يتعلق بالملك في حقه كما يدل عليه قوله لقد كنت انهاك عن مثل هذا
رواه البخاري وعن ابي هريرة قال جاء الطفيل بالتصغير بن عمرو الدوسي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال له ذو النور لانه لما اتى النبي
صلى الله عليه وسلم بعثه الى قومه فقال اجعل لي اية فقال اللهم نور له
فسطع له نور بين عينيه فقال يا رسول الله اخاف ان يقولوا انه مثله
فتحول الى طرف سوطه فكان تضيء في الليلة المظلمة فدعا قومه الى
الاسلام فاسلم ابوه ولم تسلم امه واجابه ابو هريرة وحده وهذا يدل
على تقدم اسلامه وقد جزم ابن ابي حاتم انه قدم بخيبر مع ابي هريرة وكانه قدمته
الثانية كذا ذكره ابن حجر وقال المؤلف اسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة ثم رجع الى بلاد قومه فلم يزل بها حتى هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر
بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيما عنده الى ان قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقتل
يوم اليمامة شهيدا او قتل يوم اليرموك في خلافة عمر روى عنه جابر وابو
هريرة عداده في اهل الحجاز فقال اي الطفيل ان دوسا قد هلكت اي استحقت
الهلاك عصت بيان لما قبله وابت اي امتنعت عن الطاعة فادع الله عليهم
اي بوقوع العذاب فظن الناس من انه يدعو عليهم فقال اي لكونه رحمة للعالمين
وهدى للناس اللهم اهد دوسا وائت بهم اي الى المهاجرين او فريقا الى طريق الملة
واقبل بقلوبهم الى قبول الدين متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث اي خصال او اسباب لاني عربي
وكل ما ينسب الى الحبيب محبوب والقرآن بالنصب وفي نسخة عربي اي لانه نزل

بالغنم

بلغتهم وبلغتهم لغرف بلاغة وفصاحة ولانهم حملوا الشريعة ونقلوها
الينا او ضبطوا اقواله وافعاله ونقلوا الينا معجزاته ولانهم مادة الاسلام
وبهم فتحت البلاد وانتشر الاسلام في اقطار العالم ولانهم اولاد اسمعيل
عليه السلام ولان سوال القبر بلسانهم ولذا قيل من اسلم فهو عربي وكلام
اهل الجنة عربي ويفهم منه ان كلام اهل النار غير عربي رواه البيهقي في شعب
الايمان وكذا الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه والعقيلي في الضعفاء

باب مناقب

الصحابة رضي الله عنهم اجمعين قال القرطبي المنقبة بمعنى الفضيلة وهي
الخصلة الجميلة التي يحصل بسببها شرف وعلو مرتبة اما عند الله واما عند الخلق
والثاني لا عبرة به الا ان اوصل الى الاول فاذا قيل فلان فاضل فمعناه ان له منزلة
عند الله ولا يوصل اليه الا بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره
السيوطي وقال الطيبي الصحابي المعروف عند اهل الحديث وبعض اصحاب
الاصول كل من راى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ثم يعرف كونه صحابيا
بالتواتر كابي بكر وعمر رضي الله عنهما او بالاستفاضة او يقول صحابي غيره انه
صحابي او بقوله عن نفسه انه صحابي اذا كان عدلا والصحابة كلهم عدول
مطلقا لظاهر الكتاب والسنة واجماع من يعتد به وفي شرح السنة قال
ابو منصور البغدادي اصحابنا مجمعون على ان افضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب
المذكور ثم تمام العشرة ثم اهل بدر ثم احد ثم بيعة الرضوان وممن له
مزية من اهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى
القبلتين وقيل اهل بيعة الرضوان وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة
ايهما افضل وفي عائشة وفاطمة واما معاوية فهو من العدول الفضلاء
والصحابة الخيار والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت
تصويب انفسها بسببها وكلهم متأولون في حروبها ولم يخرج بذلك احد منهم من
العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا في مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم
في مسائل ولا يلزم من ذلك نقص احد منهم

الفصل الاول

عن ابي سعيد الخدري قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي الخطاب بذلك للصحابة لما ورد ان سبب الحديث انه كان بين خالد بن الوليد
وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فالمراد باصحابي اصحاب مخصوصون وهم السابقون على
المخاطبين في الاسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم
فخاطبه خطاب غير الصحابة ذكره السيوطي ويمكن ان يكون الخطاب للامة الاعم
من الصحابة حيث علم بنور النبوة ان مثل هذا يقع في اهل البدعة فنهاهم بهذه

السنة وفي شرح مسلم اعلم ان سب الصحابة حرام من اكبر الفواحش ومذهبنا
مذهب الجمهور انه يعزر ولا يقتل وقال بعض المالكية يقتل وقال القاضي عياض
سب احدهم من الكبائر انتهى وقد صرح بعض علمائنا بانه يقتل من سب الشيخين
ففي كتاب السير من كتاب الاشباه والنظائر للزين ابن النجيم كل كافر تاب
فتوبته مقبولة في الدنيا والاخرة الا جماعة الكافر بسب النبي وبسب
الشيخين او احدهما او بالسحر او بالزندقة ولو امراة اذا اخذ قبل توبته
وقال سب الشيخين ولعنهما كفر وان فضل عليا عليهما فمبتدع كذا في الخلاصة
وفي مناقب الكردري يكفر اذا انكر خلافتهما او ابغضهما لمحبة النبي لهما واذا
احب عليا اكثر منهما لا يؤاخذ به انتهى ولعل وجه تخصيصهما لما ورد في فضلهما
من قوله صلى الله عليه وسلم في حقهما خاصة على ما سياتي في باب على حدة لهما
او للاجماع على حقيقتهما خلافا للخوارج في حق عثمان وعلي ومعاوية وامثالهم
والله اعلم فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا زاد البرقاني كل يوم ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه اي ولا بلغ نصفه من بر او شعير لحصول بركته ومصادمته
لاعلاء الدين وكلمته مع كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة ولذا ورد
سبق درهم مائة الف درهم وذلك معدوم فيما بعدهم وكذلك سائر طاعاتهم
وعاداتهم وغزواتهم وخدماتهم ثم اعلم ان المد بضم الميم ربع الصاع والنصيف
بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر وعلى الضمير راجع الى المد وقيل النصيف
مكيال يسع نصف مد فالضمير راجع الى الاحد فالنصيف النصف اي نصف
مد وقيل هو مكيال دون مد والمعنى لا ينال احدكم بانفاق مثل احد ذهبا
من الاجر والفضل ما ينال احدهم بانفاق مد طعام او نصفه لما يقارنه من مزيد
الاخلاص وصدق النية وكمال النفس قال الطيبي ويمكن ان يقال ان فضيلتهم
بحسب فضيلة انفاقهم وعظم موقعه كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا
وقوله من قبل الفتح اي قبل فتح مكة يعني قبل عز الاسلام وقوة اهله
ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه وهذا
في الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل ارواحهم بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم انتهى ولا يخفى ان هذا انما يتم على ما سبق من سبب الحديث المنفهم
منه تخصيص الصحابة الكبار لكن نعلم نهي سب غير الصحابي للصحابي من باب الاولى
لان المقصود هو الزجر عن سب احد ممن سبقه في الاسلام والفضل اذ الواجب
تعظيمهم وتكريمهم حيث قال الله تعالى والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا متفق عليه

ورواه

ورواه احمد وابو داود والترمذي عن ابي سعيد وكذا مسلم وابن ماجه عن
ابي هريرة واخرجه ابو بكر البرقاني على شرطهما واخرج علي بن حرب الطائي وخيثمة
ابن سليمان عن ابن عمر قال لا تسبوا اصحاب محمد فلمقام احدهم ساعة خير من عمل احدكم
عمره واخرج الخطيب البغدادي في الجامع وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال اذا ظهرت
الفتن او قال البدع وسب اصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله له صرفا ولا عدلا واخرج
الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ما ظهر اهل بدعة الا اظهر الله فيهم حجته على لسان
من شاء من خلقه واخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة مرفوعا
ان الله اختارني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا يقبل الله منهم يوم القيامة
صرفا ولا عدلا وروى العقيلي في الضعفاء ان الله اختارني واختار لي اصحابا
وانصارا وسياتي قوم في اخر الزمان يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم
ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم وروى احمد عن انس دعوا لي اصحابي فوالذي نفسي
بيده لو انفقتم مثل احد ذهبا ما بلغتم اعمالهم وروى احمد وابو داود والترمذي
عن ابن مسعود لا يبلغني احد عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر وعن ابي بردة عن ابيه وهو ابو موسى الاشعري قال اي ابو
رفع يعني النبي صلى الله عليه وسلم هذا قول ابي بردة وضمير يعني الى ابيه
اي يريد ابو موسى بالضمير الفاعل في قوله رفع النبي وترك اسمه لظهوره ه
والمعنى رفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع راسه
الى السماء اي انتظارا للوحي الالهي بالنزول الملكي قال الطيبي من بيانية لكثيرا ويجوز
ان يكون من زائدة وهو خبر كان اي كان كثيرا رفع راسه وما مصدرية انتهى
والجملة معترضة حالية فقال النجوم امنة للسماء بفتح الهمزة والميم اي امن
وقيل امان ومرحمة وقيل حفظة جمع امين وهو الحافظ ذكره شارح وقال الطيبي
يقال امنة وامنة غيري وهو في امن منه وامنة وفلان امنة وامنة بسكون
الميم كانها المرة من الامن ويجوز ان يكون جمع امن كبار وبررة فاذا ذهبت النجوم
اي الشاملة للشمس والقمر اتى السماء ما توعد اي ما وعد له من الانشقاق
والطي يوم القيامة والمراد بذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها
على ما في النهاية وغيره وانا امنة لاصحابي قال الطيبي اذ اسند امنة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجهين احدهما ان يكون مصدرا
مبالغة نحو رجل عدل او جمعا فيكون من باب قوله تعالى شهابا رصدا اي راصدا
وقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا فجعل صلى الله عليه وسلم امنا لاصحابه

بمنزلة الجماعة فاذا ذهبت انا اتى اصحابي ما يوعدون اي من الفتن والمحاربات
والمحن واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اي جميعهم اتى امتي ما يوعدون
اي من ذهاب اهل الخير ومجيء اهل الشر وقيام الساعة عليهم قال في النهاية
والاشارة في الجملة الى مجيء الشر عند ذهاب اهل الخير فانه صلى الله عليه وسلم
لما كان بين اظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفي جالت الاراء
واختلفت الاهواء وكان الصحابة يسندون الى النبي صلى الله عليه وسلم في قول
او فعل او دلالة حال فلما فقدوا قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك حال
السماء عند ذهاب النجوم قلت ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان فيغزو
بالتذكير ويؤنث اي تقاتل فئام بكسر الفاء فهمزة يجوز ابدالها بالياء اي جماعة
من الناس في القاموس لا واحد له من لفظه والجمع فئوم ككتب وفي شرح مسلم
هو بفاء مكسورة ثم همزة اي جماعة وحكى القاضي عياض بالياء مخففة بلا همزة ولغة
اخرى بفتح الفاء عن الخليل والمشهور الاول فيقولون اي الذين يغزون
القائمون لهم وفي نسخة فيقال هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمن الموصولة صاحب فعل ماض ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المفعولية وفي نسخة بمن الزائدة على ان صاحب اسم فاعل مضاف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم على بناء المفعول ثم يأتي على
الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال كذا هنا بالاتفاق هل فيكم من صاحب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن الموصولة بلا خلاف فيقولون نعم فيفتح
لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب
من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموصولتين فيقولون نعم فيفتح لهم وفي الحديث
معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل للصحابة والتابعين وتابعيهم متفق
عليه وفي رواية لمسلم قال ابن حجر هذه رواية شاذة واكثر الروايات مقتصرة
على الطبقات الثلاث قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او ابو سعيد مرفوعا يأتي على
الناس زمان يبعث اي فيه منهم البعث اي المبعوث وهو الجيش فيقولون اي المبعوث
اليهم انظروا هل تجدون فيكم احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيوجد الرجل اي الواحد فيهم فيفتح لهم اي ببركته ثم يبعث البعث الثاني اي من
الناس الى جمع اخر فيقولون انظروا هل فيهم وفي نسخة هل فيكم من راى اصحاب النبي
وفي نسخة رسول الله اي احدا من اصحابه صلى الله عليه وسلم فيوجد اي من راى
الصحابة وهو وجد في بعض النسخ فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال

انظروا

انظروا هل ترون فيهم من راى من راى الذي راى اي بالواسطة اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم ثم يكون بعث الرابع بالاضافة وهو مصدر والموصوف محذوف اي
بعث البعث الرابع وفي نسخة البعث الرابع على الوصف فالمراد بالبعث الجيش فيقال
انظروا هل ترون فيهم احدا راى من راى احدا راى اي ذلك الاحد اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم فيكون واسطتين فيوجد الرجل فيفتح له اي لاجل ذلك التابع
للتابعين وفي نسخة لهم اي ببركته ولما كان اهل الخير نادرا في القرن الرابع اقتصر
على القرون الثلاثة في اكثر الروايات لكثرة اهل العلم والصلاح فيهم وقلة
الشر والفساد منهم ففي صحيح مسلم عن عائشة مرفوعا خير الناس القرن
الذي انا فيهم فيه ثم الثاني ثم الثالث وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا
خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء قوم لا خير فيهم وروى الطبراني والحاكم
عن جعدة بن هبيرة خير الناس قرني الذين انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم والاخرون اراذل وروى الحكيم الترمذي عن ابي الدرداء خير امتي اولها
واخرها اولها فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرها فيهم عيسى بن مريم
وبين ذلك نهج اعوج ليسوا مني ولا انا منهم وعن عمران بن حصين قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير امتي قرني اي الذين ادركوني وامنوا بي وهم
اصحابي ثم الذين يلونهم اي يقربونهم في الرتبة او يتبعونهم في الايمان والايقان وهم
التابعون ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين والمعنى ان الصحابة والتابعين وتبعهم
هؤلاء القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة ففي النهاية القرن اهل كل زمان وهو
مقدار التوسط في اعمار اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي
يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة
وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل مطلق من الزمان وهو مصدر قرن قال السيوطي
والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت مدتهم من
البعث الى اخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة وقرن التابعين
من سنة مائة الى نحو سبعين وقرن اتباع التابعين من ثم الى نحو العشرين ومائتين
وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا واطلقت المعتزلة السنتها
ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن اهل العلم ليقولوا بخلق القران وتغيرت
الاحوال تغيرا شديدا ولم يزل الامر في نقص الى الان وظهر مصداق قوله صلى
الله عليه وسلم ثم يفشو الكذب قال الطيبي وثم فيه بمنزلة الفاء في قوله
الافضل فالافضل على انه بيان لتراخي الرتبة في النزول والخير المذكور اولا
اطلق على ما اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك حتى انتهى الى حد يرتفع
فيه الاشتراك فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله ثم ان بعدهم قوما

يشهدون فهو حينئذ كما في قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقوله
الصيف احر من الشتاء قال شارح في آخر شرح المصابيح ثم ان بعدكم وليس بسديد
والصواب ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون بصيغة المجهول اي والحال
انه لا يطلب منهم الشهادة ولا يبعد ان يكون الواو عاطفة كبقية ما يأتي ه
والحاصل انهم يشهدون قبل ان تطلب منهم الشهادة فهو ذم على الشهادة
قبل الاستشهاد قال النووي وهذا مخالف في الظاهر للحديث الآخر خير الشهود
من يأتي بالشهادة قبل ان يسألها قالوا والجمع بينهما ان الذم في ذلك لمن بادر بالشهادة
في حق من هو عالم بها قبل ان يسألها صاحبه واما المدح فهو لمن كانت عنده
شهادة لاحد لا يعلم بها فيخبره ليستشهد عنده القاضي ويلحق به من كانت
عنده شهادة في حد وراى المصلحة في الستر هذا ما عليه الجمهور انتهى وقيل
المدح في حقوق الله والذم في حقوق الناس ويخونون ولا يؤتمنون جمع بينهما
تأكيدا او يخونون الناس عند ائتمانهم اياه ولا يجعلون امنا وعند بعضهم لظهور
خيانتهم وقال النووي ومعنى الجمع في قوله يخونون ولا يؤتمنون انهم يخونون
خيانة ظاهرة بحيث لا تبقى معها ثقة بخلاف من خان حقيرا مرة فانه لا يخرج
به عن ان يكون مؤتمنا في بعض المواطن وينذرون بضم الذال ويكسر على
ما في القاموس اي يوجبون على انفسهم اشياء ولا يفون من الوفاء اي ولا يقومون
بالخروج عن عهدتها ولا يبالون بتركها بخلاف الابرار على ما قال سبحانه في حقهم
يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اوفوا بالعقود اي بالايمان والنذور والعهود ويظهر فيهم السمن بكسر السين
وفتح الميم مصدر سمن بالكسر والضم سمانة بالفتح وسمنا كعنب فهو سامن وسمين
قال صاحب النهاية في الحديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون اي يتكثرون بما ليس
فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وقيل اراد جمعهم الاموال وقيل يحبون
التوسع في المآكل والمشارب وهي اسباب السمن وقال التوربشتي كنى به عن
الغفلة وقلة الاهتمام بامر الدين فان الغالب على ذوي السمانة ان لا يهتموا بارتياض
النفوس بل معظم همهم تناول الحظوظ والتفرغ للدعة والنوم وفي شرح مسلم
قالوا والمذموم من السمن ما يكتسب واما ما هو خلقة فلا يدخل في هذا انتهى
وبه يظهر معنى ما ورد ان الله يبغض الحبر السمين وفي رواية ويحلفون ولا يستحلفون
اي يحلفون من غير ضرورة داعية اليه ومن غير حاجة باعثة عليه متفق عليه
وفي رواية لمسلم عن ابي هريرة ثم يخلف بضم اللام اي ثم يعقبهم ويظهر ورائهم
قوم يحبون السمانة بفتح السين وروى احمد والشيخان والترمذي عن ابن مسعود
ولفظه خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة احدهم

يمينه

يمينه ويمينه شهادته وروى الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين بلفظ خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن
يعطون الشهادة قبل ان يسألوها الفصل الثاني عن عمر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا اصحابي اي السابقين واللاحقين احياء
واموات فانهم خياركم والخطاب للامة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر
الكذب اي يفشو الكذب في رواية حتى ان الرجل بكسر اللام ويفتح ليحلف بلام التأكيد
ولا يستحلف ويشهد عطف على يحلف او ليحلف ولا يستشهد الا فمن سره
اي من احبه بحبوحة الجنة بضم الموحدة اي وسطها وخيارها فليلزم الجماعة
اي السواد الاعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين
فيدخل فيه حبهم واكرامهم دخولا اوليا فان الشيطان مع الفذ بفتح الفاء
وتشديد الذال المعجمة اي مفارق للفرد الذي تفرد برأيه وهواه والشيطان
من الاثنين ابعد اي بعيد قال الطيبي افعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع
الثلاثة لكان بمعنى التفضيل اذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين
دون الاثنين والفذ على ما لا يخفى ولا يخلون رجل نهي تأكيد وتشديد بامرأة
اي اجنبية فان الشيطان ثالثهم اي فلا بد ان يغويهما ومن سرته حسنته اي
اذا وقعت منه وساءته سيئته اي احزنته اذا صدرت عنه فهو مؤمن اي كامل
لان المنافق حيث لا يؤمن بيوم القيامة استوت عنده الحسنة والسيئة وقد
قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة رواه هنا بياض في اصل المص والحق به
النسائي واسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابراهيم بن الحسن الخثعمي فانه لم
يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجوزي فالحديث بكماله اما صحيح او حسن
وروى احمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء عن ابي
امامة مرفوعا اذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فانت مؤمن ورواه الطبراني
عن ابي موسى مرفوعا ولفظه من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وعن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمس النار مسلما رآني او رأى من رآني رواه
الترمذي وكذا الضياء وحسنه الترمذي وروى عبد بن حميد عن ابي سعيد
وابن عساكر عن واثلة طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني
وروى الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن
رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني طوبى لهم وحسن مآب وانشد
٭ واستنشق الارواح من نحو ارضكم ٭ لعلي اراكم او ارى من راكم ٭ وقال بعضهم
٭ سعدت اعين رأتك وقرت ٭ والعيون التي رأت من راكا ٭
وكانه صلى الله عليه وسلم لما تذكر المحرومين من ذلك الجناب وعن رؤيته

الاصحاب وعن خدمة الاتباع من اولي الالباب قال تسلية طوبى لمن راني وامن بي
وطوبى لمن يرني وامن بي ثلاث مرات رواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن
عمر وقال ايضا طوبى لمن راني وامن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن امن بي ولم يرني
رواه احمد وابن حبان عن ابي سعيد وقال ايضا طوبى لمن راني وامن بي مرة وطوبى
لمن يرني وامن بي سبع مرات رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم
عن ابي امامة ورواه احمد ايضا عن انس وحاصله انه قد يوجد في المفضول
ما لا يوجد في الفاضل كما هنا من الايمان بالغيب عن مشاهدة المعجزات التي
قارب من يراها ان يكون ايمانه بالعيان وعن عبد الله بن مغفل قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله بالنصب فيهما اي اتقوا الله ثم اتقوا
الله في اصحابي اي في حقهم والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم او التقدير
اذكركم الله ثم انشدكم في اصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم كما يقول الاب المشفق
الله الله في حق اولادي ذكره الطيبي او التقدير اتقوا مخالفته اتقوا عقابه
في عداوة اصحابي المعرضين بالي الملتجئين الي جنابي لا تتخذوهم غرضا بالفتح
الغين المعجمة والراء اي هدفا لكلامكم القبيح لهم في المحاورات ورميهم في غيبتهم
بالوقائع والمكروهات فمن احبهم فبحبي اي فبسبب حبي اياهم احبهم وقال الطيبي
بسبب حبه اياي احبهم وهو انسب بقوله ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
والمعنى انما احبهم لانه يحبني وانما ابغضهم لانه يبغضني والعياذ بالله تعالى
تحقق لذلك قول من قال ان من سبهم فقد استوجب القتل في الدنيا على ما سبق
من مذهب المالكية ومن اذاهم فقد اذاني اي حكما ومن اذاني فقد اذى الله
ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن اذى الله فيوشك ان يأخذه اي
يعاقبه في الدنيا او في الاخرة ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا
بالملح استئنافا مبين لوجه الشبه ولا يلزم من التشبيه ان يكون من جميع الوجوه
حتى يقال كثير الملح يفسد الطعام كما قيل في حق النحو انه في الكلام كالملح في الطعام
بل المراد منه ان الطعام بدونه ليس كامل المرام قال الحسن اي البصري فقد ذهب
ملحنا فكيف نصلح اي في حالنا قلت نصلح بكلامهم ورواياتهم ومعرفة مقاماتهم
وحالاتهم وبالاقتدا باخلاقهم وصفاتهم فان العبرة بحقائق الاشيا دون صورهم
وذواتهم رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وكذا رواه ابو يعلى

في مسنده

في مسنده عن انس مرفوعا وعن عبد الله بن بريدة بالتصغير عن ابيه يعني ابا
موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد من اصحابي
قائدا اي لاهل تلك الارض ونورا اي هاديا لهم يوم القيامة رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وكذا رواه الضيا وذكر حديث ابن مسعود لا يبلغني احد
اي من اصحابي عن احد شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر اي مع
كلكم فلو سمعت شيئا منكم ربما تغير خاطري بمقتضى البشرية فالاولى باب
الذريعة المؤدية الي الاذية في باب حفظ اللسان اي على ظن انه اولى بذلك
الباب والله اعلم بالصواب الفصل الثالث عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اي ابصرتم او علمتم الذين يسبون اصحابي فقولوا
لعنة الله على شركم فيه اشارة الي ان لعنهم يرجع اليهم فانهم اهل الشر والفتنة
وان الصحابة من اهل الخير المستحقين للرضا والرحمة قال الطيبي وهو من كلام
المنصف الذي يحمل من سمعه من موال ومناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك
ومنه بيت حسان في حق من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتهجوه ولست له
بكفوء فشركما لخيركما فداء والتعريض والتورية اوصل بالمجادل الي الغرض واهجم
به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا رواه الترمذي
وكذا الخطيب ورواه ابن عدي عن عائشة مرفوعا ان شرار امتي اجرؤهم على اصحابي
وفي الحديث المرفوع يكون في اخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون
الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون وفي رواية ينتحلون حب اهل البيت وليسوا
كذلك واية ذلك انهم يسبون ابا بكر وعمر كذا في الصواعق ولعل الحكمة في سب
الروافض لبعض الصحابة والخوارج لبعض اهل البيت انه لما انقطع عنهم
اعمالهم بانتهاء اجالهم اراد الله ان يتم لهم الثواب لمزيد حسن الماب وان يرجع
اعداءهم الي سوء الحساب وشدة العذاب وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سالت ربي عن اختلاف
اصحابي اي عن حكمة مخالفتهم في فروع الشرائع من بعدي فاوحى اي الله كما في نسخة
الي يا محمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء اي في ظهورها للهداية وابطال
الغواية كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون بعضها اقوى من بعض اي بحسب
مراتب انوارها المقدرة لها ولكل نور اي وكذلك لكل من الاصحاب نور بقدر
استعداده فمن اخذ بشيء مما هم عليه بيان شيء من اختلافهم فهو عندي
على هدى وفيه ان اختلاف الائمة رحمة للامة قال الطيبي المراد به الاختلاف
في الفروع لا في الاصول كما يدل عليه قوله فهو عندي على هدى قال السيد
جمال الدين الظاهر ان مراده صلى الله عليه وسلم الاختلاف الذي في الدين من غير

اختلاف الغرض الدنيوي فلا يشكل اختلاف بعض الصحابة بعضهم في الخلافة والامارة قلت الظاهر ان اختلاف الخلافة ايضا من باب اختلاف فروع الدين الناشي عن اجتهاد كل لا من الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي فلا يقاس الملوك بالمجتهدين قال ابن عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم اي فاقتدوا بهم جميعهم او باكثرهم وان لم يتيسر فبايهم اقتديتم اهتديتم وكانه اخذ من هذا بعضهم فقال من تبع عالما لقي الله سالما رواه رزين قال ابن الربيع اعلم ان حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه ابن ماجة كذا ذكره الجلال السيوطي في تخريج احاديث الشفاء ولم اجده في سنن ابن ماجة بعد البحث عنه وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في تخريج احاديث الرافعي في باب ادب القضاء واطال الكلام عليه وذكر انه ضعيف واه بل ذكر عن ابن حزم انه موضوع باطل لكن ذكر عن البيهقي انه قال ان حديث مسلم يودي بعض معناه يعني قوله صلى الله عليه وسلم النجوم امنة السماء الحديث قال ابن حجر صدق البيهقي هو يودي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم اما في الاقتداء فلا يظهر نعم يمكن ان يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم قلت الظاهر ان الاهتداء فرع الاقتداء قال وظاهر الحديث انما هو اشارة الى الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الجور في اقطار الارض انتهى وتكلم على هذا الحديث ابن السبكي في شرح ابن الحاجب الاصلي في الكلام على عدالة الصحابة ولم يعزه لابن ماجة وذكره في جامع الاصول ولفظه عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعا سألت ربي الحديث الى قوله اهتديتم وكتب بعده اخرجه فهو من الاحاديث التي ذكرها رزين في تجريد الاصول ولم يقف عليها ابن الاثير في الاصول المذكورة وذكره صاحب المشكاة وقال اخرجه رزين

باب مناقب ابي بكر

رضي الله عنه الفصل الاول عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من امن الناس بفتح همزة وميم وتشديد نون اي انعمهم علي او ابذلهم لاجلي في صحبته اي دوام ملازمته ببذل نفسه في خدمتي وماله اي وبذل ماله وجميع ماله في طريقتي ابو بكر كذا هو في صحيح مسلم وفي البخاري اي ابا بكر اي بالنصب وهو الظاهر لانه اسم ان والرفع مشكل ذكره الطيبي قال المظهر وفيه اوجه الاول ان يكون من زائدة على مذهب الاخفش وقيل ان ههنا بمعنى نعم كما في جواب قوله لعن الله ناقة حملتني اليك ان وصاحبها فقوله ابو بكر مبتدأ ومن امن الناس خبره وقيل اسم ان ضمير الشان انتهى فالتقدير انه من امن الناس او هو من باب علي بن ابو طالب واما ما توهم بعضهم من ان قوله

ابو بكر

ابو بكر خبر مبتدأ محذوف هو هو على انه جواب عن سوال كانه قيل من امن الناس فقيل ابو بكر فغير صحيح لبقاء ان حينئذ بلا خبر قال التوربشتي يراد ان من ابذلهم واسمحهم من من عليه منا لا من من عليه منة اذ ليس لاحد ان يمتن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ورد مورد الاضمار واذ حمل على معنى الامتنان وعاد على صاحبه لان المنة تهدم الصنيعة ولو كنت متخذا خليلا قال القاضي الخليل الصاحب الواد الذي يفتقر اليه ويعتمد في الامور عليه فان اصل التركيب من الخلة بالفتح وهي الحاجة والمعنى لو كنت متخذا من الخلق خليلا ارجع اليه في الحاجات واعتمد اليه في المهات لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن الذي الجا اليه واعتمد عليه في جملة الامور ومجامع الاحوال هو الله تعالى وانما سمي ابراهيم عليه السلام خليلا من الخلة بالفتح التي الخصلة فانه تخلق بخلال حسنة اختصت به او من التخلل فان الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه او من الخلة من حيث انه عليه الصلاة والسلام ما كان يفتقر حال الافتقار الا اليه وما كان يتوكل الا عليه فيكون فعيلا بمعنى فاعل وفي الحديث بمعنى مفعول ولكن اخوة الاسلام استدراك عن مضمون الجملة الشرطية وفحواها كانه قال ليس بيني وبينه خلة ولكن بيننا في الاسلام اخوة فنفى الخلة المنبية عن الحاجة واثبت الاخاء المقتضي للمساواة في المحبة والالفة قال ومودته اي مودة الاسلام الناشئة عن المحبة الدينية لا لغرض من الاغراض الدنيوية او النفسية الردية قال السيد جمال الدين اي لكن بيني وبينه اخوة الاسلام او لكن اخوة الاسلام حاصلة او لكن اخوة الاسلام افضل كما وقع في بعض الطرق فان اريد فضيلة اخوة الاسلام ومودته من الخلة كما هو الظاهر من السوق يشكل فيجب ان يراد افضليتها من غير الخلة او يقال افضل بمعنى فاضل او يقال اخوة الاسلام التي بيني وبين ابي بكر افضل من اخوة الاسلام التي بيني وبين غيره او من اخوة الاسلام التي بيني وبين غيري والاول احسن تامل اقول ويمكن ان يكون الحديث محمولا على ما كان تعاهد العرب من عهد الاخوة وعقد الخلة والمحبة فيما بينهم فقال لو كنت متخذا خليلا من الخلة لعهد الخلة وعهد المحبة لاتخذت ابا بكر خليلا من بين اصحابي ولكن اخوة الاسلام ومودته الشاملة له ولغيره كافية او افضل حيث انه خالص لله وعلى وفق رضاه ومن غير ملاحظة من سواه وقال ابن الملك اللام في قوله ولكن اخوة الاسلام للعهد اي ولكن اخوة الاسلام الذي سبق من المسلمين افضل لان اتخاذه خليلا بفعله واخوة الاسلام بفعل الله تعالى فما اختاره الله النبي صلى الله عليه

يكون افضل مما اختاره لنفسه لا ينفين بصيغة المجهول نهيا مؤكدا مشددا
وفي نسخة بفتح اوله والمعنى لا تتركن باقية في المسجد اي مسجد المدينة خوخة
الا خوخة ابي بكر الخوخة بفتح الخائين المعجمتين وسكون الواو كوة في الجدار يؤدي
الضوء الى البيت وقيل باب صغير ينصب بين بيتين او دارين ليدخل من احدهما
في الاخرى قال التوربشتي وهذا الكلام كان في مرضه الذي توفي فيه في اخر
خطبة خطبها ولا اخفى بان في ذلك تعريضا بان ابا بكر هو المستخلف بعده وهذه الكلمة
ان اريد بها الحقيقة فذلك لان اصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد قد جعلوا
من بيوتهم مخترقا يمرون فيه الى المسجد او كوة ينظرون اليه منها فامر بسد
جميعها سوى خوخة ابي بكر تكريما له بذلك او لا ثم تنبيها للناس في ضمن ذلك
على امر الخلافة حيث جعله مستحقا لذلك دون الناس وان اريد بها المجاز فهو
كناية عن الخلافة وسد ابواب المقالة دون التطرق اليها والتطلع عليها
وارى المجاز فيه اقوى اذ لم يصح عندنا ان ابا بكر كان له منزل بجنب المسجد
وانما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة ثم انه مهد المعنى المشار اليه وقرره
بقوله ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ليعلم انه احق الناس بالنيابة
عنه وكلفنا نحمله على هذا التاويل تقديمه اياه في الصلاة واباؤه كل الاباء ان
يقف غيره ذلك الموقف انتهى وقيل اذنه صلى الله عليه وسلم بخوخة ابي بكر خوخة
بيته عائشة فانه صلى الله عليه وسلم امر بسد خوخات الازواج الا خوخة عائشة
ووجه الاضافة الى ابي بكر ظاهر لا ما قيل بانه كما يشير اليه لفظ المسجد ذكره
السيد جمال الدين وفي الرياض عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بسد ابواب
المستوادع في المسجد الا باب ابي بكر اخرجه الترمذي وابو حاتم واخرجه ابن اسحاق
وزاد في اخره فاني لا اعلم رجلا كان افضل في الصحبة يدا منه وعن جبير بن نفير
ان ابوابا كانت مفتحة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بها فسدت
غير باب ابي بكر فقالوا سد ابوابنا غير باب خليله وبلغه ذلك فقام فيهم فقال
تقولون سد ابوابنا وترك باب خليله فلو كان منكم خليل كان هو خليلي ولكني
خليل الله فهل انتم تاركون لي صاحبي فقد واساني بنفسه وماله وقال لي صدقت
وقلتم كذبت وفي رواية اي مستقلة لو كنت او في رواية بدلا متما قبله فكان
المناسب ان يقول متخذا خليلا غير ربي اي بافادة هذه الزيادة لاتخذت
ابا بكر خليلا اي لكن لا يجوز لي ان اتخذ غير الله خليلا لا كون له خليلا سواء يكون بمعنى
الفاعل او المفعول متفق عليه ورواه احمد والترمذي وابو حاتم وفي مسند
ابو يعلى عن ابن عباس ابو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في
المسجد غير خوخة ابي بكر واخرجه احمد والبخاري وابو حاتم واللفظ له عن ابن عباس

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي مات فيه عاصبا راسه فجلس على المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال انه ليس من الناس احد امن علي بنفسه وماله من ابن ابي
قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذته ولكن خلة الاسلام سدوا عني كل خوخة
في المسجد غير خوخة ابي بكر قال ابو حاتم وفي قوله سدوا الخ دليل على حسم اطماع الكل
كلهم من الخلافة الا ابا بكر وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي زاد احمد في الدين وصاحبي
زاد احمد في الغار ذكره السيوطي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فيه ايماء الى قوله تعالى
وما صاحبكم بمجنون واشارة من جعل غير ربه خليلا يكون مجنونا مختل عقله ويصير
متخذ ولا خليلا قال الطيبي في قوله اتخذ الله منا لغة من وجهين احدهما انه اخرج
الكلام على التجريد حيث قال صاحبكم ولم يقل اتخذني وثانيهما اتخذ صاحبكم بالنصب
عكس ما سبق اليه الحديث السابق من قوله غير ربي فدل الحديثان على حصول المخالة
من الطرفين رواه مسلم ورواه احمد والبخاري عن ابن الزبير ورواه احمد والبخاري
ايضا عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتي خليلا دون ربي لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن اخي وصاحبي وفي رواية البخاري لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذته
خليلا ولكن اخوة الاسلام افضل وروى مسلم عن جندب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس ليال وهو يقول اني ابرا الى الله عز وجل ان
يكون لي منكم خليل فان الله عز وجل قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا واخرج الواحدي في تفسيره عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ
ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا له في امته خليل الا وان خليلي ابو بكر واخرج الحافظ
ابو الحسن عن ابن عمر الحربي السكري عن ابي بن كعب انه قال ان احدث عهدي بنبيكم
صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه وهو يقلب يديه وهو يقول
انه لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا من امتي ابو بكر بن ابي قحافة الا وان
الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا والاحاديث النافية للاتخاذ
اصح واثبت وان صحت هذه الرواية فيكون قد اذن الله عنه تبرئة من خلقه غير
الله مع تشوفه بخلة ابي بكر لولا خلة الله في اتخاذه خليلا مراعاة لجنوحه اليه
وتعظيما لشان ابي بكر ولا يكون ذلك انصرافا عن خلة الله عز وجل بل الخلتان ثابتتان
كما تضمنه الحديث احدهما التشويق للمصطفى صلى الله عليه وسلم والاخرى تشريف
لابي بكر رضي الله عنه والله اعلم وفي الجملة هذا الحديث ظاهر على ان ابا بكر افضل
الصحابة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه اي الذي
توفي فيه ادعي بضم همز وصل وكسر عين على ان اصله ادعوي بالثقل والحذف وهو

امر مخاطبة اي نادي ابا بكر اباك بدل او اخاك عطف علي ابا بكر والمراد به عبد الرحمن وفي شرح مسلم ان طلبه لاخيها ليكتب الكتاب حتى اكتب كتابا اي امران يكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن اي للخلافة علي نفاذ الكتابة ويقول قائل اي و اخاف ان يقول قائل ممن يتمنى الامارة انا ولا اي انا مستحق للخلافة ولا يكون مستحقا الطامع وجود ابي بكر كما يدل عليه قوله ويابي الله والمؤمنون اي خلافا للمنافقين والرافضة في امر الخلافة الا ابا بكر قال شارح اي بيان خلافة كل احد الا خلافة ابي بكر انتهى ومعنى يابي الله يمتنع لعدم رضاه ولما قدره وقضاه رواه مسلم وفي كتاب الحميدي وهو الجامع بين الصحيحين وقع في نسخة انا اولى بدل انا ولا في شرح مسلم قوله انا ولا هكذا في بعض النسخ المعتمدة اي يقول انا احق بالخلافة ولا يستحقها غيري وفي بعضها انا اولى اي انا احق بالخلافة قال القاضي عياض هذه الرواية اجود انتهى فالجزم من المصنف انه رواه مسلم خلافا للحميدي ليس من الجزم كذا قال النووي وهذا دليل لاهل السنة على ان خلافة ابي بكر رضي الله عنه ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم صريحا بل اجمعت الصحابة على عقد الخلافة وتقديمه لفضله ولو كان هناك نص عليه او على غيره لم يقع المنازعة بين الانصار وغيرهم اولا ولذكر حافظ النص ما معه ورجعوا اليه وانقضوا عليه واما ما يدعيه الشيعة من النص على علي كرم الله وجهه والوصية اليه فباطل لا اصل له باتفاق المسلمين واول من يكذبهم علي حين سئل هل عندكم شيء ليس في القران قال ما عندي الا ما في هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره وعن جبير بن مطعم قال اتت النبي صلى الله عليه وسلم امراة فكلمته في شيء اي من امرها فامرها ان ترجع اليه اي الى النبي صلى الله عليه وسلم مرة اخرى حتى يعطيها شيئا ذكره شارح قالت يا رسول الله ارايت اي اخبرني ان جئت ولم اجدك ولعل مسكنها كان بعيدا من المدينة كانها اي قال جبير كان المراة تريد اي تعني بعدم الوجدان الموت اي موته صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجديني فاتي ابا بكر اي فانه خليفتي مطلقا او وصي في هذا الامر والاول اظهر ولذا قال النووي ليس فيه نص على خلافته بل هو اخبار بالغيب الذي اعلمه الله به **قلت** ويؤيده ما اخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم تساله شيئا فقال تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت فلم اجدك تعرض بالموت قال ان جئت فلم تجديني فاتي ابا بكر فانه الخليفة من بعدي متفق عليه وعن سهل بن ابي حثمة قال بايع اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا نص الى اجل فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فسله ان اتى عليه اجله من يقضيه قال يقضيك ابو بكر فرجع الى علي فاخبر علي فقال علي ارجع فسله ان اتى علي ابي

بكر اجله من يقضيه فاتى الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فساله فقال يقضيك عمر فقال علي للاعرابي سله من بعد عمر فقال يقضيك عثمان فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فسله ان اتى على عثمان اجله من يقضيه فساله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتى على ابي بكر اجله وعلى عمر وعثمان فان استطعت ان تموت فمت اخرجه الاسماعيلي في معجمه وعن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه اي ارسله اميرا على جيش ذات السلاسل باضافة الجيش قال القاضي السلاسل رمل ينعقد بعضه ببعض وسمي الجيش بذلك لانهم كانوا مبعوثين الى ارض بها رمل كذلك قال فاتيته اي قبل السفر ويحتمل ان يكون بعده فقلت اي الناس احب اليك اي الموجود في زمنك والمراد بهم اهل الجيش وذلك لان سبب سؤاله لما امره النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش وفيهم ابو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه وقع في نفس عمرو انه متقدم عنده في المنزلة عليهما فساله لذلك لكن يويد الاول وهو ارادة العموم الذي هو قيد للمفهوم جوابه قال عائشة اي هي احبهم الي من النساء قلت من الرجال اي سؤالي منهم او التقدير من احب اليك قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا اي فعد النبي صلى الله عليه وسلم رجالا اخرين بعد اسئلة اخرى فسكت اي عن ذلك السؤال مخافة ان يجعلني في اخرهم اي اخر الناس مطلقا او اخر من اسال عنهم لو سالته متفق عليه وعن محمد بن الحنفية سبق ذكرها وهو ابن علي من غير فاطمة رضي الله عنهم قال قلت لابي اي لعلي كرم الله وجهه اي الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال اي علي ابو بكر اي هو ابوك او ابو بكر هو الخير قلت ثم من قال عمر وخشيت ان تقول عثمان اي لو قلت ثم من فعدل لنفسي من سؤال لهذا فخيبني فقلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين وهذا على سبيل التواضع منه مع العلم بانه حين المسالة خير الناس بلا نزاع لانه بعد قتل عثمان رضي الله عنهم رواه البخاري وكذا احمد وعن ابن عمر قال كنا اي معشر الصحابة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل اي لا نساوي بابي بكر احدا اي من الصحابة بل نفضله على غيره ثم عمر ثم عثمان اي ثم نعدل بهما احدا او ثم نفضلهما على غيرهما ثم نترك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نتفاضل اي لا نوقع المفاضلة بينهم والمعنى لا نفضل بعضهم على بعض والمراد مفاضلة مثلهم والا اهل بدر واحد واهل بيعة الرضوان ونحو علماء الصحابة افضل ولعل هذا التفاضل بين الاصحاب واما اهل البيت فهم اخص منهم وحكمهم تابع ابوهم فلا يرد عدم ذكر علي او الحسنين والعباس رضي الله عنهم اجمعين قال المظهر وجه ذلك انه اراد به الشيوخ وذوي الاسنان منهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر شاورهم فيه وكان علي رضي الله عنه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السن وفضله لا ينكره ابن عمر

ولا غيره من الصحابة وقال التوربشتي وايضا قد عرف ان اهل بدر واهل بيعة الرضوان
واصحاب القبلتين الاولى والثانية يفضلون غيرهم وكذلك علماء الصحابة
وذووا الفهم منهم والمنسلون عن الدنيا رواه البخاري وفي رواية لابي داود
قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم
اي الذين هم خير الامم بعده اي بعد النبي وامثاله من الانبياء عليهم السلام او
بعد وجوده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم لا يخفى ان الاحاديث المتقدمة لها
المناسبة التامة بباب مناقب الثلاثة

الفصل الثاني

عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد اي عطاء وانعام الا وقد
كافاناه بهمزة ساكنة بعد الفاء ويجوز ابدالها الفاء في القاموس كافاه مكافاة
جازاه ذكره في المهموز وكفاه مؤنته كفاية ذكره في المعتل ولا يخفى ان المناسب
للمقام هو المعنى الاول وفي بعض النسخ المصححة بالياء ولا يظهر له وجه والمعنى
جازيناه مثلا بمثل او اكثر ما خلا ابا بكر اي ما عداه اي الا اياه فان له عندنا يدا اي
اراد باليد النعمة وقدمها لنا كلها اياه صلى الله عليه وسلم وهي المال والنفس والاهل
والولد ذكره شارح ويحتمل ان يكون المراد بتلك اليد اعتاق بلال كما يشير اليه قوله
تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا
ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وفسر بان المراد منه ابو بكر واليه ينظر قوله
يكافيه الله اي يجازيه بها يوم القيامة اي جزاء كاملا وافيا واقتصر صاحب الرياض على هذا
القدر من الحديث وقال رواه الترمذي وقال حسن غريب وما نفعني مال احد قط
ما نفعني ما مصدرية ومثل مقدر اي مثل ما نفعني مال ابي بكر ولو كنت متخذا
اي من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا الا للتنبيه وان صاحبكم خليل الله يحتمل
ان يكون فعيلا بمعنى فاعل او مفعول والاول اظهر في هذا المقام ثم رواه الترمذي
وفي الجامع ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر رواه احمد وابن ماجه عن ابي
هريرة وفي الرياض عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني
مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر فقال هل انا ومالي الا لك اخرجه احمد وابو
حاتم وابن ماجه والحافظ والدمشقي في الموافقات وعن ابن المسيب ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما مال رجل من المسلمين انفع لي من مال ابي بكر وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما يقضي في مال نفسه اخرجه عبد
الرزاق في جامعه قلت وكانه اشارة الى قوله تعالى او صديقكم وعن عائشة
قالت انفق ابو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم اربعين الفا اخرجه ابو حاتم وعن عروة
قال اسلم ابو بكر وله اربعون الفا انفقها كلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل
الله اخرجه ابو عمرو وعن عروة قال اعتق ابو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم

بلال

بلال وعامر بن فهيرة اخرجه ابو عمرو وعن اسماعيل بن قيس قال اشترى ابو بكر بلالا وهو
مدفون بالحجارة بخمس اواق ذهبا فقالوا لو ابيت الا اوقية لبعناكه فقال لو ابيتم
الا مائة اوقية لاخذته اخرجه في الصفوة وعن عمر رضي الله عنه اي موقوفا
قال اي عمر ابو بكر سيدنا نسبا وحسبا وخيرنا اي افضلنا معرفة وكسبا واحبنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حضورا وغيبا رواه الترمذي وعن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي في الغار اي في غار ثور بمكة
حالة الهجرة من ديار الكفار حيث قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه
لا تحزن ان الله معنا فالمعنى انت صاحبي المخصوص حينئذ او انت صاحبي من
الله اذ اجمع المفسرون على ان المراد بصاحبه في الاية هو ابو بكر وقد قالوا من انكر صحبة
ابي بكر كفر لانه انكر النص الجلي بخلاف انكار صحبة غيره من عمر او عثمان او علي وصاحبي
اي المخصوص على الحوض وفيه ايماء الى انه صاحبه في الدارين كما انه صاحبه الان في البرزخ
رواه الترمذي وفي مسند الفردوس للديلمي عن عائشة ابو بكر مني وانا منه وابو
بكر اخي في الدنيا والاخرة وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ينبغي لقوم فيهم ابو بكر يؤمهم غيره وفي معناه من هو افضل القوم من غيرهم وفيه دليل
على انه افضل جميع الصحابة فاذا ثبت هذا فقد ثبت استحقاق الخلافة ولا
ينبغي ان يجعل المفضول خليفة مع وجود الفاضل رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب وعن عمر رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نتصدق اي في بعض الجهات ووافق ذلك عندي مالا اي صادف امره بالتصدق
حصول مال عندي فعندي حال من مال والجملة حال مما قبله يعني والحال
انه مال كثير في ذلك الزمان فقلت اليوم وسبق ابا بكر اي بالمبادرة او بالمغالبة
ان سبقته يوما من الايام وان شرطية دل على جوابها ما قبلها او التقدير ان سبقته
يوما فهذا يومه وقيل ان نافية اي ما سبقته يوما قبل ذلك فهو استئناف تعليل
قال اي عمر فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت
لاهلك فقلت مثله اي ابقيت مثله يعني نصف ماله واتى ابو بكر بكل ما عنده
وهو ابلغ من كل ماله بكسر اللام واصرح من كل ما له بالفتح فقال يا ابا بكر ما ابقيت
لاهلك فقال ابقيت لهم الله ورسوله اي رضاهما وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال لهما ما بينكما كما بين كلمتيكما قلت اي في باطني واعتقدت لا اسبقه
الى شيء اي من الفضائل ابدا لانه اذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله
وقلة مال ابي بكر ففي غير هذه الحال اولى ان لا يسبقه رواه الترمذي وابو داود
وقال الترمذي حسن صحيح ومما يناسبه ما اخرجه احمد عن ابن مسعود قال من بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وانا احمد الله عز وجل واصلي على النبي صلى الله عليه وسلم

فقال سل تعط ولم اسمعه فادلج ابو بكر فبشرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاني
عمر فاخبرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد سبقك اليها ابو بكر قال عمر ما استبقنا
لخير الا قد سبقني اليه انه كان سباقا للخيرات فقال عبد الله ما صليت فريضة
ولا تطوعا الا دعوت الله في دبر صلاتي اللهم اني اسالك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد
ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في اعلى جنان الخلد وانا ارجو ان اكون
دعوت بها البارحة اخرجه احمد وابن شاهين وعن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقد سمع قراءة ابن مسعود ليلا من سره ان يقرا القران رطبا
فليقراه كما يقراه ابن ام عبد فلما اصبحت غدوت اليه لابشره
فقال قد سبقك ابو بكر فقلت ما سابقته الى خير قط الا سبقني اليه اخرجه وعنه
في الصحيحين وعن عائشة ان ابا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا قال الراغب العتيق
المتقدم في الزمان او المكان او الرتبة ولذا قيل للقديم عتيق وللكريم عتيق
ولمن خلا عن الرق عتيق التيمي وسمي البيت العتيق لكرمه او تقدم زمانه
او رتبة مكانه او لانه عتق عن الطوفان او عن تصرف الجبابرة ثم قوله فيومئذ
سمي عتيقا اي لقب به من ذلك اليوم قال المؤلف اسمه عبد الله بن عثمان
ابي قحافة بطن الثقاف ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ويصل بالاب
السابع الى النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر
الى ابي بكر شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ولم يفارقه في جاهلية
ولا اسلام وهو اول الرجال اسلاما كان ابيض نحيفا خفيف العارضين معروق
الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة له ولابويه وولده وولد ولده صحبة ولم يجتمع
هذا لاحد من الصحابة كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين واربعة اشهر
الا اياما ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث
عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة واوصى ان تغسله زوجته
اسماء بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكانت خلافته سنتين
واربعة اشهر روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ولم يرو عنه من
الحديث الا القليل لقلة مدته بعد النبي صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض اي من
الخلق ثم ابو بكر اي من امتي او من الاولياء مطلقا ثم عمر ثم اتي بصيغة المتكلم اي اجيء
اهل البقيع وهو مقبرة المدينة فيحشرون معي اي يجمعون قال تعالى وان يحشر
الناس ضحى ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين اي بين اهلهما في محشر الفناء
وفيه ايماء الى ما روي من ان قوما حشر معهم وقال الطيبي اي اجمع معهم بين حرم مكة

وحرم المدينة وقال شارح اي اجمع انا وهم حتى يكون لي ولهم اجتماع بين الحرمين
وذلك بظاهره مخالف لقوله انتظر اهل مكة لان كلاهما يدل على انه
صلى الله عليه وسلم يتوجه الى حرم مكة وان اهل مكة يتوجهون اليه صلى الله
عليه وسلم فيحصل الاجتماع بين الحرمين والظاهر من كلامه صلى الله عليه
وسلم انه ينتظرهم في البقيع الى ان يجتمعوا فيتوجهوا الى المحشر وهو ارض الشام
فيجتمعون هناك مع سائر الانام رواه الترمذي وذكر الحديث في الجامع الى قوله
ثم انتظر اهل مكة وقال رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر هذا ولا يخفى ان هذا
الحديث كان انسب ان يذكر فيما قبله في الشيخين رضي الله عنهما وعن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل فاخذ بيدي فاراني باب الجنة
الذي يدخل منه امتي فقال ابو بكر يا رسول الله وددت اني كنت
معك حتى انظر اليه اي الى باب الجنة فقال اما انك يا ابا بكر اول من يدخل
الجنة من امتي اي فسترى بابها وتدخلها قبل كل احد من امتي وفيه دليل على انه
افضل الامة والايماء الى انه سبقهم في دخول الجنة والايماء الى انه اسبق الامة ايمانا لقوله
تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم قال الطيبي لما
تمنى رضي الله عنه بقوله وددت والتمني انما يستعمل فيما لا يستدعي امكان
حصوله قيل له لا تتمن النظر الى الباب فان لك ما هو اعلى منه واجل وهو دخولك
فيه اول امتي وحرف التنبيه ينبئك على الرمزة التي لوحناها رواه ابو داود
الفصل الثالث عن عمر رضي الله عنه ذكر عنده ابو بكر جملة حالية وحاصله
انه روي عن عمر انه ذكر عنده ابو بكر فبكى اي عمر وقال وددت ان عملي كله اي جميع
الايام مثل عمله اي مثل عمل ابي بكر يوما واحدا من ايامه اي في زمن ايامه صلى الله
عليه وسلم وليلة واحدة من لياليه اي في اوقات حياته صلى الله عليه وسلم والظاهر
ان الواو بمعنى او فانه ابلغ في المبالغة باعتبار كل من الحالة او التوزيع بحسب
الوقتين المختلفين اما ليلة فليلة سار بالرفع والتنوين اي سار فيها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة مع النبي صلى الله عليه وسلم الى الغار
وفي بعض النسخ المصححة بفتح ليلة تبيين للاضافة الى المبني وهو الاظهر فلما
انتهيا اليه اي وصلا الى الغار قال ابو بكر والله لا تدخله بالرفع وفي نسخة بالجزم
حتى ادخل قبلك اي الغار لما ذكره بقوله فان كان فيه شيء اي مما يؤذي من عدو او هوام
اصابني دونك فدخل فكسحه اي كنسه ووجد في جانبه اي احد اطرافه ثقبا
بضم مثلثة وفتح قاف جمع ثقبة كغرفة وغرف وقد جاء ثقب كقفل وقفل كل منهما
لغة في الفرد بمعنى الخرق والجحر لكن المراد هنا الجمع لقوله فشق ازاره وسدها
به وبقي منها اثنان فالقمهما رجليه اي جعل رجليه كاللقمتين لهما غاية للحرص

على سدهما حيث لم يبق من ازاره ما يدخلهما ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم ادخل
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره بكسر الحاء وفي نسخة فتحها
ففي القاموس الحجر بالكسر ويفتح الحضن وفي النهاية الحجر بالفتح والكسر الحضن والثوب
وكذا في المشارق وكذا في المشارق وزاده واذا اريد به المصدر فالفتح لا غير وان
اريد به الاسم فالكسر لا غير ونام اي النبي عليه الصلاة والسلام قال نوم العالم
عبادة كما ان نوم الظالم عبادة باعتبارين مختلفين فلدغ ابو بكر في رجله بدل
من ابو بكر بدل البعض وهي بفتح بنيانا الشدة تمكن آلة الدغ فيها كما في قول الشاعر
يخرج في عراقيبها نصلي من الحجر اي من الحجرين ولم يتحرك اي ابو بكر مخافة ان
ينتبه من باب الافتعال وفي نسخة ان ينتبه من التفعل اي خشية ان
يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في غير او انه قد صبر على وجعه
فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فاستنبه فراى
بكاءه فقال ما لك يا ابا بكر فقال لدغت فداك ابي وامي بفتح الفاء وبكسر ففي القاموس
فداه يفديه فداء وفدى ويفتح اعطى شيئا فانقذه والفداء ككساء وكعلى والى
ذلك المعطى انتهى وقال الاصمعي الفداء يمد ويقصر اما المصدر من فاديت ممدود
لا غير والفاء في كل ذلك مكسور وحكى الفراء فدى لك مقصور وممدود ومفتوح
وفداك ابي وامي فعل ماض مفتوح الاول ويكون اسما على ما حكاه الفراء كذا
في المشارق فتفل اي بزق رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عليه كما في نسخة
اي على موضع اللدغ فذهب ما يجده اي ما كان يحسه من الالم ثم انتقض بالقاف
والمعجمة اي رجع اثر السم عليه وقال الطيبي اي نكس الجرح اي اندمل لتفل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اي الانتقاض سبب موته اي فحصل له شهادة
في سبيل الله حالة كونه رفيقا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه واما يومه
اي ابي بكر فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي
زكاة يحتمل ان يكون العطف تفسيرا بما قاله بعض علمائنا من قيل له اد الزكاة فقال
لا ادري كم فقال لو منعوني عقالا اي حبلا صغيرا لجاهدتهم عليه اي لقاتلتهم
على اخذه او لاجل منعه ففي النهاية اراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي
كان يؤخذ في الصدقة لان على صاحبها التسليم وانما يقع القبض بالرباط وقيل
اراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة وقيل اذا اخذ المصدق اعيان الابل
قيل اخذ عقالا واذا اخذ اثمانها قيل اخذ نقدا وقيل اراد بالعقال صدقة العام
يقال اخذ المصدق عقال هذا العام اذا اخذ منهم صدقته وبعث فلان على عقال
بني فلان اذا بعث على صدقاتهم واختاره ابو عبيد وقال هذا اشبه عندي بالمعنى
وقال الخطابي انما يضرب المثل في مثل هذا بالاقل لا بالاكثر وليس بسائر في لسانهم

ان

ان العقال صدقة عام قلت ولهذا قال ابو عبيد بالمعنى فلا اعتراض
عليه بالمبنى وسببه استبعاد ان يقاتل عن الشيء الحقير وان كان قد يعبر
عن الكثير بالقليل على قصد المبالغة كالتقليل والتكثير ويؤيد ابا عبيد
انه في اكثر الروايات لو منعوني عناقا وفي اخرى جديا قال الطيبي قد جاء في الحديث
ما يدل على القولين فمن الاول حديث عمر رضي الله عنه انه كان يأخذ مع كل فريضة
عقالا فاذا جاءت الى المدينة باعها ثم تصدق بها وحديث محمد بن مسلمة انه
كان يعمل الصدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يامر الرجل
اذا جاء بفريضتين ان ياتي بعقاليهما وقرانيهما ومن الثاني حديث عمر انه اخر الصدقة
عام الرمادة فلما احيا الناس بعث عامله فقال اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم
عقالا وائتني بالاخر يريد صدقة عامين انتهى ولا خلاف في اطلاق العقال على
كل منهما وانما الخلاف في المراد به هنا والله اعلم فقلت يا خليفة رسول الله تألف
الناس اي اطلب الفتهم لا فرقتهم وارفق بهم بضم الفاء اي الطف بهم ولا تغلظ عليهم
فقال لي اجبار في الجاهلية اي انت شجيع مشهور غضوب في زمن الجاهلية وخوار
بتشديد الواو اي جبان وعطوف في الاسلام اي في ايامه واحكامه مع ان ما ورد
من ان معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا بان طباعهم
الاصلية لم تتغير عن احوالها الاولية وانما تختلف ابتغاؤها في الامور الدينية
بعد ما كان يعرف حصولها في الحالات التعصبية من الامور النفسية والعرفية
ففي النهاية هو من خار يخور اذا ضعفت قوته ووهنت سكونه قال الطيبي
انكر عليه ضعفه ووهنه في الدين ولم يرد ان يكون جبارا بل اراد به التصلب والشدة
في الدين لكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار قلت هذا وهم فان المراد به
انه كان جبارا متسلطا متعديا عن الحد في الجاهلية وقد عفا الله عما سلف فهذا
مما لا يضره ابدا ولا شك ان ارادة هذا المعنى ايضا ابلغ في تحصيل المدعى من
المؤدي انه اي الشان وهو استيناف تعليل قد انقطع الوحي اي فلا نصل الى التغيير
فلا بد لنا من الاجتهاد المبين وتم الدين وفي نسخة فتم الدين اي لقوله تعالى ..
اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي اينقص اي الدين وهو بصيغة الفاعل
وفي نسخة على بناء المفعول بناء على انه لازم ومتعد وانا حي جملة حالية على طبق
قولهم جاء زيد والشمس طالعة رواه رزين وفي الرياض لما ذكر من قوله لما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رواه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين
ونقل الحلبي في حاشية الشفا للقاضي عياض ابي الحسن الاشعري انه قال لم
يزل ابو بكر بعين الرضا من الله واختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم
لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وهو الصحيح المرضي وقال اخرون بل اراد انه

لم يزل بحاله غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة
الأبرار قال الشيخ تقي الدين السبكي لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر
الصحابة في ذلك وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم يحفظ عنه
في حق غيره فالصواب أن الصديق لم يثبت عنه في حال كفر بالله انتهى وهو الذي
سمعناه من مشايخنا وتعين يقتدى به وهو الصواب إن شاء الله ونقل ابن ظفر
في أنباء نجباء الأبناء أن القاضي أبا الحسن أحمد بن محمد الزبيدي روى بإسناده
في كتابه المسمى معالي العرش إلى عوالي الفرش أن أبا هريرة قال اجتمع المهاجرون
والأنصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعيشك يا رسول
الله إني لم أسجد لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة وإن أبا قحافة
أخذ بيدي وانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام فقال هذه آلهتك الشم العلي
فاسجد لها وخلاني ومضى فدنوت من الصنم فقلت إني جائع فأطعمني فلم يجبني
فقلت إني عار فاكسني فلم يجبني فأخذت صخرة فقلت إني ملق عليك هذه
الصخرة فإن كنت إلها فامنع نفسك فلم يجبني فألقيت عليه الصخرة
فخر لوجهه وأقبل أبي فقال ما هذا يا بني فقلت هو الذي ترى فانطلق بي
إلى أمي فأخبرها فقالت دعه فهو الذي ناجاني الله تعالى به فقلت يا أماه ما الذي
ناجاك به قالت ليلة أصابني المخاض لم يكن عندي أحد فسمعت هاتفا يقول
يا أمة الله على التحقيق أبشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق لمحمد
صاحب ورفيق قال أبو هريرة فلما انقضى كلام أبي بكر نزل جبريل
عليه السلام وقال صدق أبو بكر انتهى ومما نحن فيه كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان
لأنه لو كان على الكفر لما صدق عليه هذا الأمر ولعل وجه ما قال صلى الله
عليه وسلم لو اتخذت أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا هو أنه صدر عنه ما سبق
مشابها لما وقع من الخليل في ضرب الصنم ومخالفة الأب والله أعلم

باب مناقب عمر رضي الله عنه

الفصل الأول

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد فيما كان قبلكم من الأمم بيان لما بعدي من أي في الذين كانوا قبلكم محدثون
بفتح الدال المشددة أي ناس ملهمون كما فسره ابن وهب فإن يك في أمتي أحد
أي واحد منهم فرضا وتقديرا فإنه عمر أي وإن يك آخر فهو حينئذ أول وأظهر
قال التوربشتي المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن وهو في الحقيقة
ما ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدث به وفي قوله فإن يك في
أمتي أحد فهو عمر لم يرد هذا القول مورد التردد فإن أمته أفضل الأمم وإذا كانوا
موجودين في غيرهم من الأمم فالحري أن يكونوا في هذه الأمة أكثر عددا وأعلى رتبة وإنما

ورد

ورد مورد التأكيد والقطع به ولا يخفى على ذي الفهم محله من المبالغة كما يقول الرجل إن
يكون لي صديق فإنه فلان يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقة لا نفي الأصدقاء ونحوه
أنك لا تريد بذلك الشك في صداقته والتردد في أنه هل لك صديق بل المبالغة
في أن الصداقة مختصة به لا تتخطاه وقيل هو على ظاهره لأن الحكم في كونهم في بني
إسرائيل احتياجهم إلى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي وكثيرهم طرأ عليهم التبديل
واحتمل عنده صلى الله عليه وسلم أن لا يحتاج هذه الأمة إلى ذلك لاستغنائها
بالقرآن المأمون تبديله وتحريفه ذكره السيوطي وقال الطيبي هذا الشرط
من باب قول الأجير إن كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل
في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع
وضوحه فالمراد بالمحدث الملهم البالغ فيه الذي انتهى إلى درجة الأنبياء في الإلهام
فالمعنى لقد كان فيما قبلكم من الأمم أنبياء يلهمون من قبل الملأ الأعلى فإن يك
في أمتي أحد هذا شأنه فهو عمر جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على أقرانه
في هذا كأنه تردد في أنه هل هو نبي أم لا فاستعمل إن ويؤيده ما ورد في الفصل
الثاني لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب فلو في هذا الحديث بمنزلة على
سبيل الفرض والتقدير كما في قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه متفق عليه قال ميرك ولفظه للبخاري ولمسلم نحوه عن عائشة
ومن العجب أن الحاكم أخرج حديث عائشة في مناقب عمر مستدركا على مسلم في كونه
لم يخرجه وقد أخرجه في المناقب أيضا قلت وقد سبق عنه الجواب والله أعلم
بالصواب ثم لفظ الحديث في الجامع قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم ناس
محدثون فإن يك في أمتي منهم أحد فإنه عمر بن الخطاب رواه أحمد والبخاري عن أبي
هريرة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة ففي قول المصنف متفق عليه
مسامحة لا يخفى كما أشار إليه ميرك ثم اعلم أن لفظ أحمد ومسلم عن عائشة
قد كان يكون في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب ذكره في الرياض
ثم قال وأخرجه الترمذي وصححه أبو حاتم وخرجه البخاري عن أبي هريرة وخرج
عليه عنه من طريق آخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن قبلكم
من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو
عمر ومعنى محدثون والله أعلم ملهمون الصواب ويجوز أن يحمل على ظاهره بأن يحدثهم
الملائكة لا بوحي بل بما يطلق عليه اسم حديث وتلك فضيلة عظيمة وعن
سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده نسوة أي جماعة من النساء من قريش قال القسطلاني هن عائشة وحفصة
وأم سلمة وزينب بنت جحش وغيرهن وقال العسقلاني أي نسوة من أزواجه صلى

الله عليه وسلم ويحتمل ان يكن معهن غيرهن لكن قرينة قوله يكلمنه ويكثرنه يؤيد
الاول اي يكثرنه في الكلام ولا يراعين مقام الاحتشام وقال النووي اي يطلبن
منه النفقات الكثيرة وفي رواية يسألنه ويستكثرنه عالية بالنصب على
الحال وقال السيوطي او بالرفع على الوصف انتهى وفي رواية رافعات اصواتهن
بالرفع على الصفة عليتن قالـــ القاضي عياض يحتمل ان هذا قبل النهي عن رفع
الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان علو اصواتهن انما كان لاجتماعهن
في الصوت لا ان كلام كل واحدة بانفراده اعلى من صوته صلى الله عليه وسلم
اقول ليس في الكلام دليل على ان رفع اصواتهن كان فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم
ليرد الاشكال لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
بل المراد انهن في تلك الحالة على خلاف عادتهن من الخفض رفعن اصواتهن في كلامهن
معه صلى الله عليه وسلم اعتمادا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم فلما استاذن عمر
والحال انه من الاجانب بالنسبة الى اكثرهن لا سيما وهو غيور غضوب غالب عليه
الصفة الجلالية قمن اي من مكانهن فبادرن الحجاب اي سارعن الى حجابهن على مقتضى
ادابهن فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك اي يتبسم ومن الغريب
ان عمر مع غلبة قهره وشدة سطوته كان ظهر البسط له صلى الله عليه وسلم فقال
اي عمر كما في رواية اضحك الله وفي رواية يا رسول الله اي ادام الله فرحك الموجب
لبروز سنك وظهور نورك ولكن لا بد له من سبب وظهور امر عجيب فاطلعني عليه
وشرفني بالاشارة اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن
عندي اي في حالة غريبة ومقالة عجيبة فلما سمعن صوتك اي بالاذن ابتدرن الحجاب
اي بالانتقال من مكانهن واخفاء كلامهن وشانهن فامنك وهيبة لك قال عمر اي
خطابا لهن يا عدوات انفسهن اتهبنني بفتح الهاء يقال هبت الرجل بكسر الهاء اذا
وقرته وعظمته من الهيبة اي اتوقرنني ولا تهبن اي لا تعظمن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلن نعم هذا غير راجع الى مجموع قول عمر بل الى قوله اتوقرنني فقط
والا فيشكل كما لا يخفى ولا يبعد ان يكون نعم تقديرا وتاكيدا ومقدما على
قوله انت افظ واغلظ اي انت كثير الفظاظة اي سيء الكلام وكثير الغلظة اي شديد
القلب بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه حسن الخلق كما اخبر الله سبحانه بقوله
وانك لعلى خلق عظيم وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد قال
صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا خياركم خياركم لنسائهم
قال الطيبي لم يرد بذلك اثبات مزيد الفظاظة والغلظة لعمر على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه كان حليما مواسيا رفيق القلب في الغاية بل المبالغة في
فظاظة عمر وغلظه مطلقا انتهى وخلاصته ان فيك زيادة فظاظة وغلظة

بالقياس

بالقياس الى غيرك لا بالقياس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان رفيقا
حليما جدا لكن يشكل هذا بما ذكر البخاري في رواية اخرى في باب التبسم من
كتاب الادب فقلن انك افظ واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن دفعه
بان يجعل من باب العسل احلى من الخل والشتاء ابرد من الصيف فيرجع المعنى الى ان
كلا منهما على حاله على اعلى مرتبة كماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايه بكسر الميم والهاء منونا وقد يترك تنوينه اي حدث حديثا ولا تلتفت الى جوابهن
يا ابن الخطاب وفي رواية يا عمر وقيل هو اسم فعل يطلب به الزيادة اي استزد
على ما انت عليه من التصلب ويؤيده قوله والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان
سالكا فجا اي ذاهبا طريقا واسعا الا سلك فجا غير فجك ففيه منقبة عظيمة
لعمر الا ان ذلك لا يقتضي وجوب العصمة اذ لا يمنع ذلك من وسوسته الموجبة
لغفلته قال التوربشتي ايه اسم سمي به الفعل لان معناه الامر تقول للرجل
اذا استزدته من حديث او عمل ايه بكسر الهاء فان وصلت نونت وقلت ايه حديثا
واذا اسكتته وكففته ايها عنا ومن حفظه في هذا الحديث ان يكون ايها اي كف
يا ابن الخطاب عن هذا الحديث ورواه البخاري في كتابه مجرورا منونا والصواب
ايها وروى مسلم هذا الحديث في جامعه وليس هذه الكلمة في روايته ذكر وقول
اذا صحت الرواية وطابقت الدراية على ما قدمناه من تصحيح معناه فلا معنى
للتخبط في مبناه والله اعلم بالصواب واليه المرجع والماب وقال الطيبي معنى
قول عمر اتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوقرنني ولا توقرن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرح السنة هو من قولهم هبت الرجل اذا وقرته
وعظمته يقال هب الناس يهابوك اي وقرهم يوقروك انتهى كلامه ولا شك ان الامر
بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوب لذاته يجب الاستزادة منه
فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه استزادة منه في طلب توقيره
وتعظيم جانبه ولذلك عقبه بقوله والذي نفسي بيده الى اخره فانه يدل
على ان استرخا ليس بخارج استرخاء احمادا منه صلى الله عليه وسلم لفعاله كلها لا سيما
هذه الفعلة قال التوربشتي في قوله ما لقيك الشيطان سالكا تنبيه على
صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض حتى كان بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف الصارم والحسام القاطع ان امضاه
مضى وان كفه كف فلم يكن له على الشيطان سلطان الا من قبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ممنوعا لوازع بين يدي الملك فلهذا كان الشيطان ينحرف
عن الفج الذي سلكه ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة الى
العالمين مامورا بالعفو عن المذنبين معنيا بالصفح عن الجاهلين لم يكن يواجههم

فيما لا يحمد من فعل مكروه او سوء ادب بالمفاظة والغلاظة والزجر البليغ اذ لا يتصور
الصفح والعفو مع تلك الخلال فلهذا انساح هو فيها واستحسن الشعار من الهيبة
من عمر رضي الله عنه قال النووي هذا الحديث محمول على ظاهره ان الشيطان متى
راه سالكا فجا هرب لهيبته من عمر رضي الله عنه وفارق ذلك الفج لشدة باسه
قال القاضي عياض ويحتمل انه ضرب مثلا بالشيطان واغوائه وان عمر رضي الله
عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد وخالف ما يامره به والصحيح
الاول متفق عليه وكذا اخرجه احمد واخرجه النسائي وابو حاتم ولفظهما فلما
سبق سمعن صوت عمر انقمعن اي ذللن وارتدعن فقال عمر يا عدوات انفسهن
الحديث من غير ذكر جواب من وقال الحميدي اي في جامعه بين الصحيحين زاد البرقاني
بفتح الموحدة وقد يكسر منسوب الى برقان قرية من قرى خوارزم بعد قوله يا رسول
الله ما اضحكك انتهى فكانه حذفه بعض الرواة نسيانا او اختصارا لظهوره
او هذا من زيادة بعض الثقات او من ادراج بعض الرواة والمعنى عليه كما اشار
في شرح الحديث اليه وعن جابر قال قال النبي وفي نسخة رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخلت الجنة اي ليلة المعراج او في عالم الكشف او كما له الرؤيا
فاذا انا بالرميصاء بالصاد المهملة تصغير رمصاء وهي امراة في عينها رمص بفتحتين
وهو ما جمد من الوسخ في الموق وهو هنا اسم ام انس ولقبها امراة ابي طلحة بدل
او عطف بيان ويجوز رفعها وكذا نصبها وسمعت خشفة بفتح المعجمتين والفاء
اي حركة وزنا ومعنى وفي نسخة بالسكون اي صوتا ففي المشارق الخشفة
بفتح الخاء وسكون الشين ليس بالتشديد قال ابو عبيد وقال الفراء هو الصوت
الواحد وبتحريك الشين الحركة وفي النهاية الخشفة بالفتح والسكون الحركة وقال
شارح هي صوت قرع النعل وهي في الاصل الحركة انتهى والمراد هنا صوت النعل
الناشي حركة الماشي فقلت من هذا اي المتحرك او صاحب الحركة فقال اي قائل
من جبريل او غيره من الملائكة او خزان الجنة هذا بلال ورايت قصرا بفنائه بكسر
الفاء وتخفيف النون والمد اي ما امتد من جوانبه جارية اي مملوكة او حور فقلت
لمن هذا اي القصر وما فيه وفي حواليه فقالوا وفي نسخة قالوا اي جماعة من اهل
الجنة او سكان القصر لعمر بن الخطاب فاردت ان ادخله اي القصر فانظر اليه اي نظرا
مفصلا او الى باطنه كما رايت ظاهره فذكرت غيرتك اي شدتها وصونها وفي القاموس
يقال غار على امراته وهي عليه تغار غيرة بالفتح فقال عمر بابي انت وامي الباء للتعدية
وانت مبتدا وبابي خبره اي انت مفدي بابي وامي كذلك وفي نسخة بابي وامي اي
انت مفدي بهما والمعنى جعلهما الله فداك يا رسول الله اعليك اي على فعلك او دخولك
اغار متكلم من الغيرة وقيل في الكلام قلب والاصل اعليها اغار منك وزاد عبد العزيز

وهل

وهل رفعني الله الا بك وهل هداني الله الا بك ذكره السيوطي متفق عليه وروى احمد
والترمذي وابن حبان والنسائي عن انس واحمد والحاكم عن جابر واحمد ايضا عن بريدة
وعن معاذ مرفوعا دخلت الجنة فاذا انا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا
لشاب من قريش فظننت اني انا هو فقلت ومن هو قالوا عمر بن الخطاب فلولا ما علمت
من غيرتك لدخلته وروى احمد ومسلم والنسائي عن انس مرفوعا دخلت الجنة فسمعت
خشفة بين يدي فقلت ما هذه الخشفة فقيل الغميصاء بنت ملحان ه
ورواه عبد بن حميد عن انس والطيالسي عن جابر بلفظ دخلت الجنة فسمعت
خشفة فقلت ما هذه قالوا هذا بلال ثم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت
ما هذه قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان قال في الرياض عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلت الجنة رايت قصرا من ذهب ولؤلؤ فقلت لمن
هذا القصر قال لعمر بن الخطاب فما منعني ان ادخله الا علمي بغيرتك فقال عليك اغار
بابي انت وامي عليك اغار اخرجه ابو حاتم واخرجه مسلم ولم يقل من ذهب ولؤلؤ
وعن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة فاذا انا بقصر
من ذهب قالوا لعمر بن الخطاب اخرجه احمد وابو حاتم وعن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بينما انا نائم رايتني في الجنة فاذا انا بامراة تتوضا
الى جانب قصر فقلت لمن هذا فقالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبرا
قال ابو هريرة فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس ثم قال بابي انت وامي يا رسول الله
اعليك اغار اخرجه مسلم والترمذي وابو حاتم وعن بريدة قال لما اصبح رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة ما دخلت الجنة
الا سمعت خشخشتك امامي دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك امامي
فاتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر فقالوا لرجل من قريش
فقلت انا قرشي لمن هذا القصر قالوا لرجل من امة محمد صلى الله عليه وسلم
قال انا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال يا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما اذنت قط الا صليت ركعتين وما اصابني حدث قط الا توضات عندها
ورايت ان لله علي ركعتين قال صلى الله عليه وسلم بهما وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم رايت الناس يعرضون علي وعليهم
قمص بضمتين جمع قميص والجملة حالية منها اي من القمص ما يبلغ الثدي بضم
المثلثة وكسر الدال وتشديد التحتية جمع الثدي وفي نسخة بالفتح والسكون
والتخفيف فهو مفرد اريد به الجنس ومنها ما دون ذلك اي قميص اقصر منه او
اطول منه او اعم منها بناء على ان دون ذلك بمعنى غير ذلك لقوله تعالى وانا منا الصالحون
ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وفي فتح الباري يحتمل ان يريد دونه من جهة السفل

وهو ظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يريد دونه من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد
الأول ما في رواية الحكيم الترمذي من طريق أخرى عن ابن المبارك عن يونس عن
الزهري في هذا الحديث فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه
الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه قلت وفي رواية الطيبي
ومنها ما هو أسفل من ذلك وعرض على عمر بن الخطاب أي فيما بينهم وعليه قميص
أي عظيم يجره أي يسحبه في الأرض لطوله قالوا أي بعض الصحابة من الحاضرين
فما أولت ذلك يا رسول الله أي فما عبرت القميص لعمر قال الدين بالنصب أي أولته
الدين يا رسول الله وفي نسخة بالرفع أي المأول به هو الدين والمعنى بقاء الدين في
أيام خلافته مع طول الزمان امارته وبقاء أثر فتوحاته حال حياته ومماته
أو لأن الدين يشمل الانسان ويحفظه ويقيه المخالفات كوقاية الثوب وشموله
قال النووي القميص الدين وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة
في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به وأما تفسير اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع
بهما وفي أنهما سببا الصلاح فاللبن غذاء الانسان وسبب صلاحه وقوة أبدانهم
والعلم سبب الصلاح وغذاء للأرواح في الدنيا والآخرة متفق عليه ورواه
أحمد وأبو حاتم وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا
أنا نائم أتيت بقدح لبن وفي رواية إذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن فشربت
حتى إني بكسر الهمزة وقد يفتح لأرى الري بكسر الراء وتشديد الياء أي أثر اللبن
من الماء يخرج أي يظهر وفي رواية يجري في أظفاري ثم أعطيت فضلي أي سؤري
الكثير الخالص عمر بن الخطاب فلا ينافي أن سؤره حصل للصديق أيضا فإنه كان
قليلا جدا أو لأن سؤره لعثمان وعلي أيضا وصل فإنه لم يكن هنا حينا قالوا فما أولته
أي اللبن وفي رواية فما أولت ذلك يا رسول الله قال العلم بالنصب وروي
بالرفع على ما قدمناه والمراد بالعلم هو علم الدين والله أعلم قال العلماء بين عالم
الأجسام وعالم الأرواح عالم آخر يقال له عالم المثال وهو نوراني شبيه بالجسماني
والنوم سبب لسير الروح المنور في عالم المثال ورؤية ما فيه من الصور غير
الجسدانية والعلم مصور بصورة اللبن في ذلك العالم لما بينهما أن اللبن أول
غذاء البدن وسبب صلاحه والعلم أول غذاء الروح وسبب صلاحه وقيل التجلي
العلمي لا يقع إلا في أربع صور الماء واللبن والخمر والعسل التي لها أنهار فيها
ذكرت أنهار الجنة فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني ومن شرب اللبن يعطى العلم
بأسرار الشريعة ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق
الوحي وقد قال بعض العارفين إن الأنهار الأربعة عبارة عن الخلفاء الأربعة
وبطائفه تخصيص اللبن بعمر رضي الله عنه في هذا الحديث وأما السر في العلم فقد

اختلف

اختلف فيه فمنهم من قال بوجوده لأن الاستعداد متناه ولا يزيد على ما هو فيقبل فيحصل
الري وظاهر الحديث معهم ومنهم من قال بعدمه لقوله تعالى وقل رب زدني علما فالأمر
بطلب زيادة العلم بلا ذكر النهاية يدل على أنه لا يتناهى ولذا قيل من لم يكن في زيادة
فهو في نقصان وإن التوقف ليس في طور الانسان ويدل لتعليله حديث منهومان لا يشبعان
ومنه ما نقل عن أبي يزيد البسطامي قدس سره السامي أنه قال شربت الحب كأسا بعد
كأس فما نفد الشراب ولا رويت ويمكن الجواب عن دليل الأولين بأن العلم
إذا حصل بقدر الاستعداد الفائض عطاه الله تعالى استعداد العلم آخر فيحصل
له عطش آخر وعن هذا قيل طالب العلم كشارب البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وعن
الحديث بأنه محمول على البداية فقيل بزوال المانية التي تدل على عدم النهاية متفق عليه
وأخرجه أحمد وأبو حاتم والترمذي وصححه ولهذا أبلغ علمه ما روي عن ابن مسعود
أنه قال لو جمع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد
كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم وعن أبي هريرة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب أي بير لم تطو وضدها
المطوية بالحجارة والآجر عليها أي فوقها دلو ودلو معلقة عليها فنزعت أي
جذبت ما فيها منها ما شاء الله أي ما قدره الله وقضاه ثم أخذها أي الدلو ابن أبي
قحافة بضم القاف فنزع منها ذنوبا بفتح الذال المعجمة وهو الدلو وفيها ماء أو
الملأى أو دون الملء كذا في القاموس أو ذنوبين شك من الراوي والصحيح
رواية ذنوبين ذكره ابن الملك والأظهر أن أو بمعنى بل فلا يحتاج الى تغليط الراوي
ولا الى شكه وتردده ويمكن أن يكون المراد بذكرهما إشارة الى قلته مع عدم
النظر عن تحقق عدده وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه جملة دعائية وقعت
اعتراضية مبينة أن الضعف الذي وجد في نزعه لما يقتضيه تغير الزمان
وقلة الأعوان غير راجع إليه بنقيصة ثم استحالت أي انقلبت الدلو التي كانت
ذنوبا غربا بفتح فسكون أي دلوا عظيمة كما في القاموس وزاد ابن الملك التي تتخذ
من جلد ثور فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا بتشديد الياء التحتية أي رجلا قويا
من الناس ينزع بكسر الزاي نزع عمر أي جذبها وهو مفعول مطلق حتى ضرب الناس
بعطن بفتحتين أي حتى أرادوا أبلهم فأبركوها وضربوا لها عطنا وهو مبرك الإبل
حول الماء قال القاضي لعل القليب إشارة الى الدين الذي هو منبع ما به يحيى النفوس
ويتم أمر المعاش ونزع الماء في ذلك إشارة الى أن هذا الأمر ينتهي من الرسول عليه
السلام الى أبي بكر ومنه الى عمر ونزع أبي بكر ذنوبا أو ذنوبين إشارة الى قصر مدته
مدة خلافته وأن الأمر يكون بيده سنة أو اثنين ثم ينتقل الى عمر وكان مدة
خلافته سنتين وثلاثة أشهر وضعفه فيه إشارة الى ما كان في أيامه من

الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة او الى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة
والمداراة مع الناس ويدل على هذا قوله وغفر الله ضعفه وهو اعتراض ذكره
صلى الله عليه وسلم ليعلم ان ذلك موضوع ومغفور عنه غير قادح في منصبه
ومصير الدلو في يده غربا وهو الدلو الكبير الذي يستقى به البعير اشارة الى
ما كان في ايامه من تعظيم الدين واعلاء كلمة الله وتوسع خططه وقوته وجده
في النزع اشارة الى ما اجتهد في اعلاء امر الدين وافشائه في مشارق الارض ومغاربها
احينئذ عالم يتفق لاحد قبله ولا بعده والعبقري القوي وقيل العبقر اسم
واد يزعم العرب ان الجن تسكنه فنسبوا اليه كل من تعجبوا منه امر القوة وغيرها
فكانهم وجدوا ما وجدوا منه خارجا عن وسع الانسان فحسبوا انه جني
من العبقر ثم قالوا لكل شيء نفيس وقال النووي قوله في نزعه ضعف ليس فيه حط
بمنزلته ولا اثبات فضيلة لعمر عليه وانما هو اخبار عن مدة ولايتهما وكثرة
انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع الاسلام وفتح البلاد وحصول الاموال
والغنائم واما قوله والله يغفر له ضعفه فليس فيه تنقيص ولا اشارة الى
ذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم وقد جاء في صحيح مسلم
انها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك وفي قوله فنزعت منها
ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة اشارة الى نيابة ابي بكر وخلافته بعده وراحته
صلى الله عليه وسلم بوفاته من نصب الدنيا ومشاقها وفي قوله ثم اخذها
ابن الخطاب من يد ابي بكر الى قوله وضربوا بعطن اشارة الى ان ابا بكر قمع اهل الردة
وجمع شمل المسلمين وابتداء الفتوح ومهد الامور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت
في زمن عمر رضي الله عنهما وفي رواية ابن عمر قال ثم اخذها ابن الخطاب من يد ابي بكر
فاستحالت في يده غربا فلم ار اي فلم ابصر فلم ار عبقريا يفري فريه بفتح فسكون
وفي نسخة بفتح فكسر فتشديد اي يعمل عمله قال النووي يروى باسكان الراء
وتخفيف الياء وبكسر الراء وتشديد الياء وهما لغتان صحيحتان وانكر الخليل
التشديد وغلطه ومعناه لم ار سيدا يعمل عمله ويقطع قطعه واصل الفري بالاسكان
القطع يقول العرب تركته يفري الفري اذا عمل العمل فاجاد متفق عليه لكن المفهوم
من الرياض ان الرواية الاولى لمسلم وحده وان الرواية الاولى لمسلم وحده وان
الرواية الثانية لهما ولاحمد وزاد بعد قوله يفري فريه حتى روي الناس
وضربوا العطن وفي بعض الطرق رايت اني انزع على حوض فاخذ ابو بكر الدلو من
يدي فنزع ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فاخذ ابن الخطاب فاخذها حتى
تولى الناس والحوض يتفجر اخرجه احمد وللحديث مناسبة لباب مناقب الشيخين
لكن لما كان فيه زيادة مدح لعمر خصه بباب مناقبه **الفصل الثاني** عن

ابن عمر

ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق اي اظهره او وضعه
على لسان عمر وقلبه قال الطيبي ضمن جعل معنى اجرى فعداه بعلى وفيه معنى ظهور
الحق واستعلائه على لسانه وفي وضع الجعل موضع اجرى اشعار بان ذلك كان خلقيا
ثابتا مستقرا رواه الترمذي اي وصححه وكذا رواه احمد وابو داود عن ابي هريرة
وعن ابن عمر مثله وفي رواية بعد قوله وقلبه يقول الحق وان كان مرا وفي رواية
ان الله نزل الحق على قلب عمر ولسانه اخرجه البغوي في الفضائل وفي رواية ابي داود
عن ابي ذر قال ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به اي عمر به اي بالحق او النطق يقول
الحق بسبب ذلك الموضع والجملة استيناف بيان او حال عيان وعن علي رضي الله عنه
اي موقوفا قال ما كنا اي اهل البيت او معشر الصحابة ويؤيده رواية وهم متوافرون
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبعد من الابعاد بمعنى الاستبعاد وقيل معناه
ما كنا نعد بعيدا ان السكينة اي ما به تسكين النفس والميل اليه ويطمئن به القلب
ويميل عليه تنطق اي تجري على لسان عمر اي من قبله وقد قال ابن مسعود ما رايت
عمر قط الا وكان بين عينيه ملكا يسدده قال التوربشتي اي لم نكن نعد انه ينطق بما يستحق
ان تسكن اليه النفوس وتطمئن به القلوب وانه امر غيبي القي على لسانه ويحتمل انه
اراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول وفي النهاية قيل اراد بها السكينة التي
ذكرها الله في كتابه العزيز وقيل في تفسيرها انها حيوان له وجه كوجه الانسان
مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء وقيل هي صورة كالهرة كانت معهم في جيوشهم
فاذا ظهرت انهزم اعداؤهم وقيل هي ما كانوا يسكنون اليه من الايات التي اعطيها
موسى عليه الصلاة والسلام والاشبه بحديث عمر ان يكون من الصورة المذكورة
ذكره الطيبي ولا يخفى بعد ارادة القولين هنا فالاقرب هو القول الاخير الذي
اشار اليه التوربشتي اولا وهو الذي يحمل عليه معنا جميع ما جاء في القران من لفظ
السكينة كقوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وقوله فانزل الله
سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ونحو ذلك رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم الظاهر انه من المراسيل قال اللهم اعز الاسلام
اي قوة ونصرة بابي جهل بن هشام او بعمر بن الخطاب او للتنويع لا للشك ولا يبعد ان
يكون بل للاضراب فاصبح عمر اي في الصباح بعد دعائه صلى الله عليه وسلم قبله فغدا
اي اقبل غاديا ذاهبا في اول نهاره على النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي هو اما
خبر اي غدا مقبلا على النبي او ضمن غدا معنى اقبل ونحوه قوله تعالى وغدوا على حرد
قادرين انتهى فعلى الاول غدا من الافعال الناقصة وعلى الثاني يتعلق على بغدا
فاسلم ثم صلى اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة بصيغة المجهول اي صلى المؤمنون
في المسجد ظاهرا اي عيانا غير خفي او غالبا غير مخوف روى الحاكم ابو عبد الله في دلائل

النبوة عن ابن عباس ان اباجهل قال من قتل محمدا فله علي مائة ناقة والف اوقية من فضة
فقال عمر الضمان صحيح فقال نعم عاجلا غير اجل فخرج عمر فلقيه رجل فقال اين تريد قال اريد
محمدا لاقتله قال فكيف تامن من بني هاشم قال اني لاظنك قد صبوت قال الا اخبرك يا عمر
من هذا ان اختك وختنك قد صبوا مع محمد فتوجه عمر الى منزل اخته وكانت تقرا سورة
طه فوقف يستمع ثم قرع الباب فاخفوها فقال عمر ما هذه الهيمنة فاظهرت الاسلام فبقي عمر
حزينا كئيبا فباتوا كذلك الى ان قامت الاخت وزوجها يقرآن طه ما انزلنا فلما سمع قال ناولني
الكتاب حتى انظر فيه فلما قرا الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال اللهم ان هذا
اهل ان لا يعبد سواه اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فبات ساهرا لعين ينادي
في كل ساعة واشوقاه الى محمد حتى اصبح فدخل عليه خباب بن الارت فقال يا عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بات الليلة ساهرا يناجي الله عز وجل ان يعز الاسلام بك او بابي
جهل وانا ارجو ان تكون دعوته قد سبقت فيك فخرج متقلدا سيفه فلما وصل الى منزل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عمر
اسلم او لينزلن الله بك ما انزل الله بالوليد بن المغيرة فارتعدت فرائص عمر ووقع
السيف من يده فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال اللات والعزى
تعبد على رؤس الجبال وفي بطون الاودية والله يعبد سرا والله لا يعبد الله سرا بعد
يومنا هذا رواه احمد والترمذي وانتهت روايته الى قوله فاسلم ولم يذكر ثم صلى الخ
وقال غريب من هذا الوجه وفي سنده ابو عمرو بن النضر تكلم فيه بعضهم وقيل يروي
المناكير من قبل حفظه انتهى وزيادة ثم صلى الى اخره رواه محيي السنة في شرح السنة
من جملة الحديث في هذا السند ذكره ميرك وقال ابن الربيع في مختصر المقاصد الحسنة
للسخاوي حديث اللهم ايد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابي جهل او بعمر بن الخطاب
رواه الامام احمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا وقال الترمذي حسن
صحيح غريب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم ايد الدين بعمر
ابن الخطاب وفي لفظ اعز الاسلام بعمر قال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم اعز
الاسلام بعمر بن الخطاب وفي لفظ اعز الاسلام بعمر خاصة وقال انه صحيح الاسناد وفيه
عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين
ولم يخرجاه قلت واما ما يدور على الالسنة من قوله اللهم ايد الاسلام باحد العمرين فلا
اعلم له اصلا انتهى كلامه وقال الزركشي حديث اللهم اعز الاسلام الخ رواه الترمذي
وروى الحاكم عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال صحيح على شرط
الشيخين وذكر ابو بكر السراجي عن عكرمة انه سئل عن حديث اللهم ايد الاسلام فقال معاذ
الله دين الاسلام اعز من ذلك ولكنه قال اللهم اعز عمر بالدين او ابا جهل اقول ليس فيما ورد
من الحديث محذور بل هو من قبيل قوله تعالى فعززنا بثالث اي قوينا الرسولين وما لنا

من الدين به او من باب قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم على انه يمكن ان يكون
من نوع القلب في الكلام كما في عرضت الناقة على الحوض ولذا ورد ايضا زينوا اصواتكم
بالقرآن والحاصل انه اصحت الرواية وطابقت الدراية فلا وجه للتخطئة ثم لا شك
في حصول اعزاز الدين به رضي الله عنه اولا من اخفائه الى اعلانه كما في قوله تعالى يا ايها
النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وهو كمال الاربعين ايماء الى ذلك واحرازه
فتوحات البلاد وكثرة ايمان العباد وفيما بينهما من غلظة على المشركين والمنافقين كما في
قوله تعالى اشداء على الكفار اشعارا اليه بل وما تم امر خلافة الصديق وجهاده مع المرتدين
الا بمعونته وما فتح باب النزاع والمخالفة الباعثة على المقاتلة فيما بين المسلمين
الا بعد موته وبعد غيبته ولعله صلى الله عليه وسلم اشار بذلك في قوله ولو كان
بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وقال داود بن الحصين والزهري لما اسلم عمر نزل
جبريل فقال يا محمد استبشر اهل السماء باسلام عمر وهو مروي عن ابن عباس على ما رواه
ابو حاتم والدارقطني وقال المؤلف هو عدوي قرشي يكنى ابا حفصة اسلم سنة ست
من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا واحدى عشرة امراة ويقال به تمت
الاربعون قال ابن عباس سالت عمر بن الخطاب لاي شيء سميت الفاروق فقال اسلم حمزة
قبلي بثلاثة ايام ثم شرح الله صدري للاسلام فقلت الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى
فما في الارض نسمة احب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اين رسول
الله قالت اختي هو في دار الارقم بن ابي الارقم عند الصفا فاتيت الدار فاذا
حمزة في اصحابه جلوس في الدار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت
الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر بن الخطاب قال فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة فما تمالكت ان وقعت على ركبتي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انت بمنته يا عمر فقلت اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد
فقلت يا رسول الله السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده
انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن
فاخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين حمزة في احدهما وانا في الاخر ولي كديد ككديد
الطحين حتى دخلنا المسجد فنظرت الي قريش والى حمزة فاصابتهم كابة لم تصبهم
مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق
والباطل انتهى وذكر اهل التفسير عن ابن عباس ايضا ان منافقا خاصم يهوديا
فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم
الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه

وخاصم اليك لتحاكم عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ
سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله ورسوله فنزلت الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كنت اظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فانزل الله تعالى الاية فهدر دم ذلك الرجل
وبرئ عمر عن قتله ظلما وقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق وقد قال السيوطي ورد ايضا بلفظ ابن عمر من حديث عمر نفسه اخرجه البيهقي
ومن حديث ابن مسعود اخرجه الحاكم ومن حديث ربيعة السعدي اخرجه البغوي
في معجمه ومن حديث ابن عباس وخباب اخرجهما ابن عساكر في تاريخه ومن حديث
عثمان بن الارقم ومرسل سعيد بن المسيب ومراسيل الزهري اخرجها ابن سعد
في الطبقات وورد بلفظ ما بينته من حديث ابن عباس رواه الحاكم ومن حديث
ابن عمر وخرجه ابن سعد ومن حديث ابي بكر الصديق اخرجه الطبراني في الاوسط
ومن حديث ابن مسعود اخرجه ابن عساكر ومن حديث ثوبان اخرجه الطبراني ومن
مرسل الحسن اخرجه ابن سعد وقال ابن عساكر في الجمع بين اللفظين انه دعا
بالاول اولا فلما اوحي اليه ان ابا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه فاجيب فيه
وقد استشهر هذا الحديث على الالسنة بلفظ باحب العمرين ولا اصل له
من طرق الحديث بعد التفحص البالغ انتهى كلام السيوطي رحمه الله وعن جابر
قال قال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر
اما للتنبيه انك ان قلت ذلك اي اذا قلت ذلك الكلام وعظمتني من بين
الانام فاجازيك بمثل هذا المرام من التبشير في هذا المقام فلقد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر وهو اما محمول على
ايام خلافته او مقيد ببعد ابي بكر والمراد في باب العدالة او في طريق السياسة
ونحو ذلك جمعا بين الالفاظ الواردة في السنة قال الطيبي جواب قسم محذوف
وقع جوابا للشرط على سبيل الاخبار كانه انكر عليه قوله يا خير الناس بعد رسول الله
بقوله ما طلعت الشمس الى اخره ونحوه في الاخبار والانكار قوله تعالى فما بكم من نعمة
فمن الله انتهى والتحقيق ما قدمناه مع ان معنى الاية وهو الاخبار عن كون
النعمة من الله على طريق الاختصار وان كان يتضمن الانكار ان يكون نعمة من الاغيار
لا سيما في نظر الابرار ومشاهدة الاخيار كما قيل ليس في الدار غيره ديار رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب قيل نقل في الميزان عن اهل الحديث تضعيفه
واقول يقويه ما في الجامع من ان قوله ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه
الترمذي والحاكم في مستدركه عن ابي بكر مرفوعا وقد اخرج البغوي في الفضائل

عن

عن ثابت بن الحجاج فقال خطب عمر ابنة ابي سفيان فابوا ان يزوجوه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة خير من عمر ولا شك ان المراد بعده صلى
الله عليه وسلم وبعد ابي بكر لما تقدم والله اعلم وعن عقبة بن عامر قال قال النبي
وفي نسخة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب بزيادة حسن في نسخة من الترمذي وقد نقله
ابن الجوزي ايضا عنه ورواه ايضا احمد في مسنده والحاكم في صحيحه والطبراني عن
عصمة بن مالك وفي بعض طرق هذا الحديث لو لم ابعث لبعثت يا عمر وعن بريدة
بالتصغير قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه اي ازمنة غزواته
فلما انصرف جاءته اي النبي عليه السلام وفي نسخة جاءت جارية سوداء فقالت
يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا اي منصورا وفي رواية سالما ان
اضرب بين يديك اي قدامك وفي حضورك بالدف بضم الدال وتشديد الدال
وهو افصح واشهر وروي الفتح ايضا وما يطبل به والمراد به الدف الذي كان في زمن
المتقدمين واما ما فيه الجلاجل فينبغي ان يكون مكروها اتفاقا وفيه دليل على
ان الوفاء بالنذر الذي فيه قربة واجب والسرور بمقدمه صلى الله عليه وسلم قربة
سيما من الغزو الذي فيه تهلك الانفس وعلى ان الضرب بالدف مباح وفي قولها واتغنى
دليل على ان اسماع صوت المرأة بالغناء مباح اذا خلا عن الفتنة فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي والا فلا فيه دلالة ظاهرة على
ان ضرب الدف لا يجوز الا بالنذر ونحوه فيما ورد فيه الاذن من الشارع كضربه في اعلان
النكاح فما استعمله بعض مشايخ اليمن من ضرب الدف حال الذكر فمن اقبح القبيح
والله ولي دينه وناصر نبيه فجعلت تضرب فدخل ابو بكر وهي تضرب جملة حالية ثم
دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فالقت الدف تحت استها
بهمز وصل مكسور وسكون سين اي اليتها بان رفعتها ووضعته تحتها ثم قعدت
عليها اي على استها لستره عن عمر هيبة وفي رواية ثم قعدت عليه اي على الدف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخاف منك يا عمر يريد به تلك
المرأة السوداء لانها شيطان الانس وتفعل فعل الشيطان او المراد شيطانها الذي
يحملها على ذلك فعلها المكروه وهو زيادة الضرب التي هي من جنس اللهو على ما حصل
به اظهار الفرح اني كنت جالسا وهي تضرب قال فدخل ابو بكر وهي
تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت انت يا عمر القت
الدف اي تحت استها ثم قعدت عليها قال التوربشتي وانما مكنها صلى الله عليه وسلم
من ضرب الدف بين يديه لانها نذرت فدل نذرها على انها عدت انصرافه على حال السلامة
نعمة من نعم الله عليها فانقلب الامر فيه من صنعة اللهو الى صنعة الحق ومن المكروه

الى المستحب ثم انه لم يكن يكره من ذلك ما يقع به الوفا بالنذر وقد حصل ذلك بادنى ضرب ثم
عاد الامر فى الزيادة الى احد المكروه ولم يران يمنعها لانه لو منعها صلى الله عليه وسلم
كان يرجع الى احد التحريم فلهذا اسكت عنها وحمد انتهاءها عما كانت فيه بمجي عمر انتهى وفيه
انه كان يمكن ان يمنعها منعا لا ترجع الى حد التحريم قال الطيبي فان قلت كيف قدر
امساكها عن ضرب الدف هاهنا بمجي عمر ووصفه بقوله الشيطان ليخاف منك يا عمر
ولم يقرر انهاء ابى بكر رضى الله عنه الجاريتين كانتا تدففان ايام منى فقلت
منع ابو بكر بقوله دعهما وعلله بقوله فانها ايام عيد وقرر ذلك هاهنا فدل ذلك
على ان الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالته تقتضي الاستمرار ومن حالته
لا يقتضيه اقول ويمكن ان يقال منع الصديق لهما عن فعلهما بحضور الحضرة
النبوية لا يخلو انه من قصور اداب البشرية فلذا ما قرر له ذلك وبين له
سبب استمرار فعلهما هنالك واما هنا فلو تقرر عمر واقرها على حالها بحضرة سماع
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لم يكن يمنعها كما هو مقتضى حسن ادابه لكن
لما جعل الله ما تاه سببا لانتهائها عن فعلها المكروه بحسب اصله ولو صار مندوبا
بموجب نذره استحسنه صلى الله عليه وسلم وقرر امتناعها وقد يمنعه بالقوة
الالهية الغالبة على الارادة الشيطانية وفيه ان صلى الله عليه وسلم
علم انتهائها عما كانت فيه بمجي عمر فسكت ليظهر بذلك فضل عمر ويقول ما قال
انتهى ولا يخفى ان هذه العلة يدخوله فان الزيادة تبقى معلوله نعم لا يبعد
ان يكون انتهى مدة ضرب الدف على طريق العرف بابتداء مجي عمر فى مجلس الحضرة النبوية
واظن ان هذا الظهر واولى مما تقدم والله اعلم ثم ظهر لى وجه وهو ان يقال لانه
رضى الله عنه كان يجتنب ما صورته يشبه باطلا وان كان فى نفس وجه حق ويؤيده
ما روى عن الاسود بن سريع قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله انى قد حمدت الله بمحامد فقال عليه السلام ان ربك تعالى يحب المدحة هات
ما امتدحت به ربك قال فجعلت انشده فجاء رجل يستاذن فقال فاستنصتني له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف لنا ابو سلمة كيف استنصته قال كما يصنع
بالهر فتكلم ساعة ثم خرج ثم اخذت انشده ايضا ثم رجع بعد فاستنصتني فقلت
يا رسول الله من ذا الذي تستنصتني له فقال هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر
ابن الخطاب اخرجه احمد واطلق على هذا باطلا وهو متضمن حقا لانه حمد ومدح الله
الا انه من جنس الباطل اذ الشعر كله جنس واحد ومن هذا القبيل ما روى عن
عائشة انها قالت اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له فقلت
لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلى فابت فقلت لتاكلن او
لالطخن وجهك فابت فوضعت يدى فى الحريرة وطليت بها وجهها فضحك النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخى وجهها فلطخت وجهي فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ايضا فمر عمر فنادى يا عبد الله فظن ان النبي صلى
الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة فما زلت
اهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه رواه ابن غيلان من حديث
الهاشمي وخرجه الملا فى سيرته رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح
غريب وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا
لغطا بفتح لام وغين معجمة اى صوتا شديدا لا يفهم وصوت صبيان فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن اى جارية او امراة
منسوبة الى الحبش تزفن بكسر وسكون الزاى وكسر الفاء وبضم اى ترقص
والصبيان حولها اى ينظرون اليها ويتفرجون عليها فقال يا عائشة تعالى بفتح
اللام اى تقدمي فانظرى وهو امر مخاطبة من التعالى واصله ان يقوله من كان
فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم كذا ذكره البيضاوي وفى قوله
تعالى قل تعالوا بضم اللام تعالوا فان الاصل فيه تعاليوا فنقل ضمة الياء
الى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وعلى
هذا يجوز كسر اللام فى تعالى كما هو المشهور على السنة اهل زماننا خصوصا
اهل الحرمين الشريفين واما اعلال فتح اللام فى الجمع والمخاطبة فبنا على النقل
والحذف فجئت فوضعت لحيي بالاضافة الى ياء المتكلم تثنية لحى بالفتح وسكون
الحاء المهملة منبت الاسنان على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجمع
راس الكتف والعضد فجعلت اى شرعت انظر اليها اى الى الحبشية ما بين المنكبين
ظرف لانظر حذف منه فى اى فيما بين المنكب الى راسه فقال لى اى بعد ساعة او فكان
يقول لى اما شبعت اما شبعت اى مكررا فجعلت اقول لا اى لا لا الا لعدم الشبع حرصا
على النظر اليها بل كان قصدى من قولى لا لا انظر منزلتى اى نهاية مرتبتى دعاية حبى
عنده اذ اطلع عمر اى ظهر فارفض الناس عنها بتشديد الضاد المعجمة اى تفرق
النظارة الذين كانوا حول الحبشية الرافضة عنها لمهابة عمر والخوف عن انكاره
عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لانظر الى شياطين الجن والانس وفى
رواية شياطين الانس والجن قد فروا من عمر قالت اى عائشة فرجعت اى من عند
النبي صلى الله عليه وسلم الى بيتي وفيه دليل على عظمة خلقه عليه السلام وغلبة
صفة الجمال عليه كما يدل عليه غلبة نعت الجلال على عمر رضى الله عنه رواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واخرجه ابن السمان فى الموافقة عن
عائشة قالت دخلت امراة من الانصار الى فقالت انى اعطيت الله عهدا اذا رايت
النبي صلى الله عليه وسلم لا نقرن على راسى بالدف قالت عائشة فاخبرت النبي صلى

الله عليه وسلم بذلك فقال قولي لها فالتف بما حلفت فقامت بالدف على رأس النبي
صلى الله عليه وسلم فلتضرب بالدف فضربت ثم دخل فلما استفتح عمر فسقط الدف من يدها
واسرعت الى صدرها عائشة فقالت لها عائشة مالك قالت سمعت عمر فهبته
فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفر من حس عمر **الفصل الثالث**
عن انس وابن عمر رضي الله عنهم قال وافقت ربي قال الطيبي ما احسن هذه العبارة
وما الطفها حيث روعي فيها الادب الحسن ولم يقل وافقني ربي مع ان الايات
انما نزلت موافقة لرأيه واجتهاده اقول ولعله رضي الله عنه اشار بقوله
هذا ان فعاله حادث لاحق وقضاء ربه قديم سابق في ثلاث لكن في الرياض
عن انس قال قال عمر رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث الحديث اخرجه الشيخان
وابو حاتم الحافظ العسقلاني ليس في تخصيص الثلاث ما ينفي الزيادة لانه
حصلت له الموافقة في اشياء من مشهورها قصة اسارى بدر وقصة الصلاة
على المنافقين وهما في الصحيح واكثرها وقفنا منها بالتعيين خمسة عشر قال
صاحب الرياض منها ستة لفظيات واربع معنويات واثنان في التوراة
فان اردت تفصيلها فراجعها قلت يا رسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى
اي لكان حسنا او للتمني والمراد ان يجعل مصلى لصلوة الطواف بان يكون فيما
حوله افضل فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى بكسر الخاء على ان الامر للاستحباب
وقيل للايجاب وفي نسخة بفتح الخاء وهي قراءة المدني والشامي من السبعة قال
القاضي اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون
اليها انتهى والاظهر انه خبر معناه الامر وهو ابلغ في الحكم المقرر فكانه امر به
فامتثل فاخبر والمراد بمقام ابراهيم الحجر الذي اثر قدمه والموضع الذي كان فيه
حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت ولا منع من الجمع وضعه اليوم
روي انه عليه السلام اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم
عليه السلام فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى
نزلت والمراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه
عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
قاله البيضاوي وللشافعي في وجوب الركعتين قولان انتهى وهما واجبتان
عقب كل طواف عندنا وقلت يدخل على نسائك البر بفتح الموحدة اي البار وهو
الصالح والفاجر اي الفاسق فلو امرتهن ان يحتجبن اي عن الاجانب مطلقا فنزلت
اية الحجاب وهي قوله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقد
اخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت اكل مع النبي صلى الله عليه
وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فاكل فاصاب يده اصبعي فقال حس او

لو اطاع فيكن ما رأتكن عين فنزلت اية الحجاب وقوله حس بكسر السين والتشديد كلمة
يقولها الانسان اذا اصابه ما احرقه كالجمرة والضربة ونحوهما واجتمع نساء النبي
صلى الله عليه وسلم في الغيرة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء وكان اذا انصرف من العصر دخل
على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها
اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها
عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله
لنحتالن له الحديث فنزل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فقلت عسى ربه
ان طلقكن ان يبدله بالتشديد والتخفيف اي يعطيه بدلا عنكن ازواجا خيرا
منكن فنزلت كذلك وفي رواية لابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث
في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي اسارى بدر ولم يذكر تفصيل باقي الحديث متفق
عليه لكن الرواية الثانية منسوبة الى مسلم على ما في الرياض واخرج
الواحدي في اسباب النزول وابو الفرج عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت
ربي في اربع قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل
الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على
نسائك حجابا فانه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله تعالى واذا سألتموهن
متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم
لتنتهين او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن ونزل قوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشأناه خلقا اخر فقلت تبارك الله احسن
الخالقين فنزلت وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لقد زيد في القران يا عمر فنزل
جبريل بها وقال انها تمام الاية اخرجها السخاوي في تفسيره وقد روي مثل ذلك
عن عبد الله بن ابي سرح كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما املى كذلك قال
ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فارتد وقد روي انه راجع الاسلام واستعمله
عمر وعن ابن مسعود اي موقوفا قال فضل الناس بضم فاء وتشديد ضاد معجمة
ونصب الناس على انه مفعول ثان مقدم على نائب الفاعل وهو قوله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اي فضله الله عليهم لاختصاصه باربع اي من الخصال بذكر الاسارى
اي بذكره اياهم او بذكرهم عنده يوم بدر امر بقتلهم اسنينا او وقال فانزل الله تعالى
لولا كتاب اي مكتوب او حكم من الله سبق اي اثباته في اللوح او في العلم بانه
لا يعاقب المخطي في اجتهاده او اهل بدر مغفور لهم لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم
اي من الفداء عوضا عن الاعداء عذاب عظيم اي في الدنيا قبل الاخرى وكان اخذهم
الفدية يوم بدر من الكفار خطاء في الاجتهاد مبنيا على ان اخذ المال منهم

انتسب ليتقوي المؤمنون به ولعلهم يؤمنون به بعد ذلك وذهب اليه ابو بكر
ومن تبعه من ارباب الجمال او بل يبتغي قتلهم فانهم ائمة الكفر ورؤسائهم
وهو قول عمر ومن وافقه من اصحاب الجلال ولما كان صلي الله عليه وسلم من
كماله مايلا الي الجمال اختار قول الصديق في الحال وكان مطابقا لما في ازل الازال من رحمة
المال او تفضيله علي ما في الرياض عن ابن عباس عن عمر قال لما كان يوم بدر قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ترون في هولاء الاساري فقال ابو بكر يا رسول
الله بنو العم وبنو العشيرة والاخوان غير انا ناخذ منهم الفداء فيكون لنا قوة
علي المشركين وعسي الله ان يهديهم الي الاسلام ويكونون لنا عضدا قال فما تري
يا ابن الخطاب قلت يا رسول الله ما اري الذي راي ابو بكر ولكن هولاء ائمة الكفر
وصناديدهم فتقربهم وتضرب اعناقهم قال فهوي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما قاله ابو بكر يوما قلت واخذ منهم الفداء فلما اصبحت غدوت علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر قاعدان يبكيان قلت يا نبي الله من اي شي
تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال لقد عرض
علي عذابكم ادني من الشجرة وشجرة قريبة حينئذ فانزل الله تعالي ما كان لنبي
ان تكون له اسري حتي يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة
اخرجه مسلم وعند البخاري معناه وفي رواية لاحمد فانزل الله لولا كتاب من
الله سبق لمسكم الاية وفي طريق ان النبي صلي الله عليه وسلم لقي عمر فقال لقد كان
يصيبنا بلاء اخرجه الواحدي مسندا في اسباب النزول وفي بعضها لقد كاد يصيبنا
بخلافك شر يا ابن الخطاب وفي رواية لو نزل من السماء نار لما نجا منها الا عمر وفي هذه
الاحاديث دليل علي انه صلي الله عليه وسلم كان يحكم باجتهاده ويذكره الحجاب والظهر
لعمر امر نساء النبي صلي الله عليه وسلم ان يحتجبن فقالت له زينب اي بنت جحش وهي
بنت عمة النبي صلي الله عليه وسلم واحدي امهات المومنين وانك علينا اي تحكم
او تغار يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا حجلة خالية فانزل الله تعالي واذا سالتموهن
متاعا فاسالوهن بالهمز ونقله اي لطلبوهن اي حال كونهن من وراء حجاب اي ستارة
وبدعوة النبي وباجابة دعائه صلي الله عليه وسلم في حقه بقوله اللهم ايد الاسلام
اي اعزه بعمر وبرايه في ابي بكر رضي الله عنه اي وباجتهاده في شان ابي بكر حال خلافته
كان اول ناس وفي نسخة صحيحة اول الناس بايعه اي ابا بكر ثم غيره تابعه رواه احمد
وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ذاك الرجل ارفع امتي درجة
في الجنة قال ابو سعيد والله ما كنا نري بفتح النون وفتح الراء اي ما كنا نظن
ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتي مضي لسبيله اي مات عمر وفيه دفع توهم انه وقع
له تغيير في اخره عمره رواه ابن ماجة قال الطيبي فان قلت فيلزم من هذا انه افضل من

ابي بكر قلت قوله صلي الله عليه وسلم ذاك الرجل اشارة الي مبهم والقصد فيه ان
يجتهد ويتحري كل واحد من امته ان ينال تلك الدرجة وانما ينال بتوخي العمل
وتحري الاصوب من الاخلاق الفاضلة والاجتهاد في الدين والمواظبة علي المبرات
ولم يشاهد هذه الخلال في احد كما شوهد منه رضي الله عنه من اولها الي
منتهاه وبه ظن الصحابة انه هو المشار اليه هو لا غيره وكونه اخفاها كليلة القدر
في الليالي فلا يلزم من هذا ان يكون هو افضل من ابي بكر وايضا يجوز ان يحمل علي
الخصوص ويؤيد التقرير الاول الحديث الذي يتلوه انتهي وحاصل كلامه ان يكون
المراد بذلك الرجل امر مظنون فيه عند بعضهم فلا يدل علي انه افضل من ابي بكر
عند الجمهور كما تقرر عليه الاعتقاد وحصل به الاعتماد ومع انه قد يقال
المراد به افضل اهل زمانه حالا خلافته فيرتفع الاشكال من اصله لكن فيه ان
المسالة لا تليق بذلك لتعيينهما بل هو سيتبين في الحالة كما هو مصرح في سياق حديث ابن
ماجة من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ابي امامة الباهلي قال خطبنا رسول
الله صلي الله عليه وسلم فكان اكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه
وكان من قوله انه قال انه لم تكن فتنة في الارض منذ ذرا الله من فتنة الدجال
وذكر الحديث الي ان قال وان من فتنته ان يسلط علي نفس واحدة فيقتلها وينشرها
بالمنشار حتي يلقي شقين ثم يقول انظروا الي عبدي هذا فاني ابعثه الان
ثم يزعم ان له ربا غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول
ربي الله وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت اشد بصيرة بك مني اليوم
قال ابو الحسن الطنافسي حدثنا المحاربي حدثنا عن عبيد الله ابن الوليد
الوصافي عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ذاك
الرجل ارفع امتي درجة في الجنة قال ابو سعيد والله ما كنا نري ذلك الرجل
الا عمر بن الخطاب حتي مضي لسبيله انتهي سياق ابن ماجة فانظر وتامل سياق
اصل الحديث واختصاره حتي لم يفهم المقصود من الحديث ذكره ميرك وعلي
هذا قوله والله ما كنا الخ معناه انا كنا نظن ان ذلك الرجل الذي يقتل علي
يد الدجال هو عمر حتي مات فتبين انه غيره لكن يشكل ان فضيلة ذلك الرجل
ويدفع بان معناه في زمانه وقد تقدم عن الجزري في باب العلامات بين
يدي الساعة ان ذلك الرجل المقتول علي يد الدجال هو الخضر عليه السلام فلا
اشكال بناء علي انه نبي كما هو اصح الاقوال والله اعلم بالحال وعن اسلم هو مولي
عمر بن الخطاب كنيته ابو خالد كان حبشيا وقيل من سبي اليمن اشتراه عمر بمكة
سنة احدي عشرة سمع عمر وغيره بعثه ابو بكر ليقيم الحج بالناس روي عنه زيد
ابن اسلم وغيره مات في ولاية مروان وله مائة واربع عشرة سنة قال سالني

ابن عمر بعض شانه وفي بعض النسخ عن بعض شانه يعني اي يريد بالضمير عمر
ولعل المراد بعض شانه المختفي على الناس من عباداته الكائنة بينه وبين
الله على طريق الاخلاص فاخبرته فقال ما رايت احدا قط بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الطيبي يحتمل وجهين اي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم او بعد رسول الله في هذه الخلال وتخصيصه بقوله من حين قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الاول لان المراد بيان ابتداء استمراره
على تلك الحالة وثباته عليها حتى مضى لسبيله انتهى وضبط حين بالفتح وفي
نسخة بالحركات اي ذلك الاحد احد اي اجهد في الدين واجود اي احسن في طلب
اليقين حتى انتهى اي الى اخر عمره من عمر ثم لم يقع فيه احد واجود ذكره الطيبي وقال
السيوطي اي في زمن خلافته لتخرج ابو بكر رواه البخاري وعن المسور بكسر فسكون
ففتح ابن مخرمة بفتح فسكون خاء معجمة ففتح راء وهو ابن اخت عبد الرحمن بن عوف
ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به الى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان وقبض
النبي صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين وسمع منه وحفظ عنه وكان فقيها من اهل
الفضل والدين وتقدمت بقية ترجمته قال لما طعن عمر بصيغة المجهول اي طعنه
ابو لؤلؤة غلام مغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة
سنة ثلاث وعشرين جعل اي طفق عمر يالم اي يظهر اثر الم بالانين ونحوه فقال
له ابن عباس وكانه اي ابن عباس يجزعه بتشديد الزاي اي ينسبه الى الجزع
ويلومه عليه ويقول له ما يسليه مما يزيل عنه الجزع نحو قوله تعالى فزع عن
قلوبهم اي ازيل عنهم الفزع والجملة معترضة بين القائل ومقوله يا امير
المومنين ولا كل ذلك بالرفع وفي نسخة بالنصب والمعنى لا تبالغ فيما انت فيه
من الجزع قال ميرك وفي نسخة ويمن كان ذلك كذا وقع عند اكثر رواة البخاري ه
والذي في الاصل رواية الكشميهني وبعضهم ولا كان ذلك وكان دعاء اي لا يكون
مخافة او لا يكون الموت بتلك الطعنة لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض اي بقوله لو كان بعدي نبي لكان عمر
ثم صحبت ابا بكر فاحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض اي حيث جعلك
امير المومنين ثم صحبت المسلمين اي ايام خلافتك فاحسنت صحبتهم اي باظهار
العدالة واتقان السياسة ولئن فارقتهم اي في هذه القضية لتفارقنهم
نسخة لتفارقنهم وهم عنك راضون اي وهذا كله يدل على ان الله عنك راض وانت
راض عنه فانت مبشر بقوله تعالى يا ايتها النفس ارجعي الى ربك راضية مرضية
والموت تحفة المومن حيث يكون سببا للقاء المولى في المقام الاعلى قال اي عمر
اما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فانما ذلك من بفتح ميم

وتشديد

وتشديد نون اي منة عظيمة من الله من به علي اي تفضل علي به من كسب لكذبة
ولا انكر كرمه بل اشكره واحمده واما ما ذكرت من صحبة ابي بكر ورضاه فانما ذلك من
من الله به علي اي حيث وفقني على تقديمه ومساعدته في تقويمه ولعل
اعراضه عن رضى الناس للاشعار بانه لا اعتبار لهم وانما المدار على رضى الله
وكما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولانه يمكن رضاهم ايضا من اثر رضى
الله ورسوله ومن جملة ما من الله به عليه وهداه الله اليه واما ما ترى من
جزعي اي جزعي المتوهم انه من اجل نفسي فهو من اجلك اصحابك عطف باعادة
الجار اي من جهة الذي اخاف عليكم من وقوع الفتن بينكم لما كان كالباب ليسد
الفتن ومع هذا كله اخاف ايضا على نفسي ولا امن من عذاب ربي لانه والله لو ان
لي طلاع الارض بكسر اوله اي ما يملاها ذهبا حتى يطلع ويسيل لافتديت به
من عذاب الله قبل ان اراه اي الله او عذابه وانما قال ذلك لغلبة الخوف الذي
وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير فيما يجب من حقوق الله او من المشقة
بمدحهم كذا في فتح الباري وقال الطيبي كانه رضي الله عنه رجح جانب الخوف
على الرجاء لما اشعر من فتن تقع بعده في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجزع حزنا عليهم وترحما لهم ومن استغناء الله عن العالمين كما قال عيسى عليه
السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وكان جانب الخوف عليه غالبا فاستمر على ذلك هضما
لنفسه او انه زاد لذلك بسبب ما حصل له من الفضيلة الجمة الله تعالى وافضا
وفي الاستيعاب ان عمر رضي الله تعالى عنه حين احتضر قال وراسه في حجر ابنه
عبد الله ظلوم لنفسي غير اني مسلم اصلي صلاة بي كلها واصوم قال المولف ودفن
يوم الاحد غرة محرم سنة اربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو اصح ما قيل
في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب وروى عنه ابو بكر
وباقي العشرة وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان عليهم اجمعين رواه البخاري
وفي الرياض من جملة كراماته ومكاشفاته ما روي عن عمرو بن الحارث قال بينما عمر يخطب
يوم الجمعة اذ ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل مرتين او ثلاثا ثم اقبل على خطبته
فقال ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لمجنون ترك خطبته ونادى
يا سارية الجبل فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال يا امير
المومنين تجعل للناس عليك مقالا بينما انت في خطبتك اذ ناديت يا سارية الجبل
اي شيء هذا فقال والله ما ملكت ذلك حين رايت سارية واصحابه يقاتلون
عند جبل يوتون منه من بين ايديهم ومن خلفهم فلم املك ان قلت يا سارية
الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض ايام حتى جاء رسول سارية بكتابه بان القوم لقونا يوم
الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح الى ان حضرت الجمعة ودار حاجب الشمس فسمعنا

صوت منادي ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى ويروي ان مصر لما فتحت اتى اهلها عمرو بن العاص وقالوا له ان هذا النيل يحتاج في كل سنة الى جارية بكر من احسن الجواري فتلقى فيه والا فلا يجري ويخرب البلاد ويقحط فبعث عمرو الى امير المؤمنين عمر يخبره بالخبر فبعث اليه عمر الاسلام يجب ما قبله ثم بعث اليه بطاقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الى نيل مصر من عبد الله عمر بن الخطاب اما بعد فان كنت تجري بامر الله فاجر على اسم الله وامره ان يلقيها في النيل فجرى في تلك الليلة ستة عشر ذراعا فزاد على كل سنة ستة اذرع وفي رواية فلما القي كتابه جرى ولم يعد يقف خرجها الملا في سيرته قلت الاول اخرجه البيهقي وابو نعيم واللالكائي وابن الاعرابي والخطيب وابن مردويه عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن والثاني اخرجه ابو الشيخ في العظمة بسنده الى قيس ابن الحجاج عن جدته ولما دخل ابو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الاسود ابن قيس الذي ادعى النبوة في اليمن عرض عليه ان يشهد انه رسول الله فابى فقال اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فامر بتاجيج نار عظيمة والقي فيها ابو مسلم فلم تضره فامر بنفيه من بلاده فقدم المدينة فلما دخل من باب المسجد قال عمر هذا صاحبكم الذي زعم الاسود الكذاب انه يحرقه فنجاه الله منها ولم يكن القوم ولا عمر سمعوا قصته ولا راوه ثم قام اليه واعتنقه وقال الست عبد الله بن ايوب قال بلى فبكى عمر ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني في امة محمد صلى الله عليه وسلم شبيها بابراهيم الخليل عليه السلام وروي انه عس ليلة من الليالي فاتى على امراة وهو تقول لابنتها قومي وامزجي اللبن فقالت لا افعلين فان امير المؤمنين نهى عن ذلك قالت ومن ابن يدري فقالت فانه لم يعلم هو فان رب امير المؤمنين يدري ذلك فلما اصبح عمر قال لابنه عاصم اذهب الى مكان كذا وكذا فان هناك صبية فان لم تكن مشغولة فتزوج بها لعل الله ان يرزقك منها نسمة مباركة فتزوج عاصم تلك البنية فولدت له ام عاصم بنت عاصم بن عمر فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر ابن عبد العزيز خرجها في الفضائل وروي عن عمر انه ابصر اعرابيا نازلا من جبل فقال هذا رجل مصاب بولده قد نظر فيه سبعة ابيات لو شاء لاسمعكم ثم قال يا اعرابي من اين اقبلت فقال من اعلى هذا الجبل قال وما صنعت فيه قال اودعته وديعة لي قال وما وديعتك قال بني لي هلك فدفنته فيه قال فاسمعنا من مرثيتك فيه قال وما يدريك يا امير المؤمنين فوالله ما تفوهت بذلك وانما حدثت نفسي ثم انشد

يا غائبا ما يؤوب من سفره ٭ عاجله موته على صغره

يا قرة العين كنت لي انسا ٭ في طول ليلي نعم وفي قصره

ما يقع

ما يقع العين حيث ما وقعت ٭ في الحي من الاعلى اثره

شربت كاسا ابوك شاربه ٭ لابد منه له على كبره

يشربها والانام كلهم ٭ من كان في بدوه وفي حضره

فالحمد لله لا شريك له ٭ في حكمه كان ذا وفي قدره

قدر موتا على العباد ٭ فما يقدر خلق يزيد في عمره

قال فبكى عمر حتى بل لحيته ثم قال صدقت يا اعرابي ومن كثرة اتباعه للسنة ما رواه احمد عن عبد الله بن عباس قال كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه ثم رجع عمر وطرح ثيابه يوم الجمعة ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فاتاه العباس وقال والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس وانا اعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في موضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعله ذلك العباس اخرجه احمد وهذه الاستقامة خير من الف كرامة ومن ذلك ان نفقته في حجته كانت ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول اسرفنا في هذا المال ولم يستظل الا تحت كساء او نطع ملقى على شجرة

باب مناقب ابي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الاول عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة اي يدفعها من ورائها اذ اعيي بفتح الهمزة وفي نسخة صحيحة اذ عيي بفتح العين وكسر الياء الاولى اي تعب الرجل من المشي فركبها فقالت اني اي جنس البقر لم نخلق لهذا اي للركوب انما خلقنا لحراثة الارض بفتح الهاء اثارتها لزراعتها وفيه دلالة على ان ركوب البقرة والحمل عليها غير مرضي كما ذكره ابن الملك فالحصر اضافي لنا كيد ما قبله وقال ابن حجر استدل به لا يستعمل الا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ويحتمل ان يكون ذلك اشارة الى تعظيم ما خلقت ولم يرد الحصر في ذلك لانه غير مراد اتفاقا لانها من جملة ما خلقت ان تذبح وتوكل بالاتفاق قلت لا شك ان الحديث يفيد نفي جواز ركوب البقر لا سيما وقد قرره صلى الله عليه وسلم لنا وليس الكلام في ذبحها واكلها لانهما معلومان من الدين بالضرورة فهما مستثنيان شرعا وعرفا فقال الناس اي الحاضرون سبحان الله اي تعجبا تكلم بضم الميم مضارع حذف منه احدى التائين اي البقرة تتكلم والحال انها من الحيوان الصامتة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اومن به جزاء شرط محذوف اي فان كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فاني لا استغربه واؤمن به انا وابو بكر وعمر قال شارح عطف على المستكن في اومن وانا تاكيد له وقال الطيبي فان قلت ما فائدة ذكر انا وعطف

ما تقدم عليه وهذا عطف على المستتر في او من مستغنا عنه بالجار والمجرور وقدّت
لو لم يذكر انا لاحتمل ان يكون وابو بكر عطفا على محل ان واسمها والخبر محذوف فلا يدخل
في معنى التاكيد ويكون هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك في هذه الصورة
يعني في زيادة انا فانه يفيد حينئذ الاشتراك وماهما ثم بفتح المثلثة وتشديد
الميم اي وليس ابو بكر وعمر في المكان الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه الكلام
المذكور وفي رواية الترمذي فانا اومن بذلك ثم ابو بكر وعمر وماهما في القوم يومئذ
قال التوربشتي انما اراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين التحقيق
وكوشف صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال قال ابن الملك قوله به اي
اصدق انا بما اخبرني به ملك من تكلم البقرة وابو بكر وعمر لقوة ايمانهما بما اخبره
قال ابن حجر هو محمول على انه صلى الله عليه وسلم كان اخبرهما به فصدقاه او اطلق
ذلك لما اطلع عليه من انهما يصدقان بذلك ولا يترددان فيه انتهى والاخير
هو الصحيح لما يدل عليه مقام المدح وكما يشعر اليه قول الراوي وماهما ثم
والا فكل مؤمن يصدق النبي فيما اخبره فلا بد من وجه تميزهما عن غيرهما كالبشر
اليه مشاركتهما في الايمان المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم عليه وقال اي
النبي عليه الصلاة والسلام بينما رجل في غنم له اي في قطعة غنم كائن له ملكا او اختصاصا
يرعاها اذ عدا الذئب اي حمل ذيب من الاذياب على شاة منها اي من قطعة الغنم
فاخذها اي الذيب الشاة فادركها صاحبها فاستنقذها اي استخلصها من الذيب
فقال له الذيب فمن لها اي ممن يحفظ للشاة يوم السبع بفتح السين المهملة وسكون
الموحدة وفي نسخة بضمها لا راعي لها غيري ردي السبع بضم الباء وسكونها العضد وعضد
والمراد بيوم السبع حين يموت الناس ويبقى الوحوش او يوم الاهمال من قولهم
سبع الذيب الغنم اذا افترسها واكلها فالمراد به من لها عند الفتن حين يتركها
الناس لا داعي لها نهبة للذئاب والسباع فجعل السبع لها راعيا اذ هو منفرد بها
ويكون حينئذ بضم الباء وقيل يمكن على لغة تميم وهذا انذار بما يكون من الشدائد
والفتن التي يهمل الناس فيها مواشيهم فيتمكن منها السباع بلا مانع وقيل يوم السبع
بسكون الباء ويروى بضمها ايضا عيد كان لاهل الجاهلية يجتمعون فيه على اللهو
ويهملون مواشيهم فياكلها السبع وقيل السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر
يريد يوم القيامة وهو ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله لا راعي لها
غيري فقال الناس سبحان ذيب يتكلم فقال اومن به انا وابو بكر وعمر وماهما ثم متفق
عليه واخرجه احمد وعن ابن عباس قال اني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر وقد
وضع على سريره جملة لتبيين والمعنى انه وضع عمر يوم مات على سريره للغسل
او حمل جمع من اصحابه اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه بكسر الميم وفتح الفاء ويجوز عكسه

علي منكبي

على منكبي بفتح ميم وكسر كاف يقول اي مخاطبا لعمر يرحمك الله وفي رواية رحمك الله اني
لارجو وفي نسخة اني كنت لارجو ان يجعلك الله مع صاحبك اي النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر في القبر او في الجنة ذكره السيوطي قال الطيبي واللام في قوله لاني تعليل لقوله
ان يجعلك الله مع صاحبك اي ارجو ان يجعلك معهما في عالم القدس لاني كثيرا ما كنت
بزيادة ما لافادة المبالغة في الكثرة على قوله تعالى وقليل ما هم قال الطيبي كذا في
صحيح البخاري وما فيه ابهام متنه مؤكدة وليس في جامع الاصول لفظه ما فقوله كنت خبر
ان وكثيرا ظرف وعامله كان قدم عليه ونحوه قليلا ما تشكرون وفي اكثر نسخ المصابيح وقع
هكذا لاني كثيرا مما كنت بزيادة من وليس له محمل صحيح الا ان يتعسف ويقال اني اجد
كثيرا مما كنت اسمع اقول ويمكن ان يكون ما موصولة بمعنى من والمعنى لاني في كثير من
الاوقات ممن كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت اي في مكان كذا وابو
بكر وعمر وفعلت اي الشيء الفلاني من امور العبادة او من رسوم العادة وابو بكر وعمر
وانطلقت اي ذهبت اي الى مكان كذا وابو بكر وعمر ودخلت اي المسجد ونحوه وابو بكر
وعمر وخرجت اي من نحو البيت وابو بكر وعمر فيدل على جواز العطف على الضمير المرفوع
المتصل بلا تاكيد وفصل وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر الا على ضعف والصحيح
جوازه نظما ونثرا كما قاله المالكي ونظيره قول عمر كنت وجار لي من الانصار وكذا قوله
تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا فان كلمة لا بعد العاطف ومع ذلك هي زائدة انتهى وفي
رواية زاد هنا فاني كنت لارجو ان يجعلك الله معهما قال ابن عباس فالتفت اي الى
وراي فاذا اي ذلك الرجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي نسخة عنهم متفق
عليه وفي رواية لهما عنه وانه وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون
ويصلون عليه قبل ان يرفع وانا فيهم فلم يرعني الا رجل قد اخذ بمنكبي من وراي
فالتفت فاذا هو علي بن ابي طالب فترحم على عمر وقال ما خلفت احدا احب الي ان القى
الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك اني
كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جئت انا وابو بكر وعمر ودخلت انا
وابو بكر وعمر وخرجت انا وابو بكر وعمر واني كنت لارجو ان يجعلك الله معهما الفصل
الثاني عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة
ليتراءون بفتح الياء والهمز من الرؤية واصله يترائيون من باب التفاعل اي يرى
بعضهم بعضا اهل عليين اي مقامهم ومنزلتهم في غاية من العلو والارتفاع كما
ترون اي تبصرون الكوكب الدري بضم الدال وكسر وتشديد الياء المخففة ويهمز ايضا
اي المضيء كالدر او الدافع بنوره ظلمة ما حوله في افق السماء بضمتين ويسكن
الثاني على ما في القاموس اي ناحيتها وجمعه افاق وان ابا بكر وعمر منهم اي من
اهل عليين وانعما اي زادا في الدرجة والرتبة وتجاوزا عن كونهما اهل عليين في المنزلة

وقيل المعاني وخلافي التعظيم كما يفاد استعمال ذا دخان في الشمال وهو عطف على الصدر
في لمنهم اي استقرارا منهم ولعلها رواه اي البغوي في شرح السنة اي باسناده وروي
نحوه ابو داود والترمذي قال التوربشتي وفي اكثر نسخ المصابيح لمنهم واللام زايدة
على الرواية فانه نقل هذا الحديث عن كتاب الترمذي وفيه منهم ولعلها من غير لام قال
الطيبي وكذا في سنن ابي داود وابن ماجة وجامع الاصول لغير لام وقال السيوطي في الجامع
الصغير ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر
في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم رواه احمد والشيخان عن ابي سعيد
والترمذي عن ابي هريرة وزاد في الجامع الكبير قالوا يا رسول الله تلك منازل
الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين رواه ابن حبان والدارمي عن ابي سعيد ورواه ابن حبان عن سهل بن سعد
وفي رواية لاحمد والشيخين عن سهل بن سعد ان اهل الجنة كما يتراءون الكوكب
في السماء وفي رواية لاحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عن ابي سعيد
والطبراني عن جابر ابن سمرة وابن عساكر عن ابن عمرو عن ابي هريرة ان اهل الدرجات
العلى ليراهم من هو اسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في افق السما وان ابا بكر
وعمر منهم وانعما وفي رواية لابن عساكر عن ابي سعيد ان اهل عليين ليشرف
احدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل
الدنيا وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر سيدا كهول اهل الجنة الكهول بضمتين جمع الكهل وهو على ما في القاموس
من جاوز الثلاثين او اربعا وثلاثين الى احدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه في
الدنيا حال هذا الحديث والا لم يكن في الجنة كهل كقوله تعالى واتوا اليتامى
اموالهم وقال شارح يعني الكهول عند الدخول وهو معلول مدخول وقيل
سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة لانه ليس فيها كهل بل من يدخلها ابن ثلاث
وثلاثين واذا كانا سيدي الكهول فاولى ان يكونا سيدي شباب اهلها انتهى وفيه بحث
ان لا يخفيان من الاولين اي من اولياء الامم المتقدمين فيكونان افضل من اصحاب
الكهف ومؤمن آل فرعون ومن الخضر ايضا على القول بانه ولي والآخرين اي من اولياء هذه
الامة وعلمائهم وشهدائهم الا النبيين والمرسلين فخرج عيسى عليه السلام وكذا
الخضر على القول بنبوته رواه الترمذي اي عن انس ورواه ابن ماجة عن علي
رضي الله عنه وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن علي وابن ماجة عن
علي وابن ماجة عن ابي جحيفة وابو يعلى والضيا في المختارة عن انس والطبراني في
الاوسط عن جابر وعن ابي سعيد وفي الرياض عن علي قال كنت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذ طلع ابو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان سيدا

كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث غريب واخرجه عن انس وقال حسن غريب واخرجه عن انس وقال
حسن غريب واخرجه احمد وقال سيدا كهول اهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين
واخرجه المخلص الذهبي ولم يقل شبابها وزاد قال علي فما اخبرت به حتى ماتا ولو كانا
حيين ما حدثت به قوله ولا تخبرهما يا علي ربما يسبق الى الوهم انه عليه السلام خشي
عليهما العجب والامن وذلك وان كان من طبع البشرية الا انه منزلتهما عنده صلى الله
عليه وسلم او على من ذلك وانما معناه والله لا تخبرهما يا علي فبلي لا بشرهما بنفسي
فيبلغهما السرور مني وانما قال سيدا كهول اهل الجنة مع ان اهل الجنة شباب
اشارة الى كمال الحال فان الكهل اكمل لا سنا بنية وعقلا من الشباب ومدارج الجنة
على قدر العقول كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي اذا تقرب الناس بانواع
البر فتقرب اليه بانواع العقل اخرجه الجندري وعن الشعبي قال رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابي بكر وعمر فاقبل احدهما آخذ بيد صاحبه فقال صلى الله عليه
وسلم من سره ان ينظر الى سيدي كهول اهل الجنة فلينظر الى هذين المقبلين رواه
الفضائلي وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري ما بقائي
فيكم وفي رواية الا قليلا قال الطيبي ما استفهامية اي لا ادري كم مدة بقائي
فيكم اقليل ام كثير وفيه تعليق فاقتدوا باللذين بالامين للاشعار بانه تكلمه
اللذين من بعدي ابي بكر وعمر بدل من اللذين وفي رواية اشار الى ابي بكر وعمر رواه
الترمذي وفي الجامع اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رواه احمد والترمذي
وابن ماجة عن حذيفة وزاد الحافظ ابو نصر الفضا فانهما حبل الله الممدود
فمن تمسك بهما تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وعن انس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد لم يرفع احد اي من الصحابة راسه
اي راس نفسه لهيبة مجلسه ورعاية الادب حال الانبساط والانس والبعد
شارح حيث قال اي راس النبي صلى الله عليه وسلم اشتغالا له بذكر الله تعالى غير ابي بكر
وعمر بالرفع على البدل من احد وفي نسخة بالنصب على الاستثناء كانا ينظران اليه
ويتبسم اليهما اسناد في بيان والتبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم رواه الترمذي
وقال هذا حديث غريب وفي الرياض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فلا يرفع اليه احد منهم بصره
الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما اخرجه
احمد والترمذي وقال غريب والمخلص الذهبي والحافظ الدمشقي وعن ابي هريرة قال كنا
نجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم كان على رؤوسنا الطير ما يتكلم احد منا الا ابو بكر وعمر
وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم اي من الحجرة الشريفة ودخل المسجد

وابوبكر وعمر احدهما عن يمينه والاخر عن شماله الظاهر انه نوع لف ونشر مرتب فوض الى
راي السامع لظهوره عنده وهو اخذ بصيغة اسم الفاعل ما بيديهما اي ما يديها
فقال هكذا اي بالوصف المذكور من الاجتماع المسطور نبعث اي نخرج من القبور الى
موضع النشور يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عبد الله
ابن حنطب بفتح الحاء والطاء المهملتين بينهما نون ساكنة ومنهم من يروي بالظاء
المعجمة ومنهم من يضمهما ذكره ابن الملك وهو تابعي ولم يذكره المؤلف في اسمائه ان
النبي صلى الله عليه وسلم راي ابا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر اي نفسهما
مبالغة كرجل عدل او هما في المسلمين او في الدين كالسمع والبصر في الاعضاء فحذف
كاف المبالغة ولذا ليتهي تشبيه بليغ او هما في العزة عندي بمنزلتهما ويؤيد هذا
ما ذهب اليه بعضهم من ان المراد بالاسماع والابصار في قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا ابوبكر وعمر في الفاضل ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم
سماهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر في الايات المبثة
في الانفس والافاق والتامل فيها والاعتبار بها انتهى وفيه دليل على فضل السمع
على البصر كما يؤيده الايات القرانية من قوله وجعل لكم السمع والابصار ونحوه في
مواضع كثيرة بتقديم السمع على البصر ولعل وجهه ان حصول العلم بدون البصر
يتصور بخلاف فقد السمع مع انه يستلزم الصم البكم والله اعلم رواه الترمذي
مرسلا قال شارح وهذا الحديث مرسلا لان عبد الله الراوي لم ير النبي صلى الله
عليه وسلم زاد ميرك وقد يقال له صحبة قلت وقد يقال له رؤية لكن ليس
له رواية لكن قال السيوطي في الجامع الصغير ابوبكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر
من الراس رواه ابو يعلى في مسنده عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن ابيه
عن جده مرفوعا قال ابن عبد البر وما له غيره ورواه ابونعيم في الحلية عن ابن عباس
مرفوعا والخطيب عن جابر مرفوعا وروى الملا في سيرته عن ابن مسعود وابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابوبكر وعمر في امتي مثل الشمس والقمر
في النجوم وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
نبي الا وله وزيران من اهل السما ووزيران من اهل الارض الوزير الموازر لانه
يحمل الوزر اي الثقل عن اميره والمعنى انه اذا اصابه امر مشاورهما كما ان الملك
اذا حزبه امر مشكل شاور وزيره ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هارون
اخي اشدد به ازري اي عضدي ليحصل به نصري واشركه في امري اي في تدبير
امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان الهيئة الاجتماعية لها بركة كثيرة في
العبادات الالهية فاما وزيراي من اهل السما جبريل وميكائيل وفيه دلالة ظاهرة
على فضله صلوات الله عليه على جبريل وميكائيل عليهما السلام كما ان فيه ايماء الى تفضيل

جبريل على ميكائيل واما وزيراي من اهل الارض فابوبكر وعمر وفيه دلالة ظاهرة على
فضلهما على غيرهما من الصحابة وهم افضل الامة وعلى ان ابا بكر افضل من عمر لان الواو
وان كان لمطلق الجمع ولكن ترتيبه في لفظ الحكيم لابد له من اثر عظيم رواه الترمذي
وقال حسن غريب ورواه الحاكم عن ابي سعيد والحكيم عن ابي هريرة بلفظ ان لي وزيرين
من اهل السما ووزيرين من اهل الارض فوزيراي من اهل السما جبريل وميكائيل ووزيراي
من الارض ابوبكر وعمر وروى ابن عساكر عن ابي ذر ولفظه ان لكل نبي وزيرين ووزيراي
وصاحباي ابوبكر وعمر واخرج الحافظ ابو الحسن علي بن نعيم البصري عن انس بن مالك قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر عن يمينه وعمر عن يساره فقال محمد
بيده المباركة بيدي كتفي ابوبكر وعمر ثم قال لهما انتما وزيراي في الدنيا وانتما وزيراي
في الاخرة هكذا ينشق الارض عني وعنكما وهكذا ازور وانتما رب العالمين وعن
الحسن البصري قال مكتوب على ساق العرش او في ساق العرش لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيراه ابوبكر الصديق وعمر الفاروق اخرجه صاحب
الديباج وعن عبد العزيز بن عبد المطلب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل ايدني من اهل السما بجبريل وميكائيل ومن اهل الارض بابي بكر وعمر
اخرجه السمرقندي وعن ابي بكرة الثقفي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت كان بتشديد النون ميزانا نزل من السما فوزنت بصيغة المجهول المخاطب طب
انت صيغة فصل وتاكيد لتصحيح العطف وابوبكر فرجحت بفتح الجيم وسكون الحاء اي
ثقلت وغلبت انت للتاكيد المجرد ووزن ابوبكر وعمر فرجح ابوبكر ووزن عمر وعثمان فرجح
عمر ثم رفع الميزان وفيه ايماء الى وجه ما اختلف في تفضيل علي وعثمان فاستا
بهمز ووصل وسكون سين فتاء فالف فهمزاي فحزن لها اي للرؤيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعني هذا قول الراوي فساءه اي فاحزن النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اي ما ذكره الرجل من رؤيا وذلك لما علم صلى الله عليه وسلم من تاويل رفع الميزان
انحطاط رتبة الامور وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من اخر في
الميزان ان الراجح افضل من المرجوح وانما لم يوزن عثمان وعلي لان خلافة علي على
اختلاف الصحابة فرقة معه وفرقة مع معاوية فلا يكون خلافة مستقرة
متفقة عليها ذكره ابن الملك وفي النهاية التاء لبوزن افتعل من السوء وهو
مطاوع ساء يقال استا فلان بكذا اي بساءه ذلك ويروى فاستالها اي طلب تاويلها
بالنظر والتامل قال التوربشتي لما ساءه والله اعلم من الرؤيا التي ذكرها ما عرفه
من تاويل رفع الميزان فان فيه احتمالا لانحطاط رتبة الامر في زمان القايم به بعد
عمر رضي الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن من بالتاييد ويحتمل
ان يكون المراد من الوزن موازنة ايامهم لما كان نظر فيها من رونق الاسلام وبهجته

بتراك الموازنة انما تراعى في الاشياء المتقاربة مع مناسبة ما فيظهر الرجحان فاذا
تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان فقال اي النبي عليه السلام
خلافة نبوة بالاضافة ورفع خلافة على الجر اي الذي رأيته خلافة نبوة وقيل التقدير
هذه خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء وقيل اي انقضت خلافة نبوة يعني هذه
الرؤيا دالة على ان الخلافة بالحق تنقضي وينتهي حقيقتها بانقضاء خلافة
عمر رضي الله عنه وقال الطيبي دل اضافة الخلافة الى النبوة على ان لا تشوب
فيها من طلب الملك والمنازعة فيه فيه لاحد وكانت خلافة الشيخين على هذا
وكون المرجوحية انتهت الى عثمان رضي الله عنه دل على حصول المنازعة فيها
وان الخلافة في زمن عثمان وعلي مشوبة بالملك فاما بعدهما فكانت ملكا
عضوضا رواه الترمذي وابو داود واخرجه احمد في مسنده عن ابن عمر قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة بعد طلوع الشمس فقال رأيت
قبل الفجر كأني اعطيت المقاليد والموازين فاما المقاليد فهي المفاتيح واما الموازين
فهذه التي توزن بها فوضعت في كفة ووضعت امتي في كفة فرجحت بهم ثم جيء بابي بكر
فوزن بهم فرجح ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح ثم رفعت فاته
ولعل في اجتنبه كل واحد منهم بجميع الامة ايماء الى اتفاق جميع الامة على خلافته وكان
تقديمهم وتاخيرهم وفي رفع الميزان اشارة الى الاختلاف الواقع بعد ذلك ولا تنافي
بين هذا الحديث وبين حديث اخرجه احمد ايضا انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت
الليلة في المنام ان ثلاثة من اصحابي وزنوا فوزن ابو بكر فوزن عمر ثم وزن
عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح لانا نحملهما على معنيين مختلفين جمعا بين
الحديثين بقدر الامكان فان ذلك اولى من الغاء احدهما فيحمل قوله السابق فرجح
ابو بكر على ما تقدم من الاتفاق على خلافته ويحمل قوله فوزن على موافقة رايهم
والدراية وان رايهم فجاء موزونا معتدلا معنا لم يجاوزه في رأي راه ومن احاديث
الباب ما اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا اول من تنشق عنه الارض ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع
فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتى احشر بين الحرمين ومما يناسبه
ما روي عن مالك بن انس وقد ساله الرشيد كيف كان منزلة ابي بكر وعمر من رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حياته قال كقربهما بعد وفاته قال شفيتني يا مالك
اخرجه البصري والحافظ السلفي ونحوه اخرجه ابن السمان في الموافقة عن علي بن
الحسين ومما يناسبه ايضا ما اخرجه الثعلبي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
استلف من اليهودي شيئا الى الحول فقال ارأيت ان جئت ولم اجدك فالى من اذهب
قال الى ابي بكر قال فان لم اجده قال الى عمر قال اذا استطعت ان تموت اذا مات عمر فمت

احاديث

احاديث الباب ما اخرجه احمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة
مرفوعا اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر واخرجه الطبراني من حديث ابي الدرداء والحاكم
من حديث ابن مسعود

الفصل الثالث عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يطلع عليكم بتشديد الطاء اي يشرف او يظهر او يدخل عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع ابو بكر
ثم قال يطلع عليكم رجل من اهل الجنة فاطلع عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وعن عائشة قالت بينا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري [illegible]
في ليلة ضاحية اي مقمرة اذ قلت يا رسول الله هل يكون لاحد من الحسنات عدد نجوم
السماء قال نعم عمر قلت فاين حسنات ابي بكر قال انما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة
من حسنات ابي بكر ولعلها سبقه الى الاسلام والله اعلم بالمرام رواه رزين وان اتفق
خلاف ذلك في مبادي النظر راجعوا اليه في ثباته مستصوبين رأيه معترفين
بان الحق كان معه كما في قتال اهل الردة ونحو ذلك وهذا المعنى فقد في عثمان
فانهم خالفوا ما به في كثير من وقايعه ولم يرجعوا اليه بل اصروا الى انكارهم عليه
حتى قتل وكان مع ذلك على الحق على ما شهدت به الاحاديث وكان رجلا لطالما
على ما دل عليه هذا الحديث فالنقص انما كان عما ثبت للشيخين فيه كذا
حققه الطبري في رياض النضرة في فضائل العشرة

باب مناقب عثمان رضي الله عنه

الفصل الاول عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه او ساقيه قال النووي احتج به المالكية وغيرهم
ممن يقول ليست الفخذ عورة ولا حجة فيه لانه شك الراوي في المكشوف هل هما
الساقان ام الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ قلت ويجوز ان يكون
المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا من المئزر كما سياتي ما يشعر اليه من
كلام عائشة وهو الظاهر من احوال له صلى الله عليه وسلم مع اله وصحبه فاستاذن
ابو بكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استاذن عمر فاذن وهو كذلك
فتحدث ثم استاذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بعد ما كان مضطجعا
وسوى ثيابه اي بعد عدم تسويته وفيه ايماء الى انه لم يكن كاشفا عن نفس احد العضوين
بل عن الثياب الموضوعة عليهما ولذا لم نقل وستر فخذه فارتفع به الاشكال
واندفع به الاستدلال والله اعلم بالاحوال فلما خرج اي عثمان ومن معه او تقديره
فلما خرج القوم قالت عائشة دخل ابو بكر فلم تهتش له بتشديد اي لم تتحرك لاجله
وفي شرح مسلم الهشاشة البشاشة وطلاقة الوجه وحسن الالتقاء ولم تبال له
اي ابا بكر وفي نسخة بتاء السكت ففي القاموس ما ابالي لا اكترث والمعنى
لم تثبت على اضطجاعك وعدم جمع ثيابك ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبال له ثم دخل

عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال الا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة بالياء في الفعلين
وهي اللغة الفصحى قال النووي وفيه ظاهره لعثمان رضي الله عنه وان الحيا
صفة جبلية من صفات الملائكة قال المظهر وفيه دليل على توقير عثمان رضي
الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدل على حط منصب ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما عنده صلى الله عليه وسلم وقلة الالتفات اليهما لان
قاعدة المحبة اذا كملت وانسدت ارتفع التكلف كما قيل اذا حصلت الالفة
بطلت الكلفة قلت فانقلب الحديث دلالة على فضلهما الا انه لما كان الظاهر
المتبادر منه تعظيمه وتوقيره ذكر في باب مناقبه واغرب ابن الملك حيث جزم
ان المراد بالاستحياء التوقير وسيأتي في الرواية الاتية ما يدل على ان المراد به
حقيقة الاستحيا وذلك لان مقتضى حسن المعاملة والمجاملة في المعاشرة
هو المشاكلة والمقابلة بالنسبة الى كل احد من غلبة الصفة والحالة التي
يكون فيه الا ترى ان من يراعي صاحبه بكثرة التواضع يقتضي له زيادة التواضع
معه وكذا اذا كان كثير الانبساط يوجب الانبساط واذا كان كثير الادب يحمل صاحبه
على تكلف الادب معه وعلى هذا القياس سائر الاحوال من السكوت والكلام
والضحك والقيام وامثال ذلك وقد قال الحافظ السخاوي في فتاويه سئلت
عن الموطن الذي استحت فيه الملائكة من سيدنا عثمان رضي الله عنه فاجبت
لم اقف عليه في حديث يعتمد ولكن افاد شيخنا البدر النسابة في بعض مجاميعه
عن الجمال الكازروني انه لما آخى بين المهاجرين والانصار بالمدينة في غيبة انس
ابن مالك وتقدم عثمان لذلك كان صدره مكشوفا فتأخرت الملائكة حيا فامره
النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية صدره فعادوا الى مكانهم فسألهم النبي
صلى الله عليه وسلم عن سبب تأخرهم فقالوا حياء من عثمان انتهى فهذا يدل
على ان الحيا يوجب الحيا وان حياء الملائكة صار سبب الحياء عثمان وكأنه استمر
عليه وبالغ فيه حتى صار سببا لاستحيا غيره وعنه والله اعلم وعن الحسن
وذكر عثمان وشدة حيائه فقال ان كان ليكون في البيت والباب عليه مغلق
فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحيا ان يقيم صلبه كما اخرجه
احمد وصاحب الصفوة وفي رواية قال ميرك ظاهر ايراد المص يقتضي ان
الرواية الثانية تتمة للتي قبلها في حديث واحد وانما هما حديثان فالمتقدم
من حديث عائشة والرواية الثانية من حديث سعيد بن العاص ان عثمان
وعائشة حدثاه ان ابا بكر استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فاذن لابي بكر وهو كذلك فقضى اليه
حاجته ثم انصرف ثم استاذن عمر فاذن له وهو على تلك الحالة فقضى اليه

حاجته

حاجته ثم انصرف قال عثمان ثم استاذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي علي
ثيابك يعني المرط قال فقضيت اليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول
الله مالي لم ارك فزعت لابي بكر وعمر كما فزعت لعثمان فقال ان عثمان رجل حيي فعيل بمعنى
كثير الحيا واني خشيت ان اذنت له على تلك الحالة ان لا يبلغ الي في حاجته الى ان
اذنت له في تلك الحالة اضافة الى ان يرجع حياء مني عند ما يرى الي على تلك الهيئة
ولا يعرض على صاحبه لغلبة ادبه وكثرة حيائه رواه مسلم وكذا احمد وابو حاتم
وروى احمد عن حفصة قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ثوبه
بين فخذيه فجاء ابو بكر يستاذن فاذن له وهو على هيئته ثم جاء عمر يستاذن فاذن له
وهو على هيئته ثم جاء عثمان يستاذن فتجلل ثوبه ثم اذن له فتحدثوا ساعة ثم
خرجوا فقلت يا رسول الله دخل ابو بكر وعمر وعلي وناس من اصحابك وانت على هيئتك
لم تتحرك فلما دخل عثمان تجللت ثوبك قال الا استحيي ممن يستحيي منه الملائكة
واخرجه رزين مختصرا وزاد البخاري قال محمد ولا اقول ذلك في يوم واحد وجاء
في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان رجل ذو حياء فسألت ربي ان لا
يقفه للحساب فشفعني فيه وفي رواية اني سألت ان عثمان صاحب سر فقضاها
سرا فسألت الله ان لا يحاسب عثمان وفي رواية فسألت الله ان يحاسبه سرا
وهذه من خصائصه اذ ورد ذلك في سياق اول ما يحاسب ابو بكر ثم عمر ثم علي وقد
اخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا اشد امتي حياء ابن عفان واخرج ابن عساكر
عن ابي هريرة مرفوعا حيي يستحيي منه الملائكة واخرج ابو نعيم عن ابن عمر مرفوعا
عثمان احيى امتي واكرمها واخرج ابو نعيم عن ابي امامة مرفوعا اشد هذه
الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان واخرج ابو يعلى عن عائشة مرفوعا قال
ان عثمان حيي ستير تستحيي منه الملائكة **الفصل الثاني** عن طلحة بن عبيد الله
وهو احد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق
اي خاص ورفيقي يعني في الجنة عثمان خبر للمبتدا والجملة معترضة بينهما من كلام
طلحة او غيره تفسيرا وبيانا لمكان الرفاقة والاظهر انه في كلامه صلى الله عليه وسلم
على سبيل الاطلاق الشامل للدنيا والعقبى جزاء وفاقا ثم هو لا ينافي كون غيره ايضا
رفيقا له صلى الله عليه وسلم كما ورد عن ابن مسعود في رواية الطبراني ولفظه ان لكل
نبي خاصة من اصحابه وخاصتي من اصحابي ابو بكر وعمر نعم يستفاد منه ان لكل
نبي رفيقا وان له رفقاء ولا منع من ذلك في مقام الجمع ومع هذا في تخصيص ذكره
اشعار بتعظيم منزلته ورفع قدره رواه الترمذي اي عن طلحة ورواه ابن
ماجة عن ابي هريرة قال وفي نسخة وقال الترمذي هذا حديث غريب والغرابة لا تنافي
الصحة ولذا قال وليس اسناده بالقوي وهو اي الحديث او اسناده منقطع وهو لذ

يكون التساقط من الرواة اثنين من الوسط او واحد فقط او اكثر من اثنين لكن بشرط عدم التوالي فيتحصل منه ان الحديث ضعيف لكنه يعتبر قويا في الفضائل ويؤيده ما رواه ابن عساكر عن ابي هريرة مرفوعا لكل نبي خليل في امته وان خليلي عثمان بن عفان واورد حديث الاصل في الجامع بلفظ لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان رواه الترمذي عن طلحة وابن ماجة عن ابي هريرة وفي الرياض عن زيد بن اسلم قال شهدت عثمان يوم حوصر ولو القي حجر لم يقع الا على راس رجل فرايت عثمان اشرف من الخوخة التي مقام جبريل على الناس فقال لطلحة انشدك الله اتذكر يوم كنت انا وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا وكذا ليس معه احد من اصحابه غيري وغيرك قال نعم قال فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طلحة انه ليس من نبي الا ومعه من اصحابه رفيق في الجنة وان عثمان رفيقي في الجنة يعنيني قال طلحة اللهم نعم ثم انصرف اخرجه احمد واخرجه الترمذي مختصرا عن طلحة بن عبيد الله ولفظه لكل نبي رفيق ورفيقي عثمان ولم يقل في الجنة **وعن عبد الرحمن بن خباب** بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ولم يذكره المؤلف في اسمائه **قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم** اي حضرت **وهو يحث** بضم حاء وتشديد مثلثة اي يحرض الناس **على جيش العسرة** اي على تزيين غزوة تبوك وسميت جيش العسرة لانها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد والماء والمركب بحيث تعسر عليهم الخروج من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم لما كان المناهضة الى عدو جم العديد شديد الباس بالنسبة الى المسلمين مع كثرتهم حينئذ فانه قيل على ما ذكره شارح كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثماية وثلاثة عشر ويوم احد سبعماية ويوم الحديبية الف وخمسماية ويوم الفتح عشرة الاف ويوم حنين اثنا عشر الفا وهي اخر مغازيه **فقام عثمان** اي بعد حثه عليه السلام **فقال يا رسول الله علي** اي نذر **علي ماية بعير باحلاسها** اي مع جلالها **واقتابها** اي رحالها قال التوربشتي وغيره الاحلاس جمع حلس بالكسر وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البردعة والاقتاب جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر سنام البعير وهو للجمل كالاكاف لغيره يريد على هذه الابل بجميع اسبابها وادواتها **في سبيل الله** اي في طريق رضاه **ثم حض** بتشديد المعجمة اي حث وحرض **على الجيش** اي في ذلك المكان او في غيره من الزمان **فقام عثمان فقال علي مايتا بعير** اي غير تلك الماية لا بانضمامها كما يتوهم والله اعلم **باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض** اي ثالث وفي رواية ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال على ثلاثماية بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فالتزم عثمان رضي الله عنه في كل مرتبة بحكم رتبة المقام ففي المقام الاول ضمن ماية واحدة

السيوطي ح

وفي الثاني مايتين وفي الثالث ثلثماية فالمجموع ستماية وسياتي له من الزيادة قال طلحة **فانا رايت** اي بنفسي من غير ان اسمع من غيري **رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه** ما الاولى نافية بمعنى ليس وما عمل بعد هذه موصولة اسم ليس **عليه** ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى انها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيات الاتية كما ورد في صلواة الجمعة وفيه اشارة الى بشارة له بحسن الخاتمة وقال شارح ما فيه اما موصولة اي ما باس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله او مصدرية اي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لان تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل قال المظهر ما عليه ان لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لان تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل انتهى وهو حاصل المعنى والا فلا يطابق المبني **ما على عثمان ما عمل بعد هذه** كرره تاكيد المافرة قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم في حق حاطب بن ابي بلتعة لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم انتهى ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهى اذ الاول مجزوم به قطعا والثاني مبني على الرجا **رواه الترمذي** وكذا رواه احمد وقال في اخره قال فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها واخرج عبد الصمد يحرك يده كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعدها وقال ابو عمر جهز عثمان جيش العسرة بتسعماية وخمسين بعيرا واتم الالف بخمسين فرسا وعن ابن شهاب الزهري قال حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعماية واربعين بعيرا وستين فرسا اتم الالف بها اخرجه القزويني والحاكمي **وعن عبد الرحمن بن سمرة** اي القرشي اسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهما **قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار في كمه حين جهز** بتشديد الهاء اي حين زين وهيا **جيش العسرة فنثرها** اي كبها **في حجره** بكسر الحاء وفتحه اي ثوبه او حضنه صلى الله عليه وسلم **فرايت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها** اي الدنانير بيده **في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل** فاعل ضر والمعنى لم يضر عثمان الذي عمل اي من الذنوب سابقا ولاحقا **بعد اليوم** اي بعد عمله اليوم **مرتين** ظرف يقول ولعل التكرار رفيه وفيما قبله للاشعار بعدم ضرره ودوام نفعه في الدارين والمراد بالتثنية التكرير والتكثير ويؤيده انه في رواية احمد ويردده مرارا **رواه احمد** وقال السيد جمال الدين في تجهيزه رجال جيش العسرة روايتان احدهما انها سبعون الف رجل والاخرى انها عشرون الفا وعلى اختلاف الروايتين خبر عثمان رضي الله عنه ثلث جيش العسرة فعلى هذا لا يكون الف دينار الذي جاء به عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في كمه ثمن ثلثماية بعير والله اعلم انتهى وفي الرياض عن عبد الرحمن بن عوف قال شهدت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمائة اوقية من ذهب
اخرجه الحافظ السلفي وهذه الاختلافات في الروايات قد توهم التنافي وبينهما
والجمع ممكن بان يكون عثمان دفع ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها على ما تضمنه الحديث
السابق ثم جاء بالف دينار لاجل المؤنات التي لابد للمسافر منها ثم لما اطلع على ان ذلك
لا يكفي زاد في الابل واردف بالخيل تتميما للالف ثم لا يكتفي بذلك تم الالف العشرة
وزاد عشرين فرسا على تلك الخيل وبعث بعشرة الاف دينار للمؤن وفي رواية اخرجها
الدارقطني عن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر في وجوه القوم فقال من
يجهز هولاء غفر الله له يعني جيش العسرة فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا
خطاما رواه احمد واخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن حذيفة قال بعث النبي
صلى الله عليه وسلم الى عثمان في جيش العسرة فبعث اليه عثمان بعشرة الاف دينار
فصبت بين يديه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهرا لبطن
ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة
ما يبالي ما عمل بعدها اخرجه الملا في سيرته والفضائل وعن انس قال لما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان وهي البيعة التي كانت تحت الشجرة
عام الحديبية سميت بها لانه نزل في اهلها لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة كان عثمان رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
رسولا منه اليهم مرسلا من الحديبية الى مكة وفي رواية الى اهل مكة اي لتبليغ
بعض الاحكام فشاع انهم قتلوه فبايع اي رسول الله الناس اي بيعا خاصا على
الموت فبايعوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله اي لنصرة
دينه حيث احتاج خلقه اليه ونظيره قوله سبحانه يخادعون الله والذين امنوا
حيث نزل ذاته العزيزة تشريفا للمؤمنين تشريفا وتعظيما او بتقدير مضاف ويقال
في حاجة خلقه وحاجة رسوله اي تخصيصا او ذكر الله للتزيين زيادة الكلام من
التحسين وقال الطيبي هو من باب قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة عند الله ومكانه وان حاجته حاجته
تعالى الله عن الاحتياج علوا كبيرا انتهى ولا يخفى ان ظاهر معنى الاية ان الذين
يخالفونهما كما حقق في حديث يؤذيني ابن ادم والله اعلم فضرب باحدى يديه على
الاخرى اي في البيعة على جهة عثمان على فرض انه حي في المكان والزمان والمعاني
انه جعل احدى يديه نائبة عن يد عثمان فقيل هي اليسرى وقيل هي اليمنى وهو الصحيح
لما سيأتي بيانه بالتصريح فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا وفي رواية
لعثمان اي لكمال في رواية من ايديهم اي من ايدي بقية الصحابة لانفسهم فبيعته
ليست منقصة بل سبب منقبة رواه الترمذي وقال صحيح غريب وعن ثمامة

بضم

بضم المثلثة بن حزن بفتح الحاء المهملة وسكون الزاي فنون القشيري بالتصغير يعد
في الطبقة الثانية من التابعين راى عمر وابنه عبد الله وابا الدرداء
وسمع عائشة وروى عنه الاسود بن شيبان البصري قال شهدت الدار اي حضرت
دار عثمان التي حاصروه فيها وتفصيل قضيتها مذكور في الرياض وغيره حين اشرف
عليهم عثمان اي اطلع على الذين قصدوا قتله فقال انشدكم الله والاسلام بضم
الشين وبنصب الاسمين اي اسألكم بالله والاسلام اي بحقهما هل تعلمون ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب اي يعد عذبا اي حلوا غير بئر رومة برفع غير
ويجوز نصبه والبئر مهموزة ويبدل ورومة بضم الراء وسكون الواو وفتح الميم اسم بئر في
العقيق الاصغر اشتراها عثمان رضي الله عنه بمائة الف درهم وفي المدينة عقيقان
سميا بذلك لانهما عقا من حرة المدينة اي قطعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشتري
بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بكسر الدال جمع دلو وهو كناية عن الوقف العام
رقبته دليل على جواز وقف السقايات وعلى خروج الموقوف عن ملك الموقوف حين جعله
مع غيره سواء ذكره ابن الملك وجملة يجعل مفعول له او حال ارادة ان يجعل او قاصدا
ان يجعل دلوه مشاعا او مصاحبا مع دلائهم في الاستقاء ولا يخص من بينهم بالملكية فقوله
مع دلاء المسلمين هو المفعول الثاني ليجعل اي يجعل دلوه روي عن عثمان رضي الله عنه انه
قال ان المهاجرين قدموا المدينة واستنكروا ماءها وكان لرجل من بني غفار عين يقال
لها رومة وكان يبيع القربة منها بمد فقال صلى الله عليه وسلم هل تبيعها بعين في الجنة
قال يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي سواها فلا استطيع ذلك فقال من يشتري بئر
رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير متعلق بيشتري والباء للبدل قال الطيبي
وليست مثلها في قولهم اشتريت هذا بدرهم ولا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى فالمعنى من يشتريها بثمن متغال ثم يبدلها بخير منها اي بافضل واكمل وخير حاصل
له اي لاجله منها اي من تلك البئر او من جنسها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي بضم الصاد
اي من اصله او خالصه في الرياض قال فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين الف
درهم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتجعل لي مثل الذي جعلت له عينا في الجنة قال
نعم قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين اخرجه النسائي وانتم اليوم تمنعوني ان اشرب
منها حتى اشرب من ماء البحر اي مما فيه ملوحة كماء البحر والاضافة فيه للبيان اي
ما يشبه البحر فقالوا اللهم نعم قال المظهري قد يؤتى باللهم قبل الا اذا كان المستثنى عزيزا
نادرا وكان قصدهم بذلك الاستظهار بمشيئة الله تعالى في اثبات كونه ووجوده ايماء
انه ابلغ من الندرة حد الشذوذ وقيل كلمتي الجحد والتصديق في جواب المستفهم كقولهم
اللهم لا ونعم فقال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد اي مسجد المدينة
ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها

بالرفع وفي نسخة بالنصب اي فيزيد تلك البقعة في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي اي بعشرين الفا او خمسة وعشرين الفا على ما رواه الدار قطني وروى البخاري عن ابن عمر ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابو بكر شيئا وزاد فيه عمر وبناه على بنائه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد واعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي عن سالم بن عبد الله بن عمر انه من كان شان عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من اهل مكة يا فلان الا تبيعني دارك ازيدها في مسجد الكعبة ببيت اضمنه في الجنة فقال الرجل يا رسول الله ما لي بيت غيره فان انا بعتك داري لا يؤويني وولدي بمكة شي قال الا بل بعني دارك ازيدها في مسجد الكعبة ببيت اضمنه لك في الجنة فقال الرجل والله ما لي الى ذلك حاجة فبلغ ذلك عثمان وكان الرجل صديقا له في الجاهلية فاتاه فلم يزل به عثمان حتى اشترى منه داره بعشرة الاف دينار فقال يا رسول الله بلغني انك اردت من فلان داره لتزيدها في مسجد الكعبة ببيت تضمنه له في الجنة وانما هي داري فهل انت اخذها ببيت تضمنه لي في الجنة فاخذها منه وضمن له بيتا في الجنة واشهد له على ذلك المومنين كذا في الرياض فانتم بالفاء هنا خلافا لما تقدم اليوم تمنعوني ان اصلي فيها اي في تلك البقعة فضلا عن سائر المسجد فقالوا اللهم نعم قال بلا فاء هنا وفيما بعد حلافا لما قبل انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي اي وقال في ما قال بما بذل على حق خالي ومالي قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة بفتح مثلثة وكسر موحدة وتحتية ساكنة فراء جبل بمكة وفي المصباح جبل بين مكة ومنى وهو يرى من منى وهو على يمين الذاهب منها الى مكة وقال الطيبي ثبير جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى وهو جبل كبير مشرف على كل جبل بمنى وبمكة جبال كل منها اسمه ثبير انتهى والمشهور انه جبل مشرف على منى من جمرة العقبة الى مسجد الخيف وامامه قليلا على يسار الذاهب الى عرفات كذا حكاه عز الدين بن جماعة وقال عياض في المشارق انه على يسار الذاهب الى منى وقال ابن جماعة وقيل هو جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب الى عرفة قال الطبري وقيل هو اعلم جبل بمكة عرف برجل من هذيل كان اسمه ثبيرا دفن فيه وقال الجوهري والسهيلي والمطرزي في المغرب هو جبل من جبال مكة وقيل هو جبل مقابل لجبل حرا انتهى وفي رواية قال حرا مكان ثبير ومعه ابو بكر وعمر وانا فتحرك الجبل اي اهتز اهتزازا حتى تساقطت حجارته اي بعضها بالحضيض اي اسفل الجبل وقرار الارض فركضه

اي

اي ضربه برجله قال اسكن ثبير اي يا ثبير فانما عليك نبي وصديق وشهيدان اي حقيقتان حيث قتلا عقبا الطعن وما قاربهما من اثر الضرب وهما عمر وعثمان ولا ينافيه ان النبي والصديق شهيدان حكميان حيث كان اثر موتهما من السم القديم قالوا اللهم نعم قال الله اكبر كلمة يقولها المتعجب عند الزام الخصم وتبكيته ولذلك قال شهدوا ورب الكعبة اني شهيد بفتح الهمزة مفعول شهدوا اي شهد الناس اني شهيد ثلاثا اي قال الله اكبر الى اخره ثلاث مرات لزيادة المبالغة في اثبات الحجة على الخصم وذلك لانه لما اراد ان يظهر لهم انه على الحق وان خصماءه على الباطل على طريق يلجيهم الى الاقرار بذلك اورد حديث ثبير مكة وانه من احد الشهيدين مستفهما عنهم فاقروا بذلك وكذا اقرارهم بقولهم اللهم نعم فقال الله اكبر تعجبا وتعجيبا لهم واستهجانا لفعلهم ونظيره قوله تعالى هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فانه تعالى لما ضرب مثل عابد الاصنام وعابد الله تعالى برجلين احدهما له شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه وهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته والاخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو ملتزم خدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع واستفهم منهم بقوله هل يستويان مثلا فلا بد لهم ان يذعنوا ويقولوا لا فقال الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون كذا حققه الطيبي رواه الترمذي والنسائي والدارقطني وفي بعض الروايات زادوا انشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين اهل مكة فقال هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي فانتشد له رجال لذا الدار قطني في بعض طرقه وانشدكم بالله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني احدى ابنتيه بعد الاخرى رضا لي ورضا عني قالوا اللهم نعم وعن مرة ابن كعب بضم ميم وتشديد راء قال المؤلف في فضل الصحابة عداده في اهل الشام روى عنه نفر من التابعين ما ذكر الاردني نسبة حمس وخمسين قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل في زيادة من تاكيد افادة السماع بلا واسطة وذكر الفتن جملة حالية فقربها بتشديد الراء اي قرب النبي صلى الله عليه وسلم الفتن يعني وقوعها فمر رجل مقنع بفتح النون المشددة اي متستر في ثوب بجوانبه كالقناع فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اي هذا الرجل المقنع يومئذ اي يوم وقوع تلك الفتن على الهدى اي من قبيل قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم فمفعول سمعت محذوف دل عليه قوله فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه اي الى قرب الرجل فاذا هو عثمان بن عفان قال اي الراوي فاقبلت عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه اي بوجه عثمان والمعنى ادرت وجهه اليه ليتبين الامر عليه فقلت هذا اي اهذا هو الرجل الذي يومئذ على الهدى قال نعم فيه مبالغة في استحضار

جعله

القميص وتأكيدها بتحقيق الصورة الجلية رواه الترمذي وابن ماجه وقال
الترمذي هذا حديث حسن صحيح وفي الرياض عن كعب بن عجرة قال ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال هذا يومئذ على
الحق فانطلقت فأخذت بضبعيه فقلت هذا يا رسول الله قال هذا فإذا هو عثمان
ابن عفان أخرجه أحمد وأخرج الترمذي معناه عن مرة بن كعب البهزي وقال هذا
يومئذ على الهدى ورواه أحمد أيضا عن مرة بن كعب البهزي قال بينما نحن مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة قال كيف تصنعون في فتنة
تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي بقر قالوا نصنع ماذا يا رسول الله قال عليكم
بهذا وأصحابه قال فأسرعت حتى عطفت الرجل فقلت هذا يا نبي الله قال هذا فإذا
هو عثمان بن عفان وفي رواية لأحمد قال فأسرعت حتى عييت فلحقت بالرجل
فقلت هذا يا نبي الله الخ وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان
ذات يوم كما في رواية يا عثمان إنه أي الشأن لعل الله وفي رواية إن الله
لعله يقمصك بتشديد الميم أي يلبسك قميصا أي خلافة والمراد خلعة
الخلافة فإن أرادوك أي حملوك على خلعه أي نزعه فلا تخلعه لهم وفي رواية
فلا تخلعه ثلاثا والمعنى إن قصدوا عزلك فلا تعزل نفسك عن الخلافة لأجلهم
لكونك على الحق وكونهم على الباطل وفي قبول الخلع إيهام وتهمة فلهذا الحديث
كان عثمان رضي الله عنه ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار قال الطيبي استعار
القميص للخلافة ورشحها بقوله على خلعه قال في أساس البلاغة ومن المجاز قمصه
الله وشي الخلافة وتقمص لباس العز ومن هذا الباب قوله تعالى الكبرياء ردائي
والعظمة إزاري وقولهم المحدثين ثوب بيمنه الكرم بين برديه انتهى رواه الترمذي
وابن ماجه وكذا أبو حاتم وقال الترمذي حسن غريب وفي رواية فإن أرادك
المنافقون على خلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها مرتين أو ثلاثا وفي رواية
فإن أرادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يا عثمان إن الله عسى أن
يلبسك قميصا فذكره ثلاث مرات أخرجهما أحمد وقال الترمذي في الحديث قصة
طويلة وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة أي عظيمة
فقال يقتل هذا فيها مظلوما لعثمان بيان هذا رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن غريب إسنادا وأخرجه أحمد وقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما
فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان وعن أبي سهلة قال المؤلف في فصل الصحابة هو
التابعي ابن خلاد دليلي أبا سهلة الأنصاري الخزرجي مات سنة إحدى وتسعين
روى عنه ابنه خلاد وعطاء بن يسار انتهى والظاهر أن المراد به هنا مولى عثمان كما سيأتي
قريبا والله أعلم قال قال لي عثمان يوم الدار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلي عهدا

اي

أي أوصاني أن لا أخلع بقوله وإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم وأنا صابر عليه أي على
تحمل ذلك العهد رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن عائشة قالت
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا لي بعض أصحابي قلت أبا بكر قال لا قلت
عمر قال لا قلت ابن عمك قال لا قلت عثمان قال نعم فلما جاء قال تنحي فجعل يساره ولون
عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا أمير المؤمنين ألا تقاتل قال
لا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهدا وإني صابر نفسي عليه رواه
أحمد الفصل الثالث عن عثمان بن عبد الله بن موهب بفتح الميم وسكون
الواو وفتح الهاء وبالباء الموحدة على ما في الجامع والمغني وفي القاموس موهب
كمقعد اسم فما وقع في شرح ابن حجر من ضبطه بكسر الهاء وهم قال المؤلف هو تيمي
روى عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما وعنه شعبة وأبو عوانة قال جاء رجل من
أهل مصر أي إلى مكة يريد حج البيت فرأى قوما جلوسا أي جالسين فقال من هؤلاء
القوم قالوا أي قال بعض من سئل هؤلاء قريش أي أكابرهم قال فمن الشيخ أي
العالم المعتبر فيهم قال الشيخ في قومه كالنبي في أمته قالوا عبد الله بن عمر
إني سائلك عن شيء فحدثني أي أخبرني عن جوابه هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد
يعني والفرار منقصة عظيمة قال نعم هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد
أي ولم يحضرها ذكره تأكيدا وإرادة أنه فضل أهل بدر قال نعم قال هل تعلم أنه تغيب
عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر قال الطيبي قوله الله أكبر
بعد ما عد من الأمور بمنزلة الله أكبر في الحديث السابق فإنه أراد أن يلزم ابن عمر
ويحط من منزلة عثمان على الطريق المذكور فلما قال ابن عمر قال الله أكبر تعجبا ولطها
لاقيا مدا باه فقال ابن عمر تعال أي ارتفع من حضيض سفاهتك من الجهل إلى علو
فهم القضايا المبهمة المبينة عند أرباب العلم والمعرفة أبين لك بالجزم على
جواب الأمر وفي نسخة بالرفع أي أنا أبين لك أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله
عفا عنه وفي رواية وغفر له يعني لقوله تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله
غفور حليم ومن المعلومات أن المعفو خارج عن معرتنة المعيبة بالمغيبة
وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته أي تحت عقده رقية بالتصغير بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهذا علامة كمال رضى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث زوجه بنته ثم الأخرى وهي أم كلثوم وبه سمي ذا النورين ثم قال لو كانت لي
بنت أخرى لزوجتها إياه وفي الرياض عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله أوحى إلي أن أزوج كريمتي عثمان بن عفان أخرجه الطبراني وأخرجه
خيثمة بن سليمان عن عروة بن الزبير عن عائشة وزاد بعد قوله كريمتي يعني

رقية وام كلثوم وعن ابي هريرة قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم عثمان عند
باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل اخبرني ان الله قد امرني ان ازوجك ام كلثوم
بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها اخرجه ابن ماجة القزويني والحافظ ابو بكر
الاسماعيلي وغيرهما وعنه قال قال علي لعثمان لما ماتت امراته بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم بكيت بكاء شديدا فقال رسول الله ما يبكيك فقال ابكي على انقطاع
صهري منك قال فهذا جبريل يامر الله عز وجل ان ازوجك اختها وعن ابن عباس
معناه وزاد فيه والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت يموتن واحدة بعد
واحدة زوجتك اخرى حتى لا يبقى من المائة شي هذا جبريل اخبرني ان الله
عز وجل يامرني ان ازوجك اختها وان اجعل صداقها مثل صداق اختها اخرجه
الفضائلي وفي الذخائر عن سعيد بن المسيب قال تايم عثمان من رقية وتايمت حفصة
بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال هل لك في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال هل لك في خير من ذلك اتزوجها حفصة وازوج عثمان خيرا منها ام كلثوم
اخرجه ابو عمرو وقال الحديث صحيح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان جبريل امرني ان ازوج عثمان ابنتي وقالت عائشة كنا لا نرجوه
ارجي منك لما نرجوه قال موسى عليه السلام حرج يلتمس نارا فرجع بالنبوة اخرجه
الحافظ ابو نعيم البصري وكانت اي رقية مريضة اي في المدينة وفي الذخائر عن
ابن شهاب انها كانت اصابتها الحصبة فمرضت وتخلف عليها عثمان وماتت بالمدينة
وجاء زيد بن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبر رقية اخرجه ابو عمر
وعن ابن عباس قال لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية قال الحمد
لله دفن البنات المكرمات اخرجه الدولابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه اي جمع له بين اجر الغازي وغنيمة الدنيا فلا نقصان
في حقه اصلا فيكون نظير تغيب علي عن تبوك حيث جعله خليفة على اهاله وامره
بالاقامة فيهم لكن لم يعرف انه لعلي سهم من الغنيمة ايضا ام لا والله اعلم ثم البينة في الرياض
انه كذلك واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز اي اكثر عزة من جهة
العشيرة من بقية الصحابة ببطن مكة من عثمان لبعثه اي مكانه كما في رواية لكن
لما فقد الاعز منه حتى امتنع عمر رضي الله عنه خوفا على نفسه معللا يا رسول
الله ما لي قوم بمكة يغيثوني ويحفظوني وراء ظهري فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عثمان اي الى مكة فاستقبله اهله ورهطه وركبوه قدامهم واجاره
من تعرض احد وقالوا له طف بالبيت لعمرك فقال ما شاء الي اطوف في غيبته صلى
الله عليه وسلم وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الي مكة اي وشاع عندهم

ان المشركين تعرضوا الحرب المسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي صلى الله
عليه وسلم تحت الشجرة على ان لا يفروا وقيل بل جاء الخبر بان عثمان قتل فقال رسول
الله عليه وسلم اي اشار بيده اليمنى هذه اي هذه قائلا هذه يد عثمان فضرب بها على
يده اي اليسرى وقال هذه اي هذه البيعة او هذه اليد لعثمان اي لاجله او عنه
على فرض وجوده حياته او اشارة الى تكذيب خبر مماته ثم قال ابن عمر اذهب بها اي بالكلمات
التي اجبت لك عن اسئلتك الان معك فانه لا يضرنا بل يضرك وقال الطيبي فلما
نقض ابن عمر كل واحد مما بناه واقلعه عن اصله قال تهكما اي اذهب بها اي بما جئت
وتمسكت به بعد ما بينت لك الحق المحض الذي لا امتراء فيه انتهى والمعنى لا ينفعك
اعتقادك الفاسد في عثمان بعد ما بينت لك الحق الصريح بالجواب الصحيح رواه
البخاري وكذا الترمذي واللفظ مختلف والمعنى واحد وعن ابي سهلة مولى
عثمان رضي الله عنه وفي بعض النسخ المصححة رضي الله عنهما بلفظ التثنية
تغليبا ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم يسر نصحهم
فتشد به اي يخفي الكلام الى عثمان ولون عثمان يتغير اي من البياض والحمرة الى
الصفرة فلما كان يوم الدار بالرفع وبالنصب قلنا الا تقاتل بالتخفيف الا وتشدد
قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسر الي تفعيلا اي لانه عهد الي امرا
فانا صابر بالتنوين نفسي عليه قال الطيبي اي اوصاني بان اصبر ولا اقاتل ولا
يجوز ان يقال هي قوله فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فان ذلك يوهم المقاتلة
معهم للدفع فعلى هذا ينبغي ان يحمل الحديث الاخر في الفصل الثاني على هذا
المعنى لينتفيا قلت الاظهر ان العهد كان مركبا من عدم الخلع وترك القتال
للدفع بل لمجرد الصبر للوصول الى مقام الجمع وعن ابي حبيبة اسمه عمرو بن نصر
الحازمي الهمداني روى عن علي بن ابي طالب ذكره المؤلف في التابعين انه دخل الدار
وعثمان محصور فيها وانه اي ابا حبيبة سمع ابا هريرة يستاذن عثمان في الكلام اي
عنده او على الحاضرين ويؤيده الثاني قوله فاذن له فقام فحمد الله واثنى عليه اي على
الله وهو عطف تفسيري بيان او الحمد بمعنى الشكر ثم قال اي ابو هريرة سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ايها الامة او ايها الصحابة ستلقون
بعدي فتنة اي محنة عظيمة واختلافا اي كثيرا وقال اختلافا وفتنة شك الراوي
في تقديم احدى اللفظين فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم قائل فمن لنا
يا رسول الله قال الطيبي هو متوجه الى قوله اختلافا اي ستلقون اختلافا
بين الامير ومن خرج عليه فمن تامرنا ان نتبعه ونذمه فيكون لنا العاقبة لا علينا
او تامرنا به شك من الراوي بين اللفظين مع ان مرادهما في المعنى واحد
قال عليكم بالامير واصحابه وهو اي ابو هريرة والاظهر ان النبي صلى الله عليه وسلم

يشير الى عثمان بذلك اي بقوله الامير بان يكون حاضرا في ذلك المجلس او مذكورا فيه رجاها
اي الحديثين الشافعين للبيهقي في دلائل النبوة قال المؤلف كان اسلامه في اول
الاسلام على يدي ابي بكر قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الى ارض
الحبشة الهجرتين وكان ابيض ربعة حسن الوجه عظيم اللحية بصرها استخلف اول
يوم من المحرم سنة اربع وعشرين وقتله الاسود التجيبي من اهل مصر وقيل غيره
ودفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل
تسعون وثمانون وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اياما وروى عنه خلق كثير

باب مناقب هؤلاء الثلاثة

الفصل الاول عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد بكسر العين اي طلع احدا
اي جبل احد وابو بكر وعمر وعثمان اي معه فرجف اي تحرك احد بهم اي اضطرابا واهتزازا
بهم وضربه اي النبي عليه السلام برجله فقال اثبت احد اي ولا تظهر شيئا
على ظاهرك كالكاملين الواصلين على ما حكي ان الجنيد سئل ما بالك عن السماع ظاهرا
مع تحقق حالك باطنا فقرئ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فانما عليك نبي
وصديق وشهيدان اي وصحبة اهل التمكين والوفا فلابد لها من تأثير خال عن الاظهار
ونقدم مثله في جبل ثبير رواه البخاري وكذا احمد والترمذي وابو حاتم واخرجه
احمد عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا على حراء ومعه ابو بكر
وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت حرا فانه ليس
عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي رواية عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد وفي
رواية وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر عليا اخرجها مسلم واخرجه الترمذي ولم يذكر
سعدا وقال اهدا مكان اسكن وقال حديث صحيح واخرجه الترمذي ايضا عن سعيد بن
زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا الحديث فاختلاف الروايات
محمول على تعدد القضية في الاوقات واثبات الشهادة لبعضهم حقيقة والباقين
حكما والله اعلم وعن ابي موسى الاشعري قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
في حائط اي بستان من حيطان المدينة بكسر الحاء جمع فجاء رجل اي لا يعرف حاله فاستفتح
اي طلب الفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة اي العالية
ففتحت له فاذا ابو بكر فبشرته بما قال رسول الله وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم
فحمد الله اي شكره على تلك البشارة ففي رواية فقال اللهم حمدا وفي رواية فقال الحمد لله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا عمر فاخبرته
بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي زاده هنا بكمال

ثم جاء رجل فاستفتح

الاهتمام

الاهتمام وبعرفه الفضيلة افتح له وبشره بالجنة على بلوى اي مع بلية عظيمة تصيبه على
ما ذكره الاشرف وقال الطيبي اذا جعل على متعلقا بقوله بالجنة يكون المبشر به مركبا
وهو الظاهر وعلى بمعناه انتهى والاظهر الاول لان البلاغة عند ارباب لولا فاذا
عثمان وانما خص عثمان به مع ان عمر ايضا ابتلي به لعظيم ابتلاء عثمان لاستمامه مع امتداد
الزمان وقتله الاعوان من الاعيان فاخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله
ثم قال الله المستعان اي المطلوب منه المعونة على جميع المؤنة ومنه الصبر على مرارة
تلك البلية ثم في ذلك البلية ثم في ترتيب ما تأتيهم الى الجنة التي فيها النبي صلى
الله عليه وسلم ايماء الى مراتبهم العالية في الجنة العالية في مقعد صدق عند
مليك مقتدر ومن القبر بحضرة النبي البشير متفق عليه ذكر في الرياض على ابي
موسى انه خرج الى المسجد فسال النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا توجه ههنا فخرجت
في اثره حتى دخل بئر اريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضا فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر اريس
وتوسط قفها وهو بالضم ما ارتفع من الارض فجلست عند الباب فقلت لاكونن
بوابا النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر
فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر يستاذن
فقال ائذن له وبشره بالجنة فاقبلت حتى قلت لابي بكر ادخل ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم
معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه
ثم رجعت فجلست وقد تركت اخي يتوضا ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد
اخاه يات به فاذا بانسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت
على رسلك ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذن
فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر
فرجعت وجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يات به فجاء انسان فحرك الباب
فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت
ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ
فجلس وجاهه من الشق الاخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فاولتها قبورهم
اخرجه احمد ومسلم وابن ابي حاتم واخرجه البخاري وزاد بعد قوله فاولتها قبورهم اجتمعت
وانفرد عثمان واخرجه مسلم ايضا من طريق اخرى عن ابي موسى ولفظه قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم متكيا في حائط من حيطان المدينة وهو يقول بعود في الماء

والطين ينكت به فجاء رجل فاستفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره
بالجنة ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره بالجنة فاذا هو عمر ففتحت
له وبشرته بالجنة ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال افتح وبشره بالجنة على بلوى قال
ففتحت له فاذا هو عثمان فبشرته بالجنة وقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا
وخرج الترمذي معناه عنه ولفظه انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل فدخل حائطا للانصار فقضى حاجته فقال لي يا ابا موسى املك علي الباب فلا
يدخلن احد علي الا باذني فجاء رجل فضرب الباب فقلت من هذا فقال ابو بكر قلت يا رسول
الله هذا ابو بكر يستاذن قال ائذن له وبشره بالجنة ثم ذكر نحوه في عمر وعثمان وهذا
الحديث يدل على تكرار القضية فان ابا موسى ذكر في حديث مسلم الاول انه
سال عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل وجهه ها هنا فاتبع اثره هذا الحديث
ينطق بانه انطلق معه ويحتمل ان يكون لما تبع اثره لحق به قبل دخول الحائط الذي
فيه بئر اريس ثم انطلق معه حتى دخل فقال له تلك المقالة ويكون ابو موسى ذكر
سبب جلوسه بوابا في رواية ولم يذكره في رواية واستوفى القضية في رواية
واختصرها في رواية والقضية واحدة والله اعلم

الفصل الثاني

عن ابن عمر قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي جملة حالية معترضة بين القول
ومقوله ابو بكر وعمر وعثمان اي على هذا الترتيب عند ذكرهم وبيان امرهم رضي الله
عنهم وقال شارح وابو بكر وما عطف عليه مبتدا خبره رضي الله عنهم والجملة مقول
القول ورسول الله حي جملة معترضة اي كنا نذكر هؤلاء الثلاثة بان الله تعالى
رضي عنهم وفي بعض النسخ بعد قوله حي افضل امة النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعثمان
رضي الله عنهم اي وسكت عن الباقين رواه الترمذي وفي رواية له عنه قال كنا نفاضل
على عهد رسول الله فنقول ابو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول الله فلا ينكره
وعنه كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضل ابا بكر ثم
عمر ثم عثمان خرجه البخاري وعنه كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي افضل
امة محمد بعده ابو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه ابو داود الحافظ في الموافقات وعنه
قال اجتمع المهاجرون والانصار على ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر وعمر وعثمان
وعنه كنا نتحدث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه متوافرون انا نقول
ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجها خيثمة بن سعد وخرج
معناه الحاكمي وزاد فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره كذا في رياض
النضرة

الفصل الثالث

عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اري بضم
الهمزة وكسر الراء وفتح الياء اي ابصر في منامه الليلة اي البارحة رجل صالح كان ابا بكر
نيط بكسر اوله اي علق برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بابي بكر ونيط عثمان

بعمر

بعمر قال الطيبي كان من الظاهر ان يقال رايت لنفسي الليلة وابو بكر نيط بي فجرد منه
صلى الله عليه وسلم لكونه رسول الله وحبيبه رجلا صالحا ووضع رسول الله موضع رجلا
تفخيما غب تفخيم انتهى خلاصته ان قوله رجل صالح بيان للضمير المرفوع في اري على سبيل
التجريد وانما يتم هذا على ان اري بفتح الراء بصيغة المجهول المتكلم على ما في نسخة
لكن قيد وصحح بانه اري بصيغة الماضي المجهول ورجل صالح مفعول ما لم يسم فاعله
ويؤيده انه لما كان الرجل الصالح على صرافة ابهامه قال جابر فلما قمنا من عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلنا اما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالاتفاق
والظن الغالب والا فيحتمل صالحا كعلي مثلا اي في تلك الرواية فاخبره صلى الله عليه
وسلم او انكشف له بنور النبوة فاظهره لكن لحكمة ابهمه وستره ويؤيده ما قال
صاحب الرياض اخرجه ابو حاتم في صحيحه وهكذا ذكره والصواب اري الليلة
واما نوط بعضهم اي تعلقهم وانضمامهم فهم ولاة الامر اي امر الدين الذي بعث
الله به نبيه صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وفي الرياض ذكر باب ما جاء
في مناقب ابي بكر وعمر وعلي وعثمان عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يطلع عليكم من تحت الصور رجل من اهل الجنة فطلع ابو بكر
فهنأناه ثم لبث هنيئة ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من اهل
الجنة فطلع عمر فهنأناه ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من اهل
الجنة اللهم اجعله عليا ثلاث مرات فطلع علي خرجه احمد والصور جماعة النخل
وسياتي حديث علي في الفصل الثاني من باب مناقب العشرة من المختصات بالثلاثة

باب مناقب علي بن ابي طالب

رضي الله عنه قال احمد والنسائي وغيرهما لم يرد في حق احد من الصحابة بالاسانيد
الجياد كما جاء في علي كرم الله وجهه وكان السبب في ذلك انه تاخر ووقع الاختلاف
في زمانه وكثر محاربوه والخارجون عليه فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه
لكثرة من كان يرويها من الصحابة ردا على من خالفه والا فالثلاثة قبله
لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد عليه كذا ذكره السيوطي وقد جاء في الصحيح
من شعره رضي الله عنه انا الذي سمتني امي حيدره وحيدرة اسم الاسد
وكانت فاطمة امه لما ولدته باسم ابيها فلما قدم ابو طالب كره الاسم فسماه عليا
وعن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل
ابن سعد فامره ان يشتم عليا فابى فقال له اما اذ ابيت فقل لعن الله ابا تراب
فقال سهل ما كان لعلي اسم احب اليه من ابي تراب ان كان ليفرح به اذا دعي به فقال
له اخبرنا عن قصته لم سمي ابا تراب قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة
فلم يجد عليا في البيت فقال اين ابن عمك فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني

فخرج ولم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان انظر أين هو
فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع
قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه
عنه ويقول قم أبا التراب قم أبا التراب أخرجه الشيخان وفي الرياض عن أبي سعيد
التيمي قال كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا عليا
قد أقبل قلنا بزرك أشكم قال علي ما تقولون قال نقول عظيم البطن قال أجل أعلاه
علم وأسفله طعام وعن أبي لبيد قال رأيت علي بن أبي طالب يتوضأ فحسر العمامة
عن رأسه فرأيت رأسه مثل راحتي عليه مثل خط الأصابع من الشعر أخرجه
ابن الضحاك وعن قيس بن عباد قال قدمت المدينة أطلب العلم فرأيت رجلا عليه
بردان وله ضفيرتان قد وضع يده على عاتق عمر فقلت من هذا قالوا علي أخرجه
ابن الضحاك أيضا ولا تضاد بينهما إذ يكون الشعر انحسر عن وسط رأسه وكان
في جوانبه شعر مسترسل فضفره باثنتين **الفصل الأول** عن سعد
ابن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي
أنت مني بمنزلة هارون من موسى يعني في الأخوة وقرب المرتبة والمظاهرة
به في أمر الدين كذا قاله شارح من علمائنا وقال التوربشتي كان هذا القول
من النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه إلى غزوة تبوك وقد خلف عليا رضي الله
عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه إلا
استثقالا له وتخففا منه فلما سمع به علي أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا رسول الله زعم المنافقون
كذا فقال كذبوا إنما خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك
أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى يأول قوله سبحانه وقال
موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي والمستدل بهذا الحديث على أن الخلافة
كانت له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زائغ عن منهج الصواب فإن
الخلافة في الأهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الأمة بعد مماته والمقايسة
التي تمسكوا بها تنتقض عليهم بموت هارون قبل موسى عليهما السلام وإنما يستدل
بهذا الحديث على قرب منزلته واختصاصه بالمؤاخاة من قبل الرسول صلى
الله عليه وسلم وفي شرح مسلم قال القاضي عياض هذا مما تعلقت به الروافض
وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقا لعلي رضي الله عنه وأنه وصى
له بها فكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا
لأنه لم يقم في حق طلبه وهؤلاء أسخف عقلا وأفسد مذهبا من أن يذكر قولهم
ولا شك في تكفير هؤلاء لأن من كفر الأمة كلها والصدر الأول خصوصا فقد أبطل

الشريعة

الشريعة وهدم الإسلام ولا حجة في الحديث لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي
ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده لأن
النبي صلى الله عليه وسلم إنما قال لهذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك
ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لأنه توفي قبل وفاة موسى
بنحو أربعين سنة وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة وقال الطيبي ره
من جهة علم المعاني أن قوله مني خبر للمبتدأ ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص
والباء زائدة كما في قوله تعالى فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به أي فإن آمنوا إيمانا مثل
إيمانكم يعني أنت متصل بي ونازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه ووجه
الشبه مبهم لم يفهم أنه رضي الله عنه فيما شبه به صلى الله عليه وسلم فبين
بقوله إلا أنه لا نبي بعدي أن اتصاله به ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من
جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة إما أن يكون حال حياته أو بعد مماته
فخرج من أن يكون بعد مماته لأن هارون عليه السلام مات قبل موسى فتعين أن يكون
في حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك انتهى وخلاصته أن الخلافة في حياته لا تدل
على الخلافة الكلية بعد مماته لا سيما وقد عزل عن تلك الخلافة برجوعه صلى الله عليه
وسلم إلى المدينة وفي شرح مسلم قال بعض العلماء في قوله إلا أنه لا نبي بعدي دليل
على أن عيسى ابن مريم إذا نزل ينزل حكما من حكام هذه الأمة يدعو بشريعة محمد صلى
الله عليه وسلم ولا ينزل نبيا قلت ولا منافاة بين أن يكون نبيا ويكون متابعا
لنبينا صلى الله عليه وسلم في بيان أحكام شريعته وإتقان طريقته ولو بالوحي إليه
كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي أي مع
وصف النبوة والرسالة وإلا فمع سلبهما لا يفيد زيادة المزية فالمعنى أنه
لا يحدث بعده نبي لأنه خاتم النبيين السابقين وفيه إيماء إلى أنه لو كان بعده
نبي لكان عليا وهو لا ينافي ما ورد في حق عمر صريحا لأن الحكم فرضي وتقديري فكأنه
قال لو تصور بعدي نبي لكان جماعة من أصحابي أنبياء ولكن لا نبي بعدي وهذا معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لو عاش إبراهيم لكان نبيا وأما حديث علماء أمتي كأنبياء
بني إسرائيل فقد صرح الحفاظ كالزركشي والعسقلاني والدميري والسيوطي بأنه
لا أصل له ثم رأيت بعضهم ذكروا زيادة ولو كان لكنته لكن قال الخطيب هذه الزيادة
لا نعلم رواها إلا ابن الأزهر وكان يضع وقال ابن النجار المتن صحيح والزيادة غير محفوظة
والله أعلم بوضعها متفق عليه ورواه ابن ماجه وأبو بكر المطيري في جزئه عن أبي
سعيد ولفظه علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وروى الخطيب
عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس بلفظ علي مني بمنزلة رأسي
من بدني وعن زر بكسر الزاي وتشديد الراء ابن حبيش بضم مهملة وفتح موحدة

فسكون تحتية فشين معجمة قال المؤلف اسدي كوفي عاش في الجاهلية ستين سنة
وفي الاسلام ستين وهو من اكابر القراء المشهورين من اصحاب عبد الله ابن مسعود
وسمع عمر روى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم قال قال علي رضي الله عنه والذي
فلق الحبة اي شقها واخرج النبات منها وبرا النسمة اي خلق كل ذات روح انه اي
الشان لعهد النبي الامي الي اي اكد ذلك وبالغ علي حتى كانه عهد الي وفي نسخة بسكون
الياء على انه مصدر مرفوع مضاف الى النبي الامي وهو نائب الفاعل لقوله الي وان في قوله
ان لا يحبني مصدرية او تفسيرية لما في العهد من معنى القول والمعنى لا يحبني
حبا مشروعا مطابقا للواقع من غير زيادة ونقصان ليخرج النصيري والخارجي
الا مومن اي كامل الايمان ممن احبه وابغض الشيخين مثلا فما احبه حبا مشروعا
ايضا كما اشار اليه السيد جمال الدين لكن عبارته قاصرة بل موهمة حيث قال اي
لا يحبني حبا مشروعا فلا ينتقض بمن يحبه ويبغض ابا بكر وعمر ولا يبغضني
الا منافق اي حقيقة او حكما رواه مسلم واخرجه الترمذي ولفظه عهد الي
من غير قسم وقال حسن صحيح وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة اخرجه احمد
والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ام سلمة رضي الله عنها كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مومن اخرجه الترمذي
وقال حسن غريب وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا يبغضك
مومن ولا يحبك منافق اخرجه احمد في المسند وعن المطلب بن عبد الله بن
حنطب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اوصيكم
بحب ذي قرابتي اخي وابن عمي علي ابن ابي طالب فانه لا يحبه الا مومن ولا يبغضه
الا منافق من احبه فقد احبني ومن ابغضه فقد ابغضني اخرجه احمد
في المناقب وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من احب عليا في حياته
وبعد موته اخرجه احمد وروى الحاكم عن انس مرفوعا حب العرب ايمان وبغضهم
نفاق وروى ابن عدي عن انس حب ابي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وروى ابن عساكر
عن جابر حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان
وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة
الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه يوم القيامة وعن سهل بن سعد اي الساعدي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر اي زمن محاصرته او اخرها زمن اقامته
لما في البخاري فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لاعطين هذه الراية اي العلم التي علامة للامارة غدا اي في غد رجلا

يفتح

يفتح الله على يديه اي بسببه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وفيه ايماء الى قوله
تعالى يحبهم ويحبونه وحديثه طويل الذيل عزيز النيل وفي رواية قال فبات الناس يدوكون
ليلتهم ايهم يعطى والدوك الخوض فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي توجهوا وقت الغدوة كلهم يرجون اي يتمنون ان يعطاها اي الراية التي اية الفتح وجمع
الضمير في يرجون نظرا الى معنى كلهم وافرد في يعطى نظرا الى لفظه وفيه لطيفة
وهي شمول الرجا دون حصول الاعطا فقال اين علي بن ابي طالب وفيه انه وقع في هذا
المقام مراد وغيره مريد والله غالب على امره في اعطاء المزية لمن يريد فقالوا هو
يا رسول الله يشتكي عينيه والمعنى انه حصل عذر لديه قال الطيبي اي اين علي
مالي لا اراه حاضرا فيستفهم جوابهم هو يا رسول الله يشتكي عينيه ونحوه قوله تعالى
مالي لا ارى الهدهد كانه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته عن حضرته في مثل
ذلك الموطن لا سيما وقد قال لاعطين هذه الراية الخ وقد حضر الناس كلهم
طمعا بان يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد ولتقديم القوم الضمير وبنا يشتكي عليه
اعتذار منهم على سبيل التوكيد قال فارسلوا اليه بكسر السين والمعنى فارسلوا
اليه فاتى به اي فجيء به فبصق وفي رواية فلما جاء بصق رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي القى بزاقه في عينيه وفي رواية ودعا له فبرا بفتح الراء وقد
يكسر اي فصح علي من جهة عينيه وعوفي عافية كاملة حتى كان لم يكن به وجع
اي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر اصلا فاعطاه الراية فقال علي يا رسول
الله اقاتلهم بهمزة مقدرة او بدونها حتى يكونوا مثلنا اي حتى يسلموا قال انفذ
بضم الفاء اي امض على رسلك بكسر فسكون اي رفقك ولينك حتى تنزل بساحتهم
اي حتى تبلغ فناءهم من ارضهم ثم ادعهم الى الاسلام اي اولا واخبرهم بما يجب عليهم
من حق الله فيه اي في الاسلام وكان هنا محذوفا او جملة مطوية وهي فان
ابوا عنه فاطلب الجزية فان ابوا فقاتلهم حتى يسلموا حقيقة او حكما ومعناه
بالانقياد واما قال الطيبي كانه صلى الله عليه وسلم استخشن قوله اقاتلهم حتى يكونوا
مثلنا واستكره عليها فصرفه من مقاتلة اياهم حتى يكونوا مثلنا مهتدين من اعلاء
الدين الى الله ومن ثم حثه صلى الله عليه وسلم على ما نواه بقوله فوالله لان يهدي
الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم يراد به حمر الابل وهي اعزها
وانفسها ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء وانه ليس هناك اعظم منه قال
النووي تشبيه امور الاخرة باعراض الدنيا انما هو للتقريب الى الافهام والا فذرة
يسير من الاخرة خير من الدنيا باسرها وامثالها معها اقول والظاهر ان قوله فوالله
الخ تاكيد لما ارشده من دعايتهم الى الاسلام اولا فانه ربما يكون سببا لايمانهم من غير حاجة
الى قتالهم المتفرع عليه حصول الغنايم من حمر النعم وغيرها فان ايجاد مومن واحد خير

من اعلام الهدى كافر على ما صرح به ابن الهمام في اول كتاب النكاح معللا بانه على وجه
نقد يمه على كتاب السير والجهاد والحمر بضم فسكون جمع احمر واما بضم الميم فهو جمع
حمار والنعم بفتحتين وقد يكسر عينه على ما في القاموس الابل والشاء او خاص بالابل
واما النعم بكسر فهو جمع نعمة متفق عليه وروى الطبراني عن ابي رافع مرفوعا لان
يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس اي خير من الدنيا وما فيها
وقيل ان اراد ان تكون لك وتتصدق فيها وفي الرياض عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله
يفتح الله عليه وقال عمر فما احببت الامارة فتشارفت فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليا فاعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت فسار علي شيئا ووقف
ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ما اقاتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد
منعوا دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل اخرجه مسلم وعن
سلمة بن الاكوع قال كان علي قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر
وكان به رمد فقال انا اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي فلحق
بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية او ليأخذن الراية غدا رجل يحبه
الله ورسوله او قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فاذا نحن بعلي
وما نرجوه فقالوا هذا علي فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله
عليه اخرجه البخاري ومسلم وعن بريدة قال حاصرنا خيبر فاخذ اللواء ابو بكر
فانصرف ولم يفتح له ثم اخذ عمر من الغد فخرج ورجع ولم يفتح له واصاب الناس
يومئذ شدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني دافع غدا الى رجل يحبه
الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح عليه فبتنا طيبة انفسنا
ان الفتح غدا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم قام قائما فدعا باللواء والناس على مصافهم
فدعا عليا وهو ارمد فتفل في عينيه ودفع اللواء اليه ففتح له قال بريدة وانا ممن
تطاول لها اخرجه احمد في المناقب وعن سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر الصديق برايته وكانت بيضاء الى بعض حصون خيبر فقاتل
ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ولم يكن فتح وقد
جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله
يفتح الله على يديه ليس بفرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وهو ارمد فتفل
في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج والله
بها يهرول هرولة وانا خلفه نتبع اثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن

فاطلع

فاطلع اليه يهودي من راس الحصن فقال من انت قال انا علي بن ابي طالب قال اليهودي
علوتم وما انزل على موسى او كما قال فما رجع حتى فتح الله على يديه اخرجه ابن اسحق
وعن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله
صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنى من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من
اليهود وطرح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل بيده
حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده حين فرغ فلقد رايتني في نفر مع سبعة انا ثامنهم
نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه اخرجه احمد في المناقب وعن جابر بن عبد الله
ان علي بن ابي طالب حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وبعد ذلك لم
يحمله اربعون رجلا وفي طريق ضعيف ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم ان اعادوا
الباب اخرجهما الحاكمي في الاربعين عن علي قال ما رمدت بعد تفل النبي صلى الله عليه وسلم
في عيني اخرجه احمد ايضا عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان ابي يسمر مع علي وكان يلبس ثياب
الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأل فقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث الي وانا ارمد العين يوم خيبر فقلت يا رسول الله اني ارمد
العين قال فتفل في عيني وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حرا ولا بردا منذ
يومئذ وقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار
فتشرف لها اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانيها وذكر حديث البراء قال لعلي
انت مني وانا منك في باب بلوغ الصغير اي لما كان له تعلق بالحضانة والحديث
هناك مشتمل على فضل علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم اجمعين

الفصل الثاني عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
عليا مني وانا منه اي في النسب والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا لا في
محض القرابة والا فغيره مشارك له فيها وهو ولي كل مؤمن اي حبيبه كما قاله ابن الملك
او ناصره او متولي امره قال الطيبي هو اشارة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين
امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وفي الكشاف قيل نزلت في
علي رضي الله عنه فان قلت كيف يصح ان يكون لعلي واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به
ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب
ان يكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان قال البيضاوي قوله وهم راكعون
اي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكاة
في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في علي كرم
الله وجهه حين ساله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه انتهى والحديث رواه
ابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه بروايات مختلفة قال القاضي واستدل به الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه

من انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما لم يقل اولياؤكم
للتنبيه على ان الولاية لله ورسوله وللمؤمنين على التبع من ان الحمل الجمع على الواحد ايضا
خلاف الظاهر وقال السيد معين الدين الصفوي سبب قيل الاية ينادي على ان المراد من الولاية
ليس المتولي للامور والمستحق للتصرف كما قالت الشيعة بل ذكره بلفظ الجمع تحريضا
على المبادرة على الصدقة فيدخل فيه كل من بادر فلا يستدل بهذه الاية على امامة
علي رضي الله عنه انتهى عنه والحاصل ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
لاستعمال اللفظ بصيغة الجمع فيدخل علي كرم الله وجهه فيه دخولا اوليا لان المراد محصور
فيه حقيقة فيما رواه الترمذي وفي الرياض عن عمران بن حصين قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها عليا قال فمضى علي في السرية فاصاب جارية
فانكروا عليه وتعاقد عليه اربعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اذا
لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرناه بما صنع علي فقال عمران وكان المسلمون اذا
قدموا من سفر بدؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه ثم انصرفوا الى رحالهم
فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام احد الاربعة
فقال يا رسول الله الم تر ان عليا صنع كذا وكذا فاعرض عنه ثم قام الثاني فقال مثل
مقالته فاعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فاعرض عنه ثم قام الرابع فقال
مثل ما قالوا فاقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب يعرف في وجهه
فقال ما تريدون من علي ثلاثا ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي اخرجه
الترمذي وقال حسن غريب واخرجه احمد وقال فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الرابع وقد تغير وجهه فقال دعوا عليا دعوا عليا علي مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن
بعدي وله طرق اخر عن بريدة واصله في صحيح البخاري واخرجه احمد في المناقب عن
ابي رافع قال لما قتل علي اصحاب الالوية يوم احد قال جبريل يا رسول الله ان هذه المواساة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انه مني وانا منه فقال جبريل وانا منكما يا رسول الله
وعن زيد بن ارقم ذكره تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي
مولاه قيل معناه من كنت اتولاه فعلي يتولاه من الولي ضد العدو اي من كنت احبه
فعلي يحبه وقيل معناه من يتولاني فعلي يتولاه كذا ذكره شارح من علمائنا وفي النهاية
المولى يقع على جماعة كثيرة كالرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب
والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم
عليه واكثرها قد جاءت في الاحاديث فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد
فيه وقوله من كنت مولاه يحمل على اكثر هذه الاسماء المذكورة قال الشافعي يعني بذلك
ولاء الاسلام كقوله تعالى بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول
عمر لعلي اصبحت مولى كل مؤمن اي ولي كل مؤمن وقيل سبب ذلك ان اسامة قال لعلي

لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من
كنت مولاه فعلي مولاه وفي شرح المصابيح للقاضي قالت الشيعة هو المتصرف وقالوا
معنى الحديث ان عليا رضي الله عنه يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول صلى الله عليه وسلم
التصرف فيه ومن ذلك امور المؤمنين فيكون امامهم قال الطيبي لا يستقيم ان يحمل الولاية
على الامامة التي هي التصرف في امور المؤمنين لان التصرف المستقل في حياته صلى الله
عليه وسلم هو لا غير فيجب ان يحمل على المحبة وولاء الاسلام ونحوهما انتهى وقيل
سبب ورود هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن اسحاق ان عليا رضي
الله عنه تكلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجه خطب
بها تنبيها على قدره وردا على من تكلم فيه كبريدة كما في البخاري وسبب ذلك كما رواه
الذهبي وصححه انه خرج معه الى اليمن فراى منه جفوة فنقصه للنبي صلى الله عليه وسلم
فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من انفسهم
قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه رواه احمد والترمذي وفي الجامع
رواه احمد وابن ماجه عن البراء واحمد عن بريدة والترمذي والنسائي والضياء عن زيد
ابن ارقم ففي اسناد الجامع الحديث عن زيد بن ارقم الى احمد والترمذي مسامحة لا يخفى
وفي رواية لاحمد والنسائي والحاكم عن بريدة من كنت وليه فعلي وليه روى المحاملي
في اماليه عن ابن عباس ولفظه علي ابن ابي طالب مولى من كنت مولاه والحاصل ان
هذا الحديث صحيح لا مرية فيه بل بعض الحفاظ عده متواترا اذ في رواية لاحمد انه سمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع ايام خلافته
وسياتي زيادة تحقيق في الفصل الثالث عند حديث البراء وعن حبشي بضم الحاء
وسكون موحدة فكسر فتشديد تحتية ابن جنادة بضم الجيم قال المؤلف راى النبي صلى
الله عليه وسلم في حجة الوداع وله صحبة يعد في اهل الكوفة روى عنه جماعة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وانا من علي مر معناه ولا يؤدي عني اي نبذ
العهد الا انا او علي كان الظاهر ان يقال لا يؤدي عني الا علي فادخل انا تاكيدا لمعنى الاتصال
في قوله علي مني وانا منه قال التوربشتي كان من داب العرب اذا كان بينهم مقاولة
في نقض وابرام وصلح ونبذ عهد ان لا يؤدي ذلك الا سيد القوم او من يليه من
ذوي قرابته القريبة ولا يقبلون ممن سواهم فلما كان العام الذي امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكر ان يحج بالناس راى بعد خروجه ان يبعث عليا كرم الله وجهه خلفه
لينبذ الى المشركين عهدهم ويقرا عليهم سورة براءة وفيها انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام بعد عامهم هذا الى غير ذلك من الاحكام فقال قوله هذا تكريما له بذلك
واعتذارا لابي بكر في مقامه هنالك ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من ورائه امير
او مامور فقال بل مامور فيه ايماء الى ان امارته انما تكون متاخرة عن خلافة الصديق

كما لا يخفى على ذوي التحقيق رواه الترمذي وكذا احمد والنسائي وابن ماجه عن حبشي
على ما في الجامع ورواه احمد عن ابي جنادة فلعل لاحمد له روايتان ولم يذكر المؤلف ابا جنادة
في اسمائه وعن ابن عمر اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد الهمزة اي جعل المواخاة
في الدين بين اصحابه اي اثنين اثنين كأبي الدرداء وسلمان فجاء علي تدمع عيناه
اي فسيل ما له فقال وفي رواية يا رسول الله اخيت بين اصحابك ولم تواخ بالهمز
ويجوز ابداله واوا بيني وبين احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جبرا
له بما كان خبرا له انت اخي في الدنيا والاخرة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن
غريب واخرجه احمد في المناقب عن عمرو بن عبد الله عن ابيه عن جده ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لاخي بين الناس وترك عليا حتى بقي اخرهم لا يرى له اخا فقال يا رسول
الله اخيت بين الناس وتركتني قال ولم تراني تركتك انما تركتك لنفسي انت
اخي وانا اخوك فان ذكرك احد فقل انا عبد الله واخو رسول الله لا يدعيها بعدك
الا كذاب وعن انس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير اي مشوي او مطبوخ
اهدي اليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية اهدته امرأة من الانصار الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمت اليه فقال اللهم ائتني باحب
خلقك اليك وفي رواية والى رسولك يأكل بالرفع وفي نسخة بالجزم معي هذا الطير
فجاءه علي فاكل معه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا او متنا
ولا منع من الجمع قال ابن الجوزي موضوع وقال الحاكم ليس بموضوع وفي المختصر له طرق
كثيرة كلها ضعيفة وفي الرياض رواه احمد في المناقب قال الامام التوربشتي
نحن والله كنا لا نجهل بحمد الله فضل علي رضي الله عنه وقدمه وسوابقه في
الاسلام واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابته القريبة ومواخاته
اياه في الدين ونتمسك من حبه باقوى وأولى مما يدعيه الغالون فيه فلسنا نرى
ان نضرب عن تقرير امثال هذه الاحاديث في نصابها صفحا لما نخشى فيه من تحريف
الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وهذا باب امرنا فيه بالنظر وجاء الامر بالذب
عنه فحقيق علينا ان ننتصر فيه للحق ونقدم فيه الصدق وهذا حديث
يدلس به المبتدع شأنه ويتوصل به المنتحل جناحه ليتخذه ذريعة الى الطعن في
خلافة ابي بكر رضي الله عنه التي هي اول حكم اجمع عليه المسلمون في هذه الامة
واقوم عماد اقيم به الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق
هذا الحديث لا يقاوم ما اوجب تقديم ابي بكر والقول بخيريته من الاخبار الصحاح
منضما اليها اجماع الصحابة لمكان سنده فان فيه لاهل النقل مقالا ولا يجوز حمل
امثاله على ما يخالف الاجماع لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الاجماع
واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل

ان

ان يأول على وجه لا ينتقض عليه ما اعتقده ولا يخالف ما هو اصح منه متنا واسنادا
وهو ان يقال يحمل قوله باحب خلقك على ان المراد منه ائتني بمن هو من احب خلقك
اليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون باجماع الامة وهذا مثل قولهم فلان اعقل
الناس وافضلهم اي من اعقلهم وافضلهم ومما يبين لك ان حمله على العموم غير جائز
هو ان النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خلق الله ولا جائز ان يكون علي احب الى الله
منه فان قيل ذلك شيء عرف باصل الشرع قلنا والذي نحن فيه عرف ايضا بالنصوص
الصحيحة واجماع الامة فيأول هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه او على انه
اراد به احب خلقه اليه من بني عمه وذويه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلق
القول وهو يريد تقييده ويعم به ويريد تخصيصه فيعرفه ذوو الفهم بالنظر
الى الحال او الوقت او الامر الذي هو فيه قال الطيبي والوجه الذي يقتضيه
المقام هو الوجه الثاني لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره ان يأكل وحده لانه ليس من شيمة
اهل المروءات فطلب من الله تعالى ان يبعث من يؤاكله وكان ذلك برا واحسانا منه
اليه وابر المبرات بذوي الرحم وصلته كأنه قال بأحب خلقك اليك من ذوي القرابة
القريبة ومن اولى باحساني وبري اليه انتهى وفيه انه لا شك ان العم اولى من
ابنه وكذا البنت واولادها في امر البر والاحسان على ان قول الطيبي هذا انما يتم اذا
لم يكن احد هناك ممن يؤاكله ولا شك في وجوده ولا سيما وانس حاضر وهو خادمه ولم
يكن من عادته انه لا يأكل معه فالوجه الاول هو المعول ونظيره ما ورد احاديث بلفظ
افضل الاعمال في امور لا يمكن جمعها الا ان يقال في بعضها ان التقدير من افضلها وعن
علي رضي الله عنه قال كنت اذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي طلبته
شيئا اعطاني اي المسؤول او جوابه واذا سكت ابتدأني بالتكلم او الاعطاء وفيه اشعار
بان حسن الادب هو السكوت وتفويض الامر الموجب للتعظيم المتفرع عليه الافتتاح بالمنح
للاعطاء او لا ويؤيده حديث من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
ومما يدل على كرمه وزهده ما ذكره اصحاب المناقب عن علي قال لقد رايتني مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واني لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم اربعون الفا
وفي رواية وان صدقة مالي لتبلغ اربعين الف دينار اخرجهما احمد وربما يتوهم متوهم
ان مال علي يبلغ زكاته هذا القدر وليس كذلك فانه كان ازهد الناس فقيل معناه
ان الذي تصدقت به منذ كان لي مال الى اليوم كذا وكذا ثم ذكره لذلك انما هو في معرض
الشكر على هذه الحالة وعدم الاكتراث بما خرج لله تعالى وان اخراجه ابلغ في الزهد
من عدمه وابعد من قال ويحتمل ان يكون في معرض التوبيخ لنفسه بتنقل الحال الى
مثل هذا بعد ذلك الحال وعن سهل بن سعد ان علي بن ابي طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين
يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج علي فوجد دينارا في السوق فجاء الى فاطمة فاخبرها

فقالت اذهب الى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقا فجاء الى اليهودي فاشترى به دقيقا
فقال اليهودي انت ختن هذا الذي يزعم انه رسول الله قال نعم قال فخذ دينارك ولك
الدقيق فخرج علي حتى جاء به الى فاطمة فاخبرها فقالت اذهب الى فلان اليهودي
الجزار فخذ لنا بدرهم لحما فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم فجاء به فعجنت ونصبت
وخبزت فارسلت الى ابيها فجاءهم فقالت يا رسول الله اذكر لك فان رأيته حلالا
اكلنا واكلت من شأنه كذا قال كلوا بسم الله فاكلوا فبينما هم مكانهم اذا غلام ينشد الله
والاسلام الدينار فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعي له فسأله فقال سقط
مني في السوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي اذهب الى الجزار فقل له رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ارسل الي بالدينار ودرهمك علي فارسل به
فدفع اليه اخرجه ابو داود ومما يدل على تواضعه ما اخرجه البغوي في معجمه عن ابي صالح
بياع الاكسية عن جدته قال رأيت عليا اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل
يا امير المؤمنين الا نحمله عنك قال ابو العيال احق بحمله وعن زيد بن وهب ان الجعد
بن بعجة من الخوارج عاتب عليا في لباسه فقال ما لي وللباس هذا ابعد من الكبر
واجدر ان يقتدي به المسلم اخرجه احمد وصاحب الصفوة ومما يدل على ورعه ما اخرجه
احمد عن عبد الله بن زرير قال دخلت على علي يوم الاضحى فقرب الينا خزيرة فقلت اصلحك
الله لو قربت الينا من هذا البط يعني الاوز فان الله قد اكثر الخير فقال يا ابن زرير
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان
قصعة ياكلها هو واهله وقصعة يضعها بين ايدي الناس وعن علي بن ابي ربيعة
ان علي بن ابي طالب جاءه ابن النباح فقال يا امير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفرا
وبيضا قال الله اكبر فقام متوكيا على ابن النباح حتى قام وامر فنودي في الناس
فاعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري ها وها
حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم امر بنضحه وصلى فيه ركعتين اخرجه احمد
في المناقب وفي رواية عند احمد فضلا فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة وعن علي
قال جعت بالمدينة جوعا شديدا فخرجت اطلب العمل في عوالي المدينة فاذا انا بامرأة
قد جمعت مدرا فظننتها تريد بله فاتيتها فقاطعتها كل دلو بتمرة فملأت ستة عشر
ذنوبا حتى مجلت يدي ثم اتيتها فقلت بكلتي يدي هكذا بين يديها وبسط اسماعيل
راوي الحديث يديه جميعا فعدت لي ستة عشر تمرة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبرته فاكل معي منها وقال لي خيرا ودعا لي اخرجه احمد في المناقب وصاحب
الصفوة والفضائل رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب واخرج ابن سعد
عن علي انه قيل له ما لك اكثر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا قال اني كنت اذا سألته
انبأني واذا سكت ابتدأني وعنه اي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا دار الحكمة وفي رواية انا مدينة العلم وفي رواية انا دار العلم وعلي بابها
باب من ابوابها ولكن التخصيص يفيد نوعا من التعظيم وهو كذلك لانه بالنسبة
الى بعض الصحابة واعلمهم ومما يدل على ان جميع الاصحاب بمنزلة الابواب قوله
صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم مع الايماء الى اختلاف
مراتب انوارها في الاهتداء ومما يحقق ذلك ان التابعين اخذوا انواع العلوم الشرعية
من القراءة والتفسير والحديث والفقه من سائر الصحابة غير علي رضي الله عنه
ايضا فعلم عدم انحصار البابية في حقه اللهم الا ان يختص بباب القضاء فانه
ورد في شأنه انه اقضاكم كما انه جاء في حق ابي انه اقرأكم وفي حق زيد بن ثابت
انه افرضكم وفي حق معاذ بن جبل انه اعلمكم بالحلال والحرام ومما يدل على جزالة
علمه ما في الرياض عن معقل بن يسار قال وضأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هل لك في فاطمة تعودها فقلت نعم فقام متوكيا علي فقال انه سيحمل ثقلها غيرك
ويكون اجرها لك قال فكانه لم يكن علي شيء حتى دخلنا على فاطمة فقلنا كيف تجدينك
قالت لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي قال عبد الله بن احمد بن حنبل
وجدت بخط ابي في هذا الحديث قال او ما ترضين اني زوجتك اقدمهم سلما
واكثرهم علما واعظمهم حلما اخرجه احمد وابن عباس وقد سأله الناس فقالوا اي رجل
كان علي قال كان قد ملئ جوفه حكما وعلما وباسا ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرجه احمد في المناقب وعن سعيد بن المسيب قال عمر كان يتعوذ
من معضلة ليس لها ابو حسن اخرجه احمد قال الطيبي لعل الشيعة تتمسك بهذا
التمثيل ان اخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطة
رضي الله عنه لان الدار انما يدخل من بابها وقد قال تعالى وأتوا البيوت من ابوابها
ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولها ثمانية ابواب
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي اسنادا وقال اي الترمذي روى بعضهم
هذا الحديث عن شريك وهو شريك بن عبد الله قاضي بغداد ذكره شارح ولم يذكروا
اي ذلك البعض فيه اي في اسناد هذا الحديث عن الصنابحي بضم الصاد وكسر موحدة
ومهملة ولا نعرف اي نحن هذا الحديث عن احد من الثقات غير شريك بالنصب على
الاستثناء وفي نسخة بالجر على انه بدل من احد قيل وفي بعض نسخ الترمذي عن شريك
بدل غير شريك والله اعلم ثم اعلم ان حديث انا مدينة العلم وعلي بابها رواه الحاكم
في المناقب من مستدركه من حديث ابن عباس وقال صحيح وتعقبه الذهبي فقال
بل هو موضوع وقال ابو زرعة كم خلق افتضحوا فيه وقال يحيى ابن معين لا اصل له
قال قال ابو حاتم ويحيى ابن سعيد وقال الدارقطني ثابت ورواه الترمذي في المناقب
من جامعه وقال انه منكر وكذا قال البخاري انه ليس له وجه صحيح واورده ابن الجوزي

في الموضوعات وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل إنه باطل لكن
قال الحافظ أبو سعيد العلائي الصواب أنه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف
فضلا عن أن يكون موضوعا ذكره الزركشي وسئل الحافظ العسقلاني عنه فقال إنه
حسن لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قال ابن الجوزي قال السيوطي وقد بسطت كلام
العلائي والعسقلاني في التعقبات التي على الموضوعات انتهى وفي خبر الفردوس أنا
مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها وشذ بعضهم
فأجاب أن معنى وعلي بابها أنه فعيل من العلو على حد قراءة صراط علي مستقيم برفع علي
وتنوينه كما قرأ به يعقوب وعن جابر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم
الطائف قال شارح أي يوم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا إلى الطائف فانتجاه
من باب الافتعال من النجوى فساره وقال له نجوى فقال الناس أي المنافقون أو عوام
الصحابة لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتجيته
أي ما خصصته بالنجوى أنا ولكن الله انتجاه بتشديد لكن وبتخفيف والمعنى أني
بلغته من الله ما أمرني أن أبلغه إياه على سبيل النجوى فحينئذ انتجاه الله
لا انتجيته فهو نظير قوله تعالى وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى قال الطيبي
كان ذلك أسرار الحقية وأمور غيبية جعله من خزانها انتهى وفيه أن
الظاهر أن الأمر المتناجى به من الأسرار الدنيوية المتعلقة بالأخبار الدينية
من أمر الغزو ونحوه إذ ثبت في صحيح البخاري أنه سئل علي كرم الله وجهه على
عندكم شيء ليس في القرآن فقال والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما
في القرآن إلا فهما يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة فقال العقل وفكاك
الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ثم هذا التناجي يحتمل أنه بعد نزول آية
يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة
واختلفوا في أن أمره للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم
وهو وإن اتصل تلاوة لم يتصل به نزولا حتى يمكن العمل به وعن علي رضي الله
عنه أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا
ناجيته تصدقت بدرهم رواه الترمذي وعن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا يحل لأحد يجنب بضم أوله وكسر نونه قال الطيبي
ظاهره أن يجنب فيكون فاعلا لقوله لا يحل وقوله في هذا المسجد ظرف ليجنب وفيه
إشكال ولذلك أوله مظهر بن صفة لأحد غيري وغيرك بالنصب على الاستثناء
وفي كثير من النسخ بالرفع ولا نظير له وجه إلا أن يقال خبر مبتدأ محذوف أي
هو غيري وغيرك قال علي بن المنذر قال المؤلف هو كوفي عرف بالطريقي روى عن
ابن عيينة والوليد بن مسلم وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم

قال

قال ابن أبي حاتم سمعت منه مع أبي وهو ثقة صدوق وقال النسائي شيعي محض
ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين فقلت لضرار بكسر الضاد المعجمة ابن صرد
بضم ففتح فتنوين يكنى أبا نعيم الكوفي الطحان سمع المعتمر بن سليمان وغيره
وروى عنه علي بن المنذر ما معنى هذا الحديث قال لا يحل لأحد يستطرقه
جنبا غيري وغيرك قال القاضي ذكر في شرحه أنه لا يحل لأحد يستطرقه جنبا غيري
وغيرك وهذا إنما يستقيم إذا جعل يجنب صفة لأحد ومتعلق الجار محذوفا
فيكون تقدير الكلام لا يحل لأحد يصيبه الجنابة يمر في المسجد غيري وغيرك
وكان ممر دارهما خاصة في المسجد قال الطيبي والإشارة في هذا المسجد مشعرة
بأن له اختصاصا بهذا الحكم ليس لغيره من المساجد وليس ذلك إلا لأن باب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفتح إلى المسجد وكذا باب علي ويؤيده حديث ابن عباس
في الفصل الثالث أمر بسد الأبواب إلا باب علي رواه الترمذي وقال هذا حديث
غريب وقال الجزري هذا الحديث ضعيف باتفاقهم انتهى وسيأتي بحث وارد هنا
في الفصل الثالث عند قوله أمر بسد الأبواب إلا باب علي وعن أم عطية قال
المؤلف هي نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة
بنت كعب وقيل بنت الحارث الأنصارية تابعت النبي صلى الله عليه وسلم فتمرض
المرضى وتداوي الجرحى قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم
علي قالت فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول أي حين إرساله
أو عند توقع إقباله اللهم لا تمتني بضم فكسر أي لا تقبض روحي حتى تريني بضم
فكسر أي تبصرني عليا أي رجوعه بالسلامة رواه الترمذي وعن الحسن أنه قال
حين قتل علي لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون بعلمه ولا أدركه الآخرون كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه بالراية جبريل عن يمينه وميكائيل
عن شماله لا ينصرف حتى يفتح عليه أخرجه أحمد الفصل الثالث عن أم سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن أي
كامل رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب إسنادا وقد سبق ما يؤيده
وعنها أي عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب عليا
أي من جهة النسب فقد سبني ومن شتم عليا فكأنه شتمني فمقتضاه أن
يكون سبه على كفرا وهو محمول على التهديد والوعيد أو مبني على الاستحلال
والله أعلم بالحال رواه أحمد وكذا الحاكم وروى الطبراني عن ابن عباس من سب
أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي رواية للطبراني
عن علي من سب الأنبياء قتل ومن سب أصحابي جلد وفي الرياض عن عمرو بن شاش
الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال خرجت مع علي إلى اليمن فجفاني في سفري

فوجدت في نفسي عليه فلما قدمت المدينة اظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فلما رآني ابدى عينيه
يقول حدد الي النظر حتى اذا جلست قال يا عمرو والله لقد اذيتني قلت
اعوذ بالله ان اوذيك يا رسول الله فقال بلى من اذى عليا فقد اذاني اخرجه احمد
وعن ابن عباس قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابي طالب
فقال له انت سيد في الدنيا سيد في الاخرة من احبك فقد احبني وحبيبك
حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله الويل لمن ابغضك
اخرجه احمد في المناقب وعن ابن عباس ايضا لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عز وجل اكبه
الله على منخره اخرجه ابو عبد الله الجدالي وعن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني اخرجه احمد وعن عروة الزبير ان رجلا
وقع في علي بن ابي طالب بمحضر من عمر فقال عمر اتعرف صاحب هذا القبر هذا محمد بن عبد
الله بن المطلب لا تذكر عليا الا بخير فانك ان تنقصته اذيت صاحب هذا القبر
صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد في المناقب وعن ابي سعيد الخدري قال اشتكى
الناس عليا يوما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته
خطيبا يقول يا ايها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لاخشن في ذات الله او في
سبيل الله اخرجه احمد وعن علي رضي الله عنه قال قال لي اي مخصوصا بي النبي
صلى الله عليه وسلم فيك مثل اي في حقك شبه من عيسى اي من جهة كونه متفاوتا بين
قومين متخالفين ابغضته اليهود اي بغضا مفرطا حتى بهتوا امه من بهتانه
كبغضه قال عليه ما لم تفعل والمعنى انهم افتروا عليها بان نسبوها الى الزنى واحبته
النصارى اي حبا بليغا حتى انزلوه بالمنزلة التي ليست له اي مع اختلاف لهم
في تلك المنزلة ثم قال اي علي موقوفا بملك في اي يضل في حقي رجلان اي احدهما
رافضي والاخر خارجي محب مفرط بضم فسكون اي مبالغ عن الحد يقرظني بكسر
الراء المشددة اي بمدحني بما ليس في اي بتفضيلي على جميع الصحابة او على الانبيا
او باثبات الالوهية كطايفة النصيرية ومبغض وانما لم تقل هنا مفرط لان البغض
باصله ممنوع بخلاف اصل الحب فانه ممدوح بحكمه اي ببعثه ويكسبه شاني لبغضي ويكني
الثاني وحكي ترك الهمزة اي عداوتي على ان يبهتني اي يتكلم علي بالبهتان وينسب الي الزور
والعصيان رواه احمد اي في المسند وعنه قال ليحبني اقوام حتى يدخلوا النار
في بغضي رواه احمد في المناقب وعن السدي قال قال علي اللهم العن كل مبغض لنا وكل
محب لنا غال اخرجه احمد في المناقب وعن البراء بن عازب وزيد بن ارقم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما نزل اي في مرجعه من حجة الوداع في حال اصحابه بمحل الاجتماع بغدير

بضم خاء وتشديد ميم اسم لغيضة على ثلاثة اميال من الجحفة عندها غدير مشهور
يضاف الى الغيضة اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال الستم تعلمون اني اولى بالمومنين
اي بجنسهم من انفسهم وفيه ايما الى قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
قالوا بلى قال الستم تعلمون اني اولى بالمومنين بكل مومن اي بخصوصه من نفسه
اي فضلا عن بقية اهله قالوا بلى فقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم
وال من والاه وعاد من عاداه وفي رواية احب من احبه وابغض من ابغضه وانصر
من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار فلقيه عمر رضي الله عنه بعد
ذلك فقال له هنيئا اي طوبى لك او عيش عيشا هنيئا يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت
اي صرت في كل وقت مولى كل مومن ومومنة تمسكت الشيعة انه من النص المصرح
بخلافة علي رضي الله عنه حيث قالوا معنى المولى الاولى بالامامة والا لما احتاج
الى جمعهم كذلك وهذه اقوى شبههم ودفعها علما اهل السنة بان المولى بمعنى
المحبوب وهو كرم الله وجهه سيدنا وحبيبنا وله معان اخر تقدمت وسنة
الناصر وامثاله مخرج عن كونه نصا فضلا عن ان يكون صريحا ولو سلم انه بمعنى
الاولى بالامامة فالمراد به المال والا لزم ان يكون هو الامام مع وجوده عليه
السلام فتعين ان يكون المقصود منه حين يوجد عقد البيعة له فلا ينافيه
تقديم الائمة والثلاثة عليه لانعقاد اجماع من يعتد به حتى من علي ثم
سكوته عن الاحتجاج به الى ايام خلافته قاض على من له ادنى مسكة بانه علم منه
انه لا نص فيه على خلافته عقبه فانه عليه السلام مع ان عليا كرم الله وجهه
صرح بنفسه بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه ولا على غيره ثم هذا الحديث مع
كونه احادا مختلف في صحته فكيف ساغ للشيعة ان يخالفوا ما اتفقوا عليه
اشتراط التواتر في احاديث الامامة ما هذا الا تناقض صريح وتعارض
قبيح رواه احمد في مسنده واقل مرتبته ان يكون حسنا فلا التفات لمن قدح
اي قطع في ثبوت هذا الحديث وابعد من رده بان عليا كان باليمن لثبوت رجوعه
منها وادراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم ولعل سبب قول هذا القائل
انه وهم انه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول عند وصوله من المدينة الى غدير
خم ثم قول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه موضوعة مردود فقد ورد ذلك
من طرق صحح الذهبي كثيرا منها والله اعلم وفي الرياض عن رباح بن الحارث قال جاء
رهط الى علي بالرحبة فقالوا السلام عليك يا مولانا قال كيف اكون مولاكم وانتم
عرب قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم من كنت مولاه
فعلي مولاه قال رباح فلما مضوا تبعتهم فسالت من هولاء قالوا نفر من الانصار فيهم
ابو ايوب الانصاري اخرجه احمد وعن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرايت منه

جفوة فما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت فتنقصته فرايت وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال يا بريدة الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قلت
بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه وعن بريدة قال خطب ابو بكر وعمر فاطمة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة وفي رواية فسكت ولعلها محمولة
على مرة اخرى ثم خطبها علي فزوجها منه يوهم انه مما يدل على افضلية علي عليهما وليس
كذلك ويحتمل انها كانت صغيرة عند خطبتهما ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في
خمسة عشر خطبها علي او المراد انها صغيرة بالنسبة اليهما لكبر سنهما وزوجها
من علي لمناسبته سنه لها ولوحي نزل بتزويجها له ويؤيده ما في الرياض انه قال لابي
بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها لم ينزل القضا بعد فارتفع الاشكال واندفع الاستدلال
رواه النسائي واخرج ابو الخير القزويني الحاكمي عن انس بن مالك قال خطب ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر لم ينزل
القضا بعد ثم خطبها عمر مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لابي بكر فقيل لعلي
لو خطبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عسى ان يزوجكها قال وكيف وقد خطبها
اشراف قريش فلم يزوجها فخطبتها فقال صلى الله عليه وسلم قد امرني ربي بذلك قال
انس ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم بعد ايام فقال يا انس اخرج وادع لي ابا بكر الصديق وعمر
ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة
والزبير وبعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم
واخذوا مجالسهم وكان علي غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود
بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب عذابه وسطوته النافذ امره
في سمائه وارضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه واعزهم بدينه واكرمهم
بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اسمه وعظمته جعل المصاهرة
سببا لاحقا وامرا مفترضا واوشج به الارحام والزمه الانام فقال عز من قائل وهو
الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فامر الله تعالى
يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضا قدر ولكل قدر اجل ولكل اجل
كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ثم ان الله تعالى امرني ان ازوج
فاطمة بنت خديجة من علي بن ابي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على اربعمائة مثقال
فضة اي رضي بذلك علي بن ابي طالب ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين ايدينا ثم
قال انتهبوا فنهبنا فبينا نحن ننتهب اذ دخل علي على النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله امرني ان ازوجك فاطمة على اربعمائة
مثقال فضة ان رضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله قال انس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما واسعد جدكما وبارك عليكما واخرج منكما كثيرا

طيبا قال انس فوالله لقد اخرج منهما كثيرا طيبا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بسد الابواب اي المفتوحة في المسجد الا باب علي ولذا قال لا يحل
لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قيل ولا يشكل هذا الحديث بما مر في مناقب
ابي بكر من امره بسد الخوخ جميعها الا خوخة ابي بكر لان ذلك فيه التصريح ان امره
بالسد كان حال مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على امر متقدم على المرض
وبذلك يتضح قول العلما ان ذلك فيه اشارة الى خلافة ابي بكر على ان ذلك
ذلك الحديث اصح من هذا واشهر فانه حديث متفق عليه وهذا كما قال المؤلف
رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب اي متنا او اسنادا او معا لكن قد اخرج احمد والضيا
عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني امرت بسد هذه الابواب
غير باب علي ففي الرياض اخرجه احمد عن زيد بن ارقم قال كان لنفر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابواب شارعة في المسجد قال فقال يوما سدوا هذه الابواب
الا باب علي قال فتكلم فيه ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد فاني امرت بسد هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قائلكم
واني والله ما سددت شيئا ولا فتحته ولكن امرت بشي فاتبعته وعن ابن عمر قال لقد
اوتي ابن ابي طالب ثلاث خصال لان يكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم زوجه
صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد الابواب الا بابه في المسجد واعطاه
الراية يوم خيبر اخرجه احمد وعن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن الرقيم الكناني
قال خرجنا الى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك فقال امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب علي اخرجه احمد قال
السعدي عبد الله بن شريك كذاب وقال ابن حبان كان غاليا في التشيع وقد روي هذا
الحديث عن ابن عباس وجابر ولا يصح وانما الصحيح ما اخرج في الصحيحين عن ابي
سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين باب في المسجد الا سد الا باب ابي
بكر وان صح الحديث في علي ايضا حمل ذلك ايضا على حالين مختلفين توفيقا بين الحديثين
والله اعلم وعن علي رضي الله عنه قال كانت لي منزلة اي مرتبة قرب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الخلائق فيه مبالغة لا تخفى حيث
عبر عن الصحابة بجميع الخلائق التي لا تحصى اتيته بالمد استيناف بيان لتلك المنزلة
اي اجيئه باعلى سحر اي باول اوقاته وهو السدس الاخير على ما ذكره الكشاف فاقول
السلام عليك يا رسول الله اي سلام استيذان فان تنحنح اي مع جواب السلام
او بدونه بناء على ان سلام الاستيذان هل له جواب واجب ام لا انصرفت الى اهلي
اي رجعت الى اهل بيتي علما بان هناك مانع شرعي او عرفي والا اي وان لم يتنحنح دخلت
عليه اي وتشرفت بالحضور لديه وبملاطفة النظر اليه رواه النسائي وعنه

اي عن علي قال كنت شاكيا اي مريضا فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذاهبا لو عائدا وانا اقول اللهم ان كان اجلي اي انتهاء عمري قد حضر اي وقته فارحني بالموت من الاراحة وهي اعطاء الراحة بنوع ازاحة للبلية وان كان اي اجلي متاخرا فارفغني بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة اي وسع لي في المعيشة باعطاء الصحة فان عافيتك اوسع وفي نسخة صحيحة بالعين المهملة ويؤيد الاول ما في النهاية في حديث علي ارفغ لكم المعاش اي اوسع وعيش رافع اي واسع ذكره الطيبي وهو مشعر بان ارفغني من باب الافعال والله اعلم بالحال وفي القاموس الرفغ السعة والخصب وزاد في الصحاح يقال رفغ عيشه رفاغة اي اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ اي واسع طيب وترفغ الرجل توسع في رفاغته من العيش قال ميرك والظاهر ان رفغ لازم فقوله في الحديث وقول الطيبي اي وسع لي عيشي لا يخلو عن تاويل قلت يحتاج به الحذف والايصال ثم قال والذي صح في اصل سماعنا فارفعني بالعين المهملة من الرفع ومعناه ظاهر وهو الانسب بالمقام كما لا يخفى على المتامل قلت اذا وقع حذف التامل في المقام ظهر انه غير ملايم للمرام لان الرفع المتعدي بمعنى القبض ومنه قوله تعالى ورافعك الي نعم ان صحت الرواية فيقال التقدير فارفع الي المرض عني وان كان عطف على ان كان الاول فتامل والمعنى وان كان المرض بلاء اي مما قدرته لي قضاء فصبرني بتشديد الموحدة المكسورة اي اعطني الصبر عليه ولا تجعلني من اهل الجزع لديه وفيه ايماء الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد اي علي عليه ما قال اي اولا فضربه برجليه اي لينبهه عن غفلة امره ولينهاه عن شكاية حاله وليتصل اليه بركة قدمه وليحصل له كمال تنبهه وقال اللهم عافه بها الضمير وفي نسخة بهاء السكت وكذا في قوله او اشفه شك الراوي وهذا كلام احد الرواة المتاخرة وفيه تنبيه نبيه على ان عليا ونحوه ينبغي ان يقول في مرضه اللهم عافني واشفني من غير ترديد فان الله تعالى لا مستكره له قال اي علي فما اشتكيت وجعي اي هذا الوجع بعد اي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح قال المؤلف هو امير المؤمنين علي بن ابي طالب القرشي يكنى ابا الحسن وابا تراب وهو اول من اسلم من الذكور في اكثر الاقوال وقد اختلف في سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ثمان سنين وقيل عشر سنين شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه في اهله وفيها قال له الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى كان ادم شديد الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع ابيض الراس واللحية استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة

لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر وايام مما روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين انتهى ولا يخفى انه كان مقتضى ما سبق من ترتيب الابواب ان يذكر هنا بابا في مناقب هؤلاء الاربعة ولعله اكتفى بما يذكرون في ضمن العشرة المبشرة وسياتي في حديث علي في حق الاربعة بخصوصهم في اواخر الفصل الثاني

باب مناقب العشرة

المبشرة رضي الله عنهم اراد بذكرهم اعم من ان يكونوا مجتمعين في حديث واحد او متفرقين في احاديث وفيه ايماء الى ان افضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة على ما صرح به السيوطي في النقاية

الفصل الاول

عن عمر رضي الله عنه اي موقوفا انه قال ما احد احق بهذا الامر اي امر الخلافة من هؤلاء النفر وهو من ثلاثة الى عشرة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض في كاد الرضا بحيث انه كان معلوما لكل احد بلا شبهة او المراد بالرضا المخصوص وهو الذي يستحق به الخلافة قال الطيبي هذا الا حقية لقوله ورسول الله عنهم راض والحال انه صلى الله عليه وسلم كان راضيا عن الصحابة كلهم فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة وكلهم من قريش والائمة منهم فسمى عليا اي فعده وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن اي فهم افضل الناس في ذلك الزمان فلما دفن عمر اجمعوا على خلافة عثمان وسياتي ترجمة الاربعة عند ذكر كل منهم منفرد ان شاء الله تعالى ثم اعلم ان افتضا عمر على الستة من العشرة لا اشكال فيه لانه منهم وكذلك ابو بكر ومنهم ابو عبيدة وقد مات قبل ذلك واما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة في التبري وقد صرح من رواية المدايني باسانيده ان عمر عد سعيد بن زيد فيمن مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الا انه استثناه من اهل الشورى لقرابته منه رواه البخاري وفي الرياض عن عمرو بن ميمون انهم قالوا لعمر بن الخطاب لما طعنه ابو لولوة اوص يا امير المؤمنين واستخلف قال ما ارى احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وطلحة وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص

قال وشهد عبد الله بن عمر وليس له من الامر شيء لهيئة التعزية له فان اصابت الامرة سعدا
فهو ذاك والا فليستعن به ايكم ما امر فاني لم اعزله عن عجز ولا خيانة فلما توفي وفرغ
من دفنه ورجعوا اجتمعوا هولاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا امركم الى ثلاثة
منكم فقال الزبير قد جعلت امري الى علي وقال سعد قد جعلت امري الى عبد
الرحمن وقال طلحة قد جعلت الى عثمان فخلا هولاء الثلاثة علي وعثمان وعبد
الرحمن فقال عبد الرحمن للاخرين ايكما تبرأ من هذا الامر فيجعله اليه والله عليه
والاسلام لينظرون الى افضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة قال فاسكت
الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن فتجعلونه الي والله علي ان لا الو عن افضلكم
قالا نعم فاخذ بيد علي فقال ان لك من القدم والاسلام والقرابة ما قد
علمت الله عليك لئن امرتك لتعدلن ولئن امرت عليك لتسمعن ولتطيعن ثم
خلا بعثمان فقال له مثل ذلك فلما اخذ الميثاق قال لعثمان ارفع يدك فبايعه
ثم بايعه علي ثم ولج اهل الدار فبايعوه اخرجه البخاري وابو حاتم وفي رواية ذكرها
ابن الجوزي في كتاب منهاج اهل الاصابة في محبة الصحابة ان عبد الرحمن لما
قال لعلي وعثمان افتجعلونه الي قالا نعم قال لعلي ابايعك على سيرة ابي بكر وعمر
فقال علي واجتهاد رأيي فخا فان يترخص من المباح ما لا يحتمله من الف ذلك الشدد
من مسيرة الشيخين فقال لعثمان ابايعك على سيرة ابي بكر وعمر فقال نعم فبايعه
فسار سيرة ابي بكر وعمر مدة ثم ترخص في مباحات حتى انكروا عليه واخرج
ابو الخير القزويني الحاكمي عن اسامة ابن زيد عن رجل منهم انه كان يعني عبد
الرحمن ابن عوف كلما دعا رجلا منهم يعني من اهل الشورى تلك الليلة وذكر
مناقبه وقال انك لها اهل فان اخطأتك فمن تقول ان اخطأتني فعثمان انتهى والحكمة
الخفية في ترتيب الاربعة ما قاله بعض العارفين من انه اراد الله ان يتشرف
كل منهم بمنصب الخلافة وكان امر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب
مسطورا وقد اجاب محمد بن جرير الطبري لما قيل له ان العباس مع جلالته
وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته لم لم يدخله في الشورى فقال انه
لما جعلها في اهل السابقين المهاجرين البدريين والعباس لم يكن مهاجرا ولا سابقا ولا
بدريا وسيأتي ان عثمان وطلحة وسعيد في حكم اهل بدر حيث اعطى لهم من سهمها
واجرها ثم اعلم ان الامامة تثبت اما بعقدها من اهل العقد والحل لمن عقدت له
من اهلها كابي بكر واما بنص من الامام على استخلاف واحد من اهلها كعمر ويجوز
نصب المفضول مع وجود من هو افضل منه باجماع العلماء من الخلفاء الراشدين على
امامة بعض من قريش مع وجود افضل منه منهم الا ان عمر جعل الخلافة بين ستة
منهم عثمان وعلي وهما افضل زمانهما بعد عمر فلو تعين الافضل لعين عمر عثمان او عليا

فذل

فدل عدم تعيينه انه يجوز نصب غيرهما مع وجودهما اذ غير الافضل قد يكون اقدر
منه على القيام بمصالح الدين واعرف بتدبير الملك واوفق لانتظام حال الرعية واوثق
في اندفاع الفتنة واما اشتراط العصمة في الامام وكونه هاشميا وظهور معجز على
يديه يعلم بها صدقه فمن خرافات الشيعة وجهالاتهم وتوطئة وتمهيد لهم على خلا
من بطلان خلافة غير علي مع انتفاء ذلك في علي كرم الله وجهه وعن قيس بن ابي حازم
لانهم
قال المؤلف بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه
فوجده قد توفي يعد في تابعي الكوفة روى عن العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف وعن
جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة
الا هو وروى عنه جماعة كثيرة من التابعين شهد النهروان مع علي بن ابي طالب
وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين قال رأيت يد طلحة شلاء
بتشديد اللام فعلاء من الشلل وهو نقص في الكف وبطلان العمل وليس معناه
القطع كما زعم بعضهم وفي استيناف بيان علة اي حفظ بها النبي صلى الله عليه وسلم
يوم احد اي جعل يده وقاية له يومئذ فحصل لها ما حصل بسببه من طعنة وقعت
عليها رواه البخاري قال المؤلف هو طلحة بن عبيد الله يكنى ابا محمد القرشي اسلم قديما
وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه مع سعيد بن زيد
يتعرفان خبر العير التي كان لقريش مع ابي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر وجرح
يوم احد اربعة وعشرين جراحة وقيل كانت فيه خمسة وسبعون بين طعنة وضربة
ورمية وكان ادم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة يوم الجمل يوم الخميس لعشر بقين
من جمادى الاخرة سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله اربع وستون سنة
وعن جابر قال قال النبي وفي نسخة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياتيني
باثبات الياء التي هي لام الفعل فان من هنا موصولة وفي نسخة صحيحة بحذفها
تخفيفا او على ان من شرطية محذوفة الجواب والمعنى من يجيئني بخبر القوم اي قوم
الكفار يوم الاحزاب وهو يوم الخندق قال الزبير انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان لكل نبي حواريا بتشديد الياء ويجوز تخفيفها اي ناصرا مخلصا وحواري بتشديد
الياء المفتوحة وفي نسخة بكسرها وفي نسخة وحواري الزبير وفي شرح مسلم قال
القاضي عياض ضبط جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة وضبط اكثرهم بكسرها
انتهى ولا يخفى ان الاخير يحتمل ان يكون بعد الياء المشددة ياء اضافة مفتوحة
على وفق القراءة المتواترة في قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل ويحتمل ان يكون
بالاضافة ساكنة بحذف وصلا وتثبت وقفا ويحتمل ان يكون بالياء المشددة
المكسورة فقط كما روي عن السوسي في ان ولي الله بكسر الياء المشددة ثم لا يخفى انه
على تقدير الياء المشددة المفتوحة او المكسورة بلا ياء الاضافة ينبغي ان يكون

مرسوماً بياء واحدة كما وجدناه في بعض النسخ المصححة ومنها نسخة الجزري وهو
الظاهر من نقل النووي والموافق للرسم القرآني ثم نوجيه المشددة بلا ياء بعدها
هو انه جاء الحواري بتخفيف الياء وقد قرئ قال الحواريون بالتخفيف شاذ فالثانية
باضافة منه وهي قد تكون مفتوحة وقد تكون ساكنة وتكسر لالتقاء الساكنين
هذا وفي شرح السنة المراد منه الناصر وحواري عيسى عليه السلام انصاره
سموا به لانهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها اي يبيضونها قال المؤلف هو الزبير
العوام ابو عبد الله القرشي وامه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله
عليه وسلم اسلم قديما وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك
الاسلام فلم يفعل وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو
اول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد
كان ابيض طويلا يميل الى الخفة في اللحم قتله عمرو بن جرموز بسفوان بفتح السين
والفاء من ارض البصرة سنة ست وثلاثين وله اربع وستون سنة دفن
بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها وروى عنه ابناه عبد الله
وعروة وغيرهما متفق عليه وفي الجامع ان لكل نبي حواري وان حواري الزبير
رواه البخاري والترمذي والحاكم عن علي وفي الرياض عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير اخرجه البخاري
والترمذي والحاكم بزيادة ولفظه ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير واخرجه الترمذي
عن علي وقال حسن صحيح واخرجه احمد عن عبد الله بن الزبير بزيادة ولفظه
لكل نبي حواري والزبير حواري وابن عمتي وعن الزبير قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ياتي بني قريظة اي من يذهب وهم طائفة من اليهود من
سكان حوالي المدينة فياتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابويه اي في الفداء فقال فداك ابي وامي بفتح الفاء وقد
يكسر وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بامره ذلك لان
الانسان لا يفدي الا من يعظمه فيبذل نفسه او اعز اهله له وقال لصاحب النهاية
في الحديث فاغفر فداء لك ما اقتفينا اطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على
المجاز والاستعارة لانه انما يفدي من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفداء التعظيم
متفق عليه واخرجه الترمذي وقال حديث حسن وهذا القول لم يتقل ان
النبي صلى الله عليه وسلم قاله يوم الاحزاب لغيره واخرج احمد عنه قال جمع لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابويه يوم احد والمشهور في ذلك يوم احد انه كان لسعد

ويحتمل

ويحتمل ان يكون جمعهما واشتهر في سعد لكثرة ترديد القول له بذلك وقد روي
عنه انه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابويه مرتين في احد وفي قريظة
وعن عروة قال اوصى الزبير الى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال يا بني ما من
عضو الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى ذلك الى الوجه
اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن عبد الله بن الزبير قال قلت للزبير ما يمنعك
ان تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنه اصحابه فقال اما والله لم
افارقه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده
من النار اخرجه البخاري وعن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
جمع ابويه اي في الفداء لاحد من الصحابة الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول
يوم احد يا سعد ارم فداك ابي وامي قيل الجمع بينه وبين خبر الزبير ان عليا لم يطلع
على ذلك او اراد بذلك تقييده بيوم احد انتهى والظاهر الاطلاق المقيد بنفي
السماع بلا واسطة ومولانا علي انه اطلع على تفديته الزبير بواسطة الغير
قال المؤلف سعد بن ابي وقاص يكنى ابا اسحاق واسم ابي وقاص مالك بن وهيب
الزهري القرشي اسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالث الاسلام
وانا اول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم
وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار اجابتها عندهم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه واجب دعوته
وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وللزبير ابويه فقال لكل واحد منهما
فداك ابي وامي ولم يقل ذلك لاحد غيرهما وكان ادم اشعر الجسد مات في قصره
بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان
ابن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع
وسبعون سنة وهو اخر العشرة موتا ولاه عمر وعثمان الكوفة روى عنه خلق
كثير من الصحابة والتابعين متفق عليه وعن سعد بن ابي وقاص قال اني
لاول العرب التعريف فيه للجنس وقوله رمى بسهم في سبيل الله صفة لهم فهو
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ذكره الطيبي وخلاصته ان رمى صفة اول اي
اول عربي رمى واللام في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني متفق عليه
وتمامه على ما في الرياض ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لنا طعام الا ورق الحبلة وهذا السمر حتى ان كان احدنا ليضع كما يضع الشاة ما له
خلط اخرجه الشيخان وعن عامر بن سعد قال بينا سعد في ابله فجاءه ابنه عمر فلما
راه سعد قال اعوذ بالله من شر الراكب فقال له نزلت في ابلك وتركت الناس يتنازعون
الملك بينهم فضرب سعد صدره وقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي اخرجه مسلم قال ابن قتيبة كان اخر العشرة
موتا وقال القضاعي كان اخر المهاجرين وفاة وعن عائشة قالت سهر كفرح
اي لم ينم وفي رواية ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه اي وقت قدومه
المدينة ليلة وفي رواية ذات ليلة قال الطيبي قوله مقدمه مصدر ميمي ليس
بظرف لعمله في المدينة ونصبه على الظرفية على تقدير مضاف وهو الوقت او
الزمان وليلة بدل البعض من المقدر اي سهر ليلة من الليالي وقت قدومه
المدينة من بعض اسفاره فقال ليت رجلا صالحا وفي رواية من اصحابي يحرسني
بضم الراء وفي رواية الليلة اي يحفظني بقية الليلة لانام مستريح الخاطر
مطمئن القلب اذ سمعنا وفي رواية فسمعنا صوت سلاح بكسر اوله وفي رواية
خشخشة السلاح فقال من هذا قال انا سعد قال ما جاء بك قال وقع في نفسي خوف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه وفي رواية احرسك فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وفي رواية حتى سمعنا غطيطه متفق عليه
وفي الرياض اخرجه مسلم والترمذي وعن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكل امة وفي رواية ان لكل امة امين اي ثقة ومعتمد ومرضي
وامين هذه الامة وفي رواية وان امينا ايتها الامة ابو عبيدة بن الجراح بتشديد
الراء وانما خصه بالامانة وان كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة
لغلبتها فيه النسبة اليهم وقيل لكونها تامة بالنسبة الى سائر صفاته
واخرج ابو حذيفة في فتوح الشام ان ابا بكر لما توفي وخالد على الشام والي
واستخلف عمر كتب الى ابي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالدا فكتم ابو عبيدة
الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب وكتب خالد الامان لاهل دمشق
وابو عبيدة الامير وهم لا يدرون ثم لما علم خالد بذلك بعد مضي نحو من عشرين
ليلة دخل على ابي عبيدة وقال يغفر الله لك جاءك كتاب امير المؤمنين بالولاية
فلم تعلمني وتصلي خلفي والسلطان سلطانك فقال له ابو عبيدة يغفر الله لك
ما كنت لاعلمك حتى تعلمه من غيري وما كنت لاكسر عليك حربك حتى ينقضي
ذلك كله وقد كنت اعلمك ان شاء الله تعالى وما سلطان الدنيا اريد وما للدنيا
اعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوام بامر الله عز
وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم ان الوالي يكاد
ان يكون ادناهما الى الفتنة واوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة الا من عصم
الله عز وجل وقليل ما هم فدفع ابو عبيدة عند ذلك الكتاب الى خالد رضي الله
عنه وتوفي بالاردن بضم الهمزة وتشديد النون كورة بالشام سنة ثمان
عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين متفق عليه وروى احمد عن عمر مرفوعا

ان لكل نبي امينا واميني ابو عبيدة بن الجراح وعن حذيفة جاء السيد والعاقب
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ابعث معنا امينك فقال سابعث
معكم امينا حق امين فتشرف لها الناس فبعث ابا عبيدة اخرجه الشيخان وعن ابن
مسعود قال لما جاء العاقب والسيد صاحبا نجران ارادا ان يلاعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال احدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا ولاعناه لا نفلح نحن
ولا عقبنا ابدا قال فاتياه فقالا لا نلاعنك ولكنا نعطيك ما سألت فابعث معنا
رجلا امينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعث رجلا امينا حق امين قال
فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن
الجراح فلما قفى قال هذا امين هذه الامة اخرجه احمد واخرجه الترمذي
وقال فبعث ابا عبيدة مكان قم يا ابا عبيدة ولم يذكر ما بعده ومن كلامه بادروا
السيئات القديمات بالحسنات الحادثات والا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه الا رب
مكرم لنفسه وهو لها مهين قال المؤلف هو عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري
القرشي اسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم احد ونزع الحلقتين
اللتين دخلتا في وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد من حلق المغفر فوقعت
ثنيتاه كان طوالا معروق الوجه خفيف اللحم مات في طاعون عمواس بفتح العين
بالاردن سنة ثماني عشرة ودفن ببيسان وصلى عليه معاذ بن جبل وابن ثمان وخمسين
سنة يلقى اباه النبي صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك روى عنه جماعة
من الصحابة وعن ابن ابي مليكة بالتصغير قال المؤلف هو عبد الله بن عبيد
الله بن ابي مليكة واسم ابي مليكة زهير بن عبد الله التيمي القرشي الاحول من
مشاهير التابعين وعلمائهم وكان قاضيا على عهد عبد الله بن الزبير سمع ابن عباس
وابن الزبير وعائشة روى عنه ابن جريج وخلق كثير سواه مات سنة سبع عشرة ومائة
قال سمعت عائشة وسئلت اي والحال انها سئلت من كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مستخلفا اي جاعلا خليفة له لو استخلف اي صريحا على الفرض قالت ابو
بكر فقيل ثم من بفتح الميم اي الذي بعد ابا بكر قالت عمر قالت من بعد عمر قالت ابو
عبيدة بن الجراح وفيه ان اعتقاد عائشة على ان ابا عبيدة كان اولى بالخلافة
بعد الشيخين من بقية اصحاب الشورى رواه مسلم وعن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء بكسر الحاء منصرفا وقد لا يصرف هو وابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله وفي نسخة
النبي صلى الله عليه وسلم اهدأ بفتح الدال وسكون الهمزة اسكن فما عليك الا نبي
او صديق او شهيد يريد به الجنس لان المذكور في الحديث بعد الصديق كلهم شهداء

ثم او للتنويع او بمعنى الواو وقال النووي في الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاخباره ان هولاء شهداء فقتل عمر وعثمان وعلي مشهور وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا للقتال فاصابه سهم فقتله وقد ثبت ان من قتل ظلما فهو شهيد وفيه بيان فضيلة هولاء وفيه اثبات التمييز في الحجارة وجواز التزكية انتهى واعترض السيد جمال الدين حيث قال في كون من اصابه سهم مقتولا ظلما تامل وزاد بعضهم اي في الحديث قوله وسعد بن ابي وقاص ولم يذكر اي ذلك البعض عليا فقول المزاد فيه مسامحة اذ فيه معارضة ومنافاة ثم تقدم ان سعدا مات في قصره بالعقيق فتوجيه هذه الرواية ان تكون بالتغليب او كما قال السيد جمال الدين انه ينبغي ان يقال كان موته بمرض من الامراض التي تورث حكم الشهادة انتهى ومع هذا فيه نوع تغليب كما لا يخفى رواه مسلم وعن عبد الله بن ظالم عن سعيد بن زيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء فتحرك فقال اثبت حراء فما عليك الا نبي او صديق او شهيد قيل من هم يا رسول الله قال ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف قال فقيل من العاشر قال انا اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الرياض انه مات بالمدينة على فراشه فوجه شهادته انه شهيد حكما كسعد وعبد الرحمن حيث ماتا على فراشهما ايضا او دخلوا في صفة الصديقية ولا بعد فيه فانه قال تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم

الفصل الثاني في عبد الرحمن بن عوف

قال المؤلف يكنى ابا محمد الزهري القرشي اسلم قديما على يد ابي بكر الصديق وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت يوم احد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك واتم ما فاته كان طويلا رقيق البشرة ابيض مشربا بالحمرة ضخم الكفين اقنى اصيب يوم احد عشرين جراحة او اكثر واصابه بعضها في رجله فعرج ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنان وسبعون سنة روى عنه ابن عباس وغيره وفي الرياض كان اسمه في الجاهلية قيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ووصفه بانه الصادق البار ذكره الدارقطني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وابو عبيدة ابن الجراح في الجنة الظاهر ان هذا الترتيب هو المذكور على لسانه صلى الله عليه وسلم كما يشعر اليه ذكر اسم الراوي بين الاسما والا كان مقتضى التواضع ان يذكره في

رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

اخرهم

اخرهم فينبغي ان يعتمد عليه في ترتيب العقبة من العشرة رواه الترمذي عن عبد الرحمن ورواه ابن ماجة وكذا احمد والضيا والدارقطني عن سعيد بن زيد قال المؤلف يكنى سعيد بن زيد ابا الاعور العدوي اسلم قديما وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة يطلبان خبر عير قريش وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فاطمة اخت عمر تحته وبسببها كان اسلام عمر توفي سنة احدى وخمسين بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وخمسين وله بضع وسبعون سنة روى عنه جماعة انتهى ولم يذكر المؤلف حديثا يدل على مناقبه منفردا اكتفاء بما سبق عنه في باب الكرامات وفي الرياض عن عمر بن الخطاب ابن عم ابيه كان ابوه زيد يطلب دين الحنيفية دين ابراهيم قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا ياكل الميتة ولا الدم وخرج يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فتنصر ورقة وابى هو ان يتنصر فقال له الراهب انك تطلب دينا ما هو على الارض اليوم قال وما هو قال دين ابراهيم كان يعبد الله لا يشرك به شيئا ويصلي الى الكعبة وكان زيد على ذلك حتى مات وعن سعيد بن زيد قال خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فاما ورقة فتنصر واما زيد فقيل له ان الذي تطلب امامك فانطلق حتى الى الموصل فاذا هو براهب قال ما تطلب قال الدين فعرض عليه النصرانية قال لا حاجة لي فيها وابى ان يقبلها فقال ان الذي تطلب سيظهر بارضك فاقبل وهو يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا بسمهما نحسبني ام يجلني ويكلفني فاني جاثم عدنك بما عاذ به ابراهيم قال ومر بالنبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو سفيان بن الحارث ياكلان من سفرة لهما فدعوه الى الغداء فقال يا ابن اخي اني لا اكل مما ذبح على النصب قال فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك ياكل مما ذبح على النصب حتى بعث صلى الله عليه وسلم قال فاتاه سعيد ابن زيد فقال ان زيدا كان كما قد رايت وبلغك استغفر له قال نعم فاستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة امة واحدة اخرجه ابو عمر وعن اسماء قالت رايت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يحيي الموؤدة ويقول للرجل اذا اراد ان يقتل ابنته لا تقتلها وانا اكفيك مؤنتها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها اخرجه البخاري وعن ابي سعيد عن ابيه قال في قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها نزلت في ثلاثة نفر كانوا يوحدون الله عز وجل زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر

وسلمان اولئك الذين هداهم الله الخ كتاب ولا ينافي اخرجه الواحدي وابو الفرج في اسباب النزول وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم امتي اي اكثرهم رحمة بامتي ابو بكر واشدهم في امر الله اي اقواهم في دين الله كما في رواية عمر واصدقهم حياء عثمان وافرضهم اي اكثرهم علما بالفرائض زيد بن ثابت الانصاري كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وكان حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم له احدى عشر سنة وكان احد فقهاء الصحابة الاجلة القايم بالفرائض وهو احد من جمع القران وكتبه في خلافة ابي بكر ونقله من الصحف في زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس واربعين وله ست وخمسون سنة واقرؤهم اي اعلمهم بقراءة القران ابي بن كعب الانصاري الخزرجي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وهو احد الستة الذين حفظوا القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه ابا المنذر وعمر ابا الطفيل وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وعمر سيد المسلمين مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق كثير واعلمهم بالحلال والحرام وفي نسخة بالحرام والحلال معاذ بن جبل يكنى ابا عبد الله الانصاري الخزرجي وهو احد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قاضيا ومعلما روى عنه عمر وابن عمر وابن عباس وخلق سواهم واسلم وهو ابن ثماني عشر سنة في قول بعضهم واستعمله عمر على الشام بعد ابي عبيدة بن الجراح فمات في عامه ذلك من طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل غير ذلك ولكل امة امين اي مبالغ في الامانة وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ومما يدل على كمال زهده ما ذكره في الرياض عن عروة بن الزبير قال لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه امراء الاجناد وعظماء الارض فقال عمر اين اخي قالوا من قال ابو عبيدة قالوا يأتيك الان فلما اتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر الا اتخذت ما اتخذ اصحابك فقال يا امير المؤمنين هذا يبلغني المقيل اخرجه صاحب الصفوة والفضائلي وزاد بعد قوله ويأتيك الان فجاء على ناقة مخطومة بحبل وفي رواية ان عمر قال له اذهب بنا الى منزلك قال فدخل منزله فلم ير شيئا قال اين متاعك ما ارى الا لبدا وصحفة وسيفا وانت امير اعندك طعام فقام ابو عبيدة الى جونة فاخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا ابا عبيدة رواه احمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي بصيغة المجهول اي الحديث عن معمر عن قتادة مرسلا اي بحذف الصحابي وفيه اي في هذا المروي واقضاهم علي اي اعلمهم باحكام الشرع قاله شارح والاظهر ان معناه اعلم باحكام الخصومة المحتاجة الى القضاء قال النووي في

فتاويه

فتاويه فقوله افضلكم علي لا يقتضي انه اقضى من ابي بكر وعمر لانه لم يثبت كونهما من المخاطبين وان ثبت فلا يلزم من كون واحد اقضى من جماعة كونه اقضى من كل واحد يعني لاحتمال التساوي مع بعضهم ولا يلزم من كون واحد اقضى من جماعة كونه اقضى من كل واحد يعني لاحتمال التساوي مع بعضهم ولا يلزم من كون واحد اقضى ان يكون اعلم من غيره ولا يلزم من كونه اعلم كونه افضل يعني لا يلزم من كونه اكثر فضيلة كونه اكثر مثوبة كذا في الازهار وفيه بحث لان المدار عندنا على الظاهر اذ لا نطلع مستحق على السرائر وقد قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم واما حديث ما فضلكم ابو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه فقد ذكره الغزالي بلفظ ما فضل ابو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم قال العراقي لم اجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي من قول بكر بن عبد الله المزني نعم لو لوحظ اعتبار الاسبقية في اكثرية الثواب الاخروية مع المشاركة في ساير الابواب له وجه وجيه الى صوب الصواب فقد قالوا المعتبر في السبق هو ايمان ابي بكر وان شاركه علي وخديجة وزيد اذ ايمان الصغير والمراة والمولى لا سيما وهم من الاتباع ليس له شان عند الاعداء ولهذا قوي الايمان بحمزة وعز باسلام عمر كما قال عز وجل فعززنا بثالث والحاصل ان الاحاديث متعارضة والادلة متمانعة فتعتبر العبرة بما اتفق عليه جمهور الصحابة وبما اجمعوا عليه ائمة اهل السنة ومع هذا فالمسالة ظنية لا يقينية خلافا لمن خالف وقد صح شيخ شيوخ شهاب الدين السهروردي في علم الهدى حيث قال فان قبلت النصح فامسك عن التصرف في امرهم واجعل محبتك للكل على السواء من غير ان ترجح محبتك احدهم على الاخر وامسك عن التفضيل والغلو وان خامر باطنك فضل احدهم على الاخر فاجعل ذلك من جملة اسرارك فما يلزمك اظهاره ولا يلزمك ان تحب احدهم اكثر من الاخر وتعتقد فضله اكثر من الاخر بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك في العقيدة السليمة ان تعتقد صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تعلم ان عليا ومعاوية تنازعا على القتال والخصام وكان الطائفتان بسبب بعضهم بعضا وما حكم احد منهم بكفر الاخرين وانما كانت ذنوبا لهم فلا نكفر احدا بما نرى منه من الجدل والسب واعتقد ان امير المؤمنين علي اجتهد في الخلافة واصاب في الاجتهاد وكان احق الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد في ذلك واخطا في الاجتهاد ولم يكن مستحقا لها مع علي رضي الله عنه والله تعالى ينفعنا بمحبتهم ويحشرنا في زمرتهم وعن الزبير قال كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم احد اي مبالغة في القتال قوله تعالى خذوا حذركم وقوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فانها تشمل الدرع وان فسرها النبي

صلى الله عليه وسلم باقوى بافرادها حيث قال الان القوة الذي فنهض
اي فقام منتصبا او متوجها الى الصخرة اي التي كانت هناك ليستوي عليها وينظر
الى الكفار ويشرف على الاتراك ويظهر للفرار والكرار وفي رواية فذهب لينهض على
صخرة فلم يستطع اي لثقل درعيه فقعد طلحة تحته اي وجعل نفسه تحته
درجة ادرع قدره وفي رواية فبرك طلحة تحته حتى استوى اي النبي صلى الله
عليه وسلم وفي رواية فصعد على الصخرة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اوجب طلحة اي الجنة كما في رواية والمعنى انه اثبتها لنفسه بعمله
او بما فعل في ذلك اليوم فانه خاطر بنفسه يوم احد وفدى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده
وجرح ببضع وثمانين جراحة رواه الترمذي وكذا احمد وقال الترمذي حسن
صحيح وعن ابي سعيد الخدري ان عتبة ابن ابي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد فكسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى وان عبد الله ابن شهاب الزهري
شجه في جبهته وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق الدرع في وجنته
ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل ابو عامر ليقع فيها المسلمون
وهم لا يعلمون فاخذ علي بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد
الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان ابو سعيد الخدري الدم من وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تمسه النار اخرجه ابن
اسحاق وعن جابر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طلحة بن عبيد الله
قال من احب ان ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه
اي نذره والمراد به الموت اي مات وان كان حيا فلينظر الى هذا قال السيوطي في
مختصر النهاية النحب النذر كانه الزم نفسه ان يصدق اعداء الله في الحرب
فوفى به وقيل الموت كانه الزم نفسه ان يقاتل حتى يموت وقال التوربشتي النحب
النذر والنحب المدة والوقت ومنه يقال قضى فلان نحبه اذا مات وعلى المعنى
حمل قوله سبحانه فمنهم من قضى نحبه فعلى النذر اي نذره فيما عاهد الله عليه
من الصدق في مواطن القتال والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الموت
اي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا الله ان يبذلوا نفوسهم في سبيله فاخبر
ان طلحة ممن وفى بنفسه او ممن ذاق الموت في سبيله وان كان حيا ويدل عليه
قوله وفي رواية من سره اي احبه واعجبه وافرحه ان ينظر الى شهيد يمشي
على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وكان طلحة قد جعل نفسه يوم
احد وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عقرت يومئذ في سائر جسدي
حتى عقرت في ذكري وكانت الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروا يوم احد قالوا ذلك

يوم

يوم كان كله لطلحة وقوله في الرواية الثانية يحتمل ان يكون ايماء الى حصول الشهادة
في ماله الدالة على حسن خاتمته وكماله وفي شرح الطيبي قال شيخنا شيخ الاسلام ابو حفص
السهروردي ان هذا ليس على سبيل المجاز ومجانبة التعبير بالحال على المآل بل هو ظاهر في معناه
على من حيث فحواه اذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة وقد كان هذا
حاله من الانجذاب بكليته الى عالم الملكوت وهذا انما يثبت بعد احكام المقدمات
من كمال التقوى والزهد في الدنيا والخروج من الادهان بنظر الخلق وامتطاء
صهوة الاخلاص وكمال الشغل بالله عز وجل بينما وله اعمال القلب والقالب وصدق
العزيمة في العزلة واغتنام الوحدة والفرار عن مساكنة الانس بالجلساء والاخوان
رواه الترمذي وفي رواية عن سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم احد ارم فداك
ابي وامي رواه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح واخرجه من طريق اخر ولفظ سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي احدا بابويه الحديث وقال حسن صحيح واخرجه
من طريق اخر ولفظ ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدي احدا بابويه الحديث
وقال حسن صحيح واخرجه من طريق اخر ولفظ ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدى رجلا غير سعد فانه قال يوم احد ويوم حنين ارم فداك ابي وامي اخرجه
الملا في سيرته وعنه قال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لابويه يوم احد
قال كان رجل من المشركين قد احرق المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فاصبت جنبه فسقط
وانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رايت نواجذه
اخرجه الشيخان واخرجه الترمذي منه جمع ابويه يوم احد وفي بعض طرقه
مثل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم احد وقال ارم فداك ابي وامي
اخرجه الشيخان وفي الرياض ان سعدا كان ممن لزم بيته في الفتنة وامر اهله
ان لا يخبروه من اخبار الناس بشيء حتى يجتمع الامة على امام وعن سعد ان
النبي صلى الله عليه وسلم عاده عام حجة الوداع بمكة من مرض اشفى فيه فقال سعد
يا رسول الله قد خفت ان اموت بالارض التي هاجرت منها فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا وفيه ذكر الوصية
وقوله والثلث كثير وفيه ان صدقتك من مالك صدقة وان نفقتك على عيالك
صدقة وان ما تاكل امراتك من مالك صدقة اخرجه الشيخان وعن جابر قال
اقبل سعد اي الى المجلس الاسعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي اي من
قوم امي فليرني بضم ياء وكسر راء اي فليبصرني امرؤ اي كل امري بمعنى شخص خاله اي
ليظهر ان ليس لاحد خال مثل خالي رواه الترمذي وقال غريب وقال اي الترمذي
وكان سعد من بني زهرة بضم الزاء وهي من قريش وكانت ام النبي صلى الله عليه وسلم

من بني زهرة وزهرة اسم امراة كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب فلذلك اي
لما ذكرنا من الكونين قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي وفي المصابيح فليكرمن
امرؤ خاله من الاكرام موكدا بدل فليرني قال ابن حجر هو تصحيف قلت بل هو تحريف فقد
قال الطيبي الفا فيه على تقدير الشرط في الكلام فان الاشارة بهذا الجزء التمييز
وكمال التنبيه منوها لاكرام له اي انا اكرم خالي هذا واذا كان كذلك فليبالغ
كل سنتي فليكرم من كل احد خاله وعلى رواية الكتاب كما في الترمذي والجامع
تقديره انا اميز خالي كال تميز وتعيين لاباهي به الناس فليرني كل امري خاله مثل
خالي ونحوه في التمييز قول الشاعر

اولئك آبائي فجئني بمثلهم ** اذا جمعتنا يا جرير المجامع

الفصل الثالث عن قيس بن ابي حازم قال سمعت سعد بن ابي وقاص يقول اني
لاول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله سبق معناه مع تحقيق مبناه
وهذا القدر من الحديث اخرجه الشيخان ورايتنا اي جمعا من الصحابة نغزو مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الحبلة بضم الحاء المهملة وسكون
الموحدة ثمر السمر يشبه اللوبيا قاله ابن الاعرابي وقيل ثمر العضاة وورق السمر
بفتح السين المهملة وضم الميم شجر معروف واحدتها سمرة ودونها سمو كذا في القاموس
وان مخففة من المثقلة كان احدنا ليضع واللام لام الفارقة والمعنى يخرج
منه كما تضع الشاة اي من البعر والمعنى ان كونهم يخرج بعرا ليبسه وعدم الغذاء
المألوف ماله خلط بكسر الخاء المعجمة اي لا يختلط بعضه ببعض لجفافه ويبسه
ثم اصبحت بنو اسد اي قبيلتهم تعزرني بتشديد الزاء اي توبخني على
الاسلام اي على الصلاة لانها عماد الاسلام وعلى عمدة شرائعه والمعنى انهم كانوا
يؤدبون ويعلمون الصلاة ويعيرونني باني لا احسنها لقد خبت بكسر الخاء المعجمة
وسكون الموحدة اي خسرت اذا بالتنوين اي اذا لم احسن الصلاة وافتقر الى
تعليم بني اسد اياي وضل عملي اي جميع طاعاتي ومجاهداتي ومساعيي في الاسلام
وصدقي وقدمي في الدين وكانوا اي بنو اسد حين ولاه عمر العراق وشوا بفتح الشين
المخففة اي نموا وسعوا به اي لعيبه على زعمهم الى عمر رضي الله عنه اي بالرسالة
او الكتابة وقالوا لا يحسن اي سعد الصلاة اي اركانها وشرائطها وسننها ومراعاة
احوالها هذا وفي النهاية التعزير الاعانة والتوقير والنصرة مرة بعد مرة
ومنه قوله تعالى وتعزروه وتوقروه قال واصل التعزير المنع والرد وكان من نصرته
قد رددت عنه اعداءه ومنعتهم من اذاه ولهذا قيل للتاديب الذي هو دون الحد
تعزير لانه يمنع الجاني ان يعاود الذنب فهو من الاضداد ومنه حديث سعد اصبحت
بنو اسد تعزرني على الاسلام اي توقفني عليه وقيل توبخني على التقصير

فيه قال الطيبي عبر عن الصلاة بالاسلام كما عبر عنها بالايمان في قوله تعالى وما كان
الله ليضيع ايمانكم ايذانا بانها عماد الدين وراس الاسلام متفق عليه وعن جابر
ابن سمرة قال شكى اهل الكوفة سعد بن مالك الى عمر فقالوا لا يحسن الصلاة
قال سعد اما انا فكنت اصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم امد في
الاوليين واحذف في الاخريين فقال عمر ذاك الظن بك يا ابا اسحق قال فبعث رجالا
يسألون عنه في مساجد الكوفة قال فلا ياتون مسجدا من مساجد الكوفة الا اثنوا
عليه خيرا وقالوا معروفا حتى اتوا مسجدا من مساجد بني عبس قال فقال رجل يقال
له ابو سعدة اللهم انه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية
فقال سعد اما والله لادعون بثلاث اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره واطل فقره
واعرضه للفتن فكان بعد ذلك يقول اذا سئل شيخ كبير مفتون اصابتني دعوة
سعد قال جابر بن سمرة فانا رايته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وانه ليتعرض
للجواري في الطريق فيغمزهن وفي رواية واما انا فامد في الاوليين واحذف في
الاخريين ولا آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر
صدقت ذلك الظن بك او ظني بك يا ابا اسحاق اخرجه البخاري واخرجه البرقاني
على شرطه بنحوهما وقال فقال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر فانا رايته يتعرض
للاماء في السكك واذا قيل له كيف انت يا ابا سعدة قال كبير مفتون اصابتني
دعوة سعد وعنده اللهم ان كان كاذبا فاعم بصره واطل عمره ثم ذكر ما بعده
وعن سعد قال رايتني وانا ثالث الاسلام والاخران ابو بكر وخديجة ذكره
السيوطي وهذا يدل على ان ايمان علي متاخر ويمكن دفعه بان الكلام في البالغين او في
الاجانب وما اسلم احد اي ممن اسلم قبلي الا في اليوم الذي اسلمت فيه ولقد مكثت
بفتح الكاف وضمها اي لبثت سبعة ايام اي على ما كنت عليه من الاسلام ثم اسلم بعد ذلك
من اسلم والمعنى مكثت سبعة ايام على هذه الحالة وهي قوله واني لثلث الاسلام
بضم اللام ويسكن قال ابو عبد الله معنى ثلث الاسلام يعني انه ثالث ثلاثة حتى
اسلم قال بعض المحققين الجمع بينه وبين خبر عمار رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما معه الا خمسة اعبد وامراتان وابو بكر بان يحمل قول سعد على الاحرار
البالغين ليخرج الاعبد المذكورون وعلي او لم يكن اطلع على اولئك رواه البخاري
واخرجه البغوي في معجمه وقال ما اسلم احد قبلي وقال سنة ايام عن جابر بن سعد
عن ابيه قال لقد رايتني واني لثلث الاسلام اخرجه البخاري وفي رواية القضاعي
الا اثنين ابو بكر وعلي وعن عائشة وفي الرياض عن ابي سلمة ابن عبد الرحمن عن
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنسائه ان امركن اي شأنكن
مما يهمني بفتح الياء وضم الهاء وتشديد الميم وفي نسخة بضم فكسر اي مما يوقعني

في التمهيد وفي رواية لهما يهمني من بعدي اي ما بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثا وهن قد اثرن الحياة الاخرة على الدنيا حين خيرن ولن يصبر عليكن اي على بلاء مؤنتكن الا الصابرون اي على مخالفة النفس من اختيار الفقر واعطاء الزيادة والصديقون اي كثيروا الصدق في البذل والتجاوز قالت عائشة يعني اي يريد بهم المتصدقين بهم قالت عائشة لابي سلمة ابن عبد الرحمن اي ابن عوف قال المؤلف ابو سلمة روى عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ويقال ان اسمه كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وابا هريرة وابن عمر وغيرهم روى عنه الزهري ويحيى ابن ابي كثير والشعبي وغيرهم مات سنة سبع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة انتهى ولا يخفى انه مخالف لاصل الحديث سقى الله اباك من سلسبيل الجنة وهي عين في الجنة سميت لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها في الباطن ومنه قوله تعالى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد ازيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة وقيل المعنى سل سبيلا اليها وكان ابن عوف من كلام الراوي كان من عائشة والعامل قالت كذا قاله الطيبي ولا يبعد ان يكون من قول عائشة بيانا للصدقة وتبيانا لقولها يعني المتصدقين قد تصدق على امهات المؤمنين بحديقة باربعين الفا اي من درهم او دينار رواه الترمذي وفي رواية وقف لازواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بيع باربعين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابي سلمة ابن عبد الرحمن اوصى بحديقة لامهات المؤمنين تبيعت باربعمائة الف اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن الزهري قال تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة الاف ثم تصدق باربعين الف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على الف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة اخرجه في الصفوة وعن عروة ابن الزبير انه قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين الف دينار في سبيل الله اخرجه الفضائلي وعن ابن عباس قال مرض عبد الرحمن بن عوف فاوصى بثلث ماله فصح فتصدق بذلك بيده لنفسه ثم قال يا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من كان اهل بدر له على اربعمائة دينار فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له يا ابا عمرو الست غنيا قال هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة وانه من مال حلال فتصدق عليهم في ذلك اليوم مائة وخمسين الف دينار فلما جن عليه الليل جلس في بيته وكتب جريدة بتفريق جميع المال على المهاجرين والانصار حتى كتب ان قميصه الذي على بدنه لفلان وعمامته لفلان ولم يترك شيئا من ماله الا كتبه للفقراء

فلما صلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط جبريل وقال يا محمد ان الله تعالى يقول اقرا مني على عبد الرحمن السلام واقبل منه الجريدة ثم ردها عليه وقل له قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ووكيل رسوله فليصنع في ماله ما شاء وليتصرف فيه كما كان يتصرف قبل ولا حساب عليه وبشره بالجنة اخرجه الملا في سيرته وعن جعفر ابن برقان قال بلغني ان عبد الرحمن اعتق ثلاثين الفا اخرجه صاحب الصفوة وعن محمد بن عبد الرحمن بن عوف توفي وكان فيما خلفه ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت ايدي الرجال منه وترك اربع نسوة فاصاب كل امراة ثمانون الفا اخرجه في الصفوة وعن صالح ابن ابراهيم بن عبد الرحمن قال صالحنا امراة عبد الرحمن التي طلقها في مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثمانين الفا وفي رواية من ربع الثمن اخرجه ابو عمر وقال الطائي قسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب كل امراة ثمانين الف درهم وعن ام سلمة وهي احدى امهات المؤمنين قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لازواجه ان الذي يحثوا اي يجود ويبثر عليكن اي ما تنفقون بعدي

تنفقن

ابعد موتي هو الصادق اي الصادق الايمان البار بتشديد الراء اي صاحب الاحسان اللهم اسق بوصل الهمزة وقطعها عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة وهذا دعاء له وقيل انه بعد ما صدر من الجميل كانه صنع الصنيعة فشكره ودعا له ومن هنا دعت الصديقة له بهذا الدعاء حين تصدق على امهات المؤمنين بالحديقة رواه احمد وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الطيبي ولا يبعد ان يكون الدعاء هنا ايضا من كلامهما رضي الله عنهما وعن حذيفة اي ابن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره قال جاء اهل نجران بفتح نون فسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمي بنجران بن زيد بن سبا وموضع بحوران قرب دمشق وموضع بين الكوفة وواسطة الكل من القاموس والمراد به الاول على ما هو الظاهر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابعث اي ارسل الينا رجلا امينا اي وليكون اميرا وقاضيا او معلما لنا فقال لا بعثن اليكم رجلا امينا حق امين بالنصب على انه مفعول بالنصب على انه مفعول مطلق نحو قولهم قد منه خير مقدم اي امينا صادق الامين وثابته ومستحقا ان يقال له الامين قال الطيبي فيه تاكيد ولذا اضافه نحو ان زيدا العالم حق عالم وجد عالم اي عالم حقا وجدا يعني عالم يبالغ في العلم جدا ولا يترك من الجد المستطاع منه شيئا ومنه قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فاستشرف اي تطلع لها اي للامارة وتوقعها الناس اي حرصا بهم على تحصيل صفة الامانة لا على الولاية من حيث هي قال اي حذيفة فبعث ابا عبيدة الجراح متفق عليه وعن علي رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله من نؤمر بضم نون وفتح همزة وكسر ميم مشددة قراء اي من نجعله

أمّر علينا بعدك أي بعد فوتك وفي نسخة صحيحة بالتاء الفوقية بدل النون أي من
تجعله أميرا علينا بعدك ويؤيد الأول قوله قال إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا أي ديّنا
لا يخون الأمانة وعلى وجه العدالة زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة إشعار إلى أن
الخليفة ينبغي أن يكون بهذه الصفة ليتم الإخلاص الموجب للخلاص وفي رواية تجدوه
مسلما أمينا وفي رواية تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه وإن تؤمروا عمر تجدوه
قويا أي قادرا على حمل ثقل أعباء الإمارة أمينا أي لا يجيء منه الخيانة لا يخاف في الله
لومة لائم أي لا يرائي أحدا في أمر الدين والمعنى أنه صلب في الدين إذا شرع في أمر
من أموره لا يخاف إنكار منكر ومضى فيه كالمسمار المحمي لا يزعه قول قائل ولا اعتراض
معترض ولا لومة لائم يشق عليه جده واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير
مبالغتان كأنه قيل لا يخاف شيئا قط من لوم أحد من اللوام وفي رواية تجدوه قويا في
أمر الله قويا في نفسه وإن تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين أي والحال أني لا أظنكم
فاعلين أي التأمير له بلا فصل في الخلافة تجدوه هاديا أي مرشدا لكم مهديا
بفتح ميم وتشديد تحتية أي مهتديا كاملا يأخذ بكم الطريق المستقيم قال الطيبي
يعني الأمر مفوض إليكم أيتها الأمة لأنكم أمة مجتهدين مصيبون في الاجتهاد
لا تجمعون إلا على الحق الصرف وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة لا يدرى أيهم
أكمل فيما يدلي إليه مما يستحق به الإمارة قيل وفي تقديم أبي بكر إيماء إلى تقدمه ولم
يذكر عثمان صريحا لكن في قوله ولا أراكم إشارة إلى أنه المتقدم على علي ثم بعد عمر وأما
قوله ولا أراكم فاعلين متعلق بإمارة عمر وعلي نعم يمكن أن يقال المعنى لا أراكم فاعلين
تأمير علي بعدما علي كلهم لما أعلم من قضاء الله وقدره أن عمر علي أطول من أعمارهم فلو
تقدم لفاتهم الخلافة فتقدير الله كتب لهم الخلافة أيضا فيتعين أنكم غير فاعلين فالظن
بمعنى اليقين والله أعلم وهو الموفق والمعين رواه أحمد وعن حذيفة قال قالوا
يا رسول الله ألا تستخلف قال إني إن استخلف عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب قالوا
ألا تستخلف أبا بكر قال إن تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه قالوا ألا
تستخلف عمر قال إن تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله قويا في بدنه قالوا ألا تستخلف
عليا قال إن تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم خرجه ابن السمان
وعنه أي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر فيه جواز الدعاء
بالرحمة للأحياء زوجني ابنته بمهرة وصل والجملة استئناف تعليل وهذا تواضع منه
صلى الله عليه وسلم وإلا فله صنع عليه منيع على تزوجها وحملني إلى دار الهجرة أي على
بعيره ولو على قول ثمنه وصحبني في الغار أي حين هربه من الأعداء وأعتق بلالا من ماله
أي وجعله خادما لي في ماله رحم الله عمر يقول الحق أي الصرف أو القول الحق وإن كان أي ولو
كان الصرف والقول الحق مرا أي صعبا على الخلق تركه الحق استئناف بيان وما له من صديق

جملة

حملة خالية أي صيره قول الحق بهذه الصفة أو خلاه بهذه الحالة ومن أنه لا صديق
له إلا الله أي رضي الله ورسوله والمعنى من صديق يكون صديقه للمراعاة والمداراة
لا مطلقا وإلا فلا شك أن الصديق كان صديقا له قال الطيبي قوله تركه الحق جملة مبينة
لقوله يقول الحق وإن كان مرا لأن تمثيل الحق بالمرارة يؤذن باستبشاع الناس من سماع الحق
استبشاع من ذوق العلقم فيتخلى لذلك صديقه وقوله وما له من صديق حال
من المفعول إذا جعل ترك بمعنى خلى وإذا ضمن معنى صير كان هذا مفعولا ثانيا قالوا
وفيه داخلة على المفعول الثاني كما في بعض الأشعار رحم الله عثمان تستحيي منه
الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق أمر من الإدارة أي اجعل الحق دائرا وسائرا
معه حيث دار أي علي أو الحق رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب

باب مناقب أهل بيت

النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة زيادة ورضي الله عنهم الفصل
الأول عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية أي المسماة
بآية المباهلة ندع أبناءنا وأبناءكم وأولها فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا ونزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة
وفاطمة أي لأنها أخص النساء من أقاربه وحسنا وحسينا فنزلهما منزلة ابنيه
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي أي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
رواه مسلم وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة أي صباحا وفي
رواية ذات غداة وعليه مرط بكسر ميم وسكون راء أي كساء يكون من خز وصوف فيه
علم مرحل بفتح الراء المهملة بفتح الحاء المهملة المشددة ضرب من برود اليمن لما
عليه من تصاوير الرحل كذا ذكره شارح وروي بجيم وهو ما عليه صورة المراجل يعني
القدور من شعر بفتح عين وبسكون أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله أي تحت المرط
بالأمر أو الفعل وفي رواية فأدخله فيه ثم جاء الحسين فدخل معه أي بلا إدخال أو
لكبره لصغره وفي رواية فأدخله فيه ثم جاءت فاطمة فأدخلها أي فيه كما في رواية
ثم جاء علي فأدخله أي فيه كما في رواية ثم قال أي قرأ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس ثم
وكلما يستقذر مروءة أهل البيت نصب على النداء أو المدح وفيه دليل على أن نساء
النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته أيضا لأنه يكون قوله يا نساء النبي لستن كأحد
من النساء وملحوق بقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن فضمير الجمع إما للتعظيم أو
للتغليب ذكور أهل البيت على ما يستفاد من الحديث ويطهركم تطهيرا من التلوث بالأرجاس
والأدناس المبتلى بها أكثر الناس قال الطيبي استعار للذنب الرجس وللتقوى الطهر
لأن عرض المقترف للمقبحات أن يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس وأما

والمجنبات فانه عرض عنهما كما نفي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما يقرر
اولي الالباب عما كره الله لعباده ونهاهم عنه وبرغبته فيما رضيه لهم وامرهم به
وسياتي تراجم الحسنين وامهما في محالها المختصة بهم رواه مسلم واخرجه احمد
عن واثلة وزاد في اخره اللهم هولاء اهل بيتي واهل بيتي احق وفي الرياض عن سعد
قال امر معاوية ان يسب ابا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلن اسبه لان يكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم سمعت رسول الله
صلى الله وسلم يقول له وخلفه في بعض مغازيه فقال علي تخلفني مع النساء والصبيان
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى
الا انه لا نبي بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لاعطين الراية وذكر القصة ولما نزلت
هذه الاية تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة
والحسن والحسين وقال اللهم هولاء اهل بيتي اخرجه مسلم والترمذي وعن ام
سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال اللهم
هولاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال
حسن صحيح ورواية للترمذي قالت ام سلمة وانا معهم يا رسول الله قال انت على مكانك
وانت الى خير وعن ام سلمة قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يوما اذ قالت
الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة اي الباب قالت فقال لي قومي فتنحي لي عن اهل بيتي قالت
فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان
صغيران فاخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة
بالاخرى وقبل فاطمة وقبل عليا واغدف اي ارسل عليهم خميصة سوداء ثم قال اللهم
اليك لا الى النار انا واهل بيتي قالت قلت وانا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وانت
اخرجه احمد والظاهر ان هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت ام سلمة والمنع
وقع من دخولها معهم فيما جللهم وعليه يحمل قولها في الحديثين الاولين وانا معهم
اي ادخل معهم لانها ليست من اهل البيت بل هي منهم ولذلك لما قالت في الحديث وانا ولم
تقل معهم اي انا ايضا الى الله لا الى النار قال وانت الى الله لا الى النار وكذا لما قالت
من اهل البيت في رواية قالت وانت من اهل البيت وابنتك ايضا على انه قد ورد انه
صلى الله عليه وسلم اذن لها في الدخول معهم في الكساء وعن ابي سعيد الخدري في
قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نزلت
في خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين اخرجه احمد في
المناقب واخرجه الطبراني وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة
اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه احمد وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انا

واياك

واياك وهذين يعني حسنا وحسينا وهذا الراقد يعني عليا في مكان واحد يوم القيامة
اخرجه احمد وعن ابن عباس قال لما نزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا
يا رسول الله من قرابتك هولاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما
اخرجه احمد في المناقب وعن البراء قال لما توفي ابراهيم اي ابن النبي صلى الله عليه وسلم
من مارية القبطية سريته ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله ستة عشر
شهرا او ثمانية عشر ودفن بالبقيع عند عثمان بن مظعون عمه الرضاعي قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا بضم الميم وكسر الضاد اي من يكمل رضاعه وفي نسخة مرضعة
تتمهما اي موضع رضاع كامل في الجنة فيه دلالة ظاهرة ان ارباب الكمال يدخلون الجنة
في الحال عقيب الانتقال وان الجنة الموعودة مخلوقة موجودة قال الخطابي هذا
يروى على وجهين احدهما مرضعا بفتح الميم اي رضاعا والاخر مضمومة الميم اي من يتم رضاعه
يقال امراة مرضع بلا ها وارضعت المرضعة فهي مرضعة اذا بني الاسم من الفعل قال
التوربشتي اصوب الروايتين الفتح لان العرب اذا ارادوا الفعل الحقوا بها التانيث
واذا ارادوا انها ذات رضيع اسقطوا الهاء فقالوا امراة مرضع بلا ها ولما كان المراد من هذا
اللفظ ان الله يقيم له من لذات الجنة وروحها ما يقع موقع الرضاع فانه كان رضيعا
لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه اقوم واصوب ولو كان على ما ذكر من الرواية فكان
من حقه ان يلحق به ها التانيث قال الطيبي هذا اذا اريد تصوير حالة الارضاع والغاية
المرضعة الذي في الصبي في مشاهدة السامع كانه ينظر اليها والا فلا الكشاف في قوله
تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت فان قيل لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي
في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع
في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع
ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت اي عن ارضاعها او عن الذي ارضعته
وهو الطفل ووجهه القاضي في شرحه مجيبا عنه بقوله او انه من يقوم مقام المرضعة
في المحافظة والا تربية ولا يخفى ان ارتكاب المجاز غير جائز مع امكان الحقيقة بل
لاجل المبالغة في تحقق الارضاع عبر عن المرضع بالمرضعة ايماء الى ان حالته ارضاعه امر
شاهده صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعن عائشة قالت كنا ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم بنصبه على النداء على سبيل الاختصاص او تفسير للضمير المبهم على تقدير
اعني رواة البخاري وخبر كان قولها عنده اي جالسين او مجتمعين وفي رواية لم تغادر منهن
واحدة فاقبلت فاطمة روي انما سميت بها لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وفي رواية
فاقبلت فاطمة تمشي ما تخفى اي ما تمتاز وفي رواية ما تخطي مشيتها بكسر الميم لان
المراد هيئتها من مشية رسول الله وفي نسخة من مشية النبي صلى الله عليه وسلم اي شيئا
كما في رواية بالنفي والمعنى مشيتها كمشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا

مرض

فرجعون فلما راها قال مرحبا بابنتي ثم اجلسها اي امرها بالجلوس عنده اي قريبا منه
وفي رواية عن يمينه او عن شماله ثم سارها بالتشديد بدا الراء وفي رواية فسارها اي
كلمها سرا فبكت بكاء شديدا فلما راي حزنها بضم فسكون وفي نسخة بفتحتين اي شدة حزنها
وكثرة بكائها وفي رواية جزعها سارها الثانية فاذا هي اي فاطمة تضحك اي تتبسم
وتنبسط وتنشرح وفي رواية فضحكت فقلت لها خصك رسول الله صلي الله عليه
وسلم من بين نسايه بالسرار ثم انت تبكين فلما قام رسول الله صلي الله عليه وسلم
اي للطهارة او الصلاة سالتها عما سارك الظاهر عما سارها علي ان ما موصولة لكن التقدير
سالتها قائلة عما سارك فما استفهامية وفي رواية سالتها ما قال لك رسول الله صلي
الله عليه وسلم قالت ما كنت لافشي من الافشا اي اذيع واظهر علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم سره بكسر السين اي ما اخفاه لانه لو اراد افشاه لما اسره فلما توفي قلت عزمت
اي اقسمت عليك بما لي عليك من الحق اي من نسبة الامومية الثانية او الاخوة او
المحبة الصادقة والمودة السابقة فما موصولة لما يفتح لام ونشد بدميم
اي الا اخبرتني وفي نسخة باشباع الثاء الياء وفي رواية لما حدثتني ما قال لك
رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الطيبي يعني ما اطلب منك الا اخبارك اياي
بما سارك بما انكارك وكوه انشدك بالله لا فعلت فالت اما الان فنعم اي اخبرك وتفصيله
هذا اما حين سارني في الامر الاول اي الموجب للحزن وفي رواية في المرة الاولى فانه
اخبرني ان جبريل كان يعارضني وفي رواية يعارضه القران كل سنة مرة اي يدارسني
جميع ما نزل من القران من المعارضة المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب اي
قابلته كذا في النهاية ولعل سبب المقابلة المحافظة وليظهر الناسخ والمنسوخ
من المقابلة وفيه اشارة الي استحباب المدارسة وانه بكسر الهمزة وفي نسخة بالفتح
عارضني به العام اي هذه السنة وفي رواية انه عارضه الان مرتين فيه ايما الي ان
هذا الحديث بعد رمضان الامر بن تمره ولا اري بضم الهمزة وفتح الراء اي ولا اظن وفي رواية
واني لا اري الاجل اي انتهاءه الا قد اقترب فاتقي الله اي دومي علي التقوي او زيدي فيها
ما استطعت واصبري اي علي الطاعة وعن المعصية وفي البلية لا سيما علي مفارقتي
فاني وفي رواية فانه نعم السلف اي الفرط انا لك اي علي الخصوص والجملة بنا ويل
مقول في حقي خبرلان في الثاني قال الطيبي انا مخصوص بالمدح ولكن بيان كانه لما قيل
نعم السلف انا قيل لمن قيل لك فبكيت وفي رواية قالت فبكيت الذي رايت فلما
راي جزعي اي فلما صبري سارني الثانية قال وفي رواية فقال يا فاطمة الا ترضين
وفي رواية اما ترضين ان تكوني سيدة اهل الجنة اي جميعا او مخصوصة بهذه
الامة وفي رواية سيدة نساء هذه الامة او نساء المومنين شك من الراوي والحديث
بظاهره يدل علي انها افضل النسا مطلقا حتي من خديجة وعايشة ومريم واسية

وقد تقدم الخلاف والله اعلم وفي رواية فسارني فاخبرني انه يقبض اي يموت في
وجعه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهل بيته اتبعه بفتح فسكون ففتح وفي نسخة
بتشديد الثاء الفوقية وكسر الموحدة اي الحقه فضحكت وتوضيحه ما في الذخاير
انه قال وفي رواية بعد قوله عايشة حتي اذا قبض سالتها فقالت انه حدثني انه
كان جبريل يعارضه القران كل عام مرة وانه عارضني به في العام مرتين ولا اري الا قد
حضر اجلي وانك اول اهلي لحوقا بي ونعم ونعم السلف انا لك ثم سارني وذكر مثل الاول
اخرجهما مسلم وعن عايشة قالت ما رايت احدا اشبه سمتا ودلا وهديا وحديثا
برسول الله صلي الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلي
الله عليه وسلم قالت وكانت اذا دخلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قام اليها فقبلها
واجلسها في مجلسه وكان النبي صلي الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت له فقبلته
واجلسته في مجلسها فلما مرض رسول الله صلي الله عليه وسلم اتت فاطمة فاكبت عليه
فقبلته ثم رفعت راسها فبكت ثم اكبت عليه ثم رفعت راسها فضحكت فقلت ان كنت
لاظن ان هذه من اعقل نسائنا فاذا هي من النسا فلما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم
قلت لها ارايت حين اكببت علي النبي صلي الله عليه وسلم ورفعت راسك فبكيت ثم اكببت
عليه ثم رفعت راسك فضحكت ما حملك علي ذلك قالت اني اذا لبذرة اخبرني انه
ميت من وجعه هذا فبكيت ثم اخبرني انه اسرع اهله لحوقا به فذلك حين ضحكت اخرجه
الترمذي وابو داود والنسائي وقال الترمذي حسن غريب وفي الذخاير عن ثوبان
قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا سافر اخر عهده اتيانه فاطمة واول من يدخل
عليه اذا قدم فاطمة اخرجه احمد وعن ابي ثعلبة قال كان رسول الله صلي الله عليه
وسلم اذا قدم من غزو او سفر بدا بالمسجد فصلي فيه ركعتين ثم اتي فاطمة ثم اتي
ازواجه اخرجه ابو عمر قال المولف هي فاطمة الكبري بنت رسول الله صلي الله عليه وسلم
وامها خديجة وهي اصغر بناته في قول وهي سيدة نساء المومنين تزوجها علي بن ابي
طالب في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبني عليها في ذي الحجة
فولدت له الحسن والحسين والمحسن وزينب وام كلثوم ورقية وماتت بالمدينة
بعد موت النبي صلي الله عليه وسلم بستة اشهر وقيل بثلاثة اشهر ولها ثمان
وعشرون سنة وغسلها علي وصلي عليها ودفنت ليلا روي عنها علي وابناها
الحسن والحسين وجماعة سواهم قالت عايشة ما رايت احدا قط اصدق من فاطمة
غير ابيها متفق عليه وروي الحاكم عن ابي سعيد فاطمة سيدة نساء اهل الجنة
الا مريم بنت عمران وعن المسور بن مخرمة سبق ذكره ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال فاطمة وفي رواية ان فاطمة بضعة بفتح موحدة اي قطعة لحم مني وقد
يكسر اليا علي ما في النهاية وفي القاموس البضعة بفتح الموحدة وقد يضم ويكسرها

وسكون المعجمة قطعة من اللحم والمعنى انها جزء مني كما ان القطعة جزء من اللحم
ونعم ما قال الامام مالك ولا افضل احدا على بضعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن اغضبها اغضبني اي فكانه اغضبني ففيه نوع من التشبيه البليغ
فاندفع ما استدل به السهيلي على ان سبها يكفر اذ لا يخفى ان مثل هذا الكلام
محمول على المبالغة في مقام المرام ومنه قوله عليه السلام على ما رواه
ابن عساكر عن علي من اذى مسلما فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومنه
ما رواه احمد والبخاري في تاريخه عن معاوية وابن حبان عن البراء من احب
الانصار فقد احبه الله ومن ابغض الانصار ابغضه الله ومنه ما رواه
الطبراني في الاوسط عن انس مرفوعا حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب
ايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب فقد احبني ومن ابغض العرب فقد
ابغضني وفي رواية بعد قوله فمن اغضبني اغضبني او زيادة عليه يريبني
من الارابة بالموحدة اي يقلقني في الظاهر ما ارابها ويؤذيني اي في الباطن
ما اذاها في شرح السنة رابني الشيء واراب بمعنى تشككني واوهمني
ما استيقنته قال الطيبي بغير الف معناه يسوئني ما يسوءها ويزعجني
ما ازعجها قلت الظاهر انهما لغتان الا ان بدله من ثقة ومناسبة لقوله ما اراها
ويؤيده اتفاق النسخ على الضم والله اعلم ثم اول الحديث قال مسور سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استاذنوني
في ان ينكحوا علي بن ابي طالب ولا اذن ثم لا اذن الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق
ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يريبني الحديث وفي شرح مسلم قالوا
في الحديث تحريم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم بكل حال وعلى كل وجه وان
تولد الايذاء مما كان اصله مباحا وهو من خواصه صلوات الله وسلامه عليه
وهو لوجهين احدهما ان ذلك يؤدي الى اذى فاطمة فيتاذى حينئذ النبي صلى الله
عليه وسلم فيهلك علي رضي الله عنه من اذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته
على علي وثانيهما انه خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد بقوله
لا اذن النهي عن جمعهما بل معناه انه صلى الله عليه وسلم علم من فضل الله تعالى
انهما لا يجتمعان كما قال انس بن النضر والله لا يكسر ثنيتها متفق عليه وفي لفظ
البخاري عن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
وهو يقول ان بني هشام بن المغيرة استاذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن
ابي طالب فلا اذن لهم ثم لا اذن لهم الا ان يحب ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي وينكح
ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما ارابها ويؤذيني ما اذاها اخرجه الشيخان
والترمذي وصححه وعن المسور ان علي بن ابي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده

فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة اتت النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت له ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي
ناكح ابنة ابي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد
ثم قال اما بعد فاني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان
فاطمة بضعة مني وانما اكره ان يفتنوها وانه والله لا يجتمع بنت رسول الله وبنت
عدو الله عند رجل واحد ابدا قال فترك علي الخطبة وعنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره هذا وانا يومئذ محتلم فقال ان فاطمة
مني وانا اخاف ان تفتن في دينها ثم ذكر صهرا له من بني عبد شمس فاثنى عليه في
مصاهرته اياه فاحسن قال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي واني لست
احرم حلالا ولا احل حراما ولكن والله لا يجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله
مكانا واحدا ابدا وعن يحيى بن سعيد القطان قال ذاكرت عبد الله بن داود
قول النبي صلى الله عليه وسلم لا اذن الا ان يحب علي ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم
قال ابن داود حرم الله على علي ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا اذن لم يكن يحل
لعلي ان ينكح على فاطمة الا ان ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت عمر بن
داود يقول لما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها
ويؤذيني ما اذاها حرم الله على علي ان ينكح على فاطمة ويؤذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم لقول الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اخرجهما الحاكم قط
ابو القاسم الدمشقي وعن المسور بن مخرمة انه بعث اليه حسن بن الحسن يخطب
ابنته فقال له فليلقني في العتمة فلقيته فحمد المسور الله عز وجل والنبي عليه
وقال اما بعد فما من نسب ولا سبب ولا صهر احب الي من نسبكم وصهركم ولكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها
ويبسطني ما يبسطها وان الانساب يوم القيامة تنقطع الا نسبي وسببي وصهري
وعندك ابنتها ولو زوجتك لقبضها ذلك فانطلق عاذرا اخرجه احمد وفيه دليل
ان الميت يراعى بما يراعى من الحي وقد ذكر الشيخ ابو علي السنجي في شرح التلخيص
انه يحرم التزوج على بنات النبي صلى الله عليه وسلم ولعله يريد من ينتسب اليه بالبنوة
ويكون هذا دليله وفي الجامع فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري رواه احمد والحاكم
عن المسور فاطمة احب الي منك وانت اعز علي منها قاله لعلي رواه الطبراني في الاوسط
عن ابي هريرة وفي الصواعق روي عن ابي ايوب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا اهل الجمع نكسوا رؤسكم

وغضوا الصار كرهني بنت فاطمة بنت محمد علي الصراط فتمر مع سبعين الف جارية من الحور العين كمر البرق وعن زيد بن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء اي بموضع فيه ماء يدعي اي يسمي ذلك الماء او ذلك المكان خما بضم فتشديد وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة وتقدم انه كان حين رجوعه من مكة وتوجهه الى المدينة بما مرجعه من حجة الوداع فحمد الله اي شكره واثنى عليه اي بعلي ذاته وجلي صفاته ووعظ اي نصحهم بما ينفعهم وذكر بالتشديد اي نبههم من نوم غفلتهم ثم قال اما بعد اي بعد الحمد والثنا الا بتخفيف اللام للتنبيه زيادة في الاهتمام على التوجيه ايها الناس انما انا بشر اي مثلكم لكان امتيازي عنكم بانه يوحي الي يوشك اي يقرب ان ياتيني رسول ربي اي جبريل ومعه عزرائيل او المراد به ملك الموت فاجيبه بالنصب وانا تارك فيكم الثقلين بفتحتين الامرين العظيمين سمي كتاب الله واهل بيته بهما لعظم قدرهما ولان العمل بهما ثقيل على تابعيهما قال صاحب الفائق الثقل المتاع المحمول على الدابة وانما قيل للجن والانس الثقلان لانهما ثقال الارض فكانهما ثقلاها وقد شبه بهما الكتاب والعترة في ان الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين وفي شرح السنة سماهما ثقلين لان الاخذ والعمل بهما ثقيل وقيل في تفسير قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي اوامر الله ونواهيه لانه لا يودي الا بتكلف ما يثقل وقيل قولا ثقيلا اي له وزن وسمي الجن والانس ثقلين لانهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان وكل شي له وزن وقدر متنافس فيه فهو ثقيل اولهما كتاب الله فيه الهدى اي الهداية من الضلالة والنور اي نور القلب للاستقامة او سبب ظهور النور يوم القيامة فخذوا بكتاب الله اي استنباطا وحفظا وعلما واستمسكوا به اي وتمسكوا به اعتقادا وعملا ومن جملة كتاب الله العمل باحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله سبحانه وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي رواية فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث بالتشديد المثلثة اي فحرض اصحابه على كتاب الله اي على محافظته ومراعاة مبانيه ومعانيه والعمل بما فيه ورغب فيه بتشديد الغين المعجمة اي ذكر المرغبات من حصول الدرجات في حقه ثم يمكن انه رهب وخوف بالعقوبات لمن ترك متابعة الايات فيكون حذفه من باب الاكتفاء ويمكن انه اقتصر على البشارة ايماء الى سعة رحمة الله تعالى وانه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة ثم قال اي النبي عليه الصلاة والسلام واهل بيتي اي وثانيهما اهل بيتي اذكركم الله بكسر الكاف المشددة اي احذركموه في اهل بيتي وضع الظاهر

موضع المضمر اهتماما بشانهم واشعارا للعلة اي انبهكم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم واكرامهم ومحبتهم ومودتهم وقال الطيبي اي احذركم الله في شان اهل بيتي واقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله وعظ وذكر قلت وقد تقدم التغاير بينهما والحمل على التاسيس اولى اذكركم الله في اهل بيتي كرر الجملة لافادة المبالغة ولا يبعد ان يكون اراد باحدهما الآل وبالاخرى ازواجه لما سبق من ان اهل البيت يطلق عليهما وفي رواية قال ثلاث مرات وفي رواية اي بدل اولهما كتاب الله هو حبل الله اي ما يوصل العبد الى ربه ويتوسل به الى قربه والترقي من حضيض البشرية الى اوج رفعة الملائكة بالحضور في الحضرة الالهية والغيبة عن شعور امور الكونية وهو مقتبس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا من اتبعه اي ايمانا وحفظا وعلما وعملا واخلاصا كان على الهدى اي على الهداية الكاملة ومن تركه عمدا من الجهات المتعددة كان على الضلالة اي الغواية الشاملة فالقران كالحبل ذو وجهين يمكن ان يكون وسيلة للترقي وان يكون ذريعة للتنزل والتدلي كالنيل ماء للمحبوبين ودما للمحجوبين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا القران حجة لك او عليك وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا نفعنا الله به ورفعنا بسببه رواه مسلم وفي الرياض فقيل لزيد من اهل بيته اليس نساؤه من اهل بيته قال بلى ان نساءه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الله عليهم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هولاء حرم الله عليهم الصدقة قال نعم اخرجه مسلم واخرج معناه احمد عن ابي سعيد ولفظه انه صلى الله عليه وسلم قال اني اوشك ان ادعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي اهل بيتي وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعن ابن عمر اي موقوفا انه كان اي ابن عمر والاظهر ان يكون التقدير كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم على ابن جعفر اي ابن ابي طالب وابن جعفر هو عبد الله ولم يذكره المؤلف في اسمائه قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين بفتح الجيم قال القاضي لما راى جعفر في الجنة يطير مع الملائكة لقبه بذي الجناحين ولذلك يسمى طيارا ايضا قال المؤلف اسلم قديما بعد احد وثلاثين انسانا وكان اكبر من اخيه علي بن ابي طالب بعشر سنين وكان اشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة قتل شهيدا يوم موتة سنة ثمان وله احدى واربعون سنة فوجد فيما اقبل من جسده تسعون ضربة وما بين طعنة برمح وضربة بسيف رواه البخاري وعن

البراء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي بالرفع والواو للحال على عاتقه
بكسر التاء وهو ما بين المنكب والعنق يقول اللهم إني أحبه أي حبا بليغا فأحبه ولا شك
لأنه أحبه الله فيجب التخلق بأخلاق الله والتعلق بشمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى آله في جميع أحيانه وأحواله قال المؤلف كنيته أبو محمد سبط رسول الله صلى
الله عليه وسلم وريحانته وسيد شباب أهل الجنة ولد في النصف من شهر رمضان
سنة ثلاث من الهجرة وهو أصح ما قيل في ولادته ومات سنة خمسين وقيل ثمان
وخمسين وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين ودفن بالبقيع
روى عنه ابنه الحسن وأبو هريرة وجماعة كثيرة ولما قتل أبوه علي بن أبي طالب بالكوفة
بايعه الناس على الموت أكثر من أربعين ألفا وسلم الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان
في النصف من جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وأما الحسين كنيته أبو عبد الله
ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع وكانت فاطمة علقت به بعد أن ولدت الحسن بخمسين
ليلة وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء من أرض
العراق فيما بين الكوفة والحلة وقتله سنان بن أنس النخعي ويقال أيضا سنان
ابن أبي سنان وقيل قتله شمر ذي الجوشن وأجهز عليه خولي بفتح الخاء المعجمة
وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء ابن يزيد الأصبحي من حمير حز رأسه وأتى
به عبيد الله بن زياد وقال: أوقر ركابي فضة وذهبا ۞ إني قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا ۞ وخيرهم إذ ينسبون نسبا ۞ وقيل إنه قتل مع الحسين
من ولده وإخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا روى عنه أبو هريرة
وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة بضم السين المهملة وفتح الكاف
وسكون الياء وبالنون ابنتاه وكان للحسين يوم قتل ثمان وخمسون سنة
وقضى الله تعالى أن قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين
قتله إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي في الحرب وبعث رأسه إلى المختار وبعثه
المختار إلى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير إلى علي بن الحسين متفق عليه وعن
أبي هريرة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار أي قطعة
منه حتى أتى خباء فاطمة بكسر الخاء المعجمة وبموحدة بعدها ألف ممدودة أي بيتها
كما قاله النووي قال الطيبي هو المجاز على نحو استعماله المسفر على السفر وفي رواية
مخباه هو المخدع وفي بعض نسخ المصابيح خباء فاطمة والظاهر أنه مغير انتهى
وفيه نظر إذ قال شارح للمصابيح الخباء ما يفتح مقدم البيت وقال ابن الملك أراد
به حجرتها وقيل حول دارها وقال الجزري جناب بفتح الجيم والنون وبالباء الموحدة
فناء الدار فقال أي النبي صلى الله عليه وسلم أثم بفتح المثلثة وتشديد الميم
أي أهناك لكع بضم اللام وفتح الكاف من غير انصراف كعمر وزفر وفي نسخة بصرفه قال الشارح

اللكع

اللكع الصبي الصغير معدول من اللكع بكسر الكاف يقال لكع الرجل يلكع لكعا فهو لكع إذا
خس أي صار خسيسا وهو غالب الاستعمال في التصغير للذكر ويقال للأنثى لكاع
مبنية وقيل هو ليس بمعدول وإنما هو مثل نغر وصرد وخففه أن ينون لأنه ليس
بمعدول وقال ابن الملك لكع بضم اللام وفتح الكاف الصغير قدرا أو جثة والثاني
هو المراد هنا وقال غيره يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا إلى صغر جثته
ويطلق على العبد واللئيم والأحمق لصغر قدرهم وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم
ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره ويقول في النداء يا لكع ولا يصرفه في المعرفة لأنه معدول
من لكع وفي النهاية اللكع عند العرب العبد ثم استعمل في الحمق والذم وقد يطلق
على الصغير ومنه الحديث أنه صلى الله عليه وسلم جاء يطلب الحسن بن علي قال أثم
لكع فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل قال القاضي المراد به هنا
الاستصغار للرحمة والشفقة كالتصغير في يا حميراء ثم لكع كرره للاهتمام في تحصيله
يعني حبسنا تفسير من الراوي فلم يلبث بفتح الموحدة أي لم يمكث محبوبه أن جاء يسعى
أي ساعيا حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه أي طالب محبته قال ابن الملك فيه
جواز المعانقة وقال النووي فيه استحباب ملاطفة الصبي في معانقته
وملاعبته رحمة ولطفا واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أحبه فأحبه
وأحب من يحبه اللهم اجعلنا من محبيه ومحبي آله ولا تجعلنا من مبغضيه ومبغضي ذريته
فإن محبوب المحبوب محبوب وفي قلب المحب المغلوب مطلوب متفق عليه وعن
أبي بكرة أي الثقفي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي
بالرفع ويجوز نصبه إلى جنبه بجانبه الأيمن والأيسر وهو أي رسول الله يقبل على الناس
مرة وعليه أي وعلى الحسن أخرى وفي رواية الدخابر ينظر إلى الناس وإليه مرة
ويقول إن ابني هذا سيد أصله سيود كسيد وقلبت الواو ياء وادغمت قيل وهو من
لا يغلبه غضبه وقيل الذي يفوقه في الخير والأول أليق بما بعده الآتي والأظهر
الثاني لأنه إنما يطلق حقيقة على من جمع السيادة نسبا وحسبا وعلما وعملا ولعل الله
أتى بصيغة الرجاء إيماء إلى عدم وجوب شيء على المولى فالمعنى أرجو منه سبحانه أن
يصلح به أي بسببه بين فئتين عظيمتين من المسلمين قال التوربشتي كفى به شرفا
وفضلا فلا أسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا وإنما وصف الفئتين
بالعظيمتين لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية وكان
الحسن رضي الله عنه يومئذ أحق الناس بهذا الأمر فدعاه ورعه وشفقته على أمة
جده إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ولم يكن ذلك لقلة ولا لذلة فقد
بايعه على الموت أربعون ألفا وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني أن ألي

امر محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق في ذلك محجمة دم ومشوذلك على بعض شيعة
حتى حمله العصبية على ان قال عند الدخول السلام عليك يا عار المؤمنين
فقال العار خير من النار وفي شرح السنة في الحديث دليل على ان واحدا من الفريقين
لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول او فعل عن ملة الاسلام لان النبي
عليه السلام جعلهم كلهم مسلمين مع كون احدى الطائفتين مصيبة والاخرى
مخطئة وهكذا سبيل كل متاول فيما يتعاطاه من راي ومذهب اذا كان له
فيما يتناوله شبهة وان كان مخطيا في ذلك ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة اهل
البغي ونفوذ قضاء قاضيهم واختار السلف ترك الكلام في الفتنة الاولى وقالوا
تلك دماء طهر الله عنها ايدينا فلا نلوث بها السنتنا رواه البخاري وعن ابي بكرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا وكان الحسن يجي وهو صغير فكان ما سجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب على رقبته وظهره فيرفع النبي صلى الله عليه وسلم
راسه رفعا رفيقا حتى يضعه فقالوا يا رسول الله راينا تصنع بهذا الغلام
شيئا ما رايناك تصنعه باحد قال انه ريحانتي من الدنيا ان ابني هذا سيد وعسى
الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين اخرجه ابو حاتم واخرجه احمد معناه ولم يقل
ريحانتي من الدنيا وزاد قال الحسن بن الحسن والله بعد ان ولي لم يهرق في خلافته ملء
محجم دم وعن ابي هريرة قال كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فاذا سجد
وثب الحسن والحسين على ظهره فاذا رفع راسه اخذهما بيده من خلفه اخذا رفيقا
فيضعهما على الارض فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته فاقعدهما على فخذيه قال فقمت
اليه فقلت يا رسول الله اردهما فبرقت برقة فقال الحقا بامكما فمكثت ضوءها
حتى دخلا اخرجه احمد وعن معاوية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص لسان الحسن
او شفته وانه لن يعذب الله لسانا او شفة مصهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
احمد وفي الذخائر قال ابو عمر ولما قتل علي بن ابي طالب بايع الحسن اكثر من اربعين الفا كلهم
قد بايع اباه قبله على الموت وكانوا اطوع للحسن واحب فيه منهم في ابيه فبقي سبعة
اشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية
اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من ارض السواد علم انه
لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر
اليه على ان يشترط عليه ان لا يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان
في ايام ابيه الا انه قال عشرة انفس فلا اومنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه
يقول اني قد اليت انني متى ظفرت بقيس بن سعد ان اقطع لسانه ويده فراجعه الحسن
اني لا ابايعك ابدا وانت تطلب قيسا او غيره بتبعة قلت او كثرت فبعث اليه معاوية
حينئذ برق ابيض وقال اكتب ما شئت فيه فانا التزمه فاصطلحا على ذلك واشترط

عليه

عليه الحسن ان تكون الامر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية واصطلحا على ذلك وكان
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
وكان رضي الله عنه يقول ما احببت منذ علمت ما ينفعني ويضرني ان الي امة محمد صلى
الله عليه وسلم على ان يهراق في ذلك محجمة دم وعن ابي العريف قال كنا في مقدمة الحسن
ابن علي اثنا عشر الفا مستميتين حرصا على قتال اهل الشام فلما جاءنا صلح الحسن كانما كسرت
ظهورنا من الغيظ والحزن فلما جاء الحسن الكوفة اتاه شيخ منا كنيته ابا عمرو سفيان
ابن ابي ليلى فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين قال لا تقل يا ابا عمرو فاني لم اذل
المؤمنين ولكني كرهت ان اقتلهم في طلب الملك وعن عبد الله بن بريدة ان الحسن دخل
على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا قبلك ولا اجيزها احدا بعدك
فاجازه باربعمائة الف الف فقبلها وروي انه لما جرى الصلح بين معاوية والحسن فقال
له معاوية قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه فقام الحسن فخطب فقال الحمد لله الذي هدى بنا
وحقن بنا دماءكم الا ان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت فيه
انا ومعاوية اما ان يكون احق به مني او يكون حقي فتركته لله واصلاح امة محمد صلى الله
عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت فقال وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
ثم نزل فقال عمرو بن العاص لمعاوية ما اردت الا هذا وفي رواية ان الحسن قال في خطبته
يا معاوية ان الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته
وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا اما وابا وعن عبد الرحمن بن
ابي نعم بضم نون وسكون عين كذا في المصابيح وهكذا في النسخ المصححة وسائر النسخ
الحاضرة ولم يذكره المؤلف في اسمائه بل ذكر عبد الرحمن بن ابي نعم وقال بفتح الغين
المعجمة وسكون النون قال سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل عن المحرم رجله حاكته
قال شعبة اي احد رواة هذا الحديث ولم يذكره المؤلف في اسمائه احسبه بكسر السين
وفتحها اي اظن اي السائل سأله عن المحرم في الذباب وعن ابن عمر وقد سئل عن المحرم
يقتل الذباب يعني ايجوز قتله ام لا والجملة معترضة قال وفي رواية فقال اي
ابن عمر في جوابه متعجبا اهل العراق اي الكوفة فانها والبصرة تسميان بعراق العرب يسألون
بفتح النون ويخفف عن الذباب اي عن قتل الذباب كما في نسخة والمعنى انهم يظهرون
كمال رعاية التقوى في نسكهم قال الطيبي قوله قال اهل العراق حال من سمعت وقد
مقدرة والاصل سمعت قول عبد الله وقوله وسأله رجل عن المحرم ايضا حال وقوله
قال شعبة احسبه يقتل الذباب قول لبعض الرواة تفسير سؤال الرجل واستفهامه
اي ما يقول في شان المحرم يقتل الذباب النهي وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم حال من ضمير الفاعل في يسألوني وقال في رواية وقد قتلوا ابن ابنته
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي في حق ابن بنته هما يعني الحسنين ريحاني ضبط

في جميع النسخ بفتح النون وتشديد ياء المتكلم وسيأتي الكلام عليه وفي الدخائر
هما ريحانتاي من الدنيا يقال سبحان الله وريحانه اي اسبح الله واسترزقه وهو
مخفف من ريحان مشدد افيعلان من الروح لان انتعاشه بالرزق ويجوز ان يراد
بالريحان المشموم لان الشمام تسمي ريحانا ويقال حياة بطاقة نرجس وبطاقة
ريحان فيكون المعنى انهما مما اكرمني الله به وحباني اولان الاولاد يشمون
ويقبلون فكانهما من جملة الرياحين التي انبتها الله وفي النهاية الريحان الرحمة
والرزق وبه سمي الولد ريحانا وكل ما ينبت طيب الريح من انواع المشموم وقال
الطيبي موقع من الدنيا هاهنا كموقعها في قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي
من الدنيا الطيب والنساء نصيبي منها ونصيب ريحاني على المدح اقول الظاهر
من كلام القائل انه جعل ريحاني خبر المبتدا ومن الدنيا بمعنى في الدنيا لكن يشكل
على رواية الكتاب بغير رفع ولعله مبني على ما روي ريحاناي او ريحاناي او
ريحاني بكسر النون وتخفيف الياء والافراد باعتبار كل منهما او التقدير كل منهما ريحاني
ثم رايت القاضي عياض قال في المشارق قوله وهما ريحاناي من الدنيا الولد
يسمي الريحان ومن هنا المعني في اي في الدنيا وقيل ريحاناي من الجنة في الدنيا
كما قال في الحديث الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة وقد قيل يوجد منهما
ريح الجنة والريحان ما يستراح اليه ايضا وقيل سماهما بذلك لان الولد يشم
كما يشم الريحان انتهي وعن جابر بن عبد الله على ما رواه احمد في المناقب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب سلام عليك يا ابا الريحانتين فعن
قليل يذهب ركناك والله خليفتي عليك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال علي هذا احد الركنين فلما ماتت فاطمة قال هذا الركن الاخر
رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن ابي نعم ان رجلا من اهل العراق سال ابن عمر عن
دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا الي هذا يسال عن دم البعوض
وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين هما ريحاناي من الدنيا اخرجه الترمذي
وصححه وعن انس قال لم يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن
بن علي وقال اي انس في الحسين ايضا كان اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وسياتي في حديث علي في الفصل الثاني تفصيل معنى هذا الحديث رواه البخاري
وكذا الترمذي وعن ابن عباس قال ضمني بتشديد الميم اي اخذني النبي صلى
الله عليه وسلم الي صدره ايماء الي انه منبع العلم ومعدن الحكم فقال اللهم علمه الحكمة
اي اتقان العلم والعمل قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وليس المراد بها حكم الفلاسفة ففي النهاية الحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشيا

بافضل العلوم والحكيم الذي يحكم الاشيا ويتقنها وفي نسخ البارئ واختلف في المراد
بالحكمة هاهنا فقيل الاصابة في القول وقيل الفهم عن الله وقيل ما يشهد
العقل بصحته وقيل نور يفرق به بين الالهام والوسواس وقيل سرعة الجواب
وقيل غير ذلك قلت لا منع من الجمع عبارات تنا شتى وحسنك واحد فكل الي ذاك
الجمال يشير وفي رواية علمه الكتاب اي علمه وما يتعلق به من سائر العلوم
الشرعية وحكي عن ابن عباس انه قال

جميع العلم في القران لكن ۞ تقاصر عنه افهام الرجال

وهذه الرواية يؤيد قول من فسر الحكمة بعلم الكتاب ولذا يقال لابن عباس
ترجمان الكتاب وقال الطيبي الظاهر ان يراد بالحكمة السنة قال يعلمهم الكتاب
والحكمة قلت الاظهر ان يراد بالكتاب لفظه وقراءته وبالحكمة معرفة
احكامه وتبيين اياته فانه رضي الله عنه كان مشهورا بالعلمين اعني القراءة
والتفسير على ان تفسير الحكمة بالسنة في الاية لوقوعها عطفا على الكتاب والاصل
التغاير في العطف لكن سيأتي انه دعا له بالفقه ايضا وهو العلم بالكتاب والسنة
اصولا وفروعا فهو جامع العلوم رضي الله عنه قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث
سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشر سنة وقيل خمس عشرة سنة
سنة وقيل عشر كان حبر هذه الامة وعالمها دعا له صلى الله عليه وسلم بالحكمة والفقه
التاويل وراي جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في اخر عمره ومات بالطائف سنة
ثمان وستين في ايام ابن الزبير وهو ابن احدي وسبعين روي عنه خلق كثير من الصحابة
والتابعين رواه البخاري وعنه اي عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل الخلاء بالفتح والمد اي مكان البراز فوضعت له وضوءا بفتح الواو ماء الوضوء فلما
خرج قال من وضع هذا اي ظرف الماء فاخبر بصيغة الماضي المجهول اي فاخبره مخبر
وهو يحتمله وغيره فقال اللهم فقهه بكسر القاف المشددة اي اجعله فقيها عالما في الدين
اي اصوله وفروعه وليس المراد به الفقه المتعارف المختص بفروع المعاملات والخصومات
قال النووي فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعا بظهر الغيب واستحباب الدعا لمن
عمل خيرا وقد اجاب الله دعاءه في حقه فكان من الفقه بالمحل الاعلى متفق عليه وعن
اسامة بن زيد اي ابن حارثة القضاعي وامه ام ايمن واسمها بركة وهي حاضنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكانت مولاة لابيه عبد الله بن عبد المطلب واسامة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه وحبه وابن حبه قبض النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ابن عشرين وقيل غير ذلك ونزل وادي القرى وتوفي به بعد قتل عثمان وقيل
سنة اربع وخمسين قال ابن عبد البر وهو عندي اصح روي عنه جماعة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كان ياخذه اي ياخذ اسامة والحسن فيقول اللهم احبهما فاني احبهما فيه

اشعاراً بان محبته لله ولذا رتب محبة الله على محبته وفي ذلك اعظم منقبة لهما
ولفظ البخاري اللهم احبهما فاني احبهما او كما قال رواه البخاري وفي رواية له قال اي اسامة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني بضم الياء وكسر العين اي يجلسني
على فخذه اي اليمنى او اليسرى ويقعد الحسن على فخذه الاخرى ثم يضمهما كذا في
المصابيح وجامع الاصول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ذكره الطيبي والظاهر
ان في غيرهما يضمنا على تغليب المتكلم كما ان في يضمهما تغليب الغائب ففي تسميته التفاتاً
نوع مسامحة ثم يقول اللهم ارحمهما اي رحمة شاملة نعتهما عن رحمة من سواك فاني
ارحمهما اي رحمة خاصة والا فرحمته عامة للعالمين بل شاملة للعالمين رواه
البخاري وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثاً اي ارسل
جيشاً وامّر بتشديد الميم اي جعل اميراً عليهم اسامة بن زيد فطعن بفتح العين
من طعن كمنع في العرض والنسب واما بالضم فبالرمح واليد ويقال هما لغتان والمعنى
فتكلم بعض الناس اي المنافقون او اجلاف العرب في امارته بكسر الهمزة اي ولايته
لكونه مولى فقال رسول الله وفي نسخة نبي الله صلى الله عليه وسلم ان كنتم تطعنون
في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه يشير الى امارة زيد بن حارثة في
غزوة مؤتة من قبل هذا او من قبل امارة ابنه قال الطيبي قوله فقد كنتم طعنتم
هذا الجزاء انما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ اي طعنكم الان فيه
سبب لان اخبركم ان ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم ومن ذلك طعنكم في ابيه من
قبل نحو قوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وايم الله بهمز وصل وقيل قطع
اي والله ان مخففة اي الشأن كان اي ابوه لخليقاً اي لجديراً وحقيقاً للامارة
اي لفضله وسبقه وقربه مني وفي اصل المالكي وايم الله لقد كان وفي نسخة عندي ان
كان لخليقاً فقال استعمل ان المخففة المتروكة العمل عارياً بعدها من اللام الفارقة
لعدم الحاجة اليها قال التوربشتي انما طعن من طعن في امارتهما لانهما كانا من الموالي وكانت
العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف فلما جاء الله بالاسلام
ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى عرف
حقهم المحفوظون من اهل الدين فاما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرياسة
من الاعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك لا سيما اهل
النفاق فانهم كانوا يسارعون الى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد بعث زيد ابن حارثة رضي الله عنه اميراً على عدة سرايا
واعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة نجباء الصحابة منهم جعفر
ابن ابي طالب رضي الله عنه وكان خليقاً بذلك لسوابقه وفضله وقربه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان يبعث اسامة وقد امّره في مرضه على جيش

فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم وكان رأى في ذلك سوى ما توسم فيه
من النجابة ان يمهد الامر ويوطئه لمن يلي الامر بعده لئلا ينزع احد يداً
من طاعة وليعلم كل منهم ان العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت
معالمها وان كان اي ابوه لمن احب الناس الي وان هذا اي اسامة لمن احب الناس
الي بعده اي بعد ابيه زيد متفق عليه وعند النسائي عن فاطمة قالت ما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط الا امره عليهم قال بعض المحققين
فيه جواز امارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل قلت ولعل
تأميره مع تأمير ابنه وقع جبراً لما اختاره من عبوديته صلى الله عليه وسلم حين
خيره فقد قال المؤلف زيد بن حارثة امه سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت
به تزور قومها فاغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على ابيات من بني
معن فأخذوا زيداً فاحتملوا زيداً وهو يومئذ غلام يقال له ثمان سنين فوافوا
به سوق عكاظ فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة باربعمائة
درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فقبضه ثم ان خبره
اتصل باهله فحضره ابوه حارثة وعمه كعب في فدائه فخيره النبي صلى الله عليه
وسلم بين نفسه والمقام عنده وبين اهله والرجوع اليهم فاختار النبي صلى الله
عليه وسلم لما يرى من بره واحسانه اليه فحينئذ خرج به النبي صلى الله عليه وسلم
الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيداً ابني يرثني وارثه فصار يدعى زيد بن
محمد الى ان جاء الله بالاسلام ونزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فقيل له
زيد بن حارثة وهو اول من اسلم من الذكور في قول وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اكبر منه بعشر سنين وقيل بعشرين سنة وزوجه صلى الله عليه وسلم مولاته
ام ايمن فولدت اسامة ثم تزوج زينب بنت جحش بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم
ثم طلقها لتكبرها عليه فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسم الله تعالى في القرآن
احداً من الصحابة غيره في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطراً روى عنه ابنه اسامة
وغيره وقتل في غزوة مؤتة وهو امير الجيش في جمادى الاولى سنة ثمان وهو ابن
خمس وخمسين سنة وفي رواية لمسلم نحوه اي نحو الحديث المتفق عليه سابقاً وفي
آخرها اي رواية مسلم اوصيكم به اي باسامة فانه من صالحيكم اي ممن غلب عليه
الصلاح فيما بينكم والا فكل الصحابة صالحون والخطاب لعامة الحاضرين او المبعوثين
معه وعنه اي عن عبد الله بن عمر قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايراد هذا الحديث في هذا الباب للاشعار بان مولى الرجل من اهل بيته
ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد قال النووي كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيداً ودعاه

ابنه وكانت العرب تتبنى مواليهم وغيرهم فيصير ابنا له يوارثه وينتسب اليه حتى نزل القرآن اي الآية منه ادعوهم لآبائهم قبله وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم اي انسبوهم لآبائهم هو اقسط اي اعدل عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم الآية فرجع كل انسان اي نسبه متفق عليه وذكر حديث البراء قال لعلي انت مني في باب بلوغ الصغير وحضانته بكسر الحاء وبفتح اي تربيته

الفصل الثاني عن جابر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته القصوى بفتح القاف ممدود او القصر قيل لمين قصو لانها مجدوع الاذن بل لان القصوى لقب لها يخطب حال فسمعته يقول يا ايها الناس اني تركت فيكم ما موصولة صلتها ان اخذتم به اي تمسكتم به علما وعملا لن تضلوا البعد بعدي اي بعد اخذ ذلك الشيء كتاب الله بالنصب بيان لما في ما ان اخذتم بها وبدلا وبتقدير اعني وفي نسخة بالرفع اي هو كتاب الله وعترتي في محل نصب او رفع وقوله اهل بيتي معرب من وجهين قال التوربشتي عترة الرجل اهل بيته ورهطه الادنون ولاستعمالهم العترة على انحاء كثيرة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اهل بيتي ليعلم انه اراد بذلك نسله وعصابته الادنين وازواجه انتهى والمراد بالاخذ التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم وهو لا ينافي اخذ السنة من غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون قال ابن الملك التمسك بالكتاب العمل بما فيه وهو الايتمار باوامر الله والانتهاء بنواهيه ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم زاد السيد جمال الدين اذا لم يكن مخالفا للدين فلذا في اطلاقه صلى الله عليه وسلم اشعار بان من يكون من عترته في الحقيقة لا يكون هديه وسيرته الا للشريعة والطريقة رواه الترمذي وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي اي بعد فوتي احدهما وهو كتاب الله اعظم من الآخر وهو العترة كما بينه بقوله كتاب الله بالنصب او بالرفع وهو اظهر لقوله حبل ممدود بين السماء والارض اي قابل للترقي والتنزل كما مر بيانه وسبق برهانه وعترتي اهل بيتي قال الطيبي قوله اني تارك فيكم اشارة الى انهما بمنزلة التوءمين الخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يوصي الامة بحسن المخالفة معهما وايثار حقهما على انفسهم كما يوصي الاب المشفق الناس في حق اولاده ويعضده الحديث السابق في الفصل الاول اذكركم الله في اهل بيتي كما يقول الاب المشفق الله الله في حق اولادي والاظهر هو ان اهل البيت غالبا يكونون اعرف بصاحب البيت واحواله فالمراد بهم اهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته وبهذا يصلح ان يكون مقابلا لكتاب الله سبحانه كما قال ويعلمهم الكتاب والحكمة ويؤيده ما اخرجه احمد في المناقب عن حميد بن

ابن عبد الله بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده قضاء قضى به علي بن ابي طالب فاعجبه وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة اهل البيت واخرج ابن ابي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال قال علي للحسن كم بين الايمان واليقين قال اربع اصابع قال بين قال اليقين ما رأته عينك والايمان ما سمعته اذنك وصدقت به قال اشهد انك ممن انت منه ذرية بعضها من بعض وفارق الزهري فيها مع علي وحبي حسبه فقال زين العابدين فنونك من رحمة الله اليك وسعت كل شيء اعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله اعلم حيث يجعل رسالاته فرجع الى اهله وماله ولن يتفرقا اي كتاب الله وعترتي في مواقف القيامة حتى يردا علي الحوض اي الكوثر قال الطيبي في تفصيل مجمل الحديث ما موصولة والجملة الشرطية صلتها والامساك للشيء التعلق به وحفظه قال تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه والتمسك بالشيء اذا تحري الامساك به ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالتمسك به صريحا وهو الحبل في قوله كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وفيه تلويح الى قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه كان الناس واقعون في مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتهم وان الله تعالى يريد بلطفه رفعهم فادلى حبل القرآن اليهم ليخلصهم من تلك الورطة فمن تمسك به نجا ومن اخلد الى الارض هلك ومعنى كون احدهما اعظم من الآخر ان القرآن هو اسوة للعترة وعليهم الاقتداء به وهم اولى الناس بالعمل بما فيه ولعل السر في هذه التوصية واقتران العترة بالقرآن ايجاب محبتهم لا جرم من معنى قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فانه تعالى جعل شكر انعامه واحسانه بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر فكانه صلى الله عليه وسلم يوصي الامة بقيام الشكر وقيد تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن اقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض فشكرا صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ هو بنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الاوفى ومن اضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله فانظروا كيف تخلفوني فيهما والنظر بمعنى التأمل والتفكر اي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي اياكم هل تكونون خلف صدق او خلف سوء انتهى وقوله تخلفوني بتشديد النون وبتخفيف رواه الترمذي ورواه احمد والطبراني عن زيد بن ثابت ولفظه اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي وانهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض وعنه اي عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين اي لاجلهم وفي حقهم انا حرب اي محارب لمن حاربهم جعل صلى الله عليه وسلم نفسه نفس الحرب مبالغة كرجل عدل وسلم بكسر اوله ويفتح لمن سالمهم والمعنى من احبهم احبني ومن ابغضهم ابغضني رواه الترمذي وعن

جبير بن عمير بالتصغير فيهما قال المؤلف تيمي من الكوفة قال البخاري سمع عمر وعائشة
روى عنه العلاء بن صالح وصدقه ابن المثنى قال دخلت مع عمتي على عائشة فسألت
اي انا وفي نسخة بصيغة التانيث اي عمتي اي الناس كان احب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت اي عائشة فاطمة اي هي كانت احب فقيل من الرجال اي هذا جوابك من النساء
فمن احب اليه من الرجال قالت زوجها رواه الترمذي وفي الرياض عن عائشة سئلت اي الناس
احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقيل من الرجال قالت زوجها ان كان
ما علمت صواما قواما اخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الازهار رواه السدي وقال
الحاكم السدي شيعي يسب الشيخين انتهى وقد ذكروا ان السدي شخصان كبير وكوفي
وصغير وهو رافضي قال السيوطي في شرح التقريب من امارات كون الحديث موضوعا
ان يكون الراوي رافضيا والحديث في فضائل اهل البيت قال الشيخ الحافظ علي بن
عراق في كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة او في ذم من
حاربهم وذكر بعض شيوخي انه روى عن شيخه الحافظ المحدث البرهان الناجي بالنون
ان من امارات الموضوع ان يكون فيه واعطي ثواب نبي او النبيين ونحوهما قلت
كلام السيوطي وابن العراق ليس على الاطلاق بل ينبغي ان يكون مقيدا بما اذا وجد
فيه مبالغة زائدة غير معروفة في مدح اهل البيت او ذم اعدائهم والا فضل اهل
البيت او ذم من حاربهم امر مجمع عليه عند علماء السنة وكاشف محبة الامة لا يلزم
من اكثرية المحبة تحقق الافضلية اذ محبة الاولاد وبعض الاقارب امر جبلي مع العلم
القطعي بان غيرهم قد يوجد افضل منهم واما بالنسبة الى الاجانب فالافضلية
توجب زيادة المحبة وبهذا يندفع الاشكال والله اعلم بالاحوال وعن عبد المطلب بن
ربيعة اي ابن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي سكن المدينة ثم تحول عنها الى دمشق
ومات بها سنة اثنتين وستين روى عنه عبد الله بن الحارث ذكره المؤلف في فصل
الصحابة ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا بصيغة المفعول
وانا عنده فقال ما اغضبك اي اي شيء جعلك غضبان قال يا رسول الله ما لنا اي معشر
بني هاشم ولقريش اي بعضهم اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة على صيغة المفعول
من الابشار وروي من التبشير وعليه بعض النسخ قال الطيبي كذا هو في جامع الترمذي
وفي جامع الاصول مسفرة يعني على انه اسم فاعل من الاسفار بمعنى مضيئة قال التوربشتي
هو بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين يريد بوجوه عليها البشر من قولهم فلان مؤدم
مبشر اذا كانت له ادمة وبشرة محمودتان انتهى والمعنى تلاقى بعضهم بعضا بوجوه
ذات بشر وبسط واذا لقونا بضم القاف لقونا بغير ذلك اي بوجوه ذات قبض وعبوس
وكان وجهه انهم يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله فغضب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي من اجل ذلك او من اجل هذه الصفة الذميمة حتى احمر وجهه اي

أشد

اشد حمرته من كثرة غضبه ثم قال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان اي مطلقا
واريد به الوعيد الشديد او الايمان الكامل فالمراد به تحصيله على الوجه الاكمل حتى يحبكم
اي اهل البيت لله ولرسوله اي من حيث اظهر رسوله فيكم والله اعلم حيث يجعل رسالاته
وكان ينفوه ابو جهل حيث يقول اذا كان بنو هاشم اخذوا الراية والسقاية والنبوة
والرسالة فما بقي لبقية قريش ثم قال يا ايها الناس من اذى عمي اي خصوصا فقد اذاني
اي فكانه اذاني فانما عم الرجل صنو ابيه بكسر الصاد وسكون نون اي مثله واصله ان يطلع
نخلتان او ثلاث من اصل عرق واحد فكل واحدة منهن صنو يعني ما عم الرجل وابوه الا
كصنوين من اصل واحد فهو مثل ابي او مثلي رواه الترمذي اي عن عبد المطلب وفي المصابيح
عن المطلب قال المؤلف هو المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي
كان عاملا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عداده في اهل الحجاز روى عنه عبد
الله بن الحارث قدم مصر لغزو افريقية سنة سبع وعشرين ولم يقع الى اهل الحديث عنه رواية
انتهى فما وقع في المصابيح سهو وسببه وهم وفي الجامع روى الترمذي عن ابي هريرة العباس
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل صنو ابيه وروى ابن عساكر عن علي مرفوعا العباس
عمي وصنو ابي فمن شاء فليباه بعمه وفي ذخائر العقبى عن ابن عباس قال ان العباس قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لنخرج فنرى قريشا تتحدث فاذا راونا سكتوا فغضب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودر عرق الغضب بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم
لله ولقرابتي رواه احمد وعن ابي ايوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لفاطمة نبينا خير الانبياء وهو ابوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم ابيك حمزة ومنا الذي له
جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم ابيك ومنا سبطا هذه الامة الحسن والحسين
وهما ابناك ومنا المهدي اخرجه الطبراني في معجمه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم العباس مني اي من اقاربي او من اهل بيتي او متصل بي وانا منه رواه الترمذي
وكذا الحاكم وروى الخطيب عن ابن عباس مرفوعا العباس وصيي ووارثي وكان العباس اكبر
منه صلى الله عليه وسلم بسنتين ومن لطائف طبعه وحسن ادبه انه لما قيل له انت اكبر والنبي
صلى الله عليه وسلم فقال هو اكبر وانا اسن قال المؤلف وامه امرأة من النمر بن قاسط وهي
اول عربية كست الكعبة الحرير والديباج واصناف الكسوة وذلك ان العباس ضل
وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان
العباس رئيسا في الجاهلية واليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية فهي معروفة
واما العمارة فانه كان يحمل قريشا على عمارته بالخير وترك السباب فيه وقول الهجر قال
مجاهد اعتق العباس عند موته سبعين مملوكا ولد قبل سنة الفيل ومات يوم
الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين
ودفن بالبقيع وكان اسلم قديما وكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرها فقال

النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مكرها فاسره ابو اليسر كعب بن عمرو
ففادى نفسه ورجع الى مكة ثم اقبل الى المدينة مهاجرا روى عنه جماعة وعنه اي عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي للعباس اذا كان غداة الاثنين بهمزة
وصل وقد يقطع على قول الشاعر كل سر جاوز الاثنين شاع لحنا لعدم اتزانه الا بهمزة القطع مع
انه قد يكون لضرورة الشعر فاتني انت وولدك بفتحتين وبضم وسكون اي اولادك
حتى ادعوهم اي الاولاد معك قال الطيبي وهو كذا في الترمذي وفي جامع الاصول وبعض
نسخ المصابيح لكن النسخ والمعنى حتى ادعو لكم جميعا بدعوة ينفعك الله بها وولدك
اي وينفع بها اولادك قال ابن عباس فغدا اي العباس وغدونا اي نحن معاشر الاولاد معه
والمعنى فذهبنا جميعا اليه صلى الله عليه وسلم وابعد شارح في قوله قال ابن عباس فغدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسنا اي النبي صلى الله عليه وسلم جميعنا ونحن الاولاد
مع العباس كساءه اي لباسه الخاص على وجه الاختصاص وارادة الاخلاص ثم قال اللهم
اغفر للعباس وولده اي اولاده مغفرة ظاهرة وباطنة اي ما ظهر من الذنوب وما
بطن من العيوب التي لا يعلمها الا علام الغيوب لا تغادر اي لا تترك تلك المغفرة
ذنبا اي غير مغفور اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وزاد رزين واجعل الخلافة
باقية في عقبه وقال الترمذي هذا حديث غريب قال التوربشتي اشار النبي صلى
الله عليه وسلم بذلك الى انهم خاصته وانهم بمثابة النفس الواحدة التي يشملها كساء واحد
وانه يسأل الله تعالى ان يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم وانه يجمعهم
في الآخرة تحت لوائه وفي هذه الدار تحت رايته لاعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دعوة
رسوله اللهم احفظه في ولده اي اكرمه وراع امره كيلا يضيع في شان ولده وهذا
معنى رواية رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه وعنه اي عن ابن عباس انه اي
ابن عباس كما صرح به شارح رأى جبريل مرتين روى ابن النجار عن ابن عباس قال دخلت انا وابي
على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا من عنده قلت لابي اما رأيت الرجل الذي كان مع
النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت رجلا احسن وجها منه فقال لي وهو كان احسن وجها
ام النبي صلى الله عليه وسلم قلت هو قال فارجع بنا فرجعنا حتى دخلنا عليه فقال له ابي
يا رسول الله اين الرجل الذي كان معك زعم عبد الله انه كان احسن وجها منك قال
يا عبد الله رأيته قلت نعم قال اما ان ذلك جبريل اما انه حين دخلتما قال يا محمد من هذا
الغلام قلت ابن عمي عبد الله بن عباس قال انه لمحل للخير قلت يا روح الله ادع الله له
فقال اللهم بارك عليه اللهم اجعل منه كثيرا طيبا انتهى ولا يخفى ان قوله احسن يحتاج
الى توجيه حسن وتأويل مستحسن وهو انه لما رآه اول نظره استحسنه بحيث انه ظن
احسن كما هو مشاهد في المرئيات المستحسنة اولا او لان جبريل كان متوجها اليه منبسطا
عليه او لعدم تمييز ابن عباس حينئذ مع المناسبة الطفولية المشابهة بالصفة

الملكية

الملكية التي كانها علته الضم والا فجبريل عليه السلام كان يظهر على صورة دحية
ولم ينقل احد من الصحابة انه كان احسن صورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا
له اي لابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اي مرة باعطاء الحكمة او علم الكتاب
حين ضمه الى صدره ومرة بتعليم الفقه حين خدمه بوضع ما وضوئه رواه الترمذي
وعنه اي ابن عباس انه قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤتيني الله الحكمة
اي العلم باصول الشريعة وفروعها مرتين اي مرة بلفظ الحكمة ومرة بعبارة الفقه ه
والظاهر انهما في مجلسين كما تقدم والله اعلم رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال كان
جعفر يحب المساكين اي محبة زائدة ويجلس اليهم اي ويتواضع لديهم ويحدثهم ويحدثونه اي
بالمؤانسة فكان وفي نسخة صحيحة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنيه لكثرة
ما ذكر بابي المساكين اي ملازمهم ومداومهم كما كنى عليا بابي تراب لمباشرته ومعاشرته ه
بقعوده ورقوده عليه وكما يقال للصوفي ابو الوقت وابن الوقت والمسافر ابن السبيل
رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في
المنام جعفرا يطير اي باجنحة روحانية وجسمانية في الجنة مع الملائكة قال
التوربشتي كان جعفر قد اصيب بمؤتة من ارض الشام وهو امير بيده راية الاسلام
بعد زيد بن حارثة فقاتل في الله حتى قطعت يداه ورجلاه فاري النبي صلى الله عليه
وسلم فيما كوشف به ان له جناحين مضرجين بالدم يطير بهما في الجنة مع الملائكة رواه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة قال المظهر يعني هما افضل من مات شابا في
سبيل الله من اصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب لانهما ماتا وقد كهلا بل
ما يفعله الشباب من المروة كما يقال فلان فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته
او انهما سيدا اهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك لان اهل الجنة
كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل قال الطيبي ويمكن ان يرادهما
الآن سيدا شباب منهم من اهل الجنة من شبان هذا الزمان رواه الترمذي وكذا احمد
عن ابي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن ابي هريرة والطبراني في الاوسط
عن اسامة ابن زيد وعن البراء وابن عدي وابن مسعود ورواه ابن ماجة والحاكم عن ابن
عمر ولفظه الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وابوهما خير منهما وكذا رواه الطبراني عن
قرة وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن مسعود ورواه احمد وابو يعلى وابن حبان والطبراني
والحاكم عن ابي سعيد بلفظ الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة الا ابني الخالة عيسى
ابن مريم ويحيى ابن زكريا وفاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا ما كان مريم بنت عمران
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحسن والحسين هما ريحاني بفتح نون
وتشديد ياء كما سبق وفي نسخة صحيحة هما ريحاناي وفي نسخة ريحانتي بكسر النون من الدنيا

رواه الترمذي وقد سبق اي هذا الحديث في الفصل الاول قال السيد جمال الدين
فيه اشارة الي الاعتراض علي صاحب المصابيح قلت ويدفع بان الاول رواية البخاري
وقعت في محله وهذا رواية الترمذي جاء في موضعه فلا تكرار مع ان اللفظ متغاير
في الجملة وعن اسامة بن زيد اي ابن حارثة قال طرقت النبي صلي الله عليه وسلم
اي طلبت الطريق اليه ففي القاموس الطرق الاتيان بالليل كالطروق ففي الكلام
تجريد او تاكيد والمعني اتيته ذات ليلة اي ليلة من الليالي وذات مقحمة للتاكيد
الابهام في بعض الحاجة اي لاجل عرض حاجة من الحاجات الحادثة في الاوقات
فخرج النبي صلي الله عليه وسلم وهو مشتمل اي محتجب علي شيء لا ادري ما هو فلما
فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي انت مشتمل عليه فكشفه اي ازال ما عليه
من الحجاب او المعني فكشف الحجاب عنه علي انه من باب الحذف والايصال فاذا
الحسن والحسين علي وركيه بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وكتفه ما فوق
الفخذ فقال هذان ابناي اي حكما وابنا بنتي حقيقة اللهم اني احبهما فاحبهما
واحب من يحبهما ولعل المقصود من اظهار هذا الدعا حمل اسامة زيادة علي محبتهما
رواه الترمذي وعن سلمي بفتح اوله زوجة ابي رافع مولي النبي صلي الله عليه وسلم
قابلة ابراهيم ابن نبي الله صلي الله عليه وسلم روي عنها ابنها عبيد الله بن علي
قالت دخلت علي ام سلمة وهي من امهات المومنين وهي تبكي اخرج احمد في المناقب
عن الربيع بن منذر عن ابيه قال كان حسن بن علي يقول من دمعت عيناه فينا دمعة
او قطرت عيناه قطرة اتاه الله عز وجل الجنة فقلت ما يبكيك بضم اوله وكسر
كافيه قالت رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم تعني في المنام هذا من كلام سلمي و
من بعدها اي تريد ام سلمة بالروية الروية في المنام وعلي راسه ولحيته التراب اي
اثره من الغبار فقلت ما لك اي من الحال يا رسول الله قال شهدت اي حضرت قتل الحسين
انفا بمد الهمزة ويجوز قصرها الجهدة الساعة القريبة رواه الترمذي وقال
هذا حديث غريب قال ميرك رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي سنده حسن ابن
اسامة بن زيد يضعف قال الذهبي ولم يصح خبره قلت لكن يقويه خبر ابن عباس
الاتي في الفصل الثالث وعن انس قال سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم
اي اهل بيتك احب اليك فقال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي بسكون
الياء وفتحها اي اطلبي لاجلي ابني بصيغة التثنية فيشمهما بضم الشين وقد
يفتح ففي القاموس الشم حس الانف شممته بالكسر اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم
وقال غيره شممت الشيء من باب نصر لغة فيه والمعني فيحضران فيشمهما لانهما ريحانتاه
ويضمهما اليه اي بالاعتناق والاحتضان رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
وفي الذخاير حسن غريب وعن يعلي بن مرة قال جاء الحسن والحسين يستبقان الي رسول الله

صلي

صلي الله عليه وسلم فجاء احدهما قبل الاخر فجعل يده في عنقه فضمه الي بطنه
صلي الله عليه وسلم ثم جاء الاخر فجعل يده الاخرى في رقبته ثم ضمه الي بطنه صلي
الله عليه وسلم وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال اني احبهما فاحبوهما ايها الناس الولد مبخلة
مجبنة رواه احمد وعن بريدة قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء
الحسن والحسين عليهما وفي نسخة بزيادة الواو الحالية قميصان احمران اي فيهما
خطوط احمر يمشيان ويعثران بضم المثلثة ويجوز تثليثها ففي القاموس عثر
كضرب ونصر وعلم وكرم كبا والمعني انهما يسقطان علي الارض لصغرهما وقلة وفي
رواية الكشاف يعثران ويقومان فنزل رسول الله صلي الله عليه وسلم من المنبر
فحملهما اي علي كتفيه ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله اي في قوله انما اموالكم
واولادكم اي بالخطاب العام فتنة اي محنة نظرت الي هذين الصبيين يمشيان ويعثران
فلم اصبر اي عنهما لتاثير الرحمة والرقة في قلبي حتي قطعت حديثي اي كلامي
في الخطبة ورفعتهما اي عندي ليحصل لهما الرفعة عند الله وعند خلقه ثم اخذ
في خطبته علي ما في الكشاف رواه الترمذي وابو داود والنسائي وقال الترمذي حسن
غريب وعن يعلي بن مرة بضم فتشديد ثقفي شهد الحديبية وخيبر والفتح
وحنينا والطايف روي عنه جماعة وعداده في الكوفيين قال قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم حسين مني وانا من حسين قال القاضي كانه صلي الله عليه وسلم
علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين انهما كالشيء الواحد
في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة واكد ذلك بقوله احب الله من احب حسينا
فان محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله حسين سبط بكسر السين وفتح
الموحدة اي ولد ابنتي من الاسباط وماخذه من السبط بالفتح وهي شجرة لها اغصان
كثيرة واصلها واحد كان الوالد بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة اغصانها وقيل
في تفسيره انه امة من الامم في الخير قال القاضي السبط ولد الولد اي هو من اولاد
اولادي اكد به البعضية وقررها ويقال للقبيلة قال تعالي وقطعناهم اثنتي
عشرة اسباطا اي قبايل ويحتمل ان يكون المراد ههنا علي معني انه يتشعب
منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير فيكون اشارة الي ان نسله يكون اكثر وابقي
وكان الامر كذلك رواه الترمذي وكذا سعيد بن منصور في سننه وقال الترمذي
حسن وعن خالد بن معدان قال وفد المقدام بن معديكرب وعمرو بن الاسود الي معاوية
فقال معاوية للمقدام اعلمت ان الحسن بن علي توفي فرجع المقدام فقال له معاوية
اتراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجره وقال هذا
مني وحسين من علي اخرجه احمد وهو لا ينافي ما رواه احمد وابن عساكر عن المقدام
ابن معديكرب مرفوعا الحسن مني والحسين من علي لانه اراد قسمة الوالدين للابوين

فالكبير للجد والصغير للاب كما هو معروف في العرف ولفظ الجامع حسين مني وانا منه
واحب الله من احب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط اخرجه البخاري في الادب
المفرد والترمذي والنسائي والحاكم في مستدركه عن يعلي مرة وعن علي رضي الله
عنه قال الحسن اشبه فعل ماض اي يشابه في الصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين الصدر الى الراس قال الطيبي بدل من الفاعل المضمر في اشبه او من المفعول
بدل البعض وكذا قوله الاتي ما كان اسفل والحسين اشبه النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان اسفل من ذلك اي كالساق والقدم فكان الاكبر اخذ الشبه الاعظم كانه
اسبق والباقي للاصغر قد يخفى وفيه اشعار بانهما لم ياخذا اشبه كثيرا من والديهما
رواه الترمذي وكذا ابو حاتم وقال الترمذي حسن غريب وعن حذيفة قال قلت
لامي دعيني اي اتركيني وخلي سبيلي اتي باثبات الياء فهو استيناف اي اتي النبي
النبي صلى الله عليه وسلم فاصلي معه المغرب ولعلها كانت تمنعه لبعد مجلسه
خوفا عليه او عليها واسال له ان يستغفر لي ذلك اي فاذنت لي فاتيت النبي صلى الله عليه
وسلم فصليت معه المغرب فصلى اي النبي صلى الله عليه وسلم النوافل حتى صلى
العشا ثم انفتل اي انصرف رجع فتبعته فسمع صوتي اي صوت حركة رجلي فقال من هذا
حذيفة اي وقال قبل جوابي حذيفة لما علم من نور النبوة او طريق الفراسة وهو
خبر مبتدا محذوف اي اهذا او هو او انت حذيفة قلت نعم قال ما حاجتك غفر
الله لك ولامك وهذا الهام وتبيين الحاجة السابقة ثم استانف وقال ان هذا
اي المحسوس عنده صلى الله عليه وسلم الملحوظ حكما عند حذيفة ملك لم ينزل الارض
قط قبل هذه الليلة فيه ايما الى تعظيم الامر الذي نزل فيه استاذن ربه ان يسلم
علي ويبشرني بان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي الذهبي اخرجه احمد والترمذي
وقال حسن غريب وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن
ابن علي على عاتقه بكسر التاء اي ما بين منكبه وعنقه فقال رجل نعم المركب اي مر
ركبت اي ركبته يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو رواه الترمذي اي
وقال غريب وعن عمر رضي الله عنه انه فرض اي قدر وعين امارته وظيفة لاسامة
في ثلاثة الاف وخمسمائة اي من اموال بيت المال [illegible] وفرض اي عمر لعبد الله
ابن عمر اي ولده بل اعز اولاده في ثلاثة الاف اي بنقص خمسمائة من وظيفة اسامة
فقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علي اي في الوظيفة المشعرة بزيادة
الفضيلة فوالله ما سبقني الى مشهد اي محضر من الخير علما وعملا وقال الطيبي
اراد بالمشهد مشهد القتال ومعركة الكفار لان زيدا اي ابا اسامة كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك فيه دلالة على ما قدمناه من انه لا يلزم

من كون

من كون احد احب ان يكون افضل وكان اسامة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك
وسببه انهما من اهل البيت فان مولى القوم منهم فاثرت حب محبوبه اي اخترت حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بكسر الحاء وقد يضم اي محبوبه على حبي اي مع قطع النظر عن ملاحظة
الفضيلة بل رعاية لجانب المحبة وايثار المودة ومخالفة لما تستمده النفس من مزية
الزيادة الظاهرة رواه الترمذي وعن جبلة بفتح الجيم والموحدة بن حارثة قال المؤلف
في فضل الصحابة هو اكبر من اخيه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه عنه اسحاق السبيعي
وغيره قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ابعث معي اخي زيدا
بيانا او بدل قال هو ذا اي هو غائب الى زيد وذا اشارة اليه اي هو حاضر يخير فان انطلق معك
لم امنعه اي فاني اعتقته قال زيد يا رسول الله والله لا اختار عليك اي على ملازمتك
احدا اي لا اخا ولا ابا ابدا قال اي جبلة فرايت اي علمت بعد ذلك راي اخي زيد افضل من
رايي حيث اختار الملازمة للحضرة المنفتح عليه خير الدنيا والاخرة رواه الترمذي
وعن اسامة بن زيد قال لما ثقل بضم القاف اي ضعف من مرضه الذي مات منه رسول الله
صلى الله عليه وسلم هبطنا اي نزلنا من سكنى التي كانت في عوالي المدينة وهبط الناس
اي الصحابة جميعهم من منازلهم المدينة اي اليها على طريق الحذف والايصال كقوله تعالى
واختار موسى قومه اي منهم قال الشارح انما قال هبط لانه كان يسكن العوالي والمدينة من
اي جهة توجهت اليها صح فيها الهبوط لانها وقعت في غايط من الارض بحيث ان اليها السيل
واطرافها ونواحيها من الجوانب كلها مستعلية عليها فدخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد اصمت على بناء المفعول لثقال اصمت العليل اذا اعتقل لسانه فلم يتكلم
اي اصلا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده علي اي على يدي ويرفعهما اي على
فاعرف اي بنور الولاية وظهور الفراسة انه يدعو لي اي لمحبته ورعاية لخدمته حين
غيبة حضرة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة قالت اراد النبي
صلى الله عليه وسلم ان ينحي بتشديد الحاء المكسورة اي يزيل مخاط اسامة بضم الميم وهو
ما يسيل من الانف قالت عائشة دعني اي اتركني لما ضيق انا الذي افعل اي خدمته قال
يا عائشة احبيه فاني احبه رواه الترمذي وعن اسامة قال كنت جالسا اي عند بابه
عليه السلام اذ جاء علي والعباس يستاذنان اي يريدان طلب الاذن في دخولهما فقالا لاسامة
استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله كان صغيرا اذ ذاك فقلت
يا رسول الله علي والعباس يستاذنان اي على الباب فقال اتدري ما جاء بهما اي ما سبب
مجيئهما قلت لا قال لكني ادري ايذن لهما بهمزة ساكنة وصلا وبابدالها يا فدخلا اي
بعد اذنه فقالا يا رسول الله جئناك نسالك اي اهلك احب اليك قال فاطمة بنت محمد
قالا ما جئناك نسالك عن اهلك اي عن ازواجك واولادك بل نسالك عن اقاربك ومتعلقيك
قال احب اهلي الي اي من الرجال من قد انعم الله عليه اي بالاسلام والهداية والاكرام والتهمم عليه

اي انا با لعتق والتبني والتربية وهذا وان ورد في حق زيد لكن ابنه تابع له
في حصول الانعامين قال الاثم من قال علي بن ابي طالب وفي نسخة بدون ثم فهذا نص
جلي على انه لا يلزم من الاحبية الافضلية فان عليا افضل من اسامة وزيد بالاجماع
قال الطيبي اي اهلك انك تطلق ويراد به المقتي اي من الرجال يبينه ما تقدم وهو قوله
احب اهلي الي من قد انعم الله عليه وفي نسخ المصابيح قوله ما جئناك نسالك عن اهلك
مقيد بقوله من النساء وليس في جامع الترمذي وجامع الاصول هذه الزيادة
ولم يكن احد من الصحابة الا وقد انعم الله عليه ورسوله الا ان المراد المنصوص عليه
في الكتاب وهو قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه وهو زيد
لا خلاف في ذلك ولا شك وهو وان نزل في حق زيد لكنه لا يبعد ان يجعل اسامة
تابعا لابيه فيهما بين النعمتين وحل محلا مما من الله تعالى في التنزيل من الانعام
على بني اسرائيل نحو انعمت عليكم ثم اسداها اليهما ثم فقال العباس يا رسول
الله جعلت عمك اخرهم اي اخر اهلك قال ان عليا سبقك بالهجرة اي وكذا بالاسلام
فهذا اوجب تقديم الاحبية المترتبة على الافضلية لا على الاقربية ونظيره
انه جاء العباس وابو سفيان وبلال وسلمان الى باب عمر ليستاذنوه فقال خادم
عمر بعد اعلامه بالجماعة يدخل بلال فقال ابو سفيان للعباس اما ترى انه يقدم
علينا موالينا فقال العباس نحن تاخرنا فهذا اخرنا وما رواه الترمذي وروى الديلمي
في الفردوس وذكر ان عم الرجل صنو ابيه في كتاب الزكاة اي حيث قاله صلى الله
عليه وسلم لعمر في قصة زكاة العباس الفصل الثالث عن عقبة بن الحارث
قرشي اسلم يوم الفتح عداده في اهل مكة روى عنه عبد الله بن ابي مليكة وغيره
قال صلى ابو بكر العصر اي في زمن خلافته او قبلها ثم خرج يمشي ومعه علي فراى
اي ابو بكر الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بابي قال الطيبي يحتمل
ان يكون التقدير هو مفدى بابي فقوله شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم يكون
خبرا بعد خبر او افديه بابي فعلى هذا شبيه خبر مبتدا محذوف وفي تنكيره لطف
وخيفة اشعار بعلية التشبه المتعدية انتهى ولا يعارض هذا قوله لم ار قبله
ولا بعده مثله لان المنفي محمول على عدم التشبه والمثبت على بعضه كما اشار
اليه الطيبي بقوله وفي تنكيره لطف اي انما لطف لان المراد به نوع مشبه وقوله
ليس اي الحسن شبيها بعلي وعلي يضحك اي فرحا والجملة حال رواه البخاري قال ميرك
كذا وقع في المشكاة قوله شبيها بالنصب على انه خبر ليس وهو ظاهر لكنه في البخاري
في جميع الروايات ليس شبيه بالرفع واعرابه لا يخلو من خلاف فقيل ليس حرف عطف وهو
مذهب الكوفي وقيل يجوز ان يكون شبيه اسم ليس ويكون خبرها ضميرا متصلا حذف
استغناء عنه بلفظ شبيه ونحوه قوله في خطبته يوم النحر اليس ذو الحجة انتهى ولا

يخفي

يخفي ظهور الوجه الاول لخلوه عن التكلف وقيل لا يخفي ما في التوجيهين من التعسف
والاظهر ان يقال ان اسم ليس ضمير الشان وشبيه خبر مبتدا محذوف اي هو شبيه
والجملة خبر ليس قلت وفيه ان هذا التوجيه يشتمل على تعسف بخلاف ما سبق على
ما سبق فانه متضمن لتعسف واحد هذا ولفظ الحديث على ما في الذخائر عن عقبة
ابن الحارث قال رايت ابا بكر حمل الحسن على رقبته وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى
الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وهو يضحك اخرجه البخاري وفي رواية ابن حبان مع
ابي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي يمشي الى جانبه
فمر الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته يعني ابا بكر وهو يقول الحديث وفي
الحديث رد على الغرابية وهم على ما في حواشي الشفا طائفة من الرفضة لقبوا بذلك
لقولهم كان محمد اشبه بعلي من الغراب بالغراب فبعث الله جبريل الى علي فغلط و
انس قال اتي اي جيء عبيد الله بن زياد براس الحسين قال المؤلف هو عبيد الله بن عبد
الله بن زياد وهو الذي سير الجيش لقتال الحسين وهو يومئذ امير الكوفة ليزيد
ابن معاوية فقتل بارض الموصل على يد ابراهيم ابن مالك بن الاشتر النخعي في
ايام المختار ابن ابي عبيد سنة ست وستين فجعل بصيغة المفعول اي وضع
راس الحسين في طست بفتح طاء وسكون سين مهملة وسبق تخفيفه فجعل اي ابن زياد
ينكت بفتح الياء وضم الكاف والفوقية اي يضرب براس القضيب في انفه كما ياتي
وفي النهاية قوله ينكت اي يتفكر ويحدث بنفسه واصله من النكت بالعصا وهو ضرب
الارض بها ونكت الارض بالقضيب وهو ان يؤثر فيها بطرفه كفعل المفكر المهموم وقال
اي ابن زياد في حسنه اي في حق الحسين شيئا اي من المدح كما سياتي قال انس فقلت والله
انه كان اشبههم اي اشبه الصحابة او اهل البيت برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
اي الحسين حينئذ مخضوبا بالوسمة بكسر السين وقد يسكن فقال بعض الشراح الوسمة
نبت يختضب به ويميل الى السواد وتسكين السين لغة فيه وفي المصباح لغة الحجاز
بكسر السين وهي افصح من السكون بل انكر الازهري السكون وقال كلام العرب بالكسر
نبت يختضب بورقه انتهى وهو بفتح الواو واخطا من ضمها وقيل يجوز فتح سينها
وفي القاموس الوسمة وكفرحة ورق النيل او نبات يختضب بورقه وفي النهاية نبت
يختضب به رواه البخاري وفي رواية الترمذي قال اي انس كنت عند ابن زياد فجيء
براس الحسين اي اليه فجعل اي شرع يضرب بقضيب في انفه ويقول ما رايت مثل
هذا حسنا لم فيكون قيل هذا لا يلائم السياق الا ان يحمل على الاستهزاء انتهى
فحينئذ يحمل استهزاؤه على المكابرة وزيادة المعاندة فقلت اما بالتخفيف
للتنبيه انه اي الحسين كان من اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اي
الترمذي هذا حديث صحيح حسن غريب وللطبراني فجعل يجعل قضيبا في يده في عينيه

وأنفه فقالت ادفع فضيتك فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه وفي رواية البزار فقال فقالت له إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حيث تقع قضيبك قال فانقبض كذا في فتح الباري وفي الذخائر عن عمارة بن عمير قال لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه فنصبت في المسجد في الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وعن أم الفضل بنت الحارث اسمها لبابة العامرية امرأة العباس بن عبد المطلب وأم أكثر بنيه وأخت ميمونة أم المؤمنين ويقال إنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فقيل إنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني رأيت حلما أي منكرا بضم فسكون وبضمتين ففي النهاية الحلم بضمتين وبضم فسكون ما يراه النائم منكرا بفتح الكاف المخففة أي مهولا الليلة أي البارحة قال وما هو قالت إنه شديد أي صعب سماعه قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت بصيغة المجهول وكذا قوله فوضعت في حجري بالكسر ويفتح ويقدم أن الحجر بالكسر أشهر في الحصن وبالفتح في التربية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت خيرا تلد فاطمة إن شاء الله تعالى غلاما يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره وفي نسخة في حجري ثم كانت مني التفاتة أي وقعت مني ملاحظة إلى غيره فنظرت إلى جانبه فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تهريقان الدموع بفتح الهاء وتسكن أي تسيلان ماء العين للبكاء قالت فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما لك أي ما الحال الذي يبكيك قال أتاني جبريل وفي نسخة عليه السلام فأخبرني أن أمتي أي أمة الإجابة ستقتل ابني هذا أي ظلما فقلت أي لجبريل أي ابني هذا الزيادة للتأكيد قال نعم وأتاني بتربة من تربته أي من ترابه الذي يقتل به حمراء بالفتح صفة لتربة وفي الذخائر عن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت ما لك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والبغوي في الحسان وعن ابن عباس أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم أي بعد موته عليه السلام ذات يوم بنصف النهار وفي الذخائر زيادة وهو قائم أشعث أغبر أي حال كونه متفرق الشعر مغبر البدن بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي ما هذا أي الدم قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل وفي نسخة ولم أزل ألتقطه منذ اليوم قال الطيبي هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم يجوز أن يكون خبر

بعد خبر

بعد خبر لقوله هذا ويجوز أن يكون خبرا ودم الحسين بدلا من هذا وقوله فأحصي ذلك الوقت من كلام ابن عباس انتهى أي احفظ تاريخ ذلك الوقت من زمن الرؤيا لأحد فنقل ذلك الوقت أي فوجدته قتل في ذلك الوقت والعدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال الغريبة ولا يخفى أن هذا إنما يتم إذا كان وقت القتل محفوظا في نفس الرؤيا بأن قال صلى الله عليه وسلم هذا دم الحسين وأصحابه يقتلون في وقت كذا لكن يشكل بقوله لم أزل ألتقطه منذ اليوم اللهم إلا أن يقال تصويره أن الراوي رأى في نومه كأنه مضى عليه بعض سنين ثم في آخر سنة منهما يوم عاشوراء من سنة كذا رواه صلى الله عليه وسلم بالوصف المذكور والقول المسطور فحفظ تاريخ الوقت فوجده مطابقا وللنعت موافقا والله أعلم ثم رأيت الحديث في الذخائر من غير قوله فأحصي ذلك الوقت فأحدا إلى آخره بل لفظه بعد قوله لم أزل ألتقطه منذ اليوم فوجد قد قتل في ذلك اليوم أخرجهما ابن بنت منيع وأبو عمرو والحافظ السلفي والله أعلم رواهما أي حديثي أم الفضل وابن عباس البيهقي في دلائل النبوة وأحمد الأخير أي ورواه أحمد الحديث الأخير وهو حديث ابن عباس فقط وعن علي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال قام من عندي جبريل فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك إلى أن أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا أخرجه أحمد وعنه أي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم أي به كما في نسخة بفتح الياء وضم الذال المعجمة أي يرزقكم من نعمة أي من أي نعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي نسخة صحيحة من نعمه بكسر النون وفتح العين ضمير مضاف إلى هاء الضمير فأحبوني أي إذا ثبت سبب محبة الله فأحبوني لحب الله لأن محبوب المحبوب ولقوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي نسخة وأحبوني بالواو عطفا على ما قبله وأحبوا أهل بيتي لحبي أي إياهم أو لحبكم إياي رواه الترمذي وكذا الحاكم في مستدركه وقال الترمذي حسن غريب وعن أبي ذر قال المؤلف هو جندب بن جنادة الغفاري وهو من أعلام الصحابة وزهادهم أسلم قديما بمكة يقال كان خامسا في الإسلام ثم انصرف إلى قومه فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الخندق ثم سكن ربذة إلى أن مات بها سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين أنه قال أي أبو ذر وهو آخذ أي متعلق بباب الكعبة قال الطيبي أراد الراوي بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا الحديث وكذا أبو ذر اهتم بشأن روايته فأورده في هذا المقام على رؤوس الأنام ليتمسكوا به سمعت النبي وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا إن مثل أهل بيتي بفتح الميم والمثلثة أي شبههم فيكم مثل سفينة نوح أي في سببية الخلاص من الهلاك إلى

النجاة من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا في الدارين
والا فهلك فيهما ولو كان يعرف المال والجاه اواحدهما رواه احمد وكذا الحاكم لكن بدون لفظ
ان قال الطيبي وفي رواية اخرى لابي ذر يقول من عرفني فانا من قد عرفني ومن انكرني
فانا ابوذر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم الا ان مثل اهل بيتي الحديث اراد بقوله
فانا من عرفني وبقوله فانا ابوذر انا المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية وان هذا
حديث صحيح لا مجال للرد فيه وهذا تلميح الى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء
اصدق من ابي ذر وفي رواية لابي ذر من ذي لهجة اصدق ولا اوفى من ابي ذر شبه عيسى
ابن مريم فقال عمر بن الخطاب كالحاسد يا رسول الله فنعرف ذلك له قال اعرفوا ذلك فاعرفوه
اخرجه الترمذي وحسنه الصغاني في كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات
والبدع والجهالات والاهواء الزائغة ببحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد احاط باكنافه واطرافه الارض كلها وليس منه
خلاص ولا مناص الا بتلك السفينة وهي محبة اهل بيت الرسول صلى الله عليه
وسلم وما احسن انضمامه مع قوله مثل اصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى
ونعم ما قال الامام فخر الرازي في تفسيره نحن معاشر اهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة
محبة اهل البيت واهتدينا بنجم هدى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنرجو النجاة من
اهوال القيامة ودركات الجحيم والهداية الى ما يوجب درجات الجنان والنعيم المقيم
انتهى وتوضيحه ان من لم يدخل السفينة كالخوارج هلك مع الهالكين في اول وهلة
ومن دخلها ولم يهتد بنجوم كالروافض ضل ووقع في ظلمات ليس بخارج منها هذا
ورواه احمد عن انس مرفوعا ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها
في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداة ويؤيده ما اخرجه احمد
في المناقب عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم امان لاهل السماء واهل بيتي
امان لاهل الارض فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض

باب مناقب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة ورضي عنهن

الفصل الاول

عن علي رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها اي نساء زمانها او عالمها
مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد بالتصغير قال القرطبي الضمير عائد الى غير مذكور
لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعني بها الدنيا والذي يظهر لي ان قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير
لمريم فكانه قال مريم خير نساء زمانها متفق عليه وكذا رواه الترمذي والنسائي ورواه الحارث
عن عروة مرسلا خديجة خير نساء عالمها ومريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها وفي رواية
قال ابو كريب بالتصغير واشار وكيع الى السماء والارض قال التوربشتي الضمير في الاولى عائد الى

الامة التي كانت فيها مريم وفي الثانية الى هذه الامة ولهذا كرر الكلام تنبيها
على ان حكم كل واحد منهما غير حكم الاخر وكلا الفصلين كلام مستانف واشارة وكيع الذي هو من جملة
رواة هذا الحديث الى السماء والارض منبئة عن كونهما خير امن هو فوق الارض وتحت اديم السماء
وهو نوع من الزيادة في البيان ولا يستقيم ان يكون تفسيرا لقوله خير نسائها لان اعادة الضمير
الى السماء غير مستقيمة فيه ثم انهما شيئان مختلفان والضمير راجع الى شيء واحد قال القاضي
انما وحد الضمير لانه اراد جملة طبقات السماء واقطار الارض وان مريم خير من صعد بروحها
الى السماء وخديجة خير نساء على وجه الارض والحديث ورد في ايام حياتها وقال الطيبي
يجوز ان يرجع الضمير الى السماء والارض وان اختلفنا باعتبار الدنيا مجازا كما عبر بهما عن
العالم في قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء الكشاف اي لا يخفى
عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض ونحوه قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في الاخرة على معنى له الحمد في الدنيا والاخرة فعبر
بهما عن الدنيا ويوضح هذا التاويل ما سياتي في الفصل الثاني حسبك من نساء العالمين
مريم الحديث وتفسير وكيع انما يستقيم اذا بين ما ابهم في الحديث والمبهم فيه كل واحد انتهى
قال النووي الاظهر في معناه ان كل واحدة منهما خير من نساء اهل الارض في عصرها واما
التفضيل بينهما فمسكوت عنه ذكره الجزري وعن ابي هريرة قال اتى جبريل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله هذه اشارة الى ما في ذهن جبريل خديجة قد اتت اي توجهت
من مكة معها اناء فيه ادام اي مع خبز وطعام اي مشتمل عليها فاذا اتتك اي تحققت ما اتاها
عندك فاقرا عليها بفتح الراء اي ابلغها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب
بفتحتين اي لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف وقال ابن حجر اي من قصب اللؤلؤ ولم يقل من لؤلؤ
اذ في لفظ القصب مناسبة لانها احرزت قصب السبق لمبادرتها الى الايمان دون غيرها قلت
ويؤيده حديث خديجة سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله وبمحمد رواه الحاكم في مستدركه
عن حذيفة لا صخب بفتح الصاد والخاء المعجمة ولا لغط الجنس اي لا صياح ولا اختلاط صوت
فيه اي في القصب المعبر به عن القصر وفي نسخة فيها فالضمير راجع الى الجنة ويؤيده
قوله ولا نصب بفتحتين قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اي كلال قال شارح
اي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة ولا تعب ينغصها وقال الطيبي نفي عن القصر
الصخب والنصب لانه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم الا كان بين اهله صخب وجلبة والا
كان في بنائه واصلاحه نصب وتعب فاخبر الله تعالى ان قصور الجنة خالية عن هذه
الافات قال الطيبي ويؤيد الوجه الثاني ان بناء بيت الجنة حاصل بقوله كن ليس كابنيتنا الدنيا
التي تتم بناؤها بصخب وتعب وكذا السكون فيها لا يخلو عنها وليس حكم بيت الجنة كذلك
متفق عليه ورواه النسائي وعن عائشة قالت ما غرت على احد من نساء النبي صلى الله
عليه وسلم بكسر الغين المعجمة من غار يغار كخاف يخاف ما غرت على خديجة ما الاولى نافية

والثانية موصولة او مصدرية اي ما غرت مثل التي غرتها او مثل غيرتي عليها والغيرة الحمية والانفة وما رايتها الجملة حالية وهو يقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث عليها غالبا ولذا قالت ولكن كان يكثر ذكرها اي في مقام المدح وربما بالتشديد ويخفف ذبح الشاة اي شاة من الشياه ثم يقطعها بالتشديد اي يكثر قطعها اعضاء اي عضوا عضوا بان يجعل كل عضو قطعة ثم يبعثها اي اعضاء الشاة في صدايق خديجة اي اصدقائها فانها جمع صديقة وهي المحبوبة فربما قلت له كانه اي الشان لم تكن في الدنيا امراة الا خديجة بالرفع وفي نسخة صحيحة بالنصب فيقول انها كانت وكانت اي كانت صوامة وقوامة ومحسنة ومشفقة الي غير ذلك قال الطيبي كرر كانت ولم يرد به التثنية ولكن التكرر لتعلق به كل مرة من خصائلها ما يدل علي فضلها كقوله تعالي اما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا ولم يذكرها هنا متعلقة للشهرة نفيهما وكان اي مع هذا لي منها ولد بفتحتين فسكون وفي نسخة صحيحة بفتحتين والمراد بهما جمع ولد ومنهم فاطمة قال المولف خديجة بنت خويلد بن اسد القرشية كانت تحت ابن هاله بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عابد ثم تزوجها النبي صلي الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر اربعون سنة ولم ينكح صلي الله عليه وسلم قبلها امراة ولا نكح عليها حتي ماتت وهي اول من امن من كافة الناس ذكرهم وانثاهم وجميع اولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل باربع سنين وقيل بثلاث وكان قدمها الي من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة وكان مقامها مع رسول الله صلي الله عليه وسلم خمس وعشرين سنة ودفنت بالحجون متفق عليه ورواه الترمذي وعن ابي سلمة قال المولف هو روي عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين واعلامهم ان عائشة قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا عايش بضم الشين وفي نسخة بفتحها علي الترخيم هذا جبريل يقريك السلام من الاقراء ففي القاموس قراه عليه السلام كاقراه او لا يقال اقراه الا اذا كان السلام مكتوبا قالت وعليه السلام ورحمة الله قالت اي عائشة وهو اي النبي صلي الله عليه وسلم يري ما لا اري والبعد شارح حيث قال اي يري جبريل لما اراه انتهي واستنبط من هذا الحديث فضل خديجة علي عائشة لانه ورد في حقها ان جبريل يقريك السلام من ربها وها هنا من جبريل نفسه متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي وعن عائشة قالت قال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم اريتك بصيغة المجهول المتكلم من الاراءة اي اعلمتك في المنام ثلاث ليال تجي بك الباء للتعدية اي ياتي بصورتك الملك في سرقة بفتحتين من حرير اي في قطعة من جيد الحرير قيل هو معرب سره فقال اي الملك لي هذه اي هذه الصورة امراتك اي صورتها فاكشف عن وجهك الثوب فاذا انت هي اي تلك الصورة قال الطيبي يحتمل وجهين احدهما كشفت عن وجه

صورتك

صورتك فاذا انت الان تلك الصورة وثانيهما كشفت عن وجهك عند ما شاهدتك فاذا انت مثل الصورة التي رايتها في المنام وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحملها عليه كقوله تعالي هذا الذي رزقنا من قبل ومنه مسالة الكتاب كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هي فاذا الزنبور مثل العقرب فحذف الاداة مبالغة فحصل التشابه واليه لمح الاية واتوا به متشابها ومعني المفاجاة في اذا يساعد هذا الوجه اتم مساعدة والجمع بينه وبين قولها نزل جبريل بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يتزوجني بان المراد صورتها كانت في الخرقة والخرقة في راحته ويحتمل ان يكون نزل بالاثنتين لقولها في نفس نزل مرتين اي نزل جبريل بصورتها في راحته وملك اخر في سرقة فقلت اي في جواب الملك ان يكن هذا اي ما رايته في المنام من عند الله يمضه بضم الياء من الامضاء اي ينفذه لدي ويوصله الي ويظهره علي وفي نسخة بهاء السكت قال الطيبي هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الامر المدل بصحته تقديرا لوقوع الجزاء وتحققه ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك اي السلطنة مقتضية للانتقام وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ان كانت هذه الرويا قبل النبوة وقيل تخليص احلامه صلي الله عليه وسلم من الاضغاث فمعناها ان كانت رويا حق وان كانت بعد النبوة فلها ثلاث معان احدها المراد ان تكون الرويا علي وجهها وظاهرها لا يحتاج الي تعبير وتفسير فيمضه الله وينجزه فالشك عايد الي انها رويا علي ظاهرها ام يحتاج الي تعبير وصرف عن ظاهرها وثانيها ان المراد ان كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضها الله فالشك انها زوجة في الدنيا ام في الجنة وثالثها انه لم يشك ولكن اخبر علي التحقيق واتي بصورة الشك وهو نوع من البديع عند اهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج الشك باليقين قال الطيبي وهذا هو الذي حققناه فيما سبق وكان من نوادر الخاطر قال المولف خطبها النبي صلي الله عليه وسلم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقيل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك واعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنين من الهجرة علي راس ثماني عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل دخل بها بالمدينة بعد سبعة اشهر من مقدمه وبقيت معه تسع سنين ومات عنها ولها ثماني عشر سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم عارفة بايام العرب واشعارها روي عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان وامرت ان تدفن ليلا فدفنت بالبقيع وصلي عليها ابو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان علي المدينة في ايام معاوية متفق عليه وعنها اي عن عائشة قالت ان الناس كانوا يتحرون بالتشديد الراء المفتوحة من التحري وهو طلب الحري بمعني اللائق او قصد الاحري بمعني الاحق

والاولى قال الطيبي هو الرواية وفي بعض نسخ المصابيح يتحينون وما وجدناها في الاصول
وفي النهاية التحري القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل
والقول وفي الحديث تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر اي تعمدوا طلبها فيها انتهى
والمعنى يطلبون زيادة الثواب بهداياهم يوم عائشة اي في اليوم الذي هو نوبته
عائشة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يبتغون بذلك اي بارسال هداياهم اليه في يوم
مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي زيادة رضا يعلمون بمحبته اليها وقالت ان نساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين اي طائفتين اتفقت مزاج كل طائفة دارابها
في عشرتها وصحبتها فحزب اي جمع منهن فيهما عائشة وسبق ذكرها وحفصة وهي بنت
عمر بن الخطاب وامها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
خنيس حذافة السهمي هاجرت معه مات عنها بعد غزوة بدر فلما ضاعت ذكرها عمر على
ابي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحه
اياها في سنة ثلاث وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها حين نزل عليه الوحي راجع
حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين
وماتت في شعبان سنة خمس واربعين وهي ابنة ستين وصفية وهي بنت حيي بن
اخطب من بني اسرائيل سبط هارون بن عمران عليه السلام كانت تحت كنانة بن ابي
الحقيق فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل وقعت في سهم دحية بن الكلبي فاشتراها منه بسبعة ارؤس
فاسلمت فاعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع
روى عنها انس وابن عمر وغيرهما وسودة اي بنت زمعة اسلمت قديما وكانت تحت ابن
عم لها يقال له السكران بن عمرو فلما مات تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها بمكة
وذلك بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عائشة وهاجرت الى المدينة فلما كبرت اراد
طلاقها فسالته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فامسكها وتوفيت بالمدينة
في شوال سنة اربع وخمسين والحزب الاخر من امهات المؤمنين ام سلمة وهي بنت ابي
امية اسمها هند وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت ابي سلمة فلما مات ابو
سلمة سنة اربع وقيل سنة ثلاث تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليال بقين في
شوال من السنة التي مات فيها ابو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع
وكان عمرها اربعا وثمانين سنة روى عنها ابن عباس وعائشة وزينب بنتها وابن المسيب
وخلق كثير سواهم من الصحابة والتابعين وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اي
وما فيهن وهن زينب وام حبيبة وجويرية بالتصغير وميمونة اما زينب فهي بنت جحش
وامها اميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد بن حارثة مولى
النبي صلى الله عليه وسلم فطلقها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وهي اول من مات

من ازواجه بعده وكان اسمها برة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم زينب قالت عائشة في شانها
لم تكن امراة خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم صدقة
واشد تبذلا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب الى الله تعالى ماتت بالمدينة سنة
عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة روى عنها عائشة وام حبيبة
وغيرهما واما ام حبيبة فاسمها رملة بنت ابي سفيان بن صخر بن حرب وامها صفية بنت
ابي العاص عمة عثمان بن عفان فقد اختلف في نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها
وموضع العقد فقيل انها عقد بارض الحبشة سنة ست وزوجه منها النجاشي وامهرها
اربعمائة دينار وقيل اربعة الاف درهم من عنده وبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرحبيل
ابن حسنة فجاء بها اليه ودخل بها بالمدينة وقيل انه عقد عليها بالمدينة وزوجه
منها عثمان بن عفان وماتت بالمدينة سنة اربع واربعين روى عنها جماعة كثيرة
واما جويرية فهي بنت الحارث بن خرار سباها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع
وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى
عنها النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها ثم اعتقها وزوجها وكان اسمها برة فغيره النبي
صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وماتت في ربيع الاول سنة ست وخمسين ولها
خمس وستون سنة روى عنها ابن عباس وابن عمر وجابر واما ميمونة فهي بنت الحارث
الهلالية العامرية ويقال ان اسمها كان برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة
وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي الجاهلية ففارقها فتزوجها ابو رهم وتوفي عنها
فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضاء بسرف على عشرة
اميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي تزوجها فيه بسرف سنة احدى
وستين وقيل احدى وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها ابن عباس وهي اخت ام الفضل
امراة العباس واخت اسماء بنت عميس وهي اخر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة
منهم عبد الله بن عباس كذا في الاسماء للمؤلف فكلم حزب ام سلمة اي اياها والمعنى فكلمنها فقلن
لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس بالرفع على ما في نسخة السيد على انه
استيناف وتعليل وقال ابن حجر بالجزم والميم مكسورة لالتقاء الساكنين ويجوز الرفع قلت
الصواب الرفع لقوله فيقول والمعنى ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فيقول
لهم من اراد ان يهدي بضم الياء وكسر الدال اي يرسل هدية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليهده وضع السيد في نسخة علامة الشك فوق الضمير وفيه انه يستوي وجوده وعدمه
في المعنى المراد نعم قد يحذف ضمير المفعول لكن النسخ اجتمعت على وجوده وهو واضح من
تقديره فلا وجه للشك ونظيره والمعنى فليرسل هداياه اي هديته اليه اي الى النبي
صلى الله عليه وسلم حيث كان اي من حجرات الامهات ومرادهن انه لا يقع التحري في ذلك لا لهن
ولا لغيرهن بل بحسب ما يتفق الامر فيهن ليرتفع التمييز الباعث للغيرة عنهن فقال اي

فكلمته ام سلمة فقال لها لا تؤذيني في عائشة اي في حقها وهو ابلغ من لا تؤذي عائشة
لما يفيد من ان ما اذاها يؤذيه فان الوحي لم ياتني وانا في ثوب امراة اي لحاف زوجة
الا عائشة قال الطيبي الا بمعنى غير عائشة انتهى والمعنى الا في ثوب عائشة ففي
كتاب الخميس قالت عائشة نزلت انك لا تهدي من احببت وانا مع النبي صلى الله
عليه وسلم في اللحاف قالت اي ام سلمة اتوب الى الله من اذاك اي مما يجر الى اذاك
يا رسول الله ثم انهن اي حزب ام سلمة دعون فاطمة اي طلبنها فارسلن اي فبعثنها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لتكلمه في هذه القضية فكلمته ولعلها ما اطلعت
على قصة ام سلمة السابقة فقال يا بنية للتصغير بالشفقة والرحمة الا تحبين
ما احب قالت بلى قال فاحبي هذه اي عائشة يعني ولا تذكري ما يكون سببا لكراهية
خاطرها متفق عليه ورواه النسائي وذكر حديث انس فضل عائشة على النساء بتمامه
كفضل الثريد على سائر الطعام في باب بدء الخلق برواية ابي موسى وتقدم الخلاف
في ان المراد بالنساء جنسهن او ازواجه صلى الله عليه وسلم عموما او بعد خديجة والاظهر
انها افضل من جميع كما هو ظاهر الاطلاق من حيث الجامعية للكمالات العلمية
والعملية المعبر عنها في التشبيه بالثريد فانما يضرب المثل بالثريد لانه افضل طعام
العرب وانه مركب من الخبز واللحم والمرقة ولا نظير لها في الاغذية ثم انه جامع بين
الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم
والمري فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها المثل به ليعلم انها اعطيت مع حسن الخلق وحسن
الحديث وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الراي ورصانة العقل
والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستيناس بها والاصغاء اليها والى
غير ذلك من المعاني التي اجتمعت فيها وحسبك من تلك المعاني انها عقلت من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النساء وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال
والله اعلم بالحال الفصل الثاني عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
حسبك اي بالخطاب العام والمعنى يكفيك من نساء العالمين اي الواصلة الى مراتب
الكاملين في الاقتداء وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا واقبالهن على العقبى
مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون والظاهر
ان مراتبهن على وفق ذكرهن ولعل هذا الحديث قبل حصول كمال عائشة ووصولها الى وصال
الحضرة ثم رايت في الجامع روى احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن ابي موسى
مرفوعا كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل
عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال الطيبي حسبك مبتدا ومن نساء متعلق
به ومريم خبره والخطاب اما عام او لانس اي كافيك معرفتك فضلهن من معرفة سائر النساء
انتهى قال السيوطي في النقاية نعتقد ان افضل النساء مريم وفاطمة وافضل امهات

المومنين

المؤمنين خديجة وعائشة وفي التفضيل بينهما اقوال ثالثها التوقف اقول التوقف في حق
الكل اولى اذ ليس في المسالة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة للعقائد
المبنية على اليقينيات رواه الترمذي وكذا احمد وابن حبان والحاكم في مستدركه
عن انس ورواه احمد والطبراني عنه ايضا بلفظ خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة فرعون ورواه الحاكم في مستدركه
عن عائشة بلفظ سيدة نساء اهل الجنة اربع مريم وفاطمة وخديجة وآسية وعن
عائشة ان جبريل جاء بصورتها اي بصورة عائشة والباء للتعدية في خرقة حرير خضراء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وعن
انس قال بلغ صفية ان حفصة قالت اي في حق صفية انها بنت يهودي اي انظروا اليها
فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت اي صفية
قالت حفصة اي في حقي اني ابنة يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي
اي نظرا الى جدها الاعلى الاكبر وهو اسحاق او هارون وان عمك لنبي وهو اسماعيل او موسى
والاول فيهما ذكره المظهر قال الطيبي لعل الاخير هو الاظهر وانك لتحت نبي ففيم تفخر
بفتح الخاء اي تفتخر حفصة عليك وفيه الى ظهور مختار الطيبي فان الاول يشترك فيه
عائشة اذا وحفصة اسمعيل وعمه اسحاق واما الثاني فيختص بصفية وبه يحصل لها
المزية ففي جامع الاصول هي بنت حيي بن اخطب من سبط هارون بن عمران عليه السلام
ثم قال اتقي الله اي مخالفته او عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية
يا حفصة رواه الترمذي والنسائي وعن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا فاطمة عام الفتح الظاهر ان هذا وهم اذ لم يثبت عند ارباب السير وقوع هذه القضية
عام الفتح بل كان هذا في عام حجة الوداع او كان في مرض موته عليه الصلاة والسلام فناجاها
اي كلمها بالسر فبكت ثم حدثها اي خفية فضحكت وتقدم ان عائشة سالتها في حياته
فلم تخبرها وبعد مماته اجابته نحو ما ذكرت ام سلمة بقوله فلما توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم سالتها عن بكائها وضحكها اي عن سببهما فقالت وفي نسخة قالت اخبرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه يموت اي قريبا فبكيت ثم اخبرني اني سيدة نساء اهل الجنة الا
مريم بنت عمران فضحكت وهو لا ينافي ما قال لها ايضا من انك اول من يلحقني من اهلي لما سبق
قال الطيبي هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب انما يناسب باب مناقب اهل البيت لكن ذكره
مستطردا للحديث الاول من هذا الفصل حيث ذكرت فيه فاطمة مع ذكر خديجة ومريم وهو
فن من بديع الكلام انتهى فيكون تفصيلا لبعض ما سبق مجملا ولا بعيد ان يكون تكملة في
الجواب ومنه ان مريم زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة رواه الترمذي وفي
الجامع فاطمة سيدة نساء اهل الجنة الا مريم بنت عمران رواه الحاكم في مستدركه الفصل
الثالث عن ابي موسى قال ما اشكل ما اشتبه وفي نسخة ما اشكل اي ما اغلق علينا

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصب في جميع النسخ الحاضرة المصححة وقال الطيبي
بالجر بدل من المجرور ويجوز النصب على الاختصاص حديث قط اي معنى حديث او فقه
حديث يتعلق بما له منه فسالنا عائشة الا وجدنا عندها منه اي من ذلك الحديث
ومتعلقاته علما اي نوع علم بان يوجد الحديث عندها تصريحا او تأويلا لان يؤخذ
الحكم منه تلويحا رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب واما حديث خذوا شطر
دينكم عن الحميراء يعني عائشة فقال الحافظ ابن حجر العسقلاني لا اعرف له اسناد
ولا رواية في شي من كتب الحديث الا في النهاية لابن الاثير ولم يذكر من خرجه وذكر
الحافظ عماد الدين بن كثير انه سال المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي
ذكره في الفردوس بغير اسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه خذوا ثلث دينكم من بيت
الحميراء وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له اسنادا وقال السيوطي لم اقف
عليه وعن موسى بن طلحة قال المؤلف يكنى ابا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من
الصحابة مات سنة اربع ومائة قال ما رايت احدا افصح من عائشة رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح غريب

باب جامع المناقب

الفصل الاول عن عبد الله بن عمر اي ابن الخطاب القرشي العدوي اسلم مع ابيه بمكة
وهو صغير وشهد ما بعد الخندق من المشاهد وكان من اهل الورع والعلم والزهد
شديد التحري والاحتياط قال قال جابر بن عبد الله ما منا احد الا نالت الدنيا ومال بها ما خلا
عمر وابنه عبد الله وقال نافع ما مات ابن عمر حتى اعتق الف نسمة انسان او زاد وكان
يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم
وقف فيها وكان يعز على الحجاج وخطب الحجاج يوما واخر صلاة الفجر او العصر فقال ابن
عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك قال لا تفعل
فانك سفيه مسلط وقيل انه اخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه فامر الحجاج رجلا فسم
زج رمحه وزحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وكانت ولادته قبل الوحي بسنة
وموته سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة اشهر وقيل بستة اشهر
وكان اوصى ان يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من اجل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة
المهاجرين وله اربع وثمانون سنة روى عنه خلق كثير قال رايت في المنام كان بالتشديد
على التشبيه للملاحظة في التعبير في يدي وفي نسخة بالتثنية سرقة بفتحتين اي
قطعة من حرير اي كائنة منه لا اهوي بكسر الواو اي بها اي مقصدا بها الى مكان في الجنة الا طارت
بي اليه اي تبلغني الى ذلك المكان مثل جناح الطائر والتاء للتغريبة وقال الطيبي
اي لا اريد الميل بها الى مكان في الجنة الا كانت مطيرة بي ومبلغة اياي الى تلك المنزلة
فكانها في مثل جناح الطير فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال ان اخاك رجل صالح او ان عبد الله رجل صالح قال شارح للمصابيح قوله هذا على ان السرقة
كانت ذات يد من العمل الصالح وبياض السرقة منبئ عن خلوصه من الهوى وصفائه عن كدر
النفس انتهى واماله مبني على ان في المصابيح سرقة من حرير بيضاء والله اعلم متفق عليه
قال ميرك ولفظ مسلم ارى عبد الله رجلا صالحا وقال السيد جمال الدين ورواه الترمذي والنسائي
وعن حذيفة سيأتي مترجمه قال ان اشبه الناس دلا بفتح الدال المهملة وتشديد
اللام اي طريقة وسمتا اي سيرة وهديا اي هداية ودلالة برسول الله صلى الله عليه وسلم
متعلق بأشبه لابن ام عبد بفتح لام التاكيد الداخل على خبر ان والمراد به عبد الله بن مسعود
وكانت امه تكنى ام عبد قال القاضي الدل قريب من الهدي والمراد به السكينة
والوقار وما يدل على كمال صاحبه من ظواهر احواله وحسن مقاله وبالسمت القصد في الامور
وبالهدي حسن السيرة وسلوك الطريقة المرضية وقال شارح التمهيد يستعار لهيئة
اهل الخير من حين يخرج متعلق باشبه والمعنى ان اكثرية الشبه فيما ذكر مستمرة عليه
من حين يخرج من بيته الى ان يرجع اليه اي الى بيته وهذا بحسب الظاهر الذي كنا
نطلع عليه لا ندري ما يصنع في اهله اي في حال كونه عند اهله اذا خلا اي معهم من
غير ان يكون هناك احد قال الطيبي لا ندري جملة مستانفة يريد انا نشهد له بما
يستبين لنا من ظاهر امره ولا ندري ما بطن منه رواه البخاري وعن ابي موسى
الاشعري سيأتي منقبته قال قدمت اي المدينة انا واخي من اليمن فمكثنا بفتح الكاف
وضمها فلبثنا حينا اي زمانا كثيرا ما نرى بضم النون وفتح الراء على ما صرح به النووي
اي ما نظن الا ان عبد الله بن مسعود رجل من اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى
بفتح النون اي لما نبصر من دخوله ودخول امه اي من كثرة دخولهما على النبي صلى الله
عليه وسلم قال الطيبي قوله ما نرى حال من فاعل مكثنا ويجوز ان يكون صفة حينا اي زمانا
غير ظانين فيه شيئا الا كون عبد الله بن مسعود كذا قال المؤلف يكنى ابا عبد الرحمن
الهذلي كان اسلامه قديما في اول الاسلام قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم
دار الارقم وقبل عمر بزمان وقيل كان سادسا في الاسلام ثم ضم اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سواكه ونعليه وطهوره في السفر هاجر الى الحبشة وشهد
بدرا ثم ما بعدها من المشاهد وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد وكان
خفيف اللحم قصيرا شديد الادمة نحيفا يكاد طوال الرجال يوازيه جالسا وولي
القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم صار الى المدينة
فمات بها سنة اثنين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة روى عنه
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين انتهى وهو عندنا
امامنا افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي

وعن عبد الله بن عمرو بالواو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استقرئوا القرآن
من اربعة اي اطلبوا القرآن من هؤلاء الاربعة فانهم حفظة الصحابة من عبد الله
ابن مسعود بزيادة من لمزيد البيان في البيان وسالم مولى ابي حذيفة وابي بن كعب
ومعاذ بن جبل في شرح مسلم قالوا هؤلاء الاربعة فانهم حفظة الصحابة تفرغوا
لاخذ القرآن منه صلى الله عليه وسلم مشافهة وغيرهم اقتصروا على اخذ بعضهم من
بعض ولان هؤلاء تفرغوا لان يؤخذ عنهم او انه صلى الله عليه وسلم اراد الاعلام بما
يكون بعده فانه صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الاربعة وانهم اقرأ من غيرهم
قال المؤلف سالم بن معقل مولى ابي حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من اهل فارس
من اصطخر وكان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم شهد بدرا وروى عنه
ثابت بن قيس وابن عمر وغيرهما واما ابي ومعاذ بن جبل فقد تقدم وذكرهما متفق
عليه وعن علقمة تابعي مشهور وقد سبق ذكره قال قدمت الشام فصليت ركعتين
اي في مسجد دمشق ثم قلت اللهم يسر اي سهل لي جليسا صالحا اي عالما عاملا وفيا
بحق الله وحق عباده فاتيت قوما فجلست اليهم فاذا شيخ اي كبير وعظيم قد جاء حتى
جلس الى جنبي ورجاء ان الله ملائكة يجر الي لاهل قلت اي للقوم من هذا قالوا ابو
الدرداء فقلت اي له اني دعوت الله ان ييسر اي يسهل لي جليسا صالحا فيسرك لي فقال من
انت فقلت من اهل الكوفة قال الطيبي اي رجل من اهل الكوفة ليطابق السؤال
او تقدير السؤال من اي انت ليطابقه الجواب وقوله اوليس عندكم الخ وقال ابن
الملك صوابه من ابن انت لقوله من اهل الكوفة ولعل لفظه اي سقطت من القلم
او من بعض الرواة او صحفها ابن بانت ومن الجارة بمن الاستفهامية انتهى ولا يخفى
انه يلزم منه تخطئة جماعة من الرواة المتفقين الاثبات في الحفظ المتيقظ
فالاحسن ان يقال يدل على ان السؤال عن معرفة ما او معرفة بلده او يحمل على ان
الجواب للمجيب مقصرا ومقتصرا ويكون رجل او علقمة محذوفا او تقديره فقلت في جملة
الجواب من اهل الكوفة وانما اقتصر عليه لما يترتب عليه ما بعده وينشأ عنه
وهذا انموا لاظهر لئلا ينسب احد من الاكابر الى الخطاء وعلى تقدير الضرورة نسبته
الى التابعي اولى من الصحابي خصوصا التائل فانه لا يقال للسائل سؤالك غير مطابق
للجواب بل الامر بالعكس والله اعلم بالصواب ثم رأيت نظير هذا الاشكال في باب الحج في
الله عند قوله تعالى ابن تريد فقال اريد اخالي فاجابوا بان السؤال متضمن لقوله اين
تريد ومن تريد فتدبر ثم رأيت انه وقع في البخاري في رواية فقال من انت كذا
في جامع الاصول وفي رواية من ابن انت كذا في الحميدي قال اجاب ابو الدرداء اوليس
عندكم ابن ام عبد صاحب النعلين والوسادة بكسر الواو والمطهرة بفتح الميم
وبكسر ففي القاموس المطهرة بالكسر والفتح اناء يتطهر به وفي الخلاصة فتح الميم

في

في المطهر اعلى ولا يخفى ما فيه من العبارة اللطيفة قال القاضي يريد به انه كان يخدم
الرسول صلى الله عليه وسلم ويلازمه في الحالات كلها فيصاحبه في المجلس ويأخذ نعله
ويضعها اذا جلس وحين نهض ويكون معه في الخلوات فيسوي مضجعه ويضع وساده اذا
اراد ان ينام ويهيئ له طهوره ويحمل معه المطهرة اذا قام الى الوضوء انتهى وحاصله
انه لشدة ملازمته له صلى الله عليه وسلم في هذه الامور ينبغي ان يكون عنده
من العلم الشرعي ما يستغني طالبه عن غيره وفيه اشعار بما ذكر من اداب المتعلمين من
ان الطالب لا يحيط بعلم علماء بلده ثم يرتحل الى غيره من البلدان في طلب زيادة
العرفان من الاعيان وفيكم اي واليس فيكم الذي اجاره الله اي انقذه
وخلصه من الشيطان على لسان نبيه اي بناء على لسانه بما صدر عنه من دعائه يعني
اي يريد ابو الدرداء به عمارا وهذا قول بعض الرواة اوليس فيكم صاحب السر اي صاحب سر
النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه اي ذلك السر غيره اي غير حذيفة قيل من تلك
الاسرار اسرار المنافقين واسمائهم اسرها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر
عليه حديثه المذكور فنزل هذا العجمي حذيفة قال المؤلف عمار بن ياسر العنسي مولى
بني مخزوم وحليفهم وذلك ان ياسرا والد عمار قدم مكة مع اخوين له يقال لهما الحارث
ومالك في طلب اخ لهم رابع فرجع الحارث ومالك الى اليمن واقام ياسر بمكة فحالف ابا
حذيفة بن المغيرة فزوجه امة له يقال لها سمية فولدت له عمارا فاعتقه ابو حذيفة
فعمار مولى وابوه حليف اسلم عمار قديما وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة
ليرجعوا عن الاسلام واحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به
فيمر يده عليه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وهو
من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الطيب
قتل بصفين وكان مع علي بن ابي طالب سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة
روى عنه جماعة منهم علي وابن عباس رضي الله عنهم واما حذيفة فهو ابن اليمان واسم
اليمان حسيل بالتصغير واليمان لقبه وكنيته حذيفة ابو عبد الله العبسي بفتح العين
وسكون الباء روى عنه عمر وعلي وابو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين مات بالمدائن
وبها قبره سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين بعد قتل عثمان باربعين ليلة
رواه البخاري وكذا النسائي وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت الجنة
بصيغة المجهول فرأيت امرأة ابي طلحة وهي ام انس بن سليم تزوجها مالك بن النضر ابو انس
ابن مالك فولدت له انسا ثم قتل عنها مشركا واسلمت فخطبها ابو طلحة وهو مشرك فابت
ودعته الى الاسلام فاسلم فقالت اني اتزوجك ولا اخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها
ابو طلحة روى عنها خلق كثير وسمعت خشخشة بالخائين والشينين المعجمات اي صوتا يحدث
من تحرك الاشياء اليابسة واصطكاكها كالسلاح والنعل والثوب امامي اي قدامي تقدم

الخادم على المخدوم فاذا بلال وهو ابن رباح مولى ابي بكر الصديق اسلم قديما وهو اول
من اظهر اسلامه بمكة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وسكن الشام اخرا ولا
عقب له روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ومات بدمشق سنة عشرين
ودفن بباب الصغير وله ثلاث وستون سنة وقيل مات بحلب ودفن بباب الاربعين
وكان ممن عذبه اهل مكة على الاسلام وممن كان يعذبه ويتولى ذلك بنفسه امية
ابن خلف الجمحي وكان من قدر الله تعالى ان قتله بلال يوم بدر قال جابر كان عمر يقول
ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا انتهى واخرج احمد في مسنده ان اول من اظهر
الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب
وبلال والمقداد فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ابي طالب واما
ابو بكر فمنعه الله بقومه واما سائرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد
وصهروهم في الشمس فما منهم احد الا واتاهم على ما ارادوا الا بلالا فانه هانت عليه
نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فاخذوه فاعطوه الولدان فجعلوا يطوفون
به في شعاب مكة وهو يقول احد احد كذا في الرياض رواه مسلم وكذا البخاري
والنسائي ذكره السيد جمال الدين وعن سعد اي ابن وقاص احد العشرة قال كنا
مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر اي اشخاص فقال المشركون اي من اكابر صناديد
قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد اي ابعد عن حضرتك هؤلاء اي الموالي والفقراء
لا يجترون علينا اي لا يكون لهم جراة علينا في مخالطتهم بنا ان كنت تريد ان نؤمن بك
وندخل عليك قال اي سعد وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وانا الضعيف وبلال
ورجلان لست اسميهما بتشديد الميم وجوز تخفيفها اي لا اذكرهما قال صاحب الازهار
والرجلان خباب وعمار وانما قال لست اسميهما لمصلحة في ذلك عند المتكلم وقيل للنسيان
والاول اقرب الى اللفظ قال المؤلف خباب بن الارت يكنى ابا عبد الله التميمي
وانما لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امراة من خزاعة واعتقته قبل دخول
النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه فصبر
نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه
جماعة فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء ان يقع اي من الميل الى طردهم
طمعا في اسلام الاكابر المتفرع عليه اسلام الاصاغر بعدهم فحدث نفسه اي
للتالف بهم ان يطردهم صورة بان لا ياتوه حال وجود الاكابر عنده او يقوموا عنه اذا هم
جلسوا عنده مراعاة للجانبين وقال الطيبي ورد في تفسير الاية ان المشركين قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى
الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم طمعا في
ايمانهم فانزل الله تعالى اي عتابا لسيد الانبياء في حق الفقراء ولا تطرد الذين يدعون

ربهم بالغداة بفتح الغين والدال وبعدها الف مبدلة من واو وفي قراءة بضم وسكون
وفتح واو والعشي اي بهما طرفا النهار والملوان يريدون وجهه جملة حالية اي
يريدون بعبادتهم رضا الله تعالى لا شيئا اخر من اغراض الدنيا رواه مسلم وعن ابي
موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا ابا موسى لقد اعطيت مزمارا بصيغة
المجهول اي صوتا حسنا ولحنا طيبا من مزامير ال داود من للحالية والاول مفخم واستعير
المزمار بكسر الميم وهو الالة للصوت الحسن والنغمة الطيبة قال القاضي اي اعطيت
حسن صوت يشبه بعض الحسن الذي كان لصوت داود والمراد بال داود نفسه اذ لم
يكن اله مشهورا بحسن الصوت قال المؤلف هو عبد الله بن قيس الاشعري اسلم بمكة
وهاجر الى ارض الحبشة ثم قدم مع اهل السفينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر
ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين فافتتح ابو موسى الاهواز ولم يزل على البصرة
الى صدر من خلافة عثمان ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة فاقام بها وكان واليا
على اهل الكوفة الى ان قتل عثمان ثم انتقل ابو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم
يزل بها الى ان مات سنة اثنتين وخمسين متفق عليه ورواه الترمذي وعن
انس قال جمع القران اي قراه كله ذكره شارح والاظهر اي حفظه اجمع على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي في زمانه اربعة اي من الرجال اراد انس بالاربعة الاربعة من رهطه وهم الخزرجيون
اذ روي ان جمعا من المهاجرين ايضا جمعوا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وقد
سبق ذكرهم وابو زيد قيل لانس من ابو زيد قال احد عمومتي بفتح العين والميم اي احد اعمامي
قال المؤلف في اسمائه هو الذي جمع القران حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اختلف في اسمه فقيل سعيد بن عمرو وقيل قيس بن السكن انتهى والحاصل ان الذين حفظوا
القران كله في حياته صلى الله عليه وسلم من الانصار هذه الاربعة فلا منافاة بينه
وبين خبر استقرؤوا القران على ان مفهوم العدد غير معتبر وعلى انه لا يلزم من الاخذ
بالقران منهم ان يكونوا استظهروا القران جميعه هذا وفي شرح مسلم قال المازري
هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القران وجوابه من وجهين احدهما انه
ليس فيه تصريح بان غير الاربعة لم يجمعه فيكون المراد الذين علمهم من الانصار اربعة
والمراد نفي علمه لا نفي غيره من القراء وقد روى مسلم حفظ جماعات من الصحابة في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر منهم المازري خمسة عشر صحابيا وثبت في الصحيح انه قتل
يوم اليمامة سبعون ممن جمع القران وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها
ومن لم يحضرها ولم يذكر في هؤلاء الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة
الذين يبعد كل البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك
من الطاعات وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى اهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة الوف وثانيهما

انه لو ثبت انه لم يجمع الا الاربعة لم يقدح في تواتره اذ ليس من شرط التواتر ان ينقل جميعهم جميعه
بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك قال التوربشتي المراد
من الاربعة اربعة من رهط انس وهم الخزرجيون ويحتمل انه اراد اربعة من الانصار
اوسيهم وخزرجيهم وهو اشبه وكان بين الحيين منافرة قبل الاسلام فبقيت منها
بقية من العصبية بعد الاسلام فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة لما روي عن انس
انه قال افتخر الاوس والخزرج فقالت الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الكانه
ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته سعد بن معاذ وقالت الخزرج
منا اربعة قروا القران على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقراه غيرهم زيد
ابن ثابت وابو زيد ومعاذ بن جبل وابي بن كعب فقوله لم يقراه غيرهم اي لم يقرا كله احد
منكم يا معشر الاوس متفق عليه وعن خباب بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة
الاولى بن الارت بفتح همز وراء وتشديد فوقية قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نبتغي وجه الله تعالى اي رضاه فوقع اجرنا على الله اي ثبت اجرنا الدنيوي والاخروي
عنده سبحانه فمنا من مضى اي مات لم ياكل من اجره اي الدنيوي شيئا اي من الغنائم
ونحوه مما نلنا ولهم من ادرك زمن الفتوح فيكون اجره كاملا فالمراد بالاجر ثمرته فليس
مقصورا على اجر الاخرة منهم مصعب بصيغة المجهول بن عمير بالتصغير قتل يوم
احد اي استشهد فلم يوجد له ما يكفن فيه بتشديد الفاء المفتوحة الا نمرة
بفتح نون فكسر ميم اي كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود فكنا اذا غطينا راسه
اي بها خرجت رجلاه اي ظهرتا واذا غطينا رجليه اي بها خرج راسه اي انكشف فاخبرنا
بامره فقال النبي صلى الله عليه وسلم غطوا بها راسه لانه اشرف واجعلوا على رجليه
من الاذخر بكسر الهمز والخاء وهو نبت معروف ومنا من اينعت بهمز مفتوح وسكون
تحتية وفتح نون اي نضجت له ثمرته وادركت وطابت وبلغت اوان الجداد وهو
كناية عن حصول بعض المراد والينع بفتح الياء ادراك الثمار ومنه قوله تعالى انظروا
الى ثمره اذا اثمر وينعه وفي النهاية ينع الثمر واينع يينع وينع فهو مونع ويانع
اذا ادرك ونضج واينع اكثر استعمالا فهو اي من اينعت له ثمرته يهدبها بفتح الياء
وكسر الدال وضمها على ما اقتصر عليه النووي وحكى ابن التين تثليثها اي يجتنيها قال الطيبي
قرينته لقوله فمنا من مضى لم ياكل من وجوه شيئا كانه ومنهم من لم يعجل شي من ثوابه
ومنهم من عجل بعض ثوابه وقوله يهدبها على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية
والاتية استحضارا له في مشاهدة السامع وفي الحديث ما من غازية تغزو في سبيل الله
فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي اجورهم من الاجرة ويبقى لهم الثلث وفيه بيان
فضيلة مصعب بن عمير وانه ممن لم ينقص له من ثواب الاخرة شي قال المولف مصعب
قرشي عبدري من اجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى ارض الحبشة في اول من هاجر

اليها

اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية
الى المدينة يقريهم القران ويفقههم في الدين وهو اول من جمع الجمعة بالمدينة
قبل الهجرة وكان في الجاهلية من انعم الناس عيشا والينهم لباسا فلما اسلم زهد في الدنيا
وقيل انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى فكان ياتي الانصار
في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم وكتب
الى النبي صلى الله عليه وسلم يستاذنه ان يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فاقام بمكة قليلا وفيهم
نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم
دار الارقم متفق عليه وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز
العرش بتشديد الزاي اي تحرك لموت سعد بن معاذ وفي رواية اهتز عرش الرحمن لموت
سعد بن معاذ والمعنى اهتز استبشارا وسرورا بنقلته من دار الفانية الى الدار
الباقية وذلك لان ارواح السعداء والشهداء مستقرها تحت العرش تاوي الى قناديل
معلقة هناك وقيل اهتز اعلاما للملائكة بوقوع امر عظيم وقال النووي اختلفوا
في تاويله فقالت طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد
وجعل الله في العرش تمييزا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله
وهذا القول هو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته لا ينكر هذا
من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون وقيل المراد
اهتزاز اهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز
الاستبشار ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته
وانما يريدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي هو كناية عن تعظيم شان
وفاته والعرب تنسب الشي المعظم الى اعظم الاشيا فيقولون اظلمت لموت فلان الارض
وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول
باطل ترده الرواية الاخرى وانما اولوا هذا التاويل لانه لم يبلغهم هذه
الرواية قال المولف سعد بن معاذ الانصاري الاشهلي الاوسي اسلم بالمدينة بين
العقبة الاولى والثانية واسلم باسلامه بنو عبد الاشهل ودارهم اول دار اسلمت
من الانصار وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وكان مقدما مطاعا
شريفا في قومه وهو من اجلة الصحابة واكابرهم وخيارهم شهد بدرا واحدا وثبت
مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ورمي يوم الخندق في اكحله فلم يرقا الدم حتى
مات بعد شهر وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن
بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة متفق عليه وفي الجامع اهتز عرش الرحمن لموت
سعد بن معاذ رواه احمد ومسلم عن انس ورواه احمد والشيخان والترمذي وابن ماجه

عن جابر وعن البراء قال اهديت بصيغة المجهول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة
حرير فجعل اصحابه يلمسونها اي يمسونها ويمسحونها ويتعجبون من لينها اي لنعومتها ورقتها
فقال اتعجبون من لين هذه اي الحلة لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها والين
اي المناديل التي يمسح بها سعد يده خير من هذه والمعنى ان ارفع شيء من هذه لا يقاوم
اوضع شيء ثمة قال النووي المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد قال ابن
الاعرابي وغيره هو مشتق من الندل وهو النقل لانه ينقل من واحد الى واحد وقيل هو
من الندل وهو الوسخ لانه يندل به قال الخطابي انما ضرب المثل بالمناديل لانها ليست
من علية الثياب بل هو يتبذل في انواع من المرافق فيمسح بها الايدي وينفض بها
الغبار عن البدن ويغطى ما يهدى في الاطباق ويتخذ لفافا للثياب فصار سبيلها
سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم فاذا كان ادناها هكذا فما ظنك
باعلاها متفق عليه ورواه الترمذي وعن ام سليم وهي ام انس انها قالت يا رسول الله
انس خادمك ادع الله له قال اللهم اكثر ماله وولده بفتحتين وضم فسكون اي اولاده
وبارك له فيما اعطيته اي من المال والولد والبركة زيادة النماء افادة النفع قال انس
فوالله ان مالي لكثير اي غاية الكثرة ونهاية البركة علي وفق البغية وفي ان ولدي
وولد ولدي ليتعادون بضم الدال المشددة اي ليزيدون في العدد على نحو المائة اليوم
اي في هذا الوقت من الحديث وروي انه قال دفنت من صلبي سوى ولد ولدي مائة
وخمسة وعشرين اي ذكورا لا اثنتين على ما قيل وان ارضي تثمر في السنة مرتين
ذكره ابن حجر في شرح الشمائل وقال صاحب المشكاة في اسماء رجاله انس بن مالك بن
النضر الخزرجي كنيته ابو حمزة قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر
سنين وانتقل الى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس وهو اخر من مات بالبصرة
من الصحابة سنة احدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين وقيل تسع
وتسعون سنة قال ابن عبد البر وهو اصح ويقال انه ولد له مائة ولد وقيل
ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكورا وابنتان انتهى روى عنه خلق كثير انتهى
فما ذكره ابن حجر بظاهره يخالف هذا النقل وكذا يخالف ظاهر الحديث لانه دال على
ان مجموع اولاده واولادهم يتجاوزون عن المائة بلا اولاد الاولاد والله اعلم بالعباد
والمراد وقال النووي هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل لمن
يفضل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وانه
قد بارك فيه ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير
في اداء حق الله وفيه استحباب انه اذا دعي بشيء يتعلق بالدنيا ينبغي ان يضم الى
دعائه طلب البركة فيه والصيانة وقد ثبت في الصحيح البخاري عن انس انه دفن
من اولاده قبل مقدم الحجاج مائة عشرين قلت وكانه اراد باولاده ما يعم الاعم

الشامل

الشامل للصلبي وغيره والاناث والذكور واولادا لاولاد ايضا او المقام يقتضيه والله اعلم متفق
عليه ورواه الترمذي وعن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لاحد يمشي على وجه الارض صفة مؤكدة لاحد كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض لمزيد
التعميم والاحاطة انتهى وفيه نظر يخفى اذ الحديث ليس من قبيل الاية فان الدابة
ما تدب على الارض داخلة في مفهوم الدابة فذكرها بعد التاكيد ونظيره ولا طائر يطير
بجناحيه بخلاف لفظ احد فانه يقيد معنى العموم القابل للتقييد فقوله
يمشي على وجه الارض صفة احترازية عمن كان قبله من العشرة فكانه قال لاحد هو
حي الان على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وقال ابن مالك ان قوله
على وجه الارض صفة مختصة لاهل الجنة لكن يرد عليه انه حين التكلم حي انتهى
قال النووي هذا مخالف لقوله صلى الله عليه وسلم ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة الى اخر
العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة فان سعدا قال ما سمعت ونفي سماعه ذلك لا يدل
على نفي البشارة للغير واذا اجتمع النفي والاثبات فالاثبات مقدم عليه انتهى
ويؤيد ما قدمناه ما ذكره الحافظ العسقلاني في باب الحديث استشكل بانه صلى الله
عليه وسلم قال لجماعة انهم من اهل الجنة غير عبد الله بن سلام وعاش بعدهم ولم
يتاخر بعدهم من العشرة غير سعد وسعيد ويؤخذ ذلك من قوله يمشي على وجه
الارض ووقع عند الدارقطني ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي انه
من اهل الجنة انتهى ولا يخفى ما فيه من الغموض على حصول المدعى اللهم الا ان يقال
ان سعدا لم يذكر نفسه بناء على ان تبشيره بلغه من غيره وهذا بنفسه كما لبشير اليه
صدر الحديث لكن بيقي الكلام في وجود سعيد حيا ويمكن دفعه به ايضا ويمكن ان يراد
بقوله يمشي انه وقع بشارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله حين كان يمشي على
وجه الارض بمعنى انه بشر بخلاف بشارات غيره ثم ربه يزول الاشكال والله اعلم
بالاحوال متفق عليه ورواه النسائي وعن قيس بن عباد بضم عين وتخفيف موحدة
بصري من الطبقة الاولى من تابعي البصرة روى عن جماعة من الصحابة قال
كنت جالسا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه اثر الخشوع اي السكون
والوقار والحضور فقالوا اي بعض الحاضرين هذا رجل من اهل الجنة فصلى ركعتين
اي تحية المسجد او غيرها تجوز بتشديد الواو اي اختصر فيهما على ما لا بد منه
وخففهما فقيل النهاية فالتجوز في صلاته اي اخففها واقلها ثم خرج وتبعته فقلت
اي له انك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من اهل الجنة قال والله ما ينبغي لاحد
ان يقول ما لا يعلم قال النووي هذا انكار من عبد الله بن سلام عليهم حيث قطعوا
له بالجنة فيحتمل ان هؤلاء بلغهم خبر سعد بن ابي وقاص ان ابن سلام من اهل الجنة ولم يسمع
هو ذلك ويحتمل انه كره الثناء عليه بذلك تواضعا وايثارا للخمول وكراهية الشهرة فقال

الطيبي فعلي هذا الاشارة بقوله فساحدثك لم ذالك وهو بلا لام الي انكاره اياهم لعني اني احدثك سبب انكاري عليهم وهو هذا اذا يترويا الي اخره وهذا لا يدل علي النص بقطع النبي صلي الله عليه وسلم علي اني من اهل الجنة كما نص علي غيري ويمكن ان تكون الاشارة بذلك الي قولهم هذا رجل من اهل الجنة يعني لا ينبغي لاحد ممن ادرك النبي صلي الله عليه وسلم وصحبه ان يقول بما لا يعلم فانهم علموا ذلك وقالوا وانا ايضا اقول رايت رويا علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في زمانه فقصصتها عليه ورايت بيان لها فيما قبله كاني في روضة ذكر اي عبد الله بن سلام من سعتها ونفع اوليتها وخضرتها وسطها بالنصب علي الظرف وقع خبرا مقدما للمبتدا المؤخر وهو قوله عمود من حديد اسفله اي اسفل العمود في الارض واعلاه في السما والجملتان صفتان لعمود في اعلاه اي العمود عروة بضم العين اي حلقة وفي القاموس العروة من والكوز المقبض فاستعير لما يوثق ويعول عليه فقيل لي ارقه بفتح القاف وسكون الها للسكت وفي نسخة بضم الها علي انه ضمير وفي القاموس رقي كرضي صعد وقال ابن الملك من رقي يرقي اذا صعد والها للسكت ويجوز ان يعود الي العمود فقلت لا استطيع اي الرقي والصعود فاتاني منصف بكسر الميم وفتح الصاد ذكره النووي وقال الشيخ المعتمد وقال القاضي عياض ويقال بفتح الميم وهو الخادم من نصف اذا خدم وفي شرح مسلم قالوا هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة فرفع اي المنصف ثيابي من خلفي فرقيت بكسر القاف وقال ميرك وحكي بفتحها اقول وفيه نظر اذ رقي يرقي كرمي يرمي من الرقية ولا معني لها ها هنا بل المراد تصعد حتي كنت في اعلاه اي اعلي العمود وفي نسخة في اعلاها اي اعلي العروة فاخذت وفي نسخة اخذت بالعروة فقيل لي استمسك اي بالغ في المسك بمعني الاخذ فاستيقظت وانها لفي يدي اي ان الاستيقاظ كان حال الاخذ من غير فاصل فلم يرد انها بقيت في يده حال اليقظة ولو حمل علي ظاهره لما امتنع في قدرة الله تعالي لكن يظهر خلافه ويحتمل ان يراد ان اثرها بقي في يدي بعد الاستيقاظ كان يصبح فيري يدي مقبوضة فقصصتها علي النبي صلي الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة مبتدا خبره قوله الوثقي وفي نسخة صحيحة العروة الوثقي من حبل الوثيق المحكم المامون انقطاعها فانت علي الاسلام حتي تموت انتهي كلامه صلي الله عليه وسلم فقال رقيس وذلك الرجل عبد الله بن سلام ولا يبعد ان يكون من قول عبد الله بن سلام بان يخبر عن نفسه متفق عليه وعن انس قال كان ثابت بن قيس بن شماس بتشديد الميم خطيب الانصار اي فصيحهم في النثر كما يقال الشاعر في النظم قال المولف خزرجي شهد له النبي صلي الله عليه وسلم وكان خطيب رسول الله صلي الله عليه وسلم وخطيب

الانصار واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة الكذاب سنة اثني عشرة روي عنه انس بن مالك وغيرهما فلما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الي اخر الاية وهو قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون جلس ثابت في بيته واحتبس اي نفسه عن النبي صلي الله عليه وسلم فسال النبي صلي الله عليه وسلم سعد بن معاذ واستشكل بان الاية المذكورة نزلت سنة تسع وسعد بن معاذ مات قبل ذلك سنة خمس واجيب بان ما نزل في قصة ثابت مجرد الصوت لا اول السورة وهو لا تقدموا بين يدي الله فقال اي النبي صلي الله عليه وسلم لسعد حيث كان ربيبهم ما شان ثابت اي حيث انه غير ما ثبت معنا ايشتكي اي مرضا او وجعا فكانه تحير في الجواب ولم يعرف طريق الصواب فاتاه اي ثابتا سعد فذكر اي سعد له اي لثابت قول رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في تفقده فقال ثابت انزلت هذه الاية اي المتقدمة ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اي بحسب الجبلة فانا من اهل النار ولم يعرف ان المراد به رفع صوت يكون اختيارا ما يقتضي قلة الادب فذكر ذلك اي تعليل ثابت سعد النبي صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم بل هو من اهل الجنة اي حيث بالغ في الادب حتي علم انه لا يجوز رفع الصوت الجبلي ايضا ووقع مصداق ذلك انه قتل باليمامة شهيدا وقد نقل الكرماني عن انس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس الكفن فقاتل حتي قتل في كفنه رواه مسلم الثاني وعن ابي هريرة قال كنا جلوسا اي جالسين عند النبي صلي الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة بضم الجيم والميم ويسكن فلما نزلت واخرين منهم لما يلحقوا بهم قال الطيبي هذا علي ان يكون اخرين عطفا علي الاميين يعني انه تعالي بعثه في الاميين الذي علي عهده وفي اخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم بعد الصحابة رضي الله عنهم قالوا من هولاء اي واخرين منهم يا رسول الله قال اي ابو هريرة وفينا سلمان الفارسي بكسر الباء ويسكن قال اي ابو هريرة فوضع النبي صلي الله عليه وسلم يده علي سلمان اي علي كتفه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هولاء قال الطيبي جمع اسم الاشارة والمشار اليه سلمان وحده ارادة للجنس ويحتمل ان يراد بهم العجم كلهم لوقوعه مقابلا للاميين وهم العرب وان يراد به اهل فارس ولو ههنا بمعني ان لمجرد الفرض والتقدير علي سبيل المبالغة قال المولف سلمان الفارسي يكني ابا عبد الله مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم وكان اصله من فارس من رامهرمز وقيل بل كان اصله من اصفهان من قرية يقال لها جي سافر يطلب الدين فدان اولا بدين النصرانية وقرا الكتب وصبر في ذلك علي مشقات متتالية فاخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود ثم انه كوتب فاعانه رسول الله صلي الله

عليه وسلم في كتابه وقيل انه تداوله بضعة عشر سيدا حتى افضى الى النبي صلى الله
عليه وسلم واسلم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال سلمان منا اهل
البيت وهو احد الذين اشتاقت اليهم الجنة كان من المعمرين قيل عاش مايتين وخمسين
سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة والاول اصح وكان ياكل من عمل يده ويتصدق
بعطائه ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة اثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه
في كثير من الاحاديث ومات بالمداين سنة خمس وثلاثين روى عنه انس وابو هريرة
وغيرهما متفق عليه وفي جامع لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس
رواه الشيخان والترمذي عن ابي هريرة ورواه ابو نعيم في الحلية عن ابي هريرة
ايضا ولفظه لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من ابناء فارس وعنه
اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك بالتصغير
للشفقة هذا اي المشار اليه يعني ابا هريرة تفنن منه او من غيره مدرج فيه
معترضة وامه عطف على عبدك الى عبادك المؤمنين متعلق بحبب وحببا اليهم
وفي نسخة اليهما المؤمنين قال ميرك كذا وقع بضمير الجمع في اصل سماعنا من الشكاة
وهو الموافق لاصل السماع من صحيح مسلم واكثر النسخ الحاضرة منه وتوجيهه
باعتبار ان اقل الجمع اثنان او باعتبار اهلهما او اولادهما والمنسوبين اليهما ليكون
اشمل والله اعلم انتهى ويمكن ان يقال بتنزيل منزلة الجماعة تعظيما لهما كما ينزل
الواحد ايضا منزلة الجمع رواه مسلم وعن عائذ بن عمرو بالواو وهو اسم فاعل من العود
بمعنى اللوذ قال المؤلف هو مدني من اصحاب الشجرة سكن البصرة وحديثه في البصريين
روى عنه جماعة ان ابا سفيان اي ابن حرب اتى اي مر على سلمان وصهيب بالتصغير
وبلال في نفر اي وعلى بلال مع جمع قال النووي هذا الاتيان كان لابي سفيان وهو
كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية فقالوا اي سلمان واصحابه ما اخذت سيوف
الله من عنق عدو الله يعنون ابا سفيان ماخذها بفتح الخاء المعجمة اي حقها وفي
نسخة صحيحة وهي اصل السيد ماخذها بهمزة ممدودة وكسر خاء على انه جمع روعي
فيه مقابلة الجمع لسيوف قال الطيبي ما نافية واما ماخذها فمفعول به وقيل
مفعول فيه ويجوز ان يكون مصدرا والكلام اخبار فيه معنى الاستفهام
المتضمن للاستبطاء يعني لم يستوف حقها من حقه واستيفا ولاخذ السيف تشبيها
له بمن له حق على صاحبه وهو يلازمه ويطالبه والغريم يمتنع عن اقباضه ويماطله
فقال ابو بكر اي لهم اتقولون هذا لشيخ قريش اي لكبيرهم وسيدهم اي رئيسهم فاتى
ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره اي بخبرهم وخبره فقال يا ابا بكر لعلك
اغضبتهم لعل هاهنا للاشفاق نحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك وقوله صلى الله
عليه وسلم لعلي لا القاك بعد عامي هذا لئن كنت اغضبتهم حيث انهم مؤمنون محبوبون

محبوبون لله تعالى لقد اغضبت ربك اي حيث راعيت جانب الكافر بوجه فاتاهم اي ابا بكر فقال
يا اخوتاه بالهاء الساكنة اغضبتكم اي فاعفوا عني والاظهر ان الاستفهام مقدر اي
أغضبتكم قالوا لا اي لا حرج عليك او لا غضب لنا بالنسبة اليك يغفر الله لك جملة
دعائية قال الطيبي يجب ان يوقف على لا ولو زاد واو كما في جواب اليزيدي عن سؤال
المامون لا وجعلني الله فداك لحسن موقعه وقوله يا اخي الظاهر انه يقال يا اخانا
ولعله حكاية قول كل واحد واحد قال النووي ضبطوه بضم الهمزة على التصغير
وهو تصغير تحبيب وفي بعض النسخ بفتحها انتهى وفي نسخة السيد جمال الدين
وكثير من الاصول المعتمدة بالتصغير وفتح الياء وفي بعض النسخ بكسرها وقد قرئ
بهما في يا بني وفي نسخة بفتح الهمزة وسكون الياء وكسر فتحها هذا وقال المؤلف
صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى ابا يحيى كانت منازلهم بارض الموصل
فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير
فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان
فاعتقه فاقام معه الى ان هلك ويقال انه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة
فحالف عبد الله بن جدعان واسلم قديما بمكة يقال انه اسلم وعمار بن ياسر في يوم واحد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدار الارقم بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من
المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس من
يشري نفسه ابتغاء مرضات الله روى عنه جماعة مات سنة ثمان وثلاثين بالمدينة
وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع واما ابو سفيان فياتي ترجمته في مناقبه
رواه مسلم وعن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اية الايمان اي علامته كمال حب
الانصار قال ابن التين المراد حب جميعهم لان ذلك انما يكون للدين فمن ابغض بعضهم
لمعنى يسوغ البغض به فليس داخلا في ذلك وهو تقرير حسن واية النفاق بغض
الانصار وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشانهم واشعارا بالعلة في حبهم وبغضهم
وهو جمع ناصر او نصير واللام للعهد والمراد انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الاوس والخزرج وكانوا يعرفون قبل الاسلام بابناء قيلة وهي الام التي تجمع القبيلتين
فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم الانصار فصار علما لهم ونزل القران بمدحهم وقد
اطلق على اولادهم وحلفائهم ومواليهم وانما فازوا بهذه المنقبة لاجل ايوائهم النبي
صلى الله عليه وسلم ونصرته حيث تبوؤا الدار والايمان وجعلوه مستقرا ومتوطنا
بهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك فكان ذلك موجبا
لمعاداة العرب والعجم فافضى ذلك الى الحسد وهو يجر الى البغض فلذا جاء
الترهيب عن بغضهم والترغيب في حبهم فمن احبهم فذلك من كمال ايمانه ومن ابغضهم
فذلك من علامة نفاقه ونقصان ايمانه متفق عليه ورواه احمد والنسائي

وكذا ابن ماجة عنه لكن لفظه حب الانصار اية الايمان وبغض الانصار اية النفاق
وعن البراء اي ابن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار لا يحبهم
الا مؤمن اي كامل ولا يبغضهم الا منافق اي حقيقي او مجازي وهو الفاسق الشبيه
بالمنافق فمن احبهم اي لله احبه الله ومن ابغضهم اي لغير سبب شرعي بالنسبة الى
بعض افرادهم ابغضه الله متفق عليه وعن البراء ابن عازب قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الانصار لا يحبهم الا مؤمن اي كامل ولا يبغضهم
الا منافق اي حقيقي او مجازي وهو الفاسق الشبيه بالمنافق فمن احبهم اي لله
احبه الله ومن ابغضهم اي لغير سبب شرعي بالنسبة الى بعض افرادهم ابغضه الله متفق
عليه وعن انس قال ان ناسا اي جمعا من الانصار قالوا حين افاء الله على رسوله
اي اعطاه فيئا اي غنيمة من اموال هوازن وهي قبيلة شهيرة ما افاء اي شيئا افاء
عليه وطفق اي فاخذ وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة حين مرجعه
من الطائف يعطي رجالا من قريش المائة من الابل ومن جملتهم ابو سفيان والد
معاوية وكان اعطاؤه تألفا لهم بالاسلام ولذا كان يعطي لصناديدهم من المهاجرين
والانصار اقل من المائة فقالوا اي ناس من الانصار بما منه الله صلى الله عليه وسلم
براي بعض قومه من قريش يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا
اي شيئا كثيرا ويدعنا اي يتركنا في اعطاء الكثير وسيوفنا تقطر بدمائهم اي والحال
ان سيوفنا نحن معاشر الانصار تنقط من دمائهم اي من دماء كفار قريش بجهادنا
اياهم حتى يسلموا قال الطيبي قولهم يغفر الله توطئة وتمهيد لما يرد بعده من
العتاب كقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقولهم وسيوفنا تقطر من دمائهم
من باب قولهم عرضت الناقة على الحوض تنهي ولا يبعد ان يكون التقدير
وسيوفنا باعتبار دماء عليها تقطر من دمائهم وهو اشعار بقرب قتلهم كفار قريش
وايماء الى انهم اولى بزيادة البر فالجملة حال مقررة لجهة الاشكال فحدث بضم
حاء وتشديد دال مكسورة اي فحكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم اي بقول
ذلك البعض من الانصار فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانصار فجمعهم
اي الرسول او امر بجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة اي خيمة من ادم بفتحتين
اي جلد ولم يدع بسكون الدال وضم العين اي لم يطلب وفي نسخة بفتح الدال وسكون
العين اي لم يترك منهم احدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما حديث اي اي شيء خبر عظيم بلغني عنكم فقال فقهاؤهم اي علماؤهم وعقلاؤهم
اما ذوو ارائنا اي اصحاب عقولنا وفهومنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا اي من
هذا الباب واما اناس بضم الهمزة لغة في ناس اي جماعة منا حديثة اي جديد اسنانهم
جمع السن بمعنى العمر والمراد منهم الشبان قالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم

يعطي

يعطي قريشا ويدع الانصار اي يتركهم وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني اعطي اي من هذا المال رجالا لاجل انهم حديث عهد بكفر اتألفهم اي اطلب
الفتهم بالاسلام باعطاء المال لا لكونهم من قريش ولغرض اخر من الاحوال اما ترضون
ان يذهب الناس اي غيركم من المؤلفة قلوبهم بالاموال وترجعون الى رحالكم
بكسر الراء اي منازلكم في المدينة برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صلى
الله عليه وسلم قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا فيه تأكيد لما فهم من بلى وما احسن
قال من ارباب الذوق والحال

رضينا قسمة الجبار فينا	لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب	وان العلم يبقى لا يزال

متفق عليه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت
امرءا من الانصار في شرح السنة ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادي لانه
حرام مع ان نسبه صلى الله عليه وسلم افضل الانساب واكرمها وانما اراد به النسب
البلادي ومعناه لولا الهجرة من الدين ونسبة دينية لا يسعني تركها لانها عبادة كنت
مأمورا بها لانتسبت الى داركم ولانتقلت عن هذا الاسم اليكم وقيل اراد صلى الله عليه
وسلم بهذا الكلام اكرام الانصار والتعريض بان لا رتبة بعد الهجرة اعلى من النصرة
وبيان انهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا انه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الى
المدينة لعد نفسه من الانصار لكرامتهم عند الله تعالى وتلخيصه لولا فضلي على
الانصار بسبب الهجرة لكنت واحدا منهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم
وحث الناس على كرامتهم عند الله تعالى وتلخيصه لولا فضلي على الانصار بسبب
الهجرة واخراجهم لكن لا يبلغون درجة المهاجرين السابقين الذين اخرجوا من ديارهم
وقطعوا عن اقاربهم واحبابهم وحرموا اوطانهم واموالهم وهم رضي الله عنهم ما بالوا
ذلك بالله لاجل رضا الله ورسوله واعلاء دين الله وسنة رسوله والانصار اتصفوا
بصفة النصرة والايثار والمحبة والايواء ولكنهم مقيمون في مواطنهم ساكنون مع
اقاربهم واحبابهم وحسبك شاهدا في فضل المهاجرين قوله هذا الان فيه اشارة الى
جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها فهو نبي مهاجري لا انصاري ولو سلك الناس واديا
اي طريقا حسيا او معنويا وسلكت الانصار واديا اي سبيلا اخر او شعبا ويكون شك
من الراوي اذ مالهما واحد سلكت وادي الانصار او شعبها اي شعب جماعة الانصار
وتركت سلوك وادي الناس قال الخطابي اراد ان ارض الحجاز كثيرة الاودية والشعاب
فاذا اختلفت الطرق على الجميع فسلك رئيس شعبا اتبعه قومه حتى يفضوا الى جادة
وفيه وجه اخر وهو انه اراد بالوادي الراي والمذهب كما يقال فلان في واد وانا في واد
قيل اراد صلى الله عليه وسلم بذلك حسن موافقته اياهم وترجيحهم في ذلك على غيرهم

ما شاهد منهم حسن الوفاء بالعهد وحسن الجوار وما اراد بذلك وجوب متابعته اياهم فان
متابعته حق على كل مؤمن لانه صلى الله عليه وسلم هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع
الانصار شعار بكسر اوله ويفتح وهو الثوب الذي يلي شعر البدن والناس دثار بكسر
الدال وهو الثوب الذي فوق الشعار شبههم بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص
مودتهم والمعنى انهم اقرب الناس الي مرتبة واولاهم مني منزلة انكم التفات
اليهم متضمن للترحم عليهم ستلقون بعدي اثرة بفتحتين وبضم فسكون اي استئثارا
يستأثر عليكم امراؤكم بامور الدنيا من المغانم والفيء ونحوها ويفضل عليكم غيره
نفسه ومن هو دونكم فاصبروا اي على ذلك الاستيثار حتى تلقوني على الحوض
اي محبتيه يحصل جبر خاطركم المتعطش الي لقائي سقيتكم شربة لا تظماون بعدها
ابدا رواه البخاري وعنه اي عن ابي هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الفتح اي فتح مكة فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن اي ذو امن
والامن ضد الخوف وقيل اي مامون قال النبي لما قال صلى الله عليه وسلم ذلك حين
اسلم ابو سفيان وقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل يحب الفخر
واجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن قال المؤلف هو ابو سفيان
ابن صخر بن حرب الاموي القرشي والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان
من اشراف قريش في الجاهلية وكان انتهى اليه راية الرؤساء في الجاهلية [illegible] اسلم
يوم الفتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنينا واعطاه النبي صلى الله
عليه وسلم مائة بعير واربعين اوقية فيمن اعطاه من المؤلفة قلوبهم وفقئت
عينه يوم الطائف فلم يزل اعور الي يوم اليرموك فاصاب عينه الاخرى حجر فعميت
روى عنه عبد الله بن عباس مات سنة اربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع
ومن القى السلاح اي الة الحرب فهو امن فقالت الانصار اي بعضهم اما الرجل اي النبي
صلى الله عليه وسلم فقد اخذته رافة اي شدة رحمة بعشيرته اي قبيلته ورغبة
اي محبته في قريته اي في اهل بلدته او بالسكون في قريته ونزل الوحي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي بما قالوا قال قلتم اما الرجل اخذته وفي نسخة فقد
اخذته رافة بعشيرته ورغبة في قريته كلا ردع اي ليس الامر كما توهمتم من اقامتي
بمكة لان هجرتي الي المدينة خالصة لله كما بينته بقوله اني عبد الله ورسوله
اي كوني على هذه الصفة يقتضي ان لا اعود الي دار تركتها لله وان لا ارغب في بلدة هجرت
منها الي الله هاجرت الي الله اي الي ثوابه او مامورة واليكم اي الي دياركم لمبايعتكم
الي والي المهاجرين اليكم كما قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من
هاجر اليهم وخلاصته ان القصد في الهجرة كان الي الله وان انتهاجر كان من دار قومي الي
داركم المحيا اي محياكم والممات اي مماتي مماتكم والمعنى ما حييت احيى في بلادكم كما تحيون

فيه

فيه واذا توفيت في بلدكم كما تتوفون لا افارقكم حيا ولا ميتا قالوا اي الانصار والله
ما قلنا اي ما قلناه الا الضن بكسر الضاد المعجمة وتشديد النون اي شحا وبخلا بالله
ورسوله اي بمن شرف الجوار والصحبة واسم الله للتحسين والتزيين وقال الطيبي
يريدون ما قلنا ذلك الا ضنة بما اتانا الله من كرامة خشية ان يفوتنا فينا فيناله
غيرنا وشحا برسوله صلى الله عليه وسلم ان ينتقل من بلدتنا الي بلدته انتهى وتوضيحه
انهم علموا ان الادمي مجبول على حب الاقارب والاوطان فخشينا اي يميل عنا اليهم
فحركنا عند الكلام وجرينا لتبين لنا المرام فلا يراد انهم كيف قالوا ذلك مع
قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما اورده الطيبي
قال فان الله ورسوله يصدقانكم اي في اخباركم عن احبابكم ويعذرانكم بفتح اوله وبضم
اي يقبلان ما ذكرتم من اعتذاركم فيما قلتم من دعوى الضنة وفيه دلالة على جواز
التحدي بالعلماء والصلحاء وعدم الرضى بمفارقتهم رواه مسلم وعن انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم راى صبيانا ونساء مقبلين اي راجعين من عرس وهو بضم العين
طعام الوليمة ذكره ابن الملك والاظهر ما في القاموس العرس الاقامة في الفرح
ويضم وبالضم وبضمتين طعام الوليمة والوليمة طعام العرس او كل طعام صنع
لدعوة وغيرها فقام النبي صلى الله عليه وسلم اي عن طريقهم او اليهم فقال اللهم
انتم فيه التفات والتقدير اللهم انت تعلم صدقي فيما اقول في حق الانصار ثم
خاطبهم بقوله انتم من احب الناس الي كرره للتاكيد وفي الخطاب التفات وتغليب
للصبيان على النساء وللغائبين على الحاضرين ويؤيده قول الراوي يعني الانصار
اي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله انتم طائفة الانصار متفق عليه وعنه
اي عن انس قال مر ابو بكر اي الصديق والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم اي والحال
ان اهل ذلك المجلس يبكون اي في ايام مرضه صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيكم قالوا ذكرنا
مجلس النبي صلى الله عليه وسلم معنا نخاف فوته ان قدر الله موته فدخل احدهما وروي
انه العباس على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك اي بما ذكر من بكائهم وسبب
عنائهم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب بتشديد الصاد اي ربط وشد
على راسه حاشية برد اي على هيئة عصابة لرفع وجع راسه من الشدة فصعد
بكسر العين اي طلع المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله اي شكره على ما انعم
واثنى عليه اي بالوجه الاتم قال اوصيكم بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها
موحدة اي وخاصتي كذا ذكره الزركشي وفي القاموس الكرش بالكسر وككتف لكل مجتر
بمنزلة المعدة للانسان مؤنثة وعيال الرجل وصغار ولده والجماعة وفي النهاية
اراد انهم بطانته وموضع سره وامانته واراد الجماعة اي جماعتي واصحابي وفي المصباح
اي انهم في المحبة والرافة بمنزلة الاولاد الصغار لان الانسان مجبول على محبته

ولده الصغير قال التوربشتي الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن والبطن مستودع مكتوم السر والعيبة مستودع مكنون المتاع والاول امر باطن والثاني امر ظاهر فيحتمل انه ضرب المثل بهما ارادة اختصاصهم به في اموره الظاهرة والباطنة وفي شرح السنة عيبتي اي خاصتي وهو موضع سري والعرب تكني عن القلب والصدر بالعيبة لانهما مستودع السرائر كما ان العياب مستودع الثياب وقد قضوا اي ادى الانصار الذي عليهم اي من الوفاء بما وقع لهم من المبايعة ليلة العقبة فانهم بايعوا على انهم ينصرون النبي صلى الله عليه وسلم ولهم الجنة فوفوا بذلك ذكره العسقلاني وبقي الذي لهم اي من الاجر والثواب عند الله تعالى فاقبلوا من محسنهم اي اذا توا بعذر فيما صدر عنهم وتجاوزوا عن مسيئهم اي اذا عجزوا عن عذر رواه البخاري وعن ابن عباس قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه اي من حجرة علي واستمر على مشيه حتى جلس على المنبر فحمد الله اي على ما وجد من النعمة لديه واثنى عليه اي بما الهمه اليه ثم قال اما بعد اي بعد الحمد والثناء فان الناس اي اهل الاسلام لانهم خلاصة الناس يكثرون بضم المثلثة اخبار بالغيب ويقل الانصار بفتح الباء وكسر القاف وتشديد اللام قال التوربشتي لان الانصار هم الذين اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه في حال الضعف والعسرة وهذا امر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شاوهم السابق فكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل فيكثر غيرهم ويقلون حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام اي من حيث ان الملح يوصف بالقلة سبب لكمال الطعام في اللذة وهذه الجملة الاخيرة يؤيد ما قاله الطيبي وهذا المعنى اي من التقليل قائم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة ولعل الحمل على الحقيقة اظهر لان المهاجرين واولادهم كثروا وانبسطوا في البلاد انتشروا فيها وملكوها بخلاف الانصار انتهى وهذا الامر مشاهد في الاشراف والعلويين والعباسية وبني خالد وامثالهم فمن ولي منكم بفتح الواو وكسر اللام وفي نسخة بضم فتشديد اي من تولى منكم ايها المهاجرون منه شيئا يجوز ان يكون مفعولا به وان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الولاية وقوله يضر فيه قوما اي مسيئين وينفع فيه آخرين اي محسنين صفة كاشفة فليقبل اي المتولي منكم من محسنهم اي احسانهم وليتجاوز عن مسيئهم رواه البخاري وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للانصار وهم الصحابة ولابناء الانصار وهم التابعون وابناء ابناء الانصار وفي نسخة ولابناء ابناء الانصار وهم الاتباع قد حا لاهل القرون الثلاثة التي هي خير القرون ولا يبعد ان يراد به ابناء ابنائهم ولو تسافلوا الى يوم القيامة رواه مسلم وعن ابي اسيد بالتصغير قال قال رسول الله

اي اساءتهم صح

صلي

صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار اي افضل قبائلهم بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير اي فضل بالنسبة الى غيرهم من اهل المدينة وهو تعميم بعد تخصيص قال العسقلاني الخير الاول بمعنى افضل والثاني بمعنى الفضل يعني الخير حاصل في جميع الانصار وان تفاوتت مراتبهم وقال النووي خير دور الانصار خير قبائلهم وكانت كل قبيلة تسكن محلة فتسمى تلك المحلة دار بني فلان ولهذا جاء في كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار قالوا تفضيلهم على قدر سبقهم في الاسلام وما ترهم فيه وفي هذا دليل على جواز تفضيل القبائل والاشخاص من غير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة قال القاضي ان اراد بها ظاهرها فقوله بنو النجار على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويكون خيريتها بسبب خيرية اهلها وما يوجد فيها من الطاعات والعبادات متفق عليه ورواه الترمذي والنسائي وفي الجامع خير دار الانصار بنو النجار رواه الترمذي عن جابر وفي رواية للترمذي عنه خير دار الانصار بنو عبد الاشهل وعن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كذا في جميع النسخ الحاضرة والظاهر اياي مكانه من باب استعارة المرفوع للمنصوب والزبير اي ابن العوام وقد سبق ذكره في العشرة والمقداد بكسر الميم وهو ابن عمرو الكندي وذلك ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه ولانه كان في حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه وكان سادسا في الاسلام روى عنه علي وطارق ابن شهاب وغيرهما مات بالجرف على ثلاثة اميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وفي رواية وابا مرثد بدل المقداد بفتح الميم والمثلثة وسكون الراء بينهما قال المؤلف هو كناز بن حصين وقيل ابن حصين الغنوي مشهور بكنيته شهد بدرا هو وابنه مرثد وهو من كبار الصحابة روى عن حمزة وعنه واثلة بن الاسقع وعبد الله بن عمر مات سنة اثنتي عشرة وقال السيد جمال الدين هو وابنه حليفا حمزة بن عبد المطلب قال الواقدي وابن اسحاق آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبادة بن الصامت قال محمد بن سعد شهد ابو مرثد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة في خلافة ابي بكر الصديق وهو ابن ست وستين سنة ثم الحاصل من الجمع بين الروايتين انه صلى الله عليه وسلم بعث الاربعة الا ان المذكور في بعض الروايات المقداد وفي بعضها ابو مرثد ويوضحه ما قال الطيبي انه لم يرد بذلك ان البدل ليس المراد انه وكيل في رواية هذا وفي رواية ذلك لان الاربعة قد بعثوا لهذا الامر انتهى ولا يخفى ان المبدل منه في الرواية الثانية ولذا قال بدل المقداد وان كان في نفس الامر غير منحى عن المراد وفي شرح مسلم وعن علي رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى

وابا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وفي الرواية السابقة والمقداد بدل ابي
مرثد ولا منافاة بل بعث الاربعة عليا والزبير والمقداد وابا مرثد فقال انطلقوا
حتى تاتوا روضة خاخ بخائين معجمتين مصروفا وقد لا يصرف قال الطيبي بالخائين
المعجمتين هو الصواب وهي موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة وفي القاموس
وخاخ يصرف ويمنع فان بها ظعينة اي امراة اسمها سارة وقيل ام سارة مولاة لقريش
معها كتاب اي مكتوب من اهل المدينة الى اهل مكة فخذوه منها فانطلقنا تعادى
اي تتسابق بنا خيلنا حتى اتينا الى الروضة اي روضة خاخ فاذا نحن بالظعينة
اي المراة فقلنا اخرجي الكتاب قالت ما معي من كتاب من زائدة لمزيد تاكيد النفي
فقلنا لتخرجن بفتح لام وضم وسكون فكسر ففتح ونون مشددة اي لتظهرن الكتاب
او لتلقين بفتح فضم فسكون فكسر ففتح فتشديد وفي نسخة صحيحة بكسر التحتية
وفي نسخة بحذفها وهو ظاهر اي لتنزعن الثياب وتتجردن عنها ليتبين لنا الامر
وفي نسخة بصيغة المجهول ورفع الثياب وهو ظاهر ايضا قال ميرك كذا جاءت
الرواية باثبات الياء مكسورة ومفتوحة فان قلت القواعد العربية تقتضي
ان يحذف تلك الياء ويقال لتلقن قلت القياس ذلك واذا صحت الرواية بالياء
فتاويل الكسرة انها لمشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل على المؤنث الغائب على طريق الالتفات
من الخطاب الى الغيبة وفي بعض النسخ بفتح القاف ورفع الثياب كذا قاله الكرماني
في شرح البخاري وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه كذا فيه باثبات الياء والوجه
حذفها وقيل انما ثبت لمشاكلة لتخرجن قال ويظهر لي ان صواب الرواية لتلقن الثياب
بالنون بلفظ الجمع وهو ظاهر جدا لا اشكال فيه البتة ولا يحتاج الى تخريج تكلف والله
اعلم انتهى كلامه اقول ويؤيده ما وقع عند البخاري في باب فضل من شهد بدرا بلفظ
لتخرجن الكتاب او لنجردنك انتهى فاخرجته من عقاصها وهو بكسر العين جمع عقيصة
وهي الشعر المضفور قال العسقلاني والجمع بينه وبين رواية اخرجته من حجزتها بضم
الحاء وسكون الجيم وبالزاي معقد الازار ان عقيصتها طويلة بحيث تصل الى حجزتها
فربطته في عقيصتها وغرزته بحجزتها فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه
اي في الكتاب من حاطب بكسر الطاء ابن ابي بلتعة الى ناس من المشركين قال الطيبي ليس هذا
حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله الى فلان وفلان من اهل مكة
يخبرهم اي حاطب او مكتوبه مجازا ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ببعض شانه
وحاله وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فنزل جبريل فاخبره فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لحاطب ما هذا الفعل الشنيع فقال رسول الله لا تعجل علي
اي في الحكم بالكفر ونحوه ثم استانف بين عذره في فعله بقوله اني كنت امرأ ملصقا
بصيغة المجهول اي حليفا في قريش اي فيما بينهم ولم اكن من انفسهم قال النووي كان

حليف

حليفا للزبير بن العوام وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات اي ذووا قرابة اي
اقارب او قرابة مع ناس يحمون اي الاقارب والناس الذين اقاربهم يحفظون
ويراعون بها اي بتلك القرابة اموالهم اي اموال المهاجرين واهليهم بمكة يحتمل ان
يكون ظرفا ليحمون والاقرب انه لتقدير اموالهم واهليهم الكائنين بمكة فاحببت
اذ فاتني ذلك اي القرب من النسب فيهم اي في قريش قال الطيبي اذ فاتني تعليل
وقع بين الفعل ومفعوله وهو قوله ان اتخذ فيهم يدا اي صنيعة يحمون اي قريش
بها اي بتلك اليد قرابتي اي الكائنة بمكة قال الطيبي قوله يحمون صفة يد
واراد باليد يد الانعام او قدرة وما فعلت اي ذلك كفرا اي اصليا ولا ارتدادا
عن ديني اي حادثا ولا رضى بالكفر اي بوجوده بعد الاسلام اي بعد حصوله
وهو تاكيد لما قبله او تعميم لانواع حدوث الكفر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي خطابا للاصحاب انه قد صدقكم بتخفيف الدال اي قال الصدق
فقال عمر دعني اي اتركني يا رسول الله اضرب بالجزم اي اقطع عنق هذا المنافق
وانما قال ذلك مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب في معذرته
لما كان عند عمر من قوة في الدين وبغض من ينتسب الى النفاق وظن ان من خالف
ما امره النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك
استاذن في قتله واطلق عليه منافقا لكونه ابطن خلاف ما اظهر وعذر
حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متاولا ان لا ضرر فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه اي حاطبا قد شهد بدرا اي حضره وما يدريك اي اي شيء يعلمك انه مستحق للقتل
لعل الله اطلع بتشديد الطاء اي اقبل على اهل بدر ونظر اليهم نظر الرحمة والمغفرة
فقال اعملوا ما شئتم اي من الاعمال الصالحة والافعال النافلة قليلة او كثيرة
فقد وجبت لكم الجنة اي ثبتت او وجبت بموجب الجاري من الوعد الواجب وقوعه
قال الطيبي معنى الترجي فيه راجع الى عمر رضي الله عنه لان وقوع هذا الامر
محقق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واو ثم على التحقيق بعثا له على التفكر
والتامل فلا يقطع الامر في كل شيء انتهى والاظهر ان ذكر لعل لئلا يتكل من شهد
بدرا على ذلك وينقطع عن العمل بقوله اعملوا ما شئتم فان المراد به اظهار العناية لا الترخص
لهم في كل فعل مع ان الحديث الاتي عن حفصة صريح في انه صلى الله عليه وسلم كان
في مقام الرجاء لا في حال القطع والله اعلم وفي رواية فقد غفرت لكم وهي ارجى
منها كما لا يخفى قال النووي هذا في الاخرة واما في الدنيا فلو توجه على احدهم
حد او غيره اقيم عليه وقد اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسطح حد القذف
وكان بدريا وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواز هتك استار
الجواسيس وقراءة كتبهم وفيه هتك ستر المفسد اذا كان فيه مصلحة او كان في

الستر مفسدة وما فعله حاطب كان كبيرة قطعا لانه يتضمن ايذاء النبي صلى الله
عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله ولا يجوز قتله لانه
يكفر به انتهى كلامه وفيه انه لو ارتكب كبيرة متضمنة لاذى النبي صلى الله عليه وسلم
لكان كفرا فالصواب انه لم يقصد به اذى النبي صلى الله عليه وسلم بل انما قصد
دفع اذى الكفار عن قرابته على ظن انه لا يضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الابلاغ وقد
صدقه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك نعم قصر في اجتهاده حيث اخفى امره ولم
يستأذن منه صلى الله عليه وسلم في فعله ذلك والله اعلم فانزل الله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا عدوي اي الذين اعاديهم وعدوكم اي الذين يعادونكم وهم الكفار
اولياء اي احباء ومما بعده تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل
سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
وودوا لو تكفرون لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله
بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الاية وانما عم الخطاب ليدخل فيه امثال
حاطب ولذا قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب متفق عليه وعن
رفاعة بكسر الراء بن رافع يكنى ابا معاذ الزرقي الانصاري شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع علي الجمل وصفين مات في اول ولاية
معاوية روى عنه ابناه عبيد ومعاذ وابن اخيه يحيى ابن خلاد قال جاء جبريل الى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي جبريل ما تعدون بضم عين وتشديد دال اي ما تعتبرون
اهل بدر فيكم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له ولمن كان من
اصحابه معه والمعنى اي شيء من مراتب الفضل تحسبونه لاهل البدر قال من ايهم من
افضل المسلمين او كلمة نحوها ولفظه ظاهرا انما هم افضل المسلمين قال اي جبريل وكذلك
اي عندنا حكم من شهد بدرا من الملائكة اي هم افضل ممن لم يشهد منهم فيكونون افضل
الملائكة او من افاضلهم وقال الطيبي اي ممن تعدون ليطابق الجواب وهو من
افضل المسلمين والى بما بدل من تغليبا لشانهم نحو قولهم سبحان ما سخركن لنا انتهى
ولا يخفى عدم ظهور الفائدة التعظيمية من العدول عن الجمع وانما جاء ما في مواضع
بمعنى من او اريد به الوصف كما في المثال المذكور ونحو قوله ونفس وما سواها رواه
البخاري وعن حفصة اي بنت عمر ام المؤمنين قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله احد شهد بدرا والحديبية بالتخفيف
وبتشديد قلت يا رسول الله اليس قد قال الله وان منكم اي ما منكم الا واردها اي مارها

او حاضرها

او حاضرها وكانت حفصة ظنت ان معنى واردها داخلها قال فلم تسمعيه اي فلم
تسمعي كلام الله يقول اي بعد ذلك ثم ننجي الذين اتقوا اي من الدخول وقال ابن الملك
اي فينجي الله المتقين بفضله عنها فيكونون عليهم بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم
ويترك الكافرين فيها بعد لسا انتهى ويوافقه قول الطيبي يعني اراد بقوله ان لا يدخل
النار دخولا يعذب فيها ولا نجاة منها انتهى ويؤيد ما اخترناه سابقا ما قاله
النووي في شرح مسلم الصحيح ان المراد بالورود المرور على الصراط وهو جسر منصوب
على جهنم فيقع فيها اهلها وينجو الاخرون قال الطيبي والاول هو الوجه على ما يظهر
بادنى تامل قلت تاملت كثيرا فلم يظهر وجه ارجحيته ولا قدر اليسير بل ظهر ان
المعنى الثاني ابلغ والله اعلم ثم قال الطيبي وفيه جواز المناظرة والاعتراض
والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا انها ارادت رد مقالته صلى الله عليه
وسلم قلت وفي تسميته مناظرة واعتراضا وجوابا لا يخلو عن سوء ادب يرجى مسامحته
بل الصواب انها استشكلت معنى الحديث حيث ظاهره على ظنها غير موافق للاية
فسالته سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض كما هو طريق ارباب المناظرة بل على سبيل
ما هو واجب على كل من لم يفهم معنى الاية او حديث او جمع بينهما او غير ذلك من المسائل
ان يسال واحدا من العلماء كما قال تعالى فاسالوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما تسمى
بالمناظرة المباحثة والمجادلة بين النظراء والامثال في المعاصرة وفي رواية لا يدخل
النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحت الشجرة بيان لاصحاب الشجرة
او بدل رواه مسلم وكذا ابو داود والترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين
وقال ميرك ظاهر ايراد المصنف يقتضي ان هذا الحديث في صحيح مسلم من مسند
حفصة وليس كذلك فانه من مسند ام مبشر الانصارية انها سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عند حفصة يقول لا يدخل النار ان شاء الله من اصحاب الشجرة احد الذين
بايعوا تحتها فقالت بلى يا رسول الله فانتهرها حفصة فقالت وان منكم الا واردها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا وهكذا في صحيح مسلم وليس حديث حفصة في واحد من الصحيحين بل هو في صحيح
مسلم من حديث ام مبشر نعم رواه ابن ماجه من طريق ام مبشر عن حفصة كما هو في المصابيح
بلفظ وكذا رواه في شرح السنة والله اعلم هذا محصل ما اورده الجزري في تصحيح المصا
بيح
انتهى ولا يخفى ان معنى هذا الحديث مروي عن حفصة في صحيح مسلم فصح اسناده
اليه وعن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة قد سبق الخلاف فيه قال لنا
النبي صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض ولذا قال بعض العلماء منهم
السيوطي ان افضل الصحابة الخلفاء الاربعة ثم بقية العشرة ثم اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل
الحديبية متفق عليه وعنه اي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصعد

الثنية بكسر الدال على انه مجزوم وحرك لالتقاء الساكنين وفي نسخة بالرفع على ان
من موصولة مبتدأ لمتضمن معنى الشرط والثنية هي الطريق العالي في الجبل وقوله
ثنية المرار بالنصب بدل او عطف بيان والمرار بضم الميم وهو المشهور على ما في
النهاية وبعضهم بكسرها وبعضهم لقوله بالفتح وهو موضع بين مكة والمدينة من
طريق الحديبية وانما حثهم على صعودها لانها عقبة شاقة وصلوا اليها ليلا حين
ارادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم في صعودها بقوله فانه يحط عنه بصيغة
المجهول اي يوضع عنه ما حط اي مثل ما وضع عن بني اسرائيل اي لو قالوا ما امروا به وفيه
ايماء الى قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم اي حط عنا ذنوبنا
حطة فكان بالنا وفي نسخة وكان اول من صعدها خيلنا بالرفع والبدل منه خيل
بني الخزرج والمعنى انه كان خيلنا اول خيل من صعدها ثم تتام بتشديد الميم
نقلا عن التمام اي تتابع الناس وجاؤا كلهم وتموا والمعنى صعد الثنية كلهم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر وهو عبد الله بن
ابي رئيس المنافقين فالاستثناء منقطع كجاء القوم الا حمارا فاتيناه فقلنا تعال اي
الى الحضرة العلية يستغفر بالجزم على جواب الامر وفي نسخة ان يستغفر فالتقدير
لان يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لئن اجد ضالتي اي من جمل او جمل
احب الي من ان يستغفر لي صاحبكم وهذا كفر صريح منه وقد اشار اليه قوله تعالى واذا
قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم رواه مسلم وذكر
حديث انس قال النبي عليه الصلاة والسلام لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك
اي القران قراءة المعلم على المتعلم تعليما له وفيه منقبة عظيمة ومرتبة جسيمة
حيث ان الله تعالى وتعظم ذكره وميزه عن اقرانه باقراء حبيبه عليه ليكون ايماء الى
انه رئيس القراء في باب بعد فضائل القران متعلق بقوله ذكر الفصل

الثاني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين بصيغة
التثنية وفي نسخة الذين بصيغة الجمع ولعله للتعظيم او بناء على ان اقل الجمع
اثنان من بعدي اي من بعد موتي او من بعد الاقتداء بي من اصحابي اي من جملة اصحابي
ابي بكر وعمر بدل او بيان للذين واهتدوا بهدي عمار اي سيروا بسيره وكان الاقتداء
اعم من الاهتداء حيث يتعلق بالقول والفعل بخلاف الاهتداء فانه يختص بالفعل
وتمسكوا بعهد ام عبد اي بوصية ابن مسعود وقوله ولذا اختار امامنا الاعظم
روايته وقوله على سائر الصحابة بعد الخلفاء الاربعة لكمال فقاهته ونصح
وصيته قال التوربشتي يريد بعهد عبد الله بن مسعود وهو ما يعهد اليه فيوصيهم
به وارى اشبه الاشياء بما يراد من عهده امر الخلافة فانه اول من شهد بصحتها

واشار

واشار الى استخلاف من اثنين منهما من افاضل الصحابة واقام عليها الدليل فقال لا نؤخر من
قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نرضى لدنيانا من ارتضاه لديننا ومما
يوهن هذا المعنى المناسبة الواقعة بين اول الحديث واخره ففي اوله اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وفي اخره وتمسكوا بعهد ابن ام عبد ومما يدل على صحته
ما ذهبنا اليه قوله وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وهذه
اشارة الى ما اشار اليه من امر الخلافة في الحديث الذي مضى وليشهد لذلك الاستدلال
الذي اوصلناه بحديث الخلافة فقال لو استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم ولكن
ما حدثكم حذيفة فصدقوه وحذيفة هو الذي يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتدوا باللذين من بعدي ولم ار في التعريض بالخلافة في سنن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوضح من هذين الحديثين ولا اصح من حديث ابي سعيد سدوا عني كل
خوخة الا خوخة ابي بكر رضي الله عنه ثم قوله بدل وتمسكوا بعهد ابن ام عبد الظاهر
بدل تمسكوا فان الواو العاطفة لا بد من وجودها على التقديرين رواه الترمذي اي الرواية
الاولى رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب لا نعرفه الا من حديث يحيى
بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث والرواية الثانية رواها الترمذي
ايضا لكن من حديث حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا ادري
ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي واشار بابي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما
حدثكم ابن مسعود فصدقوه وقال حديث حسن نقله ميرك عن التصحيح اقول وحديث
حذيفة رواه احمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وفي الجامع الصغير
اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر رواه احمد والترمذي وابن ماجة ثم اورد الحديث
الذي في المشكاة وقال رواه الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابن
عدي عن انس وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت
مؤمرا وفي نسخة زيادة احدا على انه مفعول له وهو بتشديد الميم المكسورة اي
جاعلا احدا اميرا يعني امير جيش بعينه وفي رواية لو كنت مستخلفا من غير مشورة
بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بفتح فضم والوجهان في الصحاح وفي القاموس شورة
مفعلة لا مفعولة يعني كمقولة لامرت عليهم ابن ام عبد رواه الترمذي وابن ماجة
وفي الجامع بلفظ لو كنت مؤمرا على امتي احدا من غير مشورة منهم لامرت عليهم ابن ام
عبد قال التوربشتي ومن اي وجه روي هذا الحديث فلا بد ان يؤول على انه صلى الله
عليه وسلم اراد به تاميره على جيش بعينه او استخلافه في امر من اموره حال حياته
ولا يجوز ان يحمل على غير ذلك فانه وان كان من العلم والعمل بمكان وله الفضائل الجمة
والسوابق الجلة فانه لم يكن من قريش وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان
هذا الامر في قريش فلا يصح حمله الا على الوجه الذي ذكرناه وعن خيثمة بفتح المعجمة

وسكون الياء التحتية وفتح الثاء المثلثة ابن ابي سبرة بفتح السين المهملة فسكون
الباء الموحدة قال المؤلف هو خيثمة بن عبد الرحمن ابن ابي سبرة الجعفي وكان خيثمة
من كبار التابعين سمع عليا وابن عمر وغيرهما وعنه الاعمش ومنصور وعمرو بن مرة
وورث مائتي الف فانفقهما على العلماء قال اتيت المدينة فسالت الله ان ييسر
اي يسهل لي جليسا صالحا اي مجالسا يصلح لان يجلس معه ويستفاد من مجالسته فيسر لي
ابا هريرة فجلست اليه فقلت اني سالت الله ان ييسر لي جليسا صالحا فوفقت اي
لي جعلت انت موافقا لي واتفق لي مجالستك فقال من اين انت قلت من اهل الكوفة
جئت التمس الخير اي العلم المقرون بالعمل المعبر عنهما بالحكمة التي قال الله فيها ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقد يقال لا خير خير منه او لا خير غيره واطلبه عطف تفسير
ليفيد بيان المبالغة فقال اليس فيكم اي في بلدكم سعد بن مالك وهو سعد بن ابي
وقاص مجاب الدعوة وقد تقدم ذكره وبيان اجابة دعوته وابن مسعود صاحب
طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الطاء اي ما يتطهر به فانه كان صاحب
مطهرته ونعليه وكذا صاحب وسادته ونحوها مما يدل على كمال خدمته وقربه
المنتجة لكمال معرفته وحسن ادبه وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل والقران فانه امن بالانجيل قبل نزول القران
وعمل به ثم امن بالقران ايضا وهو المعروف بسلمان الخير ولم يعرف اسم ابيه فسئل عنه
فقال انا ابن الاسلام وكان ياكل من كسب يده بعمل الخوص وقد سبق بعض ترجمته
رواه الترمذي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل
ابو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل ابو عبيدة بن الجراح وقد تقدم ذكرهم نعم الرجل
اسيد ابن حضير بالتصغير فيهما قال المؤلف انصاري اوسي كان ممن شهد العقبة
وكان بين العقبتين سنة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة
من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع نعم الرجل ثابت بن قيس
ابن شماس بتشديد الميم نعم الرجل معاذ ابن جبل وسبق ذكرهما نعم الرجل
معاذ بن عمرو بن الجموح بفتح جيم فضم ميم قال المؤلف انصاري خزرجي شهد
العقبة وبدرا هو وابوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ ابن عفراء ابا جهل ولهما ذكر
في باب قسمة الغنائم روى ابن عبد البر عن ابن اسحاق ان معاذ بن عمرو قطع رجل ابي
جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة ابن ابي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفراء
حتى اثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز راسه
حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس ابا جهل في القتلى روى عنه
عبد الله بن عباس ومات في زمان عثمان رواه الترمذي وكذا النسائي وقال اي
الترمذي هذا حديث غريب وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان الجنة تشتاق اشتياقا كثيرا الى ثلاثة اي اشخاص علي بالجر وجوز رفعه وعمار
وسلمان قال الطيبي سبيل اشتياق الجنة الى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز
العرش لموت سعد بن معاذ قلت ولعل وجه الاختصاص ان عليا وعمارا وقعا بين
طائفة غريبة من اهل البغي والفساد والتعدي والعناد فقاتلا على طريق السداد
حتى قتلا فيمن قتل من العباد وسلمان وقع في الغربة مدة كثيرة من الزمن وابتلي
بالعبودية والرق رواه الترمذي وعن علي رضي الله عنه قال استاذن عمار على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب فيه مبالغة كظل
ظليل رواه الترمذي وكذا ابن ماجه وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما خير عمار بضم فتشديد تحتية اي ما جعل مخيرا بين امرين الا اختار
ارشدهما وهو اصل الترمذي اي اصلحهما وفي نسخة صحيحة وهو اصل المصابيح اشدهما
بالشين المعجمة اي اصعبهما وقفينا هذا بالنظر الى نفسه فلا ينافي رواية ما خير
عمار بين امرين الا اختار ايسرهما فانه بالنظر الى غيره وفي نسخة اسدهما بالسين المهملة
اي اصوبهما والاظهر في الجمع بين الروايات انه كان يختار اصلحهما واصوبهما فيما ينبغي
ترجيحه والا فاختار ايسرهما رواه الترمذي وكذا النسائي وابن ماجه وفي الجامع بلفظ
ارشدهما وقال رواه الترمذي والحاكم وروى ابن عساكر عن عائشة مرفوعا
كم من ذي طمرين لا يعبؤ به لو اقسم على الله لابره وعن انس قال لما حملت جنازة
سعد بن معاذ اي لما حملها الناس وراوها خفيفة قال المنافقون ما اخف جنازته ما
للتعجب وذلك اي استخفافه واستحقاره لحكمه في بني قريظة اي بان تقتل المقاتلة
وتسبى الذرية فنسبه المنافقون الى الجور والعدوان وقد شهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم له بالاصابة في حكمه وسبق في محله فبلغ ذلك اي كلامهم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان الملائكة كانت تحمله اي ولذا كانت جنازته خفيفة على الناس والثاقل
الميت مشعر بتعلقه الى الدنيا وخفته الى قوة شوقه للمولى وسرعة طيران
روحه الى المقصد الاعلى قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين
لا يعلمون قال الطيبي كانوا يريدون بذلك حقارته وازدراءه فاجاب صلى الله عليه
وسلم بما يلزم من تلك الخفة تعظيم شانه وتفخيم امره رواه الترمذي وعن عبد الله
ابن عمرو اي ابن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما اظلت
الخضراء اي على احد ولا اقلت بتشديد اللام اي حملت ورفعت الغبراء اي الارض اصدق
من ابي ذر مفعول اقلت وصفة للاحد المقدر وهو نوع من التنازع والمراد به
الحصر التاكيد والمبالغة في صدقه لا انه اصدق من غيره مطلقا ولا يصح ان يقال
ابو ذر اصدق من ابي بكر رضي الله عنه وهو صديق هذه الامة وخيرها بعد نبيها وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم اصدق من الجذر وغيره كذا قالوا وفيه انه صلى الله عليه وسلم

وسائر الانبياء مستثنى شرعا واما الصديق الاكبر فتصديقه لا يمنع ان يكون احد اصدق
في قوله وقد جاء في الحديث اقراكم ابي وافضاكم علي ولا بدع ان يكون في المفضول ما لا يوجد
في الفاضل او يشترك هو والافضل في صفة من الصفات على وجه التسوية رواه
الترمذي وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اظلت الخضراء ولا اقلت
الغبراء من ذي لهجة بفتح فسكون وقيل بفتحتين وهي اللسان وقيل طرف اللسان اي
من ذي نطق وقيل لهجة اللسان ما ينطق به اي من صاحب كلام اصدق اي اكثر صدق
ولا اوفى اي بكلامه من الوعد والعهد من ابي ذر قال الطيبي من زائدة وذي لهجة
معمول اقلت وقد تنازع فيه العاملان فاعمل الثاني وهو مذهب البصريين وهذا دليل
ظاهر لهم كقوله تعالى يستغفر لكم رسول الله لووا ولو اعمل الاول لنصب رسول الله فعلى هذا
اصدق في الحديث صفة موصوف محذوف اي ولا اقلت الغبراء والبهجة اصدق ثم قوله
لو اعمل الاول لنصب رسول الله فيه مسامحة لان تعالوا غير متعد بنفسه بل بحرف
كما في قوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة فالاظهر ان متعلقه محذوف للاكتفاء
بظهوره فلا يكون من هذا الباب والله اعلم بالصواب شبه عيسى بن مريم بالجر بدل
اي شبيهه وفي الاستيعاب من الحديث من سره ان ينظر الى تواضع عيسى بن مريم
فلينظر الى ابي ذر انتهى فالتشبيه يكون من جهة التواضع فقول الراوي يعني في
الزهد مبني على عدم اطلاعه للحديث المذكور مع انه لا منافاة بين ان يكون متواضعا
وزاهدا بل الزهد هو الموجب للتواضع ثم قوله يعني في الزهد ليس في المصابيح وانما
هو من زوائد صاحب المشكاة ورواه الترمذي قال ميرك وزاد فيه فقال عمر
ابن الخطاب افنعرف ذلك له قال نعم نعم فعرفوا له انتهى وهو حديث رجاله موثوقون
وفي الجامع رواه احمد والترمذي وابو داود والحاكم في مستدركه عن ابن عمرو ما
اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر قال التوربشتي قوله
اصدق من ابي ذر مبالغة في صدقه لا انه اصدق من كل على الاطلاق لانه لا يكون
اصدق من ابي بكر بالاجماع فيكون عاما قد خص قال الطيبي يمكن ان يراد به انه لا يذهب
الى التورية والمعاريض في الكلام فلا يرخي عنان كلامه ولا يواسي مع الناس
ولا يسامحهم ويظهر الحق البحت والصدق المحض ومن ثم عقبه بقوله ولا اوفى
اي يوفي من الكلام ابقاء لا يغادر شيئا منه وقد روى الامام احمد عن ابي ذر انه
استاذن على عثمان فاذن له وبيده عصاه فقال عثمان يا كعب ان عبد الرحمن توفي وترك
مالا فما ترى فيه فقال ان كان يصل فيه حق الله تعالى فلا باس عليه فرفع
ابو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما احب
لو ان لي هذا الجبل ذهبا انفقه ويتقبل مني اذر خلفي منه ست اواقي انشدك
بالله يا عثمان اسمعته ثلاث مرات قال نعم وروى ابن عبد البر ان عثمان استقدمه

رجل وعمي

لشكوي معاوية منه فاسكنه الربذة فمات بها وقال علي في حقه ذاك علما عجز عنه
الناس ثم اوكى عليه شيء وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال اي معاذ التمسوا
العلم اي علم الكتاب والسنة او علم الحلال والحرام وهو الاظهر لقوله صلى الله
عليه وسلم اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وبهذا يظهر ايضا وجه الخصوصية
عند اربعة اي من الرجال عند عويمر بتصغير عامر ابي الدرداء قال المؤلف هو عويمر بن
عامر الانصاري الخزرجي واشتهر بكنيته والدرداء ابنته تاخر اسلامه قليلا وحسن
اسلامه وكان فقيها عالما سكن الشام ومات بدمشق اثنتين وثلاثين وعند سلمان
وعند ابن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فاسلم صفة كاشفة
قال الطيبي ليس بصفة مميزة لعبد الله لانه لا يشارك في اسمه غيره بل هو مدح
له في التوصية بالتماس العلم منه لانه جمع بين الكتابين فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انه اي عبد الله بن سلام عاشر عشرة في الجنة
اي مثل عاشر عشرة ونحوه ابو يوسف ابو حنيفة اذ ليس هو من العشرة المبشرة
كذا ذكره ميرك وهو قول الطيبي والمعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة
في الجنة ذكره السيد جمال الدين وفيه انه يلزم تقدمه على بعض العشرة فلعله
العاشر من الذين اسلموا من اليهود او مما علا العشرة المبشرة فيدخل الجنة بعد
تسعة عشر من الصحابة والله اعلم رواه الترمذي وعن حذيفة قال قالوا اي
بعض الصحابة بعد امتناعه من الاستخلاف يا رسول الله لو استخلفت اي ان استخلفت
شخصا فمن يكون وقال الطيبي لو هذه للتمني اي ليتنا او للامتناعية وجوابه محذوف
اي لكان خيرا انتهى وفيه انه نوع اعتراض قال ان استخلفت عليكم اي احدا فعصيتموه
اي استخلافي او مستخلفي عذبتم اي عذابا شديدا قال الطيبي عذبتم جواب الشرط
ويجوز ان يكون مسببا عنه او الجواب فعصيتموه والاول اوجه لما يلزم من الثاني
ان يكون الاستخلاف اي سببا للعصيان والمعنى ان الاستخلاف المتعقب
للعصيان سببا للعذاب وقوله ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وما اقراكم
عبد الله اي ابن مسعود فاقرؤه من الاسلوب الحكيم لانه زيادة على الجواب
كانه قيل لا يهمكم استخلافي فدعوه ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا
بهما وخص حذيفة لانه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذرهم
من الفتن الدنيوية وعبد الله ابن مسعود لانه كان منذرهم من الامور
الاخروية انتهى والاظهر انه استدراك من مفهوم ما قبله والمعنى ما استخلف عليكم
احدا ولكن الى اخره ثم وجه اختصاصهما بهذا المقام انهما شاهدان على صحة خلافة
الصديق على ما تقدم والله اعلم ففيه اشارة الى الخلافة دون العبارة ليلا يترتب
على الثاني في شيء من المعصية الموجبة للتعذيب بخلاف الاول فانه ينفي للاجتهاد

ومجالد رواه الترمذي قال ميرك وفي اسناده شريك وفيه مقال قلت وخرجه ابن الهما[م]
عن حذيفة ولفظه قالوا يا رسول الله الا نستخلف قال اني ان استخلفت عليكم فعصيتم
خليفتي نزل العذاب بكم قالوا الا نستخلف ابا بكر قال ان استخلفتموه تجدوه قويا في امر
الله ضعيفا في نفسه قالوا الا نستخلف عمر قال ان استخلفتموه تجدوه قويا في امر الله
قويا في بدنه قالوا الا نستخلف عليا قال ان استخلفتموه تجدوه هاديا مهديا يسلك
بكم الطريق المستقيم وعنه اي عن حذيفة قال ما احد من الناس تدركه الفتنة
اي البلية الا انا اخافها عليه الا محمد بن مسلمة بكسر فسكون ففتح فاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اي مخاطبا له لا تضرك الفتنة قال
المؤلف انصاري حارثي شهد المشاهد كلها الا تبوك وروى عن عمر وغيره من الصحابة
وكان من فضلاء الصحابة وكان من الذين اسلموا على يد مصعب بن عمير بالمدينة
ومات بها سنة ثلاث واربعين وهو ابن سبع وسبعين سنة رواه هنا بياض
في اصل المص وكتبوا فيه رواه ابو داود وسكت عنه واقره عبد العظيم وعن
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في بيت الزبير اي ابن العوام مصباحا
اي سراجا فقال يا عائشة ما ارى بضم الهمزة وفتح الراء اي ما اظن اسماء وهي اخت
عائشة زوجة الزبير الا قد نفست بضم النون وكسر الفاء وقد يفتح النون اي
ولدت وصارت ذات نفاس ولا تسموه بالواو وفي المصابيح فلا تسموه وهو بصيغة
الخطاب تغليبا للحاضر على الغائب والضمير للمولود حتى اسميه فسماه عبد الله
وحنكه بتمرة بتشديد النون بيده يقال حنكت الصبي اذا مضغت تمرا او غيره
ثم دلكته بحنكه وفيه انه اذا ولد لاحد ولد ان يطلب من شريف القوم ان يسمي
ذلك الولد ويحنكه بتمرة او عسل ونحوهما من الحلاوة تبركا بمرافقته قال المؤلف هو اسدي
قرشي كناه النبي صلى الله عليه وسلم بكنية جده لامه ابي بكر الصديق وسماه باسمه
وهو اول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة اول سنة من الهجرة واذن
ابو بكر في اذنه ولدته امه اسماء بقبا واتت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره
فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه وكان اول شيء دخل في جوفه ريق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا له وبارك عليه وكان اطلس لا شعر له
في وجهه كثير الصيام والصلاة شهما ذا انفة شديد الباس قائلا بالحق وصولا
للرحم اجتمع له ما لم يجتمع لغيره ابوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وامه
اسماء بنت الصديق وجده الصديق وجدته صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم
وخالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن ثمان سنين قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة
خلت من جمادي الاخرة سنة ثلاث وسبعين وكان بويع له بالخلافة سنة اربع وستين

وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة فاجتمع على طاعته اهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان
وغير ذلك ما عدا الشام وبعضه وحج بالناس ثماني حجج روى عنه خلق كثير رواه الترمذي
وعن عبد الرحمن بن ابي عميرة بفتح فكسر مدني صحابي كذا ذكره ميرك وقال المؤلف مدني
وقيل قرشي مضطرب الحديث لا يثبت في الصحابة قاله ابن عبد البر وهو شامي روى
عنه نفر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية الظاهر المتبادر من الاطلاق
انه معاوية بن ابي سفيان والا فمعاوية بن الحكم ومعاوية بن جاهمة الضامن الصحابة
على ما ذكره المؤلف في اسماء رجاله اللهم اجعله هاديا اي للناس او دالا على الخير مهديا
بفتح الميم وتشديد الياء اي مهتديا في نفسه واهد به اي بمعاوية الناس فيه
تاكيد لمعنى الهداية المتعدية اعلم ان الهداية المتعدية اما مجرد الدلالة
او هي الدلالة الموصلة الى البغية قال الامام محمد بن اسماعيل البخاري فهديناهم
دللناهم على الخير والشر كقوله تعالى وهديناه النجدين والهدى الذي للارشاد
بمعنى الاسعاد من ذلك قوله سبحانه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال غيره معنى الهداية في اللغة الدلالة يقال هداه في الدين يهديه هداية اذا
دله على الطريق والهدى يذكر لحقيقة الارشاد ايضا ولهذا جاز النفي والاثبات
قال تعالى انك لا تهدي من احببت وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال
الطيبي لو حمل قوله هاديا على المعنى الاول كان قوله مهديا تكميلا له لانه رب هاد لا
يكون مهديا وقوله واهد به تتميما لان الذي فاز بهذا لو له فوزا يتبعه كل احد
فكمل ثم تمم واذا ذهب الى المعنى الثاني كان مهديا تاكيدا وقوله اهد به تكميلا يعني
انه كامل مكمل ولا ارتياب ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب فمن كان هذا
حاله كيف يرتاب في حقه ومن اراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه بفتوح
الغيب فان فيه ما يكفيه قال المؤلف قرشي اموي وامه هند بنت عتبة كان
هو وابوه من مسلمة الفتح ثم من المؤلفة قلوبهم وهو احد الذين كتبوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل لم يكتب له من الوحي شيئا انما كان يكتب له كتبه روى عنه ابن
عباس وابو سعيد تولى الشام بعد اخيه يزيد في زمن عمر ولم يزل بها متوليا حاكما الى ان
مات وذلك اربعون سنة منها في ايام عمر اربع سنين او نحوها ومدة خلافة عثمان وخلافة
علي وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق له الامر بتسليم الحسن بن علي
اليه في سنة احدى واربعين ودام له عشرين سنة ومات في رجب بدمشق وله ثمانون وكذا
سنة وكان اصابته لقوة في اخر عمره وكان يقول في اخر عمره باليتني كنت رجلا من قريش
بذي طوى ولم ال من هذا الامر شيئا وكان عنده ازار رسول الله صلى الله عليه وسلم ورداؤه
وقميصه وشيء من شعره واظفاره فقال كفنوني في قميصه وادرجوني في ردائه وازروني
بازاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره وظفره وخلوا بيني وبين

ارحم الراحمين رواه الترمذي وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلم الناس التعريف فيه للعهد والمعهود مسلمة الفتح من اهل مكة وامن عمرو بن
العاص اي قبل الفتح بسنة او سنتين طائعا راغبا مهاجرا الى المدينة فقوله صلى
الله عليه وسلم هذا تنبيه على انهم اسلموا وامن عمرو رغبة فان الاسلام يحتمل ان
يشعر به كراهة والايمان لا يكون الا عن رغبة وطواعية كذا ذكره الطيبي وغيره
وقال ابن الملك انما خصه بالايمان رغبة لانه وقع اسلامه في قلبه في الحبشة حين
اعترف النجاشي بنبوته فاقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما من غير ان
يدعوه احد اليه فجاء الى المدينة في الحال ساعيا فامره النبي صلى الله عليه وسلم
على جماعة فيهم الصديق والفاروق وذلك لانه كان مبالغا قبل اسلامه في
عداوة النبي صلى الله عليه وسلم واهلاك اصحابه فلما امن اراد صلى الله عليه وسلم
ان يزيل عن قلبه اثر تلك الوحشة المتقدمة حتى يامن من جهته ولا ييأس من رحمته
تعالى رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وليس اسناده بالقوي وعن جابر قال لقيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر ما لي اراك منكسرا اي منكسر البال والخاطر
يعني مهموما حزينا مغموما قلت استشهد ابي وترك عيالا اي كثيرا ودينا اي ثقيلا
فاجتمع اسباب الحزن قال افلا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى يا رسول الله قال
ما كلم الله احدا قط اي قبل ابيك ففيه ايماء الى انه بخصوصه افضل من سائر الشهداء
الماضية حيث ما كلم الله احدا منهم الا من وراء حجاب فيه اشارة الى ان قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب الاية مقيد بالدنيا فقوله واحيا اباك
فكلمه كفاحا بكسر الكاف اي مواجهة كما في النهاية اي مواجهة ليس بينهما حجاب
ولا رسول وقال شارح اي كلم اباك من غير واسطة بينه وبين الله تعالى فان
قلت كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله تعالى بل احياء عند ربهم لان التقدير
هم احياء وكيف يحيى الحي فقال المظهر قيل جعل الله تعالى تلك الروح في جوف طير
خضر فاحيى ذلك الطير بتلك الروح فصح الاحياء او اراد بالاحياء زيادة قوة روحه
فشاهد الحق بتلك القوة قال الطيبي وهذا الجواب ايضا من الاسلوب الحكيم اي
لا تهتم بشأن امر دنياك من هم عياله وقضاء دينه بان الله تعالى يقضي عنه دينه
ببركة نبيه ويتلطف بعياله ولكن ابشرك بما لقيه من القرب عند الله سبحانه
وما لقيه به من الكرامة والمنحة قال يا عبدي اي الخاص تمن علي اي ما تريد اعطك
اي اياه مع المزيد قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية اي استشهد تبارك في
سبيلك مرة اخرى ليكون وسيلة الى زيادة مرضاة المولى قال الرب تعالى انه قد
سبق مني انهم اي الاموات لا يرجعون اي الى الدنيا بحيث انهم يعيشون فيها مدة
طويلة يعملون فيها الطاعات فلا ينافي وقوع احياء بعض الاموات لعيسى وغيره

والاظهر

والاظهر ان الضمير راجع الى الشهداء ومعناه لا يرجعون بالتماسهم وتمنيهم
فلا يشكل بتشهيد الرجال ايضا وقال السيد جمال الدين قوله انهم اي اهل احد او مطلق
الشهداء لئلا يشكل بقصة عزير فنزلت اي في حقه واصحابه من شهداء احد ولا
تحسبن بالخطاب مع فتح السين وكسرها اي لا تظن ايها المخاطب وفي قراءة بالغيبة اي
لا يحسبن حاسب الذين قتلوا وفي رواية قتلوا بالتشديد اي استشهدوا في سبيل الله
امواتا مفعول ثان الاية يعني بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون
بنعمة من الله وفضل اي للمجاهدين وان الله لا يضيع اجر المؤمنين رواه الترمذي
اي وقال حسن غريب وعنه اي عن جابر قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وعشرين مرة يحتمل ان يكون في مجلس ومجالس ويؤيد الاول قوله رواه الترمذي
حيث لفظه استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمسا وعشرين
وقال حديث حسن وقصة البعير مشهورة قال المؤلف جابر بن عبد الله كنيته ابو
عبد الله الانصاري السلمي من مشاهير الصحابة واحد المكثرين من الرواية
شهد بدرا وما بعدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة وقدم الشام
ومصر وكف بصره اخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة اربع وسبعين
وله اربع وتسعون سنة وهو اخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول واما ابوه
يذكره المؤلف في اسمائه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من اشعث
اي متفرق شعر الراس اغبر اي مغبر البدن ذي طمرين بكسر فسكون اي صاحب ثوبين
خلقين لا يؤبه بضم ياء وسكون واو وقد يهمز وفتح موحدة ففي النهاية اي لا يبالى
به ولا يلتفت اليه تحقيرا له يقال ما وبهت له بفتح الباء وكسرها وبها وبها بالسكون
والفتح واصل الواو الهمزة انتهى والمفهوم من القاموس ان الهمزة قال ابن الملك
كم خبرية مبتدا ومن مبين لها وخبره لا يؤبه انتهى والظاهر ان الخبر هو قوله
لو اقسم على الله لابره اي لامضاه على الصدق ولو جعله بارا في الحلف منهم البراء بن
مالك وهو اخو انس شهد احدا وما بعدها من المشاهد وكان من الابطال الاشداء
قتل من المشركين مائة مبارزة سوى من شارك فيه ولم يذكره المؤلف في اسمائه
رواه الترمذي والبيهقي في دلائل النبوة وكذا الضياء وعن ابي سعيد قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم الا ان عيبتي اي خاصتي التي اوي اي اميل وارجع
اليها اهل بيتي وان كرشي اي بطانتي الانصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن وفي نسخة
من محسنهم والضمير راجع الى الصنفين من اهل البيت والانصار على حد قوله هذان
خصمان اختصموا في ربهم ويحتمل ان يرجع الى الاخير والاول يفهم بالطريق الاولى
رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال لا يبغض الانصار اي جميعهم او جنسهم احد يؤمن بالله واليوم الاخر رواه الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح وعن انس عن ابي طلحة اي زوج امه قال قال لي اي
بخصوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرئ بفتح الهمزة وكسر الراء وفي نسخة
كما في المصابيح بكسر همز وفتح راء اي ابلغ قومك السلام فانهم يقال اقرئ فلانا
السلام واقرأ عليه السلام وكان حين يبلغه السلام يحمله على ان يقرأ السلام وفي المغرب
اقرأه سلامي على فلان واقرئه سلامي عامي وفي القاموس قرأ عليه السلام ابلغه
كاقرأه او لا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا وفي الصحاح فلان قرأ عليك السلام
واقرأك السلام بمعنى واقرأه القرآن فهو مقرئ وفي المصباح قرأت على زيد
السلام اقرأه عليه قراءة واذا امرت منه قلت اقرأ عليه السلام قال الاصمعي وتعديته
بنفسه خطأ فلا يقال اقرأه السلام لانه بمعنى اتل عليه وحكى ابن القطان انه
يتعدى بنفسه رباعيا فيقال فلان يقرئك السلام فانهم اي قومك ما علمت
ما موصولة اي بناء على ما علمته فيهم من الصفات اعفة بفتح فكسر فتشديد
جمع عفيف وهي خبران وما علمت معترضة صبر بضمتين جمع صابر كبزل وبازل
وفي نسخة بضم فتشديد مفتوحة كركع جمع راكع قال الطيبي ما موصولة
والخبر محذوف اي الذي علمت منهم انهم كذلك يتعففون عن السؤال ويتحملون
الصبر عند القتال وهو مثل ما في الحديث يقلون عند الطمع ويكثرون عند
الفزع وقال شارح ما مصدرية يعني انهم يتعففون ويتحملون مدة علمي بحالهم
او في علمي بالحال او موصولة اي فيما علمت منهم رواه الترمذي وعن جابر
ان عبدا لحاطب اي ابن ابي بلتعة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه
فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار اي لكثرة ما ظلمني فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذبت اي حيث جزمت ولكنت لا يدخلها فانه قد شهد بدرا والحديبية
اي ومن حضرهما لا يدخل النار جزما او رجاء ومما يدل على ايمانه خطابه في عتابه بقوله
في كتابه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الاية رواه مسلم
وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية اي قوله
تعالى وان تتولوا اي ان تعرضوا وتنصرفوا وتدبروا عن الايمان بمحمد ونصرة دينه
يستبدل اي الله قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونون خيرا منكم قالوا اي
بعض الصحابة من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا
وفيه رد على ابن الملك حيث قال الخطاب لصناديد قريش فضرب اي النبي صلى الله عليه
وسلم بيده على فخذ سلمان الفارسي وفيه ايماء الى قربه ثم قال هذا وقومه ولو كان
الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس بضم فسكون اي طائفة العجم مطلقا او
من يكون لسانه فارسيا او من بلده فارس وهو اقليم منه شيراز والاول اظهر

مما يدل عليه الحديث الذي يليه رواه الترمذي وعنه اي عن ابي هريرة قال ذكرت
الاعاجم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بالمدح او الذم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانا بهم او ببعضهم شك من الراوي والظاهر ان المراد
مجموعهم فلا ينافي قوله او ببعضهم اوثق اي ارجى في الاعتماد على طلب الدين مني
بكم او ببعضكم فقيل فيه تفضيل الاعاجم اقول والظاهر ان هذا مقتبس من قوله
ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ومن قوله
ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي ومن الاية
السابقة هذا قال المظهر انا مبتدا واوثق خبره ومتى صلة اوثق والباء في
بهم متعلق واو عطف على بهم والباء في بكم مفعول فعل مقدر يدل عليه اوثق
او او في او ببعضكم عطف على بكم اما متعلق ايضا باوثق اذ هو في قوة الوثوق
وزيادة فكانه فعلان جاز ان يعمل في مفعولين او باضمر دل عليه الاول
والمعنى وثوقي واعتمادي بهم او ببعضهم اكثر من وثوقي بكم او ببعضكم قال
الطيبي الاول من باب العطف على الاستحاب والثاني من باب العطف على
التقدير والمخاطبون بقوله بكم او ببعضكم قوم مخصوصون دعوا الى الانفاق
في سبيل الله فتقاعدوا عنه فهو كالتانيب والتعيير عليهم ويدل عليه قوله
تعالى في الحديث السابق وان يتولوا يستبدل قوما غيركم فانه جاء عقيب قوله تعالى
ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني انتم هؤلاء
المشاهدون بعد ممارستكم الاحوال وعلمكم بان الانفاق في سبيل الله خير لكم تدعون
اليه فتتقاعسون عنه وتتولون فان استمر توليكم يستبدل الله قوما غيركم يبذلون
الارواح والاموال في سبيل الله ولا يكونوا امثالكم في الشح المبالغ فهو تعريض وبعث
لهم على الانفاق فلا يلزم منه التفضيل قلت ان كان مراده انه لا يلزم التفضيل
مطلقا فهو خلاف الكتاب والسنة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
وان كان مراده انه لا يلزم التفضيل المطلق فهو صحيح اذ يدل على انهم في بعض الصفات
افضل من العرب ولا يبدع ان يوجد في المفضول زيادة فضيلة بالنسبة الى بعض
فضائل الفاضل فجنس العرب افضل من جنس العجم بلا شبهة وانما الكلام في بعض
الافراد والله اعلم بالعباد رواه الترمذي الفصل الثالث عن علي رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي سبعة نجباء رقباء باضافة
سبعة وهما على وزن فعلاء جمع والنجيب هو الكريم المختار والرقيب الحافظ
على الافتدار والمراد بهم الموجودون في زمن كل نبي لقوله واعطيت انا اربعة عشر اي
نجيبا رقيبا بطريق الضعف تفضلا قلنا من هم اي الاربعة عشر قال انا قال الطيبي
فاعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وانا ضمير علي رضي الله عنه يعني هو عبارة عنه

نقله بالمعنى اي مقوله انا وابناي اي الحسنان وجعفر اي اخو علي وحمزة قال المؤلف حمزة بن عبد المطلب كنيته ابو عمارة بضم العين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخوه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة ابي لهب وهو اسد الله اسلم قديما في السنة الثانية من المبعث وقيل بل كان اسلام حمزة بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم في السنة السادسة فاعز الله الاسلام باسلامه وشهد بدرا واستشهد يوم احد قتله وحشي بن حرب وكان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع سنين قال ابن عبد البر ولا يصح هذا عندي لانه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان تكون ثويبة ارضعتهما في زمانين وقيل كان اسن منه بسنتين روى عنه علي والعباس وزيد بن حارثة انتهى وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وقد تقدم تراجمهم والواو لمطلق الجمع رواه الترمذي وعن خالد بن الوليد قال المؤلف مخزومي وامه لبابة الصغرى اخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان احد اشراف قريش في الجاهلية سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله مات سنة احدى وعشرين واوصى الى عمر بن الخطاب وروى عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة وجبير بن نفير قال كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام اي مكالمة في معاملة فاغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خالد قال الطيبي هذا كلام الراوي عن خالد وقال محذوف يدل عليه قوله بعده قال خالد فخرجت وقال ميرك يحتمل ان يكون من كلام خالد على الالتفات وهو اي عمار يشكوه اي خالدا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اي الراوي فجعل اي خالد يغلظ اي لعمار في الكلام ولا يزيده اي خالد عمارا الا غلظة اي شدة في الغضب والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم تاكيد لما قبله فبكى عمار اي من قلة صبره وكثرة غضبه وراى انه صلى الله عليه وسلم خافض راسه كانه متفكر في امره فتضرع اليه وقال اي عمار يا رسول الله الا تراه اي الا تعلم خالدا فيما يقول في حقي من الغلظة فرفع النبي صلى الله عليه وسلم راسه وقال من عادى عمارا اي ملتبسا به عاداه الله ومن ابغض عمارا اي بقلبه ابغضه الله قال خالد فخرجت اي من عنده صلى الله عليه وسلم تسكينا للفضيحة او على قصد ارضاء عمار بالكلية كما يدل عليه قوله فما كان شيء احب الي من رضى عمار اي بعد ما خرجت فلقيته اي فواجهته بما رضي اي من التواضع والاستحلال والاعتذار ونحوها من اسباب الرضى فرضي اي عمار عني رضي الله عنهما وعن ابي عبيدة اي ابن الجراح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خالد سيف الله اي كسيف سله الله على المشركين وسلط على الكافرين او ذو سيف من سيوف الله عز وجل اي حيث يقاتل مقاتلة شديدة

في سبيله مع اعداء دينه وقال الطيبي هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم جعل بالادعاء جنس السيوف نوعين متعارف وغيره وخالد من احد نوعيه الثاني والظاهر ان الاية ليست من هذا القبيل بل هو استثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه سلامة قلبه في ذلك اليوم او المضاف مقدر اي الا مال وابن من اتى الله فالاستثناء متصل او التقدير يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ونعم فتى العشيرة اي في بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف اي هو روى هما اي الحديثين احمد وفي الجامع خالد بن الوليد سيف من سيوف الله رواه البغوي عن عبد الله بن جعفر وروى ابن عساكر عن عمر مرفوعا خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة اسد الله واسد رسوله وابو عبيدة ابن الجراح امين الله وامين رسوله وحذيفة بن اليمان من اصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى امرني بحب اربعة اي على الخصوص واخبرني انه اي سبحانه وتعالى يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا اي حتى نحن نحبهم ايضا تبعا لمحبة الله ورسوله قال علي منهم وفي نسخة الجامع منهم علي يقول ذلك ثلاثا اي للاشعار بانه افضلهم او محبته قدر ثلاثتهم وابو ذر والمقداد وسلمان امرني بحبهم واخبرني انه يحبهم هذا فذلكة مفيدة لتاكيد ما سبق رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب ولفظ الجامع ان الله تعالى امرني بحب اربعة واخبرني انه يحبهم علي منهم وابو ذر والمقداد وسلمان رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه وعن جابر قال كان عمر يقول ابو بكر سيدنا اي خيرنا وافضلنا واعتق اي ابو بكر سيدنا الثاني بلالا واعله تواضعا فان عمر افضل منه اجماعا وقال ابن الملك يعني ان بلالا من السادة ولم يرد انه افضل من عمر وقال غيره السيد الاول حقيقة والثاني قاله عمر تواضعا على سبيل المجاز اذ السيادة لا تثبت الافضلية وقد قال ابن عمر ما رايت اسود من معاوية على انه راى ابا بكر وعمر كذا ذكره العسقلاني في فتح الباري والاظهر انه قال ابن عمر بعد الخلفاء الاربعة فالمراد به انه اسود في زمانه رواه البخاري وعن قيس بن ابي حازم قال المؤلف هو احمسي بجلي ادرك زمن الجاهلية واسلم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده توفي يعد في تابعي الكوفة روى عن العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة الا هو وروى عنه جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين شهد النهروان مع علي بن ابي طالب وطال عمره حتى جاوز

المائة وماتت سنة ثمان وتسعين ان بلالا قال لابي بكر اي حين اراد التوجه الى الشام
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعدم صبره على رؤية المسجد النبوي بغير حضوره
صلى الله عليه وسلم وعدم القدرة على الاذان فيه ولا على تركه في زمان غيره وسيجي
انه صار يستبد الاستبدال ومحلهم غالبا هو الشام ومنعه ابو بكر رضي الله عنه اي
عن الرواح بالالزام على المجاورة مع اختيار الاذان ان كنت انما اشتريتني لنفسك
اي لرضاها وفق مدعاها فامسكني اي فاحكم علي بالقعود وان كنت انما اشتريتني لله
فدعني اي فاتركني وعمل الله اي العمل الذي اخترته لله او الامر الذي قدره الله وقضاه
واما حديث رحيل بلال ثم رجوعه الى المدينة بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام
واذانه بها وارتجاج المدينة به فلا اصل له وهي بينة الوضع ذكره السيوطي في الذيل
رواه البخاري وعن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني مجهود اي فقير اصابه الجهد وهو المشقة والحاجة او الجوع فارسل اي النبي عليه السلام
الى بعض نسائه اي من الازواج الطاهرات فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي اي من
الماكول والمشروب الا ماء ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك اي وهكذا حتى ارسله الى
كل واحدة منهن وقلن كلهن مثل ذلك ولعل هذا كان في اول الحال قبل ان يفتح خيبر
وغيرها ويحصل الغنائم والاموال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه من باب
التفعيل وفي نسخة من باب الافعال وهو مرفوع فمن موصول مبتدا خبره جملة قوله
يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة وهو زيد بن سهل الانصاري زوج
ام انس بن مالك وسبق ذكره فقال انا اي اضيفه يا رسول الله
فانطلق به الى رحله اي منزله فقال لامراته وهي ام انس هل عندك شيء اي من الطعام
قالت لا الا قوت صبياني بالرفع وقيل بالنصب اي الا قوت الصغار منا على انهم يجوعون
في كل ساعة من الليل والنهار والاظهر المعلوم انه لا يجوز اجاعة الصبيان واضاعتهم
واطعام الضيفان واطاعتهم قال فعلليهم اي سكتيهم بشيء اي الهاه به وتوميهم
اي رقديهم وكانه قصدهما انهم لن يروا اكل الضيف فيستيقظوا كما هو عادة الاولاد فاذا
دخل ضيفنا فاريه اي فاحضريه لانها كانت عجوزا او القصة قبل الحجاب واظهريه انا اي
جميعنا ناكل اي من هذا الطعام فان الضيف اذا راى ان احدا امتنع من الاكل ربما تشوش
خاطره فاذا اهوى اي قصد الضيف ومد يده ليأكل فقومي الى السراج كي تصلحيه اي
لاصلاحه فكي تعليلية فاطفئيه اي ليقع الظلام فلا يطلع على امتناعنا من اكل الطعام
ففعلت فقعدوا اي ثلاثتهم واكل الضيف وباتا طاويين اي جائعين فلما اصبح اي
الضيف قال الطيبي هو هنا تامة وقوله غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جواب
لما وضمن غدا معنى الاقبال اي لما دخل في الصباح اقبل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم غاديا انتهى وفي اكثر النسخ المصححة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى

من عنده صح

ذهب

ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغدوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي بنور الكشف او من طريق الوحي لقد عجب الله او ضحك الله والمعنى رضي من فلان
وفلانة اي ابي طلحة وامراته وفي رواية مثله بالرفع وفي نسخة بالنصب اي مثل ما ذكر
من الحديث المتقدم ولم يسم ابا طلحة اي في هذه الرواية وفي اخرها فانزل الله تعالى
ويؤثرون اي اصحابهم او غيرهم على انفسهم اي على حظوظها ولو كان اي وقع بهم
خصاصة اي حاجة ومجاعة قال الطيبي والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض
اي يؤثرون على انفسهم مفروضة خصاصتهم متفق عليه وعنه اي عن ابي هريرة
قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فجعل الناس يمرون اي علينا من
كل جانب فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا يا ابا هريرة فاقول فلان اي
اسميه باسمه ووصفه فيقول نعم عبد الله هذا او تقول اي في مار غيره من هذا فاقول
فلان فيقول بيس عبد الله هذا وهذا من باب ما روى ابو يعلى وغيره مرفوعا اذكروا الفاجر
بما فيه يحذره الناس حتى مر اي استمر هذا السؤال والجواب حتى مر خالد بن الوليد فقال
من هذا فاقول خالد بن الوليد وفي هذا اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان في خيمة
وابو هريرة خارجها والا فمثل خالد بن الوليد لا يخفى عليه صلى الله عليه وسلم فقال
نعم عبد الله اي هذا خالد بن الوليد سيف من سيوف الله او التقدير نعم عبد الله خالد
ابن الوليد هو سيف من سيوف الله والجملة على التقدير مبينة سبب المدح
رواه الترمذي وعن زيد بن ارقم قال قالت الانصار يا نبي الله لكل نبي اتباع وانا قد اتبعناك
بتشديد التاء اي بالغنا في اتباعك فادع الله ان يجعل اتباعنا منا قال الطيبي اتباعنا مفعول
محذوف اي لكل نبي اتباع ونحن اتباعك لانا قد اتبعناك فادع الله ان يكون اتباعنا منا
اي متصلين بنا مقتفين اثارنا باحسان كما قال تعالى والتابعين لهم باحسان وقال
غيره اتباع الانصار خلفاؤهم والموالي والمعنى ادع الله ان يقال لهم الانصار حتى يتناولهم
الوصية لهم باحسان اليهم وغير ذلك فدعا به اي النبي عليه السلام اي بجعل اتباعهم منهم
رواه البخاري وعن قتادة تابعي جليل مشهور سبق ذكره قال ما نعلم حيا اي ما نعرف
قبيلة وقوما من احياء العرب اي من قبائلهم اكثر شهيدا صفة حيا بعد صفة وكذا
قوله اعز اي شهيدا يوم القيامة اي يتحقق فيه من الانصار والجار متعلق
بالافعلين على التنازع قال اي قتادة دليلا على ما ذكره قال انس قتل منهم اي من الانصار
يوم احد سبعون ظاهره ان الجميع من الانصار وهو كذلك الا القليل اذ روى ابن منده
من حديث ابي قتل من الانصار يوم احد اربعة وستون من المهاجرين ستة وصححه
ابن حبان من هذا الوجه ويوم بئر معونة بفتح فضم سبعون ويوم اليمامة على
عهد ابي بكر سبعون رواه البخاري وعن قيس بن حازم قال كان اي في زمن الصديق
اي الذين حضروا قضية بدر خمسة الاف خمسة الاف ذكره ليفيد ان كل واحد منهم

لدحمسة الاف وقال عمر لافضلنهم على من بعدهم اي على غيرهم في المرتبة يعني كان عطاءكم
حمله بخلاف غيرهم وانا ايضا لافضلنهم على غيرهم وان زدت على هذا المقدار رواه البخاري

تسمية من سمي من اهل بدر في جامع البخاري رضي الله عنهم اجمعين

اي هذا ذكر من ذكر من اهل بدر باسمائهم في الصحيح البخاري حقيقة او حكما ليدخل
عثمان دون من لم يسم فيه ودون من لم يذكر فيه اصلا فقال تبركا والمراد من سمي من
جاء ذكره فيه برواية عنه او عن غيره بانه شهد بدرا لا من جاء ذكره دون التنصيص
على انه شهدها وبهذا يجاب عن ترك ايراده مثل ابي عبيدة بن الجراح فانه شهدها
باتفاق اهل الحديث والسير وذكره في عدة من مواضع الا انه لم يقع فيه التنصيص
على انه شهدها انتهى وقد سبق في رواية ابي داود عن ابن عمر انه خرج يوم بدر
في ثلثمائة وخمسة عشر وجاء في رواية ان المشركين كانوا الفا والصحابة
ثلثمائة وسبعة عشر النبي محمد بن عبد الله الهاشمي بدا به صلى الله عليه وسلم
تيمنا بذكره وتبركا باسمه وذكره مبركا او دفعا لتوهم انه لم يكن معهم عبد الله
ابن عثمان اسم الصديق عبد الله وعثمان اسم ابيه ابي قحافة وكنيته ابو بكر الصديق
القرشي يعني النبي وكان انيسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجليسه في العريش
وحافظه من العدو وشاهرا بسيفه على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي
اليه احد الا اهوى اليه عمر بن الخطاب العدوي منسوب الى عدي بن كعب بطن من
قريش عثمان بن عفان القرشي يعني الاموي خليفة النبي صلى الله عليه وسلم بالثلث
الام اي تركه خالفه خليفة للاطلاع على ابنته على ما في نسخة السيد لكنها البنت
في البخاري والمغني لمراعاة خاطفها كانت مريضة حينئذ وضرب له بسهمه اي
وقدر له بنصيبه من الغنيمة علي بن ابي طالب الهاشمي عن ابن عباس قال كان علي
اخذ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال الحاكم يوم بدر والمشاهد
اخرجه احمد في المناقب ثم ان اعلم المصنف الى هنا اجرى المراتب الرتبية ثم اعتبر ترتيب
الحروف الهجائية اياس بكسر الهمزة وبفتح ابن البكير بتصغير البكير قال المؤلف
هو ليثي شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان اسلامه في دار الارقم مات سنة اربع
وثلاثين بلال بن رباح بفتح الراء مولى ابي بكر الصديق حمزة بن عبد المطلب الهاشمي
عم النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة حليف لقريش وسبق انه حليف
الزبير ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي قيل اسمه مهشم وقيل هاشم
كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة
شهيدا وهو ابن ثلاث وخمسين سنة حارثة بن الربيع بضم ففتح فتشديد تحتية
مكسورة وهو اسم امه واسم ابيه سراقة الانصاري قتل يوم بدر هو اول قتيل من
الانصار وهو حارثة بن سراقة كان اي خال قتاله في النظارة بفتح النون وتشديد

الظاء المعجمة اي من الذين طلبوا منكم ناسا متفقا ينظرون الى العدو ويخبرون عن حالهم ففي
الصحاح النظارة قوم ينظرون الى الشيء وزاد في القاموس وبالتخفيف بمعنى التنزه
لحن يستعمله بعض الفقهاء وقال الحافظ العسقلاني اي خرج نظارا على ما اخرجه احمد
والنسائي وزاد ما خرج للقتال اقول لعله كان به عذر يمنعه عن القتال فيعين ان يكون
عينا للمسلمين خبيب بضم معجمة وفتح موحدة ابن عدي الانصاري اي الاوسي شهد بدرا
واسر في غزوة الرجيع سنة ثلاث فانطلق به الى مكة فاشتراه بنو الحارث بن عامر
وكان خبيب قد قتل الحارث يوم بدر كافرا فاشتراه بنوه ليقتلوه فاقام عندهم
اسيرا ثم صلب بالتنعيم وهو اول من صلب في الاسلام روى عنه الحارث بن البرصاء
خنيس بضم معجمة وفتح نون بن حذافة بضم اوله التميمي اي القرشي وهو الذي
كان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم شهد بدرا ثم احدا
فجرح ثم مات بالمدينة من جراحته ولا عقب له رفاعة بن رافع الانصاري شهد
بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع علي الجمل
وصفين مات في اول ولاية معاوية رفاعة بن عبد المنذر ابو لبابة الانصاري
عطف بيان لما قبله قال المؤلف رفاعة بن عبد المنذر الانصاري الاوسي هو
ابو لبابة غلبت عليه كنيته كان من النقباء وشهد العقبة وبدرا والمشاهد
بعدها وقيل لم يشهد بدرا بل امره رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة
وضرب له بسهمه مع اصحاب بدر مات في خلافة علي بن ابي طالب الزبير بن العوام القرشي
وهو احد العشرة المبشرة زيد بن سهل ابو طلحة الانصاري عطف بيان لما قبله
قال المؤلف ابو طلحة زيد بن سهل الانصاري النجاري وهو مشهور بكنيته وهو زوج
ام انس بن مالك وكان من الرماة المذكورين قال النبي صلى الله عليه وسلم لصوت
ابي طلحة في الجيش خير من فئة مات سنة احدى وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين
سنة شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد ابو زيد
الانصاري هو الذي جمع القران حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف في اسمه قيل سعد بن عمير وقيل قيس بن السكن سعد بن مالك الزهري هو سعد
بن ابي وقاص احد العشرة سعد بن خولة بفتح الخاء المعجمة القرشي شهد بدرا ومات
بمكة في حجة الوداع سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بضم نون وفتح فاء القرشي هو احد
العشرة سهل بن حنيف بالتصغير الانصاري اي الاوسي شهد بدرا واحدا والمشاهد
كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وصحب عليا بعد النبي صلى الله
عليه وسلم واستخلفه على المدينة ثم ولاه فارس مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين
ظهير بالتصغير بن رافع الانصاري اي الاوسي شهد العقبة الثانية وبدرا وما
بعدها من المشاهد واخوه اي اخو ظهير واسمه مظهر بضم الميم وفتح المعجمة وكسر الهاء

المشددة ولم يسمه البخاري وذكر انهما شهدا بدرا لكن قال ابو عمر وان ظهر لم يشهدها
وشهد احدا وما بعدها وكذا قيل لم يشهدها مظهر فيسقط الواو من قوله واخوه كذا
ذكره القسطلاني عبد الله بن مسعود الهذلي بضم ففتح نسبة الى قبيلة بني هذيل
من غير قبائل قريش وسبق ذكره عبد الرحمن بن عوف الزهري بضم فسكون نسبة
الى بني زهرة قبيلة من قريش وهو احد العشرة عبيدة بن الحارث القرشي لم يذكره
المؤلف في اسمائه عبادة بضم العين وتخفيف الموحدة بن الصامت الانصاري
كان نقيبا وشهد العقبة الاولى والثانية والثالثة وشهد بدرا والمشاهد كلها
قيل مات ببيت المقدس سنة اربع وثلاثين عمرو بن عوف المزني كان قديم
الاسلام وهو ممن نزل فيه تولوا واعينهم تفيض من الدمع سكن بالمدينة
ومات بها في اخر ايام معاوية حليف بني عامر بن لوي بدل او بيان لما قبله ولوي
بضم ففتح همز ويبدل واوا فالتشديد عقبة بن عمرو الانصاري قال المؤلف
يكنى ابا مسعود البدري شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرا عند جمهور اهل
العلم بالسير وقيل انه شهدها والاول اصح وانما نسب الى ماء بدر لانه نزله فنسب
اليه انتهى ولذلك خطئ البخاري بعده من اصحاب بدر عامر بن ربيعة العنزي بفتح
العين وسكون النون ففي المقدمة العنزة بفتح النون والزاي ينسب اليه
العنزيون وقال العيني واما عامر بن ربيعة فبسكون النون وكذا بهم من القاموس
وفي نسخة العدوي والظاهر انه تصحيف قال المؤلف هاجر الهجرتين وشهد
بدرا والمشاهد كلها اسلم قديما مات سنة اثنين وثلاثين عاصم بن ثابت يكنى
ابا سليمان شهد بدرا وهو الذي حمته الدبر وهي النحل من المشركين ان يحتزوا راسه
في غزوة الرجيع حين قتلته بنو لحيان فسمي حمي الدبر عويم تصغير عام بعين
سنته بن ساعدة الانصاري هو اوسي شهد العقبتين وبدرا والمشاهد كلها ومات
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم عتبان بكسر فسكون بن مالك الانصاري خزرجي
سلمي بدري مات زمن معاوية قدامة بضم القاف بن مظعون بالظاء المعجمة قرشي
جمحي خال عبد الله بن عمر هاجر الى ارض الحبشة وشهد بدرا وسائر المشاهد مات سنة
ست وثلاثين قتادة بن النعمان بضم اوله الانصاري عقبي بدري وشهد بعدها
المشاهد كلها وابو سعيد الخدري اخوه لامه مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه
عمر وكان من فضلاء الصحابة معاذ بن عمرو بن الجموح بفتح جيم وضم ميم قال المؤلف
خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وابوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ بن عفراء
ابا جهل ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم ثم روي عن عبد الرحمن الى اسحاق ان معاذ بن عمرو
قطع رجل ابي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن ابي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه
معاذ بن عفراء حتى اثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود

واجتز

واجتز راسه حين امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس ابا جهل في القتلى
قلت لما كان قتل ابي جهل موجبا للثواب الكثير قدر الله جمعا ان يشاركوا في قتله معوذ
بتشديد الواو المكسورة او المفتوحة والذال معجمة قال السيوطي هو بتشديد الواو
وفتحها على الاشهر وجزم الزركشي انه بالكسر على ما في فتح الباري واقتصر عليه المغني
وهو ظاهر ما في القاموس وكذا ضبط المؤلف بن عفراء بفتح عين فسكون فاء قال المؤلف
هو معوذ بن الحارث اخو معاذ وعفراء امه شهد بدرا وهو الذي قتل ابا جهل مع اخيه
معاذ وهما اصحاب ذرع ونخل وقاتل في بدر حتى قتل بها واخوه اي اخو معوذ قال
صاحب جامع الاصول شهد بدرا معاذ واخوه عوف ومعوذ والحارث ابوهم وعفراء امهم وقال
المؤلف معاذ بن الحارث بن رفاعة الانصاري الزرقي وعفراء امه وهي بنت عبيد بن
ثعلبة وكان هو ورافع بن مالك اول انصاريين من الخزرج اسلما شهد بدرا واخواه
عوف ومعوذ وقتل اخواه عوف ومعوذ وقيل اخواه هذا ببدر وشهد بعد بدر من
المشاهد في قول بعضهم وبعضهم يقول انه جرح يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته
وقيل انه عاش الى زمن عثمان مالك بن ربيعة ابو اسيد الانصاري بالتصغير كنيته
مالك وهو مشهور بكنيته وهو ساعدي شهد المشاهد كلها مات سنة ستين وله ثمان
وسبعون بعد ان ذهب بصره وهو اخر من مات من البدريين مسطح بكسر فسكون ففتح
ابن اثاثة بضم الهمزة بن عباد بفتح فتشديد موحدة بن المطلب بن عبد مناف اي
القرشي شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها بعدها وهو الذي قال في عائشة ام المؤمنين
ما قاله من حديث الافك وجلده النبي صلى الله عليه وسلم فيمن جلد ويقال ان مسطحا
لقبه واسمه عوف قال ابن عبد البر لا خلاف في ذلك مات سنة اربع وثلاثين وهو
ابن ست وخمسين مرارة بضم الميم بن الربيع بفتح فكسر الانصاري عامري شهد بدرا وهو
احد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم ونزل القران في شانهم
معن بن عدي الانصاري بفتح ميم فسكون عين شهد بدرا وما بعدها من المشاهد
وقتل يوم اليمامة في خلافة الصديق شهيدا وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخى
بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا معا يومئذ مقداد بكسر الميم بن عمرو الكندي
بكسر الكاف حليف بني زهرة بدل او بيان وقال المؤلف ان اباه حالف كندة فنسب اليها
وانما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه او لانه تبناه وكان سادسا في الاسلام مات
بالجرف على ثلاثة اميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث
وثلاثين وهو ابن سبعين سنة هلال بن امية بالتصغير الانصاري الثلاثة
الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم شهد بدرا وهو الذي قذف امراته بشريك
له ذكر في اللعان روى عنه جابر وابن عباس فتحصل ان عدد الجموع خمسة واربعون
وفي نسخة رضي الله عنهم اجمعين

باب

ذكر اليمن والشام وذكر اويس القرني في المغرب اليمن ماخوذ من اليمين بخلاف الشام لانها بلاد على يمين الكعبة والنسبة اليها يمني بتشديد الياء ويماني بالتخفيف على تعويض الالف من احدى يائي النسبة وفي القاموس اليمن محركة ما على يمين القبلة من بلاد الغور وهو يمني ويماني ويمان والشام بلاد عن مشامة القبلة وسميت بذلك لان قوما من بني كنعان تشاموا اليها اي تياسروا او سمي بشام بن نوح فانه بالشين بالسريانية او لان ارضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز وقد يذكر قلت وعلى الاول يهمز ويجوز ابدال الهاء وهو الاشهر في الاستعمال والاسهل للمعاني ثم المراد بذكر اليمن والشام اعم من ان يكون الحديث متعلقا بذكر المكانين او باهليهما فقوله وذكر اويس القرني تخصيص بعد تعميم للتشريف ثم القرن بفتحتين ففي القاموس القرن بفتح فسكون ميقات اهل نجد وهي قرية عند الطائف واسم الوادي كله وغلطه الجوهري في تحريكه وفي نسبة اويس القرني اليه لانه منسوب الى قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد احد اجداده

الفصل الاول عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا ياتيكم من اليمن يقال له اويس القرني تصغيرا وس لا يدع اي لا يترك باليمن غير ام له والمعنى انه ليس له اهل وعيال في اليمن غيرها وانما منعه عن الاتيان اليك امر بها فقد كان به اي باويس بياض اي برص فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار او الدرهم شك من الراوي ولعله ابقاه للعلامة كما قيل في ظهر ادم انه اثر من جلدة السابقة او ترك ذلك البعض ليكون سبب تنفره ولهذا كان يحب الخمول والعزلة ويكره الشهرة والخلطة فمن لقيه منكم فليستغفر لكم قال النووي هذه منقبة ظاهرة لاويس القرني وفيه طلب الدعا والاستغفار من اهل الصلاح وان كان الطالب افضل منهم اقول وفي رواية لمسلم عن عمر انه قال لاويس القرني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد من اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرا منه الا موضع درهم له والدة وهو لها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له وفي رواية قال اي عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين اي من حيث الله من المخضرمين وحصل له مانع شرعي عن حضور حضرته ونور طلعته صلى الله عليه وسلم رجل يقال له اويس قال النووي والحديث يدل على انه خير التابعين وقال احمد ابن حنبل وغيره افضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب ان مرادهم ان سعيد افضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في كونه اكثر ثوابا عند الله تعالى وله والدة اي ام وهو بار بها وكان به بياض اي برص وذهب الله به

اي

اي اذهبه كله الا قدرا يسيرا وفيه معجزة ظاهرة فمروه اي فالتمسوه او مروه بناء على امرنا اياكم او اياه فليستغفر لكم قال ابن الملك امر صلى الله عليه وسلم اصحابه باستغفار اويس لهم وان كان الصحابة افضل من التابعين ليدل على ان الفاضل يستحب له ان يطلب الدعاء من المفضول او قال له صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلبه لانه كان يمكنه الوصول الى حضرته لكن منعته بره باامه فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم به ليندفع به انه مسي في التخلف انتهى وهو لا ينافي ما نقل انه ترك امه وجاء واجتمع بالصحابة فان امتناعه من الاتيان كان لتعذر من يكون في خدمتها او قائما بمؤنتها فلما وجد السعة توجه الى الصحابة او لما فرض حجة الاسلام تعين ما ناه او اذنت له بالسير في سبيل الله رواه مسلم وفي الرياض عن اسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب اذا اتى عليه امداد اهل اليمن يسالهم افيكم اويس بن عامر حتى اتى على اويس فقال انت اويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرات منه الا موضع درهم قال نعم قال الك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرا منه الا موضع درهم له والدة وهو لها بر لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فقال ابن تريد قال الكوفة قال الا اكتب لك الى عاملها قال اكون في غبراء الناس احب الي قال فلما كان في العام المقبل حج رجل من اشرافهم فوافق عمر فساله عن اويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ثم قال فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فاتى اويسا فقال استغفر لي فقال انت احدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال لقيت عمر فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه اخرجه مسلم انتهى ولا يخفى ان وجه خفايه انه كان مستجاب الدعوة في مادة الاستغفار ولو كان ظاهر التوجه اليه البر والفاجر مستورا او غيره فلا يمكنه الاستغفار للكل ولا امتناعه عن البعض لما يوجب من الايحاش وكشف الحال والله اعلم بالاحوال وروى الحاكم عن علي مرفوعا خير التابعين اويس وروى ابن عدي وابن عباس سيكون في امتي رجل يقال له اويس بن عبد الله القرني وان شفاعته في امتي مثل ربيعة ومضر وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة اي من سائر من ياتيكم والرقة ضد القساوة والغلظة والفؤاد القلب وقيل باطنه وقيل ظاهره والمعنى هم اكثر رقة ورحمة الباطن والين قلوبا اي اكثر لينة لقبول النصيحة والموعظة من قلوب سائر الناس بحسب الظاهر قال المظهر وصف الافئدة بالرقة والقلوب باللين وذلك لانه يقال ان الفؤاد غشاء القلب واذا رق نفذ القول فيه وخلص الى ما وراءه واذا غلظ تعذر وصوله الى داخله فاذا صادف القلب لينا علق به

مطلب كون ظهر الادم اثر من جلده الى بق

ويجمع فيه وقال القاضي الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل القساوة
فاستعيرت في احوال القلب فاذا نبا عن الحق واعرض عن قبوله ولم يتاثر عن الآيات
والنذر يوصف بالغلظة فكان شغافه صفيقا لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلبا لا يؤثر
فيه الوعظ واذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين فكان حجابه رقيقا لا يابى
نفوذ الحق وجوهره لينا يتاثر بالنصح ثم لما وصفهم بذلك اتبعه ما هو كالنتيجة
والغاية بقوله الايمان يمان والحكمة يمانية فان صفاء القلب ورقته ولين جوهره
يؤدي به الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه
والتيقظ والاتقان فيما ياتيه ويذره وهو الحكمة فيكون قلوبهم معادن الايمان وينابيع
الحكمة وهي قلوب منشاؤها اليمن نسب اليه الايمان والحكمة معا لانتسابهما اليه
تنويها بذكرهما وتعظيما لشانهما وقال الطيبي يمكن ان يراد بالفؤاد القلب كما عليه
اهل اللغة في كونهما مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى السابق فان
الرقة مقابلة للغلظة واللين مقابل للشدة والقسوة فوصفت اولا بالرقة
ليشير الى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة مع الاهل والاخوان قال تعالى ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وثانيا باللين ليؤذن بان الآيات
النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها وصاحبها مقيم على التعظيم
لامر الله فقوله الايمان يمان والحكمة يمانية يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى
والمعاشرة مع الناس فالشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة واللين جانب المؤمنين وصفوا بقوله
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله انتهى وقال شارح الايمان يمان هو نسبة الى
اليمن والالف فيه عوض من ياء النسبة فلا يجتمعان قال ابو عبيد مكة من ارض تهامة
وتهامة من ارض اليمن ولهذا سميت مكة وما يليها من ارض الحجاز تهائم فمكة على هذا
التقدير يمانية وفيها ظهر الايمان قال وفيه وجه اخر وهو ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال هذا القول وهو بتبوك مكة والمدينة بينه وبين اليمن فاشار الى
ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة وقيل عنى بهذا القول الانصار
لانهم يمانيون وهم نصروا الايمان والمؤمنين واووهم فالنسبة لهم وهذه وجوه منفا
مع ما فيها من بعد لتناسب بين الفصل الاول من الكلام والثاني فانه اتاكم
اهل اليمن يخاطب بذلك اصحابه والجمهور منهم اهل الحرمين وما حولهما فعلمنا ان
المبشر لهم غير المخاطبين وقيل المراد اهل اليمن وينسب اليهم الايمان اشعارا بكماله
فيهم والمراد الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل اهل اليمن في جميع الاحيان فالمقصود
تفضيل اهل اليمن على غيرهم من اهل المشرق ويوبيه هذا قوله اتاكم اهل اليمن
ثم قوله الايمان يمان لا ينافي كونه حجازيا وانما ينبي عن استعداد اهل اليمن لقبول

ذلك وقسوة فيهم واستقرار امرهم عليهم فانهم هم الذين فتحت بامدادهم الشام
والعراق زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قوله والحكمة يمانية بالتخفيف
وفي نسخة بالتشديد بدل فقيل اراد بها الفقه في الدين وقيل كل كلمة صالحة تمنع
صاحبها من الوقوع في المهلكة ولما كانت قلوبهم معادن الايمان وينابيع الحكمة
وكانت الخصلتان منتهى هممهم نسب الايمان والحكمة الى معادن نفوسهم ومساقط
رؤوسهم نسبة الشيء الى مقره والفخر اي الافتخار بالمباهاة والمنافسة في الاشيا
الخارجة عن نفس الانسان كالمال والجاه والخيلاء بضم ففتح ممدود وهي التكبر بتخييل
انه افضل من غيره ويمنعه عن قبول الحق والانقياد في اصحاب الابل وفي معناه الخيل
بل هي ادهى بالويل وسياتي الجمع بينهما في رواية والسكينة والوقار اي التاني والحلم
والاذى في اهل الغنم قال القاضي تخصيص الخيلاء باصحاب الابل والوقار باهل
الغنم يدل على ان مخالطة الحيوان تؤثر في النفس وتعدي اليها هيئات واخلاقا
تناسب طباعها ويلائم احوالها قلت ولهذا قيل الصحبة تؤثر ولعل هذا
ايضا وجه الحكمة في ان كل نبي رعى الغنم وخلاصة الكلام ورابطة النظام
بين فصول الحديث ان اهل اليمن يغلب عليهم الايمان والحكمة كما ان اهل الابل
يغلب عليهم الفخر واهل الغنم يغلب عليهم السكون فمن اراد صحبة اهل الايمان
والعرفان فعليه بمصاحبة نحو اهل اليمن على وجه الايمان قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفيه اشعار الى انها معجزة وهي انه
يظهر في اليمن كثير من الاولياء مع قلة اهله بخلاف سائر الاطراف فانه وان ظهر منهم
الصالحون فهم بالنسبة الى كثرة خلايقهم قليلون متفق عليه وفي الجامع الايمان
يمان رواه البخاري والشيخان عن ابي مسعود وروى الشيخان والترمذي عن ابي هريرة
مرفوعا اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية
وعنه اي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم راس الكفر
اي معظمه ذكره السيوطي والاظهر ان يقال منشاؤه نحو المشرق بالنصب قال الطيبي
نحوه راس لا امر الاسلام اي ظهور الكفر من قبل المشرق وقال ابن الملك اي منه يظهر
الكفر والفتن كالدجال وياجوج وماجوج وغيرهما وقال النووي المراد باختصاص
المشرق به مزيد تسلط الشيطان على اهل المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه
وسلم ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وقال السيوطي نقلا عن الباجي يحتمل
ان يريد فارس وان يريد نجدا والفخر والخيلاء في اهل الخيل والابل قال الراغب
الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للانسان من نفسه ومنها تتاول لفظ
الخيل لما قيل انه لا يركب احد فرسا الا وجد في نفسه نخوة والخيل في الاصل اسم
للافراس والفرسان جميعا انتهى والاظهر ان الخيل اسم جنس للفرس لقوله تعالى

واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وانما قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي فمجاز والفدادين بالتشديد وبخفف اي وفي الفلاحين عطف على اهل الخيل وقوله اهل الوبر بفتح الواو والموحدة شعر الابل وهو بالجر بدل او بيان والمراد بهم سكان الصحاري لان بيوتهم غالبا منه ومن الشعر قال صاحب النهاية الفدادون بالتشديد الذين تعلو اصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد يقال فد الرجل يفد فديدا اذا اشتد صوته وقيل هم المكثرون من الابل وقيل هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان وقيل الفدادون بالتخفيف جمع فدان مشددا وهي البقرة التي يحرث بها واهلها اهل جفاء وغلظة قال التوربشتي اذا روي بالتخفيف تقديره وفي اهل الفدادين واري اصوب الروايتين بالتشديد لما في حديث ابي مسعود الذي يتلوا هذا الحديث والجفاء والغلظ في الفدادين والتخفيف في هذه الرواية غير مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى فردنا المختلف فيه الى المتفق عليه وهذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى سكة وشيا من الات الحرث فقال لما دخل هذا دار قوم الا دخل عليهم الذل وابى ابتغاء الفخر والخيلاء من موقع الذل قلت لعله صلى الله عليه وسلم اخبر عما سيقع في اخر الزمان من ان كثرة الزراعة يكون سببا للافتخار والتكبر كما هو مشاهد في ارباب الدنيا من اهل المزارع الكثيرة في العجم بحيث انهم يتقدمون في المحافل على اصحاب الابل والخيل بل لهم اعتبار عظيم عند الملوك حتى يصير اكثرهم وزراء لهم وكبراء عند سائر رعيتهم والسكينة اي الوقار والتاني والحلم والانس في اهل الغنم متفق عليه وكذا رواه الامام مالك قال ميرك الا ان مسلما لم يقل والفدادين بالواو وهي محذوفة فيه وفي البخاري ثابتة فعلى رواية مسلم نعت لاهل الخيل وعلى اثباته عطف عليها قلت فعلى رواية مسلم يراد الجمع بين الوصفين وعلى رواية البخاري يراد التغاير بينهما فيكون عطفا على الخيل بروايه تخفيف الفدادين وعلى اهل الخيل برواية التشديد والله الملهم للتسديد وعن ابي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ههنا جاءت الفتن نحو المشرق حال متعلق بمحذوف اي قال صلى الله عليه وسلم من هاهنا جاءت الفتن مشيرا نحو المشرق كذا ذكره الطيبي ولا يبعد ان يكون من الراوي مدرجا قصد التفسير لقوله صلى الله عليه وسلم ههنا والجفاء بالمد وهو ضد الوفاء في القاموس الجفاء نقيض الصلة ويقصر والاظهر ان المراد به ههنا غلظ الالسنة بقرينة قوله وغلظ القلوب في الفدادين اهل الوبر بيان للفدادين ويراد باهل الوبر الاعراب او سكان الصحاري وانما ذمهم لبعدهم عن المدن والقرى الموجب لقلة العلم الحاصل به حسن الاخلاق وسائر علوم الشريعة قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر

ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وفي الحديث من بدا جفا عند اصول اذناب الابل والبقر اي هم يتبعونها لاصولها ويمشون خلفها للرعي فيهما او للاثارة الارض خلف البقر ويسقي الماء خلفهما فالمراد بهم الاكارون وفيه ايماء الى انهم جعلوا المتبوع تابعا والتابع متبوعا فعكسوا امامهم وتقتبسهم موضوعا ومشوا على ارادة الى قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال الطيبي قوله عند ظرف لقوله الفدادين على تاويل الذين لهم جلبة وصياح عند سوقهم لها لان سائق الدواب انما يعلو صوته خلفها في ربيعة ومضر اما خبر مبتدا محذوف اي هذه الطائفة فيهم او خبر بعد خبر لقوله والجفاء وقال الطيبي بدل من قوله في الفدادين باعادة العامل متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء في المشرق ولفظ الجامع مع اهل المشرق والايمان في اهل الحجاز اي مكة والمدينة وحواليهما وقال ابن الملك اراد به الانصار رواه مسلم وكذا الامام احمد في مسنده وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا لعل تقديمه على اليمن مشيرا الى انه مبارك في اصله لقوله تعالى الذي باركنا حوله ولوجود كثير من الانبياء فيه فتكلة فالمراد زيادة البركة والبركة الحاصلة لاهل المدينة وسائر المؤمنين على الخصوص اللهم بارك لنا في يمننا اي بركة ظاهرية ومعنوية ولتمدا كثرا وتيا فيهم والظاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة لان طعام اهل المدينة مجلوب منهما قالوا اي بعض الصحابة يا رسول الله وفي نجدنا عطف تلقين والتماس اي قل وفي نجدنا ليحصل البركة لنا من صوابه ايضا والنجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز علما في النهاية وقال ابن الملك هو خلاف الغور من بلاد العرب قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قال الاشرف انما دعا لهما بالبركة لان مولده بمكة وهي من اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وناهيك من فضل الناحيتين ان احديهما مولده والاخرى مدفنه فانه اضافهما الى نفسه واتى بضمير الجمع تعظيما وكرر الدعاء ثلاث مرات قالوا يا رسول الله وفي نجدنا فاظنه قال في الثالثة يعني او في الثانية هناك اي في ناحية نجد وهو المعنى بقوله نحو المشرق الزلازل الحسية او المعنوية وهي تزلزل القلوب واضطراب اهلها والفتن اي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة فلا يناسبه دعوة البركة له وبها اي بتلك البقعة ونواحيها يطلع بضم اللام اي يظهر قرن الشيطان اي حزبه واهل وقته وزمانه واعوانه ذكره السيوطي رواه البخاري وكذا مسلم والترمذي نقله السيد جمال الدين الفصل الثاني عن انس عن زيد بن ثابت هذا نقل الصحابي عن مثله فيكون من باب نقل الاقران والاظهر انه من نقل الاصاغر عن الاكابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن بكسر القاف

وفتح الموحدة اي الى جانبه فقال اللهم اقبل امر من الاقبال والباء في قوله بقلوبهم للتعدية
والمعنى اجعل قلوبهم مقبلة الينا وانما دعا بذلك لان طعام اهل المدينة كان يأتيهم
من اليمن ولذا عقبه ببركة الصاع والمد لطعام يجلب اليهم من اليمن فقال وبارك لنا في
صاعنا ومدنا واراد بهما الطعام المكيل بهما فهو من باب الاطلاق الظرف وارادة المظروف
او المضاف مقدر اي طعام صاعنا ومدنا ثم الصاع على ما في القاموس اربعة امداد
كل مد رطل وثلث والرطل ويكسر اثنتا عشرة اوقية والاوقية اربعون درهما
قال الداودي معياره الذي لا يختلف اربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم
الكفين ولا بصغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى
وجربت ذلك فوجدته صحيحا تم كلامه وقال التوربشتي وجه التناسب بين الفاصلتين
ان اهل المدينة ما زالوا في شدة من العيش وعوز من الزاد لا يقوم اقواتهم لحاجتهم
فلما دعا الله بان يقبل اليهم بقلوب اهل اليمن الى دار الهجرة وهم الجم الغفير دعا الله
بالبركة في طعام اهل المدينة ليتسع على القاطنين بها والقادم عليها فلا يسام المقيم
عن القادم عليه ولا يشق الاقامة على المهاجر اليه رواه البخاري وفي الجامع اللهم
ان ابراهيم كان عبدك ونبيك وخليلك دعاك لاهل مكة بالبركة وانا محمد عبدك
ورسولك ادعوك لاهل المدينة ان تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لاهل
مكة مع البركة بركتين رواه الترمذي عن علي وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم طوبى للشام اي حالة طيبة لها ولاهلها قال الطيبي طوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا قلنا لاي ذلك يا رسول
الله بتنوين العوض في اي اي لاي شيء كما في بعض النسخ المصابيح قال الطيبي كذا في
جامع الترمذي على حذف المضاف اليه اي لاي سبب قلت ذلك وقد اثبت في بعض نسخ
المصابيح لفظ شيء وهو اغرب ميرك حيث قال بحذف المضاف اليه واجري اعرابه على المضاف
انتهى وغرابته لا تخفى قال لان ملائكة الرحمن فيه ايماء الى ان المراد بهم ملائكة
الرحمة باسطة اجنحتها عليها اي على بقعة الشام واهلها بالمحافظة عن الكفر
رواه احمد والترمذي وكذا الحاكم وفي رواية الطبراني عنه بلفظ طوبى للشام
ان الرحمن لباسط رحمته عليه اي على بلد الشام فهو يذكر ويؤنث باعتبارين وعن
عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار يحتمل ان تكون حقيقة
وهو الظاهر على ما ذكره الزجري ويحتمل ان يراد بها الفتنة من نحو حضرموت بفتح فسكون
ففتحتين فسكون ففتح ففي القاموس حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا
حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء وان شئت لا تنون الثاني اي من حضرموت
اي من جانبها المنقضي عنها تحشر الناس اي تجمعهم النار وتسوقهم على ما في النهاية
قلنا يا رسول الله فما تأمرنا اي في ذلك الوقت قال عليكم بالشام اي خذوا طريقها

والزموا

والزموا فريقها فانها سالمة من وصول النار الحسية او الحكمية اليها حينئذ ملائكة
الرحمة اياها قال التوربشتي يحتمل ان يكون النار اي عين وهو الامثل ويحتمل انها
فتنة عبر عنها بالنار وعلى التقديرين فالوجه فيه انه قبل قيام الساعة لانهم
قالوا فما تأمرنا يعنون في التوقي عنها فقال عليكم بالشام رواه الترمذي وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها
اي القصة ستكون هجرة بعد الهجرة قال الشارحون من حق الثانية ان يؤتى
بها مع لام العهد لان المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح وانما اتي بها منكرة
لتساوق الاولى في الصيغة مع اضمار في الكلام اي بعد هجرة حقت وجبت وانما
حسن الحذف اعتمادا على معرفة السامعين والمعنى ستكون هجرة الى الشام بعد
هجرة كانت الى المدينة قال التوربشتي وذلك حين يكثر الفتن ويقل القائمون
بامر الله في البلاد ويستولي الكفرة الطغام على بلاد الاسلام ويبقى الشام تسوسها
العساكر الاسلامية منصورة على من ناواهم ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال
فالمهاجر اليها حينئذ فار بدينه ملتجئ اليها لصلاح اخرته يكثر سواد عباد الله الصالحين
القائمين بامر الله تعالى ولعل الحديث اشارة الى العصر الذي نحن فيه قال
الطيبي ويمكن ان يراد التكرير كما في قولك لبيك وسعديك اي الباب بعد
الباب والفاء في قوله فخيار الناس يلوح اليه لانه تفصيل للمجمل كانه قيل
سيحدث للناس مفارقة من الاوطان وكل احد يفارق وطنه الى اخر ويهجره هجرة
بعد هجرة فخيارهم من يهاجر او يرغب الى مهاجر ابراهيم عليه السلام وهو الشام انتهى
وقوله الى مهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي موضع هجرته والى مخففة الياء المنقلبة
الى الالف على انها حرف جر بمجرده هو الرواية يتعلق بمحذوف هو خبر المبتدا تقديره
فخيار الناس المهاجرون الى مهاجره لان المهاجر حينئذ فار بدينه وفي بعض النسخ
الي بتشديد الياء على انها مضافة الى يا المتكلم فهو بتكلم يتعلق بخيار وحينئذ
مهاجر مرفوع على انه خبر المبتدا فيقدر حذف المضاف فتقديره فخيار الناس
مهاجرهم مهاجر ابراهيم فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه والمراد بهم جر
ابراهيم الشام فان ابراهيم لما خرج من العراق مضى الى الشام وفي رواية فخيار اهل
الارض الزمهم اي اكثرهم لزوما لمهاجر ابراهيم بفتح الجيم اي الشام فمهاجر بالنصب
ظرف الزم وهو افعل التفضيل عمل في اسم الظاهر ويبقى في الارض شرار اهلها
اي اهل الارض من الكفار والفجار تلفظهم بكسر الفاء اي ترميهم ارضوهم بفتح الراء
والمعنى ترمي شرار الناس اراضيهم من ناحية الى اخرى قال الشراح يعني ينتقل
من الاراضي التي يستولي عليها الكفرة خيار اهلها ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين
رغبة في الدنيا ورهبة عن القتال وحرصها ما كان لهم فيها من ضياع ومواش

ونحوهما من متاع الدنيا فهم لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشي المسترذل المنقذر عند النفوس الزكية وكان الارض تستنكف عنهم فتقذرهم والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته ابعاد من يستقذر الشي ويبعد عنه طبعه فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم فقعودا مع اعداء الدين نحوه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم فقوله تقذرهم نفس الله من المتشابهات المركبة التي لا تطلب لمفرداتها تمثيلا وممثلا به مثل شابت لمة الليل وقامت الحرب على ساق ثم اعلم ان قوله تقذرهم بفتح الذال المعجمة من قذرت الشي بالكسر اي كراهته ونفس الله بسكون الفاء اي ذاته قال التوربشتي وهو وان كان من حيث انه حصل له مضاف ومضاف اليه يقتضي المغايرة واثبات شيئين لكنه جاز من حيث الاعتبار على سبيل الاتساع تعالى عن الاثنوية وعن سمات الحدثان علوا كبيرا تحشرهم النار مع القردة والخنازير اي تلازمهم النار ليلا ونهارا وتجمعهم مع الكفرة الذين هم باعتبار صغيرهم وكبيرهم كالقردة والخنازير تبيت اي النار معهم اذا باتوا وتقيل بفتح التاء الى تضحي وتظل النار معهم اذا قالوا اي اضحوا وظلوا وهو من القيلولة وهي الاستراحة بالنهار فالجملة مستانفة مبينة لدوام الملازمة وقال الطيبي جملة موكدة لما قبلها او كالمبينة واما الجمل السابقة فكلها مستانفة اجوبة للاسئلة المقدرة قال المظهر النار ههنا الفتنة يعني تحشرهم نار الفتنة التي هي نتيجة افعالهم القبيحة واقوالهم مع القردة والخنازير لكونهم متخلقين باخلاقهم فيظنون ان الفتنة لا تكون الا في بلدانهم فيختارون جلاء اوطانهم ويتركونها والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون ويرحلون رواه ابو داود وعن ابن حوالة بفتح الحاء ولم يذكره المولف في اسمائه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الامر اي امر الاسلام او امر القتال ان تكونوا جنودا اي عساكر مجندة بالتشديد النون المفتوحة اي مجموعة في كلمة الاسلام او مختلفة في مراعاة الاحكام جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق اي عراق العرب وهي البصرة والكوفة او عراق العجم وهو ما وراءها دون خراسان وما وراء النهر فقال ابن حوالة خر لي بكسر الخاء وسكون الراء امر من الخير امر من الاختيار بمعنى الاختيار اي اختر لي جندا الزمه يا رسول الله ان ادركت ذلك اي ذلك الوقت فقال عليكم بالشام فانها اي الشام خيرة بكسر الخاء وفتح التحتية وقد تسكن اي مختارة الله من ارضه اي من بلاده ففيها خيرة عباده قال الطيبي الخيرة بسكون الياء الاسم من خار واما بالفتح فهي الاسم من قولك اختاره محمد خيرة الله من خلقه بالفتح والسكون انتهى والمعنى اختارها الله من جميع الارض للاقامة في اخر الزمان يجتبي اليها خيرة

بالنصب

بالنصب على ما في اكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة بالرفع من عباده شارح يجتبي يفتعل من جبوت الشي وجبيته جمعته فالمعنى يجمع الله الى ارض الشام المختارين من عباده ويجوز ان يكون يجتبي لازما اي يجتمع اليها المختارون من عباده وقال السيد جمال الدين خيرة مرفوع بانه فاعل يجتبي ان كان من الاجتباء اللازم وهو بمعنى الاجتماع او منصوب بانه مفعوله ان كان من الاجتباء المتعدي وهو بمعنى الاصطفاء والاختيار انتهى والمختار انه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل الله يجتبي اليه من يشاء فاما ان ابيتم اي امتنعتم من القصد الى الشام فعليكم بيمنكم واسقوا بهمزة الوصل ويجوز قطعه اي انفسكم ودوابكم من غدركم بضم معجمة وفتح مهملة اي حياضكم فان الله توكل اي تكفل لي اي لاجلي ولاكرامي في امتي وقيل صوابه تكفل لي اي ضمن القيام بالشام اي بامر الشام وحفظ اهله قال التوربشتي قوله فاما ان ابيتم هذا كلام معترض ادخله بين قوله عليكم بالشام وبين قوله واسقوا من غدركم اي الزموا الشام واسقوا من غدركم فان الله عز وجل قد تكفل لي بالشام واهلها رخص لهم في النزول بارض اليمن ثم عاد الى ما بدا منه وانما اضاف اليمن اليهم لانه خاطب به العرب واليمن من ارض العرب ومعنى قوله واسقوا من غدركم ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به والاحاديث المختزنة بالشام لا سيما اهل الثغور والنازلين في المروج من شانهم ان يتخذ كل رفقة لنفسها غديرا يستنقع فيه الماء للشرب والتطهير ويسقي الدواب فوصاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببا للاختلاف وتهييج الفتنة وقال الطيبي كان قوله فاما ان ابيتم وارد على التانيب والتعيير يعني ان الشام مختارة الله تعالى من ارضه فلا يختارها الا خيرة الله من عباده فان ابيتم ايها العرب ما اختارة الله تعالى واخترتم بلادكم ومسقط راسكم من البوادي فالزموا يمنكم واسقوا من غدرها لانها اوفق لكم من مياه البوادي ثم انظر كيف جمع الضمير في قوله فعليكم بيمنكم بعد افراده في قوله عليك بالشام فتعلم من هذا ان الشام اولى بالاختيار واليمن عند الاضطرار والغدر جمع غدير وهو حفرة ينقع فيها الماء والعرب اكثر الناس اتخاذا لها ولذلك اضيفت اليهم قال التوربشتي في سائر نسخ المصابيح فان الله قد توكل لي بالشام والصواب قد تكفل لي وهو سهو اما في اصل الكتاب او من بعض رواة الحديث فنقل على ما وجد قال القاضي اراد بالتوكل التكفل فان من توكل في شي فقد تكفل بالقيام به والمعنى ان الله ضمن لي حفظها وحفظ اهلها من باس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية رواه احمد وابو داود قال الطيبي في مسند احمد وجامع الاصول عن ابي داود كما في المصابيح وقوله لي ليس بصلة توكل وصلته اما على او الباء ولا يجوز الاول فتعين الثاني اي توكل بالشام لاجلي وفي

النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به **الفصل الثالث** عن شريح

ابن عبيد بالتصغير فيهما حضرمي تابعي روي عن ابي امامة وجبير بن نفير وعنه
صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح قال ذكر اهل الشام عند علي رضي الله عنه اي بالسوء
وقيل العنهم يا امير المؤمنين قال لا اي لا يجوز لعنهم ولا العنهم اني بالكسر على ارادة
استيناف تعليل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام
وهم اربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث اي المطر وينتصر
بهم على الاعداء اي من الكفار ويصرف عن اهل الشام بهم اي ببركتهم او بسبب وجودهم فيها
العذاب اي العذاب الشديد سياتي ان هذا الحديث رواه احمد واخرجه ابن عساكر عن
عبد الله بن مسعود مرفوعا ان الله تعالى ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب ادم وله
اربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم
على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب
اسرافيل كلما مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة
ابدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد ابدل الله مكانه من السبعة
وكلما مات واحد من السبعة ابدل الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من
الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات واحد من الثلثمائة ابدل الله
مكانه من العامة بهم يدفع البلاء عن هذه الامة قال بعض العارفين لم يذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان احدا على قلبه اذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والامر اعز واشرف
والطف من قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يساويه ولا يحاذيه قلب احد من الاولياء
سواء كانوا ابدالا او اقطابا قال الشيخ علاء الدولة السمناني في كتاب العروة له
والبلاء من بلاد السبعة كما اخبر عنه عليه الصلاة والسلام فقال هم من السبعة
وسيدهم وكان القطب في زمان النبي عليه السلام عما وبيل القرني عصام حتى
ان يقول اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص من التجلي الرحماني كما كان النبي
عليه الصلاة والسلام مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات والله سبحانه
انتهى وفيه نظر ظاهر فانه على تقدير ثبوته بالنقل والكشف يشكل بانه كيف يكون
القطبية وجود الخلفاء الاربعة الذين هم افضل الناس بعد الانبياء بالاجماع مع
ان عاصما هذا ليس له ذكر لا في الصحابة ولا في التابعين وقد قال صلى الله عليه وسلم
خير التابعين اويس القرني على ان الامام اليافعي رحمه الله على ما نقله السيوطي
عنه انه قال وقد يستتر احوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق
عليه **وعن** رجل من الصحابة تقدم ان جهالة الصحابي لا تضر فان الصحابة كلهم
عدول ومر اسلم محمد الثقفي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح الشام
اي بلادها فاذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق بكسر الدال

وفتح

وفتح الميم ويكسر على ما في القاموس وهو الان مشهور بالشام فانها اي مدينة دمشق
معقل المسلمين بفتح ميم وكسر قاف اي ملاذهم من الملاحم بفتح ميم وكسر حاء جمع الملحمة
وهي الحرب والقتال والمعنى يتحصن المسلمون ويلتجيون اليها كما يلتجي الوعل
الى راس الجبل وفسطاطها بضم الفاء وقد يكسر وهو البلد الجامعة للناس
ومنها اي من اراضي دمشق ارض يقال لها اي لتلك الارض الغوطة بضم الغين وهو
اسم البساتين والمياه التي عند دمشق ويقال لها غوطة دمشق قال الزمخشري جنات
الدنيا اربع غوطة دمشق وشعب بوان والابلة وسمرقند قال ابن الجوزي رايتها
كلها وفضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرها رواهما اي الحديثين الثاني
احمد اي في مسنده **وعن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخلافة اي الحقيقة بالمدينة اي غالبا لكون علي في الكوفة زمن خلافته والخلافة
المستقرة بالمدينة والملك بالشام وفيه اشعار بان معاوية بعد تسليم الحسن لم يصر
خليفة ويؤيده ما رواه احمد والترمذي وابو يعلى وابن حبان عن سفينة الخلافة
بعدي في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك **وعن** عمر رضي الله عنه قال قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمودا بفتح العين اي اسطوانة من نور
ولعله امر الخلافة المشبه بالعمود في انه عماد بناء الاسلام واحكام بنيان الاحكام
خرج من تحت راسي ساطعا اي رافعا لامعا واصل اثره في الافاق والانفس حتى
استقر اي ثبت ذلك العمود واستمر بالشام رواهما اي الحديثين البيهقي في دلائل
النبوة ووافقه في الحديث الاول البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه **وعن**
ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين اي مكان
الغيبة منهم يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن
الشام رواه ابو داود **وعن** عبد الرحمن بن سليمان لم يذكره المؤلف في اسمائه قال
سياتي ملك من ملوك العجم فيظهر اي يغلب على المدائن اي البلدان كلها اي جميعها
الا دمشق اي الا مدينة دمشق الشام رواه ابو داود

باب ثواب هذه الامة

اي الطائفة الجامعة بين الاجابة والمتابعة المعتبر عنهم بالفرقة الناجية ففي التنقيح
للمبتدع ليس من الامة على الاطلاق قال في التوضيح المراد بالامة المطلقة اهل السنة
والجماعة وهم الذين طريقتهم كطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم دون اهل البدع قاله صاحب التلويح لان المبتدع وان كان من اهل القبلة فهو من
امة الدعوة دون المتابعة كالكفار **الفصل الاول** عن ابن عمر عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انما اجلكم قال الطيبي الاجل المدة المضروبة للشيء قال تعالى لتبلغوا
اجلا مسمى ويقال للمدة المضروبة لحيوة الانسان اجل فيقال دنا اجله وهو عبارة من دنو

دنو الموت واصله استيفاء الاجل اي مدة الحياة والمعنى ما اجلكم في اجل من مضى من
الامم السابقة في الطول والقصر الا مقدار ما بين صلاة العصر الى صلاة المغرب من
الزمان انتهى وتوضيحه ان الاجل تارة يعبر عن جميع الوقت المضروب للعمر سواء كان
معلقا او مبرما كما في قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده وتارة يطلق على
انتهاء المدة وآخرها وهو المعنى بقوله سبحانه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون والمراد بالاجل هنا هو المعنى الاول فالمعنى انما مدة اعماركم القليلة
في اجل من خلا من الامم اي في جنب اجل من مضى من الامم الكثيرة ما بين صلاة
العصر الى مغرب الشمس اي مثل ما بينهما في جنب ما بين صلاة الظهر الى العصر و
ما بين الفجر والظهر الى ما بين الفجر والعصر للمثل المضروب الآتي وخلاصته اي
مدتكم في العمل قليلة واجرتكم كثيرة على فيما سيما ذكر من المثل وهو قوله وانما
مثلكم ومثل اليهود والنصارى اي مع الرب سبحانه وتعالى كرجل استعمل عمالا اي ضم
فاستعمل بجمع عامل اي طلب منهم العمل فقال اي على طريق الاستفهام من يعمل لي الى
نصف النهار وهو من طلوع الشمس الى زوالها فالمراد بالنهار العرفي لانه عرف عمال العمار على
قيراط قيراط اي نصف دانق على ما في الصحاح وقيل القيراط جزء من اجزاء الدينار وهو
نصف عشره في اكثر البلاد والباد فيه بدل من الراء لانها بدل من النون في الدنيا ويدل
عليه جمعها على دنانير وقراريط وكرر قيراط للدلالة على انه الاجر لكل واحد منهم
قيراط لا ان المجموع للطائفة قيراط فعملت اليهود اي اتباع موسى السابق في الزمان
الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال اي الرجل المستعمل للعمال من يعمل لي من نصف
النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى اي اتباع عيسى بعد اليهود
من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى
مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا للتنبيه فانتم الذين تعملون بالخطاب ويلايمه
ما في رواية للبخاري فانتم تعملون وفي نسخة صحيحة بالغيبة وهو الظاهر من ايراد
الموصول اي فانتم مثل الذين يعملون او فانتم هم الذين تعملون مثلا من صلاة العصر
الى مغرب الشمس الا للتنبيه لكم الاجر مرتين اي مثلي ما لليهود والنصارى وكانه مقتبس
من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته
فان هذه الامة صدقوا نبيهم والانبياء الماضية ايضا فغضبت اليهود والنصارى
فقالوا نحن اكثر اعمالا واقل عطاء اي قال اهل الكتاب ربنا اعطيت امة محمد ثوابا كثيرا
مع قلة اعمالهم واعطيتنا ثوابا قليلا مع كثرة اعمالنا ولعلهم يقولون ذلك يوم
القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي لتحقق ذلك او
صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضائل هذه الامة في كتبهم او على السنة رسلهم
وعلى كل تقدير ففي الحديث دليل على ان الثواب للاعمال ليس على قدر التعب ولا على

جهة

جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه لخدمته اجرة بل المولى يعطيه من فضله
وله ان يتفضل على من شاء من العبيد على وجه المزيد فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال
الطيبي لعل هذا التخييل والتصوير لان ثمة مقاولة ومكالمة حقيقة اللهم الا ان يحمل
ذلك على حصولها عند اخراج الذر فيكون حقيقة انتهى واستدل به علماؤنا تقوية
لقول ابي حنيفة ان اول العصر بصيرورة ظل كل شيء مثليه اذ لا يتصور ان يكون
النصارى اكثر عملا من هذه الامة الا باعتبار هذه المدة فان قيل من الزوال الى صيرورة
ظل كل شيء مثله اكثر منه الى آخر النهار فيتحقق كون النصارى اكثر عملا على هذا
التقدير اجيب بان التفاوت بين هذين الوقتين لا يعرفه الا الحساب والمراد
من الحديث تفاوت يظهر لكل احد من الامة او لاكثرهم فان الاحكام الفقهية مبنية
على الاعتبارات الظاهرية فالنادر لا حكم له وقال الكرماني في شرح البخاري لا يلزم
من كونهم اكثر عملا اكثر زمانا لاحتمال كون العمل اكثر في الزمان الاقل اقول هذا
احتمال بعيد معارض باحتمال كون العمل اقل في الزمان الاكثر فاذا تعارض الاحتمالان
العقليان تساقطا والمرجع حكم باعتبار الغالب ان الزمان معيار للعمل فيكون
العمل الاكثر في الزمن الازيد وكذا عكسه مع ان في نفس الحديث الشريف دلالة
على اعتبار هذا المعنى وقال الله تعالى فهل ظلمتكم اي هل نقصتكم من حقكم شيئا مما وعدتم
به او شرطتم قالوا اي اهل الكتاب لا قال الله تعالى فانه اي الشان فضلي اي عطائي الزائد
اعطيه من شئت والتقدير فان العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي وقال
الطيبي الضمير واقع موقع اسم الاشارة والمشار اليه قوله الاجر مرتين وانما
لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا ان يعملوا به فكان فضله مع النصارى
على اليهود وشرطه في زمان اقل من زمانهم مع انهما في الاجرة متساويان واما المكرمون
فمدة عملهم اقل مع ضعف الاجرة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى لكن قوله
انهما في الاجرة متساويان ليس في محله لان المراد باليهود والنصارى اي الممثلين
في هذا الحديث هم الذين بدلوا على دين الحق من متابعة الكتابين والنبيين
دون الكفار من الطائفتين فانهم ليس لهم من الاجر شيء ولا شك ان النصارى
حيث آمنوا بعيسى والانجيل مع ايمانهم بموسى والتوراة لهم من المثوبة
الحسنى ما ليس لليهود الذين كانوا ايمانهم بكتابهم ونبيهم فقط كما حقق في تفسير
قوله تعالى اولئك الذين يؤتون اجرهم مرتين فعلم من هذا الحديث ان تكرار الاجر
غير مختص بالكتابي اذا دخل في دين الاسلام كما هو مفهوم من ظاهر آية يؤتكم
كفلين من رحمته اولئك يؤتون اجرهم مرتين ومن حديث ثلاثة يؤتون اجرهم
مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده
ما في تفسير البغوي بسنده مرفوعا قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل

استعمل قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا
لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا ه باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية
عملكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر قوما اخرين بعدهم فقال اكملوا بقية
يومكم ولكم الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا ه
باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم وانما بقي من النهار
شيء يسير فابوا واستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت
الشمس فاستكملوا اجر الفريقين فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور يعني
في قوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به رواه البخاري وفي
شرح السنة قال الخطابي يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من
النهار وتقدير الاجرة ففي هذه الرواية قطع الاجرة لكل فريق قيراطا قيراطا
وتوقيت العمل عليهم زمانا زمانا واستيفاؤه منهم وايفاؤهم الاجرة وفيه
قطع الخصومة وزوال العتب عنهم وابراؤهم من الذنب وهذا الحديث مختصر وانما
اكتفى الراوي منه بذكر مال العاقبة فيما اصاب كل واحدة من الفرق وقد روى
محمد بن اسماعيل هذا الحديث باسناده عن سالم بن عبد الله عن ابيه وقال اوتي اهل
التوراة التوراة فعملوا حتى اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم
اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم
اوتينا القران فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فهذه الرواية لا تدل
تدل على ان مبلغ الاجرة لليهود لعمل النهار كله قيراطان واجرة النصارى للنصف
الباقي قيراطان فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا الا قدر عملهم فاعطوا الى قدر
عملهم وهو قيراط ثم انهم لما رأوا المسلمين قد استوفوا قدر اجرة الفريقين حسدوهم
فقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا انتهى وبالجملة فدل الحديث على ان زمن هذه
الامة اقل من زمن النصارى كما ان زمن النصارى اقل من زمن اليهود وعلى
ان دين هذه الامة متصل الى قيام الساعة لا ينسخه ناسخ وعن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اي انه بمعنى الشان وقد روى
صاحب المشارق في انواع شتى بحذف ان وكذا هو في الجامع الصغير بلفظ من اشد
امتي لي حبا اي بالنسبة الى غيرهم في زمانهم ناس بالرفع على انه مبتدا موصوف بقوله
يكونون بعدي اي يوجدون بعد فوتي يود احدهم لو راني اي يتمنى لو راني مفديا باهله
وماله قال المظهر الباء في باهله باء التعدية كما في قوله بابي انت وامي يعني يتمنى
احدهم ان يكون مفديا باهله وماله لو اتفق رؤيتهم ووصولهم الي قال الطيبي لو
هاهنا كما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فلا بد ليود من مفعول
فلو مع ما بعده نزل منزلة كانه قيل يود احدهم ويحب ما يلازم قوله لو راني باهله

ان

ان يفدي اهله وماله اي فلت الاظهر كلام المظهر على ما اشار اليه ان لو هنا حرف
مصدري بمنزلة ان الا انها لا تنصب واكثر وقوع هذه بعد ود او يود نحو ودوا لو تدهن
فيدهنون يود احدهم لو يعمر الف سنة قال المغني واكثرهم لم يثبت ورود لو المصدرية
والذي اثبته الفراء وابو علي وابو البقاء والتبريزي وابن مالك ويقول المانعون
في نحو يود احدهم لو يعمر الف سنة انها شرطية وان مفعول يود وجواب لو محذوفان
والتقدير يود احدهم التعمير لو يعمر الف سنة لسره ذلك ولا خفاء في ما في ذلك من
التكلف رواه مسلم وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا تزال وفي نسخة بالفوقية لا يزال من امتي اي من جملة امتي بالاجابة امة
اي طائفة قائمة بامر الله اي بامر دينه واحكام شريعته من حفظ الكتاب وعلم
السنة والاستنباط منهما والجهاد في سبيله والنصيحة لخلقه وسائر فروض الكفاية
كما يشير اليه قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر لا يضرهم اي لا يضر دينهم وامرهم من خذلهم اي من ترك عونهم ونصرهم بل
ضر نفسه وظلم عليها باساءتها ولا من خالفهم اي لم يوافقهم على امرهم حتى ياتي امر الله
اي موتهم او القضاء عندهم وهم على ذلك اي على القيام بامره وفيه اشارة الى ان وجه
الارض لا يخلو من الصلحاء الثابتين على امر الله المتباعدين عن نواهيه الحافظين لامور
الشريعة يستوي عندهم معاونة الناس ومخالفتهم اياهم وقد شارح امر الله بالقيامة
ويشكل عليه حديث لا تقوم الساعة حتى لا يكون في الارض من يقول الله وقال شارح
قائمة بامر الله اي متمسكة بدينه قيل هم الائمة القائمة بتعليم العلم وحفظ
الحديث لاقامة الدين وقيل هم المقيمون على الاسلام المديمون له من قام الشيء دام
والباء في بامر الله بمعنى مع او للتعدية اي دائمة مع امر الله او مديمة اياه وقيل
يحتمل ان المراد به شوكة اهل الاسلام لا تزول بالكلية فان ضعف امره في قطر قوي
وعلى في قطر اخر وقام باعلائه طائفة من المسلمين وقال التوربشتي الامة القائمة
بامر الله وان اختلف فيها فان المعتد به من الاقاويل انها الفئة المرابطة بثغور
الشام نضر الله بهم وجه الاسلام لما في بعض طرق هذا الحديث وهم بالشام وفي
بعضها حتى تقاتل اخرهم المسيح الدجال وفي بعضها قيل يا رسول الله واين هم قال
ببيت المقدس فان قيل ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الاحاديث التي وردت في
الشام وقد عانت الذئاب في القطيع وعبرت الجنود العاتية عن الفرات واباحت
على ما وراءه من البلاد كمنبج وروج وحلب وما حواليها قلت انما اراد بقوله لا يضرهم
كل الضرر وقد اضر الكفار يوم احد باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولما كانت العاقبة
للتقوى لم يعد ذلك ضررا عليهم مع ان الفئة الموعودة لهم بالنصر هم الجيوش الغازية
بها ولم يصبهم بحمد الله الى اليوم غضاضة ولا هوان بل كان لهم النصرة وعلى عدوهم

الديرة متفق عليه ورواه ايضا ابوداود والنسائي وابن ماجة كذا قاله السيد جمال الدين
ورواه الشيخان عن المغيرة ولفظه لا تزال طايفة من امتي ظاهرين حتى يأتيهم
امر الله وهم ظاهرون ورواه ابن ماجة عن ابي هريرة ولفظه لا تزال طائفة من امتي
قوامة على امر الله لا يضرها من خالفها ورواه الحاكم عن عمر ولفظه لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وذكر حديث ان من عباد الله اي من لو
اقسم على الله لابره في كتاب القصاص الفصل الثاني عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر اي في حكم ابهام افراد الجنس لا يدرى اوله
اي اوائل المطر او المطر الاول خير اي انفع ام اخره اي اواخره او المطر الاخر قال التوربشتي
لا يحمل هذا الحديث على تردد في فضل الاول على الاخر فان القرن الاول هم المفضلون على
سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل
الراوي وانما المراد بهم نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة قال القاضي نفي تعلق
العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية واراد به نفي التفاوت كما قال تعالى قل اتنبئون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض اي بما ليس فيهن كانه قال لو كان لعلم لانه امر
لا يخفى ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما ان
كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشو والنماء لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها
فان الاولين امنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم
بالاجابة والايمان والاخرين امنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الايات واتبعوا من
قبلهم بالاحسان وكان المتقدمين اجتهدوا في التاسيس والتمهيد فالمتاخرون بذلوا
وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتاكيد فكل ذنبهم مغفور وسعيهم
مشكور واجرهم موفور انتهى وحاصله انه كما لا يحكم بوجود النفع في بعض الامطار دون
بعض فكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض افراد الامة دون بعض من جميع الوجوه اذ الحيثيات
مختلفة الكيفيات ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ومع هذا فالفضل للمتقدم
وانما هذا التسلية للمتاخرين الى ان باب الله مفتوح وطلب الفيض من جنابه مفسوح
قال الطيبي وتمثيل الامة بالمطر انما يكون بالهدى والعلم كما ان تمثيله صلى الله عليه
وسلم الغيث بالهدى والعلم فيختص هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم
والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في
الافضلية ولو ذهب الى الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها واولها واخرها
بالخيرية وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة كالبنيان مفرغة كالحلقة التي لا يدرى
اين طرفاها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد
الكملة ويلمح الى هذا المعنى قول الشاعر • ان الخيار من القبائل واحد • وبنو حنيفة
كلهم اخيار • فالحاصل ان الامة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها

فيها

فيها وارتفع التمييز بينهما وان كان بعض افضل من بعض في نفس الامر وهو قريب من سوق
المعلوم مساق غيره وفي معناه انشد مروان بن ابي حفصة • تشابه يوماه علينا
فاشكلا • فما نحن ندري اي يوميه افضل • ايوم بداء العمر ام يوم يأسه • وما منهما الا اغر
محجل • ومن المعلوم علما جليا ان يوم بداءة العمر افضل من يوم يأسه لكن البدر التام
يكفي وبينتسب الا بالباس اشكل عليه الامر فقال ما قال وكذا امر المطر والامة انتهى
وخلاصته ان هذه الامة كلها لا تخلو عن الخير كما اشار اليه بقوله هذه امة مرحومة
تكون بينهما في الرحمة بخلاف سائر الامم فان الخير انحصر في سابقيهم ثم جاء الشر في ولا
حقيهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليه اولهم رواه الترمذي اي وقال حسن
غريب ورواه احمد عن عمار بن ياسر وابن حبان في صحيحه عن سلمان فقول النووي
في فتاواه ضعيف متعقب وقد يصحح كلامه بانه ضعيف في بعض طرقه لكن
في عرف المحدثين ينافيه الاطلاق فالاحسن ان يقال انه ضعيف في نفسه حسن
لغيره بل قال بعض المحققين حديث مثل امتي مثل المطر حديث حسن طرقه قد يرتقي
بها الى الصحة انتهى وفي الجامع الصغير رواه احمد والترمذي عن انس واحمد
عن عمار وابو يعلى عن علي والطبراني عن ابن عمر وعن ابن عمرو الفصل الثالث عن
جعفر اي الصادق عن ابيه اي محمد الباقر عن جده اي زين العابدين علي بن الحسين بن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنهم ويسمى مثل هذا الاسناد سلسلة الذهب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابشروا من الابشار وفي القاموس البشر الفرح ومنه ابشر كبشر وابشروا
كرره للتاكيد او احدهما للدنيا والاخر للاخرى ولا يبعد ان يكون الثاني بمعنى ابشروا
على ما في القاموس انما مثل امتي اي افرادها في الاجابة مثل الغيث اي مثل انواع
المطر في حصول المنفعة لا يدري اخره خير ام اوله ولعل عكس الترتيب هنا لافادة
زيادة المبالغة او تحديثه او للتنويع او التخيير والمعنى كمثل بستان ذي اشجار
ذات اثمار شبه به الدين باعتبار ترابيه واركانه وشعبه اطعم بصيغة المجهول
اي انتفع منها اي من بعضها فوج اي جمع عاما اي سنة ثم اطعم منها اي من بعضها الاخر فوج عاما
لعل اخرها فوجا منصوب على التمييز ان يكون اي اخرها عرضا واعمقها عمقا واحسنها حسنا
بالنصب على انها خبر يكون وجوز الطيبي رفعها كما سياتي لكنه غير موجود في النسخ الحاضرة
كيف تهلك امة اي بالكلية انا اولها والمهدي وسطها بفتح السين وبسكون والمسيح اي
عيسى عليه السلام اخرها اي اخر الامة ولكن بين ذلك اي بين ما ذكر من اولها واوسطها
المتصل باخرها فيج بفتح فاء وسكون ياء فجيم اي فوج اعوج وافرد باعتبار لفظ الفوج قال
في المصباح الفيج الجماعة وقد يطلق على الواحد فيجمع على فيوج وافياج كبيوت وابيات
وقال الازهري اصل فيج بالتشديد لكنه خفف كما قيل في هين هين ليسوا اي
ذلك الفوج وجمعه باعتبار المعنى مني متصلا بي ومتبعا لي او من اتباعي واحبابي ولا انا منهم

بل انما هم من يرى بينهم وغير راض عنهم لفسقهم وظلمهم هذا وقال الطيبي في قوله
او حديقة او هذه مثلها في قوله تعالى او كصيب من السماء في انها مستعارة للتساوي
في غير الشك كقولك جالس الحسن او ابن سيرين يريد انهما سيان في استصواب ان يجالسا
ومعناه ان كيفية صفة امتي مشبهة بكيفيتي المطر والحقيقة والحديقة وانهما
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايهما مثلها فانت مصيب في تمثيلها
بهما جميعا فان قلت اي فرق بين التمثيلين قلت شبه الامة في التمثيل الاول بالمطر
في نفع الناس بالعلم والهدى وفي الثاني بالاستنفاع من علم الرسول وهداه في انبات
الكلأ والعشب الكثير وحصول الافادة ثم انتفاع الناس منهما بالرعي والسقي وهو
المعني بالفوج الذي اطعم من الحديقة عاما والحديقة كلما احاط به البناء من البساتين
وغيرها وقوله ان يكون خبر لعل وادخل فيه ان تشبيها بعسى واسم يكون
يحتمل ان يكون ضميرا عائدا الى اخرها واعرض خبره ووصف الامة بالطول والعرض للعمق
باعتبار ملابستها بالحقيقة وان يكون اعرض صفة موصوف محذوف وهو اسم يكون
والخبر مقدر اي يكون الحديقة اعرضها عرضا له ان روي مرفوعا واعرض واعمق واحسن
جي بها مبنيا لغة اي ابلغها عرضا وعمقا وحسنا نحو قولك العسل احلى من الخل والصيف احر
من الشتاء اقول لا يخفى الفرق بينهما على ذوي النهى ثم قال وقوله احسنها حسنا كقوله
جد جده وجن جنونه وعرضا يحتمل ان يكون اسم عين بدليل قوله واعمقها عمقا وان
يكون اسم معنى بدليل واحسنها حسنا رواه رزين ينبغي ان يقال مرسلا لان الامام زين
العابدين معدود من كبار التابعين وكذا ولده محمد الباقر عد من التابعين لانه سمع
جابر بن عبد الله واباه زين العابدين وروى عنه ابنه جعفر الصادق وغيره واما
جعفر الصادق فذكره المؤلف في التابعين واظن انه سهو او وهم فانه لم يدرك احدا من
الصحابة بل روى عن ابيه وغيره وسمع منه الائمة الاعلام كابي حنيفة ومالك
ابن انس والثوري وابن عيينة وغيرهم ودفن بالبقيع في قبر فيه ابوه محمد الباقر وجده
زين العابدين وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وقد سبق الكلام على ما يتعلق
بهذا السند من المرام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الخلق اي اي المخلوقات اعجب
اي اغرب اليكم ايمانا تمييز قالوا اي بعض الصحابة الملائكة اي اعجب الخلق ايمانا اذ التقدير
هم الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم اي مقربون ومشاهدون عجائب الملكوت
وغرائب الجبروت فاي عجب وغرابة في ايمانهم قالوا اي ذلك البعض او بعض اخر فالنبيون
اي الى ان لم يكن الملائكة فالنبيون قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم بصيغة
الفاعل وفي نسخة بالمفعول قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وانا بين اظهركم اي فيما بينكم
تشاهدون معجزاتي واتلو عليكم اياتي قال اي الراوي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اعجب الخلق الي ايمانا لقوم يكونون اي يوجدون من بعدي اي من بعدهما من التابعين

وابناءهم

وابناءهم الى يوم الدين يجدون استئناف بيان اي يصادفون صحفا بضمتين جمع صحيفة
اي مصاحف واجزاء فيها كتاب اي مكتوب من عند الله وهو القران يؤمنون بما فيها اي
بما في تلك الصحف ولا يبعد ان يفسر الصحف بما يشمل الكتاب والسنة وحيث ورد الكلام
في الاعجبية والاغربية فلا استدلال بالحديث في الافضلية بوجه من الوجوه المرضية
هذا وقال الطيبي قوله اعجب ايمانا يحتمل ان يراد به اعظم ايمانا على سبيل المجاز لان من
تعجب من شيء عظمه فجوابهم مبني على المجاز ورده صلى الله عليه وسلم مبني على ارادة
الحقيقة والفاء في قوله فالنبيون دخل في قوله فنحن كما في قولك الامثل فالامثل والافضل
فالافضل ولا يلزم من هذا افضلية الملائكة على الانبياء لان القول في كون ايمانهم
متعجبا منه بحيث الشهود والغيبة قيل في تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب اي
غائبين عن المؤمن به ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله
غيره ما امن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية انتهى ولا يخفى ان الصحابة
ايضا كانوا مؤمنين بالغيب لكن باعتبار بعض المؤمن به مع مشاهدة بعضه بخلاف
التابعين فان ايمانهم بالغيب كله فمن هذه الحيثية ايمانهم اعجب وافضل والله اعلم
وعن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي لم يذكره المؤلف في اسمائه وذكر اباه العلاء فقال هو عبد
الله بن حضرموت كان عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم على البحرين واقره ابو بكر وعمر عليها
الى ان مات العلاء سنة اربع عشرة روى عنه السائب بن يزيد وغيره قال حدثني من سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون اباه او غيره يقول اي النبي صلى الله عليه وسلم انه
اي الشان سيكون في اخر هذه الامة قوم لهم مثل اجر اولهم يامرون بالمعروف استيناف
بيان وينهون عن المنكر ويقاتلون اي بايديهم او بالسنتهم اهل الفتن من البغاة والخوا رج
والروافض وسائر اهل البدع رواهما اي الحديثين البيهقي في دلائل النبوة وعن ابي
امامة اي الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن راني يعني وامن بي
وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي ولا يبعد ان يكون هذا فيهما قال الطيبي قوله وطوبى
جملة معطوفة اي على السابقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن لم يرني وهو
سبع مرات فعلى هذا سبع مرات ظرف يقال مقدرا تخلل بين طوبى وما يتعلق به ويحتمل
ان يكون سبع مرات مصدرا لطوبى مقولا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد
به التكثير لا التحديد انتهى وخلاصته ان سبع مرات على الاول قول الراوي وهو بعيد
والا بعد ما قرره ثانيا كما يؤيده الرواية الاتية رواه احمد وفي الجامع طوبى لمن راني وامن
بي وطوبى لمن لم يرني وامن بي سبع مرات رواه احمد والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه
والحاكم في مستدركه عن ابي امامة وكذا احمد ايضا عن انس ورواه الطيالسي وعبد بن حميد
عن ابن عمر بلفظ لمن راني وامن بي وطوبى لمن امن بي ولم يرني ثلاث مرات ورواه احمد بن حبان

عن ابي سعيد ولفظه طوبى لمن رآني وامن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن امن بي ولم يرني
وعن ابن محيريز بضم ميم وفتح حاء وسكون تحتية فراء مكسورة فتحتية ساكنة
فزاي اي ذكره المؤلف في اسمائه قال قلت لابي جمعة بضمتين ويكنى ابا بي رجل يدل من ابي
جمعة من الصحابة بيان لرجل قال المؤلف يقال له الانصاري ويقال الكناني واختلف
في اسمه فقيل حبيب بن سباع وقيل جنيد بن سباع وقيل غير ذلك له صحبة يعد في
الشاميين حدثنا بصيغة الامر استدعاء والتماسه حديثا سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال نعم اي قبلت احدثك حديثا جيدا بفتح جيم وتشديد ياء مكسورة
اي حسنا تغدينا اي اكلنا الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا ابو عبيدة
ابن الجراح وهو احد العشرة المبشرة فقال اي ابو عبيدة يا رسول الله احد اي احد خير
منا اي ممن بعدنا او من السابقين واللاحقين اسلمنا اي على يدك وجاهدنا معك قال
نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون ولم يروني والمعنى انهم خير منكم من هذه الحيثية
وان كنتم خيرا منهم من جهة المسابقة والمشاهدة والمجاهدة قال الطيبي قوله معك
حال من الجملة الثانية ومثله مقدر في الجملة الاولى اي اسلمنا معك كقوله تعالى
قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان وحرف الاستفهام محذوف ويحتمل
ان يكون لمجرد الاستفهام واسلمنا وجاهدنا حال ولعم وقعت موقعها وان يكون الاستفهام
للانكار واسلمنا استيناف لبيان نفي خيرية الغير عنه وعلى هذا وقعت نعم موقع
بلى فالخيرية بسبب الشهود والغيبة كما سبق بيانه انفا والله اعلم رواه احمد
والدارمي وروى رزين عن ابي عبيدة من قوله قال يا رسول الله احد خير منا الى اخره
وعن معاوية بن قرة بضم قاف فتشديد راء فتاء قال المؤلف معاوية بن قرة يكنى
ابا اياس البصري سمع اباه وانس بن مالك وعبد الله بن مغفل روى عنه قتادة
وشعبة والاعمش عن ابيه وهو قرة بن اياس المزني سكن البصرة ولم يرو عنه غير ابنه
معاوية قتله الازارقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فسد اهل الشام
فلا خير فيكم اي للقعود فيها او التوجه اليها ولا تزال طائفة من امتي منصورين اي
غالبين على اعداء الدين لا يضرهم من خذلهم اي ترك نصرتهم ومعاونتهم حتى تقوم الساعة
اي يقرب قيامها لما سبق من انها لا تقوم وفي الارض من يقول الله قال ابن المديني من
الا بن المحدثين هم اي تلك الطائفة اصحاب الحديث اي المحدثون من حفاظ الحديث
ورواتهم او العاملون بالسنة المبينة للكتاب فالمراد بهم اهل السنة والجماعة قال
الطيبي لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق لا تزال من امتي
من امة قائمة بامر الله على ما مر فان المراد منها الفئة المرابطة بثغور الشام لان
اللفظ يحتمل كلا المعنيين اقول ويحتمل ايضا الجمع بين الوصفين قالوا تما قوله لا يضرهم
من خذلهم فيحتمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على المبتدعة فيكون هنا مجازا

وهنالك

وهنالك حقيقة انتهى والظاهر ان كلا المعنيين حقيقة ففي القاموس خذله
وعنه خذلا وخذلانا بالكسر ترك نصرته رواه الترمذي اي الحديث فقوله قال ابن
المديني جملة معترضة لبيان الحديث وتفسيره ويحتمل ان يكون مدرجا داخلا
تحت قوله رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وسبق جواب الاشكال عن
هذا الاسناد وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز
اي عفا وزاد في الجامع لي اي لاجلي عن امتي اي الاجابة الخطا بفتحتين ويجوز مده وهو
ضد الصواب والمراد به هنا ما لم يتعمد والمعنى انه عفا عن الاثم المترتب عليه
بالنسبة الى سائر الامم والا فالمؤاخذة المالية كما في قتل النفس خطا واتلاف مال
الغير ثابتة شرعا ولذا قال علماؤنا في اصول الفقه الخطا عذر صالح لسقوط حق الله تعالى
اذا حصل من اجتهاد ولم يجعل عذرا في حقوق العباد حتى وجب عليهم ضمان العدوان
والنسيان وهو لا ينافي الوجوب في حق الله تعالى لكن النسيان اذا كان غالبا كما في الصوم
والتسمية في الذبيحة يكون عفوا ولا يجعل عذرا في حقوق العباد حتى لو اتلف مال الانسان
بالنسيان يجب عليه الضمان وما استكرهوا عليه بصيغة المجهول اي ما طلب منهم من
المعاصي على وجه الاكراه وهو حمل الانسان على ما يكرهه ولا يريده مباشرة لولا الحمل عليه
بالوعيد كالقتل والضرب الشديد وله تفصيل في حق الله وحق العباد ومحله كتب اصول
الفقه رواه ابن ماجة والبيهقي وفي الجامع رواه ابن ماجة عن ابي ذر والطبراني والحاكم
في مستدركه عن ابن عباس وفي رواية للطبراني عن ثوبان وعن بهز بفتح موحدة وسكون
هاء فزاي ابن حكيم اي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري قد اختلف العلماء فيه
عن ابيه اي حكيم ابن معاوية قال البخاري في صحته نظر روى عنه ابن اخيه معاوية
ابن حكيم وقتادة عن جده اي معاوية بن حيدة لم يذكره المؤلف في اسمائه انه اي جده سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة المعنى انهم كانوا كذلك
في علم الله او اللوح المحفوظ او بين الامم المتقدمة والمراد جميع المؤمنين من هذه
الامة على الاظهر ويدل له هذا الحديث وقيل خاص بالمهاجرين او بالاصحاب وقيل منهم
كذا في تفسير شيخنا المرحوم مولانا زين الدين عطية السلمي المكي وفي تفسير الكوراني
وقيل خاص بالشهداء والصالحين وقيل كان بمعنى صار وقال البغوي قوله كنتم اي انتم
كقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وقال في موضع اخر واذكروا اذ انتم قليل وقال البيضاوي
قوله كنتم دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرا كقوله وكان الله غفورا رحيما
انتهى وروي عن عمر رضي الله عنه ان هذه الاية تكون لاولنا ولا تكون لاولنا ولا تكون
لاخرنا كذا ذكره البغوي وايده بحديث خير القرون قرني ثم قال وقال الاخرون هم جميع
المؤمنين من هذه الامة قال الصفوي وهو الاصح اخرجت للناس اي اظهرت لهم
الجنس والجملة صفة لامة وقال الصفوي يعني انتم خير الناس وانفع الناس للناس

ويوضحه ما قال البغوي انه قال قوم للناس من صلة قوله خير امة اي انتم خير الناس للناس وقال ابو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير امة للناس وقيل قوله للناس من صلة قوله اخرجت ومعناه ما اخرج الله للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشار اليه صاحب البردة بقوله ٭ لما دعا الله داعينا لطاعته ٭ باكرم الرسل كنا اكرم الامم ٭ اشارة خفية الى ان المفهوم من كون الامة موصوفا بصفة الخيرية ان يكون رسولهم منعوتا بنعت الاكرمية ولكنه عكس القضية الاستدلالية اجلالا للمرتبة الرسالة العلية فان كوننا خير امة من بقايا جائزته وجدوى متابعته لان تكريم التبع من تكريم المتبوع على مقتضى المعقول والمشروع والا فيعكس المطبوع والموضوع ولا يظهر حسن الموضوع قال اي النبي صلى الله عليه وسلم انتم تتمون لفظ تكثر فتشديد اي تكملون و توفرون سبعين امة اي من الامم الكبار انتم خيرها واكرمها على الله قال الطيبي قوله يقول في قوله تعالى المراد بسبعين التكثير لا التحديد بناء اضافة الخير الى المفرد النكرة لانه لاستغراق الامم الفائتة للحصر باعتبار افرادها ايجادا لتعيين امة امة من الامم كنتم خيرها وتتمون علة للخيرية كان المراد به الختم كما ان نبيكم خاتم الانبياء انتم خاتم الامم انتهى وفيه ايماء الى ان اختتامه مسك في الاختتام كما اشار لفظ التتمة في نفس الحديث الشريف بالاتمام رواه الترمذي وابن ماجة والدارمي وكذا رواه الامام احمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه وقال الترمذي هذا حديث حسن وفيه اشعار الى حسن المقطع وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعا قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي انتهى وهذا اشارة الى حسن الخاتمة المنبئة على حسن البداءة كما اشار اليه قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فنحن الاخرون الاولون واللاحقون السابقون والحمد لله الذي جعلنا من اهل الاسلام وعلى دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد البركات والخيرات وقد فرغت من تسويد هذا الشرح املا العبد المفتقر الى كرم ربه الغني الباري علي بن سلطان محمد الهروي القاري الملتجي الى الحرم المحترم المكي خادم الكتاب القديم والحديث النبوي عامله الله بلطفه الخفي وكرمه الوفي وعفا عما زل قدمه او ضل قلمه وختم له بالحسنى وبلغه المقام الاسنى مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما

وكان الفراغ من كتابته يوم الاحد المبارك

عاشر شهر جمادى الاولى الذي هو من سنة

١٠٨٣ على يد كاتبه

الفقير احمد الازهري

المالكي ...

اصل نسخه دن تصحيح اولنمشدر

غفلت اولنمسه